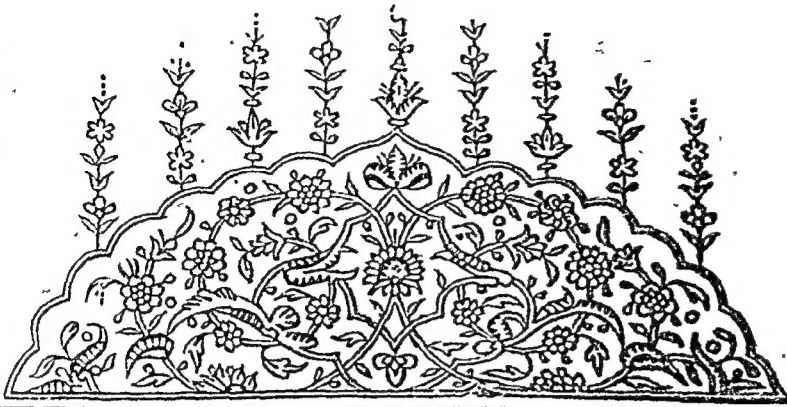


٤٤٤ الجزء التاسع عشر وقال الذين لا يرجون
 ٤٤٨ ولا يأتونك بمثل الاجتناء بالحق
 ٤٥٠ ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
 ٤٥٤ وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
 ٤٥٧ والذين لا يدعون مع الله الها آخر
 ٤٦٠ سورة الشعراء طسم تلك ايات الكتاب المبين
 ٤٦٣ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي
 ٤٦٥ فلما جاء السحرة قالوا للفرعون
 ٤٦٧ قال كلا ان معي ربي سيهدين
 ٤٦٩ واجعلي لسان صدق في الآخرين
 ٤٧١ قال وما علمي بما كانوا يعملون
 ٤٧٣ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
 ٤٧٣ وان ربك له العزيز الرحيم
 ٤٧٤ ولا تبخسوا الناس اشياءهم
 ٤٧٧ ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
 ٤٧٨ سورة طس تلك ايات القرءان وكتاب
 ٤٨٢ فلما جاءتهم اياتنا مبصرة

٤٨٦ اني وجدت امرأه تملكنهم
 ٤٨٨ واني مرسل اليهم بهدية فناظرة
 ٤٩٠ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته
 ٤٩٣ الجزء عشرون فما كان جواب قومه
 ٤٩٤ ان يبدأ الخلق ثم يعيده
 ٤٩٧ ان ربك يقضي بينهم بحكمه
 ٥٠٠ سورة القصص طسم تلك ايات الكتاب المبين
 ٥٠٣ ولما بلغ اشده واستوى اثنائه
 ٥٠٤ فخرج منها خائفا يترقب قال رب
 ٥٠٧ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
 ٥٠٩ فلما جائهم موسى باياتنا بينات
 ٥١١ وما كنت بجانب الغربي
 ٥١٣ ولقد وصلنا لهم القول
 ٥١٥ وما اوتيتهم من شيء فتنازع الحية الدنيا
 ٥١٧ قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
 ٥١٨ قل انما اوتيته على علم
 تمام جلد ثالث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة يونس عليه الصلاة والسلام)

مكية الاقوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالفسدين فانها مدينة نزلت في اليهود
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (الفتحها) اى قرأ بفتح الراء على التخييم
ابن كثير وقالون وحفص وقرأ بكسر الراء على الامالة ابو عمرو وحنة والكسائي وابن عامر وابو بكر وقرأة وورش
بين الفتح والكسر واختلف القراءة في الحروف المقطعة التي في اوائل السور اذا كان آخرها الفاقصة صورة وهي
راوطا وهاويا وها هل تقرأ بالامالة او بالتخييم فاما رامن جميع سورها امالة محضة الكوفيون الاحفصا
وابو عمرو وابن عامر وامال الاخوان وابو بكر طامن جميع سورها نحو طوس وطسبم وطه وامال ابو بكر
وحزة والكسائي يامن يس وكهيعص وافقههم ابن عامر في امالة كهيعص دون يس وامال حزة والكسائي
وابو عمرو وورش وابو بكرها من طه وكذلك اماليها من كهيعص ابو عمرو والكسائي وابو بكر وابن ذكوان
وامال ابو عمرو وورش وحزة والكسائي وابو بكر وابن ذكوان حامن جميع آل حم السبع الا ان اباعمر وورش
يميلان بين بين والباقيين يميلون امالة محضة وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام حم بفتح الحاء في جميع سورها
وكلها الفات صحيفة على ان الاصل في هذه السكسات ترك الامالة لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء ومن امالها فقد
قصد بامالتها على انها اسماء لا حروف لانها اسماء الحروف المنصوصة وليست بحروف وقد مر ان في فواتح السور
وجهين احدهما من جنس كلامهم او من جهة ورودها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (قوله لاشتماله على
الحكم) على ان يكون الحكيم بمعنى ذى الحكم وقوله اولانه كلام حكيم على ان يكون وصف الكتاب بالحكيم من
قبيل وصف الحكم بصفة من تكلم به على طريق الاسناد المجازى نحو نهارة صائم وليله قائم قال الاعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلنا يقال من ذاقها

اى قصيدة غريبة مدحت بها الملوك حكيمة ليتعجب الناس ويقولوا من ذاقها والبيت يصلح شاهدا لكل واحد
من الوجهين فان حكيمة يحتمل ان يكون بمعنى النسبة وان يكون من قبيل الاسناد المجازى (قوله او يحكم آياته)
على ان يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول (قوله على ان الامر بالعكس) اى على ان تكون النكرة المحضة اسم
كان الناقصة والمعرفة خبرها على حد قوله يكون من راجعها غسل وماء ويحتمل ان يكون ارتضاع عجب مبنيا

(سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم ال) فتحها ابن كثير
ونافع وحفص وامالها الباقيون اجراء لالف الراء
مجرى المنقلبة عن الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم)
اشارة الى ما تضمنته السورة او القراءة من الاء
والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله
على الحكم اولانه كلام حكيم او يحكم آياته لم ينسخ
شي منها (اكان للناس عجا) استفهام انكار لتعجب
وعجا خبر كان واسمه (ان اوحينا) وقرئ بالرفع
على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا
بدل من عجب

على ان كان تامة وان او حيناً بدل منه بدلاً شتملاً اى أحذب عجب لان او حيناً احدث وحى والظاهر ان يكون حينئذ متعلقاً بعجب على حذف لام العلة اى احدث عجب لان او حيناً ويكون على حذف من اى من ان او حيناً (قوله واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة) اى امر اعجبياً يتعجب منه يعنى ان اللام فى الناس للبيان كافي هيت لك اى هذا الخطاب لك وليس متعلقاً بقوله عجباً على طريق المفعولية كافي قولك عجبتم لسعى زيد فى حاجتى لان معمول المصدر لا يتقدم عليه (قوله من افناء رجالهم) اى بمن لا يعرف بجده ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من اسباب العز والجلال وليس المراد انه صلى الله عليه وسلم ليس من مساهيرهم نسباً لان شرف نسبه عندهم اظهر من الشمس وافناء جمع فنى بوزن فنى او جمع فناء بوزن فباء وهى ناحية من الناس الجوهري فناء الدار ما امتد من جرائها ويقال هو من افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو (قوله او الخففة من الثقيلة) فيكون اسمها ضميراً للسأن المقدر والاصل انه انذار الناس ولما تقرر فى النحو ان الجملة الطلبية لا تقع خبر ضمير السأن وجب ان يكون تقدير هذا الاصل ان السأن قولنا ان انذار الناس على ان يكون القول المقدر مبتدأ وتكون الجملة الطلبية محكمة به خبرا عنه ويكون خبر ضمير السأن جملة اسمية (قوله عم الانذار) حيث جعل متعلقه مطلق الناس لان الانذار يعنى الناس اى الكل ليرتدعوا عن فعل ما لا ينبغي من الصغائر والكبائر وترك الأولى بخلاف التبشير فانه لا يتعلق بالكفار اذ ليس لهم ما ينسرون به ولم يذكر المنذبه للتعظيم والتهويل وذكر البشرى لتقوى رغبة المطيعين فيما يؤدى بهم اليه وقدم الانذار على التبشير لان التحلية مقدمة على التحلية وازال ما لا ينبغي متقدمة فى الرتبة على فعل ما ينبغي والبشرى ما ذكره بقوله تعالى ان لهم قدم صدق وحذف الباء من ان وان سأل كثير (قوله سابقة) يحتمل ان يكون مصدراً كالعاقبة والكاذبة ويكون المراد بها تقديم الله تعالى يوم القيامة هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقال صلى الله عليه وسلم الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها ومحرمة على الامم حتى تدخلها امتي ويحتمل ان يكون اسم فاعل يعنى السعادة السابقة فى القضاء الاولى وهى المنازل الرفيعة الروحانية والجسمانية وما ذكره فى بيان وجه اطلاق القدم على السابقة وهو قوله لان السبق بها يؤيد الاحتمال الاول وان كان القدم سبباً للوصول الى المنازل السابقة كما انها سبب لنفس السبق ايضا ثم انه تعالى لما اجاب عن تعجب الكفار من الوحي والبعثة بقوله كان للناس عجباً ان يعث خالق الخلق اليهم رسولاً ينسروهم على الاعمال الصالحة بالثواب وينذرهم على الاعمال الفاسدة بالعقاب وكان هذا الجواب موقوفاً على ثبوت امرين الاول ان يكون لهذا العالم اله قادر نافذ الحكم والتكليف والثانى ان يقتضى البعث بالخشعة والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب اثبت الامر الاول بقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فانها لكونها امور محكمة فى ذواتها ووصفاتها محتاجة الى ما يرجع جانب وجودها واختصاصها بتلك معين ووصف معلوم وذلك المرجح يجب ان يكون واجب الوجود لذاته تحليلاً يجمع نعوت الجلال والجمال متحلياً عن صفات العجز والنقصان واثبت الامر الثانى بقوله الذى جمعكم جميعاً فان قيل قوله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام يقتضى ان يكون كونه تعالى خالقاً للسموات والارض فى ستة ايام امراً معلوماً عند العرب وهم لا يعلمون ذلك فكيف يحسن هذا التعريف فالجواب ان ذلك امر معلوم مشهور عند اليهود والنصارى والعرب كانوا يخاطبواهم والظاهر انهم سمعوه منهم فلهذا السبب حسن هذا التعريف (قوله فى ستة ايام) اى فى مقدارها لان اليوم عبارة عن زمان مقدر مبتداه طلوع الشمس ومنتها غروبها فكيف يكون يوم حين لا سمى ولا سماء ويحتمل ان يكون المراد بالايام الاوقات مطلقاً كافي قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اى وقتئذ واتفق المسلمون على ان فوق السموات جسم اعظم هو العرش المحيط بسائر الاحسام وقد يطلق العرش ويراد به الملك ويقال فلان على عرشه اى ملكه وقد يطلق على البناء كافي قوله تعالى وكان عرشه على الماء بناؤه يدل على انه تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته ونفاذ مشيئته فان الخلق يبتون ببناءهم فى المواضع الصلبة البعيدة من الماء ثلاثاً يتهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام على الماء كان فى غاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشاً وبانيه يسمى عارفاً قال تعالى ومن السجدة وما يعرضون اى يبتون والمشهور عند جمهور المفسرين ان المراد من العرش المذكور هو الجسم المحيط بالعلم وقالوا قوله تعالى ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارضين بدليل انه تعالى قال فى آية

واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم اى طالب وهو من فرط حاجتهم وفصروا نظرهم على الامور العادلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنسبة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الخلق اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبته كذلك وقيل نجحوا من انه بعث بشراً رسولاً كما سبق ذكره فى سورة الانعام (ان انذار الناس) ان هى المنسرة او الخففة من الثقيلة فتكون فى مرقع مفعول او حيناً (وبشر الذين امنوا) عم الانذار اذ قلنا من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة بالامم الذين امنوا اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به (ان لا يموت) بان لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة وممثلة رفيعة سميت قدماً لان السبق بها كما سميت النعمة بدلائها تعطى باليد واضافها الى الصدق لتحققها والتبشير على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (اسحر من) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول اموراً خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الاسحريين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى اصول الممكنات (فى ستة ايام) ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويعنى بتمريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجنى مجودة العاقبة (ما عن سفيح الامن بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تسفح لهم عند الله وفيه اثبات النسبة لمس اذنه (ذلكم الله) اى الموصوف بتلك الصفات المتضمنة للالهية والربوبية (ربكم) لا غير اذ لا يشركه احد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (افلا تذكرون) تتفكرون ادنى تفكر فيحكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه

(أي من جمعكم جميعا) بالموت أو الشور لا إلى غيره فاستعدوا للقاءه (وعدا الله) مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله إليه من جمعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لعمه وهو ما دل عليه وعد الله (أنه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي يعده أو يعد التهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه العدل التوفيق كان الشريك ظلم عظيم وهو الوجود لمقابله قوله (والذين كفروا لهم) (٤) شراب من حميم وعذاب اليم كما كانوا يكفرون) فإن معناه ليجزي

الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كثرتهم لكنه غير النظم للبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيد على أن المقصود بالذات من الأبداء والأعادة هو الأناثة والعقاب واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكانه دأسا قد ألهى سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم والآية كالتعليل لقوله إليه من جمعكم جميعا فإنه لما كان المقصود من الأبداء والأعادة مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ويؤيده قرآنة من قرأ أنه يبدأ بالخلق أي لأنه ويجوز أن يكون منصوبا أو مفعولا بمنصب وعد الله أو بمنصب حقا (هو الذي جعل الشمس

ضياء) أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أوجع ضوء كسياس ووسط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن أبي كيرضائه بمرتين في كل الفرة أن على القاب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) أي ذات نور أو سمي نورا لبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خالق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو للقدر وتخصيصه بالذكر أسرع سيرة ومعانيته من زله واناطة أحكام الشرع به ولذلك علق بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) وحساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملاتهم وتصرفاتهم (ما خاق الله ذلك إلا بالحق) الامتناس بالحق مرعا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فأنهم المستمعون بأننا دل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحض فصل يا أيها (أن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض) من أنواع الكائنات (الآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فأنه يحملهم على التفكير والتدبر (أن الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة أنفقتهم عنها (وأطمأنوا بها) وسكنوا إليها مقصرين همهم على لذاتها وزخارفها أو سكنوا فيها سكنون من لا يرجع عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يفكرون فيها لانهما كهم في ما يضادها والعطف امتناعا لغير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذبول عن الآيات رأسا ولا نهما ك في الشهوات بحيث لا تخاطر الآخرة بالهم أصلا وأما لتغاير الفريقين

أخرى وكان عرشه على الماء يدل على أن وجود العرش سابق على تخليق السموات والأرض ولا يتوهم أيضا من استواءه على العرش كونه معتدلا عليه مستقرا فوقه بحيث لو لا العرش لسقط ولنزل لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى لاتفاق المسلمين على أنه تعالى هو المسك للعرش والحافظ وأنه لا يحتاج إلى شيء مما سواه بل المراد من الاستواء على العرش والله أعلم الاستيلاء عليه ونفاذا تصرف وخص العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران وقوله تعالى يدبر الأمر حال من استوى أو مستأنف لا محله وقيل المراد بالعرش البناء وقوله تعالى خلق السموات والأرض إشارة إلى تخليق ذواتها وقوله ثم استوى على العرش إشارة إلى تسطيحها وتشكيلها بالأشكال الموافقة لمصالحها وما خلقت هي لأجلها وغير ذلك من الأمور البعيدة المعتبرة في تعريشها وإن قيل المراد بالعرش الملك يكون استوائه تعالى على الملك عبارة عن وجود الأحوال المتجددة في ذوات السموات كدوران الكواكب والأفلاك وحصول النصول الأربعة والأحوال المختلفة بسبب ذواتها (قوله مصدر مؤكد لنفسه) لكونه تأكيداً وتحققاً لمضمون قوله تعالى إليه من جمعكم جميعا ولا يحتمل لتلك الجملة غير كونه وعدا بخلاف قوله جميعا فإنه أيضا وإن كان تأكيداً لمضمون تلك الجملة إلا أنها لا تحتمل غير الحقيقة (قوله ليجزي) متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزي ويجوز أن يكون حالا من الفاعل أي ليجزيهم مستصبا بالقسط أو من المفعول أي ملتصبا بالقسط وهو العدل واليه أشار المصنف بقوله بعد التثنية أو بعد التهم وعدم ظلمهم أنفسهم بارتكاب المعاصي (قوله لكنه غير الأسلوب) حيث لم يورد الجملة الثانية على صورة تعليل الأبداء والأعادة مجازاة الكفرة بشراب من حميم وعذاب اليم بل ابتدأ بقوله والذين كفروا أخبر عنه بالجملة التي بعده مستأنفا لبيان جزأتهم لكنه خلاف الظاهر ووجد ما ذكره من التنبيه أنه تعالى أدخل لام التعليل على العقاب والثالث أنه لم يعين ثواب المؤمنين وعين عقاب الكافر وأشار المصنف إلى وجه كل واحد من وجوه التفسير (قوله ويجوز أن يكون منصوبا أو مفعولا) عطف على قوله أي لأنه ذكر لقرآنة أنه يبدأ الخلق بفتح الهمزة ثلاثا ويلات الأولى أن تكون مبنية على حذف لام الجر والثاني أن يكون في محل نصب الفعل الذي نصب وهو الله أي وعد الله وعدا أبداء الخلق ثم أعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه والثالث أن يكون في محل الرفع بالفعل الذي نصب حقا أي حق حقا بداء الخلق ثم أعادته (قوله أي ذات ضياء) قدر المضاف لأن الشمس ليست نفس الكيفية التي تسمى ضوءا وكذا القمر ليس نفس النور ويحتمل أن يكون من باب تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما يقال في الكريم الله كرم وجود كما أشار إليه بقوله أو سمي نورا للمبالغة لكن الظاهر أن يقال أسمى بدل الواو وضياء مفعول ثان لجعل أن كان من الجمل بمعنى التصيير أو حال من الشمس أن كان جعل بمعنى إنشاء وخلق (قوله على القلب بتقديم اللام على العين) فوقعت الواو وطرفا بعد الف زائدة فقلت همزة كافي سائر وكساء (قوله وهو أعم من الضوء) فإن النور اسم لأصل الكيفية الظاهرة في نفسها المظهرة لغيرها والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تاممة قوية وقيل الضياء أقوى من النور لأن الضوء ما بالذات كالكيفية التي على الشمس والنور ما بالعرض كالكيفية التي على وجه الأرض وما بالذات أقوى (قوله أي قدر مسير كل واحد منهما منازل) فعلى هذا منازل منصوب على أنه ظرف مكان وعلى الثاني يكون ذاته زل مفعولا ثانيا على تضمين قدره معنى صيره (قوله ولذلك) أي ولرجوع ضمير قدره إلى القمر خاصة فإن بالقمر يعرف انقضاء السهور والسنين لا بالشمس وإنما يعرف بالشمس أوقات الصلاة والفصول الأربعة التي ينظم بهامصالح هذا العالم ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقصومة على البروج الاثني عشر ولكل برج منزلتان وثلاث فينزل القمر كل ليلة منزلة منها ويستمر ليلتين أن كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة أن كان الشهر تسعة وعشرين وقرأ ابن كثير والبصريان وهما أبو عمرو ويعقوب يفصل بين الغيبة جريا على اسم الله تعالى في قوله ما خلق الله ذلك المذكور والياقون بنون العظيمة الثغاف من الغيبة إلى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل ذكر هذه الدلائل أي الدلائل الباهرة واحدة عقيب أخرى مع الشروح والبيان ثم أنه تعالى لما أقام الدلائل الدالة على صحة القول بثبوت الإله الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالخشوع والعبادة بعده شرع في شرح أحوال من يكفر بها فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا الآية ثم شرح أحوال من يؤمن فقال ان الذين آمنوا الآية (قوله وأما لتغاير الفريقين) أي لا يكون من باب عطف الصفات بل يكون الموصول الثاني معطوفا على اسم أن أي أن الذين

لا يرجون وان الذين واولئك مبتدأ مأواهم مبتدأ ثانی وجههم خبر الثاني والثاني وخبره خبر اولئك واولئك وخبره خبر الذين (قوله ومفهوم الترتيب) اى ترتيب الحكم على الوصول الذى صلته مجموع الايمان والعمل الصالح يفهم سببية المجموع (قوله احوال من الضير المنصوب على المعنى الاخير) وهو يهديهم بسبب ايمانهم لما يريدونه في الجنة من الماكل والمشرب وغيرهما فان جريان الانهار من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة في البساتين والرياض لا يقارن هدايتهم لما يريدونه في الجنة (قوله اى دعاؤهم) يعنى ان الدعوى بمعنى الدعاء ويدل عليه اللهم فانه نداء فى معنى بالله دعاء ودعوى كما يقال شكوا يشكوا شكاية وشكوى وسجناك هو المنادى له وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لا يجوز اظهاره و اشار اليه المصنف بقوله اللهم انا نسبحك تسبيحا فلما حذف الفعل اضيف المصدر الى مفعوله لما وصف الله تعالى المؤمنين بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجاتهم وكراماتهم ومراتب سعادتهم وهى اربع مراتب المدتبة الاولى قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الآية اى يهديهم بسبب ايمانهم الى سلوك ما يؤد بهم الجنة او لعلم ما لم يعلموه من الحقائق او لما لا يريدونه في الجنة والمرتبة الثانية ما اشار اليه بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانهك اللهم والمراد ان اهل الجنة يشتهلون بتقديس الله تعالى وتمجيد الساء عليه لا من حيث انهم يلهون اياه فيعشقون به تلذذا واتهاجا وسرورا به بناء على ان كمال حالهم لا يحصل الا منه فان سعادة السعداء ونهاية درجات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء استسعا دهم بمراتب معارف الجلال والارتقاء فيها ابدوا لاسمائهم تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم كما ذكر في اول السورة في قوله تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فاذا دخل اهل الجنة ووجدوا ما وعد لهم من تلك النعم العظيمة وشاهدوا كونه تعالى صادقا فيما وعده بسبب ايمانهم فعند ذلك قالوا سبحانهك اللهم اى نسبحك عن الخلف في الوعد والكذب في القول والمرتبة الثالثة منها قوله تعالى وتحييتهم فيها سلام وهو من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى وتحيية بعضهم لبعض ومن اضافته الى المفعول ان كان المعنى وتحيية الملائكة اياهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وتحيية الله تعالى اياهم كما قال سلام قولاً من رب رحيم والمرتبة الرابعة وآخر دعواهم ان يقولوا الحمد لله رب العالمين قوله آخر دعواهم مبتدأ وان هى الخفيفة من الثقلة واسمها ضمير السان المحذوف والجنة بعدها في محل الرفع على انها خبر لها وان مع اسمها وخبرها في محل الرفع خبر للمبتدأ الاول وقرئ ان الحمد لله بنشيد ان ونصب الحمد وهو يؤيد انها مخففة من الثقلة في قرأة العامة ومعنى الآية ان اهل الجنة يقتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد (قوله وانواع عليه بصفات الاكرام) وهى الصفات الاضافية واعلم ان معرفة ذات الله تعالى والاطلاع على كنه حقيقته مما لا يسيل للخلق اليه بل الغاية القصوى معرفة صفاته السلبية او صفاته الاضافية فهى السمات بصفات الاكرام فلذلك كان الذكر العالى مقصورا عليه كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ولما كان غاية سعادة السعداء معرفته تعالى بصفات الجلال والاكرام ذكر الله تعالى كون اهل الجنة مواظبين على هذا الذكر المقدس الذى كانت الملائكة المقررون مستغلين به قبل ان يخلق آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام الا يرى انهم قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلذلك اللهم السعداء من اولاد آدم عليه الصلاة والسلام حتى اتوا بهذا التسبيح في اول صلاتهم بان قالوا عند تكبير الافتتاح سبحانهك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك واتوا بهذا الذكر بعينه بعد انقراض العالم في دار الكرامة (قوله وضع موضع تعجبه لهم بالخير) يعنى ان المشبه بتعجيل الله تعالى لهم الشر هو تعجيله لهم الخير فعدل عنه الى ما عليه النظم وقد قرر في علم البلاغة ان كل مقام استحق ايراد لفظ او عدل عنه الى لفظ آخر فلا بد ان يكون العدول لفائدة فلذلك ذكر المصنف للعدول فأتى بالاولى الاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم بحيث عجل لهم الخير كما استعجلوه حتى صار استعجالهم الخير عين تعجيل الله لهم الخير ذلك فلذلك عبر عنه باستعجالهم بالخير والفائدة الثانية الاشعار بان المراد من الشر المتعبر في جانب المشبه هو الشر الذى استعجلوه فان اهل مكة كانوا يستعجلون الشر كما يستعجلون الخير حيث يقولون اللهم ان كان محمد صلى الله عليه وسلم حقاً صادقا فيما ادعاه من النبوة فامطر علينا حجارة فكلان اصل الكلام ولو لم يجعل الله للناس الشر تعجيلة للخير حيث استعجلوه استعجالا كما استعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه بمعونة المقام قال الامام الذى يغلب على ظنى ان ابتداء هذه السورة فيه ذكر شبهات المنكرين للنبوة مع الجواب عنها الشبهة الاولى ان القوم تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم

بالنبوة فانزال الله تعالى ذلك التعجب بقوله اكان للناس عجبان اوحيا الى رجل منهم يقيم على عبادي دلائل
 وحدائتي وتفردى بالالوهية والربوبية واتى ساعيدهم بعد الامانة لاجازيهم على اعمالهم واين الحسن والمسيئ
 منهم ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد والشبهة الثانية للمشركين انهم كانوا يقولون اللهم ان كان
 امر محمد حقنا فطر علينا جحارة من السماء او انشا بعد اب اليم فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ولو يجعل
 الله للناس الشر استنجابا لهم بالخير الآية وايضا اخبر الله تعالى في آيات كثيرة ان هؤلاء المشركين متى خوفوا
 بترؤل العذاب في الدنيا استنجبوا ذلك العذاب كقوله تعالى فامطر علينا جحارة من السماء وكما قال تعالى سأله
 سائل عذاب واقع للكافرين وكما قال يستنجبوا بها الذين لا يؤمنون وغير ذلك ثم انهم لما واعدوا بعذاب الآخرة
 في هذه الآية وهو قوله اولئك ما واهم النار بما كانوا يكسبون لعلمهم استنجبوا ذلك العذاب كما قال تعالى
 في هذه السورة بعد هذه الآية ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (قوله عطف على فعل محذوف)
 يعني ان الفاء في قوله فندر يستدعي معطوفا ولا يجوز ان يكون نذر معطوفا على قوله يجعل الله وقوله لقضى
 اذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي يقتضيه كقوله لو تركهم في طغيانهم يعمهون لم يتم بل واقع فهو
 معطوف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية فان قوله تعالى ولو يجعل بتضمن معنى نفى التجمل كانه قيل
 ولا يجعل ولا يقضى فندرهم امهالهم اذ لا صلاح في اماتهم واهلاكهم اذ ربما آمنوا بعد ذلك اور بما خرج من
 صلبهم من كان مؤثرا وذلك يقتضي ان لا يعاجلهم الله تعالى بايصال الشر اليهم المستلزم لاماتهم واهلاكهم بناء
 على ان تركهم في الدنيا لا يحتمل العذاب المتوعد به وسعى العذاب شرافي هذه الآية لانه اذى في حق المعاقب
 ومكره عنده كانه تعالى سماء سيئة في قوله تعالى ويستنجبوا بالسيئة قبل الحسنة قال الامام في وجه الانتظام
 في قوله تعالى واذامس الانسان الضرعانا لجنبه بما قبله انه تعالى بين في الآية الاولى انه لو انزل العذاب على
 العبد في الدنيا لهلاك ولقضى عليه فين في هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره
 من انه لو انزل عليه العذاب لمات والوجه الثاني في وجه الانتظام انه تعالى حكى عنهم انهم يستنجبوا في نزول
 العذاب ثم بين في هذه الآية انهم كاذبون في ذلك الطلب والاستنجال لانه لو نزل بالانسان اذنى حتى يكرهه فانه
 يتضرع الى الله تعالى في ازالته عنه ويدل على انه ليس صادقا في هذا الاستنجال (قوله تعالى لجنبه) في محل
 نصب على انه حال من فاعل دعانا ولذلك عطف عليه الحال الصريحة (قوله اولاصناف المضار) من الضر ما يغلب
 الانسان ويجعله صاحب فراش يضطره الى الاضطجاع ومنه ما يكون اخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على
 القعود ومنه ما يتمكن الانسان معه على القيام (قوله كانه لم يدعنا) اي اعتبر ضمير الشأن لان حق الحروف المتببهة
 الدخول على المبتدأ والخبر سواء عملت او لم تعمل بالغت بالتخفيف فان التخفيف لا يبطل الالعمل وعلى هذا لاجابة الى
 ضمير الشأن في قوله كان ثدياه حقان * فالمثيل به لبس المجرد بطلان العمل بالتخفيف والنحر الصدر والضمير
 في ثدياه يرجع الى النحر وحقان ثنية حقة والا صل حقان خذفت التاء على خلاف القياس وخفف كان فبطل
 عمله حيث روى ثدياه بالالف وروى ثديه بالياء على انها عملت في الظاهر وهو شاذ وقوله تعالى كان لم يدعنا
 في محل النصب على انه حال من فاعل مرادى مضى على طريقته مشبهان لم يدع الى كشف ضربه (قوله مثل ذلك
 التزين) اشارة الى ان الكاف من كذلك في محل نصب على المصدر والمراد بالتزين الاعراض عن الابتهاال سمي
 الكافر مسرفا لانه مسرف في امر دينه متجاوزا لحد في الغفلة عنه فانه لاشبهة في ان المراد كما يكون مسرفا
 في الاتفاق فكذلك يكون مسرفا فيما يتركه من واجب او يقدم عليه من قبيح اذا تجاوز الحد فيه فان من بذل ما انعم
 الله عليه به من الحواس والعقل والفهم لاكتساب السعادة الباقية الابدية فيتحصل لذائذ الدنيا وطيباتها
 الخسيسة كان قد انفق اشياء عظيمة كثيرة لاجل ان يفوز باشياء حقيرة خسيسة توجب ان يكون من المسرفين
 (قوله تعالى وما كانوا يؤمنوا) الظاهر انه معطوف على ظلموا كانه قيل لما ظلموا واصروا على الكفر حقبا بحيث
 لم يبق فائدة في الامهال اهلكناهم فيكون السبب في اهلاكهم مجموع هذين الامرين فان ظلمهم عيارة عن احداثهم
 التكذيب وما يتضرع عليه وهذا عبارة عن اصرارهم عليه بحيث لا فائدة في امهالهم (قوله استخلاف من يختبئ)
 اشارة الى جواب ما يقال قوله تعالى لهذه الامة ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون
 يشعر بانه تعالى ما كان عالما باحوالهم قبل وجودهم وانه يحتاج في العلم بها الى الاختبار والامتحان وهو محال وتقرير

ورقى لقضينا (فندر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه
 الشرطية كانه قيل ولكن لا نجعل ولا نقضى فندرهم
 امهالهم واستدراجا (واذامس الانسان الضرعانا) لزالته مخلصا فيه (لجنبه) ملقيا لجنبه اي
 مضطجعا (اوقاعدا او قائما) وفائدة التردد تعميم
 الدعاء لجميع الاحوال اولاصناف المضار (فلما كنتم
 عنه ضربه) مضى على طريقته واستمر على كفره
 او امر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه (كان لم يدعنا)
 كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر
 مشرق اللون كان ثدياه حقان (الى ضرعه) الى
 كشف ضربه (كذلك) مثل ذلك التزين (زين للمسرفين
 ما كانوا يعمهون) من الانهماك في السهوات
 والاعراض عن العبادات (ولقد اهلكنا القرون
 من قبلكم) يا اهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب
 واستعمال القوى والجوارح لاعلى ما ينبغي (وجاءتهم)
 رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال
 من الوابضار قدأ وعطف على ظلموا (وما كانوا
 ليؤمنوا) وما استقام لهم ان يؤمنوا فساد استعدادهم
 وخذلان الله لهم وعلم بانهم يموتون على كفرهم واللام
 لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم
 بسبب تكذيبهم للرسول واصرارهم عليه بحيث تحقق
 انه لا فائدة في امهالهم (نجرى القوم النجرين) نجرى
 كل مجرم او نجرىكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة
 على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه (ثم جعلناكم
 خلائف في الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد
 القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبئ (لننظر
 كيف تعملون) انعملون خبرا او شرا فاعمالكم على
 مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
 الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله

الجواب ان المراد منه انه تعالى يقابل ويعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسب اقواله ليلوكم ايكم احسن عملا وفي الحديث ان الدنيا خضرة نفثرة وان الله مستخلفكم فيها فأنظر كيف تعملون وعن قتادة رضي الله عنه صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فأروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية المرتبة على استعارة تصريحية تبعية اما كونه من قبيل الاستعارة التمثيلية فظاهر لانه تعالى متره عن حقيقة الاختبار لكونه شبه استحلال فهم على الوجه المذكور بمعاملة من يختبر فاخرج على صورة كلام الخبر واما كونها مرتبة على استعارة تصريحية تبعية فلان النظر في اللغة عبارة عن قلب الحديقة نحو المرقى طلبا لرؤيته فلا شك انه مستحيل في حقه تعالى من وجوه فلا بد ان يجعل النظر في حقه تعالى مجازا عن العلم المحقق الذي لا يتطرق اليه الشك والتسببه بان يشبه هذا العلم بنظر الناظر وادراك عين المرقى على سبيل المعاينة والملاحظة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية فلما استحق منه لفظ لينظر صارت هذه الاستعارة تبعا (قوله وفادته) اي فائدة اراد كيف اذ لا يقال لينظر عليكم اخيرام شر مع انه اخصر منه الدلالة على ان العبرة في الجزاء جهات الافعال فان كيف للسؤال عن الحال فكانه قال لينظر على اي حال تعملون ثم انه تعالى حكى عن المشركين نوعا ثالثا من كتابتهم التي ذكروها والطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وهو قوله تعالى واذا تلى عليهم آياتنا بينات الا يدري ان خسة من الكفار كانوا يستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقتل الله تعالى كل رجل منهم بطريق كما قال انا كفيك المستهزئين فهذه زلت في حقهم وقوله تعالى لا يرجون لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين للحشر والنشر ومشركين للبعث والقيامة (قوله بكتاب نقرؤه) فسر ما اقترحوه بقولهم انت بقرآن غير هذا او بدله على وجه لا يرد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم اذا بدل هذا القرآن بغيره فقد اتى بقرآن غير هذا القرآن وكذا اذا اتى بغيره فقد بدله واذا كان كذلك كل واحد من هذين الامرين عين الآخر وما يدل على ان كل واحد منهما نفس الآخر انه صلى الله عليه وسلم اقتصر في الجواب على استحالة احدهما وهو قوله قل ما يكون لي ان ابده من تلقاء نفسي وكون كل واحد منهما نفس الاخرين في ان يورد بينهما كلمة او الدالة على الترديد والتخيير ولما فسر الفريضة بعدم كون القرآن المقترح على ترتيب هذا القرآن المنزل ولا على نظمه وبكونه خاليا مما استبدوه من امر البعث والجزاء وما استكرهوه من ذم آلهتهم وتحقيرها وفسر التبديل بان يكون هذا القرآن المنزل باقيا على ترتيبه ونظمه لكن يوضع مكان الآيات الدالة على ما استبدوه واستكرهوه آيات اخر موافقة لهواهم وطمعهم (قوله ولعلمهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه) كانه جواب عما يقال كيف يصح من الكفار ان يقرحوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يأتي من قبله تعالى بكتاب موافق لما يشتهونه وهم عقلاء جازمون باستحالة وكذا على سبيل الجذازمون باستحالة ان يكذب نفسه ويأتي بما اقترحوه من قبل نفسه فيلزموه احد الامرين على طريق التخيير مع علمهم باستحالة كل واحد من الامرين طمعاً منهم في ان يسعفهم اي يسهلهم من قبل نفسه فيلزموه بان يقولوا قد تبين لنا انك كاذب في دعوى ان ما تقرأه علينا كلام الهى وكتاب سماوى اوحى اليك بواسطة الملك وانك تنزل من عند نفسك وتفتري على الله كاذبا ويحتمل ان يقولوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء لا على سبيل الجند (قوله وهو مصدر) يعنى ان التلقا مصدر كاللقاء جاء على وزن تفعال ولم يحى مصدر بكسر التاء الا التبيان وقرئ شاذاً بفتح التاء وهو قياس المصادر الدالة على التكرار كالنطواف والتجوال ويستعمل ظرف مكان بمعنى القبالة والتجاه (قوله لو شاء الله غير ذلك) اي لو شاء الله ان لا ينزل القرآن على هذا النظم المتلوم ما قرأته عليكم ولانه اعلمكم الله به على هذا الوجه المعهود يقال دريت الشيء اي علمته وادريته غيري اي علمته من الدراية بمعنى العلم روى عن سيويه انه قال يقال دريته ودريت به ثم قال والاكثر هو الاستعمال بالياء والدليل عليه قوله تعالى ولا ادراكه ولو كان على اللغة الاخرى ولا ادراكه (قوله وقرئ ولا ادراكه) بهمة مفتوحة واسناد الفعل الى ضمير الغائب وهزته اما مقلوبة من الالف والياء ان كان افضل من الدراية واما اصلية ان كان افضل من الدرء يقال درأته اذا دفعه وادرأته اذا جعلته دارثا اي دأته وقرئ ايضا ولا ادراككم به بهمة ساكنة واسناد الفعل الى المتكلم وفيه وجهان ايضا احدهما ان يكون من الدراية ويكون اصله ولا ادريتم قلبت الياء الف على لغة من يقلب الياء الساكنة المفتوح ما قبلها الفا فان اهل تلك اللغة

وفادته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى (واذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى المشركين (انت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معائب آلهتنا (او بدله) بان تجعل مكان الآية المستقلة على ذلك آية اخرى ولعلمهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه (قل ما يكون لي) ما يصح لي (ان ابده من تلقاء نفسي) من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكنى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الايتان بقرآن آخر (ان اتبع الا ما يوحى الى) لتعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للتقص بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال (اني اخاف ان عصيت ربى) اي بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله غير ذلك) ما تلوته عليكم ولا ادراككم به (ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولا ادراككم بلام التأكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا يحصى عنه لولم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولا ادراككم ولا ادراككم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدروننى بالجدال

تقلب بآء التثنية ألفا وتجعلها في جميع الاحوال على لفظ واحد وتقول جاءني الزيدان ورأيت الزيدان وممرت
 بالزيدان وتقول في اعطيته وارصدته اعطاه وارصدته فصاروا لادراككم به وبه قرأ الحسن ومن قلب الالف المبدلة
 من الياء همزة قرأ ولا ادراككم به (قوله تعالى عمرا) مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه اي مدة متداولة وهي
 اربعون سنة فانه صلى الله عليه وسلم لبث قبل الوحي اربعين سنة ثم اوحى اليه فاقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة
 ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي
 الله عنهما في تفسير هذه الآية انا فيكم اربعين سنة لا احديثكم بشي من القرآن ولا آتيكم به افلا تعقلون انه ليس
 من قبلي قال الامام اعلموا ان هذا صلى الله عليه وسلم احد الامرين لاجل انهم اتهموه بأنه هو الذي يأتي بهذا
 الكتاب من عند نفسه لامن جهة الوحي فدفع هذا الامر بانهم شاهدوه من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين
 باحواله وانه ما طالع كتابا ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاء بهذا الكتاب العظيم
 الذي يجز عن معارضة العلماء والفكره وكل من كان له عقل سليم فانه يعترف ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحي
 والالهام من الله تعالى وهذا خلاصة ما ذكره المصنف (قوله مما اضافوه اليه كآية) اي احترازه ان اضافوه الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بقولهم انت بقرآن غير هذا من انه صلى الله عليه وسلم افترى على الله تعالى كذبا بنسبة
 القرآن العظيم اليه تعالى وزعموا انه صلى الله عليه وسلم انما يأتي بهذا القرآن من عند نفسه فانهم لما نسبوا هذا
 القرآن اليه صلى الله عليه وسلم وهو من عند الله افترى على الله تعالى قال فتن اظلم من افترى على الله كذبا الآية
 فالمقصود من قوله فتن اظلم من افترى على الله كذبا اني الكذب عن نفسه وكأنه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عند
 الله تعالى لما كان احد في الدنيا اظلم على نفسه مني حيث افترى على الله تعالى لكن الامر ليس كذلك لما مر من
 الدليل الباهر الدال على انه ليس الا وحي الهى لامن كلام من لبث فيكم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد
 علماء ولم ينشئ قريضا ولا خطبة (قوله او تظلم) عطف على قوله تفاد ويحوز ان لا يكون المقصود منه التبري
 كما اضافوه اليه صلى الله عليه وسلم بل المقصود تظلمهم بنسبة الافتراء والكذب اليهم فكانه قيل اني لا افترى على الله
 تعالى ولم اكذب عليه واتم قد فعلتم ذلك حيث زعمتم ان الله شركاء وولدوا عبدتم الا وثان وكذبتم بيه وما جاء
 به من عند الله تعالى (قوله حال من العائد المحذوف مؤكدة للثني) اي لثني ما زعموا من انه تعالى شريكا
 وان هو لا شفعاء عنده فان المراد من ثني علم الله تعالى به تقرير نفيه في نفسه فيكون التقييد بحال كونه
 في السموات والارض مؤكدا بعدم تحمقه في نفسه والمعنى انبثوث الله بالامر الذي لا يعلم الله كائنا في السموات
 ولا في الارض (قوله عن اشراكهم) على ان يكون كلمة ما مصدرية وقوله او عن الشركاء على ان تكون بمعنى الذي
 (قوله وقرأ حزة الى قوله بالباء) اي تاء الخطاب والباقيون بياء الغيبة واتي بشركون مضارا دون الماضي
 تنبيها على استمرار حالهم وعلى انهم على الشرك في المستقبل كما كا وعليه في الماضي ثم انه تعالى لما بطل القول
 بعبادة الاصنام وتوهم كونهم شفعاء عنده بين السبب بكيفية حدوث هذه المقالة الباطلة فقال وما كان
 الناس الا امة واحدة فاختلغوا في انهم كانوا امة واحدة واختلفوا في اقوال القول الاول انهم كانوا امة
 واحدة في انهم خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا في الايمان واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود
 يولد على الفطرة وانما ابواه يهودونه او ينصرانه او مجسانه والقول الثاني انهم كانوا امة واحدة بان كانوا جميعا
 على السدين الحق ثم اختلف القائلون في هذا القول في انهم متى كانوا كذلك قال ابن عباس رضي الله
 تعالى عنهما ومجاهد كانوا على دين الاسلام في عهد آدم عليه الصلاة والسلام وفي عهد ولده فاختلغوا عند قتل
 احدا بيه الابن الثاني وقال قائل انهم ثبتوا على دين الاسلام الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام ثم اختلفوا على
 عهد نوح عليه الصلاة والسلام فبعث الله تعالى اليهم نوحا عليه الصلاة والسلام وقال آخرون كانوا على دين
 الاسلام من عهد ابراهيم الى ان غير الدين ثم ردوا فاختلغوا على هذا القول يكون المراد من الناس في قوله تعالى
 وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة ويكون انتظام هذه الآية بما قبلها انه تعالى بين فيها افساد القوم بعبادة
 الاصنام وبين في هذه الآية ان هذا المذهب ليس مذهبا للعرب من اول الامر بل كانوا على دين الاسلام وهو دين
 ابراهيم عليه الصلاة والسلام وليس فيه عبادة الاصنام وانما حدث فيهم هذا المذهب بتسويل الشيطان واتباعه
 من الانام والغرض منه ان العرب اذا علموا ان هذا المذهب ما كان اصلا فيهم وانه حدث فيهم بعد ان لم يكن

والمعنى ان الامر عشيمة الله تعالى لا يمتد حتى جعله
 على نحو ما استهون ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبث فيكم
 عمرا) مقدار عرار بعين سنة (من قبله) من قبل القرآن
 لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق
 للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة
 لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا
 ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحت فصاحت
 كل منطق وعلا عن كل مشور ومنظوم واحتوى على
 قواعد على الاصول والفروع واعرب عن اصاص
 الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه
 معلم من الله تعالى (افلا تعقلون) اي افلا تستعملون
 عقولكم بالتدبر والتفكير لتعلموا انه ليس الامن الله
 (فن اظلم من افترى على الله كذبا) تفاد مما اضافوه
 اليه كناية او تظلم للشركين بافترائهم على الله تعالى
 في قولهم انه لذو شريك وذو واد (او كذب بالباء)
 فكفر بها (انه لا يبلغ الجرمون ويعبدون من دون الله
 ما لا يضرهم ولا ينفعهم) لانه جاد لا يقدر على نفع
 ولا ضرر والمعبود بذني ان يكون مثيا ومعاقبا حتى
 تعود عبادته بيجلب نفع او دفع ضرر) ويقولون
 هؤلاء الاوثان (شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما
 يهتنا من امور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بعض ركانهم
 كانوا اشاكين فيه وهذا من فرط جهلهم حيث تركوا
 عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعاه
 لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده
 (قل اتبثون الله) اتبثون به (بما لا يعلم) وهو ان له
 شريكا وفيه تفرع وتهمك بهم او هؤلاء شفعاءنا
 عنده وما لا يعلم العلم بجميع المعلومات لا يكون له
 تحقيق ما (في السموات ولا في الارض) حال من العائد
 المحذوف مؤكدة للثني منبهة على ان ما تعبدون من
 دون الله اما سماوى واما ارضى ولا شئ من الموجودات
 فيها الا وهو حادث مظهر وعملهم لا يخلق ان يشركه
 (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم وعن
 الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حزة والكسائي
 هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالباء (وما كان
 الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة ومتفقين
 على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل
 قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة
 من الرسل

لم تعصبوا نصرته ولم يتأذوا من تزييف هذا الذهب وابطاله والقول الثالث انهم كانوا امة واحدة في الكفر فغائده
 ايراد هذا الكلام في هذا المقام هو انه تعالى بين للرسول صلى الله عليه وسلم انه لا تطمع في ان كل من تدعوه الى
 الايمان والاسلام يكون مجيالك قائلاً ليك فان الناس كلهم كانوا على الكفر وانما حدث الاسلام في بعضهم بعد
 ذلك فكيف تطمع في اتفاق الكل على الايمان (قوله فاختلفوا بانباع الهوى والباطيل) مبنى على ان المراد
 من كونهم امة واحدة كونهم مخلوقين على فطرة الاسلام ومتفقين على ما هو الحق من الاديان فان من اتبع هواه
 فقد خالف من لم يضع فطرته واتبع سبيل الرشاد وكذا من اتبع الباطيل من الاديان فقد خالف من اتبع الدين
 الحق وقوله او بعثه الرسل مبنى على ان يكون المراد به اتفاقهم على الضلال في فترة الرسل ولما وقع الاختلاف بين
 الناس وناسب تعجيل الحكم بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك الباطلين وتخصيص المحققين او تعذيب المصيرين على
 الضلال واثابة المهتدين اجاب الله تعالى عنه بقوله ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم والجزاء الى يوم القيامة
 لتبين دار التكليف من دار الجزاء لقضى بينهم عاجلاً وقوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه نوع رابع من
 مقالا فيهم المتفرعة على انكار النبوة كان اهل مكة يفترون شيا سوي القراء ان يكون معجزة له صلى الله عليه
 وسلم مثل اليد والعصا وقولهم لن تؤمن لك حتى تقبر لنا من الارض بذو الآيات بناء على ما زعمه بعضهم من ان
 القراء ان يمكن معارضته كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (قوله بحجودكم ما نزل عليه
 من الآيات العظام) التي اعظمها واجلها القراء ان العظيم وان ظهور مثل هذا الكتاب الشريف من مثل ذلك
 البشر الذي نشأ فيما بينهم ولبت فيهم اربعين سنة لم يطالع كتابا ولم يتلذذ الى استاذ ولم يتعلم حرفا ولم يصاحب عالماً
 لا يكون الابالوسي (قوله تعالى واذا اذقنا الناس رجعة الآية) جواب ثان عن قول اهل مكة لولا انزل عليه
 آية من ربه وتقريره ان مشركي مكة عادتهم المكر واللجاج والفساد وعدم الانصاف لانه تعالى سلط عليهم القحط
 سبع سنين ثم رحيمهم وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانواء والكواكب اولى
 الاصنام واذا كان كذلك فيتقديران به طوا ما سألوا من انزال معجزات اخرى فانهم لا يؤمنون بل يقولون على
 كفرهم وجهلهم وانما ينفع انزال الآيات عليهم ان لو كان غرضهم من اقتراحها تحقيق الحق وطلب اليقين وليس
 كذلك وليس غرضهم الا التفت واللجاج فلو ظهر لهم جميع ما طلبوه من المعجزات القاهرة فانهم لا يقبلونها والحيا
 المطر العام ويكنى به عن الخصب والانواء جمع نوء وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة في منزل منها
 ويسقط في المغرب نجم واحد ويطلع رقيب في ساعة من المشرق في مقابلة ذلك الساقط وهذا في غير الجهة فان لها
 اربعة عشر يوماً فيقضى الجميع مع انقضاء السنة اى مع انقضاء ثلثمائة وخمسة وستين يوماً يقال ناء بنوء نوا اى
 نهض بجهد ومشقة وناء اى سقط وهو من الاضداد يقال ناء بالجل اذا نهض به مستقلاً وانما سمي النجم نوا لانه
 اذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالشرق بنوء اى نهض وقيل انما سمي نوا لسقوطه وغرو به قال
 ابو عبيد ولم يسمع في النوء انه السقوط الا في هذا الموضع وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والبرد الى الساقط
 منها وقال الاصمعي الى الطالع فيقول في سلطانه مطرنا بنوء كذا فلما انجاهم الله تعالى من القحط وامطرهم نسبوا
 الامر واصافوا ذلك الى الانواء لا الى الله للابشكر والله ولا يؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم في آيات الله
 تعالى (قوله قد در عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم) يعنى ان ما بايتهم من العذاب اسرع في اهلاكهم مما اتوا من
 المكر في ابطال القرآن والنبوة روى عن مقاتل انه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم
 فكان اسرع في اهلاكهم من كيدهم في اهلاكهم صلى الله عليه وسلم وابطال آياته (قوله وانما دال على
 سرعتهم الفضل عليها) جواب عما يقال كيف وصف الله تعالى نفسه بكونه اسرع مكرامه انه لم يصفهم بسرعة المكر
 ولا يعقل تفضيل بدون الفضل عليه وتقرير الجواب ان كلمة المفاجأة تدل على سرعة مكرهم كانه قيل واذا رجعناهم
 من بعد ضراء فاجاً وقوع المكر منهم وسارعوا قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضر (قوله وهو من الله
 اما الاستدراج والجزاء على المكر) فهو على الاول استعارة وعلى الثاني مشاكلة (قوله وعن يعقوب يكرهون
 بالبلاء) اى يباء الغيبة والباقون بناء الخطاب نظراً الى قوله قل الله اذا التقدير قل لهم فناسب الخطاب لذلك ولما
 اوعدهم الله تعالى بقوله قل الله اسرع مكر اوعدهم بعقاب الآخرة حيث قال ان رسلنا الآية (قوله وقرأ ابن
 عامر ينشركم بفتح الياء وسكون النون من النشرو هو ان فريق والبسط الذى هو ضد الطى وقرأ الباقون يسيركم من

(فاختلفوا) بانباع الهوى والباطيل او بعثه الرسل
 فتعصب طائفة واسرت اخرى (ولولا كلمة سبقت من
 ربك) بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى
 يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء (لقضى بينهم)
 عاجلاً (فيما فيه يختلفون) باهلاك الباطل وبقاء الحق
 (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) اى من الآيات
 التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه
 فله علم في انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف
 عن انزالها (فانظروا) لنزول ما اقترحتوه (اى معكم
 من المتظنين) لما يفعل الله بكم بحجودكم ما نزل عليه
 من الآيات العظام واحتراحكم غيره (واذا اذقنا
 الناس رجعة) صحة وسعة (من بعد ضراء مستهم)
 كقحط وممرض (اذا لهم مكر في آياتنا) بالاطعن فيها
 والاحتيا في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين
 حتى كادوا يهلكون ثم رحيمهم الله بالحيا فطفقوا
 يتسبحون في آيات الله ويكيدون رسوله (قل الله
 اسرع مكر) منكم قد در عقابكم قبل ان تدبروا
 كيدكم وانما دال على سرعتهم الفضل عليها كلمة
 المفاجأة الواقعة جواباً لاذ الشرطية والمكر اخفاء
 الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء
 على المكر (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) تحقيق
 للانتقام وتنبه على ان ما دروا في اخفائه لم يخف
 على الحفظة فضلاً ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب
 يكرهون بالبلاء ليوافق ما قبله (هو الذى يسيركم) بحجركم
 على السيرة ويحكمكم منه (في البر والبحر حتى اذا كنتم
 في الفلك) في السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل
 عن الخطاب الى الغيبة للبلاغة كانه يذكره لغيرهم
 ليتعجب من حالهم وينكر عليهم (بريح طيبة) لينة
 الهبوب (وفرحوا بها) بتلك الريح (جاءتها) جواب
 لاذ والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقىها (ريح
 عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم
 الموج من كل مكان) يجيئ الموج منه (وظنوا انهم
 احيط بهم) اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص
 كن احاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين)
 من غير اشرارك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من
 شدة الخوف وهو يدل من ظنوا بديل اشتغال

التسير والتصغير للتعبية يقال سار الرجل وسيره انا فان قيل كيف جعل قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ريح طيبة غايته ليقوله يسيركم في البحر وغاية الشيء تكون بعده والحال ان السير في البحر يكون بعد الكون في الفلك قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله يحملك على السير ويمكنكم منه واجاب عنه صاحب الكشف بان الغاية ليس محرد الكون في الفلك بل الغاية هي الكون في الفلك مع ما عطف عليه من قوله وجرين بهم ريح طيبة وفرحوا بها فان هذا المجموع بعد السير في البحر وجرين يجوز ان يكون معطوفا على كنتم وان يكون حالا بتقدير ضمير جرين للفلك كانه جمع مكسر وان تغيره تقديرى بناء على ان ضمته كضمه اسد وبدن وضمة مفردة كضمه قفل وقرب والالتفات في بهم للمبالغة والتبجيل * الجوهرى عصف الرياح اى اشتدت فهي ريح عاصف وقوله يجيىء الموج منه صفة مخصصة لكل مكان (قوله وهو يدل من ظنوا) لان دعاءهم ملابس انظهم الهلاك ملابسة المزوم ويجوز ان يكون كلاما مستأثرا على انه جواب لمن قال ماذا كان عليهم وحالهم اذ ذاك فقيل دعوا الله واللام للقسمة في قوله لن اى والله ان انجييتنا من هذه الريح العاصفة او من هذه الامواج الثلاثة والتدائد الهائلة لتكونن من الساكنين على نعمة الانجاء باتباع اوامرنا والاجتناب عن مساخطك ولا تكفر نعمتك بعبادة غيرك فان اخلاص الدين والطاعة له تعالى عبارة عن ترك الشرك وان لا يشركوا به شيئا من آلهتهم قيل هذا الاخلاص ليس سببا عن الايمان بل هو لاجل ان لا ينجيهم من تلك الهوال الا الله عز وجل فيكون ذلك جارا بما جرى الايمان الا سطرارى فانهم يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يتضرعوا الا الى الله على سبيل الاضطرار وقيل المراد بذلك الدعاء بقولهم احياسر احيافان تفسيره ياحى يا قيوم (قوله فاجأوا الفساد فيها) يعنى ان البغي وان كان يطلق بمعنى الطلب فيقال بغاه اى طلبه لكن المراد به هنا الفساد والتكذيب والجرأة على الله تعالى قيل معسى البغي قصد الاستعلاء بالظلم وقال الزجاج البغي الترقى في الفساد الجوهرى البغي التعدى بغير الرجل على الرجل استطل وبعث السماء استهل مطرها وبغى الوالى وكل مجاوزة وافرط على المقدار الذى هو حد الشيء فهو بغي فان قيل فامعنى قوله تعالى بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلنا البغي بمعنى الفساد والافساد وابطال المنفعة قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمون على ارض الكفرة وهدم دروهم واحراق زروعهم وقم استجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم بين قريظة والبغي الذى لا يكون بحق هو البغي بمعنى الظلم (قوله مبطلين) اشارة الى ان قوله بغير الحق حال بمعنى ملتبسين بغير الحق ثم انه تعالى بين ان هذا البغي امر باطل يجب على العاقل ان لا يحوم حوله فقال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم (قوله فان وبالله عليكم) اى على ان يكون على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم خبر بغيكم بتقدير المضاف في المستد اليه والانفس بمعنى الذوات وقوله او انه على امثالكم على ان يكون على انفسكم متعلق بقوله بغيكم وان يكون انفسكم بمعنى امثالكم وبعض منكم كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلووا انفسكم والمعنى انما بغي بعضكم على بعض وماتة الوان به امر تتمتعون به في الحياة الدنيا فهو متاع في الدنيا فعلى هذا يكون متاع الحياة الدنيا خبر بغيكم وعلى الاول يكون خبر مبتدأ محذوف وان نصب متاع الحياة باحد الوجوه المذكورة يكون خبر هو على انفسكم (قوله حالها العجيبة) سميت الحال العجيبة ملائمتها بالمثل السائر في الغرابة كما قال تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب هذا المثل لمن اغتر بالحياة الدنيا واعرض عن اتأهب للاخرة قوله تعالى ما يأكل الناس حال من النبات اى كاشما يأكل وحتى كلمة غاية فلا بد لها من شيء معناه من شأنه ان يستمر ويبنى الى امر وهو الاخلاط ها هنا كانه قيل اختلط نبات الارض الى ان ياتيها امر ناحين ما اخذت زخرفها وزينت واخذت الارض زخرفها استعارة بالكتابة شبهت الارض بالعرس واثبت لها ما يلائم العروس وهو اخذ الزينة وهى قرينة الاستعارة بالكتابة وازينت رسيحها (قوله وقرىء بالياء على الاصل) لان الفعل مستند الى المضاف المقدر يقال غنى بالمكان اذا قام به قال الليث يقال للشيء اذا فنى كأن لم يبق بالامس اى كأن لم يكن وهو من باب علم وهذه الجملة يجوز ان تكون في محل النصب على انها حال من مفعول جعلناها وان يكون مستأثرا لا محل لها من الاعراب جواب لسؤال مقدر (قوله لانه من التسمية المركب) حيث شبهت الهيئة المترعة من اجتماع الحياة ونهايتها وسرعة انقضاءها بالهيئة المترعة من اجتماع خضرة الارض ونضارتها وانعدامها عقيبها دفعة بافنة سماوية ومسيمة الهية كما في قول الشاعر كان مشار التلع فوق رؤسنا * واسيا فانا ليل تهاوت كواكبها

لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لن انجييتنا من هذه لتكونن من الساكنين) على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما انجياهم) اجابة لدعائهم (اذا هم يبنون في الارض) فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقم اشجارهم فانها فساد بحق (يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم) فان وبالله عليكم او انه على امثالكم واثبات جسدكم (متاع الحياة الدنيا) متعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعته على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفض على انه مصدر مؤكداى تتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره (ثم الياسر جمعكم) في القيامة (فتنبئكم بما كنتم تعملون) بالجر آء عليه (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة في سرعة قضائها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كما انزلناه من السماء فاخلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها (وازينت) اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاعملت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كايضت (وظن اهلها انهم قادرون عليها) فيمكنون من حصدها ورفع غلتها (اتاها امرنا) فجعلنا زرعها ما يحتاج احد (ليلا او نهرا فاجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبهها بما حصد من اصله (كان لم تغن) اى كأن لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبله

حيث شبه الاضواء الحاصلة من هوى اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة الاضواء متفرقة في جوانب شئ مظلم بليل سقطت كواكب والكاف في كذلك صفة مصدر محذوف اي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصل في المستقبل ووجه ارتباط هذه الآيات انه تعالى لما قال واذا اذقنا الناس رجعة من بعد ضراء مستهم اذالهم مكر في آياتنا وكان هذا كلاما كلياً ضرب له مثالا لان المعنى الكلي لا يصل الى الافهام الا بالامثلة فذكر ان الانسان اذ اركب في السفينة ووجد ربح الطيبة حصلت له المسرة القوية ثم لو ظهرت علامات الهلاك من الرياح العاصفة والامواج المتراكمة فظن الهلاك وقع في خوف شديد وبلاء عظيم فان هذه الاحوال توجب شدة الخوف والبلاء اذا كان على سبيل الابتداء فكيف اذا كان بعد الترح العظيم ولا شك انه في هذه الاحوال لا يطعم الا في فضل الله تعالى متضرعا اليه ويقطع الطمع عن جميع الخلق ثم اذا انجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة يرجع الى ما ألفه واعتاد من العقائد الفاسدة والا خلاق الذميمة فهذا مكر الانسان بعد انتقال الانسان من الضراء الى الرحة ولما انشا في الكلام الى ذكر انهم يسارعون الى ما كانوا عليه من البغي في الارض بين ان بغيمهم على انفسهم متاع الحياة الدنيا ثم مثل الخالة العجيبة لتلك الحياة من نهايتها وسرعة انقضاءها بالحاصلة من اخضرار الارض بانواع النبات ثم انعامها بالكلية بأفقه سماوية (قوله دار السلامة من اتقضي) اي الانقضاء بيان لوجه تسمية الجنة بدار السلام لما فر الله تعالى عباده بالثال المذكور عن الحياة الدنيا والركون اليها رغبتهم في الآخرة بهذه الآية روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم تطلع فيه الشمس الا ويحببها لمكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام (قوله وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية) يعني انه تعالى عمم الدعوة لجميع الخلق وتخصص الهداية بالمشيئة فالكمل ما مور ولا يريد من الكل الا الاهتداء لان ظاهر يهدي من يشاء انه يهدي من يشاء هداه ورشده فلو شاء الله تعالى اهتداء لكل كان هاديا لكل وليس كذلك ويلزم من ذلك على المعتزلة امر ان احدهما ان الامر غير الارادة والالكان ارادة متعلقة بالكل وإس الامر كذلك والثاني ان من استمر على الضلالة لا يريد اهتداه ولا نه لواراد اهتداه كل واحد من المهتدين ومن استمر على الضلالة لم يبق لتخصيص الهداية بالمشيئة وجه ثم انه تعالى لما دعا عباده الى دار السلام ذكر السعادات التي تحصل لهم فيها فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد باحسان المحسنين ذكر لاله الا الله وقال الاصم الذين احسنوا في كل ما كفوا بان يأثوا بالأمورات كما ينبغي ويحتمل بوا عن النهايات من الوجه الذي صارت منها عنهما من ذلك الوجه وهذا اقرب الى الصواب لان الدرجات العالية لا تحصل الا لاهل الطاعات والحسنى في اللغة تأنيث الاحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها وقال اهل التفسير المراد منها الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للذين قالوا لا اله الا الله الجنة وزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناديا اهل الجنة ان لكم عند الله موعد اريد ان يجزىكموه فيقولون ما هذا الميثاق موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزيها من النار فيكشف لهم الحجاب فيظنون الى الله تعالى فاشئ مما اعطوه احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد نظرهم اليه ويؤكد قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فابتدأ لاهل الجنة امرين احدهما ناضرة الوجوه والثاني النظر الى الله تعالى وروى عن علي رضى الله تعالى عنه ان الزيادة غرفة من أولوة واحدة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنى هي الجنة والزيادة هي عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرهم (قوله والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار) ويرهقهم حالتان الاولى ما اخبر الله عنه بقوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قتره والثاني ما اخبر الله عنه بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة والغرض من نفي هاتين الصفتين نفي اسباب الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم ان الذي ذكره الله تعالى خالص لا يشوبه شئ من المكروهات وانه لا يطرأ عليهم غير ما تحصل به صباخة الوجوه ويزيد ما فيها من النضارة والحسن (قوله اولاً يرهقهم ما يوجب ذلك) على ان يكون الكلام كناية لان عدم غشيانها لازم لعدم غشيان ما يوجبها فذكر اللازم لينقل الى المزوم (قوله مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو) اي على مذهب من يجوز العطف على

وهو مثل في الوقت القريب والمثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه خطا ما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح للماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المتفكرون به (والله يدعو الى دار السلام) دار السلام من التقضي والآفة اودار الله وتخصيص هذا الاسم للتبشير على ذلك اودار يعلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) وهو طريقها وذلك الاسلام والتدريج لباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده (الذين احسنوا الحسنى) المشوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبع مائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لا يفشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال (اولئك اصحاب الجنة) هم فيها خالدون) دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) عطف على قوله الذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد

معمول عاملين مختلفين بشرط ان يتقدم الجار ولا يجوز ان يتقدم كما في قولك ان زيدا في الدار وعمرا في القصر
 بمعنى وان عمرا في القصر وفي المسئلة ثلاثة مذهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفراء والثاني المنع مطلقا
 وهو مذهب سيويه والثالث التفصيل الذي ذكرناه وتقدير الكلام للذين احسنوا الحسنى والذين كسبوا السيئات
 جزاء سيئة يمثلها لا يزداد عليها ثابت للذين كسبوا السيئات (قوله وفيه تنبيه) اى وفي تنبيه جزاء السيئة بكونه
 مماثلا لاجل السيئة غير زائد عليها تنبيهه على ان المراد من قوله وزيادة على الثوبة تفضلا او ما يزيد عليها من
 الاضعاف ووجه التنبيه ان المقصود من الآية الدلالة على الفرق بين الحسنات والسيئات بان الحسنات تجازى
 بالثوبة الحسنى والزيادة عليها وان السيئات تجازى بالعقوبة المماثلة لها بدون ان يزداد عليها تنبيهه وفيه منه بقرينة
 المقابلة ان الزيادة على الثواب تكون من جنس المزيد عليه يزداد عليه تفضلا مع قطع النظر عن كونه ضعف المزيد
 عليه او اضعافه او يزداد عليه عقوبة بكونه عتسرا مثال الحسنات وذكر المفسر في هذا الوجه ثم قال وفي هذا دليل على
 ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ولا نه دل باثبات الزيادة على الثوبة على فضله
 (قوله او كما اغشيت) عطف على جزاء في قوله والخبر جزاء اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى والذين كسبوا
 مبتدأ ويكون الخبر الجملة التنيهية من قوله كانوا اغشيت وكان حرف تشبيه زيدت عليه كلمة ما تكفه عن العمل
 ونهيه للدخول على الفعل وعلى هذا الوجه فصل بين المبتدأ وخبره ثلاث جمل اعتراض وقوله او او لك عطف
 عليه ايضا وعلى هذا الوجه قد فصل باربعة جمل معترضة اولها قوله تعالى جزاء سيئة يمثلها والثانية وترهقهم ذلة
 والثالثة ما لهم من الله من عاصم والرابعة كانوا اغشيت وجوههم وينبغى ان لا يجوز الفصل بثلاث جمل فضلا عن
 اربع (قوله وقرى بالياء) من تحت لان تأنيث الذلة غير حقيق والظاهر ان قوله تعالى وترهقهم ذلة معطوف
 على كسبوا جى ، على لفظ المستقبل لكون المقصود تعيينهم بوصفين الاول ان كسبوا السيئات في الماضي والثاني
 سيرهقهم الذلة يوم القيامة (قوله لانه العامل في قطعا) فان قطعا منصوب باغشيت مفعول تاتى له وقد اقيم
 مفعوله الاول مقام الفاعل ومن الليل فان كان من الليل صفة لقطعا المعمول لاغشيت كان من الليل معمولا
 لاغشيت ايضا بحكم ان العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ايضا وحيث كان مظلما حالا من الليل يكون معمولا
 لاغشيت ايضا لان العامل في الحال هو العامل في صاحبها ويجوز ان يكون العامل في مظلما على تقدير كونه حالا
 من الليل معنى الفعل في من الليل اى قطعا كائنه من الليل في حال كونه مظلما (قوله وعلى هذا) اى على ان يقرأ
 قطعا بسكون الطاء يصح ان يكون مظلما صفة له او حاله ولا يجوز شي منهما على قراءة من قرأ قطعا بفتح الطاء
 لان قطعا جمع قطعة مثل دمنة ودمن وكسرة وكسر فكان يجب حينئذ ان يقال مظلمة لان الموصوف او ذا الحال
 لما كان جعلا وجب تأنيث الصفة والحال لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف وكذا بين الحال وصاحبها بخلاف
 ما اذا قرئ قطعا بسكون الطاء حيث انه يكون اسم جنس ويجوز تذكير صفة نحو نخل منقر وتأنيتها نحو نخل
 خاوية وكذا يجوز التذكير والتأنيث فيما انتصب منه على الحالية ويوم في قوله تعالى ويوم نحشرهم منصوب بفعل
 مقدر اى خوفهم اذ كرمهم يوم والفرقان هم الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات وجعيا حال ومكانكم
 اسم فعل اى اثبتوا مكانكم وحذف فاعله وانتقل اليه الضمير الذى استدل به عامله ولذلك أكد بقوله اثم وعطف
 عليه شركاؤكم وقوله تعالى فزينا بينهم وزنه فعلا والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدي لان ثلاثه متعد بنفسه تقول
 زلت الشيء ازيله زلا اى مبرته وفرقه ويقال زل ضائكا من معرك وزلته منه وزلته فزلا اى فرقته ففرق
 وقيل وزنه فبعلا من زال يزول اصله زيولنا اجتمع الواو الياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء
 والاول اظهر لان فعل اكثر من فعل ولان مصدر التزييل لو كان وزنه فيعل لكان مصدره فيعله كبطرة لان
 فيعل ملحق بفعل وهذا التزييل وان كان مما سيكون يوم القيامة الا انه لتحقيق وقوعه صار كاللكن الآن فلذلك
 جاء بلفظ الماضي بعد قوله ويوم نحشرهم ثم نقول وكل منهما مستقبل كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة واصناف
 الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم فصيروهم كأنفسهم في تلك وقيل لان الاضافة يكتفى فيها
 ادنى تعلق فلما كان هم الذين اثبتوا هذه الشركة حسنت اضافة الشركاء اليهم (قوله مجاز عن برآء ما عبدوه من
 عبادتهم) جواب عما يقال كيف يتأتى للشركاء ان يقولوا اما كنتم ايانا تعبدون مع ان المشركين كانوا قد سجدوا لهم
 فيكون هذا الكلام من الشركاء على ارادة حقيقته وليس كذلك بل هو مجاز عن برآء الشركاء

والخبرة عمرو والذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على
 تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة يمثلها
 اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزداد عليها وفيه
 تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كما
 اغشيت او او لك اصحاب النار وما بينهما اعتراض
 فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة يمثلها
 واقع او يمثلها على زيادة الباء وتقدير مقدرتها
 (وترهقهم ذلة) قرى بالياء (ما لهم من الله من عاصم)
 ما من احد يصمهم من سخط الله ومن جهة الله ومن
 عنده كما يكون المؤمنين (كانوا اغشيت وجوههم قطعا
 من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلم حال
 من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا
 وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
 عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن
 كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا
 يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه (اولئك
 اصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتاج به الوعيدية
 والجواب ان الآية في الكفار لا شماتت السيئات على
 الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب
 الكفرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسمه (ويوم
 نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين
 اشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل
 بكم (اثم) تأكيد للضمير المنقل اليه من عامله
 (وشركاؤكم) عطف عليه وقرى بالنصب على
 المفعول معه (فزينا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا
 الوصل التي كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
 تعبدون) مجاز عن برآء ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما
 عبدوا في الحقيقة اهلها هم لانها الامرة بالاشراك
 لا ما اشركوا به

عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة بامر الشركاء و ارادتهم وانما الامر بها هو آؤهم والشياطين
فالمشركون في الحقيقة انما عبدوا الشياطين واهواءهم ويدل عليه امر ان الاول انهم استشهدوا بالله تعالى في ذلك
حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم والثاني انهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين فابنتوا لهم عبادة الانهم
زعموا انهم كانوا غافلين عن تلك العبادة وقد صدقوا في ذلك لان من اعظم اسباب الغفلة كونها اجادات لا حس
لها ولا شعور البتة (قوله وقيل الخ) يعني انهم اختلفوا في المراد بهؤلاء الشركاء المستبرئين من عبادة
المشركين فقال بعضهم هم الملائكة والمسيح استشهدا بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون وبقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أنت قلت للناس اتخذوني واهي الهين من دون
الله قال سبحانه الى قوله ما قلت لهم الا ما امرت به ان اعبدوا الله وقال آخرون هم الشيطان حيث تبرأ من عبده
بقوله ليس لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل بل هم الاصنام والاصنام تقول هذا الكلام
بان يخلق الله فيها الحياة والعقل والنطق ولا جرم ان تذكر هذا الكلام فان قيل اذا احب الله تعالى الاصنام
فهل يقيهم او يميتهم قلنا الكل محتمل ولا اعتراض عليه تعالى في شيء من افعاله واحوال القيامة لا يعلم منها
الا القليل الذي اخبر الله تعالى عنه في القرآن وقيل قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون يجري على حقيقته
بناء على ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يكون جاريا مجرى كذب الصبيان والمجانين
الدهوشين ولا نهم ما قاموا افعال الكفار وزنا وجعلوها بطلانها كالعدم فلهذا قالوا ما عبدونا ولا ان المشركين
لما تخيلوا فيما عبده او صافا كثيرة غير موجودة في الشركاء كانوا في الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة بتلك
الصفات ولما كانت ذوات الشركاء خالية عن تلك الصفات صدق ان يقال ان المشركين ما عبدوا الشركاء وانما
عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها في الاعيان (قوله في ذلك المقام) يعني ان هناك باق على اصله الذي
هو كونه ظرف مكان لان في ذلك الموقف الدهش وقيل هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة كما في قوله
تعالى هنالك ابتلى المؤمنون اي في ذلك الوقت (قوله فعناين نفعه وضره) اشارة الى ان المراد باختبار
النفس ما قدمت من خيرا وشر حدوث العلم لها بكون ما قدمت من الاعمال خيرا او شرا بما عاينت نتائجها وآثارها
فان الاختبار سبب لحدوث العلم فالخلق اسم السبب على المسبب مجازا ومن قرأ تلو بتاتين منقوطين من فوق
يعمله من التلاوة او من التلو والمعنى على الاول ان كل نفس تقرأ ذكر ما علمته مسطورا في صحف الحفظة
وعلى الثاني تتبع كل نفس ما سلفت لان ما علمته هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرأ عاصم
نيلوكل بنون عظيمة التكلم المعظم نفسه ونصب كل على انه مفعول به وقوله ما سلفت على هذه القراءة يحتمل
ان يكون في محل انصب على اسقاط الخافض فيكون نبلو من البلاء اي العذاب بمعنى نغذبها بسبب ما سلفت
ويحتمل ان يكون منصوبا على انه بدل اشتمال من كل نفس لان تعرف حال عملها من كونه حسنا او قبيحا سبب
لتعرف انها سعيدة او شقية فكان بينهما ملازمة السببية فالمعنى ان الله تعالى يقول في ذلك الوقت تختبر كل نفس
بسبب اختبار ما سلفت من العمل على معنى انا نعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان
قبيحا فهي شقية وحقيقة الاختبار لا تتصور منه تعالى فالكلام من قيل الاستعارة كما اشار اليه بقوله نفعه وضره فعل
الختبر لخالها الخ (قوله الى اجزائه) اولى موقف جزائه لا بدنا من تقدم المضاف لان الرجوع الى ذاته تعالى
مما لا يتصور اي ورد العابدون والمعبودون الى جزاء الله تعالى وحكمه الذي هو مولا هم في الحقيقة لا مولى
لهم غيره يجازى كل واحد منهم على حسب ما هو وقرئ الحق منصوبا اما على القطع فان اصله الجر على انه تابع
فقطع باعتبار امدح او اعنى كقولهم الحمد لله اهل الحمد واما على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة وهو ردوا
الى الله كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل اي احق الحق (قوله من ان آلهتهم تستفع لهم) او من نفس
شركائهم الذين كانوا يدعون في حقهم انهم آلهتهم انه تعالى لما بين فضائهم عبدة الاوثان اتبعها يذكر ما يدل على فساد
مذهبهم فذكر امورا لا يقدر على ادعاء ان شركاءهم تقدر عليها وهو احوال الرزق واحوال الخواص واحوال
الموت والحياة (قوله باسباب سماوية) كالا مطار واختلاف الفصول المتفرع عليها وعلى حركة الكواكب
والافلاك ولا شك انه تعالى يرزق عباده من المواد الارضية ايضا لان الغذاء لا بد ان يكون نباتيا او حيوانيا والنبات
لا ينبت الا من الارض والحيوان محتاج الى الغذاء ولا يمكن ان يكون غذاء كل حيوان حيوانا والا لزم الذهاب

وقيل ينطق الله الاصنام فتستافهم بذلك مكان -
الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء
الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم) فانه العالم بكنهه الحال (ان كنا عن عبادتكم
لغافلين) ان هي المحفظة من المشقة واللام هي الفارقة
(هنالك) في ذلك المقام (نيلوكل نفس ما سلفت)
تختبر ما قدمت من عمل فعناين نفعه وضره وقرأ حزنه
والكسائي تلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت
او من التلو اي تتبع عمله فيقودها الى الجنة والى النار
وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال مامنه والمعنى
تختبرها اي تفعل بها فعمل المختبر لخالها المتعرف
اسعادتها وسقاوتها بتعرف ما سلفت من اعمالها
ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي بالعذاب كل نفس
عاصية بسبب ما سلفت من التسرف تكون ما منصوبة
ببزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزائه ايهم
بما سلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى امرهم على
الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على
المدح والمصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم
(ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم تستفع لهم او ما كانوا
يدعون انهم آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض)
اي منهم ما جيعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية
ومواد ارضية او من كل واحد منهما ما توسعة عليكم

ال ما لانهاية له وذلك محال فثبت ان اغتذاء الحيوانات يجب انتهائه ومن المعلوم ان تولد النبات من الارض فلزم القطع بانه لا تحصل الارزاق الا من السماء والارض ومن المعلوم ان مدبر السموات والارض ليس الا الله وكذا احوال الحواس لا يقدر عليها الا الله تعالى وكان على رضى الله عنه يقول سبحان من ابصر بشيخه واسمع بعظمه وانطق بلحمه (قوله وقيل من لبيان من) اى وقيل ان كلمة من في قوله من السماء است لابتداء الغاية بل هي لتبيين جنس من يرزق وام في قوله تعالى ام من ملك منقطع لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية ولكن تقدر بل وحدها دون الهمزة بعدها وقد تقرر ان المنقطة عند الجمهور تقدر بل وحدها وانما لم تقدر هنا بل والهمزة لانه وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فهو كقوله ام ما ذا كنتم تعملون والاضراب هنا اضراب انتقال كاهو القاعدة المقررة في القرآن لاضراب ابطال (قوله ومن يحيى ويميت) فان كل واحد من الاحياء والامانة اخراج احد الضدين من الاخر بمعنى تحصيله منه لان كثيرا ما يقال كان الخارج كذا بمعنى كان الحاصل كذا وايضا انه يخرج الانسان من النطفة وبالعكس ويخرج الطائر من البيضة وبالعكس وقيل المراد انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (قوله وهو تعميم بعد تخصيص) لانه تعالى ذكر اولا تدابير مخصوصة متعلقة بعلم الاجساد فان اقسام تدبير الله في ملكه امور لانهاية لها وذكر كلها على التفصيل كالمعذر فذكر بعض التفاصيل ثم عقبها بالكلام الكلى ليكون دالا على الباقي (قوله هو ربكم الثابت رب بيته) اشارة الى ان ربكم الحق خبر ذلكم الله فان الجلالة صفة ذلكم وان الحق بمعنى الصادق اى الثابت رب بيته رد المن اتخذ ما لا يتحقق رب بيته كانه قيل ان الذى يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه (قوله اى كما حقت الربوبية لله الخ) يعنى ان الكاف في كذلك في محل نصب على انه صفة مصدر محذوف واشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق في قوله ربكم الحق اوال حقيقة مضمون قوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال اوال حقيقة انهم مصروفون عن الحق بعد الاقرار به كما قال فسيفقون الله (قوله بدل من الكلمة) اى حق عليهم بانتفاء ايمانهم او تعليل حقيقة الكلمة على ان يراد بالكلمة العدة بالعذاب وان الاصل لانهم لا يؤمنون (قوله تعالى قل هل من شركائكم الاية) احتجاج آخر على بطلان مذهب عبدة الاوثان (قوله جعل الاعادة كالاباء في الازام بها) جواب عما يقال المشركون يتكرون البعث والاعادة فكيف احتج عليهم بذلك وتقرير الجواب ان الزام الخصم كما يصح بما ساعده ويعترف به يصح ايضا بما يعين حقيقته لقوة برهانه وامر الحشر والشرك من هذا القبيل فان وجوب التمييز بين المحسن والمسيء برهان دال على تحقق وقوعه دلالة قاطعة لا يمكن العاقل دفعه فصحح الازام به وان لم يساعده الخصم عليه (قوله ولذلك الخ) جواب عما يقال لم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينوب عنهم في الجواب والازام انما يصح ان لو اعترفوا به انفسهم وتقريره كون الامر ظاهرا جليا مؤيدا بالبراهين القوية اغنى عن الاعتراف به وايب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب (قوله والتوفيق للنظر والتدبر) اى للنظر الصحيح والتدبر الصائب فان القول مضطرب والافكار مختلط وتعين الحق صعب ولا يسلم من الغلط الا الاقل من القليل فاهتداء ادراك الحقائق لا يكون الا باعانة الله تعالى وهدايته وارشاده وهذا احتجاج آخر على فساد مذهب المشركين والاستدلال على وجود الصانع اولا بالخلق وثانيا بالهداية عادة مطردة في القرآن قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام الذى خلقني فهو يهدين وحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام قوله تعالى ربنا الذى اعطى كل نبي خلقه ثم هدى اعلم ان هدى يتعدى الى اثنين اولهما بنفسه وثانيهما اما باللام واما بالي وقد يحذف حرف الجر تخفيفا وقد جع بين التعديتين بحرف الجر هنا فعدى الاول والثالث بالي والثاني باللام وحذف المفعول الاول من الافعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهذى غير الى الحق والمصنف بين سر كل واحدة من التعديتين فقال يعذى بالي ليدل على ان انتهاء الهداية مدخولها ويعذى باللام ليدل على ان الهداية لاتوجه نحو ما دخلت عليه الا لاجل ان تؤدى اليه ويترتب عليها كما عوشان العلة والمعلل بها (قوله ام الذى لا يهتدى الخ) اختار في قوله ام من لا يهتدى الا ان يهتدى قراءة حمزة والكسائي وهوان يقرأ قوله الا ان يهتدى بسكون الهاء وتخفيف الدال على معنى يهتدى فان العرب تستعمل يهتدى بمعنى يهتدى فتقول هديته فهدى اى فاهتدى (قوله اولا يهذى غيره) عطف على قوله يهتدى في قوله ام الذى لا يهتدى (قوله وهذا حال اشراق شركائهم) جواب عما يقال من ان المراد من الشركاء في هذا لا يبدوا الاصنام وانما

وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض (ام من يملك السمع والابصار) ام من يستطيع خلقهما وتسويتها ومن يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة وينطفئ منه (ومن يدير الامر) ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذ يقدرون على المبكرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه (فقل افلاتقون) انفسكم عقابه باسراكم اياه ما لا يشاركه في شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الباق ربوبية لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودير اموركم (فاذا بعد الحق الا الضلال) استفهام ابتكاري اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخفى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمة ربك) اى كما حقت الربوبية لله وان الحق بعده الضلال وانهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه (على الذين فسقوا) ترمدوا في كفرهم وخرجوا عن حدد الاستصلاح (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالاباء في الازام بها لظهور برهانها وان لم يساعدها عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان ينوب عنهم في الجواب فقال (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) لان لجابهم لا يدعهم ان يعترفوا بها (فانى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهذى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعذى بالي لتضمنه معنى الانتهاء يعذى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم توجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما استند الى الله (قل الله يهذى الحق اى يهذى الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهذى الا ان يهذى) ام الذى لا يهتدى الا ان يهذى من قولهم هدى بنفسه اذا هتدى او لا يهذى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراق شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير

جادات لا تقبل الهداية فكيف يصح ان يقال في حقها الا ان يهدى وايضا كلمة من تستعمل في ذوى العقول دون الجمادات فلا يليق ان يقال في حقها ام من لا يهدى فلما قيل ان الله تعالى اکتفى في بيان فساد مذهب مطلق اهل الشرك من عبدة الاوثان وغيرها بقوله تعالى قل هل من شركائکم من يبدؤ الخلق ثم يعيده فانه لاشك ان المراد بالشركاء فيه ما يتناول الاصنام وغيرها ثم بين في هذه الآية فساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية اربابا كالملائكة والمسيح وعزير سقط الاشكال المذكور (قوله والا صل يهدى) اى اصل كل واحدة من القراءتين وهما قراءة يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وقراءة يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال فلما ادغمت التاء في الدال فيهما اجتمع الساكنان فحركات الهاء بفتحها اثناء المدغم في احدى القراءتين وحركات الهاء بالكسرة في القراءة الاخرى لكون الكسرة اصلا في تحريك الساكن (قوله وروى ابو بكر) عن عاصم يهدى بكسر الياء والهاء اتباعا لحركة الياء بحركة الهاء وقيل هي على لغة تميم (قوله وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد) بان ترك الهاء ساكنة على حالها بعد ادغام التاء في الدال فجمع بين الساكنين ونسب الامام هذه القراءة الى قالون عن نافع ثم قال ابو عمرو وبالاشارة الى فتح الهاء من غير اشباع فهو بين الفتح والسكون والفتحة مختلفة على اصل مذهب اختيار التخفيف ثم قال وذكر على بن عيسى انه الصحيح والاجود من قراءة نافع وقرئ الا ان يهدى بضم الياء وفتح الهاء والدال المشددة على بناء المفعول من باب التفعيل (قوله والمراد بالاكثر الجميع) لان ابقاءه على اصل معناه يدل على ان اعتقاد بعضهم فيما ذهب اليه من قاعدة الشرك وان شركاءهم شفعاء وهم عند الله يستند على برهان واس كذا لك بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد ويجوز ان يكون الاكثر اقبيا على اصل معناه ويكون التقييد به للاشارة الى ان الظن انما يتأتى ممن له نظر واستدلال وان بعضا منهم يعزل عنه فضلا عن ان ينسب حكمه ومذهبه الى البرهان (قوله تعالى وما كان هذا القرآن ايس يفترى) لما تقدم قول اهل مكة ويقولون لو لا انزل عليه آية وذكرنا ذلك لاعتقادهم ان القرآن ايس يعجز وانه صلى الله عليه وسلم انما اتى بهذا القرآن افتراء على الله تعالى وما هو وحى نازل عليه من عند الله تعالى اخرج على صحة هذا الكلام بقوله قل فاتوا بسورة مثله وذلك يدل على انه معجز لا يتأتى ان يكون من عند غيره تعالى (قوله افتراء من الخلق) اشارة الى ان قوله تعالى ان يفترى في محل نصب على انه خبر ما كان وانه في تقدير المصدر اى ما ينبغي لهذا القرآن ان يفترى به على الله تعالى لان المفترى هو الذى يأتى به البشر والقرآن معجز على كل حال لا يقدر عليه البشر والافتراء في الاصل افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب واخرج على ان القرآن من عند الله تعالى بكونه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية وكل واحد من الكتب السابقة وان تعين صدقه بان صدق الله تعالى مبلغه بان اظهر على يده من المعجزات القاهرة لكن ليس شئ من تلك الكتب معجزا مصدقا لنفسه بخلاف هذا القرآن الكريم المشتمل على اقايص الاولين فانه قد بلغ البناء من قبل رجلا لم يكتب ولم يقرأ شيئا من المدونات ولم يخاط احد من العلماء مشتملا على نفائس علم الاصول وحقائق علم الاحكام واطائف علم الاخلاق واسرار قصص الاولين ومعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء مع غاية عبادة اهل عصره فلو لم يكن ما فيه من قصص الاولين ومواقف لما في التوراة والانجيل لقد حوافيد ولبالغوا في الطعن فيه قائلين ان ما جئت به من الاقايص غير مطابق لما اخبر الله تعالى فلما يقل احد منهم ذلك مع شدة حرصهم على الطعن علمنا انه صلى الله عليه وسلم اتى بتلك الاقايص مطابقة لما في الكتب المتقدمة مع انه صلى الله عليه وسلم اطالع شيئا منها وذلك يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن هذه الاشياء بوحي من الله تعالى فاذا ثبت ان القرآن العظيم مصدق لنفسه بسبب كونه معجزا ثبت انه مصدق للكتب المتقدمة عيار عليها شاهد على صحتها وبطلان ما جئت به من الاقايص غير مطابق لما اخبر الله تعالى (قوله لكونه معجزا دونها) جراب عما يقال كان القرآن دال على نزول الكتب المتقدمة وعلى اخبار الاولين كذلك الكتب المتقدمة دالة عليها فكما ان القرآن مطابق لها كذلك هي مطابقة له فكيف حكم بان القرآن مصدق لها دون العكس بوجهين بان القرآن معجز دونها فهو صالح لان يكون حجة وبرهانا لغيره لا العكس وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب لوجهين الاول انه خبر كان المقدرة اى ولكن كان تصديقا والثاني انه مفعول لافعل مقدراى ولكن انزل للتصديق (قوله وتفصيل ما حقق واثبت) على ان الكتاب من كتب

وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحض بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتح الهاء بحركة التاء وكسرت لاقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم التحريك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة (فالحكم كيف تحكمون) بما يقتضى صريح العقل بطلانه (وما يتبع اكثرهم) فيما يتقدون (الاظنا) مستندا الى خيالات فارغة واقسية فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتهي منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقيد بالصرف (ان الظن لا يغنى من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيئا) من الاغواء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) افتراء من الخلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا وعلته لفعل محذوف تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق (وتفصيل الكتاب) وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع (لا ريب فيه) متفيا عنه الرب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك

بمعنى فرض وقدر وحكم قال الشاعر

يا ليت عني كتاب الله أخرجني - عنكم وهل امنن الله ما فعلا

والناس اختلفوا في ان القرآن مجزئ من اى الوجوه فقال بعضهم انه مجزئ لاشتماله على الاخبار عن العلوم الكثيرة واليد الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب من الاحكام والتسريع في كل باب (قوله ويجوز ان يكون حالاً من الكتاب) ولما ورد ان يقال كيف جاز مجيء الحال من المضاف اليه والحال انما بين هيئة الفاعل او المفعول به اجاب عند بقوله فانه مفعول في المعنى فكأنه قيل كان يفصل الكتاب متنيا عنه الريب وان كان مستأنفا لا يكون له محل من الاعراب وان كان قوله من رب العالمين متعللاً بتصديق او تفصيل طريق التنازع يكون قوله لا ريب فيه اعتراضاً بين العامل ومعموله (قوله بل يقولون) اشارة الى ان ام هذه متقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن الكلام الاول واخذ في اسكار قولهم انه صلى الله عليه وسلم اختلق هذا القرآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى ثم احتج عليهم بانه يقول ان كان الامر كما ترعون فأتوا بسورة مثله فان لم يف عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج ما يعارض القرآن فاحتجوا وليف بعضكم بعضاً في هذه المعارضة مع انه لم يف ولو اجتمع الانس والجن بعضهم ظهير البعض لان قدرة البشر عاجزة عنها فاعلم ان نظمه وتزيينه ليس الا من قبل الله تعالى (قوله بل سارعوا الى التكذيب) تسريع كذبوا بقوله بل سارعوا الى لالة قوله بما لم يحيطوا ولم يأتهم على المسارعة فان تكذب الكلام قبل الاحاطة بمعانيه مسارعة اليه في اول الوهلة فان التصديق والتكذيب بالشيء ينبغي ان يكون بقدر العلم به والاحاطة بكنهه ومعرفة ما كنهه والمرجع والالكان مسارعة اليه في غير اوانه ومعنى الاضراب في بل ذمهم على التقليد وترك النظر مع اتكمن منه كان قيل دع تحديقهم وان اذهم فانهم لا يتأهلون للخطاب لانهم مقلدون متهافتون في الامر لاعتن خبر وتعل فان كان قوله ولم يحيطوا به علماً عبارة عما يؤول اليه نظم القرآن من المعاني يكون وجه الذم انهم سارعوا الى تكذيبه قبل الاحاطة به علماً فيعرفوا انهم نظمه وقبل ان يعرفوا ما كنهه ومرجعهم من المعاني فان القرآن كما انه مجزئ من جهة حسن نظمه كذلك هو مجزئ من جهة اشتماله على ما فيه من المعاني وان كان ما لم يحيطوا به عبارة عما جهلوه بما يخالف دينهم وكان تأويله عبارة عما يؤول اليه ما فيه من الاخبار بالغيوب كان وجه الذم انهم يسارعون الى تكذيب كل واحد منهم قبل ان يتبين لهم حقيقة الاول بالنظر في دلائل حقيقته وحقيقة الثاني ايضا بدلالة له وبحصول المال ووقوع تلك الغيبات قال الامام محيى السنة رضى الله تعالى عنه ولما يأتهم تأويله اى عاقبة ما وعد الله تعالى في القرآن من انه يؤول اليه امرهم من العقوبة يريدانهم لم يعلموا ما يؤول اليه امرهم (قوله فزادوا) اى جربوا تقول رزته اروزه روزاى جربته وخبرته (قوله ومعنى التوقع في لما) فانه يدل على ان الفعل المتنى به امر متوقع لما قيل انه لئن ما قد يفعل وكلمة لم لئن ما فعل يعنى انه اتى بكلمة التوقع في قوله تعالى ولما يأتهم تأويله للدلالة على ان اتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان امر متوقفاً منتظراً ومع ذلك سارعوا الى التكذيب لثباتهم وغلبة اتباع الابهاء على طابعهم (قوله ولما فيه من ابهام الاعراض) اشارة الى انه ليس بمنسوخ حقيقة لان شرط النسخ ان يكون رافعا للحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل احد بافعاله وثمرات افعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضى حرمة القتال فان آية القتال ما رفعت شيئاً من مدلولات هذه الآية فكان القول بالسسخ باطلا واعلم انه تعالى قسم الكفار في هذه الآية قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ثم قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون في غيبة البعوض له صلى الله عليه وسلم والعداوة ونهابة النقرة من قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف انقسم الاول فقال منهم من يسمع كلامك مع انه يكون كالاعمى من حيب لا يتفهم البتة بذلك الكلام ومنهم من ينظر اليك ويعاين فيك شواهد نبوتك ولكن لا يصدقك كالاعمى الذى لا يساعد محاسن صاحبه شبه المكذبين الذين اصروا على الكذب وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعهم عن ادراك محاسن كلامه ومعانية دلائل نبوته كما يمنع الصم في الاذن عن ادراك محاسن الكلام ويمنع العمى في العين عن مساهدة محاسن الصور فلما تبهم بالصم والعمى فرع عليه وجوب التبري عنهم فقال تعالى اغانت سمع الصم واتهدى العمى بمعنى انهم صاروا بسبب شدة عداوتهم وبغضهم ونفرتهم عنك بمنزلة الصم والعمى فكما لا يمكنك جعل الاصم سمياً والاعمى بصراً فكذلك لا يمكنك جعلهم اصدقاءً يقولون كلامك ويهتدون بدعوتك وارشادك والمقصود من نفس هذا الكلام اعلام الرسول صلى الله عليه وسلم بانهم قد بلغوا في مرض

ويجوز ان يكون حالاً من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئناف (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائناً من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلن بها ويجوز ان يكون حالاً من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الحق لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه (ام يقولون) بل يقولون (افتراه) مجعود معنى الهمزة فيه الانكار (قل فأتوا بسورة مثله) في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واستدتم نافي النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستنوا بمن امكنكم ان تستعنيوا به (من دون الله) سوى الله فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) انه اختلفه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا به) بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بانها آيات وما جهلوه ولا يحيطوا به علماً من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن مجزئ من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا ونظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجاز ما لم يكر عليهم التحدى فزادوا قواعدهم في معارضته قضاء لتدويعها ارباباً شاهدوا وقوع ما خبر به طبقاً لاخباره مراراً فلم يقلعوا عن التكذيب فمراداً وعناداً (كذلك كذب الذين من قبلهم) انبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لا يؤمن به) في نفسه لفطر غباوته وقلة تدبره او في مستقبل بل يموت على الكفر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين والمصرين (وان كذبوك) وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (قتل لي عملي ولكم عملكم) فتراهم منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقاً كان او باطلاً (انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون) لا تأخذون بعملى ولا تأخذ بعملكم ولما فيه من ابهام الاعراض عنهم وتخليه سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف

(ومعهم من يستمعون إليك) إذا قرأت القرآن وعلقت السمع وأنت تسمع الصبح) تذكر على أسماعهم (ولو كانوا لا يعلمون) ولو انهم ان سمعهم لعدم فهمهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المؤمن المنصود منه وتثبت لتوضيف به ايهم وهو ثابت في العقل استماعهم في تحريمه وعقوباتهم لما كانت مؤثرة فعلا في قلوبهم ومشايعه الافئدة والتقليد تعذر افهامهم الحذر والمعنى الدقيقة في استماعهم سرد الالقاء عليهم شيئا يتبع به اليهم من كلام فتعق (١٧) (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون أدلتهم فيهم (العمى)

تقرر على هذا يتبين (ولو كانوا لا يبصرون) وان انهم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المنصود من الا بصر هو الاختيار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك تجدس الاعى المستبصر وينشئ لا لا يدرك البصيرة الا حق والا يذ كالعليل للامر بالتبصر والاعراض عنهم (ان الله لا يظلم الناس شيئا) بلب حواسهم وعقولهم (ولكن اناس انفسهم يضلون) بافاد هارتوبت منافاه على عليها وفيه دليل على ان للعد كباوانه ليس عداوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبيرة ويجوز ان يكون وعيد انهم بمعنى ان ما يحق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يتفهم به ولكنهم طلبوا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من اناهم) يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ليهول ما يرون والجملة التفسيرية في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعداء محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله اول صدر محذوف اي حشرنا كان لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كما أنهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لئلا الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلفاء الله) للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الصبر في تعارفون على ارادة القول (وما كانوا مهتدين) اطرق استعمال ما منحوا من المعاونة في تحصيل المعارف فاستكبروا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نريك) نبصرك (بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك كما اراد يوم بدر (او تنوفيك) قبل ان نريك (فاليها من جمعهم) فتركه في الآخرة وهو جواب تنوفيك وجواب نريك محذوف مثل فذلك (ثم الله شهيد على ما يفعلون) محذوف عليه ذكر الشهادة و اراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بهم او مؤدى شهادته على افعالهم يوم القيامة (ولكل امه) من الامم الماضية (رسول) يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسوله) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالنقض) بالعدل فأنى الرسول واهلك المكذبون (وهم لا يعلمون)

العقل ان حيث لا يقبلون اصلاح والخطيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اعرض عنه لانه يستوحش من عدم قبوله العلاج فكذلك وجب عليك ان تشر أمهم ولا تتفعل من اسرارهم على التكذيب وهذا معنى قوله اي المصنف والآية كانه دليل للامر بالتبصر (قوله وفيه تنبيه الخ) اي في ان استماع الاسم العديم العقل بعد من استماع الاسم العاقل تنبيه على ان حقيقة الاستماع ليست عبارة عن مجرد وصول الهواء اليك كيف يكتفي الصوت الى الصانع السليم والافلاك الاسم العاقل وغيره سواء في عدم الاستماع ولم يكن استماع غير العاقل ابعد من استماع العاقل بل هي متوقفة على سلامة كل واحد من الصانع والعقل والاستماع واحدهما على وجد يودي الى ارسام المعنى المنصود من الكلام في المدركة فلذلك كان الاستماع بعيدا متكررا بمجرد تحقق الصمم واتقاء سلامة الصانع وعند انتفاء كل واحد منهما كان ابعد واتم في كونه متكررا كما قال تعالى اما انت نسمع الصمم ولو كانوا لا يعلمون (قوله بلب حواسهم) لما حكم الله عليهم بانهم ملوكوا العقل والحواس فلا يدركون حسن الايمان ولا يقبلونه ولا يسمعون كلام الداعي سماع قبول ولا يبصرون شواهد صدق في دعوى النبوة رؤية اعتبار واستبصار قال ان الله لا يظلم الناس بلبس لانه متصرف في ملك نفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما ثم قال ولكن الناس انفسهم يضلون لان الفعل اليهم منسوب بسبب الكسب وليس هذا ملوب الاختيار بالكلية كما ذهب اليه الجبيرة وقرأ حرة والكسائي بخفيف ولكن ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطان العمل بالخفيف وقرأ الباقون بالشديد ونصب الناس ولما وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصفاء وترك التدرج بالوعيد فقال تعالى ويوم نحشرهم ويوم منصوب بفعل مقدرا اي اذكر ما حدث يوم او يتعارفون اي يتعارفون يوم نحشرهم (قوله او صفة) اي يوما مشهاها الله بن لم يلبث قبله الا ساعة وان دفع بهذا التقدير ما يرد من ان هذه الجملة كيف تكون صفة مع ان مضمونها وصف المحشورين لا وصف يوم حشرهم ولا بد من مثل هذا التقدير على تقدير ان تكون الجملة المذكورة صفة للصدر المحذوف اي حشرنا كان المحشورين لم يلبثوا وقرأ حفص يحشرهم بياء الغيبة على اسناد النعل الى خير الجلالة في قوله ان الله لا يظلم والباقيون بنون العظمة (قوله يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ليهول ما يرون) فان ما يشاهده الكفار من احوال الآخرة اشد الشدائد واقصاها والعباد بالله والانسان اذا عظم خوفه نسي الامور الظاهرة وايضا يستقلون ذلك البلب في جنب لبثهم في موقف الحساب وفي سائر مواقف الآخرة (قوله يعرف بعضهم بعضا) كما كانوا يعرفون في الدنيا فكانهم لم يتعارفوا بسبب الموت الامدة قليلة لا تؤثر في زوال ذلك التعارف فلما ورد ان يقال فواجه التوفيق بين هذا التعارف وبين قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسألون اشار الى جوابه بان حل الايتين على الحالتين فانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف اذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعض والجملة حال اخرى من مفعول نحشرهم اي نحشرهم مشبهين بتعارفين وهي حال مقدرة لان التعارف يكون حال الحشر او بيان لكونهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب الامر به الى التناكر للشهادة على خسرانهم يعني ان هذه الجملة ليست من مقالة الكفار المحشورين بل هي كلام الهى مسوق للشهادة عليهم بالغشيان والكذب بلفاء الله وعبرة عن ايثار الحظوظ الدنيوية العاجلة الخسيسة القانية على السعادة الآخروية الشريفة الباقية فكانه قيل قد خسر من باع آخرته بالدنيا ثم قال ويجوز ان يكون الخ والتقدير ويوم نحشرهم حال كونهم متعارفين وحال كونهم قائلين قد خسر الذين كذبوا فيكون كسك كسك في الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين فيكون كائنا كيد الجملة الصلة لان من كذب بلفاء الله غير مهتدى الى رعاية مصالح ما هو فيه من التجارة فيضيع رأس المال خاليا عن الخير بالكلية (قوله وهو جواب تنوفيك) جعل في الكلام شرطين لهما جوابان الاول محذوف وجواب الثاني مذكور والتقدير واما نريك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا فلذلك هو المأمول وان تنوفيك قبل ان نريك ذلك الموعود فانك تراه في الآخرة ولا حاجة الى ارتكاب حذف الجواب لان قوله فاليها من جمعهم صالح لان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه (قوله ولذلك رتبها على الرجوع بهم) ولو كان المراد من الشهادة نفسها لما صح الترتيب المذكور لانه تعالى شهد على ما يفعلونه من التكذيب والتجاذة حال رجوعهم اليه تعالى وقوله (قوله فاذا جاء رسوله بالبينات فكذبوه) يعنى الكلام فيه الاضمار فاذا جاء رسوله فيغلهم رسالته

ودعاهم الى الحق فكذبوه فحذف ما حذف للعلم به والتقدير بمعونته المقام لما بين الله تعالى حال نبينا مع قومه بين ان حال كل الانبياء مع اقوامهم كذلك فان قيل كيف يصح ان يقال انه تعالى ما اهل امة من الامم قط بل بعث الى كل واحدة منهم رسولا ينذرهم من المخالفة مع ان زمان الفترة ليس فيه رسول كما يشهد عليه قوله تعالى لتسذر قوما ما اتاهم من نذير وقوله تعالى لتسذر قوما ما انذرا بآواهم والجواب ان عموم قوله تعالى ولاكل امة رسول يقتضي ان يكون الرسول حاضرا مع كل واحدة منهم لان تقدم الرسول على بعض منهم لا يمنع من كونه رسولا الى ذلك البعض كما لا يمنع تقدم رسولنا صلى الله عليه وسلم من كونه مبعوثا لنا الى آخر الابد غايته ما في الباب ان ما وقع من تخليط القوم في زمن الفترة مؤد الى ضعف اثر دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه (قوله استبعاد له واستهزاء به) يعني ان من جملة شبه منكري النبوة انه صلى الله عليه وسلم كذا هدهم بزول العذاب ومز زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد واحتجوا بعدم ظهوره على حسب القدرح في نبوته فان معنى الاستفهام في متى الاستحجال بمعنى طلب العجل والمقصود من هذا الاستحجال هو استبعاد الموعود وانه عمالا يكون وانه يستهزأ به فامر الله تعالى بان يجيب عن هذه التهمة بجواب يحسم مادة الاشكال فقال قل لا املك لنفسي الاية والمراد ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصرة للاولياء لا يقدر عليه الا الله تعالى وانه تعالى ما عين لذلك الوعد والوعيد وقتا معينانم اختلف ما وعدا واوعد في ذلك الوقت حتى يرد الاشكال وان وقت كل حادث انما يتعين في علم الله تعالى فاذا حضر الوقت الذي وقته الله تعالى لحدوث ذلك الحادث فانه لا بد وان يحدث فيه ويمتنع ان يتقدم عليه او يتأخر عنه (قوله الا ما شاء الله ان املكه) او اقدر عليه ويمتنع ان يكون منقطعاً والتقدير ولكن ما شاء الله من ذلك يعني ان هذا الاستثناء يجوز ان يكون متصلاً والتقدير الا ما شاء الله ان املكه او اقدر عليه وان يكون منقطعاً والتقدير ولكن ما شاء الله من ذلك النفع والضرر فيكون هذا التقدير تصويراً للمعنى الانقطاع لان قوله من ذلك اشارة الى النفع والضرر فانه كائن بمشيئة الله تعالى لا بان املكه واقدر عليه مستقلاً بدون حصوله بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متصلاً فيكون الاستثناء من فاعل لا املك على تقدير ان يكون منقطعاً وتقديره لا املك انا ولكن الله تعالى هو المالك لكل ما يشاء بفعاله بمشيئته (قوله تعالى لكل امة اجل) اي مدة مضروبة لهلاكهم على وجه الاستئصال جزاء على تكذيبهم رسلكم فان الظاهر ان يكون المراد بقوله لكل امة اجل الامة الذين اجترؤا على تكذيب الرسل وقزينة انخصيص بالامم الماضية كونه في جواب قول المشركين متى هذا الوعد ومتى هذا الحكم لان الحكم المذكور لا يعي امتنا بالحديث ويحتمل ان يكون المعنى لكل امة عدة مضروبة لقاء عمر كل واحد منهم فدل لول الآية ان احدا لا يعوت الا بانقضاء اجله والمعنى الاول انسب لقوله ولكل امة لانه لو كان المراد المعنى الثاني لكان الظاهر ان يقال ولكل احد بدل امة (قوله ان انا كم عذابه الذي تستجلون به) الاستفهام المذكور بقولهم متى هذا الوعد يدل على ان معنى الكلام قل لهم يا محمد اخبروني عن عذاب الله ان انا كم اي شيء تستجلون به وليس شيء من العذاب يستعمل به لمرارته وشدة اصابته فهو مقتضى لتفور الطبع منه وهو استفهام معناه التفطيع والتحويل كما تقول لمن هو في امر تستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك (قوله وقت يات) اشارة الى ان قوله تعالى انا كم بيان من قبل قولهم آتيك صباح الديك وان البيات اسم بمعنى التثبيت كالسلام بمعنى التسليم يقال بات يتوتة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا (قوله اي شيء من العذاب) قد تقرر ان ما ذا فيه وجهان ان يكون اسمين بمعنى ما الذي وان يكون اسما واحداً بمعنى اي شيء ولا يجوز ان يكون المراد ههنا ما الذي لان الصبر في منه للعذاب فلو كان بمعنى ما الذي خلت الصلة عن ضميره فلذا حله على اي شيء والتكثير فيه اما للوحدة النوعية او للتحويل لان كان للوحدة فالمعنى اي نوع من العذاب يستجلونه وعلى هذا تكون كلمة من في منه للتبعيض او للتبيين وان كان للتحويل فالمعنى اي شيء هائل شديد يستجلون منه فمن حيثئذ تجريدية مجرد من العذاب شيء هائل شديد يجب منه ومن شدة هوله كل من يراه او يسمعه وهو العذاب نفسه لا الفرد منه او النوع وكونها للتجريد عائد الى كونها للبيان لان ما مجرد من العذاب وهول ذلك الامر المتعجب منه صادق على جنس العذاب مبين له بخلاف ما اذا كانت للوحدة فان كان قوله منه بمعنى من جنس العذاب فهي للبيان وان كان بمعنى من انواع العذاب فهي للتبعيض (قوله وهو متعلق بارأيتم) يعني ان قوله ماذا يستجل

وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسوله الموقف لا يشهد عليهم بالكفر والايان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالبين والشهداء وقضى بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعاد له واستهزاء به (ان كنتم صادقين) خطا منكم للتي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا) فكيف املك لكم فاستعمل في جلب العذاب اليكم (الا ما شاء الله) ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن (لكل امة اجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستجلوا فسيحين وقتكم وبخبر وعدكم (قل ارايتم ان انا كم عذابه) الذي تستجلون به (بيان) وقت يات واستغفال بالنوم (او نهارا) حين كنتم مستغلين بطلب معاشكم (ماذا يستجل منه الجرمون) اي شيء من العذاب يستجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستحجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني

متعلق الاستخبار فان ارأيتم استخبار اذ معنى ارأيتم اخبروني فاستدعى مفعولا يتعلق هو به وهو جلة الاستفهام فيكون الشرط مع جوابه المحذوف مقرر المضمون الاستخبار ولذلك وسط بين جلة الاستخبار ومتعلقه ولما كان في هذا الاستفهام تجهيل لهم وتنديم قدر الجواب تندموا على الاستبحال او تعرفوا الخطأ فيه ولا مانع من تقدير ما يفيد المعنيين ولهذا حذف الجواب ووسط تأكيد على تأكيد ثم قيل زيادة تنديم وتجهيل اذ اوقع العذاب آمنت به وعاد استهزاؤكم وتكذيبكم تصديقا واذعانا حتى يتم زيادة على زيادة الاستبعاد وفيدان هذا الثاني ابعد من الاول وادخل في الانكار وظهر من هذا التقدير انه لا يرد ان يقال في قوله وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستبحال او تعرفوا الخطأ فيه ولا مانع من تقديرهما معا اذ تقدير ما يفيد المعنيين ليس بيبدي بناء على ان الجواب المقدر لا يكون الا ما يدل عليه ما تقدمه لفظا او تقديرا فلو قيل انت طالق ان فعلت كذا يكون تقديره ان فعلت كذا فانت طالق فينبغي ان يجعل تقدير الآية ان اتاكم عذابه فاخبروني ماذا يستعمل منه المجرمون تجهيلا لهم وتنديما (قوله ويجوز ان يكون الجواب ماذا) ويكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه بيانا او نهارا فاي شيء يستعمل منه المجرمون قيل عليه في جعل جواب الشرط جلة الاستفهام جواب الشرط بدون الفاء محل بحث فان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول ان زارنا فلان فاي شيء نصنع معه ولا يجوز حذفها الا عن ضرورة وما ذكره من المثال وهو ان اتيتك ماذا تعطيني فهو من تمثيله لا من كلام العرب وقيل ايضا في جعل ماذا يستعمل جواب الشرط اشكال وهو ان استبحال العذاب قبل آتيانه فكيف يكون مرتبا عليه جزاء له واجيب بانه لا شك ان الاستبحال ماض بالنسبة الى العذاب فلا يجوز ان يكون قوله ماذا يستعمل بمعنى الحال حقيقة بل يكون حكاية عن الحال الماضية اي ما ذا كنتم تستعملون لكن مجرد هذا ايضا لا يكون جوابا لان الاستبحال السابق لا يترتب على اتيان العذاب فلا بد من تقدير وهو ان يقال ان اتاكم عذابه فحيث تعلمون لاي شيء تستعملون (قوله او بقوله تعالى اثم اذا ما وقع آمنت به) لما كان ظاهر العطف يدل على ان المراد كون الجملة الشرطية متعلقة بقوله اثم اذا ما وقع تعلق المفعولية وليس بمراد فسر المراد بقوله بمعنى اي ان اتاكم عذابه الخ ويجوز ان يكون الجواب قوله اثم اذا ما وقع وتكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم ايضا ويكون قوله ماذا يستعمل منه المجرمون اعتراضا بين الشرط وجوابه ويكون المعنى واخبروني ان اتاكم عذابه بيانا او نهارا او وقع وتحقق آمنت به بعد وقوعه ثم جيء بحرف التراخي بدل الواو للدلالة على تأخر الايمان عن وقوع العذاب والجزاء لا يترتب على الشرط بكلمة ثم وانما يترتب عليه بالفاء الا انه اجري ثم ههنا مجرى الفاء لان تم ايضا يفيد الترتب مع زيادة التراخي المناسب لمقام التوبيخ (قوله اي قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب الا ان آمنت به) اشارة الى ان الا ان منصوب بفعل مضمر تقديره آمنت به الا ان آنتم ودل على هذا الفعل المقدر الفعل الذي تقدمه وهو قوله اثم اذا ما وقع آمنت به الا ان ولا يجوز ان يعمل فيه آنتم الظاهر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده كما ان ما بعده لا يعمل فيما قبله لان له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر ومعموله مقول قول مقدر كما صرح به وقدر القول والفعل الناصب لقوله الا ان بلفظ الماضي لطابق ما قبله وهو اذا ما وقع آنتم وما بعده وهو قوله ثم قيل وهذه الاشياء لم تكن بعد بقرينة ما سبق من قوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذابه وعبر عنها بالفعل الماضي تنبيهها على انها كائنة لاحتمال والمعنى ثم قيل لهم ذوقوا هذا العذاب فانه لكم لا يزول حيث تصيرون الى القبر فتعذبون ثم تعذبون فمحشرون الى جهنم فتعذبون فيها ابدانهم تعالى ايما ذكر العذاب التسديد ذكر بعده هل تجزون الا بما كنتم تكسبون تنبيهها على ان رحمتهم سابقة على غضبه وانه لم يخلق عباده الا ليرحمهم ويتفضل عليهم وان هذا العذاب الشديد المؤبد لم يصدر منه ابتداء بل هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المرتب على تناول السم (قوله الحق هو) سألوا والا عن زمان وقوعه وههنا سألوا عن تحققه نفسه ولهذا اختلف جوابها فاجاب عن الاول بقوله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم واجاب عن الثاني بتحقيقه مؤكدا بالقسم حيث قال اي وربي انه الحق (قوله والضيمير) الذي هو لفظ هو مرتفع بانه فاعل الحق فانه صفة مستبهة بمعنى ثابت غير وائت فرفع الفاعل وهذا الفاعل سادس الخبر ويجوز ان يكون خبرا مقدما وهو مبتدأ مؤخر اوجلة الحق في محل النصب على انها مفعول ثان لتسبؤنك فان انباء بمعنى اخبر فيعدي الى اثنين والاشهر ان يعدي الى الثاني بكلمة عن بان يقال استبأت زيدا عن

والجدمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لم يجرهم يذبحي ان يفزعوا من محبي الوعيد لان يستعملوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستبحال او تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم او بقوله (اثم ما وقع آمنت به) بمعنى ان اتاكم عذابه آمنت به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وما ذا يستعمل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير (الا ان) على ارادة القول اي قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب الا ان آنتم به وعن نافع الا ان بحذف الهمزة والفاء حركتها على اللام (وقد كنتم تستعملون) تكذبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الكفر والمعاصي (ويستبؤنك) ويستخبرونك (الحق هو) احمق ماتقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بمجدام باطل تهزل به قالة حي ابن اخطب لما قدم مكة ولا ظهران الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستبؤنك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضيمير مرتفع به سادس الخبر وخبر مقدم والجملة في موضع النصب يستبؤنك

عمر واى طلبت منه ان يخبرنى عن عمرو وقد يعدى اليهما بنفسه (قوله واى بمعنى نعم) اى حرف جواب مثل نعم
 الا انه لا يجاب به الا مقرونا بالقسم قال صاحب الكتاف سمعهم فى التصديق يوصلونه بواو القسم (قوله بمجيزين
 بفائتين العذاب) اى ما اتم بمجيزين ربكم حين اراد ان يعدبكم حتى يفوتكم العذاب عن ابن عباس رضى الله
 عنهما يريدان الله لا يميز شئ ولا يفوته شئ ثم اخبر الله تعالى عن حالهم حين ينزل بهم العذاب فقال ولوان لكل
 نفس ظلمت ما فى الارض بالكفر والاشراك والافتداء يجيى بمعنيين مطاوع فداء فيكون لازما يقال فديته فافتدى
 ويكون بمعنى فداء فيتعدى الى واحد يقال فداء وافتداء اذا اعطاه فداءه وهو فى الآية بمعنى الشئ لان
 النفس الظالمة هى المعطية لفدائها (قوله لانهم بهتوا) اى صاروا تخيرين بما رآوه من العذاب الشديد فلا
 يطيقون عنده كلاما ولا بكاء ولا صراخا ولا يبق لهم الاخفاء التدامة كمن يذهب به ليلصق فانه يبقى مبهولا لا ينطق
 بكلمة وقيل اسرار التدامة كناية عن اخلاصها لله تعالى فان من اخلص فى العمل استراد خيرا واسر جعلها
 خالصا صافية عن شوب ضد هاباء على ان الاخفاء من لوازم كون الشئ صافيا هذا على تقدير ان يكون الاسرار
 بمعنى الاخفاء وهو المشهور فى اللغة واسر من الاضداد يستعمل بمعنى اظهر ايضا على معنى ان ليس لهم هناك
 قوة اخفاء فظهرها للضعفهم وفى الكشف سر الشئ واسره اذا اظهره (قوله والثانى مجازاة المشركين
 على الشرك) قال الامام قس ينفهم قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الروءساء والاتباع وقيل بين الكفار
 بانزال العقوبة عليهم وقيل ان الكفار وان اشركوا فى العذاب فانه لا بد ان يقضى الله بينهم لانه لا يمتنع ان يكون
 قد ظلم بعضهم بعضا فى الدنيا وخانه فيكون ذلك القضاء تخفيفا من عذاب بعضهم وتخفيفا لعذاب الباقين
 لان العدل يقتضى ان ينصف المظلومين ولا سبيل اليه الا ان يخفف من عذاب المظلومين وينقل فى عذاب الظالمين
 ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بقوله تعالى ولوان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لا فتدت قرر قدرته على الاتابة
 والعقاب بقوله الا ان الله ما فى السموات والارض وقيل انه لما اراد ان الظالم لوملك خزائن الارض واموالها
 لا فتدى بها بين فى هذه الآية العظيمة ان الظالم ليس له شئ يقتدى به فان الاشياء باسرها ملك خاص لله تعالى
 لا يتصرف فيه غيره قال تعالى وكلهم آتبه يوم القيامة فرد اقال الامام فى قوله الا ان الله ما فى السموات والارض
 دقيقة وهى ان كلمة الا ان الله ما فى السموات والارض لا بد ان يكون متغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة
 فيضيفون الاشياء الى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار زيد والغلام لعمر والسطة للخليفة والصرف
 للوزير ونحو ذلك فكانوا مستقرقين فى نوم الجهل والعقلة حيث يظنون صحة تلك الاضافات فذلك نادى
 الحق تعالى هؤلاء الغافلين بقوله تعالى الا ان الله ما فى السموات والارض لانه قد ثبت ان جميع ماسواه ممكن
 لذاته وان الممكن لذاته مستند للواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة فثبت ان جميع ماسواه مملوك لله تعالى ثم انه
 تعالى لما قال ان القراء ان من رب العالمين وما كان افتراء من دونه تعالى وابنت رسالته صلى الله عليه وسلم
 بقوله تعالى فاتوا بسورة مثله وصف القراء ان ههنا بصفات اربع وهى كونه موعظة وشفاء لما فى الصدور
 وهدى ورحمة للمؤمنين والعطف المعترف بهذه الآية من قبيل عطف الصفات المتغيرة بعضها على بعض مع اتحاد
 الذات و اشار الى المصنف بقوله قد جاءكم كتاب جامع الخ والموعظة مصدر بمعنى الوعظ وهو ارشاد المكلف
 ببيان ما ينفعه من محاسن الاعمال وما يضره من القبايح والترغيب فى المحاسن والازجر عن القبايح والعلم الكافل
 بهذا البيان هو الحكمة العملية التى هى الموعظة وكونه شفاء لا شتماله على الحكمة النظرية التى هى شفاء
 لما فى الصدور من الامراض القلبية (قوله بانزال القرآن) استارة الى ان فضل الله ورحمته عبارتان
 عن انزال القرآن لان هذه الآية متصلة بالآية الاولى وهى فى ذكر القرآن وقد وصفه الله تعالى بالرحمة
 فى الآية وقال فى آية اخرى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته الى ان قال ذلك فضل الله
 كأنه قيل قل بالحمد للهؤلاء الذين همتمهم جمع الاموال والترين بزخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته افرحوا
 بالاموال والخطوط الفاتية السريعة الزوال روى انه صلى الله عليه وسلم قال بفضل الله وبرحمته اى بكتاب الله
 والاسلام (قوله والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا) اعنى ان قوله تعالى بفضل الله وبرحمته لا بدله من
 متعلق ومتعلقه لا يكون فليفرحوا المذكور لانه متعلق لقوله فيذلك فلا بد ان يتعلق بمقدور والمقدر
 لا بدله من قرينة تدل عليه ولا قرينة سوى الفعل المذكور بعد قوله فيذلك وذلك الفعل وان كان متعلقا

(قل اى وربى انه الحق) ان العذاب لكفى او ما ادعيه
 ثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو
 من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو فى التصديق
 يقال اى والله ولا يقال اى وحده (وما اتم بمجيزين)
 بفائتين العذاب (ولوان لكل نفس ظلمت) بالشرك
 او التمدى على الغير (ما فى الارض) من خزائنها
 واموالها (لا فتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب
 من قولهم افتداه بمعنى فداء (واسروا التدامة لما
 رآوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا بما لم يحسوه
 من فظاعة الامر وهوله فلم يقدرُوا ان ينطقوا وقيل
 اسروا التدامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها
 اولانه يقال سر الشئ خالصته من حيث انها تخفى
 ويضن بها وقيل اظهرها من قولهم سر الشئ
 واسره اذا اظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم
 لا يظلمون) ليس تكريرا لان الاول قضاء من الانبياء
 ومكذ بهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك
 او الحكمومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما
 يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (الا ان الله ما فى السموات
 والارض) تقرى قدرته تعالى على الاتابة والعقاب
 (الا وعد الله حق) ما وعده من الثواب والعقاب
 كائن لا خلف فيه (ولكن اكثرهم لا يعلمون) لانهم
 لا يعلمون لقصور عقولهم الاظهار من الحياة الدنيا
 (هو يحيى ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهم
 فى العقبى لان القادر انما لا تروى قدرته والمادة القابلة
 بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا (واليه ترجعون)
 بالموت او الاستور (يا ايها الناس قد جاءكم موعظة
 من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)
 اى قد جاءكم كتاب جامع الحكمة العملية الكاشفة
 عن محاسن الانجمل ومقاصحها والمرغبة فى المحاسن
 والازجرة عن القبايح والحكمة النظرية التى هى شفاء
 لما فى الصدور من السكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى
 الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم
 ففجروا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت
 مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات
 الجنان والتكفير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته)
 بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فيذلك)
 فليفرحوا فان اسم اشارة بمقتلة الضمير تقديره
 بفضل الله وبرحمته فليفرحوا او فليفرحوا فليفرحوا
 فليفرحوا

لقوله بذلك الا ان اسم الإشارة لما كان بمنزلة الضمير كان بمنزلة ان يقال فيهما فليفرحوا وهو ظاهر وما كونه مفسرا بتقدير فليعتنوا فلاح الفرح بالشئ إنما يكون بالاعتناء بشئانه مع ان له قرينة اخرى وهي ان قوله تعالى فبذلك اشارة الى فضل الله ورجته وقد تقدم على الفعل فتقديمه يدل على الاعتناء بشأنيهما وتكرير الامر بتخصيص الفرح بالفضل والرحمة يفيد التأكيد للاحالة مع ان العامل اجل فيما ذكره اولوين في الثاني ولا شك ان تبين شئ اجل اوقع في النفس والتقدير وايضا التكرير على الوجه الخاص والتكرير بتقديم المفعول على عامله يفيد ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح بتسامح والمراد اختصاص الفرح بهما (قوله او بفعل دل عليه قد جاء تكلم) اشارة الى ان صاحب الكشف نسيهما ويجوز ان يراد قد جاء تكلم موعظة بفضل الله ورجته فبذلك اي فبجيتها فليفرحوا فانه يدل على كونها متعلقة بجائتكم المذكور ولا وجه للفصل بينه وبين الجار والمجرور ويحتمل ان يكون الفاء فيه للدلالة على ان ما ذكر قبله من مجيئ الكتاب الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقادير تكون الفاء الثانية تكميلا للاولى لقصد التأكيد كما في قوله لا تجزى عن انفسا اهلكته * واذا هلكت فعند ذلك فاجزى

وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاء تكلم وذلك اشارة الى مصدره اي فبجيتها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا والربط بما قبلها والدلالة على ان مجيئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله * واذا هلكت فعند ذلك فاجزى وعن يعقوب فليفرحوا بالثناء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ ففرحوا (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر يجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه ايها المخاطبون (قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق) جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأى يسم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك ويخبر على التبيين فقال (فجعلت منه حراما وحلالا) مثل هذه الانعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا (قل الله اذن لكم) في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه (ام على الله فتفرون) في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأى يسم وقل مكررا للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمة فيها تقرير لا فرائضهم على الله (وما ظن الذين يفتنون على الله الكذب)

فان الفاء الاولى فيه جرائية والثانية تأكيد لها وقرأ الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فليفرحوا بثناء الخطاب وهي قرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى عنه مرفوعا والاصل الامر سواء كان امر الغائب او امر المخاطب بان يكون باللام فاصل اضرب لتضرب لكنهم حذفوا اللام في امر المخاطب لكثرة استعماله كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخففنا من ادخلوا همزة الوصل احترازا عن الابتداء بالساكن وهذا معنى قول المصنف على الاصل المرفوض (قوله وقرأ ابن عامر يجمعون) بناء الخطاب على انه خطاب للناس الذين خاطبوا بقوله يا ايها الناس قد جاء تكلم وهم كفار مكة خاطبهم ثم قال لهم فبذلك فليفرح المؤمنون وانه خير مما يجمعون ايها الكفار والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا الا ان يفرحوا مستند الى ضمير المؤمنين ويجمعوا مستند الى ضمير الكفار او كلاهما مستند الى ضمير الكفار (قوله جعل الرزق منزلا) اي من السماء مع ان الارزاق انما تخرج من الارض اما لانه مقدر في السماء كما قال تعالى وفي السماء رزقكم ولا يخرج من الارض الا على حسب ما قدر فيها فصار ذلك كانه منزل منها اولاته انما يخرج من الارض باسباب متعلقة بالسماء كالامطر والشمس والقمر فان المطر سبب الايتان والشمس سبب النضج والقمر سبب التلون ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى اثبت اولان نبوته صلى الله عليه وسلم واجاب عن شبه اهل مكة في انكار نبوته واتبع ذلك شأن فساد طريقتهم في شرائعهم وبين ان التبيين بين هذه الاشياء بتحليل بعضها وتحريم البعض الآخر مع انه لم يشهد بذلك عقل ولا نقل فرق باطل ومنهيج فاسد والمقصود ابطال مذاهب القوم في ادیانهم وفي احكامهم وانهم ليسوا على شئ في باب من الابواب (قوله وما في موضع النصب بانزل او بارأى يسم) يريد ان كلمة ما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي منصوبة على انه مفعول اول لارأى يسم والعائد محذوف والتقدير اخبروني ما انزل الله ومفعوله الثاني هو قوله الله اذن لكم والعائد من هذه الجملة الى المفعول الاول محذوف تقديره الله اذن لكم فيه فان قيل قوله تعالى قل يمنع من كون الجملة بعده مفعولا ثانيا والجواب ان كلمة قل في قوله تعالى قل الله اذن لكم هي قل المذكورة او لا كررت للتأكيد لانه حذف من الكلام وقيل قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الله اذن لكم فيدل على الكلام بدونه فعمل بذلك انها امتازت للتأكيد فلا تمنع كون ما بعدهما مفعولا لما قبلها ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بانزل وهي حينئذ تكون متعلقة لارأى يسم وتكون سادة مسند المفعولين والمعنى اخبروني اي شئ انزل الله من رزق فبعضتموه والمقصود الانكار لتجربتهم الرزق (قوله ويجوز ان تكون المنفصلة) اراد قوله الله اذن لكم فانه قد انفصل من قوله ارايتم يتحمل كلمة قل بينهما يريد انه قد سبق عليه شبهتان احد هما ارايتم والاخر قل فصار في قوله قل الله اذن لكم امران الاول ان يكون متعلق الاستفهام ومفعوله والثاني ان يكون متعلق القول ومفعوله فان علق بارأى يسم فلا بد ان تكون الهمة في الله للاستفهام وتكون ام متصلة فان قيل اللهم رزقنا المتصلة سؤال عن تعيين احد الامرين وذلك يقتضي ان يكون كل واحد من الامرين محتملا ومن المعلوم انتفاء الاذن من الله تعالى فتعين كونهم مفتقرين على الله فكيف يسأل عن تعيين احدهما اوجب بان هذا السؤال ليس لطلب العلم بل هو للوعيد ولطلب الاقرار منهم على الافتراء والزام

الحجة عليهم فلا محذور وان علق بقل جازان تكون ام متصلة وهو ظاهر والتقدير قل الله اذن لكم في التحليل والعريم وانكم تفعلون ذلك بحكمه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه وان تكون منقطعة بمعنى بل اختلفون على الله والهمزة للانكار على انه تعالى قرر عليهم تحليله وتحريمه اولاً ثم انكر عليهم ان يكون ذلك باذن الله تعالى ثم اضرب عنهم وقرر اقراءهم (قوله اي شئ ظنهم) اشارة الى ان ما استفهامية في محل الرفع على الابتداء وظن خبرها ويوم منصوب نفس الظن والمصدر مضاف الى فاعله (قوله ولا تكون في امر) اشارة الى ان ما نافية وان الشأن بمعنى الامر ويجمع على شئون ويكون الشأن بمعنى الحال ايضا ويقال ما شأن فلان بمعنى ما حاله وفي شأن خبر يكون والضمير في منه راجع الى الشأن اما على تقدير ما تلوه حال كون القراءة بعض شؤنك واما ان يحمل الكلام على حذف المضاف تقديره وما تلوه من اجل الشأن بان يتحدث لك شأن تلو القرآن من اجله كقوله تعالى بما خطاياهم اغرقوا اي من اجل خطيائهم (قوله اول القرآن) اي ويكون ضمير منه للقرآن فكأن من تبعية والتى في قوله من قرآن زائدة في سياق التثنية واطلق القرآن على بعضه لان كل جزء منه قرآن وهو اسم للقدر المشترك بين الكل والجزء وان قلنا ان ضمير منه لله عز وجل تكون من ابتداء الآية ولما وعد الله الذين يفترون على الله الكذب بعذاب يوم القيامة بين كون علمه محيطاً بعمل كل واحد من المطيعين والعصاة والمذنبين والخطاب وان خص به صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر الا ان الامة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خطب دخل قومه في ذلك الخطاب كافي قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقت النساء وقوله تعالى الاكثا عليكم شهودا جلة حاله وهو استثناء مفرغ اي ما يكون شئ مما ذكر في حال من الاحوال الا في حال كوننا مشاهدين مطلعين عليه وقوله اذا تفيضون ظرف معمول لشهودا والا فاضة الدخول في العمل يقال اذا ض القوم في العمل اذا اندفعوا فيه وافاضوا من عرفة اذا دفعوا منها لكثرتهم (قوله موازن ثملة صغيرة او هباء) اشارة الى ان قوله تعالى من مثقال ذرة فاعل يعزب وكلمة من فيه زائدة وان الذرة عبارة عن الثملة الصغيرة والهباء وان مثقالها عبارة عما يوازنها ويساويها في الثقل (قوله كلام برأسه) اي غير معطوف على ما قبله لانه لو عطف على محل من مثقال ذرة فكان مرفوع المحل على انه فاعل يعزب ومن مزيدة فيه كافي قولك ما جاءني من احد او على لفظ مثقال ذرة او على لفظ ذرة فكان فتح اصغر واكبر مع كونها في موضع الجر لعدم انصرافهما للوزن الفعل والصفة لكان المعنى لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا اصغر شئ من ذلك ولا اكبر في حال من الاحوال الا في حال كونه في كتاب وهو الوحد او علمه تعالى فاما ما في الكتاب من مثقال الذرة وما هو اصغر منه او اكبر فانه يعزب عنه ولا شك ان كون الشئ الذي في الكتاب خارجا عن علم الله تعالى عازبا عنه باطل ومحال فلذلك جعله كلاما برأسه بان جيء به لتقرير ما قبله وجعل لآفاه الجنس واصغر واكبر اسمها فهما مبنيان على القتح على قراءة الجمهور وقرأ حجة ويعقوب برفع راء واصغر واكبر اما عطفاً على محل مثقال ذرة واما على الابتداء ليكون كلاما برأسه ولما ورد ان يقال ان كثيرا من القراء جعلوا قوله تعالى ولا اصغر ولا اكبر على قراءة الجمهور معطوفا على المحرور وجعلوا صورة القتح جر غير المنصرف وجعلوه على قراءة حجة معطوفا على محل الجار والمجرور فهم كيف يتخلصون من لزوم فساد المعنى حينئذ اجاب عنه بقوله ومن عطف جعل الاستثناء منقطعاً والمعنى لا يعزب عنه شئ ولكن جميع الاشياء في كتابه وقال ابو شامة يزول الاشكال بان يقدر قبل قوله الا في كتاب ليس شئ من ذلك اي ليس شئ من ذلك الا في كتاب مبين ثم انه تعالى لما عمم وعده ووعده في حق كافة من اطاع وعصى في الآية السابقة تبعه بشرح اولياته المخلصين فقال الا ان اولياء الله (قوله يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة) اي يتقربون اليه ويتقرب هو تعالى اليهم فان الولي القرب وولي كل شئ هو الذي يكون قريبا منه والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال بل القرب منه انما يكون بطاعته والاستغراق في معرفته بحيث اذا رأى رأى دلائل قدرته واذا سمع سمع آياته واذا نطق نطق بآياته عليه واذا تحرك تحرك في خدمته واذا اجتهد اجتهد في طاعته فهذه الحيثية يكون في غاية القرب منه تعالى ويكون ولياً عز وجل فيكون الله تعالى ولياً له ايضا كما قال الله ولي الذين آمنوا لان القرب لا يكون الا من الجانبين واليه اشار المصنف بقوله يتولونه ويتولاهم والخوف انما يكون من حدوث شئ من المكافاة في المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شئ مما يكرهه في الماضي او من فوت شئ احبه فيه (قوله والآية كجمل) لان قوله اولياته الله عنوان مجمل لم يبين فيه جهة قريبهم من الله تعالى فحق المراد منه وقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون سواء كان

اي شئ ظنهم (يوم القيامة) يحسون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ ملطفاً الماضي لانه كان وفي ايها الوعيد تهديد عظيم (ان الله لا يوفى فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسل الرسول وازال الكتب (ولكن اكثرهم لا يتقون) هذه النعمة (وما تكون في شأن) ولا تكون في امر واصله الهم من شأن شئ اذا قصدت قصدة والضمير في (وما تلوه) لانه تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام اولان القراءة تكون لسان فيكون التقدير من احله ومفعول تلو (من قرآن) على ان من تبعية او من يدة لتأكيد اني اول القرآن واضماره قبل الذكر ثم يساهم تفخيم له والله (ولا تعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما ينسأل الجليل والخبر (الاكثا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليهم (اذ تفيضون فيه) تحضرون فيه وتندفعون (وما يعزب عن ربك) ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الراء هنا وفي ساء (من مثقال ذرة) موازن ثملة صغيرة او هباء (في الارض ولا في السماء) اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حجة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لا متناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (الا ان اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من حقوق مكروه (ولا هم يحزنون) بفوات مأمول والآية كجمل فسر قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون يسان لتولاهم اياه (لهم البشرى في الحياة الدنيا) وهو ما شره المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

ومنهم في الرؤيا الصالحة وما يسخر لهم من
المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزاع (وفي
الآخرة) بتلى الملائكة آياتهم مسلمين مبشرين بالفرز
والكرامة بيان لتوليد لهم وعمل الذين آمنوا النصب
او ارفع على المدح او على وصف الا ولاء او على
الابتداء وخبره لهم البشرى (لا تبديل لكلمات الله)
اي لا تغير لا قوله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة
الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم)
هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق البشريه
وتعظيم شأنه وبس من شرطه ان يقع بعده كلام
يتصل بما قبله (ولا يحزنك قولهم) اشركهم
وتكذبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه
وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى
التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن
بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك
غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصر كعليهم (هو
السميع) لا قوالهم (العليم) بعزائمهم فكيفهم عليها
الا ان الله من في السموات ومن في الارض) من
الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف
الممكنات عبيد الا يصلح احدهم للرؤية فالا يعقل
منها احق ان لا يكون له ندا وشريك فهو كاللدليل
على قوله (وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء) اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسعونها
شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون
ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن)
اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء
وجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بـ يتبع او موصولة
معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى
واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فا
لكم لا تبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يتبعون
الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده
مصرف عن خطا بهم ليسان سندهم ومنشأ رأيهم
(وانهم الا يخرسون) يكذبون فيما ينسبون الى الله
او يحزرون ويقعدون انها شركاء تقدير باطلا
(هو الذى جعل لكم الليل تسكوا فيه والنهار مبصرا)
تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته التوحيد هو بها
ليدلهم على تفرد به باستحقاق العباد وانما قال مبصرا
ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد
والظرف الذى هو سبب (ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا)
اي تتباه (سبحانه) تنزيهه عن التبني فانه لا يصح الامن
يتصور له الولد وتعجب من كلهم الجماء

منسوبا على انه حقة للاولياء او منسوبا على المدح او مرفوعا على الابتداء يفسر ويبين جهة قريتهم منه تعالى
وهي ايمانهم وخوفهم من المقام بين يدي الله تعالى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ما يريد بهم الذين صدقوا
النبي صلى الله عليه وسلم وخافوا مقامهم بين يدي الله تعالى فكان بيان لما اجل اولا والفرق بين كونه تفسيرا
للمراد من اولياء الله وبين كونه بياناً لتوليدهم ربيهم ظاهر لان الاول لا يستلزم الثاني والثاني يستلزم الاول (قوله)
وما يريهم في الرؤيا الصالحة) روى ان عباد بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه البشري
التي ذكرها الله تعالى بقوله لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم ان رؤيا الصالحة يراها الرجل
او ترى له قال الامام اذا جئنا قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى انه لا تحصل
هذه الحالة الا لاولياء الله تعالى والفعل ايضا يدل عليه وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب
وارواح بذكر الله تعالى ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في روحه الا معرفة الله تعالى ومن المعلوم ان
معرفة الله تعالى ونور جلال الله لا يفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الخاطر على احوال هذا العالم
الكدر المظلم فانه اذا نام كذلك فلا يبقى الا جرم خال من ذلك التورفانه لا اعتماد على رؤياه وعنه صلى الله عليه وسلم
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان واذا حل احدكم
حلما يحافه فليعود وليصدق عن شمله ثلاث مرات فانه لا يضره قيل اذا رأى احدكم ما يحزنه فليقل اعوذ
بما عادت به ملائكة الله من شر الراء التي راها ان تصرف في دنياي او في آخرة وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة
التي يبشرها المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فمن رأى شيئا من ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فانما
هي من الشيطان يحزنه بها فليفت عن يساره ثلاث مرات وليسكت ولا يخبر بها احدا (قوله وبشرى الملائكة
عند النزاع) قال تعالى تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا واوبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (قوله وليس
من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بما قبله) جواب عما يقال كل واحدة من الجنتين كيف تكون اعتراضا
والاعتراض انما يكون في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين لافي آخرهما وقد انقطع الكلام عندهما وتقرير
الجواب ان ما ذكر كلام اكثرى لاكملى فانه لا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق
البلج وتسكت وحدث لي حادث والحوادث جمة وتسكت ومن شرط ذلك فهو تذييل لاعتراض (قوله وتهديدهم)
فانه تعالى لما بطل جميع شهادتهم المتعلقة بالاطلاق في النبوة وعدلوا الى طريق آخر في القدح في امره صلى الله عليه
وسلم وهو انهم هددوه وخوفوه بانهم اصحاب اموال واتباع قسمي في قهره وفي ابطال امره اجاب تعالى عن
طريقتهم بقوله ولا يحزنك قولهم (قوله من الملائكة والثقلين) بين بهما لان كلمة من في السموات والارض
مختصة بالانفلاء كانه قيل فمن يعز عليك بكثرة اتباعه وامواله فهو متعز بما ليس له لان الموجودات كلها لله
تعالى فمن استعان بها عليك فقل امره الى الذل والهوان لانه تعالى قادر على ان يسلب منهم تلك الاشياء وينصر ك
عليهم وينفذ اموالهم وديارهم (قوله اي شركاء على الحقيقة) اشارة الى ان مانافيه وشركاء مفعول يتبع
ومفعول يدعون محذوف لانفهامه بمعونة المقام والتقدير ما يتبع الذين يدعون الهة من دون الله شركاء لان شركة
الله تعالى في الربوبية محال فالهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع (قوله ويجوز ان تكون ما استفهامية)
بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوبا بسدعون والمعنى اي شئ يتبع المشركون اي ما يتبعونه ليس
بشيء (قوله وقرئ تدعون) بناء الخطاب من المشركين على ان يحمل وما يتبع على الاستفهام كما صوره من
المعنى (قوله او يحزرون) عطف على يكذبون ويقعدون تفسير يحزرون فان الحزن التقدير يعني ان الخرص
مشترك بين معنيين الحزن والكذب يقال خرص خرسا اي كذب وهو من باب نصر والخرص الكذاب
(قوله وانما قال مبصرا) يعني ان المبصر هو الذي يبصر والنهار لا يبصر بل يبصر فيه وكان الظاهر ان يقال
لتبصروا فيه كافي الليل لتسكنوا فيه فعدل عن هذا الظاهر واستند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره
صائم وليله قائم وتكنة العدول الى الاستناد المجازي ما ذكره من التفرقة فنص على طريقة ما هو مجرد حيث قال
لتسكنوا واستند الابصار الى ما ليس ظرفا مجردا ولم يصرح بظرفيته له تنبيه على انه ليس بظرف مختص بل هو
لكونه ذاتيا سبب لابيصار اسباب المعاش قيل هذه الآية في غاية القصاحة حيث حذف من كل جملة ما ثبت
في الاخرى فانه تعالى ذكر علة جعل الليل مقظما وهي قوله لتسكنوا فيه وحذفها من جعل النهار مبصرا

وذكر صفة انه هاروهى قوله مبصرا وحذفها من الليل لدلالة مبصرا وتقديره عليه هو الذى جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والتهار مبصرا التحركوا فيه فيحصلوا اسباب معاشكم فحذف مظلماً لدلالة مبصرا عليه وحذف التحركوا لدلالة لتسكنوا عليه ويقال انظلم الليل اى صار ذا ظلمة واضاء النهار اى صار ذا ضياء فيكون هذا من باب السب كقولهم لابن وتامر وقوله تعالى عيشة راضية ثم انه تعالى لما باغ في تقرير الدلائل الدالة على تحقيق الحق وابطال الباطل شرع في بيان قصص الانبياء تسلياً للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحيا به فان المصيبة اذا عت خفت وليكون ذلك سبباً لانكسار قلوب الكفار ووقوع الخوف في صدورهم وتعليل ابدانهم وسفاهتهم فانهم اذا سمعوا ان الامم السابقة وان بالغوا في اذى انبيائهم الا انه تعالى قد اعانهم بالآخرة ونصرهم وقهر اعداءهم كان سماعهم سبباً لانكسار شريعتهم وتوهم وتكون هذه القصص من غير زيادة ولا نقصان مع انه لم يعلم علماً ولم يطالع كتاباً يحزنه صلى الله عليه وسلم دالة على انه انما عرفها بالوحي والتنزيل فابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام واذ في قوله اذ قال معمول لنبا لا لقوله اذ لان مقتضى اذ ما مضى والمقام اما اسم المكان فلان اى لاجله وعلى فاعلى الاول يكون كناية عن النفس لان المكان من لوازمها كما يقال فعلت كذا المكان فلان اى لاجله وعلى كونه مصدراً اما ان يراد طول قيامه بينهم او قيامه على الدعوة والتذكير فانه صلى الله عليه وسلم مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً فيحتمل ان يستقلوا ذلك وايضاً ان اولئك الكفار كانوا قد الفوا تلك المذاهب الناسدة من الف طريقة في امر الدين فانه بشغل عليهم ان يدعوا الى خلافها فان اقترن بذلك طول مدة الدعاء كان اقل واشد وذهب ابو البقاء الى ان قوله تعالى فاعلى الله جواب الشرط وقوله فاجعوا عطف على الجواب ويرد عليه انه عليه الصلاة والسلام متوكل على الله دائماً كبر عليهم مقامه اولم يكبر والظاهر ان يقال الجواب محذوف اى فافعلوا ما شئتم والمذكور تعليل لعدم مبالاة بهم او يقال الجواب قوله فاجعوا وقوله فاعلى الله توكلت جسيمة اعتراضية بين الشرط وجوابه وقرأة الجاهل فاجعوا بقطع الهمة من الاجماع وهو العزم يقال اجعت على الامر اذا عزمته عليه فهو يتعدى بعلى الى ان حرف الجر حذف في الآية وواصل الفعل الى المجزوء بنفسه وقيل هو متعدي بنفسه في الاصل واجعت الامر افصح من اجعت عليه وقرأ العامة شركاءكم منصوباً على انه مفعول معه من ضمير الفاعل في فاجعوا وعلى انه معطوف على امركم بحذف المضاف وعن نافع فاجعوا بقطع الهمة ووصل الالف وقبح الميم من جمع يجمع وفيه وجهان الاول ان تقدير فاجعوا ذوى الامر منكم فحذف المضاف واقبح المضاف اليه مقامه ووقع الفعل عليه والثاني ان المراد بالامر ههنا وجود كيدهم ومكرهم والتقدير لا تدعوا من امركم شيئاً الا حضرتموه وقول المصنف او الاجتماع على قصده يلائم الوجه الاول (قوله او ثم لا يكن حالكم عليكم غماً) اى يحتمل ان يكون الامر في قوله امركم عبارة عن معاداتهم اياه وقصدهم اهلا كهوان يكون الامر في الحال وان تكون الغمة بمعنى الغم والانفصال كما نقل عن المبرد انه قال اى فرجوا عن انفسكم ولا تنموا (قوله ادوا الى ذلك الامر) اشارة الى ان منعوا اقضوا محذوف وهو ذلك الامر وقرئ ثم افضوا بقطع الهمة والفساء من افضى فضى اذا انتهى او من افضى اذا خرج الى القضاء والتحرر آى ثم اصحروا به الى واربزوه الى والمعنى على الاول ثم القوا الى ما استقر عليه رأيكم مما في نفوسكم محكما مصرين عليه ثم لا تمهلون ولا تؤخرون وقد نظم بعضهم هذا الكلام على احسن وجهه فقال انه صلى الله عليه وسلم قال في اول الامر فعلى الله توكلت فاني واثق بوعد الله جازم بانه لا يتخلف المعاد فلا تظنوا ان تهديدكم اياي بالقتل والايداء يعنى من الدعاء الى الله تعالى ثم انه عليه الصلاة والسلام اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجعوا امركم كأنه يقول اجعوا كل ما تقدرون عليه من الاشياء التي توجب حصول مطلوبكم ثم يقتصر على ذلك بل امرهم ان يضموا الى انفسهم شركاءهم الذين كانوا يزعمون ان حالهم يقوى بمكانهم وبالتقرب اليهم ثم يقتصر على هذين بل ضم اليهما ثالثاً وهو قوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة واراد ان يبلغوا فيه وان يسعوا في امره غاية السعى حتى يطيب عيشهم كل غاية في المكاشفة والمجاهدة ثم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه رابعاً فقال ثم اقضوا الى والمراد وجهوا كل تلك الشرور الى ثم ضم الى ذلك خامساً فقال ولا تنظرون اى يحلوا ذلك بانتم ما تقدرون عليه من غير انتظار وهذا آخر الكلام ومعلوم ان مثل هذا الكلام يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان قاطعاً بان كيدهم لا يضره ولا يصل اليه وان مكرهم لا ينفذ فيه (قوله فاسألتكم من اجر يوجب توليكم

(هو الغنى) غلة لتزنيده فان اتخاذا الولد مسبباً عن الحاجة (له ما في السموات وما في الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا) فني لغراض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعدكم كأنه قيل ان عندكم في هذا سلطان (اتقولون على الله ما لا تعلمون) توبيخ وتقرير على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد واصداة الشريك اليه (لا يفحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) خبر مبتدأ محذوف اى افتراء وهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر واجباتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتع في الدنيا (ثم انسا مرجعهم) بالمتى فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (وانزل عليهم نأ نوح) خبره مع قوله (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم اعظم عليكم وشق (مقامي) نفسي كقولك فعلت كذا المكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة اوقياي على الدعوة (وتذكيري) اياكم (بايات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجعوا امركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) اى مع شركائكم ويؤيده القرآءة بالرفع عطفاً على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكده للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلا كه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لا يكن امركم) في قصدي (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهراً مكتوماً من غمة اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غماً اذا اهلكتموني وتخلصتم من نقل مقامى وتذكيري (ثم اقضوا) ادوا (الى) ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم او اربزوا الى من افضى اذا خرج الى القضاء (ولا تنظرون) ولا تمهلوني (فان توليتهم) اعرضتم عن تذكيري (فاسألتكم من اجر) يوجب توليكم

لثقله عليكم وإتھامكم إياي لأجله أوفيتني لتوليكم
(إن اجري) ما واني على الدعوة والتذكير (الاعلى
الله) لا تعلق له بكم يثبني به أمتهم أوتوليتهم (وامرت
أن أكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لا أخالف
أمره ولا أرجو غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه
بعد ما ألتزمهم الحجة وبين أن توليتهم لبس الاعتادهم
ومعهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناها)
من الغرق (ومن معه في الفلك) وكانوا ثمانين
(وجعلناهم خلأف) من الهالكين به (وأغرقتنا
الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسليمه (ثم بعنا)
أرسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا إلى قومهم)
كل رسول إلى قومه (فجاءوهم بالبنات) بالمعجزات
الواضحة المثبتة لدعواهم (فكانوا يؤمنوا)
فما استقام لهم أن يؤمنوا لتسدة مكبتهم في الكفر
وخذلان الله إياهم (بما كذبوا به من قبل) أي بسبب
تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل
(كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لأنهم
كهم في الضلال واتباع المألوف وفي أمثال ذلك دليل
على أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد
وقد مر تحقيق ذلك (ثم بعنا من بعدهم) من بعد
هؤلاء الرسل (موسى وهرون إلى فرعون وملاه
بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما
(وكانوا قوماً مجرمين) معادين الأجرام فلذلك
تناهوا برسالة ربهم واجترأوا على ردها (فلما جاءهم
الحق من عندنا) وعرفوه بظواهر المعجزات الباهرة
المزيحة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (أن هذا
لسحر مبين) ظاهراً أنه سحراً وفائق في فنه واضح
فيما بين أخوانه (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم)
أنه لسحر فخذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه
ولا يجوز أن يكون (أسحر هذا) لأنهم بتوا القول
بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم إلا أن يكون
الاستفهام فيه للتقرير والتحكي مفهوم قولهم ويجوز
أن يكون معنى أتقولون الحق تعيونه من قولهم فلان
يخاف المقالة كقوله سمعنا فتا في ذكرهم فستغنى عن
المقول (ولا يفلح الساحرون) من تمام كلام موسى
للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحر لاضطلع
ولم يطل سحر السحرة ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر
لا يسحر أو من تمام قولهم أن جعل أسحر هذا محكيًا
كانهم قالوا أجتنا بالسحر نطلب به الفلاح ولا يفلح
الساحرون (قالوا أجتنا لتلفتنا) لتصرفنا والفت

لأحد أمرين لثقله عليكم أولكونه سبباً لاتهامكم إياي بأن تقولوا إنما يعظنا ويدكرنا طمعاً لنيل الأجر والمال من
قبلنا وقوله فأسألتكم عليه علة لما هو جزاء الشرط أقيت مقام الجزاء والمعنى أن توليتهم فلا باعث يدعوكم إلى التولي
أذ ليس عندى ما يفرمكم عني ويحكمكم على الأعراض عن تذكري (قوله أوفيتني لتوليكم) عطف على قوله
يوجب توليتكم والمعنى حيثما فأتوليتهم فلا يرجع ضرر ذلك التولي على أذ لا منفعة لي من قبلكم أي أذكر قول نوح
عليه الصلاة والسلام أذ قال لقومه كذا وكذا فكذبوه تمردوا وعناداً فصحت عليهم كلمة العذاب فأغروا فنجيناها ومن
استقر معه في الفلك أوفجيناها في هذا المكان فإن انجاءهم وقع في الفلك فعلى هذا يتعلق في الفلك بنجينا وعلى
الأول يتعلق بالاستقرار الذي أطلق به معه (قوله تعالى بالبنات) متعلق بجاءوهم أو بمخدوف على أنه حال
أي ملتبسين بالبنات وما في قوله تعالى بما كذبوا به مصدرية وضمير به الحق والكاف في قوله كذلك بمعنى
مثل صفة مصدر مخدوف أي مثل ذلك الطبع وانحتم المحكم المتع زواله نطبع على قلوب المعتدين على الحد
بأختار الإصرار على الكفر قال الامام أحتج المحبنا بهذه الآية على أنه تعالى قديم المكنف من الإيمان وتقريره
ظاهر ثم نقل القاضي رئيس المعتزلة أن الطبع غير مانع من الإيمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلاً فلو كان هذا الطبع مانعاً لما صح هذا الاستثناء محال تحقيق الكلام في هذا المقام على
ما استقصاه في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (قوله بالآيات التسع) وهي العصا واليد والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وقلق البحر والحق في قوله تعالى فلما جاءهم الحق ظاهراً فيهم مقام ضمير
الآيات المذكورة في قوله بآياتنا وهي الآيات التسع واللام يتنظم قوله أن هذا السحر مبين جواباً لقوله فلما جاءهم
الحق ثم جعل الحق شخصاً جاءهم من عند الله على سبيل الاستعارة المكنية بقرينة استناد المحكي بدليل على غاية ظهوره
بجئت لا يخفى على من له أدنى مسكة فلذلك عطف المفسر قوله وعرفوه على قوله تعالى لأم من قبل موسى وهرون
عليهما الصلاة والسلام فيكون ذلك تفسيراً بما لا دلالة للفظ عليه وتفصيل بالآيات بالحق تعريض بأن صنعهم
تخييل وتمويه فيكون باطلاً بخلاف قلب العصا وقلق البحر وغير ذلك من الآيات فإن ضرورة العقل حاكمة
بأنها است من قبيل التويه فلا يكون سحراً بل يكون حقاً ظاهراً من عند الله تعالى بخلافه وإيجاده (قوله لأنهم
بتوا القول) أي قطعوا بانه سحر ولا يصح منه أن يستفهم ويقول أسحر هذا على أنه مقول أتقولون بل هو مقول قال
موسى أنكر عليهم وألقت القول بانه سحر مبين ثم أنكر ثانياً كونه سحراً من قبيل التويه والتخييل (قوله إلا أن يكون
الاستفهام فيه للتقرير) استثناء من قوله ولا يجوز أن لا يجوز ذلك بكل حال إلا أن يكون الاستفهام فيه لتحقيق
كونه سحراً مينا وقولهم أن صاحب لا يفلح القطع بان السحر تمويه وتخييل باطل لا يظفر به الساحر فكانهم قالوا
أجتنا بالسحر نطلب به الفلاح فلا يفلح الساحرون فيكون المحكي بقوله أتقولون هو مفهوم ما قالوه أفرد موسى
عليه السلام تلك المقالة المفهومة من قولهم وأنكرها وأثبت أن الفلاح لصاحبه حيث جاء به حقاً من عند الله خالصاً
ذكر المصنف في قوله أتقولون الحق لما جاءكم ثلاثة أوجه الأول أن القول فيه على أصل معناه وأن مقوله مخدوف
لدلالة السابق عليه وقول موسى أسحر هذا ابتداء كلام ذكر أنكار الما قالوه وتجهيلاً لهم والثاني أن يكون القول
على معناه أيضاً وتكون الجلالة استفهامية مقولاً له من حيث دلالتها على أنه لا فلاح لمن جاء به والثالث أن يكون القول
كنائية عن المقالة والاطعن فلا يستدعي مقولاً وإن الذكر كناية عنها فلا يستدعي مذكراً كما في قوله سمعنا فتا في ذكرهم
وقوله أسحر هذا استئناف الإنكار والتجهيل (قوله لتصرفنا) يعني أن الفت في اللغة الصرف يقال لفته عن كذا
أي صرفه ولواه عند وقيل لفت الشيء وقتله بمعنى لواه فلهما أخوان ومطاوع لفت أنفت كما أن مطاوع قتل أنقتل وقد
يجعل مطاوع قتل مطاوعاً ولولنا لفت استثناء بمطاوع أحدهما عن مطاوع الآخر واللام في لتلفتنا متعلقة بالمحكي
أي أجتنا لهذا الغرض قالوه أنكر المحيثة صارت إياهم عن دين آبائهم وحاصل كلامهم أنهم قالوا لا نترك الدين الذي
نحن عليه لأننا وجدنا آباءنا عليه لأن مقصود كما من دعوى الرسالة أن يكون لكما الملك والعز في أرض مصر فلا تؤثر
رياستكما على رياسة أنفسنا فلما شوا على أعراضهم عن قبول دعوتهم لهذا الدين الأمرين صرحوا بالحكم المتفرغ
عليهما فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا أن يعارضوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بأنواع من السحر
ليظهر عند الناس أن ما أتى به موسى عليه الصلاة والسلام من باب السحر فيجمع فرعون السحرة وأحضروهم فقال
لهم موسى القوا ما أنتم ملقون فإن قيل كيف أمرهم بالسحر والعمل بالسحر كفر وأمر الكفر كفر فالجواب أنه

صلى الله عليه وسلم امرهم بالقضاء الخيال والمعصي ليطهر الخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعى باطل لانه عليه الصلاة والسلام امرهم بالسحر (قوله اى الذى جثم به هو السحر لا اسماءه فرعون وقومه سحرا) والحصص مستفاد من تعريف الخبر فان تعريفه بلام الجس قد يفيد قصرا الجس على المستد اليه قصرا حقيقيا مطابقا للواقع نحو زيد الامير اذا لم يكن فى الواقع امير سواء اوقصرا غير حقيقى مبنيا على المبالغة فى اتصاف المستد اليه بذلك الجنس نحو عمر والشجاع اى الكامل فى الشجاعة بنى الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة مقصورة عليه لا تتجاوز له عدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال وقوله تعالى ما جثم به السحر من قبيل الاول وكلمة ما فيه بمعنى الذى فى محل الرفع على الابتداء وجثم به صلتة وعائده والسحر خبره عرف لفظ السحر بحرف التعريف وسقطت همزة الوصل حال الدرج (قوله بدل منه) اى من اسم الاستفهام ولذلك اعيد معه اداة الاستفهام فانه قد تقرر فى كتب النحو ان ما وقع بدلا من اسم الاستفهام لا بد ان يعاد فيه اداة تساوى البديل البديل منه فى انه استفهام كما تقول كم مالك أعسرون ام ثلاثون فيجعل أعسرون بدلا من كم ولا يلزم ان يصير للسحر خبر ذلك اذا بدلت من المبتدأ وصار فى موضعه صار خبر المبتدأ خبرا عنه (قوله ويجوز ان ينصب ما الخ) اى ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وجثم به مفسرا لذلك الفعل المقدر فتكون المسئلة حينئذ من باب الاستغفال والتقدير اى متى انتم جثم به والسحر على ما تقدم ولو قرئ ينصب السحر على انه بدل من ما بهذا التقدير لكان له وجه لكن لم تغل القراءة به واعلم انك اذا جعلت ما موصولة بمعنى الذى امتنع نصبها بفعل مقدر على الاستغفال لان ما بعدها صلة والصلة كما لا تعمل فى الموصول لا تكون تفسيرا لما هو العامل فيه فخلص من هذا انها اذا كانت استفهامية جاز ان تكون فى محل رفع او نصب واذا كانت موصولة تعين ان تكون فى محل الرفع بالابتداء (قوله فما آمن لموسى فى مبدأ امره) ولعله اخذ التقيد المذكور من فاء التعقيب فانها تدل على ان السحرة لما ألقوا بحالهم وعصيتهم وعارضهم موسى عليه الصلاة والسلام قولاً لم يأت آخر ايمان الذرية عنه بل وقع عقيب فاء الفاء تفيد ذلك ثم انه لما تقدم ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون اختلف فى مرجع ضمير قومه فاختر المصنف كونه راجعا الى موسى لكونه اقرب مذكور ولانه لورجع الى فرعون لكان حق التركيب ان يقال على خوف منه بدل على خوف من فرعون واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وغيره قالوا المراد مؤذون بنى اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه وقالوا لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لجملة على التحقير والاهانة ههنا فوجب حمله على التصغير بمعنى قلة العدد وحادثة السن وقيل ضمير قومه يعود على فرعون ويضعف عوده على موسى لان المعروف من اخبار بنى اسرائيل انه قد فتت فيهم انواع الذل والقهر بسبب استيلاء فرعون عليهم وكانوا يرجون ان يكشف الله تعالى عنهم ما هم فيه من انواع التسلط بد بطهور المولود الذى يخاف فرعون من ظهوره ومن زوال ملكه بسببه فلما جاءهم عليه الصلاة والسلام اتفقوا على اتباعه والايمان به ولم يتخلف قط الا طائفة من بنى اسرائيل كفرت بموسى عليه الصلاة والسلام فيبعدان يقال معنى الآية فما آمن لموسى الا ذرية قليلة من بنى اسرائيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى عنه انه قال هم ناس يسر من قوم فرعون آمنوا بموسى منهم امرأة فرعون ومؤمن من آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وامرأة ماضطة (قوله تعالى على خوف) حال اى آمنوا كائنين على خوف اومع خوف (قوله وجهه على ما هو المعتاد فى ضمير العتلاء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر والاذرية اول القوم) ان يفتنهم ان يعد بهم فرعون وهو بدل منه اومفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملائكة كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن السرفين) فى الكبر والعنوت حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

(عاجدا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبيراء فى الارض) الملاك فيها سمي لها لانصاف الملائكة بالكبراء والتكبر على الناس باستتاعهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جثم به (وقال فرعون اشئنى بكل ساحر) وقرأ حزة والكسائي بكل سحار (عليه) حاذق فيده (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جثم به السحر) اى الذى جثم به هو السحر لا اسماءه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجثم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره هو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى متى انتم (ان الله سيطلع) سيعظه (سيعظه) سيعظه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبت ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وقويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) باوامره وقضائه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى مبدأ امره (الاذرية من قومه) الاولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به اومؤمن من آل فرعون وامرأة آسية وخازنه وزوجته وما شطته (على خوف من فرعون وملائمهم) اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجهه على ما هو المعتاد فى ضمير العتلاء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر والاذرية اول القوم (ان يفتنهم) ان يعد بهم فرعون وهو بدل منه اومفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملائكة كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن السرفين) فى الكبر والعنوت حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

(وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه مقتضى له والمشرط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط وتفسيره ان دعائهم فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجبت دعوتهم (ربنا لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولاً لتجابت دعوته (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوأ) ان اتخذا مباءة (لقومكهما بمصريوتا) يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة (واجعلوا) اتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى يصلى اليها (واقبوا الصلاة) فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما نئى الضمير والاولان التوءم للقوم واتخاذ المعاهد مما يتعاطاه رؤس القوم بشناور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة) ما يزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (واموالا في الحياة الدنيا) وانواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآيتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر امتد راج وتشت على الضلال ولا نهم لما جعلوها سبباً للضللال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكبر بالاول تأكيد او تنبيه على ان المقصود عرض ضلالا تهم وكفرا بهم فقدم لقوله

(قوله وليس غذا من تعليق الحكم بشرطين) فان الآية وان اعتبر فيها شرطان مختلفان وهما الايمان بالله والاسلام فان الايمان بالله عبارة عن التصديق بانه واجب الوجود لذاته واحد وان جميع ماسواه محدث مخلوق مقهور تحت مشيئته وتصرفه والاسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد للتكاليف الصادرة من الله تعالى واطهار الخسوع وترك الفرد ولاشك انهما امران مختلفان الا ان المعلق على هذين الشرطين حكم واحد من وجه واحد وهو وجوب التوكل والالزم ان لا يجب التوكل بمجرد الايمان بالله تعالى لان المشرط لا يحصل الا عند تحقق شرطه والشرط اذا كان امورا متعددة لا يحكم بتحقيقه الا اذا تحقق جميع اجزائه فان قال المتأرجح ان كان المكلف زانياً محصناً فارجوه لا يجب الرجوع الا عند تحقق مجموع الامرين فكذا في هذه الآية لو علق وجوب التوكل على مجموع الايمان بالله تعالى والاسلام للزم ان لا يجب التوكل الا عند تكامل الشرط بجميع اجزائه وليس كذلك بل هناك حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة علق وجوب التوكل على الايمان بالله وحصول التوكل على الاسلام وهوان يسلموا نفوسهم لله تعالى اى يجعلوها سائمة خالصة لا حظ للشيطان فيهما فان لم يظلم وجهه لله تعالى بان جعل للشیطان مدخلا فيحصل له التوكل وهو تفويض الامر بالكلية الى الله تعالى والاعتماد على كل الاحوال على الله تعالى وانما قال فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لان الاول يفيد الحصر حيث يدل عليه ان موسى عاينه الصلاة والسلام امر قومه بالتوكل عليه ونهاهم عن التوكل على غيره تعالى والمراد في هذا المقام هو التوكل على هذا الوجه لانه الذى يقتضيه الايمان بالله فان من اعتقد ان كل ماسوى الله تعالى ملكه ومقهور تحت تصرفه وتسخيره امتنع ان يتوكل على غيره وقد مر ان نوحا عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالتوكل على هذا الوجه حيث قال فعلى الله توكلت وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام ثم تعالى بين ان موسى عليه الصلاة والسلام لما امر بذلك قومه قبلوه فقالوا على الله توكلنا لتحقيق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله تعالى مخلصين انفسهم له تعالى (قوله موضع فتنة) لهم اى موضع عذاب لهم بان تسلطهم علينا فيعذبونا وقيل المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو تسلطتهم علينا لوقع في قلوبهم ان لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا فيصير ذلك شهادة قوية في اصرارهم على كفرهم فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم وانك لو سلطتهم علينا لاستوجبوا العذاب الشديد في الآخرة وذلك يكون لهم فتنة (قوله ان اتخذا مباءة) في الصحاح المباءة منزل القوم في كل موضع يقال تبوأ منزل اى نزلته وبوأ للرجل منزلاً وبوأه منزلاً يعنى هياًته ومكنت له فيه وكذا أن فيه يجوز ان تكون مفسرة لانه قد تقدمها ما هو معنى القول والايحاء ويجوز ان تكون مصدرية فيكون ان تبوأ في موضع النصب باوحينا مفعولاً به اى اوحينا اليهما انتبوه وهو التزول والرجوع يقال تبوأ المكان اذا اتخذ مباءة ومنزلاً والمعنى اجعلوا بمصريوتا من بيوتهم مباءة لقومكهما ومرجعاً ترجعون اليه للعبادة والصلاة فيد (قوله امر وابدلك) اى بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكثرة لئلا يظهر واعليهم فيؤذوهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ في اظهار المعجزات وتقرير الدلائل والبيات ورأى القوم مصرين على الجحود والعناد دعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اول اسباب جرمه وكان جرمهم حب الدنيا وزينتها فلذلك تركوا الدين وعاندوا من يدعو اليه فلذلك ابتدأ عليه الصلاة والسلام في دعائه عليهم بقوله ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة واموالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان لهم من بناء فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزرجد وياقوت وقرأ حاصم وجزء والكسائي ليضلوا بضم الياء والباقون بفتح الباء وذكر في هذه اللام ثلاثة اوجه الاول ان تكون لامر النسائب بمعنى الدعاء عليهم كانه قيل ليشبوا على ما هم عليه من الضلال والاضلال وليكونوا ضلالاً مضميناً ودعاهم عليه بذلك بعد ما عرض عليهم آيات الله وبيانه مكرراً وردد عليهم النصائح والموعظ زماناً طويلاً وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضللال ورأى ان لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الاستكبار وعلى النصيحة الابعدا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا ينجى منهم الا الغنى والضللال وان ايمانهم كالأمر المحال فاستد غضبه عليهم واقرط مقلته وكرهته لخالهم فدعا الله تعالى عليهم بما علم انه لا يكون غير ذلك ليشهد عليهم بانه لم يسبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا او يخذل بينهم وبين ضلالهم والوجه الثانى ان تكون لام الصيرورة والعاقبة كما في قوله - لدوا للموت وابنوا للخراب - فلما كان عاقبة قوم موسى عليه الصلاة والسلام

هو الضلال وقد اعلم الله تعالى ذلك عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ والوجه الثالث ان لا تكون لام التعليل حقيقة بل مجازا لا جرم كان الله تعالى آتاهم ذلك ليؤمنوا ويسكروا نعمته فتوسلوا به الى مزيد البغي والكفر شبهت هذه الحالة بحال من اعطى المال لاجل الاضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المسابغة وابتداء النعمة على الكفر والاضلال استندارج وثبتت عليه فيكون الايحاء لاجل التثبيت على الضلال ومعللا به وعلى التقدير تكون اللام متعلقة بالآية ولا تكون للدعاء فيكون لفظ ربنا تكريرا للاول مقدمة واعلم ان الاشاعة استدلووا بهذه الآية على انه تعالى يضلل الناس ويريد اضلالهم من وجهين الاول ان اللام في قوله تعالى ليضلوا لام التعليل والمعنى انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا وهذا صريح في انه تعالى يريد اضلالهم والثاني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دعا بقوله واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا قال قد اجيب دعوتكما ولو لانه تعالى يريد ذلك لمن يشاء لما حسن من موسى عليه الصلاة والسلام ان يسأل ويقول اقس قلوبهم واطع عليها حتى تكون قاسية ولا تلين ولا تنشرح للايمان ولما قال تعالى قد اجيب دعوتكما وقالت المعرلة في جواب الاشاعة لا يجوز ان يكون المراد من الآية ما ذكر لانه تعالى منزعه عن فعل القبايح وارادة الكفر قبيحة فوجب ان لا تكون اللام فيه للتعليل بل تكون لام العاقبة فان عاقبة قوم موسى لما كانت هي الضلال عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ على سبيل الاستعارة التبعية او تكون لام الدعاء وفيه مراعاة التمام الكلام لا يراد الادعية مسوقة على نسق واحد (قوله والطمس الحق) وهو المحو والابطال قال اكثر المفسرين في قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اي امسخها وغيرها عن هيئتها لانهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وانما امرهم بان يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قد بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير وصارت كنوزهم حجارة (قوله جواب للدعاء) يعني انه في محل النصب على انه جواب اطمس واشدد وفي محل الجرم على انه دعاء في صورة النهي كقوله

فلا ينسبط من بين عينيك ما تزوي > ولا تلقني الا وانفك راغم

او في محل النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون ما يمتنعها اعتراضا وقوله حتى يروا العذاب اي يروا ذلك ويحتمل ان يكون غاية ثني ايمانهم اي الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس ولم يقبل قرأ العامة ولا تتبعان بتشديد التاء والنون وقرئ بتحفيف النون مكسورة مع تشديد التاء وقرئ بتحفيف التاء من تبعه اذ الحق وادركه يقال تبعته اذا تبعته اي مشيت من بعده حتى لحقته (قوله حتى بالغوا السط) فيتمدى الى الباء الى المفعول الاول وهو الذي كان فاعلا في الاصل والى المفعول الثاني بنفسه كاهو عليه فيقال جاوزنا بني اسرائيل البحر وعبر المصنف عن هذه التعددية وفسرها بقوله جاوزناهم في بحر اي هديناهم فيه على ان التضعيف فيه للتعددية والتجوز بهذا المعنى يتعدى الى المنعول الاول بنفسه لا بالياء ويتعدى الى المفعول الثاني في فن قرأها وجوزنا بني اسرائيل البحر لا يجعل التضعيف فيه للتعددية ويجعل جوز بمعنى جاوز واجاز فانهما يتعديان الى مفعول واحد ولا يتعديان الى ما هو اكثر من واحد الا بالياء الداخلة على فاعل مافي الاصل واليد اشار المصنف بقوله وهو من فعل المراد في لفاعل اي ليس من جوز الذي يتعدى الى المفعول الاول بنفسه والى الثاني بكلمة في (قوله وعادين) على ان يكون بغيا وعد وامصدرين في موضع الحال ويجوز ان تنصب على انها مفعولان من اجلها اي من اجل البغي والعدو (قوله على اعتبار القول) والتقدير قال آمنت فقال انه فيكون هذا القول مفسرا واطلا في الاستشاف على البدل مبني على جعل ان معمول لثمل عامل البدل منه ولو جعل كونه ابتداء كلام واستشاف اخبار بذلك علة مستقلة لكسر ان وكونه بدلا من آمنت علة اخرى لكان اظهر وافيد (قوله فشك عن الايمان) اي عدل واعرض عنه وان بقاء التكليف والاختيار وبالغ فيه حين لا يفيد حرصا على القبول حيث كرر المعنى الواحد ثلاث مرات ببلاب عبارات حيث قال اولا آمنت وقال ثانيا انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وقال ثالثا واما من المسلمين وكانت المرة الثانية كافية حين بقاء التكليف والاختيار جاء في الاخبار عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال غار النيل على عهد فرعون فاتاه اهل مملكته فقالوا ايها الملك اجر لنا النيل فقال اتي لست براض عنكم حتى قال ذلك ثلاث مرات فذهبوا فاتوه فقالوا ايها الملك ماتت البهائم وهلك الصبيان والايبكار فان لم تجر لنا النيل اتخذنا الهاء غيرك

(ربنا اطمس على اموالهم) اي اهلكها واطمس المحق وقرئ واطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) اي واقسها واطمع عليها حتى لا تنشرح للايمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء او دعاء بلفظ انتهى او عطف على ليضلوا وما يمتنعها دعاء معترض (قال قد اجيب دعوتكما) يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن (فاستقيا) فاثبتنا على ايماننا عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستجلا فان ما طلعتا كائن ولكن في وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعاونون) طريق الجهالة في الاستبحال او عدم الوثوق والاطمئنان يوعد الله وعن ابن عامر رواية ان ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لاتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) اي جاوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافطين لهم وقرئ جاوزنا وهو من فعل المراد في لفاعل كضعف وضاعف (فاتبعهم) قادركهم يقال تبعته حتى اتبعته (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) باغين وعادين اولبغى والعد وقرئ وعدوا (حتى اذا دركه العرق) لحقه (قال آمنت انه) اي بانه (لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين) وقرأ جزء والكسائي انه بالكسر على اعتبار القول او الاستشاف بدلا وتفسير الآمنت فتكب عن الايمان او ان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل (الآن) آتو من الآن وقد ايسر من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان

(فاليوم نخفيك) نعيذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجيك طاقيا اولئك على نجوة من الارض ليركبنوا اسرائيل وقرأ يعقوب نخفيك من انجي وقرئ نخفيك بالخاء اي نلتك بناحية الساحل (يبدك) في موضع الحال اي يبدك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عربانا من غير لباس او بدر عك وكانت له دروع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدالك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدر وعك كانه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءه علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من غضنه ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بفرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل اولي يأتي

(٢٩)

بعدك من القرون اذ اسمعوا مال امرك مم شادك عبرة ونكالا عن الطغيان اوجه تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان ازبوية وقرئ لمن خلفك اي لخلفك آية اي كسائر الايات فان افراد هابك باللقاء الى الساحل دليل على انه تهمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا يحتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا الغافلون) لا يتذكرون فيها ولا يعتبرون بها (ولقد بؤنا) انزلنا (في اسرائيل ميوأ صدق) منزلا صالحا مرسيا وهو الشام ومصر (وزرقاهم من الطيبات) من اللذات (هاختلفوا حتى جاءهم العلم) فاختلغوا في امر دينهم الامن بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا احكامها اوفي امر محمد صلى الله عليه وسلم الامن بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر مجراته (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) في غير الحق من المطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت في شك مما انزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه يحقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما لقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها ووصف اهل الكتاب بالسوء في العلم بسخة ما نزل اليه اوتيه يبيع الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبته لا يمكن وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا شك ولا سأل وقيل الخطاب للذي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او كل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبيك اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالفته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة (فلا تكون من الممترين) بالزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين (ولا تكون من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين) ايضا من باب التهيج والتثيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكون ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبت عليهم (كلمة ربك) بانهم يعوتون على الكفر ويخلدون في العذاب (لا يؤمنون) اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه

فقال لهم اخرجوا الى الصعيد فخرجوا ففخني عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه وألصق خدبه بالارض واستار بالسبابة وقال اللهم اني خرجت اليك خروجا العبد الذليل الى سيده واني اعلم انه لا يقدر احد على اجرائه غيرك فأجره قال جري النيل جريافاتهم فقال لهم اني اجريت لكم النيل قال فخرنا له سجدا فرض له جبريل فقال ايها الملك ان عددا ملكته عبيدي واعطيتهم مفااتيخ خراشي وعاداتي واحب من عادته وعادتي من احبته فقال له فرعون لو كان لي ذلك العبد لفرقت في بحر القارم فقال له جبريل عليه السلام ايها الملك اكتب لي بذلك كتابا قال فدعا عبدا واه وقلم وقرملا فكتب فرعون في عود فيقول ابو العباس الوليد بن مصعب حرأ العبد الخارج على سيده الكافر اعداه ان يغرق في البحر فلما ابلجته الفرق اولاه جبريل خنه فرفقه فقال جبريل هذا ما حكمت به على نفسك (قوله اولئك على نجوة من الارض) النجوة المكان المرتفع الذي تظن انه نجاؤك من السيل والبلاء في يديك للسباحة كما في قولك خرج زيد بعشيرة واشترى الفرس بسرجه وهذه البلاء تصليح ان تكون مع مدخولها في محل الحال فاراد المصنف ان يبين كونه ميتا لهيئة المفعول فقال عاريا عن الروح او بدنا سويا لم ينقص منه شيء ثلاثي شبهة في انه يبدك او بدن غيرك الى اخر ما قال والعرب تطلق البدن على الدرع قال ابو الليث البدن الدرع الذي يكون قصير الكمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عليه درع من ذهب فاخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف انه هوروي ان في اسرائيل قالوا امامات فرعون ولا يعوت ابدا ولم يصدقوا بفرقه فالفاه البحر بامر الله تعالى الى الساحل فعاينوه وايقنوا بعوته وقرئ يا بديك جعسا اما على ارادة الدرع لانه كان يلبس كثير امثها خوفا على نفسه او على جعل كل جزء من بدنه بدنا كما يقال شابت مفارقة ووقع باجرامه مع ان الفرق واحد والجزم واحد (قوله وقرئ لمن خلفك) بالقاف فعلا ما ضيا وقرئ لمن خلفك بالقاف واللام اي لمن خلفك من الجارية اي ليتعضوا ببدنك وذكر في كونه آية ثلاثة وجوه كونه آية دالة على كونه مملوكا مقهورا او كونه آية اعتبارا اي لمن خلفك ولن كان على الطغيان وكونه آية دالة على كمال قدرة الله تعالى لانه اغرقه مع جميع قومه وما اخرج من الجميع في قعر البحر الاياه فتخصيصه دليل واضح على ذلك وذكر الوجه الثالث في قرأه لمن خلفك بالقاف ثم قال وهذا الوجه ايضا يحتمل على المشهور وهو ان يقرأ لمن خلفك بالقاف (قوله منزلا صالحا مرسيا) اشارة الى ان ميوأ اسم مكان ووصف بالصدق مدحا لهم اي اسكناهم مكانا محمودا فان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصديق تقول رجل صدق قال تعالى رب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق قيل كان قوم موسى عليه الصلاة والسلام على دلة واحدة ومقالة واحدة ثم تشبوا واختلفوا في امور كثيرة من امور دينهم قبل البعثة طلبا للرياسة ونفعا من بعضهم على بعض حتى اداهم ذلك الى القتال تعسفا في التأويل وتعصبا للمذاهب وما وقع هذا الاختلاف والشعب الامن بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا ما هو الحق في امر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه فالمراد من في اسرائيل هم الذين نجوا من فرعون وما تناسل منهم فانه تعالى اورثهم جميع ما كان تحت ايدي قوم فرعون من الناطق والصامت والحرب والسل وقيل المراد من في اسرائيل هم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو اقينقاع انزلهم الله تعالى ميوأ الصدق ما بين المدينة والشام من ارض يثرب ورزقهم من الطيبات من النخل وما فيها من الرطب والتمر الذي لا يوجد مثله في البلاد فاختلغوا في تصديقه وانه نبي حق الا من بعد ما جاءهم العلم والنبات بانه صلى الله عليه وسلم النبي المبعوث في الكتب الالهية قال تعالى الذين آتاهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالعلم القرآن العظيم وسمى القرآن علما لكونه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسبب محاذ مشهور وقال الفراء العلم ههنا بمعنى العلوم والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان معلوما عندهم بنعته فانه صلى الله عليه وسلم اختلغوا في تصديقه فكفر به اكثرهم (قوله على سبيل الفرض والتقدير) اي فان كنت في شك فافعل كذا وكذا قضية شرعية فلا اشعار فيها بالثبوت بان الشرط وقع من الخطاب ولم يقع ولا بان الجزاء وقع ولم يقع بل ليس هناك الا بيان ان ماهية ذلك الشرط مستلزمية لماهية ذلك الجزاء فقط (قوله وقيل الخطاب للذي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او كل واحد) وتخصيص الخطاب لفرض تحقق الشرط فيه مبنى على كونه امير امته فان عادة السلطان الكبير اذا كان له امير وكان تحت رأي ذلك الامير ججع فاراد السلطان ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجه ذلك الخطاب الى

(ولولجاءتهم كل آية) فان السبب الاصل لايانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود (حتى يروا العذاب الاليم) وحيث لا ينفهم كالا ينفهم فرعون (فلولا كانت قرية آمنت)
 فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاناة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون (فنفخها بامانها) بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها
 (الا قوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) اول مارأوا اماراة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كسفناعتهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) ويجوز ان تكون
 الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهل القرى العاصية فنفخهم

(٣٠)

ايانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل
 (ومتناهى الى حين) احوالهم روى ان يونس عليه
 السلام بعث الى بنيوى من الموصل فكذبوه واصروا
 عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين
 وقيل الى اربعين فادانوا الموعد فنامت السماء عيما سودا
 داد من شديده فهدط حتى غشي مديةتهم فها بوا
 وطلبوا يونس فلم يجدوه فافقتوا صدقه فلبسوا
 المسوح ورزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
 وصبايهم ودواهم وفرقوا بين كل والدته وولدها
 ففص بعضنا الى بعض وعلت الاحصوات والعجج
 واحلصوا التوبة وظهروا الايمان ونضروا الى
 الله فرحهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم
 الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم)
 بحيث لا يشد منهم احد (جميعا) محتجين على الايمان
 لا يختلقون فيه وهو دليل على القدرة في انه تعالى
 لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لاحالة
 والتقييد بمسئلة الاجلاء خلاف الطاهر (أخانت تكره
 الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين)
 وترتيب الاكرام على التمسك بالقاء وابلأها حرف
 الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة
 على ان خلاف المسئلة مستحيل فلا يمكنه تحصيله
 بالاكرام عليه فضلا عن الحث والعريض عليه
 اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديدا
 الا انما به فزالت ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس
 ان تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته واطلاقه
 وتوقيفه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله
 (ويجعل الرجس) العذاب او الخذلان فانه سببه
 وقرئ بالزاي وقرأوا بكر ونجعل بالنون (على الذين
 لا يهتدون) لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات
 ولا يهتدون لدلالة واحكامه لما على قلوبهم من الطبع
 ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) ما تفكروا (ماذا
 في السموات والارض) من عجائب صنعته ليلكم على
 وحدته وكآله قدرته وماذا ان جعلت استفهامية
 علقت انظروا عن العمل (وما نفسي الايات والذر
 عن قوم لا يؤمنون) في علم الله وحكمه وما باخافية
 او استفهامية في موضع النصب

ذلك الامر الذي جعله اميرا عليهم ليكون ذلك اقوى تأثيرا في قلوبهم لما قرع الله تعالى من قصة نوح عليه
 الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام شرع في القصة الثالثة وهي قصة يونس عليه الصلاة والسلام وان
 قومه آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وهو ما دل عليه قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت ووجه انصالتها
 عاقلها ان قوله ان الذين حققت عليهم كذرك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية يد على ان من الكفار فرياقضى الله
 عليهم ان يمتروا على الكفر فهم لا يؤمنون السنة فاتبعه بيان ان من الكفار فريقا آخر حتم لهم بالايمان فان قيل انه
 تعالى حكى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم تقبل توبته وعن قوم يونس عليه السلام انهم تابوا وعلت
 توبتهم فالفرق والجواب ان فرعون اثم تاب بعد ان شاهد العذاب وقوم يونس تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب
 والمصنف اشار الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اول مارأوا اماراة العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب فظهر
 الفرق (قوله فهلا كانت) اشارة الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اول مارأوا العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا
 لان اولاهنا تحضيضة وفيه معنى التوبيخ كافي قول الفرزدق

تمدون عقر النيب افضل محكم * بنى ضو طرى لولا الكهني المقتنع

وفي مصحف ابن سعد الله فهلا وبه قرئ وهي نص في انها التحضيض وقيل ان لولا تأتي بمعنى ما الناهية في مواضع
 منها ما في هذه الآية وتقديرها فاكات قرية آمنت فنفخها ايمانها الا قوم يونس وهو من حيث اللفظ استثناء
 منقطع لان ما بعد الاوهو قوم يونس ليس بداخل في جنس ما قبلها وهي القرية وبحسب المعنى متصل لان المعنى
 ما آمن من اهل القرى الا قوم يونس وظاهر عبارة المصنف يدل على ان الصحيح لكونه متصلا بكون الكلام
 في معنى النفي وليس كذلك بل الموسوع له كونه اطلاق القرى واريد بها اهلها على اطلاق اسم المحل على الحال
 والا فانه يكون الاستثناء منقطع كما اشار اليه بقوله لكن قوم يونس لما آمنوا في وقت قول الايمان كسفناعتهم
 عنهم بعد قوله فهلا كانت قرية آمنت فنفخها ايمانها والتحقق ان كلمة لولا اذا كانت حرف تحضيض او كانت
 بمعنى ما التافية يكون المراد من القرى اهلها لان التحضيض انما يكون للاهل لانفس القرية ولانه قد اسند
 الايمان اليها والايمان لا يسند الى نفس القرية بل الى اهلها والمصنف قطع بكون الاستثناء منقطعاً باعتبار كون
 الجملة مسوقة الى التحضيض وقطع بكونه متصلا باعتبار كونها في معنى النفي فان التحضيض لما كان فيه معنى
 النفي كان في قوة قوله ما آمن المحضضون ولم يؤمنوا لان حرف التحضيض اذا دخل على الفعل الماضي يكون
 للتوبيخ على ترك الفعل فان اعتبر معنى النفي كان الاستثناء متصلا لاحالة لان المراد حيثئذ ان اهل القرى
 ما آمنوا الا قوم يونس فانهم آمنوا واما ان اعتبر التحضيض لم يكن الاستثناء متصلا لان من شأن الاستثناء
 المتصل ان يجوز نفي ما استثنى عن المستثنى منه ولو قلت لولا آمنوا الا قوم يونس ليسوا بما لم يؤمنوا او ما آمنوا
 لم يكن كلاما مستغنيا بخلاف ما اذا جعل الاستثناء منقطعاً فالك اذا قلت لكن قوم يونس آمنوا وانتفعوا بايمانهم
 استقام الكلام وانما قال المصنف في معنى النفي لان المراد من القرى اهلها بلفظ الجمع مع ان المذكور في الآية
 لفظ قرية لا يها مكرة في سياق النفي فتفيد العموم وكان في الآية تامة وآمنت صفة لقرية وقوله فنفخها معطوف
 على آمنت (قوله ويؤيده قراءة الرفع) على جعله بدلا من قرية وجه التأيد ان ابدال المستثنى من المستثنى
 منه انما يجوز في كلام غير موجب ولا يجوز الا ابدال في مثل جاءني القوم الا زيد لان المبدل في حكم الساقط
 فيكون تقدير الكلام جاءني الا زيد وهو يستلزم ان يجيء جميع العالم اليه الا زيد وهو محال (قوله وهو دليل
 على المقدرية) القائلين بانه تعالى يريد ايمان الكافر وطاعة العاصي لكن الكافر والمعاصي انما يكفرو ويعصى بقدرته
 نفسه وارادته ووجه الاستدلال ان الآية صريح في انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معنى الآية انه لو شاء ايمان
 الكل لا من الكل وكذا لو الامتناعية في الآية صريح في انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معناها انتفاء الشيء لا انتفاء
 غيره فدل على ان ما في حيز لوم مختلف فلا يريد ايمان الكل ولما الجاني والمقاضي وغيرهما من المعتزلة عما يرد على
 مذهبهم بان المراد بالمتينة مسلبة الاجزاء اي لو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان لقد ر عليه ولجميع ذلك منه ولكنهم ما قبل
 ذلك لان الايمان الصادق من العبد على سبيل الاجلاء لا يتفعه ولا بقيد فائدة ثم قال الجاني ومعنى الجاء الله تعالى
 اياهم الى ذلك ان يعرفهم اضطرار لانهم لو خافوا لو اتوا الايمان لحال الله بينهم وبين ذلك وعنده هذا لا بد وان فعلوا
 ما الجئوا اليه كما ان من علم من الله لو حاول فعل امر منع من فعله وتركه قهرا لم يكن تركه لذلك السبيل سلبا

(فَيُحِلُّ يَتَنَفَّرُونَ الْأَمْثِلَ يَأْمُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) مثل وقائلهم من نزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لو فاعلها (قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين) لذلك او فانتظروا واهلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم (ثم نجي رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الامثلة الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم نجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا نجي المؤمنين) كذلك الانتباه والنجاء كذلك نجي محمدا وصعب حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونسبه بفعله المقدور وقيل بدل من كذلك (قل يا ايها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته (فلااعد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبدوا الله الذي يتوفاكم) فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعر ضوها على العقل الصرف وانظر وافيهما عين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجودكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذکر للتهديد (وامر ان اكون من المؤمنين) بمبادل عليه العقل ونطقه به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرود مع ان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخيرا فاعل ما امرت به * فقد تركت ذامال وذانرب (وان اقم وجهك للدين) عطف على ان اكون غير ان صلاته ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامر بالاستقامة في الدين والاستعداد فيه باداء الفرائض والانتباه عن القبايح او في الصلاة باستقبال القبلة (حقيقا) حال من الدين والوجه (ولا تكون من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته او خذلت (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الخاملين) جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعه الدعاء (وان بمسك الله بصرى) وان يصيبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الاهو) الا الله (وان يدرك بخير فلا راد) فلا دافع (لفضله) الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والس مع الضرر مع تلازم الامر من التنبه على ان الخير مراد بالذات وان الضرر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتمضوا رجته بالطاعة ولا تبا سوا من غفرانه بالمعصية (قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمثابرة (فانما يهدي نفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وما انا عليكم بوكيل) بحفظ موكل الى امركم وانما انا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل اذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة او بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين)

(٢١)

لاستحقاق المدح والثواب فكذا ههنا تفسير الآية على طريق اهل السنة انه تعالى اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته قتال ولوشاء ربك لا من من في الارض كلهم جميعا ولكن شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان وساء ان من علم منه انه يختار الكفر لا يؤمن به فقد اخبر الله تعالى بتفاد مشيئته في جميع خلقه (قوله من المطرود مع ان) اي بالاعتبار الاول مطرود وبالا اعتبار الثاني غير مطرود فيمكن ان يجعل حذف حرف الجر فيه مبنيا على كل واحدة من القاعدتين (قوله ولا فرق بينهما) بين ان يكون صلة ان خبريا او طلبيا وهو جواب عن الاشكال الذي اورده الزنخشري على كون وان اقم معنوفيا على ان اكون وهو ان في قوله وان اقم وجهك اما ان تكون مفسرة او موصولة كالاولى ولا سيل الى شيء منهما اما الى الاول فلان الاولى مع صلتها ما موربها فلو كانت المفسرة عطفًا عليها لكانت ايضا ما موربها والمأوربه لا يكون تفسير الامر وايضا هي مع صلتها منعول والمفسرة لاتقع مفعولا وايضا يلزم تقدير حرف الجر فيها كما في الموصولة واما الى الثاني فلان الصلة يجب ان تكون خبريا كما في الموصول الاسمي وهو التي واخواتها ويسمى نحو وان وما المصدريتين وان المشبهة وكى موصولا حرفيا لكونها مع الجملة التي بعدها في تأويل المفرد فاذا وقع في التركيب يكون له محل من الاعراب وتلك الجملة تسمى صلة في تقدير الكلام والجواب ان سبويه جوز ان تكون الصلة امرا ونهيا لان الوصل بالماضي والمضارع انما يجوز لدلته على المصدر فيجوز الوصل بالامر والنهي لدلتهما ايضا على المصدر وانما وجب في الموصول الاسمي ان تكون صلتها خبرية لان وضعه الي وصل بها الى وصف المعارف بالجل والجل لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية والموصول الحرفي ليس كذلك فلا يجب ان تكون صلتها خبرية (قوله والمعنى وامر بالاستقامة في الدين) لما تقرر ان مصدرية معروفة على ان اكون وانها مع صلتها ما موربها وفيه اشارة الى ان اقامة الوجد للدين كتابة عن توحيد النفس بالكلية الى عبادة الله تعالى والاعراض عما سواه فان من اراد ان ينظر الى شيء نظرا بالاستقامة او بالا استقبال فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث لا يلتفت يمينا ولا شمالا فانه لو التفت الى جهة بطلت تلك المقابلة واختل النظر المراد ولذلك كنى باقامة الوجه عن صرف الفعل بالكلية الى الدين وقيل المعنى اقم وجهك في الصلاة نحو المقابلة وقوله حنيفا حال من الدين او من الوجد اي في حال كونه مستقيما لا اعوجاج فيه بوجه ما وفي حال كونك مثالا اليه ميلا كايام معرضا عما سواه اعراضا كايام فقوله امرت ان اكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل اصل الايمان وقوله وان اقم وجهك للدين حنيفا الى الاستغراق في نور الايمان والاعراض بالكلية عما سواه قال الامام قوله تعالى ولا تكون من المشركين لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور في اول الآية وهو قوله لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فلا بد ان يحمل هذا الكلام على ما يفيد فائدة فان من عرف مولاه لولفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا وهذا هو الذي يسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي ثم قال قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اشارة الى مقام آخر هو درجات العارفين لان ما سوى الحق لا وجود له الا بايجاد الحق وعلى هذا التقدير فلا نافع الا الحق ولا ضار الا الحق وكل شيء هالك الا وجهه واذا كان كذلك فلا حكم ولا رجوع في الدارين الا الى الله ثم قال تعالى آخر الآية فان فعلت فانك اذا من الظالمين اي لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فانك من الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه فاذا كان ما سوى الحق مع ولا عن التصرف كان طلب المنفعة والمضرة مما سوى الحق وضع للشيء في غير موضعه فيكون ظلما وطلب الانتفاع بالاشياء التي خلقها الله تعالى للانتفاع بها من الطعام والشراب ونحوهما لا يتنا في الرجوع بالكلية الى الله تعالى بشرط ان يكون بصر عقليه عند توجهه الى شيء من هذه الامتيازات هذا لقدرة الله تعالى وجوده واحسانه في ايجاد تلك الموجودات وايداع تلك المنافع فيها وجازا ما بانها في انفسها وذا انها معدومة هالكة لا وجود لها ولا بقا ولا تأثير الا بايجاد الله تعالى وابقائه وانما حكمة ما فيها من الخواص عليها وجوده واحسانه ثم انه تعالى قرر بقوله وان بمسك الله الآية ان جميع الممكنات مستلبة اليه وان جميع البكاثبات من الرحمة والوجود تافض منه محتاج اليه فلما كان كل واحد من الخير والضرر واقعا بقدره الله تعالى وبقتضائه لم ان يكون الكفر والايمان والطاعة والعصيان والسيرور والآفات والآلام والذات واقعة بقدره الله تعالى وقضائه ان يقضي على أحد شرًا فلا كاشف له الا هو وان قضى لا يجد خيرا فلا راد لفضله البتة (قوله ولم يستثن) اي لم يقل وان يدرك بخير فلا راد لفضله الا هو

ان يكون صلة الموصول الحرفي جبهة طلبية وهي مع الجملة التي بعدها في محل النصب على انها مفعول له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع وحذفت اللام منه وان لم يشتمل على شراً نطحت حذف اللام من المفعول له بناء على القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان والتقدير كتاب احكمت آياته ثم فصلت لاجل ان لا تعبدوا الا الله وهذا التأويل يدل على انه لا مقصود من هذا الكتاب الشريف الا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سائر المطالب فقد خاب وخسر وقيل كلمة ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول وان المفسرة في تقدير القول كقوله تعالى وناديناه ان يا ابراهيم تقدره نادينا وقلنا يا ابراهيم ولهذا لا يجيء بعد صريح القول لان تقدير القول بعد صريحه لا معنى له وانما يجيء بعد كلام فيه معنى القول ليدل على ان قول فكانه قيل ههنا ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال لا تعبدوا الا الله قبل وحلها على المفسرة اولى لان قوله وان استغفروا معطوف على قوله ان لا تعبدوا فيجب ان يكون معناه ان لا تعبدوا الا الله ليكون الامر معطوفاً على انتهى فان كونه بمعنى لان لا تعبدوا يمنع عطف الامر عليه والجواب عنه ان قوله وان استغفروا لما كان معطوفاً عليه كان في فية ايضاً كذلك وقد سبق انه يجوز وصلها بالامر والتهى وان فاته معنى الامر والتهى عند التقدير بالمصدر كفوات معنى الماضي والمستقبل عنده كانه قيل لاجل تخصيص العبادة بالله ولا لاجل الاستغفار احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ويجوز ان لا يكون قوله ان لا تعبدوا متصلاً بما قبله بل يكون متقطعاً عند مقول لا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون فيه ان مصدرية فلهذا قدره بقوله ترك عبادة غير الله بمعنى الزموا تركها فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول والاستغفار هو ان يستمر على العبد ذنوبه في الدنيا ويتجاوز عن عقوبته في الآخرة ولما ورد ان يقال الاستغفار هو اتوبة فما معنى ايراد ثم بين الشيء ونفسه اشارة الى دفعه بان جعل التوبة هي الرجوع عن الضلال مجازاً عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق السبب على المسبب وجعل كلمة ثم قرينة للمجاز لان التوصل الى المطلوب يتراخي عن الرجوع الى الطريقة (قوله يعيتكم) مجزوم لكونه تفسيراً لما هو جواب الامر يقال اعاشه عيشة راضية والدعة الراحة واعترض على تفسير الاجل المسمى بآخر الاعمار المقدرة بان قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقوله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثال فالامثال وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لفلست من يكفر بالرحن ليوثهم سقفاً من فضة يدل على ان نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف الجمع بين هذه النصوص وبين ان تفسر هذه الآية بان يقال يعيتكم في امة وسعة الى الموت واجب بان المؤمن انما يشتمل باستغفار ربه وطاعته لا يشارة طاعة ربه على هوى نفسه ولكون راحته واطمئنان قلبه في الاشتغال يطلب ربه ويتفويضه جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتماداً على ضمانه بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان هذا شأنه لا جرم يعيش في امن وراحة لكونه راضياً بما قضاه الله تعالى في حقه بخلاف من ربط قلبه بغير الله تعالى من الاسباب فانه ابداً في الم الخوف من فوات محبوبه وزواله فكان عيشه متغصاً وقلبه مضطرباً وقيل الجواب ليس معنى قوله يتمتعكم متاعاً حسناً انه تعالى يعيتكم في امن وسعة الى اجل مسمى بل معناه انه تعالى لا يعذبهم بعذاب الاستبصال كما استأصل الفرقة من الكفرة قال الامام وقيل قوله تعالى الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد اجلين وانه يجوز في ذلك التقدير والتأخير فالجواب لادلالة على ذلك ومعنى الآية انه تعالى حكم بان هذا العبد لو اشغل بالعبادة لكان اجله في وقت آخر عمره لكنه تعالى عالم بانه هل يشغل بالعبادة اولا فلا جرم كان عالماً بان اجله ليس الا في ذلك الوقت فثبت ان لكل انسان اجلاً على حدته يعني اجلاً واحداً انتهى كلامه وقال الكعبى ان للمقتول اجلين اجل القتل واجل الموت فان المقتول اولى يقتل لعاش الى اجله الذي هو اجل الموت وعند الفلاسفة ان الحيوان اجلاً طبيعياً وقت موته لتحلل رطوبته وانتفاء حرارته الغريزيتين واجلاً اخترامياً بحسب الآفات والامراض وعندنا الاجل واحد والمصنف اشارة الى ما قاله الامام بقوله والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال الخ (قوله وان تولوا) لفظ تولوا وان كان على صيغة الماضي اسند الى ضمير الغائبين الا انه جعل مضارعاً حذف منه احدى التاءين تخفيفاً وقرئ تولوا بضم التاء وقبح الواو وضم اللام وهو مضارع ولى من قولهم ولى هارباً وادبر ثم انه تعالى لما قال وان تولوا عن عبادة الله وطاعته بين بعد صفة ذلك التولى فقال الا انهم يعنى الكفار يثبون صدورهم قراءة الجمهور بفتح الياء وسكون التاء

(ثم توبوا اليه) ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة وان المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتساوت ما بين الامرين (يتمتعكم متاعاً حسناً) يعيشكم في امن ودعة (الى اجل مسمى) هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الالهصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنّها مسمّاة بالاضافة الى كل احد فلا تغيب (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط كل ذي فضل في دينه حراً فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموخذائيب بخبر الدارين (وان تولوا) وان تولوا (فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) وجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكانه تقرير لكبر اليوم

(انما انهم يشنون صدورهم) يشنونها عن الحق
 وينصرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة
 النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ
 يثوني بالياء والتاء من اسوى وهو بناء المبالغة ويشنون
 واحله يشنون من التثنية وهو الكلال الضعيف اراد به
 ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للتثنية ويثنون
 من اثبات كياض بالهمزة (يستخفوا منه) من الله
 بسره فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها
 نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا رخصنا ستورا
 واستعشنا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد
 كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذا الآية
 مكينة والتفاق حدث بالمدنية (الا حين يستعشون
 ثيابهم) الا حين بأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم
 (يعلم مايسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بافواههم
 يستوى في علمه سرهم وعلمهم فكيف يخفى عليه
 ما عسى يظهره (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار
 ذات الصدور او بالقلوب واحوالها (وما من دابة
 في الارض الا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها
 لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب
 تحقيقا لوصوله وجلالة التوكل فيه (ويعلم مستقرها
 ومتودعها) اما كنهها في الحياة والمات والاصلاب
 والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت
 بالفعل ومودعها من المواد والمقارحين كانت بعد
 بالقوة (كل) كل واحد من الدواب واحوالها (في
 كتاب مبين) مذكور في البلوح المحفوظ وكأنه اراد
 بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وما بعدها
 بيان كونه قادر على المكينات بأسرها تقرأ بالواو وحيد
 ولما سبق من الوعد والوعيد (وهو الذي خلق
 السموات والارض في ستة ايام) اى خلقهما وما فيهما
 كما مر بانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل
 وجع السموات دون الارض لا اختلاف العلويات
 بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرسه على
 الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان
 مرضوعا على من الماء واستدل به على امكان الخلاء
 وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا
 العالم وقيل كان الماء على من الريح والله اعلم بذلك
 (ليلوكم ايكم احسن عملا) متعلق بخلق اى خلق
 ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبلى لاحوالكم
 كيف تعملون

المثلثة على انه مضارع تثنى اى عطف وصرف والاحرف تنبيه على احوال المشركين الذين وقفوا على
 جهلهم حيث يعرضون عن الحق ويقبلون على الباطل والكفر ويولون ظهورهم الحق يريدون بذلك الاستخفاء من
 الله تعالى ذكره الله للكفار حالين يريدون بكل واحدة منهما الاستخفاء من الله تعالى احداها انهم كانوا يعرضون عن
 الحق وذلك ان جماعة من الكفار كان يخلو بعضهم بعض فيشتغلون بدم النبي صلى الله عليه وسلم وبسب فاشتغالهم
 بالمذمة هو اعراضهم عن الحق وايقاع ذلك في قلوبهم وفي خلواتهم هو ارادتهم الاستخفاء فجعل في الصدر كتابة عن
 الاعراض لانه من لوازمه وقوله تعالى ليستخفوا منه ليس علة للتثنية بمعنى الاعراض لان الاعراض عن الحق ليس
 للاستخفاء فلا بد من تقدير اى يريدون ليستخفوا والحال الثانية انهم يستعشون بثيابهم وذلك ان طائفة من
 المشركين كانوا اذا راوا صلى الله عليه وسلم يقبل اليهم ومن عادته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا تلقى الكفار دعاهم الى
 الله تعالى واسمعهم كلام الله تعالى استعشوا ثيابهم للتلازم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يسمعوا كلامه وهو
 ايضا ارادة الاستخفاء والاستخفاء في كل واحدة من الحالين انما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الاستخفاء
 منه انما يكون بالاستخفاء من الله تعالى لان اطلاع الله تعالى على ما سره وملزوم لاطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم
 وسلم والمؤمنين عليه كما اشار اليه قوله فلا يطلع رسوله والمؤمنين (قوله يثوني بالياء والتاء) لان تأنيث الصدور
 مجازى فجازت كبر الفعل باعتبار تأويله بالجماعة ويثوني على اثنتي عشرة وزنا فاعوعل من التثنية كاحلولى من الخلاوة
 وهو بناء مبالغة فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وقرئ يثنون يفتح الياء وسكون التاء وفتح النون وكسر الواو
 وتسد النون الاخيرة والاصل يثنون بوزن يفعوعل من التثنية بالكسر وهو يابس الحشيش والكلال يميل الى
 الضعف والمراد مطاوعة نفوسهم للتثنية اضعف قلوبهم وقرئ يثنون يفتح الياء وسكون التاء وفتح النون وكسر الواو
 السابقة همزة مكسورة على وزن يطمئن من التثنية وهو ما ضعف من الكلال كما تقدم (قوله تعالى حين يستعشون
 ثيابهم) جعله صاحب الكشف منصوبا بفعل مضمر حيث قال ويريدون الاستخفاء حين يستعشون ثيابهم كراهة
 لاسماع كلام الله تعالى والظاهر من تقرير المصنف كونه منصوبا بفعل والمعنى تنبهوا واعلموا انه يعلم سرهم وعلمهم
 في وقت استعشيتهم الذي يخفى السرفيد فالولى ان يعلم ذلك في غيره وهذا يحسب العادة والا لله تعالى لا يتفاوت علمه
 بتفاوت احوال الخلق وما فيما يسرون ويجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذى والعائد محذوف اى يسرونه
 ويعلمونه ثم انه تعالى لما ذكر انه يعلم مايسرون وما يعلنون اردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات فذكر ان
 رزق كل حيوان مع اختلاف طبائع الحيوانات واغذيتها انما يصل اليه من الله تعالى فلولم يكن عالما بجميع
 المعلومات لما حصلت هذه المهمات والدابة لكل حيوان ذى روح ذكرنا كان اوائى ما خوذ من الديق الا انه
 اخص بحسب عرف البعض بذات القوائم الاربع وبحسب عرف العرب بالقرس والمراد به في هذه الآية معناه
 الوضعى العلوى باتفاق المفسرين روى ان موسى عليه الصلاة والسلام حين نزل الوحي اليه تعلق قلبه باحوال
 اهله فامر الله تعالى بان يضرب عصاه على صخرة فصرخ بها فانتفتت وخرجت منها صخرة ثانية ثم ضربها بعصاه
 فانتفتت فخرجت منها صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فانتفتت فخرجت منها صخرة رابعة وفيها شئ يجرى مجرى الغذاء
 لها ورفع الحجاب عن موسى عليه الصلاة والسلام فسمع الدودة تقول سبحان من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى
 ويدكرنى ولا ينسانى (قوله وانما اتى بلفظ الوجوب) جواب عما يقال حصول الرزق الى الحيوان بطريق
 التفضل ومنوط بمشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وكلمة على للوجوب فيتأفان وتقرير الجواب ان ابصال
 الرزق الى كل حيوان وان كان بطريق التفضل والجود والاحسان لكنه تعالى لا يتخلف الميعاد فصور بصورة الوجوب
 لفائدتين احدهما التحقيق لوصوله والثانية حل العباد على التوكل عليه في شأن الرزق (قوله اما كنهها في الحياة
 والمات) اشارة الى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان مستقرها المكان الذى تأوى اليه ليلا او نهارا
 ونستقر فيه ومتودعها الذى تدفن فيه اذا ماتت فانها تستودع الى ان تبعث وقال عطا المستقر ارحام الامهات
 والمستودع اصلاب الالباء (قوله او مساكنها) يعنى ان المستقر هو مكانها من الارض حيث وجدت بالفعل
 والمستودع حيث تكون مودعة قبل وجودها فيه بالفعل صلب او رجم او بيضة (قوله وما بعدها) اى واريد بقوله
 تعالى وهو الذى خلق السموات والارض بيان كونه تعالى قادرا على كل المقدورات بعد كونه عالما بجميع
 المعلومات (قوله اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبلى لاحوالكم) يعنى ان لام التعليل في قوله

القرآن صريحة في عدم القطع والبت فيما فيان اشار الى جوابه بقوله معنى توقعوا بعثكم الخ يعني ان لعل لتوقع الخاطب لا على سبيل الاخبار لانهم لا يتوقعون البعث بل على سبيل الامر فكان المعنى توقعوا بعثكم فلما لم يكن لعل لتوقع التكلم لم يلزم محذور ثم انه تعالى لما حكى انهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم يقولهم ان هذا الاسحر مبین حكى عنهم نوعاً آخر من باطلهم وهوانه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم به الرسول صلى الله عليه وسلم اخذوا في الاستهزاء بان يقولوا اما السبب الذي حبسه عنا فاجاب الله تعالى بانه اذا جاء لوقت الذي عينه الله لنزول ذلك العذاب لم ينصرف عنهم بل احاط بهم (قوله وهو دليل) يعني ان جهور البصريين لما رأوا ان يوم منصوب بالمصروف الذي هو خبر ليس استدلو به على جواز تقديم خبر ليس عليها ووجد الاستدلال ان تقديمهم معمول الخبر يؤذن بجواز تقديم العامل ويوم لما قدم على ليس مع كونه معمولاً لخبره فجواز تقديم نفس الخبر بطريق الاولى لانه اذا تقدم الفرع فالولي ان يقدم الاصل ثم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان تأخر الا انه لا يد وان يحق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان فقل المراد به مطلق الانسان بدلالة استثناء قوله الا الذين صبروا منه والاستثناء يخرج من الكلام ما لولا له لدخل فيه فدلالة الاستثناء المذكور في هذه الآية تدخل فيه المؤمن والكافر وقيل المراد به الكافر لان الاصل في المعرفة بلام التعريف ان يسار به الى المجهود السابق الا ان يمنع مانع منه وههنا الامانع فوجب حمله على المجهود السابق وهو الكافر المجهود المذكور في الآية المتقدمة فوجب ان يحمل الاستثناء في هذه الآية على الاستثناء المنقطع (قوله وفي اختلاف الفاعلين) وهما تحول النعمة الى الشدة وعكسه وجعل التعبير عن الاول مخالفاً للتعبير عن الثاني فان الطاهر ان يقال في الاول ولئن احسنه بشفعة وضرباً ما اعطيناه رضاء ورجة لوافق قوله ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء وخولف ذلك للتبني على سبق رجة الله غضبه وان المقصود قصداً اولياً اي المقصود بالذات هو الرحمة وان البلاء انما يصيب الانسان اسوء تدبيره والحكمة في كون الكافر يؤسأ حال زوال ما به من النعمة انه لا يعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من وجود الله تعالى وفضله واحسانه اذ هو لا يعتقد ذلك بل يعتقد ان السبب في حصولها سبب اتفاق فيستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة اخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس حال زوالها ويقع في الكفران حال حصولها لانه لما اعتقد ان حصولها انما كان على سبيل الاتفاق او بسبب ان الانسان انما حصلها بسبب جده وجهده لا يستغل بذكر الله تعالى عن تلك النعمة (قوله بطر بالتم) لان من ينكر السعادة الاخرى اذا وجد لذة عاجلة دينوية يزعم انه فاز بنهاية السعادة فيعظم فرحه ويفخر ولا يستغل بشكر النعم كانه لا يلزم الصبر عند البلاء والشدة (قوله ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعوا اليه وقوعه) فان لعل في قوله فلعلك تارك للترجي بالنسبة الى مخاطب والمعنى اعظم ما يدع على قلبك من تخليطهم انك توهم انهم يزعمونك عن بعض ما انت عليه من تبليغ ما اوحى اليك فورد عليه ان يقال كيف يصح منه صلى الله عليه وسلم ان يتوقع من نفسه ان يخون في الوحي ويترك تبليغ بعض ما يوحى اليه وقد اتفق المسلمون على انه لا يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يخون في الوحي ويترك تبليغ بعضه والارتفاع الوثوق من احكامه وبطل فائدة الرسالة فاجاب المصنف عنه بان توقع الخيانة لوجود ما يدعوا اليها لا يستلزم وقوعها لان مجرد ما يدعوا الى الشيء لا يبيح في وجوده بل لا بد معه من ارتفاع ما يمنع عنه فحينئذ ينحصر ما يرتفعه حتى تقع في الاشكال (قوله وعارض لك احياً ناضيق صدرك) يعني ان قوله تعالى وضائق عطف على قوله وتارك وعدل عن ضيق اليه وان كان ضيق اكثر منه استعمالاً لان المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والاروض فلذلك عدل الى ما يدل عليه وهو صيغة الفاعل فانك اذا اردت السيادة والجلد الثابتين المستقرين قلت سيد وجيد واذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد وكذا الفرق بين حاسن وثاقب وسامن وبين حسن وثقل وسمين (قوله مخافة ان يقولوا) علة لقوله وضائق حذف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب اعرابه محلاً وضميره يعود على بعض ما يوحى وقيل مبهم تفسيره ان يقولوا روى ان اهل مكة لما قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدع سب آلهتهم ظاهراً فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني سب الآلهة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً ان كنت رسولا وقال آخرون اننا باللائكة تشهد بنبوته فقال صلى الله عليه وسلم

ويوم منصوب بخبر اس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاظ بهم) واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد (ما كانوا يستهزئون) اي العذاب الذي كانوا يستهزئون فوضع يستهزئون موضع يستهزئون لان استهزاءهم كان استهزاء (ولئن اذقنا الانسان مآزجة) ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبنا تلك النعمة منه (انه ليؤوس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كحجة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفاعلين نكتة لا تخفى (ليقولن ذهب السيئات عني) اي المصائب التي ساءتني (انه لفرح) بطر بالتم مغزيبها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقوقها وفي لفظ الاذافة والمس تبني على ان ما يجده الانسان في لفظ الدنيا من النعم والجن كالنموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادي شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصل (الا الذين صبروا) على الضراء ايماناً بالله تعالى واستسلاماً لقضائه (وعملوا الصالحات) شكراً لآلائه سابقها ولاحقها (اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلي باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعوا اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعاً (وضائق به صدرك) وعارض لك احياً ناضيق صدرك بان تلوه عليهم مخافة (ان يقولوا لولا نزل عليه كثر) ينقذه في الاستمتاع كالملوك (اوجاء معه ملك) يصدق وقيل الضمير فيه مبهم يفسره ان يقولوا (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا خائبك بضيق به صدرك (والله على كل شيء وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء افعالهم وافعالهم

لا أقدر على ذلك فنزلت الآية وكانوا قالوا لو كنت صادقا لكان رسول الله الذي تصفد بالقدر على كل شيء وعزيراً
عنده فهل انزل عليك كذا أي ما لا كثيرا من شأنه ان يجعل كذا أي ما لا مدفونا فان الكثرة اسم للمال المدفون
فوجب ان يكون المراد ههنا ما يكتر وقد جرت العادة بان يسمى المال الكثير ايضا بهذا الاسم فكان القوم قالوا فغلب
نزل عليك ما نستغنى به وتغنى احبابك من الكل والتعب وتستعين به على مهماتك وتعين انصارك وان كنت
صادقا فهل انزل الله تعالى معك ملكا يشهدك على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك فنزل الشبهة
من امرك فلما لم يفعل ذلك فانت غير صادق فاجابهم الله تعالى بانه صلى الله عليه وسلم رسول ينذر بالعقاب
ويبشر بالتواب ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء والذي ارسله هو القادر على ذلك فان شاء فعل وان شاء
لم يفعل ولا اعتراض عليه في فعله ولا في حكمه (قوله) ام منقطع (لعدم ما اتصل هي به وتكون معادلة له مع) وثمة
هي اياه والتقدير خلاف الاصل وجعلها صاحب التيسير متصلة وقال تقديره انكذبوا انكم تقولون افتراه وقيل
تقديره انكذبوا بما اوحينا اليك محجة ام يقولون انه ليس من عند الله بل افتراه محمد صلى الله عليه وسلم واتى به
من عند نفسه وعلى تقدير كونها منقطع يكون تقديرها ببل والهمزة اضراب عن شرح صدره صلى الله عليه وسلم
للنبيات على الانذار بما اوحى اليه وعلى ان لا يضيق صدره بان يقولوا لولا انزل عليه كثر ثم انكر عليهم قول ذلك
(قوله في البيان وحسن النظم) جواب عما يقال كيف يكون ما يتون به مثله وما يتون به مفترى اي ليس المراد
من المعاملة ان يكون ما يتون به مثل ما اوحى اليه صلى الله عليه وسلم في كونه غير مفترى (قوله) تحسدهم او لا يحسدهم
سور) تصریح بان هذه السورة متقدمة بالنزول على سورة البقرة وهي قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله اي بسورة كاثثة من مثل ما نزلنا وعلى الآية التي في سورة يونس وهو قوله
تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله اما تقدمها على سورة يونس وان كان كل واحدة منهما مكية فبدا ان
ان التحدى بعشر سور ينبغي ان يكون مقدما على التحدى بسورة الا لمعنى التحدى بالعشر بعد التحدى بسورة
وبين مجزئهم عن معارضتها فانه بمنزلة ان يقال لرجل اعطني درهما فيجزم فقال له اعطني عشرة دراهم فان هذا
الدليل يقتضي ان يكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة يونس وان كانت كل واحدة منهما مكية
(قوله) وتوحيد المثل) ويجوز ان يقال جواز كل واحد من الافراد والمطابقة للموصوف من خصائص لفظ المثل
كقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى كالمثال الاول وقوله تعالى ثم لا يكونوا امثالكم والقرىض الشعر
خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته (قوله) وللتبعية على الخ) تعاليل بان يجمع الضمير على وجه
تعميم الخطاب (قوله) ولذلك) اي ولكون لكم خطابا صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين او خطابا صلى الله
عليه وسلم خاصة على جهة التعظيم رتب عليه ما بعده بالناء الجزائية والمعنى ان لم يستجب هؤلاء المشركون لكم
يا محمد واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى ما دعوتهم اليه من معارضة القرآن واثبات عشر سور مثله وتبين مجزئهم
عنه بعد الاستعانة عن استطاعوا الاستعانة منه من دون الله تعالى فاعلموا اي فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه
لتردادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله تعالى وانه من جله المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم
في دعوى الرسالة والجزم بصدقه صلى الله عليه وسلم يستلزم انه اي الشأن لا اله الا هو واسباب قوله فاعلموا الامر
بالعلم لانه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عالمون بامر من قبل نزول هذه الآية بل المراد الثبات على العلم والزيادة فيه
وكذا ليس المراد بقوله تعالى فهل انتم مسلمون الاستفهام عن احداثهم الاسلام بل المراد تثبيتهم عليه وتقوية
نشاطهم للرسوخ والاخلاص (قوله) مطلقا) بالنسبة اليكم والى كل من دعوتهم من دون الله عن استطاعتهم
وكلمة ما في قوله تعالى انما انزل بعلم الله يجوز ان تكون كافة مهية لدخول ان على الفعل وفي انزل ضمير يرجع
الى قوله ما يوحى ويعلم حاله اي انزل القرآن ملتبسا بما لا يعلم الا الله من نظم معجز الخلق واخبار بغيوب
لا سبيل لهم اليه ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة اسماء لان خبرها الجار بعدها فالتقدير واعلموا ان تنزيله
او ان الذي انزل ملتبس بعلم واختار المصنف الكافة قال الامام فان قلت اي تعلق بين الشرط المذكور في هذه
الآية وبين ما فيها من الجزاء واجاب بان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله فقال الله تعالى قل لهم لو كان
مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق عليه ولما لم يقدر واعلم ان ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كتابة
عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقول الحاكم جرى بعلمى (قوله) ويجوز ان يكون الكل خطبا للمسكرين

(ام يقولون افتراه) ام منقطع والهاء لما يوحى (قل
فاتوا بعشر سور مثله) في البيان وحسن النظم تحسدهم
اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم
وتحسدهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
(مة نزلات) مختلفات من عند انفسكم ان صح اني اختلفته
من عند نفسي فانكم عرب فحسدهم مثلي تقدر ان على
مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص
والاشعار وتعودكم القرىض والنظم (وادعوا من
استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة
(ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم)
بآيات ما دعوتهم اليه وجع الضمير اما تعظيم الرسول
صلى الله عليه وسلم اولان المؤمنين ايضا كانوا
يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم متساويا
لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا
ما خصه الدليل ولله به على ان التحدى بما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله (فاعلموا انما انزل بعلم الله)
لا يعلم الا الله ولا يقدر عليه سواه (وان لا اله الا هو)
واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر
عليه غيره واطهور بحجرات آلهتهم وان تصيص هذا
الكلام لا يثبت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد
واقشاط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم (فهل انتم
مسلمون) ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون
اذ تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل
خطبا للمسكرين

وذلك لان الآية المتقدمة اشتملت على خطابين احدهما خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى قل فاتوا بعشر سور مثله والثاني خطاب الكفار وهو قوله تعالى فاتوا وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين في ادعاء الافتراء فلذلك جاز في خطاب لكم وجهان الاول ما مر من انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والرسول خاصة على جهة التعظيم والمعنى ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم في الايمان بما يأمركم فاعلموا اي فاقبوا على العلم الذي اتم عليه وهو انه منزل من عند الله الذي لا اله الا هو والوجه الثاني انه خطاب للكفار والمعنى الذين تدعونهم من دون الله ان لم يستجيبوا لكم في الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن انما انزل يعلم الله فهل اتم مسلمون بعد زوم الحجة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا القول اولى من القول الاول لانكم في القول الاول احتجتم الى ان حلتكم قوله فاعلموا على الامر بالثبات او على اعمار القول وعلى هذا القول لا حاجة الى الافتراء فكان اولي ولان اقرب المذكورين هو الكفار فرجع الضمير اليهم اولى (قوله وفي مثل هذا الاستفهام) يعني ان قوله تعالى فهل اتم مسلمون وان كان لفظه استفهاما الا ان معناه انما يجب امره ببلغ لا الاستفهام لما ذكره من الدليل فان قنائه خطاب مع المؤمنين كان معناه انما يجب الثبات على الاسلام في زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه انما يجب اصل الاسلام عليهم وترغيبهم في التفكير فيما يوجبهم من الحجة القاطعة (قوله باحسنه وبره) يعني ان هذه الآية سواء نزلت في المؤمنين الذين عملوا الصالحات مرااة للخلق او المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزواتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم القنائم من غير ان يؤمنوا بالآخرة وثوابها اوفى الكفار الذين يعملون اعمالهم في صورة الاعمال الصالحة من البروصلة الرحم والصدقة وبناء القنطرة وتسوية الطرق والسعي في دفع الشرور واجر آراء الانهار يكون معناها من كان يريد بما عمله من اعمال البر والاحسان التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بضرائها وشهواتها من ثناء الخلق عليه في الدنيا ونحو ذلك فان جزاء عمله يصل اليه في الدنيا تاما كاملا ولا يتنفع احد من هؤلاء الطوائف المذكورة في الآخرة بشيء من الاعمال التي اراد بها الحظوظ العاجلة ولا يستحق بها الا النار اما المنافقون والكفار فظاهر لانهم مخلدون في النار واما المرأون من المؤمنين فلان العمل اسم ما يكون عبادة بشرط الاخلاص ومن راى على ما يخلصه الله تعالى بل عمله طلبا لثبته الدنيا ورياء وسعة وقد استوفى ما تقتضيه صورة عمله الصالح من المنافع التي ارادها بعمله ولم يبق له الا اوزار عزائه القبيحة فاستحق ان يعذب بها فان شابه به ان يعذبه او يعفو عنه فعل ذلك فقوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار ان كان نازلا في حق المرأتين من المؤمنين يقتضى بظاهره ان يخلد اهل الرياء في النار وليس كذلك فلا بد من تقييده بان يقل ليس لهم في الآخرة بسبب اعمالهم الريائية الا النار الا ان يتجاوز الله عنهم وليس في الآية ما يدل على ان الاحمال يعذب وانما يدل على انه لا يستحق بسببها الا النار والمراد بالاطلاق المذكور بقوله مطلقا اطلاق المشار اليه بقوله اولئك وهو من كان يريد الحياة الدنيا كائنا من كان من الطوائف الثلاث وقوله في متابلة ما علموا اشارة الى ما ذكرنا من وجوب التقييد في حق المرأتين من المؤمنين روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اسد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خيرة فيه وروى عنه صلى الله عليه وسلم ايضا انه قال اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل قرأ جميع القرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول قت به آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت اردت ان يقال فلان قارى وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى الم اوسع عليك فاذا عملت فيما آتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جريء مقدم فارس قال الراوى وهو ابو هريرة رضى الله عنه ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتى وقال يا باهريرة اولئك الثلاثة اول خلق تستعيرهم النار يوم القيامة وروى ان باهريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية رضى الله عنه فبكي معاوية حتى ظن انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وذكر القرطبي ناقلا عن بعض العلماء ان معنى هذه الآية هو قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وقرأ الجمهور نوف بنون العظمة وتشديد الفاء من وفي يوفى وقرئ يوفى بياء القبة وبناء الفعل للفاعل وهو ضمير الله تعالى وقرئ يوف بضم الياء وفتح الفاء المشددة من وفي يوفى مبييا للمفعول اعمالهم بالرفع على انه قائم مقام الفاعل والجرم في يوف على هذه القراءة لكونه جوابا للشرط كما في قوله تعالى

والضير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المطاهرة لعجزهم وقد عرقتهم من انفسكم التصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يطله الا الله وانه منزل من عنده وان مادعاكم اليه من التوحيد حق فهل اتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام انما يجب بل ما فيه من معنى الطلب والانيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) باحسنه وبره (نوف اليهم اعمالهم فيها) نوف اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

وان اتاه كرم يوم مسغبة * يقول لانائب مالي ولا حرم (وهم فيها لا ينجسون) لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة بر بهم (اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار) مطلقا في مقابلة ما علموا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة (وحبط ما صنعوا فيها) لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليل الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا (وباطل) في نفسه (ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجنتين عليه لما قلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابيها مبيدا وفي معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في ذور الكلام * ويطل على الفعل

من كان يريد حرث الآخرة تزده في حريته ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثها منها وقرأ الحسن البصري يوفي بتخفيف الفاء وثبوت الياء من أوفي قال ابن الحساج فان كان كل واحد من الشرط والجزء مضارعا والاول فالجزء وان كان الجزء آء وحده مضارعا فالامر ان اى الجزم وعدم الجزم فان تعلق فيها بالفعل المحذوف فضمير فيها يرجع الى الآخرة اى وظهر جبوط ما صنعوا في الآخرة لانه لم يروا له نوابا فيها وان تعلق فيها بصنعوا يتعين ان يعود الضمير اليها اى الى الحياة الدنيا كما يتعين ان يعود اليها في قوله نوب اعمالهم وفي الصحاح ضبط عمله ضبطا وجوبا اى بطل نوابه وقرأ الجمهور وباطل ما كانوا يعملون برفع الباطل اما على انه خبر مقدم وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخر وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية التي قبلها واما على ان باطل معطوف على خبر اولئك اى اولئك باطل وما كانوا يعملون فاعل باطل والمصنف اختار الاحتمال الاول حيث صرح بكونها جملة واسم الفاعل مع فاعله لا يكون جملة وقرئ باطلا بالنصب على انه مفعول به ليعملون وما ابهامية ومعنى كونها ابهامية كونها صفة للكرة قبلها كما في قولهم لامر ما يسود من يسود والمعنى وباطل اى باطل ما كانوا يعملون او على انه بمعنى المصدر لفعل محذوف اى وبطل بطلا تاما كانوا يعملون (قوله والهجرة لانكار ان يعقب من هذا شأنه) وهو كونه على بينة من ربه وان يتبع سنة كآيين سماويين يعنى ان كلمة من في قوله تعالى أفن كان شرطية او موصولة من فوعة المحل على انها مبتدأ والخبر محذوف اعتمادا على دلالة همزة الانكار وفاء التعقيب عليه ووجه دلالتها عليه انها دخلت على الجملة المصدرية بفاء التعقيب فافتدت انكار التعاقب والتقارب بين مدخول الفاء وبين امر آخر وليس ذلك الامر الا ما ذكر قيل وهو قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا فكان تقدير الكلام ومعناه ما ذكره بقوله أفن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا ومثل هذا الحذف في القرآن كثير منه قوله تعالى أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا اى كمن هداه الله وقوله ام من هو قانت آناه اليل ساجدا وقاما الى غير ذلك ولما كانت همزة الاستفهام تقتضى صدر الكلام وكانت الفاء العاطفة تقتضى المعطوف عليه قدر صاحب الكتاب المعطوف عليه بين همزة الاستفهام وحرف العطف فقال معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فن كان على بينة من ربه وهذا التقدير هو المساعدة المقررة عنده في مثل هذا الموضع الا ان التقدير الذى ذكره لابد فيه من تقدير فعل الستهم اى اذ كر اولئك فيذكر هؤلاء او يقال فيقال والهجرة لانكار هذا التعقيب واشار اليه بقوله اى لا تعقبونهم ولا تقار بوفهم وبنى الكلام في ان المعطوف عليه على تقدير المصنف اى شىء هو والظاهر انه هو جملة من كان يريد الحياة الدنيا كما في تقدير صاحب الكشف وما ذكره من التقدير لا تعرض فيه لبيان المعطوف عايه بل هو بيان لحاصل المعنى فان المراد في التماثل بين الفريقين قدر المعطوف عليه بكاف التثنية ليدل الكلام على نقي المماثلة وانكارها والمستفاد من نظم القرآن هو انكار المقابلة والمقاربة فان فاء التعقيب فيه تدل على اعتبار المعطوف عليه وهمزة الانكار تدل على انكار المقاربة والمقابلة بينهما والتقدير امن كان يريد الحياة الدنيا فن كان على بينة في السعادة وحسن المقابلة والمعنى ان الفريق الثانى لا يعاقبه ولا يقارب الفريق الاول فيما ذكر بناء على ان الاستفهام لانكار الفاء لا تعقيب فيفيد انهم لا تقارب بينهم فضلا عن التماثل (قوله ويتبع ذلك البرهان) على ان قوله يتلوه من التلاوة وقوله ذلك البرهان اشارة الى وجه تذكير الضمير اى اجمع الى بينة فان الظاهر ان يقال ويتلوه الا انه ذكر ضمير التأنيث باعتبار المعنى وتوحيين شاهد للتخفيف وكون القرآن تابعا لدليل العقل كونه موافقا له في المدلول وشاهدا مصدقا له (قوله وهو حكم يم كل مؤمن) يعنى الذى وصفه الله تعالى بانه على بينة المراد به كل مؤمن مخلص حتمك بالبرهان الدال على ما هو الحق فيكون الحكم الدال على انكار المقاربة بينه وبين من قصر همته وفكره على الدنيا وما لاله جميعا غير مختص به صلى الله عليه وسلم او بمعنى اهل الكتاب كعب الله بن سلام واضرا به على ما قيل (قوله اولسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له) صلى الله عليه وسلم والتالى وان كان ذات الرسول صلى الله عليه وسلم واللسان آلة التلاوة الا ان التلاوة اسندت الى الآلة مجازا كما يقال عين باصرة واذن سامعة ولسان ناطق فالمعنى أفن كان على حجة مبينة وهى القرآن ويقرأ ذلك القرآن شاهد من الله تعالى وهو جبريل او شاهد من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لسانه وضمير يتلوه على تقدير ان يكون من التلاوة يتعين ان يكون للبيئة تأويل القرآن واما على تقدير ان يكون من التلاوة وهو السبعة فيثبت احتمل ان يكون لمن على بينة كما يحتمل ان يكون لنفس البيئة (قوله ومن قبله كتاب موسى)

(أفن كان على بينة من ربه) برهان من الله ببله على الحق والصواب فيما أتيد ويذره والهجرة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذى اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بحجته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة فانها ايضا تلوه في التصديق وقيل البيئة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل اولسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له او من اتلوا والشاهد ملاك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبيئة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بانصب عطفا على الضمير في يتلوه اى يتلوا القرآن شاهد من كان على بينة دالة على انه حق كقوله وسهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتمما به في الدين (ورجة) على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين (اولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالتار موعده) يردها لاحالة (فلائك في مربة منه) من الموعد او القرآن وقرئ مربة بالضم وهما السك (انه الحق من ربك ولكن اكثرا الناس لا يؤمنون) لقلة فطرهم واختلال فكرهم

منى على ان يكون المراد بالنسبة القرآن ويكون يتلوه من التلاوة فالعنى ويتلو القرآن شاهد من كان على بينة من ربه ويتلو كتاب موسى من قبل القرآن وفصل بين العاطف والمعطوف بقوله من قبله وقوله اماما ورجة منصوبان على الحال من كتاب موسى سواء قرئ حرفوا او منصوبا والموعدا اسم مكان والمرية بكسر الميم وفتحها لغتان بمعنى الشك (قوله بان يحبسوا وتعرض اعمالهم) اشارة الى انه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه وان المراد عرضهم على الموقف المقدر للحساب والسؤال وحسبهم فيه الى ان يقضى الله عز وجل بين العباد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول عبدى اتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اقرره بذنوبه قال الله تعالى فاني قدسترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم دخل كتاب حسنة واما الكافر والمنافق فيقول الا شهادة هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين يفصحونهم بما كانوا عليه في الدنيا ويثبتونهم ملعونون عند الله بسبب ظلمهم ثم وصفهم بانهم ينعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالخوف وادخال الشبهة والسبيل مؤنث سماعي فلذلك انت ضمير ينفونها يقال بغيت الشيء طلبته وبغيتك الشيء طلبته لك وفسر طلب العوج لسبيل الله اولا بوصفهم اياها بالانحراف عن الحق بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب وثانيا بطلب العوج لاهلها على حذف المضاف (قوله وتكريرهم لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به) اما التأكيد في تكريرهم فان تكرير المسند اليه يفيد تأكيد كيد شنه في الاتصاف بمضمون الخبر واما الاختصاص فلتنقيصهم على الكافرين كما لو قال هم بكفرون وسبب تضعيف العذاب عليهم انهم ضلوا واضلوا غيرهم ولا نهم كفروا بالله وهو كفر بالمبدأ والبعث وكفر بالمعاد ولا نهم كانوا لا يتغلون بسماع الحق وبإبصار الحق وما يدل على الحق من الآيات فيعذبون بكل واحد منها (قوله لتصامهم عن الحق وبغضهم له) يقال تصام تصامى أى ارى من نفسه انه اصم وليس به صمم لما نفي الله تعالى عنهم استطاعة سماع الاصوات والحروف وكان خلاف ما ذهب اليه اهل الحق والمعتزلة فان اهل الحق وان ذهبوا الى ان افعال العباد الاختيارية واقعة بقدرته الله تعالى وليس لقدرتهم تأثير فيها الا انهم اثبتوا للعبد استطاعة غير مؤثرة فانهم قالوا اجرى الله سبحانه وتعالى عادته على ان يوجد في العبد قدرة واختيارا واذ لم يكن هناك مانع او جسد ففعله القدر ومقارنا لها فيكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى ابداعا واحدا ومكسوبا للعبد والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غير ان يكون هناك تأثير ومداخل في وجوده سوى كونه محلا له وقال اكثر المعتزلة انها واقعة بقدرته العبد وحدها على سبيل الاستقلال وقالت طائفة منهم هي واقعة بالقدرتين معا فظهر ان كل واحد من الشريقتين يقول بان للعبد استطاعة على افعاله الاختيارية يسمع بها الاصوات والحروف ويبصر بها المبصرات الى غير ذلك اجب بتأويل الآيات فقول قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون استعارة تصريحية تبعية شبه تصامهم عن استماع الحق وبغضهم له بعدم استطاعتهم السمع فاطلق على المشبه وكذا شبه تعامهم عن آيات الله بعدم ابصارها فاطلق عليه عدم الابصار على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق من اللفظ المستعار لتصامهم ما كانوا يستطيعون السمع ولتعامهم عن آيات الله تعالى ما كانوا يبصرون (قوله وقيل هو بيان لما افاء الخ) عطف على ما اشار اليه من التأويل اى وقيل لاحاجة الى التأويل وانما يحتاج اليه ان لو كان قوله ما كانوا يستطيعون من صفات الكفار وليس كذلك بل هو من صفات الاوثان فعلى هذا يكون قوله بضاعف لهم العذاب اعتراضا لكونه في حق الكفار وليس ذلك من صفات الاوثان (قوله اطمانوا) اياه اذا اخبات الخسوع والخشوع ويستعمل باللام حيث يقال اخبت الله واستعمل بالي في الآية لتضمنه معنى الاطمئنان والانقطاع (قوله يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى) تعبر عن خلاصة المعنى فان الظاهر ان يقال تشبيه حال الكافر بحال الاعمى نظرا الى قوله تعالى مثل الفريقين اى حالهما وصفاتهما العجيبة فلا بد ان يقدر في جانب المشبه به مثل آخر اى كمثل الاعمى والاصم والسميع والبصير وهو تعالى شبه حال الفريقين بحال هؤلاء ولم يشبه انفس الفريقين بانفسهم فانه تعالى شبه عدم انتفاع الكافر ببصره اجلى الآيات المنصوبة بين يديه وبسمعه في استماع الآيات المتلوة عليه بعدم انتفاع الاعمى والاصم بحاسة البصر والسمع وشبه حال المؤمن لا انتفاعه ببصره وسمعه في ذلك بانتفاع البصير والسميع ببصره وسمعه الا ان تشبيه حال الشيء بحال شيء آخر لما كان يستلزم تشبيه الشيء الاول بالشيء الثاني تجوز المصنف فقال يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى الخ والفرق بين هذا الاحتمال

(ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كأن اسد ادنيه ما لم يزل له اوفى عنه ما زله (اوائك يعرضون على ربهم) في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم (ويقولون الا شهادة) من الملائكة والنبين اومن جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهود كاستراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يفتق بهم حيث نذلهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يغيثون اهلها بان يوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (اوائك لم يكونوا محجزين في الارض) اى ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اسد وادوم (بضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتسديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعامهم عن آيات الله وكأنه العلة لضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما افاء من ولاية الاكهية بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله بضاعف لهم العذاب اعتراض (اوائك الذين خسروا انفسهم) باشراء عبادة الاكهية بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الاكهية وشفاعتها او خسروا ما بدلو اوضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الخسرة والندامة (لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون) لا احد ابيت وأكثر خسرا منهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) اطمانوا اليه وختعوا له من الخبت وهي الارض المظلمة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى تعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأنيبه عن تدبر معانيه

والاحتمال الثاني ان كل واحد من الاعمى والاصم مغاير للآخر ذاتا على الاحتمال الاول ويكون تشبيه الكافر
تسبيها من ضرورة تعدد المنبذ به وكذا الحال في السميع والبصير وتشبيه المؤمن بها بخلاف الاحتمال الثاني فان
كل واحد من الاعمى والاصم يكون متخذا مع الآخر ذاتا وعطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفة على
الصفة لا من قبيل عطف الذات على ذات آخر كما في الاحتمال الاول فيكون تسبيبه كل واحد من الفريقين تسبيها
واحد حيث شبه الكافر بشخص موصوف بوصفين وكذا المؤمن كانه تعالى شبه حال فريق الكفار في تعاميمهم
عن الآيات المنصوبة بين ايديهم وعن الآيات المتلوة عليهم بحال من اجتمع فيه الصفتان الاعمى والاصم فهو ابدا
في خبط وضلال لان الاعمى اذا سمع شيئا ربما يهتدي الى الطريق والاصم ربما يتفطن بالاشارة ومن جمع بينهما
فلا حيلة فيه (قوله وهذا من باب اللغ والاعباف) الف في اصطلاح البديع ذكر متعدد على التفصيل والاحتماع
م ذكر ما لكل واحد من آحاد ذلك المتعدد وفي الآية الكريمة ذكر الفريقين ثم ما لكل منهما كالا عى الخ والضيق هو
جمع بين معنيين متقابلين حقيقيا واعتباريا سواء كان اتقابل تقابل اليجاب والسلب او غير ذلك ولا شك ان
الاعمى والبصير وكذا الاصم والسميع امران متقابلان (قوله تمثيلا) على ان يكون المنسل اسم بمعنى التمثيل
كالسلام بمعنى التسليم ومثلا تمثيل منقول من القافية والاصل هل يستوى مثلها اي تسبيها معا شبه الله احد
الفريقين بالاعمى والاصم والفريق الآخر بالبصير والسميع ثم انكر استواء التشبيها ولغظ المل حقيقة عرقية
في القول السائر المنسب مضر به بمروده في استعار للصفة العجيبة تشبيها لها بالقول المذكور في القافية فانه لا يضرب
الاما فيه الغريبة واعلم ان عادة الله تعالى في القرآن العظيم انه اذا اورد على الكافرين اشياء من دلائل الوحدةانية
والنبوة اتبعها بالقصص ايوكذبها تلك الدلائل فلذلك ذكر في هذه السورة قصصا متعددة فبدأ بقصة نوح عليه
الصلاة والسلام وقرأ ابن كثير وابوعمر والكسائي اني لكم بفتح الهجزة على اضمار حرف الجر اي باني لكم والجار
والمجرور متعلق بحال محذوف اي ارسلا من متبنيان هذا الكلام وقرأ الباقر اني لكم بالكسر على اضمار القول
والتقدير ولقد ارسلا نوحا الى قومه فقال لهم اني لكم نذير من اي مخوف مبين اي مظهر ذلك الانذار على اكل
طريقة (قوله بدل من اني لكم) بالفتح اي ارسلا بان لا تعبدوا الا الله بالتهى عن عبادة غير الله والامر بعبادة الله
تعالى لان قوله الا الله استثناء من التهي ويجوز على قراءة الفتح ان تكون مفسرة ايضا والمفسر بها اما ارسلا واما
نذير لان كل واحد منهما في معنى القول وعلى قراءة اني لكم بكسر الهمزة يتعين ان تكون ان مصدرية منصوبة المحل
مع ما في خبرها على انه مفعول مبين او مفسرة متعلقة بنذير (قوله على طريقة جدجده ونهاره صائم) لف ونشر
مرتب فان اسناد الاليم الى اليوم اسناد للظرف كقولك نهاره صائم واسناده الى العذاب اسناد الى الوصف كقولك
جدجده والمتألم هو الشخص المدرك لا وصفه ولازماته فاذا وصفناه بالتألم دل على ان الشخص بلغ في تألمه الى
حيث سرى ما به من التألم الى ما يلا به من الزمان والوصاف ولما حكى الله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام انه
دعا قومه الى عبادة الله تعالى وحده حكى عن قومه انهم طعنوا في ثبوته بثلاثة انواع من التبهات فالتهمة الاولى انه
بشر مثلكم والتفاوت الحاصل بين الاحاد المتفقة في الحقيقة السرية يمنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم
واجب الطاعة على جميع العالمين والتهمة الثانية كونه بحيث اتبعه اراذل القوم كالخاكة واهل الصنائع الخسيسة
قالوا ولو كننت صادقا لاتبعت الاكياس والاشراف من الناس ونظيره قوله تعالى في سورة الشعراء انؤمن لك
واتبعك الازدلون والتهمة الثالثة وما رى لكم علينا من فضل لافي العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة
الجلد فاذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نصدق بفضلك علينا في اشرف
الدرجات واعلى المقامات والاحساء جمع خسيس مل نبي وانبياء واراذل فيحتمل ان يكون جمع اراذل صفة كاجر
وقياسة ان يجمع على رذل لانه جمع على اراذل لجرها به مجرى الاسماء من حيث انه حجر موصوفه كالا بطع والابله
وقيل هو جمع اراذل الذي للفضيل نحو افضل وافاضل وقد جاء كابر مجرميها واحاسنهم اخلاقا وهما جمع اكابر
واحسن ويحتمل ان يكون جمعا بلع بان يكون جمعا لارذل واراذل جمع لارذل نحو كلاب واكلب وكاب وقيل بل
هو جمع لارذل واراذل جمع لارذل ايضا قال الجرهمي الدون الخسيس وقد رذل فلان بالضم يذل رذالة ورذولة
فهو رذل ورذل بالضم من قوم رذول وكثرة رذل ورذالة قال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باحكم الى واقربكم
محلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا (قوله وتوحيد الضمير الخ) جواب عما يقال قد سبق امر ان بينة ورجة

وتسبيبه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون
كل واحد منهما متسبها بثنين باعتبار وصفين او تسبيبه
الكافر بالجمع بين العمى والصمم والمؤمن بالجمع
بين متنديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصالح فالعالم فالآب وهذا من باب الف
والطباق (هل يستويان) هل يستوي الفريقان
(مثلا) اي تمثيلا او صفة او حالا (أفلا تذكرون)
بضرب الامثال واتأمل فيها (ولقد ارسلا نوحا
الى قومه اني لكم) باني لكم وقرأنا نفع وعاصم وابن عامر
وحجرة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) اي نذير
موجبات العذاب ووجه الخلاص (ان لا تعبدوا
الا الله) بدل من اني لكم او مفعول مسين ويجوز
ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا ونذير (اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو في الحقيقة صفة
المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة
جدجده ونهاره صائم للبالغة (فقال الملأ الذين
كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلا) لا مزية لك
علينا تخصك بالنبوة وجوب الطاعة (وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلتنا) اخساؤنا جمع اراذل فانه بالغلبة
صار مثل الاسم كالا كبرا واراذل جمع رذل (بادى
الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدوا واول
الرأى من البداء واليساء مبدلة من الهجزة لانكسر
ما قبلها وقرأ ابو عمرو وبالهجزة وانتصاه بالظرف
على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأى
والعامل فيه اتبعك وانما استرذوهم لذلك اول فقرهم
فانهم لما لم يعطوا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ
بها اشرف عندهم والمجروح منها اراذل (وما رى
لكم) لك ولتبعك (علينا من فضل) يؤهلهم للنبوة
واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اي لا في دعوى
النبوة وايها في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب
على الغائبين (قال يا قوم ارايتهم) اخبروني (ان كذب
على بينة من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواي (واتاني
رجة من عنده) بآية البينة او النبوة (فصعيت عليكم)
فخفيت عليكم فلم تهديكم وتوحيد الضمير لان البينة
في نفسها هي الرجعة اولان خفاءها يوجب خفاء النبوة
او على تقدير فصعيت بعد البينة وحذفها للاختصار
اولانه لكل واحدة منهما

فكان مقتضى الظاهر ان يقال فعميت عليكم فان نوحا عليه الصلاة والسلام كادما قومه الى توحيد الله تعالى وطه وافي نبوته ثلاث شبه اجاب عليه الصلاة والسلام عن تلك السمة كلها بان على بينة ورجة من ربي وهي شهة عليكم ولا اقدر على الرامكم قبولها وهو جواب عن تلك السمة كلها ما عني الاول فلان الاشهر في الحقيقة البشرية لا ينافي الاختصاص بالبينة والرجة من عند الله تعالى وعن الثانية بان الدنة فقد استبعت على الاشرف سادهم وخوفهم على الجاه وكافوا لا يسلونها الا بالحجة والالزام بخلاف الفقراء الذين قبلوا هوانا جوا الحق وقت حدوث بادي الرأى فانه لا مانع فيهم بمنعهم من القول من نحو الحسد والخوف من زوال اجزاء والرياسة فلذلك قبلوها في اول الوهلة وعن الثالثة بان اتفقت في الفضل اما هو بيان طريق الهدى لجماعة عباد الله بادن الشارع ونصره وهو المولى نعم المولى ونعم النصير واما واحد الضمير لان البينة والرجة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انها تخذتان بحسب الذات وان المراد بهما البرهان الدال على نبوته عليه الصلاة والسلام وهو بينة باعتبار انه شاهد على دعواه ورجة باعتبار ان ينفع به وعلى تقدير ان تكونا متغايرتين ذاتا ايضا بان يراد بالثالثة السادة بصحة دعواه وبالرجة نفس النبوة وحاد الضمير ايضا لرجوعه الى البينة ولم يتعرض لهذا في الرجة لاستلزام خفاء البينة خفاءها اول رجوعه الى الرجة التي هي النبوة ولم يذكر ضمير البينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت النبوة عليكم بعد قيام البينة عاينها (قوله وقرأ حرة والكسائي وحفص فعميت) بضم العين وتسديد الميم على ما لم يسم فاعله واصله دعاه الله عليكم اي اهداهم عقوبة لكم ثم نفي الفعل للمفعول وحذف فاعله للعلم به وهو الله تعالى وابقى المفعول وهو الضمير لرجة او كل واحدة منهما مقامه وقرأ الماقون بفتح العين وتخفيف الميم والمعنى فعميت عليكم البينة فام تهديكم كما اوعى دليل القوم عليهم في الفازة فان الحجة كما توصف بالابصار اذا كانت معلومة حلية لانها هادية كالبرق قال تعالى فلما جاءهم آياتنا مبصرة كذلك توصف بالعمى اذا كانت مجهولة خفية لكونها غير هادية قال الله تعالى فعميت عليهم الانبياء (قوله وحيث اجتمع ضميران) قد اجتمع في المزمعها بعد الضمير المزموع ضمير الغائب ثم ان نوحا صلى الله عليه وسلم قال لقومه يا قوم لا تهمة على فيما ادعوا اليه ولا صورتي صورة من يطمع في امواسكم والرياسة في امور الدنيا عليكم ولا تظنوا في الكذب وما اجرى الا على الله بناء على سعة فضله وكرمه فله العمل ومنه ارجو فأي عذر لآلئون مني مادعوتكم اليه والطرد الابعاد على وجد الهوان (قوله عطف على عني) لاعلى اقول اذلاستقيم ان يقال لا اعلم الغيب حتى تكذبوني واما يستقيم ان يقال لا اعلم حتى تكذبوني انا اعلم حتى تكذبوني استبعادا واما يستقيم عطفا على لا اقول ان لو كان المعنى لا اعلم الغيب حتى اعلم ان هؤلاء يتبعوني بادي الرأى (قوله وما انتم بمجزيين بدفع العذاب او الهرب منه) قال الامام فان احدا لا يجزه اي لا ينعى بما اراد ان يفعله والمجزي هو الذي يفصل ما عنده فيعذره مراد الغير فيوصف بانه المجزي لقوله تعالى وما انتم بمجزيين اي لا سبيل لكم الى ان تفعلوا ما عندكم فبمئذ على الله تعالى ما يسهل من العذاب ان اراد انزاله بكم (قوله شرط ودليل جواب) يعني ان قوله تعالى ان اردت ان انصح لكم شرط جزاءه محذوف وما قبله دليل الجواب وليس بجواب عند البصريين فادهم لا يجوزون تقديم الجزاء على الشرط وكذا جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم محذوف خذف لدلالة الجملة الشرطية المتقدمة عليه وتقدير الكلام ما ذكره فتكون الآية الكريمة بطريق قولك ان اتيتني اكرمتك فقولك ان كلتي جواب لقولك ان اتيتني وهي مسئلة اعتراض الشرط على الشرط وفي مثله يكون الجزاء المذكور معاقا على الشرط المذكور او لا وواقعا عند وقوع ذلك الشرط بشرط حصول الشرط الثاني ولما كان حصول الشرط الثاني شرطا لكون الشرط الاول مستلزما للجزاء ومن المعلوم ان الشرط مقدم على المشروط في الوجود وجب ان لا يحكم بمحقق الجزاء الا عند وجود الشرط الاول بعد وجود الشرط الثاني في قولك ان اتيتني اكرمتك ان كان الله يريد ان يغويكم لا يجب الاكرام ولكن ان كلمة ثم ان الله يريد ان يغويكم لا بد من الاكرام ولو قال الرجل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان كنت زيدا قد دخلت ثم قلت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق ولكن ان كنت ثم دخلت تطلق قال الامام قوله ولا ينعىكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزاء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي ان يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدما في الوجود وذلك لان الرجل اذا قال لامرأته انت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم كون الطلاق من لوازم

وقرأ حرة الكسائي وحفص فعميت اي احفيت وقرئ فعميتا على ان الفعل لله (انزل كسوها) انكر حكم على الاعتداء بها (وانتم لها كارهون) لا تختارونها ولا تاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مر موصا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل (ويا قوم لا اسألكم عليه) على استلح وهو وان لم يذكر معلوم ما ذكر (مالا) حولا (ان اجرى الا على الله) فانه المأمول منه (وما انا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربيهم) فيخاضعون طردهم عنده او انهم لا قوته ويفوزون بقره فكيف اطردهم (ولكن اراكم قوما تجهلون) بلقاء ربيكم او باقدارهم اوفى الناس طردهم او تسفهون عليهم بان تدعوه اراذل (ويا قوم من ينصرني من الله) يدع انعامه (ان طردهم) وهم تلك الصفوة والمنانة (أفلا تدكرون) لتعرفوا ان الناس باردهم وتوقف الايمان عليه ليس بصواب (ولا اقول لكم عندى خزائن الله) خزائن رزقه او اماله حتى يجدتم فضلي (ولا اعلم الغيب) عطف على عني خزائن الله اي ولا اقول لكم ان اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول (ولا اقول اني ملك) حتى تقولوا ما انت الاشر مثلنا (ولا اقول لاذي تردى اعينكم) ولا اقول في شأن من استرذلتموه لفقرهم (لئلا يؤتهم الله خيرا) فان ما عند الله لهم في الآخرة خير مما اناكم في الدنيا (الله اعلم بما في انفسهم) اذ المان الطالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاوه دالا لتجانس الزاى في الجهر واستداه الى الاعين للمعانة والتسوية على انهم استرذلوه بادي الرؤية من غير روية وبما عابوا من رثانة حالهم وقلة متاهلهم دون تأمل في معانيهم وكما لا تهم (قالوا يا نوح قد جاد لنا) خاصتنا (فاكثرت جدنا) فاطلسته او اتيتنا نوعه (فأتينا بعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤر فينا (قال انما يايتكم به الله ان شاء) عاجلا او آجلا (وما انتم بمجزيين) بدفع العذاب او الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم) شرط ودليل جواب

الدخول ولكن اذا ذكر بعده شرط آخر مثل ان يقول ان اكلت الخبز كان المعنى ان تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بمحصول الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول واذ لم يوجد الشرط الثاني لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول وبهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى المشروط والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى (قوله وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلاطائل) مع ان جداله معهم انما هو نصيح لهم وارساد الى اثبات التوحيد والشبهة والمعاد وازالة شبهاتهم الواهية ولما كانت هذه الآية تحذيرنا على المعتزلة القائلين بان كفر العبد واغواءه انما هو بقدره العبد وارادته ولا يتعلق بقدره الله تعالى وارادته قالوا ظاهر الآية يدل على انه تعالى اذا اراد اغواء القوم لم يتفعلوا بنصح الرسول وهذا مسلم فانا نعرف ان الله تعالى لو اراد اغواء قوم لم يتفعلهم بنصح الناصحين لكن لم تقولوا انهم ما قتلتم انه تعالى اراد هذا الاغواء وايس النزاع الا فيه (قوله اذابكم فهلك) البشم القنعة يقال بضم الفصائل من كثرة شرب اللبن (قوله تعالى ام يقولون افترأه) الظاهر ان ام فيه منقطعة اضرب الله تعالى عن حكاية جواب نوح عليه الصلاة والسلام لقومه الى انكار ما قالوه في حقه صلى الله عليه وسلم من انه اختلق الوحي على ان الضمير المستتر في افترأه نوح عليه الصلاة والسلام والبارز للوحي الذي بلغه اليهم وقال مقاتل الضمير المستتر فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم ووقع هذا الكلام في قصة محمد صلى الله عليه وسلم على طريق الاضراب عن بيان قصة نوح عليه الصلاة والسلام الى انكار ما يقوله اهل مكة في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ام يقول اهل مكة افترأه محمد القرآن فاخافه من تلقاء نفسه قل يا محمد ان اخلفته فعلى جزاء جرئى وانا برئى مما تجرمون ثم رجع الى قصة نوح عليه الصلاة والسلام والجمهور على كسر همزة اجرامى وهو مصدر اجرم اى كسب ذنبا وقرئ في الساذ اجرامى بشقها وهو جمع جرم كقفل وافقال وقوله ان افترأه لا يدل على انه كان شاكلا بل هو قول يقال على وجه الانكار عند التنبى من القول وفى الكلام حذف مضاف اى فعلى وبال اجرامى وعقابه وفيه محذوف آخر فان المعنى ان كنت افترأه فعلى عقاب اجرامى وان كنت صادقا وكذبونى فعلى عقاب ذلك التكذيب وحذف بقية الكلام لدلالة قوله تعالى وانا برئى مما تجرمون عليها قال ابن عباس رضى الله عنهما بعث نوح عليه السلام بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعة ايام وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعة ايام وخمسين سنة (قوله على طريقة التمثيل) لما كانت العين سببا لحفظ الشيء بناء على ان من غشمت عنائته يحفظ الشيء بجملة نصب عنه صح ان يعبر بهما عن الحفظ مجازا وان يعبر بلفظ العين عن المبالغة في الحفظ والرعاية فن قال عنه بعنى كان مراده بحفظنى واحتياطى او كان مراده بنهاية ما فى وسعى من التحفظ لانه لا يمكن حل الكلام المذكور على ظاهره لان العين ليست من الآلات التى يستعان بها على مباشرة العمل فلا يكون من قبيل قولك قطعته بالسكين حتى يتعين حمله على ظاهره لان السكين من الآلات التى يستعان بها على مباشرة العمل فتعين حمله على المعنى المجازى واغفل العين وان كان مجازا عن الحفظ الا ان اضافته الى المتكلم حقيقة اذا كان المتكلم مركبا من الاعضاء والجوارح واما فى حقه تعالى فانما نصح الاضافة على طريق التمثيل والتشبيه لكونه منزها عن الاعضاء والابعض فيستبد بمن له عين كثيرة وكان قوله باعيننا فى معنى قوله يحفظنا على انه حال من فاعل اصنع اى اعتمد بحفظنا عن ان يمتك اعداؤك من ذلك وعن ان ترغى فى صنعته عن الصواب بوحيك اليك كيف تصنعها وعده الله تعالى فى علمه السفينة بامرئ ان يحفظه من جميع ما يمنعه عن اتمام ذلك العمل على وجه الصواب وان يوحى اليه كيفية عمل السفينة (قوله وقيل المراد بالسخرية الاستهزاء) بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب لان السخرية مسبب عن الجهل لما فيها من التعرض لسخط الله تعالى وعذابه فاتم اولى بالسخرية متا (قوله او يحل عليه حلول الدين) على ان الكلام من قبيل الاستعارة المكنية شبه العذاب الاخرى الذى قضى الله تعالى به فى حقهم بالدين المؤجل الواجب الحلول وانبت له الحلول الذى هو من لوازمه ليكون تمثيلا للتشبيه الضمير فى النفس (قوله او حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام) دخلت على الجملة من الشرط والجزاء ومع كونها حرف ابتداء لا يلزم ان يكون ما بعدها مبتدأ لان ذلك لا يلزم وقد تقع بعدها جملة شرطية مستأنفة كفى هذه الآية وكونها حرف ابتداء لا ينافى

والجملة دليل جواب قوله (ان كان الله يريد ان يغويكم) وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصيحى ولذلك نقول اوقال الرجل انت طالع ان دخلت السدار ان كنت زيدا فدخلت ثم كنت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلاطائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذ ابشم فهلك (هوريك) خالفكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليد ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افترأه قل ان افترأه فعلى اجرامى) وبالله وقرئ اجرامى على الجمع (وانا برئى مما تجرمون) من اجرامكم فى اسناد الافترأ الى (واوحى الى نوح انه ان يؤمن من قومك الا من قدامن فلا تبس بما كانوا يفعلون) اقطعه الله من ايمانهم ونهاه ان يستم بما فعلوه من التكذيب والايذاء (واصنع الفلك باعيننا) ملتصبا بعيننا عبر بكثرة آفة الحس الذى يصفطه الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) ولا تراجعني فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغفرون) محكوم عليهم بالاغواء فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلامه عليه ملاه من قومه سخر وامنه) استهزأ به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء او ان عزته فكانوا يصحكون منه ويقولون له صرت نجسارا بعد ما كنت نبيا (قال ان تسحر واما فانا نسخر منك كما تسخرون) اذا اخذكم الفرق فى الدنيا والخرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستهزاء (فسوف تعملون من يأتى عذاب يخزيه) يعنى به اباهم وبالعذاب الفرق (ويحل عليه) ويذل او يحل عليه حلول الدين الذى لا تفكلك عنه (عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء امرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام (وفارالتور) نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تقور والتور تنور الخبر ابتداء منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجد ها اوفى الهند او بين وردة بارض الجزيرة وقيل التور وجه الارض او اشرف موضع منها

كون ما بعدها غاية لما قبلها فان صنعة الفلك لما سمعت جاء امر الله وفار النور فكانت تلك حتى واقعة بين انتهاء
صنعة الفلك وابتداء يحيى امر الله وهو المراد من كونها الغاية وكان يصنعها الى ان جاء وقت الطوفان
(قوله والياقون اضافوا) اى قرأ العامة باضافة كل الى زوجين على ان اثنين مفعول اجل ومن كل زوجين حال
من المفعول لانه كان صفة للكرة فلما قسم عليها انتصب حالا وعلى قراءة حفص يكون زوجين واثنين صفة مؤكدة
له كقوله تعالى لا تتخذوا آلهين اثنين ومن كل على هذه القراءة يجوز ان يتعلق باجل وهو الظاهر وان يتعلق
بمحذوف على انه حال من زوجين والزوج يطلق في المشهور على كل واحد مما له ازدواج قال تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين ويقال لامرأة زوج قال تعالى وخلق منها زوجها يعنى المرأة وقال تعالى وانه خلق الزوجين الذكر
والانثى ما واحد يقال له زوج قال تعالى ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن
القراتين والزوجان عبارة عن كل اثنين لا يستثنى احدهما عن الآخر ويقال لكل واحد منهما زوج يقال زوج
خف وزوج فعل روى ان نوحا عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف اجل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه
الساع والضير فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذكرك في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة
قال الحسن لم يحمل نوح عليه السلام في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما يتولد من التراب كالحشرات والبق
والبعوض فلم يحمل منه شيئا وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ثمانون
رجلا احدهم حرهم يقال ان في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الهمانيين سميت بذلك لانهم لما خرجوا من
السفينة بنوها فسميت بهم وقيل لم يكن في السفينة الا ما يلد ويبيض وامر الله وثلاثة بنيه سام وحام ويافث ونسأؤهم
الثلاث التي هي ابني نوح عليه السلام احد بنيه وهو سام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك وكانت
لنوح عليه السلام امرأتان احدهما كافرة وهى واعلة ام كنعان وهى ابنة الذى امر الله منه وكان من المفرقين
واخرى مؤمنة وهى التي ذكرها الله تعالى بقوله وأهلك وقاعل قال في قوله تعالى قال اركبوا فيها يحوز
ان يكون لنوح عليه السلام ويجوز ان يكون ضمير الباري تعالى اى وقال الله تعالى لنوح عليه السلام ومن معه
وضمير فيها للسفينة وهو متعلق بركبوا وعدى بنى لتختنه ادخلوا وصيروا فيها راكبين قيل انهم ركبوا السفينة
يوم العاشر من شهر رجب وكان يوم الجمعة فأتت السفينة البيت فطافت اسبوعا فسارت بهم مائة وخمسين يوما
واستقرت بهم على الجودي شهر او كان خروجهم من السفينة يوما عاشورا من المحرم (قوله متصل بركبوا)
فيكون قوله تعالى اركبوا فيها وقوله بسم الله جلة واحدة ويكون بسم الله قيما لاركبوا حالا من فاعله والباء
فيه للملازمة تقديره اى يسمي الله وقت الاجراء والارساء او مكانا لهما ويجوز ان يكون بسم الله محكما بالقول
المقدر اى اركبوا فائنين بسم الله وقت الاجراء والارساء او مكانا لهما فالجري والمرسى على التقديرين ظرفان
منصوبان بما قدر حالا كما صورناه ويجوز ارتفاعهما بسم الله اى بما تعلق به الباء بما قدر حالا على انها فاعلان
له اى اركبوا فيها كاشا بسم الله اجراؤها وارساءها فيكون بسم الله مع متعلقه المقدر حالا كما تقدم ويكون
المجموع جلة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبر او متعلق به والخبر محذوف ويدل عليه انه ذكر هذا
الوجه في ذيل قوله متصل بركبوا اى ويجوز ان يكون بسم الله مجراها جلة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ
وبسم الله خبر او متعلق به وخبر المبتدأ محذوف وعلى تقدير ان يكون جلتين يحتمل ان تكون الجملة الثانية مقضية
مر تجلة منقطعة عما قبلها لا خلا فهما خبر او طلبا حبيب امرهم في الجملة الاولى بالركوب ثم اخبر ان مجراها
ومر ساها بسم الله فان الاقتضاب عرفا الخروج من كلام الى آخر لا علاقة بينهما ويقابله التخلص وهو الخروج
برابطة مناسبة ولا مناسبة بين الامر بالركوب وبين الاخبار بان تجرى السفينة ومر ساها بذكر اسم الله للأنسابة
والخبرة ويحتمل ان تكون الثانية حالا من واو اركبوا او من ضمير الجري وفي قوله فيها وهما بحث من وجهين
الاول ان هذه الجملة كيف تكون حالا من الواو مع انه قد تقرر ان الحال ان كانت جلة فلا بد فيها من عائد يرجع
الى ذى الحال ولا عائد فيها الى ضمير اركبوا لان الضمير في بسم الله ان جعلته خبرا لمجرها فانما يعود على المبتدأ
الذى هو مجراها والثاني ان المصنف كيف قطع يكون هذه الجملة حالا مقدرة مع ان مضمونها مقارن للملابنة
العامل في ذى الحال حقيقة لان المعنى اركبوا بسم الله اجراؤها ولا شك ان نفس مضمونها واقع حال ركبهم
لامقدر عنده فلا تكون مقدرة اللهم الا ان تجعل الجملة في تأويل اجراؤها بسم الله فان اجراؤها لم يكن عند

(قلنا اجل فيها) في السفينة (من كل) من كل نوع
من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكر وانثى
هذا على قراءة حفص والياقون اضافوا على معنى
اجل اثنين من كل زوجين اى من كل صنف ذكر
وصنف انثى (واهلك) عطف على زوجين او اثنين
والمراد امرأته وبنوه ونسأؤهم (الامن سبق عليه
القول) بانه من المفرقين يريد ابنة كنعان وامه واعلة
فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم
(وما آمن معه الا قليل) قبل كانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث
ونسأؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم
روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين
من الساع وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون
فجعل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها
الاناس وفي اعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) اى
صيروا فيها وجعل ذلك ركبوا لانها في الماء كالركوب
في الارض (بسم الله مجراها ومر ساها) متصل
باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها يسمي الله
او قائلين بسم الله وقت اجراؤها وارسائها او مكانها
على ان الجري والمرسى للوقت او المكان والمصدر
والمضاف محذوف كقولهم آتيتك خفوق النجم
وانتصابهما بما قدرناه حالا

الركوب حقيقة بل هو مقدر عنده كما تقول اركب الفرس سا ثم باسم الله والا حوال اربع موطنه ومقدرة ومؤكدة ومثله لان الحال ما بين هيئة الفاعل او المفعول فاما ان تكون مبنية للهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبنية للهيئة بالغير فهي الحال الموطنة لانها لا تبين الهيئة بذاتها بل بتابعها من الصفة فان الحال الموطنة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة كقوله آنا في قوله تعالى اما انزلناه قرآنا عربيا وان كانت مبنية في الاستقبال فهي الحال المقدرة وان كانت في الحال فاما ان تكون لازمة لذى الحال او مفارقة والاولى مؤكدة والثانية منقولة (قوله ويجوز ان يكون الاسم مقصدا) والمعنى بالله اى بقدرته وامره اجر آؤها وارساؤها وتعام البت

فقوموا وقولا بالذى قد صرنا * ولا تخمنا وجها ولا تحلقنا الشعر
الى الحول ثم اسم السلام عليهما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قاله ليدين ربيعة العامري يوصى ابنه حين حضرته الوفاة بالبقاء والتدب عليه وقرئ مرساها بالفتح الميم الا ان القراء السبعة اتفقوا على ضم ميم مرساها فالضم فيها مبنى على انها من اجري وارسى والفتح على انها من اجري ورسا (قوله صفتين لله) فيه ان اضافة اسم الفاعل الى معموله لفظية لا تنفيده تعريفا فكيف جاز وقوعه صفة للسرفه والظاهر انها بلدان من اسم الله اولم يرد بالصفة التعت الخوى بل ما يكون مفهومه معنى قائما بالغير (قوله اى لولا مغفرته لفرطنا تكلم) يريد ان قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم جملة مستأنفة جيئ بها بيانا لموجب الامر السابق ولا يصح ان تكون علة لا ركبو اعدم المناسبة فيقد رما يصح به الكلام بان يقال امتثلوا ما امرتم به لنجيتكم الله تعالى بمغفرته ورجته او يقال اركبوا فيها ذاكرين الله تعالى ولا تخافوا غرق بسبب ما فرط منكم من التقصير لان الله غفور رحيم وفيه ان انجاءهم لا لا لاسطة اى منهم بسبب انهم كانوا مؤمنين بل هو محض رحمة الله وغفرانه كما عليه اهل السنة (قوله متصل بمحذوف) يعنى ان قوله تعالى وهى تجري بهم في موج كالجبال حال من شئ محذوف تضمنه جملة دل عليها سياق الكلام كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجري بهم وقوله فيها اشارة الى ان قوله تعالى بهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تجري اى تجري ملتبسة بهم كقوله * تدوس بنا الجحاجم والثرائب * اى تدوس خيولنا ملتبسة بنا ونحن راكبون عليها جاجم القتلى وتراجمهم ولوجعل الباء للتعدية لم يتجح الى هذا التأويل (قوله وما قيل من ان الماء طبق) اى ملاء ما بين السماء والارض جواب عما يقال اذا ملاء الماء ما بين السماء والارض لم يتصور الموج فيه فامعنى جريها في الموج واجاب عنه اولابان الرواية ليست بثابتة وثانيا بان جريانها في الموج كان في زمان عدم التطبيق وجريانها في جوف الماء قرأ الجمهور ونوح ابنه بكسرتين نوح لالتقاء الساكنين وقرئ بضمة اتباعا لحركة الاعراب وقرأ العامة ابنه بوصل هاء الضمير يواو وهى اللغة انصحية الفاشية وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما بسكون الهاء قيل انه لغة وقرأ على رضى الله عنه ابنها باضافة ابن الى امرأة نوح عليه الصلاة والسلام وكأنه اعتبر قوله تعالى انه ليس من اهلك وقوله عليه الصلاة والسلام ان ابني من اهلى لا يدل على بنوته له وانما يدل عليها لوقال منى وقرأ ابنه بفتح النون والهاء وحذف الالف اكتفاء عنها بالفتح كما تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ ابناه بالالف وهاء السكت على صيغة التدبى وهى وان كانت عبارة عن التفتح والتعزين ليمت الا انه لما رأى ابنه مشرفا على الغرق والهلاك ناداه بصيغة التدبى على وجه الرأفة والترحم ولما ورد ان يقال كيف تحكم بانه على صيغة التدبى والقوم قد نصوا على انه لا يجوز حذف حرف النداء من الندوب اجاب عنه بانه حكاية تدبته عليه الصلاة والسلام وليست ندبة في نفسها فلماذا سوغ حذف حرف النداء (قوله تعالى وكان في معزل) في محل نصب على انه حال من ابنه والحال يأتى من المنادى لانه مفعول به والمعزل بكسر الزاى اسم لمكان العزل وهو الابعاد اى وكان بمكان عزل فيه نفسه عن ابنه بناء على ظنه ان الجبل يعصده من الغرق واختلف في انه هل كان ابنا له حقيقة او ربه فقيل انه ابنه في الحقيقة لانه تعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه وقال يابني وصرف هذا اللفظ الى انه كان ربه فاطلق عليه هذا الاسم لهذا السبب صرف الكلام من حقيقته الى مجازة من غير ضرورة فانه لا يجوز ومنهم من خالف هذا الظاهر استبعادا لان يكون ولد المعصوم كافرا وليس بعيد لانه قد ثبت ان والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والدى ابراهيم عليه الصلاة

ويجوز رفعها بسم الله على ان المراد به الحمد المختص
او جملة من مبدأ وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان
بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهى اما جملة
مقتضية لاتعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من النواو
او الهاء وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز
ان يكون الاسم مقصدا كقوله ثم اسم السلام عليهما
وقرأ حزة والكسائي وعاصم برواية حفص بحراها
بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا
وكلاهما يحتمل الثلاثة ومحريها ومرسيتها بلفظ
الفاعل صفتين لله (ان ربي لغفور رحيم) اى لولا
مغفرته لفرطنا تكلم ورجته اياكم لما انجاءكم (وهى تجري
بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا
مسمين وهى تجري وهم فيها (في موج كالجبال)
في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه كل موجة منها تجبل في تراكمها وارتفاعها
وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت
السفينة تجري في حوفه ليس بثابت والمتهور انه
علاشواخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فعل
ذلك قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرأ
على ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته
وكان ربه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخا ثناهما
وهو خطأ اذا لا نبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة
الخيانة في الدين وقرئ ابناه على السندى ولكونها
حكاية سوغ حذف الحرف (وكان في معزل) عزل
فيه نفسه عن ابده او عن دينه مفعول للمكان من عزله
عنه اذا ابعده

(يا بني اركب معنا) في السفينة والجمهور كسر والياء
ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير
ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول
باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قبل وعاصم فانه
فتح ههنا اقصارا على التفتح من الالف المبذلة من
ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع
وقد ادمع الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص
لتقار بهما (ولا تكن مع الكافرين) في الدين
والانزال (قال سأ اوى الى جبل يعصني من الماء)
ان يعرني (قال لعاصم اليوم من امر الله الامن رحم)
الا الراحم وهو الله تعالى او الامكان من رحمهم الله
وهم المؤمنون ورد بذلك ان يكون اليوم معصم من
جبل ونحوه يعصم اللآذنه الامعصم المؤمنين وهو
السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لا ذاعمة كقوله تعالى
في عيسى راضية وقيل الاستاء منقطع اى لكن من
رحمة الله يعصمه (وحال بينهما الموح) بين نوح وابنه
او بين ابنه والجبل (فكان من المرفقين) فصار من
المهلكن الماء

الا المرحوم فيئذ يكون الاستثناء متقطعا ويكون المعنى لا عاصم اليوم لكن من رجه الله يعصمه ذكر صاحب
الانصاف ان الاحتمالات الممكنة اربعة لا عاصم الاراحم ولا معصوم الامر حوم ولا عاصم الامر حوم
ولا معصوم الامر حوم على انه من الجنس بتأويل حذف مضاف تقديره لا مكان عاصم الا مكان امر حوم
والمراد بالتأويل التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها اقرب من بعضها (قوله نو ديا بما يتادى به اولوا العلم)
حيث نو ديا باسم حقيقتها وهو يارض ويسماء فطلب به اقبالهما تشبيها بالعقل المسمى بالأمورين الذين
لا يتأقن منهم العصيان لكمال هبة الامر وادخالهما في جنس هؤلاء المأمورين على جهة الاستعارة المكنية
وجعل النداء قرينتها على سبيل الاستعارة التخييلية وجعل القلع والبلع ترشيحا للاستعارة لان كل واحد
متهما امر ملائم للمستعارة اما القلع فظاهر واما البلع فلانه ادخال الطعام في الحلق بعمل الجراحة والمراد
بالبلع ههنا ان تشق الارض ماءها اي تشريه فهو استعارة لغور الماء في الارض يقال تشق الثوب العرق
بكسر الشين اي شربه والنعل من باب علم واما الاقلاع فهو مشترك بين الحيوانات والجمادات يقال اقلع الرجل
من عمله اذا كف واقلعت السماء بعد ما مطرت اذا مسكت فليس تميز ولا ترشيحا (قوله وغبض الماء
نقص) يعني ان الغبض التقصان يقال غاض الماء يغض اي قل ونقص وغبض الماء اي فصل به ذلك
وغاضه الله تعالى فيتعدي ولا يتعدي وغاضه الله تعالى ايضا ومن التعدي هذه الآية لان النعل لا يبنى
للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا اذا كان متعديا بنفسه (قوله وانجز ما وعد) يعني ان القضاء بمعنى الفراغ
كانه قيل تم امرهم وفرغ من اهلاكهم وفي الصحاح وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ يقال قضبت حا حتى
وضربه فقضى عليه اي قتله كانه فرغ منه وسهم قاض اي قاتل (قوله هلاكهم) يعني ان البعد ههنا
مصدر بعد بكسر العين اذا صار بعيد بحيث لا يرجع عوده وفي الصحاح البعد ضد القرب وقد بعد بالضم
وهو بعيد والبعد بالتحريك جمع يلعد مثل خادم وخدم والبعد ايضا الهلاك تقول منه بعد بالكسر فهو باعد
وبعد في الآية منصوب على انه مصدر لفعله المقدر اي وقيل بعدوا بعد والمعنى الدعاء عليهم بذلك واللام متعلق
بفعل محذوف على سبيل البيان كما في نحو سقيالك وهيت لك وهو المتبادر من تعبير المصنف ويحتمل ان يتعلق
بقوله قيل اي قيل لاجلهم هذا القول (قوله وايراد الاخبار) وهي قوله وغبض الماء وقضى وقيل على البناء
للمفعول للدلالة على غاية العظمة والجلال بحيث اذا ذكرت هذه الافعال مستندة الى المفعول لا ينصرف الفعل
الى اليه (قوله واراد نداءه) اي قدر الارادة لان نداءه هو قوله رب فيلزم عطف اشئ على نفسه لولا تقدير
الارادة ولو قيل قوله ونادى نوح ربه بجملة وما بعده تفصيل له وحق التفصيل ان يكون عقب ذكر الاجال
لكان له وجه (قوله فاحاله او فحاله لم ينج) فيكون النداء بعد غرق ابند طلبا للحكمة في عدم نجاة مع انه تعالى
قد وعده بان ينجي اهله ويجوز ان يكون هذا قبل غرقه والمقصود من النداء طلب نجاة واختار المصنف
ان يكون هذا النداء بعد الفرق لما سبق من انه صلى الله عليه وسلم نادى ابند قائلا يا بني اركب معنا وانه امتنع من
الركوب معهم فحال بينهما الموج فكان من المفرقين ثم ذكر بعده نجاة المؤمنين باستواء السفينة ثم ذكر بعده هذه
الآية فهذا الترتيب يدل على ان نداء ربه في حق ابند وقع بعد غرق الابن ولانه قد علم انه تعالى قد نهاه عن الخطاة
في الذين ظلموا وهو يستلزم ان يكون هذا النداء بعد غرق الابن لان كونه قبل الفرق يتضمن سؤال الحياة لانه
مع انه قد نهى عنه وارتكاب المهمل عنه معصية فلا يجوز في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان قيل فكيف
يجوز المصنف نداء الرب قبل غرق الابن وقبل ان يطلب منه ان يركب مع المؤمنين مع انه يتضمن استفادع العذاب
عن ابند الظالم فالجواب ان المنهي عنه هو الخطا بطلب استفادع العذاب عن علم انه من الظالمين وهو عليه الصلاة
والسلام سأل الحياة في حق ابند وهو غير عالم بكفره فان استثناء من سبق عليه القول انما يدل على ان في اهله
من هو غير ناج ولا يدل على انه ابند فان قيل هب انه لا يعلم بكفره حال نداء ربه فقد علم به بعد ذلك بقوله تعالى انه
ليس من اهلك الآية فكيف جازله ان يتادى ابند بعد ذلك قائلا له يا بني اركب معنا طلبا لبعثته مع علمه بجهالة
فالجواب انه عليه الصلاة والسلام امره بالركوب بناء على ظن ان الابن لما شاهد سب الفرق والاهوال العظيمة
جازله ان يعرض عن الكفر ويقبل الايمان فصار امره بالركوب في الحقيقة امره بالايمان ومجانبة الكفار والاشراك

(وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويسماء اقلعي) نو ديا
بما يتادى به اولوا العلم وامر ابلعي ماءك ونتميلا لكمال
قدرته واتقيادهما البناء تكونه فيها بالامر المطاع
الذي يأمر المتقادر لحكمه للبادر الى امتثال امره مهابة
من عظمت وخشية من اليم عقابه والبلع الشف
والاقلاع الامسال (وغبض الماء) نقص (وقضى
الامر) وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء
المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على
الجودي) جل بالموصل وقيل بالسام وقيل ببابل روى
انه ركب السفينة طاشر رجب ونزل عنها طاشر المحرم
فصار ذلك اليوم وصار ذلك سنة (وقيل بعد القوم
الظالمين) هلاكهم يقال بعد بعدا او بعدا اذا بعد بعدا
بعيد بحيث لا يرجع عوده ثم استعير لالهلاك وخص بدعاء
السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن
نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن
الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة
على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره
اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال
لا يقدر عليه سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه)
واراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابني
من اهلي) فانه النداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد
تعهده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي
اهلي فاحاله او فحاله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء
قل غرقه

معهم في الكفر والضلال والنجاسة مع المؤمنين بدخوله محل النجاسة مع ان هذا السؤال يرد عليه على تقدير ان يكون نداء الابن مقدما على نداء الرب بعد الفرق بان يقال كيف طلب بالنداء ابنه الكافر ان يركب مع المؤمنين ويجوز من عذاب الكافرين والحاصل ان امة نوح عليه الصلاة والسلام كانوا ثلاثة اقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يعلم ايمانه ووافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين النجاسة وحكم الكافرين هو العرق وكان ذلك معلوما واما اهل التفريق فحق ظلمه تحميا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت السفينة المفرطة التي تكون للاب في حق الابن تحمله على جبال حال ابنه واقباله لا على كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فلما رآه يعزل عن القوم طلب منه ركوب السفينة فقال سأ اوى الى جبل يعصني من الماء وذلك لا يدل على كفره لجواز ان يكون امتناعه من الدخول لكرهته الاحتباس في السفينة وظنه ان الصعود على الجبال يجرى بحرى الركب في السفينة وانه يصون من الفرق ايضا وقول نوح عليه الصلاة والسلام لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم لا يدل على انه عليه السلام علم من ابنه انه كان كافرا لجواز ان يكون مراده ان يقرر عدايته انه لا ينفعه الا الايمان والعمل الصالح وقصد هذه الحالة لانه قد بقي في قلبه ظن ان ذلك الابن مؤمن فنادى ربه طالبا منه ان يخلصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في السفينة واما بان يحفظه على قمة جبل فعند ذلك اخبر الله تعالى بانه متوافق وانه ليس من اهل دينه فالزلة الصادرة من نوح عليه الصلاة والسلام هي عدم استقصائه في تعريف ما يدل على نفاق ابنه وكفره (قوله لا تكلموا بهم واعلمهم) علة لكونه تعالى احكم الحاكمين في الحكم وفي الكشف وابت احكم الحاكمين اي اعلم الحكم واعلمهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون من الحكمة على انه يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع (قوله فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة) في مداومته على العمل الناصد فان الرجل اذا اكثر عمله وكرمه يقال انه عمل وكرم قالت الخساء اخت صخر تصف ناقة فقدت ولدها بنجر او موت او ندم

ترعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار

كانها نفس الاقبال والادبار (قوله ثم بدل الفاسد بغير الصالح) جواب عما يقال ان اثبات الفساد للعمل ونفي الصلاح عنه متلازمان فلو اؤثر الثاني على الاول مع انه اخصر والجواب ان الصلاح صفة اهل نوح وكان في عنه كونه من اهل نوح نفي عنه صفتهم ايضا حتى اذا علم ان عدم صفتهم كان سببا لهلاكه علم مند صريحا ان صفتهم هي التي كانت سبب نجاستهم لا كونهم من اهل نوح وعبرة الفساد وان دلت على هذا المعنى ضمنا الا ان التصريح بالمقصود اولى واقرب الى الفهم (قوله وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل) على صيغة الفعل الماضي وغير منصوب على انه نعت لمصدر محذوف والمعنى ان ابنك عمل علا غير صالح اشرك وكذب والباقون قرأوا عمل بفتح الميم وتووين الكلمة ورفعها على انها اسم وقع خبران وغير بارفع على انه صفة للمرفوع (قوله قد دله على الحال) وهي ان ابنه من سبق عليه القول واستوجب العذاب فانه تعالى لما قدم الوعد بانجاه اهل مع استثناء من سبق عليه القول كان عليه السلام يعتقد ان في جلة اهل من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بصالحين وهذه الاحالة شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنى منهم فلذلك عوذب عليه بان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشبهه عليه وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعد ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين (قوله وقرأ ابن كثير) فلا نسألن بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة فلم يجعل الفعل متصلا بياء التكلم بل اكده بنون التأكيد الثقيلة وقرأ نافع برواية قالون وابن عامر فلا نسألن بفتح اللام وتشديد النون المكسورة من غير اثبات الياء بعدها وفي رواية ورش عن نافع فلا نسألن باثبات الياء بعد النون المشددة حال الوصل والباقون باسكان اللام وكسر النون وتحفيفها بانيات الياء وصلوا لاني عمرو وبدون الياء في الحالتين للكوفيين فن خفف النون جعلها نون الوقاية وحدها ومن شدها جعلها نون التأكيد ثم انه تعالى لما قال فلا نسألن ما ليس لك به علم قال عليه الصلاة والسلام قبلت يارب هذا التكليف ولا اعوذ اليه الا اني لا اقدر على الاحتراز منه الا بما منك وهذا يتكفل به فلا نسألن ما ليس لك به علم وان اعوذ الى مثله ابدانم اشتغل بالاعتذار عما مضى فقال ولا تغفري وترجني اكن من الخاسرين وحققة التوبة تقتضي امرين احدهما العزم على ترك الفعل في المستقبل واليه اشار بقوله اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والاخر الندم والاستغفار

(وانت احكم الحاكمين) لا تكلموا بهم واعلمهم اولئك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يابن نوح انه ليس من اهلنا) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واثار اليد بقوله (انه على غير صالح) فانه تعليل لنفي كونه من اهل واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخساء تصف ناقة ترتع

ترعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاسة لم ينجا من اهل عند وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل علا غير صالح (فلا نسألن ما ليس لك به علم) ما لم تعلم اصواب هوام ليس بصواب وانما يسمى نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهل استجازه في شأن ولده او استفسار المانع للامتناع في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله (انني اعظكم ان تكون من الجاهلين) لان استثناء من سبق عليه القول من اهل قد دله على الحال واغتاه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتد عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون التشديد وكذلك نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسليتي فحذف نون الوقاية لاحتمال التواتر وكسرت السيدة للياء ثم حذفوا كسرا بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل (قال رب اني اعوذ بك ان اسألك) فيما يستقبل (ما ليس لي به علم) ما لا علم لي بجهته (ولا تغفري) وان لم تغفري ما فرط مني من السؤال (وترجني) بالتوبة والتفضل على (اكن من الخاسرين)

اعمالا

لما معنى واليد الاشارة بقوله والا تغفل الآية (قوله انزل من السفينة مسلما) اشارة الى ان قوله سلام حال من فاعل اهبط يعنى انزل اى ملتبسا بسلام معنا صفة لسلام فيتعلق بمحذوف امره الله تعالى بان ينزل من السفينة ثم وعده عند الخروج بالسلامة اولاً ثم بالبركة ثانياً ويحتمل ان يكون قوله اهبط امر ابا نيزل من جبل الجودي الذى استقرت السفينة عليه الى الارض المستوية والبركات الخيرات الثامنية وهى عطف على قوله سلام فيكون مثله في الاعراب وهو عليه السلام لما خرج من السفينة وعلم انه ليس في الارض ما يستفيع به من النبات والحيوان صار كالخائف في انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من الماء كقول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منازل ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات ولا يكون ذلك الا من سعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة اردف بان وعده بالبركة لان موجبات السلامة والراحة والفراغة تكون في الزهانة والثناء والتبات والاستقرار على ان البركة عبارة عن الدوام والبقاء والتبات ومنه برك الا بل ومنه البركة لتبوت الماء فيها ومنه تبارك الله اى ثبت تعظيمه وقيل المراد بالبركة الموعودة له عليه الصلاة والسلام كونه ابا لمن جاء بعد من الشر الى يوم اقيامة كمال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقيين فانه روى انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته وصار عليه الصلاة والسلام ادم ثانياً وروى ايضا انه لم يكن في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام الا من كان من نسله وذريته وعلى التقديرين فانخلق كلهم انما يولدون منه ومن اولاده فهذا هو المراد من البركات التى وعده الله تعالى بها (قوله وعلى امم هم الذين معك) على ان تكون كلمة من في قوله من معك لبيان الجنس فيراد بالامم الامم الذين كانوا في السفينة لانهم كانوا جماعة متحيزين وايضا كانوا امناء لمن تسبب منهم من الامم (قوله وعلى امم ناشئة من معك) على ان تكون من لابتداء النسابة فالمراد بالامم الامم المؤمنون الى آخر الدهر (قوله اى ومن معك امم ستمتعهم) على ان امم من فروع بالابتداء وستمتعهم صفته واخبر بمحذوف دلالة قوله من معك والمعنى ان المسلم منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون من معك وامم ستمتعون بالدنيا منقلبون في الآخرة الى النار فان نوحا عليه الصلاة والسلام كان اب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والخلق الحادث بعد الطوفان نسلأ منه ومن اولاده الذين كانوا معه في السفينة (قوله عطف على قوله نوحا) كانه قيل ولقد ارسنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم فان قيل عاد قبيلة من العرب وهو علم شخص معين والشخص الواحد كيف يكون اخا للقبيلة فالجواب ان الآخرة بمعنى انتساب شخص الى صلب واحد منهم كما يقال يا اخا عيم ويا اخا قريش لرجل منهم وهو د عليه الصلاة والسلام وان لم يكن اخا لعاد في الدارين الا انه كان واحداً من قبيلة عاد وهم قبيلة من العرب بناحية اليمن كان صالحا كان واحداً من قبيلة ثمود (قوله ثم توسلوا اليها بالتوبة) لما كانت المغفرة منوطه بالتوبة وكانت التوبة وسيلة اليها فخر المصنف قوله تعالى ثم تو بوا اليه بقوله ثم توسلوا اليها بالتوبة وزم منه ان تكون كلمة ثم التراخي في الاخبار فان هودا عليه الصلاة والسلام دعا قومه الى التوحيد ثم كلفهم ان يطلبوا من ربهم ان يغفر لهم ذنوبهم ثم بين الشيء الذى يتوسل به الى المغفرة وهو التوبة فقال ثم تو بوا اليه فانه لا سبيل الى طلب المغفرة من الله تعالى الا باظهار التوبة لان المذنب معرض عن طريق الحق والمعرض المتخادى في التباعد مالم يرجع عن ذلك الاعراض لا يمكنه التوجه الى المطلوب فالمطلوب بالذات هو العقو والغفران والصفح والرضوان الا ان ذلك لا يمكن الا بالرجوع عن المخالفة والعدوان فثبت ان المغفرة مطلوبة بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها من مبادئ المغفرة وما كان آخرها في الحصول كان مقدما في الطلب فهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة ثم بين ما يتوقف عليه المطلوب ثم اشار المصنف الى ان كلمة ثم للاشارة الى ان التوبة والتبرئ من عبادة غير الله تعالى متأخر بالذات والرتبة عن الايمان بالله والارغبة فيما عنده وقد اشار المصنف في اول السورة الى وجه آخر وهو ان تكون ثم على اصل معناها بان تكون التوبة التى هى الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب والتوصل الى ما عند الله تعالى من الكرامة انما يكون بالاستغفار وقوله تعالى يرسل السماء ممطر من على انه جواب الامر والمعنى انكم متى فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عليكم وعندكم ويقر بكم على الانتفاع بها فان انتظام حال الانسان في معاشه كما يتوقف على وصول نفس النعم والارزاق اليه يتوقف ايضا

(قيل يا نوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلماً من المكروه من جهنم او مسلماً عليك (و بركات عليك) ومباركا عليك اوز يادات في نسلك حتى تصير آدم ثانياً وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى الخير الثامنى (وعلى امم ممن معك) وعلى امم هم الذين معك سموا امم الخبز بهم او لشعب الامم منهم او على امم ناسئة من معك والمراد بهم المؤمنون لقوله (وامم ستمتعهم) اى ومن معك امم ستمتعهم في الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من انبياء اهبط) اى بعضها (نوحها اليك) خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك احوال من الانبياء او هو الخبر ومن انبياء متعلق به احوال من الهاء (ما كنت تعلمها) انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحاشا اليك احوال من الهاء في نوحها او الكاف في اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يعلمها اذ لم يخاطب غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعوها فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مساق الرسالة واذية القوم كاصبر نوح (ان العاقبة) في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصي (والى عاد اخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهو د عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) وقرئ بالجر جلا على الجبرور وحده (ان اتم الا مفترون) على الله بالتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجرى الاعلى الذى فطرني خاطب كل رسول به قومه اراحة للتهمة وتحيضا للنصيحة فانها لا تنفع ما دامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم فعرفوا الحق من البطل والصواب من الخطأ (ويا قوم استغفروا ربكم ثم تو بوا اليه) اطلوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرئ من انغير انما يكون بعد الايمان بالله والارغبة فيما عنده

(يرسل السماء عليكم مدرارا) كثيرا الدرد (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضعف قوتكم وانما رغبتهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعظم ارحام نسايتهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالناسل (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عما ادعوا اليه (بحر من) مصريين على اجرامكم (قالوا يا هود ما جئنا بيبئ) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات (وما نحن بتاركى آلهتنا) بتاركى عبادتهم (عن قولك) صناديرين عن قولك حال من الضيف في تاركى (وما نحن لك بمؤمنين) اقتطاعه من الاجابة والتصديق (ان نقول الا اعتراك) مانقول الا قولنا اعتراك اى اصابتك من عرايمه واذ اصابه (بعض آلهتنا بسوء) يجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والافعال والاستثناء مفرغ (قال انى اشهد الله واسهدوا انى برى مما تشركون من دونه فكيدونى جميعايم لاتنظرون) اجاب به عن مقالتهم المتقاء بان اشهد الله تعالى على برآئه من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيذا لذلك وتذيله وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة لهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضرهم ولم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التى هي جداد لا تضر ولا تنفع لا يمكن من اضراجه انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجاهل الغفير من الجارية الفتاة العطاش الى ارافد دم بهذا الكلام اسس الاثقة بالله وتبسطهم عن اضراجه اسس الابعصته اياه واذك عتبه بقوله (انى توكلت على الله ربي وربكم) تشريره الى والمعنى انكم وان بذتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى توكل على الله وانق بكلامه وهو ما كنى وما لكم لا يبحق بى ما لم يرده ولا تقدرين على ما لم يقدره ثم يهرن عليه بقوله (ما من دابة الا هو اخذ بناصيته) اى الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده من نصم ولا يقوته ظالم (فان تولوا) فان تولوا (فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) فقد اديت ما على من الابلاغ والزام المحبة فلا تفرطنى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموا السهم او عطف على الجواب بالنساء ويؤيده اقرأة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تولوا يعذرنى ربي ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من الضررو من جزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربي على كل شىء حفيظ) زقيب فلا يثني عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم واحافظ مستولى عليه فلا يمكن ان يضره شىء (ولما جاء امرنا) عذابنا او امرنا بالعذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا اربعة آلاف (ونجيناهم من

(٥٠)

على اقتداره على الانتفاع بها حتى اجتمع الامر ان فقد بلغ فى سعاده العايلة الى الكمال ومتى فقد اى واحد منهما او كلاهما فقد اختل امر معاشه (قوله كثير الدرد) مبنى على ان المدرار من ابناء المبالغة وهو حال من السماء ولم يؤث لان مفعالا للمبالغة يستوى فيه المؤنث والمذكر كصبر اولان المراد بالسماء السحاب او المطر فذكر جلا على المعنى يقال سحاب مدرار وغيث مدرار اذا تابع منه القطر (قوله صناديرين عن قولك) من صدر مدرار بمعنى رجوع واعرض كانه قيل لا تقبل قولك يا قوم اعبدوا الله وحده معرضين عنه اى نحن مصريون على ما نحن عايد من الاعراض عن قولك لا يحد ث منا فيما يستقبل قبول قولك وترك عبادة آلهتنا جعل كلمة عن فى قوله عن قولك متعلقا بقوله تاركى باعتبار ما ضمنه من معنى الصدر والاعراض وجعل الفعل المذكور اصلا والمضمر حالا كما فى قوله تعالى ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق اى لا تتبعها معرضا عما جاءك وان كان الاكثر والاولى فى باب التضمن ان يجعل الفعل المضمر اصلا والمذكور فى اللفظ حالا لما فيه من الاعتناء بشأن المتروك يجعل حرف الجر المذكور مع الفعل الملقوظ صالحة للمتروك ومثاله ان يقال فى تقدير قوله تعالى ولا تتبع اهواءهم عما جاءك متعبا اهواءهم وكلا الامر بن حسن شائع فى كلام الفصحاء والارجح الاكثر هو الثانى لما ذكرنا والاول قليل بالنسبة اليه (قوله وهذا) اى مواجهته قومه مع كثرة عددهم بقوله لهم عما لؤوا انتم واوتانكم جميعا فى عدوانى واقصد راهلاى ولا تمهلونى من اعظم معجزات الانبياء والقائك الحرقى القاتل والجمع فك والفتك ان يأتى الرجل صاحبه وهو غارضا فل حتى يستد عليه فيقتله (قوله بهذا الكلام) حال من فاعل الموا جهة اى مواجهته اياهم ملتبسا بهذا الكلام وتبسطهم بالنصب عطف على مواجهته واشتبط عن الامر اشتغال عنه والكلا ة الحفظ لما اجاب قوم هود اياه عليه الصلاة والسلام بان اقضوه من اجابتهم وقالوا ان بعض آلهتنا اصابتك بجنون وافسد عقلك لسبك اياها وصدك عن عبادتها والا فنى له عقل سليم لا يقدم على ما انت عليه اجاب هود عليه الصلاة والسلام بقوله فكيدونى جميعايم لاتنظرون عن قولهم ان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء وقوله انى اشهد الله واشهدوا انى برى مما تشركون من دونه مقدمة وتهيد للجواب فانهم لما سمعوا آلهة واثبتوا لها الضرر نى بقوله اشهد الله الآية كونها آلهة رأسم نى الضرر بقوله فكيدونى ثم لاتنظرون على ابلغ وجهه ولما ورد ان يقال ان قوله واشهدوا عطف على قوله اشهد ويمنع من عطفه عليه امر ان الاول ان الطلب لا يعطف على الخبر والثانى ان عطفه عليه يستلزم ان يكون الطلب خبرا وهو غير جائز وبيان الملازمة ان اشهد خبر لكلمة ان فاعطف عليه يكون خبرا ايضا فالظاهر ان يقال انى اشهد الله واشهدكم اشار الى جوابه ببيان الفرق بين اشهاد الله تعالى واشهاد اياهم بان اشهاد الله تعالى اشهاد على التحقيق جئى به ليؤكد به ما ذكره من البراءة من شركهم وشركائهم بخلاف اشهاد اياهم على البراءة فانه ليس اشهادا على التحقيق اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهدك على اى برى منك الا وهو يريد عدم المبالاة برآئه والاستهانة بعداوتة فلما اختلف الاشهاد ان فى المعنى خولف بينهما فى الصيغة فجئى بصيغة الامر وان كان المراد بها الخبر لان الجملتين اذا اختلفتا خبرا وطلبيا فلا بد ان يقدر الطلب بالخبر او بالعكس (قوله والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك) فان الناصية عند العرب السعر فى مقدم الرأس ويسمى السعر الزناىب هنالك ايضا ناصية تسمية له باسم منته والاخذ بناصية الانسان عبارة عن قهره والغلبة عليه وكونه فى قبضة الاخذ بحيث تناله قدرته كيف شاء والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع لرجل قالوا ما ناصيته الا يد فلان اى انه مطيع له لان كل من اخذت بناصيته فقد قهرته فكان احذ الله تعالى بناصية الخلائق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم وقوله ان ربي على صراط مستقيم استئناف لبيان ما يوجب التوكل عليه والمعنى انه تعالى مع كونه قادرا على ان يخلص الخلائق ليس الا على الحق والعدل لا يظلمهم ولا يلحقهم بقدرته الا ما يوجب الحق وقوعه بهم فلا يضيع عنده معتصم ولا يقوته ظالم (قوله تكرير) اى ليس المراد بالنجاة الثانية من عذاب الدنيا وبالنجاة الثانية النجاة من عذاب الآخرة فيكون حينئذ معنى قوله فنجينا هم حكما بانهم لا يسهم عذاب يوم القيامة والمراد بالسوم ما نزل بهم من الريح

عذاب غليظ) تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به نجيتهم من عذاب الآخرة ايضا
 وانعريض بان المهلكين كاعذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) انت اسم الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم
 (جمعوا بايات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسلا) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول (واتبعوا امر كل جبار عنيد)
 يعني كبارهم الطاغين وعبيد من عند عبدا وعنودا وعندا اذا طغوا والمعنى
 عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من
 دعاهم الى الكفر وما يردبهم (واتبعوا في هذه الدنيا
 لعنة ويوم القيامة) اي جعلت اللعنة تابعة لهم
 في الدارين تكبهم في العذاب (الا ان عادا كفروا
 ربهم) جحدوا وكفروا واعدوا وكفروا به خذف الجار
 (الابعد العاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة
 على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي
 عنهم وانما كرا لا واعاد ذكرهم تفضيلا لامرهم وحنا
 على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد
 وفائدة تمييزهم عن عاد الثانية عادارم والاياء الى
 ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود (والى هود
 اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
 هو انشاكم من الارض) هو كونكم منها لا غيره فانه
 خلق آدم ومواد الطيف التي خلق نسله منها من التراب
 (واستمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر
 او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى
 بمعنى امركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
 اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة
 عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
 قريب) قريب الرحمة (حبيب) لدا عبيد (قالوا يا صالح قد
 كنت فينا من جوا قبل هذا) لما نزل فيك من مخالب الرشد
 والسداد ان تكون لنا سييدا او مستشارا في الامور
 او ان توافقتا في الدين فلا سمعنا هذا القول منك انقطع
 رجاءنا عنك (أتها انان نعبد ما يعبد آباؤنا) على حكاية
 الحال الماضية (وانا انى شك مما تدعوننا اليه)
 من التوحيد والتبوء من الاوثان (مررب) موقع
 في الرية من اراه اودى ربة على الاسناد المجازى
 من ارب في الامر (قال يا قوم أرايتم ان كنت على
 بينة من ربي) بيان وبصرة وحرف التسك باعتبار
 الخطابين (وأنا انى منه رحمة) نبوة (فن ينصرتنى
 من الله) فن يعنى من عذابه (ان عصيته) في تبلغ
 رسالته والمنع عن الاشراك به (فأتريدوننى) اذا
 باستماعكم اباي (غير متخير) غير ان تخسرونى بابطال
 ما منحنى الله به وان تعرض لعذابه او فمأ تريدوننى
 بما تقولون لى غير ان انسبك الى الخسران (ويا قوم
 هذه ناقة الله لكم آية) انتصبت آية على الحال
 وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها، تقدمت عليها
 لتكبرها (فذروها تأكل في ارض الله) ترع نباتها
 وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء) فإخذكم عذاب
 قريب (عاجل لا يتراخى عن مسك لها بالسوء الايسر
 وهو ثلاثة ايام) ففعلوها فقال تمتعوا

القيم التي عذبهم الله تعالى بها سبع ليال ومائة ايام تدخل في مناخرهم وتخرج من ادبارهم وتضر بهم
 على وجوههم حتى صاروا كالحجاز تخلص خاوية قبل المارد من الرحمة ما هداهم الله به من الايمان وقيل
 المراد انه لا ينجوا احد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله تعالى وقصتهم ان عادا انبسطوا في البلاد
 ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صاودا وصودا والها فعبث الله اليهم هودا نبيا وكان اوسطهم
 واخيرهم واحسنهم جساما وافضلهم نسا فكنزوه وازدادوا تجبرا واعتوا فامسك الله عليهم القطر ثلاث سنين
 حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم البلاء توجهوا الى البيت مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله الفرج فحضرت
 عاد الى مكة من امانتهم سبعين رجلا رئيسهم قيل بن عرفت دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
 فانما الله ثلاث حسابات بضاه وجرأه سوداء ثم نودي من السماء باقيل اختر لنفسك وقومك فقال اخترت
 السود آفانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى الغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاهاهم
 منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله حتى ماتوا رجعهم الله ثم انه تعالى
 لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم
 كانه تعالى قال سبروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا واشارة الى نفس القبيلة الجامعة للاوصاف الثلاثة
 المذكورة بحودهم بدلالة المعجزات على الصدق وعصيانهم الرسل واتباع الرؤساء الجبارين المعاندين
 (قوله لا غيره) الحصر مستغنا من تقديم الفاعل المعنوي لان قوله تعالى هو انشاكم من قيل قوله انا فكت
 في انه يجوز ان يقدر افعاله انشاكم هو فيكون هو فاعلا في المعنى وان كان في اللفظ تأكيذا للفاعل وقوله كونكم
 منها اشارة الى ان من لا بدأه الغاية بمعنى ابتداء انشاكم منها والخطاب مبنى على تغليب الحاضرين على
 الغائين من نوع البشر وان مادة الجميع هو التراب اما كون آدم هو التراب فظاهرا واما كونه مادة اولاده
 فلا تهاء مادة تكونهم الى التراب لانهم كلهم مخلوقون من صلب آدم وكان هو مخلوقا من الارض ولان كل واحد
 مخلوق من المني ومن دم النطفة والمني انما يتولد من الدم فبنوا آدم كلهم مخلوقون من الدم والدم انما يتولد من
 الاغذية والاعذية اما حيوانية او نباتية والنباتية انما يتولد من الارض والاعذية الحيوانية لا بد ان تنتهي
 الى الاغذية النباتية المتولدة من الارض ثبت انه تعالى انشاكم الكل من الارض (قوله عمركم فيها واستبقاكم)
 على ان بناء استفعل للتدبئة يقال عمر الرجل يعمر عمر اى يقي زمانا طويلا وهو من باب علم الا ان مصدره عمر
 يقع العين وسكون الميم واستمره الله اى اطال بقائه ونظيره بقي الرجل واستبقاه بمعنى ابقاء قال الفاضل
 شمس الدين التفتازانى في كتابه الموسوم باساس الصرف بناء استفعل بيجي لسان منها التعدية كاستبدله
 (قوله او اقدركم على عمارتها وامركم بها) بناء على ان الاستعمار اى طلب العمارة او الطلب المطلق من الله
 تعالى يحمل على الامر والايجاب والاقدار على العمارة مدلول التزمى للامر بها والعمارة متنوعة الى
 واجب ومنه وب ودياح ومكروه وحرام قالوا جب مثل سد الثغور وبناء القناطر على الانهر المهلكة
 وبناء المسجد الجامع في المصر ومنه وب كبناء القناطر والمدارس والرباط تبسبر الناس في امورهم ودياح
 بناء بيوتهم كالبيوت التي يسكن فيها ويمكث بها بقدر حاجتهم والمكروه كالذى زاد على قدر الحاجة والحرام
 كائبة الضلعة وغيرهم للسياحة واسأل الله اتوفيقى والتوبة والمغفرة (قوله او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها
 مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم) فان الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنما اعمرها اياما فلما كان الخياطون
 بمسئلة المعمرين كان استعمارهم تعالى اماهم عبارة عن جعله اياهم بمسئلة المعمرين ذكر المصنف في قوله تعالى
 استمركم ثلاثة وجسوه كونه من العمر ومن العمارة ومن العمرى بمعنى جعلكم معمرين (قوله اى غير
 مكذوب فيه) اوله او به لعدم امكن حله على ظاهره لان الوعد انما يوصف بكونه غير مكذوب اذا كان من
 شأنه ان يكون مكذوبا وليس كذلك لان المصدق والمكذوب من كان مخاطبا بالكلام المطابق للواقع وغير
 المطابق له فلا يوصف به الا الانسان الصالح للخطاب فلذلك جعل اصل الكلام وعد غير مكذوب فيه خذف حرف
 الجر فانصل الضمير للجرور باسم المفعول باقامته مقام المفعول به توسعا كما في قوله * ويوم شهدناه والاصل
 شهدنا فيه فاجرى الظرف مجرى المفعول به ويحتمل ان لا يكون من قبيل الاتساع بل يجعل من قبيل الاستعارة
 المكينة بان شبه الوعد بالخطاب فيوصف بغير المكذوب تخيلا وهذا ان الوجهان على تقدير ان يكون المكذوب

اسم مفعول ويحتمل ان يكون مصدر كالجلود والمفعول فانهما مصدران بمعنى العقل والجسد الذي هو الصلابة والجلادة (قوله اي ونجيناكم من خزي يومئذ) على ان قوله ومن خزي متعلق بمطوف على نجينا كرليان ما نجاكم منه وهو هلاكهم يومئذ جاء امرنا فان اذ مضافة الى جملة محذوفة عوض عنها التوئين والهو ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم وزمهم بحبب بقى مالفهم من العار بسببه ما ثوراة عنهم ومنسوب اليهم الى يوم القيامة فان معنى الخزي العيب الذي تظهر فضيحتهم ويستحي من مثله ويحتمل ان يكون يومئذ بمعنى يوم يقوم الناس لرب العالمين وتجسد كل نفس ما علمت من الخير والشر حاضرا انجازي عليه كما اشار اليه بقوله او فضيحتهم يوم القيامة فان قيل لم يتقدم ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فكيف يكون هذا التوئين عوضا عن الجملة التي تكون في يوم القيامة فالجواب ان تلك الجملة وان لم تكن مدلولها عليها لالة لفظية لكنها مدلول عليها لالة معنوية بنساق الذهني اليها عند ذكر الخزي والفضيحة (قوله بالفتح) اي يتخيم يومئذ على انها حركة بناء كتبها المضاف من المضاف اليه وهو قوله اذ فانه بني غير متمكن وقرأ الباقون بكسر الميم لاضافة الخزي اليه والصيغة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال صاح يصيح صيحا وصياحا اي صوت بقوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما امهلهم صالح ثلاثة ايام قالوا وما علامة ذلك قال ان تصبحوا في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني حمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم يا تيكم المذاب في اليوم الرابع فكان كما قال فلما رأى قومك تلك العلامات قصدوا ان يقتلوه فانجاء الله الى ارض فلسطين فلما كان ضحوة اليوم الرابع تكسوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم فهلكوا فان قيل كيف يعقل ان تظهر هذه العلامات مطابقة لقول صالح عليه الصلاة والسلام ثم يقولون مصرين على الكفر فالجواب ان الامارات ما دامت غير بالغة الى حد يوجب اليقين والقطع فقد انتهت الامر حيث الى حد الاجلاء والايمان غير مقبول في ذلك الوقت (قوله جامعين) اي جامدين متين لا يتحركون وجنومهم سقوطهم على وجوههم وقيل الجنوم السكون يقال حثت الضيور في او كارهها اذ اياتت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموتى (قوله تعالى كأن لم يفترافها) اي كأنهم لم يوجدوا ولم يبقوا فيها ومحمد غير منصرف للتأنيث والعلية ومن سرفه جعله اسما للحي اولاب الاكبر لما ذكر الله تعالى قصة نمود ذكر بعدها القصة الزابعة فقال ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وصدرت بكلمة قتلان السامع لقصاص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع دخلت اللام فيها التأكيدي الخبر ولقد رسلنا جمع واقله ثلاثة فيفيد القطع بحصول ثلاثة والزائد على هذا العدد لا يثبت الا بدليل منفصل واجعوا على ان الاصل فيهم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ثم اختلفت الروايات فقول انا جبريل ومعه اثنا عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن وقال الضحك كانوا تسعة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا ثلاثة (قوله سلنا عليك سلاما) على ان يكون سلاما في النظم منصوبا على انه مصدر لفعل محذوف وذلك الفعل في محل النصب بالقول فلما حذف الفعل اقيم المصدر مقامه (قوله اي امركم سلاما او جوابي سلام) على ان سلام خبر مبتدأ محذوف او عليكم سلام فاللامكة سلوا بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث ورد عليهم سلامهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار اجابة لهم بما هو احسن من تحيتهم (قوله وقرأ حزة والكسائي سلم) بكسر السين وسكون اللام ويلزم بالضرورة سقوط الف قال القراء وهما لغتان تحرم وحرام وحل وحلال وقال الفارسي السلم بالكسر ضد الحرب وناسب ذلك لانهم امتنعوا من تناوله ما قدمه اليهم فكرهم واوجس منهم خيفة فقال اناسلى اى مسالمكم فلم احراركم اى غير محارب فلما تمتعوا قال الامام وهذا بعيد لانه على هذا التقدير يقتضى ان يكون ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا اللفظ بعد احضار الطعام والقرآن يدل على ان هذا الكلام قبل احضار الطعام لانه تعالى قال قالوا سلاما قال سلام فالبث ان جاء بجمل حنيذ والفاء للتعقيب فدل على ان تحيته بالجل الحنيذ بعد السلام (قوله فا ابطأ في الحنيذ) على ان ما نافية وان فاعل لبث هو قوله ان جاء وفاعل جاء ضمير ابراهيم وان جاء على اسقاط الخافض وهى كلمة في او عن اى فا ابطأ في الحنيذ به او فاتا آخر عنه والرضف الحجرة المحمة والحنيذ هو المشوى في حفرة من الارض بالحجارة المحمة كلفعل اهل البادية فانهم يسوون في الاخدود بالحجارة المحمة وقيل الحنيذ هو الذي يقطر دمه يقال خذت الفرس اذا لقيت عليه الجل حتى يقطر عرقا (قوله انكر ذلك منهم) يعني ان نكر بمعنى انكر والتكر والانكار

في داركم) عيشوا في منازلكم اوفى داركم الدنيا (ثلاثة ايام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم نهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) اي غير مكذوب فيد فاقسع فيد باجراته محرى المفعول به كقوله * ويوم شهدنا سليما وعامرا * او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له افيك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالجلود والمفعول (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذي آمنوا معه رجعة متا ومن خزي يومئذ) اي ونجيناكم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة اولهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ انفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ (ان ذلك هو القوى العزيز) القادر على كل شئ والغالب عليه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جامعين) قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف (كأن لم يفترافها) فيها الان نمودا كفر واربعهم) تونه اوبكر ههنا وفي الجهم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله (الا بعد النمود) ذهبا الى الحى اولاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل (بالبشرى) بابتارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكر واسلاما (قال سلام) اي امركم سلام او جوابي سلام او عليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان تحرم وحرام وقيل المراد به الصلح (فالبث ان جاء بجمل حنيذ) فا ابطأ بجيئه به او فا ابطأ في الحنيذ به او فاتا آخر عنه والجاري ان مقدرا ومحذوف والحنيذ المستوى بالرضف وقيل الذي يقطر رده من خذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بجمل سمين (فلما رأى ايديهم لاتصل اليه) لا يمدون اليه ايديهم (نكرهم واوجس منهم خيفة) انكر ذلك منهم وخاف ان يردوا به مكروها ونكر وانكروا استنكر بمعنى والايحساس الادراك وقيل الاضمار

عبارتان عن عدم المعرفة والمراد بقوله نكرهم انه لم يعرف سبب عدم تناولهم من طعامه وامتناعهم عنه فلذلك خاف منهم بناء على انه كانت عادتهم اذ لم يمك من يطرقهم عن طعامهم آمنوه والاخافوه والايحاس الادراك بناء على ان الواجب هو الهاجس الذي يخطر في القلب يقال وجس في نفسه كذا اي خطر بها فيكون اوجس بمعنى اخطر واستشعر (قوله سرور ابرو وال خيفة) بسماعها قول الملائكة لا تخف انا انسا الى قوم لوط فان زوال الخوف سبب للمسرة ولما يتبعها من الضحك وايضا لما كانت عظمة الانكار على قوم لوط لعلها السرور فضحكك لذلك وقيل ان سارة قالت لاراهيم عليه الصلاة والسلام ارسل الى ابن اخيك وضمه لنفسك فان الله تعالى لا يترك قومه حتى يعذبهم فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم فلما اخبروه بانهم ائما جاؤا لاهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكك لشدة سرورها لحصول الموافقة بين كلامها وكلام الملائكة وقال السدي لما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم ألا تأكلون قالوا لا تأكل طعاما الا بالثمن فقال عند ان تذكروا اسم الله تعالى على اوله وتحمده على آخره فقال جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام لحق لئلا هذا الرجل ان يتخذ ربه خيالا فضحكك امر أنه فرحاً منهم بهذا الكلام وقال مجاهد وعكرمة فضحكك بمعنى حاضت يقال ضحكك اي حاضت وانكر القرآن وابو عبيدة ان يكون ضحكك الارنب بمعنى حاضت قال ابو بكر الانباري هذه اللغة ان لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم حكى الليث في هذه الآية ضحكك طمئت ومنه قول الشاعر وعهدي يسلي ضاحكا في لباية * ولم تعد حقا ثديها ان تحلما

يقول وصلي يسلي وقعت حال ما حدث لها الحيض في ابتداء بلوغها داخله في جلة نساء لباية اي خالصة عما يكدر الوانهن وابدانهن من نوائب الزمان فان لباب كل شيء خالصة ومنه سميت المرأة لباية والجلدة رأس الثدي وهما خلتان والسررة شجرة يسيل منها صمغ يتبد الدم واستبعد صاحب الانتصاف ان يكون ضحكك في الآية بمعنى حاضت بناء على ان التعجب المذكور بعده يأتي عند حيث قال ويعد هذا التأويل لانها قالت بعده يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخان هذا الشيء عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجب من ذلك تعجب في حمل من تحيض والحيض في العادة معيار على امكان الحمل ولا تعجب من الولادة في زمن الحيض والبول ان الحيض في غير اوانه داخل في سياق التعجب ولا ياباه اللفظ والمعنى وظاهر كلام ابى البقاء يدل على ان ضحكك بفتح الحاء مختص بالحيض فانه قال يقال ضحكك الارنب بفتح الحاء بمعنى حاضت (قوله نصبة) اي نصب لفظ يعقوب بفعل مقدر دل عليه قوله بشرناها كأنه قيل فبشرناها باسحق ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وهو من عطف جلة على جلة ولا يكون يعقوب على هذا مبشرا به وقيل انه منصوب عطفا على محل اسحق لان موضعه نصب كقوله وارجلكم بالنصب عطفا على محل برومكم وزعم صاحب الكشاف انه معطوف على قوله باسحق على تضمين بشرنا معنى وهبنا وتوهم انعد ام الباء في قوله باسحق حيث قال كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله

متائم لسوا مصلحين عشرة * ولا ناعب الابيين فرائدها

فان الشاعر عطف قوله ولا ناعب على قوله مصلحين بناء على توهم وجود الباء في خبر ليس بخبره ووجه تنبيه الآية بالبيت انه جعل تقدير الآية ووهبنا لها اسحق ثم عطف عليه يعقوب كما ان الشاعر قدر انه قال لسوا مصلحين ولذلك قال ولا ناعب بالجرف قدر في البيت المعلوم موجودا وفي الآية عكسه فكان كلاهما من قبيل العطف على التوهم وان اختلف طريق التوهم فيهما (قوله ورد) اي رد كون يعقوب مجرورا بالعطف على لفظ اسحق بناء على ان غير المنصرف يكون في موضع الجر مفتوحا ووجه الدان حرف العطف نائب ماب العامل والعامل ههنا الجار فكما لا يجوز الفصل بين الجار والمجرور لا يجوز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه فامتنع ان تكون فتحة يعقوب صورة الجر بالعطف على المجرور وان رفع يعقوب على الابتداء يكون خبره الظرف السابق مع متعلقه والتقدير ويعقوب مولود من بعده على ان يكون وراء بمعنى بعد وهو قول الاكثرين لانه معنى ولد الولد والجملة الاسمية حال داخله في البشارة اي فبشرناها باسحق متصلا به يعقوب بان يولد منه (قوله وعلى هذا الخ) اي على ان يكون وراء بمعنى ولد الولد لا يصح الاخبار عن يعقوب بانه من وراء اسحق بمعنى انه من ولد ولده وجب تأويله ضرورة بان يقال انه ليس ولد ولد اسحق بل هو ولد ابراهيم فلما حكم على من تفرع من ولد ابراهيم بانه من وراء

(قالوا) لعلنا احسوا منه اثر الخوف (لا تخف انا انسا) الى قوم لوط (انا ملائكة مرسله اليهم بالعذاب وانما لم نخذ اليد بنا لاننا لا نأكل (وامر أنه قائم) وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة (فضحكك) سرور ابرو وال الخيفة او يهلك اهل الفساد او يا صابئة رأيها فانها كانت تقول لاراهيم انضم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكك فحاضت قال

* وعهدي يسلي ضاحكا في لباية *

* ولم تعد حقا ثديها ان تحلما * ومنه ضحكك السررة اذ اسال صمغها وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) نصبه ابن عامر وجزء وحقق بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وقته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالطرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الطرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد وله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراء بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر

اسحق بمعنى انه من ولد ولده وجب تأويله بان يقال انه جعل ورءا اسحق من حيث كونه ورءا ابراهيم بان يلاحظ
 من الورء المضاف الى اسحق مجرد التخصيص لانه لو قيل ومن ورء يعقوب لم يعلم هذا الورء ان كان منسوباً الى
 اسحق ام الى اسماعيل فاضيف الى اسحق ليكشف المعنى ويحول اللبس وفيه نظر وتفسير ظاهر لان الورء على
 تقدير ان يفسر بولد الولد يكون التأويل المذكور بعيداً اكل البعد قال الامام القول بان الورء ولد الولد عندي
 شديد التعسف واللفظ بذو عنه (قوله والاسمان) يعني ان اسمي اسحق ويعقوب يحتمل انه تعالى اختارهما اسمين
 للولدين المبشرين بهما كما اختار اسم يحيى وسمى به ولد زكريا وتولى تسميته به تسمية يفاه عليه الصلاة والسلام كما قال
 يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ويحتمل انه تعالى ذكرهما حكاية لما اختاره قوم الولدين في تسميتهما به (قوله
 وتوجيه البشارة اليها) مع ان المبشرين به نعمة بالنسبة الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام يصح ان يكون ينشروها
 ايضاً بها (قوله يا يحيى) اصل الويل الخزي يقال ويل فلان اي خزي له من فظاعة ما ارتكبه مما هو شر في حقه ثم
 اطلق للايدان بورود الامر الفطيع مطلقاً شراً كان او خيراً تعجباً من فظاعته وخروجه عن حد امثاله واصل يا ويلتنا
 يا ويلتي فابدل من الياء الالف ومن كسرة التاء الفتحة لان الالف مع الفتحة اخف من الياء مع الكسرة (قوله
 دون القدرة) لان التعجب من القدرة يوجب الكفر لكونه مستلزماً للجهل بقدرته تعالى بل هو استعجاب من
 عاداته تعالى من حيث العادة كأنها قالت لم كان امرنا خلاف ما هو المعتادين الناس فلذلك اجابوها منكراً عليها
 استعجابها من حيث العادة كأنهم قالوا والها تعجبين من امر الله اي من بقدرته وحكمته وقولهم رحة الله وبركاته
 المح كلام مستأنف علل به اسكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحة والبركة متكررة من الله
 تعالى عليكم ثم استأنفوا تعليلاً آخر لما تضمنه قولهم اتعجبين من الله باعتبار تعليقه بقولهم رحة الله وبركاته
 عليكم فانه بذلك الاعتبار يتضمن اعتبار ايجاب الرزاة والوفاء والتسبيح والحمد والتعجب عليها مكان التعجب
 والحقوه بآية تكاب ما لا يليق لامثالها فعملوا هذا المضمّن بقولهم انه حديد محيد اي انه حديد فاعل فعل ما
 يستوجب به الحمد من عباده لاسيما في حقها حميد كبير الاحسان الى العباد خصوصاً في ان جعل بيتها مهبط
 البركات والمجد الكرم والمجد صيغة المبالغة به ثم انه تعالى لما فرغ من قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام شرع
 في القصة الخامسة وهي قصة لوط عليه الصلاة والسلام فقال فلما ذهب عن ابراهيم الزرع يعني الخوف والفرح
 الذي اصابه لما يأكل من العجل يقال راعه برود وعالى افزعه واما الزرع بالضم ففيه النفس لانها محل الزرع
 ففرقوا بين الحال والمحل بحر كة الحرف الاول من اللفظ الدال عليهما وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي
 والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجيئ البشرى بحصول الولد اخذ يجادلنا في شأن قوم لوط عليه
 الصلاة والسلام وهلاكهم وقدر المضاف في قوله تعالى يجادلنا لانه تعالى قد صرح في سورة العنكبوت
 بجادلته عليه الصلاة والسلام قال تعالى في تلك ولما جاء رسلنا براهيم بالبشرى قالوا انامهلكوا اهل هذه القرية
 ان اهلها كانوا طالمين قال ان فيها لوط قالوا نحن اعلم بما فيها النجينة واهله الامر انه كانت من الغابرين ولان
 المجادلة مع الله تعالى جرأة عليه وسوء ادب فاي عاقل يجادل ربه في تبديل حكمه والمجادلة مع الملائكة بان
 يطلب منهم ان يتركوا اهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام وان كان لا يخلو عن سوء ادب بحسب الظاهر لانه
 عليه الصلاة والسلام لا يخلو اما ان يعتقد ان الملائكة جاؤا من عند انفسهم لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام
 او يعتقد فيهم انهم جاؤا بامر الله تعالى والاول سوء ادب وسوء ظن بهم لا أنهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
 يعملون وكذا الثاني لان محصول المجادلة حيثئذان يطلب منهم مخالفة امر الله تعالى وهذا منكر الا انه تعالى
 مدحه في تلك المجادلة بقوله ان ابراهيم الخليم او امين ولو كانت المجادلة الواقعة منذ عايد الصلاة والسلام مذمومة
 لما مدحه بهذا المدح العظيم قال المفسرون في بيان محادثته معهم عليهم الصلاة والسلام انهم لما قالوا لابراهيم
 انامهلكوا اهل هذه القرية قال لهم ارايتم ان كان فيها اخسون من المسلمين اتهم لكونهم قالوا لا قال واربعون قالوا
 لا قال فزال ينقض ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا قال فاحج عليهم بلوط عليه الصلاة والسلام وقال ان فيها
 لوطاً قالوا نحن اعلم بما فيها النجينة واهله فهذا صورة جدال ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع الرسل عليهم الصلاة
 والسلام في شأن قوم لوط عليه الصلاة والسلام فانه تعالى مدحه في جداله هذا فقال ان ابراهيم الخليم او
 شيب والخليم هو الذي لا يتجمل في مكافأة من يعاديه ويؤذيه ومن كان كذلك فانه يتأوه اذا شاهد وصول التذات

والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كعيسى ويحتمل
 وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسمي به وتوجيه
 البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها
 ولانها كانت عتيمة حريصة على الولد (قالت يا ويلتنا)
 يا يحيى واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ
 بالياء على الاصل (ألدوا ناعجوز) اشد تسعين وتسع
 وتسعين (وهذا بعلى) زوجي واصله القائم بالامر
 (يخاف) ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال
 والعامل فيه بمعنى اسم الإشارة وقرئ بارفع على انه خبر
 محذوف فاي هو شيخ او خبر بعد خبر وهو الخبر وعلل بدل
 (ان هذا الشيء عجيب) يعني الولد من هذين وهو استعجاب
 من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا اتعجبين من
 امر الله رحة الله وبركاته عليكم اهل البيت) منكراً
 عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة
 ومهبط المجرات وتخصيصهم بمن يدانهم والكرامات
 ليس يبدع ولا حقايق بان يستغربه عاقل فضلاً عن
 نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب
 على المدح والثناء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
 اغفر لنا ايها العصاة (انه حديد) فاعل ما يستوجب
 به الحمد (حميد) كثير الخير والاحسان

الى الغير فلما رأى محبي الملائكة لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام عظم حزنه واخذ يتأوه فوحشه الله تعالى بانه منيب لان من ظهرت منه هذه السفقة العظيمة على الخلق فانه يتوب ويرجع الى الله عز وجل في ازالة ذلك العذاب ولان من لا يرضى بوقوع غيره في الشدة فبان لا يرضى بوقوع نفسه فيها اولى ولا طريقتى الى تخلص النفس من الوقوع في عذاب الله تعالى الا بالتوبة والابانة (قوله جئى به مضارعا) مع ان جواب لما ينبغى ان يكون ماضيا لكونها موضوعا للدلالة على وقوع اثر في الماضي لوقوع غيره فيه يقال لما جاء يدجاء عمر وفاجاب عن وقوعه مضارعا بوجوده اربعة الاول انه جئى به مضارعا على حكاية الحال الماضية والثاني ان المضارع الواقع في سياق جواب لما يكون بمعنى الماضي بان ترده لما الى معنى الماضي كترد كلمة لوما وقع في حيزها من المضارع الى معنى الماضي كقولك لو فعلت كذا يقال لك كذا او كترد كلمة ان الماضي الى معنى الاستقبال والثالث ان جواب لما محذوف اي فلما كان كذا وكذا اجترأ على خطائنا او شرع في جدانا وقوله يجادلنا في قوم لوط جلة مستأنفة وهي الدالة على الجواب المحذوف والرابع ان تعلق الجواب المحذوف اقيم مقامه والتقدير فلما كان كذا وكذا اخذا واقل يجادلنا فقوله اخذا واقل هو الجواب المحذوف وقوله يجادلنا حال من فاعل اقل واخذ حذف الجواب واقيم قيده مقامه (قوله تعالى انه قد جاء امر ربك) اي عذابه الذي قدره اي عملت ارادته الازلية والعناية الالهية المتضمنة لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق الارادة بالاشياء في ادائها (قوله ساء محييهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما الرسل الذين بئسوا ابراهيم عليه الصلاة والسلام انطلقوا من عنده الى لوط عليه الصلاة والسلام وبين القرينين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة سنان مرد من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى وظن انهم من الانس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم فلذلك ضاق بهم ذرعا الى قلبه ويطلق على التوسع والطاقة ايضا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حبل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة التوسع والطاقة فيقال مالى ذرع ولا ذراع اي مالى بهم طاقة وسي بهم فعل مبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءنى كذا اي حصل لى به سوء وبهم تعلق به اي بسببهم وذرعان نصب على التمييز وهو في الاصل مصدر ذرع البعير يده في سيره اذ امتسى وسار على قدر خطوه اشتقاقا من ان ذراع تم توسع فيه فوضع موضع الطاقة فقيل ضاق ذرعه اي طاقته وقوله يهرعون قرأ العامة يهرعون بالبناء للمفعول وقرئ بفتح الياء بالبناء للفاعل والاهراع الاسراع وقال ابو عبيدة قوله تعالى يهرعون اليه اي يستخون اليه كانه يحث بعضهم بعضا واهرع الرجل على مالم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد اي يضرب من غضب او حنى او فرغ فلذلك قيل الاهراع هو الاسراع مع الزعدة وقيل هو العدو والتسديد ثم انه تعالى بين ان اسراعهم انما هو لطلب العمل الخبيث قال تعالى ومن قبل كانوا يعملون السيئات (قوله فتمنوا بها) اي تعودوا يقال مرن على الشيء يمرن مرونا ومرة انه اي تعودوا واستمر عليه روى انه لما دخلت الملائكة دار لوط عليهم الصلاة والسلام مضت امرأته فقات لقومه دخل دارنا قوم ما رأيت احسن وجوها منهم ولا انظف ثيابا ولا اطيب رائحة فجاءه قومه يهرعون اي يسرعون وروى ان القوم دخلوا دار لوط عليه الصلاة والسلام وارادوا ان يدخلوا البيت الذي كان فيه جبريل عليه الصلاة والسلام فوضع جبريل يده على الباب فلم يطيعوا ففتح حتى كسروه فسمع اعينهم يده فعموا فقالوا يا لوط قد ادخلت علينا السحرة وناظرة الفتنة (قوله فدى بهن اضيافه) يعنى ان المراد بالبنيات بناته الصلبية وانه نادعاهم الى الزنى بهن بل المراد انه دعاهم الى التزوج بهن بناء على جواز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعة وهكذا كان في اول الاسلام بدليل انه صلى الله عليه وسلم زوج ابنته زينب من ابى العاص بن وائل وزوج ابنته من ابى ابي لهب عتبة وعتية وهم كفار ثم نسخ بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا (قوله او متاعف) عطف على قوله كرماء وحية نقى صاحب التيسير عن الامام ابى منصور المتريدى انه قال يحتمل انه عرض بناته الصلبية على الاوباش والتجار تعريضا لهم فخبث ذلك الفعل ويكون معنى قوله هن اطهر اكرم اي هذا اقل خبثا من ذلك اي الزنى بالبنيات دون الذكور في الحبث وكانوا يعتقدون حرمة الزنى فيمن عليه الصلاة والسلام ان هذا يزول بالنكاح وذلك لا يزول بحال والاعتراض البغض والانكار يقال متعت من ذلك الامر

(فلما ذهب عن ابراهيم الروح) اي ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروح (يجادلنا في قوم لوط) يجادلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جراب لما جئى به مضارعا على حكاية الحال اولانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطائنا او شرع في جدانا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذا واقل يجادلنا (ان ابراهيم حلیم) غير عجول على الانتقام من المسيء اليه (اواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترجمه (يا ابراهيم) على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم (اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك) قدره بمقتضى قضائه الا زلى بعد ايهام وهو اعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) - صروف مجادل ولادعاء ولا غير ذلك (ولما جاء رسلك لوطا سييهم) ساء محييهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والا حتيال فيه (وقال هذا يوم عصب) تنديد من عصبه اذا شده (وجاء قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات) الفواحش فتمنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال يا قوم هؤلاء يئى) فدى بهن اضيافه كرماء وحية والمعنى هؤلاء بناتى فمز وجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم فغيثهم وعدم كفاءتهم لحرمة السمات على الكفار فانه شرع طارىء او مدافعة في تناسي خبث ما يروونه حتى ان ذالهاون منه اواظها را لشدة اعتناضه من ذلك كي رقراله وقيل المراد بالبنيات نسائهم فان كل نبي ابوامته من حيث السفقة والزينة وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم

(من اطهر لكم) انظف فلا او اقل فحشا كقولك
 المنيذ اطيب من المنصوب واحل منه وقرئ اطهر
 بالنصب على الحال على ان من خبر بناتي كقولك هذا
 اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها
 (فانقوا الله) بترك الفواحش او يشار من عليهم
 (ولا تخزون) ولا تفضحوني من الخزي او ولا
 تمنجلوني من الخرابية بمعنى الحياء (في ضيق) في شأنهم
 فان الخزي صيف الرجل اخر آؤه (أليس منكم رجل
 رشيد) يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا)
 لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) من حاجة (وانك
 لتعلم ما تريد) وهو اتيان الذكران (قال لوان لي بكم قوة)
 لو قويت بنفسى على دفعكم (او أوى الى ركن
 شديد) الى قوى اتقم به عنكم شديد ركن الجبل في شدته
 وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا
 كان يأوى الى ركن شديد وقرئ او أوى بالنصب على
 اضمار ان كأنه قال لوان لي بكم قوة او اوى وجواب
 لو اتخذ وف تقديره لدفعتم روى انه اغلق بابه دون
 اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسورا
 الجدار فثارأت الملائكة ما على لوط من الكرب
 (قالوا يا لوط اننا نرسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا
 الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا وياهم
 فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام
 بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا
 يقولون التجاء التجاء فان في بيت لوط سحرة (فأسر
 باهلك) بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع
 بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى (بقطع
 من الليل) بطائفة منه

امعصن معصنا ومعصنا وامتعتت منه اذا غضبت وشق ذلك عليك وقيل المراد بقوله بناتي نساء قومه جعل بنات
 قومه بناته لان النبي صلى الله عليه وسلم كالأب لقومه وازواجه امهاتهم واولادهم كأولاده قال الامام وهذا القول
 عندى هو المختار ويدل عليه وجوه الاول ان اقدام الانسان على عرض بناته صلى الا وباش والنجار امر مستبعد
 لا يليق باهل الروة فكيف باكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثاني انه قال هؤلاء بناتي من اطهر لكم وبناته
 اللاتي من صلبه لا تكفى الجميع العظيم واما نساء امته ففهيمن كفاية للكل اذ صحت الرواية انه كان له بنات
 واطلاق لفظ البنات على البنات لا يجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلاثة (قوله انظف فلا او اقل فحشا) لما ورد ان يقال
 الاناث ازيد طهارة منه ولا طهارة في اتيان الذكر ان شرعافا وجه حصول جعلهن اطهرا راجب المصنف
 رحمه الله تعالى عنه بانه ليس المراد بالطهارة كونه حلالا ومشرعاً حتى يرد ما ذكر بل المراد بها النظافة بحسب العقل
 وقلة استغشاش الطبع ولا شك ان اتيانهن ازيد في الطهارة بهذا المعنى بالنسبة الى اتيانهم ولم يلتفت المصنف الى
 كون بناء التفضيل هنا للزيادة المطلقة كما في قولنا الله اكبر كما لا يخفى وان ذهب اليه الامام الرازي في الكبير
 (قوله على ان من خبر بناتي) قوله تعالى هؤلاء بناتي على القراءة المشهورة بجلة برأسها ويجوز ان يكون من
 فصلا واطهر خبر هؤلاء والجملة خبر الاول وعلى قراءة اطهر بالنصب هؤلاء مبتدأ وبناتي مبتدأ ثانى وهن
 خبر الثانى والجملة خبر الاول واطهر حالا قد عمل فيها ما عمل في الاول اى في هؤلاء بناتي من معنى الفعل كما في قوله
 تعالى هذا بعل شيعا ولا يجوز ان يكون من فصلا بين الحال وصاحبها لان ضمير الفصل انما يقع بين جزئى الجملة
 ولا يقع بين الحال وذو الحال (قوله ولا تفضحوني من الخزي) يقال فضحه فافضح اى كشف مساويه فذل
 وهان ويقال خزي بالكسر يخزي خزيا اى ذل وهان وخزي ايضا يخزي خزيا اى استخبي ويقال تخجل تخجلا اى
 تخجرودهش من الاستحياء واجمله غيره (قوله لو قويت بنفسى على دفعكم) اى لدفعتمكم بها عن اضيافى على
 ان جواب لو محذوف لدلالة قوى الكلام عليه وما ذكره المصنف تصوير لحاصل المعنى فانه قد قرر في العو
 ان كلمة ان انما تنفتح بعد لو لكونها واقعة موقع المفرد لكون ما في حيزها فاعمل فعل محذوف فقولك لوانك قائم معناه
 لو ثبت قيامك قال ابو البقاء قوله بكم حال من قوة وليس معمولاً لها لانها ماضى ولا تقدم معمول المصدر عليه
 والتقدير لو ثبت واستقر لنفسى قوة بكم ويجوز ان تكون لوهنا للثبوت فلا محتاج الى الجواب لان القول بكونها
 شرطية حذف جوابها اولى لامكان تقدير انواع كثيرة من المنع والدفع والتعدي ونحوها وفي تقدير المصنف
 اشارة الى ان قوله تعالى او أوى الى ركن شديد وقوله اتقم به عنكم وان كان صفة لشدة اى قوى الا ان فيه اشارة
 الى تعيين الجواب المحذوف والركن بسكون الكاف وضنها الناحية من الجبل وغيره فالى ان كل واحد من قوله
 تعالى لوان لي بكم قوة وقوله تعالى او أوى الى ركن شديد فائدة غير فائدة الاخر فان المراد بالاول كونه بنفسه
 قادرا على الدفع والثانى حضور من يعينه على الدفع (قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوى الى
 ركن شديد) اى كان يريد اوى الى ركن شديد وفي قوله رحم الله اشارة الى ان هذا الكلام من لوط عليه
 الصلاة والسلام ليس مما ينبغي من حيث انه يدل على اقتناط كلى ورأس شديد من ان يكون له ناصر ينصره والحال
 انه لا ركن اشد من الركن الذى كان يأوى اليه أليس الله بكاف عبده وان قرئ أوى بالنصب يكون معطوفا
 على قوة والتقدير كما ذكره لوان لي بكم قوة او اوى الى ركن شديد وهذه القراءة تدل على ان أوى في قراءة الرفع
 معطوف على قوة ايضا بناء على انه كان منصوبا في الاصل باعتبار ان رفع الفعل كقوله تعالى ومن آياته
 يزكم البرق (قوله فاضرب جبريل بجناحه) يعنى لما وقع لوط عليه الصلاة والسلام باب بيته فدخلوا تحول
 جبريل عليه الصلاة والسلام الى اصل صورته فاضرب وجوههم فاعماهم وصاروا لا يبصرون الطريق فانصرفوا
 وهم يقولون التجاء التجاء فان في بيت لوط اسمر قوم في الارض سحر ونافع قال لوط عليه الصلاة والسلام بنى
 موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فلوا هلكتموهم الآن فقتلوا أليس الصبح يقرب (قوله
 وقرأ ابن كثير ونافع) فانهما اسقطا الهمزة من قوله تعالى فاسر باهلك وقوله تعالى فاسر بعبادى وقوله ان
 اسر حال الوصل واثباتها مكسورة حال الابتداء والباقون قرأوا الجميع بهمزة القطع ثبت مفتوحة حال
 الوصل والابتداء والقرآنان مأخوذتان من لغتى هذا الفعل فانه يقال سرى ومنه قوله تعالى والليل اذا برى
 واسرى ومنه قوله تعالى سبحان الذى اسرى وهما بمعنى واحد او بينهما فرق فيه خلاف فقيل هما بمعنى واحد

وقيل اسرى لاول الليل ونسرى لآخره واماسار فخص بالذهار وليس مقلوباً من سرى والجوهري اختار كون الاسر كـ وبالسرى بمعنى حيث قال وسرى سرى وسرى واسرى بمعنى اذا سرت ليلاً قال وانما قال تعالى سبحان الذي اسرى بعده ليلاً وان كان السرى لا يكون الا بالليل للتأكيد كقولهم سرت امس نهجاً او البارحة ليلاً والباء في قوله تعالى باهلك يجوز ان تكون التعديّة وان تكون للحال اي مصاحباً لهم وفي قوله بقطع الحال اي مصاحبين بقطع على ان المراد به ظلمة الليل وقيل فيه بمعنى في اي اخر جواثلاً تسمعوا نزول العذاب الذي مرّ عند الصبح (قوله ولا يتخلف او ولا ينظر) يعني ان الالتفات ينبغي بمعنيين الاول الانصراف كما في قوله تعالى اجثا لثفتا اي لتصرفنا لمراد على هذا انتهى عن التخلف لانه انصراف عن امتثال الامر به والثاني ان ينظر الانسان الى ورأه فالظاهر ان المراد على هذا انه كان لهم في البلد اموال واقشة واصدقاء فملا تلكة عليهم الصلاة والسلام امرهم بان يخرجوا ويتركوا تلك الاشياء ويقطعوا تعلق قلوبهم عنها (قوله والنهي في اللفظ لا احد وفي المعنى للوط) عليه الصلاة والسلام لما اختار ان قوله تعالى الا امرأتك استثناء من الاهل واستلزم ذلك المناقضة بين القراءتين المتواترتين على ان قراءة الرفع على البدلية من احد تستلزم ان تخرج المرأة مع جبهة اهلها ولا تكون منهية عن التفات كانهى باقي اهلها عنه ولا شك ان خروجها معهم بدون كونها منهية عن التفات مناقض لعدم خروجها معهم والقراءة المقطوع بصحتها لا يجوز جعلها على المعاني المتفاوتة المناقضة اشار الى دفع المناقضة بينهما بقوله والنهي في اللفظ لا احد وفي المعنى للوط عليه الصلاة والسلام لان مكاملة الملائكة انما هي مع لوط فيكون معنى كلامهم لا تدع منهم احدا يلتفت ويتخلف عن السرى الامر أنك فدعها وخلها وشانها ولا شك ان هذا المعنى لا يناقض استثناءها من الاهل ثم بين ان هذا الجواب منى على ان يأول الالتفات بالتخلف لانه ان فسّر بالنظر الى الوراء تكون المناقضة باقية بحالها سواء جعل النهي لاحد او للوط عليه الصلاة والسلام وجعل صاحب الكتاب اختلاف القراءتين لا جعل اختلاف الروايتين وصحة استثناء منية عليه فاسد قطعاً لان الروايتين مناقضتان يمتنع اجتماع مدلولهما وكل واحدة من القراءتين متواترة ثابتة قطعا روى عن ابن الحاجب انه قال التفسير باطل يعني جعل القراءة بالرفع محمولة على الاستثناء والبدل من قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد وقراءة النص محمولة على الاستثناء من الموجب وهو قوله تعالى فاسر باهلك فان القراءتين ثابتان قطعاً فيمتنع جعلهما على الوجهين اذا احدهما باطل قطعاً والقضية واحدة فهو اما ان يكون سرى بها او ماسرى بها فان كان قد سرى بها فليس مستثنى الا من قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد وان كان ماسرى بها فهو مستثنى من قوله تعالى فاسر باهلك وقد ثبت ان احدهما باطل قطعاً فلا يصار اليه في احدي القراءتين الثابتين قطعاً اي لا يجوز جعلهما على ما يوجب بطلان مقتضى احدهما واجيب عنه بمنع ان الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط عليه الصلاة والسلام مأموراً بالاسراء بها او بمنع انها ماسرة بنفسها وبكفي لصحة الاستثناء من هذا المقدار كيف ولم ينه عن اخراجها ولكنه امر باخراج غيرها قال الشيخ والاولى من هذا ان يكون الامر أنك في الرفع والنصب مثل قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم ولا بعد ان يكون اقل القراء على الوجد الاقوى واكثرهم على الوجه الذي هو دون بل قد التزم بعض الناس انه يجوز ان يتفق جميع القراء على قراءة غير الاقوى الى هنا كلام الشيخ واختار المصنف اولاً ان يكون قوله الامر أنك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك لانه كلام موجب والاستثناء الواقع بعد الكلام الموجب يكون منصوباً ابداً وقوله ولا يلتفت منكم احد غير موجب والاختار في مثله البدل فلو جعل قوله تعالى الامر أنك متعلقاً بقوله ولا يلتفت منكم احد لكان الرفع فيه هو الارحى واكثر القراء على النصب فيلزم اطباق الاكثر على الوجه المرجوح وهو يعيد ثم ايده بقراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الامر أنك فان الاستثناء على هذه القراءة من الاهل ليس الا اذ لم يذكر في مصنفه قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد ثم قال والاولى ان يكون قوله الامر أنك على قراءة النص استثناء متعلقاً بغير الموجب وان كان الافصح حينئذ ارفع على البدلية كما هو متعلق به على قراءة الرفع ليتفق القراءتان بقدر ما يمكن فاذا لم يكن له ان يدع احداً من اهلها لان يتخلف او لان ينظر الى ورأه فان له ان يدعها للتخلف او للنظر فيحصل اتفاق القراءتين في حسن انتظام اللفظ والمعنى وما ورد ان يقال الاستثناء من غير الموجب المحجب فيلزم ان تكون مأموراً بالالتفات ولا معنى له اجاب عنه بقوله ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل اللازم

(ولا يلتفت منكم احد) ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورأه
والنهي في اللفظ لا احد وفي المعنى للوط (الا امرأتك)
استثناء من قوله فاسر باهلك وبدل عليه انه قرئ فاسر
باهلك بقطع من الليل الامر أنك وهذا انما يصح على
تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسّر بالنظر الى الوراء
في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير واي عمر وبالرفع
على البدل من احد ولا يجوز جعل القراءتين على
الروايتين في انه خلقها مع قومها واخرجها فلما سمعت
صوت العذاب التفت وقالت يا قوماء فادركها حجير
فقتلها لان القواطع لا يصح جعلها على المعاني
المناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله
لا يلتفت مثله في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل

ولا بعد ان يكون اكثر القراءة على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيتها عنه استصلاحا ولذلك على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ما عاصيهم) ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع (ان موعدهم الصبح) كما أنه على الامر بالاسراء (أليس الصبح قريب) جواب لاستحجال اوط واستبطائه العذاب (فلما جاء امرنا) عذابنا وامرنا به ومؤيد الاصل وجعل التعذيب مسبباً عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملا شكة المأ مودون به فاستدل الى نفسه من حيث انه السبب تعظيماً للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت مداً عنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديك ثم قلها عليهم (وامرنا عليها) على المدن او على شذاذها (جبارة من سجيل) من طين مخبر لقوله جبارة من طين واصله سنكل فرب وقيل انه من اسبجه اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اى بما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدل نونه لاما (منضود) نضد معدا لعذابهم وانضد في الارسل يتابع بعضه بعضاً كطار الامطار وانضد بعضه على بعض والصق به (مسومة) معلقة العذاب وقيل معلقة بيباض وجرة او بسما تير بها عن حجارة الارض او باسم من رعى بها (عندريك) في خزائنه (وما هي من الصالحين بعيد) فانهم يظلمهم حقيق بان يطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امك ما من ظالم منهم الا وهو معرض بحجر يسه طع عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قرية من ظالمى مكة يعمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكر ابيد على تأويل الحجر او المكان (والى مدين اخاهم شعبيا) اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام واهل مدين وهو ولد بنه فسمى باسمه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره ولا تنقصوا المكىال والميزان) امرهم بالتوحيد اولافانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس النافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (ان اراكم بخير) بسعة تفنكم عن البخس او بنبعة حقها ان تنفضوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزلوا بها عنتم عليه وهو في الجملة علة النهى (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (ويا قوم اوفوا المكىال والميزان) صرح الامر بالايفاء بعد التنبه عن ضده مبالغة وتنبهها على انه لا يكفيهم الكف عن تعداة تطيف بل يلزمهم السعى في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها (بالقسط) بالعدل والنسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة ابقاء وهو مندوب غير مأ مود به وقد يكون محظورا

(٥٨)

عدم نهيتها عنه وذلك لما امر من ان قوله تعالى ولا يلتفت نهى للوط عليه الصلاة والسلام والاستثناء من التهى عدم النهى (قوله ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع) لان المستثنى المنقطع يجب نصبه عند الاكثر ولا يجوز البدل الاعلى لغة تميم وعليها قوله

وبلدة لس بها انيس * الا اليعافير والا العيس

لان اليعافير والعيس مستثنى منقطع بعد الامع رفعه على البدلية من انيس ولا يحسن ان يحصل اعراب افصح الكلام على اللغة القليلة وفي قوله لا يحسن اشارة الى انه يجوز جعل الاستثناء منقطعاً على كل واحدة من اقرأتين بان لا يقصد اخراج المرأة من المأ مود بالاسراء بهم ولا النهيين عن الالتفات بل يقصد استثناء الاخبار عنها بانه يصيبها ما يصيبهم فلامعنى لكن امر أنك يجرى عايتها كذا وكذا (قوله ومؤيد الاصل) اى يؤيد كون المراد بقوله امرنا امره تعالى بالعذاب ان الاصل حل اللفظ على معناه الاصل الحقيقى لانه لو اريد العذاب للزم ان يتخذ السبب والسبب لان الجعل المذكور في قوله جعلنا عاليها سافلها هو العذاب فيكون حاصل المعنى فلما جاء امرنا فلما جاء عذابنا عذبتنا فوجب ان يحمل الامر على ما هو ضد النهى (قوله وكان حقه جعلوا) جواب عما يقال لو كان المعنى فلما امرنا بالملا شكة عليهم الصلاة والسلام بايصال العذاب اليهم لكان الظاهر ان يقال فلما جاء امرنا جعلوا عاليها سافلها لان العذاب انما صدر عن المأ مودين وتقرير الجواب انه او ثر طريق الاستناد المجازى حيث لم يستند الفعل الى المباشر بل استند الى السبب على صيغة الفاعل على انه فاعل السبب وهو الامر لان ما وقع من المباشر انما وقع بامر الله تعالى واقداره تعظيماً لشأن الفعل الصادر وقوله عاليها سافلها مفعول الجعل الذى بمعنى التصير اى على مداً عنهم ومسأ كنهم والمعنى وجعل جبريل عليه الصلاة والسلام على قراهم سافلها بامرنا (قوله او على شذاذها) اى منفرد بها عن جده واهل المدن يقال شذذته يشذذو اذا افرده عن الجمهور وشذاذ الناس الذين يكونون في القوم وابسوا من قبائلهم روى ان الحجر تبسع شذاذهم ومسافر بهم اين كانوا في البلاد ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر متعلقا عليه في السماء اربعين يوماً حتى خرج فاصابه فاهلكه (قوله واصله سنكل) وهو بالفارسية وبالعربية حجر من طين فرب وجعلت حروفه الى مازى وينصره ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو حجر من طين كالاجر المطبوع (قوله نضد معدا لعذابهم) يعنى ان منضود اسم مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه على بعض واعدادها لاهلاك الظلمة والكون بعضها فوق بعض في الزلزل ولان كل حجر منها منضود فان ما فيه من الاجزاء منضود بعضه على بعض وملصق بعضه ببعض (قوله تعالى مسومة) منصوب على انه صفة تجارة وعندما منصوب بمسومة واما ما حذف على انه صفة تجارة او صفة مسومة (قوله الا وهو بمعرض حجر) يقال فلان عرضة للناس لا يزالون يقعون فيه وجعلت فلا نعرضة لكذا اى نصبته (قوله وتذكرا لبعيد) مع ان ما هو على صيغة الفاعل انما يستوى فيه الذكر والمؤنث اذا كان بمعنى المفعول نحو قتل وذبح ونحو قريب وبعيد بمعنى الفاعل فلا يستويان فيه الا لكثرة (قوله اراد اولاد مدين) يعنى ان مدين اسم لمدين بن ابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة وهى المراد به في الآية وكثير من المفسرين ذهبوا الى ان مدين اسم مدينة بنى اها مدين بن ابراهيم عليه السلام والمعنى على هذا التقدير وارسلنا الى اهل مدين فخذ المضاف كافي قوله واسأل القرية اى اهلها (قوله تعالى ولا تنقصوا) نقص يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف تقول نقصت زيدا من حقه وحقه وهو في الآية كذلك اذا المراد لا تنقصوا الناس من المكىال والميزان اى مما يكال او يوزن بهما على طريق ذكر المحل وارادة الحال والاية بظاهرها تدل على انه يستوفى ما هو ازيد من حقه وان استلزم نقص الموفى حقه من المكىل والموزون (قوله لاشتماله عليه) اى لا يشتمل اليوم على ما هو واقع فيه من العذاب وتوصيف زمان التى بصفة ذلك الشيء مجاز مشهور كقوله هذا يوم عاصيب (قوله صرح الامر بالايفاء) دفع لسأيتهم من ان هذه الآية وكذا ما بعد هاتكر لرقوله ولا تنقصوا المكىال والميزان ووجه الدفع ان قوله ولا تنقصوا المكىال والميزان نهى عن ضد الشيء وقوله اوفوا المكىال والميزان امر بايفاء الشيء وهو العدل والنهى عن ضد الشيء مغاير للامر به ثم انها وان كانا متلازمين لا ينفك احدهما عن الآخر الا ان ذكر احدهما عقب الآخر في حكم التكرير ولا شك ان التكرير يفيد ائنا كيد وشدة العناية والاهتمام

وايضاً النهي عن شيء لما توقف على كونه فعلاً اختيارياً بالسني كان النهي عبارة عن طلب الكف عن مباشرته
 عمد او كان انتظاف سهواً الى نسياناً غير مناف للعمل بمقتضى قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان من
 حيث ان الساهي والناسي لم يباشرا تنقيص حق الغير عمد الا ان شعياً عليه الصلاة والسلام لم يكتف
 بتكليفهم بالامتناع عن التطفيف عمداً بل كلفهم ايضا بالسعي في ايفاء الحق اي اعطائه تاماً كاملاً وان استلزم
 ذلك ان يعطى قدر ازيد على الحق حتى يخرج عن العهدة يقيّن لكن اعطاء الزيادة ليس بما مور به لقوله بالقط فانه
 حال من فاعل او فواولما وجب ان يكون المأ مور به مما يدخل تحت القصد والاختيار كان معنى او فوا المكيال
 والميزان اسعوا في اعطاء الحق على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن العهدة ملتزمين
 بالعدل والتسوية فالما مور به هو الايفاء بطريق الازيد فانه مندوب غير مأ مور به وقد يكون مختوراً
 وذلك اذا كان المعقود عليه من الاموال الربوية واعلم ان العلماء اختلفوا في ان الامر بالشئ هل هو نهى عن
 منه اولاً وكذا النهي عن شيء هل هو امر بضده اولاً فذهب امام الحرمين وانزالى رحمه الله تعالى الى ان
 الامر بالشئ ليس نهياً عن ضده ولا يقتضيه عقلاً وقال القاضي ابو اسحق انه نهى عن ضده واليه ذهب الامام
 في المعالم والقاضي في المنهاج وقال القاضي ابو اسحق والنهي كذلك اي ان النهي عن الشيء امر بضده وكذا
 يقتضيه عقلاً لان النهي عن الفعل طلب ضد الفعل فيكون امراً بالاضد (قوله نعميم بعد تنقيص) جواب
 عما يقال الجبس النقص فقوله تعالى لا تجنّسوا الناس اشياء هم بمعنى قوله تعالى لا تنقصوا المكيال والميزان
 فما الفائدة في هذا التكرار وتقرير الجواب انه لا تكرر ههنا لان مدلول الكلام الاول النهي عن الجبس في المقدار
 وذكر المكيال والميزان لكونهما اكثر آلات التقدير استعمالاً ومدلول قوله تعالى ولا تجنّسوا الناس اشياء هم
 النهي عن الجبس في مطلق ما يستحقه بعقد المعاوضة والمعنى لا تنقصوا الناس ما يستحقون عليكم بالعقود
 اي شيء كان وذكر صاحب الكشاف للجبس ثلاثة معان الهضم وهو الظلم وكسر الحق والثاني النقص والثالث
 المكس وهو اخذ المكس والعشور والخراج وما هو اليوم في الاسواق من رسوم الظلم واستشهد على اطلاق
 الجبس على المكس بقول زهير * افي كل اسواق العراق اثمرة * اي خراج * وفي كل ماباع امرؤ بجنس درهم *
 وزوى مكس درهم ثم قال وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً كما تفعل السماصرة او كانوا يمسكون اناس وكانوا
 ينقصون من ايمان ما يشترون من الاشياء فهو اعن ذلك انتهى (قوله فان العشوريم تنقيص الحقوق وغيره من
 انواع الفساد) يعني العشور افساد مطلقاً سواء كان تنقيص الحقوق او غيره فهو ايضا من قبيل النعيم
 بعد التخصيص وفي الاحتجاج عشا في الارض بعثوا فسد وكذلك عثي بالكسري عثي قال تعالى ولا تعثوا في الارض
 مفسدين وفي التيسير العثي المبالغة في الافساد فجعل تجاوز الحد في هذه المعاملة افساد في الارض لانه تغير
 لما وضعه الله تعالى من قانون سنن المعاملة بالعدل والصلح به احوال اهل الارض وقال الراغب العثي والعتث
 متعارباً نحو جذب وجذب الا ان العث اكثر ما يستعمل في الفساد الذي يدرك حاساً والعثي فيما يدرك حكماً
 (قوله وقيل المراد بالجبس الخ) اشارة الى ان المختار ان يكون الجبس عبارة عن نقص ما يستحقه المرء بعقد
 المعاوضة وان يكون العشور عبارة عن الافساد مطلقاً سواء كان تنقيص الحق او غيره (قوله وفائدة الحال)
 اشارة الى جواب ما يقال ان العثي افساد فيكون قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين بمنزلة ان يقال ولا تفسدوا
 في الارض مفسدين فاجوبه وتقريره ان الفساد خروج الشيء عن الاعتدال اللائق بغنى الآية لا تخرجوا اشياء
 مما في الارض عن الاعتدال وذلك الاخراج قد يكون لقصد اصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام من قتل
 الغلام وخرق السفينة وقد يكون لقصد الاضرار والافساد كفعل الظلمة والنهي عن الافساد نهى عن الافساد
 على الوجه الثاني فلذلك قيده بالحال وتقرير الجواب الثاني ان الافساد المقيد بالنهي عنه غير الافساد الذي وقع
 قيداً لان المراد بالافساد الاول افساد حال الغير وبالافساد الثاني افساد حال نفسه بما يتعلق بامر دينه ومصالح آخرته
 فان من سعى في افساد حال الغير فهو في الحقيقة ساع في افساد نفسه ولم يرض بهذا الجواب لقوله قاعدة التقيد
 بالحال حيثئذ (قوله ما ابتاه لكم من الحلال) اشارة الى ان بقية فعلة بمعنى المفعول وضافتها للتشريف
 كما في بيت الله وناق الله فان ما بقي بعد الايفاء فائده وهي حصول الثواب والنجاة من العذاب والعقاب
 امتنا تظهر مع الايمان فان الكافر يخلد في عذاب التيران ومحروم من الرضوان وثواب الرحمن سواء اوفى الكيل

(ولا تجنّسوا الناس اشياء هم) نعميم بعد تنقيص
 فانه اعم من ان يكون في المقدار افي غيره وكذا قوله
 (ولا تعثوا في الارض مفسدين) فان العشوريم تنقيص
 الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالجبس
 المكس كأخذ العشور من المعاملات والعشور السرقه
 وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد
 به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه
 ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح
 آخرتكم (بقية الله ما ابتاه الله لكم من الحلال بعد
 انتم مفسدين) (خير لكم) مما تجتمعون بانتظاف
 (ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا فان خيرتهما
 باستتباع الثواب مع التجهه وذلك مشروط بالايمان
 او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل بقية الطاعة
 لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقيّة الله بآثاء وهي
 تقواه التي تكف عن المعاصي (وما انا عليكم بحفيظ)
 احفظكم عن القبايح واحفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم
 عليها وانما انا اناصم مبلغ وقد اعدت حين المذرت
 اولست بحافظ عليكم نعم الله لولم تتركوا سوء صنعكم
 (قالوا يا شعيب اصلوا بك بأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا)
 من الاصنام اجابوا به بعد ان امرهم بالتوحيد على
 الاستهزاء به واثبتهم بصلواته والاشعار بان مشايه
 لا يدعوا اليه داع عقلي واثمادعاك اليه خطرات
 وسواس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب
 كثير الصلوات فاستدركهم وحسوا الصلوة
 بالذكر وقرأ حزة والكسائي وحفص على الافراد

من جرم التعدي الى واحد والعامه ايضا على ضم لام مثل على انه فاعل يصيكم وقرى بفتحها وتلك الفتحة فتحة بناء وذلك لان مثل وان كان فاعلا لكلا في القراءة المشهورة الا انه بنى على القتح لضافته الى غير ممكن كافي قوله تعالى انه لحن مثل ما انكم تنطقون فان مثل وغير مع ما وان مخففة ومشددة يجوز بناؤها على القتح واعرابها كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * حمامة في غصون ذات اوقال

الضمير في منها لاراحلة لم يمنعها من الشرب الا انها سمعت صوت حمامة ففترت يريد انها حديدية الحس فيها فزع وذعر لحدة حسها وذلك محمود فيها والوقال جمع وقيل وهي الحجارة اي غصون ثابتة بارض ذات حجارة وقيل الوقل شجرة المقل بنى غير على القتح مع انه فاعل لم يمنع (قوله وافراده البعيد) مع انه خبر عن الجمع فالقياس يقتضي ان يقال ببعده او بعيدين لان القوم اسم جمع معني على ان في الكلام مضافا مقدرا والتقدير وما اهلك قوم لوط عليه الصلاة والسلام او على ان فيه موصوفا مقدرا اي وما هم بشئ بعيد (قوله ولا يبعد ان يسوى في امثاله) من نحو القريب والقليل والكثير بين المذكر والمؤنث اشارة الى جواب ما يقال من ان لفظ القوم مؤنث كقوله تعالى كذبت قوم نوح فالقياس ان يقال بعيدة فلم ذكر بعيد وما ذكره من كون امثاله على زنة المصادر جواب ثالث غير تقدير المضاف او الموصوف لانها جوابان عن هذا السؤال ايضا والصهيل صوت الخيل وانتهى والتهيق صوت الحمار (قوله ما يفعل البليغ المودة بمن يوده) يعني ان الودود بناء مبالغة من ود الشيء يوده وداده اي احبه واكره والمشهور وددت بكسر العين وسبع الكسائي وددت بفتحها والودود بمعنى المحب اي يود عباده ويرحمهم وقد تقرر انه تعالى اذا وصف بما هو من قبيل الكيفيات النفسانية الانفعالية يراد به غاية ذلك ففسر المصنف كونه تعالى ودودا محبا لعباده بانه يفعل بعباده ما يفعله بليغ المودة بمن يوده وقيل الودود في اسماء الله تعالى بمعنى المفعول والمعنى ان عبادته يحبونه لكثرة احسانه وافضاله على الخلق (قوله وهو وعد على التوبة) وبيان لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة راعى شعيب عليه الصلاة والسلام في جواب قومه ترتيبا ايضا لانه بين اولان ظهور البينة وكثرة انعام الله تعالى عليه في الظاهر والباطن يمنعه من الخيانة في وحي الله تعالى ويصده عن انتهاون في تليفه كانه قال انما اسعى واجتهد في بليغ ما اوحى الى رعايته لحن الله تعالى ثم بين ان سعيه هذا رعاية لحن نفسه ثم بين ان فيه رعاية لحن الناس ثم لما بين صحة طريقته اشار الى الوعيد على الاصرار بمجاهد عليهم من الكفر والعصيان وحلهم على الاستغفار والتوب وعمل قبول ذلك بانه رحيم ودود (قوله وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه) فان الرجل قديقول لصاحبه لا ادري ما تقول وان كان قد فهم كلامه لكنه لم يلم بقبله واستهان به صار كانه لم يفهمه فيقول ذلك القول وهذه التوجيهات جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول مع انه حسن محاورته مع قومه وكال اقتداره في مراجعة جوابهم يسمى خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف لا يفهم كلامه والمتصور ان الضعيف من ايسر له قوة جسمانية يمنع بها القوم عن نفسه او من ايسر له عزة واتباع يتقوى بها على تحصيل مقاصده وقيل الضعيف عبارة عن الاعمى في لغة خبر وحله على هذا المعنى غير مناسب لهذا المقام والسوق يقتضي ان يكون مرادهم بالضعيف من لا قوة له لا الاعمى اذ حله عليه مخالف للظاهر من غير دليل ومع هذا قوله فينا يطل حله على ذلك المعنى فانه لو قيل انا لترك فينا اعمى لكان كلاما فاسدا لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم قال الامام واعلم ان اصحابنا يجوزون العمى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لان حل لفظ الضعيف على معنى العمى ايسر بسد في هذا المقام فكيف يستدل به عليه واما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فذهب من قال انه لا يجوز لكونه حذرا فانه لا يمكن الاحتراز عن التجاسات وانه يحل يجوز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولي واجاب المصنف عنه اي عن هذا الاستدلال بقوله والفرق بين ولعل مراده ان مناط امر النبوة كون الانسان يوحى اليه من قبله تعالى وكونه مبلغا لما اوحى اليه والعمى لا يتخلل بهذا المعنى بخلاف القضاء والشهادة فان مناطهما تمييز من له الحق ومن عليه والعمى منافاه (قوله لا تخوف من شوكتهم) لتلاخف قوله سابقا اومهيئا لاعتراك وانما في شوكة قومه من حيث انهم عبروا عن قومه بالرهط والجماعة القليلة لا يكون لهم شوكة لكنهم اثبتوا لهم الحرمة لكونهم على ملتهم ودينهم ولم يحترموا شعيبا عليه الصلاة والسلام لانه لا حرمة له

(ان يصيكم مثل ما اصاب قوم نوح) من انغرق (او قوم هود) من الريح (او قوم صالح) من الرجفة وان بصلتها تاتي مفعولى جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجر منكم بالضم وهو منقول من التعدي الى مفعول والاول افسح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرى مثل بالتح لضافته الى المبنى كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت

* حمامة في غصون ذات اوقال (وما قوم لوط منكم بعيد) زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم اوليسوا بعيد منكم في الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراده البعيد لان المراد وما اهلكهم او وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والتهيق (وامستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) عااتم عليه (ان رب رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد اوعيد على الاصرار (قالوا يا شعب ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة التجسس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك القصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه ولا لانهم لم يلقوا اليه اذ هانهم لسدة نفرتهم عنه (وانا لترك فينا ضعيفا) لا قوة لك فتمتدح منا ان اردنا بك سوءا اومهيئا لاعتراك وقيل اعمى بلفظ خبر وهو مع عدم مناسسته يرده انتقيد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استثناء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولو لا رهطك) قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا تخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى النسبة

عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل احرامهم رهط بسبب كون الرهط على ملتهم والرحم في اللغة عبارة عن الرمي وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل ولما كان هذا الرحم سببا للقتل لاجرم سمو القتل رجما تسمية للسبب باسم السبب (قوله او باصعب وجه) اشارة الى احتمال ان يكون رجلك استعارة تبعية تشبها للقتل باصعب الوجوه بالقتل بالحجارة واطلاق الاسم المشبه به على المشبه استعارة قصر صريحة (قوله وهذا ديدن السفه) يعني ان جوابهم لتعيب عليه الصلاة والسلام بقولهم يا شبيب ما نفقه كثيرا مما تقول الى هنا ليس دافعا لما قرره شبيب عليه الصلاة والسلام من الدلائل والبيات بل هو جار مجرى مقابلة الدليل والحجة بالشم والسفاهة كما هو ديدن السفه المحجوج الى المغلوب بالحجة (قوله وفي ايلاء ضميره) اي ايلاء الضمير الذي هو عبارة عن شبيب عليه الصلاة والسلام حرف التنبيذ عليه اي ان الكلام فيه اي على ان اتروا واقع في الفاعل لان الفعل بان يتفق المتكلم والمخاطب على وجود اصل الفعل لكن المخاطب مخطئ في تعيين الفاعل والمتكلم بقصد ان يرد الى الصواب وهذا يقتضي ان يكون اصل الكلام ما عززت انت فقدم انت للاختصاص فانه قد تقرر ان تقديم المسند اليه يفيد تخصيصه بالخبر اي قصر الخبر عليه ان وقع المسند اليه بعد حرف التنبيذ فلا فصل نحو ما انا قلت اي لم اقله مع انه مقول لغيري فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذي نفي عن المذكور وانما التزم تحقق التقديم في مثله لان كلمة مائتي الحال والحال له اختصاص بالزمان فالقياس ان يكون مدخلها فعلا او شبهه وحيث وجد الاسم بعدها لاسيما الضمير دل ذلك على ان اصل الكلام ما عززت انت وان التقديم لاجل الاتهام والاختصاص قال صاحب المفتاح في تفسير الآية اي ان الزين عليا يا شبيب رهطك لانت لكونهم من اهل ديننا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في جوابهم ارهطى اعز عليكم من الله اي من نبي الله (قوله ولذلك) اي ولكون مدلول الكلام اختصاص ونفي الفعل عن المذكور مع ثبوته لغيره قال عليه الصلاة والسلام ارهطى اعز عليكم فانه لو كان معنى قولهم مانت عليا بعز زجرد نفي العزة عنه ولم يفهم اثبات العزة له طمعه لم يكن الجواب بقوله عليه الصلاة والسلام ارهطى اعز عليكم مطابقا لكلامهم لانه يكون معنى كلامهم حيث زجرد نفي العزة عنه عليه الصلاة والسلام ويكون معنى جوابه انكار عزة رهطه واثبات احداهما من الآخر واما اذا كان معنى كلامهم اثبات العزة له طمعه مع انتفاءها عنه حيث يحصل المطابقة بينهما وكان الظاهر ان يقال في الجواب ارهطى اعز عليكم مني الا انه قيل اعز عليكم من الله لا لبيان بان نها ونهيم به عليه الصلاة والسلام وهو نبي الله تعالى فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله (قوله اذ لا تبكون على الله) اي فلا تحفظوني ولا ترحوني ولا تراغوني وتراعون نسبة قراي الى الرهط وتضعون نسبتي الى الله تعالى بالنسبة فكأنكم زعمتم ان القوم اعز من الله تعالى حيث تزعمون انكم تركتم قتلي اكراما رهطى والله عز وجل اول بان يسع امره كأنه يقول حفظكم اباي في الله اولي منه في رهطى وفي الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورجته بان تبسع امره ويقال اني الله عليك ان ابقيت على وفيه ايضا ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورجته (قوله والكسر من تفسيرات النسب) كقولهم في النسبة الى امس امسى بكسر الهمزة والى الدهر دهرى بضم الدال (قوله اعملوا على مكانتكم) المكانة الحالة التي يتمكن بها صاحبها من عمله فالعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة كل مافي وسعكم وطاقتكم من افعال الشر والى واتى ايضا تاملا بقدر ما اتى الله من القدرة سوف تعلمون اينما الجاني على نفسه والمخطئ في فعله (قوله فهو ابلغ في التهويل) اي حذف الفاء لاستلزام ان يكون الكلام استثناء فاجوابا لما يقال فاذا يكون اذ اعلنا نحن على مكانتنا وانت علمت على مكانتك ابلغ في باب التهويل من ربط الكلام بما قبله بالفاء السببية المؤذنة يكون ما قبلها سببا لما بعدها فان سلوك طريقة الاستثنا ان يكون المخاطب طالب لمعرفة بحالهم فيكون الجواب بالتهويل اوقع في ذهنه بخلاف ما لو ربط الكلام بالفتحة الفاء (قوله وقيل كان قياسه ومن هو صادق) يعني ان قوله اعملوا على مكانتكم اتي عاملا اشتهل على عمل الصادق والكاذب منه ومنهم ولم يذكر في قوله سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب لا عقوبة الكاذب منهم والاية مسوقة لبيان ذكر عاقبة العاملين من الفريقين وذلك انما يحصل بان يقال ومن هو صادق بدل ومن هو كاذب لينصلي الاول اليهم والثاني اليه الا انه عدل عنه الى ما وقع في النظم بناء على ان المراد من قوله ومن هو كاذب الصادق لكن

(رجلك) لفتلتك برمي الاحجار او باصعب وجه (وما انت عليا من ر) فتمنعنا عنك من الرجم وهذا ديدن السفه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسبب واتهد يد وفي ايلاء ضميره حرف التنبيذ عليه اي ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذاءه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراكم ظهري يا وجعلته وكم كاد سبي المنبوذ وراا الطهر باسراكم به والا هانء برسوله اذ لا تبكون على الله وتبكون على رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهر ما منسوب الى الظاهر والكسر من تغييرات السبب (ان ربي بما تعملون محيط) فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم اتي عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فتوف تعلمون نعمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فاذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل (ومن هو كاذب) عطف على من يأتونه لانه قسيم له كذوبه قال سوف تعلمون من المذهب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعون كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا) وانتظروا ما اقول لكم (اتي معكم قريب) متطرق فعل بمعنى الرقيب كالصريح والمرقب كالشبر والمرقب كالرفيع

ذكر الكاذب موضع الصادق بناء على زعمهم من حيث انه جرى على السنتهم دعاؤهم اياه عليه الصلاة والسلام كاذبا وقال صاحب الاتصاف الظاهر ان الكلامين جميعا للكفار فقولاه من يأتيه عذاب يخزيه فيه ذكر جزائهم وقوله ومن هو كاذب فيه ذكر جرمهم الذي هو الكذب فيكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما تعنى المخاطب في الكلامين واذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من الدلالة على ذكر عاقبة الحق الصادق لان احدا الفريقين اذا كان مبطلا والاخر محققتين ان احدهما يفهم منه ذكر الاخر تعريضا وتعديض ابلغ وواقع من التصريح في كثير من المواضع وهذا منه ولذلك لم يذكر عاقبة شعيب عليه الصلاة والسلام استغناء عنها بذكر عاقبتهم (قوله كما في قصة عاد) وهو قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه ولم يسبق ذكر الوعد الجاري مجرى السبب الموفى به حتى يجيء الناء السببية كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت فان قولك فلما جاء الميعاد مرتب على الوعد فيجىء بالفاء السببية لتدل على سببية الوعد وترتب السبب عليه بل ذكر مجيء العذاب فيهما من غير ان يسبق ذكر الوعد به كانه قصة بنفسها وما قبله قصة اخرى لكنهما متعلقان بقوم واحد فهما مشتركان من وجه مفترقان من وجه آخر فكان المقام مقام الواو التي تعطف بها القصة على القصة بخلاف قصتي صالح ولوط عليهما الصلاة والسلام فانه سبق ذكر الوعد فيهما قال تعالى في قصة صالح فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقال في قصة لوط عليه الصلاة والسلام ان موعدهم الصحيح البس الصحيح بقرى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جيء بالفاء السببية فيهما غير ان صيغتهما كانت من تحتهم روى الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لم يعذب الله تعالى امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح عليهما الصلاة والسلام اما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم قيل نشأت لهم سخابة فيها عذابهم ولم يعلموا انها سخابة العذاب فصارت عليهم كهشة الظلة فيها ريح فلما رآوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فاتتهم صيحة من تحتها فاهلكتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة (قوله وقرى بعدت بالضم) الجمهور على كسر العين من بعدت على انهما من بعد يبعد بكسر العين في الماضي فتحكما في المضارع بمعنى هلك يهلك ارادت العرب ان تفرق بين البعد بمعنى الهلاك وبين البعد الذي هو ضد القرب ففرقا بينهما بصيغة البناء فقالوا بعد بالضم في ضد القرب وبعد بالكسر في ضد السلامة والبعد بالضم والسكون مصدر لهما والعد بتحسين انما يتعمل في مصدر مكسور العين وقرى بضم العين اخذا من ضد القرب لانهم اذا هلكوا فقد بعدوا ومنه قول الشاعر

من كان بينك في التراب وبينه * شبر فذا في غاية البعد

(قوله وهو المعجزات القاهرة) على تقدير ان يراد بالآيات التوراة وما فيها من الاحكام والمعنى ولقد ارسنا موسى باحكام وتكاليف وايدناه بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة (قوله او العسا) على تقدير ان يراد بالآيات جله ما اعطاه الله تعالى من المعجزات وهي تسع آيات بينات العسا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الاموال والانس ومنهم من ابدل نقص الاموال والانس باطلال الجبل وفاق البحر فيكون افراد العسا بالذ كرمع انها داخل في الآيات بالمعنى المذكور لكونها اشهرها وابهرها فيكون من عطف الخاص على العام للشرف كلا شكته ورسله وجبريل وميكال عليهم الصلاة والسلام هذا على تقدير ان يكون الموصوف بكونه آيات غير ما وصف بانه سلطان ويكون من قبيل عطف الذات على الذات ويجوز ان يراد بهما ذاتا واحدة ويكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف فان ما ظهره من المعجزات القاهرة كما وصف بانها علائم مضافة اليه تعالى دل على نبوته توصف ايضا بانها سلطان لهاى حجة بيته له بتسلطها على من خالفه قال الامام ان قيل اذا جلت الآيات على المعجزات والسلطان على الدلائل والمبين ايضا على ما كان ميلا للظهور فافترق بين هذه المراتب قلنا اما الآيات فاسم للقدر المشترك بين العلامات انى تفيد الظن وبين الدلائل التي تفيد اليقين واما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين الا انه مشترك بين الدليل القطعي الذي فيه جلاء وبين ما لا جلاء فيه واما السلطان المبين فهو مخصوص بمافيه جلاء ولما كانت معجزات موسى عليه الصلاة والسلام هكذا لا جرم وصفها الله تعالى بانها بسلطان مبين (قوله فاتبعوا امره بالكفر بموسى) عليه الصلاة والسلام

(ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبق ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصحيح فلذلك جاء بفاء السببية (واخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهل كوا (فاصبحوا في ديارهم جاثمين) مبينين واصل الجثوم الزوم في المكان (كان لم يغفوا فيها) كأن لم يقيموا فيها (الا بعد المدين كما بعدت نمود) شبههم بهم لان عذابهم ايضا كان بالصيحة غير ان صيغتهم كانت من تحتهم وصيغة مدين كانت من فوقهم وقرى بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغير لخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور (ولقد ارسنا موسى باياتنا) بالتوراة او المعجزات (وسلطان مبين) وهو المعجزات القاهرة او العسا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ووجيزان يراد بهما واحد اى ولقد ارسنا بالجمع مع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته وانجيا نفسه او موصياها فان أ بان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآيات نعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بمافيه جلاء (الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون) فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فاتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريفة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساد على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما امر فرعون برشيد) مرشدا وذى رشدا وانما هو غي محض وضلال صريح

ومعجزاته ويحتمل ان يكون المراد من الامر الطريق والشان وهوانه كان دهر يا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله واتم اجب على اهل كل بلد ان يستغلوا بطة سلطانهم وعبوديته ومن المعلوم ان كل الرشدي معرفة الله تعالى وعبادته فمن كان نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية (قوله يقال قدم بمعنى تقدم) وفي الصحاح قدم يقدم قدما بالفتح اي تقدم فالمعنى يتقدمهم ويكون قدماهم وهم خلفه كما كان قائدهم في الدنيا الى الضلال يكون قائدهم في العقبى الى النار (قوله ونزل النار لهم منزلة الماء) يعنى ان قوله تعالى فاوردهم النار من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية حيث شبهت النار في النفس بالماء على سبيل التهكم وجعل اثبات الايراد لها تخيلا فان الورد عبارة عن النجى الى الماء والايراد احضار الغير والمورد اسم مفعول بمعنى الشيء المورد عليه وهو الماء ويستعمل على انه مصدر ميمي لانه يكون على اسم المفعول في المشتقات (قوله فسمى اتيانها موردا) اي ايرادا على ان المورد مصدر ميمي لانه عبر عن احضارهم النار بقوله فاوردهم النار والورد المورد والمورد هو الذي وردوه شبه فرعون بمن يسبق الى الماء ويحققه قومه فاستعير الورد للنار استعارة تهكمية والتقدير برئس الذي وردوه اي الورد المورد ووردهم وهو النار يردها فرعون ثم قومه وقيل في حقها برئس الورد لان المورد انما يراد انسكين العطش وتبريد الاكباد (قوله والاية كالدليل) يريدان الرشيد في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسيره على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمويا العاقبة جيدها (واتبعوا في هذه) في هذه الدنيا (لعنة يوم القيامة) اي يلعنون في الدنيا والاخرة (برئس الرشد المرفود) برئس العون المعان والعطاء المعطى واصل الرشد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين (ذلك) اي ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصود عليك (منها قائم) من تلك القرى باقى كالزراع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزراع المحصول والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير (وما ظنناهم) باهلا كما ياهم (ولكن ظلوا انفسهم) بان عرضوها له بار تكلم ما يوجب (فااغنت عنهم) خانعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضررتهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لم جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته

ومعجزاته ويحتمل ان يكون المراد من الامر الطريق والشان وهوانه كان دهر يا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله واتم اجب على اهل كل بلد ان يستغلوا بطة سلطانهم وعبوديته ومن المعلوم ان كل الرشدي معرفة الله تعالى وعبادته فمن كان نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية (قوله يقال قدم بمعنى تقدم) وفي الصحاح قدم يقدم قدما بالفتح اي تقدم فالمعنى يتقدمهم ويكون قدماهم وهم خلفه كما كان قائدهم في الدنيا الى الضلال يكون قائدهم في العقبى الى النار (قوله ونزل النار لهم منزلة الماء) يعنى ان قوله تعالى فاوردهم النار من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية حيث شبهت النار في النفس بالماء على سبيل التهكم وجعل اثبات الايراد لها تخيلا فان الورد عبارة عن النجى الى الماء والايراد احضار الغير والمورد اسم مفعول بمعنى الشيء المورد عليه وهو الماء ويستعمل على انه مصدر ميمي لانه يكون على اسم المفعول في المشتقات (قوله فسمى اتيانها موردا) اي ايرادا على ان المورد مصدر ميمي لانه عبر عن احضارهم النار بقوله فاوردهم النار والورد المورد والمورد هو الذي وردوه شبه فرعون بمن يسبق الى الماء ويحققه قومه فاستعير الورد للنار استعارة تهكمية والتقدير برئس الذي وردوه اي الورد المورد ووردهم وهو النار يردها فرعون ثم قومه وقيل في حقها برئس الورد لان المورد انما يراد انسكين العطش وتبريد الاكباد (قوله والاية كالدليل) يريدان الرشيد في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسيره على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمويا العاقبة جيدها (واتبعوا في هذه) في هذه الدنيا (لعنة يوم القيامة) اي يلعنون في الدنيا والاخرة (برئس الرشد المرفود) برئس العون المعان والعطاء المعطى واصل الرشد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين (ذلك) اي ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصود عليك (منها قائم) من تلك القرى باقى كالزراع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزراع المحصول والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير (وما ظنناهم) باهلا كما ياهم (ولكن ظلوا انفسهم) بان عرضوها له بار تكلم ما يوجب (فااغنت عنهم) خانعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضررتهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لم جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته

ما يحى أثره وقيل القائم العامر والحصيد الخراب والضبيب المرفوع في قوله تعالى وما زادهم الا صنم والمنصوب
 لعبدتها وعبر عن الاصنام بواو العقلاء لانهم نزلوها منزلة العقلاء (قوله غير شبيب) هلاك تب يستعمل
 لازما ومتعديا يقال تب اذا هلك او خسرت به غيره اذا هلكه او اوقعه في الخسران وتفسير التيب بالهلاك معنى
 على ان تب اللازم بنى منه فعل لقصد المبالغة وتكثير الفعل نحو طوف البيت والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون
 في الاصنام انها تنفع وتدفع المضار ثم انهم عند احتياجهم الى المعين ما وجدوا شيئا مما اعتقدوا فيها لا جلب نفع
 ولا دفع ضرر ثم انهم لما لم يجدوا فيها شيئا من ذلك وجدوا بسببها مضرة عظيمة وهوانه زال عنهم بسبب ذلك
 الاعتقاد منافع الدنيا والاخرة وجلب ذلك اليهم مضار الدنيا والاخرة وذلك من اعظم الهلاك واشد
 الخسران (قوله ومثل ذلك الاخذ) اشارة الى ان الكاف في محل الرفع على انه خبر مقدم للمصدر المذكور
 بعده فان الجمهور على ان الاول مصدر غير مرفوع على الابتداء والثاني فعل ماض وقرئ كلاهما فعلين
 ماضيين (قوله اى يجمع له الناس) فسر به ما وقع في نظم القرآن لان مقتضى الظاهر ان يقال ذلك يوم يجمع
 له الناس لان فعل الجمع الذى وصف به اليوم مترقب بعد ما يتصف اليوم به بالفعل ليكون على وفق قوله تعالى
 يوم يجمعكم ليوم الجمع اى لاجله ولما فيه من الحساب والجزاء ثم بين النكتة في مخالفة مقتضى الظاهر وهى
 الدلالة على ان اليوم موصوف بذلك الوصف وصفا لازما وان الناس لا ينفكون عن الجمع البتة فان اسم المفعول
 على ثبات الامر بن وزومهما بخلاف الفعل (قوله ومعنى الجمع له الجمع لمافيه) ضرورة ان جمع الناس ليس
 لاجل اليوم نفسه (قوله فانسع فيه باجرأ الظرف) اى يحذف الجار وتعلق الفعل بالظرف على صورة
 تعاقبه بالفعل على به كقوله

ومشهد قد كتبت الغائبين به * في محفل من نواصى اناس مشهود

نواصى الناس اشرا فهم والمقدمون منهم يقول رب مشهد عظيم الشان تكلمت فيه وكفيت الغائبين بالناطق
 عنهم واليوم يوم مشهود فيه رؤساء الناس واما نلهم يعنى كتبت الغمة بقلب ثابت فعنى قوله تعالى يوم مشهود
 يوم يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب فيه عند احد فالمشهد هو الموقف والشاهدون الخلائق والشهود فيه
 اليوم (قوله ولوجعل اليوم مشهودا في نفسه) جواب عما يقال مادعاك الى ان تجعل اليوم مشهودا فيه وان
 تجعل المشهود من قبيل ما حذف فيه حرف الجر اتساعا كما في قوله تعالى فن شهد منكم الشهر فامصمه فان الشهر
 منسوب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه فالعنى فن شهد منكم في الشهر فليصمه فيه على معنى فن كان
 منكم مقيما حاضرا اوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولونصبت الشهر على انه مفعول به وجعلت الشهر مشهودا
 لكان مدلول الآية انجاب الصوم على من ادرك الشهر مقيما كان او مسافرا لان المسافر والمقيم كلاهما يتهدان
 السهر لانه يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر فهلا تجعله ابتداء مشهودا في نفسه مع ان اليوم كما يصح ان يوصف
 بانه مشهود فيه بمعنى يشهد فيه الخلائق من كل ناحية لامر له شان او لخطب مهم كيوم الجمعة والعيد وعرفة
 يصح ان يوصف ايضا بانه مشهود اى مدرك كما تقول ادركت يوم فلان وشهر فلان في يوم عيت كونه مشهودا
 على الاتساع ونقرير الجواب ان المقام مقام تهويل اليوم وتعظيمه وتمييزه عن سائر الايام وهذا المقصود انما
 يحصل بجعل اليوم مشهودا فيه لان الايام كلها سواء في كونها مشهودا اى مدركا وليست كذلك في كونها مشهودا
 فيها وان الفرق بين الصورتين في غاية الظهور لانه لا يقال مشهود فيه الا اليوم يشهد فيه الخلائق من كل اوب
 لامر له شان او لخطب مهم كيوم العيد والجمعة وعرفة وايام الحروب وقدم السلطان ويقال يوم مشهود لكل
 يوم ادركه احد (قوله اى الجزاء) على ان يكون عدم ذكر فاعل باتى من قبيل الايهام لقصد التعظيم والتهويل
 كانه قيل يوم باتى الشئ المهيب الهائل المعظم وتعين الجزاء مستفاد من سوق الكلام (قوله واليوم) فان قيل
 يوم باتى اليوم معناه يوم يوجد اليوم لان اتيان اليوم وجوده فيكون للزمان زمان وانه محال وايضا اليوم انما
 يضاف لاجل تحديده وتعيينه وضافته الى اتيان اليوم تستلزم تحديد الشئ بنفسه واليوم انما يتعين بما وقع فيه
 لا بنفسه اجيب بان الكلام منى على تقدير المضاف والمعنى يوم باتى هو له وجود اليوم ليس وجود نفسه
 فلا يلزم ما ذكر (قوله بما يشع او ينجي) قيده لئلا يناقضه الايات الدالة على انهم يتكلمون بدون سبق
 الاذن كقوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها بل على انهم يكذبون ويخلفون بالله عليه كقوله والله

(وما زادهم غير شبيب) هلاك او تخسير (وكذلك)
 ومثل ذلك الاخذ (اخذرك) وقرئ اخذرك
 بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصيب على
 المصدر (اذا اخذ القرى) اى اهلها وقرئ اذلان
 المعنى على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهو
 في الحقيقة لاهلها لكنهم لما اقيمت مقامه اجر بت عليها
 وفادتها الاشعار بانهم اخذوا الظلمهم وانذار كل ظالم ظلم
 نفسه او غيره من وخامة العاقبة (ان اخذهم اليم شديد)
 وجميع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة في التهديد
 والتحذير (ان في ذلك) اى فيما نزل بالامر الهالكه وفيما
 قصه الله من قصصهم (لا يذ) لعبرة (لمن خاف عذاب
 الاخرة) يعتبر بها عظة لعلمه بان ما بهم حاق ان يؤذج
 مما اعد الله للجرمين في الاخرة او يبرز جر بها عن
 موجباته للمد بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم
 من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل
 بالقاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية
 اتفقت في تلك الايام لالذنوب المهلكين بها (ذلك)
 اشارة الى يوم القيامة وعذاب الاخرة دل عليه (يوم
 مجموع له اناس) اى يجمع له الناس واتغير للدلالة على
 ثبات معنى الجمع اليوم وانه من شأنه لا يتحالة وان الناس
 لا ينفكون عنه فهو المبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع
 ومعنى الجمع له الجمع لمافيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك
 يوم مشهود) اى مشهود فيه اهل السموات والارضين
 فانسع فيه باجرأ الظرف محرى المفعول به كقوله
 في محفل من نواصى الناس مشهود * اى كثير شاهدوه
 ولوجعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض
 من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما
 تؤخره) اى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاه مدة
 معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة
 التأجيل كلها بالاجل لانهاها فانه غير معدود (يوم
 تاتي) اى الجزاء اوليوم لقوله ان تاتيهم الساعة على
 ان يوم بمعنى حين والله عز وجل لقوله هل ينظرون الا
 ان ياتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بات
 يحذف الياء اجتزأ عنها بالكسرة (لانكم نفس) لا تتكلم
 بما ينفع وينجي من جواب او شفاعا

وبنا ما كنا مشركين فلناقض قوله تعالى لا تكلم نفس من النفوس الاباذنه هذه الايات بحسب الظاهر خصص
الكلام المدلول بقوله لا تكلم بالكلام النافع المجي وقرينة التخصيص قوله تعالى من ذا الذي يسمع عنده الاباذنه
ولا يلزم من كون الكلام المتعلق بجلب النفع او دفع الضرر موقوف على الاذن ان يكون جميع ما صدر من اهل الموقف
موقوفاً بالاذن ثم لما ورد ان يقول هذه الآية يدل على ان بعض النفوس تتكلم بالاذن ويناقضه قوله تعالى هذا
يوم لا ينطقون الآية فانه يدل على انهم لا ينطقون اصلاً ولا يؤذن لهم اجاب عنه بوجهين لا يخفى محمولهما (قوله
تعالى فنه شق وسعيد) ظاهره يدل على ان اهل الموقف لا يخرجون من هذين القسمين اللذين احدهما مخلد
في النار ابد الامساء ربك وثانيهما مخلد في الجنة ابد الامساء ربك فيلزم ان يكون اطفال المشركين والمجانين
الذين لم يعملوا صالحاً ولا كفر غير خارجين عنهما فان قلت انهم من اهل الجنة فلا يمان وان قلت انهم من اهل النار
فلا ذنب روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطفال المشركين اهم
من اهل الجنة ام من اهل النار قال صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين من الكفر والايان ان عاشوا وبلغوا
واعلم ان امرهم فيما يتعلق بالامور الدنيوية تبع لاشرف الابوين وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال
مع بانهم وفيما يتعلق بامر الآخرة من الثواب والعقاب موقوف موكول الى علم الله تعالى لان السعادة
والتقاوة اسنا معلتين عندنا بالاعمال بل الله تعالى خلق من شاء سعيداً ومن شاء شقياً وجعل الاعمال
دليلاً على السعادة والتقاة وانت تعلم ان عدم الدليل وعدم العلم لا يوجبان عدم المدلول والعلم بعدمه فكما
ان البالغين منهم شق ومنهم سعيد كذلك الاطفال والمجانين (قوله فالمراد بهما الدلالة على سدة كرههم)
فان الانسان اذا عظم غم وقوى كربه انحصرت حرارته الغريزية وروح الحيوان في داخل قلبه وعند
ذلك يحتاج الانسان الى برد نفسه في داخل قلبه على مقدار قوته وقدرته على سدة النفس حتى تتروح تلك الحرارة
القوية بدخول الهواء البارد ثم ان تلك الحرارة لما كانت محصورة في داخل القلب استولت البرودة على الاعضاء
الخارجية فربما عجزت النفس عن دفع ذلك الهواء الكثير المستشق فيبقى ذلك الهواء فعلى قياس
قول الاطباء الزفير هو استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه
والتهقيق هو اخراج ذلك الهواء عند محاسبة الطبيعة في اخراجه وكل واحدة من هاتين الحالتين يدل على
الكرب والغم بطريق دلالة اللازم على ملرومه فكان اثبات الزفير والتهقيق لهم تخيلاً لتسببه حالهم الثابتة لهم
من عقاسة حرجهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه فيكون قوله تعالى لهم فيها زفير
وشهيق استعارة مكنية وتخيلية ويحتمل ان يكون الزفير والتهقيق مستعار الصراخهم تسببها بصوت الحمار
(قوله وقرئ شقوا بالضم) اي بضم السين على ان يكون شق متعدياً حيث يقال شقاه الله كما يقال اشقاه الله
والجمهور على فتح السين على انه من شق اللازم (قوله ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهم) يعني ان كلمة
ما في قوله تعالى مادامت السموات والارض مصدرية والمصدر المأول قائم مقام الظرف والمعنى خالدين فيها
مدة دوام السموات والارض ومن المعلوم من النصوص القاطعة ان مدة بقائهم متناهية فيلزم ان يكون
دوام الابقاء في النار مرتبطاً بدوامهم فيلزم ان يكون عذابهم منقطعاً عند فنائهم او يكونا دأمتين كدوام
عذابهم لان ظاهر هذه الآية يدل على ان مدة عذابهم مساوية لمدة بقائهم وكلاهما باطل فاجاب المصنف عنه بان
ظاهر الآية وان دل على ان دوامهم في النار مرتبط بدوامهم لانها لا اله الا الله ليس المراد من توقيت خلودهم في النار بدوامهم
ان الخلود مقدر بمرور دوامهم ومته عند فنائهم لان النصوص القاطعة تنفي ان يكون الامر كذلك بل التوقيت
المذكور للتعبير عن التأيد وعدم الانقطاع والمبالغة فيه بما كانت العرب يعبرون به عن ذلك كقولهم لا تأكل
مادامت السموات والارض وما حثت البت وما طلت الابل وما ورق الشجر وما ينح النر وما سال سيل وما جن
ليل وما طرق طارق وما نطق ناطق فانهم يعبرون بمثل هذه الالفاظ عن التأيد والمبالغة في الدوام على طريق
تمثيل ما قصد تأييده بها في التأيد وعدم الزوال بناء على اعتقادهم فلما كانت هذه الالفاظ بحسب عرفهم تفيد
الابد والدوام الخالي عن الانقطاع خاطب الله تعالى العرب على عرفهم واعتقادهم ولأن سلبنا ان التوقيت
المذكور لبيان ارتباط دوامهم في النار بدوامهم لكن لانسليم انه يلزم من زوالهم زوال عذابهم ولا من دوام
دوامهم الا من قيل المفهوم لان الآية بمنزلة ان يقال ان دأمت يدوم عذابهم فيفهم منه ان دوام عذابهم يستلزم

وهو الناصب للطرفي ويحتمل نصبه باضمار اذكر
او بالانتهاء المحذوف (الا ياذنه) الاباذن الله كقوله
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف آخر والمأذون فيه هي الجوابات الخفة
والمبتوع عنده هي الاعذار الباطلة (فنه شق) وجبت
لنارهم بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب
الوعد والصبر لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم
مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس (فاما الذين
سقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج
النفس والتهقيق رده واستعمالهما في اول التهقيق
وأخيره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم
وتسبب حالهم من استولت الحرارة على قلبه وانحصر
فيده روحه او تشبده صراخهم باصوات الجير وقرئ
سقا بالضم (خالدين فيها مادامت السموات والارض)
ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهم فان النصوص
دالة على تأيد دوامهم وانقطاع دوامهم ما بال تعبير
عن التأيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه
على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضاً من
زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من
دوامهم دوام الدوام الا من قيل المفهوم لان دوامهم
كاللزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم
الاضيق.

دوامهما بحكم ان تحقق اللازم يستلزم تحقق الملزوم ويفهم منه ايضا ان عدم دوامهما يستلزم عدم دوام عذابهم بحكم ان عدم الملزوم ملزوم لعدم اللازم وقد تقرر ان المفهوم لا يمارض المنطوق وهو دوام عذابهم وانقطاع دوامهما (قوله وقيل) اى قيل ان التوقيت المذكور لبيان دوام عذابهم بدوام سموات الآخرة وارضها فهو بمنزلة ان يقال ان دائما يلزم دوام عذابهم وان دام عذابهم يلزم دوامهما فلا محذور (قوله وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل) فاعلم انهم ساء وما اقلهم ارض لان كل ما عاكف فهو ساء وكل ما استقرت عليه قدمك فهو ارض واعترض المصنف على الجواب بان دوام السموات والارض انما ينقطع لو كان المراد سموات الدنيا وارضها وليس كذلك لان الكلام فيما بعد الحشر بل المراد سموات الآخرة وارضها وهى دائمة بقوله وفيه نظروا وبانه ان محصول قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض تسببه عذابهم في دوامه بدوام السموات والارض ومن المعلوم ان التشبيه انما يفيد اذا كان اتصاف المسببه به بوجه السبه اظهر واعرف بالنسبة الى اتصاف المتببه وذلك يستلزم ان يكون نفس وجود التشبيه ظاهرا معروفا والحال ان اكثر الخلق لا يعرف وجود سموات الآخرة وارضها فضلا عن دوامهما وانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فيكون اتصاف التشبيه بوجه السبه اعرف بالنسبة اليه فلا يجدي له التشبيه واجاب عنه صاحب الكشاف عفا الله عنه بقوله اقول اما اذا اريد ما يظلمهم وما يقلهم فهو ظاهر السقوط لان هذا القدر معلوم الوجود لكل عاقل واما الدوام فليس مستفادا من دليل دوام الثواب والعقاب بل ما يدل على دوام الجنة والنار سواء عرف انهما دار الثواب والعقاب وان اهلها السعداء والاشقياء من الناس ام لا فليس تشبيها من باب تشبيه ما يعرف بما لا يعرف بل الامر بالعكس انتهى كلامه ووجه كونه من باب تشبيه ما لا يعرف انه شبه تلك الدار بهذه الدار واثبت لهما ما لهداه الدار من المظلة والمقالة والجامع كونهما جنسين (قوله استثناء من الخلود) اى من حكم الخلود المستثنى منه الزمان المدلول عليه بقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض اى الزمان الذى اوالا زمانا شاء ربك فلا يخلدون فيه على ان ما موصولة او موصوفة ويحتمل ان يكون المستثنى منه الضمير المستتر في خالدين فتكون كلمة ما عبارة عن من على رأى من رأى ذلك كانه قيل الحق الذى لا يحصى عنه ان يحصل ما على معنى من لافادة معنى الوصفية وهى الرحومية لتؤذن ان اخراجهم بمحض مشيئة وسبق رجته للاستحقاق منهم فيطبق عليه قوله تعالى ان ربك فعال لما يريد وتحققه ان قوله تعالى خالدين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار في الخرف وهو قوله في النار وانت تعلم ان الحال قيد للحكم فاذا اتى الحكم عن البعض بالاستثناء ينفى كونه مقيدا والمعنى ان الذين شقوا مستقرون في النار مقدرون الخلود الا المرحوم الذى شاء الله ان لا يستقر مخلدا فيفيد اما ان لا يستقر فيها مطلقا او يستقر غير مخلد واحوال العصاة على هذا التمهيم كما علم من النصوص الصحيحة نقل الامام عن بعض المفسرين انهم قالوا هذا الاستثناء يفيد اخراج اهل التوحيد من النار لان قوله الامام ان ربك لا يبق ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكنى في زوال حكم الخلود زواله عن بعضهم فوجب ان لا يبق حكم الخلود لبعض الاشقياء ولما ثبت ان الخلود واجب للكفار وجب ان يقال ان الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفاسق من اهل الصلاة واما الذين سعدوا في الجنة فيفيد ان جملة السعداء محكوم عليهم بهذا الحكم وقوله الا ما شاء ربك اوجب زوال حكم الخلود عن المجموع في الجنة ويكنى في زواله عن الجميع زواله عن البعض وما ذلك البعض الا الفاسق من السعداء وايس زوال حكم الخلود عنهم بان يدخلوا الجنة ثم يخرجوا منها الى النار وان كل من يدخل الجنة فهو خالد فيها بعد دخوله فيها بل المراد من زوال حكم الخلود عنهم عدم دخولهم فيها من اول الامر وهم ما خلدوا فيها تخليدا من دخلها اول وهلة فان الخلود في مكان كناية في الاتي قال من انتهاء ينفى ايضا بان لا يدخله انتداء والفاسق مفارقون عن الجنة ايام عذابهم (قوله اولان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره الخ) تعليل ثان لكون الاستثناء من الخلود في النار والمراد باصل الحكم كونهم في النار وهو اصل بالنسبة الى قيده الذى هو خلودهم فيها فكأنه تعالى قال واما الذين شقوا في النار الآية الا وقت وقوفهم في الموقف للحساب فانهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار كما لا يكونون في الجنة (قوله اومدة لبشهم في الدنيا والبرزخ) عطف على قوله زمان توقفتهم في الموقف كانه قيل خالدين فيها الا المقدار لبشهم في الدنيا والبرزخ (قوله وقيل هو) اى الاستثناء من قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق كانه قيل لهم زفير

وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظروا فيه تسببه بما لا يعرف اكثر الخلق وحوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه (الا ما شاء ربك) استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يفيد زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأيد من مبدأ معين ينقض باعتبار الابتداء كما ينقض باعتبار الانتهاء وهو لا وان شقوا بعضيا عنهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله عنهم سقى وسعدا تشبيها لان من شرطه ان تكون صفته كل قسم مستفيدة عن قسمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لا انفصال حقيق او مابع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والسقاة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبار اى اولان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كما لا اتصال بجنتاب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفتهم في الموقف المحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا في النار حين يأتى اليوم اومدة لبشهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق

وشهيق في جميع ازمته كونهم في النار الا زمانا شاء ربك ان ينقطع ذلك عنهم بان يصبروا ساكنين تخامدين (قوله وقيل الاهتنا بمعنى سوى) والمعنى انه تعالى لما قال خالدين فيها مادامت السموات والارض ثم قال سوى ما زاد على ذلك من الخلود الدائم ثم زاد عليها الدوام الذي لا آخر له بقوله تعالى الاما شاء ربك اي سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها ثم قال تعالى ان ربك فعال لما يريد حيث قهر كافة الاشقياء بالخلود في النار واستثنى منهم الذين تعلقت مشيئته بمغفرتهم وانجائهم منها روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لا تين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة رضي الله عنه مثله ومعناه عند اهل السنة انه لا يبقى من اهل الايمان واما مواضع الكفار فخلوة ابدا واعلم ان الله تعالى لما قص خبر عبدة الاوثان وذكر ما حل بهم من عذابه ثم اتبعه بذكر ما اعد للاشقياء والسعداء شرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين من قومه تسليية وعدة بالانتقام منهم ووعيد لهم فقال الله تعالى فلا تكت في مرية اصله فلا تكن حذفت نونه لكثرة الاستعمال ولان النون الساكنة لم تبقى عند التلظظ بها المجرد الغنة فاذا وقعت في آخر الكلمة التي هي محل التغير حذفت تشبيها لها بحرف العلة والمعنى اذا تين عندك ما قصصت لك من قصص المتقدمين من المشركين فلا تكت في شك من عبادة هؤلاء المحاضرين من المشركين وكن على يقين في انها ضلال مبين سبيء العاقبة على ان ما مصدرية ويجوز ان تكون ما موصولة اي من حال الذنبي يعدونه في انه يضر ولا ينفع ثم قال على سبيل الاستئناف ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مل حال آباؤهم من غير تفاوت بين الحالين (قوله لتقييد التوفية) يعني ان قوله تعالى غير منقوص حال مؤكدة من المفعول وهو النصيب الموفى فان توفية الحق اعطاؤه تاما كاملا فالوفى لا يجوز ان يكون ناقصا فيجب ان يكون سبيل قوله تعالى غير منقوص سبيل الحال المؤكدة وهي ان تقرر مضمون الجملة لدفع توهم الجوز كافي قوله تعالى ثم وليستم مدبرين فان قوله تعالى انا الموفوهم نصيبهم لولم يقيد بقوله تعالى غير منقوص لئوهم ان قوله تعالى انا الموفوهم بمعنى لمعطوهم ولو مجازا فلما قيد به اندفع التوهم فكان حالا مؤكدة ثم انه تعالى لما بين في الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد بين ايضا اصرارهم على انكار نبوته صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بكتاب الله فانزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل ان اختلف فيما انزل عليك فلا يشق عليك فقد اختلف فيما انزل على من قبلك (قوله وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر بالتخفيف) اي باسكان النون في قوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم والباقون بنسبدها وكذا انهم قرأوا لما تخفيف الهم ومن قرأ ان مخففة يعملها اعتبارا للاول لان الفعل يعمل بعد التخفيف كما كان يعمل اولابدون التخفيف نحو لم يك زيد قائما فكذلك الحرف الذي يعمل بمشابهة الفعل واعمال المخففة لغة ثابتة عند العرب سمع من واحد منهم وهو يقول ان عمر المنطلق وقال آخر كان ثديه حقان ووجه تخفيف لما ذكره المصنف من ان اللام فيه هي الموطئة للقسم واللام في ليوفينهم لام الابتداء او بالعكس اي ابلال الاولى ابتداءية والثانية لام جواب قسم مضمرة والجملة من القسم وجوابه خبران ولما اجتمع اللامان فصل بينهما بما كما فصل بالالف بين النونين في يضر بنان فتكون كلمة ما هنا زائدة جبي بها للفصل اصلا للفظ ووجه التشديد في لما ان اصله لمن بكسر الهم على انها من الجارة دخلت على ما الموصولة او الموصوفة والمعنى لمن الذين والله ليوفينهم او لمن خلقت اوجاعة والله ليوفينهم فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ماوجب ادغامها فيها فقلت ميم وادغمت فاجتمع في اللفظ ثلاث ميمات فحذفت اولاهن فصار لما (قوله وقرئ لما بالنون) فيكون لما مصدر قولك لمتة اي جعته لما واتصاه على انه صفة كل على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة والتقدير وان كلا لما اي جعل ليوفينهم جزاء اعمالهم والمصدر ههنا بمعنى المفعول اي كلا مجموعا وصف به الكل للدلالة على الاجتماع فان الكل يحتمل الاجتماع والافتراق ونقل عن ابن جني رحمه الله انه قال لما بالنون مصدر كالذي في قوله تعالى وبأكلون التراث اكلا لما جامعا لاجزاء المأكول ولذلك تقديره هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اي ليوفينهم توفية جامعة لاعمالهم جمعا ومحصلة لاعمالهم تحصيلها فهو كقولك قبا ما لا قوم وقعود الاقعدن يعني ان قوله تعالى لما في هذه القراءة منصوب بقوله تعالى ليوفينهم ربك اعمالهم على انه مفعول مطلق له من غير لفظه كانه قيل توفية جامعة لاعمالهم ليوفينهم كما تقول قبا ما لا قوم وقال ابو البقاء رحمه الله واتصاه على الحال من ضمير المفعول في ليوفينهم ضعيف

وقيل الاهتنا بمعنى سوى كقولك على الف الا لا لئان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاما شاء ربك عطاء غير محدود) غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولا جنة فرق بين الثواب والعقاب في التأنيد وقرأ حزة والكسافي وحقق سعدوا على البناء للمفعول من سعد الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة (فلا تكت في مرية) شك بعد ما انزل عليك من مال الناس (ما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم من قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) استئناف معناه لتعليل النهي عن المربة اي هم وآباؤهم سوء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا لعبادة آباؤهم او ما يعبدون شيئا الا مل ما يعبدوه من الاوثان وقد بلغك ما خلق آباءهم من ذلك فسلطهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قل عليه (واما الموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرنا خير العذاب عنهم مع قيام ما وجبه (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيه حقه وزيد به وفاة بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فاما من به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني كلمة الا نظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بانزال ما يستحقه المظل ليعتبه به عن الحق (وانهم) وان كفار قودك (لني شك منه) من القرآن (مرتب) موقع الحرية (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتورين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاسم وحزرة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما قبلت النون ميما لا ادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالنون اي جميعا

تقوله اكلا لما وان كل لما علا ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خير) فلا يفوت عنه شيء منه وان خفي (فاستقم كما امرت) لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة والمطلب في شرح الوعد والوعيد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالنوسط بين التبتية والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للعقوب ونحوها وهي في غاية السر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيتني سورة هود (ومن تاب معك) اي ومن تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكده بتفصيل لقيام الناصل مقامه (ولا تطغوا)

(٦٩)

ولا تخر جوا عما حد لكم (انه بما يعملون بصير) فهو محاذيكم عليه وهو في معنى التعاليل للامر والتهى وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تملوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل السير كالتركي يزيمهم وتعظيم ذكرهم (فتحكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فاطاك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم باليل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه واهل الآية الملع ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وص معه من المؤمنين بهما للثبوت على الاستقامة التي هي العدل نان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفریط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركوا بكسر التاء على لغة تميم وتركوا على البناء للمفعول من اركه (وما لكم من دون الله من اولياء) من انصار يعتون العذاب عنكم والوالوالحال (نعم لاتصرون) اي نعم لا ينصركم الله اذسق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم ونعم لاسية ان نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجب لههم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انج ذلك انهم لا ينصرون اصلا (واقم الصلاة طرفي النهار) غدوة وعشية واتصبا به على الطرف لانه مضاف (وللفا من الميل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قرب به وهو جمع زلفة وصلاة القداسة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العتية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عتية وصلاة الزاف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بصمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلني بمعنى زلفة كقرني وقربة (ان الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجثبت الكبار وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتى قد اصبحت من امرأة غير اني لم آتها فزنت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى اقرء آن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعتطين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصي (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلاة احسان وابعاء بانه لا يعتد بهما دون

الا خلاص

(قوله وان كل لما) عطف على قوله لما بالتون اي وقرئ وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اي ان كل نفس الاعليها حافظ وصرح المصنف رحمه الله في سورة الطارق بان عامما وابن عامر وحزقهم الله قرأ وفي هذه السورة لما يوفيههم وفي يس لما جمع وفي الطارق لما عليها حافظ بنشد الميم في الثلاث والباقيون يتخففها وصرح ايضا رحمه الله في سورة الطارق بان لما المسددة بمعنى الا وان ان نافية ومعنى الآية ان من عجلت عقوبته واخرت ومن صدق الرسل ومن خالفهم سواء في انه تعالى يوفيههم جزاء اعمالهم في الآخرة جعلت الآية الشريفة الوعد والوعيد لان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله تعالى انه بما يعملون خيرا كيد لولو وعد الوعيد فانه تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات كان عالما بمقادير الطاعات والمعاصي فكان عالما بالقدر الاثني بكل عمل من الجزاء فيشتد لا يضيع شيء من الحقوق وذلك نهاية البيان وقرأ العامة يعملون بياء الغيبة اجراء على ما تقدم من المختلفين وقرئ بما يعملون على الخطاب التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقوله تعالى يعبد هؤلاء وانه بما يعملون بصير يخالف لهذا فان العامة قرأوه بياء الخطاب جريا على الخطاب المتقدم وقرئ بياء الغيبة التفاتا من الخطاب الى الغيبة قال الامام رحمه الله تعالى وعندى لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما دل على عموم النص وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى فاستقم كما امرت والعمل بالقياس انحراف عنه ولذا لما ورد القرء آن بالامر بالعمل الوضوء في الاعضاء مرتبة في اللط ووجب الترتيب فيها ولما ورد الامر في الزكاة بادء الا بل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله به كل ذلك لقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا بفتح الكاف من باب قتل يقتل وقوله فتحكم النار منصوب باضمار ان في جواب التهى وقوله تعالى وما لكم من دون الله الآية حال من مفعول فتحكم اي تمسك حال انتفاء ناصركم ويجوز ان تكون مستأنفة وقوله تعالى نعم لاتصرون جملة فعلية معطوفة على الاسمية قبلها وقرئ بحذف التون اي بحذف نون الرفع عطفا على تمسك وكلمة ثم فيه اما الاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم مع استحقا قهم العذاب مع ركونهم او منزل منزلة الفاء السببية في الدلالة على ان مساس النار لهم في حال انتفاء ناصرهم سبب لانتفاء كونهم منصوبين بالكلية مع الدلالة على استبعاد النصرة ثم انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم بالاستقامة في العقائد والاعمال التي من جللتها اقامة الصلاة اردفها بالامر في اقامتها خاصة تبيها على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى طرفي النهار طرف لاقم والطرف وان لم يكن موضوعا للظرفية لانه لما اضيف للطرف اعرب باعرابه ونطيره قولك فعلته اول النهار وآخره ونصف الليل فان هذه الكلمات منصوبة على الظرفية لكونها مضافة الى الطرف وقرأ العامة زلفا بضم فسكون على انه مخفف من القراءة بصمتين كما قالوا ابسر وبسر في جمع بسرة وقرئ وزلني بمعنى زلفة وقول المصنف رحمه الله تعالى وساعات منه قريبة من النهار اشارة الى ان الزلني اول ساعات النهار وانه منصوب على الظرفية لعطفه على طرفي النهار قال الامام رحمه الله كثرت الاقوال في تفسير طرفي النهار والا قرب ان الصلاة التي تقام في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار طلوع الشمس والطرف الثاني منه غروب الشمس فالصلاة التي تقام في الطرف الاول هي صلاة الفجر والتي تقام في الطرف الثاني لا يجوز ان تكون صلاة المغرب لانها داخلية في التي تقام في زلف من الليل فوجب حمل ما مقام في الطرف الثاني على صلاة العصر واذا عرفت هذا كانت الآية دليلا على قول ابى حنيفة رحمه الله ورضي عنه ان الشور بالفجر افضل وان تأخير العصر افضل وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على وجوب اقامة الصلاة في طرفي النهار وبين ان طرفي النهار هو الزمان الاول والاول لظهورها واجتماع الامة على ان اقامة الصلاة في ذلك الوقت من غير ضرورة غير مشروع فقد تعذر العمل بظاهر هذه الآية فوجب حله على المجاز وهو ان يكون المراد اقم الصلاة في الوقت الذي يقرب من طلوع الشمس ومن غروبها ولا شك ان هذا الحمل اقرب الى ظاهر اللفظ وان اقامة صلاة الفجر عند الشور اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها وقت الغروب وكذلك اقامة صلاة العصر عند ما يصير ظل كل شيء مثله اقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل شيء مثله والحجاز كلما كان اقرب الى الحقيقة كان حمل اللفظ عليه اولى فثبت ان ظاهر هذه الآية يقوى قول ابى حنيفة رحمه الله ورضي عنه في هاتين المسألتين فظهر بهذا سر قول المصنف لان صلاة الصبح اقرب الصلوات من اول النهار ثم قال رحمه الله واما قوله تعالى

(في)

(١٨)

وزلفا من الليل فهو يقتضى الامر باقامة الصلاة في ثلاث زلف من الليل لان اقل الجمع ثلاثة والمغرب والعشاء وقتان فيجب الحكم بوجوب الوتر حتى تحصل زلف ثلاث يجب ايقاع الصلاة فيها واذا ثبت وجوب الوتر حتى النبي صلى الله عليه وسلم وجب في حق الامة ايضا لقوله فاتبعوه ونظير هذه الاية بعينها قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها الذي قبل طلوع الشمس هي صلاة الفجر والذي قبل غروبها هي صلاة العصر ثم قال ومن آماء الليل فسبح واطراف النهار هو نظير قوله تعالى وزلفا قال سعيد بن جبر رضى الله عنه طرفا النهار العداة والعشي فالصلاة التي في طرف العداة صلاة البحر والتي في طرف العشي الطهر والعصر وفي الخبر روى رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي العشي اما الطهر واما العصر ونقل عن الامام الواحدى رحمه الله انه قال نقل عن ابي عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى طرفي انهار يريد الصبح والطهر والعصر وهو قول مجاهد ومحمد بن كعب رحمه الله وقال الزجاج رحمه الله تعالى صلاة طرف في النهار العداة والطهر والعصر وذهب ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعامة اهل التفسير الى ان تعريف الحسنات العهد الخارجى والمراد ان الصلوات الخمس تكفرن ما ينهن من الذنوب وعن مجاهد رحمه الله ان الحسنات هو قول العبد سبحان الله والمجد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله فهلا كان) اشارة الى ان كلمة لا تلحق ضمة دخلت على الماضى بمعنى التفعيع عليهم فكان قريبا من اسلوب قوله تعالى يا حسرة على العباد ومن القرون يجوز ان يتعلق بكان لانها تامداز المعنى فهلا وجد من القرون احدث ونحو ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من اولو ابقية لانه لو تأخر عند جازا ان يكون نعتا له ومن قبلكم حال من القرون وينهون حال من اولو ابقية لتخصيصه بالاضافة ويجوز ان يكون نعتا لاولو ابقية وهو اولى ثم لما بين الله تعالى ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال من ان السب فيه امر ان الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض ومعنى الاية فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم اولو ابقية والسبب الثاني في نزول عذاب الاستئصال بهم ما ذكره بقوله تعالى واتبع الذين ظلموا اما ترؤفوا فيه قرأ العامة بقية بمعجم الباء وكسر القاف وتسديد الياء وفيها وجهان احدهما انها صفة على فعيلة بمعنى فاعل ثم غلبت الاسمية عليها حيث لم تحتاج الى ذكر الموصوف واجراؤها عليه بل جعلت عبارة عن كل ما اطلق عليه الخير من العقل والتمييز والفصل فلذلك دخلت التاء فيها فانها تدخل على الصفات لتدل على غلبة الاسمية عليها كالصاحبة والذبيحة والوجه الثاني ان تكون مصدرا كالتة بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذواباء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه (قوله وانما سعى بقية) يعنى ان البقية بمعنى الصفة كناية عما اطلق عليه من خير وجيد من قوة العقل والتدبر ومن الصفات الفاضلة والاخلاق المرضية ببناء على ان الاستبة من لوازم الخبرة والجدوة فان الرجل يستقى افضل ما يخرجه وبكسبه (قوله لكن قليلا منهم انجيئناهم) يعنى ان قوله تعالى الا قليلا فانهم كانوا ينهون لان من شأن الاستثناء المتحصل ان يصح نفي ما للمستثنى منه عن المستثنى واثبات ما ليس للمستثنى منه كقولك جاء فى القوم الازيدا فانه ما جاءنى وما جاءنى واحد الازيدا فانه جاءنى بخلاف ما اذا لم يحمل الكلام على ظاهره بل اراد به النفي اللازم للتخصيص ضرورة ان التخصيص على الشيء انما يكون بانتفاء فانه حيث يصح ان يجعل الاستثناء متصلا فكله قيل ما كان من القرون اولو ابقية الا قليلا وهو معنى صحيح وغاية ما في الباب انه انتصب المستثنى في غير الموجب مع ان الافصح ان يرفع على البدل ولا محذور فيه كيف وقد قرئ ما فعلوه الا قليل منهم بالرفع وكلمة من في قوله تعالى بمن انجيئناهم ان تكون للبيان لا للتبعض وذلك لان البيان والمبين شيء واحد كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فعلى تقدير جعلها للبيان يكون القليل الذين نهوا هم اثناجون وحدهم دون غيرهم ويكون الكثير الذين لم ينهوا محكوم عليهم بالعذاب وهذا المعنى مطابق لما في سورة الاعراف من قوله تعالى انجيئنا الذين ينهون عن السوء واخذ الذين ظلموا بعذاب بئس واما اذا حل على التبعض يكون بمن انجيئنا بدلا من قليلا فيلزم ان يكون الناهون بعض الناجين غير الناهين وليس كذلك بل لاسم من ان كل من هو غيرنا محكوم عليه بالعذاب (قوله ما ترؤفوا فيه اى ما انعموا فيه من الشهوات) يريد ان الاراف اغفال من الترف والشرف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ونبدوه ورأى ظهورهم جعل الشهوات مترفا فيها اى منعها بناء على اعتقادهم ان

(فاولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم اولو ابقية) من الرأى والعقل اولو افضل واعا سعى بقية لان الرجل يستقى افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من شدة القوم اى من حيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتة اى ذوا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهى المرة من مصدر بقاء يبقده اذا راقده ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا بمن انجيئنا منهم) لكن قليلا منهم انجيئناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من الى اللازم للتخصيص (واتبع الذين ظلموا اما ترؤفوا فيه) اى ما انعموا فيه من الشهوات واشتموا بتخصيص اسبابها واعا صوا عما وراء ذلك (وكانوا يحرمين) كافرين كانه اراد ان بين ما كان السب لاسئصال الامم السانفة وهو سوء الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك الهوى عن المنكرات مع الكفر

تبعهم في ضمتها (قوله واتبع عطف على مضرت دل عليه الكلام) لما مر من ان الخصيصة يدل على اتناء
 المحضض عليه ولم يحسن عطفه على انجينا لانه صلة من ويمتنع وقوع واتبع صلة ولا معنى لجعله حالا من انجينا لان
 انجاء القليل ليس في اتباع الكثير الشهوات فعين جعله عطف على مقدار الان صاحب الكشف جعله معطوفا على
 فهو المقدر خبر الان بمعنى لكن والمصنف عطف على ما دل عليه جلة انخصيصة ولعله نظر الى ان في اختاره عطف
 احد سببي الاستئصال على الاخر لانه وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى واتبع الذين ظلموا المتصريح بان
 اتباع الشهوات ظلم منهم وانه هو المؤدى الى الاستئصال وهذه المناسبة متفية فيما اختاره صاحب الكشف عفا الله
 تعالى عنه (قوله واتبع) بضم همزة القطع وسكون الناء وكسر الباء على بناء المفعول من باب الافعال ولا بد
 حينئذ من حذف مضاف اي واتبعوا جزاء ما ترغوا فيه وما يجوز ان تكون بمعنى الذي وهو ظاهر رجوع فيه
 ويجوز ان تكون مصدرية اي جزاء اترافهم فيحينئذ لا يحتاج الى تقدير المعطوف لتحذو جعل الواو للحال بتقدير قد
 كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم وهو ترتيب حسن لانه ذكر اول انجاء الناهين ثم بين
 هلاك الذين لم ينهوا كانه قيل وانجينا القليل واتبع الذين لم ينهوا فانه تعالى لما بين ان سبب اهلاك الاسم السالفة
 امر ان الاول فشا والظلم فيما بينهم والثاني اتباعهم الشهوات بين انه ليس من شأنه ولا يصح له ان يهلك القرى بمجرد
 شركهم اذا كانوا مصلحين في المعاملات الواقعة فيما بينهم والحاصل ان عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل كون اقوام
 معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك الذئاب اذا اساءوا في المعاملات وسعوا في اذاء الخلق وظلمهم ولهذا
 قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى مبناها على المساحة والمساهلة وحقوق اعباد مبناها على الضيق واتبع
 ويقال في الاثر المالك يتي على الكفر ولا يتي على الظلم واللام في قوله تعالى ليهلك لاهلك الامم الخ وودود يتصب انقل بعدها
 بانماران وهي متعلقة بشئركان المحذوف واتقدير وما كان الله مريدا لاهلاك القرى بمجرد الظلم والمراد به ههنا
 الشريك لقوله تعالى ان الشريك اظلم عظيم وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون يهلك خبر كان زيدت اللام فيه
 دلالة على ان كيدو بظلم متعلق بيهلك والباء فيه سببية وجوز الزمخشري عفا الله عنه ان يكون حالا من فاعل
 ليهلك وقوله واهلها مصلحون جلة حالية (قوله الاناس الخ) اشارة الى ان الاستئناء متعلقا بمعنى لكن
 في مختلفين وان جاز كونه استئناء من فاعل يرأون ولا ضرورة تدعو الى جعله استئناء متعلقا بمعنى لكن
 من رحم لم يختلفوا (قوله واللام للعاقبة) لانه لانه لان اغفاله تعالى غير معاملة ولانه تعالى لو خلقهم
 للاختلاف واراده منهم لكان لا يجوز ان يعذبهم عليه اذا كانوا مطيعين له تعالى بذلك الاختلاف وكانت
 الآية حينئذ مخالفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (قوله اوابه والى الرحمة) اي ان كان
 الضمير للناس يجوز ان تكون اشارة الاختلاف والى الرحمة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء
 يريد انه تعالى خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار
 وخلق لها اهلا وهذا اختيار الفرآ والزجاج قال الزجاج رحمه الله ويدل على صحة هذا قوله تعالى بعده وتمت كلمة
 ربك لا ملأ من جهنم من الجنة وانه اس اجعين قال الكلبي رحمه الله يريد من كفار الجن وكفار الانس وهذا
 تصريح بانه تعالى خلق اقواما للهداية والجنة واقواما للضلالة والنار واجعين تأكيد والاكثر ان يسبق بكل
 وقد جاء ههنا دونها (قوله وكل نبأ) اشارة الى ان كلاما منصوب على انه مفعول به قدم على عامله وتوحيته
 عوض عن المضاف اليه المحذوف ومن انباء بيان له اوصفة وما ثبت بيان لكللا او منصوب بانمار اعني او بدل
 من كلا (قوله وفائدته) اي فائدة اراد قوله ما ثبت به فؤادك على سبيل البيان او البلية ان يثبت على ما هو
 المقصود من ذكر القصاص المذكورة في هذه السورة فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع
 الرسل والانباء عليهم الصلاة والسلام مع اتباعهم مثل حاله مع اتته صلى الله عليه وسلم سهل عليه تحمل اذى
 قومه وامكنه الصبر عليه فان الانسان اذا ابتلى بمحنة وبليّة فرأى جماعة ينساركون له فيها خف على ذنبه بليته كما
 يقال البلية اذا عمت خفت وطابت ومع ذلك يحصل له صلى الله عليه وسلم بسماع تلك الاقايع من زيادة اليقين
 وطمأنينة القلب فيما يتعلق بكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته على عباده ما لا يطلع على كنهها الا هو سبحانه
 وتعالى (قوله او مفعول) عطف على قوله بيان لكللا ويحتمل ان يكون ما ثبت مفعولا ناقصا ويكون
 كلا منصوبا على المصدر بان يكون تنوين كلا عوضا عن المضاف اليه المحذوف الذي هو الاختصاص وذهب اكثر

وقوله واتبع عطف على مضرت دل عليه الكلام
 اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا
 مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع
 اي واتبعوا جزاء ما ترغوا فتكون الواو للحال ويجوز
 ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانبياء (وما
 كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (واهلها
 مصلحون) فيما بينهم لا يضمنون الى شركهم فساد
 او تباعضا وذلك لغرض رحمة ومساحة في حقوقه
 ولذلك قدم الفقهاء عند تراجم الحقوق حقوق العباد
 وقيل الملك يتي مع الكفر ولا يتي مع الظلم (ولو شاء
 ربك لجعل الناس امة واحدة) مسلمين كلهم وهو
 دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى
 لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه
 (ولا يزالون مختلفين) بعضهم على الحق وبعضهم
 على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا (الامن
 رحم ربك) الا ما ساءداهم الله من فضله فانفقوا على
 ما هو اصول دين الحق والعهدة فيه (ولذلك خلقهم)
 ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام
 للعقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة
 (وتمت كلمة ربك) وعيده او قوله للملائكة (لا ملأ
 من جهنم من الجنة والناس) اي من عصاتهم (اجعين)
 او منهما اجعين لا من احدهما (وكلنا) وكل نبأ
 (نقص عليك من انباء الرسل) فؤادك به (ما ثبت به
 فؤادك) بيان لكللا او بدل منه وفائدته ان يثبت على
 المقصود من الاختصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة
 قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة والتمسك اذى الكفار
 او مفعول وكلاما منصوب على المصدر بمعنى كل نوع
 من انواع الاختصاص نقص عليك ما ثبت به فؤادك
 من انباء الرسل (وجاءك في هذه) السورة والانباء
 القصص عليك (الحق) ما هو حق

المفسرين رحمهم الله الى ان هذه في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق اشارة الى هذه السورة الكريمة وتخصيصها بالحكم مجيبي الحق فيها مع ان ما جاء في جميع السور حق يحق تدبره واذعانه والعمل بمقتضاه تشريفا لها ورفعها لمزنتها (قوله اشارة الى سائر فوائده العامة) يعني ان في ايراد القصص المذكورة في هذه السورة فائدة تليق بمختصان به صلى الله عليه وسلم اشار اليهما بقوله وكلا نقص وبقوله تعالى وجاءك في هذه الحق وفائدة ثالثة تعم المؤمنين اشار اليها بقوله تعالى وموعظة وذكر للمؤمنين (قوله وقرأ نافع وحفص يرجع) بضم الياء وفتح الجيم اى يرد وقرأ الا آخرون بفتح الياء وكسر الجيم اى يعود الا امر كله اليه حتى لا يكون للخلق امر يوجد ما (قوله تعملون انت وهم) اشارة الى انه اختار قرآنة نافع وحفص وابن عامر وهى القرآنة بناء الخطاب على تغليب الخطاطب على الغيبة تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود والمجد للمعلم الودود والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشفاعة العظمى والحوض المورود وعلى آله وصحبه ما تجد الموجد وتباعد المفقود في اليوم التاسع من المحرم من شهور سنة اربع وثلاثين وتسعمائة

(سورة يوسف عليه السلام كلها مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(التركيب آيات الكتاب البين) الطاهر ان الراسم للسورة وانه في محل الرفع على انه مبتدأ حذف خبره او خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذه السورة او هذه السورة الراى مسمى هذا الاسم ان بقيةها على اصل معانيها وهى ان تكون اسماء للحروف التى تتركب منها الكلم وان جعلتها تعديدا للحروف على طريق التحدى نزلتها منزلة ان يقال المؤلف من هذه الحروف والمؤلف منها هو التحدى به وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بفتح الراء على التخييم والباقون بكسر هاء على الامالة والاصل في امثالها ترك الامالة كما تركت في ما ولا لان ألفها ليست منقلبة عن الواو ومن امالها نظر الى ان هذه الالفاظ اسماء للحروف المخصوصة فقصدا ما تنهاه ثبته على انها اسماء لاحروف ثم انفقوا على ان قوله المر وحده ليس آية وانفقوا على ان قوله طه وحده آية والفرق ان قوله ال لا يتنا كل مقاطع الاى الى بعد قوله تعالى طه فانه يسا كل مقاطع الاى الى التى بعده (قوله اى تلك الايات آيات السورة) اشارة الى ان تلك مبتدأ وما بعده خبره ومن المعلوم ان المشار اليه لا بد ان يتقدم على الاشارة لان الشئ ما لم يوجد لا يمكن ان يشار اليه الا انه لا يمكن ان يكون موجودا في الخارج قبل الاشارة بل يمكن ان يكون موجودا في ذهن المخاطب قبلها وما نحن فيه من هذا القليل فان الرسوآ جعل اسماء للسورة وجعل تعديدا للحروف يدل على السورة او التحدى به المؤلف من الايات وعلى التقديرين يحضر في ذهن المخاطب الايات التى تضمنها السورة او التحدى بها فصح ان يشار اليها باعتبار حضورها ذهنيا وان كانت مترتبة بحسب الوجود الخارجى فان صاحب الكتاب عفا الله تعالى عنه في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك تصور فراق بينهما عند حلول الميعاد فاشار اليه وجعله مبتدأ وخبر والمآورد على قوله تلك اشارة الى آيات السورة وهى المرادة بالكتاب ان يقال على تقدير ان يكون المراد بالكتاب السورة يكون حاصل الكلام آيات السورة آيات السورة ولا فائدة فيه اشار الى دفعه بان المراد بالمبتدأ الايات من حيث حصولها في ضمن السورة وبالخبر الايات من حيث كونها موصوفة بكونها ظاهرة الالفاظ والمعاني او بكونها مظهرة لغيرها ما يتفهم فلما تحقق التغير بين الموضوع والمحمول بهذا الاعتبار حصلت الفائدة من الحكم وان اتحد ذاتا وقوله الظاهر امر هامى على ان يكون البين من أبان بمعنى بان اى ظهر ووضح وقوله والمبينة مبنى على كون أبان بمعنى بين ووضح فعلى الاول يحتمل ان يكون المراد بالظهور ظهور النبات بكونه معجزا للعرب موجبا لتبكيهم او ظهور معانيه للعرب لكونه نازلا بلسانهم وعلى الثانى لا بد من تقدير مفعول وهو كونه من عند الله تعالى لامن كلام البشر او ماسأله اليهود (قوله وهو في نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا) لانه في نفسه لا بين الهيئة وانما تبين بتبيينها بالغير وما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هى الحال في الحقيقة فقوله تعالى قرآنآ كذلك ولا يكون مينا للهيئة بنفسه الا اذا اعتبر كونه بمعنى المفعول (قوله احسن الاقتصاص) على ان يكون لفظ المصدر باقيا على المعنى المصدرى (قوله او احسن ما يقص) على ان يكون المصدر بمعنى المفعول او على ان يكون القصص فعلا بمعنى المفعول وهو المقصود فان القصص مصدر يقال قص الحديث يقصه قصصا كقوله شله يتله شلالا فان اريد به المعنى المصدرى يكون المعنى احسن الاقتصاص ويكون انتصابه على انه مصدر

(وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (انما علمون) على حالنا (وانظروا) بنا الدوائر (انما تظنون) ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم (ولله غيب السموات والارض) خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما (واليد يرجع الامر كله) فيرجع لا بحالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول (فاعبد وتوكل عليه) فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه اعما ينفع العابد (وما ربك بغافل عما تعملون) انت وهم فيجازى كلاما يستحقه قرآن نافع وابن عامر وحفص بالبناء هنا وفي آخر النزل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشيب واوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى (سورة يوسف عليه السلام مكية وآياتها مائة واحدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(التركيب آيات الكتاب البين) تلك اشارة الى آيات السورة وهى المرادة بالكتاب اى تلك الايات آيات السورة الظاهر امر هامى في الالفاظ والمعاني او المينة لمن تدبرها انها من عند الله واليهود ماسألوا اذروا ان علماءهم قالوا الكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل اكل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف السلام فزلت (انا انزلناه) اى ان كتاب (قرآنآ عربيا) سمي البعض قرآنآ لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لا تزال بهذه الصفة اى انزلناه مجعونا او مقروأ بلفظكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يعلم القصص معجز لا يتصور الا بالاحياء (نحن نقص عليك احسن القصص) احسن الاقتصاص لانه اقصى على ابداع الاساليب واحسن ما يقص لاشتماله على الجذاب والحكم والآيات والمعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب

واشتقاقه من قص انزه اذا تبعه (بما اوحينا) بما يحانا

(اليك هذا القرآن) يعني السورة ويجوز ان يجعل

هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر

(وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة

لم تخطر ببالك ولم تفرح سمعك قط وهو تمليل لكونه

موحى وان هي الخفيفة من الثقلية واللام هي الفارقة

(اذ قال يوسف) بدل من احسن القصص ان جعل

مفعولا بدلا للاشتمال او منصوبا بانه اذ كرو يوسف

عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ يفتح السين

وكسرهما على التلاعب به لاعلى انه مضارع في المفعول

او الفاعل من آسف لان المسهورة شهدت بجحمة

(لايه) يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم وعند عليه

الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم بن الكريم بن

الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

(يايه) اصله ياي فموضع عن السيء تاء التأنيث

لناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن

كثير وابوعمر و يعقوب وكسروها لانها عوض

حرف يناسبها الابن عامر فتحذف في كل القرآن

لانها حركة اصلها اولانه كان يابنا فحذف الالف

ويبقى الفتحة وانما جاز يابنا ولم يجر يابني لانه جمع

بين العوض والمعووض وقرئ بالضم اجراء لها جري

الاسماء المؤنثة بالهاء من غير اعتبار التعويض وانما لم

تسكن كاصحابها لانها حرف صحيح منزل منزلة

الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (ان رأيت)

من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لا تنقص رؤياك وقوله

هذا تأويل رؤياي من قبل (احد عسركوبا

والشمس والقمر) روى عن جابر بن يهوديا جاء

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد

عن النجوم التي راها يوسف فسكت فنزل جبريل

عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل

تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيل وقايس

وعمودان والفليق والمصحح والضريح والفرغ

ووتاب وذوالكتفين راها يوسف والشمس والقمر

نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله

انها لاسماؤها (رايتهم لي ساجدين) استئناف لبيان

حالهم التي راها عليها فلا سكر وانما اجرى مجرى

العقلاء لوصفها بصفاتهم

مؤكد ويكون المقصود محذوفا كنفاء بدلالة قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن عليه وان كان بمعنى المفعول يكون المعنى احسن المقصود ويكون منصوبا على انه مفعول به جعل الله تعالى اقتصاص هذه القصة على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم احسن من اقتصاصها على موسى عليه الصلاة والسلام في التوراة لما روى ان اليهود تفاخروا بان الله تعالى بين لهم قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة وهي غير مذكورة في القرآن فنزلت هذه السورة على ابداع طريقة واوجب اسلوب بلغة العرب اقصر من لغة اليهود ولما روى اقتصارهم على المسلمين وعلى تقدير ان يكون المراد بالقصص المقصود جعل هذه القصة احسن ما يقص لاشتمالها على الحكم والايات والبرهان ليست في غير هاتين السورتين رحمة الله تعالى سمي الله تعالى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام احسن القصص لما فيها من العبر والحكم وانقوائد التي تصلح للدين والدنيان سير الملوك والمجاهدين ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من القوائد ولذلك قيل ان سورة مريم وسورة يوسف عليه الصلاة والسلام يتفكدهما اهل الجنة وقيل لا يسمع سورة يوسف محزون الاستروح اليها ثم الظاهر انه ليس المراد ان قصته عليه الصلاة والسلام احسن الا قصص الفيدة لما تضمنته قصة يوسف عليه السلام من اغواء كسر فدية الملوك والممالك ومكر النساء وغيرها ما ذكر آنفا (قوله واشتقاقه) ليس المراد ان القصص مع انه مصدر وما خذ لما يستق منه من المشتقات مستق من قص انزه اذا تبعه لان الاشتقاق باي معنى كان انما يتحقق اذا اتحد المستق منه والمستق في اصل المعنى المصدرى النسبي الذي هو مدلول جوهر الحروف ولم يختلفا الا بفهموم الصيغة وهيئة ترتيب الحروف والقصص بمعنى الحكاية والرواية ليس بمستق فضلا على ان يتحد معنى قصة بمعنى تبعه بل المراد من الاشتقاق انقل المبنى على المناسبة بين المعنى الاصل المنقول منه والمعنى المقول اليه فمعنى كلامه ان المعنى الاصل للقصص هو الاتباع قال الله تعالى وقالت لاخته قصه نقل الى قص الحدب اي حكاية ورواه وذلك لان حاكى الحديث ينسج ما حفظه شيا فشيا كما ان المعنى الاصل للتلاوة هو الاتباع ثم نقلت الى معنى القرآنة لان القارئ يتلو اي يتبع ما حفظه شيا فشيا وقيل القصص اتباع الخبر بعضه بعض والباء في قوله تعالى بما اوحينا اليك متعلقة بنقص وما مصدرية والمعنى نقص عليك بوحينا اليك هذا القرآن وضمير من قبله يرجع الى الاية او القرآن (قوله ان جعل مفعولا) اي ان جعل احسن القصص بمعنى احسن ما يقص من المقصود جاز ان يكون وقت قول يوسف بدلا منه لان المقصود هو قول يوسف عليه الصلاة والسلام ووقته مشتمل عليه احتمال الظرف على المظروف واما اذا كان المراد احسن الاقتصاص فلا يجوز الا بدال حيث بدلتين تقدير اذكر لان الاقتصاص انما هو في زمان الوحي الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزمان يوسف عليه الصلاة والسلام غير مشتمل على ذلك الاقتصاص (قوله على التلاعب به) فان العرب اذا عرت مالهس بعري يعبرون بانواع التعبير فيصبرون بذلك كأنهم يتلوه به فشتوح السين وان كان على وزن المضارع المبنى للمفعول ومكسور السين على وزن المضارع المبنى للفاعل من آسف وكان ينبغي ان لا ينصرف لوزن الفعل وانعريف الا انه لما لم ينصرف على القراءة المشهورة للجملة والتعريف تعين اعتبار مجتمده على غير المشهورة لئلا يلزم كون اللفظ عربيا تارة وانحيا اخرى (قوله لتاسبها في الزيادة) اي لتاسب باء الاضافة وتاء التانيث من حيث كون كل واحدة منهما زيادة ملحقة باخر الاسم (قوله ولذلك) اي ولكونها تاء التانيث قلبت هاء ولو كانت اصلية لبقيت تاء خالصة في الوقف كتاء ضربت وآيات في الوقف ولكونها عوضا عن ياء الاضافة لا يجوز الجمع بينهما الا ضرورة كقوله

فيا باني لازلت فينا بقائم - لتاعلا في العيش مادمت عائنا

فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر احيب بانه كثير اما يوصف المذكر بما فيه تاء التانيث نحو غلام بضة ورجل ربة ويقال حمامة ذكر وشاة ذكر ال ربة بسكون الباء من يوع الخلق لا قصير ولا طويل واليفعة بفتح الفاء والعين من تقع القناسة واليفاع ما ارتفع من الارض وايض الغلام اي ارتفع من الارض وهو يافع ولا يقال موفقع وهو من النوادر وغلام يفع ويفعة ايضا (قوله الابن عامر) استثناء من فاعل كسروها يعني ان ابن عامر قبح التاء في ياليت حبيب وقع في القرآن لتدل الفتحة على حركة ياء الاضافة التي هي اصلها فان ياء الاضافة حقها ان تكون مفتوحة فالعوض لابد ان يأخذ حكم المعوض عنه فلذلك حركت التاء بحركة اصلها فان ياء الاضافة

(قال ياني) بتصغير ابن صفره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثلثي عشرة سنة وقرأ حفض هنا وفي الصافات بفتح الياء (لا تقصص رويك على اخوتك فيكيد والاك كيدا) فيجتالوا لا علاك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من روياء ان الله يصطفيه لسانه ويشوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيتهم والرويا كالروية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرف التأنيث كالقربة والقرى وهي انطباع الصورة المنحدرة من اغق الخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها لما يكون بانصال النفس بالملكوت لما بينهما من تناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان الخيلة تحاكي بصورة تناسبه فتسلسلها الى الحس المشترك فتصير متاهدة ثم ان كانت سديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاضل الا بالكتابة والجزئية استغنت الرويا عن التعبير والا احتاجت اليه واما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضعته معنى فعل يعدى به تأكيذا ولذلك اكد بالصدر وعمله بقوله (ان الشيطان للانس عدو مین) ظاهر العداوة كما فعل بادم عليه السلام وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحاكيهم على الكيد (وكذلك) اي وكما اجتنبك لئلا هذه الرويا الدالة على شرف وعز وكال نفس (يجتبيك بك) للنبوة والملك او لامور عظام والاجتناء من جيت الشيء اذا حصلته لنفسك (ويملك) كلام مبتدأ خارج عن التسديد كانه قيل وهو يملك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرويا لانه الاحاديث الملك ان كانت صادقة واما ديب النفس والسيطان ان كانت كاذبة ومن تأويل غوامض كتب الله تعالى وسن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كباطيل اسم جمع للباطل

اسم والاسماء حقها التعريك في الاصل لاصالتها في الاعراب لانها اسكنت للتخفيف لانها حرف لين بخلاف التاء فانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم (قوله) وقرأ حفض هنا وفي الصافات بفتح الياء على ان اصلها ياني الذي اصله ياني بدلت ياء الاضافة الفاعل قيل في ياغلامي ياغلاما بناء على ان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة وقرأ الباقون ياني بمحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة كما قيل ياغلام في ياغلامي فان ابن بصغر على يني فاذا اضيف الياء المتكلم قيل ياني وقد نبهنا على ذلك مفصلا في أوائل سورة هود عليه الصلاة والسلام وقرئ بالضم لانه نداء مفرد معرفة (قوله ثم ان الخيلة تحاكيه) اي تستاهل ما تتصور به النفس من المعنى الذي استفادته من عالم الملكوت بصورة تناسبه قال الجوهري رحمه الله تعالى يقال حكيت فعله وحاكيت اذا فعلت مثل فعله والمحاكاة المتابعة يقال فلان يحكي الشمس حسنا اي يشابهها في الحسن ويحاكيها بمعنى ثم اذا كانت الصورة الخيلة سديدة المناسبة لذلك المعنى الكلبي استغنت الرويا عن التعبير فانه عليه الصلاة والسلام رأى سجد الكواكب والشمس والقمر فاحتاج الى التعبير حيث اولت الكواكب باخوته حيث كانوا رجالا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم واولت الشمس بابه والقمر بابه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وقيل الشمس ابوه والقمر امه قاله قتادة رضي الله عنه وقال السدي رحمه الله القمر خالته لابلان امه راحيل كانت قدمانت وهي لا تحتاج الى التعبير وخرجت على عين مارأي يوسف عليه الصلاة والسلام كروية ابراهيم عليه الصلاة والسلام في المنام ذبح الولد فخرج الولد على الكباش وخرج الذبيح على عينه فان يوسف عليه الصلاة والسلام رأيهم يسجدون له اما حقيقة السجود او بتواضعهم له ودخلهم تحت امره فخرج الامر على عين مارأي ولفظ السجود كما يطلق على وضع الجبهة على الارض سواء كان على وجه التعظيم والاکرام او على وجه العبادات يطلق ايضا على التواضع والخضوع كما قال الشاعر * ترى الاكم فيها سجدا للخواجر (قوله) وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه (كما في قوله تعالى فيكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فعلى هذا الظاهر ان يقل فيكيدوك الا انه عدى باللام لتضعته معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل فيكيدوك محذوف لك او فيجتالوا كائدين والتكتة في اعتبار التضمين ان يفيد تأكيذا للتخويف وتقويته بان يفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل التضمين فيكون أكد وابلغ في التخويف ولكون المقام مقام التأكيذ وكونه المنصودا كد بمصدره والكد الاحتيال للاغتيال وهو طلب ايصال الشرا الى الغير وهو غير عالم به (قوله وكما اجتنبك) اي مثل اجتنبك واختيارك واعطيتك من بين اخوتك لهذه الرويا على ان الكفاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمسمى يجتبيك اجتباء مثل ذلك الاجتناء العظيم وجباية الشيء لنفسك عبارة عن الاختيار والاصطفاء وكان يعقوب قصد بهذا الكلام ان يعبر روياءه بالدالة على شرف وعز وكال نفس فذكر ثلاثة امور الاول اجتناؤه لامر عظيم غير اجتنبه لهذه الرويا والثاني ان يعلم تأويل الاحاديث والثالث ان يتم نعمته عليه ولم يجعل التعليم مستبها باجتنابه للرويا والشرية لفقدان المناسبة الداعية الى التشبيه اذ هو مانع من حمل الكلام على التشبيه (قوله من تعبير الرويا) هكذا افيد من النسخ والظاهر من تعبير الرويا على انه جمع الرويا لان المقصود تفسير التأويل بالتعبير وتفسير الاحاديث بالرويا والجمع لا يفسر بالمفرد وقوله لانها احاديث علة لاطلاق لفظ الاحاديث على الرويا وقد ورد في كتب الاحاديث ان الرويا ثلاث حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله تعالى يقال عبرت الرويا اعبرها عبارة فسرناها وكذا عبرت الرويا تعبيراً وكان يوسف عليه الصلاة والسلام اعبر الناس للرويا واصححهم عبارة لها (قوله) ومن تأويل غوامض كتب الله تعالى الخ عطف على قوله من تعبير الرويا فعلى هذا في الكلام اشارة الى ان العلم اجل النعم وان اشرف العلوم تأويل كتب الله تعالى وتفسير سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام نقل عن الراغب ان التأويل من الاول وهو الرجوع الى الاصل ومثله المؤمل للصوضع الذي يرجع اليه فالتأويل رد الشيء الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالاول كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والثاني كقوله تعالى هل ينظرون الا تأويله يوم تأتي تأويله اي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه (قوله) وهو اسم جمع للحديث (ولم يجعله جمع الحديث) لان فعلا لا يجمع على افعال بل يجمع على فعل نحو قبيل وقيل وعلى افعاله نحو فقير وافقره وفعلان نحو فقير وقفران وعلى افعلاء نحو نبي وانبياء وعلى فعلاء نحو شهيد وشهداء وعلى فعال نحو كريم وكرام وعلى افعال نحو شريف واشراف فحقوا فاطبع واحاديث ينبغي ان يجعل اسم جمع حديث وقطيع قال صاحب الكشف عفا الله عنه في سورة المؤمن الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله (صلى الله)

صلى الله عليه وسلم وتكون جعلا لحدوثه الذى هو مثل الاضحوكة والاعجوبة ولا يصح ان يجعل جمع احداثه
 فى الآية لانهما عبارة عما يحدث به الناس تلميحاً بحيث يتجرب منه ويضحك لانه يقال احاديث الشئ ومن المتبع
 ان يطلق على الكلام النبوى احداثه وقيل انه جمع لواحد غير ملفوظ به كأنهم جمعوا واحداً على احداثه ثم جمعوا
 الجميع على احاديث كقطع وقاطعة واقاطيع (قوله) ويتم نعمته عليك بالنبوة) مبنى على ان يعمل الاجتناء فى قوله
 تعالى يجتنبك ربك على الاجتناء للامور العظام والدرجات العالية اذ لو حل على الاجتناء للنبوة وفسر انعام
 النعمة ههنا ايضا بالنبوة لزم التكرار وقوله او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة مبنى على ان يعمل الاجتناء
 هناك للنبوة فان من انعم الله تعالى عليه بالنبوة والمالك ثم اوصاه فى العقبى الى الدرجات العلى فقد أتم نعمته عليه فان
 اعز المناصب واجلها واكملها واتم النعم فى حق البشر اس الا النبوة وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة اليها وقوله
 عليك يجوز ان يتعلق ويتم وان يتعلق بنعمته وكرر على فى قوله تعالى وعلى آل ليعين العطف على الضمير المجرور قال
 ابن الحارث واذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت به ويزيد والا ك وان كان احده اهل الا انه
 فرق فى الاستعمال بان الاك لا يستعمل الا فى الاشراف يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجاب ولا آل
 الحائك بخلاف اهل فانه يقال اهل الحجاب ونحوه واللسل الولد ذكر اكان او اناى والا ك وان كان بمعنى اهل
 والاتباع من الاولاد وغيرهم الا انه حله او لا على المختصين بالنبوة منهم حيث قال يربده سائر بنيد بناء على ان المراد
 من تمام النعمة النبوة ثم حله على النسل لانهم يتعمون فى الدارين (قوله) وقيل على ابراهيم بالخطة الخ) فعلى هذا
 يكون المراد من تمام النعمة فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام تخليصه من السجن ليصح تشبيهه ابو به
 فى انما عبد تعالى على احدهما بالنجاة من النار وعلى الآخر بتخليصه من الذبح ولا ينبغي ان جعل تمام النعمة فى حقه
 عليه الصلاة والسلام على تخليصه من السجن لا يتخلو عن بعدوا انما ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قاطعا
 بمحصل هذه البشارات التى بشر بها فى غربته وخوفه عليه من حسداخوته وكيدهم اياه ليس خوفا من اهلاكهم
 اياه حقيقة بل هو خوفه من اضراهم بما يسوءه ويسلب عنه حضوره وقوله عليه الصلاة والسلام لهم اخاف
 ان يأكله الذئب عبارة عن تهاونهم فى حفظه لان يعقوب وعيصا كانا توأمين فاقتلا فى بطن امهما حيث اراد
 يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج فغصه العيص وقال لئن خرجت من قبلى لا اعتراض فى بطن امى فاقتلها
 فتأخر يعقوب فخرج عيص فاخذ يعقوب بعقب عيص فخرج بعده فاهذاسمى به وسسمى الآخر عيصا لما عصى وخرج
 قبل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وكان عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب
 صيد وكان يعقوب صاحب غنم فلما كبر اسحق عليه الصلاة والسلام وعصى قال لعيص يا بنى الطعمنى لم يصيد واقترب
 منى ادع لك بدعا دعالى ابنى به وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب اجرد فخرج عيص اطلب صيد فقالت امه
 ليعقوب يا بنى اذهب الى الغنم فاذا بيع منها شاة اقم اشوها والبس جادها وقدمها الى ابيك وقل انا بنت عيص ففعل
 ذلك يعقوب فلما جاء يعقوب بالشواء قال يا اباكل قال من انت قال ابنتك عيص فقال المس مس عيص والريح
 ريح يعقوب فقالت امه هو ابنتك عيص فادع له قال قدم طعامك فقدمه فاكل ثم قال ادن منى فدنا منه فدعا له ان
 يجعل الله تعالى فى ذريته الانبياء والملوك فذهب يعقوب وجاء عيص فقال قد جئت بالذى اردت فقال اسحق يا بنى
 قد سبقك اخوك فغضب فقال والله لا تقتله فقال اسحق عليه الصلاة والسلام يا بنى قد بقيت لك دعوة فقم ادع
 لك بها فدعا له ان يجعل الله تعالى فى ذريته عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم فقالت ام يعقوب عليه الصلاة والسلام
 ليعقوب الحق بخالك مخافة ان يقتله عيص فانطلق الى خاله ليابن ناهين وكان مع خال يعقوب عليه الصلاة
 والسلام بنان احدهما لايا وقيل لاوى وهى اكبرهما والاخرى را حيل وهى اصغرهما فطلب يعقوب من
 خاله ان يزوجه احدهما فقال هل لك مال قال لا ولكن اعمل لك فقال نعم صداقها ان ترعى لى سبع سنين فقال
 اخذك سبع سنين على ان تزوجنى را حيل فقال ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فزوجه الكبرى
 وهى لايا قال له يعقوب انك خدعتنى انما اردت را حيل فقال له خاله انا لا انك الصغيرة قبل الكبيرة ففعل ما عمل
 سبع سنين اخر فازوجه اختها وكان الناس يجمعون بين الاثنين الى ان بعث الله موسى عليه الصلاة والسلام
 فرعى له سبع سنين اخر فزوجه را حيل فجمع بينهما وكان خاله حين جهزهما دفع الى كل واحدة منهما امه
 ثمندهما اسم احدهما لفته واسم الاخرى بلهة فوهبها لامين ليعقوب عليه الصلاة والسلام فولدت لايا اربعة بنين

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة اى بان يصل نعمته الدنيا
 بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب) يربده سائر بنيد
 ولعله استدلل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله
 (كما انعمها على ابيك) بالرسالة وقيل على ابراهيم
 بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح
 وقداؤه بذبح عظيم (من قبل) اى من قبلك او من قبل
 هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لا بوبك
 (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتناء (حكيم) يفعل
 الاشياء على ما ينبغي

(لقد كان في يوسف وأخوته) أي في قصصهم (آيات) دلائل قدرة الله وحكمته وعلامات نبوته وقرأ ابن كثير آية (الساكنين) لمن سأل عن قصصهم والمراد بأخوته علاله العشرة وهم يهودا وروبل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودينه ودان ويثالي وحاد عليهم الصلاة والسلام فأراد وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حيث ذاب أربعة آخرون دان ويثالي وحاد وآشمن من سريتين زلفة وبلهة (اذ قالوا ليوسف وأخوه) بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين (أحب الى أينا منا) وحده

(٧٦)

ولدت راحيل ابنتين وولدت كل واحدة من الامتين ثلاثة بنين فصارت بنوه اثني عشر ابنا سوى البنات قيل ان اسماء اولاد يعقوب ميسنة في التوراة رويل وشمعون ويهودا ولاوى من امرأته لايا ويوسف وبنيامين من امرأته راحيل والسة الباقون من الامتين يشجر وريالون ودينه ودان ويثالي وحاد عليهم الصلاة والسلام فأراد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج الى البيت المقدس ولم يكن له نفقة وكان ليوسف خال له اصنام من ذهب فقالت لا يا يوسف اذهب واسترق منه صمنا من اصنامه فلعلنا نستفيق منه فذهب يوسف واخذته وكان يوسف اعطى على ابيه وكان احب الاولاد اليه فحسده اخوته مما رأوا من حب ابيه له وكان رأى يوسف في المنام الى آخر القصة (قوله) لقد كان في يوسف وأخوته أي في قصصهم آيات لمن سأل عن هداية على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فان من سأل عنها وان لم يحصل له بمجرد سؤاله ما يدل على كمال القدرة والحكمة لكن يحصل له ذلك اذا علم ذلك أي القصص بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه فانه يظهر له حيث ان كبار اولاد يعقوب عليهم الصلاة والسلام بعد ان اتفقوا على اذلال اصغر اولاده وفعلوا به ما فعلوا قد اصطفاه الله تعالى للنسب والملك وجعلهم خاضعين له متقادين لحكمه وان وبال حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من اجل الدلائل الدالة على قدرته تعالى وحكمته وايضا يحصل لذلك السائل بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه وبيان ما فيها من قصصهم على وجه صحيح موافق لما في الكتب المتقدمة من غير سماعه من احد ولا قراءة كتاب دلائل دلت عليه أي دالة على صدقه في دعوى النبوة ومن قرأ آيات على لفظ الجمع نظر الى ان اسور يوسف عليه السلام كانت كثيرة وكل واحدة منها آية بنفسها ومن قرأ بلفظ الافراد نظر الى ان اسم الجنس يتناول الواحد والجمع (قوله) لتفضيله المفضل اولئك التعديل في المحبة) كانه اشار الى جواب ما يقال انهم كيف نسبوا اباهم المكرم بكرامة النبوة الى الضلال المبين ومن بالغ في ذم الرسول صلى الله عليه وسلم وطعنه فقد كفر لاسيما اذا كان الطاعن ولده فان هناك حرمة الابوة والنبوة ارفع من هناك احد الحرمين فقط وتقرير الجواب ان مرادهم بتانسوا اليه من الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعث عن طريق الرتبة والصواب فيما يتعلق بهما من تضليلهم اياه في مجرد ترك التعديل في المحبة لبس تضليل في الحقيقة لان المحبة ليست من الامور الاختيارية فان قيل ان الحسد من امهات الكسائر لاسيما وقد اقدموا بسبب ذلك الحسد على تضبيع ذلك الاخ الصالح والقائه في تلك العبودية وتبعيده عن الاب المثقف والفاء ايهم في الحزن الدائم وارتكابهم الكذب الصريح وبالجملة فابقيت خصلة مذمومة الا وقد اتوا بها وكل ذلك بنا في العصمة والنبوة اجاب الامام رحمه الله تعالى بقوله الامر كما ذكرتم الا ان الامر المتعبر عندنا عصمة الانبياء وفي وقت حصول النبوة فاما قبلها فذلك غير واجب (قوله) ولذلك نصبت كالنظر في المحبة) يعني ان قوله ارضا منصوب على انه ظرف مكان وظرف المكان انما ينصب بتقدير في اذا كان مبهما غير محدود ولفظ ارضا لما كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهما وتكبرها في حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة عن العمران وعن ارض ابيه فاذا زاد بذلك ابها ما فان قيل المعلوم ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يخل من الكون في ارض فنتين انهم ارادوا ارضا بعيدة غير التي هوف فيها ومثل هذا المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة في فلا بد ان يكون انتصابه مبنيا على اسقاط الخافض كما في قوله تعالى لا تعدن لهم صراطك المستقيم فالجواب ان الظرف المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا اقطار تحويه وارض في الآية الكريمة من هذا القبيل قال ابن الحاجب رحمه الله في الكافية وفسر المبهم بالجهات الست وجعل عند ولدى وشبههما منه لايهاهما ولفظ مكان لكثرة ما يحدد نحو الدار في الاصح (قوله) وقرئ غيبة) بالفتحات المتواليات اما على انه مصدر كالغلبة او على انه جمع غائب نحو ناصر ونصرة وقيل هو في محض ابى رضى الله عنه غيبة بسكون الياء قيل الغيبة تكون في قعر الجب لان اسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه والجب البرزخ التي لم تطو سميت جبالة ليس فيها غير جب الارض وقطعها ومفعول فاعلين محذوف اي فاعلين برأى ودمشوق او فاعلين ما يحصل به غرضكم من تبعيد يوسف عن ابيه عليهما الصلاة والسلام والسيارة جمع سيار وهو بناء المبالغة والالتقاط تناول الشيء المطروح ومثله القطة (قوله) ارادوا به استزاله عن رأيه في حفظه منهم) فان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يخافهم على يوسف عليه الصلاة والسلام ويحفظه منهم لما تنسم من حسدهم اي وجد تنسم حسدهم وريحه ثم انه لما احكموا العزم على تبعيد يوسف عليه الصلاة والسلام عن ابيه اما بالقتل او بالغرب الى ارض يحصل به

لان افضل من لا يفرق فيه بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضارع (ونحن عصبة) والحق ان اجاعة اقرباء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان ابانا في ضلال مبين) لتفضيله المفضل اولئك التعديل في المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من الخيال وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى جعلهم على التمرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانوا اتفقوا على ذلك الامر الامن قال لا تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون اودان ورضي به الآخرون (او اطرحوه ارضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكبرها وانها ماله ولذلك نصبت كالنظر في المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقول بكتيته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبة احد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل او نصب بانما ان (من بعده) من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه (قوما صالحين) تأييد الى الله تعالى عما جنتهم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر محمد بنه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعصده بخلو وجه ابيكم (قال قائل منهم) يعنى يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل رويل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوة في غيبة الجب) في قعره سمي به لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) بأخذه (بعض السيارة) بعض الذين يسبون في الارض (ان كنتم فاعلين) بمسورتى او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه (قالوا) ابانا مالك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه (وانا له لناصون) ونحن نستفيق عليه ونريده له الخبر ارادوا به استزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشورة تأمنا بالادغام باشتام

وعن ثامع بترك الاشمام ومن النسواذ ترك الادغام
لانهما من كلمتين وتثنية بكسر التاء (ارسله معناغدا)

الى الصخر آء (ترتع) تنع في اكل الذواكه ونحوها من
الرتعة وهي الخصب (وتلعب) بالاستباق والاتصال
وقرأ ابن كثير ترتع بكسر العين على انه من ارتعى
يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ
الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل
الى يوسف وقرى يرتع من ارتع ماشته ويرتع بكسر
العين ويلعب بالرفع على الابتداء (واناله لحافظون)
ان يناله مكروه (قال ابي يعزى ان نذهبوا به) اسدة
معارفته على وقلة صبرى عنه (واخاف ان يأكله
الذئب) لان الارض كانت مذابة وقيل رأى في المنام
ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد هزها
على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وابوعرو
وقفا وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وجره درجا
واشتقاقه من تذهب الریح اذا هبت من كل جهة
(وانتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرفع واللبس اولقاة
انتم اكمم بحفظه (قالوا لئلا ناكله الذئب ونحن عصبة)
الام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا خاسرون)
ضعفاء مغبون او مستحقون لان يدعى عليهم
بالخسار والواو في ونحن للحال (فلما ذهبوا به واجعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب) وعزموا على القائه فيها
والبشر تربيت المقدس او بربارض الاردن او بين
مصر ومدین او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب
وجواب لما محذوف مثل فعلوا به مفعولوا من الاذى
فقدروى انهم لما برزوا به الى الصخر آء اخذوا يؤذونه
ويضربونه حتى كادوا يقتلوه فجعل يصيح ويستغيت
فقال يهودا اما هدموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البر
فدلوه فيها فعلق بسفيها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه ليصلحوه بالدم ويحتالوا به على ابيه فقال
يا اخوتاه ردوا على قيصى اتوارى به فقالوا ادع
الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر لبسوك ويؤانسوك
فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى
الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرائيل
بالوحى كما قال (واوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة
سنة وقيل كان مر اهما اوحى اليه في صغره كما اوحى
الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص ان
ابراهيم عليه السلام حين اتى في النار جرد عن ثيابه
فاتاه خبر بل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فبعثه في قميص
علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام فالبسه

الياس من اجتماعه مع ابيه ذكر واهذا الكلام لا يسه وقالوا لم تخافنا عليه ونحن نحبه وزيد الخبر له وقولهم
لا تأمناحال من الكاف والمشهور تأمنادغام التون الاولى في الثانية واستقامها الضم ومراهم بالادغام بطريق
الاستقام ان لا تدغم احدى التونين في الاخرى ادغاما صحيحا بل تفصل احدى التونين عن الاخرى بحيث يكون
شبهها بالاظهار لكن ليس باظهار حقيقة كما انه ليس بادغام صحيح ومثله يسمى اخفاء وهو عبارة عن تضعيف
الصوت بالحركة والفصل بين المدغم والمدغم فيه لان يسكن الحرف المدغم رأسا بل تختلس حركته فيقرأ تأمنا
بفتح الميم واختلاس ضمة التون الاولى ليدل على ان الفعل مرفوع قال ابو عمرو الدواني في التفسير كلهم قرأوا مالک
لأنما بادغام التون في الثانية واسماها الضم وحقيقة الاستقام في ذلك ان يتار بالحركة الى التون لا بالعضو
اليها فيكون ذلك الاخفاء لادغاما صحيحا لان الحركة لا تسكن رأسا بل يضعف الصوت فيفصل بين المدغم والمدغم
فيه كذلك وهذا قول عامة أئمة اقرأ بعضهم ذلك بالاستقام بمعنى آخر وهو ان يهيا الشفتان لتلفظ الضمة ليدل على
اعراب التون المدغمة بالضمة مع الادغام الصريح وفيه صسر كثير قالوا وتكون الاشارة الى الضمة بعد الادغام
او قبل كاله والاستقام يقع بازاء معان وهذا من جعلتها وقرى بالادغام الصريح من غير استقام وقرأ الحسن ذلك
بالاظهار مبالغة في اعراب الفعل والمحافظة على حركة الاعراب (قوله تلعب بالاستباق والاتصال) روى
انه قيل لابي عمر وكيف يقولون تلعب وهم ابناء عليهم الصلاة والسلام فقال رجه الله تعالى لم يكونوا يؤمذ
انبياء وايضا جازان يكون اللعب المراد منه الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى انه صلى الله عليه
وسلم قال لجابر رضى الله عنه فهلا بكر اتلاعبها وتلاعبك وايضا كان له بهم الاستباق مما يكون الغرض منه تعليم
المخاربة مع الكفار ويدل عليه قولهم انا ذهبنا نسبق وانما سمعوا لبالا في صورة اللعب (قوله وقرأ ابن كثير
ترتع) بالذون وكسر العين ويلعب بالياء اسندوا الارتفاع الى انفسهم لانهم كبار بالغون وضافوا اللعب الى يوسف
لصغره عليهم الصلاة والسلام والارتفاع افتعال من رعى البعير الكلأ فان رعى وارتعى بمعنى اكل وارضى الله
الماشية اى انبت لها ما ترعاه اى تأكله والارتفاع فعل المواشى لانهم اسندوه الى انفسهم لانهم هم السبب في ارتعائها
وقرأ ثامع كلاهما بالياء وكسر العين على اسناد كل واحد من الارتفاع واللعب الى يوسف عليه الصلاة والسلام بمعنى
انه يباشر رعى الابل نارة ليتدرب بذلك ويباشر اللعب اخرى لينشرح صدره وقرأ الكوفيون كلاهما بالياء
وسكون العين من الرتع لامن الرعى يقال رعت الماشية ترتع رتوعا اى اكلت ماشاءت وتوسعت وقرى يرتع بهم
الياء من ارتع وقرى يرتع بكسر العين من ارتعى وبرفع يلعب على الاستئناف اى هو من يلعب (قوله ان تذهبوا)
فاعل يجزئى اى يجزئى ذهابكم فان قيل كيف جاز وقوعه فاعلاله وهو مستقبل لاقرانه بحرف الاستقبال
وليجزئى فعل حال بناء على ما صرح به النحاة رحمهم الله من ان لام الابتداء الداخلة على المضارع من القرأتين
المتخصصة للحال وتكون ليجزئى حالا يستلزم تحقق الفعل قبل تحقق فاعله اجب عن ذلك بان الفاعل محذوف
والتقدير ليجزئى تصور ذهابكم وتوقعه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانصور موجود في الحال
فزال الاشكال (قوله واشتقاقه من تذهب الریح) نقل عن الاصمعي انه قال قولهم تذهب تذهب الریح ما خوذ
من فعل الذئب لانه يأنى كذلك والمعنى ان الریح انت كايأنى الذئب فيكون تذهب الریح ما خوذ من الذئب وقد
عكس المصنف تبعاً للزحشسى (قوله ضعفاء مغبونون) لما كان حقيقة الخسران وانفن غير مراد ههنا وكانت
منبئة عن الخسران والضعف جعل الخسران عبارة عن الضعف المؤدى الى الخسران والضعف في عقد المعاوضة
او عن احتقاق الدعاء بالهلاك (قوله وجواب لما محذوف) اى وفي الآية محذوف آخر وتقديره قالوا
لئلا ناكله الذئب ونحن عصبة انا اذا خاسرون فاذا ناله وارساه معهم وقوله فلما ذهبوا به متصل بهذا المحذوف
روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما اتى في الجب قال يا شاهد اغبر غائب ويا قريبا غبر بعيد ويا غاليا غبر مغلوب
اجعل لى من امرى هذا فراجا وتخرجا وروى اجعل لى فراجا ما اتا فيه غايات فيه قال الحسن رضى الله تعالى عنه
الى يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة واتى اياه بعد ثمانين سنة وقيل يوسف عليه
الصلاة والسلام ابن سبع عشرة سنة وروى ان هوام البئر قال بعضها لبعض لا تخرجن من مساكنكن فان نبيا
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام نزل بساكنكن فالتجرت الا لا فاعى فانها قصدت يوسف عليه الصلاة
والسلام فصاح بها جبريل عليه السلام فصمت وبكى الصم في نلها وعلم جبريل عليه الصلاة والسلام يوسف

آية (لنبتنهم بأمرهم هذا) لنبتنهم بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلي والهيات وذلك اشارة الى ما قل لهم بمصر حين دخلوا عليه عتارين قمرتهم وهم له منكرون بشرة بما يقول اليه امره ايناساله وتطيبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آتسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا اياهم عتاء) اي آخر النهار وقرئ عتيا وهو تصغير عشي وعشي بالضم والقصر جمع اعشى اي عشا من البكاء (يكونون) متباكين روى ابنه لما سمع بكاهم فزع وقال مالكم يا بني واين يوسف (قالوا يا انا ناذبنا نسبق) تسابق في العدو واوفى الرمي وقد يكثر الافتعال والتفاعل كالافتعال والتاضال (وتركتا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب ومالت بمؤمن لنا) بمصدق لنا

(٧٨)

عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء المهم ياكاشف كل كربة ويحجب كل دعوة ويأجأ بكل كبير ويأمر يسر كل عسير ويأصاحب كل غريب ويأمنس كل وحيدا لا اله الا الله لا اله الا انت سبحانك اسألك ان تجعل لي فرجا وتخرجا وان تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وان تحفظني وترحمني يا رحم ارحمين قال طائفة عظيمة من المحققين ان المراد من الوحي المذكور بقوله تعالى واوحينا اليه وحى النبوة والرسالة وقيل المراد منه الا الهام كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام تقوية لقلبه في البر لتصدقن رؤياك وتخبرن اخوتك بصنعهم هذا بعد اليوم وهم لا يعرفون بانك يوسف في وقت اخبارك اياهم بأمرهم وهو قوله لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف روى انهم حين دخلوا عليه لطلب الخطة وعرفهم وهم له منكرون دعيا بالصاع فوضعه على يده ثم قره فطن فقال عليه الصلاة والسلام ان هذا الجلام يخبرني انه كان لكم اخ من ابكم يقال له يوسف فطرحتموه في البئر وقتلتم لايبكم اكله الذئب (قوله وقيل وهم لا يشعرون) اي يا يحسانا اليه والناثية في اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه فرما ازداد حسدهم فكانوا يقتصدون قتله والا احتمال الاول كونه حالا من ناعل لتبتنهم او من مفعوله اي تشبههم وهم لا يعرفونك لبعده المدة وتغير الاحوال واذا حل الكلام على هذا الاحتمال كان هذا امر من الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام بان يستر نفسه عن ابيه طول تلك المدة مع علمه بوجود ابيه خوفا من مخالفة امر الله تعالى ولعله تعالى قضى على يعقوب ان يوصل اليه تلك القنوم السديدة والهموم العظيمة ليصبر على مرارتها ويكثر رجوعه اليه تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة عالية لا يمكن الوصول اليها الا بتحمل المشن العظيمة (قوله آخر النهار) فان العتاء آخر النهار الى نصف الليل واتصاه على الظرفية اي جاؤه في هذا الوقت ويكون جهله خالية من فاعل جاؤا اي متباكين وقرئ عتيا بضم العين وقح الشين على انه تصغير عشي فتواصل في اصيل وقرئ عتيا بضم العين والقصر على انه جمع اعشى وفيه ضعف لان قدر ما بكوه في ذلك اليوم لا يعسونه الانسان (قوله على قيصه) في محل النصيب على انه حال من قوله بدم لانه لو تاخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا واختلف النحاة في جواز تقديم الحل على المجرور قال رحمه الله تعالى في الكافية ولا يتقدم على العامل المعنوي ولا على المجرور في الاصح او على انه ظرف بمعنى فوق قيصه وفيه انه لا يساعد المعنى على قوله منصوبا على الظرفية بمعنى فرق لان العامل فيه اذا يكون جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم وعن صاحب التقريب ان كونه ظرفا للنجي مع بقاء المعنى المتصود فيه حرارة والحق ان يقال انه حال من جاؤا بتضمينه معنى الاستيلاء اي جاؤا مستولين على قيصه (قوله على اظفار الاحداث) جمع حدث بمعنى الساب يقال رجل حدث ورجال احداث اي شبان لما كان الكذب بمعنى اليأص في اظافيرهم فيصير كالنقش فيها شبه به الدم اللاصق بالقميص لتأثيره في القميص ككثير ذلك اليباض في الاظافر فاطلق اسم الكذب على سبيل الاستعارة انصريحية (قوله ولذلك) اي ولاجل استدلاله بسلامة القميص على كذبهم في قولهم اكله الذئب قال اضربا عن قولهم وابطالا لانه بل سولت لكم انفسكم الى آخر الايات كانه قال لهم هل كان يوسف في هذا القميص حين اكله الذئب قالوا نعم قال كيف وصل اليه ولم يبرق قيصه ولم اعهد ذبا بلغ حله في حق ما اقترسه الى هذا الحد ولولا كد لمرق قيصه فحيلوا فغسل بل سولت لكم انفسكم امر اعظيما والسول استرخاء ما تحت السرة من البطن (قوله وهذه الجريمة) جواب عما يقال قد مر ان آل يعقوب عليه الصلاة والسلام انباء فكيف صح لهم ارتكاب مثل هذه الجريمة (قوله وقيل اخفوا امره) اي اخفوا وجدانهم اياه في الحب وقالوا فيما بينهم ان قالوا لكم ما هذا الغلام فان قلنا انقطناه من الحب شاركونا وان قلنا اشتريناه سألونا الشربة فيه فالوجه ان نمنى امره ونقول استضعناه بعض اهل الماء لنبهه لهم بمصر والمعنى على الاول اخفوا نفس يوسف ولم يظهره لسائر الرقة (قوله واستبقاه من البضع) وهو القطع يقال بضعتم اللحم بضعاً قطعته والبضعة القطعة من اللحم قال الراغب البضاعة قطعة وافرة من المال تقتني للتجارة والبضع في العدد هو ما بين الثلاث الى التسع سمي به لكونه مقطوعاً من العشرة والمعنى اسروه حال ما جعلوه واخفاه امره في هذا الحال لا يلبق بالاخوة اذ ليس مقصودهم تحصيل المال وانما مقصودهم تبديد يوسف عليه الصلاة والسلام عن ابيه فالاول ان يستند الاخفاء الى الوارد واصحابه وقوله بضاعته اي حال ما حكموا عليه بانه بضاعته وقوله اوصني اخوة

(واوكتنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط حبك ليوسف (وجاؤا على قيصه بدم كذب) اي ذى كذلك بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من انواواي جاؤا كاذبين وكذب بالذال غير المعجمة اي كدرا وطري وقيل اصله اليأص الخارج على اظفار الاحداث فنبه به الدم اللاصق القميص وعلى قيصه في موضع النصيب على الطرف اي فوق قيصه او على الحال من الدم ان جاوز قيصه على المجرور روى انه لما سمع بشير يوسف صاح وسأل عن قيصه فأخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم التمسك وقال ما رأيت كالذي احم من هذا ابل اي ولم يبرق عليه قيصه ولذلك (قال بل سولت لكم انفسكم امر) اي سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم امر اعظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجل وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق (والله المستعان على ما تصفون) على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنابهم ان صح (وجاءت سيارة) رقيقة يسرون من مدين الى مصر فزلوا قريبا من الحب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فارسوا واردهم) الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذر الخراعي (فادلى دلو) فارسها في الحب لبلأها فتدلى بها يوسف فأراه (قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى بتسارة نفسه اولقوسه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له نادى ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى اي بالاضافة وقرئ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشرى بالسكون على قصد الوقف (وأسروه) اي الوارد واصحابه من سائر الرقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه اليها اهل الماء ليعيد لهم بمصر وقيل الضمير لآخوة يوسف وذلك لان يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فانه يمشد فلم يجده فيها فاخبر اخوته فانوا الرقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاستروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه (بضاعته) نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة

(والله عليهم بما يعملون) لم يخف عليه اسرارهم اوضح اخوة يوسف بايهم واخيههم (وشروه) وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته (بثمن بخس) بخس لئلا ينفذوا قصاصه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون ما يبلغ الاوقية ويدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين (وكانوا فيه) في يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنده والخير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا ياتين فرحهم فيد لانهم التقطوه والمائة طللشي متهاون به خائف من انتزاعه مستجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابقى وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمخدوف بينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على

(٧٩)

الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسم قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن يوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة يدلل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمنشور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل حطاب الاولاد باحوال الالباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وكان ابن ثلاثين واته الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عسرون دينار ووزجا نعل وثوبان ايضا وقيل مثله فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل اوزليخا (اكرمي مثواه) اجعلي مقامه عندنا كريما ي احسن والمعنى احسن تعهده (عسى ان ينفعنا) في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا (او نخذه ولدا) تنبئه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عن زبصر وابنة شبيب التي قالت يا بة استأجره وابو بكر حين اتخاف عمر رضي الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) وكما مكنا محبته في قاب العزيز او كما مكناه في منزله او كما اخبنا وعطفنا عليه العزيز مكناه فيها (ولعلهم من تأويل الاحاديث) عطف على ضمير تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولعلهم اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله واحكامه فينفذها او يعبر بالمنامات المنبهة على الحوادث الكائنة يستعد لها ويستعمل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه (والله غالب على امره) لا يرد شيئا اولنا زعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الاماراده (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان الامر كله بيده ولطائف صنعده وخفايا لطفه (ولا يبلغ اسده) ستهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن السباب ومبدأ بلوغ الحلم (آتياه حكما) حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس (وعلم) يعني علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه

يوسف بايهم واخيههم حيث جعل الله تعالى ما دبروه لا يبطال حكم ما رآه يوسف عليه الصلاة والسلام في المنام سببا لو صوله الى مصر ولتتابع ما جرى عليه من الاحوال الى ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم (قوله وفي مرجع الضمير) المرفوع في شروه يثبت الوجهان المذكوران في ضمير اسروه فانه قد ذكر ان معناه باعوه قطعنا اذلا معنى لاشترأهم وقد انقطعه وان كان ضمير واسروه للاخوة يكون ضمير شروه ايضا لهم ويكون الشراء بمعنى البيع ايضا اذلا وجه لجملة على الشراء (قوله واشتروه من اخوته) اي على تقدير ان يكون ضمير اسروه للاخوة يجوز ان يكون الشراء بمعنى الاشتراء ويكون ضمير شروه للرفقة (قوله بخس) يعني ان الخس مصدر يخس خسة اي نقصه والثمن لا يوصف بالمعنى المصدري فلذلك جعله بمعنى الخس اما لاداء عينة او نقصان وزنه (قوله الراغبين عنه) فسر الزاهدين به لان الزهد والزهادة عبارة عن قلة الرغبة في الشيء فضمير كانوا ان كان للاخوة فوجه ظاهر لانهم لم يعرفوا موضعه من الله تعالى ولا كرامته (قوله فهو متعلق بمخدوف بينه الزاهدين) كقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك والتقدير كانوا من الزاهدين فيه والثاني تأكيد للاول (قوله وهو العلم المؤيد بالعمل) قال القسيري رجع الله تعالى ونفعنا به من جملة الحكم الذي آتاه الله تعالى نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما روده من زليخا عن نفسه ومن لا حكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره فآله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام قد اوحى اليه عند منتهى الاشد والاستواء وهو اربعون سنة ووحى الى يوسف عند اوله وهو ابن ثمان عشرة سنة وقال الامام نقلا عن الحسن رجهما الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام كان نبيا من الوقت الذي كان فيه قد اتى في غيابة الجب لقوله تعالى ووحينا اليه لتبنيهم بامرهم هذا وكان رسولا من الوقت الذي فيه بلغ اشده لقوله تعالى ولما بلغ اشده آتياه حكما وعلمنا ثم قال ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذي فيه اتى في غيابة الجب ثم نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال تعالى ولما بلغ اشده اي لما بلغ ثلاثا وثلاثين سنة ثم ذكر اقوال العلماء في تفسير الحكم والعلم فقال اولها ان المراد من الحكم الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولها الى الحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية واما اصحاب الافكار والادب والادب النظرية فانهم يصلون اولها الى الحكمة النظرية ثم يزولون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه الصلاة والسلام هي الاولى لانه صبر على البلاء والمكاره والحن فتفتح الله تعالى عليه ابواب المكاشفات والقول الثاني ان الحكم هو النبوة لان النبي يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين والقول الثالث انه يحتمل ان يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعينة عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس فقوله تعالى وراودته التي هوى بيتها عن نفسه يعني امرأه العزيز التي كان يوسف عليه الصلاة والسلام في بيتها طلبت منه ان يواقعها والمرادة المطالبة الواقعة بين اثنين بحيث يريد احدهما ان يحمل الآخر على شيء لا يريده الاخر فيجرب بينهما بذلك مدافعة وممانعة مأخوذة من الزود وهو الطلب ومعنى عن نفسه اي من اجل نفسه يقال فلان يخاصم عن فلان ويتكلم عن فلان اي من اجله قال الزجاج رحمه الله تعالى راودته اي طالبته بما يريد النساء من الرجال (قوله والتسديد للتكبير او للمبالغة في الايثاق) اي لتكثير القول او للمبالغة في الاتصاف باصل الفعل نحو طوف البيت (قوله تعالى تعالى هيت لك) فيه اربع قراءات للسبعة الاولى هيت لك بفتح الهاء والتاء بينهما ساكنة وهي قراءة الاكثرين والثانية هيت بفتح الهاء وضم التاء بينهما ساكنة وهي قراءة ابن كثير والثالثة بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ساكنة وهي قراءة نافع وابن عامر والرابعة هئت بكسر الهاء وكسر التاء بينهما هزنة ساكنة وهي قراءة هشام وفيه ايضا اربع قراءات في التواضع هيت بفتح الهاء وكسر التاء بينهما ساكنة وهيت بكسر الهاء وضم التاء بينهما ساكنة ونقل الجوهرى عن الاخفش رجهما الله تعالى انه قال وقرأ بعضهم هئت بكسر الهاء وضم التاء بينهما هزنة ساكنة على مثال جئت بمعنى تهيت لك يقال هئت للامر اهي هية وتهيات تهيتا بمعنى انتهى كلام الجوهرى فصار الجميع ثمانى قراءات وهي على جميع القراءات اسم فعل الاعلى قراءة هئت على وزن جئت فانه على هذه القراءة فعل ما مضى مبنى للمفعول مستند الى ضمير المتكلم من هاء الامر يهيء على

في عنوان امره (ورأودته التي هو بينها عن نقد)
 طلبت منه وتحتل ان يواقعها من راد يروا اذا جاء
 وذهب اعطى شئ ومنه الرأد (وغلفت الابواب)
 قيل كانت سبعة والشديد للتكثير واللبالفة في الالفاظ
 (وقالت هيئت لك) اي اقبل وبادر او نهيات والكلمة
 على الوجهين اسم فعل بني على النسخ كأن واللام
 للتبيين كالتي في سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها
 بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيطوهي
 لغة فهد وقرئ هيئت بكسر وهت كجئت من هاء يهيئ
 اذا نهيا وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته
 (قال معاذ الله) اعوذ بالله معاذا (انه) ان الشأن
 (ربي احسن مثواي) سیدی قطفیر احسن تعهدی
 اذ قال لك في اكرمي مثواه فاجر آؤه ان اخونه في اهله
 وقيل الضمير لله تعالى اي انه خالقي واحسن منزلي بان
 عطفت على قلبه فلا اعصيه (انه لا يفلح الظالمون)
 المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنى ظلم
 على الزنى والمنزى باعله (ولقد همت به وهم بها)
 قصدت مخالطته وقصدت مخالطتها والهم بالشيء
 قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم
 بشيء امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع
 ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري ذلك مما لا بدخل
 تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من
 الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم
 او مشاركة الهم كقولك قتله اولم اخف الله (لولا ان
 رأي برهان ربه) في قبح الزنى وسوء مغبتها لخالطها
 لتبقي الغلبة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها
 جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم
 عليها جواب بها بل الجواب محذوف بدل عليه وقيل
 رأي جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا
 على امانه وقيل قطفیر وقيل نودى يابوسف انت
 مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السقهاء (كذلك) اي
 مثل ذلك التثنية ثبته او الامر مثل ذلك (لنصرف
 عند السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنى (انه من
 عبادنا المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ
 ابن كثير وابوعرو وابن عامر ويعقوب بالكسرى في كل
 القرآن اذا كان في اوله الالف واللام اي اخلصوا
 دينهم لله (واستبقا الباب) اي تسابقا الى الباب فخذف
 الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف
 فرمته ليخرج واسرعت وراءه لئلا يفتنه الخروج (وقدت
 قبضه من دبر) اجتذبت من وراءه فاقصد قبضه
 واقد الشق طولاً واللفظ الشق عرضاً

نهيا ويحتمل الامر ان على قراءة من قرأ بكسر الهاء وضم التاء فانه يحتمل ان يكون حيث نذ اسم فعل بني على الضم
 كيث وان يكون فعلا مستدا الى ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيئ بكاء يهيئ وله حيث نذ معنيان احدهما ان يكون
 بمعنى حسن هيئته والثاني ان يكون بمعنى نهيا يقال هيئت اي حشيت هيئتي اي نهيات وعلى تقدير كونه اسم
 فعل يكون من فتح اثناء بناها على الفتح تخفيفا نحو اين وكيف ومن ضمها كين كثير ضمها تشبيها بحيث ومن كسرهما
 فعلى اصل التقاء الساكنين بكسر الهاء وكسرهما الفتان وكذا الجمل الامر ان على قراءة هشام هيئت بكسر الهاء
 وفتح التاء اما احتمال كونه اسم فعل فظاهر واما احتمال كونه فعلا مستدا الى ضمير المخاطب فبني على ان يكون المعنى
 حسنت هيئت لك لا يجوز ان يكون المعنى نهيات لان الخطاب من المرأة ليوسف عليه الصلاة والسلام وهو
 لم يتهيا لها بل هي نهيات له بدليل قوله تعالى ورأودته التي هو في بينها وقوله تعالى اني لم اخنه بالغيب واللام
 في قوله هيئت لك متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كأنها قالت لك اقول اذ الخطاب لك كما في قوله سقيالك ورعاك
 وهذا على تقدير ان يكون اسم فعل واماعلى تقدير كونه فعلا فانها حيث تتعلق بالفعل المذكور اذا لا حاجة حيث
 الى تقدير شئ ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف معاذ الله وهو منصوب على انه مصدر فعل
 محذوف اي اعوذ بالله معاذا يقال عاذ يعوذ عاذا وعياذة ومعاذا وعوذا طلب عليه الصلاة والسلام ان يعيذه
 من ذلك العمل بان يخلق فيه داعية جاذبة له الى جانب الطاعة وان يزيل عن قلبه داعية المعصية ونظيره ما روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما وقع بصره على زينب ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهي تحت يد قال ياقلب
 القلوب ثبت قلبى على دينك فكان المراد منه تقوية داعية الى الطاعة وازالة داعية المعصية (قوله او مشاركة
 الهم) عطفت على قوله ميل الطبع فان من شارف الا تصاف بوصف يجعل موصوفا به كما في قوله قتله لولم
 اخف الله فمذنبه قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف عليه الصلاة والسلام لما شارف قلبه ان يقصد مخالطتها
 قال تعالى في حقه عليه الصلاة والسلام وهم بها فانه على تقدير تسليم انه شارف ان يهم بها لانهم انه عليه الصلاة
 والسلام قدم بها والمصنف ضعف ما ذكره المفسرون من ان يوسف عليه الصلاة والسلام هم بهذه المرأة هما
 صحيحا كما انها همت به حتى حكوا انها استقلت له وقعد هو بين رجلها واخذ يحل نكتته فلما رأى البرهان من ربه
 زال عنه كل ما طرأ عليه من الشهوة واختار ما ذهب اليه المحققون من المفسرين بانه عليه الصلاة والسلام كما انه
 برئى من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل الباطل فهو ايضا برئى من الهم المحرم فنقل عن الامام ابى منصور
 رحمه الله تعالى انه قال اما ما قاله اهل التفسير من انها استقلت له وهو هم بها وحل ازاره واذنل هذا من
 الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال ويدل على فساد ما قالوه وجوده احدها قوله تعالى حكاية عن يوسف
 عليه الصلاة والسلام هي روادتي عن نفسي وثانيها قوله تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء وثالثها قوله تعالى
 حكاية عنه ايضا ذلك ليم اني اخنه بالغيب ورابعها قولهن ما علمنا عليه من سوء وخامسها قوله الا ان حخص
 الحق انارأودته عن نفسه فهذا كله دليل على انه لم يكن منه شيء من ذلك وايس في ظاهر الآية شيء مما قالوه سوى
 قوله تعالى وهم بها ولأول صحيح وهو انها همت به هم عزم وهم هو بها هم خضرة ولا صنع للعبد فيما يخطر للقلب
 (قوله لتبقي الغلبة) لتبقي شدة الغلبة والغلبة بالضم شهوة الضراب وقيل قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه
 دليل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام برئى من الهم المحرم لان قوله تعالى وهم بها جواب لولا شاذ غير موجود
 على انتفاء الهم لتحقيق الرؤي وطمع الزجاج في هذا القول من وجهين الاول ان تقديم جواب لولا شاذ غير موجود
 في الكلام الفصح والثاني ان لولا لا يجب باللام فلو كان هم بها جواب لولا ان رأى لا قترن باللام بل جواب لولا
 محذوف لدلالة وهم بها عليه والجواب عما قاله الزجاج من ان مراد القائل ان الجواب محذوف مدلول عليه
 بما تقدم واما قوله لو كان هم بها جواب لولا لا قترن باللام فغير لازم لانه متى كان جواب لو لولا ثبتا جاز فيه
 الامر ان اللام وعدمها وان كان الايان باللام هو الاكثر (قوله اي مثل ذلك التثنية) على ان يكون كاف
 كذلك في محل النصب بفعل مضر والثاني على انه مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله لنصرف
 متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف على الاول ومحذوف آخر على الثاني اي فعلنا ذلك لنصرف (قوله
 تعالى وقدت) يحتمل ان يكون معطوفا على استبقا ويحتمل ان يكون جملة حالية بتقدير وقد وكلمة ما في قولها
 ما جزاء يجوز ان تكون نافية وان تكون استفهامية وكلمة من يجوز ان تكون موصولة او نكرة موصوفة والا ان

(والفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت
ما جزأء من اراد باهلك سوءاً الا ان يسجن او عذاب
اليم) ايها ما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند
زوجها وتغيره على يوسف واغراه به انتقاما منه
وما نافية او استغفامية بمعنى اى شئ جزأء الا السجن
(قال هي راودتني عن نفسي) طالبتني بالموتاة وانما
قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب
ولولم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من اهلها)
قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيبا في المهد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن
ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريح
وعيسى بن مريم عليه السلام وانما التي الله الشهادة
على لسان اهلها ليكون الزم عليها (ان كان قيصة
قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل
على انها قدت قيصة من قدامه بالدفع عن نفسها
اوانه اسرع خلفها فثبته بذيله فانه رجيه (وان كان
قيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه
يدل على انها تبعتة فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية
محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من
القول وتسميتها شهادة لانها دلت مؤداها والجمع
بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه
ونظيره قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من
قبل فان معناه ان تمنى على باحسانك امن عليك
باحسانى السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
لانهما قطعاعن الاضافة كقبل وبعده بالفتح كأنهما
جعلنا علين للجهتين فعا الصرف وبسكون العين
(فلما رأى قيصة قد من دبر قال انه) اى ان قولك
ما جزأء من اراد باهلك سوءاً او ان السوء او ان هذا
الامر (من كيدكن) من حيلكن والحطاب لها
ولامثالها اولسائر النساء (ان كيدكن عظيم)
فان كيد النساء الصق واعلق بالقلب واشدد تأثرا
فى النفس ولا نهى يوا جهن به الرجال والشيطان
يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه
حرف التداء لقربه وتقطعه للحد يد (أعرض
عن هذا) آكته ولا تذكره (واستغفرى لذنبك)
ياراعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين
من خطي اذا اذنب متعبدا والتذكير للتغليب (وقال
نسوة) هى اسم لجمع امرأة وتأتيته بهذا الاعتبار
غير حقيق ولذلك جر دفعه وضم التون لنة فيها (فى
الدينة) ظرف لقال اى اسعن الحكاية فى مصر واصفة
نسوة وكن خمسازوجة الحاجب والساقى واختيار
والسجان وصاحب الدواب (امرأة العزيز تراود
فتاه عن نفسه) تطلب موافقة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصصل فتى لقولهم فتيان
والفتوة شاذة (قد شغفها حبا) شق شغاف قلبها
وهو حجابها حتى وصل الى فؤادها حبا

يسجن خبر المبتدأ وهو ما جزأء ولما كان ان يسجن فى قوة المصدر عطف عليه المصدر وهو قوله او عذاب
(قوله ايها ما) علة لقولها ذلك وتبرئة علة الايهام وتغيره عطف على تبرئة والتغير من الغيرة اى اوهمت
ذلك ابقا للسيدة فى الغيرة على يوسف عليه الصلاة والسلام واغراه للسيد يوسف كى ينتقم منه (قوله
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له) اى لما اظهرت المرأة لاجل يوسف عليه الصلاة والسلام وابرزت له اى لم يقل
ذلك فى حقها ارادة ان يهتك سترها فى اول الامر الا انه لما خاف على انفس وعلى الارض اظهر الامر ولولم
تكذب عليه ابتداء لما اظهره (قوله قيل ابن عمها) روى انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكما ذالحة واتفق
فى ذلك الوقت انه كان مع الملك يريد ان يدخل عليها وقال قد سمعت من وراء الباب صوت شق القميص الا انى
لا ادري انكما قد اقام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل
صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من كيدكن ويحتمل ان يكون هذا
الكلام من قول قطيفر زوج المرأة وقيل كان صبيبا فى المهد وكان ابن خال المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم وشاهد
يوسف الخ اما ابن ماشطة فرعون فانه لما اسلمت اخبرت بنت فرعون اباه باسلامها فامر بالقائها والقاء اولادها
فى النار فلما بلغت الثوبة الى ولدها وكان مريضاً قال اصبرى يا اماه فانك على الحق وقوله ماشطة فرعون من قيل
اضافة الملايسة واما صاحب جريح فن قصته انه كان يتعبد فى صومعته فقالت امرأة لاقتله وعرضت عليه
نفسها فلم يلبث اليها فكنفت نفسها من راعى غنم كان يأوى بفتح الى صومعته فولدت غلاما وقالت انه من جريح
فضر به وخر يوا صومعته فصلى جريح وانصرف الى الغلام فطعنه وقال بالله يا غلام من ابوك قال انا ابن الراعى
(قوله والشرطية محكية) جواب عما يقال كيف جازت حكاية الجملة الشرطية بعد فعل الشهادة لانها تقتضى
الاداء والانشاء عدمه فينهما تنافى واجاب عنه بوجهين الاول انها محكية بعد القول المحذوف كانه قيل وشهد
شاهد فقال ان كان قيصة الخ والثانى ان ذكر فعل الشهادة من قبيل اطلاق لفظ الخاص واردة العام بناء على ان
الشهادة نوع من القول وقوله وتسميتها شهادة جواب عما يقال كيف يجوز اطلاق الشهادة على ترديد هذه الشرطية
مع ان الشهادة فى عرف الشرع عبارة عن الاخبار بثبوت حق الغير بلفظ أشهد واجاب عنه بان قوله وشهد من قبيل
الاستعارة التبعية حيث شبه ترديد الشرطية بالشهادة فاطلق عليه اسم الشهادة استعارة اصلية ثم اشتق
من الشهادة بالمعنى المجازى لفظ شهد فكان استعارة تبعية ووجه التبد بينهما ان ترديد تلك الشرطية يؤدى
مؤدى الشهادة من حيث انه ثبت به قول يوسف عليه الصلاة والسلام وبطل قولها (قوله والجمع بين ان وكان)
يعنى ان كلمة ان تدل على الاستقبال وكان على المضى فينبغى ان لا يجمع بينهما لان المعنى ان يعلم انه كان قيصة
يعنى ان الشرط وان كان ماضيا بحيث اللفظ لكنه فى تأويل المضارع لان المراد ارشاد العزيز الى ان يتبع
الامارة التى تدل على تعيين الصادق وتمييزه من الكاذب وهو نظير قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من
قبل لمن يمن عليك باحسانه فان المنى ان تمنى على باحسانك امن عليك باحسانى السابق وان تعد احسانك الى
فما مضى فاعد احسانى اليك فيه فلما كان الشرط فى تأويل المستقبل ارتفعت المناقاة بينه وبين كلمة ان (قوله
وقرئ من قبل ومن دبر) قرأهما الجمهور بضمين وبالجر والشرين بمعنى من خلفه ومن قد امه اى من خلف
القميص ومن قد امه او من خلف يوسف وقد امه وقرئ فى الشواذ بثلاث ضمات من غير تشوين وهو مبنى على
الضم لانه قطع عن الاضافة والاصل من دبره ومن قبله فلما قطعاعن الاضافة جعلوهما غاية كقبل وبعده ومعنى
الغاية ان يجعل المضاف غاية نفسه بعد ما كان المضاف اليه غايته والا صل امر ايها لانهما اسمان متمكنان
وليسا بظرفين الا انهما بنيا لثابتهما مبنى الاصل فى الاحتياج الى الغير وقرئ من قبل ومن دبر بالفتح يجعلهما
علين للجهتين ومنعهما من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ من قبل ومن دبر بسكون العين تخفيفا ثم ان من قرأ
بسكون العين منهم من قرأ بالجر والتشوين على الاصل ومنهم من جعلها كقبل وبعده فى البناء على الضم
(قوله وهو حجابها) يعنى أن الشغاف جلدة رقيقة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب ومعنى قولك شغف
الحب المرأة ان الحب اصاب شغافها وشقد واصاب فؤادها كما يقال كبده اذا اصبت كبده ورأسه اذا اصبت
رأسه وقرئ شغفها بالعين المهملة بمعنى احرق قلبها وفى الصحاح شغف الحب اى احرق قلبه وشغف البعير بالقطران
اذا طليته به ويقال هنأت البعير اهتؤه اذا طليته بالهناء وهو القطران وامرأة العزيز مبتدأ وتراود خبره جيئ

وقصده على التميز لاصرف الفعل عنه وقرئ شفعها من شفع البعير اذا هتأه بالقطران فاحرقه (انما لزاها في ضلال مبين) في ضلال عن الرشيد وبعد عن الصواب (فلسا سمعت بمرهن) باغتيا بهن واعما سماء مكر لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لزيهن يوسف اولانها استكنتمهن سرها فافشيت عليها (ارسلت اليهن) تدعوهم قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (واعتدت لهن متكا) ما يتكنن عليه من الوسائد (واتت كل واحدة منهن سكيئا) حتى يتكنن والسكاكين يديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشتعان عن نفوسهن فتقع سكيتهن على ايديهن فتقطعنها فيمكنن بالحمية او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكثرون للطعام والشراب ترفا ولذا نهي عنه قال جليل

(٨٢)

فقلنا بنعمة وامكانا * وشربنا الخلال من قلله وقيل المتكا طعام يمزج جزا كان القاطع يتكى عليه بالسكين وقرئ متكا يحذف الهزة ومتكا بفتح السين والفتح كمنزاح ومتكا وهو الاترح او ما يقطع من متك التي اذا ابتكته ومتكا من تكى يتكى اذا ابتك (وقالت) اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالوا وجوهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحض والهاء ضمير للمصدر او يوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام اي حضن له من شدة التيق كما قال النبي خف الله واسترذا الجلال ببرقع

فان لحقت حاضت في الخدود العواتق (وقطن ايديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيه الله من صفات الهجن وتعبا من قدرته على خلق دله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج لحذف الفة الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيالك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا الله بالتشوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشي فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية الله بما يتوهم فيه (ما هذا بشرا) لان هذا الجمل غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل لبس لستار كنهها في نبي الحال وقرئ بشر بالرفع على لفظة تميم وبشرى اي يعبد مستترى لهم (ان هذا الاملك كرم) فان الجمع بين الجلال والأتق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة اولان جلاله فوق جلال البشر لا يفوقه فيه الامالك (قالت) فذلكن الذي لمتني فيه) اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني فيه بالافتتان به قبل ان تتصوره حق تصوره ولو تصورته بما عانيت لعدرتني

يقال ظلمات عمل كذا بالكسر ظلو لا اذا علت بالنهار دون الليل واتكأ نأى طمنا والقل جمع قلة وهي الجرة واللال التبيذ والقل ظرفه يقول استغلنا طول النهار بالنعم واكل الطعام وشرب الشراب (قوله وقرئ متكا) العامة على ضم الميم وتثنية التاء وفتح الكاف والهزة وقرئ متكا على ضم الميم اصله متكا حذفت هزته تخفيفا ومتكا بالتثنية والد وهى كقراءة العامة الا انه اشبع الفتحة فتولد المد منها كما في منزح بمعنى منزح ومتكا بضم الميم وفتحها وسكون التاء وتنون الكاف والتمك بضم الميم وفتحها الاترح وقيل هو اسم للجمع ما يقطع بالسكين اترجا كان او غيره من القواكه وقيل هو من متك التي بمعنى يتكه اي قطعته فيحصل ان يكون الميم بدلا من الباء بدلا مطردا في لغة قوم يقولون ما زلت راغما اي راغبا ويحتمل ان يكون مادة اخرى وافقت هذه المادة في المعنى وقيل فيه اللغات اثلاث اعنى ضم الميم وفتحها وكسرها ومتكا على وزن مفعلا من تكى يتكى اذا اتكأ (قوله والهاء) يعنى ان ضميرا اكبرنه على تقدير ان يكون بمعنى عظمنه ود هتن من حسنه ضمير يوسف واما اذا كان بمعنى حضن فان ضميرا الهاء حينئذ تكون للسكت ولم يلفظ المصنف اليه ببناء على ان تحريك هاء السكت لحن ولو كانت للسكت اسكنت واختار ان تكون هاء ضمير فقال والهاء ضمير المصدر المدلول عليه بفعله اي اكبرن الاكبار او ضمير يوسف والمعنى حضن له من شدة التيق وهو سدة الضراب وانسد وا لكون الاكبار بمعنى الحوض قوله

يأتى النساء على اطهارهن ولا * يأتى النساء اذا اكبرن اكبارا

(قوله خف الله واسترذا الجلال ببرقع) اي استر جالك ببرقع ترسله على وجهك فان لحقت اي ان ظهرت حاضت الاكبار الشواب في خدورهن عتقا وصباية فان المرأة اذا اختلفت واشتدت شهوتها سال دم حيضها والعواتق جمع عاتق يقال يقال جارية عاتق اي سابة اول ما دركت وبلغت فحذرت في بيت اهلها لا تظهر من بين اهلها الا اذا زوجت (قوله كما قرأه ابو عمرو) فانه قرأ حاشا لله بالفتح حال الوصل فاذا وقف حذفها اتباعا للخط وقرأ الباقون بغير الف في الحالين (قوله وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه) أكثر كونها حرف جر في الاصل ثم نقل الى معنى المصدر اي براءة وتنزيها لله مع ان التحاة عدوها من الادوات المتعددة بين الحرفية والفعلية وقالوا ان جرت فهي حرف وان نصبت فهي فعل وهى من ادوات الاستثناء ولم يرب سبويه فعليتها وان ذهب اليها غيره ولذلك اختار المصنف حرفيتها لانها ثابتة بالاتفاق بخلاف فعليتها وما نقل عن ابي على الفارسي من انه فعل وفيه ضمير يوسف عليه الصلاة والسلام ومعناه جانب وبعد مما توقعن لله اي خوفه ومراقبته فضعيف لان المعنى في حاش لله وحاشا لله وسائر وجوه استعماله لا يختلف ولفوات معنى التعجب حينئذ وما استدلل به من انه لا يكون حرفا لدخوله على حرف الجر لان الحرف لا يدخل على الحرف اذا لم يكن فيه تضعيف فجوابه ان التصريف المذكور انما لحقه بعد جعله اسما مع ان الحرف قد يدخل على الحرف من غير تضعيف كقولهم اما والله حرام والله والدليل على نقله الى معنى المصدر اضافته لان حرف الجر لا يضاف ولا يبتدأ به الكلام وكذا اذا كان حرف استثناء فحاشا في الآية الكريمة ليست حرفا ولا فعلا وانما هي اسم مصدر نقل من حاشا حال كونه حرف استثناء وهو معنى التنزيه كانه قيل تنزيها لله ويرآه وانما لم يتون مرعاة لاصله الذي نقل منه وهو الحرفية (قوله وبشرى) بكسر الباء الجارة الداخلة على التثنية بمعنى ما هذا حاصله بالشري وقرآءة العامة فتح الباء على ان لفظ البشر كلمة واحدة غير مركبة من الاسم والحرف وهى الموافقة لخط المصحف حيث كتب فيه بالالف والشري انما يكتب الياء (قوله) فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني فيه) الطاهر ان يكون ذلك مبتدأ والموصول بصلته خبره لان ما ذكره من التكتة في الإشارة لفظ البعيد الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو حاضر يقتضى ان يقدر مبتدأ ويجعل ذلكن

أوفهذا هو الذي لمتني فيه فوضع ذلك موضع هذا
 رفا لمزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه
 فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين
 عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الالة
 عريكته (ولئن لم يفعل ما أمره) أي ما أمر به فحذف
 الجار واو امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير
 ليوسف (ليستين وليكون من الصاغرين) من الاذلاء
 وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير
 من صغر بالضم صغرا وقرى ليكون وهو يخالف
 خط المحفف لان الثون كتبت فيه بالالف كنسقا
 على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتوين
 (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر
 (احب الى ما يدعونني اليه) أي أترعندي من
 موافقتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تستهيه
 النفس وذلك مما تكرهه واستناد الدعوة اليهن جميعا
 لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها
 اودعونه الى انفسهن وقيل انما اتى بالسجن لقوله
 هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العاقبة ولذلك
 رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل
 الصبر (والا تصرف) وان لم تصرف (عني كيدهن)
 في تبب ذلك الى وتحسنه عندي بالثبوت على العصمة
 (اصب اليهن) الى الى جانبهن او الى انفسهن
 بطبعي ومقتضى شهوتي والصوبة الميل الى الهوى
 ومنه الصبا لان النفوس تستضيها وتميل اليها وقرى
 اصب من الصباة وهي استوق (واكن من الجهلين)
 من السفهاء بارتكاب ما يدعونني السيد فان الحكيم
 لا يفعل التسبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم
 والجهال سواء (فانجابه ربه) فاجاب الله دعاه
 الذي تضمنه قوله والا تصرف (فصرف عنه
 كيدهن) فتبدل بالعصمة حتى وطن نفسه على مسفة
 السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للاصيان (انه هو
 السمع) لدعاء المتجئين اليه (السلام) باحوالهم وما
 يصلحهم (ثم بداهم من بعد مارأوا الايات) ثم ظهر
 للعزير واهله من بعد مارأوا الشواهد الدالة على برأة
 يوسف كشهادة الصبي وقداقميص وقطع الساء
 ايديهن واستعصام عنهن وفاعل بدا مضمير يفسره
 (ليستين حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها
 وحلته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه
 او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين
 وقرى بالهاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على
 التعظيم او العزيز ومن ياسبه وعى بلغة هذيل
 (ودخل معه السجن فتيان) أي ادخل يوسف
 السجن واتفق ان ادخل حيثئذ آخر ان من عبيد
 الملك شرايه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسما
 (قال احدهما) يعني الشراي (اني اراي
 في المنام

الذي الخ خبره وتقدير النكتة ان ذلك وان كان موضوعا لان يشار به الى المستار المحسوس البعيد الا انه قديستار به
 اشارة عقلية الى محسوس غير مستاهد تنزيلا للاشارة العقلية منزلة الحسية ومن المعلوم ان المحسوس الغير
 المشاهد غائب فيكون في حكم البعيد فيصح ان يشار اليه بلفظ ذلك قال التحرير المحقق في شرح التلخيص ولفظ
 ذلك صالح للاشارة الى كل غائب عينا كان او معنى بان يحكى عنه او لانه يشار اليه نحو جاني رجل فقال ذلك
 الرجل فلما سمعت ذلك يقول النسوة ان امرأه العزيز عثقت عبدها الكنعاني بحيث لم يبق لها صبر ولا قرار الا بوضعه
 فلذلك اشتغلت به راودته عن نفسه فقد سبق ذكر العبد الكنعاني الغائب الذي لم تتصوره النسوة بما هو عليه
 من كمال الحسن واطافة المنظر فاشارت اليه بقولها فذلكم وجعته خبرا للمبتدأ المحذوف فكانها قالت هذا الذي
 رأيتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني فيه وشارت بهذا الى النقص الحاضر عندها وبقولها ذلكم الى الذي
 تصورنه (قوله اوفهذا الذي لمتني) على ان يكون ذلك مبتدأ والموصول مع صلته خبره واشير الى
 المشاهد المحسوس بلفظ البعيد تعظيما للمشار اليه بالبعد تنزيلا لبعده ورفعة محله بمنزلة بعد المسافة
 ولما ظهرت زليخة عند النسوة عذرها في شدة محبتها له وهوانهن بنظرة واحدة لحقهن ما هو اعظم مما لحقها مع
 طول زمان كونه عندها كستف عن حقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم كي يعاونها على الالة
 عريكته والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يستعصم
 في الاستزادة منها ونحوه اسمك واستعظم واستجمع الرأي (قوله اي ما أمر به) على ان تكون كلمة ما موصولة
 وان يرجع ضميره الى الموصول بحذف الجار كافي قوله امرتك الخبر او امرى اياه على ان تكون ما مصدرية
 (قوله أترعندي) لما كان محبة الشيء مستلزما لكونه مرضيا عند المحب وكان السجن تكملة فكرها غير مرضي
 المحبة بالاثارة لان اختيار الشيء لا يستلزم كونه مرضيا فان المكر يختاراهون الشريرين مع ان شيئا منهما غير مرضي
 عنده (قوله وفاعل بدا مضمير يفسره ليستين) وهو فعل والفعل لا يكون مخبرا عنه فلا يقال ضرب قتل فتقدير
 الكلام ثم بداهم سجدة الا انه اقيم هذا الفعل مقام ذلك الاسم وكلمة ثم في قوله تعالى ثم بداهم تدل على تغيير رأيهم
 في حق يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك ان زوج المرأة قد ظهر له برأة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا جرم
 لم يتعرض له واحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الخيل حتى تحمل يوسف عليه الصلاة والسلام على موافقتها
 في مرادها فلم يلتفت يوسف عليه الصلاة والسلام اليها فلما استمتداحتا في طريق آخر فقالت لزوجها هذا
 العبد العبراني فضخني بين الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه وانا لا اقدر على اظهار عذري فاري ان الاسلمح ان
 تحبس لي قطع عن الناس ويحفظ منهم وبسقط ذكر هذا الحديث وكان العزيز مطاوعا لها وجلا ذلولا زمامه
 في دها فاعتبر بقولها ونسي به ما عاين من الايات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وحتى
 في قوله حتى حين جارة بمعنى الى كانه قيل ليستين زمانا ذكر في الكتب النسخية انه لو حلف بقوله والله
 لا اكلم فلانا حينئذ او زمانا بالانية على شيء من الوقت فهو محمول على نصف سنة وسبعين سنة معين من الوقت فتاوى
 من الوقت وقال اعمل المغنة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل ولا دلالة في الآية
 على تعيين مدة حبسه وانما القدر المعلوم انه بقى محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى وادكر بعدامه وفي الآية محذوف
 والتقدير لما رأوا واجب حبسه وحذف ذلك للدلالة قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قيا هما غلامان للملك
 الاكبر بمصر احدهما صاحب طعام والاخر صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب الطعام يريد ان يسجد
 اي ان يسجد السم وظن ان الاخر يساعده عليه فامر الملك بحبسهما قيل ان جاعة من مصر راد والمكر بالملك
 واغتياله فضمنوا الهذين ما لا يسما الملك في طعامه وشرابه ثم ان الساقى نكل عن ذلك وقبل الخباز الرشوة فسم
 الطعام فلما حضر كل واحد منهما طعام الملك وشرابه قال الساقى لهما الملك لا تأكل الطعام فانه مسموم وقال
 الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فبضره وقال للخباز كل من طعامك فابى
 فحرب ذلك الطعام على دابة فاكلت فهلك فامر الملك بحبسهما (قوله اي اري في المنام) يدل على ان المراد ذلك
 قواهما نبشأ بآويله ولو كان المراد رؤية العين لم يكن له وجود وايضا لو كان المراد حكاية ما طرأ عليه حال البقلة
 لكفاه ان يقول اعصروا احتاج الى ان يقول اراي واختلف في انه هل راى رؤيا ولم يرأيا فقال بعضهم ان
 يوسف عليه الصلاة والسلام لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام فقال احد القتين للاخر هم قلتم تبر هذا

العبد العبراني رويًا نخرتها عليه فسأله من غير ان يكون رأياً شياً وقال آخرون ومنهم محاهد انهما قد رأيا حين
ادخلا السجن رويًا فأجاب يوسف عليه الصلاة والسلام وسأله عنها فقال السابق ايها العالم اني رايت كأنى
في بيتان فاذا ابدا بصل عتبة حنة فيها ثلاثة اغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فحنيتها وكان كأس الملك يدي
فصعرتها فريدوسقيت الملك فشربه وقال صاحب الطعام اني رايت كأنى فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز واللوان
الاطعمة وارى سباع الطير تأكل منها اى من السلة العليا ونهس اللحم اخذه بمقدم الاسنان قيل المراد باحسان
يوسف عليه الصلاة والسلام احسانه في علم التعير لانه عليه الصلاة والسلام متى عبر رويًا احده من اهل السجن وقع
الامر على ما عبر به وروي ان الضحالك سئل ما كان احسان يوسف عليه الصلاة والسلام فقال انه كان يؤثر الاحسان
ويأتى بمكارم الاخلاق في جميع الافعال وكان يعودهم ويؤنس حزنهم واذ ضاق على رجل مكانه يوسع له
وان احتاج احد جمع له ما يحتاج اليه وقال القراء والزجاج احسانه كونه من العالمين المذكورين للناس ما ينفع به
الناس في معاشهم ومعادهم الجوهرى يقال هو يحسن الشيء اى يعلمه وقال ذلك لانهم سمعوا يوسف عليه الصلاة
والسلام يذكر الناس ما يعلم منه انه عالم فلما سمع يوسف عليه الصلاة والسلام قوله لا يا تيكيما طعام طعم
طعام الخ ليربهم ان علمه فوق ما يعلمه العلماء وجعل وصف نفسه بالعلم القائق وسيلة الى ذكر التوحيد وذلك لان
جواب فتواه هو قوله يا صاحبي السجن اما احدينا فيسقى ربه خيرا الا به لكن قدم عليه مقدمة الدعوة الى التوحيد
لانها اول ما يجب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يهابوا بها امر واجعل قوله لا يا تيكيما طعام طعم
قوله ولكن أكثر الناس لا يشكرون مخلصا الى قوله يا صاحبي السجن أرياب متفرقون فقوله لا يا تيكيما طعام مقدمة
لاصل الجواب الذى هو تعبير الرؤيا من حيث ان تأويلها وتعبيرها من قبيل العلم بالمغيبات وهذا القول يدل على
علمه بها فيوطن انفسهما لقبول ما يرد بعده من الجواب وجعله مخلصا لمطلوبه وذريعة الى الشروع في اثبات
التوحيد ونفى الشرك عن نفسه ليكون ذلك ابلغ في تفخيمهم وارشادهم الى الحق ولودعاهم الى التوحيد ابتداء بان
قال لهم من اول الامر أرياب متفرقون خيرا الله الواحد القهار للسبب لجلد النمر ولما تقتوا اليه فيفوت غرضه
الذى هو ان يتفجع به في الدين (قوله اى بتأويل ما قصصنا على) على ان يكون المراد من التأويل عبارة عن مأكل
الشيء ومزجه كاهو المراد منه في قولهما نبشأ بتأويله وهو المعنى الاصل للتأويل وفي النهاية ان التأويل من آل
الشيء يؤول الى كذا اى يرجع وصار اليه وتأويل الآية نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصل الى معنى يرجع اليه المراد
من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لما ترك ظاهر اللفظ (قوله اوتأويل الطعام معنى بيان ماهيته وكيفيته)
والتأويل بمعنى كتف الماهية وبيان كيفيتها ليس من قبيل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصل الى معنى يرجع اليه
المراد من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لما ترك ظاهر اللفظ بل هو بيان الجمل والمشكل الذى يحتاج الى تفصيله
وكتفه وذلك لان صاحبي السجن كانا يعلمان على الاجال ما يحمل اليهما من الطعام لكن ماهية ذلك الطعام
وكيفيته لم تكن معلومة عندهما فاذا بين ذلك لهما فقد فسر ما هو المجهول عندهما وسعى هذا البيان والكشف تأويلا
على سبيل المشاكلة لقولهما نبشأ بتأويله (قوله ولذلك) اى ولكونه وصف نفسه بما وصفها من كونه من اهل
النوة وكون ابيه وجده انبياء الله ورسله لاجل ان تقوى رغبتهما في الاستماع والوقوف عليه لكن ذلك ليس من
قبيل التزكية التى نهى عنها بقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم فان فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم فضل اسحق
ويعقوب عليهم الصلاة والسلام كان امرامته هورا في الدنيا فاذا ظهر انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بالاجلال
فكان انقيادهم له اتم وتأثير قلوبهم بكلامه اكل فلذلك عرف شرف نسبه فلم يكن ذلك من قبيل التزكية المذمومة
فان قيل قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يوهى انه عليه الصلاة والسلام كان من هذه الملة اجيب عنه اولا
بان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء وايس من سر وطه ان يكون قد خاض فيه وثانيا انه صلى الله عليه كان
لهم عبدا بحسب زعمهم الفاسد ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايمان خوفا منهم ثم انه اظهره في هذا
الوقت وادعى النوة وظهر المجزة وهي الاخبار عن الغيب فكان هذا جارا يجرى ترك اولئك الكفرة بحسب
الظاهر (قوله وتكرير الضمير) يعنى تكرير ضميرهم وتقديمه على كافرون للدلالة على الاختصاص والتأكيد
فالتخصيص يفهم من التقديم والتأكيد من التكرير (قوله اى شيء كان) من ملك اوانس او جن فكيف بصنم
منحوت فالمراد بالشيء المشرك اى ما كان لنا ان نشرك بالله شيئا غيرة ويجوز ان يكون شيء بمعنى المصدر اى شيئا

هى حكاية حال ماضية (اعتصر خيرا) اى عينا
وسماه بما يؤول اليه (وقال الآخر) اى الخباز (انى
ارانى احل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) تنهس
منه (نبشأ بتأويله اننا نراك من المحسنين) من الذين
يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قال ذلك
لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر روياهم
او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن اليه بتأويل
ما رأياه ان كنت تعرفه (قال لا يا تيكيما طعام طعم
الانبياء تكلم بتأويله) اى بتأويل ما قصصنا على
اوتأويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه
يتبته تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهم الى التوحيد
ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما
سألا منه كاهو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من
العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون مجزاة له
من الاخبار بالنسبة ليدلها على صدقه في الدعوة
والتعسير (قبل ان يا تيكيما ذلكما) اى ذلك التأويل
(مما علمنى ربي) بالانلهام والوحى وايس من قبيل
التكهن او الاجيم (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالآخره هم كافرون) تعليل لما قبله اى علمنى
ذلك لاني تركت ملة اولئك (وابتعت ملة آباءى ابراهيم
واسحق ويعقوب) او كلام مبتدأ لتهديد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع
اليه والوقوف عليه ولذلك جوز للخامس ان يصف
نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة
على اختصاصهم وتأكيدهم كفرهم بالآخره
(ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله
من شيء) اى شيء كان (ذاك) اى التوحيد (من
فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) وعلى سائر
الناس بعبادتنا لارشادهم وتبيينهم عليه (ولكن أكثر
الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذا الفضل
فيرضون عنه ولا ينجبهون او من فضل الله علينا
وعليهم ينصب الدلائل وانزال الآيات ولكن أكثرهم
لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كن يكرر
النعمة ولا يشكرها

(يا صاحبي السجين) اي ياساكنته اوباساحبي فيه)
 فاضافها اليه على الاتساع كقوله ياسارق الليلة
 اهل الدار (ءأرباب متفرقون) شئ متعددة ساوية
 الاقدام (خيرام الله الواحد) التوحيد بالالوهية
 (القهار) الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره
 (ماتعدون من دونه) خطاب لهما ولن علي دينهما
 من اهل مصر (الا اسماء سميتوها اتم وآباؤكم ما
 انزل الله بها من سلطان) اي الاشياء باعتبار اسامي
 اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق اسمياتها
 فيها فكانكم لاتعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى
 انكم سميتهم مالم يدل على استحقاق الالوهية عقل
 ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما اطلقون
 عليها (ان الحكيم) في امر العباد (الاله) لانه
 المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
 الموجد لكل المالك لامره (امر) على لسان انبيائه
 (ان لاتعبدوا الاياه) الذي دلت عليه الحجج (ذلك
 الدين القيم) الحق واتم لايمرون المعوج من القويم
 وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم
 اولا رحبان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق
 الخطابة ثم برهن على ان ما سمونها آلهة ويعبدونها
 لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
 واما بالغير وكلا القسمين مشف عنها ثم نص على ما
 هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي
 العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه (ولكن اكثر الناس
 لا يعلمون) فيخبطون في جهالاتهم (يا صاحبي السجين
 اما احذركا) يعني الشراي (فسيقى ربه خيرا) كما كان
 يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه (واما الآخر)
 يريد الحجاز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقلا
 كذ بنا فقال (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) اي
 قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه
 امر كاول ذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين
 لكنهما ارادا اسلبانة عاقبة مازل بهما (وقال
 للذي ظن انه ناج منهما) الظان يوسف ان ذكر
 ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الساجي
 الا ان يأول الظن باليقين (اذ كرني عند ربك) اذكر
 حالي عند الملك كي يخلصني (فانساه الشيطان ذكر
 ربه) فانسى الشراي ان يذكره ربه فاضاف اليه
 المصدر للملازمة له اوعلى تقدير ذكر اخبار ربه
 او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره

من الاشراك ومن من يد على التقديرين (قوله ياساكنته اوباساحبي فيه) اي يجوز ان يكون يا صاحبي
 السجين من باب الاضافة الى المفعول به نحو اصحاب الجنة واصحاب النار ويكون من باب الاضافة الى الظرف
 اتساعا كما تقول ياسارق الليلة فكما ان الليلة غير مسروقة بل هي مسروقة فيها فكذلك السجين ليس محتويا بل
 هو محتوب فيه ثم انه عليه الصلاة والسلام لم يدعي النبوة في الآية الاولى وكان اثبات النبوة مبنيا على اثبات
 الاكليات شرع في تقرير الاكليات وفساد عبادة الاصنام فقال ءأرباب متفرقون خير على سبيل الاستفهام
 الانكاري اي انكر القول بتعدد الآلهة بناء على انتفاء لازم الذي هو اختلال نظام هذا العالم المشاهد المحسوس
 فان كثرة الآلهة توجب الفساد والخلل ووحد الآلهة تقتضي حسن الترتيب والانتظام انما ولا شك انه خير
 من الفساد والاختلال ثبت ان ما يقتضي ذلك هو الخير لان ما يقتضي فساد السموات والارضين لا خير فيه
 (قوله اي الاشياء باعتبار الخ) اشارة الى ان المراد بالاسماء السميئات مجازا اوعلى حذف المضاف اي الاذوات
 الاسماء لان ابقاءها على اصل معناها يستلزم ان تكون السميئات حاصلة في نفس الامر وهو يخالف ما سبق
 من ءأرباب متفرقون لانه يدل على عدم وجود هذه السميئات في نفس الامر فتقدير قول المصنف اي الاشياء
 ملتبة باعتبار اسام وسميتوها في الآية صفة الاسماء بمعنى السميئات وهو متعد الى مفعولين ثانيهما محذوف
 اي سميتوها آلهة تأكيد للتزديد لياتي العطف عليه واعلم انه عليه الصلاة والسلام لما قرر التوحيد والنبوة
 عاد الى تأويل رؤياهما التي سبق تقريرها فقال للساقى ما احسن ما رأيت اما حسن الخلية فهو حسن حالك
 واما الاغصان الثلاثة فلثلاثة ايام يوجد الملك اليك عند انتضاءهن فيردك الى علك فتصير كما كنت بل احسن وقال
 للحجاز يس ما رأيت فالسلاسل الثلاثة ايام يوجد اليك الملك عند انتضاءهن فيصليك وتأكل الغنمين
 رأيت فقال لاما رأيت فالثالث الذي فيه تستفتيان اي فرغ منه يعني سيقع ما عبرت لكم صدفه وكذا يتأ
 وانما جزم يوسف عليه الصلاة والسلام بوقوع الامر بهما من قبل وحياته من الله تعالى وبين ان عاقبة كل واحد
 منهما تكون على الوجد المخصوص لانه عليه الصلاة والسلام لو بني جوابه على علم التعير لما قال قضي الامر
 لان علم التعير معنى على الظن والحسبان قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ولا يبعد ايضا ان يقال انه
 عليه الصلاة والسلام بني جوابه ذلك على علم التعير وقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان لم يعن به ان الذي ذكره
 واقع لاحالة بل عني به ان حكمه في التعير ما يشاء الظان يوسف عليه الصلاة والسلام ان كان ما ذكره من التعير
 لان تلك القواعد لا تغد التعيين ولا اليقين وانما تنفيذ الظن والتخمين فيصح استناد الظن بالمعنى المشهور الى يوسف
 عليه الصلاة والسلام حينئذ في قوله وقال للذي ظن انه ناج واما اذا كان تعيره بطريق الوحي فلا يصح استناد
 الظن اليه عليه الصلاة والسلام لان الوحي انما يفيد اليقين دون الظن فيتعين كونه مستندا الى الساجي ويكون
 المعنى وقال يوسف للرجل الذي ظن ذلك الرجل انه ناج وكان ظانا في نجاته من حيث انه لم يطمئن قلبه بنبوة
 يوسف عليه الصلاة والسلام لكن كان حسن الاعتقاد في حقه فذلك غلب على فلتد كونه مصيبا في التعير
 (قوله فاضاف اليه المصدر للملازمة له) يعني الظاهر ان يقال ذكره ربه على اضافة المصدر الى مفعوله لان السامع
 في اضافته ان يضاف الى الفاعل او الى المفعول به الصريح الا انه اضيف الى غير الصريح للالابة او هو مضاف الى
 المفعول به الصريح المقدراى ذكر اخبار ربه (قوله او انسى يوسف ذكر الله) اي ان يذكر ربه تعالى وان لا يستعين
 بغيره من المخوفين فان اللائق بمنصبه ان لا يعرض حاجته لسوى الله تعالى وان يقتدى بعبده ابراهيم عليه الصلاة
 والسلام حين قال له جبريل هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا ثم قال الى الله تعالى قال حسبي من سؤالي علمه
 بحال قال المفسرون لما استعان يوسف بغير الله تعالى عاقبه الله تعالى سبع سنين بعد الخمس التي حبسها الى وقت
 قوله اذكرني عند ربك ويرى ان جبريل دخل على يوسف عليهما الصلاة والسلام في السجين فلما رآه يوسف عرفه
 فقال له يوسف يا اخا المتذرين مالي اراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يا طاهر الطاهرين
 يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني اذا استشفعت بالآدميين فوعزتي وجلالي لا ابتك
 في السجين بضع سنين قال الاصمعي الضح ما بين الثلاث الى التسع وعامة المفسرين على ان المراد بالوضع ههنا سبع
 سنين وهو منصوب على الظرف الزماني والمجازيل جمع مهزول من الهزان وهو ضد السن وسمان جمع سمين وسمينة
 ككرام جمع كريم وكريم يذيق بالرجال كرام ونسوة كرام والعجف الهزال ليس بعده حد وعجاف جمع عجفاء وجمع على

وأيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعاذة بالعباد في كشف التداد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء (فلتب في السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان بأكلهن سبع عجاف) لماذا فرجده رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فالتفت المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعدت حبها (واخر يابسات) وسبعا اخر يابسات فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما يص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التميز بها ووصف السبع السمان بالعجاف لتعذر التميز بها محمدا عن الموصف فانه لبيان الجس وقياسه محف لانه جمع عجفاء لكنه جعل على سمان لانه تقيضه (يا ايها الملأ افنوني في رؤياي) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبرا والام للبيان ولتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تندبون لعبارة الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اى هذه اضغاث احلام وهي تضاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جعوا للمبالغة في وصف الحلم بالطلان كقولهم لان يركب الخيل ولتضمنه اشياء مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما اتأويل المنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله

فعال مع ان افعل وقلاء لا يجعلان على فعال جلا على سمان (قوله واجرى السمان على المميز دون المميز لان التميز بها) يعنى لم يقل انى ارى سبع بقرات سمانا على انه صفة سبع ويكون المراد بالمهازيل السبع من البقرات مطلق تقيضه ومن دأبهم حل الظير على الظير لكن ههنا حل التقيض على التقيض مطا قالا ان المقصود من التميز رفع الابهام المستقر في المميز وهذا المقصود انما يحصل بان يميز السبع بالبقرات الموصوفة بالسمن ولو جعل سمان صفة سبع وجعل بقرات تميز السبع الموصوفة بالسمن وقيل ارى سبع بقرات سمانا لوقع التميز بجنس البقرات ولو جعل سمان صفة للتمييز لوقع التميز بنوع البقرة وهي البقرات السمان ولا شك ان التميز بالنوع اولى وابلغ من التميز بالجس لا شتمال النوع على الجس فقوله لان التميز بها اى بالسمان من البقرات لا بجنس البقرات (قوله ووصف السبع الكنى بالعجاف الخ) اى لم يجعل عجافا محجورا على انه مميز للعدد بل رفع على انه صفة للسبع لتعذر التميز بها محمدا عن الموصوف وذلك لان المقصود من التميز بيان جنس المميز وحقيقته والعجاف صفة لا يبدل على الحقيقة وانما يبدل على شئ ما متصف بشئ فلا يصلح للتمييز الا اذا كان جاريا على الموصوف فتعين جعله صفة للعدد (قوله ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا) اى بتفسيرها وبأويلها ويقل عبرت الرؤيا تعبيرا بمعنى فسرتها ايضا وقوله اثبت اى في السنة الفصحاء بالنسبة الى لغة التنزيل ويقال ايضا عبرت النهر وغيره عبرا وعبرا وعبوروا اذا جاوزته ووصلت الى الجانب الاخر من عرضه وقيل لعبارة الرؤيا عابرا لانه يتأمل جانبي الرؤيا ويتفكر في اطرافها ويتنقل من احد الطرفين الى الاخر فعبارة الرؤيا مأخوذ من عابر النهر (قوله والام للبيان) كانه لما قيل ان كنتم تعبرون قيل لاي شئ فقيل للرؤيا كانه لفظه في قوله وكانوا فيه من الزاهدين للبيان كانه لما قيل من الزاهدين قيل في اى شئ زهد واقبل فيه (قوله ولتقوية العامل) فانه وان كان فعلا قويا على العمل لكن طرا عليه الضعف بتقديم معموله عليه فقوى باللام الزيدة كما يقوى بها اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال لما يريد فغسل هذه اللام لاتعلق بشئ وانما تزداد لجرد اتقوية وقد تزداد عند فقدان الشرطين جميعا كما في قوله تعالى ردف لكم فانه لا فرعية فيه ولا تقديم مع انه زيدت اللام (قوله وهي تضاليطها) اى باطيلها واكاذيبها وفي الصحاح اختلط فلان اى فسد عقله والخلط في الامر الاضداد فيه (قوله فاستعير للرؤيا الكاذبة) تسميها لها بما جمع وحزم من انواع النبات والحشيش والجامع الاختلاط من غير تمييز بين الجيد والردى وتسميتها لها باسم المشبهة وازداده الاضغاث الى الاحلام قرينة الاستعارة والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام وسكونها الرؤيا اى ما يراه النائم في النوم باطلا كان او حقا فان الاحلام لولم يتناول كلا القسمين لما اضيف اليها الاضغاث التي هي الاباطيل اضافة بمعنى من فانها تستدعي ان يكون المضاف اليه جنسا يندرج فيه المضاف وغيره وقد تخص الرؤيا بالنام الحق والحلم بالنام الباطل كما في قوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان (قوله وانما جعوا) بمعنى جعوا الضغث وجعلوه خبرا اهذه الرؤيا مع انها ليست الا رؤيا واحدة لا يبدل على كثرة احواد ما يدل عليه مفردة بل انما جمع للمبالغة في وصف الحلم بالطلان فان لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل ايضا على المبالغة في الاتصاف كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمامة الهندلن لا يركب الا فرسا واحدا او ماله الاعمامة واحدة بمبالغة في الوصف فهو لا يضاف بالغوا في وصف الحلم بالطلان فجعلوه اضغاث احلام (قوله يريدون بالا حلام المنامات الباطلة خاصة) على ان يكون تعريف الاحلام في قولهم وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين العهد والمعهود ما صدر حوايه من قولهم اضغاث احلام ولم يحمله على تعريف الجنس وهو ما يعلم كل احد ان الاحلام ما هي لان حله عليه يستلزم ان ينفي اقوم عن انفسهم كونهم عالمين بتعريف جنس الرؤيا في قولهم هذه اضغاث احلام ضائعا بل فائدة بخلاف ما اذا حل على تعريف العهد فانه حينئذ يكون قولهم ذلك لتهديد عذرهم في انهم غير عالمين بها ويكون محصل جوابهم ان الرؤيا على قسمين منها ما تكون متسقة متطابقة فيسهل الانتقال من الامور الخيالية الى الحقائق العقلية الروحية ومنها ما تكون مختلطة مضطربة ولا يكون بينهما ترتيب معلوم وهو المسمى بالاضغاث فالقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم اخبروا انهم غير عالمين بتعريف هذا القسم فكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من اشياء كثيرة وما كان كذلك فتجن لانتهى الى تعيره وفيه ابهام ان الكامل في هذا العلم والتجرب فيه يهتدى الى تعيره منها فقوله وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يكون بهذا الاعتبار كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتعريفها كأنهم قالوا هذه الرؤيا من قبل اضغاث الاحلام وما نحن بتعبرن في علم التعير فلا نهتدى الى تعيرها واعلم ان الملك ارأى ماراه من الرؤيا

(وقال الذي نجسا منها) من صاحبي السجن وهو الشرايبي (وادكر بعدامة) وتذكر يوسف بعد جاعة من الزمان مجتمة اى مدة طويلة وقرئ اسه بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما نعم عليه بالنجاة وانه اى نسيان يقال آمله يأمله أمها اذا نسي وبالجملة اعتراض ومقول القول (انا انبثكم بتأويله فارساون) اى الى من عنده علم او الى السجن (يوسف ايهما الصديق) اى فارسل الى يوسف فبجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصدق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (أفتنا فى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) اى فى رؤيا ذلك (لعلى ارجع الى الناس) اعود الى الملك ومن عنده اولى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلمهم يعلمون) تأويلها اوفضلك ومكانك ونما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم (قال ترزعون سبع سنين دأبا) اى على ما دلتكم المستمرة وانتصايه على الخلل بمعنى دأبين او المصدر بآخر ففعله اى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلامها مصدر دأب فى العمل وقيل ترزعون امر اخرجته فى صورة اظهر مبالغة لقوله (فاحصدتم فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة (الاقليلا مما تأكلون) فى تلك السنين (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يا كلن ما قدمتم لهن) اى يأكل اهلهن ما دخرتم لاجاهن فاستد اليهن على الحجاز تطيقا بين المعبر والمعبره (الاقليلا مما تحصدون) تخرزون لبذور الزراعة (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يطررون من الغيث او يغاثون من الغيث من القوب (وفيد بعسرون) ما بعصر كالغث والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحبلون الضروع وقرأ حرة والكسائي بالياء على تغليب المستثنى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجماه ويحتمل ان يكونبنى للفاعل منه اى يغثهم الله ويغيب بعضهم بعضا ومن اعصرت السحابة عليهم فعدى بترع انخافض او بتضمينه معنى المغر وهذه بسارة يشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخضبة والعجاف واليابسات بسنين محدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع فى السنين المخضبة فى السنين المحدبة ولعله علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجلب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم

قلق واضطرب بسبب انه شاهد ان اناقص الضعيف استولى على الكامل القوى فتهدت فطرته بان هذه الرؤيا صورة شرعظيم يقع فى المملكة الا انه ما عرف كيفية الحال فيه فاستاق ورغب فى تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه فجمع اعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال لهم يا ايها الملاأفتوني فى رؤياي ثم انه تعالى اعجز هؤلاء الذين حضروا عنده عن جواب هذه المسئلة وعلمه عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من الحبس لان شأنه تعالى اذا اراد امر اهما اسبابه فلما اعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب جئى الشرايبي بين يدي الملك فقال انا انبثكم بتأويله فقال الملك وما يدريك يا غلام فلست بكلمة ولا معبر فقص عليه ما جرى له مع الخباز من انهما رأيا فى السجن ثمانين واخبر كل واحد برؤياه رجلا مسمى بيوسف وطلب منه تعبيرا ورؤياه فغيرها وصدق فى جميع ما وصف له ولم يسقط من تعبيرة شئ فان اذنت مضيت اليه وتابتك من قبله بتعبير هذه الرؤيا وهو قوله تعالى وقال الذى نجسا منها وادكر بدال مهمل مشددة وهى قراءة العامة اصله اذ تكرر وهو اقتتل من الذكر فوقت تاء الافعال بعد الذال فابدلت دالا فاجتمع مقاربان فابدل اولهما بجنس الثانى وادغم وقول المصنف تذكر يوسف اسما لا لاصل الكلمة والالقيلا وادكر بتشديد الدال والكاف وقرأ الجمهور بعدامة بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء متونة وهى المدة الطويلة الحاصلة من اجتماع الامم الكثيرة كما ان الامة انما تحصل من اجتماع الجمع العظيم فالمدة الطويلة كانها امة من الايام والساعات وقرئ بعدامة بفتح الهمزة والميم الخفيفة والهاء المتونة من الامة وهو التساوى يقال آمله يأمله أمها وأمهأ بفتح الميم وسكونها (قوله وبالجملة اعتراض) ويجوز ان تكون حالا من الموصول وان تكون معطوفة على نجاشم ان الشرايبي قرر الرؤيا وقد تختلف بسبب اختلاف اللفظ كما هو المذكور فى علم التعبير ثم انه عليه الصلاة والسلام ذكر تعبيرا لتلك الرؤيا فقال ترزعون سبع سنين وهو خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن وقوله والوالدات يرضعن ويذل على كونه بمعنى الامر قوله فذروه فى سنبله وقوله دأبا قرأ حفص بفتح الهمزة والباقون بسكونها وهما لغتان فى مصدر دأب يدأب اى دام على الشئ ولازمه على عادته والمعنى فازرعوا سبع سنين مستمرين على الزراعة على ما دلتكم او ازرعوا تدأبون دأبا اى يحصل لكم بسبب تلك الزراعة ما تعتادونه من الغلة ونماء الارض ورفع شداد فى قوله سبع شداد على انه صفة سبع ولم يحل مجرورا بمجر السبع لما مر من انه صفة يتعذر التمييز بها محردا عن الموصوف بخلاف سنين فى قوله سبع سنين والمعنى ثم يأتى من بعد ذلك سبع سنين شداد اى صعبا مجذبات تستد على الناس تأكل تلك السنون لما دخرتم لاجاهن اى يذهبونه ويقتنيه اسند الاكل والافاء الى السنة وهى لا تأكل شئ اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى زمانه كما فى قوله تعالى والنهار مبصرا تطيقا بين المعبر والمعبره فان السبع بقرات السمان فى المعبر مأولة بسبع سنين مخضبات والسبع عجاف اكلن تلك البقرات السمان فكذا اسند الاكل فى المعبره ايضا الى السنين المحدبة مع ان الاكل انما هو حال اهلها تطيقا بينهم (قوله يغاث الناس) معناه يطررون ويسقون الغيث ويجوز ايضا ان تكون الفها مبدلة من الواو على ان تكون من الثوث الذى هو الفرج وزوال الهم والكرب وعلى هذا يكون فعله رباعيا يقال استغاث الله تعالى فاغاثه اى انقذه من الكرب الذى فيه وهو التحط فى قصة الرؤيا (قوله من الغيث) اى يجوز ان تكون الف يغاث مقلوبة من الباء على ان يكون مستقفا من الغيث الذى هو مصدر قولك غاث الله انبلاد يغثها غيا اذا ازل بها الغيث وهو المطر وقد غيثت الارض ثقات اذا مطرت (قوله او من اعصرت السحابة) اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر على ان يكون همزة افعال فيه كما فى احصد الزرع فان قرئ يعصرن على بناء المفعول على ان يكون من اعصرت السحابة فلا بد من احد التاويلين لان اعصر بهذا المعنى لا يتعدى حيث يستد الى المفعول القائم مقام الفاعل (قوله ولعله عليه الصلاة والسلام علم ذلك بالوحى) وذلك لان رؤيا الملك انما تدل على ان كل واحد من السنين المخضبة والمحدبة سبع وان السنين المحدبة يأكلن ما جمع فى السنين المخضبة وليس فيها ما يدل على ان حال السنة التى تاتى بعد انقضاء تلك السنين المذكورة ما هى فتعين انه عليه الصلاة والسلام ما علم ذلك الا بالوحى ويجوز ان يعلمه من الرؤيا بناء على ان الملك لما رأى ان العجاف سبع دل ذلك على ان السنين المحدبة لا تزيد على هذا العدد ومن العلوم ان الحاصل بعد انتهاء زمان التحط ليس الا زمان الحصب بحكم ان العالم لا يخلو عن احد الضدين او بحكم ان سنة الله جرت على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم ثم ان

الشرابي لما عرض على الملك العبير الذي ذكره يوسف عليه الصلاة والسلام قال أثقني به فعاد الشرابي الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال اجب الملك فاني يوسف عليه الصلاة والسلام ان يخرج من السجن الابدان يتفحص الملك عن حاله مع النسوة لتكشف حقيقة الحال وبرأته مما اسند اليه من الخيانة في حق العزيز واهله ليظهر كمال عقله وصبره ووقاره فان من بقي في السجن اثنتي عشرة سنة اذا طلبه الملك وامر باخراجه ولم يبادر الى الخروج وصبر الى ان تبين برأته دل ذلك على برأته من جميع انواع التهم وعلى ان كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتاناً روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استحسن حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر الى الخروج حيث قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره دعاه الملك فلم يبادر والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما خبرتهم حتى اشتربت ان يخرجوني ولقد عجبت حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة الاكيات ولو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حليماً ذا ثناء قوله عليه الصلاة والسلام والله يغفر له ونحوه مقدمة تذكر امام المقصود تعظيماً لبقوله ذلك وتوقيره له وهو كما تقول لمن تعظمه عفا الله عنك ما صنعت في امرى (قوله وانما قال فاسأله) يعنى انه عليه الصلاة والسلام امر الرسول بان يسأل الملك عن شأن النسوة وحالهن ولم يأمره بان يسأل الملك ان يقش عن حالهن مع ان المقصود ذلك ليكون الطريق الذي اثره البغ في افادة هذا المقصود وذلك لان فعل السؤال على بكلمة ما التي يستكشف بها حقيقة الشيء اذا قلت سألته ما الانسان كان معناه طلبت منه ان يبين لي ماهية الانسان وحقيقته واذا قلت سألته الخبر كان المعنى طلبت منه ان يعطيني الخبر فلما قال فاسأله ما بال النسوة فقد امره ان يطلب من الملك كشف حقيقة حالهن وهذا الطلب يحمل الملك على التفتيش عن حالهن من حيث ان الانسان حريص على الاطلاع على حقيقة الشيء ويستكشف عن ان ينسب الى الجهل بها فلا جرم اذا سئل عنها يبذل جهده في التفتيش عنها وتحصيل العلم بها بخلاف ما لو قيل فاسأله ان يقش عن حالهن فانه انما يدل على ان يطلب الرسول من الملك ان يقش عن حالهن والملك لا يبالي بهذا الطلب بل ولا يلتفت الى مثل هذا الطلب من هو ادنى حالاً من الملك بما رآه (قوله برى بما قذف به) اي اتهم به يقال قذفت الرجل اي عتبته ويقال هو يقذف بكذا اي يرمى به ويتهم فهو مقذوف اي متهم فلما اجاب يوسف عليه الصلاة والسلام الرسول بذلك رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف عليه السلام فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز فقال لهن ما شأكن وقصتنكى اذا راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلاً اليكن وقوله راودتن وان كانت صيغة الجمع الا انه يحتمل ان يكون المراد منه خطاب زليخا على طريق اسناد فعل الجماعة الى الواحد لوقعها بينهم ولرضاهن واستحافهن كما في قوله تعالى قال لهم الناس ان الناس قد جدعوا لكم ويحتمل ان يكون المراد خطاب الجماعة اما لان كل واحدة منهن راودت يوسف عليه الصلاة والسلام عن نفسه لاجل نفسها او لان كل واحدة منهن راودته لاجل امرأة العزيز فان الافطى يحتمل كل واحد من هذين الوجهين ولما علمت امرأة العزيز ان هذه المناظرات والتفتيشات اما وقعت بسببها ولاجلها كتفت الغطاء وصرحت بما هو الواقع وقالت الا ان حصص الحق اى وضع وانكتف وتمكن في النفوس والقلوب قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصص اى بان حصص الحق من حصص الباطل ولما علمت زليخا ان يوسف عليه الصلاة والسلام راعى جانبها حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فذكرهن ولم يذكرها مع ان الفتن كلها انما نشأت عن جانبها جزمت بان رعايته ايها انما كانت تعطيها لجانبيها واخفاء الامر عليها وادارت ان تكافئه على هذا الفصل الحسن فلذلك اعترفت بان الذنب انما كان كله من جانبها وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئاً من الكل روى ان امرأة جاءت بزوجها القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان تكتشف عن وجهها حتى يتمكن اليهود من اداء الشهادة على وجهها فقال الزوج لاحاجة الى ذلك فأتى مقرباً صديقها فدعواها فقالت حيث اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني أبرأت ذمته من كل حق لي عليه فحخص الحق وقوله قال

فحخص في صم الصفائفاته * وناء بسلي نوءة ثم صمما

الصم جمع اصم وهو الحرج المصمت الصلب والصفاء جمع الصفاة وهي الصخرة المساء وثفتات البعير باركه وهي خرس الصدر والركبتان والرجلان وناء الجمل بحمله اذ انهمض مثقلاً وصم في السير وغيره اى مضى وحخص وناء مسند ان الى ضمير البعير يقول هذا البعير التي ثقتاه في ارض ذات حجارة صلبة وركبت عليه سلمى ثم قام بسلي وقصد السفر

(وقال الملك اثقني به) بعد ما جاءه الرسول بالبعير (فلما جاءه الرسول) ليخبره (قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن) انما أتى في الخروج وقدم سؤال النسوة وحصل حاله ليظهر برأته ساحتها ويعلم انه سجن ظليماً فلا يقدر الحاسدان يتوسل به الى تفتيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقن مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبث لا سرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يقش عن حالهن فحجابه على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرمها ومراعاة اللادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربي يكيدهن عليم) حين قلن لي اطع مولانا وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برى بما قذف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ما خطبك) قال الملك لهن ما سألتكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحب (اذا راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) نزيهه وتجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الا ان حصص الحق) ثبت واستقر من حصص البعير اذا التي مباركة لنا خ قال شعر فحخص في صم الصفائفاته * وناء بسلي نوءة ثم صمما او ظهر من حصص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (ان راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتنى عن نفسي (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامه من اى ذلك اثبت ليعلم العزيز (اني لم اخنه بالغيب) يظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غالب عنه او هو غائب عني او ظرف اى يمكن الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة (وان الله لا يهدي الكافرين) لا ينفذه ولا يسدده ولا يهدي الكافرين يكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله

(وما برئ نفسي) اي لا انزهها تنبيهها على انهم رد ذلك تركية نفسه والحب بحاله بل اظهار ما نعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلى اني لم اخذ
قال له جبريل ولا حين هبمت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات ففهم بها وتستعمل القوى والجوارح في افعال الاوقات
(الامارح ربي) الاوقات رحمة ربي او الامارحة الله من النفوس فقصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية
حكائية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرا به وعن ابن كثير وافع بالسوء على قلب الهمة واوامم الادغام (ان ربي غفور رحيم) يغفرهم النفس ويرحم من يتساء بالعصمة
او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه بما ارتكبه (وقال الملك اشوفى به استخلصه نفسي) اجعله خالصا لنفسي (فلما كلد) اي فلما اتوا به
فكلده وشاهد منه الرشد والدهاء (قال انك اليوم ادينا

(٨٩)

مكين) ذو مكانة ومنزلة (امين) مؤتمن على كل شيء
روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف وليس
شيئا جددا فلما دخل على الملك قال المهم اني اسألك
من خيره واعوذ بعنك وقدرتك من شره ثم سلم عليه
بالعريفة فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عبي
اسماعيل ودعاه بالعريفة فقال ما هذا اللسان قال
لسان آباءى وكل الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه
بها فاجابه بجهلها فتعجب منه فقال احب ان اسمع
روايتك منك فحكاهما ونعتله البقرات والسنايل
واما كنهها على ماراها فاجلسه على السرير
وفوض اليه امره وقيل توفي قطنير في تلك الليالي
فخسبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدوا عذراء
وولد له منها افرانيم وميثا (قال اجعلني على
خزائن الارض) ولني امرها والارض ارض مصر
(اي حفظة) لها من لا يستحقها (عليهم) بوجوه
التصرف فيها وامسله عليه السلام لما رأى انه
يستعمله في امره لاجل آثر ما يعم فوائده ويحصل
عوائده وفيه دليل على جواز طلب الثولية واطهار
انه مستعد لها وانتولى من بد الكافر اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن
مجاهدان الملك اسلم على يده (وكذلك مكنا يوسف
في الارض) ارض مصر (يتبوا منها حيث يتساء)
يترن من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نساء
بالتون (نصب برحمتنا من نساء) في الدنيا والآخرة
(ولانضج اجر المحسنين) بل توفي اجورهم عاجلا
وآجلا (ولا اجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا
يتقون) التبرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء
اخوة يوسف) روى انه لما استوزره الملك اقام العدل
واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى
دخلت السنون المجدية وعم القحط مصر والسام
ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اول بالدرهم
والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالخلي والجواهر
ثم بالدواب ثم بالاضبياع والعقار ثم بقاياهم حتى
استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال رأى
رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنه غير
بنيا مين اليه للميرة (فدخلوا عليه ففرقهم وهم له
منكرون) اي

ومضى في السفر (قوله الاوقت رحمة ربي) على ان ما مصدرية والمصدر المأول في محل التصب على انه مستثنى
مفرغ والتقدير لامارة بالسوء في كل الاوقات الاوقت رحمة ربي (قوله او الامارحة الله) على ان ما موصولة
مستثنى من الضمير المستتر في امارة كانه قيل ان النفس لامارة بالسوء الانفسار رحمة ربي لانا من بالسوء والمراد
بالنفس الجنس فلذلك جاز الاستثناء منها كافي قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وحيروا ليقاع ما على
من يعقل على ارادة الوصف كافي قوله تعالى فانكم ما تطالب لكم من الساء وقوله قيل الاية حكائية قول راعيل
عطف على قوله فانه يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهم وارتباط الاية بما قبلها على تقدير كونها من كلام
راعيل انها لما شهدت على برآءة يوسف عليه الصلاة والسلام واعترفت بانه على الحق وانها كانت على الباطل قالت
ذلك الذي قلت ليعلى يوسف اني لم اخذ بالعيب ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق والصحيح فيما سئلت
عنه ومع ذلك ما برئ نفسي من الخيانة فاني خنته حين قدفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سواء الا ان يسجن
واودعته السجن ان كل نفس لامارة بالسوء الانفسار رحمة الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه الصلاة والسلام
ان ربي غفور رحيم استغفرت ربه واسترحته بما ارتكبت ولم يرض المصنف بهذا القول اي يجعل هذا الكلام
بتيه كلام المرأة لان قوله وما برئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الامارح ربي كلام لا يحسن صدوره الا من
احترز عن المعاصي ثم ذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لايلىق بالمرأة التي استغرقت جهدها في
المعصية (قوله يغفرهم النفس) على ان تكون الاية من تحت كلام يوسف عليه الصلاة والسلام (قوله
او يغفر للمستغفر) من تحت كلام زليخا (قوله فلما اتوا به فكلمه) اي كلم الملك يوسف عليه السلام وهو الظاهر لان
مجالس الملوك لا يحسن لاحدان يدأنيها بالكلام وانما الذي يتدأ به هو الملك وان جاز ان يكون الفاعل ضمير يوسف
والمفعول ضمير الملك والدهاء جودة الرأى (قوله احب ان اسمع روايتك منك) وفي المكاف قال ايها الصديق اني
احب ان اسمع روايتك منك شفاه قال يوسف عليه الصلاة والسلام رأيت بقرات فوصف لهنهن واحوالهن ومكان
خروجهن ومكان السنايل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك من غير ان ينقص منها حرفا قال المفسرون انه
عليه الصلاة والسلام لما عبر روايا الملك بين يديه قال له الملك ف ترى ايها الصديق قال ان تزرع في هذه السنين
الخصبة زروا كثيرا وتبنى الخراش وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون المجدية بعت الغلات فيحصل بهذا الطريق
مال عظيم فقال الملك من لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اي خزائن ارض مصر على
ان تعريف الارض للعهد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الاية رحم الله اخي يوسف انه
لا تثنى في الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك الامر على احسن الوجوه ولما تسارع في ذكر الالتباس اخر الله
ذلك المطلوب عنه ودل هذا على ان ترك التصرف وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى اولى ولم يحك الله تعالى
عن الملك انه قال قد فعلت ما التفتت مني الا انه تعالى قال وكذلك مكنا يوسف في الارض الاية وذلك يدل على
ان الملك اجابه الى ما سأل الا انه تعالى اسند التمكن الى نفسه ليعلم ان المؤثر الحقيقي ليس الا الله تعالى وانه هو الذي
مكنه في الارض روى ان الملك توجه بتاج الكرامة وادخل خاتم الملك في اصبعه وقلده سيفه ووضع له سريرا من
الذهب مكللا بالدر والياقوت فقال يوسف عليه الصلاة والسلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فاد بر به
امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آباءى فقال قد وضعته على رأسك اجلالا لك وافرار ابفضلك فجلس على
السرير متوجا ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطنير عما كان واجلس يوسف مكانه ثم ان قطنير هلك
في تلك الليالي فزوج الملك يوسف من زليخا امرأة قطنير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا اخيرا ما كنت تريد
فقلت ايها الصديق لا تخفى فاني كنت امرأة حسنة ناعمة في ملك ودينيا وكان صاحبي لا ياتي الساء وكنت كما جعل
الله في صورتك فليكن نفسي فلما بئى بها يوسف وجدها عذرا فاحبا بها فولدت له ابنين افرانيم وميثا ففهم ابنا يوسف
عليه الصلاة والسلام (قوله تعالى وكذلك مكنا) اي ومثل ذلك التمكن الظاهر الذي اتسمه يوسف عليه الصلاة
والسلام مكناه في ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين بزل من بلادها حيث يهوى لاستيلائه على
جميع ارضها ودخولها تحت ملكه وسلطانه وكانت خزائن مصر وجميع بلادها يده وتحت حكمه بعدما كان ضيق
عليه بالرق والجبس والتكنين الاقدار واعطاء الملكة والمكنة المكنة (قوله اي عرفهم يوسف) عليه السلام
وسبب معرفته ايهم انه تعالى قد اخبره حين ما لقوه اخوته في الحب بقوله لتنبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون

رهينة وأتوني بأخيكم من ايكم حتى اسد فكم فافتر عوا

(٩٠)

فاصابت شعرون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر
جلافاً أو جلزاً أو لاخ لهم من ايهم فاعطاهم
وشرط عليهم ان يأتوه به ليبيع صدقهم (الاترون
اى اوفى الكيل) اتمه (وانا خير المتزئين) للضيف
والمضيفين لهم وكان احسن ائزاهم وضياقتهم
(فان لم يأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون)
اى لا تقربوني ولا تدخلوا ديارى وهو امانهى اوفى
معطوف على الجزاء (قالوا سزاود عنه اياه)
سبجته في طلبه من ايد (وانا فاعلون) ذلك لا تتواقي
فيه (وقال الفتيان) لغنامه الكياليين جمع فتى وقرأ حزة
والكسائي وحفص لغتيانه على جمع الكثرة ليوافق
قوله (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) فانه وكل بكل
رحل واحدا يعي فيه بضاعتهم التي شرواها الطعام
وكانت لغالا وأدما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا
عليهم وترفعاً من ان يأخذ من الطعام منهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به (اسلمهم
يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها اولكى
يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى
اهلهم) وقبحوا واعيتهم (اسلمهم يرجعون) اهل
معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى
ايهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) حكم عنقه بعد هذان
لم نذهب بنيامين (فاسرسل معنا اخانا نكتل) ترفع
المانع من الكيل وتكتل ما يحتاج اليه وقرأ حزة
والكسائي بآلية على انه زاده الى الاخ اى يكتل لنفسه
فينضم اكتياله الى اكتيانا (وانا له لحافظون) من ان
يناله مكروه (قال) يعقوب ايه (هل آتاكم عليه الا
كما آتاكم على اخيه من قبل) وقد قلتم في يوسف
واناله لحافظون (فانه خير حفظاً) فأتوا كل عليه
وافوض امرى اليه وانتصاب حفظاً على التميز
وحفظاً على قراءة حزة والكسائي وحفص يحمله
والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خبر حافظ وخبر
الحافظين (وهو ارحم الراحمين) فارحان يرجحن
يحفظه ولا يجمع على مصيبتين (ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت بنقل
كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل
(قالوا يا ابانا ما نبغى) ماذا نطلب هل من مزيد على
ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا
اولا نطلب وراء ذلك احسانا ولا نبغى في القول
ولا تزيد

عريفهم يوسف ولم يعرفه لطول العهد ومفارقة اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد ساله التي راوه عليها من حاله حين فارقه وقلة تأملهم في حلاله
من التنبه والاستظام (ولما جهزهم ببجهازهم) اصحبهم بعد تبهم واورقركابهم بما جاؤا لاجله واصل الجهاز ما بعد من الامتعة للنقله كعدد السفر وما يحمل من بلدة
الى اخرى وما ترف به المرأة الى زوجها وقرئ ببجهازهم بالكسر (قال اثتوني ياخ لكم من ايكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من اتم وما امركم لعلكم عيون قالوا
معاذ الله انما نحن بنوا اب واحد وهو شيخ كبير صدقني من الانبياء اسمه يعقوب قال كم اتم قالوا كل اتمى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم اتم ههنا
قالوا عشرة قال فاین الحادى عشر قالوا عندنا ينسلى به عن الهالك قال فن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد ههنا فيشهد لنا قال فد عوا بعضكم عندي

فعل بذلك انهم يصلون اليه ويدخلون عليه البية فلذلك كان مترصدا لوصولهم اليه وكان يتفحص عن كل
من وصل الى ابيه من البلاد البعيدة ويتعرف احوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين أهم اخوته ام لا فلما وصل
اخوته الى داره تفحص عن احوالهم تفحصا اظهر له بذلك انهم اخوته واما كونهم ماعرفوه فقد ذكر المصنف فيها
وجوها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بين ان قد فوه في الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة
فلذلك انكروه (قوله قال اثتوني ياخ لكم) لم يقل بأخيكم بالاضافة مبالغة في عدم تعرفه لهم فانهم فرقوا بين
مررت بغلامك وبغلام لك فان الاول يقتضى عرفانك بالغلام دون الثاني (قوله امانهى اوفى) وفي الكشف
في ولا تقربون وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه
قيل فان لم تأتوني به تحررتم ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهى انتهى وعلى التقديرين اى سواء كان خبرا او نهيا
يكون د اخلا في حكم الجزاء معطوفا عليه لكن جزمه على الثاني بلا الناهية وعلى الاول بالنطف على ما هو في محل
الجزم (قوله لا تتواقي فيه) على ان قولهم لفاعلون بمعنى الاستقبال قالوه تأكيذا للوعد ويحتمل ان يكون
بمعنى الحال على ان يكون الفعل مجازا عن القدرة عليه بطريق اطلاق اسم السبب على السبب فيكون تزبلا
وتنبهلا وتأكيذا لفعل المرادة (قوله تعالى وقال لفتنته) وهى قراءة العامة على انها جمع قلة على وزن فعلة
كاخوة وصبية والفتيان على وزن فعلان جمع كثرة كاخوان وصبيان والقليل من الثلاثة الى العشرة والكثير فوق
العشرة والجمع المصحح من جوع القلة على الاشهر والظاهر ان قوله لغنامه الكياليين اشارة الى وجه القراءة على
جمع القلة بناء على ان المولى بالكيل جاعة قليلون وقراءة الفتيان توافق قوله جعلوا بناء على ان المأمورين بالجعل
غير محصورين في العشرة وما دونها وكذا ضمير الجمع في نحو اجعلوا ابناء على انه لا يختص بما يستعمل فيه جمع القلة
والحال جمع رحل وهو الوعاء الذى يجعل المسافر اسبابه فيه والظاهر ان رحال الاخوة ليس اقل من عشرين
غرارة فاذا وكل بكل غرارة واحد من الفتيان يكون المأمورون عشرين زائدين على العشرة وعن ابن عباس رضى
الله عنهما ان بضاعتهم التي هي عن طعامهم كانت لغالا وادما وقيل كانت دراهم والمكيل والمكيل ايضا مصدر قولك
كلت الطعام اذا اعطيت كىلا وكل واحد من المعنيين يصح في هذا المقام الا انه اذا كان بمعنى المكيل يكون من
قبيل ذكر المحل وارادة الحال يقال اكثرت عليه اذا اخذت منه كىلا ويقال كال المعطى واكتال الاخذ واذا قلت
كلته يكون المعنى كلت له اى توليت فعل الكيل لاجله قال تعالى واذا كالوهم بمعنى كالواهم (قوله حكم بمنعه)
اى بمنع اعطاء الطعام كىلا حيث قيل فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي (قوله ترفع المانع من الكيل)
فان عدم اتيان اخيهما لما كان مانعا من الكيل كان ارسله رفعاً لذلك المانع وانما زاد هذا لبيان الملازمة بين
الارسل والاكتيال فانه اذا ارسل ارتفع المانع ومقتضى الاكتيال موجود فيحصل المطلوب بارساله لتحقيق
علته التامة بذلك (قوله هل آتاكم) استفهام انكارى يتضمن معنى اخي وقوله الا كما آتاكم منصوب
على انه نعت مصدر محذوف اى لا آتاكم على بنيامين الا انما كمنى على اخيه وقولك آمتة على كذا واتمته
بمعنى وقد قالوا في بدء الامر يا ابا نالمك لانما على يوسف الى قوله وانا له لحافظون يريد انكم قد ذكرتم هذا الكلام
في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ثم ختم في حفظه فكيف آتاكم على بنيامين اعتمادا على كلامكم هذا بعد
ما شاهدت منكم الخلف وعدم الثبات على القول ثم قال فانه خير حفظا اى خيركم حفظا اى خير من حفظكم
ايه يريد به اى وثقت بكم في حفظ يوسف عليه الصلاة والسلام فكان ما كان فالان اتوا كل على الله في حفظ بنيامين
فتوكل على الله تعالى في حفظه ودفعه اليهم قال كعب لما قال يعقوب فانه خير حفظا قال الله عز وجل وعزني
وجلالى لاردن عليك كايهما بعد ما توكلت على (قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم) المتاع يطلق على كل
ما يصلح لان يستعمل به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام الذى حلوه وان يراد اوعية ذلك الطعام وبضاعتهم ما شروا به
الطعام (قوله ماذا نطلب) على ان تكون كلمة ما في نبغى استفهامية في محل انتصاب على انها مفعول نبغى
قدمت عليه لان لها صدر الكلام والمعنى اى شئ نبغى بعد هذا الاكرام حيث اكرمتا كرامة لو كان رجلا من ال
يعقوب لما فعل ذلك ثم باع كل واحد منا جل بعير من الطعام ورد علينا من الطعام على احسن الوجوه وعلى ما ذكره
بعد هذا تكون مانافية اى لا نطلب وراء ما رأينا من احسانه احسانا آخر ولا نكذب ولا نتعدى فيما نتكلم
في وصفه مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال على ان البغى بمعنى التعدى لا بمعنى الطلب (قوله وسق بعير)

اي حل بعير وانما قالوا ذلك لان يوسف عليه الصلاة والسلام كان لا يكيل لكل رجل الا حل بعير فعلى تقدير ان يحضر معهم اخوهم بنيامين لا بد وان يزداد له ذلك الحمل وقولهم وبغير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام يقال ماراهلهم بعيرهم ميرا اذا اتاهم بطعام والميرة الطعام الذي يتارة الانسان اي يجلبه من بلد آخر (قوله هذا) اي الاحتياج الى تقدير المعطوف عليه انما هو اذا كانت ما استغفاهمية لا خلا فهما خيرا وانساء ولا يصح عطف الخبرية على الجملة الاستغفاهمية لعدم الجامع بينهما فمعين كونه معطوفا على محذوف واما اذا كانت نافية فينبذ يجوز الامر ان اي كونه معطوفا على محذوف وكونه معطوفا على قوله ما ينبغي لكونها خبرية حيث هو المعنى لا ينبغي ولا تكذب على الملك فيما وصفناه بالكرم والاحسان ومن جهة كرمه انه رد اليها بضاعتها على احسن الوجوه وبغير اهلنا (قوله ما توثق به) ومعنى كون ذلك العهد كائنا من عند الله تعالى كونه مؤكدا باشهاد الله تعالى عليه بسبب القسم بالله تعالى عليه ولما كان المعنى حتى تحلفوا بالله كان المعنى لقوله عليه الصلاة والسلام لتأني به جواب القسم (قوله الا ان تغلبوا او الا ان تهلكوا جميعا) يعني ان كونهم محاط بهم كآية اما عن كونهم مغلوبين معهودين بحيث لا يتقدرون على اتيانهم به البتة وعن هلاكهم وموتهم جميعا فان من احاط به العدو يصير مغلوبا عاجزا من تنفيذ مراده او هالكا بالكلية ومن استعمل الاحاطة في الهلاك قوله تعالى واحيط بئر اي اصابه ما اهلكه فهلاك وقوله فظنوا انهم احيط بهم (قوله ومن اعم العال على ان قوله لتأني به في تأويل النبي) وفي الكتاب والاستثناء من اعم العال لا يكون الا في النبي فلا بد من تأويله بالنبي والمعنى لا تمتعون من الايمان به لعله من العال الالهة واحدة وهي ان يحاط بكم ونظيره في الاثبات المتأول بمعنى النبي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والافعات يريد ما اطلب منك الا الفعل وروى عن الزمخشري انه قال عفا الله عند اقسمت اثبات في الظاهر وليس به لانه في معنى النبي وقسم وليس بقسم لانه في معنى الاستدعاء والطلب وظاهر لما الوقت وليس بوقت لانه في معنى الاستثناء وما بعده فعل وليس بفعل لانه في معنى الاسم فالكلام كله اذا لس على ظاهره بل هو مؤول ولذلك اعضل على سبويه حتى قال لقد سألت الخليل عن قول العرب اقسمت بالله لما فعلت فحصل كلام الزمخشري ان الاستثناء من اعم العال لا يكون الا في النبي وفيما هو مؤول به جعل قوله لتأني به الا ان يحاط بكم مقدرا بالنبي وذكر صاحب الانتصاف ما محصوه انما اخص هذا النوع من الاستثناء بالنبي لانه اذا لم يذكر المستثنى منه في الكلام المنفي في الايمان به على وجه الاطلاق ونفي الايمان به على وجه الاطلاق انما يصح اذا عم حكم النبي لجميع افراد الحكم المنفي فاذا اتى الايمان به على وجه الاطلاق مثلا نفي جميع صور الايمان به ووجوده فكان الكلام لعموم ما فيه من النبي كانه معروف مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاثبات فانه لا اشعار له بعموم الاحوال الا انه لا يتوقف الا على احدها ثم قال ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء مؤكل بالنتق فان يعقوب عليه الصلاة والسلام قال اولا في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واخاف ان يأكله الذئب فأتى من ناحية هذا القول حيث قالوا اكله الذئب وقال ههنا لتأني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا عليه فأتى ايضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه والذي يرى من كلام المصنف ان قول الزمخشري والاستثناء من اعم العال لا يكون الا في النبي ليس على عموه بل هو منوط باقتضاء المقام ان يأول الاثبات بالنبي حيث جعل قوله الا ان يحاط بكم مستثنى مفرغا من اعم الاحوال من غير ان يأول الاثبات في لتأني به بالنبي وان صح ان يجعل المعنى لا تمتعون من الايمان به على كل حال الا في حال ان يحاط بكم الا بهمة العظمة والكبرياء يقال تأبه الرجل اذا تكبر وكوكبة واحدة اي جماعة عظيمة وكوكب الشيء معظمه وكوكب الروضة نورها (قوله فيعانونا) اي يصابوا بالعين يقال عنت الرجل اصتبه يعني فاعانته وهو معين على النقص ومعين على التمام (قوله وللتفلس آثار منها العين) لما بين ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انما قال لبني لا تدخلوا مصر من باب واحد بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاف عليهم من العين لعله بان العين حق يدل عليها تجارب العلماء من الزمان الاقدم وتطابق سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام على حقيقتها ايده بما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما بعموذة ويقول لهما ان اباكما كان يعوذ بهما اسمعيل واسحق عليهما الصلاة والسلام وهي اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروى عن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول النهار فرأيت شديدا الوجع ودخلت

فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما ينبغي على الخطاب اي اي شيء تطالب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت اليها) استئناف موضح لقوله ما ينبغي (وبغير اهلنا) معطوف على محذوف اي ردت اليها فنستظهر بها وبغير اهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ اخانا) من المخاوف في ذهابنا وابائنا (ويزداد كيل بعير) وسقى بعير باستحباب اخينا هذا اذا كانت ما استغفاهمية فاما اذا كانت نافية لاحتل ذلك واحتمل ان تكون الجملة معطوفة على ما ينبغي اي لا ينبغي فيما نقول وبغير اهلنا ونحفظ اخانا (ذلك كيل يسير) اي مكيل قليل لا يكثرا استقلوا ما كيل لهم فاراد وان ايضا عقوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لآخيههم ويحوزان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضيقنا فيه الملك ولا يتعاطم وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حل بعير سيء يسير لا يخطر لمثله بالولد (قال لن ارسله معكم) اذ رأيت منكم ما رأيت (حتى تؤثوني موثقا من الله) حتى تعطوني ما توثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأني به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأني به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا فلا تخفوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير ا لتأني به على كل حال الاحاطة بكم او من اعم العال على ان قوله لتأني به في تأويل النبي اي لا تمتعون من الايمان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فلك (فلما أتوه موثقيهم) عهدهم (قال الله على ما نقول) من طاب الموثق واتيانه (وكيل رقيب مصلع) وقال يابى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مستهزين في مصر باقربدة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعنوا وامله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حيث ذكروا كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللتفلس آثار منها العين وانذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

عليه في آخر النهار فرأته معاً في فقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاني فرقاني وقال بسم الله اريك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد والله يتفكك قال صلى الله عليه وسلم فافقت وقال صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين القدر وعن عائشة رضي الله عنها كان يؤمر العائن ان يتوضأ ثم يقتسل منه العين وهو الذي اصاب بالعين فلما ثبت بمثل هذه الدلائل ان العين حق واطبق المتقدمون من المفسرين على ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انما قال ذلك لئلا يخافوا من العين قال المصنف اولاً فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانون ثم شرع في بيان سبب تأثر بدن العين اذا رآه العائن واستحسنه وتجب منه فقال وللنفس آثار منها العين يعني ان تأثير المؤثر من العين لا يجب ان يكون مستنداً الى القوى الحسائية بل قد يكون التأثير نفسانياً محضاً ويدل عليه ان اللوح الذي يكون قليل العرض اذا كان موضوعاً على الارض يقدر الانسان على المشي عليه ولو كان موضوعاً فيما بين جدارين عالين يجزع عن المشي عليه وما ذلك الا لان خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه فلما ان التأثرات النفسانية موجودة وايضاً اذا تصور الانسان كون فلان مؤذياً له حصل له في قلبه غضب يسحق بذلك من اوجه جداً فذلك السخونة ليس الا ذاك التصور النفساني ولان مبدأ الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصور النفس يوجب تغير بدنها الخاص لم يبعد ايضاً ان يكون بعض النفوس مؤثراً في سائر الابدان فان جواهر النفس مختلفة بالماهية فحاز ان يكون بعض النفوس بحيث تؤثر في تغير بدن حيوان آخر بشرط ان يراه ويتجسس منه والهامة واحدة الهوام وهي الحيات وكل ذي سم يقتل واما ما لا سم له يقتل فهو السوام وواحدتها سامة كالهوام والزنبرور وقد تقع الهوام على كل ما يدب من الحيوان والامة الملة من الميت به اى نزلت وجيء بها على فاعلة ولم يقل ملة لزدواج هامة ويجوز ان يقال على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من له يله اذا جمعه يقال ان دارك تمل الناس اى تجمعهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد ما امر بنبيه برعاية الاسباب المعتمدة في هذا العالم بين لهم انه لا يصل الى العدا الا ما قدر عليه بقدر الله تعالى وارادة وجوده فقل وما اغني عنكم من الله من شيء وكان قتادة رضي الله عنه يفسر الاصابة باصابة العين ويقول ليس في قوله وما اغني عنكم من الله من شيء ابطال له لان تأثير العين ليس مشروطاً بالاحتكاك والافتراق وكل ما قدره الله تعالى فهو كائن لا محالة قال الامام واعلم ان الانسان ما موربان يرعى الاسباب المعتمدة في هذا العالم وما مور ايضاً بان يحزم به انه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا يجي من القدر فان الانسان ما مور بان يحذر ويتفطن للاسياء المهلكة والاغذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغي ان يكون جازماً بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى ولا يدخل في الوجود الا ما اراده الله تعالى فينبغي للانسان ان يجمع بين رعاية الاسباب المعتمدة في هذا العالم وبين ان لا يعتمد عليها ولا يراعيها الا لمحض التعبد بل يربط قلبه بمشيئة الله تعالى وان يقطع رجاءه عن كل شيء سواه (قوله لتقدم الصلاة) بيان لوجه امكان الجمع بينهما فان قوله عليه اولم يتقدم على متعلقه لما يمكن الجمع بينهما وقوله للاختصاص علة لتقدمها وقوله كان الواو بيان لفائدة الجمع بينهما (قوله تعالى ولما دخلوا) في جواب لما هذه ثلاثة اوجه احدها وهو الظاهر انه الجملة المنفية وهي قوله ما كان يغني وثانيها ان جوابها يحذف تقديره امثلوا وقضوا حاجة ايهم لان ارتكاب الخذف مع اشتغال الكلام على ما يصلح جواباً يصحح ما يخلو عن تعسف وثالثها ان الجواب هو قوله آوى اليه اخاه قال ابو البقاء وهو جواب لما الاولى والثانية كقولك لما جئتني ولما كنتك اجبتني وحسن ذلك ان دخولهم على يوسف عليه الصلاة والسلام عقب دخولهم من الابواب (قوله فسر قروا) اى نسبوا الى السرقة واقتضوا بذلك الحرابة والالتوق (قوله اى ولكن حاجة) اشارة الى ان حاجة منصوبة باللكونها بمعنى لكن وقضاها خبر لكن والمعنى ان رأى يعقوب عليه الصلاة والسلام في حق بنيه وهو ان يدخلوا من الابواب المتفرقة واجاب بنه له في ذلك الرأى ما كان يدفع عنهم شيئاً مما قضاه الله تعالى عليهم ولكن يعقوب اظهر بذلك الرأى ما في نفسه من الشفقة والاحتراس من ان يعانوا فاوصى به (قوله لعله لم يقله باسر يوسف عليه الصلاة والسلام الخ) جواب عما يقال كيف يليق بيوسف عليه الصلاة والسلام وهو الرسول الحق من عند الله ان يتهم اقواماً وينسبهم الى السرقة كذبا ويهتانا وتقرير الجواب بوجود الاول ان المتأدى فله من عند نفسه بناء على ان يوسف عليه الصلاة والسلام وضع السقاية بنفسه في رحل اخيه واخفى الامر عن الكل واهم بذلك بعض

(وما اغني عنكم من الله من شيء) مما قضى عليكم بما اشترت به اليكم قال الحذر لا يمنع القدر (ان الحكم الله) يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سواء ولا يمنعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلاة للاختصاص كان الواو للعطف والسقاء لافادة السبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة في البلد (ما كان يغني عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شيء) مما قضاه عليهم كقوله يعقوب عليه السلام فسر قروا واخذ بنيامين لوجده ان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب (الاحاجة في نفس يعقوب) استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفسه بمعنى شفقته عليهم وحرارته من ان يعانوا (قضاها) اظهرها ووصى بها (وانه لذو علم لما علمناه) بالوحى ونصب الخبز ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام اوفى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فوق بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان اخي يوسف حياً لجلس معي فاجلسه معه على ما أدته ثم قال ليزن كل اثنين منكم بيتاً وهذا الاثنان له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و(قال انا اخوك فلا تبش) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) في حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقايد) الشربة (في رحل اخيه) قيل كانت مسربة جعلت صاماً يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على خذف جواب فلما قدره امهلهم حتى انطلقوا (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايها العبرانيكم لسارقون) لعله لم يقله باسر يوسف عليه الصلاة والسلام او كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ايه او انكم لسارقون

خواصه وهو اخفى ذلك عن الكل ثم ان اصحاب يوسف عليه السلام لما طلبوا السقاية وما وجدوه اوما كان هناك احد غير الذين ارتحلوا غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فتادى النادى من بينهم على حسب ظنهم انكم لسارقون فخلقوا بقولهم تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كاسارقين قالوا فاجزآؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزآؤه من وجد في رحله فهو جزآؤه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا في ذلك الزمان يستعيدون كل سارق بسرقة سنة وكان استعباد السارق في شرعهم جاريا مجرى وجوب القلع في شرعنا قال اصحاب يوسف عليه الصلاة والسلام فانجحوا نفقش رحالكم فانجحوا واتقن ببرآءتهم ففقتشوا رحل الاخ الاكبر ثم الذي يليه حتى بلغوا رحل بنيامين فوجدوا الصاع مدس وسافد فلما استخرجوه منه تكسروا رؤسهم واتقطعت السنتهم فاخذوا بنيامين مع صواعه من الصواع وردوه الى يوسف عليه الصلاة والسلام من عند انفسهم وتقرير الثاني ان المراد انكم لسارقون يوسف من ايدى الانهم لم يصرحوا بهذا المعنى على ما هو الاصل وتقرير الثالث ان تعبى السقاية واخفاءها ثم النداء بنسبة السرقة اليهم كان برضى بنيامين فلم يتألم قلبه بسبب نسبة السرقة اليه فخرجت عن كونها ذنبا وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما ظهر لاختيه انه اخوه يوسف قال فانا لا افارقك بعد هذا فقال يوسف عليه الصلاة والسلام قد علمت والوالدين بانقطاعك عنهما بغير سبب يوجب ولا يمكن حبسك الا بعد ان اشهر لك بامر فطبع قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعى هذا في رحلك ثم نادى عليك بالسرقة لينهيالى ردك بعد تسريحك معهم ففعل ذلك برضاه وتقرير الجواب الرابع ظاهر وهو ان المعنى انكم لسارقون على سبيل الاستفهام فلا يكون كذبا (قوله لانها تعير اى تردد) يقال عار في الارض يعير اى ذهب والعار الناقصة التي تخرج على الابل اى تعرض على الفحل وعار انفرس اى انقلب وذهب ههنا وههنا من مراحه ونشاطه ويسمى الاسد عيارا النجيبه وذهابه في طلب صيده والعير بالكسر جمع عير بالفتح واصطفاها عير بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لثلاث تغلب الياء واوا كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض اصله بيض نجوا حروجر (قوله واقبلوا عليهم) جملة خالية من فاعل قالوا اى قالوا في حال اقبالهم عليهم (قوله وقرئ صاع) قيل لا فرق بين الصاع والصواع بناء على قراءة صاع الملك مكان صواع الملك وقيل الصواع اسم والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فكوز اسم والسقاء وصف وجمع صواع صيعان كقربان وقرآن وجمع صاع اوصوع كباب وابواب * وكتم الدواب هوسد افواهها بالكعام والكعام شئ يجعل في فم البعير يقال كتمت البعير اذا سدت فمه في هياجه فهو مكتموم (قوله قسم فيه معنى التجب) اى يلازمه التجب غالبا وبند قوله تعالى تالله تفتأ تذكر يوسف والمعنى ما اعجب حالكم انتم تعلمون علما حاليا لا رب فيه لما شاهدتم من احوالنا اننا بريئون مما تنسبونه اليها فكيف تقولون لنا انكم لسارقون (قوله فهو جزآؤه) تقرير للحكم والزام له حكموا اولابان جزآء سرقة الصواع اخذ من وجد في رحله واسترقاقه ثم قرروا ذلك الحكم والزموه بقولهم فهو جزآؤه اى فاخذ السارق نفسه هو جزآء سرقة كقولك حق زيد ان يكسى وينعم عليه ثم تقول فذلك حقه تقرر به ما ذكرته من استحقيقه لذلك وتلزمه به (قوله او خبر من) اى ويحتمل ان يكون جزآؤه مبتدأ ومن موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ ثان او شرطية وقوله وجد في رحله فعل الشرط وقوله فهو جزآؤه جواب الشرط ومن مع مافى خبرها على التقديرين خبر المبتدأ الاول وهو جزآؤه (قوله على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير) جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى من وجد في رحله فهو جزآؤه خبرا للمبتدأ الاول ولا غنى فيه يعود على الاول وتقرير الجواب انه لو قال من وجد في رحله فهو هو لتحقت الابطال لكنه اقام الظاهر الثاني مقام ذلك الضمير فحصل الربط بذلك كما نقول لصاحبك من اخوزيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه عظمير يقوم مقام المضمر ثم ان اخوة يوسف لما اختا بان جزآء السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف لا بد من تقشيش او عيشكم فبدأ بتقشيش او عيشهم قبل وعاء بنيامين لتفى التهمة ثم استخرجها من وعاء بنيامين فخبسه عنده بمقتضى فتواههم (قوله بان علمناه اياه واوحينا به اليه) فسر الكيد المستند اليه تعالى بالعظيم والايماء لان حقيقة الكيد مستحيل في حقه تعالى وذلك لان الكيد عبارة عن المكر والخديعة وهوان توهم غيرك بخلاف ما تخفيه فهو في حق الله تعالى محمول على التمثيل فان صورة صنع الله تعالى في تعليم يوسف عليه الصلاة والسلام ان لا يحكم على اخوته حكم الملك وهو ان يضرب السارق ويعرجه مثلى

والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاجال لانها تعير اى تتردد فليل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصطفاها فعل كسقف فعل به ما فعل بيض نجوزبه لقافلة الجبر ثم استعير لكل قافلة (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) اى شئ صناعتكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقده اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والعين وصواع من الصياغة (ولن جاء به حل بعير) من الطعام جعلاله (وانابه زعيم) كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجملة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التجب واتاء بدل من الباء مختصة باسم الله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كاسارقين) استشهدوا بعلمهم على برآءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي بجيئهم ومداد خلتهم للملك مما يدل على فرض امانيهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكتم الدواب لثلاث تناول زرعاً او طعماً مالا احد (قالوا فاجزآؤه) فاجزآء السارق او السرقة او الصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) في ادعاء البرآءة (قالوا جزآؤه من وجد في رحله فهو جزآؤه) اى جزآء سرقة اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزآؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزآؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزآؤه من وجد في رحله فهو هو (كذلك نجيزى الظالمين) بالسرقة (فبدأ بادعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر (قيل وعاء اخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء اخيه) وقرئ بضم الواو وبقابلها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كد ناليوسف) بان علمناه اياه واوحينا به اليه (ما كان لياخذ اخاه في دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد

ما اخذه بل يحكم عليهم على سنن مذهبهم وهو ان يستبد السارق ستة صورة صنع من يومهم اغير خلاف ما ينبغي
 لان مقصود يوسف عليه الصلاة والسلام اواء اخيه اليه وكان لا يتم ذلك الا بهذه الحيلة ولما كان قوله تعالى ما كان
 ليأخذ اخاه في دين الملك هو عين الكيد قال المصنف هو بيان للكيد (قوله فالا ستماء من اعم الاحوال)
 اى ما كان ليأخذ في كل حال الا في حال كونه ملتبسا بمشيئة الله تعالى واذنه للملك ان يجعل ذلك الحكم حكم نفسه
 ويجوز ان يكون الا ان يشاء الله كلمة بأيد كانه قيل ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ابدا لانه جل من انصف
 بمنصب النبوة عن ان يحكم بين الكفار نحو قوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم
 ما ان يشاء الله ابدا او قرأ الكوفيون درجات بالتورين والباقون بغير تورين وقرأ يعقوب بالياء التختانية في رفع
 وفتاء والفاعل هو الله تعالى فان قرئ درجات من نساء بالاضافة يكون درجات مفعول رفع وان قرئ منونا
 غير مضاف يكون من نساء مفعول نرفع ويكون درجات منصوبا على الطرفية او بزرع الخافض اى الى درجات
 والجملة استئناف تقرر مضمون قوله تعالى كذلك كذا ليوסף وقوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييل لمسا قبله
 فان اتذيل ان يعقب الكلام بما يستعمل على معناه تأكيده وهو من هذا القبيل فانه تعالى بين اولا ان اخوة
 يوسف عليه الصلاة والسلام وان كانوا اعلماء فضلاء الا انه تعالى فضل يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم في العلم
 ثم قرر ذلك بقوله نرفع درجات من نساء بسبب العلم كارتفاع درجات يوسف وأكد ذلك بانه المنفرد بالعلم الكامل
 وان علوم جميع الخلائق مستفادة من فائضة عليهم تعليمها اليهم فيكون فوق كل ذي علم من خلقه (قوله) واحتج به
 من زعم انه تعالى عالم بذاته لا يعلم زائد يقوم به وهم المعتزلة الذين يقولون انه تعالى عالم وليس بذى علم لانه
 لو كان ذاعما لكان فوقه عليم لعموم هذه الآية وهو باطل واجاب عنه المصنف بتخصيص عموم قوله تعالى كل ذي علم
 من الخلق لان الكلام فيهم لما ذكرنا في بيان كون قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذيلا لما قبله وكيف لا يخص
 هذا العام وقد دل سائر الآيات على انه تعالى ذو علم منها قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى انزل به علمه
 وقوله تعالى لا يحيطون بشيء من علمه وقوله تعالى ولا تضع الا يعله ولما وقع التعارض بين هذه النصوص وبين
 ما تمسك به الخصم وجب تخصيصه بذى علم من الخلائق اعتمادا على قيام قرينة التخصيص توفيقا بين النصوص
 وبما دل على ارادة الخصوص ان العلم لكونه صفة مشبهة مبنية من علم بعد نقله الى فعل بضم العين حتى يكون
 فعلا لازما من الافعال الغريزية يدل على المبالغة في انصاف الذات بما قام به من حيث كونه امر استمراداً ثم
 السبوت كما هو شأن الافعال الغريزية وكان العليم بمعنى من له العلم البالغ وهو الله عز وجل فاذا كان المنفصل
 بالعلم هو الله تعالى لكونه المفضل عليه هو العلماء من الخلائق فيكون المراد بقوله كل ذي علم من له علم من الخلق
 (قوله) ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم دليل ثالث على ارادة الخصوص وتقريره ان قوله
 تعالى فوق كل ذي علم وان كان بمعنى كل واحد على ان تكون كل استغراقية ومن المعلوم انه تعالى لا يدخل
 في كل العلماء والا لما كان فوقه لان من كان فوقه يكون خارجا عنه لاحتمال ان الصواع لما خرج في رحل بنيامين
 افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا لثبته لسا حتم ان يسرق فقد سرق اخاه من قبل يعنون ان هذه الواقعة
 ليست بعيدة منه فان اخاه الذي هلك كان ايضا سارقا ونحن ايضا لسنا على طريقتهما وسيرهم حالهم ما من ام اخرى
 ثم قالوا يا بني راحيل ما اكثر البلاء علينا من قبلكما فقال بنيامين ما اكثر البلاء علينا منكم ذهبتم باخي وضيعتموه
 في المفازة ثم تقولون في حق هذا قالوا له كيف خرج الصواع من رحلك قال وضعه في رحلي من وضع البضاعة
 في رحلكم واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام على اقوال الاول انه كانت لابراهيم
 عليه الصلاة والسلام منطقة توارثها اكارولده وتبركون بها فوارثها اسحق ثم دفعت الى ابنته عمة يوسف وكانت
 اكبر اولاده وكانت تحب يوسف حبا شديدا بحيث لا تصبر عنه وكانت حضنته بعد وفاة امه فلما شب يوسف اراد
 يعقوب ان يترعه منها فاختلفت بان شدة المنطقة على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من
 اخذها ففتشوا عنها فوجدوها متدودة على يوسف فقالت انه سرقها مني فكان سلمى وكان حكمهم ان من سرق
 يسرق فتوسلت بهذه الحيلة الى امهاكه عند نفسها فتركه يعقوب عندها الى ان ماتت والقول الثاني ماروي عن
 سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه انه كان جده ابوامه كافرا يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق ذلك الوثن ليزك
 عبادة الاوثان والعناق الاثني من ولد المعز (قوله) وقيل انها كآية بشرية التفسير يعنى ضمير اسرها مبهم

(الا ان يشاء الله) ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك
 فالا ستماء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
 اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه (نرفع درجات
 من نساء) بالعلم كارتفاع درجاته (وفوق كل ذي علم
 عليم) ارفع درجة من راحيل واحتج به من زعم انه تعالى عالم
 بذاته اذ لو كان ذاعما لكان فوقه من هو اعلم منه
 وال جواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام
 فيهم ولان العلم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم
 البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء
 عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين
 (فقد سرق اخاه من قبل) يعنون يوسف قيل وورث
 عنته من ابيه منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت
 تخص يوسف وتجه فلما شب اراد يعقوب ان تراعه
 منها اشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها
 فتمسك عندها فوجدها محرمة عليه فصار ت
 احق به في حكمهم وقيل كان لابامه صنم فسرقه
 وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق
 او دجاجة فاعطى السائل وقيل دخل كنيسة واخذ
 تمثالا صغيرا من الذهب فاسرها يوسف في نفسه
 ولم يريها لهم) اكنها ولم يظهرها لهم والضمير
 للجارية او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها
 كآية بشرية التفسير يفسرها قوله (قال انتم
 سرقتموها) فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه
 انتم سرقتموها اي منزلة في السرقة لسرقتموها احاكم
 او في سوء الصنيع مما كنتم عليه واثبتها باعتبار
 الكرامة والجملة وفيه نظراذ المفسر بالجملة لا يكون
 الا ضمير انسان (والله اعلم بما تصفون) وهو يعلم
 ان الامر ليس كما تصفون

(قالوا يا ايها العزيز ان له ابائنا كبريا) في السن وانقدر ذكر وال حاله استعطا فله عليل (فخذ احد نامكاته) بدله فان اباه شكلان على اخيه انها لك مستأنس به (اناراك من المحسنين) اليان فاعلم احسانك او من المتعدين الاحسان فلا تغرب عادتك (قال مع الله ان نأخذ الامن وجدنا متاعا عنده) فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه (ان انا الظالمون) في مذهبيكم هذا أو ان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورشاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما (فلما استأى سوادته) يسو من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين واثاء اللبالبغة وعن انبري استياس بالالف وقبح الياهن غيرهم واذا وقف جزاة في حركة الهمة على الياء على اعله (خصوصا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متاجين وانما وحده لانه مصدر ار برنته كاقيل هم صديق وجمعه انجية كندى والدية (قال كبرهم) في السن وهو رويل اوفى الزأى وهو سمعون وقيل يهودا (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهد اوتوا فاعل جعل حلفهم بالله موثقا له باذن منه وتأكيده من جئته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما نرطم في يوسف) قدسرت في شأنه وما من زيادة ويجوز ان يكون مصدرية في موضع النصب باله طف على مفعول تعلموا ولا بأس بانفصل بين الماطف والمطوف بانظر فاعلى اسم ان وخبره في يوسف او من قبل اوارفع بالابتداء والخبر من قل وفيه نظر لان قل اذا كان خبرا او صلة لاية ناع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اي ما نرطاه بمعنى ما قد يمتوه في حقه من الخيانة ومحلها ما تقدم (فلن ابرح الارض) فان افارق ارض مصر (حتى يأذن لي ابي) في الرجوع (او يبيحكم الله) او يقضى الله لي بالخروج منها او يخلص اخي منهم اوباللة تهم معهم فخالصه روى انهم كلوا العز في الخلافة فقال رويل ايها المالك والله تترك اولاصحن صيغة تفع منها الحوامل ووقت شعور جده فخرجت من يابه فقال يوسف عليه السلام لابنته قم الى جنبك وكن بنوا يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم ضد الآخر ذهب غضبه لرويل من هذا ان في هذا البار ليذرا من يذرع يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه لا يكون الا بالحق (ارجعوا الى ابيكم) فقولوا يا ابا ان ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرى سرق اي نسب الى السرقة

يفسره قوله تعالى اتم شرمكانا فان قيل لو كان بدلا من اسرهما لكان مفعول القول وهو اتم شرمكانا مفسرا الضمير اسرهما فان الاضمار على شرطية التفسير على ضميرين احدهما ان يفسر بمقر دحوقهم رجلا زيدا في نعم ضمير هو الفاعل ورجلا تفسيره ومثله ربه رجلا وثانيهما ان يفسر بجملة نحو قول هو الله احد اي الامر الله احد واث الضمير المفسر بقوله اتم شرمكانا لما ذكر واثا قال في نفسه لان هذه الجملة لما وقعت تفسيرها لضمير اسرها وجب ان يقولها يوسف في نفسه (قوله او من المتعدين الاحسان) الجملة على التقديرين استئناف لبيان الموجب لان المعنى على الاول فخذ احد نامكاته اما على طريق الاستبعاد او على طريق الرهن الى ان يوصل اليك الفداء كما كنت تحسن اليها فيما سلف فيكون هذا الاحسان من تحت المعنى على الثاني اثبات احسانه على العموم في كل اناس (قوله هذا) اي فخذ هذا فانه هو المعنى المستفاد من الظاهر الا ان المراد اننا الظالمون بالعمل على خلاف ما اذن الله فيه (قوله و زيادة السين واثاء للبالغة) فان السين لا طاب قتل على انهم كانوا في بأس وهو انتفاء الطمع فطلبوا من انفسهم الزيادة على ما هم فيه وبناء استغفل شاعسى المجر الا انه ابلغ منه (قوله واثا وحده) مع ان ذا الحمال جمع لانه مصدر بمعنى التاجي كالصهيل والتهيق الاول صوت الفرس والثاني صوت الحمار يقال سهل الفرس يسهل بالكسر سهيلا وصفة بمعنى التاجي كالهثير بمعنى العاشر على ان وزن فعل مثل صديق فيوحد لكونه على زنة المصدر فمعمل معاملة المصدر وعلى تقدير كونه مصدر ا يكون المعنى انهم انفردوا عن اناس فصاروا بحيث لا يخاطبهم سواهم كائين تاجيا محضا لا سجيما عنهم لذلك واستفادتهم فيه بجد وانتم كانوا في انفسهم صورة التاجي وحقيقته وكان تاجيهم في تدبيرهم هم باي صفه يذهبون وماذا يقولون لا يهيم في شأن اخيهم (قوله وما من زيادة) ذكر في كلمة ماثلا لثا اوجد الاول ان تكون من يد فيعلق النرف الذي قبلها بالفعل الذي بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطم اي قصرتم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام وشأنه وزيادة ما كثيرة واثاني ان تكون ما مصدرية فيكون ما فرطم في تأويل المصدر المنسوب او المرفوع محلا ووجد النصب العطف على مفعول تعلموا وهو ان اباكم قد اخذ اي الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق وتقرى بطم في يوسف من قبل غاية ما في الباب ان قوله من قبل وقع فاصلا بين المطوف والمطوف عليه ولا بأس به وان قال بعضهم انه لا يجوز الا في ضرورة الشعر والوجد الثاني للنصب كونه معلقا على اسم ان اي الم تعلموا اباكم قد اخذوا ان تقرى بطم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل او ان تقرى بطم من قبل هذا واقع في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ووجد الثاني كون المصدر الماول مبتدأ ومن قبل خبره قدم عليه اي وتقرى بطم في شأن يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل واورد عليه ان الظروف التي هي غايات اذا ثبتت لكونها معلقة عن الاضافة لا تقع اخبارا للمبتدأ وكذا الاتع صفة ولا صلة ولا حالا لانها لذلك تنفي ناقص فلا تفيدها خبرا ولا شيئا من ذلك فانك تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا تقول والسفر بعد وتقول زيد عمر وخلفه ولا تقول زيد عمر وخلفه والوجه الثالث في كلمة ما ان تكون موصولة اسمية بمعنى الذي فيكون التقرى بطم على هذا الوجه بمعنى التقديم لا بمعنى التقصير ويكون محلها ما تقدم على تقدير كونه ما مصدرية وهو الرفع على الابتداء وخبرها من قل وانه تقدير والذي قد يمتوه في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع قبل هذا وانصب مطوف على مفعول الم تعلموا وانتقد ر الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق والذي قد يمتوه في حق يوسف من قبل ثم انهم لما تاجوا وتفكروا قال كبرهم ان ابانا قد اخذ علينا موثقا من الله وايضا نحن منهمون بواقعة يوسف فليس لنا مخلص من هذه الورطة فاننا لا افارق ارض مصر الا ان يأذن لي ابي في الانصراف اليه او يبيحكم الله واما انتم فارجموا الى ابيكم واذكروا له كيفية الواقعة كما وقعت من غير تفاوت كما قال ارجعوا الى ابيكم الآية (قوله لسرق) على ما شاهدناه من ظاهر الامر) جواب عما يقال كيف حكموا عليه انه سرق بمجرد ظهور الصواع في رحله مع قيام احتمال ان يضعه فيه غيره لحكمة مع ان بنيامين قال لهم كيف تنسبونني الى السرقة بمجرد وجد ان الصاع في رحلي فان كان هذا القدر مصححا لسبب السرقة الى احدايكم ان تكونوا سارقين لوجود البضاعة في رحالكم وتقرر الجواب انهم اما قالوا ذلك بناء على انهم شاهدوا ما يدل على كونه سارقا بحسب الظاهر فانهم شاهدوا ان اصحاب المالك اخرجوا الصواع من رحله بعد ما ادعوا السرقة عليهم وقشوا رحالهم وحكموا بذلك على السارق واخذوا بحكم السرقة فهذا السبب غاب على ظنهم انه سرق فشهدوا عليه بان سرق بناء على الظن ثم ينو انهم غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا وما شهدنا

الا بما علمنا اي عماراً من انهم اخرجوا الصاع من رحله وسكبوا بذلك على انه سارق واما حقيقة الحال فغير معلومة لنا فان الغيب لا يطلع الا الله تعالى فالمراد بالغيب على هذا باطن الحال وقيل المراد به عواقب الامور فالعني ما كنا نعلم ان انك سرق اي انك ستصاب به كما صبت يوسف ولو علمنا ذلك لما ذهبت اليه الى الملك ولما اعطيناك موثماً من الله تعالى في رده اليك ثم انهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام امر كبيرهم بان يبالغوا في ازالة الاتهام عن انفسهم ويقولوا واسأل القرية التي كنا فيها اي وقولوا اسأل اقربى ليتبين لك صدقنا وقال المفسرون المراد بالاحباب المبرقون من الكنعانيين صحوهم متوجهين الى كنعان فقالوا لايهم واسألهم ايضا عن هذه الواقعة يظهر لك صحة ما قلنا (قوله تأكيد في محل القسم) اي ليس المقصود بقولهم وانا لصادقون اثبات صدق انفسهم بذلك لانه اثبات الشيء بنفسه قيل مقصودهم به تأكيد ما يدل عليه قولهم اسأل القرية واسأل المبرقون الانسان اذا قدم ذكر الدليل القاطع على صحة دعواه يقول بعد ذلك وانا صادق فيما ادعيتة يعني بذلك ان يقول تأمل فيما ذكرته من الدليل ليرزول عنك الشبهة فيما ادعيتة (قوله وقالوا له ما قال لهم اخوهم) اي الكبر اشارة الى ان قوله تعالى ارجعوا الى ابيكم الى قوله وانا لصادقون من كلام كبيرهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما سمع من ابنائه ذلك الكلام لم يصدقهم فيما ذكره في حق بنيامين كما انه لم يصدقهم فيما ذكره في واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال بل سولت لكم انفسكم امرا فاصبر جيل في هذه الواقعة كما قاله بعينه في واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان المصنف فسر الامر الذي سولته لهم انفسهم هنالك الامر العظيم الذي لا يقبل الوصف وهو ان يهلكوا يوسف ويمتدوا لايهم بالباطل وفسره ههنا بان افنوا الملك ان جزاء السارق ان يؤخذ والا فادري الملك ان السارق يؤخذ بسرقة لان ذلك انما هو من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام لان دين الملك ولو لا قواكم وتعليمكم لما حكم الملك بذلك والفرق بين الواقعتين انهم في واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام استحبوه في الخروج الى البادية ولم يرجعوا به فاسب ان يفسر الامر فيها بذلك واما في واقعة بنيامين فانهم لم يعتمدوا في حقه سوء ولم يخبروا اباهم الا بالواقع على جليته فلم يصح ان يستند احتباس بنيامين عند الملك اليهم الامس حيث انه كان ذلك على وفق ارادتهم فانهم لما كانوا متهمين عند يعقوب عليه الصلاة والسلام بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام اتهمهم ايضا في واقعة بنيامين بان قال لهم ان الملك انما فعل بشئنا كما له به افرض لكم وظن انهم اغتوه بذلك بعد ظهور السرقة ارادة ان يخلفوه عند الملك ويرجعوا الى ابيهم دونه لان اخذ السارق لم يكن من دين الملك ولكن كان من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك نتيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم وكان الواقع انهم استنوا قبل ان يظهر الصواع فبهم فذكروا ما عتدهم من الجواب حيث قيل لهم فاجزأوه ان كنتم كاذبين فقالوا جزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه فاقوا ولم يشعروا ان المراد الزامهم بما قالوا (قوله واخيها الذي توقف بمصر) وهو الذي قال فلن ابرح الارض اي لن اخرج من مصر حتى يبعث الى ابي ان آتيت او يقضي الله تعالى في امري شئاً فانهم حين ذهبوا الى البادية اول مرة كانوا اثني عشر فضاع يوسف وبقي احد عشر ولما رسلهم الى مصر عادوا تسعة لان بنيامين حبسه يوسف واحتبس ذلك الكبير الذي قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي فلما باغ الغاصبون ثلاثة لاجرم قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا (قوله عليه الصلاة والسلام يا اسفا على يوسف) الالف فيه منقلبة عن ياء التكلم والاصل يا اسفى فتفتحت الفاء وصيرت اياء الفاء طلباً للتخفيف لان الفتحة والالف اخف من الكسرة والياء ولتحصل امتداد الصوت الذي هو المقصود في التدامة ونداء مثل الاسف والحسرة مجاز والمقصود انتاء التأسف والتعزن لتحقيق ما يوجهها وقوة ما يدعو اليها من الاسباب والعلل كانه يقول هذا اوانك ايها الاسف فاحضر (قوله وفي الحديث الخ) اشارة الى جواب ما يقال اليس ان الاولى عند نزول المصيبة الشديدة ان يقال انا لله وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور في قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فلم يسترجع يعقوب عليه الصلاة والسلام بل قال يا اسفا وتقرير الجواب ظاهر (قوله لكثرة بكائه) اشارة الى ان قوله تعالى وايضت عيناه من الحزن كناية عن غلبة البكاء فان من غلب عليه البكاء يكثر الماء في عينه فصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء قيل ما جفت عينا يعقوب عليه الصلاة والسلام من وقت فراق يوسف عليه الصلاة والسلام الى وقت لقاءه

(وما شهدنا) عليه (الامعاء) بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) باطن الحال (حافظين) فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما صبت يوسف (واسأل القرية التي كنا فيها) يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم التنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة (والمبرقون اقبلنا فيها) واصحاب المبرقون توجهنافهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد في محل القسم (قال بل سولت) اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي ريت وسهلت (لكم انفسكم امرا) اردتموه فمرتموه والا فادري الملك ان السارق يؤخذ بسرقة (فاصبر جيل) اي امري صبر جيل او فاصبر جيل اجل (عسى الله ان ياتيني بهم جميعا) يوسف وبنيامين واخيها الذي توقف بمصر (انه هو العليم) بحالي وحالهم (الحكيم) في تدبيره (فتولى عنهم) فاعرض عنهم كراهة لمصادف منهم (وقال يا اسفا على يوسف) اي يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف استدالحزن والحسرة والالف بدل من ياء التكلم وانما ساء على يوسف دون اخويه والحادث رزوهما لان رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضاً أخذ اجتماع قلبه ولانه كان واقفاً بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعظمه من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الامة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا وايضت عيناه من الحزن) لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة بمحقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عي

وكان ينتهسا ثانون عاما وقيل ضعف عينا اي ضعف بصره وقيل عني ويؤيد القول الاول قوله تعالى بما خطاياهم اغرقوا اذا الحزن لا يكون علة لضعف البصر فضلا عن العمي وانما يكون علة لكثرة البكاء فلو جئنا الايضاح على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا بخلاف ما لو جئناه على ضعف البصر او العمي فكان القول الاول اولي (قوله وقرئ من الحزن) بفتحين وقرأ العامة بضم الحاء وسكون الزاي وهما لثان كالعدم والعدم (قوله) فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على الثاني (وتفتأ ههنا جواب القسم في قوله تالله وتقديره لا تفتأ ويدل عليه اي على حذف حرف النفي فيه انه لو كان مثبتا لكان بلا م الابتداء ونون اثنا كيد معا عند البصريين نحو والله ليفعلن او باحدهما عند الكوفيين فلو قيل والله احبك كان المراد لا احبك وهو من قبيل التورية فان كثيرا من الناس يتبادر ذهنهم منه الى اثبات المحبة وليس كذلك فظهر ان المعنى لا تفتأ ونظيره في كون حرف النفي مضرا قول امرئ القيس * فقلت لها تالله ابرح قاعدا * والمعنى لا ابرح وتماه ولو قطعه وارأسى لديك واوصالى * الا وصال جمع وصل بكسر الواو وهو المفضل قيل ان امرأ القيس سرى الى ليلي ابنة قيصر فقالت له تريد ان تفضحني ألت ترى رب السماء والرقباء راقدين حولي فقال مجيبا لها لا ابرح حتى آتيك واقضى منك حاجتي ولو قطعت ابراريا ولا تفتأ من الافعال الناقصة بمعنى لا تزال فترفع الاسم وهو الضمير المستتر فيها وتنصب الخبر وهو الجلالة من قوله تذكر اى لا تزال ذا كرا ورسمت هذه اللفظة تفتأ بالواو والقياس تفتأ بالفاء ولذلك يوقف لجزء بالوجهين اعتبارا بالخط الكريم او القياس (قوله وهو في الاصل مصدر) ومعناه الاشياء على الموت لا اختلال الجسم والعقل وفسادهما لا لجل الحزن واوجب يقال منه حرص الرجل يحرص حرصا يتخى الرأ فهو حرص بالكسر للرأ ويوصف به العين واحدا كان او كثيرا مذكرا كان او مؤنثا يقال هو حرص وهما حرص وهم حرص وهي وهما وهن حرص وقد ورد في الآية بمعنى التعت على الوجه المذكور في نحو رجل عدل وهو ان يكون المراد انه ذو حرص خذف المضاف او يكون المراد انه لما انتهى في الفساد والضعف صار كانه عين الحرص ونفس الفساد قال الراغب الحرص ما لا يبأ به ولا خير فيه ولذلك يقال لمن اسقى على الهلاك انه حرص ومنه قوله تعالى حتى تكون حرصا قال الامام الاظهر ان الذين كانوا في الدار من اولاد اولاده وخدمه وارادوا بهذا القول متعد من كثرة البكاء كانهم قالوا انت الآن في بلاء شديد وتحتاج ان يحصل ما هو ازيد منه واقوى وحلوه اعلى ذلك بل انهم مع ذلك يعلمون ذلك قطعانها على الظاهر فان تحمل المشاق والاستمرار عليه يؤدي الى فساد البنية واختلال العقل مع القوى ثم حكى الله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام انه قال انما اسكوبى وحزنى الى الله بمعنى ان هذا الذي اذكره لا اذكره معكم وانما اذكره في حضرة الله تعالى وبث الشكوى اليه تعالى والاتجاه اليه هو محض العبودية (قوله همى الذى لا قدر الصبر عليه) يريد ان البت اشدهم كانه لقوته لا يطيق تحمله فينه الانسان اى يفرقه فالبت هو الهم المبوت لعدم القدرة على كتمه فان الانسان ما يمكنه ان يمسك لسانه عن ذكر ما به من الحزن لم يكن ذلك الحزن مستويا عليه واما اذا عظم وعجز الانسان عن ضبطه وانطلق اللسان بذكر ما به كان ذلك بشا وانظروا انه مصدر بمعنى المفعول ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل اى انذى فرق بين جعى وحضورى وبث فكرى والحزن اعم من البت فاذا عطف على الخاص يراد الافراد الباقية فيكون المعنى لا اذكر الحزن العنيف ولا الحزن القليل الا مع الله تعالى (قوله من صعد ورجته) على ان من تبعيضه وعلى الثاني اجتداية (قوله رأى ملك الموت في المنام فسأله) اى هل قبضت روح ابني يوسف الخيان لسبب قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لم يطع في وجد ان يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر من الامارات قال لزيد على سبيل المطف يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف فان قلت كيف خاطبهم بهذا المطف وقد تولى عنهم فالجواب ان اتولى عنهم ملجأ الى الله تعالى والشكاية اليه والاعراض عن الشكاية الى احد منهم او غيرهم لا ينسب في الملاطفة والسكامة معهم في امر آخر (قوله فتحسسوا) اى تعرفوا واستقصوا خبره يحسسواكم فان التحسس طلب الشيء بالأساسة وقوله من حالهما اشارة الى ان من التبعض اى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف وتعرفوا بعض اخباره واتجهوا على فتح الرأ من روح الله عن الاصمعي ان الروح ما يبعده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه وتركيب الرأ والنوا والحاء ينفذ الحركة والا هتز اذ فان كل ما يهز الانسان وبلتذ بوجوده فهو روح والمراد به ههنا رحمة الله تعالى وتنفيذ ومن قرأه بضم الرأ جعله مستعارا لرحمة الله

وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفتع ولعل اشغال ذلك لادخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند السدا تد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يخطئ الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون (فهو كظم) مملوء من الغيظ على اولاده ممسكه في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملء او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واسدله كظم البعير جرحه اذا ردها في جوفه (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) اى لا تفتأ ولا تزال تذكره فبمعنا عليه حذف لا كما في قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على الثاني (حتى تكون حرصا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرص الذى اذا به امرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والتعب بالكسر كدنف ودف وقد قرئ به وبفتحين يجنب (او تكون من الهالكين) من الميتين (قال انما اشكوبى وحزنى) همى الذى لا قدر الصبر عليه من البت بمعنى النشر (الى الله) لا الى احد منهم ومن غيركم فذاوى وشكاكى (واعلم من الله) من صعد ورجته فانه لا ينبغي داعيته ولا يدع الملجى اليه او من الله بنوع من الالهام (ما لا تعلمون) من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يضره اخوته سجدا (يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) فعرفوا دهمما وتفحصوا من حالهما والتحسس طلب الاحساس (ولا تأسوا من روح الله) لا تفتظوا من فرجه وتنفسه وقرئ من روح الله اى من رحمة الله التى يحيى بها العباد (انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يفتظ من رحمة فى شئ من الاحوال

تعالى تبيها لها بالروح التي يحيي بها العباد (قوله بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية) إشارة الى ان في الكلام محذوفاً والتقدير ان يعقوب لما قال لنيه اذهبوا فتحسسوا قبلوا من ايهم هذه الوصية فعادوا الى مصر ودخلوا على يوسف عليه الصلاة والسلام فقالوا يا ايها العزيز الالة فان قيل اذا كان يعقوب امرهم ان يحسسوا امر يوسف واخيه فلم عدلوا الى التكوى وطلبوا ايشاء الكيل اجيب بان التحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالبحر وضيق اليد ورقة الحال وسدة الحاجة مما يرق القلب فقالوا نختبره بذكر هذه الامور فان رق قلبه اناذركم بالمقصود والاسكتنا وارادوا بالضرر والفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وباهلهم من خلفهم (قوله رديئة او قليلة ترد وتدفع) يريد ان من جاة اسم مفعول من ازجيت الشيء اذا دفعته ورددته فقولهم من جاة بمعنى مدفوعة يدفعها كل احد عنه ما رآه على ما قيل من ان بضاعتهم كانت زيوفا لا تنفق في ثمن الطعام اولقتهما قال ابو عبيد انما قيل للدراهم الرديئة من جاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يتفقهها فان الازجاء في اللغة السوق والدفع قليلا ومنه قوله تعالى المترن الله يزجي سبحا اي يسوقها بالريح ويقال ازجيت الابل اي سقتها وزجيت الشيء ترجية اي دفعته برفق وفي الصحاح المزجي الشيء القليل وبضاعة من جاة اي قليلة والريح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها اي تسوقه (قوله واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء) جواب عما يقال الاخوة كيف طلبوا الصدقة وهي محرمة على الانبياء وتقرير الجواب ان من فسر الصدق بالزيادة على ما سوي بضاعتهم المزجاة على وجه التصديق يخص حرمة الصدقة بنيينا محمد صلى الله عليه وسلم وامان قال بعموم حرمتها لجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يفسر بالوجوه الاخر ويقول التصديق هو التفضل مطلقا سواء كان من قبل اتفاق المال للمحتاجين او لم يكن فيتناول اطلاق المحبوس والمساخة في قبول الزيف والقليل (قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام) عطف على ما قبله من حيث المعنى فانه يفهم من ترتيب قوله تعالى قال هل علمت ما فعلتم يوسف واخيه اذا تم جاهلون على ما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم يا ايها العزيز بمننا واهلنا الضر ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى اخوته تضرعوا اليه ووصفوا ما هم عليه من شدة الرجاء وقلة الخبلة ادر كنه الرقة وضعف صبره فاقدّم على ان يعرفهم ويصرح لهم بانه يوسف عليه الصلاة والسلام الا انه آثر حق الله تبارك وتعالى على حق نفسه فقال مستفهما عن وجه فبح ما فعلوه يوسف عليه الصلاة والسلام واخيه وما صنعوه بهما شفقة عليهم وتصحيحا في امر الدين حيث حلهم به على الاعتراف بالذنب والاستغفار والتوبة منه ولم يرد بذلك المعاتبة والتثريب هو التعبير والاستقصاء في اللوم عليهم فعطف على هذا المفهوم قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام وكتب فيه من يعقوب اسرا بيل الله تعالى بن اسحق ذبيح الله تعالى بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام الى عزيز مصر اما بعد فان اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يده ورجلاه ورمى في النار ليحرق فبجاء الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابني فوضع السكين على قفاه ليقبل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الى فذهب مع اخوته الى البرية ثم اتوني بميمصه حلقطعا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به اليك ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانتك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلدسار فافان ردده على والادعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف عليه الصلاة والسلام الكتاب اقتصر جلده ولان قلبه وعمل صبره فقال لهم ذلك وفيه تصديق لقول الله تعالى ووحينا اليه كتبنيهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون (قوله اي هل علمت فبجه فبتم عند) قدر الفصح المضاف الى الموصول بناء على انه لا شك انهم كانوا عالين بنفس ما فعلوا يوسف عليه الصلاة والسلام واخيه فلا فائدة في طلب التصديق والاقرار بحصول علمهم به مع انه اثبت جهلهم بذلك بقوله اذا تم جاهلون والجهل لا يثبت مع العلم فلما قدر متعلق العلم والجهل كان المعنى هل استمر ذلك الجهل الحاصل زمان صدور ذلك الفعل حكتم المتعلق بجمعه او حصل لكم العلم بجمعه الموجب للرجوع عنه وتلافيه بالتوبة فان العاقل اذا علم فبح فعله بادر الى التوبة وكان علمه بذلك يلجئه اليها واستار الى سببية العلم اليها بقوله فبتم (قوله ولذلك) اي ولكون مقصودهم تحقيق كونه يوسف عليه الصلاة والسلام وتقريره اكد الكلام الاستفهامي بان ولا م ابتداء تعجبا منه (قوله وقرأ ابن كثير على الايجاب) اي قرأ انك بكسر الهمزة على لفظ الخبر وقرأ الباقر على الاستفهام ثم انهم اختلفوا فقرأنا فاع انك بفتح الالف غير مدود وبالياء وقرأ ابو عمرو

(فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز) بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا واهلنا الضر) شدة الجوع (وحشنا بضاعة من جاة) رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيت اذا دفعته ومنه ترجية الرمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفيا ومنه وقيل الصنوبر والحة الخضراء وقيل الاقط وسويق القمل (فافوا لنا الكيل) فاتم لنا الكيل (وتصدق علينا) بردا حينا او بالمصاحبة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما سويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او تختص بنيينا صلى الله عليه وسلم (ان الله يجزي المتصدقين) احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يتخى به نواب من الله تعالى (قال هل علمت ما فعلتم يوسف واخيه) اي هل علمت فبجه فبتم عند وفعلهم ياخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بجزء وذلة (اذا تم جاهلون) فبجه فذلك اقدمت عليه او عاقبته واما قال ذلك تصحيحا لهم وتقريرا على التوبة وسفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكهم لاسماتية وتثريباً وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تحليص بنيامين وذكر واهل ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك واما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال اولانهم كانوا حينئذ صبا نا طياشين (قالوا انك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول السلام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب

آتيك بعد الالف وبالياء وهو رواية قالون عن نافع رحمه الله تعالى وقرأ الباقون أنك بهزتين وكل ذلك على الاستفهام واللام في لانت لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران (قوله بروأته) أي بمنظره وشماله خصائله والسامة بتخفيف الميم الخال (قوله ذكره تعريف نفسه) جواب عما قيل أنهم سألوه عن نفسه فكان مقتضى الظاهر أن يقال بلى أنا يوسف فلم أجابهم عنها وعن أخيه معا على أن أخاه كان معلوما لهم فاجاب بانه لم يذكر أخاه لتعريفه وانما ذكره لتعريف نفسه به تفخيما الشأن أخيه بانه أشد اتصالا به فانهم سألوه عن حقيقة كونه يوسف عليه الصلاة والسلام حيث أتوا بالهزيمة المؤكدة للتجرب وادخلوا اللام في الخبر فاجاب بقوله عليه الصلاة والسلام أنا يوسف على الحقيقة وهذا الخبر المشاهد أخى من أبى وامى وفى ذكر الأخ وإيراد اسم الإشارة مزيد تقرير وفضل بمنزلة التمييز والبيان بانه يوسف لا محالة وفى التصريح باسمه الشريف عليه السلام وعدم اقتصاره بأن يقول أنا الذى ظلمتمونى فأداة أخرى وهى أن ذكر الشئ باسمه العلم يفيد تمييزه فكانه قال أنا الذى ظلمتمونى على أعظم الوجوه حيث ألتفتونى فى البر وقصدتم قتلى ثم إن الله تعالى أوصلنى الى أعظم المناصب وصيركم كأترون (قوله لا تأتیب) أى لا تعنيف ولا تؤم يقال أنه تأتیب أى عتفه ولا مة لما اعترفوا بذنوبهم وبكونهم خاطئين آمين فى امره قال لا تغير ولا توبخ عليكم بعد اليوم قد انقطع عنكم توبيخى عند اعتزافكم بالذنوب وفى الحديث اذا زنت امرأة احدمك فليضربها الحد ولا يثر بها بالزنى والثرىب ازالة الثرب كان الجليلد ازالة الجلد سمى التربع تثرىبا تثرىبها له بالثرىب فى اشتغال كل منهما على معنى التزريق (قوله او بالمقدر الجبار) أى هو متعلق بالذى قدر متعلقا عليكم فان عليكم خبر لقوله لا تثرىب متعلق بمعنى الاستقرار واليوم ايضا متعلق بما تعلق به هذا الخبر أى لا تثرىب مستقر عليكم اليوم والمثنى بلا التثنية لثنى الجنس هو ماهية التثرىب وحقيقته ونفى الماهية يقتضى انتفاء جميع افراد الماهية فلا دلالة فى اللفظ على كون المثنى تثرىب التكلم فقط والمصنف انما حكم بكون المعنى لا تثرىبكم بمعونة المقام ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ازال عنهم تثرىب الدنيا وما لمها طلب من الله تعالى ان يغفر لهم فى الآخرة فان المراد بقوله يغفر الله لكم الدعاء فعلى هذا يكون الوقف على قوله لا تثرىب عليكم اليوم ويبدأ بقوله تعالى يغفر الله لكم وعلى تقدير أن يكون اليوم متعلقا بقوله يغفر الله لكم يوقف على قوله تعالى لا تثرىب عليكم ويبدأ بقوله تعالى اليوم يغفر الله لكم ويكون فحوى الكلام انه نفى عنهم جميع افراد تثرىب بنى حقيقته ثم بشرهم بأن الله تعالى غفر ذنبهم فى هذا اليوم وذلك لانهم لما انكسروا وسجدوا واعتزفوا بذنوبهم وتابوا قبل الله توبتهم وغفر لهم ذنبهم فلذلك قال اليوم يغفر الله لكم وهذا معنى قول المصنف رجة الله تعالى عليه لانه عليه الصلاة والسلام صفع عن جرمتهم حينئذ واعتزفوا بها حينئذ وفيه اشارة ايضا الى ان اليوم فيه معنى الزمان مطلقا (قوله وقيل القميص المتوارث) روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما قوله اذهبوا بقميصي هذا فان عمرو الجبار لما اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار نزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحده فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحق وكسا اسحق يعقوب وكسا يعقوب يوسف عليهم الصلاة والسلام فحمله فى قسبة من فضة وعلقه فى عتقه فالتى فى الجب والقميص فى عتقه فلذلك قوله عليه الصلاة والسلام اذهبوا بقميصي هذا فآلقوه على وجه ابى يأت بصيرا الآية وقال مجاهد رجه الله تعالى امره جبريل عليه السلام ان ارسل اليه فيصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاصح وعوفى وقال الحسن رجة الله تعالى عليه قدم احتمال ان يكون المراد من القميص القميص الذى كان عليه ولعل وجهه انه اختار فيما قيل ان يكون المراد من قوله تعالى وايضت عيناه انه كثر بكأوه بحيث صارت عيناه كأنهما ايضتا بياض العبرة ولم يرص بما قيل من ان المراد ضعف بصره او عى فعلى هذا انتقد من ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما وقع العتاب بينه وبين اخوته وسألهم عن حال ابيه فاجابوه بان اباك قد ذهبت عيناه يكون مرادهم انه غرقت عيناه فى دموعه منذ فارقه ويكون يوسف عليه الصلاة والسلام عالما بان اياه ما صار اعى ولا ضعف بصره وانما لم يصبه الانتيق القلب والمواظبة على البكاء وانما اذا اخبره البشر بسلاسة ابتداء والى قيضه على وجهه يتسلى قلبه ويسكن بكأوه وهو الذى اراده بقوله يأت بصيرا وهذا المعنى لا يتوقف معرفته على ورود الوحى بل العقل يحكم بذلك (قوله انتم وابى) على تقليد المخاطبين على الغائب قال الكلبي رجه الله كان اهل يعقوب اكثر من سبعين انسانا وقال مسروق

قيل عرفوه بروأته وشماله حين كلمهم به وقيل نسيم عرفوه بشياه وقيل رفع التاج عن رأسه فقرأوا علامة بقرنه تشبه السامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها (قال أنا يوسف وهذا أخى) من أبى وامى ذكره تعريف نفسه به وتفخيما شأنه وادخاله فى قوله (قد من الله علينا) أى بالسلامة والكرامة (انه من يتق) أى يتق الله (و يصبر) على البليات او على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) وضع المحسنين موضع النصير للتنبيه على ان المحسن من ججع بين التقوى والصبر (قالوا لله لقد آثر الله علينا) اختار الله علينا بحسن الصورة وكمال السيرة (وان كالأحاطين) والحال ان شأننا انا كأماذين بما فعلنا معك (قال لا تثرىب عليكم) لا تأتیب عليكم تفعل من الثرب وهو السحم الذى يغشى الكرش للآزالة كالتجليد فاستعبر للترجيع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه (اليوم) متعلق بالثرىب او بالمقدر الجبار الواقع خبر اللانثرىب والمعنى لا تثرىبكم اليوم الذى هو مظنته فآظنكم بسائر الايام او بقوله (يغفر الله لكم) لانه صفع عن جرمتهم حينئذ واعتزفوا بها حينئذ (وهو ارحم الراحمين) فانه يغفر الصغار والكبار ويتفضل عن التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعوننا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما باع ولقد شرفتكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واتى من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا بقميصي هذا) القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ (فآلقوه على وجه ابى يأت بصيرا) يرجع بصيرا أى ذا بصير (واتوني) انتم وابى (باهلكم اجمعين) بنسائلكم وذرا ربكم ومو اليكم

دخل قوم يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة روى ان يهودا حل القيص وقال احزننته بحمل القيص الملتح بالدم اليه فافرحه كما احزننته وقيل جاءه وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسافة ثمانين فرسخا (قوله اوجده الله تعالى ربح ماعق بقميصه) اي لرق ولصق به فوجده بحساسة الشم على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة امر مناقض للعادة فتكون معجزة ولكن كونها معجزة تكون متعجبا والا قرب انها معجزة ليعقوب عليه الصلاة والسلام حيث نسبوه في هذا الكلام الى ما لا ينبغي وظهر ان الامر كما ذكر فكانت معجزة له قال اهل المعاني ان الله تعالى اوصل اليه ربح يوسف عليهما الصلاة والسلام عند انقضاء مدة الحنة ومجيء وقت الروح والفرج من المسكن البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدي البلدين من الاخرى في مدة ثمانين سنة وذلك يدل على ان كل سهل في زمان الحنة فهو صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل وذكر في القصة ايضا ان ربح الصبا استأذنت ربه في ان تأتي يعقوب عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتت بها ولذلك يستروح كل محزون بربح الصبا ويتنسمها المكروبون فيجسدون لها روحا وقد اكثرا الشعر آذ ذكرها وهي التي تأتي من ناحية المشرق وفيها لين اذا هبت على الابدان نعمتها وليتها وهيجت الاشواق الى الاحباب والحزين الى الاوطان قال الشاعر

اذا قلت هذا حين اسلو يعجني * نسيم الصبا من حيث ان يطلع الفجر
وقال آخر

يا جلي نعمان بالله خليجا * نسيم الصبا يخلص الى نسيها
فان الصبا ربح اذا ما تنفست * على نفس مهموم تجلت همومها

وقال آخر

ولقد تهب لي الصبا من اصلها * فيلذ مس هبوبها ويطيب لي
يندي على كبدى وينقع غلتي * ويبل حر فؤادي المستعمل

(قوله عاد بصيرا) على ان الارتداد انقلاب الشيء الى حال كان عليها فن قال انه كان قد عي بالكلية فانه يقول لما بتمره البشير بحياة يوسف عليه الصلاة والسلام والقي القيص على وجهه عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوى بصره وزال ما فيه من الضعف والنقصان وكان المصنف رحمه الله تعالى اشار اليه بقوله لما انتعش فيه من القوة والانتعاش الارتفاع يقال نعش الله فانتعش اي رفعه فارتفع ويقال انتعش العار اذا نهض من عثرته (قوله اخره الى السحر) قيل قام الى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزى على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لا ولدي ما فعلوا في حقى وحق يوسف فاجاب الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقيل انه عليه الصلاة والسلام استغفر لهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني اداوم على هذا الاستغفار فيما يستقبل من الزمان فقد روى انه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في ثيف وعشرين سنة وروى ان ابناء يعقوب عليه الصلاة والسلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء ما يغني عنا عفوك ان لم يعف عنا ربنا فاستقبل السخ القبله قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وظنوا انها الهلكة فزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ان الله تعالى اجاب دعوتك وعقد موافقهم بعدك على النوة كذا في الكبير عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام (قوله روى انه وجه اليه رواح) قالوا كان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع البشير الى يعقوب جهازا ومائتي راحلة وسأله ان يأتيه باهله وولده اجمعين فتها يعقوب عليه الصلاة والسلام للخروج الى مصر فتوجه مع اولاده واولادهم واهليهم الى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف عليه الصلاة والسلام تلقاه ومعه ثلاثمائة الف فارس على كل واحد منهم جنة من فضة وراية من ذهب الا فراس مراكبه والفرسان غلته فتربنت انصرا بهم واعطفوا صفوفاً وصعد يعقوب تلا ومعه اولاده وحفدة ومارأى الصخر آء ملوءة من الفرسان مزينة بالالوان نظرا اليها متججبا فقال له جبريل عليهما الصلاة والسلام انظر الى الهوآ فان الملائكة قد حضروا وسروا بحالك كما كانوا باكين محزونين مدة لاجلك ثم نظر يعقوب الى الفرسان فقال ايهم ولدى يوسف فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يا يوسف ان ابالك يعقوب

(ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عيرانها (قال ابوهم) من حضره (انى لأجد ربح يوسف) اوجده الله ربح ماعق بقميصه من ربحه حين اقبل به اليه يهودا من ثمانين فرسخا (لولا ان تعقدون) تدبوني الى القند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفقدة لان نقصان عقلا داني وجواب لولا محذوف تقديره لصد فتوى اولفت انه قريب (قاوا) اي الحاصرون (تالله لك لي ضلالك القديم) اي لى ذهابك عن الصواب قدما بالاراط في محبة يوسف واكثر ذكره والتوقع للقاءه (فلما ان جاء البشير) يهودا روى انه قال كما احزننته بحمل قميصه الملتح بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (القاء على وجهه) طرح البشير القميص على وجهه يعقوب عليه السلام او يعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف عليه السلام واتزال الفرح وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا بأسوا من روح الله اوانى لاجد ربح يوسف (قالوا يا ابانا استغفرنا ذنوبنا انك خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه ان يصغح عنه ويسأل له المغفرة (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخره الى السحر اوالى صلاة الليل اوالى ليلة الجمعة تشرى الوقت الاجابة اوالى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عنا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة يؤيده ما روى انه استقبل القبله قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى زل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد موافقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) روى انه وجه اليه رواحل واموا الا لتجهن اليه بن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى

قد نزل لك فأنزل له فزله عن فرسه وجعل كل واحد منهما بعد والى الآخر حتى التقياً فاعتقوا بكياسه ورواهاج
الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة
قبل لمبادنا كل واحد منهما قصد يوسف عليه الصلاة والسلام ان يبدأ بالسلام فنع من ذلك وكان يعقوب
عليه الصلاة والسلام افضل واحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان
(قوله ضم اليه اياه وخاتته) فان أكثر المفسرين قسروا به بهما بناء على ما روى ان امه راحيل كانت قد ماتت
في نفس بنيامين ولما ماتت امه تزوج اياه خاتته ليا فسمها الله تعالى باحد الابوين لان الزابت تدعى اما لقيامها
مقام الام اولان الخاتلة ام كان العم اب ومنه قول ابنه يعقوب لايهم حين كان قوله لهم ما تعبدون من بعدى
قالوا نعبد الهك والدة اباك ابراهيم واسماعيل واسحق فانهم عدوا اسماء عيل من ابناء يعقوب وهو عمد
(قوله اول الدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم) جواب عما يقال ما معنى دخولهم عليه
قبل دخولهم مصر وليس له حال استقباله اياهم منزل حتى يدخلوا عليه في ذلك البيت او الخيمة والمعنى ضم اليه اياه
واعتقاهم قال لهم قبل ان يدخلوا مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ثم حذف لدلالة الكلام عليه ثم اعترض
بالجملة الشرطية بين الحال وعاملها ولم يجعل المشبهة متعلقة بنفس الدخول اذ ليس المقصود ندبهم الى مجرد
الدخول بل المقصود بيان اتصافهم بالامن في دخولهم كانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله وانما وعد
لهم الامن في دخولهم مصر لانه كان بلدا فيه كفار وملوكهم الذي اقام يوسف مقام نفسه كان كافرا ايضا
والسلطون لا يأمنون من غائلة الكفار عادة فوعده عليه الصلاة والسلام لهم الامن متعلق بالمسيئة رجاء لذلك
من فضل الله تعالى والعرش في اللغة السرير الرفيع قال الله تعالى ولها عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا السرير
الذي كان يجلس عليه يوسف عليه الصلاة والسلام وقوله ورفع ابيه على العرش معناه ان يوسف عليه الصلاة
والسلام اجلس ابيه معه على سرير الملك قيل القوم وان اشتركوا في دخول دار يوسف عليه السلام لكنهم تباينوا
في الابواب فانفرد الابواب بالجلوس معه على سرير الملك بعدهما من الخلاء كذلك غدا اذا وصلوا الى انقرا
يشتركون فيه وفي دخول الجنة ولكنهم يباينون في بساط القرية فيختص به اهل الصفاء دون من انصف اليوم
بالالتواء ولما ورد ان يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم وعلى تقدير جواز كان يعقوب احق
بذلك من يوسف عليهما الصلاة والسلام لان يوسف وان كان نبيا الا ان يعقوب كان اعلى حالاً منه من حيث تقدم
في النبوة والحرمة الابوة ومن حيث الاجتهاد في تكثير الساعات ومن حيث انه كان شيخاً كبيراً والشاب يجب
عليه تعظيم الشيخ فاوجه قوله تعالى وخر والله سجداً اجاب عنه المصنف رحمه الله بقوله تحية وتكرمة لانه بناء على
انهم لم يكونوا ناهوا عن السجود لغير الله تعالى في شريعتهم وكان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض بالسجود ولم يزل
تحية الناس ذلك الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فذهب بالسجود وجاء بالمصافحة واكثر المفسرين على ان المراد
بالخروج سجداً وضع الوجه على الارض بناء على انه هو التعارف التفاهم وقيل المراد به الانحناء والتواضع فان
التواضع قد يسمى سجوداً كما في قوله * ترى الاكم فيها سجداً للخواثر * فينبغي لهذا السائل ان يقول
الخروج ههنا بمعنى المروءة كما في قوله تعالى لم يخرؤا عليها صما وعيانياً اي لم يروا (قوله وقيل معناه خروا لاجله
سجداً لله) وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عطاف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا خروا لاجل وجدان
يعقوب اياه شكر الله فذلك السجود سجود شكر والسجود لله هو الله تعالى لان ذلك السجود انما كان لاجله تعالى
بمقابلة نعمة وجد ان يوسف وقيل المراد معناه خروا اليه سجداً لله شكراً لنعمة وجده على ان يجعلوا يوسف
سجداً لقلبه ويسجدوا لله تعالى وذلك كما يقال صليت للكعبة والى الكعبة قال حسان بن ثابت رضي الله
تعالى عنه

ما كنت اعرف ان الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن ابي حسن

البس اول من صلى لقبلكم * واعرف اناس بالقرآن والسنن

وقوله يدل على انه يجوز ان يقال صلى للقبلة فكذلك يجوز ان يقال سجد للقبلة فقوله خروا له اي جعلوه كالقبلة
ثم سجدوا لله شكراً لنعمة وجده انه وقوله ورفع مؤخر عن الخروج جواب عما يقال لو كان المراد بالسجود سجود
التحية والتكريم لسكان ينبغي ان يسجدوا لله قبل الصعود على السرير في اول الملافة لان ذلك هو وقت التحية

(آوى اليه اياه) ضم اليه اياه وخاتته واعتقهما نراه
منزلة الام تنزل العم منزلة الاب في قوله والله آباءك
ابراهيم واسماعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام
تزوجها بعد امه والزابت تدعى اما (وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله آمين) من التحط واصناف المكاره والمسئة
متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان
في موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع ابيه على
العرش وخر والله سجداً) تحية وتكرمة فان السجود
كان عندهم يجزى بجراسها وقيل معناه خر والاجله
سجد الله شكراً وقيل الضمير لله تعالى والوا ولا يويه
واخوته ورفع مؤخر عن الخروج وان قدم لفظ الاشتمال
بتعظيمهما (وقال يا ابت هذا زاول ويل رؤياي من قبل)
التي رايتها ايام الصبي (قد جعلها ربي حقاً) صدقاً
(وقد احسن بي اذا خرجني من السجن) ولم يذكر الحب
لئلا يكون ثرياً عليهم (وجاءكم من البدو) من البادية
لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل الدود (من بعد
ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) افسد بيننا وخرس
من نزع الرأى الدابة اذا انحسرها وجلها على الجرى
(ان ربي لطيف لما يشاء) لطيف التدبير له اذ ما من
صعب الا وتفقد فيه مزية وينهل دونها (انه عو
(المليم) بوجوه المصالح واتدابر (الحكيم) الذي يعمل
كل شئ في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روى
ان يوسف طاف بايد عليهما السلام في خزائنه فلما
ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اغفلك عندك هذه
القراطيس وما كتبت الى علي ثمان مرا حل قال امرني
جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط مني
اليه فساءله قال جبريل الله امرني بذلك لعلك واخاف
ان يأكله الذئب قال فهل اخفنتي (رب قد آتيتني من الملك

بعض الملاك وهو ملك مصر (وعلمتني من أوّل الاحاديث) انكتب اوارثا ومن ايضا للبحر لانه لم يؤت كل النساويل (فاطر السموات والارض) مبدعها واتصاه على انه صفة الناذي او صفة برأسه (انت وليي) ناصري او متولي امرى (في الدنيا والاخرة) والذى يتولاني بالنعمة فيهما (توفنى مسلما) اقضنى (والحقني بالصالحين) من آبائي او بعامة الصالحين في الزينة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه مذهب به ودفنته وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة

(١٠٢)

وهو خلاف ما فهم من قوله تعالى ورفع ابيه على العرش وخر والله سجدا فانه يشعر بانهم صعدوا ذلك السرب ثم سجدوا له روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى سجدوا ليه وخاله هاله ذلك واقتصر جلده منه وقال ليعقوب يا ابت هذا نزل رؤياي من قبل وهذا يدل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يكن راضيا بذلك في قلبه الا انه لما علم ان الله تعالى امر بذلك لحكمة لا يعرفها الا الله تعالى كما امر الملائكة بالسجود لادم لحكمة لا يعرفها الا هو سكوت وقال ذلك كانه يقول يا ابت لا يليق بمثلك على جائتك في النبوة والدين والابوة والشيخوخة والعلم ان تسجد لولدك الا ان هذا امر امرت به وتكليف كلفت به فان رؤيا الانبياء حق كما كان رؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده صارت سببا لو جوب الذبح عليه في اليلة فله فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف عليه الصلاة والسلام وحكاها ليعقوب سببا وجوب ذلك السجود وقوله ان ربي اطيع لما يشاء تعليل لقوله وقد احسن بي اذا خرجتني من السجن الخ فان خلاصه من كل واحد مما صابه من المحن وحصول الاحتجاج به وبني ابيه واخوته مع اللفة والمحنة وطيب العيش وفراغ البال وان كان في غاية البعد عن الحصول (قوله فتنى الموت) اختلفوا في ان قوله توفنى مسلما هل هو طلب للموت منه اولا فقال قتادة رضى الله عنه سأل ربه اللحق به ولم يتن نبي الموت قبله قط وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء يريد اذا توفيتني فتوفنى على الاسلام فهذا اطلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب الوفاة ووجد اتصال قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين بما قبله ان كثر قرش وجاعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام على سبيل التعت فشرحها شرحا شافيا على اعتقاده عليه الصلاة والسلام اذا ذكرها فربما آمنوا فآمنوا على كفرهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فعزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اى ولو حرصت على ان تهديهم لانك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم بين ان اصرارهم على الكفر بعد ما شاهدوا منك هذه المعجزة الباهرة ليس يعجب لانه انما نأت من عدم تأملهم في الدلائل الدالة على نبوتك كما هو دأبهم وعادتهم فان العالم ملوء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وحكمته وهم يبرون عليها ويتاهدونها ولا يتفكرون فيها ولا يعبرون (قوله ليكونوا شرعا) اى سواء الجوهرى الناس في هذا شرع اى سواء يحرك ويسكن ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (قوله وقرئ والارض) الجمهور على جرا الارض عطف على السموات والضمير في عليها الالية فيكون يعبرون صفة الالية او حالها التخصيص بها بالوصف بالجوار وضمير عليها الارض ويعبرون حال منها وقرئ والارض بالرفع على الاستدعاء وخبره الجملة بعده وقرئ بالنصب ايضا على انه من باب الاشتغال والفعل المحذوف مفسر بما يوافقه معنى اى يطأون الارض او يسلكون الارض يعبرون عليها والضمير في هاتين القراءتين يعود على الارض فقط ولم يسمع المشركون قوله تعالى وكأين من آية الاية قالوا اتاناؤم بالله الذى خلق هذه الانبياء فانزل الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله اى في اقراره بان الله تعالى خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك حيث ثبت له شريكا في العبودية سبحانه وتعالى لا شريك له وتقول العرب في تليتهم لا شريك لك ليك لا شريك لك الا شريك هوك تملكه وما ملك وتقول اهل مكة الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة شانه فلم يوجدوه بل اشركوا وتقول عبدة الاصنام الله ربنا وحده والاصنام شركاؤه في استحقاق العبادة وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابن الله وليس المراد بقوله وما يؤمن اكثرهم حقيقة الايمان ولكن المعنى ان اكثرهم مع اظهارهم الايمان بالشهيم مشركون ثم انه تعالى خوفهم بقوله امانوا يعنى المشركين (قوله يعنى الدعوة الى التوحيد الخ) يعنى جعل هذه اشارة الى المعنى الحاضر في الذهن وهو الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد واخبر عن ذلك المعنى بانه سبيل وجعل قوله ادعوا الى الله الى قوله وما اتان المشركين جلة مستأنفة لبيان السبيل والظاهر ان الدعوة الى قوله وما اتان المشركين فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو بفعله ايضا واخذ الدعوة الى الاعداد من قوله ادعوا الى الله فان المراد منه الدعوة الى طاعة الله وتوابعه الموعود يوم البعث والحساب وكون الحق بصيرة عبارة عن كونها وانحة مرشدة الى المظلوم فان الدليل اذا كان بصيرا يمكن من الارشاد والهداية بخلاف ما اذا كان

ثم توفى نفسه الى الملك المخلد فتنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا اقتضاهم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنه في اسفل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن ابيه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد رلد له من راعيل ابراهيم وميثا وهو جد يوشع بن نون ورجة امرأة ايوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من انبياء الغيب توحيد ايك) خبر ان له (وما كنت لد يهم ادا جعوا امرهم وهم يكرهون) كالدليل عاينها والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هو سوابه من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يكرهون به وبايد ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا السبق استعناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا (وما اكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم وباعت في اظهار الايات عليهم (بمؤمنين) اعنادهم ونصبيهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانبياء والقرءان (من اجر) من جعل كما يفعله حلة الاخبار (ان هو الا ذكر) عظمة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكمن آية والمعنى وكأى عدد شئ من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (في السموات والارض يعبرون عليها) على الايات ويتاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها ولا يعبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يعبرون فيكون لها الضمير في عليها بالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الها لك (وما يؤمن اكثرهم بالله) في اقرارهم بوجوده وخالفته (الاهم) مشركون (بعبادة غيره) واتخاذ الاخبار اربابا ونسبة التثني اليه والقول بالتور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الية في مشركى مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب (امانوا ان آتيتهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تفشاهم وتعلمهم (بما آتيتهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لا يتعبرون) بايمانهم غير مستعدين لها (قل هذه سبيلى) يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله (ادعوا الى الله) وقيل هو حال من الباء (على بصيرة) بيان وحجة واضحة غير غيباء (انا) تأكيد للمستتر في ادعوا وفى على بصيرة لانه حال منه

او مبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعني) عطف عليه (وبحان الله وما انا من المشركين) واتزهه تنزيها من الشركاء (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ردلفوا لهم اوشاء ربنا لا نزل ملائكة وقيل معناه نبي استبناه الساء (يوسى اليهم) كما يوسى اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القراء آن ووافقه حنزة والكسائى فى سورة الانبياء (من اهل النرى) لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسول والاثبات فيحذروا تكذيبك او من المستوفين بالدنيا النشأ لكن عليها (١٠٣)

فيعلموا عن جهبا (ولدار الاخرة) ولدارا خال او الساعة او الحياة الاخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصي (افلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالهاء جلا على قوله قل هذه سبيل اى قل لهم افلا تعقلون (حتى اذا استأس الرسول) غاية محذوف دل عليه الكلام اى لا يغروهم بمادى ايامهم فان من قبلهم اهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم فى الدنيا او من ايمانهم لانها كهم فى الكفر متفهمين متعدين فيه من غير وازع (وظنوا انهم قد كذبوا) اى كذبهم انفسهم حين خدشهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخطا الامر عليهم وماروى عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح ففقدوا اربابا ظن ما بهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا اوان المراد به المبالغة فى التراخي والامهال على سبيل التيسيل وقرأ غير الكوفيين بالتسديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدهم وقرئ كذبوا بالتحريف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا اله ارا (جاءهم نصرا فنجى من نساء) النبي والمؤمنين واعلم يعنيهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان نشاء نجاتهم لا يشار كهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (فجى) ولفظ الماضي المبني للفعول وقرئ فجيا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان المتئين (لقد كان فى قصصهم) فى قصص الانبياء واهمهم اوفى قصة يوسف واخوته (عرة لاولى الالباب) لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس (ما كان حديثا يفترى) ما كان حديثا يفترى (ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شىء) يحتاج اليه فى الدين اذا ما من امر دنى الاوله سند من انقراء آن بوسط او بغير وسط (وهدى) من اضلال (ورجى) ينال بها خيرا لدارين (لقوم يؤمنون) بصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علوا ارقاءكم واقرباءكم سورة يوسف فانه ايماسم تلاها وعلماها له وما ملكك يمينه هون الله عليه

اعنى وذكر فى قوله انا ومن اتبعني احتمالين الاول ان يكون ومن اتبعني عطف على المستتر فى ادعوا فلذلك اتى بالضمر المنفصل فى قوله انا فالعنى والله سبحانه وتعالى اعلم ادعوا الى طاعة الله وثوابه انا كما نأ على بصيرة على ان قوله تعالى على بصيرة حال من الضمير المستتر فى ادعوا ويدعوا اليها من اتبعني كذلك اى كائنا على بصيرة والاحتمال الثانى ان يكون انا مبتدأ مؤخر اوعلى بصيرة خبرا مقدما ويكون من اتبعني عطف على انا ويكون المعنى انا ومن اتبعني على حجة وبرهان فيوقف على قوله تعالى ادعوا الى الله على بصيرة (قوله واتزهه تنزيها) على ان سبحانه اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر اى اسبح الله تسبيحا من اشركا وان قوله وما انا من المشركين حال من اسبح المضمر وان جملة سبحانه الله عطف على قوله ادعوا الى الله وبه يتضح ان تكون الجملة مع ما عطفت هى عليه استثناء لبيان السبيل (قوله ردلفوا لهم لوشاء ربنا لا نزل ملائكة) قالوا ذلك تعجبا واسكرا لنبوته صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اى كيف يتعجبون من ارسالنا اليك والحال ان من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك والاية تدل على انه تعالى ما بعث رسولا الى الخلق من النسلان ولا من الجن ولا من اهل البادية لانه يغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار والقرى اعلم واحلم فلذلك قيل من يد اجفا (قوله وقرأ حفص نوحى) بالنون مبني للفاعل وقرأ الجمهور يوسى بالياء من تحت مبني للمفعول وقوله من المكذبين بالرسول اى فتكون الاية تا كيدا لقوله امانوا ان اتيهم غاشية (قوله او من المعوفين) اى من المحرمين القلوب بحب الدنيا فيكون المقصود من الاية النص على ازالة ما عاوى السبب فى اعراضهم عن الايات وانها كهم فى التسهوات (قوله غاية محذوف) يعنى ان كلمة حتى تدل على الانتهاء وكون ما قبلها متعيا بما بعدها وبس فى الكلام شىء تكون حتى غاية له واختلعت عبارات المفسرين فى تقدير شىء يكون متعيا بما بعد حتى فقدره المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله امهل من قبلهم من المكذبين حتى ايس الرسل وقدره بعضهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوسى اليهم فدعوا اقومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم قومهم وتكذيب قومهم ايامهم حتى اذا استأس وكل واحد مما ذكره يفهم من سياق الكلام الا ان ما ذكره المصنف رحمة الله اخصر واقرب والمعنى ان نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى وقع ما دفع من الياس والظنون ثم نصر واما هلك المكذب وانجى المصدق (قوله اى كذبهم انفسهم او كذبهم اقوم) بخفيف الدال وبناء الفعل للمفعول وهى قراءة الكوفيين ومعناه اتى اليهم خبر كاذب وخبر ظنوا المرسل اى ظن الرسل ان انفسهم وان قومهم البت اليهم قولاً كاذبا وقرأ الباقر من السبعة بالتسديد على معنى قد قيل لهم كذبتم (قوله وقيل الضمير للرسل اليهم) اى الضمائر الثلاثة فى قوله وظنوا انهم قد كذبوا (قوله والثانى للرسل) ولو قال وما بعده للرسل لكان اظهر الا انه اكتفى بذكر اثنى لان كونه للرسل يستلزم كون الثالث لهم ايضا (قوله وانما لم يعنيهم) اى لم يعبر عنهم فى مقام التبيين بما يخصهم من العتوان للدلالة على ان عنوان من نشاء نجاتهم يخصهم بناء على ان الذين يتأهلون لان يتعلق بهم مشئة الانبياء انما هم هؤلاء دون غيرهم (قوله وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب) فجي بنون واحدة وتشديد الجيم وقبح الياء ومن نشاء قائم مقام افعال وبقى السبعة فنجى بنونين الا ولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم واسكان الياء على لفظ المضارع من انجى وقرئ فنجى بتشديد الجيم من نجاه وكلاهما على حكاية الحال الماضية لان القصة قد وقعت فيما مضى وقرئ نجا على لفظ الماضي من الثلاثى * تحت سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمجد لله حق حمده على جميع الآله واصلاة والسلام على رسوله خاتم انبيائه وعلى آله وصحبه ما دعى الحق باسمائه وتقرب الى الله بتلاوة الايات واستغفر الله الى ولجميع اهل الاسلام من قرأتى واجابى ولجميع المؤمنين والمؤمنات

سورة الرعد قيل مدنية بالاجماع سوى قوله ولوان قرأنا سيرة به الحبال وقيل مكية سوى قوله تعالى ولا يرال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا فارعة وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مر سلا

بسم الله الرحمن الرحيم
(قوله المر قيل معناه انا الله اعلم وأرى) على ان تكون هذه الحروف التى حملت فاتحة هذه السورة الكريمة مختصرة من كلمات تركبت هى منها كما اخصر الشاعر قوله قاف من وقفت حيث قال * قلت لها فنى فقالت قاف * والظاهر ان المر الكلام مستقل والتقدير هذه المر اى سورة سمعا بالمر ثم اشار الى آياتها وحكم عليها انها آيات الكتاب

سكرات الموت واعطاه الله القوة على ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذى كفروا الاية وهى خمس واربعون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) قيل معناه انا الله اعلم وأرى (تلك آيات الكتاب)

البكامة بمعنى آيات السورة الكاملة وصفة الكمال مستفادة من اضافة الايات الى الكتاب المعرف بالام الجنس فان خبر المبتدأ اذا كان مقرونا بلام الجنس او مضافا الى المعرف بها يفيد انحصار الجنس في ذلك المبتدأ وانه نفس ذلك الجنس لانوع من انواعه فان حصر جنس آيات السورة ليس الا هي وان ما سواها من الايات ليس من افراد جنس آيات السورة (قوله عطف العام على الخاص) على ان يراد بالكتاب السورة فان ما نزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه اعم من السورة (قوله او احدى الصفتين على الاخرى) على ان يراد به القرآن فان الكتاب بمعنى القرآن المنظوم الذي من شأنه ان يكتب صفة مغايرة لصفة المنزل من الرب تعالى فيكون من قبيل قول من مدح قومه بعدم الفرام من العدو

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازليين بكل معترك * والطيبين معاهد الازر

فانه عطف الطيبين على النازلين وهما صفتان لقوم معينين وقول الآخر

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتبية في المردحم

(قوله) والجملة كالجملة على الجملة الاولى) لانه اذا انحصرت جرس الحق فيما نزل اليه صلى الله عليه وسلم حصر الكمال من حيث بلوغه في تمامه النظم والاعتمال على مهمات الخلائق في باب الاعتقاد واعمال الدنيا والاخرة الى حيث صار سائر الكتب الالهية بالنسبة اليه كانه ليس بحق كان ذلك كالجملة الدالة على ان آيات هذه السورة هي التي استخفت بان تسمى آيات السورة الان مضمون الجملة الاولى متصل من حيث انها تفيد تفصيل آيات سورة معينة ومضمون الثانية تفيد تفصيل جملة ما نزل اليه صلى الله عليه وسلم فيكون بمثابة كبرى الشكل الاول (قوله) وتعرفنا الخبر وان دل على اختصاص المنزل اى وتميزه عن غير المنزل بكونه حقا دون غير المنزل ومن المعلوم ان انحصار الحق في الحكم المنزل من عند الله تعالى يستلزم ان لا تكون الاحكام الثابتة بالقياس والاجماع حقا فيلزم ان تكون باطلة لقوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال فيلزم ان لا يكون القياس ونحوه من الادلة الشرعية الدالة على الحق والصواب الان المنزل من عند الله تعالى اعم من الحكم المنزل صريحا كلاحكام الثابتة بصريح نص القرآن العظيم ومن الحكم المنزل ضمنا كالذى ثبت بالسنة والاجماع والقياس فان الحكم المثبت بواحد منها وان لم يثبت بخص القرآن العظيم صريحا لكنه ثبت ضمنا من حيث كونه احصا يستند اليه كل واحد من الادلة الثلاثة المذكورة وينطبق بحسن اتباع كل واحد منها ويقرر رخصتها قال الامام ومن الناس من تمسك بقوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق في نفي القياس فقال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله تعالى وقد قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون مع انهم لا يكفرون بالاجماع فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله تعالى واذا كان كذلك وجب ان لا يكون حقا لان قوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق يقتضى انحصار الحق في المنزل من عند الله تعالى وانه لاحق الا ما نزل الله تعالى فكل ما لم ينزله وجب ان لا يكون حقا واذا لم يكن حقا وجب ان يكون باطلا لقوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال ثم قال ومثبتوا القياس يوجبون عنه بان الحكم المثبت بالقياس نازل من عند الله تعالى ايضا لانه لما اقر العمل بالقياس كان الحكم الذى يدل عليه القياس نازلا من عند الله تعالى انتهى ثم انه تعالى لما ذكر ان المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق بين ان اكثر الناس لا يؤمنون به وبكونه حقا من لا من عند الله تعالى على سبيل الجزم والتهديد ثم ذكر عقبيه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو قوله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها اى انشاها من فوعة لانها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها في الابتداء من فوعة كما تقول للحياط وسع كم التميمص ولخافر البرضيق فم البرؤ دلالة على التوحيد ظاهرة فانه لا يقدر على رفع ما فيه سعة ويعد بغير عمد ترى الا الواحد القادر على كل شئ وما دلالته على المعاد فلان من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد ترى لقادر على اعادة الخلق واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشئ بعد فناءه اذ في الشاهد من يقدر على اعادة ما فى ولا يقدر على رفع سقف دى سعة وبعد بغير عمد (قوله) او عود كاديم وأدم جعل فصول كفعيل في ان يجمع على فعل فيفتحين وفيه بحث لان كل وزنه خصوصية يتخص بها فلا يلزم من جمع فصيل على فعل ان يجمع عليه فعول وان قرئ عمدا بضمين يكون مفردة عمدا نحو كتاب وكتب وشهاب وسهب وقوله بغير عمد في محل

يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك
الآيات آيات السورة الكاملة او الفقراء آن (والذى انزل
اليك من ربك) وهو القرآن كله ومجمله الجرب بالعطف
على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى
الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره
(الحق) والجملة كالجملة على الجملة الاولى وتعريف
الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقافهو
اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالثبت بالقياس
وغیره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكن أكثر
الناس لا يؤمنون) لاختلافهم بالطر والتأدل فيه
(الله الذى رفع السموات) مبتدأ وخبر ويجوز
ان يكون الموصول صفة والحبريد بالامر (بغير عمد)
اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم
وأدم وقرئ عماد كسر

التصيب على انه حال من السموات اى رفعها خالية عن عمد وترونها في محل الجر على انه صفة لعمد فيكون الضير
المصوب فيه راجعا الى عمد والمعنى رفعها خالية عن عمد مربية وانتفاء العمدة المربية يحتمل ان يكون لانتهاء العمدة
والرؤية جميعا اى لا عمد لها فلا ترى ويحتمل ان يكون لانتهاء الرؤية فقط بان يكون لها عمد غير مربية وهو القدره فانه
تعالى بمسكها مرفوعة بقدرته فكانها عمد لها فقوله بعمر عمد معناه بغير عمد مربية فكلمة التني وان كانت متقدمة
في الذكر فهي متأخرة في المعنى وكونها مرفوعة بعمد غير مربية مثل كونها مرفوعة بغير عمد اصلا في كون
ذلك الرفع مجيبا خارجا عن دائرة العقل والخيال فانا لا نتعقل ارتفاع السقف الواسع الرفيع السمك بغير عمد
واساطين مربية ونظير الآية في الاحتمالين قولك مارأيت رجلا صالحا فان صدقه يحتمل ان يكون لانتهاء الرجل
والصلاح جميعا ولا انتهاء الصلاح وحده (قوله واستشف للاستشهاد) فان الضير المصوب في ترونها على
تقدير ان يرجع الى السموات يكون ترونها كلاما مستأنفا لا محل له من الاعراب كانه قيل ما الدليل على ان السموات
مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها بغير معودة او مرفوعة بلا عمد فاستشهد على كونها مرفوعة بغير عمد برؤية
اناس اياها كذلك (قوله وهو دليل على وجود الصانع) ووجه دلالته عليه ان ارتفاعها على سائر الاجسام
لبس مقتضى جسميتها ولا مقتضى ذاتها او ذات حيزها والالكان كل جسم كذلك ولا مقتضى خصوصيتها
التوعية لانا ننقل الكلام الى اختصاصها بتلك الخصوصية فنقول اختصاصها بها ليس لاجل جسميتها والالكان
جميع الاجسام كذلك فتعين ان يكون لمخصص خارجي ولا بد ان لا يكون ذلك المخصص الخارجى جسم ولا حسمانيا
والالكان له حيز يستغله بذاته او بتبعية موضوعه ويمتنع ان يكون حصوله في ذلك الحيز مقتضى ذاته او ذات حيزه
لما بينا ان الاجسام والاحياء متساوية في تمام الماهية فلا بد ان يكون ذلك المخصص فاعلا مختارا يرجع بعض الممكنات
على بعض بارادته (قوله بالحفظ والتدبير) اشارة الى ان الاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء على الملك
والتصرف في ارفعه بلا عمد بناء على ان العرش في الاصل سرير الملك فصح ان يجعل الاستيلاء عليه كناية عن نفاذ
الامر والتدبير كيف يشاء والظاهر ان كلمة ثم لجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخي لان استيلاءه
تعالى على التصرف في ارفعه ليس بمترأخ عن رفعه ويحتمل ان يجعل لجرد العطف مع قطع النظر عن الترتيب ايضا بناء
على ان يراد بالملك مطلق التصرف فان الاستيلاء على الملك مطلقا غير مرتب على رفع السموات قال الامام المراد
استواءه على عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير يعنى ان ما هو كائن من فوق العرش الى ما تحت الثرى في حفظه
وتدبيره وفي الاحتياج اليه (قوله وعلى هذا النهاج سائر ما ذكر من الآيات) اى من الآيات الدالة على وجود
الصانع الحكيم فانه تعالى استدل عليه باحوال السموات و باحوال الشمس والقمر و باحوال الارض والنبات
فاستدل عليه اولا باحوال السموات حيث قال تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وبين المصنف رحمه
الله تعالى وجه دلالته عليه وثانيا باحوال الشمس والقمر حيث قال وسخر الشمس والقمر فان اختصاصهما بالحركة
الدائمة على وجه مخصوص من البطؤ والسريعة ونسقى معين دون السكون ودون الحركة على سائر الوجوه مع كون
الاجسام متماثلة لا بد له من مخصص الى ما ذكر سابقا ثم انه تعالى لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل
الارضية فقال تعالى وهو الذي مد الارض اى انشأها ممدودة لانها كانت مجموعة في مكان فبسطها وهو كما ذكر من
رفع السماء ونحوه ووجه الاستدلال بامتداد الارض ان كونها ممدودة اى ذات امتداد من الطول والعرض
والعمق على قدر معين مع جواز كونها ازيد مقدارا مما هي الآن عليها وانقص منه لا بد له من مخصص قال ابو بكر
الاصم المدهو البسط الى ما لا يدرك البصر متناه فقوله وهو الذي مد الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض
حجما عظيما كبيرا لا يقع البصر على متناه فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هي الآن عليه لما اكل الانتفاع
بها ومد الارض على اى معنى كان لا ينافي كونها كرة لان الكرة اذا كانت في غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشهد
كالسطح وانتفاوت الحاصل بينها وبين السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى ثم استدل عليه بحصول جبال ثابتة فيها
غير منتقلة عن اماكنها فان حصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض مع ان طبيعة الارض واحدة لا بد
ان يكون بتخصيص الفاعل المختار الحكيم وكذلك حصول الانهار في بعض جوانبها دون البعض لا بد ان يستدل به
ثم استدل عليه بجباب خلقه حيث قال تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فان الحبسة اذا وقعت
في الارض وانتشرت فيها نداوة الارض نبتت ووربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق اعلاها واسفلها فيخرج من التثاق

(ترونها) صفة لعمد واستشف للاستشهاد
برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام
المساوية لها في حقيقة الجبرمية واختصاصها بما
يقتضى ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس يحسم
ولا حسماني يرجع بعض الممكنات على بعض بارادته
وعلى هذا النهاج سائر ما ذكر من الآيات (ثم استوى
على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس
والقمر) دللها لما اراد منهما كالحركة المستمرة على
حد من السرعة يدفع في حدود الكائنات وبقائنها

الاعلى الشجرة الصاعدة ويخرج من الشق الاسفل العروق الغائصة في اسفل الارض وهذا من الجوانب لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير تلك الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من احد جانبي تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء ومن الجانب الاخر منها جرم غائص في الارض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعملان ذلك انما كان بسبب تدبير المدر الحكيم ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشنا وبعضها يكون نورة وبعضها يكون نمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع فالجوز له اربعة انواع من القسور قشره الاعلى وتحت القشرة الخشبية وتحت القشرة المخيطة باللحم وتحت هذه القشرة قشرة اخرى في غايبة الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالقنب مثلا قشره وعجمه بارادان يابس ولحمه وماؤه حار ان رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوى تأثيرات الطبائع وتأثيرات الانجم والافلاك لا بد وان يكون لاجل تدبير الحكيم القديم ثم استدل باحوال الليل والنهار حيث قال تعالى يغشى الليل النهار فان الانعام لا يكمل الا بالليل والنهار وتعاقبهما (قوله لمدة معينة) اى يسير الى وقت معلوم في منزله لا يجاوز قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للشمس مائة وعشرون منزلا كل يوم لها منزل وسيرها في تلك المنازل يتم في ستة اشهر ثم انها تعود مرة اخرى الى كل واحد منها في ستة اشهر اخرى وكذلك الثمرة عمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى هذا اوقيل المراد به كونهما متحركين الى يوم القيامة وعند مجيئ ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات (قوله امر ملكوته) اى امر ملكه وسلطنته فان الملكوت من الملك كالهبوط من الارب يقول له ملكوت العراق وهو الملك والعزة ولفظ الجلالة في قوله تعالى الله الذي رفع السموات مبتدأ خبره الذى ورفعه السموات واستوى على العرش وسخر الشمس والقمر صلات وكأنه قيل ماذا حكمته في انشاءها وتسخيرها والاستواء عليه قيل يدبر الامر بفصل الآيات الدالة على وجود منشاءها وحكمة مخترعها اليوقن المكلفون بان مرجعهم اليه وانه لا بد من لقائه ليثيبهم ويماقبهم على ما كفوا به كما اشار اليه بقوله تعالى لعلمكم بقاء ربكم توقنون وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وان كان الذى رفع السموات صفة للفظ الجلالة لا يكون قوله يدبر خبرا للمبتدأ ويفصل خبرا بعد خبر كما اشار اليه المصنف ويكون المقصود من توصيف المسند اليه باسم الوصول جعله ذريعة ووسيلة الى التعريض بشأن الخبر الذى هو التدبير والتفصيل كما في قول الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعامته اعز واطول

فان في قوله ان الذى سمك السماء ايماء الى ان الخبر المبني عليه امر من جنس الرفعة للبناء فكذا قوله تعالى في الآية الذى رفع السموات بغير عمد تر ونها الى آخر الصلوات ذريعة وايماء الى ان الخبر المبني عليه امر عظيم الشأن يليق ان يصدر عن هذا شأنه (قوله ينزلها وبينها مفصلة) على ان يكون المراد بالآيات آيات القرآن ويكون المراد بتفصيلها ازالة ما فرقة على حسب تجديد المصالح والثاني على ان يكون المراد بها الدلائل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته وتفصيلها احداث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفصيل (قوله والتاء للتانيث) جواب عما يرد على قوله جبال اثواب وهو ان رواسى اذا كانت صفة جبال يكون مفردا وهو راسية صفة جبل وهو مذكر فاوجه دخول التاء في صفة وتغير الجواب اننا نعلم ان راسية صفة جبل بل هو صفة اجبل وهو جمع والجمع لكونه في تأويل الجماعة يعامل معاملة المؤنث وفيه بحث وهو ان الرواسى لما كان جمع راسية التى هى صفة اجبل لزم ان يكون الجبال الرواسى جمع الجمع وليس كذلك بل كل واحد من الجبال والاجبل جمع جبل الاول جمع كثرة والثاني جمع قلة فالاولى هو الجواب الثانى وهو ان راسية صفة جبل والتاء فيه ليست للتأنيث بل هى للمبالغة كما في علامة (قوله ضمها الى الجبال) جواب عما يقال كل واحد من الرواسى والانهار اختصاصه ببعض جوانب الارض دون بعض دليل مستقل على وجود الصانع الحكيم فلم جمعها وعلق بهما فعلا واحدا حيث قال وجعل فيها رواسى وانهارا اى خلق فيها اباما والوجه في كون الجبال اسبابا لتولد الانهار ان الحجر جسم صلب فاذا انصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت الى الجبل احتبس هناك فلا تزال تزاحم وتتضاعف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة لكثرتها وقوتها تنقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الارض فهذا هو السبب في تولد الانهار من الجبال فلما كان بينهما هذه العلاقة كنت ترى في أكثر الامر انه تعالى ايتا ذكر الجبال قرن بهما ذكر الانهار مثل ما في هذه الآية ومثل ما في قوله تعالى وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراانا (قوله متعلق بقوله جعل)

(كل يجري لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها ادواره اولها بية مضروبة ينقطع دونهما سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) امر ملكوته من الابد والاعدام والاحياء والامانة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها وبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلمكم بقاء ربكم توقنون) لئلا تتفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا ليثبت فيها الاقدام وينقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا التى اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انه صفة اجبل اول للمبالغة (وانهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) اى جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالخلل والحماض والا سود والابيض والصغير والكبير

على انه حال من معموله اى وجعل فيها زوجين اثنين حال كونهما من جميع انواع الثرات قدمت على ذى الحال لكونه نكرة وقوله تعالى يغشى الليل النهار اما ستأنف لبيان الحكمة فى انشاء الشمس والقمر وتسخيرهما احوال من ضمير اسم الله المستتر فى الافعال المذكورة قبله وهى رفع وسخر ويدبر ويفصل ومد وجعل (قوله يلبسه مكانه) يعنى ان الاغشاء الباس الشئ الشئ ولما كان الباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لا نهما متضادان لا يجتمعان والباس لابد ان يجتمع مع اللباس قدر المضاف وهو مكانه ومكان انهاره والجو وهو الذى يلبس ظلمة الليل شبه احداث الظلمة فى الجو الذى هو مكان الضوء بالباسها اياه وتعظيمه بها فاطاق عليه اسم الاغشاء والا لباس فاستحق منه لفظ يغشى فصار استعارة تبعية (قوله ولولا تخصيص قادر الخ) اشارة الى ان المقصود من قوله تعالى وفى الارض قطع تجاورات الآية اقامة الدليل على انه لا يجوز ان يكون حدود الحوادث فى هذا العالم مستندا الى الاتصالات الفلكية والحر كات الكوكبية وذلك لان قطع الارض مختلفة فى صفاتها مع اشتراكها فى الطبيعة الارضية وكونها متجاورة متقاربة بحيث يكون تأثير الشمس وسائر الكواكب فيها على السوية وقوله من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع على لاسر تلك القطع فيما يعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية (قوله نخلات اصلها واحد) تفسير للصنوان على وجه يشير الى ان صنوان جمع صنو كصنوان جمع قنوص ابن عباس رضى الله عنهما قال الصنوان ما كان من نخلتين او ثلاث او اكثر اصلهن واحد وغير صنوان يريد به المتفرق الذى لا يجتمع اصله واحد (قوله وقرأ ابن كثير الى قوله بارفع عطفها على وجنات) لا يخفى ان المرفوع بالهطف على جنات انما هو قوله تعالى وزرع ونخيل وامارفع قوله تعالى صنوان وغير صنوان فلكونه تابعا لنخيل والنخل والتخيل بمعنى واحد وقرأ الباقون بجر الالفاظ عطفها على اعناب واختار المصنف رحمه الله هذه القراءة ولهذا قال وبسائين فيها انواع الاجار الخ (قوله على تاويل ما ذكر) اى يسقى ما ذكر من القطع التجاورة والجنات والنخل المتفقة الاصول والمختلفة الاصول بماء واحد ونفضل بعض هذه الاشياء المذكورة فى الثمر من جهة الشكل والقدر والرائحة والطعم وبمحل ان يكون قراءة يسقى بالياء التختانية بناء على تأويل كل واحد منها او على تغليب المذكور على المؤنث والا كل الثمر الذى يؤكل وقيل الا كل كل ماهي لالا كل ثمر اكان او غيره ويؤيده قوله تعالى فى صفة الجنة اكلمها دآتم وهو عام فى جميع المطعومات وقرأ الباقون تسقى بآاء الفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير جنات او الى الاشياء المذكورة ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى ونفضل بعضها اى بعض هذه المذكورات ومن قرأ بفضل بالياء التختانية على بناء الساعل عطفه على قوله يدبر ويفصل ويعنى ومن قرأ نفضل بنون العطفة قال تقديره ونحن نفضل وقرأ نافع وابن كثير الاكل ساكنة الكاف فى جميع القراءات والباقيون مضمومة الكاف وهما لغتان (قوله حقيق بان تعجب منه) اى فقد عجب فى موضع العجب لما قرر وفصل من الدلائل ما يدل على وجود المبدئ القادر على كل شئ وكانت تلك الدلائل دالة على صحة الاعادة ايضا استبعد قول من انكرها فقال وان تعجب من انكارهم البعث فقد عجب العجب والاعجب حالة انفعاليه تعرض للنفس عند ادراك ما لا يعرف سببه وهو مستحيل فى حق الله تعالى فكان المراد وان تعجب فاعجب عندك (قوله بدل من قولهم) اى من لفظ قولهم بدل الشكل من الشكل لان هذا هو نفس قولهم والظاهر ان هذه الجملة الاستفهامية منصوبة للمحل على انها محكية بالقول واذا هنا ظرف محض وايس فيها معنى الشرط والعامل فيها مقدر بفسره قوله تعالى لى خلق جديد واتقديرا ثدا كثيرا نبعث ونحشر ولا يجوز ان يكون العامل فيها كالا لانه مضاف اليه فلا يعمل فى المضاف ولا يعمل فيها ايضا خلق جديد لان ما به داداة الاستفهام وما بعد ان لا يعمل فيما قبله ولما حكي الله تعالى عنهم هذه المقالة وقال وان تعجب منها فقد تعجب فى موضع التعجب حكم عليهم بثلاثة اشياء اولها قوله تعالى اولئك الذين كفروا برهم لان من انكر البعث والقيامة انما ينكره لانكاره قدرة الله تعالى عليه واحاطة علمه بجميع الكليات والجزئيات اولانكاره صدق من صدق الله تعالى بانظهار المعجزات الباهرة على يده وحكم عليهم ثانيا بقوله تعالى واولئك الاغلال فى اعناقهم والاغلال جمع ائتل وهو طوق يشده باليد الى العنق يقال منه غل الرجل فهو مغلول والمصنف رحمه الله فسر الاغلال اولاباعهم عليه من سوء الاعتقاد وقبائح الاعمال شبهها بالاغلال فى لزومها لهم ونعها اياهم عن الالتفات الى غيرها يقال للرجل هذا غل فى عنقه للعمل الردى ومعناه انه لازم لك لا يربحى خلاصك منه ثم فسرهما ثانيا بمعناها الحقيقى الاصل وحل

(يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئاً وقرأ حزة والكسائي وابوبكر يغشى بالتشديد (ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون) فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهباً اسبابها (وفى الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سجة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون السجرو بعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع (وجنات من اعناب وزرع ونخيل) وبسائين فيها انواع الاجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ ابن كثير وابوعرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفها على وجنات (صنوان) نخلات اصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كصنوان فى جمع قنوص (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر شكلاً وقدرًا ورائحة وطعمًا وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلفا مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحزة والكسائي بفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يا محمد من اسكارهم البعث (فاعجب قولهم) حقيق بان تعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والايات المعدادة كاهى دالة على وجود المبدأ فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (ائدا كناترا ائدا الى خلق جديد) بدل من قولهم او مقول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه ائنا لى خلق جديد (اولئك الذين كفروا برهم) لا نهيم كفروا بقدرته على البعث (واولئك الاغلال فى اعناقهم) مقيدون بالضلالة لا يربحى خلاصهم او يغفلون يوم القيامة (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا يتفكون عنها وتوسط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

الكلام على الحقيقة وإن كان أولى إلا أن المصنف رحمه الله قدم التفسير الأول في الذكر لأن ظاهر الآية يقتضي حصول الإغلال في اعتاقهم في الحال وهو أمر سيئ جعل يوم القيامة بخلاف الغل بمعنى الكفر والضلال فإنه حاصل في الحال فحمل الكلام عليه رعاية لجانب الحقيقة من بعض الوجوه فلا رجحان لأحد المجلين على الآخر من هذا الوجه ورجح الوجه الأول لأنه يشهد بتبجح حالهم في الآخرة فلذلك كان أنسب في هذا المقام وعلى الوجه الثاني يكون المعنى أولئك يغفلون يوم القيامة وحكم عليهم ثالثا بقوله وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون على معنى أنهم هم الموصوفون بالنار لا غيرهم وإن خلودهم إنما هو في النار لا في غيرها لأن كل واحد من توسيط ضمير الفصل وتقديم فيها يفيد الحصر فثبت أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار (قوله وذلك أنهم استجملوا بما هدوا به من عذاب الدنيا استهزاء) أي قالوا متى ينجئنا هذا العذاب فاستجملوا نزوله على سبيل الطعن فيه وأظهروا أن الذي يقوله كلام لا أصل له فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم أنهم يستجملون الرسل بالسبئية قبل الحسنة أي ينزول العقوبة المهلكة قبل إحصاء الحسنات معهم بالنظر والامهال فإنه تعالى صرف عن بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم عقوبة الاستصال وآخر تمذيب مكذبه إلى يوم القيامة فذلك التأخير في حقهم هو الحسنة فهو لا يطلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول تلك العقوبة ولم يرضوا بما هو حسنة في حقهم سبئية سيئة لأنها تسوءهم وتؤذيهم ويجوز أن يكون المراد بالحسنة الثواب الموعود لهم في الآخرة وحصول النصر والظفر في الدنيا بشرط الإيمان فإنه صلى الله عليه وسلم كان يعدهم ذلك على الإيمان فالقوم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول العذاب بدل ما وعد لهم على الإيمان من النصر والظفر واعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا البعث والقيامة وهو الذي تقدم ذكره في قوله تعالى وإن تعجب فبجب قولهم هذا كآثر أباء وكما هددهم بعذاب الدنيا استجملوه وقالوا متى ينجئنا استهزاء وهو قوله ويستجملونك بالعذاب وقوله قبل الحسنة متعلق بالاستجمل ظرف له ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف على أنه حال مقدرة من السبئية وقوله وقد دخلت حال من المستجملين والعامدة على فتح الميم وضم الناء المثلثة وهو جمع مثله بفتح الميم وضم الناء أيضا كسمرة وسمرات وهي العقوبة الفاصحة ويقال لها ذلة أيضا بضم الميم وسكون الناء مثل صدقة وصدقة ويجمع على مثلات بسكون الناء وقيل المثلة العقوبة البقية في المعاقب شيئا وهو تغير تبق الصورة معه قبيحة وهو قولهم مثل فلان بفلان إذا فصح صورته أو قطع أذنه أو أنه أوسل عينه أو بقر بطنه فهذا هو الأصل ثم يقال للعار الباقي والخزى الا لازم مثله قال الواحدى أصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه ولما كان الأصل أن يكون العقاب منابها للمعاقب عليه وبما مثاله لا جرم أنه يسمى بهذا الاسم وقرئ الثلاث بضمين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الناء جمع مثله قيل لغة الحجاز والمثلات بضم الميم وسكون الناء على أن يكون المثلة بالضم والسكون لغة أصلية أو مخففة من المثلة بضمين وهو قوله بالتخفيف بعد الاتباع وقرأ الأعشى ويحاهد المثلث بفتحها جمع مثله على وزن صدقة أو جمع مثله كركبة وركبات (قوله مع ظلمهم أنفسهم) يعني أن قوله تعالى على ظلمهم معناه حال اشتغالهم بالظلم كما يقال رأيت فلانا على أكله والمراد حال اشتغاله بالأكل (قوله والعامل فيه المغفرة) يعني أنه هو العامل في صاحبها والافتعال الجار والمجرور محذوف أي مستتر في على ظلمهم ولا شك أن للستر على الظلم والمستعمل به لا يكون تابعا عنه فدللت الآية على جواز العفو بدون التوبة ولما لم يكن معمولا بها في حق الكفار للتصوص الدالة على عدم العفو عنهم بقيت معمولا بها في حق أهل الكيبرة فيكون قوله تعالى وإن ربك لتستد العقاب في حق الكفار أو في حق من شاء عقابه من عصاة المؤمنين ثم أنه تعالى لما استجيب من الكفار إنكارهم البعث والجزاء المستلزم لأنكار النوبة حكى أنهم طعنوا في نبوته صلى الله عليه وسلم ولم يقدروا بما شاهدوه من المعجزات وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم معجزات ظاهرة قاهرة مثل خلق البحر وقاب العصا نعبانا فقال ويقول الذين كفروا الآية فلقن الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجيبهم بأن يقول ليس على إتيان كل ما يترشح على وإنما على الإنذار عن مخالفة حكم الله وما يتوقف عليه ذلك الإنذار وهو إتيان ما ثبت به النبوة من جنس المعجزات فإن آتيت بمعجزة واحدة فقد تم المقصود فيكون طلب الباقي تحكما على مدعى النبوة فلا يلتفت إليه لتام الحجة بدون الباقي وأيضا فتح هذا الباب يفضي إلى إتيان ما لا نهاية له لأنه كلما جاء بمعجزة جاء واحد آخر فطلب معجزة أخرى وذلك يوجب سقوط عزم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو باطل (قوله

(ويستجملونك بالسبئية قبل الحسنة) بالعقوبة قبل الهافية وذلك أنهم استجملوا بما هدوا به من عذاب الدنيا استهزاء (وقد دخلت من قبلهم المثلات) العقوبات لا مثالهم من المكذبين فالهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الناء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصص وامثل الرجل من صاحبه إذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الناء على أنها جمع مثله كركبة وركبات (وإن ربك لذ مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم أنفسهم ومحل نصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقدير دليل جواز العفو قبل التوبة فإن التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغار المكفرة لمجناب الكبار وأول المغفرة بالستر والامهال (وإن ربك لتستد العقاب) للكفار أولي ساء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو لا عفو الله وتجاوز ما هتأ أحدنا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل أحد (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزل عليه واقتراح الحسم ما أوتى موسى وعيسى عليهما السلام (إنما أنت منذر) مرسل للإنذار كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تنصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يترشح عليك

نبى مخصوص بمجرات من جنس ما هو الغالب عليهم يعنى ان تنكيرها لعموم الافراد والمعنى ان لكل قوم من
 الاقوام هادى على حدة مغاير السائر الهداة وان الهداة على حسب اختلاف الاقوام الا ان المراد باختلاف
 الهداة اختلاف مجراتهم على حسب اختلاف طرق الاقوام وكالاتهم فانه تعالى وان سوى بين جميع الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام في اظهار المجزة الا انه تعالى خص نبى كل قوم بنوع من المجزة يناسب اطرق ذلك القوم فيلتزموا به
 عن سائر الاقوام من الكمالات فلما كان الغالب في زمان موسى عليه الصلاة والسلام هو السحر جعل مجزته
 ما هو اقرب الى طريقهم ولما كان الغالب في زمان عيسى عليه الصلاة والسلام الطب جعل مجزته ما يناسب الطب
 وهو احياء الموتى وبراء الاكبر والابرص ولما كان الغالب في ايام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة
 جعل مجزته ما كان لانتفاء ذلك الزمان وهو فصاحة القراءة وبلوغه في باب البلاغة الى حد خارج عن قدرة
 الانسان فلما يؤمنوا بهذه المجزة مع انها اقرب الى طريقهم والى بطباعهم كان أن لا يؤمنوا عند اظهار سائر
 المجرات اولى **(قوله او قادر على هدايتهم)** عطف على قوله نبى مخصوص والمعنى ان قومك ان لم يصدقك
 ولم يعتمدوا على ما ظهرت من المجرات فلا يصيق قلبك بسببه فانه ليس عليك الا الانذار واما الهداية فانها الى الله
 تعالى فانه الهادى لكل قوم يهدى بارادته تعالى من يشاء **(قوله ثم اردف ذلك الخ)** اى اردف ذكر ما حكى
 عنهم من انهم طلبوا آيات اخرى غير ما تانى به الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر ما يدل على كمال علمه والمقصود بيان
 وجد انتظام هذه الآية بما قبلها وهو انه تعالى حكى عنهم انهم طلبوا آيات اخرى غير ما شاهدوه من الآيات ثم احتج
 على كمال علمه بانه يعلم ما تحمل كل آية وكذا وكذا تنبيهها على انه تعالى يعلم من حالهم هل طلبوا آية اخرى للاسترشاد
 او لاجل التفتت والاعتاد فلو علم انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد ويدا الطمانينة لا ظهر ذلك وما منعهم اياه ولكنه
 تعالى لما علم منهم انهم لم يقولوا ذلك الا لخص العناد لاجرم منع عنهم **(قوله اى حله او ما تحمله)** يعنى ان كلمة
 ما فى قوله تعالى ما تحمله وما تنفيض الارحام وما تزداد يحتمل ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حل كل آية ويعلم غرض
 الارحام وازديادها لا يخفى عليه شئ من ذلك ولا من اوقاته واحواله ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى منصوبة
 المحل يعلم والعائد محذوف اى يعلم ما تحمله من الولد هل هو ذكر او اناث تام وان اقص حسن او قبيح طويل او قصير الى
 غير ذلك من الاحوال الخاضعة والمتربة ويعلم ايضا ما تنفضد الارحام وما تزداده على ان ما موصولة وغاى يستعمل
 لازما ومتعدا يقال غاى الماء يغض غيضا اى قل ونضب كما يقال اغاض ويقال ايضا اغاض الله ومنه قوله تعالى
 وغيض الماء وكذا ازداد فانه يقال زدت فزاد بنفسه وازداد ويقال اخذت منه حتى وازددت منه كذا واختلفوا
 فيما تنفضد الارحام وما تزداده ما هو قفل هوجئة الولد قد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة وقد تكون تامة الاعضاء
 وقد تكون ناقصة وقيل هو مودة ولادته فانها قد تكون تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رجا الله
 والى اربع عند الامام الشافعى رجا الله وكذلك عند الامام ابن حنبل والى خمس عند الامام مالك رجا الله تعالى
 وقيل هو عدد الولد فان الرحم قد يشغل على ولد واحد وعلى اثنين وعلى ثلاثة وعلى اربعة روى ان شريك رضى الله
 تعالى عنه وهو احد فقهاء المدينة رضى الله تعالى عنهم كان رابع اربعة في بطن امه وقيل هو دم الحيض فانه يقل
 ويكثر **(قوله فانهما الله تعالى)** على تقدير كونهما متعديين او لما فيها على تقدير كونهما لازمين فان كل
 واحد من الغيوض والزيادة ليس لنفس الارحام بل لما فيها **(قوله فانه تعالى خص كل حادث الخ)** اشارة
 الى ان قوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار المراد منه ان كل شئ فى حكمه وارادته مختص بوقت وحال وقيل يحتمل
 ان يكون المراد من العندية العلم ومعناه انه تعالى يعلم كية كل شئ وكيفية على الوجه المعين فيمتنع وقوع
 التغيير فى تلك المعلومات ثم انه تعالى احتج على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى سوء منكم من اسر
 القول الاية فقوله من اسر القول مبتدأ ومن جهر عطف عليه وسوء خبر بالبتدأ قدم عليه ومنكم حال من الضمير
 المستتر فى سوء لانه معنى مستور ولم يمتد الخبر مع انه خبر عن شئ لانه فى الاصل مصدر وان كان هنا معنى مستور
 والاستواء يقتضى شيئين فغنى الآية الانسان سوء كان اخر القول فى نفسه او اظهره بلسانه وسوء كان مستغنيا
 فى الظلمات او ظاهرا فى الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل **(قوله وهو عطف على من او على مستخف على ان)**
 من فى معنى الاثنين) جواب عما يقال ان الاستواء يقتضى شيئين فكيف يصح ان يعطف سارب على قوله مستخف
 مع انه مستلزم تحقق الاشياء بالاستواء فى شخص واحد له صفتان الاستخفاء والبروز ذلك لان جملة قوله تعالى

(ولكل قوم هادى) نبى مخصوص بمجرات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب اوقا در على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدى الامن يشاء هدايته بما يزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وسعوله قضائه وقدره تنبيهها على انه تعالى قادر على ازال ما اقترحوه وانما لم يزل لعله بان اقتراحهم للعناد دون الاستسداد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير ها دو وال وواق وما عند الله باقى بالتشوين فى الاصل فاذا وقف وقف بالياء فى هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والسا قون يصلون بالتشوين ويقفون بغير ياء فقال (الله يعلم ما تحمله كل آية) اى حله او ما تحمله انه على اى حال هو من الاحوال الخاضعة والمتربة (وما تنفيض الارحام وما تزداد) وما تنفضد وما تزداده فى الجنة والمرة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وستين عند ابي حنيفة روى ان الضحاك ولد لستين وهرم بن حبان لاربع سنين وعلى عدده لاحله وقيل نهاية ما عرف اربعة واليسد ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقال الشافعى رجا الله اخبرنى شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطوناً فى كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاى جاء متديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تعافان جعلتهما لازمين تعين ان تكون ما مصدرية واسناد هما الى الارحام على الحجاز فانهما لله تعالى او لما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لا يجاوز ولا ينقص عنه كقوله تعالى اناكل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معين وهما له اسبابا مسوقة اليه تفتضى ذلك (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والتهادة) الحاضره (الكبير) العظيم الشأن الذى لا يخرج عن علمه شئ (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته او الذى كبر عن زعم الخواقين وتعالى عنه (سواء منكم من اسر القول) فى نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفاء فى مخبأ بالليل (وسارب) بارز (بالتهار) يراه كل احد من سرته سروا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من فى معنى الاثنين كقوله نكن مثل من ياذن بصطحبان * كانه قال سوء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالتهار والاية متصلة بما قبلها مقرررة لكمال علمه وسعوله

من هو مستخف بالليل وسارب بالتهار معطوفة على جملة قوله تعالى من اسر القول ومن جهره وهما مبتدأ محكم
عليهما بالاستواء فلما عطف عليه قوله تعالى ومن هو مستخف بالليل وسارب بالتهار لم ينضم اليهما لان يكون هذا المعطوف
ايضا محكما عليه بالاستواء وهو متخص واحد له صفتان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو
سارب بالتهار ليحقق شيان يحكم عليهما بالاستواء واجاب المصنف عن رده الله بوجهين تقرر الاول ما ذكرنا
يلزم ان او كان وسارب معطوفا على قوله مستخف وليس كذلك بل هو معطوف على من فيتحقق شيان كما قيل
سواء منكم انسان وهو مستخف وسارب وتقرر الوجه الثاني سلطنا معطوف على مستخف لكن لانسم استلزامه
لكون الاستواء في شخص واحد بناء على ان كلمة من عبارة عن الاثنين كما قيل سواء منكم اثنان هما مستخف بالليل
وسارب بالتهار وعلى الوجهين تكون كلمة من موصوفة لاموصولة فيحمل الاولان ايضا على ذلك ليتوافق الكل
ومما وقع فيه كلمة من عبارة عن المتعدد ما وقع في بيت الفرزدق * نكن مثل من ياذنب يصطحبان وقوله

فقلت له لما تكثر ضاحكا * وقائم سعي من يدي بمكان

فقال فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من ياذنب يصطحبان

تكثير اى ابدى استانه وقائم السيف وقائمته مقصده والمعنى وانا قابض قائم سعي قضا قواي ليس بعده شيء من القوة
يظهر تجلده وسجاعته يخاطب ذبا اته ويقول له ان عاهدتني على ان لا تخونني كما نزل رجلين يصطحبان فجملة
يصطحبان صلة من وياذنب نداء اعترض بين الصلة والموصول (قوله لمن اسرار الخ) يعنى ان الضمير في له عائدا الى
من في قوله سواء منكم من اسر القول وقيل الى اسم الله المذكور في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والمعنى لله
معقبات (قوله من عقب مبالغة عقبة) فتكون صيغة التفعيل للمبالغة والتكثير كافي قولك طوف البيت وقيل
للملائكة عليهم الصلاة والسلام معقبات لكثرة تعقب بعضهم بعضا او لكثرة انهم يعقبون افعال المكلفين واقوالهم
فيكتبونها فيكون اطلاق المعقبة على الملك كاطلاق السابة والعلامة على الرجل وان اتاه فيها ليست للتأنيث
(قوله واعقب) عطف على قوله عقب فيكون معقبات اصله معقبات فادغمت اثناء في القاف (قوله والتاء
للمبالغة) جواب عما يقال الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالانوثة فجمع وصفه جمع الاناث فقيل معقبات فاجاب عنه
اولا بان التاء ليست للتأنيث وثانيا بانها للتأنيث بناء على ان المعقبة صفة لجماعة الملائكة فلما جمعت اريد بها الجماعات
قال جمهور المفسرين المراد بالمعقبات الملائكة الحفظة وصح وصفهم بالمعقبات اما لاجل ان ملائكة الليل تعقب
ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يعقبون افعال العباد واقوالهم ويلعبونها بالحفظ والكتب وكل من عمل عملا
ثم عاد اليه فقد عقب فعلى هذا المراد بالمعقبات ملائكة الليل والنهار (قوله وقرئ معاقب جمع معقب) بسكون
العين وكسر القاف كقاديم في جمع مقدم ومطاعم في جمع مطعم ومعقب اسم فاعل من قولهم ذهب فلان فاعقبه
ابنه اى اخلفه وهو مثل عقبه (قوله من جوانبه) اى كائنه من جوانبه او كائنه من قولهم ذهب فلان فاعقبه
من بين يديه متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر في الظرف الواقع خبرا وعلى انه صفة لمعقبات ويجوز ان
يتعلق بنفس معقبات بان تكون من لابتداء الغاية وعلى التقادير يتم الكلام عند قوله ومن خلفه فان قيل كيف
يتعلق حرفان فخذلان لفظا ومعنى بعامل واحد وهما من الداخلة على بين ومن الداخلة على امر الله فالجواب ان من
الثانية مغايرة للاولى في المعنى بان يكون معنى من الثانية يحفظونه من اجل امر الله اياهم بذلك او بسبب امره وقيل
من امر الله خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الحفظ من امر الله اى بما امر الله به لانهم لا يقدر ان ينفذوا امر الله
مما قضى الله وقدره (قوله او من الاعمال ما قدم واخر) فالظاهر ان كلمة من على هذا تعيلية اى له معقبات يعقب
بعضهم بعضا في التزول الى الاض لاجل ما بين يديه من الاعمال او لاجل ما خلفه اى لاجل ان يكتبوا ما قدمه وما
واجره من الاعمال والاقوال وقوله تعالى يحفظونه يجوز ان يكون صفة اخرى وان يكون حالا من الضمير المستكن
في الجار والمجرور الواقع خبرا وقوله من امر الله متعلق به والمعنى يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بعبادتهم له
وسؤالهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب او يحفظونه من المضار ويدل عليه ما روى عن مجاهد انه ما من مسلم
ينام الا وكل به وكلاؤه من الملائكة يحفظونه من الجن والانس والهوام او يحفظونه من المضار فاذا راوا شيئا
منها قالوا وراك وراك الاشيا قد قضى الله ان يصيبه وما روى عن عمر بن جندب قال كما جلوسا عند سعيد بن
قيس بصفين فاقبل على رضى الله عنه يتوكأ على عثره له بعد ما اختلط الظلام فقال سعيد امير المؤمنين

(له) لمن اسرا وجهرا واستخفى اوسرب (معقبات)
ملائكة تعقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة
عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا
اولا بهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها واعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة اولان المراد
بالمعقبات جماعات وقرئ معاقب جمع معقب ومعقبة
على تعويض الباء من احدى القافين (من بين يديه
ومن خلفه) من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر
(يحفظونه من امر الله) من بأسه متى اذنب بالاستمهال
او لاستغفاره او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى
اياه وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات

قال نعم قال اما تخاف ان يغتالك احد قال انه ليس من احد الا ومعهم من الله حفظه من ان يتردى في بئر او يخر من جبل او يصيبه حجر او تصيبه دابة فاذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر (قوله وقيل المعقبات الحرس والجلالوزة) وفي الصحاح الحرس حرس السلطان وهم الحراس الواحد حرسى لانه قد صار اسم جنس فينسب اليه ولا تقول حارس الا ان تذهب الى معنى الحراسة والحفظ دون الجنس وقال الجلاوز الشرطى والجمع الجلاوزة وهم اعوان السلطان فالقصد من هذا الكلام توبيخ الغافل المتعادي في غروره والتهكم به على اتخاذ الجلاوزة وهم اعوان السلطان والحرس بناء على توهم انهم يحفظونه من امر الله وقضائه كاي شاهد من ان بعض الملوك والسلاطين يتخذون الحرسى والشرطى لذلك والعاقل يعلم ان القضايا الالهية والنوازل المقدرة مما لا يمكن التحفظ عنه فانظر رأيهم وما ذهبوا اليه (قوله وانتصايهما على العلة بتقدير المضاف) احتج الى تقديره لان الخوف من صواعق البرق والطمع في غيئه لسان من فعل فاعل الفعل الملل لان الراء فعل الله والخوف والطمع فعل المخاطبين (قوله او الحال) اى ويحتمل ان يكون انتصايهما على ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال اما من المفعول الاول لقوله يريكم اى يريكم البرق خائفين صواعقه طامعين واما من المفعول الثانى وهو البرق اى يريكم اياه حال كونه ذا خوف وطمع او مخوفا ومطموعا في غيئه (قوله وقيل يخاف المطر من يضره الخ) عطف على قوله خوفا من اذاه وطمعا في الغيث اختار ان يكون الخوف منه والطمع فيه شيئين مختلفين وضعف ان يكون المراد منها شيئا واحدا بالنسبة الى شخصين واعلم انه تعالى لما خوف العباد بانزال ما امره به اتبعه بذكر آيات وانواع دالة على وجود الصانع القادر على ما يشاء النوع الاول آراء البرق قال تعالى هو الذى يريكم البرق الآية والبرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى وبانه ان السحاب لاشك انه جسم مركب من اجزاء رطبة ومن اجزاء هوائية ولا شك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء جسم بارد رطب والتار جسم حار يابس وحصول الضد من الضد على خلاف العقل فلا بد له من صانع مختار يظهر الضد من الضد والنوع الثانى من دلائل وجود الصانع وقدرته احداث السحاب الثقال بالماء وخلقته لان هذه الاجزاء المائية المشوبة بالاجزاء الهوائية انما حدثت وتكونت في جو الهواء بقدرة المحدث القادر على ما يشاء والقول بان تلك الاشياء اى الاجزاء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت وثقلت فرجعت الى الارض خبط لان الامطار مختلفة فارة تكون قطراتها كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متفاربة واخرى تكون متباعدة وتارة تدوم زمنا طويلا وتارة لاتدوم فاختلاف الامطار في هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وكذا طبيعة الشمس المسخنة للخارات واحدة لا بد ان يكون بتخصيص الفاعل المختار وايضا فالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرع في نزول الغيث اثرا عظيما ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة فعلنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصة والنوع الثالث من الدلائل المذكورة في هذه الآية الرعد اختلف العلماء في الرعد والبرق فقال بعضهم اسم ملك من الملائكة وهذا الصوت السمع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل وذلك يسمى ايضا بارعد ويؤيد هذا القول ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذى يسمع قال زجره السحاب فاذا شذت سحابة ضمتها واذا استند غضبه طارت من فيه نار هي الصاعقة وقيل الرعد ملك والبرق سوطه الذى يرتجى به السحاب وروى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله ينشى السحاب فينطقه احسن النطق ويضجكه احسن الضحك فينطقه الرعد ويضجكه البرق وهذا القول غير مسند بعقلا وذلك ان الآية ليست شرط الحياة عند اهل السنة فلا يعبد من الله تعالى ان يخلق الحياة والعلم والقدره والنطق في اجزاء السحاب فيكون هذا الصوت السمع فعلا له والمخاريق جحجج راق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد هنا انه يسوق بها الملائكة السحاب وقال بعضهم ان الرعد اسم لهذا الصوت الخصوص ولما كان سببا حاملا لن يسمعه على ان يسبح الله ويحمده استند اليه التسبيح والحمد اسنادا مجازيا فقيل ويسبح الرعد بحمده (قوله او يدل الرعد بنفسه) عطف على قوله ويسبح سامعوه يعنى ان التسبيح والتسبيح وما يجرى مجراهما ليس الوجود ما يدل على حصول النزاهة وانتقدس الله تعالى فلما كان حدوث هذا الصوت دليلا على وجوده وجد متعالى عن القص والزوال موصوف بتعوت الفضل والجلال كان ذلك فى الحقيقة تسبيحا

وقيل المعقبات الحرس والجلالوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضا الله (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والتعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا اراد الله يقوم سوفا فلا مرد له) فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب (وما لهم من دونه من وال) ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراده تعالى محال (هو الذى يريكم البرق خوفا) من اذاه (وطمعا) في الغيث وانتصايهما على العلة بتقدير المضاف اى آراء خوف وطمع او اتنا ويل بالآخافه والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوى او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه (وينشى السحاب) الغيم المسحب في الهواء (الثقال) وهو جمع ثقيل وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح سامعوه (بحمده) ملتبس به فيصيحون بسبحان الله والمجد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكما ل قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله وزول رجنه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب (والملائكة من خيفته) من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد

وتحميد الله تعالى ولذلك قيل في حق الرعد بمعنى الصوت المخصوص انه يسبح بحمده به فقول المصنف ويستبح
 سامعوه مبنى على ان يكون المراد بالرعد هذا الصوت المخصوص ثم اشار الى احتمال ان يكون المراد الملك الموكل
 بالسحاب بحكاية ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد اقدم الاحتمال الاول بناء على ان عطف قوله تعالى
 والملائكة من حيثية على الرعد يؤذن بان الرعد ليس بملك لان العطف يقتضي التقديرين الماعطوف والمعطوف عليه
 ولمن ذهب الى ان المراد بالرعد الملك الموكل بالسحاب ان يقول الرعد وان كان من جنس الملائكة الا انه افرد
 بالذكر على سبيل التشریف وقد اشترى بين العلماء ان العام اذا عطف على الخاص يراد به الافراد المماثلة لذلك الخاص
 وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الملائكة خائفون من الله تعالى وليس خوفهم كخوف ابن آدم فانه
 لا يعرف اخدهم من على عينه ومن على يساره ولا يستغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء اسلا والنوع الرابع
 من الدلائل المذكورة في هذه الآية ما ذكره الله بقوله ويرسل الصواعق الخ فان امر الصاعقة بحجب جداولها
 نار تنولد في السحاب مع ان طبيعة النار حارة يابسة ضد طبيعة السحاب فيجب ان تكون طبيعتها في الحرارة
 واليوسة من طبيعة النار الحادثة عندنا على ما يقتضيه العقل وليس الامر كذلك بل هي اقوى نيران هذا العالم
 فانها اذا نزلت من السحاب فر بما غاصت في البحر واحرق الحيتان تحت البحر فظهر ان اختصاصها بمنزلة تلك
 القوة لا بد وان يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار اياها بذلك ثم انه تعالى لما بين دلائل كمال علمه بقوله يعلم
 ما تحمل كل اشي الاية ثم بين دلائل كمال قدرته بذكر ما ذكره من الايات قال بعد ذلك وهم يجادلون اي هؤلاء
 الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله والواو التي في هذه الجملة ان كانت للحال يكون المعنى يقصّب
 بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله فان اريد بن ربيعة لما جدل في الله احرقته الصاعقة وان كانت لعطف
 الجملة على الجملة اي لعطف جملة وهم يجادلون على جملة قوله تعالى يعلم ما تحمل كل اشي الاية يكون وجه انتظام
 هذه الجملة بما قبلها انه تعالى اخبر اولاً عن علمه الشامل وقدرته الكاملة بقوله الله يعلم ما تحمل الاية ثم اخبر
 عن استواء الظاهر والخفي عنده بقوله سواء منكم الاية ثم اخبر عن وحدانية الله وتفرده بالاوهية بقوله وهو
 الذي يريكم البرق وقوله ويسبح الرعد بحمده الاية ثم قال انهم مع ذلك يجادلون في الله اي في شان الله من علمه
 وقدرته ونعوت جلاله وجهاله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث بقولهم من يحيي
 ويميت ومن الوحداية بانها ذم الشركاء ويجعلهم اياه بالبعث الاجسام حيث قالوا الملائكة بنات الله
 ونحو ذلك (قوله غداة كفدة البعير وموت في بيت سلوية) رواه امر فوعين بتقدير اصابني غداة كفدة البعير
 وموت في بيت سلوية وسلول قبيلة من العرب اقلهم وارذلهم قال قائل في حقهم
 الى الله اشكوا نبي طاهرا * فجاء سلول فيقال على نعلي
 فقلت اقطعوه ابارك الله فيكمو * فاني كريم غير مدخلها رجلي

كان عامر يقول ابتليت بامر من كل واحد منهما شر من الاخر احدهما ان غدتى كفدة البعير وان موى موت
 في بيت اردل الخلائق والغدة الطاعون للابل وقلنا تسلم منه يقال اغدت البعير اي صار ذا غدة وهي الطاعون
 محي السبنة رضي الله تعالى عنه ان عامر الما ولي هاربا ارسل الله تعالى ملكا فاطمه بجنحة فاوداه في التراب
 وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعدا الى بيت سلوية وهو يقول غدة كفدة البعير وموت في بيت سلوية
 ثم عدا بفرسه اي اجراه حتى مات على ظهره فاجاب الله تعالى دعاء رسوله بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فقتل
 عامر ابا الطاعون واربد بالصاعقة وقال وانزل الله تعالى في هذه القصة قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن
 جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالتهار له معقبات يعنى رسول الله من بين يديه ومن خلقه يحفظونه من
 امر الله (قوله تعالى وهو شديد المحال) في محل النص على انه حال من الجلالة الكر بمذاتى وهم يجادلون والحال
 انه شديد المكر والكيد لاعدائه تعالى يايتهم بالهلكة من حيث لا يحسبون هذا على تقدير ان يكون الواو في قوله
 تعالى وهم يجادلون في الله لعطف الجملة على الجملة واما ان كانت حالية فينبئ تكون هذه الجملة وما بعدها استئنافا
 لتعليل قوله تعالى فيصيب به من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال وسينشر اليه المصنف رجاء الله تعالى
 عليه بقوله والمراد بالجلتين ان الجوهري المحل الجديد وهو انقطاع المطر ويسر الارض من الكلال يقال المحل القوم
 والمحل البلاد اذا اصابهم القحط والمحل المكر والتكيد يقال محل به اذا سعى به الى السلطان وفي الدعاء ولا تجعله علينا

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه
 (وهم يجادلون في الله) حيث يكذبون رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة
 والنفرد بالاوهية واعادة الناس ومحازاتهم والجدال
 انشدد في الخصومة من الجدل وهو الال وانا واما
 اعطف الجملة على الجملة اول الحال فانه روى ان عامر بن
 الصغيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه
 عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف
 فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال المهم اكفنيهما
 بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا
 بعدة فمات في بيت سلوية وكان يقول غدة كفدة البعير
 وموت في بيت سلوية فمزلت (وهو شديد المحال)
 المماثلة المكيدة لاعدائه من محمل فلان بفلان
 اذا كاد به وعرضه للهلاك ومنه تحمل اذا تكلف استعمال
 الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط

ما حلا مصداقاً أي خصيماً ما حلا مصداقاً مجادلاً أو ساعياً مصداقاً على أن يكون من قولهم محل بفلان إلى السلطان إذا سعى به إليه قيل تمامه اللهم اجعله لنا شافعاً مشفعاً والضعيف للقرآن الشريف يعني أن من اتبعه وعمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة ومصداق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به والمباحلة المهالكة والمكيدة فعلى هذا تكون الميم في المحال أصلية ويكون وزنه فعالاً وقوله وقيل فعال من المحل بمعنى القوة عطف على قوله ولعل أصله المحل بمعنى القمح ولعل الوجه في ترجيح ما اختاره المحل بمعنى القوة ليس بمشهور ولذلك لم يذكره في الصحاح (قوله) وقيل مفعول من الحول أو الحيلة (الظاهر صحة الواو كما في قولهم مر ودومحور ومقود اجاب عنه بقوله اعل على غير قياس وذكر أبو البقاء أن المحل هو القوة يقال محل به إذا غلبه وفي الصحاح الحيلة بالكسر من الاحتيال وهو من ذوات الواو وكذا الحيل يقال لا حيل ولا قوة لغة في لا حول واستشهد رجعة الله تعالى عليه على كون المحال من الحول والحيلة بقرآءة من قرأ بفتح الميم فانه مصدر بمعنى الاحتيال والا صل في القرآن أن ينفسر بعضه بعضاً ويجوز أن يكون بمعنى الفقار وهو عود الظاهر فإن المحال لغة فيه أيضاً وفي الأساس قوى المحال أي قوى المحالات الواحدة محالة والميم أصلية ذكر في النهاية في حديث الجيرة ساعد الله أشد وموساه أحد أي لو أراد الله عز وجل تحريمها لبتق اذنها لخلقها كذلك فانه يقول سبحانه وتعالى كن فيكون (قوله الدعاء الحق) فيكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة والمعنى أن الدعوة التي هي التضرع والعبادة فحسان ما يكون حقاً وصواباً وما يكون باطلاً وخطأً والتي تكون حقاً منها مختصة به تعالى لا يشاركه فيها غيره وقد استشهد بين الحاجة أن هذه الإضافة تحتاج إلى تأويل فهم يأولون بنحو أن يقال له عبادة أهل الحق أو عبادة طالب الحق إلا أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ليكون الكلام مشعراً باختصاصه بما يكون حقاً من الدعوة والعبادة أي بالدعوة المختصة بكونها حقاً فاضيفت الدعوة إلى الحق لتكون الإضافة مفيدة اختصاص المضاف بالمضاف إليه (قوله الدعوة المجابة) على أن الحق بمعنى الثابت الغير الضائع الباطل وعلى الأول بمعنى الحق بالائق الغير الباطل وعلى أي معنى كان يكون الحق ما يناقض الباطل ويكون بينه وبين الدعوة ملازمة الوصفية والموصوفية الصحيحة للإضافة إليه (قوله) وقيل الحق هو الله تعالى فيه اشكال لأن الكلام حينئذ يكون في قوة قولنا لله دعوة الله ولا معنى له ولعل مراده بقوله الحق هو الله تعالى أن الحقيق للدعاء والمستحق للعبادة هو الله تعالى الذي يسمع دعاء من دعاه ويرى عبادة من عبده فلا يخيب سائله ولا يضيع عمل من عبده فيكون دعاء من توجه إليه دعوة للحقيق للدعاء المختص به تعالى وانما يرد الاشكال أن لو كان المراد بقوله الحق هو الله تعالى ووجه اتصال قوله وهو شديد المحال وله دعوة الحق بما قبلهما على تقدير كون الآية نازلة في عامر واربداً أن يكون قوله تعالى فيصوب بهما من بناء هو عامر واربداً ودعوى على تقدير كونها نازلة في عامة المجادلين أن يكون قوله تعالى وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال جلة معطوفة على ما تقدم عليها في قوله تعالى الله يعلم ما تخمّل كل أمي وما تفيض الارحام إلى آخر الآيات فتكون كل واحدة منهما وعيد العامة المجادلين (قوله) حذف الراجع أي إلى الموصول وهذا الراجع هو مفعول يدعون فالموصول أن كان عبارة عن الاصنام يكون المحذوف الراجع والمفعول جيعاً وفاعل يدعون ضمير المشركين والعائد المحذوف ضمير الاصنام وكذا لا يستجيبون أن كان عبارة عن المشركين يكون المحذوف المفعول فقط لأن ضمير يدعون يرجع إلى المفعول حينئذ وفاعل قوله لا يستجيبون ضمير عائد إلى مفعول يدعون المحذوف وعاد عليه ضمير العقلاء لمعاملته إياهم معاملة العقلاء والتقدير والمشركون الذين يدعون الاصنام لا يستجيبون أي لا يستجيب لهم الاصنام إلا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه إلى الماء أي من بسط كفيه إليه وطلب منه أن يبلغه فاه إذا لم يجد لا يتسر بسط كفيه ولا يعطيه وحاجته ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغه فاه وكذلك ما يدعونه جساد لا يجيب دعاءهم ولا يستطيع أجابته ولا يقدر على تفهمهم (قوله) الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه (الاستثناء مفرغ من اعم المصدر أي لا يستجيب الاصنام شيئاً من الاستجابة الاستجابة مثل استجابة من بسط كفيه أي مثل استجابة الماء من بسط كفيه على أن إضافة الاستجابة من قيل اختصته إلى مفعوله فان فاعلها الماء ومن بسط مفعوله والاستجابة بمعنى الإجابة كما في قوله

وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعول من الحول أو الحيلة اعل على غير قياس وبعضه انه قرئ بفتح الميم على أنه مفعول من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدر كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد (لادعوة الحق) الدعاء الحق فانه الذي يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره أو له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملازمة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء إليه دعوة الحق والمراد بالمجتلين أن كانت الآية في عامر واربداً أن اهلاً كهما من حيث لم يستعرا به محال من الله تعالى وإجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ودلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم أو بيان ضلالتهم وفساد رأيهم (والذين يدعون) أي والاصنام الذين يدعوههم المشركون حذف الراجع أو المشركون الذين يدعون الاصنام حذف المفعول لدلالة (من دونه) عليه (لا يستجيبون لهم) أي (شيء) من الطلبات (الأكسطة كفيه) الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه (إلى الماء ليبلغه فاه) يطلب منه أن يبلغه (وما هو بالغة) لانه جساد لا يتعبد دعائه ولا يقدر على إجابته والأتان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم

وداع دعائنا من يجيب إلى النداء * فلم يستجبه عند ذلك الخبيث

والتسبيح من المركب التمثيل شبه حال الاصنام مع من دعاهم من المشركين وعدم فوز المشركين من دعائهم الاصنام

وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يستترى الماء لشره فيسقط كفيه لشره وقرئ تدعون بالثناء وباسط بالتوسيع (ومادعاء الكافرين ان في ضلال) في ضياع وخسار وباطل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل ان يكون السجود على حقيقة فانه يسجد له الملائكة والمؤمنين من الفضل طوعا حالتي الشدة والرخاء وانكسره كرها حاله السدة والضرورة (وظلالهم) باعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم سؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصرفه اياها بالبدن واقلص وانصابت طوعا وكرها بالخال او المفعول له ودوله (بالعدو والاتصال) ظرف يسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والعدو جمع غداة كفى جمع قدة والاتصال جمع اصيل وهو ما بين العدو والمغرب وقيل العدو ومصدرو يؤيده انه قرئ ولا يصال وهو الدخول في الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالفهما ومتولى امرهما (قل الله) اجب عنهم بذلك اذلا جواب لهم سواء ولانه الين الذي لا يمكن المرافة اولقتهم الجواب به (قل انا اتخذتم من دونه) هم الهمم بذلك ان انصا ذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (اولياء لا يملكون انفسهم نفعا ولا ضررا) لا يقدرون على ان يطلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل نال على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يستغفروا لهم (قل هل يستوى الاعى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والمؤحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالك (ام هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حجة والكسائي وابو بكر بالياء (ام جمعوا لله شركاء) بل اجمعوا والهمزة للاسكان وقوله (خلقوا كخلقة) صفة لشركاء داخلية في حكم الانكار (فشا به الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) اى لا خالق غيره فبناكره في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقهم نفاه عما سواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب على كل شيء

قدره هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العباد لذلک فتخذهم شركاء وتعبدهم كما تعبدهم الله تعالى
اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوهم شركاء عاجزين على ما يقدر عليه الخلق فضلا عن يقدر واعلى ما يقدر
عليه الخالق ومعنى الاضراب المستفاد من كلمة بل التي تضمنتها المثلثة ان الله تعالى عطف عليهم ووجههم على
تعبس الامر حيث قال تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وذلک التعريف والتوبيخ بضرب مثل
الاعشى والبصير والظلمات والنور ثم اضرب عن ذلك الى انكار اتخاذهم شركاء يذهب الوهم الى صلاحية هم له
وبين ان تعكسهم ذلك لم يستأن عن شبهة فضلا عن حجة بناء على ان حكاية ذلك عنهم ادخل في ذمهم واهم في ذلك
المقام بالنسبة الى ما ذكر اولاً (قوله بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار) لما كان المقصود تمثيل الحق
واهلكه بالماء الذي ينزل من السماء ويسيل في الودية ويتفجع به الناس بوجوه الانتفاع ومن المعلوم ان بعض
المياه السائلة الى الانهار يتضرر به الناس ويذهب جفأ اي يرمى هو وكل شيء يمر عليه كذلك ناسب ان يفسر قوله
بمقدارها بالقدر الذي لا يتضرر به الناس ويؤيد هذا التفسير انه تعالى عبر عن هذا الماء السائل في الودية في مقام
التفصيل بقوله واما ما يتفجع الناس فدل هذا التفصيل على ان المراد بالماء ما يكون مطرا خالصا للشفع خاليا
عن المضرة ليحصل التماثل بين المجرى والمفصل فلذلك قدم المصنف رحمه الله هذا التفسير ثم قال او بمقدارها
في الصغر والكبر اي ان صغر الوادي قل الماء وان اتسع الوادي كثر الماء فيكون الضمير المجرور في قوله تعالى بقدرها
راجعا الى المعنى الحقيقي للفظ الودية على طريق الاستخدام لان قول المصنف رحمه الله تعالى واستعمل للماء الجاري
فيه يدل على ان لفظ الودية مجاز مرسل من قبيل ذكر الحمل واردة الحال (قوله رفعه) اشارة الى ان احتمال معنى
حل فان اقل قد يكون بمعنى فعل نحو جال واحتمل وتعريف السيل للاشارة الى حصة معينة من حقيقة السيل
المتقدم ذكرها بالكناية بذكر الفعل الدال عليها وهو قوله تعالى فسالت (قوله وضرب الغليان) اي الخشب
والوسخ المتجمع بالغليان والظاهر ان قيد الغليان بناء على الغالب لان الزبد اسم لكل ما علا على وجه الماء من الوضو
وغيره سواء حصل بالغليان او بغيره (قوله تعالى ومما توقدون) خير مقدم لقوله زبد ومثله صفة للبدء
مصححة للابتداء بالكرة ومن في مما لابتداء الغاية اي وزبد مثل زبد الماء ينسأ مما توقدون عليه اولتبع
بمعنى وبعض زبد وتلخيص المعنى الموقد عليه من جواهر الارض له زبد مثل الزبد الذي يكون على الماء بعلو عليه
اذا اذيب فالصافي يتفجع به كانه ينفع بالماء وزبد يطل كما يطل زبد الماء والقلزات جمع قلز بكسر الفاء واللام وتعدد
الزاي وهو ما في الارض من الجواهر المعدنية ونحوها كالذهب والفضة والنحاس والارصاص وغيرها (قوله
على وجه انهاون بها) وجه انهاون انه عدل عن التعبير عنها بالاسم الظاهر مثل ان يقال قلزات الارض والجواهر
المعدنية ونحوها وعبر عنها بما يدل على حاله هي احط الحالات من حالات هذه الجواهر وهي كونها توقد عليها النار
وتذاب بها ولما ورد ان يقال جعل هذا التعبير مائيا على ارادة انهاون بها لانه انما يناسب المقام لان المقصود تمثيل الحق بها
وتحقيرها لانه انما يناسب اشارة الى جوابه بقوله اظهار الكبرياء يعني ان حقارتها عند خالفها لينا في عزة قدرها عند
الخلوقات وقوله عليه متعلق بتوقدون وقوله تعالى في النار محتمل ان يكون متعلقا به ايضا وان يكون متعلقا بمحذوف
اي كائنا وثابتا فيها وقوله تعالى ابتغاء حلية مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال اي مبتغين حلية
يتزينون بها وقوله او متاع عطف على حلية والمتاع كل ما يتمتع به وقرأ حجنة والنكسائي وحفص يوقدون بياء انغية
اي مما يوقد الناس والباقون بياء الخطاب (قوله جفأ) حال اي باطلا مرى الجوهري الجفأ ما نفاه السيل
يقال جفأ الوادي جفأ اذا رمى بالثاء والزبد وجفأ القدر اذا رمى بزبد عند الغليان واجزاء لغة فيه والجفأ
بالضم ما نفاه السيل وجفأ القدر ما اخذته بالعرفه انتهى والكافي في قوله تعالى كذلك في محل النصب اي مثل
ذلک الضرب والبيان يضرب الله تعالى ويبين مثل الحق والباطل لان العرب كانت عادتهم انهم يثبتون المقصود
بالثلث وقد انزل الله تعالى القرآن بلغة العرب فاوضح لهم الحق وميزه عن الباطل بالثلث كما اوضح المشرك الجاهل
بحقيقة العباد والموجب لها وميزه عن الموحد العالم بذلك بان مثل الاول بالاعشى والنسائي بالبصير وكذلك
ميز الشرك والتوحيد بمثل آخر فخل الحق والتوحيد بالماء الصافي وبالقلز ومثل الشرك والباطل بزبد هما
وبين وجد الشبه بما اثبت لنفسه من الذهاب باطلا مطروحا والثبات نافع مقبولا (قوله واللام
متعلقة بضرب) يعني ان قوله تعالى للذين استجابوا متعلق بضرب فيكون فريقا المؤمنين الذين استجابوا

(انزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء
او من السماء نفسها فان المبادى منها (فسالت
اودية) انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء
فيه بكثرة فأتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه
وتكررها لان المطر يأتي على الثاوب بين البقاع
(بمقدارها) بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع
غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر (فاحتمل السيل
زبدا) رفعه والزبد وضرب الغليان (رابيا) عاليا
(ومما توقدون عليه في النار) يعم القلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها
اظهار الكبرياء (ابتغاء حلية) اي طلب حلية
(او متاع) كالآواني والآلات الحرب والحرب والمقصود
من ذلك بيان منافعتها (زبد مثله) اي ومما توقدون
عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن لا يبدء
اولتبع وقرأ حجنة والنكسائي وحفص بالياء على
ان الضمير للناس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله
الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق
في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به
الالودية على قدر الحاجة والمصلحة فيتفع به انواع
المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابه
وبسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى
والآبار والقلز الذي يتفجع به في صوغ الحلى والتمتع
الامعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل
في قلة نفعه وسرعة زواله بزبد هما وبين ذلك بقوله
(فاما الزبد فيذهب جفأ) بمجفائه اي يرمى به السيل
او القلز المذاب وانتصا به على الحال وقرئ جفأ لا
والمعنى واحد (واما ما ينفع الناس) كالماء وخلصا
القلز (فيمكث في الارض) يتفجع به اهلها (كذلك
يضرب الله الامثال) لا يصح المتهات (للذين
استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنی)
الاستجابة الحسنی (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة
واللام متعلقة بضرب

(اولئك لهم عقي الدار) عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مأول اهلها وهي الجنة والجنة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاول الابواب فاستشاف بذكر ما استوجبوا تلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقي الدار او مبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آباءهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساق للفصل بالضمير الآخر ومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعالهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالتساقعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم بعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقيد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والخف قائلين (سلام عليكم) بتارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لاسلام فان الخبر فاصل والباء للسيئة او للبدلية (فتم عقي الدار) وقرئ فتم فتح التون والاصل نعم فمكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين يقضون عهد الله) يعني مقالي الاولين (من بعد مشافه) من بعدما وثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض) بالظلم وتمجيح الفتق (اولئك لهم العنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقي الدار (الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسفه ويشقده (وفر حوا) اي اهل مكة (بالحياة الدنيا) بما سبط لهم في الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة) اي في جنب الآخرة (الامتع) الامتعة لا تدوم كجمالة الركب وزاد الراعي والمعنى انهم أشعروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به عيم الآخرة واشعروا بما هو في جنبه نزل قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من اناب) اقبل الى الحق ورجع عن الضلال وهو جواب يجري مجرى التجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عندكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل يادي منه من الآيات

بدوام لسلامة (قوله عاقبة الدنيا) اي التي تخلف الدنيا وتجيء بعدها وكل ما جاء بعد شيء فهو عاقبته واثاء لتأنيث الموصوف وهي الجنة فانها هي التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها واثار وان كانت عاقبة الدنيا بالنسبة الى الكفار لقوله تعالى وعقي الكافرين النار لانها لما كانت عاقبة لها بالنسبة اليهم لسوء اختيارهم ليس كونها عاقبة لها مقصودا بالذات قال الواحدى رحمه الله تعالى العقي كالعاقبة ويجوز ان يكون مصدرا كالشورى والقرى والرجى اضيف الى فاعله والمعنى اولئك لهم ان تعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة (قوله والجنة) وهي قوله تعالى اولئك لهم عقي الدار خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وجعلها جملة اما باعتبار ان عقي الدار مبتدأ ولهم خبره قدم عليه والجنة خبر اولئك واما باعتبار ان لهم خبر اولئك وعقي فاعل للاستقرار الذي قام الجار والمجرور مقامه (قوله والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم) اي من آمن منهم وقدرى ذلك عن مجاهد رضي الله تعالى عنه قال الامام وفي قوله من صلح قولان الاول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم والثاني قول الزجاج بين الله تعالى ان الايمان لا ينفع اذا لم يحصل معه اعمال صالحة بل الا بآء والازواج والذرية لا يدخلون الجنة الا بالاعمال الصالحة قال الواحدى رحمه الله تعالى والصحيح ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وذلك ان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور اهلته معه في الجنة وذلك يدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الاتى بالاعمال الصالحة ولو دخلوها بما عملهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعدة به اذ كل من كان صالحا فهو يدخل الجنة ثم قال الامام واعلم ان هذه الجنة ضعيفة لان المقصود بشاره المطيع بكل ما يريد سرورا وبهجته فاذا بشر الله تعالى المكلف بانها اذا دخل الجنة فانه يحضر معه ابواه واولاده الصالحاء فلا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك ويقوى به ويقال ان من اعظم سرورهم ان يجتمعوا فينتدوا احوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على اخلاص منها والقوز بالجنة فقول المصنف رحمه الله تعالى والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم جواب عما يقال لو كان المراد من قوله تعالى ومن صلح من آباءهم الموصوفين بتلك الصفات من اهلهم لما ظهرت النائدة في وصف المطيع به اذ ليس دخولهم الجنة من ثمرات طاعتهم بل من ثمرات طاعتهم (قوله من كل باب من ابواب المنازل) بان يكون لمقامهم ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك (قوله او من ابواب الفتوح) بان يكون الباب بمعنى التورع ويكون المعنى من كل نوع من الفتوح والخف بان يأتي كل بخفة غير التحفة التي اتي بها الملك الاخر على اختلاف خبراتهم وقدر اعمالهم (قوله متعلق بعليكم) اي بما تعلق به عليكم (قوله او بمحذوف) اي يحتمل ان يكون بما صبرتم خبر مبتدأ محذوف اي هذا الثواب الجزيل ثابت لكم بما صبرتم وما مصدر يذو بسبب صبركم ولا يتعلق بالمصدر اي بسلام اذ المصدر لا يفصل بينه وبين معموله (قوله تعالى الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) جواب عما يرد على قوله تعالى الذين يقضون عهد الله الى قوله اولئك لهم العنة ولهم سوء الدار وهو ان من نقض عهد الله تعالى لو كانوا معلمين في الدنيا ومعذرين في الآخرة لما فتح الله تعالى عليهم ابواب النعم والذات في الدنيا وتقرر الجواب ان فتح باب الرزق في الدنيا لاتعلق له بالكفر والايمن بل هو متعلق بمجرده مبدء الله تعالى فتدضييق على المؤمن امتحانا للصبر وتكثيرا لذنوبه ورفعاً لدجاته ويوسع على الكافر استدراجا قال الواحدى رحمه الله تعالى معنى القدر في اللغة قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان فمعنى يقدر ههنا انه تعالى يعطيه رزقه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه في قوله تعالى الله يسط الرزق اي الله وحده هو يسط الرزق ويقدره دون غيره ولم يشرع له المصنف رحمه الله تعالى لان مثل هذا التركيب عند صاحب المفتاح تعالى نص في افادة تقوى الحكم ولا يحتمل التخصيص البتة لان المبتدأ ثابت في مكانه وليس مثل ان اعرفت في احتمال التخصيص وانتقوى (قوله كجمالة الركب) وهي ما يتجمله من معيرات او شربة سويق او نحو ذلك وفي الصحاح الجمالة بالضم ما تجلته من شيء وانما كجمالة الركب والاعجالة ما يجعله الراعي من اللبن الى اهلته قبل الحلب (قوله وفر حوا) استشافي اخبار وليس عطف على صلة الذين قبله لانه يستلزم تخلص الفاصل بين ابعاض الصلة وهو الخبر وايضا هو مانس وما قبله مستقبل ولا بد من اتفاق (قوله في الآخرة اي في جنب الآخرة) ولا يجوز ان يكون ثلثا للحياة ولا للدنيا لانها لا يقعان في الآخرة وانما هو حال والتقدير وما الحياة القريبة كائنة في جنب الآخرة الامناع (قوله وهو جواب يجري مجرى التجب) جواب عما يقال ما وجه

(ادين آمنوا) بدل من من اواخر مبتدأ محذوف
(ونضمن قلوبهم بذكر الله) انسابه واعتمادا عليه
ورجاء مندا وبذكر رحمة بعد التلق من خستته اوبذكر
دلائله الدال على وجوده ووحدايته اوبكلامه يعني
انتم ان اذى هو اقوى المجزات (الاينذكر الله قطعت
القول) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)
م تدا خبره (طوبى لهم) وهو فعل من الصيب قلبت
ناؤه واوالصمة ما قبلها مصدر اطلب كسرى وزلى
ويحوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن
ما) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعني ارسال الرسل
قلبك (ارسلناك في امة قد خلت من قبلها) تقدمتها
(امم) ارسلوا اليهم فليس يبدع ارسالك اليها (لتلو
عليهم الذي اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذي
اوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحن) وحالهم انهم
يكفرون بالبلغ الرحة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت
كل شيء رحمة فليشكروا نعمه وخصوصا ما اتم عليهم
بارسالك اليهم وانزل القرآن الذي هو مناط المنافع
الدينية والدينية عليهم وقيل نزلت في مشركي اهل
مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحن فقالوا وما الرحن
(قل هوربي) اي الرحن خالق ومتولى امري
(ذالاهوا) لاستحقاق العبادة سواء (عليه توكلت)
في بصري عليكم (واليه متاب) مرجعي ومرجعكم
(ولوان قرأنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه
والمراد منه تعظيم شأن القرآن اوالمبالغة في عناد الكفرة
ونصميمهم اي ولوان كبار عن عتبه الجبال عن مقارها
(او قطعت به الارض) تصدعت من خسية الله عند
قراءته اوشفتت جعلت انهارا وعيوننا (او كلبه الموتى)
فقرأه اوفسمع وتجب عند قراءته لكان هذا القرآن
لانه العاية في الانحجار والنهاية في التذكرو الانذار اولما
آمنوا به لقوله ولوانا نرك اليهم الملائكة الآية وقيل
ان قريسا قالوا يا محمد ان سرنا ان نبشرك فسير بقرآتك
الجبال عن مكة حتى تسع انا فتخذه فيها بساتين
وقطائع اوسخر لثابه الريح لركبها وشجر الى السام
اوابعث لثابه قصي بن كلاب وغيره من آياتنا ليكمونا
فيك فزلات وعلى هذا فقطع الارض قطعها
بالسرو وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحن وما بينهما اعتراض وتذكيركم خاصة
لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي

انطبق هذا الجواب لقول الكفرة يا محمد ان كنت رسولا فأتنا بمجزة ظاهرة فاهرة مثل مجزة موسى وعيسى
عليهما الصلاة والسلام فاجبه قوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب جوابا عن سؤال
الكفرة وتقرير الجواب انه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك لان الايات الباهرة التي ظهرت على يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلغت في الكثرة وقوة الدلالة الى حيث استحال ان تصير مثبته على العاقل فطلب آيات اخرى
بعد ذلك موضع ايات التعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم الخ وفي الصحاح اناب الى الله تعالى
اي رجع اليه وتاب وقول المصنف رحمة الله تعالى اقبل الى الحق اسارة الى ان ضمير اليه في قوله تعالى ويهدي اليه
راجع الى الحق وان الاضلال والهداية انما هو بالنسبة اليه (قوله انسابه واعتمادا عليه) لان الاضطراب والقلق
انما يكون بسبب الوجع او بسبب الجزع عن كفاية المهملات ومن ذكر الله تعالى وابقى يكونه مستجيبا لجميع
صفات الكمال منزها عن جميع صفات نقصان احبه ومن احبه لا جرم يسأله به ويضمن قلبه اي يسكن اليه
ويترك القلق والاضطراب وايضا يتيقن بكون علمه محيطا بجميع احواله وبكمال قدرته وسعة فضله ورحمته فلا جرم
لا يعتمد الا عليه ولا يرجو الا منه (قوله اوبذكر رحته بعد التلق من خستته) فان المؤمن اذا ذكر عظمة الله
تعالى وعلو شأنه وعن سلطانه لا جرم يغلب عليه الخوف والخشية كما قال تعالى في سورة الانفال انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا ذلت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون والوجل ضد الاطمئنان ثم اذا ذكر
سعة رحته وفيضان بحار فضله واحسانه على جميع خلقه سكن قلبه وزال وجعه واضطرابه وايضا القلوب لا يحصل
لها طمأنينة اليقين الا بذكر ما نصبه الله تعالى من الدلائل الدالة على وجوده ووحدة تغافل بذكر القلب هذه الدلائل
يبقى في قلق وتردد فهذه الوجهان بيان على تقدير المضاف في قوله بذكر وقوله اوبكلامه مني على ان يكون
المراد بذكر الله تعالى كلامه فيكون الكلام تعريضا للكفار الذين قالوا لولا انزل عليه آية من ربه بلانهم انما قالوا ذلك
لعدم تفكرهم فيه ووقوفهم على كونه مجزة فاهرة باهرة بخلاف المؤمنين فان قلوبهم مطمئن به ولا تطلب مجزة
سواه (قوله ويجوز فيه الرفع والنصب) لما ذكر ان جله طوبى لهم في محل الرفع على انها خبر المبتدأ المذكور
بين ان لفظ طوبى يجوز ان يكون مفعولا على الابتداء اولهم خبره والجملة خبر الاول وجاز الابتداء بطوبى اما لانها
علم لشيء بعينه واما لانها نكرة في معنى الدعاء كسلام عليكم وويل له كأنه قيل خير لهم وغبطة اوحسن لهم
اولعمى لهم يقال طوبى لكم ان اصبتم خيرا ووجه كونه علما لشيء بعينه ما قيل من ان طوبى اسم الجنة بلسان الجنة
وقيل هو اسم سجرة في الجنة اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دور اهل الجنة فعلى هذا يكون
وجه الآية ان اهل الكتاب ادعوا تلك السجرة لانفسهم فاخبر الله تعالى انها للذين آمنوا بالله ويجوز ان يكون
منصوبا بفعل مضمر اي وجعل لهم طوبى وايد هذا الوجه بقرآءة من قرأ وحسن ما ب بالنصب وان كان طوبى
مصدرا من طاب كبشري وزلى يحتمل الرفع والنصب ايضا كقولك طيب لك وطيب لك وسلام لك (قوله مثل ذلك) اسارة الى ان الكاف في محل النصب بالفعل الذي بعده والاشارة الى ما هو حاضر في ذهن
المخاطب من ارسال الرسل المتقدمين الى ائمتهم كأنه قيل كما انه قد خلت من قبلك امم ارسلنا اليهم ارسلناك ايضا الى
هذه الامة (قوله وقيل نزلت في مشركي اهل مكة حين قيل لهم الى آخره) عطفت على ما يفهم من قوله وحالهم انهم
يكفرون بالبلغ الرحة وهو ان يكون معنى الآية انا ارسلناك الى هذه الامة لتأول عليهم القرآن وتزيتهم بحلية
الايان وحالهم انهم يكفرون بالله ولا يعرفون قدر رحته ولا انعامه تعالى عليهم بارسالك وانزال القرآن العظيم عليهم
وعلى ما قيل يكون معنى الآية والله تعالى اعلم وهم يكفرون بالرحن اي انهم يكفرون بالبلغ الرحة وهو الله تعالى
لانهم يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه (قوله والمراد منه تعظيم شأن القرآن) على ان يكون الجواب المحذوف
قوله لكان هذا القرآن وقوله او المبالغة في عناد الكفرة على تقدير ان يكون الجواب لما آمنوا به (قوله وقطائع)
جمع قطيعة وهي الارض التي يزرع فيها (قوله وقيل الجواب مقدم) عطفت على قوله حذف جوابه اي قيل
جواب لو هو قوله تعالى وهم يكفرون بالرحن اخر الشرط وقدم عليه جوابه كأنه قيل ولوان قرأنا عظيم
الشان الذي لا يكتنه كنهه ظهرت تلاوته هذه الامور لاصروا على كفرهم بمنزلة الرحن وهو في الحقيقة دال عليه اي
على الجواب وليس نفس الجواب (قوله وتذكيركم خاصة) جواب عما يقال لم حذف التاء في قوله تعال او كلبه
الموتى وابنت في القملين المذكورين قبل مع استواء الجميع في استناده الى الظاهر المؤث الغير الحقيقي وتقرير الجواب

ان الموتى لما اشدت على المذكر الحقيق وغيره غلب المذكر على غيره بخلاف الجبال والارض واعلم ان قوله تعالى ولوان قرء آتاسيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ان كان المراد به تعظيم شأن القرء ان يكون من جملة ما هو موقول القول اى قل هو ربى وقيل لو ان قرء آتانا وان كان المراد به المبالغة في عناد الكفرة بان يكون الجواب المقدر قوله لما آمنوا به تكون الآية متصلة بقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا نزل عليه آية من ربه في كونها بيانا لفرط عنادهم وشدّة سكتهم ويكون قوله وقيل ان قرء آتالحي تأكيداً ويأيد هذا الوجه لانه لا يخالف هذا الوجه الا في تفسير تقطيع الارض وسبق الاقتراح قال الواحدى رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية لما قالت قر يش للنبي صلى الله عليه وسلم ما ذكره المصنف رحمه الله انزل الله تعالى ولوان قرء آتاسيرت به الجبال اى جعلت تسيرا وقطعت به الارض اى شققت فجعلت انهارا وعبروا او كلم به الموتى اى احياوا حتى تسكلموا وجواب لو محذوف وقال القرء تقديره لكان هذا القرء آن والمعنى لو ان قرء آتانا ما فعل به ما اتسموا لكان كذلك هذا القرء آن وقال الزجاج جويله لما آمنوا وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يريد لو قضيت ان لا يقرأ القرء آن على الجبال الاسارت وعلى الارض الاتخرفت وعلى الموتى الاسكلموا وحيا ما آمنوا لما سبق عليهم في على وقوله تعالى بل الله الامر جميعا معناه دع عنك ذلك الذى قالوه من تفسير الجبال وغيره فالامر لله جميعا لوسا ان يؤمنوا لا آمنوا وان لم يسأل لم ينفع تفسير الجبال وسائر ما اقترحوه من الايات ثم أكد ذلك بقوله تعالى افلم يأس الذين آمنوا ان لو يسأ الله لهدى الناس خبيعا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه افلم يعلم وقال الكلبي رضى الله تعالى عنه يسأ يسأ في لغة النخع الى هنا كلام الواحدى رحمه الله تعالى ومن الياس بمعنى العلم قول الساعر

الم يأس الا قوام اى انا بانه * وان كنت عن ارض العترة نائيا

اى لم يعلموا واصل الياس قطع الطمع في النجاة والقنوط منه وهو مسبب عن العلم بان ذلك الشيء لا يكون واطلاق لفظ المسبب مجاز شائع (قوله وهو اضراب عما تضمنته لوم من معنى النجاة) اما ان كان المراد منه تعظيم شأن القرء آن فلان المعنى يكون حيث لو ان قرء آتانا على اى معنى كان فعل به هذه الافعال لكان كذلك هذا القرء آن المنزل عليك لكن لم يفعل بسىء من الكتب المنزل على الرسل عليهم الصلاة والسلام ذلك فلم يفعل ذلك بقرء أنك ايضا بل لله الامر جميعا اى ما ذكر من الامور وغيرها انما يكون لله تعالى يفعل ما يشاء بقدرته وان كان المراد منه المبالغة في عنادهم يكون المعنى ايضا لو ان قرء آتانا ما فعل به هذه الافعال لما آمنوا لكن لم يفعل بسىء من القرء آن ذلك لا لاجل عدم قدرته عليه بل لله الامر جميعا وكذا ان كان جوابه ما تقدم عليه من قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن (قوله ويؤيد ذلك) اى ويؤيد ان المراد لالتين شكيتهم بسبب اتيان ما اقترحوه فلا يؤمنوا فلذلك لم تتعلق ارادته تعالى بذلك (قوله ولذلك) اى ولكون المراد من الياس العلم بما اذا جعلت ان الخففة مع ما في خبرها في محل النصب على انها مفعول الياس بمعنى العلم فان أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة الامتناعية بعدها خبرها فكلمة لولما كانت لا تنفاه الشيء لا تنفاه غيره كان محصول الكلام افلم يعلم الذين آمنوا ان الله تعالى لا يهدى الناس نجيعا لعدم تعلق مسيئته باهتداء الجميع لعلمه بان بعضهم يختار الكفر والضلال فيكون هذا الكلام سواء كان ان لو يسأ الله متعلقا بالياس بمعنى العلم او محذوف او بآمنوا مؤيدا لكون المراد بقوله تعالى بل لله الامر جميعا انه قادر على اتيان ما اقترحوه الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بان اتيانه لا يؤدى الى اهتدائهم واذ كان ان لو يسأ مفعول آمنوا كان مفعول لم يأس محذوفا اى لم يأس من ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بهذه القضية قيل ان طائفة من المؤمنين قالوا يا رسول الله اجب هؤلاء الكفار بان تأتي بما اقترحوه من الايات فسي ان يؤمنوا فقال الله تعالى افلم يأس الذين آمنوا ان لو يسأ الله لهدى الناس جميعا الآية وهو استفهام بمعنى الاقرار والفاء فيه عاطفة دالة على تفرع ما بعدها على امر معلوم قبلها اى اطعموا في ايمانهم فلم يأسوا بعد ما رأوا كثرة عنادهم بعد ما شاهدوا الايات (قوله ملاوة من الزمان) الجوهري اتمت عنده ملاوة من الدهر بفتح اليم وضمها وكسرهما اى حينا وبرهة منه (قوله والخبر محذوف) يعنى ان كلمة من في قوله تعالى افلم يأس هو قائم موصولة من فوعة المحل على الابتداء وقوله تعالى هو قائم صلتهما وخبرها محذوف حذف لدلالة قوله تعالى وجعلوا لله شركاء عليه فانه استئناف جوي به للدلالة على اخبار المحذوف ولا يد من وجه

(بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عن ما تضمنته لوم من معنى النجاة اى بل الله قادر على اتيان بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا يلدن له شكيتهم ويؤيد ذلك قوله (افلم يأس الذين آمنوا) من ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب أكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجاعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المؤمنين منه لا يكون ولذلك علقه بقوله (ان لو يسأ الله لهدى الناس جميعا) فان معناه نبي هدى بعض الناس لعدم تعلق المسيئة باهتداء نهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم يأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يسأ الله لهدى الناس جميعا او آمنوا (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعمال (قارعة) داهية تزعجهم وتقلقهم (او تحل قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطأ برالهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حوالهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية (حتى يأتي وعد الله) الموت والقيامة او فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) لا مناع الكذب في كلامه (ولقد استهزى برسل من قسلك فاملت للذين كفروا) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وأن من (ثم اخذتهم فكيف كان عقاب) اى عقابي اياهم (افل هو قائم على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت) من خير او شر لا يخفى عليه شئ من اعمالهم ولا غوت عنده شئ من جزأهم والخبر محذوف تقديره كن ليس كذلك

ارتباط هذه الحجة بما قبلها وتعرعها عليه ليصح موقع الفاء ووجهه انه تعالى لما ذكر قوله تعالى بل الله امر جميعا
 اى ليس لاحد منه شئ سواء هدى ام اضل واصطنى ام خذل وعقبه بقوله تعالى افلما يس الذين آمنوا ان لولياء
 الله لهدى الناس جميعا ترشحها لهذا المعنى وتنصيصا على تصميمهم وعنادهم واتباعه بذكر وعيدهم متدرجا الى
 تسلية من واجهوه بالكذب والانتكار اورد على المشركين ما يجرى مجرى الحجاج وما يكون توبيخا لهم وتجييبا
 من سخافة عقولهم فقال تعالى افن هو قائم وهو استفهام بمعنى النفي اى ليس من هو قائم على كل نفس
 بما كسبت اى قائم بالتسديد في جزائها وقيل بحفظها وادرار رزقها ومعنى القيام ههنا التولى لأمور خلقه
 والتسديد للارزاق والآجال واحصاء الاعمال للجزاء فتخلص المعنى افن هو محاز كل نفس بما كسبت
 كن ليس بهذه الصفة من الاصنام التي لا تضر ولا تنفع **(قوله او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية)**
 اى يكسبها ويجعلها لله شركاء **(قوله تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها)** اى العبادة يعنى ان المقام
 مقام الاحتجاج على بطلان مذهبهم وليس قوله تعالى قل سمعهم صريحا في ابطاله بل هو تنبيه على بطلانه كانه قيل
 سمعهم واذكروا ما لهم من الاوصاف النابتة في نفس الامر لا على طريق تسمية الزنجى كافورا فانظروا هل تجدون
 فيهم ما يستحقون به ان يعبدوا ويتخذوا شركاء **(قوله بل انبئونه)** اشارة الى ان ام هذه منقطة مقدرة بل
 والهزة وهو اضراب عن الزامهم الحجة بان يطلب منهم ان يصفوهم فينظروا هل يجدون فيهم ما يدل على استحقاق
 العبادة بقوله ام تنبئونه اى اتخبرون الله تعالى بشركاء له يستحقون العبادة لا يعلمهم الله وهذا نفي للشركاء على
 وجه بليغ لانه كناية واستدلال بنفي اللزم على نفي اللزوم وهذا على تقدير ان تكون كلمة عبارة عن الشركاء
 المستحقين للعبادة ويحتمل ان تكون عبارة عن صفاتهم التي يستحقون العبادة لاجلها لا يعلمها الا الله تعالى فيكون
 نفي تلك الصفات عنهم بنفي اللزوم ثم اضرب عن قوله سمعهم بوجه آخر فقال تعالى ام بظاهر من القول وهو انكار
 وتوبيخ انكر عليهم اتخاذهم الشركاء بانكم لفرط جهلكم وسخافة عقولكم تسعونهم شركاء وهذه التسمية قول
 لاحقيقه بل هي من قبيل تسمية الزنجى كافورا في كونها تسمية خالية عن اعتبار المعنى ان هي الاسماء سميت موها
 اتم واما زك ما نزل الله بها من سلطان ولا شك ان هذا احتجاج على اساليب بدعية **(قوله ثم خالوها)** اى ظنوها
 يقال خلت الشئ اى ظنته ومنه من يسمع يخل **(قوله وقرأ ابن كثير)** وقرأ الكوفيين وصدوا وامنوا
 للمفعول من صد المنعدي وعلى قراءة غيرهم يحتمل ان يكون متعبدا حذف مفعوله اى صدوا غيرهم وانفسهم
 وان يكون لازما بمعنى اعرضوا وتولوا وقرئ بالكسر على انه مبنى للمفعول اصله صد بد بضم الاول فقلت كسرة
 الدال الى الصاد كاقبل في بيع ومثل هذا النقل في الفعل الصحيح شاذ **(قوله من عذابه اورجته من واق)**
 يعنى ان قوله تعالى ما لهم من الله من واق فيه وجهان من الثانية في كلا الوجهين زائدة ومن الاول متعلقة بواق
 في الوجه الاول ومتعلقة بحذف على انه حال من واق في الوجه الثاني اى ما استقر لهم كائنا من رجة واق قدم
 الحال لكون ذى الحال نكرة **(قوله التي هي مثل)** اى كالمثل السائر في الغرابة على ان قوله هي مثل كقولك زيد
 اسد في كونه من قبيل التسمية البليغ فان لفظ المثل بمعنى المثل لفة كالتسبه والتشبه ثم انه خص في العرف
 العام بالقول السائر الذي يتسبه مضربه مجورده ثم استعمل لكل ما فيه غرابة تشبهها به بالقول السائر في الغرابة
 فانه لا يضرب من الاقوال الا ما فيه غرابة **(قوله على طريقة قولك صفة زيد اسم)** جواب عما يقال كيف
 يصح ان يكون المثل ههنا بمعنى الصفة ثم يكون مبتدأ وخبره تجرى من تحتها الانهار فان المثل اذا كان بمعنى الصفة
 كان تقدير الكلام صفة الجنة فيها انهار والحال انه لا معنى لقولنا صفة الجنة فيها انهار لان الانهار في نفس الجنة
 لا في صفتها وتقرر الجواب ان ما ذكر انما يلزم ان لو كان ضمير فيها راجعا الى الصفة في قولنا صفة الجنة فيها انهار
 وليس كذلك كما اذا قيل صفة زيد اسم يريد ان ضمير اسم راجع الى نفس زيد لا الى صفة فلا يرد ما ذكر لانه انما يرد
 ان لو كان ضمير اسم راجعا الى الصفة وليس كذلك بل هو راجع الى نفس زيد كانه قيل صفة السرة فيه **(قوله)**
 او على حذف موصوف فيكون لفظ المثل باقيا على معناه القوي الاصل اى شبه الجنة جنة كذا ولا يكون
 مستعارا للصفة العجيبة من القول السائر ولا يرد ان يقال ان التبه بمعنى المنابهة وهي حدث والجنة عين واسم
 العين لا يكون خبرا عن اسم المعنى لانه انما يرد ان لو كان المثل بمعنى المماثلة وليس كذلك بل هو ههنا بمعنى المثل
 والمشاوية عرف الله تعالى الجنة التي لم ترها بآياتنا وشاهدنا في الدنيا لتفهمها بعض الفهم كانه قيل ليس

(وجعلوا لله شركاء) استئناف او عطف على
 كسبت ان جعلت ما مصدرية ويجوز ان يقدر
 ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا اى افن
 هو بهذه الصفة لم يوجدوه وجعلوا لله شركاء
 ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه
 المستحق للعبادة وقوله **(قل سمعهم)** تنبيه على
 ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم
 فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويسأهلون
 الشركة **(ام تنبئونه)** بل انبئونه وقرئ تنبئونه
 بالتحقيق **(عما لا يعلم في الارض)** يستحقون
 العبادة لا يعلمهم الله او صفات لهم يستحقونها
 لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ **(ام بظاهر)**
 من القول ام تسعونهم شركاء بظاهر من القول
 من غير حقيقة واعتبار معنى كسمية الزنجى كافورا
 وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على
 نفسه بالاعتجاز **(بل زين الذين كفروا مكرهم)** تمويههم
 فخيلا باطيل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام
 بشر كهم **(وصدوا عن السيل)** سبل الحق وقرأ
 ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى
 وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد
 بالتثنية **(ومن يضل الله)** يخذله **(خاله من هاد)**
 يوفقه للهدى **(لهم عذاب في الحياة الدنيا)** بالقتل
 والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب **(ولعذاب)**
 الآخرة اشق **(لسدته ودوامه)** وما لهم من الله
 من عذابه اورجته **(من واق)** حافظ **(مثل الجنة)**
 التي وعد المتقون **(صفنها التي هي مثل في الغرابة)**
 وهو مبتدأ خبره محذوف عند سبويه اى فيما
 قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره **(تجربى من)**
 تحتها الانهار **(على طريقة قولك صفة زيد اسم)**
 او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى
 من تحتها الا انهار او على زيادة المثل

في الجنة بما في الدنيا الا الاسماء (قوله وهو على سبويه حال من العائد المحذوف من الصلاة) والتقدير وعدها المتقون مقدرا جريان انها راها (قوله او اعانهم) بالنصب عطفا على المسلمين من اهل الكتاب والمراد من الكتاب على التقديرين التوراة والانجيل فان قيل كيف يصح ان يراد باهل الكتاب في هذا الموضع عامة اهل الكتاب وهم الكفرة ويحكم عليهم بانهم يفرحون بما نزل اليك مع ان ما نزل يرمي جميع ما نزل اليه صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان عامتهم لا يفرحون بكل ما نزل اليه والجواب ان ما نزل اليه عام يتناول الكل والبعض واسبابا مستغرفا لجميع ما يصدق لفظ الكل عليه فجاز حملها على البعض بحسب القرينة فلذلك قال المصنف رحمه الله تعالى فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم (قوله يحكم في القضايا) اشارة الى ان الحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكليف الشرعية مستنبطة من القرآن كان سببا للحكم فاستد اليه الحكم استاذ مجازيا ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة (قوله التي يدعونك اليها) فانه روى ان المشركين كانوا يدعونهم صلى الله عليه وسلم الى اتباع ملة آباؤهم المشركين وكان اليهود يدعونهم الى الصلاة الى قبلتهم بعد ما حول عنها جعل ما يدعون اليه من الدين الباطل والطريق الزائف هوى وهو ما ميل اليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاه من غير استد مقبول ودليل معقول لكونه هوى محضا (قوله وهو حسم لاطماعهم ونهيج للمؤمنين) يعنى ان الخطاب وان كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد التعريض لغيره لان صلاته صلى الله عليه وسلم في امر الدين رافت الى حيث لا يحتاج معها الى الحث على التصلب والتبات ووجه التعريض ان من سمع تحذير سيد الخلائق وتهديده على عدم التثبت والتصلب ان كان ممن يضع منه صلى الله عليه وسلم في ذلك انتزع طمعه بالكلية وان كان من لا يتوهم منه ذلك قويته عزيمته وهمته على ذلك اى على البتة في الدين علما منه بان من هو ارفع منزلة اذا حذر هذا التحذير فهو بذلك احق واولى (قوله بشر مثلك) يعنى من انكر نبوته صلى الله عليه وسلم وعسا كوابسته في ابطال نبوته منها ان قولهم الرسول لابد ان يكون من جنس الملائكة كما حكى عنهم بقوله او ما آتينا باللائكة ويقولو تعالى لو انزل عليه ملك ومنها قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق ومنها انهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وقالوا لو كان رسولا من عند الله تعالى ما كان مشغولا بامر السوان بل كان معرضا عنهم مبتغيا بالزهد والعبادة فاجاب الله تعالى عن شبههم بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فجاز ذلك في حقهم فلم لا يجوز مثله ايضا في حقه فقد روى انه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاث مائة امرأة مهرية وسبع مائة سرية وكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكان من شبههم انهم قالوا لو كان رسولا من عند الله تعالى لكان عليه ان يأتى باى شئ نطلبنا منه من المعجزات ولا يتوقف ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس برسول فاجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن الله اى وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتى باية الا باذن منه فان المعجزة الواحدة كافية في اثبات الحق وما زاد عليها فهو مفوض الى مشيئة الله سبحانه وتعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يضرها ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك (قوله لكل وقت وأمد حكم يكتب) يعنى ان الكتاب بمعنى الحكم المكتوب المفروض على المكلفين بالشرائع والاحكام لان الصائتين في نبوته صلى الله عليه وسلم قالوا لو كان صادقا في دعوة النبوة لم ينسخ الاحكام التي نص الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة في التوراة والانجيل لكنه نسخها وحررها نحو تحريف القبلة ونسخ اكثر احكام التوراة والانجيل فوجب ان لا يكون نبيا حقا فاجاب الله تعالى عنه بقوله لكل وقت حكم يليق بصلاح اهله وحالهم فان الحكمة تقتضى اختلاف الاحكام على حسب الاعصار والامم وعلى حسب تخصيص المشيئة الالهية اهل كل عصر بحكم على حدة كما قال الله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت ان قسما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله ينسخ ما ينسخ ما ينسخ ما يقتضيه حكمته قال الامام رحمه الله تعالى عليه في هذه الآية قولان الاول انها عامة في كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا ان الله يحرم من الرزق ويؤديه وكذا في الاجل والسعادة والتفاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويضمرعون الى الله ان يجعلهم سعداء ولا شقياء وهذا التأويل رواه جابر رضي الله عنه قال كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كيتبتى في اهل السفاة فامحني وابتنى في اهل السعادة والمغفرة فالك تمحو ما تشاء وثبت وعندك ام الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا والقول الثاني ان الآية خاصة في بعض

وهو على قول سبويه حال من العائد المحذوف من الصلاة (اكلها دأتم) لا ينقطع عمرها (وظلها) اى وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالتس (تلك) اى الجنة الموصوفة (عقي الذين اتقوا) ما لهم ومنتهى امرهم (وعقي الكافرين النار) لا غير وفي ترتيب التضمن اطماع للمتنقين واقتطاع للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما نزل اليك) يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم يمانون رجلا اربعون بخران وثمانية بالين واثان وثلاثون بالجنة او اعانهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة كعقب ابن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما (من ينكر بعضه) وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرقوه منها (قل اعلم انى ان اعبد الله ولا اشرك به) جواب للمكرين اى قل لهم انى امرت فيما نزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واماماتكرونها لما يخالف شرائعكم فليس يبدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعو) لا الى غيره (واليه مآب) واليه مرجع الجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المنفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من انصار فمما يختلف بالاعصار والامم فلامعنى لا نكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل هذا الانزال المستعمل على اصول البيانات المجمع عليها (انزلناه حكما) يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عريا) متراجعا بان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن اتبعت اهواءهم) اتى يدعونك اليها كثر يريدنيهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حوت عنها (بعد ما جاءك من العلم) ينسخ ذلك (مالك من الله من ولى ولا واق) ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم ونهيج للمؤمنين على الثبات في دينهم (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) بشرامثلك (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) نساء واولادا كما هي لك (وما كان لرسول) وما صح له ولم يكن في وسعه (ان يأتى باية) تقترح عليه وحكم بالنس منه (الا باذن الله) فانه الملى بذلك (لكل اجل كتاب) لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم (يمحوا الله ما يشاء) ينسخ ما ينسخ ما يقتضيه حكمته (ويثبت) ما يقتضيه حكمته وقيل يعو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها

وقيل يحوم من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء
ويترك غيره مثلاً أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه
وقيل يحوم قرناً ويثبت آخر وقيل يحوم الفاسدات
ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحجرة
وأنكسائي ويثبت بالتشديد (وعنده أم الكتاب)
أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ إذا ما من كائن
الأو هو مكتوب فيه (واما زينك بعض الذي أعدهم
أو توفيك) وكيف ما دارت الحال أريناك بعض
ما وعدناهم أو توفيناك قبله (فانما عليك البلاغ)
لا غير (وعلينا الحساب) للمجازاة لا عليك فلا تحتل
بأعراضهم ولا تستجل عذابهم فانما علون له وهذا
طلالعه (أولم يروا أنا أنزل الأرض) أرض الكفرة
(نقصها من أطرافها) بما فتحه على المسلمين منها
(والله يحكم لامعقب الحكمة) لا راد له وحقيقته
الذي يعقب الشيء بالإبطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لأنه يعفو غريمه بالاقتضاء والمعنى أنه
حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك
كأن لا يمكن تعديره ومحل لا مع التني النصيب على
الحل أي يحكم نافذاً حكمه (وهو سريع الحساب)
فيحاسبهم عما قيل في الآخرة بعد ما عذب بهم بالقتل
والاجلاء في الدنيا (وقدم المكر الذين من قبلهم)
بأنبيائهم والمؤمنين بينهم (فله المكر جميعاً) إذ لا يوبه
بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه
دون غيره

الاستياء دون بعض وعلى هذا التقدير في الآية وجوه الأول أن المراد من المحو والابتناء نسخ الحكم المتقدم واثبات
حكم آخر لا عين الأول فقد روى عن سعيد بن جبير وقتادة رضي الله تعالى عنهما يحوم الله ما يشاء من الشرائع
فتسخره ويثبت ما يشاء فلا يسخره وهذا القول اختيار أبي علي الفارسي قال هذا والله أعلم فيما يحتل النسخ
والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فانما ما كان من غير ذلك فلا يحصى ولا يبدل والثاني
أنه تعالى يحوم من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة وذلك لأنهم مأثورون بكتابة جميع ما يقوله الإنسان ويقوله
فاذا كان يوم الاثنين ويوم الخميس يعارض ما كتبه الحفظة بما في اللوح المحفوظ فيلحق من كتاب الحفظة ما لا جزاء له
من ثواب وعقاب ويثبت ماله جزاء من أحد هما ويترك مكتوباً كما هو والثالث أن من اذنب ذنباً ابت الله تعالى
ذلك الذنب في ديوانه فاذا تاب منه يحوم ذلك من ديوانه وقال عكرمة يحوم الله سيئات التائب ويثبت بدلها حسنات
والرابع يحوم الله ما يشاء وهو من جاء اجله ويدع من لم ينجي* اجله ويثبت وان الله تعالى يحوم ما يشاء ويثبت الاسفاوة
والسعادة والموت والحياة والرزق والاجل ويدل على صحة هذا القول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا مضى
على النطقة خمس واربعون ليلة يدخل الملك ويقول يارب اذكر أم اتى فيقضي الله عز وجل ويكتب الملك فيقول
ما اجله وعمله ورزقه فيقضي الله تعالى ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص منها وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هما كتابان سوى أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء فان قيل الستم تزعمون أن المقادير سابقة
قد جف بها القلم فكيف يستقيم هذا المعنى فالجواب أن المحو والابتناء مما جف به القلم ايضاً فلا يحوم الا ما سبق في علمه
وقضائه محموه سمي اللوح المحفوظ أم الكتاب لكونه اصلاً لجميع الكتب والعرب تسمى كل ما يجري مجرى الاصل للشيء
اماله ومنه أم الرأس للدماغ وأم القرى لكة وجميع حوادث العالم السفلي والعلوي مثبتة في اللوح المحفوظ قال صلى
الله عليه وسلم كان الله تعالى ولا شيء ثم خلق اللوح واثبت فيه جميع احوال الخلق الى قيام القيامة قال المنكلمون
الحكمة فيه ان يظهر للملائكة كونه تعالى طالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعنده
تعالى كتابان أحدهما الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب هو محل المحو والابتناء والكتاب الثاني
هو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المتمثل على نقش جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقي الذي لا يتغير وقيل
المراد بأم الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات فانها وان تغيرت
الا ان علم الله تعالى بها باقى منزّه عن التغير فالمراد بأم الكتاب هو ذلك (قوله اريناك بعض ما وعدناهم) تفسير
وتفصيل للحال الدائرة أي سواء اريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله فالواجب عليك تبليغ احكام الله
تعالى واداء آياته ورسائله والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ كالسراح (قوله فلا تحتفل) أي لا تبالي يقال احتفلت
يكذا أي باليت به لما أوعد الله تعالى الكاذبين بقوله لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم
من الله من واق قال بعده واما زينك يعني ان ابتلاءهم بما أوعدوا به غير مشروط بحيايتك بل هو واقع بهم متى
أو بقيت حياتهم على كل حال فالواجب عليك ليس الا البلاغ وعلينا الحساب فلا تبالي بأعراضهم ولا تستجل عذابهم
والطلائع جمع طليعة الجيش وهو من يبعث ليطلع على حال العدو والمعنى هذه الحال التي هي نقص أرض الكفرة
من أطرافها طلائع تحقيق ما وعدهم الله تعالى من تعذيبهم فانه تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم برؤية
بعض ما وعدهم كأن الكفرة قالوا عند ذلك أين ما وعد ربك ان يريك فقال الله سبحانه وتعالى عند ذلك أولم يروا
أنا أنزل الأرض فنقصها من أطرافها أي يأتيها امرنا وقوله تنقصها حال امان من فاعل أي أو من مفعوله فان ما زاد
في بلاد المسلمين باستيلائهم عليها قهراً وجبراً تنقص من ديار الكفرة وهي من طلائع تحقق تلك المواعيد وعلامتها
فانه تعالى اذا قدر على جعل بعض ديار الكفر للمسلمين فهو قادر على ان يجعل الكل لهم افلا يعتبرون بهذا
ثم انه تعالى أكد هذا المعنى فقال سبحانه وتعالى والله يحكم لامعقب حكمه أي يحكم نافذاً حكمه خالياً عن المدافع
والمعارض والنازع ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اخبره ان كفار الامم الماضية كفروا ورسلمهم ومكروا
بان هموا يقتلهم واهلاكهم وابطلال دينهم الذي دعوا قومهم اليه ثم لم يرد مكر باراهيم عليه الصلاة والسلام
واليهود مكروا بعيسى عليه الصلاة والسلام وفرعون مكر بموسى عليه الصلاة والسلام ثم بين ان مكرهم كلاً مكر
بالاضافة الى مكر الله تعالى حيث قال فله المكر جميعاً ثم بين قوة مكره وكاله بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافر ان عقبي الدار فان من علم ما تكسب كل نفس واعدها جزاءها وكان قادراً على امضاء ما عده من الجزاء

في الدنيا والآخرة لا جرم يأخذ الجرمين بالنواصي والاقدام وهم في غفلة عما يراد بهم ان يبطئوا لسدد اذا اخذ الظالم لا يفلته (قوله مع ما في الاضافة الى الدار) اي مع الدلالة الكائنة في اضافة العقبي الى الدار فان الاضافة لتعظيم المضاعف فتدل على ان المعنى ما ينبغي ان تكون العقابة عاقبة الدنيا بل ليس هي الا الجنة (قوله فانه اظهر من الادلة على رسالتي الخ) يعني ان المراد بشهادة الله تعالى اظهار المعجزات الدلالة على صدقه في دعوى الرسالة وقوله علم الكتاب فسر الكتاب اولا بالقرآن العظيم فيكون المراد بالذي عنده علم الكتاب المؤمنين وثانياً بجنس الكتب المتقدمة وثالثاً باللوح المحفوظ (قوله اي وكفى بالذي يستحق العباداة الخ) على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى فان قلت كيف يصح ان يراد بمن عنده الله تعالى مع كونه معطوفاً على قوله بالله وهو عطف الشيء على نفسه اسار الى دفعه بان اول اسم الذات بما يعطيه من معنى استحقات العباداة لكون لفظ الجلالة مختصاً بالمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الكمال واول من عنده بالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو ليكون من قبيل عطف الصفة على الصفة كما في قول الساعر

بالهف زبابة الحارث الصابح فالعائم فالأثب

وقرأ الجمهور من عنده بفتح ميم من وهي موصولة في محل الجر حيث نذ عطفاً على لفظ الجلالة اي بالله ومن عنده علم الكتاب وجلة عنده علم الكتاب يحتمل ان تكون جلة ظرفية بان يكون علم الكتاب فاعل عنده لاعتماده على الموصول ويحتمل ان تكون جلة اسمية بان يكون علم الكتاب مبتدأ وعنده خبره قدم عليه والجملة على التقديرين صلة من وان قرئ من عنده بكسر الميم على انه حرف جر تعين ان يكون علم الكتاب مرفوعاً على الابتداء وما قبله خبره وقرئ من بالكسر وعلم على بناء المفعول والله اعلم تمت سورة الرعد والحمد لله على التمام وهذا اوان التسروع فيما يتعلق بسورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اي هو كتاب) اما على تقدير ان يكون الاسم للسورة ويكون التقدير هذه الرثم استؤنف قوله كتاب استارة الى فخامة شأنها وعظم قدرها بانها كتاب عظيم الشأن تولى انزاله وبلغ في الفصاحة والتهاية فاظنك بجموع القرآن واما على ان يكون التعداد للحروف قرأاً للعصا وتقدمه لدليل الاجتزاء فلا يكون له محل من الارباب (قوله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب) اي مجاز مرسل على طريق اطلاق المازوم واردة اللازم فان لفظ الاذن حقيقة في الاطلاق ورفع الحجب ويلزمه التسهيل والتيسير فان الدخول في حق الغير وملكه متعذر فاذا صودف الاذن يكون تسهيلاً وتيسيراً فلما كان التسهيل من لوازم الاذن صح استعمال لفظ الاذن فيه مجازاً فالمراد بقوله مستعار الاستعارة الغوية لا ما هو مصطلح اهل البيان وقوله تخرج تتعلق بانزاله وقوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بالاخراج اي تخريجهم لتسهيله وتيسيره وان يتعلق بحذوف على انه حال من ضمير الفاعل اي ما دون ذلك او من الناس اي ما دون الله سبحانه الكفر بالظلمات لانها نهاية ما يتخير الرجل فيه ولا يهتدى به الى الحق والصواب وشبه الايمان بالنور لانه نهاية ما يتجلى به الحق المطلوب وجع الظلمات لتعدد طرق الكفر وانواعه (قوله بدل من قوله الى التور) ولا يضره الفصل بقوله باذن ربهم لانه من معولات العامل في المبدل منه (قوله واستثناف) فيعلم بحذوف كانه قيل الى اي نوراً خراجهم فقيل الى صراط (قوله اما لانه مقصده) اي اما لان الله تعالى هو المقصود من ذلك الصراط واما لانه تعالى هو المظهر لذلك الصراط وهذا انقدر من الملازمة بكون في صحة الاضافة فاضيف الصراط الى العزيز لانتبه على انه صراط عز لا يذلل سالكه واضيف الى الحميد للتنبيه على انه صراط كثير الخير اي لا يخبئ سبيله اي من اتخذ سبيلاً (قوله على قراءة نافع وابن عامر) فانها ماقراً ارفع لفظ الجلالة على انه مبتدأ خبره الموصول بعدها وعلى انه خبر مبتدأ محذوف اي هو الله وقيل هذا يسمى ارفع على المدخ فعلى هذا يكون الموصول مع صلته في محل الرفع على انه صفة الجلالة والباقيون يجزه على انه عطف بيان للعزيز الحميد لان لفظ الجلالة وان كان في اصل الوضع اسماً مشتقاً الا انه صار في العرف جارياً يجرى الاسم العلم لذات الله تعالى فخرج بذلك عن ان يكون مفهوماً صالحاً لوقوع الشركة فيه فجاز كونه تابعاً لما قبله في الايضاح والتفسير والذي يدل على كونه جارياً يجرى الاسم العلم انه لو كان مشتقاً

(يعلم ما تكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) من الحزبين حيثما أتيتهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لذكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر والكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفراى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسل) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وما الف عليه من اظم المعجز او علم التوراة وهو ان سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اي وكفى بالذي يستحق العباداة والذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيداً بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده وقرآءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين لانيته وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الكتاب) اي هو كتاب (انزالناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ما تضمنه (من الضلمات) من انواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل واستئناف على انه جواب لم يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخبئ سبيله (الله الذي له ما في السموات وما في الارض) على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقيين عطف بيان للعزيز لانه صكا لعلم لاخصاصه بالمعبود على الحق

اكان مفهومه شيئاً ما حصل له المتنى منه وهو مفهوم كل صالِح من حيث هو لوقوع الشركة فيه فلا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المتنى يكون امرا كليا حيثذ وهو خلاف الاجماع لان الامة قد اجمعوا على ان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد وذلك يوجب كون لفظ الجلالة جاريا بحرى الاسم العلم لذاته المخصوصة فعلى هذا كان الظاهر ان يذكر الاسم ثم يذكر عقيب الصفات كما في قوله هو الله الخالق البارئ واما اذا عكس هذا الترتيب بان يقال لهو الخالق البارئ الله فذلك ترتيب بعيد مما هو الشائع المتعارف فمن قطع لفظ الجلالة عما قبله وقرأه حرفاً فوجا ما على الابتداء او الخبرية لمحذوف فلا كلام في قرأته واما من قرأ بالجر عطفا على العزى المجيد فبدر عليهم ان اتباع الاسم للصفة خلاف الترتيب الشائع بين القوم ولهم ان يقولوا انه تعالى لما اراد تعظيم الصراط الذى يدعو الناس اليه بالاضافة الى العزى المجيد ووقعت التبهة في ان ذلك العزى المجيد من هو بناء على ان الكفار بما وصفوا الصنم بكونه عزى احيدا عطف عليهما عطف بيان قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ازالة لتلك التبهة وايضا للتبرع **(قوله)** لكن رفعه على انه مبتدأ وللکافرين خبره وجازا لا ابتداء بالكرة لانه دعاء كسلام عليكم مع انه موصوف بقوله من عذاب شديد فانه متعلق بمحذوف هو صفة كانه قيل وويل كائن من عذاب شديد مستقر للکافرين ولا يجوز ان يتعلق بنفس ويل لاجل الفصل بينهما بالخبر وقد تقرر في النحو انه لا يجوز الفصل بين المصدر ومعموله **(قوله)** فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها فان استحباب الشيء طلب محبة عبر عن اختيار الشيء باستحبابه لما في اختياره من شائبة طلب كونه احب اليه من غيره والظاهر ان استحباب الشيء ابلغ من اختياره في الدلالة على كون ذلك الشيء محبوبا لان اختيار الشيء بما يدل على مجرد ترجيح ذلك الشيء وعده خيرا بخلاف الاستحباب فانه يدل على كون حب الشيء مطلوبا له ومحبويا عنده وهو نهاية المحبة فقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيا وهونهاية الضلال لانها انما تنشأ عن الغفلة عن حقيقة الحياة الاخرية والاشتغال بادي ذات الحياة العاجلة التي لا حاصل لها في الحقيقة لان ما في هذه الحياة من اللذات لا حاصل له في الحقيقة الادفع الآلام بخلاف اللذات الاخرية فانهم انفسها لذات محضة ثم انه زاد على ما يدل على ضلالهم في انفسهم فقال ويصدون فمن كان موصوفا باستحباب الدنيا فهو ضال ومن كان في نفسه منع الغير من الوصول الى سبيل الله تعالى ودينه فهو مضل ثم زاد على وصفهم باضلال الغير بصدده عن الوصول الى الصراط المستقيم فقال ويغونها عوجا فان السعي في القاء التسكوك والشبهات في المذهب الحق والجد في تقييده بكل ما يقدر عليه من الحيل هو نهاية الضلال والاضلال **(قوله)** والبعد في الحقيقة جواب عما يقال القرب والبعد لا يوصف بهما الا ما كن والتكن فيها والضلال ليس منهما فكيف وصف بقوله بعيد اجاب عنه اولاً بان البعد في الحقيقة للضلال لانه هو الذى يتباعد عن الصراط والمقصود فوصف به فعله استنادا بمجازا على طريق جد جده وثانياً بان البعد صفة للامر الذى به الضلال عن الحق تزيلا له منزلة المكان الذى وقع فيه الضلال فاستند البعد الى سبيل اللها بسة بينهما **(قوله)** الابلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم) تخصيص قوم الرسول بمن هو منهم وبعث فيهم يطهر منه انه ليس المراد منه جميع من بعث اليهم من امة دعوته لان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل الى الثقليين مع انه لم يرسل الا ملتبسا بلسان العرب خاصة والذى يخطر ببالى في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها جواب عما يرد على قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس وهو ان تعريف الناس للاستغراق لقوله تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وما انزل اليه عليه الصلاة والسلام بلسان العرب خاصة فكيف يخرج به جميع الناس من ظلة الكفر الى نور الايمان فاجاب عنه بقوله وما ارسلنا من رسول الى الامم التي اختلفت السننهم الابلغة قومه الذى هو منهم اذ لا حاجة الى ان ينزل الى كل قوم كتاب ملتبس بلغة ذلك القوم لان ذلك ينوب ويكفى عن التطويل اللازم من ذلك فاذا نزل بلسان واحد من الاقوام كان اولى الالسة لسان قوم الرسول لان قومه اقرب الناس اليه فكان حقهم عليه اقدم وكان الاولى ان يدعوهم الى الحق اولا وينذرهم عن الخسافة والعصيان حتى اذا فهم قوامه يبينون ما ارسل به اليهم ويترجون غيرهم ما فهموه منه فتنتشر دعوته بذلك الى اطراف العالم **(قوله)** تعالى الا بلسان قومك في موضع النصيب على الحال اى الا متكلما او ملتبسا بلسان وهو على وزن كتاب وقرئ في الشواذ بلسن قومه بكسر اللام وسكون السين وهو لغة في اللسان وقيل اللسان يطلق على

(وويل للکافرين من عذاب شديد) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يستق منه لكنه رفع لافادة البسات (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصدده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب ولس فصيحاً لان في صدده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويغونها عوجا) ويغونها لها زيفاً ونكوباً عن الحق ليقدر حواقيده محذوف الجار واوصل الفصل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للکافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره (اولئك في ضلال بعيد) اى ضلوا عن الحق ووقعوا عند بحر احل والبعد في الحقيقة للضلال فوصف به فعله للبلغة اولاً امر الذى به الضلال فوصف به للبلغة (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومك) الابلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امر وابه فيفقهوه عند يسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجوه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولوزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السننهم استقل ذلك بنوع من الاجحاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المشبعة منها وما في آتاعب القرآن وكذا انتفس من القرب المقصية لجزىل الشواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كرىش ورياش ولسن بصتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام اوكل نبي بلسنة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليين لهم فانه ضمير القوم والثورة والانجيل ونحوهما لم ينزل ليين للعرب

العنه المعروف وعلى اللغة ايضا واما اللسان فالله يطلع على اللغة خاصة وقرى بلسن بضم اللام والسين وهو وجع لسان ككتاب وقرى بضم اللام وسكون السين وهي تخفيف القراءة بضمين نحو رسل في رسل (قوله فيضل) استئناف اخبار اي فهو يضل فلا يجوز ان يكون عطف على ما قبله لان المعطوف كاللغطف عليه في المعنى فيكون المعنى ليبين فيضل والرسل انما رسل البيان لا للضللال قال الزجاج ولو قرى بضمه على ان اللام لام العاقبة جاز والفاء فيه تفصيلية والمعنى ان الله تعالى ارسل الرسل الى اقوامهم لتبين لهم طريق الهداية وطريق الضلالة فعند ذلك حصل الاختلاف فبعضهم اختار الهداية وبعضهم الضلالة او تقول انزلنا الكتاب للتبيين فهم من نعمنا بذلك البيان ومنهم من جعلناه حجة عليه (قوله يا ايها الذين آمنوا) حال اي ارسلناه ملتصقا بآياتنا وان في أن أخرج يجوز ان تكون مفسرة لوقوعها بعد فعل في معنى القول وان تكون مصدرية واختلف اخذوا في انه هل يجوز ان تكون صلة ان المصدرية امرا او نهيا او غيرهما فمافيه معنى الطلب او لا يجوز والمشهور عدم الجواز واجاز سبويه كون صلة ان المصدرية ذلك على ان يكون معنى قولك امرته ان قم بأن قم اي بالقيام وقام ابو علي في قوله تعالى ما قلت لهم الا امرا تني به ان عبدوا الله يجوز ان تكون كلمة أن فيه مصدرية فتكون مع ما في خبرها بدلا من ما ومن الهاء في به او خبر مبتدأ محذوف اي هو ان عبدوا الله وان تكون مفسرة واختر المصنف كونها مصدرية حيث قال فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة الا انه تسامح في العبارة حيث جعل ان الداخلة على فعل الامر ناصبة لان ان الناصبة تدخل على الفعل المضارع الان يقال لو كانت داخلة على الفعل المضارع لكانت ناصبة ولو قال ان يوصل بها ان المصدرية لم يخرج الى هذا التأويل ثم انه تعالى لما ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المنية انه انزل كتابا عظيم الشأن ليخرج به الناس من الظلمات الى النور اتبع ذلك بشرح ارسله سائر الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملة اقوامهم معهم ليكون ذلك تصيرا له عليه السلام على اذى قومه وازشاداه الى كيفية مكالته ومعاملته مع قومه فذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى يا ايها الذين آمنوا الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام في هذا المقام يستبين احدهما ان يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال وثانيهما ان يذكرهم بأيام الله فتقيل المراد بهاما انهم الله تعالى عليهم في الايام الماضية كما انه قيل قل لهم يا قوم كم من خير قد اعطاه الله تعالى لكم وكم من شر قد صرفه الله تعالى عنكم وكم من غم قد فرجه الله عنكم اماند كرون ما كنتم عليه مما صابكم من قبل فرعون من انواع العذاب ثم انه اهلك عدوكم بتدبير عجيب وخلصكم من عذابه وازل عليكم المن والسلوى وانهم عليكم بجميع ما انتم عليه الآن من صنوف نعمته فادروا الى شكر هذه النعم وقيل المراد بأيام الله وقائه في الايام السالفة اي اذكر كيف اهلك الله تعالى الامم السالفة لما كذبوا الرسل وقيل المراد بها جميع ما وقع فيها من النعم والبلاء والمعنى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والوعد ان يذكرهم بأس الله وعذابه وان مقامه بمن كذب رسوله فيما سلف من الايام مثل ما انزل بهما وودو غيرهما لرغبوا في الوعد فصدقوا ويحذروا من الوعد فيتركوا التكذيب والعتاد يؤيد هذا القول الجمع بين الصبار والسكور في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ومن اجل الايام على معنى الوقائع استدلل عليه بان التذكير بالايام اكثر ما يستعمل في التخويف والانذار (قوله اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم) يعني ان قوله اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام ثم قال ويجوز ان ينتصب بعلينكم اي بما تعلق به عليكم على تقدير ان لا يكون صلة للنعمة بل يكون متعلقا بالاستقرار بمعنى اذكروا نعمته الله مستقرة عليكم وقت انجائكم فلي هذا تكون النعمة بمعنى العطية لا بمعنى الانعام ولو جعل عليكم صلة للنعمة بمعنى الانعام فحينئذ لا يجوز ان ينتصب بالظرف بعلينكم لان المفعول فيه عبارة عما فعل فيه فعل مذكور فلا يعمل فيه الافعال او شبهه وعلينكم على تقدير كونه صلة للنعمة لا يكون فعلا ولا شبهه (قوله احوال من آل فرعون او من ضمير مخاطبين) او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ويجوز ان يكون مستأنفا لبيان ما انتجهم منه قال الله تعالى في سورة البقرة واذنجنناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وكذا في الاعراف الا انه وقع فيها بدل يذبحون يقتلون وكل واحد منهما في سورة يغيروا فلما وقع في هذه السورة ويذبحون واو العطف اشار المصنف الى ان فرق بان الجملة حيث ذكرت بغير واو

(فضل الله من يشاء) فيخذه عن الايمان (ويهدي من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يقبل على متبته (الحكيم) فلا يهدي ولا يضل الاحكام (ولقد ارسلنا موسى يا ايها الذين آمنوا) يعني اليد والعصا وسائر معجزاته (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى اي اخرج كان في الارسل معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة (وذكرهم بأيام الله) يوقنهم اني وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروها وقيل بنعمته وبلائه (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر نعمته فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبروا بنعمته لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيهها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمته الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون) اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعلينكم ان جعلت مستقرة غير صالحة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمته الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب) يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم (احوال من آل فرعون او من ضمير مخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبح والقول ثم ومعطوف عليه التذبح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الساقية

تكون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب على طريق التفسير والبيان وحيث ذكرت بالواو يكون الكلام من قبيل عطف الخاص على العام على تقدير أن يراد بالعذاب جنس العذاب ويعطف عليه الذبيح للإشارة إلى أنه بلغ في الظلمة والشدة إلى حيث صار كأنه جنس مغاير للعذاب ومن عطف أحد المتقابلين على الآخر على تقدير أن يخص العذاب باستعبادهم واستعمالهم بالأعمال الشاقة (قوله من حيث أنه باقدار الله تعالى أيهم) لما جعل الإشارة إلى فعل آل فرعون بهم ورد أن يقال كيف يكون فعل آل فرعون بلاء من ربهم فأجاب عند بيان فعلهم لما كان باقدار الله تعالى أيهم وإمهالهم فيه صار ابتلاء من الله تعالى فإنه تعالى يبني عباده تارة بالحننة وتارة بالجملة (قوله أيضا من كلام موسى عليه السلام) فيكون معطوفا على قوله إذا أنجأكم فيكون معبولا للنعمة بمعنى الانعام أو للاستقرار الذي تعلق به عليكم أو على قوله نعمة الله فيكون معبولا لقوله إذا أنجأكم فيكون معبولا للنعمة بمعنى الانعام الروحية والحسنية أما النعم الروحية فهي أن الشاكر يكون أبدا في ملاحظة أقسام نعم الله وأنواع فضله وكرمه وتلك الملاحظة تستجاب بحمد العبد لله تعالى ومقام المحبة أعلى مقامات الصديقين ثم قد ينزق العبد من تلك الحالة إلى أن يصير حبه للنعم شاغلا عن الالتفات إلى النعم ومعرفتها فثبت أن الاشتغال بالشكر يجلب النعم الروحية وأما ازدياد النعم الحسنية بالشكر فلأن الاستقرار دل على أن من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله تعالى إليه أكثر ثم إن موسى عليه السلام لما بين أن الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة وإن كفر ان النعم يوجب العذاب الشديد وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده أن منافع الشكر ومضار الكفر أن لا تعود أن إلى صاحب الشكر وصاحب الكفر أن وأما المعبود والمشكور فإنه غني عن أن ينفع بالشكر ويستضر بالكفران فهو تعالى انما يرزق هذه الطاعات لمنافع العباد كما قال فن الله لغني حديد لأن من كان ذاته كافية في وجوده وجب كماله لا يكون غنيا لا يفتقر إلى شكر شاكر وحيدا يستحق الحمد لذاته لكونه مستحبا لجميع الكمالات بالفعل (قوله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام) لقومه يذكرهم أحوال المتقدمين ويخوفهم بهاليعتبروا ويجهدوا في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أقواما ثلاثة وهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم نوح بدل من الذين من قبلهم أو عطف بيان له ثم قال والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله وذكر المصنف فيه احتمالين الأول أن يكون قوله والذين من بعدهم مبتدأ وقوله لا يعلمهم إلا الله خبره وتكون الجملة الاسمية معترضة بعد الكلام على ما جوزه صاحب الكشاف أو بين الحال وصاحبها أن جعل قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات حالا من الذين من قبلهم على مذهب من يجوز انتصاب الحال من المضاف إليه وفائدة الاعتراض التنبيه على كثرة الأمم المتقدمين كأنه قيل أن من بعدهم بلغ من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله فكيف بالمجموع والاحتمال الثاني أن يكون قوله والذين من بعدهم معطوفا على ما قبله وهو قوم نوح وعاد وثمود ويكون قوله لا يعلمهم إلا الله اعتراضا لبيان كثرة من قبلهم والمعنى الميأ تكم أنباء الجلم الفقير الذين لا يعلم عددهم إلا الله لكثرتهم وقول المصنف والمعنى أنهم لكثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله بيان للمعنى على الاحتمالين لكن يختلف مرجع ضمير أنهم بحسب الاحتمالين فإن المعنى على الاحتمال الأول أن الذين من بعدهم بلغوا من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله فيكون المقصود الترقى في بيان كثرة من قبلهم كأنه قيل الميأ تكم نبأ هؤلاء ومن لا يحصى عددهم عن بعدهم فهو بمنزلة أن يقال دع التفصيل فإنه لا مطمع في الحصر وفيه لطف من حيث أنه يوزع الجلع بين الاجال والتفصيل ولهذا قدم هذا الاحتمال في الذكر والمعنى على الثاني أن الذين من قبلهم لكثرتهم لا يعلمهم إلا الله فيكون حاصل المعنى ما مر من قولنا الميأ تكم أنباء الجلم الفقير الخ (قوله ولذلك) أي ولكون المعنى على الاحتمالين تكثير المتقدمين بحيث لا يعلم عددهم إلا الله كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الإنسان ويوصلونها إلى آدم عليه السلام وقد نفي الله تعالى علمها عن العباد حيث بين أن فحين قبلكم أقواما كذبوا رسلهم فاهلكوا ولم يبلغ اليكم خبرهم فلا يعلمهم إلا الله ونظير هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ولا تبترا تنبيها وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل وعلى هذا القول لا يمكن القطع بمقدار السنين من لدن آدم عليه السلام إلى هذا الوقت لأنه إن أمكن ذلك لم يبعد أيضا تحصيل العلم بالإنسان الموصولة ثم أنه تعالى حكى عن هؤلاء الأقوام المذكورين أنه لما جاءتهم رسلهم بالبينات أي المعجزات أتوا بأمور أولها قوله فردوا

(وفي ذلكم) من حيث أنه باقدار الله تعالى أيهم وإمهالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويمحزون تكون الإشارة إلى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (وإذا نأذن ربكم) أيضا من كلام موسى عليه السلام ونأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى أوعد غير أنه المفعول من معنى التكلف والبالغة (أثر شكرتم) يابني أسرا يسأل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالإيمان والعمل الصالح (لا تريدنكم نعمة إلى نعمة) ولئن كفرتم أن عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعد والجملة مقول قول مقدرا ومفعول تأذن على أنه يجزى مجزى قال لأنه ضرب منه (وقال موسى أن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعا) من الثقلين (فان الله لغني) عن شكركم لعمته (جيد) يستحق الحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات الخلقوات فاضربتم بالكفران إلا انفسكم حيث حرمتوها مزيدا لانعام وعرضتها للعذاب الشديد (المياكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) جملة وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى أنهم لكثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) فعضوها غيظا لمجاهاة به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها عليها نجيها منه واستهراء عليه كن غلبه الضحك أو اسكنا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو أمرهم اللهم بابطال أفواههم واستاروا بها إلى السنتهم وما نطق به من قولهم أنا كفرنا تنبيها على أن لأجواب لهم سواء أوردوها في أفواه الأنبياء ينعونهم من انكلم

دلالتها علیہ

والاهم من الشك والمتكوك فيه هو المتكوك فيه فلذلك قدم الظرف واستلزم ذلك دخول الهمزة عليه (قوله وشك من تقع بالظرف) لاعتماده على حرف الاستفهام ولا وجه لكونه مرفوعا ابتداء وكون الظرف المقدم خبره لانه يستلزم الفصلين النصف والموصوف بأجنبي وهو المبتدأ بخلاف الاول فان الفاصل حينئذ لا يكون اجنبيا لانه فاعل والفاعل كالجزء من رافعه وكون فاطر السموات عطفا بيان اقرب من كونه بدلا لان الابدال بالتثنيات قليل (قوله يدعوك الى الايمان ليغفر لكم او يدعوك الى المغفرة) قدر في الاول المفعول به وهو قوله الى الايمان فيكون المدعو اليه الايمان وقوله ليغفر لكم فعليا وعلى اثنائي اقام المفعول له بمقام المفعول به وجعل المغفرة مدعوا اليها بان تكون اللام بمعنى الى بل لان معنى الاختصاص ومعنى الانتهاء كلاهما واقعان في هذا الموقع فكانه قيل يدعوك الى المغفرة لاجلها لا لغرض فالدعوى اليه هو المغفرة باعتبار كونها لازمة لكونها غرضا من الدعوة آخرا وحقيقته ان الاعراض غايات مقصودة تفيد معنى الانتهاء وزيادة هي كون المنتهى اليه مطلوبا لذاته اذ ليس كل ما ينتهي اليه التي مطلوبا كذلك (قوله الى وقت سماء الله وجهه آخر اعماركم) اي لا يعاين جلهم بالعذاب بل يؤخرهم ويمتدحهم في الدنيا الى الاجل المسمى وهو الموت قيل معناه يؤخر الله تعالى موتكم الى الاجل المسمى ان آمنتم والا عاجلكم بعذاب الاستئصال وقال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى يمتدحهم في الدنيا بالمنايات والطيبات الى الموت اي يؤخرهم في امن وراحة الى الموت ان آمنتم والا عاجلكم بالعذاب والمصنف اختار الاول فان قيل اليس انه تعالى قال فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال ههنا يؤخرهم الى اجل مسمى فالجواب والله اعلم لعل المراد بقرله يؤخرهم الى اجل مسمى الاجل المسمى على تقدير الايمان والطاعة ويدل عليه ما رواه الواحدي في الوسيط في تفسير سورة الانعام بقوله قال ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل نفس اجلين من مولده الى موته ومن موته الى معه فاذا كان الرجل صالحا واصل لرحمة ذاد الله له في اجل الحياة من اجل المسات الى المبعث واذا كان غير صالح ولا واصل لرحمة نقصه الله من اجل الحياة وزاد في اجل المبعث وذلك قرله وما يعبر من عمره ولا ينقص من عمره الا في كتاب انتهى ما في الوسيط ولا يلزم منه ان يكون للانسان اجلان كما ذهب اليه المعتزلة لانه تعالى عالم بما يكون منه من الامور التي يزداد بها العمر وينقص ففرض اجل كل شخص على حسب علمه بما يكون منه قال الامام ابو منصور المازني تعلقت المعتزلة بظاهر قوله تعالى ويؤخرهم الى اجل مسمى وقاوا ان لكل انسان اجلين اجل في حال اذا كان فعل كذا واجل في حال آخر اذا كان فعل كذا ولكن ما قالوه فاسد لان جعل الاجلين انما يكون للجهل في العواقب والله تعالى عالم بما كان وما يكون فلا يمتثل ان يجعل له اجلين وانما جعل اجله بالذي علم انه يكون منه في الوقت الذي جعل والله اعلم (قوله لافضل لكم علينا) يعني ان الاختصاص الانسانية متساوية في تمام الماهية ولو ازمها فيمتنع ان يكون الراحد منهم مقبلا عن السابقين بان يكون رسولا من عند الله مطلعا على الغيب مخاطبا لزمرة الملائكة ويكون الباقيون غافلين عن كل هذه الافعال وايضا كانوا يقولون ان كنت قد فارقتنا في هذه الاحوال العالية وجب ايضا ان تفارقنا في الاحوال الخسيسة وهي الحاجة الى الاكل والشرب والحدث والوقاع وهذه الشبهة هي المرادة بقولهم ان انتم الابشر مثنا قاله تعالى حكى عن الانبياء جوابهم عن هذه الشبهة بانهم سلوا ان الامر كذلك لكنهم يتوانون التماثل في البشرية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة بناء على ان هذا المنصب من الله تعالى به على من يشاء من عباده فان اهل السنة والجماعة تمسكوا بهذه الآية فيما ذهبوا اليه من ان النبوة عطية من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الانسان عن سائر الناس بمن يد اشراق نفساني وقوة قدسية فانه تعالى بين في هذه الآية ان حصول النبوة ليس بالمتخص المنة من الله والعطية وايضا انهم ذهبوا الى ان لا مؤثر في الوجود الا الله ولا دخل لشيء مما سواه في الوجود وانه تعالى يرجع بعض الجائزات على بعض بمشيئته وقال جماعة من حكماء الاسلام الانسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصا بخواص شريفة قدسية فانه يمتنع عقلا حصول النبوة واجابوا عن قول الاشاعرة بانهم لم يذكر وافضل لهم النفسانية والبدنية وامتيازهم بها عن سائر الناس تواضعا بل اقتصر واعلى قولهم ولكن الله يعين على من يشاء من عباده بالنبوة للملحقات باقتصاصهم بالفضائل

واشاروا الى ذلك بقولهم (فاطر السموات والارض) وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف (يدعوك) الى الايمان بعينه انا (ليغفر لكم) او يدعوك الى المغفرة كفولك دعوته ليصرفني على اقامة المفعول له مقام المفعول به (من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجهد دون المطالم وقيل جبي بن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب المؤمنين مسفوعة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مسفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج من المطالم (ويؤخرهم الى اجل مسمى) الى وقت سماء الله تعالى وجهه آخر اعماركم (قالوا ان انتم الابشر مثنا) لافضل لكم علينا فمخصصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى الشر رسلا لبعث من جنس افضل (تريدون ان تصدونا بما كان بعد آبائنا) بهذه الدعوى (فأتونا بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كما أنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والالحج واقترحوا عليهم آية اخرى نعمتوا بلجبا (قالت لهم رسلهم ان نحس الابشر ملككم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) سلوا مستاركم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجع بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بأذن الله) اي ليس لنا الاتيان بالآيات لانسند به استطاعتنا حتى تأتي بما اقترحتمو، وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليتوكل عليهم في الصبر على معاندكم ومعادكم بموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا لا ترى قوله (وما لنا الا نتوكل على الله) اي اى عذر لنا ان لا نتوكل عليه (وقد عهدا) سلطنا التي نعرفه بها ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت

التي لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال الله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته اى الله يعلم موضع رسالته من الناس يعنى يعلم من يصلح لنبوته ومن لا يصلح فنخصر بها محمد واجابوا عن قولهم فاشنونا بسلطان ميين بقولهم وما كان لئان تأييدكم بسلطان الابان الله ثم ان الانبياء لما اجابوا عن شبهات الكفرة بتلك الاجوبة فالظاهر ان الكفرة اخذوا في السفاهة وتخويف الانبياء ووعيدهم فعند ذلك قالت الانبياء عليهم السلام لا تخاف من تخويفكم ولا تلتفت الى تهديدكم بل تتوكل عليه وتفتد على فضله ونقطع رجاءنا عما سوى الله تعالى الا انهم عمدوا الامر بالتوكل حيث قالوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون للاشعار بان موجب التوكل هو الايمان وقصدوا بلفظ المؤمنين انفسهم قصدا اوليا بدليل قولهم وما لنا ان لا نتوكل على الله اى في ان لا نتوكل لخذف الجار واوصل الاستقرار الذى تعلق به قوله لنا الى قوله ان لا يتوكل بعد ما علمنا ان الامور كلها بيده فان من فاز بتسرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة والمعارف الربانية يقبح له ان يرجع فى امر من الامور الى غير الحق سواء كان فلما اوملوا اوروحا اوجسما ثم انه تعالى لما حكى عن الانبياء عليهم السلام انهم اكفوا فى دفع سرور اعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه حكى عن الكفار انهم بالغوا في السفاهة واقسموا على انهم ليخرجن الانبياء واتباعهم من ارضهم اوليعدون فى ملتهم وانما قدروا على تفوق هذه المقالة القبيحة بناء على ان اهل الباطل فى كل زمان يكونون كثيرا بالنسبة الى اهل الحق وانهم يتعاضدون ويتعاونون فى غشية باطلهم فلهذا السبب قدروا على هذه السفاهة ولما ورد ان يقال قولهم اوليعدون يومهم ان الانبياء كانوا على ملتهم فى اول الامر حتى يصح ان يقال لتعودن فى ملتنا اجاب عند اوليان العود هنا بمعنى الصيرورة واستعمال عاد بمعنى صار كثير فى كلام العرب وثانيا بان الخطاب وان كان مع الرسل ظاهرا الا ان المقصود بهذا الخطاب كل رسول مع اتباعه واصحابه فغلب اتباع الرسل على انفسهم فى حكم العود فقيل اوليعدون اذا اظهروا ان الاتباع كانوا قبل ذلك على دين اولئك الكفار ومع هذا ان من قال اوليعدون هم الكفار ولا يجب ان يكونوا صادقين فى كل ما قالوه فاعلمهم توهبوا كون الانبياء على ملتهم ولا بناء على انهم نشأوا فى بلاد الكفر وما اظهروا مخالفة الكفار فلذلك ظن الكفرة انهم كانوا فى اول الامر على دينهم فقالوا اوليعدون فى ملتنا ولما ذكر الكفار هذه السفاهة قال الله تعالى فاحسب اليهم ربهم بغيا التعقيب الدالة على ان هذا الموضع لم يتأخر عن سفاهتهم (قوله موقفي) يعنى ان المقام يحتمل ان يكون اسم مكان الوقوف والمعنى ذلك الامر حق لمن خاف مكان الوقوف بين يدي يوم الحساب ونظيره واما من خاف مقام ربه اى موقفه الذى يقيم فيه المسكفين ويحتمل ان يكون مصدرا مضاعفا الى فاعله ويحتمل ان يكون محققا والمعنى لمن خافنى كما يقال سلام على مجلسكم العالى والمراد سلام عليكم وهو بعيد لان الاحكام الاسم قليل نادر (قوله سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء) يعنى ان الاستفتاح طلب الفتح والفتح قدر ابداه النصرة على العدو كما فى قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقد ابداه الحكم والقضاء كما فى قوله تعالى ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله قال رب ان قومى كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحا وكلا المؤمنين صحيح ههنا والمعنى على الاول ان الرسل استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لايأسوا من ايمانهم قال روح رب لا تذرعلى الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطس على اموالهم وقال لوط انصرنى على القوم المفسدين وعلى الثانى ان الامم طلبوا الحكومة والقضاء من الله قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا كما قال كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وكما قال آخرون اثنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل ان الرسل سألوا الله الحكم بنصرهم واهلاك اعدائهم فضير استفتحوا لايخلو امان يرجع الى الرسل الكرام او الى الكفار المانم وقيل يرجع الى الفريقين لان كلا منهما طلب النصرة على صاحبه والحكم باهلاك عدوه (قوله وهو معطوف على فأوحى) اختصار المصنف كون الضمير راجعا الى الرسل حيث قطع بكون واستفتحوا معطوفا على فأوحى كما نهى قبل قال الذين كفروا ما قالوا ماذن للرسول فى الاستنصار فسلوا الله ذلك الفتح والنصرة فنصروا وظفروا بمقصودهم وخاب كل جبار عنيد فالظاهر انه معطوف على قوله قال الذين كفروا رجوعا من مخاطبة الرسل الى طلب الحكومة من الله تعالى فيكون قوله وخاب معطوفا على مقدر وهو فنصروا على قومهم وان كان ضميرا متفخحا للكفرة يكون المعنى ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على

(ولتصبر على ما آذيتونا) جواب قسم محذوف اكذوبه توكلهم وعدم جبالتهم بما يجرى من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت انتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم السبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسولهم لخرجكم من ارضنا اوليعدون فى ملتنا) حلفوا على ان يكون احدا من ايرى اما اخرجهم للرسول او عودهم الى ملتهم وهو معنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولين آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم) اى الى الرسل (كهلكن الظالمين) على اعمار القول واجراء الايام بحجرا لانه نوع منه (وانسكنكم الارض من بعدهم) اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرى ليهلكن وانسكنكم بالياء اعتبار الاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن (ذلك) اشارة الى الموضع به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامى) موقفي وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامى عليه وحفظى لاعاله وقيل المقام محقق (وخاب وعيد) اى وعيدى بالعذاب او عذا بي الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على اعدائهم اول قضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر الحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على انه لكن (وخاب كل جبار عنيد) اى ففتح لهم فأفلم المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند الحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع

(من وراء جهنم) اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شقيها في الدنيا سمعوت اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك (ويسى من ماء) عطف على محذوف تقديره من وراء جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسى من (صديد) عطف بيان ماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار (يتجرعه) يتكلف حرعه وهو وصف للماء او حال من الضمير في يسى (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه لم ينقص به فيطول عذابه والسوخ جواز الشراب على الخلق بسهولة وقبول نفس (ويأتبه الموت من كل مكان) اى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شمره واجهام رحله (وما هو ميت) فيستريح (ومن وراءه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو فيه وقيل هو الخلود في النار وقيل حسس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلوا الفتح الذى هو المطر في بينهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فغضب رجاؤهم فلم يسيغهم واعد لهم ان يسيغهم في جهنم بدل سقيهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا برهبهم) مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هي مثل في الغرابة او قوله (اعمالهم كرماد) وهى على الاول جملة مستأنفة لسان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) جلته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الريح (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للبالغة كقولهم نهاره صائم وليلة قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصله الرحم وانابة الملهوف وعق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء ماثورا لبناؤها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد بطنه الريح العاصفة (لا يقدرون) يوم القيامة (ما كسبوا) من اعمالهم (على شئ) لحبوطه فلا يرون له اثر من الثواب وهو فذللة التشيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حساباتهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية في البعد عن طريق الحق (المتر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلويح (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ آخرة والكسائي خالق السموات

الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم وما افلح بسبب استفتاحه بكيد الرسل وكذا ان كان الضمير ليعسوع الفريسيين يكون قوله وخاب معطوفا على استفتحوا ومن وراء جهنم جملة في محل الجر على انها صفة لجبار ويجوز ان تكون الصفة من وراءه وحده وجهنم فاعل من فوق به لاعتماده على الموصوف لما حكم الله تعالى عليه بالحبيبة والحرمان ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بامور الاول قوله من وراءه جهنم ولفظ وراء يستعمل للخلف والقدام قال ابن عباس واكثر المفسرين انه ههنا بمعنى القدام والمعنى ان جهنم امام ذلك الجبار وهو يردها ويدخلها (قوله فانه مرصد بها) اختلفت النسخ في هذه الكلمة ففي بعضها مرصد بها بفتح الميم وبالباء في بعضها اى فان الجبار موضع الترصص والتربص بسبب جهنم تنزبه ملائكة العذاب ليدخلوه جهنم يقال رصدته ارسده اذا قعدت له على طريقه ترصده فالجار في الحقيقة مرصود جعل موضع الرصد اشعارا بشدة ملازمة الرصدية وفي بعضها مرصدها اى معد لها من قولك ارسدت له العقوبة اذا اعدتها وحقيقته حملها على طريقه كالترقبه وفي بعضها مترصد لها اى موضع الترصص بسببها فهو كما في النسخة الاولى من حيث المعنى او مترصد مترقب لها واللام لتقوية العامل ثم انه حل لفظ وراء هنا على معنى الامام فانه من الاضداد يطلق على القدام والخلف لانه في الدنيا وجهنم معدة له في الآخرة ومن اطلاقه على الامام قول الشاعر

عسى الكرب الذى امسيت فيه * يكون وراءه فرح قريب

اى يكون امامه فرج ويصح في تاء امسيت القمح على خطاب صاحبه المكروب بأن يسره بالفرح القريب وزوال الحزن ويصح فيه الضم ايضا على نسبه لنفسه وحذف من الفعل المذكور بعد عسى كلمة ان وهو قليل ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا اى امامهم ويقال ايضا الموت وراء كل اعداء الانبياء وراء ههنا معنى بعد كما في قول من قال * وليس وراء الله للمرء مطلب * اى ليس بعد الله فانه لما حكم على كل جبار بالحبيبة في قوله وخاب كل جبار عنيد قال بعده من وراءه جهنم اى من بعد هذه الحبيبة يدخل جهنم (قوله وحقيقته ما توارى عنك) اى سواء كان خلقك او قدما لك اشارة الى وجهه اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما (قوله ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه) يريد ان كاد من افعال المقاربة فقوله لا يكاد يسيغه يدل على نفي المقاربة من الاساغعة وانتفاء المقاربة من الاساغعة يستلزم انتفاء الاساغعة قطعاً فان قيل كيف يحكم بان الاساغعة متفنية البتة مع ان قوله تعالى يتجرعه يدل على الاساغعة شيئاً بعدئذ لان التجرع عبارة عن تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار وايضا قوله تعالى يصهره ما في بطونهم يدل على حصول الاساغعة لان الصهر لا يحصل بدون الاساغعة فالجواب ان ما ذكرتم من الدليل انما يدل على وصول بعض ذلك الشراب الى جوف الكفار وذلك لا يستلزم حصول الاساغعة لانها عبارة عن اجراء الشراب في الخلق بسهولة وقيل هي استجابة النفس للمشروب والكافر انما يتجرع ذلك الشراب بكراهية ولا يسيغه اى لا يستطيعه ولا يسره بسهولة مرة واحدة ثم انه تعالى بعد ما ذكر انواع الجبابرة المعاندين ذكر ان اعمالهم بأسرها تصير ضائعة لا يتفعنون بشئ منها فزال مثل الذين كفروا برهبهم فالتل مستعار للصفة التى فيها غرابة تشبهها بالمثل السائر في الغرابة وهو مبتدأ محذوف خبره وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة بيان لصفتهم كائنه قيل كيف مثلهم وصفتهم الغريبة فقيل كيت وكيت ويجوز ان يكون مثل مبتدأ اولاً واعمالهم مبتدأ ثانياً وما ذكرنا خبر الثاني والثاني خبره خبرا دال فان قيل كيف يجوز ان تكون هذه الجملة خبرا للبداً الاول ولا رابط فيها يربطها بالبداً وليسبت نفسه حتى يستغنى بها عن رابط قلنا انما ليست نفس المبتدأ لفظا بل هى نفس المبتدأ معنى فان نفس مثلهم هو نفس اعمالهم كرماد في ان كلامهما لا يفيد شيئاً ولا يلقى له اثر فنفى كالمجلة الواقعة خبرا عن ضمير التان والمراد باعمالهم المشبهة اما المبررات التى علوها غير مقرونة بالايمان واما ما زعموه نافع من عبادة الاصنام اذ الكفار لا يتفعنون بشئ عنهما اما الثاني فظاهر واما الاول فلعدم ابتائهم على الاساس ومن الظاهر المعلوم انه اذا صح تشبيه كل واحد من القسمين بالمراد الموصوف صح تشبيه كلا القسمين به ايضا فلا فائدة يعتد بها في الترديد ووجه المشابهة بين هذه الاعمال وبين الرماذ الموصوف هو ان الريح العاصف يطير الرماذ ويفرق اجزاءه بحيث لا يبقى لذلك الرماذ اثر ولا خبر فكذلك

كفرهم ابطل اعمالهم واحبطها بحيث لم يحق من تلك الاعمال معهم خبر ولا اثر ثم انه تعالى لما مثل اعمالهم بالمراد الموصوف وبين ان الكفر يضيع الاعمال التي كانت في انفسها خيرات ولا يبق لهم الا الحسرة والاسف على خيبتهم مما افوتوا فيه اعمالهم بين كمال قدرته تعالى واستدله على قدرته على افتاء قوم وايجاد آخرين حثا وتحريضا للمكلفين على الايمان بالله تعالى والرغبة في طاعته كما اشار اليه بقوله ومن هذا شأنه **كان حقيقا** بان بعد الخ (قوله) يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله لما كان البروز عبارة عن الظهور بعد الاستتار ومن المستحيل ان يستتر شيء من الاشياء عنه تعالى حتى يظهر له بعد الاستتار ووجب تأويل قوله تعالى وبرزوا لله وذكر في التأويل وجهين الاول ان ليس المراد البروز لله بل المراد البروز للخلق بخروجهم من القبور لامر الله وحسابه وحكمه والثاني ان المراد بالاستتار المحفوظ في ضمن البروز الاستتار في ظنهم فانهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش ويطنون ان ما فعلوه في الخلوات يخفى على الله فيكون انكشافهم لله تعالى يوم القيامة وروزيهم بالنسبة الى ظنهم لما بين الله تعالى ما يصيب الكفار يوم القيامة من انواع العذاب وحرمانهم من ثواب ما فعلوه من الخيرات وهذا هو بيان قدرته على اهلاكهم وانشاء خلق جديد بدلهم بين ما سيكون بين رؤساء الكفرة واتباعهم من تمسك الاتباع بالرؤساء قائلين انما اتبعناكم كمنفعة باتباعكم عند السدة وكيفية اعتذار الرؤساء عندهم معترفين بالجراتام والحرى العظيم وهذا نوع آخر من العذاب اشده من العذاب الجسدي المذكور قبله (قوله اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله) فان قلت كيف طابق هذا التقدير قوله من الاول للبيان والثانية للتبعض وما معنى **كون** الاولى واقعة موقع الحال والثانية واقعة موقع المنعول وحق من الثانية ان يتقدم عليها ما يثبت ولا يأتى اخر عنها فكيف جعلت الاولى بيانية فالجواب ان ما ذكره المصنف توجيه من حيث المعنى فان المعنى هل تغفون عنا من شيء من عذاب الله فمن عذاب الله صفة شيء ويان له فلما تقدم عليه انقلب اعرابه من الوصفية الى الحالية لان الصفة لا تنقدم على الموصوف واما معنى البيان فهو باق بحاله لم يتغير وكذا **كون** من شيء مفعول مغفون باق بحاله فقوله من عذاب الله حال من شيء قدمت عليه لكون ذى الحال نكرة والحال وصاحبها صفة وموصوف في الحقيقة وذو الحال مفعول والحال بيان له وهذا الاعراب لا يتغير على تقدير كور كل واحدة من كلتي من تبعية والفرق بينهما ان المعنى على الاول هل اتم مغفون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله وعلى هذا التقدير تكون من متعلقة بمحذوف لانها في الاصل صفة شيء فلما تقدمت عليه انتصبت على الحال وعلى تقدير كون الاولى مفعولا تكون متعلقة بنفس مغفون ويكون من شيء واقعا موقع مصدر مغفون بمعنى بعض الاغناء وقول الاتباع والعوام للسادة الكبراء انا كنا لكم تبعات تريخ وتقرع اثم على استتباعهم لان الكبراء عرفوا ذلك فلما فائدة لهم في هذا الاخبار وقولهم فهل اتم مغفون عنا ليس بطريق ان يطلب الاتباع منهم دفع العذاب عنهم وكيف يطلون منهم ذلك وقدراً وهم في العذاب ولو قدروا على دفع ذلك عنهم لدفعوه اولاً عن انفسهم وانما قالوه على سبيل التبكيت والالزام لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجاب الكبراء عن متابعتهم بان قالوا انما دعوناكم الى الضلال لان الله اضلنا بسبب اختيارنا ما نستطيع انفسنا ولو هداانا لدعوناكم الى الهدى نسوا ذنبهم الى الله تعالى واحالوا على ما فعل بهم من عدم توفيقهم للاهتداء وخلق الاهتداء فيهم فكلام الكبراء على هذا التقرير يكون جواباً لتوبيخ الاتباع بقولهم انا كنا لكم تبعات فهل اتم مغفون وعلى قوله اولوهداانا الله طريق النجاة الخ يكون جواباً عن قولهم فهل اتم مغفون ومعنى الآية على الاول اولوهداانا الله للايمان او هداانا الله للايمان في دار الدنيا لهديناكم اي بينا لكم طريق الهدى وعلى الثاني لو هداانا الله اليوم اي طريق التخليص من العذاب لهديناكم اليه ثم يقولون لا نحصى لنا ما قد وقعنا فيه ولا يخفف عنا العذاب بالصبر ولا بالجرع فكلاهما سواء علينا وقال مقاتل يقولون ذلك في النار فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلا ينفعهم الخ (قوله مستويا علينا ان الجرع والصبر) اشارة الى ان قوله اجر عنا صبرا في محل الرفع على الابتداء والجملة انما يتبع الاخبار عنها اذا كانت نسبتها المحفوظة تفصيلا واما اذا اراد بها مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهي كالاسم في الاضافة والاستناد اليه وقوله سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر والمحيص المتحي بالقصر وهو قد يكون مصدرا كالمغيب والشيب وقد يكون مكانا كالكليت والمضيق يقال خاص منه وحاص عنه بمعنى واحد اي هرب منه قصدا

(ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خالق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتدليل الصور وتغيير الطائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمنع عليه ذلك كما قل (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعدر او متعسرفانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقا قبان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) اي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحا ستمه اوله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويطنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه (الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يخفم الالف قبل الهمزة فيلها الى الواو (الذين استكبروا) رؤسائهم الذين استتبواهم واستغفواهم (انا كنا لكم تبعات) في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع ككاتب وغيب او مصدر نعت به للبالغة او على اضممار مضاف (فهل اتم مغفون عنا) دافعون عنا (مر عذاب الله من شيء) من الاول للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ماسبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية بمصدرا اي فهل اتم مغفون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) اي الدين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو هداانا الله) للايمان ووقفنا له (لهديناكم) ولكن ضلانا فاضلاناكم اي اخترنا لكم ما احترناه لانفسنا اولوهداانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغبننا عنكم كما عرضنا لكم ولكن سدودنا طرق الخلاص (سواء علينا اجرنا ام صبرنا) مستويا علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) نجي ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالكليت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجرع فيجرعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا

للخلاص ثم انه تعالى لما ذكر المناظرة الواقعة بين رؤساء الكفرة واتباعهم اردفها بذكر المناظرة الواقعة بين الشيطان واتباعه فقال وقال الشيطان لما قضي الامر اى فرغ منه وقضى الله بين العباد واستقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فحيث بدأ هذا اهل النار في يوم ابليس وتقر بعد فيقوم فيما بينهم خطيبا ويقول ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وقال الشيطان لما قضي الامر وقيل المراد بقضاء الامر انقضاء المحاسبة والاول اولى لان الفراغ مما يتعلق بامر المحاسبة انما يكون باستقرار كل فريق فيما اعد له من المقر وقيل المراد به انقطاع ما يتعلق بامر المحاسبة بالكلية بانتهاء الاحوال المتغيرة فلا يبقى في النار الا ما يخلد فيها فان مذهبنا ان عصاة المؤمنين يخرجون من النار ويدخلون الجنة فلا يبعد ان يكون المراد بقوله لما قضي الامر ذلك الوقت لان في ذلك الوقت تنقطع الاحوال المتغيرة المتعلقة بالحساب ولا يحصل بعده الادوام ما كان على ما كان (قوله وعدا من حقه ان يخرج) على ان وعد الحق مصدر وعدهم انضيف الى الحق ليدل على اختصاصه على انه من اضافة المصدر الى مفعوله الذي هو الحق بمعنى الثابت وهو البعث والجزاء والاصل وعدهم الحق ثم ذكر المصدر لتكسبه وهي ههنا تقرير انتفاء تسلطه عليهم وتحقيقه كافي قول من قال

ولا غيب فيهم غير ان سيوفهم * بين قلول من قراع الكتائب

ادعى ان كون سيوفهم ذوات قلول من قبيل الغيب ليحقق به براءتهم من جميع العيوب وكذا الوكيل ما تحية بينهم الا الضرب الوجع فقد ادعى كون الضرب من انواع التحية للدلالة على ان لا تحية بينهم اصلا فكذلك اللعين ادعى ان التسويل والترزين من انواع القهر والتسلط ليقربان لانه لمط عليهم اصلا (قوله اسرعتهم اجابتي) اشارة الى ان استجاب واجاب وان كانا بمعنى واحد الا ان استجاب ابلغ كما مر في قوله فاستعصم ونهاية مقالة الدين وحاصلها الزامه في قوله ما كان نبي الا الدعا ، والوسوسة وقد كنتم سمعتم دلائل الله تعالى وشاهدتم مجيئ انبياء الله تعالى فكان الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا الى دعوى ووسوسة فلما رجتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم في هذا الباب فالسلطان اذا بمعنى الحق والبرهان اى لم يكن الا مجرد الدعا والوسوسة من غير اقامة حجة وبرهان على مادعوتكم اليه فتركتم اجابتهم وتبعتم مادعوتكم اليه وقد كان مع الرسل البراهين واستجبتكم بلا حجة وبرهان ويحتمل ان يكون المراد من السلطان الملك والقهر والغلبة ويكون المعنى ما كان لى عليكم من قهر وغلبة اقهركم واغلب عليكم الا الدعا والوسوسة فاستجبتكم طوعا وخالفتم حكم الله تعالى ودعوة النبي الصادق المصدق باختياركم فانركوني وحالى واستغفروا بلوم انفسكم ولا بد في توضيح هذا المقام من بيان ان مدخل الشيطان في اى شئ مما يصدر عن الانسان باختياره لتبني ما يلام عليه انسانا مما يلام عليه الشيطان فاعلم ان ما اسند الى الانسان من الترك والاتباع يتوقف على امور مرتبة يترتب بعضها على بعض ترتبا ضروريا الاول الشعور بذات انشئ الذى يتوجه الى ايقاعه وتركه ويترتب عليه تصور كونه خيرا ملائمة او شرا منافرا له وكونه غير ملائم ولا منافر ويترتب على تصوره بأحد الوجوه المذكورة الميل الجازم الداعى الى الفعل والترك وعدم الميل الى احدهما فانه اذا حصل له الشعور بكونه ملائما يترتب عليه الميل الجازم الى الفعل وان حصل له الشعور بكونه منافرا يترتب عليه الميل الجازم الى الترك وان لم يحصل الشعور لا بهذا ولا بذلك لم يحصل الميل لالى الفعل ولا الى الترك بل يبقى كما كان وحصول ذلك الميل الجازم مع انضمام القدرة والاستطاعة اليه وقوع الفعل وهذه الامور المرتبة لا مدخل للشيطان في شئ منها الا ان يذكر سببا كان الانسان غافلا عنه مثل ان يكون الانسان غافلا عن شأن امرأة وصورتها فيلقى الشيطان حديثها في خاطره والشيطان لا قدرته الا في هذا المقام وهو عين ما حكى الله تعالى عنه انه قال ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اى ما كان لى الا مجرد هذه الدعوة وما بقية المواد فلم تصدر منى وما كان لى فيها اثر فقطهر منه ان الشيطان الاصل هو النفس لانه لولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب والعزم والحيل لم يكن لو سوسه تأثير البتة (قوله واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله) قالين ان الكفر والمعصية لو كانا من الله تعالى لوجب ان يقول فلا تلوموني ولا انتقمكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وضاع ظاهرا فضاء الامة يدل على ان الشيطان لا قدرته على الفعل مع الانسان ولا على تحريك اعضائه ولا على ازالة العقل عنه كما يقول القوم (قوله بغيثكم من العذاب) اى بمنقذكم منه فان الصارخ هو المستغيث والمصرخ المغيث يقال

(وقال الشيطان لما قضي الامر) احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدهم وعد الحق) وعدا من حقه ان يخرج او وعدا انجزه وهو الوعد فالبعث والجزاء (ووعدكم) وعد الساطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصلام تشفع لكم (فأخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فألجئكم الى الكفر والمعاصي (الا ان دعوتكم) الادعاء اياكم اليهما يتسويل وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله

تحية بينهم ضرب وجيع * ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتكم لى) اسرعتهم اجابتي (فلا تلوموني) بوسوسة فان من صرح بالمداوة لا يلام بامثال ذلك (ولوموا انفسكم) حيث اطعموني اذ دعوتكم ولم تطعموا ربكم لادعائكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وبس فيها ما يدل عليه اذ يكتفى لاحتجاجها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا (ما انا بمصرخكم) بغيثكم من العذاب

دسرح فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اى اغشده (قوله اوعلى لغة من يزيداء الخ) عطف على قوله على الاصل فى التثاق الساكنين فهو توجيد ثان لقراءة حزة بعد توجيها بان يا الاعراب ساكنة ويا المتكلم اصلها السكون فلما التفتا كسرت ياء المتكلم لالتقاء الساكنين وتقرر الوجه اثنى لقراءة الكسر ان ياء المتكلم تنبذ هاء الضمير والجامع بينهما ان كل واحد منهما ضمير على حرف واحد وايضا ياء المتكلم لا ينزلون من ان تكون فى موضع انصبب او اجر كافى اى وغلامى بالياء فى انصبب والجر كالهاء فى هاء والكاف فى اكرمت وهذا لك والهاء توصل بالواو اذا كانت مضمومة فتحو لهو وضربتهو وبالياء اذا كانت مكسورة فتحو غلامى وهى وتكسر بعد الكسرة وبالياء الساكنة نحو به وعليه فتراد الياء بعد ياء المتكلم ايضا فيقال مصرخى كما يقال بهنى وفيهى ولم تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وتقول بكسرياء المتكلم بعد الكسرة كما كسرت الهاء بعدها فى نحو به ولذلك قد تلحق الزيادة بعد كاف الخطاب فيقال اعطيتكاه واعطيتك فكذا تراد الياء بعد ياء المتكلم تنبيهها لهما بالكاف فيما ذكر ثم تحذف الياء كما ذكر وقيل زيادة الياء بعد ياء المتكلم لغة تبنى يرجع فغير يدون ياء اجراء لها بجرى الهاء والكاف بعدها حيث زادوا على الهاء الواو وعلى الكاف الالف والياء نحو ضربتهو واعطيتكاه واعطيتك فالاصل فى قراءة حزة اثبات ياء بعد الياء المسددة تحذف الالف الزائدة تخفيفا واكتفاء بالكسرة فبنى مصرخى واستشهدوا على زيادة الياء بعد ياء المتكلم بقول من قال

قال لها هل لك يانافى - قالت له مانت بالمرضى

اى هل لك يا هذه فى والاستشهاد فى يافى وقوله يانا اسم اشارة للثؤث (قوله نحو ما فى قولهم سبحان ما سخر كن لنا) يريد ان ما على تقدير ان تكون موصولة يراد بها الله عز وجل وكلهما لا تستعمل فى ذوى العلم موصولة الاعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقولهم سبحان ما سخر كن لنا اى سبحان العظيم الشأن الذى سخر امثالكن لنا وارتباط قول الامين انى كفرت بما اسركتمونى بالمقام على تقدير كونها مصدر يتظاهر لانه لما عاين ما عاينه من الشدائد تبرأ منهم ومن اشراكهم واما على تقدير كونها موصولة وكون المعنى انى كفرت بالله الذى اسركتمونى به من قبل كفرتم فوجه ارتباطه انه تعليل وتأكيده لقوله فلا تلوحونى كانه يقول لا تأير اوسوسى فى كفرتم دليل انى كفرت بالله قبل ان وقعتم فى الكفر وما كان كفرى بوسوسة احد والازم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الكفر شئ آخر سوى الوسوسة وهو ترك العمل بالحجة والبرهان واتباع شهوات النفس وترجح حظوظها الباطنية ويحتمل ان يكون تعليل لقوله وما انتم بمصرخى كانه يقول لا تعتمدوا على اغاثتى لان كفرى قبل كفرتم (قوله وقرئ ادخل) يعنى ان العامة قرأوا وادخل على لفظ الماضى المبني للفعول لعطفه على برزوا وعلى قوله فقال الضعفاء وقرئ على لفظ المضارع المسند الى المتكلم فقوله باذن ربهم على قراءة العامة يتعلق بادخل او بقوله خالدين ولا وجه لتعلقه بادخل فى القراءة الاخرى لان قوله وادخل الذين باذن ربهم لا وجه له لان المتكلم هو الله تعالى ولا معنى لادخال الله تعالى باذن نفسه فالوجه حيث ان يتعلق بما بعده فان تحييتهم مصدر مضاف الى مفعوله اى يحييهم الله او الملائكة او الى فاعله اى يحيى بعضهم بعضا واياما كان يجوز ان يتعلق به الجاروفيه بحث وهو ان معمول المصدر لا يتقدم عليه فالاحسن ما روى عن ابن جني انه قال قرله وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم قطع للكلام واستئناف كانه قال الله تعالى وانا ادخلهم جنات تجري من تحتها الانهار باذن ربهم اى باذنى الانه اعاد ذكر الرب على سبيل الالتفات من التكلم الى الغيبة ليضيق اليهم فانه راح عليهم وادخل فى الاكرام والتقرب منه وما يقل انه متعلق بخالدين لا يدفع المنافرة لان خلاصة الكلام حيث ان تكون هكذا وانا ادخلهم جنات مقدرا خلودهم باذن ربهم وهذا كلام ركيك لا يتدفع ركاكته البعباروى عن ابن جني (قوله كيف اعتمده) اى جعله عمادا يعتمد عليه افهام المعنى يريد ان ضرب متعمد الى واحد لكونه بمعنى اعتمد الا زهرى اعتمده واعتمد عليه بمعنى وقيل انه من ضرب البلد اذا قصده والظاهر انه من ضرب الحاتم ونحوه وصرح به فى قوله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا واراد ان يظهر مقارنته لاصل معنى الضرب بانه اعتمد فاعتمده بمعنى تعمد وقصده مثلا ووضع ولقطة كلمة على هذا منصوص به بمصرى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيد كساه حلة وحده على فرس ويجوز ان يكون اتصافها بالمثل لانه بمعنى المثل به وفيه ان النل بمعنى المثل به والكلمة الطيبة ليست بمثل بها

(وما انتم بمصرخى) بمعنى وقرأ حزة بكسرياء على الاصل فى انتقاء الساكنين وهو اصل مر فوض فى مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حر كذا ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالجرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيداء على ياء الاضافة اجراء لها بجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بما اسركتمونى من قبل) ما اما مصدرية ومن متعلقة بشركتمونى اى انى كفرت اليوم بشرككم اى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخر كن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اسركتمونى وهو الله تعالى بطاعتكم اى اى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيره ما من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لا آدم عليه الصلاة والسلام وانسرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب اليم) تمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك اعطى السامعين وابقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحييتهم فيها سلام) اى يحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (الم تركى ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضع (كلمة طيبة كشجرة طيبة) اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء لها بجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء (اصلها ثابت) فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) واعلاها (فى السماء)

فانه تعالى لم يضرب الكلمة مثلا بل ضرب لها مثلا لنقل تفسير المثل بالممثل او على حذف مضاف اي ذائل وقوله كشجرة حيث ذاما في محل التصب على انه صفة كلمة او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ثم استار الى ان ضرب يحتمل ان يتعدى الى مفعولين لكونه بمعنى صير وجعل عند استعماله مع لفظ المثل خاصة وان قرئ كلمة بالرفع يكون مبتدأ خبره كشجرة (قوله ويجوز ان يريد وفروعها) عطف على قوله اعلاها يعني ان الفرع يجوز ان يحمل على اعلى الشجرة او على اغصانها بان يكتب باسم الجنس عن الجمع الجوهرى فرع كل شئ اعلاه (قوله والاول على اصله) اي كون اصلها مبتدأ وثابت خبره موافق لاصل المعنى وهو اثبات وصف الثبات له وهو الاصل دون الشجرة فان الخبر عنه بالثبات في الحقيقة انما هو الاصل سواء جعل الاصل مبتدأ وثابت خبره او جعل ثابت صفة كشجرة ورفع اصلها على انه فاعل ثابت وتوصيف الشجرة بنبات من قبيل توصيف شئ بحال سببه فيكون اجراء للوصف على غير ما هو به بخلاف ما لو جعل اصلها مبتدأ وثابت خبره فانه توصيف للاصل بحال نفسه واجراء للوصف على ما هو به فيكون الكلام حيث ذجاري على اصله ولعل الثاني ابغى لان ثبت اصلها صفة كشجرة واصل الصفة ان تكون اسما مفر لا لان الجملة اذا وقعت صفة حكم على موضعها باعراب المفرد فاذا قيل كشجرة طيبة ثابت اصلها فقد جرت الصفة على اصلها واذا قيل اصلها ثابت فقد وضعت الجملة موضع المفرد وهو خلاف الاصل واعلم ان كون الشجرة طيبة يكون بكونها طيبة الصورة والنظر وبكونها طيبة الرائحة وبكونها طيبة الظل والتمرة بان يكون ظلها كثيفا قويا وثمرها لذيذا مستطابا كثيرا لخواصه والمنافع والوجه تخصيص بعض هذه الوجوه بالارادة ومثل هذه الشجرة اذا كان اصلها راسخا في الارض وكان فرعها مرتفعا يكون شأنها منافية للسرعة هلاكها وانقطاع الابتهاج بها فيعظم فرحها وسرورها بسبب الفوز بها ثم ان ارتفاع اعلاها واغصانها يدل على كمال الشجرة من وجهين الاول ارتفاع الاغصان وقوتها يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق والثاني انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الارض وقاذوراتها فتكون ثمرة باحاضرة دائمة في جميع الاوقات وتكون في غاية الشرف والكمال بحيث تعظم رغبة كل عاقل في تحصيل مثلها فسببه الله تعالى الكلمة الطيبة بهذه الشجرة ترغيبا للمكافئين في تحصيلها ثم قال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان في ضرب الامثال زيادة الافهام لان المعاني العقلية الخفية لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يمتثلها من المحسوسات تزل الحس والخيال المنازعة والمدافعة للعقل فيحصل الفهم التام ثم شبه الكلمة الخفية التي لا يدركها حجة ولا يؤيدها عقل ولا نقل بالشجرة الخفية الكثيرة المضار الخفية عن النافع فاشارة الى كثرة مضارها بقوله خفية والى خلوها عن المنفعة بقوله اجثت من فوق الارض مالها من قرار والكثوث ثبت يتعلق باغصان الشجرة من غير ان يضرب بعرق في الارض قال الشاعر

هو الكشوث فلا اصل ولا ورق - ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

والكلمة التي تعرب عن الحق ثبت اصلها ودليل حقيقتها في قلب المؤمن ويرتفع ما يرتب عليها من الاعمال الصالحة الى السماء ويقسم المؤمن بركاتها وثوابها في كل وقت وزمان والكلمة الخفية تخالفها حيث ذ في جميع ذلك الماثل الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الموصوفة بين انه تعالى يثبت المؤمن بسببها في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال يثبت الله الذين آمنوا والباء في قوله بالقول الدابة للسببية وهو متعلق بقوله يثبت وكذا قوله في الحياة الدنيا وفي الآخرة والمقصود بيان ان اثبات على الكلمة الطيبة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله في الدنيا والآخرة روى ان جرجيس كان من الحوار بين من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام علمه الله الاسم الذي يحيى به الموتى وكان بارض الموصل جبار عنيد يعبد الصنم فدعاه جرجيس الى عبادة الله تعالى ونهاه عن عبادة الصنم فامر به فشد رجلاه ويده ودعا باسمه من حديد فصرح به اصدروا ويده ثم صب عليه الماء المالح فصره الله تعالى عليه ثم دعا بماسير من حديد فصر بهاعينه واذنيه فصره الله عليه ثم دعا بحوض من نحاس فاوقد تحته حتى ابيض ثم اتى فيه واطبق رأسه فجعله الله تعالى له بردا وسلاما وزاده حسنا ورجلا ثم قطع اعضاها بارا بارا فاحياه الله ودعاهم الى الله واحيي الموتى ولم يؤمن الملك فاهلكه الله تعالى مع قومه بان قلب المدينة عليهم وجعل عاليها سافلها واما سبعة من العابد فكان من رهبان النصارى وكان رجلا متجاعا يحارب عبدة الاصنام من اهل الروم ويدعوهم الى الدين الحق وكان يكسر بنفسه جنودا مجتدة واحتال عليه ملك الروم باواع من الخيل ولم يقدر عليه الى ان صرح الى امرأته بمواعيد فسألته في وقت خلوة عن حاله كيف يغلب عليك فقال ان اشد بشعري في غير حال الطمارة فاني حيث ذ

ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتساب الاستغراق من الاضافة وقرئ ثبات اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابغى (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين) اشته الله تعالى لامسارها (ياذن ربها) بارادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه قصور للعاني واداء لها من الحس (ومثل كلمة خبيثة كشجرة) كمثل شجرة (خبيثة اجثت) استقرصت واخذت جثتها بالسكبة (من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرارواختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة اتوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخفية بالشرك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعي ذلك فالكلمة الطيبة ما عرّب عن حق او دعاء الى صلاح والكلمة الخفية ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالخلة وروى ذلك من فوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالخنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعي ذلك (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذي ثبت بالجملة عندهم وتكن في قلوبهم (في الحياة الدنيا) فلا يزولون اذا افتنوا في دينهم كنكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وسبعون والذي فتنهم اصحاب الاخدود

(وفي الآخرة) فلا يتلثمون اذا سئلوا عن معتقدكم في الموقف ولا يدسهم احوال يوم القيامة روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيحلبانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان

(١٣٥)

صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يمتدنون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتى (ويفعل الله ما يشاء) من تثبت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه (الم ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) اى شكر نعمته كفراناً وضعوه مكانه او بدلوا نفس انعمته كفراناً لمسا كفرها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمة وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقتلوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا الاء فقوا مسلوبي ائمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافتران من قر يش بنوا الغيرة وبنو امية فاما بنو الغيرة فكذبوهم يوم بدر واما بنو امية فتعوا الى حين (واحلوا قومهم) الذين شايعوهم في الكفر (دار البوار) دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها) حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسرين لفعل مقدر ناصب لجهنم (وبئس القرار) اى وبئس اقرار جهنم (وجعلوا الله انداداً ليلوا عن سبيله) الذى هو اتوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو وورس عن يعقوب : بفتح اياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجه جعل كالغرض (قل تمتدوا) بسببهم وكم اوبع ادة الاوثان فانها من قبيل السهوات التى تمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايدان بان المهدي عليه السلام كالمطلوب لافضائه الى المهدي به وان الامرين كائناً لا محالة ولذلك علاه بقوله (فامصيركم الى النار) وان الخطاب لانهم كما فيه كالمأمور به من أمر مطاع (قل لعبادى الذين آمنوا) خصهم بالاضافة تنويعاً لهم وتنبهها على اهم التقيون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا (بيقوا الصلاة) وينفقوا بمارزقناهم) فيكون ايداناً بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر لهصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد فقد تنفسك كل نفس - اذا ما خفت من امر تبالا

لم اقدر على انك فاحاطوا به في مناسد وشده كذلك والقوة من قصر الملك فهلاك واما اصحاب الاخذود فقد روى من فروعان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاماً له وكان في طريقه راعب قال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرًا وقال اللهم ان كان اراهب احب اليك من الساحر فاقتلهما فقتلها وكان الغلام بعده يعزى الآلهة والابرص ويشفى من الادواء وعنى جالس الملك فابراه فساء له الملك من ابرك فقال ربى فغضب الملك فدل على الغلام ففر به ففر على الراهب ففقد فداها فهاك من معه ونجا فاجلسه في سفينة ليعرق فدعا فانكفأت السفينة عن معه ففرقوا ونجا فقتل الملك استبانتى حتى تجميع الناس وتصلبى وتأخذسهما من كتابتى وتقول باسم رب الغلام ثم رمى به فرماه فوقع السهم في صدغه فأت الناس فامر باخايد او قذفها النيران فن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي امه اصبرى فالك على الحق فاقصمت (قوله فلا يتلثمون) اى لا يتكلمون يقال تعلم الرجل فى كلامه اذا تكلم فيه وتأتى (قوله اى شكر نعمته) قدر المضاف لان الكفر المذكور يحجب النعمة برأيه الكفران ومقابلة النكر واعلم ان بدل يعدى الى مفعولين الى واهما بنفسه الى ثانيهما بواسطة الباء وان المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار وقد يحذف حرف الجر فيتعدى الفعل اليهما بنفسه كفى هذا المقام والمجرور بالباء ههنا هو النعمة لانها هى المتروكة والذى تعدى الفعل اليه بنفسه هو الكفران فهو المفعول الاول (قوله واحلوا قومهم وقوله وجعلوا لله انداداً) معطوفان على الصلة وهى قوله بدلوا نعمة الله وصفهم ولا يباين كفران نعم الله تعالى على شكرها وانما باهم اضلوا قومهم وحلوه على الكفر الذى اداهم الى جهنم وتألموا بهم جعلوا الله المستجمع لجميع صفات الكمال اسبابها وشركاء والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول واللام فى ايلوا سواء قرئ بفتح اياء او ضمها لام العاقبة لان كل واحد من الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد وعاقبته (قوله وفي التهديد بصيغة الامر) لما كانت صيغة الامر موضوعة لطالب الفعل ولوعلى طريق التدب ولا باحة وكان التمتع بالسهوات غير مطلوب بوجه ما فضلا عن ان يكون وسيلة الى مطلوب آخر وهو كون المصير الى النار جعل المصنف صيغة الامر للتهديد كقول الطبيب للمريض الذى خالف امره بترك الاجتناب عما يضره بعد ما امره الطبيب بمرات كل مائة فان مصير امره الى الموت يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هو عليه ويقل قول الطبيب فكذلك الله تعالى ترك الكفار وخلاهم وانفسهم فان لا تمتعوا والمقصود ردعهم عن تلك الحلة ثم بين ان فائدة تخصيص صيغة الامر لاذية معنى التهديد امر ان الاول ان ترتب المهدد عليه على المهدد به ايدان باستعارة تشبيهة شبه حال المخاطب فى انهما كما فى التمتع المؤدى الى النار بحال من امر بالتمتع من قبل الامر المطاع الذى ليس فى وسع المخاطب مخالفة فاطلق فى حقه العبارة الرائعة فى حق المسببه به فقل فى تهديده تمتعوا والثانية ايدان بان كل واحد من المهدد عليه وبه واقع لا محالة بحيث يرتب الثانى على الاول (قوله ويجوز ان يقدر بلام الامر) عطف على قوله ومقول قل محذوف اى ويجوز ان لا يكون مقوله محذوفاً بان يشتمل ان يكون يتعموا وينفقوا بجزومين بلام الامر القدرة ويكون التقدير ليقوموا اذ ينفقوا لا يصح كونهما مقول القول كما تقول قل لا يدبضرب عمرافانه قد يحذف الجازم ويبقى عنه ولما ورد ان يقال كيف يجوز حذف لام الامر مع ان اهل اللغة وضعوا الامر المخاطب صيغة مخصوصة وعينوا لام الامر للدلالة على ان المأمور ليس بمخاطب فلا يجوز ان يقال يضرب زيد ويراد امر زيد بالضرب لان المعانى انما تستفاد من الالفاظ الموضوعه للدلالة عليها وعند حذف الدليل كيف ينقل الذهن الى المدلول اجاب عنه بقوله وانما حسن ذلك اى انما حسن حذف لام الامر فى هذه الآية مع انه لا يحسن حذفها فى نحو قول الشاعر

محمد فقد تنفسك كل نفس - اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة قل عليه اى على ان المراد امر الغائب يعنى حسن حذف لام الامر هنا لقيام ما يقوم مقامها فى الدلالة على ان المراد امر غير المخاطب وهو قوله فانه امر للبلغ المخاطف فهو يدل على ان المأمور بقوله يقيموا وينفقوا غير المخاطب فيكون قائماً مقام اللام فى الايدان بان الامر لغیر المخاطب فحسن حذف لام الامر فيه وفى قوله ويجوز اشارة الى ضعفه لان حذف الجازم وابقاء عمله نادر كحذف الجازم المختار هو الوجه الاول وهو ان يكون يتعموا وينفقوا بجزومين على انهما جواب قوله قل ويدلان على مقوله المحذوف والمعنى قل لهم اقيموا الصلاة وانفقوا

فأتمن مقامهما وهو ضعيف لانه لا يد من مخالفة ما بين اشترط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بالفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحداً

فانك ان تقل لهم ذلك يقيموا الصلاة وينفقوا لفرط مطاوعتهم اليك وضعف وجهه ان يكونا مجزومين على انهما
 جواب اقيموا وانفقوا انخذوا فيهم والتقدير اقيموا وانفقوا وقيموا وجهه ضعفه امر ان الاول ان جواب
 الشرط لا بد ان يخلو نفس الشرط اما في الفعل او في الفاعل او فيهما ولا يجوز كونه مثل الشرط في الفعل
 والفاعل كقولك قم وتم واتقبر على هذا الوجه ان يقيموا وان ينفقوا ولا وجه له والا امر الثاني انهما على تقدير
 كونهما جواب المقول المقدر يكون من قبيل اسمي اسم في ان يجاب امر الخطاب بلفظ الغيبة وهو انما يجوز اذا كان
 فاعل الشرط غير فاعل الجراء واما اذا اتحد كما في قولك اسمي اسم او كان محكيما به كافي ما نحن فيه فيخذل يجوز
 ان يجاب بلفظ الغيبة كما تقول قل لعبدى اطعني يطعك (قوله اي اتفاق سر وعلانية) على الاضافة البيانية
 فان كل واحد من السر والعلانية لما كان نوعا من الانه. ق. جاز وقوعه موقع الاتفاق (قوله اي ذوى سر) وهو
 احد التأويلات الثلاثة المذكورة في رجل عدل ويجوز فيه التأويلان الآخران ايضا وهما ان يجملوا نفس
 السر والعلانية مبالغة وان يقام سر وعلانية مقام مسرين ومعلنين (قوله فيتابع المقصر ما يتدارك به
 تقصيره) اشارة الى ان فائدة تقيع الاتفاق مقبولة من قبل ان ياتي يوم لا تقدر رونا فيه على تدارك ما فاتكم من
 الاتفاق لانه لا يبع فيه حتى يتابع ما تنفقوه ولا خلة حتى يسامح اخلاقكم به اي بما تنفقونه وقوله او يغدى به
 نفسه عطف على قوله يتدارك به اي ليس فيه بيع حتى يتابع ما يعطيه فداء لنفسه فيخلصها من العذاب وليس فيه
 مخالطة ومصافاة حتى يشنع خليل خليله فيجبه من العذاب (قوله او من قبل ان ياتي يوم لا تنفعا فيه
 بمائة ولا مخالطة) لما كان اهل الدنيا يتفقون بالاتفاق الواقع في عقد المعاوضات بان يعطوا شيئا من المال
 ليأخذوا ما يرغبون فيه عوضا عنه وفي عقد التبرعات الواقعة بين الاصدقاء على طريق المهاداة ان يعطوا شيئا على
 وجه الهدية ليستخبروا بذلك ما هو خير منه في حب الله تعالى اي الاتفاق الواقع لوجه الله تعالى بان يتساركا
 في المنفعة التي تترتب على هذا الاتفاق الواقع في عقد المعاوضة والمهاداة فالنبي بقوله تعالى لا يبع فيه ولا خلال
 هو غايتهما ومنفعةهما المترتبة عليهما فعلى هذا المقصود من الآية الحب على الاتفاق الواقع في عقد المبادعة
 ومهاداة الاخلاء ونبي الاتفاق في ذلك اليوم هما كناية عن الاتفاق بمقابلتهما ومحصل المعنى على الوجد الاول
 ان الاتفاق امر مطلوب في نفسه فليغتموه قبل ان يفوت وقت هذا المطلوب ولا يتركه الطالب وعلى الثاني ان
 الاتفاق الذي يتصور منكم في الدنيا يكون على ثلاثة اوجه لا تنفعون بشئ منها في الآخرة الا ان يكون على الوجه
 اثنان والخلال المخالطة وهي المصاحبة والمصادقة يقال خالته خللا وخلاله خللا جع خلة كبرمة وبرام
 فان قيل كيف نفي المخالطة في هذه الآية مع انه تعالى اثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
 فالجواب ان الآية الدالة على نفي المخالطة محمولة على المخالطة بمثل ميل الطمينة وورغبة النفس والآية الدالة على
 حصول المخالطة محمولة على المخالطة بسبب عبودية الله ومحبة الله ثم انه تعالى لما ذكر احوال السعداء واحوال الاشقياء
 وكانت معرفتنا احوالهما منوطا بمعرفة الصانع بذاته وصفاته ختم وصف احوالهما بذكر الدلائل الدالة على وجود
 الصانع وكال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة انواع من الدلائل وهي خلق السموات وخلق الارض باخراج الثمرات
 وبسبب ازالة الماء من السماء وتسخير الفلك تجري في البحر وتسخير الانهار وتسخير السمسم وتسخير القمر وتسخير
 الليل وتسخير النهار واعطاء البعض من جميع ما يطلبه فانه كما ينهنا هذه الدلائل الدالة على سلطانه وقدرته حيث سخر
 هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وعظمتها واهوالها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض ذكرنا ايضا نعمه التي
 انعمها علينا اذ تسخير هذه الاشياء منادى بذلك (قوله وانزل من السماء ماء) فيه قولان الاول ان الماء ينزل من
 السحاب وسمى السحاب سماء للاشتقاق من السمو والارتفاع والثاني انه ينزل من نفس السماء وهو بعيد لان الانسان
 ربما يكون واقفا على جبل عال ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم مطرا عليه واذا كان
 هذا ما يشاهد بالبصر كان النزاع فيه انكار المحسوس ولفظ الثمرات يطلق في الغالب على ما يحصل من الاستحباب
 ويطلق ايضا على الزروع والنباتات (قوله تعبتون به) اشارة الى ان الاضافة الى الله في ارتفاع التعبد
 معتبرة في مفهوم الرزق فان الرزق عند الاشاعرة اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان لينتفع به سواء كان بالغذي
 او بغيره مباحا كان او حراما مملوكا كان او غير مملوك وهذا التفسير اجل من تفسيره بما يسوقه الله الى الحيوان
 لئلا كله لا اختصاصه بالآكل كقول ومن تفسيره بما يتخذ به الحيوان لذلك ونخلوه عن معنى الاضافة الى الله مع انه معتبر

(سر وعلانية) متصان على المصدر اي اتفاق سر
 وعلانية او على الحال اي ذوى سر وعلانية او على
 الطرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب
 واخفاء المتطوع به (من قال ياتي يوم لا يبع فيه)
 فيتابع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يغدى به نفسه
 (ولا خلال) ولا مخالطة فيسمع لك خليل او من قبل ان
 ياتي يوم لا تنفعا فيه بمائة ولا مخالطة وانما ينتفع فيه
 بالاشفاق لوجه الله تعالى وقرأ اي كثير وابوعرو
 ويعقوب بالفتح فيهما على انني العام (الله الذي
 خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر (وانزل
 من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم)
 تعبتون به وهو يشتمل المطعوم والملبوس منقول
 لا يخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس
 ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فيتنصب باحسله
 او المصدر لان اخرج في معنى رزق (وسخر لكم الفلك
 لتجري في البحر بامر) بمشبهته الى حيث توجهتم

في مفهوم الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لهم، فسروه تارة بما كولا كالدالك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به وذلك لا يكون الاحلالا ويلزم على التفسير الاول ان لا يكون ما بال كل الدواب رزقا وعلى التفسيرين يلزم ان من اكل الحرام طرل عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا (قوله فجعلها معدة لانتفاعكم) يعني ان الاصل في التسخير تذليل الحيوان بجمعه متقادا لما يريد منه وهو في غير الحيوان مجاز عن جمعه معدا لان ينتفع به من يريد الانتفاع به فيصير بذلك كائنه حيوان مسخر للانتفاع (قوله يدأبان) اي يدأبان ويستمران ويعبران ابدا فيما يستند اليهما من الافعال يقال دأب فلان في عمله دؤوبا اي جد وتعب (قوله ان المسؤل في الاول ازالة الخوف عنه) لاجله بلدا آمنا لان هذا في قوله هذا البلد آمنا اشارة الى البلد والمشار اليه لبدان يكون موجودا في وقت الاشارة وهو وقت الدعاء فتكون البلدية موجودة وقت الدعاء فلا تكون داخلية تحت الطلب وانما المطلوب صفة الامن وانما لا تكون مادة البلد داخلية تحت الطلب لانه طلب تحصيل الحاصل واذا قلت اجعل هذا بلدا آمنا لا يكون المشار اليه بهذا البلد بل يكون المشار اليه موضعا معينا والمعنى اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وطلب جمعه من الآمنة لا يستلزم ان يكون في وقت الدعاء بلدا بل يجوز ان لا يكون بلدا او يكون المسؤل ان يجعله بلدا موصوفا بالامن ويجوز ان يكون بلدا والمسؤل مجرد صفة الامن كما يقال كن رجلا فقيها فانه يكون المطلوب مجرد الاتصاف بالفاعلة وذكر رجل للتصريح بالذات التي يجري عليها الاسم المستق وهو الفقيه ثم ان كان الدعاء واحدا وعبر عنه بعبارتين مختلفتين فلا بد ان يحمل ما في سورة البقرة على ما في هذه السورة ويجعل المطلوب صفة الامن فقط وان تعدل الدعاء يجوز ان يكون اجعل هذا بلدا آمنا في وقت عدم تحقق البلدية ويكون المطلوب البلدية مع صفة الامن فقط قال صاحب الكشف في تحقيق المقام انه اذا قلت اجعل هذا خاتما حسنا فقد اشترت الى المادة وسألت ان يسبك منها خاتما حسنا واذا قلت اجعل هذا الخاتم حسنا فقد عدت نحو الحسن دون الخاتمية وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثاني الكائن بمنزلة الخبر ثم قال وفيه ان المصنف قدر في البقرة هذا البلد بلدا آمنا فلا يلوح فرق والجواب ان المسؤل البلدية مع الامن فقوله في التقدير هذا للدا اشارة الى الحاضر في الذهن لا الى الكائن في الخارج بخلاف ما نحن فيه (قوله وقرى واجنبي) بقطع الهمزة يقال جنبه شر او اجنبه شر اثاريا ورباعيا وهي لغة نجد وجنبه شر امشدد او هي لغة الحجاز (قوله وهو بظاهره لا يتناول احفاده) اي اولاد اولاده جمع حافد وهو ولد الولد يعني ان قوله وبني اراد به بنيه من صلبه لان الظاهر من الآية انه عليه الصلاة والسلام اراد به من غير واسطة ولو صلح فان دليل الاجابة حتى يستدل بقوله واجنبي وبني على ان احفاده لم يعبد الصنم مع ان قوله تعالى لا ينال عهدى الطالبين يدل على ان فيهم من هو كذلك وايضا قد حكى الله تعالى عن قريش عبادتهم الاصنام في مواضع من القرآن ولا يقبل التعليل في مقابلة النص لان حفته لود خلوا في دعائه عليه الصلاة والسلام لما اشرك احد منهم مع ان كفار قريش كانوا من حفته ثم انهم كانوا من اولاده دعاء على انه تعالى لا يرد دعاء الانبياء قال الامام في هذه الآية اشكال من وجوه احدها ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دعا ربه ان يجعل مكة بلدا آمنا وما قبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة واغاروا على مكة وثانيها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعبدون الوث البتة واذا كان كذلك فالنائدة في واجنبي عن عبادة الاصنام وثالثها انه طلب من الله تعالى ان لا يجعل ابناء من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من اولاده ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قيل انهم ما كانوا ابناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما كانوا ابناء ابناء والدعاء مخصوص بالابناء فتقول ان كان المراد بقوله وبني ابناء من صلبه فهم اسماعيل واسحق وما كانا اذن اكبر الانبياء وقد علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم فقد عاد الاشكال في انه ما الفائدة في ذلك الدعاء ثم اجاب عن السؤال الاول من وجهين الاول انه قل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء والثاني هو ان المراد جعل اهله آمنين كقوله واسأل القرية اي اهلها وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين فان مكة قد اختصت بمنزلة الامن لا ترى ان الخائف وصاحب الجرعة كان اذا التجأ الى مكة امن وكان الناس مع شدة العداء وبهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن ذلك امن الوحوش فانهم لا ينفرون اذا كن بمكة ويستوحشون على الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل في مكة فوجب حل الدعاء عليه والجواب عن السؤال الثاني قال الزجاج معناه يثني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اي يتنا على الاسلام ثم قال ولعل ان

(وسخر لكم الانهار) فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشركم (وأتاكم من كل ماسألتوه) اي بعض جمع ماسألتوه يعني من كل شيء سألتوه شئنا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتوه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسأل وما يستعمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرة ويكون المصدر بمعنى المنعول وقرى من كل بالتونين اي وأتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتوه بلسان الحال ويجوز ان تكون مانافية في موضع الحال اي وأتاكم من كل شيء غير سائله (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تحصرها ولا تطيقوا عد انوارها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة (ان الانسان اظلم) يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلم في الشدة يسكو ويخرج كعار في النعمة يجمع وينع (واذا قال ابراهيم ربا اجعل هذا البلد) بلد مكة (آمنا) ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل في الاول ازالة الخوف عنه وتصديره آمنا وفي الثاني جمعه من البلاد الآمنة (واجنبي وبني) بعدني واباهيم (ان تعبد الاصنام) واجعلنا منها في جانب وقرى واجنبي وهما على لغة نجد واماهل الحجاز فيقولون جني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء تتوفى الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجبا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمنونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة

يقول السؤال ابق لانما كان من المعلوم انه تعالى ثبت الاتياع عليهم الصلاة والسلام على الاجتناب عن عبادة الاصنام فالقائدة في هذا السؤال ثم قال وانما يحكي عندي في الجواب وجهان الاول انه عليه الصلاة والسلام وان كان يعلم انه تعالى عصمه من عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك ههنا للنفس واطهار الحاجة واقفاة الى فضل الله تعالى في كل المطالب والثاني ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك حكمي وهو ما عليه المشركون وشرك خفي وهو تعلق القلب بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو ان يقطع العبد نظره عن الوسائط ولا يرى متوسطا بينه تعالى وبين الممكنات الحادثة فيمتل ان يكون مراده بقوله واجتنبني وبني ان يعصمه من هذا الشرك الخفي والله اعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث من وجوه الاول ما قال صاحب الكشف من ان قوله وبني اراد به بنيد من صلبه والقائدة في هذا الدعاء عين القائدة التي ذكرناها في قوله واجتنبني والثاني ان بنيد يتناول اولاده الذين كانوا موجودين في حال الدعاء ولا شك ان دعوته بحجابه فيهم والثالث ما قاله مجاهد من انه لم يعد احد من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام صتما وانما عبد والوثن فان الصم هو التمثال المصور وما ليس بمصور فهو وثن وكفار قرىش ما عبدوا التماثيل وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه الصلاة والسلام لا يريد بهذا الدعاء الاتجنب عبادة غير الله والحجر كالصنم في ذلك والرابع ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية فمن تعني فانه متى وذلك يدل على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ولا من اولاده والحامس انه عليه الصلاة والسلام وان دعا في حق ابائهم الصليبة وحفدته الا انه تعالى اجاب دعاءه في حق البعض دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الاتياع عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال اني حاءك للناس اما ما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين الى هنا كلام الامام (قوله فانه متى اي بعضي) لا يريد ان من في قوله متى تبعيضية وان صرح بلفظ البعض بل يريد ان اتصاله كافي قوله تعالى المتفقون والمنافقات بعضهم من بعض ولهذا فسر معنى البعضية بقوله لا ينفك عني في امر الذين اي فكان بذلك كانه بعضي (قوله وفيه دليل على ان كل ذنب لله تعالى ان يغفره) لان هذا الكلام من ابراهيم عليه الصلاة والسلام شفاعته منه في حق اهل العصيان مطلقيان يغفر لهم ويرحمهم باي وجه كان ولا شك ان مطلق المعصية يتناول الشرك وما دونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل عليه تعالى لما وقعت هذه الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام كانه يقول فانك تقدر على ان تغفروا وترحموا للشرك مع عظم جرمه فضلا عن سائر العصاة فاسألك ان تغفر وترحم من لا تكون مغفرتهم ورحمتهم مخالفة لحكمتك وفي الوسيط قال قوله عليه الصلاة والسلام ومن عصاني فانك غفور رحيم معناه ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مرة تل فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وقال ابن الانباري ويحتمل ان هذا كان قبل ان يعلم الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لايه وقال الامام هذا القول من ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق اهل الكبر من آمن منهم لافي اسقاط عقاب الكفر والشرك لانه عليه الصلاة والسلام قال في مقدمة هذه الآية واجتنبني وبني ان تعبدوا الاصنام ولما تبرا من الكفر بهذا الاجال دل على انه لا يجوز الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر ودل ذلك على انه ليس مراده الشفاعة في حق المشركين (قوله الذي حرمت التعرض له) ذكر لتوصيف البيت بالحرم ثلاثة اوجه مبنى الوجه الاول على كون الحرم من التحريم الذي هو ضد التحليل وضد البيت بكونه محرما بالغة في توصيفه بحرمة اهائه والتعرض له بسوء ومعنى الوجه الآخر ليس على كونه من التحريم بل على المعنى المذكور وانما هو بمعنى المنع كافي قوله وحرمتا عليه المراضع فانه ليس بمعنى لا يحل له المراضع بل هو بمعنى المنع اي منعها عنه ليرده الى امة فكذا قوله عند بيتك الحرم اي المنوع عن الخلق حتى لم يقدر احد من الفرائعة والملوك على الغلبة عليه او المنوع منه الطوفان (قوله ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم) جواب عما يقال اسكان الخليل اسماعيل بمكة قبل بنائهما الكعبة فكيف يصح له عليه الصلاة والسلام ان يقول اسكنت بواد عند بيتك الحرم واجاب عنه بان مراده عند بيتك الذي سيحدث في هذا الوادي فقوله غير ذي زرع توصيف للوادي باعتبار ما كان عليه وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف له باعتبار ما سيحدث فيه وهذا التقرير معنى على ما وجدت في نسخة مطالعتي وهو باعتبار ما كان وما سيؤول بالوادي دون اليه ثم ظهر في نسخة اخرى فيكون قوله اول ما قدم معناه اما على ما كان قبل الطوفان واما على ما سيحدث بينائهما وعلى هذا الجواب يجوز ان يكون دعاؤه هذا بعد بنائهما البيت حال كبر اسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما ذكر الامام في جواب

(رب انهن اضللان كثيرا من الناس) فلذلك سالت منك العصمة واستعدت بك من اضلالهن واستناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهن الحياة الدنيا (فترتني) على ديني (فانه مني) اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب لله ان يعفوه حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره (ربنا اني اسكنت من ذريتي) اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فخذف المغول وهو اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذي زرع) يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت (عند بيتك الحرم) الذي حرمت التعرض له وانه اوان به او لم يزل معظمها ممنعتها بها الجلبارة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لابراهيم عابه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فتا شدته ان يحرقهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراهما وعندهما عين فقالوا اسركينا في ماك نشركك في البائنا ففعلت

السؤال اول من انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء وفي التيسير قيل ان هذا الدعاء كان بعد بنائه وقيل كان قبل بنيائه لكن كان الله تعالى ابا ن لموضع البيت فصحت اشارته اليه (قوله ما اسكتهم بهذا الوادى البلق من كل مرتفق ومرتقى والافتقار والافتقار والافتقار والافتقار) البلق الارض الفتر الى لاسي بها والفقراء مفازة لانيات بها ولا ماء والارتفاق الافتقار والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد التثني مستفاد من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اى ليقوم من اسكتهم هذا المكان البلق اخبر اولاً بانه اسكتهم بوادى فقر واديج فيه حاجتهم الى الوافدين واستار بقوله عند بيتك المحرم الى ان وجد الاثار انما هو شرف الجوارح اخبر ثانياً بانه انما آثر ذلك الموضع ليعمروا حرمك المحرم باقامة الصلاة المعروفة وما تشغل عليه من الاذكار والدعوات او ابداء العبادات والقربات مطلقاً وتخصيص الصلاة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الحقيقة النوعية عن ذكر الكل ودل على اسكتهم في الوادى المذكور لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل ائدة من الناس ويدل على ان ليقوموا غير متعلق باسكت المذكور لئلا يثابوا بين الفعل ومتعلقه وهذا ابين الا ان قول المصنف وتكرير النداء وتوسيطه صريح في انه متعلق بالمذكور فلا يكون الكلام حينئذ مستملاً على شيء من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر حينئذ الامن اسلوب الكلام وساقه فانه عليه الصلاة والسلام نبي اولاً ان يكون اسكتهم في ذلك الوادى لاجل التوسع في اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذى زرع ثم لما وصفه بكونه عند بيت الله الحرام دل ذلك على انه انما آثر ذلك الموضع بالاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتلذذ اليه والتبرك بشرف جوار بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله بنا اشعر ذلك بان له كمال الاهتمام بشأن المطلوب المدعوه وبجملته هذه الامور ولما علل اسكاه في الوادى المذكور بقوله ليقوموا دل ذلك على ان المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرب الى الله تعالى بالاستغفال بالصلاة التي هي عباد الله (قوله اول ابتداء كقولك القلب منى سقيم) اى القلب الكائن منى وافدة كائنة من الناس والمصنف نكر لفظ الناس حيث قال اى افدة ناس مع انه في الآية معرف باللام لان الافدة في الآية وقعت منكروة ولما اراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس اضاف الافدة اليهم ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير الافدة في الآية فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من تنكير المضاف في مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع فعني افدة ناس اى مما يطابق عليه لفظ ناس وهو معنى قوله افدة من الناس وان كان لفظ الناس المعروف باللام في هذا التعبير محمولاً على العموم (قوله وقرأ هشام افدة) قيل حصات الياء باشباع كسرة الهمزة ورد بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة التسرع فكيف يحمل عليه افصح الكلام مع ان هشاماً انما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين وطن زيادة ياء بعد الهمزة ليس بشيء لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا وقرئ افدة على وزن عا بدة ما على تقديم الهمزة على الفاء او على ان يكون اسم فاعل من افدا الرحيل بالكسر ما افدا اى يحل فهو افدة على فاعل اى مستعجل وافدا الرحيل اى دنا وازدلف فقوله افدة على هذا صفة محذوف اى فاجعل جماعة افدة يرتحلون اليهم ويجعلون نحوهم وقرئ افدة على ان اصلها افدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين وقيل فيه نظر لان الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها حيث كان حرفاً صحيحاً انما يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وحذفها كافي مسألة وخب في مسألة وخبي ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه ساكن واجتماع ساكن وشبه ساكن كاجتماع ساكنين (قوله ويجوز ان يكون من افدة) اى من افدا فاد افدها فاد على وزن فعل كزفر المعنى فاجعل جماعة افدة يجعلون نحوهم (قوله تعالى تهوى اليهم) مفعول ثان للجعل وقرأ العامة بكسر الواو من هوى يفتح الواو بكسر الواو ياسق ط من اعلى الى اسفل والمعنى ههنا تسرع اليهم وقيل تحن اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تهوى بفتح الواو من هوى بكسر الواو يهوى بفتحها هوى اى احب وهو يتعدى بنفسه وعدى بالى تضمينه معنى الميل وقرئ تهوى بضم التاء وفتح الواو على بناء المفعول من اعمرى المنقول من هوى اللازم اى يسرع اليهم (قوله وقيل ما نحنى من وجد الفرقة) اى من اسماعيل وامه وهو عطف على قوله تعلم سرنا وعلايتنا جعل نحنى ونعلن ولا اعطفاً من قبيل يعطى ويمتنع تيمناً لحسن الطلب ثم قدر لكل منهما معنى على حدة (قوله تعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر الآية) قاله ابراهيم عليه الصلاة والسلام في وقت آخر لاعتقيب ما تقدم من الدعاء لان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك اول ما قدم بها جروا بنها وهى ترضعه

(ربنا تيمموا الصلاة) اللام لامى وهى متعلقة باسكت اى ما اسكتهم بهذا الوادى البلق من كل مرتفق ومرتقى والافتقار والافتقار والافتقار والافتقار) البلق الارض الفتر الى لاسي بها والفقراء مفازة لانيات بها ولا ماء والارتفاق الافتقار والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد التثني مستفاد من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اى ليقوم من اسكتهم هذا المكان البلق اخبر اولاً بانه اسكتهم بوادى فقر واديج فيه حاجتهم الى الوافدين واستار بقوله عند بيتك المحرم الى ان وجد الاثار انما هو شرف الجوارح اخبر ثانياً بانه انما آثر ذلك الموضع ليعمروا حرمك المحرم باقامة الصلاة المعروفة وما تشغل عليه من الاذكار والدعوات او ابداء العبادات والقربات مطلقاً وتخصيص الصلاة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الحقيقة النوعية عن ذكر الكل ودل على اسكتهم في الوادى المذكور لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل ائدة من الناس ويدل على ان ليقوموا غير متعلق باسكت المذكور لئلا يثابوا بين الفعل ومتعلقه وهذا ابين الا ان قول المصنف وتكرير النداء وتوسيطه صريح في انه متعلق بالمذكور فلا يكون الكلام حينئذ مستملاً على شيء من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر حينئذ الامن اسلوب الكلام وساقه فانه عليه الصلاة والسلام نبي اولاً ان يكون اسكتهم في ذلك الوادى لاجل التوسع في اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذى زرع ثم لما وصفه بكونه عند بيت الله الحرام دل ذلك على انه انما آثر ذلك الموضع بالاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتلذذ اليه والتبرك بشرف جوار بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله بنا اشعر ذلك بان له كمال الاهتمام بشأن المطلوب المدعوه وبجملته هذه الامور ولما علل اسكاه في الوادى المذكور بقوله ليقوموا دل ذلك على ان المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرب الى الله تعالى بالاستغفال بالصلاة التي هي عباد الله (قوله اول ابتداء كقولك القلب منى سقيم) اى القلب الكائن منى وافدة كائنة من الناس والمصنف نكر لفظ الناس حيث قال اى افدة ناس مع انه في الآية معرف باللام لان الافدة في الآية وقعت منكروة ولما اراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس اضاف الافدة اليهم ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير الافدة في الآية فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من تنكير المضاف في مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع فعني افدة ناس اى مما يطابق عليه لفظ ناس وهو معنى قوله افدة من الناس وان كان لفظ الناس المعروف باللام في هذا التعبير محمولاً على العموم (قوله وقرأ هشام افدة) قيل حصات الياء باشباع كسرة الهمزة ورد بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة التسرع فكيف يحمل عليه افصح الكلام مع ان هشاماً انما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين وطن زيادة ياء بعد الهمزة ليس بشيء لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا وقرئ افدة على وزن عا بدة ما على تقديم الهمزة على الفاء او على ان يكون اسم فاعل من افدا الرحيل بالكسر ما افدا اى يحل فهو افدة على فاعل اى مستعجل وافدا الرحيل اى دنا وازدلف فقوله افدة على هذا صفة محذوف اى فاجعل جماعة افدة يرتحلون اليهم ويجعلون نحوهم وقرئ افدة على ان اصلها افدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين وقيل فيه نظر لان الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها حيث كان حرفاً صحيحاً انما يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وحذفها كافي مسألة وخب في مسألة وخبي ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه ساكن واجتماع ساكن وشبه ساكن كاجتماع ساكنين (قوله ويجوز ان يكون من افدة) اى من افدا فاد افدها فاد على وزن فعل كزفر المعنى فاجعل جماعة افدة يجعلون نحوهم (قوله تعالى تهوى اليهم) مفعول ثان للجعل وقرأ العامة بكسر الواو من هوى يفتح الواو بكسر الواو ياسق ط من اعلى الى اسفل والمعنى ههنا تسرع اليهم وقيل تحن اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تهوى بفتح الواو من هوى بكسر الواو يهوى بفتحها هوى اى احب وهو يتعدى بنفسه وعدى بالى تضمينه معنى الميل وقرئ تهوى بضم التاء وفتح الواو على بناء المفعول من اعمرى المنقول من هوى اللازم اى يسرع اليهم (قوله وقيل ما نحنى من وجد الفرقة) اى من اسماعيل وامه وهو عطف على قوله تعلم سرنا وعلايتنا جعل نحنى ونعلن ولا اعطفاً من قبيل يعطى ويمتنع تيمناً لحسن الطلب ثم قدر لكل منهما معنى على حدة (قوله تعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر الآية) قاله ابراهيم عليه الصلاة والسلام في وقت آخر لاعتقيب ما تقدم من الدعاء لان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك اول ما قدم بها جروا بنها وهى ترضعه

ووضعها عند البيت واسحق ما ولد في ذلك الوقت فقد روى انه عليه الصلاة والسلام وضعها عند البيت وايس
بكتة يوسف واحد ولما و انطلق ابراهيم نحو الشام فتبعته هاجر وقالت يا ابراهيم تنزهت وتركتنا بهذا الوادى الذى
ليس فيه ائیس ولا شئ فلم يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيئنا ثم غاب ابراهيم عن نظرها
واستقبل البيت ودعا بهذه الدعوات من قوله ربنا انى اسكنت الى قوله وما يضيئنى على الله من شئ وهذا اشار المصنف
بقوله آشا ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم الى احتمال ان يكون الدعاء ايضا في وقت آخر والله اعلم وكذا على في قوله
على الكبري يحتمل ان تكون للاستعلاء المجزى اى وهبلى وانا متمكن على الكبري وان تكون بمعنى مع كافى قوله
انى على ماترين من كبرى * اعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو في موضع الحال من الياء في قوله وهبلى والمعنى وهبلى وانا كبريى في حال الكبر كذا في الكشاف ومعنى
البيت انى على ماترين من كبرى وتغير احوال الخواص منى اعرف الاشياء حق معرفتها لاني جربت بها ومارستها
فان قوله اعلم من حيث تؤكل الكتف مثل في التجربة لان الجرب يأخذ الكتف من اعلاها ليحذب اللحم منها
وقيل تؤكل من اسفلها لسهل (قوله اى لجيبه) جواب عما يقال ان ابراهيم دعا به وحده على اجابته
فكان المناسب ان يقول ان ربى يحب الدعاء لانه تعالى يستمع الدعاء اجابه ولم يجبه (قوله وقد تقدم عذر
استعاره لها وكانا كافرين وهوان المنع من الاستغفار للكار لا يعلم الا بالتوقيف ولعله لم يجد المنع منه حينئذ
فظن كونه جائزا ويحتمل ان يكون المراد من سؤال المغفرة لهما سؤال ما يكون سببا لمغفرتهم وهو الاسلام فانه
سبب لصبره الانسان اهلا للمغفرة فطلب الشئ طلب لما يتوقف حصوله عليه وهو المراد بقول نوح عليه
الصلاة والسلام لقومه المشركين استغفروا ربكم انه كان غفارا فان قيل كيف طلب المغفرة لنفسه وان طلبها لهما
يؤذن بساقية الذنب ولا يصدر الذنب من الانبياء سوى ترك الاول ونحوه مما يعلم ان الله تعالى يغفر ذلك منهم فيكون
طلبهم المغفرة لانفسهم طلبا لما يعلم حصوله واجيب بان ليس المقصود منه الا الالتجاء الى الله وقطع الطمع في غيره
وانه ليس الا في فضله وكرمه ورحمته (قوله مستعار من القيام على الرجل) بان شئ ثبات الحساب بقيام القائم على
الرجل فاستعير القيام لذلك الثبات ثم اطلق يقوم واريد بثبت فهي استعارة تبعية كما استعير القيام على
الساق لثبات الحرب ويمكن ان يقال شبه الحساب في الثبات والاستقرار بالقائم على الرجل فثبت له القيام على
سبيل التحيل فهي استعارة مكنية قريبتها التحيلية فالجواز على هذا التقرير في المفرد وعلى الثالث في الاستد
والجواز على الثاني لانه معنى على تقدير المضاف (قوله والمراد تدينه عليه الصلاة والسلام على ما هو عليه)
جواب عما يرد على قوله انه خطاب لرسول الله صلى عليه وسلم وهو انه تعالى منزّه عن السهو والغفلة وانه
عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بما يستحيل في حقه تعالى فكيف نهاه الله نهيها مؤكدا عن الحساب المذكور
(قوله والوعيد) عطف على قوله تدينه اجاب عند اولابان المراد من النهي المذكور تقوية نساظه على الثبات
على ما هو عليه من الاعتقاد الصحيح في حقه تعالى وثانياً بانه كناية اوجاز في المرتبة الثانية عن التهديد والوعيد
بمعقوبة الظالمين على ظلمهم كقوله والله اعلم بما تعملون فانه كناية عن المجازاة (قوله وقيل انه تسليّة للظلم
وتهديد للظالم) على ان يكون الخطاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لكل مكلف
ولا يختص به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من توههم غفلته فان الناس لا يخلون عن المظلوم والطالم فاذا سمع
المظلوم ان الله تعالى عالم بما يفعله الظالم ويتقوله هان عليه ظلمه والظالم اذا تصور ان الله تعالى عالم بما يفعله
ولا يدان مجازيه على ظلمه ربما ارتدع عن ظلمه خوفا من العقوبة فقوله تعالى ولا تحسبن على جميع القادير دليل
على انه لا بد من وجود يوم الحساب فان اطلاعة تعالى على ما يعمله الظالمون يستلزم ان يتقن المظلوم (قوله
وعن ابي عمرو بالنون) على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وقرأ العامة يؤخرهم بياء الغيبة لتقدم اسم الله
وقوله تعالى ليوم اى لاحل يوم فاللام للعلّة وقيل بمعنى الى للغاية وتخصص صفة ليوم وشخص البصر ارتفاعه
وعدم استقراره في مكانه من حدة النظر وقيل بقاؤه مفتوحا بحيث لا يغمض ولا يرتد الى طرفه الجوهرى شخص
بالفتح شخوصا اى ارتفع وشخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينه وجعل لا يطرف (قوله تعالى مهطعين
مقنعي رؤسهم) حالان من المضاف اليه المحذوف اذا التقدير شخص في ابصارهم ويجوز في مقنعي ان يكون
حالا من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة واصافة مقنعي غير حقيقة فلذلك وقعت حالا من الضمير وقوله

(انزى لسميع الدعاء) اى لجيبه من قولك سميع الملك
كلامى اذا اعتدبه وهو من ائينة المبالغة العاصلة عمل
الفعل اضعف الى مفعوله او فاعله على استاد السماع
الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا به
وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤاله حين ما وقع اليأس
منه ليكون من اجل النعم واجلاها (رب اجعلني مقبم
الصلاة) معدلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتي)
عطف على المصوب في اجعلني والتبعض لعله
باعلام الله واستغناء عاده في الامم الماضية انه يكون
في ذريته كسار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائى
او وتقبل عبادتي (ربنا اغفر لي ولوالدي) وقرئ
ولا بوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
آدم وحواء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ثبت
مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب
على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واستداليه
قيامهم مجازا (ولا تحسبن الله فاعلا عما يعمل
الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد تدينه على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم
وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم
على قايله وكثيره لا محالة او لكل من توههم غفلته
جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسليّة
للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم
وعن ابي عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار)
اى تشخص فيه ابصارهم فلا تفر في اماكنها من هول
ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي او مقبلين
بابصارهم لا يطفرون هيبة وخوفا واصل الكاحنة
هو الاقبال على الشئ (مقنعي رؤسهم) رافعيها
(لا يرتد اليهم طرفهم) بل بقيت عيونهم شاخصة
لا تطرف ولا يرجع اليهم فطروهم في نظرون الى انفسهم

(واثنتهم هوآ) خلاى خالية عن الفهم لفرط الخيرة
والدهشة ومنه يقال للجاحق وللجان قلبه هوآ اى
لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جئ جئ هوآ
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (واذرا الناس)
يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة اويوم
الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لا نذر
(فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا اخرنا
الى اجل قريب) اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا
مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك (نحب دعوتك
ونتع الرسل) جواب للامر ونطيره لولا اخرتنى الى
اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (اولم تكونوا
اقسمتم من قبل حالكم من زوال) على ارادة القول
وما لكم حواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة
دون الحكاية والمعنى اقستم انكم باقون فى الدنيا
لا تراون بالموت ولعلمهم اقسما بطرا وغرورا اودل
عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل
اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا
لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت (وسكنتم
فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصي
كعاد ومود واصل سكن ان يعبدى بنى كقروغنى واقام
وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت
الدار (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تساهدونه
فى منازلهم من آثار منازلهم وماتوا ترعندكم من اخبارهم
(وضربنا لكم الامثال) من احوالهم اى ينسلكم
انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب اوصفات
ما فعلوا وفعولهم التى هى فى القرابة كالامثال المضروبة
(وقدمكم وامرهم) المستفرغ فيه جهدهم لا بطل
الحق وتقرير الباطل (وعند الله مكرهم) ومكتوب
عنده فعلهم فهو مجاز بهم عليه او عنده ما يكرهم
به جزاء لمكرهم وابطلالاه (وان كان مكرهم)
فى العظم والسدة (لنزول منه الجبال) مسوى لازالة
الجبال ومعدالها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها
كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر
النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل تخففة من الثقل
والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية
ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرا تعدوا قرأ الكساف
لنزول بالفتح والرفع على انها التخففة واللام هى
الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرى بالفتح والنصب
على لغة من يتقح لامى وقرى وان كان كاد مكرهم

لا يرتد اليهم فى محل النصب على انه حال من الضمير فى مقتضى والطرف فى الاصل مصدر اطلق ههنا على الفاعل
وهو العين كقولهم ما فيهم عين تطرف والطرف الجفن ايضا يقال ما طبق طرفه اى جفنه على الاخر والطرف
ايضا تحريك الجفن ويجوز ان يكون كل واحد من قوله لا يرتد اليهم طرفهم وقوله واثنتهم هوآ استثناء وان
يكون حالا وقوله هوآ وان كان خبرا عن جمع فانه فى معنى فارغة وخالية ثم انه تعالى لما وعد الظالمين بانه لا يخفى
عليه شئ من احوالهم وافعالهم ولكن يؤخر عذابهم ليوم القيامة الذى من صفته انه يستخص فيه الابصار
وكذا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الناس يوم يأتيهم ذلك العذاب المعهود على ان يوم يأتيهم مفعول
ثان لا نذر فانه يتعدى الى اثنين كما فى قوله انذرتكم صاعقة (قوله قال زهير)

كان الرجل منها فوق صعل* من الظلمان جئ جئ هوآ

الصعل الصغير الرأس والعنق من الرجال والعلم ومن غيرهما والوجو من الطائر والسفينة صدرهما يمز ولا يمز
يصف مطية بالقلق يقول كان رجل هذه المطية فوق ظليم اى نعمة لا قوة فى قلبه ولا جراءة فان النعام يضرب به
المثل فى الجبن قيل فى حق الحجاج وصفاله بالجبن

اسد على وفى الحروب نعمة* فتخاضت من صغر الصافر

(قوله او اخر آجالنا) غذا على تقدير ان يكون المراد باليوم يوم موتهم معذنين بشدة السكرات وما بالهم بمعاينة
ملائكة العذاب وايقنوا بسوء عاقبتهم والاول على تقدير ان يراد باليوم يوم القيامة (قوله على ارادة القول)
اى القول الجارى من قبلهم بلسان المقال والمعنى اولم تكونوا تائنين بلسان المقال والله مالنا من زوال وان كان
المبادر من ظاهر العبارة ان يكون المراد من القول قول الله تعالى او قول الملائكة فى جواب قول الذين ظلموا بنا
اخرا الى اجل قريب ويكون المعنى والتقدير فيقال لهم على سبيل التفرع والتوبيخ اولم تكونوا الا ان عطف قوله
اودل عليه حالهم يدل على ان المراد منه القول الجارى من قبلهم كانه قيل اولم تكونوا اقستم بلسان المقال صريحا
اوبدلالة الحال وشهادة الافعال هذا هو المفهوم من تقرير الكشف ويحتمل ان يكون مراد المصنف من قوله على
ارادة القول ما ذكرنا من انه المتبادر الى الذهن ويكون قوله اودل عليه حالهم معطوفا على قوله اقسما بطرا وغرورا
ويكون مقصوده انه لما حكى عنهم انهم اقسوا واعلم انهم باقون فى الدنيا لا يزالون عن حالهم بالموت وردان يقال كيف يقسمون
عليه واسوا بمجانبين اجاب عنه بقوله ولعلمهم اقسما عليه بطرا وغرورا اودل عليه حالهم (قوله تعالى وسكنتم
فى مساكن الذين) عطف على قوله اقستم اى ولم تكونوا سكنتم فله وتفرع ثلث لذين ظلموا فانهم لما سكنوا فى
مساكن الذين كفروا وادعوا وادعوا اليهم ما حل بهم بسبب كفرهم وتكذيبهم الانبياء ولم يعتبروا فاقه استوجوا الذم
والتفريع (قوله واصل سكن الح) اشارة الى وجه تعدية تارة بنى كفى هذه الآية وتارة دونها * وقرأ العامة وتبين
فعلا ماضيا وقرئ وتبين بضم النون الاولى والثانية على انه مضارع بين وهو خبر مبتدأ محذوف وبالجملة حال اى
ونحن نبين وفاعل تبين ضمير لدلالة الكلام عليه اى وتبين لكم حالهم وخبرهم وهو هلاكهم بطريق الاستئصال
وكيف فى موضع النصب بفعلنا ولا يجوز ان يكون فاعلا (قوله اى ينسلكم انكم مثلهم فى الكفر) فيكون لكم متعلقا
بمحذوف فى محل النصب على انه حال من الامثال والتقدير ضربنا امثال احوالهم ثابتة لكم والمراد بالامثال معناها
اللغوى وعلى الثانى تكون الامثال مستعارة لصفات ما فعلوا وما فعل بهم تسمية لها بالامثال المضروبة فى اعراب
لما ذكر الله تعالى صفته عقابهم اتجهوا بك كيفية مكرهم فقال وقدمكم وامرهم الح (قوله المستفرغ فيه جهدهم)
هذه المبالغة والاهتمام بالمكر مستفادة من اضافة المكر اليهم لان صناديد قريش لما استهوا بشدة التكييف والتأدى
فى الطغيان كان ما اضيف اليهم من المكر المتعاقب بابطال الحق وتقرير الباطل مكرامبذ ولا فيه جهدهم ونهاية قدرتهم
(قوله ومكتوب عنده فعلهم) مبنى على ان يكون المكر مضافا لفاعله كالمراد الاول والمعنى ان مكرهم الذى مكروه
مكتوب عند الله وقوله او عنده ما يكرهم به على ان يكون المصدر مضافا الى مفعوله ومكر الله تعذيبه اياهم وسمى
مكر الممشا كالة (قوله مسوى لازالة الجبال ومعدالها) على ان تكون كلمة ان شرطية حذف جوابها لدلالة
قوله وعند الله مكرهم عليه والتقدير وان كان مكرهم معدا لازالة امثال الجبال الرواسى وهى المعجزات والآيات
فاله تعالى مجاز بهم بمكرهم واعظم من مكرهم (قوله وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها) اى للثنى المستفاد
منها فان اللام حينئذ هى لام الجحود التى ينتصب الفعل بعدها باعتبار ان لوقوعها بعد كون منى وخبر كان

محد وف عبد البصرين تتعلق به هذه اللام والتقدير وما كان مكرهم مريدا لازالة ما هو كالجبال لان انتفاء ارادة الفعل أكد من انتفاء نفس الفعل وهو معنى قوله اللام مؤكدة لان النافية كما كان قوله ما كان الله مريدا لتعديدهم أكد من قولك ما كان الله يعذبهم وعلى تقدير كونها مخففة من القيلة تكون اللام فارقة بين النسافية والمخففة ويكون المقصود تعظيم مكرهم لان ما فعل لازالة ما هو كالجبال الراسية في الشيات والقوة يكون في غاية الشدة والقوة بخلاف ما اذا كانت نافية فان المعنى حيث حصر مكرهم ببيان انه ما كان مكرهم بحيث ترول منه الشرائع التي هي كالجبال لانه تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم اظهاريه على كل الاديان فكيف يرول امره الذي هو دين الاسلام بمكرهم فان مكرهم اوهن واصضع من ان ترول منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته ويؤيد صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآية فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله اي قد وعدك الطهور عليهم ولا يخلف وعده بمكرهم وقوله تعالى فلا تحسبن على جميع التقادير اظهاريه جواب شرط محذوف اي اذا تقرر ان مكرهم مكتوب عند الله وهو مجازيهم عليه فلا تحسبن او اذا تقرر ان مكرهم اوهن من ان يزول منه امرك الذي هو ثابت واقوى من الجبال الراسيات فلا تحسبن (قوله مثل قوله انك لنصير رسلكا) يعني ان المراد بالوعد قوله تعالى في غير هذا الموضع انا لنصير رسلكا وعمله كتب الله لاغلين اناورسلي ويحمل ان يكون المراد به ما يعهم من قوله في هذا الموضع وعند الله مكرهم فانه على التقديرين دال على انه تعالى يجازيهم على مكرهم وينصر رسوله عليهم (قوله واصله مخفف رسله وعده) لان فعل الاخلال يتعدى الى مفعولين اولهما الموعود له وهو ههنا الرسل وحق المفعول الاول ان يقدم على الثاني يقال اخلفك ما وعده وهو ههنا الرسل لكن قدم المفعول الثاني واصيف اليه اسم الفاعل تخفيعا نحو هذا الكاسي جبة زيدا قيل لما تعدى الفعل اليهما لم يبال بالتقديم والتأخير والاختلاف ان يقول شيئا ولا يفعله (قوله ايذا بان الله لا يخلف الوعد اصلا) اعترض عليه بانه لما كان رسله مفعولا كان اخلاف الوعد مقيدا به سواء قدم على الوعد او اخر فلم يكن اخلاف الوعد مطلقا ثم قيد برسله واجيب بان المفعول الثاني حقه التأخير فلما قدم دل على انه اهم والعناية بشانه اتم فالمقصود الاصل من الكلام ليس الاتي اخلاف الوعد واما في خلف وعد الرسل فهو شئ متفرع على ذلك لانه لما لم يكن من شأن الله تعالى اخلاف الوعد كان عدم اخلافه وعدم من هو خيرته وصفوة عبده تابعاله ونابا بطريق الاول ونظيره في تقديم المفعول الثاني على الاول للاهتمام بشانه قوله تعالى في سورة الانعام وجعلوا الله شركاء الجن فانه قدم الشركاء ليدل على ان المقصود الاصل استعظام اتخاذ الشركاء ونفي شركاء الجن تابع لهذا المقصود ومتفرع عليه (قوله تعالى وبرزوا) معطوف على قوله تبدل الارض وهو ما مضى ياد به الاستقبال كقوله تعالى ونادى اصحاب النار (قوله قرن بعضهم مع بعض) يعني ان قوله مقررين فيه ثلاثة اوجه الاول ان بعض الكفار قرن بعض على حسب تجانس ما اكتسبوه من العقائد الزائفة والملكات الباطلة المتجانسة فمن حيث الجزاء ايضا تجتمع اصحابها فان الجنسية سبب الاجتماع في الامور المتجانسة والثاني قرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والعاشي عن سواء السبيل لما كان يتبع الشيطان ويأمر بامر خسر معه مقرونا في سلسلة واحدة اومع ما اكتسبه من العقائد الزائفة والملكات الباطلة التي هي بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه في كونها سببا لتأذي نفسه منها وخروجهما عن الاعتدال الاثني بها والثالث قرن ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاخلال اما حقيقة واما على ان يكون الايدي والارجل عبارة عن الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء على طريق اطلاق اسباب الاكتساب على الامور المكتسبة تلك الاسباب ويكون مقارنة تلك الامور الى الرقاب عبارة عن مؤاحدة انفسهم بما يقال قرن الشئ بالشئ اذا وصلته به وجاء ههنا على التشديد لكثرة هؤلاء القوم فان بناء الفعل قد يكون لتكثير المفعول نحو قحت الابواب والاصفاد جمع صنف وهو القيد قال عطاء يريد سلاسل الحديد والاخلال وكل من شدته شدا وثيقا فقد صنفته قال الراغب الصنف والصفاد الغل وجعه اصفاد وفي الصحاح صفده بصفده صفدا اي شده واوثقه وكذلك التصفيد والصفاد ما يوثق به الاسير من قيد وغل والاصفاد القيود وبيت سلامة يدل على انه اطلق الصفاد على ما يتناول كل واحد من الغل والقيد فان الغل يوضع على الساعد والعنق والقيد يوضع على الرجل وظاهر البيت يدل على ان صفادا واحدا يعص ويجمع تلك الثلاث فكانه نوع من الغل تجمع فيه الرجل واليد وتشدان على العنق وزيد الحيل اسم رجل من قبيلة طي قدم على النبي صلى

(فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله) مثل قوله انا لنصير رسلكا كتب الله لاغلين اناورسلي واصله مخفف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذا بان الله لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذالم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله (ان الله عز وجل) غالب لا يعاكر قادر لا يدافع (ذوات انتقام) لا وليا له من اعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكرا ولا يخلف وعده ولا يتحيزان ينتصب بخلف لان ما قبل لا يعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبدل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدناير وعليه قوله بدلتهم جلودا غيرها وقى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذنتها وغيرت شكلها وعليه قوله تبدل الله سمواتهم حسنا والآية تحتسهما فن على رضى الله تعالى عنه تبدل ارضنا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطى عليها احد خطيئة وعن ابي عباس رضى الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتعد مدا لديم العكاظي لا ترى فيها عرجا ولا امنا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبدل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة كما اشعر به قوله تعالى كلان كتاب الارارلى عليين وقوله ان كتاب التجارلى سمجين (وبرزوا) من اجادتهم (الله الواحد القهار) لحاسبته ومحازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال لقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين اومع ما اكتسبوا من العقائد الزائفة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاخلال وهو يحمل ان يكون غشلا لما اخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم (في الاصفاد) متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لا في صفادا بعض بساعد وبعض ساق واصله الشد

الله عليه وسلم وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الحبل ومات منصرفه من عند النبي صلى الله عليه وسلم مجوما وقوله مقرنين حال من الجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول به ثان ان كانت علمية وفي الاصطداما ظرف متعلق بمقرنين او ظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من ضمير الجرمين وقوله سرايلهم من قطران حال ثانية من الجرمين او حال من الضمير في مقرنين وكذا قوله وتغشى وجوههم النار على انها معطوفة على الحال الا ان الاخيرتين حالان مقدرتان او جملتان متساوئتان لان لهما من الاعراب مقطعتان عن كلم الرؤية لان قوله مقرنين بيان لحالهم في الموقف الى ان يكب بهم في النار والحالان الاخيرتان لبيان حالهم بعد دخول النار كان قوله مقرنين حركة في السامع ان يقول اذا كان هذا شأنهم وهم في الموقف فكيف حالهم وهم في جهنم خالدون فاجيب بقوله سرايلهم من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله وتغشى ولم يجعل اسمية كاقبله لاستحضار الحال والدلالة على تجدد الغشيان حالا خلا (قوله وحاء قطران وقطران لغتين فيد) يعني ان قراءة العامة قطران بفتح القاف وكسر الطاء وجاء فيه لغتان غيرها احدهما قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن سكران والاخرى قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن سرحان وهو ما يخلب اى يستخرج من سحر يسمى الابل والعرا ايضا فيطبخ ويطل به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحرارة والسر بال التقيص وسرلته تفسر لى البستد السربال وجعه سرايل فلذلك قال المصنف قصاصهم وهو جمع قصص ويشتمل ان يكون قوله تعالى سرايلهم من قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس من احاطة الملكات الرديئة والهيئات الفعيجة بها حيث يترتب على تلك الاحاطة اعتمام النفس بانواع من العموم والالام بالهيئة الحاصلة من تسربل البدن سرايلا من القطران بحيث يترتب على ذلك التسربل ما ذكر من الانواع الاربع المعدة وهى لذع القطران بحرارة وحدته ووحشة لونه (قوله وعن يعقوب قطران) بفتح القاف وكسر الطاء وتشوين الراء وأن على وزن رام فيكون قطران كلمتين والقطر النحاس والاصفر المذاب والا كنى اسم فاعل من اى يأتى انا اى تناهى في الحرارة قال الله تعالى وبين جحيم أن (قوله اى وتغشاها) اى يجب على قراءة وتغشى بتسديد الشين ان تحصل الكلمة على المضارع بمحذوف احدى التاءين لتوافق المشهورة فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تيسر معنى يسركما ان تغشا بمعنى غشيه فقوله تغشاها بمعنى تغلوها وتغطياها (قوله كما تطلع على افئدتهم) يعنى انه تعالى خص القلب والوجه بظهور آثار العذاب فيهما حيث قال في القلب نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وقال في الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة في خلق المكلفين انما هى معرفة ربهم وخالفهم بمعينة ما يدل على كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر والحواس المحببة في الراس والوجدين ليدى استعمالها الى المعرفة التى موضعها القلب ليخضعوا لعلمته وكبريائه ويرغبوا في طاعته وحرصته ويبتعدوا عن سخطه وعقابه ويجوزوا بذلك سعادة الدارين فمن اعمل هذه القوى التى هى اسباب السعادات كلها تجدير ان يكون معظم ما يتعلق به من العذاب ظاهرا في محال تلك القوى (قوله ونظيره قوله تعالى افن يتق بوجهه سوء العذاب) فان من اصاب وجهه اذى في الدنيا يتق عنه يده والجرمون لما كانت ايديهم مغلولة الى اعناقهم لا يقدر ان يتقوا النار بايديهم فلا جرم يتقونها بوجوههم (قوله اى يفعل بهم ذلك ليجزى) يعنى ان اللام متعلقة بمحذوف ولما ورد ان يقال تعذيب الجرمين كيف يصح تعليله بجرازة كل نفس بما كسبت فان علمه ليست الاجازة انفسهم فقط لاجازة عامة النفوس اشار الى دفعه بوجهين الاول ان المراد بكل نفس النفوس المجرمة والثانى ان تعذيب الجرمين لاجرامهم لما استلزم اصابة المطيعين لطاعتهم كان قوله يفعل بهم ذلك متضمنا لكل واحد من الاتية والتعذيب فصح تعليله بجرازة كل نفس على العموم ثم اشار الى جواز كون اللام في ليجزى متعلقة بقوله وبرزوا فحينئذ لاحاجة الى تخصيص كل نفس بالجرمين بل يعين ابقاؤه على عموم (قوله ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد) ذكر الفائدة الاولى بقوله ولينذروا به وذكر الثانية بقوله وليعلموا انما هوالة واحد والثالثة بقوله وليذكر واعلم ان انفس الناطقة لها قوتان نظرية تستكمل بها النفس معرفة الموجودات باقسامها التى هى الواجب لذاته وصفاته وآثاره الممكنة من الجواهر العلوية والسلبية ومعلولات الاعراض القائمة بها حتى تصير انفس بتلك المعرفة عالما آخر اترسمت فيه صور جميع الموجودات من اجناسها وانواعها واصنافها متصاهيا للعالم الاكبر الذى تحققت فيه اعيان الموجودات المذكورة واجل هذه المعارف معرفة

(سرايلهم) قصاصهم (من قطران) وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو ما يخلب من الابل فيطبخ قتها به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود من تشتعل فيه النار بسرعة يطل به جلوداهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجمع عليهم لدع القطران ووحشة لونه وتنت ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرايين كالتفاوت بين اثارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيخلب اليها انواعا من الغيوم والاكلام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والا كنى المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من ضمير مقرنين (وتغشى وجوههم النار) اى وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افن يتق بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسبحون في النار على وجوههم (ليجزي الله كل نفس) اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة (ما كسبت) او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان الجرمين بما قبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويعين ذلك ان علق اللام ببرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لا يشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العطية والتذكير او ما وصفه من قوله ولتحسين الله (بلاغ للناس) كفاية لهم في الموعظة (ولينذروا به) عطف على محذوف اى ليجزى اولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به ازل او تلى وقرى بفتح الياء من نذره اذا علمه واستعدله (وليعلموا انما هوالة واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه (وليدكر اولو الالباب) فيردعوهم الى ربهم ويتدعوا بما يحيط بهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في ازال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى تنتهى كما لها التوحيد واستصلاح القوة العلمية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعد

ذات الواجب بصفات جلالة وجهه وقوة عملية تتمكن النفس بها على افعال جوارحها وقواها الظاهرة والباطنة
وتستعين بها في تحصيل المقاصد الدنيوية والاخرى التي هي الاعمال الصالحة وهي التي عبر عنها المصنف بالندرج
بلباس التقوى والمراد بالتقوى ههنا التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك فقله تعالى وليعلموا انما هو الله واحد
اشارة الى ما يجري مجرى الرئيس بكمال القوة النظرية وقوله وليذكر اولوا الالباب اشارة الى ما يجري مجرى
الرئيس بكمال حال القوة العملية فان غاية هذا التذكير وقائده هي الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على
الاعمال الصالحة وهذه الايات مشفرة بان تذكر بهذه المواعظ والنبذات يوجب الوقوف على اتوحيده والاقبال
على العمل الصالح والوجد فيه ان من سمع هذه التحذيرات والتحذيرات عظم خوفه واشتغل بالنظر والتأمل والنظر
يوصل الى معرفة التوحيد والنبوة والاشتغال بالاعمال الصالحة واعلم ان هذه الاية الكريمة دالة على ان العقل
اشرف ما يتوصل به الى الحق لان اعز المطالب واكرم المواهب هو هداية الله تعالى بانزال الكتب وبعثه الرسل وقديسين
بهذه الآية ان من يتفقه به ويتذكرهم اولوا الالباب فظهر به ان من لال له كالبهايم اللهم اجعلنا من المهتدين
بنور العقل والتذكرين بنصائحك ومواعظك يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين
سورة الحجر مكية بالاجماع وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله الرتاكات الكتاب وقرآن مبین) قد مر ان فواتح السور يحتمل ان تكون اسماء لها وان تكون مذكرة
على غمط التعديد للتعديد دليل الاجازة من جهة ان التعدد مركب من جنس مامنه كلامهم وقد عجزوا
عن اتيان مثله او من جهة ان من يأتي بهذه الفواتح لم يكتب ولم يقرأ ولم يخاطب الكتاب فعلم اسامي حروف المسمى من
مثله معجزة فيكون الافتتاح بالقطعات للايقاظ وقرع العصا من جهة المعجزات الخارقة للعادة فعلى هذا لا يكون
لها محل من الاعراب والذي يلوح من تقرير المصنف ان يكون الاسماء لهذه السورة الكريمة ويكون كلاما
مستقلا تقديره هذه الرتل قولك هذا زيد اي مسمى زيد ويكون تلك اشارة الى ما في ضمنها من الايات مرفوعة
المحل على الابتداء وآيات الكتاب خبره ووصف الكتاب بكونه كاملا مستفاد من التعريف الجسدي فان تعريف
الخبر في مثل زيد التجاعع بقيد الحصر فيدل على ان زيدا لكماله في التجاعع لا ينبغي لاحد سواء ان يدعى تجاععا
فكذا انما كان الخبر مضافا الى المعرفة بلام الجنس فاذا اخبرت عن آيات هذه السورة بانها آية السورة دل ذلك
على كمالها وتفضل الشيء على غيره ادعاء لا يستلزم ان يكون ماعداه مفضولا بالنسبة اليه حقيقة واذا كان المراد
بالقرآن ايضا السورة يكون عطفه على الكتاب من قبيل عطف الصفات بان يكون الكتاب نبذة عن السورة
الموصوفة بالكمال والقرآن عبارة عن السورة الموصوفة بانها المقروء والمبين والواو المتوسطة بين الصفات تفيد
الجمع بينها والمبين من ابان التعدد وتكثير قرآن مبین للتفخيم فيرجع المعنى الى انه قرآن جامع لفخامة الشأن
وغرابة البيان ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التكثير نوع آخر وكان الغرض الجمع بينهما عرف
الكتاب ونكر القرآن وان كان الافتتاح بقوله الرلايقاظ وتعديد دليل الاجازة فينبذ يحتمل ان يكون تلك
اشارة الى ما بعده كافي قولك هذا اخوك فانه نقل عن التخصيص ان هذا لا يكون اشارة الى غير الاخ وان المشار
اليه لا يجب ان يكون موجودا حاضر ابل يكفي ان يكون موجودا ذهنا وجلة تلك آيات الكتاب لا محل لها ان قيل
الركلام مستقل جيب به مجرد التنبية والايقاظ وفي محل الرفع على الظيرية ان قيل الرمتدأ (قوله حين
حايثوا حال المسلمين) اختلف في وقت ودادتهم ذلك والاصح ما قاله الزجاج فان حال الكافر كسار أي حالا
من احوال العذاب ورأي حالا من احوال المسلم ولو كان مسلما روى عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل
القبلة قال الكفار لهم الستم مؤمنين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيفضل الله
تعالى بفضل رحته فأي امر باخراج كل من كان من اهل القبلة من النار فيخرجون فينبذ يود الذين كفروا ولو كانوا
مسلمين وقيل وقت ودادتهم حين حلول الموت ونزول ملائكة العذاب فانهم اذا شهدوا اعلانات العذاب ودوا
لو كانوا مسلمين وقيل يودون ذلك اذا اسودت وجوههم ونودي امتازوا اليوم ايها المجرمون (قوله
وما كافئة) اعلم ان رب حرف جر لتحققها ماعلى وجهين احدهما ان تكون بمعنى شئ مكافئ قول الشاعر

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرتاكات الكتاب وقرآن مبین) اشارة الى آيات
السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتكثيره
للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا بين
الرشد من الغي يسا ناغريا (ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول
النصر وحلول الموت او يوم القيامة وقرآن نافع وعاصم
ربما بالتحفيف وقرأ ربما بالفتح والتحفيف وفيها
ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتحفيف
وبناء التأنيث ربتا ودونها وما كافئة تكفه عن الجر
فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي
في تحققة اجري مجراه

ربما نكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

فكلمة نكره النفوس صفة يحدف العائد والتقدير رب شيء نكره النفوس ولولا انه اسم لما جاز عود الضمير اليها والوجه الثاني ان تكون كافة تكف الحرف عن العمل ولما صارت مكفوفة عنه تهيأت وصلحت للدخول على ما لم تكن تدخل عليه قبل كونها مكفوفة فان رب حال كونها عاملة انما تدخل على الاسم المفرد وتجره نحو رب رجل كريم لقرته ولا تدخل على الفعل فلما دخلت عليها ما هيأتها للدخول على الفعل كافي هذه الآية ثم انهم اتفقوا على ان كلمة رب اذا دخلت على الفعل لا تدخل الاعلى غير المستقبل كما يقال ربما قصدني عبدالله لانها لتقليل ماثبت وتحقق وقيل هي لتقليل المحقق فلامعنى لدخولها على المستقبل ولا ينتقض بدخولها على المستقبل في قوله ربما نكره النفوس لما مر من انها داخله على اسم نكرة والقاعدة انما هي فيما اذا دخلت على الفعل لكنه ينتقض بهذه الآية حيث دخلت فيها على المستقبل على تقدير كون ما كافة قال الامام قول النحويين انه لا يجوز دخول رب على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما الرجوع فيه الى النقل والاستعمال ولوانهم وجدوا بيتا مستقلا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله تعالى اقوى والجل في الاستدلال بالجواز اوال فلم يتسكروا في دخولها على المستقبل بهذه الآية والجل على جوازه وصحته ثم قال اجاب النحويون عن انتقض المذكور بوجهين الاول قالوا المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ودوا والثاني ان كلمة ما في قوله ربما يود الذين كفروا اسم وبود صفة والتقدير رب شيء يود الذين كفروا (قوله ومعنى التثنية فيه) جواب عن سؤال مني على مقدمة وهي انهم اتفقوا على ان رب موضوعه للتقليل وهي في التقليل نظيركم في التكثير فاذا قال الرجل ربما ازور فلا نادل ربما على تقليل ازيارة قال الزجاج من قال ان رب يعني به الكثرة فكلامه مخالف لما يعرف من اهل اللغة والسؤال المتفرع عليها هو ان معنى الكافر الاسلام كثير دأب فلا يليق به لفظة ربما التي تنفي التقليل وتقرر الجواب انه لا شك في كثرة ودادتهم الاسلام لكنها صورت بالقلة لكون التقليل ابلغ في التهديد والمعنى ان ودادتهم الاسلام وتمنيهم ذلك لو كانت قليلة بل مرة لوجب مسارعتهم الى الاسلام فكيف اذا كانت كثيرة مستمرة في كل ساعة وقوله فياخرى مبتدأ وان يسارعوا خبره والباء زائدة كما في قولك بحسبك درهمم والتقدير فاحرى الى التحقيق المسارعة اليه والفاء في فكيف جواب شرط محذوف تقديره اذا كثرت ودادتهم مرة في المسارعة الى الاسلام فكيف لا يسارعون اليه والحال انهم يودون في كل ساعة فان قلت قوله يود لا بد له من مفعول خاممعه فاجواب انه محذوف اي يودون اسلامهم فيثبت تكون كلمة لوفى قوله لو كانوا مسلمين امتناعية ويكون جوابها محذوف تقديره لو كانوا مسلمين لسروا بذلك وتخلصوا مما هم فيه ويثبت ان تكون لومصدرية لوقوعها بعد فعل دال على معنى التثنية فيثبت يكون المصدر المأول مفعولا لايود اي يودون كونهم مسلمين وقد ذكر في شرح الرضي ان كلمة لوفى قولهم يودوا وانهم يادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التثنية وهذا على تقدير ان تكون ما كافة واما ان جعلتها نكرة موصوفة فيثبت يكون مفعول بود ضميرا محذوف ابعد الى النكرة الموصوفة وتكون لومصدرية مع ما في حيزها بدلا من ما (قوله وقبل تدهشهم احوال القيامة) اي قيل في وجه تقليل ودادة الكافر الاسلام ان غلبة الدهشة عليهم تجعلهم مبهورين متخبرين بحيث تمنعهم غلبة الخيرة عليهم من معنى الاسلام الا في زمان افاقهم عما هم فيه من الفكرة والدهشة ومن المعلوم ان زمان افاقهم في غاية القلة فلا جرم تقل ودادتهم الاسلام (قوله والغيبة في حكاية ودادتهم) يعني ان قوله تعالى لو كانوا مسلمين حكاية لودادتهم بقول مقدر والتقدير يود الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين فالظاهر حيث ان يقال لو كانوا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمعنى الا انه جيء بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذي ذكر قبلها وهو قوله الذين كفروا واعلم ان قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين الى قوله وما يستأخرون جلة معترضة بين قوله ان تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وبين قوله يا ايها الذين آمنوا انما نزل عليه الذكراك لمجنون فانه تعالى لما باغ في وصف آيات هذه السورة الكريمة بما ينبت عن بلوغها الى اقصى درجات الكمال وحكى عن المشركين انهم بالغوا في التكذيب حتى قالوا على سبيل خطاب المواجهة يا ايها الذين آمنوا انما نزل عليه الذكراك لمجنون صلى الله عليه وسلم بقوله ربما يود الذين كفروا والمعنى هون على نفسك فانك بالغت في الارشاد والاذار وهم ايضا افرطوا في التكذيب والانسكار فهم قوم جهلة عديموا الدراية والاعتبار فانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فاحرى

وقيل ما نكرة موصوفة كقوله

ربما نكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايدان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فباخرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم احوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعهم (ياكلوا ويمتعوا) بدنيأهم (ويلههم الامل) ويسغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد

ان يسارعوا اليه وكيف وهم يودونه كل ساعة واذا كان كذلك فاقطع طسك في ارعواثم ودعهم من انتهى عما هم عليه من الاعتزاز بالخطوط العاجلة وعدم الالتفات الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة والالذة الباقية بل مرهم امر تهديد بأكل الطعام والتمتع فيها بما قلائل فسوف يعلمون سوء صنعهم (قوله وفيه ارام الحجة) اى فى قوله ذرهم مع تخصيص الاكل والتمتع بالمستهيات والتلى بالامل بالذكر فان تخليّة الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين ما يشتهون وصدّه عن انذارهم ودعوتهم الى الحق لا يكون الا عند تكرار الانذار والحوذ الى ان يحصل اليأس من الايمان كانه قيل قد بالغت في الانذار وارزمت الحجة فدعهم بعد ذلك الى ان يعاينوا اجراء اصرارهم وعنادهم فقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ليس امر تكليف بل هو على طريق التهديد والتوعيد والا بلاغ في الوعيد والتأكيّد كقوله تعالى اعملوا ما تشتمون انما تعملون بصير وقوله تعالى ويلهمهم الامل اى يشغلهم ما يؤملون من امور الدنيا عن الاخذ بمحظهم من الايمان والطاعة يقال الهاء الشئ اى شغله وانساه ثم انه تعالى لما هدّد المكذّبين المعاندين بقوله فسوف يعلمون بين ان تأخير العذاب ليس مبنيا على الاهمال بل هو امهالهم ليلغوا الاجل المقدر لهم فقال وما اهلكنا من قرية اى من اهل قرية قبل ان يباغوا اجلهم فهذا الامهال لا ينبغى ان يجعل به العاقل لان العذاب مؤخّر وان كل اجل له وقت معين لتزول ولا يتقدم ولا يتأخّر (قوله والمستثنى جلة واقعة صفة لقربة) لان قوله الاولها كتاب استثناء مفرغ من الصفة وتقدير الكلام وما اهلكنا من قرية على اى صفة الاعلى صفة انها لها كتاب معلوم ولانه في قوة قوله اهلكنا قرية لها كتاب معلوم فلها كتاب معلوم صفة لقربة (قوله والاصل ان لا تدخلها الواو) يعنى ان القياس ان لا يتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لشدّة اتصالها به لكن لما كانت الصفة كالحال في المعنى وان كان بينهما فرق من بعض الوجوه وجاز ان الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا كذلك جاز ان تدخل على الجملة الواقعة صفة فكما ان معنى الحالية لا يتغير بدخول الواو عليها انما اذا قلت جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كذلك معنى الوصفية لا يتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها وكان الواو الداخلة على الحال انما تدخلها لمجرد الريط كذلك الواو الداخلة على الصفة وذلك ان الاصل في الجملة الواقعة موقع الحال ان لا تدخلها الواو لفوات المغيرة لان حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع الخبر عنه والخبر ليس موضع ادخول الواو فكذا الحال وانما يدخلها لمجرد الريط لاسيما اذا كانت جملة اسمية فانها اشدا اقتضاء للربط فكذلك حكم الوصف لان الصفة مرتبطة بالموصوف فتكون الواو لتأكيّد ذلك الارتباط واعتراض على جعل الجملة صفة لقربة لان توسيط الواو بين الصفة والموصوف غير معهود وكذا توسيط كلمة الايذنها حال يعرف ان احدا من النحاة ذهب الى جواز صفة بل ذهب الى جوازها حالا والحال ليس وزانها وزان الصفة اذا حققتها الواو ولعل من جعلها صفة لقربة ولم يجعلها حالا نظرا الى تنكيرى الحال وهو قربة وايس بقوى اذ يجوز ان يقال عومها يصح كونها ذا الحال كما في المبتدأ نحو ما احدث خيرا منك وهذا المعترض قد تبع صاحب الفتاح حيث قال فالوجه عندي هو ان لها كتاب معلوم حال من القربة لكونها في حكم الموصوفة اى قربة من القرى لا وصف لها وجه على الوصف سهو ولا خطأ ولا عيب في لهو (قوله ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال) قال المصنف في تفسير قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للكرة تنسيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيّد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافها بها امر ثابت انتهى فان قيل لما كان قوله تعالى الاولها كتاب معلوم صفة لقربة كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا الهامندرون فالفرق بينهما حتى اكيد لصوق الصفة بالموصوف في احدهما ولم يؤكّد في الاخرى فالجواب ان الوصف المذكور في هذه الآية غير الوصف المذكور في قوله الا الهامندرون لان الوصف فيما نحن فيه لازم عقلي وفي تلك لازم عادي جرت عليه سنة الله تعالى فان وجود الحوادث في اى وقت كان على سبيل الاتفاق لا يقتضيه العقل والحكمة بل هما يقتضيان ان يكون لكل حادث وقت مقدر وكتاب معلوم لا يتقدم عليه ولا يتأخّر بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الاهلاك فان لزومه له بمجرد جري عادة الله تعالى على ذلك (قوله تعالى من امة) فاعل تسبق ومن مزيدة للتأكيّد وحل على لفظ امة حيث انت تسبق لاستداه الى امة واقر الضمير المجزور وان شئت في قوله اجلها كذلك وحل على معناها في قوله وما يستأخرون فجمع وذكر وحذف متعلق يستأخرون وتقديره وما يستأخرون عنه للدلالة عليه ورعاية للفواصل (قوله لعننين) اى على سبيل البدل اما الامتناع واما التحضيض فان قوله لولا على لهلاك عمر ليس فيه سوى الامتناع وقوله تعالى لوما تأتينا ليس فيه سوى

(فسوف يعلمون) سوء صنعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقتناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعواثم وايدانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحبهم بعد اشتغالهم بالاطائل تحت وفيه الزام الحجة وتحذير عن اثار النعم وما يودى اليه طول الامل (وما اهلكنا من قرية الاولها كتاب معلوم) اجل مقدر كعب في اللوح المحفوظ والمستثنى جلة واقعة صفة لقربة والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا الهامندرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيّد للصوقها بالموصوف (ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون) اى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى (وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر) نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهمك الاترى الى ما نادوه له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسول لكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك تقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر اى القرآن (لوما تأتينا) ركب اومع ما كان ركب مع اللعينين امتناع التثنية لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا نزل عليه ملك فيكون معه نذيرا اول العقاب على تكذيبنا لك كما انت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) في دعواك

التحضيض والفرق بين التحضيضية والامتاعية هو ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كما في قوله
تعدون عقر الثيب افضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المتعيا
اي هلا تعدون الشجاع المتفجع بالآلات الحرب والامتاعية لا يليها الا الاسم لفظا او تقديرا عند البصريين وفي قوله
ما ينزل الملائكة اربع قرات ما ينزل على لفظ المضارع المعلوم المسند الى ضمير الغائب وينزل يتوونين اولاهما
مضمومة وثانيتهما مفتوحة وكسر الزاي ونصب الملائكة فيهما على المفعولية وتنزل بضم التاء وقمع التوون والزاي
ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل وتنزل بفتح التاء والتوون والزاي على ان اصله تنزل فحذفت احدى التائين
ورفع الملائكة على الفاعلية وقوله الابالحق مستثنى مفرغ من اعم عام المصدر اي ما ينزل الملائكة تنزيلا الانزلا
ملتبسا بالحق وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه نعمت المصدر محذوف (قوله ولا حكمة في ان تأتيكم
بصورة) على ان يكون قوالهم لوما تأتينا بالملائكة بمعنى لوما تأتينا بهم ليصدقك فيما تدعيه من الرسالة
حتى تزول الشكوك والشبهات في ذلك بشهادتهم عندنا وقوله ولا في معاجلتكم بالعقوبة على ان يكون معناه
لوما تأتينا بالملائكة الذين ينزلون علينا بذلك العذاب الذي نخوفنا به على تقدير عدم ايماننا بك كما قال
ويستجولونك بالعذاب واولا اجل مسمى لجاء هم العذاب (قوله وقيل الحق الوحي او العذاب) عطف على قوله
اي بالوجه الذي قدره فالعنى على هذا ما ينزل الملائكة الا لاجل تبليغ الوحي او العذاب الاستئصال وتصديق
المدعى والتهادة بصدقه في دعواه ايس شيئا منهما فلا ينزلهم لذلك ولا يرد عذاب الاستئصال لهذه الامة
(قوله اذا جواب لهم وجزاء) فان اذا انما يذكر حيث خاطبك احد بشئ وتريد ان تجيبه فتقول في جواب
كلامه اذا يكون كما اذا قال لك انسان انا آتيك فتقول اذا اكرمك كائنك قلت ههنا ان كان الامر كما ذكرت
اكرمك فكذا هذه الآية (قوله رد لانكارهم واستهزائهم) فان الكفرة قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقد
انكروا ان ينزل عليه ذكر من ربه واستهزؤوا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين انه عليه الصلاة والسلام غير
موصوف به فكأنهم قالوا يا ايها المقتري ان الله تعالى لم ينزل عليك الذكر وهذا الذي تزعم انه من عند الله ليس منه
بل هو من القاء الجن وانك لتجنون فرد الله عليهم بقوله انا نحن نزلنا الذكر واكده من وجوه تصدير الجملة بان
وتوسط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتميز عن التكمال الواحد بضمير الجمع للتعظيم والاجلال وتكرير الاستناد
لتقوية الحكم وتقريره واسمية الجملة فان قيل قد حصل رد انكارهم واستهزائهم بقوله انا نحن نزلنا الذكر فاوجه
اتصاله بقوله واما له لحافظون اجيب بان اتصاله من قيل اتصال الدليل بالدلول فان حفظ الله اياه يدل على كونه
من عند الله لانه لو كان من عند غيره لما كان مصونا من الزيادة والنقصان بل بمجرد كونه من عند الله تعالى
لا يستلزم كونه محفوظا مالم يحفظه الله تعالى ويتكفل بحفظه الا ترى انه لم ينفق شئ من الكتب مثل هذا الحفظ
فانه لا كتاب الا وقد دخله التحريف والتغير اما في الكبر متداوي القليل وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات
التحريف مع ان دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده من اعظم المعجزات وذكر لطريق
حفظ الله تعالى اياه وجهين الاول جعله اياه معجزا مباينا للكلام البشري فان الخلق عجزوا بذلك عن الزيادة والنقصان
لانهم لو زادوا فيه ونقصوا لتغير نظم القرآن وظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزا
كحاطة السور بالمدينة في كونه سببا للحفظ والصيانة والثاني ما اشار اليه بقوله او نفى تطرق الخلل فانه مصدر
معطوف على قوله بان جعلنا فانه في تأويل المصدر فانه تعالى لما دام واستمر على ضمان الحفظ له امتنع تطرق الخلل
اليه وكان ذلك طريق الحفظ وكله ما في قوله كما نفى ان يطعن فيه مصدرية والباء في قوله لانه متعلق بالذكر
واشار به الى بيان المناسبة بين قوله واما له لحافظون وبين قوله انا نحن نزلنا الذكر ليصح عطف احدهما على
الآخرى وهي كون كل واحدة من الجملتين متعلقة بالذكر (قوله وقيل الضمير في له للنبى صلى الله عليه وسلم)
والمعنى والحمد لحافظون وصح ارجاع الضمير اليه لانه لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فحسن
ارجاع الضمير اليه لكونه امرا معلوما كما في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فان ضمير انزلناه للقرآن مع انه
لم يتقدم ذكره وحسن ذلك لما ذكر فكذا ههنا ان القوم لما اساءوا الادب وخاطبوه عليه الصلاة والسلام
خطاب السفاهة حيث قالوا لاناك لتجنون قاله تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان عادة الجهال
مع جميع الانبياء كانت هكذا وكانوا يصبرون على اذى الجهال وسفاهتهم ويستمررون على الدعوة والانذار

ما ينزل الملائكة) بالياء مسند الى ضمير اسم الله وقرأ
حزة والكسائي وحفص بالنون وابوبكر بالتاء
والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تنزل
(الابالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي
قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصورة
تشاهدونها فانه لا يزيدكم الالبسا ولا في معاجلتكم
بالعقوبة فان منكم ومن ذرار بكم من سبقت كلمته
بالايان وقيل الحق الوحي او العذاب (وما كانوا
اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء لشروط مقدرى
ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين (انا نحن نزلنا الذكر)
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه
وقرره بقوله (وانا له لحافظون) اي من التحريف
والزيادة والنقصان بان جعلناه معجزا مباينا للكلام
البشري بحيث لا يتخفى تغيير نظم على اهل اللسان
او نفى تطرق الخلل اليه في الدوام بضمن الحفظ له
كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له
للنبى صلى الله عليه وسلم

فأقتد بهم في ذلك وهو قوله تعالى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلا أنه حذف ذكر الرسل لدلالة الأرسال عليه وسبقت الفرقة المتفقة على طريق ومذهب شيعة لتكون بعضهم تبعاً لبعض وتباعاً له والشيعاء والتباع واحد ومذهب شيعة وشيعة الرجل اتباعه قيل شيع الأولين من باب إضافة الموصوف إلى الصفة كقوله حق اليقين وجاب الغربي والأصل في شيع الأولين والبصريون يأولون مثله على حذف المضاف إليه أي في شيع الأمم الماضية الأولين وجاب المكان الغربي (قوله والمعنى نبأ أرجالاً) جواب عما يقال الأصل في فعل الأرسال أن يعتدى بالي فينبغي أن يقال ولقد أرسلنا من قبلك إلى شيع الأولين فكيف عدى بكلمة في والجواب أن يقال عدى بني لتضمن أرسلنا معنى نبأنا إلا أنه زاد قوله نبأ أرجالاً الإشارة إلى أن مفعول أرسلنا محذوف تقديره أرسلنا رسلاً فيهم وزاد قوله وجعلناهم رسلاً فيهم اتعاباً لمعنى إرسال الرسل لما تقرر من أن الرسول من له هجرة باهرة وكأن سماوى والنبي صاحب الهجرة فقط وليس له كتاب سماوى فلو اقتصر على قوله نبأ أرجالاً فيهم لكان المذكور بعض معنى أرسلنا وهو بصدد بيان تمام معناه فدل بقوله نبأناهم فيهم على معنى أعطيناهم الهجرة وبقوله وجعلناهم رسلاً فيهم على معنى صيرناهم أصحاب كتاب وسيرة مستقلة والفائدة في ارتكاب ما يوجب إلى اعتبار التضمن الإعلام بمن يزيد تمكين الرسل واستقرارهم فيما بين الأمم (قوله تعالى وما يأتيهم من رسول إلا كانوا يستهزئون) نظير قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا الهامندرون فيكون المعنى فيه صفة لرسول الله على ما اختاره المصنف لأنه في قوة أن يقال اتاهم رسول مستهزأ به ولم يأتيهم رسول غير مستهزأ به ويكون حالاً من مفعول يأتيهم على ما اختاره السكاكي والكافي في قوله تعالى كذلك منصوب المحل على أنه صفة مصدر محذوف أو حال منه أي سلكنا الاستهزاء في قلوبهم سلكنا مثل هذا السلك ويحتمل أن يكون مر فروع المحل على أنه صفة مصدر محذوف أو حال منه أي الأمر كذلك ويستأنف وقوله وقيل للذكر فإن المعتزلة لما أوجبوا رجاء ضمير نسلكه إلى الاستهزاء المدلول عليه بقوله يستهزئون على أن الاستهزاء بالأنبياء كفر وضلال والله تعالى لا يخلق الباطل في قلب العبد على زعمهم قالوا أن الضمير للذكر واستدلوا عليه بأن الضمير في قوله لا يؤمنون به عائد إلى القرآن بالاجتماع فوجب أن يكون ضمير نسلكه أيضاً عائداً إليهم كما ضميران متعاقبان فيجب عودهما إلى شيء واحد (قوله لا يؤمنون به) حال من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير الاستهزاء لكان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم لا يؤمنون بذلك الاستهزاء وذلك يوجب التناقض لأن الكافر لا بد وأن يكون مؤمناً بكفره واستهزأ به والذي لا يؤمن ولا يصدق بالكفر هو المسلم العالم بطلان الكفر اذ هو بيان وتفسير الجملة كذلك نسلكه فينبغي أن يكون المين مستقلاً على ما استقل عليه البيان وأجاب المصنف عن وجوه احتجاجهم بأن الأصل في الضمائر أن ترجع إلى أقرب المذكورات وقوله تعالى أنا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزئون قريب والأصل المذكور يقتضى أن يرجع ضمير نسلكه إلى الاستهزاء المدلول عليه بأقرب المذكورين ولا مانع من اعتبار هذا الأصل في ضمير نسلكه فإن قلت أنه راجع إلى الاستهزاء اذ لم يتحقق مانع والأدلة قلنا أنه راجع إلى الاستهزاء ولما تحقق المانع من اعتبار هذا الأصل في ضمير الثاني وهو روم التناقض قلنا أن الضمير الثاني يرجع إلى الذكر المذكور أولاً وتفرق الضمائر المتعاقبة على الأشياء المختلفة ليس بقليل في القرآن فإن تعاقب الضمائر لا يستلزم الرجوع إلى شيء واحد بل الأمر فيه موقوف على الدليل ولما دل الدليل في هذه الآية على رجوع الضمير الأول إلى الأقرب ورجوع الضمير الثاني إلى الأبعد علمنا بمقتضى الدليل وإجاب عن قولهم أن يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان الضمير للاستهزاء لزم التناقض بقوله ولا يعين أن تكون الجملة حالاً من الضمير الخ يعني أن التناقض إنما يلزم على تقدير كون ضمير نسلكه للاستهزاء وكون الجملة حالاً منه وذلك غير لازم لجواز أن تكون حالاً من الجرمين بل ويجوز أن لا يكون لها محل من الأعراب بأن تكون جملة مستأنفة لبيان حالهم بدخول الاستهزاء في قلوبهم ويكون المعنى لا يؤمنون بسببه وإجاب عن قولهم أن كون الجملة الثانية بياناً للآلة الأولى يستدعي أن يكون ضمير نسلكه للذكر وهو يتنافى كونه للاستهزاء بقوله ولا يتنافى كونها مفسرة للمعنى الأول بل يقويه فإن تمكن الاستهزاء بالرسول في القلب عبارة عن الامتناع عن الإيمان بسبب ذلك الاستهزاء فيصالح أن يكون لا يؤمنون به تفسير القول كذلك نسلكه أي الاستهزاء في قلوبهم (قوله بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم) قدم هذا المعنى لكونه أكثر ارتباطاً بما ذكر قبل وعلى المعنى الثاني يكون تهديد الكفار مكة (قوله على هؤلاء المقترحين) من كفار مكة فإنه تعالى حكى عنهم توغلبهم في الكفر والعناد بقوله وقالوا يا أيها الذي نزل عليه

(ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعداً أتبعه وأصله الشيعاء وهو انصب الصدر يوقده الكبار والمعنى نبأ أرجالاً فيهم وجعلناهم رسلاً فيهم (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا يستهزئون) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الأمصار عامته أو ماضيا قريته وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (في قلوب الجرمين) والسلك ادخال شيء في الشيء كما لحيط في الخيط والريح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير الآخر في قوله (لا يؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلكه الذكر في قلوب الجرمين مكذباً غير مؤمن به أو بيان الجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقه في المرجوع إليه ولا يعين أن تكون الجملة حالاً من الضمير لجواز أن تكون حالاً من الجرمين ولا يتنافى كونها مفسرة للمعنى الأول بل يقويه (وقد دخلت سنة الأولين) أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيد الأهل مكة (ولو فتحنا عليهم) على هؤلاء المقترحين

الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وقد حكى الله تعالى في مواضع اخر انهم كانوا يترجون
الآيات ويعلقون اسلامهم على مجيئها نحو قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فكان
المسلمون يظنون انهم صادقون مسترشدون في ذلك الاقتراح فكانوا يشفعون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يسأل من الله ان يعطيه الآيات التي سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم في ذلك الاقتراح غير
مسترشدين بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء لأصروا على العناد والمكابرة فلا تلتفتوا الى قولهم لوما تأتينا بالملائكة
ونظيرها قوله تعالى ولولا فضلنا عليك كتابا في قرطاس فلمنوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين وقوله قل انما
الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون (قوله تعالى فظنوا) من الافعال الناقصة واسمه مسترفيه
راجع الى الكفار المتعجب لهم الباب وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المصنف بقوله او تصعد الملائكة فالعنى
لو كشف لهؤلاء عن ابصارهم حتى عاينوا بابا من السماء مفتوحا فظنوا الملائكة ينزلون منه ويصعدون فان الصعود
لا يكون بدون النزول فكان ذكره مستغنى عنه لصر فوا ذلك الى انهم سحروا والاصروا على كفرهم ولم يؤمنوا فعلى
هذا يكون النظم من قبيل ما تعاقب فيه الضمائر مع اختلاف المرجع اليه والظلول فعل الشيء نهارا يقال ظل
يفعل كذا اذا فعله بالنيهار وبات يفعل كذا اذا فعله بالليل فقوله ظنوا فيه يعرجون بمعنى يصعدون اليه في رياض
اتهار ليكونوا مستوحشين لما يرون (قوله اليها) اشارة الى ان متعلق يعرجون محذوف اى يعرجون اليها فيه
بتضمين معنى الارتفاع اى يرتفعون (قوله سدت عن الابصار بالسحر من السكر) بفتح السين وسكون الكاف
وهو مصدر سكر التهر اسكره اذا سددته وهو من باب نصر والسكر بالكسر العزم والسكر بضم السين وسكون
الكاف اسم للسكر من الشراب وفعله من باب علم يقال سكر يسكر سكرا وهذا لازم والاول متعد فكون
بناء التفعيل في الاول للتكثير اى تكثير المفعول وهو الابصار وفي الثانى للتعدية وقرأ ان كثير سكرت تخفيف الكاف
وبناء المفعول وباقي السبعة قرأوا على بناء المفعول ايضا لانهم شددوا الكاف والفعل على قراءة الجميع من السكر
بمعنى السد بثهاده قراءة ابن كثير فانه لو لم يكن من السكر المتعدى لما بينى الفعل للمفعول وذلك يدل على ان باقى
النثر آت ايضا من المتعدى وان التضخيف للتكثير (قوله اوجرت من السكر) بالضمة عطف على قوله سدت
فعلى هذا يكون التضخيف للتعدية (قوله وفي كلتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرويه لاحقيقة له)
اماد دلالة كلمة الحصر عليه فانها تدل على ان مسكراتعلق بتاكثيره وحيرنا الا ان ذلك التاكثير والتخويل يتعلق
بالابصار لا ولم يتعلق بعقولنا ولا يخفى ان هذا بت بان ما يرويه لاحقيقة له واما دلالة كلمة الاضراب عليه فانهم
اسروا عن الحصر في الابصار وقالوا بل جاوزوا التاكثير الى عقولنا وان سحر السحرة كما حير ابصارنا حير عقولنا
ايضا فقد حكموا بانه كما لا اعتماد على شهادة حواسهم لاعتماد ايضا على شهادة عقولهم لكون الكل حيرى سكرى
فهو بت بان ما يرويه بابصارهم ويحكمون عليه بعقولهم امور موهومة لاحقيقة لها قال الامام فان قيل كيف يجوز
من الجماعة العظيمة ان يصيروا شاكين في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح ولو جاز حصول الشك
في ذلك كان حصول السفسطة لازما ولا يبيح حينئذ اعتماد على الحس والمساهة ثم قال واجاب القاضي عنه
بانه تعالى ما وصفهم بالشك فيما يرونه وانما وصفهم انهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على
الكذب على سبيل العناد والمكابرة وقال بعده فيصح من الجمع العظيم ان يظهر والشك في المساهدات واجاب ايضا
بان ذلك اذا حلهم غرض معتبر من المواطاة على دفع حجة او غلبة خصم فهذه الحكاية ايضا انما وقعت من قوم
مخصوصين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ازال الملائكة وهم رؤساء القوم وكانوا قليل العدد واقدام القليل
على ما يجرى مجرى المكابرة جائز (قوله مختلفة الهيئات والخواص) اشارة الى وجه دلالة جعل السماء ذات
البروج على وجود الفاعل المختار وكال قدرته وعلمه فانه تعالى لما اجاب عن شبه منكرى النبوة وبين توغله في
في المكابرة والعناد وقد تقرر ان القول بالنبوة متفرع على القول بالتوحيد اتع ما يدل على حقيقة النبوة
بذكر دلائل التوحيد فبدأ بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء بروج الآيات واصل البرج الحصن
والقصر قال الله تعالى وان كنتم في بروج مشيدة اى ابنية عالية قيل لها البروج لظهورها من بعيد فان اصل
البروج الظهور ومنه قوله تعالى غير متبرجات بزينة اى غير ظاهرات بهاروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان
المراد ببروج السماء منازل الشمس والقمر فانه تعالى جعل لكل واحد منهما منزلا يتردد كل ليلة في منزل على حدة

بابا من السماء فظنوا فيه يعرجون (يصعدون اليها
ويرون عجائبها طول نهارهم مستوحشين لما يرون
او تصعد الملائكة وهم يشاهدونها (لقالوا)
من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق (انما سكرت
ابصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل
عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل
عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون)
ق- سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات
وفي كلتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان
ما يرويه لاحقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بخوع
من السحر (ولقد جعلنا في السماء بروجاً) اثني عشر
مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه
الرصد والتجربة مع بساطة السماء

واجاز الكوفيون ترك الاعادة في حال السعة بقوله تعالى تسألون به والارحام بالجرف في قرآنة حرة اذا قرر هذا فقد نظر الفرق بين العطف على الضمير المحرور والعطف على محل مجموع الجمل والمحرور والذي لم يجوزه البصريون حال السعة هو الاول دون الثاني (قوله وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم) اشارة الى ان كلمة من يراد بها ما يعم العنلاء وغيرهم من الدواب المستفهم على سبيل تغليب العنلاء على غيرهم (قوله اي وما من شيء) يعني ان كلمة ان نافية ومن من في المبتدأ وعندنا خبره وخزانته فاعل للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون خزانته مبتدأ ثانيا وعندنا خبره قدم عليه والجمله خبر للمبتدأ الاول والخزانة جمع خزانة كخزانة وجائل وهو اسم للمكان الذي تخزن فيه الاشياء اي تحفظ فان كان محصل المعنى ما من شيء من المسكنات الغير المشاهدة الاوخر آتته عندنا تكون الخزانة استعارة تصريحية للقدرة شبه اقتداره على ايجاد الممكنات باسرها بالخزانة فاطلق عليه اسم الخزانة وجع مع ان قدرته الله تعالى لا تعدد فيها فضلا عن القدرة المتعلقة بكل واحد من الاشياء المقدورة وقائدة العدول الى الجاز الايدان بان مقدورات الله تعالى كانها حاصلة موجودة بالفعل وهذه القدرة لا تحصل بان يقال وان من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكونه وان كان محصل المعنى ما من شيء من الاشياء المقدورة الا وهي مخزونة عندنا كان من قبيل التثنية البليغ حيث شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والجامع عدم الاحتياج في اظهارها الى كلفة واجتهاد والبقاع ما ارتفع من الارض واضافة البقاع الى القدرة بيانة ولما كان تنزيل الشيء عبارة عن تحريكه من اعلى الى اسفل شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والقدرة بالارض المرتفعة واسأله الى ان قوله وما ينزله الا قدر رشيع لاستعارة الخزانة للقدرة ليكون التزيل مما يلزم المستعار منه (قوله تعالى لواقع) حال مقدرة من الرياح قيل المواقيع جمع ملاقع لانه من التمعق بلقح فهو ملاقع فحقه ملاقع قيل ألقيت الرياح السحاب كما يقال ألقيت النخل الاي اذا ألقي الماء فيه اهملته فكذلك الرياح جارية بحرى فخل السحاب وكون لواقع جمع ملاقع من النوادر ونظيره كون الطوائف جمع مطيعة او مطووعة يقال طاح يطوح ويطاح اي هلك وكذلك اذا تاه في الارض واطاحه وطوحه اي توهه فطوح في البلاد اي تحير ورمى نفسه ههنا وههنا وطوحته الطوائف قذفه القوافل ولا يقال المطوحات ولا المطيحات وهواندر وكذا لواقع قال

ليك يزيد ضارح لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائف

وقيل اللواقع جمع لاقح بمعنى حامل يقال لاقحت الرياح اذا حلت الماء في الازهرى لواقع اي حوامل تحمل السحاب والماء قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بين يدى رحمته حتى اذا اقتلت سحابا ثقالا اي حلت فعلى هذا يكون الريح لاقحة والمصنف قدم هذا الاحتمال لما فيه من حل لفظ اللواقع على ظاهره حيث جاءت الرياح لواقع في نفسها لا ملاقعات لغيرها على ان ضده هذه الرياح العقيم وهي التي لا تحل الماء وهو ریح حان تكون المواقيع على ظاهرها وهو كونها بمعنى الحوامل (قوله فجعلناه لكم سقيا) اي جعلنا لكم ماء المطر معدا لسقياكم وارضيتكم ومواسيتكم هذا على قول من فرق بين سقاه واسقاه فقال سقاه اذا اعطاه ماء يشربه في الحال فيسكن به عطشه واسقاه اذا جعل له شربا يتمكن به من الانتفاع زمانا وقيل ههنا لفتان بمعنى (قوله وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم) اي حل قوله تعالى اسقياكموه على معنى وجعلنا ماء المطر محفوظا معدا لانتفاعكم زمانا وما اتم له بما فطن يدل على وجود المدبر الحكيم كاي دل عليه حله على معنى ان ادبرنا صلاح احوالكم وانتظام امر معاشكم هذا التدبير العجيب حيث تفرق دنا بخاق الماء في السماء وانزاله منها وجعله لكم سقيا ترجعون اليه كالحاج الى الماء وما اتم بقادرين على شيء منها (قوله فان طبيعة الماء تقتضى الغور) علة لدلائله على ما ذكر وقوله كاي دل حركة الهواء الخ معترضة بين العلة والحكم العلل والمقصود بيان ان فذلك قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقع الآية مثل فذلك الآية المقدمة على اي معنى من المعنيين المذكورين حلت قوله وما اتم له بخا زين (قوله وقد اول الحيات بما يعم الحيوان والنبات) يعني ان منهم من حله على القدر المشترك بين احياء الحيوان والنبات ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان وايضا كان تصلح الآية دليلا على وجود الاله الفاعل اختار كما ثبت بالدلائل العقلية انه لا قدرة على خلق الحياة بالمعنى الاعم المتحقق في الحيوان والنبات وبالمعنى المختص بالحيوان الله تعالى فقوله نحن نحى من قبيل القادر على كل ما يريد (قوله وتكرير الضمير بالدلالة على الحصر) وذلك لان قوله تعالى نحن نحى من قبيل قولك التقت من حيث ان نحن

ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان الخ لانه خلفه وطبعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتسا هي حكمته والتفرد في الالهية والا امتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحده ويعدوه ثم بالغ في ذلك وقال (وان من شيء الا عندنا خزائنه) اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكونه اضاعاف ما وجد منه فضرب الخزانة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد (وما ينزله) من بقاع القدرة (الا بقدر معلوم) حده الحكمة وتعاقت به السببة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم (وارسلنا الرياح لواقع) حوامل شبه الريح التي جاءت بتبرير من انشاء سحاب ماطر بالخال كاشبهه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملاقعات لتخبر او السحاب ونظيره الطوائف بمعنى المطيحات في قوله - ومختبط مما تطيح الطوائف * وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجلس (فانزلنا من السماء ماء بقدر فاسقياكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما اتم له بخا زين) قادرين متمكين من اخراجه في عنهم ما ائنه لنفسه او اوحا فظين في الصدران والعيون والابرار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كادل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه يتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص (وان نحن نحى) بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها (ونميت) بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير بالدلالة على الحصر

مبتدأ ونحى خبره والجملة خبر قوله انا وقد تقرر في علم المعاني ان تقديم السند اليه يفيد الاختصاص بشرطين الاول ان نحن يجوز ان يقدر كونه في الاصل مؤخر اعلی انه فاعل معنى فقط وان كان في اللفظ تأكيذا للفاعل والثاني ان لا يقدر ذلك وان لم يوجد الشرطان لا يفيد التقديم الاقوى الحكم وقد وجد الشرطان ههنا اما الاول فظاهر واما الثاني فلكون الآية مسوقة لتقرير دليل اثبات الصانع وذلك يقتضى اعتبار الحصر في التخصيص وما يتوقف اعتباره عليه ويحتمل ان يكون نحن تأكيدا لاسم ان ونحى خبرها وذلك لا يمنع تحقيق الشرطين ايضا كالايتنى ولا يجوز ان يكون نحن فصلا لان ضمير الفصل لا يكون الا بين اسمين ونحن ههنا لم يقع بين اسمين وقد اتفق شراح الكشاف على ان الحصر في قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم مستفاد من توسيط ضمير الفصل بين اسمين وخبرها (قوله ونحن الوارثون الباقون اذا ماتت الخلائق كلها) يعنى ان الوارث من خلف الميت ويقوم مقامه في تلك تركته بعد موته وهو مستحيل في حقه تعالى لانه تعالى مالك الموجودات بأسرها صالة لا خلافة فوجب جملة مستعار المعنى الباقي بعد هلاك الخلق تشبيهه تعالى بوارث الميت في بقائه بعد فناءه ومثله قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه واجعله الوارث منا واوله اللهم متعنا باسمعنا وابصارنا وقوتنا ما احببتنا واجعله الوارث منا قيل ضمير اجعله راجع الى السوابق باعتبار المذكور والمعنى واجعلها سالمة لا زمة معنا الى الموت فبلغ فيه وقيل اجعلها كانهاتى بعدنا لان الوارث يبقى بعد الموروث وقيل الضمير يرجع الى التمتع المدلول عليه بقوله متعنا اى اجعل التمتع بما ذكرناه الوارث لما نخل من القوى النفسانية عند الكبر والباقي بعد زوالها روى انه عليه الصلاة والسلام ما كان يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات له ولا صحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين (قوله تضعيف صل) يقال صل اللحم يصل بالكسر صلوا لى صار مطبوخا بعد ان كان نيئا والجماء الطين الاسود وكذلك الجماء بالنسكين يقال حثت البئر حثا بالتحريك اى كثرت حثا والجماء المستون اى المتغير المنين وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

ترك سنة وجهه غير مشرعة / ملساء ليس بها خال ولا ندب

والمستون المصور على صورة مثال وقد سنته اسنه سنا اذا صورته وسنت التراب اى صبيته على وجد الارض صبا سهلا حتى صار كالصورة والكل من الصحاح عن ابن عباس انه تعالى خلق آدم من اديم الارض فالتى على الارض حتى صار طينا لازبا وهو الطين المترق ثم ترك حتى صار حجا مسنونا وهو المنين ثم خلقه الله تعالى يده وكان اربعين يوما مصورا حتى يبس فصار صلصالا كاللتخار اذا ضرب عليه صلصل اى صوت ومن في قوله من صلصال لابتداء الغاية وللتبعض تقول العرب سنت الماء اى صبيته وهذه الآية ايضا مسوقة لاثبات الصانع وكمال قدرته فانه قد ثبت بالدلائل القاطعة انه يتمتع القول بوجود حوادث لا اول لها بل يجب انتهاء الحوادث الى اول حادث فلم من ذلك ان ينتهى الناس الى الانسان الذى هو اول الناس وذلك الانسان لا يكون مخلوقا من الابوين فيكون مخلوقا للاحالة بقدرة الله تعالى فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان اى ذلك الانسان الاول وقد اجمع المفسرون على ان المراد منه آدم عليه الصلاة والسلام وقد دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب على انه تعالى خلق آدم من تراب ودلت آية اخرى على انه مخلوق من طين وهى قوله تعالى انى خالق بشرنا من طين وحاء في هذه الآية انه عليه الصلاة والسلام مخلوق من صلصال كائن من حجا مسنون وقال في موضع آخر اننا خلقناهم من طين لازب هو المترق والظاهر ان ليس المراد انه تعالى خلقه من هذه المذكورات المتصانقة في حالة واحدة لقيام التناقض بين هذه الاوصاف في شئ واحد في زمان واحد فثبت ان يكون المراد من هذه المذكورات ان مبدأ خلق آدم عليه الصلاة والسلام على اختلاف الاحوال والاقوات بان يكون مبدأ التكوين في اول الحال ترابا وفي حال آخر صلصالا وفي آخر صلصالا وهو الذى اسود وتغير لاطول مكثه وفي حال آخر صلصالا كاللتخار قبل ان يخلق فيه اللحم والعظم ويركب فيه الجوارح والاعضاء ولما كان على هذه الاحوال المذكورة على ما اخبر الله تعالى وكان تغير احوال اولاده كذلك حيث قال فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علفة ثم من مضغة فذكر ان اولاده كانوا على هذه الاحوال قبل ان يخلق فيهم لحموا وعظاما كما ذكر في حق آدم عليه الصلاة والسلام من انه خلق من تراب وطين لازب وصلصال وحجا مسنون حل على ما ذكر في اولاده قال المفسرون خلق الله آدم من طين فصوره وتركه في الشمس اربعين سنة فصار صلصالا لا يدري احدا ما اراد منه ولم يروا شيئا

(ونحن الوارثون) الباقون اذا ماتت الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر اوم من خرج من اصلاص الرجال ومن لم يخرج بعد اوم من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لايتخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقول رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدجوا عليه فنزلت وقيل امر اة حسنا كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وأخر بعض ليصيرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) للاحالة للجراء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر المتولى لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان تحقيق الوعد والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) بآهر الحكمة متقن في افعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) طين يابس يصلصل اى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا نقت تضعيف صل (من حجا) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو سنة صلصال اى كائن من حجا (مسنون) مصور من سنة الوجه او منصوب ليس ويتصور كالجوهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الجماء فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواء ونفخ فيه من روحه او منت من سنت الحجر على الحجر اذ حكتته به فان ما يسيل منهم ما يكون متنا ويسمى السنين

من الصور يشبهه الى ان نفخ فيه الروح وحقيقة كلامهم انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان نجف فكانت الريح اذا مرت به سمع له صلصلة ولذلك سماه الله تعالى صلصالا وهو الطين اليابس الذي يصلصل اى يصوت وهو غير مطبوع واذ اطبخ فهو فخار (قوله والجان ابالجن) قال عامة المفسرين الجان ابوالجن كان ابليس ابوالشياطين سمي جانا لتواريه عن الاعين يقال جن السئ اذا ستر امره فالجان يستتر نفسه عن اعين بنى آدم (قوله من نار الحرا الشديد) الظاهر ان المراد بالحرا الشديد حرا النار وان المراد من حرا الحرا لهب النار الذي لا دخان له كانه قيل من نار الذهب الشديد وقوله انفاذ في المسام اشارة الى صفاء ذلك الذهب وخلوه عن الدخان ولما كان من طبع لهب النار العلو والارتفاع ومن طبع التراب النزول والتسفل كان خلق ما خلق من كل واحد منهما مناسبا لمادته قيل السموم اسم من اسماء جهنم اخبر الله تعالى انه خلق الجان من نار جهنم وقيل السموم الريح الحارة التي تقتل قال الكلبي هي نار لا دخان لها وانصواعي تكون منها وقال ابن مسعود من نار الريح الحارة قال وهذا السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية ومعنى السموم في اللغة الريح الحارة وفيها نار وفي الخبر انها من نفخ جهنم كذا في الوسيط وقول المصنف من نار الحرا الشديد يدل على ان السموم عبارة عن الحرا المفرط سواء كان من شمس او ريح او نار وان ما غييه من النارية لشدة وطافته يدخل المسام فيقتل وقيل السموم ما كان ليلا والحرور ما كان نهارا وقيل من في من قبل ومن نار السموم متعلقتان بخلقنا لاختلاف معنهما لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعض (قوله ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة) جواب عما يقال لا تصور الحياة بدون تركيب يتوقف عليه بقاء البنية واعتدال المزاج فكيف تخلق في الجسم البسيط ولا يتنافى الجوهر الذي يكون في غاية الحرارة والجواب ان البنية ليست بشرط لا يمكن حصول الحياة فانه تعالى خلق الحياة والعقل والعلم في الجوهر المفرد في الجسم الذي يكون في غاية الحرارة (قوله ولما كان الروح) اى النفس الناطقة تتعلق اولاً بالبخار اللطيف الذي هو الروح الحيواني لكونه اقرب لها بالنسبة الى سائر ما في البدن من الاعضاء للنسبة بينهما في اللطافة وهو جواب عما يقال النفخ اجراء الريح في تجويف شئ آخر ولا ريح ههنا ولا نفخ فباوجه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة التبعية شبه تتعلق الروح بمعنى النفس باجزاء البدن واسطة سرى ان الروح الحيواني فيها جاريا في تجاويف الشرايين بجرى ان الريح في تجويف آخر فاطلق على المسببه اسم النفخ واشتق منه نفخت ويحتمل ان يكون المراد بالروح الروح الحيواني السارى في البدن بتوسط الشرايين فيشبه اجراء هذا الروح في البدن وهو سبب الحياة باجراء الريح في الشئ وهو النفخ بل هو ظاهر الا ان اضافته لتسريف في قوله من روحي تستدعي ان يراد به النفس الناطقة التي هي المشرف بعرفة الله تعالى والمكلف بطاعته (قوله تعالى ففعلوا له) امر من الوقوع وفاء التعقيب فيه تدل على انه تعالى لما نفخ الروح في آدم عليه الصلاة والسلام اوجب على الملائكة ان يسجدوا له سجود التحية والتعظيم وقيل المسجود له هو الله تعالى وانه كان آدم كالمقبلة لذلك المسجود حيث امر وابلان يتوجهوا اليه في سجودهم لله تعظيم الله بجله فيهم اياه وسيلة الى عبادة الله تعالى وتعظيمه حيث عاينوا قدرة الله تعالى في خلق البشر المسوى من الجم المكنون وقيل اخبر الله تعالى الملائكة انه سيفعل امر كذا وامرهم بالسجود له ان فعل فيكون امرا بالسجود لادم قبل خلقه ليقعوا ذلك حين ما عاينوا انه تعالى عدل صورته وسواه بالصورة الانسانية ونفخ فيه الروح وسمى الانسان بشرا لكونه حيوانا ظاهر البشرة لا شعر عليه ولا وبر ولا صوف وقيل لكونه جسما كسيفيا بشرا يمس ظاهر جلده والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبترو البشرة ظاهر جلد الانسان (قوله اكدبتا كيدين) ولا يفيد الاجتماع في الوقت كما ذهب اليه البعض فتكون الفائدة في تكرار التاكيد المبالغة في الدلالة على سجود الكل فانه لو قيل فسجد الملائكة من غير تأكيد لاحتمل ان يكون الساجد بعض الملائكة فلما قيل كلهم زال هذا الاحتمال وظهر انهم سجدوا بأسرهم ثم كرر التأكيد للمبالغة في ازالة احتمال كون الساجد بعضهم وقيل كل واحد من اللفظين يفيد غير ما افاده الآخر فان الاول يفيد ان الساجد كل الملائكة لا بعضهم والثاني يفيد ان الكل سجدوا في وقت واحد غير متفرقين واعترض عليه المصنف بانه لو كان الامر كذلك لكان الثاني حالا لا تأكيدا اى ان الثاني لا يكون تأكيدا وقد فرض ان كل واحد منهما تأكيدا جدي به يفيد فائدة جديدة غير ما يفيد الآخر وفيه بحث لانه ان اراد بقوله لكان الثاني حالا لا تأكيدا ان الثاني لا يكون تأكيدا حيث منوع اذ لا شك ان اجعون

(والجان) ابالجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تستعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانصابه بفعل يفسره قوله (خلقناه من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحرا الشديد النافذ في المسام ولا يمنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانما اقرب لها من التي الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبية على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها مكان الخشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من جام مسنون فاذا سوتته) عدلت خلقته وهياها لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحي) حتى جري آثاره في تجاويف اعضائه فحي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها في تجاويف السرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا وضافة الروح الى نفسه كما مر في سورة النساء (ففعلوا له) فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكدبتا كيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكدبتا لكل للاحاطة وباجدين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا

يؤكد ما دل عليه لفظ الملائكة مع فال باللام الاستغرافية وان اراد به مع انه تأكيد يفيد فائدة الحال والتأكيد لا يفيد فائدة الحال فهو ايضا ممنوع اذ لا منافاة بينهما بالنسبة الى المعنى الا ترى انه يجوز ان يقال جاؤنى جميعا على انه حال مع افادته معنى التأكيد (قوله ان جعل منقطعاً) بان يكون الابعث لكن خيئتذ يكون ابى خبره اتفق المفسرون على ان ابليس كان مأموراً بالسجود لا آدم عليه الصلاة والسلام الا انهم اختلفوا في انه من الملائكة والاستثناء متصل اوليس منهم بل كان جنياً من جنس الجن وليس من الملائكة فلما امر الملائكة بالسجود لا آدم تناول ذلك الامر له ايضا لكونه ملحقاً بهم واذا لم يكن منهم حقيقة كان الاستثناء منقطعاً وقوله لم اكن لا سجد مستل على دليلين احدهما ان كونه بشراً يشعر بكونه جسماً كسائر الانسان انما يسمى بشراً لظهور جلده لما مر ان البشر والبشرة ظاهراً جلداً للانسان فكأنه يقول البشر جسماني كشيء واناروحاني لطيف والجسماني الكسيف ادون حالا من الروحاني اللطيف والادون لا يجوز ان يكون ساجداً لا على وثائيهما انه مخلوق من صلصال وابليس مخلوق من نار والنار اسرف من الصلصال وما يكون مخلوقاً من الاسرف فهو اسرف والاشرف لا يجوز ان يسجد للادون والمصنف اشار اليهما بقوله استقص آدم باعتبار النوع والاصل قال المصنف في سورة الاعراف قد غلط اللعين في ذلك حيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما سئلك ان تسجد لما خلقت بيدي وباعتبار الصورة حيث سواه الله تعالى وفتح فيه من روحه وباعتبار القادة فانه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والحق انه تعالى نص على السجود وعارضه ابليس بالقياس ومن عارض النص بالقياس كان رجماً ملعوناً (قوله فان من يطرد رجم بالخر) بيان لوجه انتقال الذهن من المرجوم الذي هو المرمى بالخر الى معنى المطرود من الرحمة والكرامة وتوضيحه ان الرجيم كناية عن كونه مطروداً ملعوناً لان الطرد مستلزم للرجم فاطلق اللازم على المزموم (قوله اوشيطان رجم بالتهب) اى ويحتمل ان يكون الرجيم بمعنى المرجوم بالشهب ويكون كناية عن استهزائه الوصف وهو الشيطان كقولك جاء المضيف وتريد يد التهربة بالزيادة (قوله وهو وعيد) اى الاخبار بانه رجيم بآى معنى كان وعيد امان كان بمعنى الطرد من الخير والكرامة فلان معظم الخير ما يكون يوم القيامة بالاحرام ولا وعيد اعظم من الحرمان من الخير فيه واما ان كان بمعنى الشيطان المرجوم بالشهب فلان الشيطان لا يخلو اما ان يكون من شطن بمعنى بعدا ومن شاط بمعنى هلاك وكل واحد منهما بآى عن الوعيد واما كونه متضمناً للجواب عن شبهته فلان الرجومية كناية عن الملعونية والشيطانية اللتين هما غاية الخذلان والهوان فيكون ابطالا لدعائه الفضل والرجحان (قوله فانه منتهى أمد اللعن) جواب عما يقال من ان كلمة الى انتهاء الغاية فيلزم زوال اللعن وانتهائه عند يوم القيامة الذى هو يوم الدين والجزاء واجاب عنه اولاً بان المراد ان يكون مخذولاً غير موفق للاهتداء الى طاعة الله تعالى ودينه ومن هذا شأنه يكون مطروداً من رحمة الله تعالى لان اصل الرحمة ما يكون ايام التكليف فلما كان المرجوم من وفق للاهتداء ايام التكليف والملعون من كان مخذولاً غير موفق له زمان التكليف ظهر ان الملعنة بهذا المعنى تنتهى بانتهاء زمان التكليف ثم استعمر ان يقال كيف تكون الملعنة بمعنى الابعاد عن الرحمة في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فاجاب عنه بان اللعنة تطلق على معنيين فالتى جعلها الله تعالى منتهية بيوم الجزاء هى اللعنة بمعنى الطرد عن الهداية الى الحق والتى اثبتها يوم الجزاء هى اللعنة بمعنى آخر ثم نقل جوابين آخرين على سبيل التضعيف والترخيص الاول ان اللعن وان حد يوم الجزاء الا ان المراد به التأيد وذكر يوم الدين لكونه ابعد غاية يذكرها الناس في مقام التأيد كقوله تعالى مادامت السموات والارض الاما شاء والثانى ان قوله تعالى وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال الكلبي معناه يلعنك اهل السماء واهل الارض الى يوم الحساب لانك اول من عصى الله ثم اذا جاء يوم الجزاء عذب عذاباً ينسى عنده اللعن فيصير اللعن حيثئذ كالزائل بسبب ان سدة العذاب تذهل عنه وتنسبه فكانت مذمة الخلائق اياه ودعائهم عليه باللعن كأنها مختصة بزمان التكليف ومنتهية عند مجيء يوم الجزاء فلذلك قال الى يوم الدين (قوله والفاء متعلقة بمحذوف) تقديره اذا جعلتنى رجماً ملعوناً الى يوم القيامة فانظرنى طلب ان يبقه الله تعالى الى يوم البعث وهو يوم القيامة عند يأسه من سعادة الآخرة اى طلب اصل الانظار ليجد فسحة في الاغواء وطلب كون الانظار المطلوب منتهياً الى يوم البعث لتلايموت لعله بان لا يموت احد يوم الحشر فانظره الله تعالى الى يوم الوقت الذى سمي وعين عند الله تعالى حلول اجله فيه ولم يبين ذلك الوقت ولم يطلع عليه الا ترى

(الابليس) ان جعل منقطعاً اتصل به قوله (ابى ان يكون مع الساجدين) اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلاً كان استئنافاً على انه جواب سائل قال هلا سجد (قال يا ابليس مالك ان لا تكون) اى عرض لك في ان لا تكون (مع الساجدين) لا دم (قال لم اكن لا سجد) اللام لتأكيد التثنية اى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد (لبشر) جسماني كشيء وانما ملك روحاني (خلقت من صلصال من حاء مسنون) وهو اخس العناصر وخلقته من نار وهو اسرف فيها استقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء والجنة اوزمى الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد رجم بالخر اوشيطان رجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسب عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضرب بها الناس اولاً انه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فانظرنى) فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يعثون) اراد ان يسجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى

الى قوله حكاية عنه واني جار لكم فلمات الشتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني اري ما لاترون اني
 اخاف الله فاخبرته الى انه يخاف الله ولوبين له الوقت المعلوم لكن لا يخاف هلاكه قبل ذلك وقيل الوقت المعلوم هو
 الوقت الذي عين في علم الله تعالى انقراض الناس كلهم فيه وهو وقت النسخة الاولى على ما روى انه اذا نضجت النسخة
 الاولى مات الخلائق كلهم ومات ابليس معهم (قول له لما عرفت) اي من ان حكمة الخشر ان تجازي الخلائق باعمالهم
 ان خيرا فخير وان شرا فشر (قول له وثانيا يوم البعث) لكونه صلاحا لان يكتفى به عن مقصود العين وهو ان يكون
 الانظار الى وقت انقطاع التكليف وحصول اليأس من اغواء بني آدم وتضليلهم ولا شك ان يوم البعث يقتل منه
 الذهن الى الوقت المذكور فبعد عن ذلك الوقت لهذا الاعتبار وعبر عنه ثالثا بالمعلوم لانه لم يذكر في كلامه تعالى
 يوم الدين وفي كلام الامين يوم يعثرون صار معلوما معينا ولما ورد ان يقال كونه منظر الى يوم القيامة يستلزم
 ان لا يموت ابدا لانه لا يموت بعد يوم البعث اشار الى جوابه بقوله فاعله يموت اول اليوم لاني اثبتته والذي يقرر
 انتفاؤه هو الموت في اثناء ذلك اليوم لاني اوله الذي الجزاء ينتهي اليه (قول له وهذه الخطابة الخ) جواب عما يقال
 ظاهرا لا يبدل على انه تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وهو من اعظم المناصب واسرف المراتب فلا يليق من هو
 رأس الكفرة ورؤسهم وتقرير الجواب ان مكالمته الله تعالى بغير واسطة انما تكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل
 الاكرام والاعظام واما اذا كان على سبيل الاهانة والاذلال فلا (قول له والمعنى اقسام باغواءك) ونظيره قوله
 تعالى حكاية عنه فمترك لا غوينهم اجمعين الا انه في هذا الموضع اقسام بعز الله وهي من صفات الذات وفي قوله
 فبما اغويني اقسام باغواء الله وهو من صفات الفعل والنفهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واما القسم بصفات
 الافعال فقد اختلفوا فيه ذكر في شرح الواقي قال العراقيون الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة
 والجلال والكبرياء عين وبصفات الفعل كالرجعة والسخط والغضب والرضى ليس بين وصفة الذات ما لا يجوز
 ان يوصف بضده وصفة الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فانه تعالى يرضى بالايان ولا يرضى بالكفر ثم قال الشارح
 والمذهب عندنا ان صفات الله تعالى لا هو ولا غيره وكلها قديمة فلا يستقيم الفرق (قول له لا زين لهم المعاصي
 في الدنيا) اشارة الى ان مفعول لا زين محذوف وهو المعاصي وعدى الفعل بفي بناء على ان يراد بالارض جهة
 السفلى وهي الدنيا كما في قوله تعالى اخلد الى الارض اي ركن الى الدنيا (قول له والمعتزلة) فانهم لما ابوا عن
 القول بانه تعالى يحدث الغواية والضلال في البدن على ما زعموا من ان بعض الافعال قبيح في حقه تعالى اولوا
 قوله اغويني بقوله لهم نسبتني الى الغي وسميتني بذلك او بكونه تعالى سببا لغيه فانه تعالى لما امره بالسجود
 وافضى ذلك الى غيه بالاياه عن السجود كان له تعالى مدخل في غيه فاستدلوا باغواء الله تعالى على طريق اسناد
 الفعل الى السبب فانظر الى ابليس علم انه تعالى هو الذي يخلق فعل الغواية والضلال فيمن يختاره لذلك ولم تعلم المعتزلة
 ذلك وايضا اولوا الاغواء بالاضلال عن طريق الجنة اي ان اضللتني عن طريق الجنة اضللتهم انا بالدعاء الى المعصية
 وضعف هذا التأويل لانه لما اقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن رحمة الله تعالى وايضا لما توجه عليهم
 ان قوله انك من المنظرين مخالف لمذهبهم لانه لما سأل من الله تعالى هذا النهر الطويل لزيادة الكفر والمعصية
 وبسبب تلك الزيادة يراد استحقاقه لانواع العذاب والتعذيب كان هذا الامهال سببا لزيد عذابه وذلك يدل على
 انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعذاب من يتبعه لانه تعالى امهله تلك المدة الطويلة لئلا يعلم بانه لا يتفاوت حاله
 ولا حال من يتبعه في الاستحقاق للعذاب الشديد بالكفر والضلال ويموت على الكفر ويخلد في العذاب الشديد
 فلا يكون امهاله الا مزيدا لتعذيبهم ويدل على ضعفه الدلائل الثبوتية والعقلية اما الثبوتية فخل قوله فازلهما
 الشيطان وقوله فلا يخرجكما من الجنة فتشقى فانه يدل على ان للشيطان مدخلا وسببية في تلك الافعال
 واما الدليل العقلي فان بدهة العقل شاهدته بانه ليس حال من اتلى محاولة شخص رغبته ابدافى القابض ونفرتة عن
 الخيرات مثل حال شخص كان حاله على ضده حاله فظهر بهذه الدلائل ان القول بعدم تفاوت الحال بين وجود
 اغواء الشيطان وامهاله وعدم ذلك وبين وجود وسوسته وعدمها ضعيف وان ليس للمعتزلة اعتذار يعتد به
 (قول له ولا جلتهم) اشارة الى ان اسناد الاغواء اليه من قبيل اسناد الفعل الى سببه الحامل واستثنى
 المخلصين لانه علم ان كيد لا يعمل فيهم وانهم لا يتقبلون منه فلولا يذكر الاستثناء لكان كاذبا في قوله فابليس مع كونه
 ابليس لما احتذر عن الكذب ظهر ان الكذب في غاية الخبث بحيث لا يرضى به سعيد ولا شقي ثم ان ابليس لما استثنى

(قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى
 فيه اجلاك عند الله وانقراض الناس كلهم وهو
 النسخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام
 الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف
 الاعتبارات فبعد عنه اولا يوم الجزاء لما عرفت وثانيا
 يوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
 واليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين
 ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فاعله يموت اول اليوم
 ويبحث الخلائق في تضاعيفه وهذه الخطابة وان لم تكن
 بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب
 الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال (قال
 رب بما اغويني) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه
 (لا زين لهم في الارض) والمعنى اقسام باغواءك
 اياي لا زين لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور
 كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله
 تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء
 بالنسبة الى الغي او التسبب له بامر اياه بالسجود
 لا دم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة
 واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب زيادة غيه
 وتسلطه له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه
 وعن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصبرون الى النار
 امهل اوليهم وان في امهاله تعريضا بمن خالفه
 لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي
 الالباب (ولا غوينهم اجمعين) ولا جلتهم اجمعين
 على الغواية (الاعبادك منهم المخلصين) اخلصتهم
 اطاعتك وطهرتهم من السوائف فلا يعمل فيهم كيدى
 وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والكسري في كل
 القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله

المخلصين من الغاوين ياغواؤه قال تعالى هذا الإشارة الى الاخلاص المدلول عليه بلفظ المخلصين صراط على مستقيم من سلكه يمر على اى على مر ضاقي وفضل وحسنى ومن مر على مر ضاقي فكأنه مر على وقيل على ههنا بمعنى الى والمعنى انه اشارة الى ما استشاء ابليس وهوانه لا يغوى عباده المخلصين وهم الذين لا يختارون اتباع ابليس فيكون على متعلقا بمحذوف وهو حق ويكون استقامته كشاية عن عدم الانحراف عن الحق وقرئ على بالرفع على انه صفة لقوله صراط (قوله تصديق لابليس) صدقه الله تعالى في قوله الاعبادك منهم المخلصين وبين انه لا يقدر على اغواء المخلصين الا انه تعالى غير الوضع بان جعل ما استشاء ابليس مستثنى منه على غير الوضع الذى استشاء ابليس فان الاضافة في قوله الاعبادك لتعريف الجنس وفي قوله تعالى ان عبادى لتسريف المخلصين بانما قسمهم الى نفسه والمصنف جعل الاستثناء متصلا بان جعل قوله تعالى ان عبادى بجنس العباد فيكون المستثنى داخلا في جنس المستثنى منه وقال جعل وضع ماورد بتصديق قول ابليس معيار الوضع ابليس لان ابليس استثنى من جنس العباد المخلصين وهو تعالى استثنى منه الغاوين لثانيتين الاولى لتعظيم المخلصين لانهم هم الباقون بعد الاستثناء فهم الاحقاء لان ببرعهم بلفظ عبادى والثانية ان المقصود اتمامهم بهذا الوضع فعلى هذا يكون قوله تعالى الامن اتبعك بمعنى لكن من اتبعك لعدم دخول متبى ابليس في المخلصين وان كان انما يحصل بتغيير الوضع وجعل التعريف للعهد (قوله) او تكذب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص (فان قول ابليس لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين يوهى ان له سلطانا على عباد الله تعالى غير المخلصين لانهم هم الباقون بعد استثناء المخلصين فعبثوا بذلك لان يكونوا متعلقا اغوائهم في قوله لاغوينهم وهو يوهى ان يكون له سلطان على اغوائهم فكذب الله تعالى حيث بين بهذه الآية انه ليس له سلطان عليهم ثم استدرك فقال لكن من اتبعك منهم باختياره فهو من الغاوين الا ان اغوائته ليس لاجل ان ابليس يقهره على تلك المتابعة ويجبره عليها بل هو مختار في ذلك كما قال تعالى حكاية عنه وما كانى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فظهر بهذا التقرير كون استثناء الامن اتبعك منقطعاً لان اتباع ابليس لا يخرجون باتباعهم اياه عن كونهم موصوفين بان ليس الشيطان سلطان عليهم ويمكن ان يجعل الاستثناء متصلاً بان يحمل العباد في قوله تعالى ان عبادى على العموم من المطيعين والعصاة ويكون السلطان بمعنى التمكّن والوسوسة والدعوة الى الضلال (قوله وعلى الاول) اى على ان تكون الآية تصديقا لابليس وتوضيح القام يتوقف على بسط الكلام فاعلم ان الاصوليين اتفقوا على ان الشرط في الاستثناء المتصل ان لا يكون المستثنى مستغرقا للمستثنى منه فيبطل ان يقال مثلا على خمسة الاخسة لانه يفضى الى الغلو وشرط الخاتبة مع ذلك ان لا يزيد المستثنى على نصف المستثنى منه وقالوا لا يصح نحو ان يقال له على عشرة الاستد و يصح الاخسة وشرط القاضي ابو بكر ان ينقص المستثنى عن نصف المستثنى منه فلا يصح على عشرة الاخسة ويصح الاربعة واحتج على مذهبه بان قال القياس يقتضى ان لا يصح الاستثناء اصلاً لان الحكم على المستثنى منه يتناول جميع ما يندرج تحته وذكر الاستثناء بعده بمنزلة الإنكار بعد الاعتراف الا انه خولف هذا القياس فيما اذا كان المستثنى اقل لمعنى لم يوجد فيما اذا كان مساوياً او اكثر وهو ان اقل قد ينسب لعدم الاعتداد وقلة الثقات النفس اليه فيستدرك بالاستثناء فلم يلزم من صحة استثناء الاقل صحة استثناء الاكثر والمساوى وقوله تعالى الامن اتبعك ان جعل مستثنى متصلاً من جنس العباد واراد تصديق ابليس في قوله لاغوين عبادك الا المخلصين لزم اندفاع ما ذهب اليه القاضي من وجوب كون المستثنى اقل من الباقي ووجه اندفاعه كونه مفضيا الى ان يكون كل واحد من المخلصين واغواين اقل من الآخر وذلك لان استثناء المخلصين من جنس العباد في قوله لاغوين عبادك يستلزم ان يكون المخلصين اقل من الغاوين واستثناء الغاوين من جنس العباد في قوله تعالى الامن اتبعك يستلزم ان يكون الغاوين اقل من المخلصين فيكون كل واحد منهما اقل بما هو اقل من نفسه فيكون كل واحد منهما اقل من نفسه بدرجتين وما هو الا تناقص و باطل (قوله احوال) اى من الضمير في موعدهم وهذا على رأى من يجوز الحال من المضاف اليه فان جعلت الموعده مصدرًا يجوز ان يعمل في الحال الا انه لابد من حذف مضاف اى مكان موعدهم لان جهنم ليست نفس المعنى المصدري وان جعلت الموعده اسم مكان لا يحتاج الى تقدير المضاف الا ان اسم المكان لا يعمل في حيث يكون العامل في الحال معنى الاضافة (قوله) او طبقات يزلونها) يعنى اختلف في ان المراد بابواب جهنم ما هو قليل لها سبع طبقات بعضها اسفل من

(قال هذا صراط على) حق على ان ارا عيه (مستقيم) لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق على يوردي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ على من علو الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استشاء وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع محالب الشيطان عنهم وتكذيبه فيما اوهى ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزينه التحريض والتدليس كما قال وما كانى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً على الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين (وان جهنم لم وعدهم) لم وعد الغاوين او المتبعين (اجمعين) تأكيد للضمير احوال والعامل فيها الموعده ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل (لهما سبعة ابواب) يدخلون منها اكثر منهم او طبقات يزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطسة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لا تحصر جميع المهلكات في الزكون الى المحسوسات ومما بعد القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق

بعض وتسمى تلك الطبقات بالدرجات ويدل على كونها كذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وقيل ان اهل النار سبع فرق لكل فرقة باب معين وقد فصل المصنف اسامي طبقات النار فقال اولها جهنم ثم لطى ثم
سقر ثم الخطة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية وقال الضحاك الطبقة الاولى فيها اهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم
ثم يخرجون والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصائين والخامسة للنجوس والسادسة للمشركين
والسابعة للمنافقين وهو قوله تعالى لكل باب منهم جزء مقسوم اى صنف او جنس جزء مقسوم اى حظ معين معلوم
اول كل منزل وطبقة جزء كائن من اهل النار على ان قوله منهم حال من جزء لانه في الاصل صفته فلما قدم عليه
انصب حالا وعلى الاول يكون منهم حالا من الضمير المستقر في قوله لكل باب والعامل في هذه الحال ما هو العامل
في هذا الجار والجور ولا يجوز ان يكون منهم حالا من المستكن في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف
وقوله لها سبعة ابواب يجوز ان يكون جله مستأنفة وهو الظاهر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا قيل جهنم من قول
العرب برب جهنم اى بدة القعر وظل من التلطي وهو التوقد والحطمة من الحطم وهو الكسر لانها تحطم عظام
الكفار اى تكسرها وسقرا لانه يذيب عظامهم ولحومهم يقال سقرته الشمس وسقرته اى اذنته والسعير لانها سعرت
اى التهب والجحيم لانها نار عظيمة وهاوية لانها عوى بهم اى تسقطهم (قوله وقرأ ابو بكر جزء بالتثنية) اى بضعتين
والباقون بسكون الزاى ثم انه تعالى لما شرح احوال العقاب اتبعه بيان احوال الثواب فقال ان المتقين في جنات
وقد مر ان التقوى لها ثلاث مراتب الاولى تقوى عامة المؤمنين وهى القوى عن العذاب المخلد بامر من السر
والثانية تقوى الخواص وهو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك والثالثة تقوى اخص الخواص وهو التزهد عن
كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشرائعه والمصنف حل التقوى المذكورة ههنا على المرتبة الثانية منها
حيث قال المتقين من اتباع ابليس في الكفر والفواحش لكون الحمل المذكور انصب بهذا المقام لما مر ان الناس
فريقان المخلصون والغاؤون وان جهنم مقسومة سبعة اقسام وان الدركة الاولى منها لعصاة المؤمنين يعذبون فيها
بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها فاذا لا بد من تفسير المتقين في هذا المقام بما يميزون به عن الغاوين الذين قيل في حقهم
وان جهنم لم يعد لهم اجمعين لكل طبقة منها صنف معين من الغاوين حتى يكون المتقون مقابلا للغاوين ومرا دفا
للمخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وطهرهم من شوائب معصيته وغاية ما في الباب انه لا يعلم من هذه الآية
خروج عصاة المؤمنين من النار ودخولهم في الجنة بالآخرة ولا محذور لكونه يعلم من نصوص آخره وقال جمهور
المعتزلة القائلين بوجود عقاب الكبار وخلودهم في النار المتقون هم الذين اتقوا جميع المعاصي لانه اسم
مدح فلا يشاؤن الامن يكون كذلك وقال جمهور الصحابة والتابعين وهو النقول عن ابن عباس ان المتقين هم الذين
اتقوا لشرك والكفر بالله تعالى ووجهه ان المتقين من اتصف بالتقوى في الجملة وليس من شرط الاتصاف بها ان يكون
الشخص آتيا بجميع انواع التقوى وكان القياس ان يصح توصيف الشخص بانه متق بمجرد كونه آتيا بنوع من
انواع التقوى اذ نوع كان الا ان الامة اجمعا على ان التقوى عن الكفر شرط في صحة الحكم بانه في جنات فوجب
ان يعتبر في التقوى خصوص الاتقاء عن الكفر وقد تقرر ان تحقق سبب من انواع التقوى في الشخص يكفي
في وصفه بانه متق فلا يترتب في توصيف الشخص بالتقوى ان يتحقق فيدش في الاتقاء عن الكفر هذا كلام
الامام ولا ينبغي ان يس الكلام في كفاية تحقق الاتقاء عن الشرك في صحة التوصيف بانه متق بل الكلام في رعاية
النسبة للمقام وهى تقتضى اعتبار التقوى عن سائر الكبار ايضا فلذلك حل التقوى في هذا المقام على المرتبة
الثانية منها (قوله اول كل عدة منهما) فيكون لكل واحد اربع جنات بمقتضى الآيتين واربعة اعمار بمقتضى
قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشارب وانهار من عسل مصفى هذا على تقدير ان تكون العيون المذكورة بقوله في جنات وعيون الانهار
المذكورة في هذه الآية ويشتمل ان يكون المراد من هذه العيون منابع مغيرة لتلك الانهار ثم انه يشتمل ان يكون
كل واحد من المتقين له عون تخصصه ويتفجع بها هو وكل من في حمايته من الحور والولدان ويشتمل ايضا ان تجري تلك
العيون من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون عن الحقد والحسد (قوله على ارادة القول) ان يقال لاهل الجنة
ادخلوها ويشتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ويشتمل ان يكون بعض الملائكة فان قيل قد حكم الله تعالى بان
المتقين في جنات وعيون واذا كانوا فيها كيف يمكن ان يقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الافات قلنا يمكن ان

(لكل باب منهم) من الاتباع (جزء مقسوم) افرزاه
فاعلاها للوحدين العصاة والثاني لليهود والثالث
لنصارى والرابع للصائين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر
جزء بالتثنية وقرئ جز على حذف التهمة والقاء
حركتها على اراى ثم الوقف عليه بالتسديد ثم اجراء
الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن
في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم
موصوفها (ان المتقين) من اتباعه في الكفر
والفواحش فان غيرها مكفرة (في جنات وعيون)
لكل واحد جنة وعين اول كل عدة منها كقوله ولان
خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان
وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء
غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام
وعيون بضم العين حيث وقع والباقيون بكسر العين
(ادخلوها) على ارادة القول

وقرى بقطع الهمة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التوين (بسلام) سالمين او مسلما عليكم (آتين) من الآفات والزوال (وترعنا) في الدنيا بما الف
(١٥٨)

بين قلوبهم اوفى الجنة تطيب نفوسهم (ما في صدورهم من غل) من حقد كان في الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه ارجوان اكون انا و عثمان وطلحة والزبير منهم او من التماسد على درجات الجنة ومرايب القرب (اخوانا) حال من الضيق في جنات اوقاف اذ دخلوها او الضيق في آئين او الضيق المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافه وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز ان يكونا صفتين لاحوانا او حالين من صميمه لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقرى على سرر (لا يسم فيهما نصب) استئناف او حال بعد حال او حال من الضيق في متقابلين (وما هم منها بخيرين فان تمام النعمة بالخلود) نبي عبادى انا العافور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) فذلك ما سبق من الوعد والوعيد وتقريره وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من تقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبي عبادى تحقيق لهما بما يتبرون به (اذ دخلوا عليه فقلوا سلاما) اى نسل عليك سلاما او سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولا نهم امتعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما نكره (قالوا لا توجل) وقرى لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا توجل من واجله بمعنى اوجه (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ آية نبشركم بالبشر (بسلام) هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرنا بها اسحق (عليه السلام) اذ بلغ (قال أأبشر عوى على ان مسنى الكبر) تعجب من ان يولد له مع مس الكبرياء وانكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة وكذلك قوله (فبم تبشرون) اى فبأى العجوبة تبشرون اوفئى سنى تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشاره غيبتى وقرأ ابن كثير بكسر التون مستددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استنقالا لاجتماع المثلين ودلالة لبقاء نون الوقاية على الباء (قالوا بئسنا الخلق) بما يكون لا محالة اوبالقيتين الذى لا لبس فيداو وطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وامره (فلانكن من القانطين) من الايسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان ويجوز عاقر وكان استجاب ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقطع من رحمة ربه الا الضالون) اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقطع بالكسر وقرى بالضم وما ضيقها قطع بالفتح

يقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات في الحال مع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها وبسلام حال اى ملتبس بالسلامة او مسلما عليكم وآتين حال اخرى بدل من الاولى بدل الكل والا لاثقال لان الامن مستعمل على السلامة او بالعكس (قوله وقرى بقطع الهمة) اى مضومة على ايه ماض مبنى للمفعول يعنى اى العامة على وصل الهمة على انه امر من دخل يدخل وحينئذ يجوز كسرتوين عيون لالتقاء الساكنين ويجوز ضمها ايضا بالقاء ضمة الهمة على التوين وحذف الهمة حال الوصل وعلى تقدير اى قرأ بقطع الهمة لا يجوز كسر التوين لانه لم يكن ساكنا ويجوز ضمها بالقاء ضمة الهمة عليه واسقاط الهمة اجراء لها بجري همة الوصل فى الاسقاط (قوله وترعنا فى الدنيا بما الف بين قلوبهم) بان اتفقوا على ما يقتضيه الاسلام من الاخلاق الحسنة والافعال المرضية بعد ما كانوا عليه من الكفر وخصائل الجاهلية من اتباع الشهوة والغضب كما قال تعالى فاصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفاخرة من النار بسبب احدثكم على الكفر والاحوال المناسبة له كانه قيل ان المتقين فى جنات بسبب انما طهرنا قلوبهم فى الدين من الكفر وما يناسبهم من الكدورات الطبيعية والمسلكات الرديئة (قوله ارفى الجنة) بان نسي الله تعالى ما كان بينهم من الجفاء والعقوق لان ذكر الجفاء والمخالفة ينقص النعم التى فى الجنة فيجتمعون فيها على التلذذ والنعم بنعيمها مع صفاء القلوب يروى ان المؤمنين يجلسون على باب الجنة فية قص بعضهم من بعض ثم يرميهم الى الجنة وقد تقي الله قلوبهم من الغل والغش والخدع والحد والسرور عتبت والاسرة جمع سرور قيل انه مجلس رفيع مهيا للسرور فهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور روى ان كل سرير مثل صنعاء الى الجابية (قوله لانه بمعنى متصافين) وبأوبل الجاهل بالشتق البعيد منه لا يخلو عن بعد (قوله تحقق لهما بما يتبرون به) فانه تعالى لما ذكر ان ضيف ابراهيم بشره بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من عذاب الاستئصال واعلانا لآخرين على اسوء الاحوال كان ذلك تحقيقا وتقريرا لما قبله من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم فى حق الكفار والضيف فى الاصل مصدر ضاف بضيف اذا اتى انسا نا طلب القرى ثم سمي به واطلق على الملائكة ضيفا مع امتاعهم من الاكل وطلب القرى من حيث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ظنهم اضيا فالدخلهم عليه على صورة الاضياف (قوله تعالى اذ دخلوا) فيه وجهان احدهما انه مفعول به فعمل مقدر اى اذ كان دخلوا والثانى انه ظرف محذوف اى اذ كثر خبر ضيفه اذ دخلوا او ظرف لنفس ضيف بناء على انه كان فى الاصل مصدرا فاعتبر ذلك فيه ويدل على اعتبار مصدره بعد جملة اسماء وصفهم به وعدم مطابقتها لما قبله بثبوت وجعواو اثباتى الاغلب (قوله اولانهم امتعوا من الاكل) فانه قد كانت عادتهم انه اذا اكل من يطرقهم طعمهم امنوا والاخافوا (قوله وقرى لا تاجل) العامة على قبحه توجل من وجل يوجل كشر يشرب وقرى لا تاجل والاصل لا توجل كقراءة العامة الا انه قلبت الواو الفالانشاح ما قبلها وان لم تكن هى متحركة كقولهم ثابه وصامه فى ثوبه وصومعه وسمع اللهم تقبل تاتى وصامى وقرى ايضا لا توجل مبني للمفعول من الايجاب وقرى لا توجل ايضا (قوله وقرأ آية نبشرك) اى بفتح النون وسكون الباء من بشرت الرجل بشره بشرا وبشورا من الشرى فالبشر والابشار والتبشير ثلاث لغات وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء من التبشير بشروهم بامر من احدهما ان الواد ذكر والثانى انه علم واطلقوا فى تفسير العلم فقيل بشروهم بذوته وقيل بشروهم بانه علم بالدين وما يتعلق به (قوله نجب او اسكر الخ) اذ لا محل لجه على الاستفهام حقيقة اذ لا وجه للاستفهام بمدان قالوا انا نبشرك بسلام عليهم وكذا الوجه للاستفهام عن البشر به بعد ما يئونه بانه غلام عليم فلذلك حل الاستفهام على التعجب والانكار والباء صلة تبشرون كفى قولك بشرته بقدم زيد ويجوز ان لا تكون صلة تبشرون بل تكون كالباء فى قوله عز ربنا بسوط والمعنى باى طريقة تبشروننى بالولد اى يحصل ذلك منى حال كونى باقيا على صفة الشيخوخة اى اصير وانقلب الى الشباب ثم يحصل الولد منى وكل ذلك بعيد بحسب العادة وامر عجيب وكذا قوله بالحق يثبت ان تكون الباء فيه صلة اى بشرناك بطريقة هى حق وهى ان يحصل الولد منك حال بقائك على صفة الشيخوخة التامة بفعل الله تعالى وامره فانه تعالى قادر على ان يولد من غير ابوين فكيف من شيخ ويجوز عاقر والقنوط اليأس من الخيرو قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن يقطع من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة فظنت الملائكة ان به قنوطا فى عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة ربه ضال جامل والاستفهام فى قوله ومن يقطع من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا لانه

(بمعنى)

يعنى اننى ولذلك وقع بعده الاستجاب بالا (قولده ولعله علم الخ) جواب عمايقا الملائكة لما بشروه بعلام عليهم
تبيين غرضهم من المجيئ بكيف سأل عليه الصلوة والسلام بعد ذلك بقوله فاخطبكم (قولده ويدل عليه) اى على
ان ارسال الملائكة الى الجرمين لاجل اهلاكهم الاستئناف بقوله انا لنجوههم اجمعين فانه لما قيل انا ارسلنا الى قوم
اجرم كلهم الا آل لوط منهم توجد ان يقال فاحال آل لوط فقالوا انا لنجوههم فانه صريح في ان المقصود من ذلك
الارسال اهلاك القوم الجرمين (قولده لاختلاف الحكمين) فان آل لوط مستثنى من حكم الاجرام وامرأة
مستثنى من حكم النجبة والاستثناء من الاستثناء لا يصح الا فيما اتحد الحكم فيه مثل ان يقال اهلكناهم الا آل لوط
الامرأة وما نحن فيه ليس كذلك الا ان يجعل انا لنجوههم معترضة بين الاستثناء الثانى والاول فتدل عن صاحب
التقرير انه قال وقد يتوهم من الارسال اذا كان بمعنى الاحلاك انه لاختلاف اذا التقدير الا آل لوط لم يهلكهم
فهو بمعنى نجوهم وجوابه ان الاستثناء من متعدد يصلح مستثنى منه ان كان متصلا بما قبله ودهنا تخلل
انا لنجوههم فلوقال الا آل لوط الامر أنه لجواز ذلك قال الطيبي قلت لاسيما ان قوله انا لنجوههم على تقدير
ان يكون الاستثناء متصلا بجملة مقطعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل فيبعد من البلغ ان يجعل ما في خبره
متعلقا بما قبله وقوله جملة مقطعة خبر قوله ان قوله الخ وقال صاحب الكشاف قوله انما يكون فيما اتحد الحكم
اى شخصا وعددا فلا يراد ان الارسال اذا كان بمعنى الاحلاك كان قوله انا لنجوههم وقوله الا آل لوط في معنى
واحد واخر الاستثناء من اول في المعنى وانما شرط الاستناد اذا اتصل كاسم واحد ولا يجوز تخلل جملة بين العضا
وحالها ولا كذلك في المقطع (قولده وانما علق) ودليل تعليقه ان قوله انها لمن الغابرين في موضع المفعول لقد رنا
والمعنى قضينا انها تخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك مع الهالكين فلما كسرت ان مع وقوعها في خبر المفعول
علمنا ان الفعل قبلها معلق بمعبده فان ان المكسورة من المعلقات اذا كان قهها ممنوعا وذلك اذا جاء في خبرها
لام الابتداء نحو علمت ان زيد قائم فان لام الابتداء لا تدخل الامع المكسورة واما اذا تجردت ان عن الام فانها
لا تعلق وجاز قهها وجعلها معمولة للفعل واصل الكلام قدرنا هاهنا من الغابرين ثم جيء بلام الابتداء فصارت قدرنا هاهنا
من الغابرين ثم جيء بان فاخر لام الابتداء الى الخبر وقيل قدرنا هاهنا من الغابرين ومعنى التقدير جعل الشيء على
مقدار غيره يقال قدر هذا الشيء بهذا اى جعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية
ويستعمل في معنى القضاء يقال قدر الله عليه اى قضى عليه بذلك قضاء كائنا على قدر ما تقتضيه الحكمة وقيل
قدرنا بمعنى كتبنا وقيل بمعنى قدرنا فان قيل لم اسند الملائكة التقدير الى انفسهم مع انه تعالى تعالى فالجواب
انهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خواص الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا
والمدير والامر هو الملك لاهم وانما سير يدون هذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هذا
(قولده لتضمنه معنى العلم) فان تقدير الشيء بغيره على علم به ويستلزمه فاعول معاملة العلم في التعليق بسبب
تلك العلاقة والمعتزلة يفسرون تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم بها ويجحدون القضاء واقدر لا متا عنهم
عن القول بتعلق قدرة الله تعالى بالمعاني والتقدير عندهم هو العلم بالارادة (قولده مخافة ان تطرقوا بشر)
وذلك لان الملائكة كانوا على صورة شبان مردحسان الوجوه فحذف ان يهجم قوم مدعليهم بقتة بسبب طلبهم فقال
هذه الكلمة لذلك ويحتمل ان يكون المراد بقوله انكم قوم منكرون انى لا اعرفكم ولا اعرف انكم من الاقوام
ولاى غرض دختهم على وذلك لان النكرة ضد المعرفة الا ان قولهم بل جئناك يدل عن المقول المحذوف والتقدير
ما ذكره (قولده فاسر بوصل الهمزة) يقال سريت اسرى سري واسريت وسمعتكنا بمعنى واحداى سريت ليا
(قولده وقيل في آخره) كلمة في ههنا مستدركة لان انقطع آخر الال في آخره الجوهرى القطع طمة آخر الال
ومنه قوله تعالى فاسر بواعلك بقطع من الليل وقال الاخفش بسواد من الليل ثم اورد قول الساعر

افتح الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهم

اى كم علينا من آخر الليل المنام كائن القائل طال عليه الليل فتعاطب نفسه اوحبته بذلك او كان يحب طوله للوصال
فقال له ذلك والهم المظلم الذى لا يخالطه سوى لونه يتقاسم بهم اى مضمت وهو الذى لا يخالط لونه سوى
سوى لونه (قولده تذودهم) اى تسوقهم ليكون مسيره مسير الهارب الذى يقدم اهله حال فراره ويغوث بهم
عما وراء من المكروه وتسرع بهم اهتماما لامر خلاصهم بانقاذهم قبل ان ينجأ الصبح وينزل العذاب ومسارعة

(قال فاخطبكم ايه الرسولون) اى فاشأبكم الذى
ارسالتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كان المقصود
ليس البشارة لانهم كانوا عددا وبشارة
لا يحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة
ذكرىا ومرىم اولانهم بشروه في قضا عيب الخال
لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا يتبدأ بها
(قالوا انا ارسلنا الى قوم جرمين) يعنى قوم لوط
(الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان مقطعا
اذا القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير
في جرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين
للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا
الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم انهلك الجرمين
ونجى آل لوط ويدل عليه قوله (انا لنجوههم اجمعين)
اى ممانعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء
ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع
وعلى هذا جاز ان يكون قوله (الامرأة) استثناء
من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون
الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل
انا لنجوههم اعتراضا وقرأ حمزة والسكاكى لنجوههم
مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقي مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا ههنا
وفى النمل بالتحفيف وانما علق والتعليق من خواص
افعال القلوب لتضمنه معنى اعلم ويشجوز ان يكون
قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء
قول واصله جعل الشيء على مقدار غير واسنادهم
اياها الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب
والاختصاص به (فلما جاء آل لوط الرسولون قال انكم قوم
منكرون) تكرم نفسى وتفرغ عنكم مخافة ان تطرقوا
بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ما
جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك وبشيئ لك
من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيتزون
فيه (وايتناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا
لصادقون) فيما اخبرناك به (فاسر باهلك)
فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة
من السرى وهما بمعنى قرئ سر من السرى (بقطع
من الليل) في طاعة من الليل وقيل في آخره قال شعر

افتح الباب وانظري في النجوم

كم علينا من قطع ليل بهم

(واتبع أديارهم) وكفى على اثمهم تذودهم

وتسرع بهم وتطلع على حالهم

معصيته كما نزل به قوم لوط وهذا اكرجل يذكر قصة قوم خرجوا على السلطان فاخذوا ووقلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يسمعه قوم مثلهم فقلوا كذلك ولم يعاقبوا بعد قال قيل تمام القصة اسمع فان هؤلاء في غفلة لا يدرون ماذا يحل بهم ثم يعود الى تمام القصة (قوله وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام) ضعفه ظاهر لانه ليس في الآية ما يدل على ان تلك الصيحة صيحة جبريل وان ثبت بالدليل المقوى لذت قيل به والا فليس في الآية الا ما يدل على انه جاءتهم صيحة عذبية مهلكة وانه تعالى عذبهم بثلاثة انواع من اعداب احدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها ما ذكره بقوله فجعلنا االيها سافلهما وثالثها قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقوله مشرقين حال من مقعول احدهم وشروق الشمس طلوعها يقال شروق بشروق وشروق لكل ما طلع من جاب اشرق واشرفت الشمس اي اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وكان تمامه حين اشرقوا فلذلك قال اولاً ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين (قوله ثابت) تفسير لقوله مقيم والمعنى ان مدينة قوم لوط بطريق ثابت لا يندرس ولا يخفى يسلكه من يسافر من الحجاز الى السام والمقصود ان الاعتبار بهما يمكن (قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين بالله ورسله) فان كل من آمن بالله ورسله عرف ان ما ذكر انما كان من الله تعالى انتقاما لانبيائه من اولئك الجهال واما الذين لا يؤمنون بالله ورسله فانهم يحسمون ذلك على حوادث اله الموقاة وحصول القرانات الكواكبية والاتصالات الفلكية ذكر الله تعالى اولاً وان فيما ذكر من هذه القصة آيات للمؤمنين ولم يبين انه من اي جهة يكون فيه آيات لهم وذلك يحتمل وجوها الاول هو ان قوله ان في ذلك لاية يدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام على ما كانت وهولم يشهدوا ولم يقرأ كتاباً ولم يخاطبوا اهل العلم والاخبار فكان ذلك آية على صدقه في دعوى الرسالة والثاني ان في هلاك من اهلك منهم ونجاة من نجاه منهم آية للمؤمنين لان من هلك منهم هلك بالكذب ومن نجى منهم نجى بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر العليم الحكيم وعلى حقيقة امر العثة والنوبة وحقيقة ما جاء به الانبياء والمرسلون من الشرائع والاحكام وقيل انما جمع الآيات للمؤمنين ووحدا لاية للمؤمنين بناء على ان لفظ ذلك اشارة الى وقوع القرية الهالكة بسبيل مقيم والله اعلم (قوله فاهلكوا بالظلمة) روى انه تعالى سلط عليهم الحرسعة ايام فبعث الله تعالى سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون منها الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة (قوله ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع) جواب عما يقال ان ثمودا كذبوا رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين وتقرير الجواب ان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعاء سائر الرسل اليه فاذا كذبوه صاروا كأنهم قد كذبوا الرسل جميعا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقيل الرسل من اوتي الكتاب بعد ان ظهر الحجارة وكل من لم يصدق هذا فقد عمى الكذب والارد (قوله ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه) بطريق تغليب صالح على امته المؤمنين (قوله او معجزاته) يحتمل انه تعالى اصطفاه آيات ومعجزات سوى الناقة وان لم تذكر في القرآن ويحتمل ان تكون الناقة وحدها آيات من حيث انها خرجت من الصخرة وتحركت الصخرة لخروجها ودنت ولادتها لسهبها من حين خروجها والسحب المذكور من ولد الناقة والابن سقبة ومن حيث انها ترد الماء يوما وترك يوما ومن حيث كثرة درها ولينها حتى كان يكفهم جميعهم ومن حيث انتصابها لهم حتى يحلبوها ومن حيث عظم خلقها حتى لم تسبها ناقة فلذلك كانت تصدر من طريق غير الطريق الذي وردت منه لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من امورها التي كل واحد منها آية على حدة وان كانت الايات عبارة عن الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر وازافة الناقة اليهم وان كانت الناقة لصالح لانها آيات رسولهم (قوله او من العذاب) كأنهم كانوا آمنين بما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح اثنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين وكانوا آمنين من انه يهلكهم وانما احتوا اعتمادا على حذاقهم في صنعة النحت قال تعالى وتحتون من الجبال بيوتا فارهين على ثأويل حاذقين (قوله الاخلاقا ملتبسا بالحق) اشارة الى ان قوله بالحق صفة مصدر محذوف وان الاستثناء مفرغ من اعم عام المصدر واشارة الى وجه ان نظام هذه الآية بما قبلها بما محصوره انه تعالى بين اولائه يهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر انه ما خلق الخلق عبثا مهملين عن التقيد بقيد التكليف حتى تعمل كل نفس ما تشتهي وانما خلقهم وها لهم اسباب معاشهم وبين لهم دلائل الرشد والهدى وما يؤدى الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم وحق احسانه اليهم ويشغلوا بشكره وطاعته

(فاخذتهم الصيحة) بمعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) على المدينة او على قراهم (سافلها) فصارت منقلبة بهم (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين تمحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم من يديان لهذه القصة في سورة هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) المتفكرين المتفرسين الذين يتنبئون في نظريهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسننه (وانها) وان المدينة او القرى (لبسيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان في ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسله (وان كان اصحاب الابكة لظالمين) هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيبة فبعث الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلمة والابكة الشجرة المتكاثفة (فاتقنوا منهم) بالاهلاك (وانها) يعنى سدوم والابكة وقيل الابكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر (لأمامين) لطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به اللوح ومطر البناء لانهما عما يؤتم به (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه (وآياتناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبتها وشرها وادها وما نصب لهم من الادلة (وكانوا يخشون من الجبال يوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقها او من العذاب لفراط غفاتهم او حسابهم ان الجبال تحميمهم منه (فاخذتهم الصيحة مصبحين) فاغنى عنهم ما كانوا يكسبون (من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد) وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق (الا خلقنا ملتبسا بالحق) لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة افسادهم من الارض

ويقفوزوا بالحسن والدولة العظمى يوم لقاءه فن اعرض عن النظر في ابدلائل الثبات واضر على الاستهزاء
بالحجج والآيات ورغب في ارتكاب المعاصي والسيئات فقد استحق لان يعاقب بانواع العقوبات فلذلك اهلك من
أرسيل الضلالات والجهايلات اخلاء لوجه الارض عن تلك الحالات ولم يكتف باهلاكهم بل اعد دار الجزاء ليتنعم
فيها من الاعدام ويتفضل فيها على الاولياء فان الدنيا ليست بدار الجزاء بل هي دار التكليف والابتلاء فلا بد من يوم
الدين والجزاء ليصل الى كل ذي حق حقه كما قال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليحزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط والذين كفروا لهم شراب من خيم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومهم رغب بعد ذلك في الصبح
عن سيئاتهم فقال فاصبح الصبح الجميل اى فاعرض عنهم واجتنب ما يتلى منهم اعراضا بجليل ملتسبا بجليل واغضدا
ولا تنكافئهم بما آذكرك قولا وفعل فان الساعة آتية فانا كافئهم عنك ووصف الصبح الجميل للدلالة على معنى ان
لا يترك لصحبهم ودعاهم الى الحق مع ذلك والصبح بهذا المعنى لا يقبل النسخ والذي يقبله هو الصبح بمعنى الاعراض
عن قتالهم وقيل هو منسوخ بآية النسخ وهو بعد لان المقصود من ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح
فكيف يصبر منسوخا فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالصفح في موضعه وبالقتال في موضعه (قوله او هو
الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم) عطف على قوله الذى خلقكم وخلة هم فالوجه الاول على تفسير الصبح بالمعارة
بالخلق الحسن في تبليغ الرسالة والصبر على ايادئهم بلسانهم وفعلهم في ثبات تكون الآية متعلقة بقوله وان الساعة
آتية والوجه الثانى مبني على تفسير الصبح بالاعراض عن قتالهم فتكون الآية حيث تدل على قوله فاصبح وقوله
وهو يصلح للقليل والكثير فان صيغة فاعل موضوعة لمن يقوم به الفعل على وجه الحدوث سواء كان متعلق بالفعل
واحد او كثير او صيغة فعال انما تطلق اذا كان متعلق بالفعل كثيرا ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومهم وامره بالصفح
الجميل تبعه بذكر ما خصه من النعم الجليلة لان الانسان اذا ذكر نعم الله عليه سهل عليه الصبح والتجاوز فقال ولقد
آتيك سبعاً من المثاني والسبع يحتمل ان يكون المراد منه سبع آيات او سبعاً من السور او سبعاً غيرهما من القوائد
وايسر في اللفظ ما يدل على التعيين والمثاني صيغة جمع واحدة امام شاة وهي موضع الثنى او مثنى اسم فاعل والتأنيث
لكونها صفة آية فان الآية انما تلي مكررة او هي مثنى كآتيك ثنى على الله بصفاته الحسنى على الاستاذ المجازى
او الاستعارة المكنية (قوله تعالى سبعاً من المثاني) مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التي هي موضع
التثني والتكرير او موضع الثناء والعطف والاشياء المثنى وهذا القهر مفهوم مجمل لا يستل الى تعيين المراد منه
الابدليل منفصل فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه فاتحة الكتاب وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرأ
فاتحة الكتاب وقال هي السبع المثاني ووجه التسمية بالسبع والمثاني لانها سبع آيات ولانها تلي في كل صلاة بمعنى
انها تقرأ في كل ركعة لانها تلي بما قرأ بعدها ولا يفتن ان نصفها ثناء ونصفها دعاء كما ورد في الحديث انه عليه
الصلاة والسلام قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة اى الفاتحة بيني وبين عبدتي نصفين الخ فان النصف الاول منها
حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء ولا نكلها مثنى مكررة بل الزجج الرحيم اليك
بعدوا اليك تستعين الصراط صراط عليهم لفظ غير وغير في قراءة عمر رضي الله عنه فانه قرأ أعبر المفضوب عليهم
وغير الضالين وقيل انها نزالت من بين مرة بمكة ومرة بالمدينة فلذلك سميت مثنى وقال الزجاج سميت الفاتحة
مثنى لاحتفالها على الثناء على الله تعالى وهو وحده الله تعالى وتوحيده وملكه ونحو ذلك وعلى تقدير ان يكون المراد
بقوله تعالى سبعاً من المثاني هو الفاتحة دلت الآية على ان هذه السورة التكرية افضل من سائر القرآن من وجهين
احدهما ان افرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لا بد ان يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة والثاني
انه تعالى لما نزلها من بين ذلك على زيادة فضلها وشرفها ويذل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام
لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وانه عليه الصلاة والسلام واطب على قراءتها في جميع الصلوات طول عمره وما قام
سورة اخرى مقامها في شيء من الصلوات وقيل المزد من السبع المثاني السبع الطول والطول جمع الطولى
تأنيث الاطول كالكبر جمع الكبرى تأنيث الاكبر وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام
والاعراف والانفال والتوبة وسميت هذه السور مثنى لانه تلي فيها حمد ودود القرآن وقراءته وامتثال
وعبره وعامة احكامه فان عامة الاحكام في هذه السبع واعترض على هذا القول بان هذه الآيات مكية
واكثر هذه السور السبع مدنية فكيف يمكن جعل هذه الآية عليها واجيب عنه بان الله تعالى انزل القرآن

(وان الساعة لا تية) فينتقم الله لك فيها ممن كذب
(فاصبح الصبح الجميل) ولا تنجل بالانتقام منهم وعاملهم
معاملة الصفوح الخليم وقيل هو منسوخ بآية السيف
(ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم ويده
امرهم وامرهم (العليم) بحالك وحالهم فهو خفيق
بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم
الاصح لكم وقد علم ان الصبح اليوم اصبح وفي مصحف
عثمان واني رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح
للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك
سبعاً (سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي
الطول وسابقتها الانفال والتوبة فانهما في حكم
سورة ولذلك لم يفضل بينهما بالتسمية وقيل التوبة
وقيل يونس

كـله الى السماء الدنيا وقضى في علمه ان يزلّه على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما وبهذا الاعتبار كانت
قد آتاه وازله عليه فلذلك قال تعالى في حق ما ينزله بعد ولقد آتيناك (قوله اوالجواميم) عطف على قوله
الطول يعني على تقدير ان يحتمل سبعاً على سبع سور يحتمل ان يزداد تلك السور الطول السبع وان يرد
الجواميم السبع بناء على انه قد ثبت فيها القصص وبعض الاحكام (قوله وقيل سبع صحائف) عطف على
قوله وقيل سبع سور وهذا هو القول الثالث في بيان قوله تعالى سبعا والصحائف جمع صحيفة بمعنى الكتاب
فان القرآن العظيم سبعة اسباع كل سبع صحيفة وكتاب ومثناة ومثنية فعلى هذا القول السبع المثاني
هو القرآن كله ودليل هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا مثانيها مثاني ووصف كل القرآن
بالمثاني لانه كرقبه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف وانه مثني عليه بالابلاغة والاعجاز ومثني على الله بما هو اهله
فعلى هذا يكون عطف القرآن العظيم على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف
كما في قوله

انا الملك القرم وابن الهمام * وليت النكتية في الردح

ويكون المعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اى الجامع لهذين الوصفين ونظير هذه الآية
في القرآن قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضيء اى كتابا جامعاً بين هذين الوصفين ثم آتاه تعالى
للمن على رسوله بان آتاه اشرف النعم وابهاها تواباً ولذة نهاء عن الالتفات الى ما آتاه بغض الكفرة من نعيم الدنيا
وادامة النظر اليها فقال ولا تمدن عينيك والزوج في اللغة الصنف وازواجه مفعول متعاقب قال عليه الصلاة والسلام
لا تغضب فاجرا بجمعة فانه لا تدري ما لاقي بعد موته انه عند الله قاتلا لا يموت يعنى النار وقال عليه الصلاة
والسلام ليس من امن لم يتغن بالقرآن اى من لم يتغن على ان يكون التغنى من الغنى المقصور وهو اليسار وقد جاء
التغنى في الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الخيل لرجل خير ولا خير شرو لثالث وزر ثم قال
واما الذي هو له شرف رجل ربطها تغنيا وتعفا ثم لم ينس حق الله تعالى في رقابها والشهور حله على تحسين الصوت
بجعله من الغناء الممدود فان التغنى بهذا المعنى اشهر كيف وقد قيل لبعض زواة هذا الحديث يا ابا محمد اريت
ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع ويشهده الحديث الآخر زينوا القرآن باصواتكم وقيل المراد
من التغنى بالقرآن الافصاح بالفاظه وقيل اعلانه والجهرب وقيل قرأته على خشية من الله ورقة من قواده
وقيل معناه كشف الغنوم بقرأته وذلك ان الانسان اذا اصابه غم رجمه تغنى بالشعر فطلب بذلك فرجه بما هو فيه
والصدقون همومهم العاد وضيق صدورهم بما يشغلهم عن الله ولا يفرجون كرمهم الا بذكر كلام ربهم واليه
الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغن بالقرآن فليس ثناءى من لم يتفرج من غنومه بقراءة القرآن
والندرية فليس ثناء خلقا وسيرة (قوله انه عليه الصلاة والسلام وافى بازروعات سبع قوافل) اى صادف
فيها فلا يكون المقصود من ايراد هذه الرواية بيان سبب نزول الآية لان الآية مكية وهو عليه الصلاة والسلام
اعمالها فرياد الشام بالسلمين في آخر عزمه بل المقصود مجرد بيان ان سبعا من المثاني خير من الدنيا وان التقرب بها
افضل وانفع من التقرب بانفاق الدنيا في سبيل الله تعالى ورواية الكشاف والكثير هكذا وافى من بصرى واذروعات
سبع قوافل اى اتى يقال وافى فلان اى اتى وخيئت يحتمل ان تكون هذه الواقعة متقدمة على نزول الآية
وتكون سببا لنزولها واذروعات بكسر الراء موضع بالشام تنسب اليه الحزم وبصرى موضع بالشام ايضا تنسب اليه
السوق وقوله انهم لم يؤمنوا علة لنبهه عليه الصلاة والسلام عن العجز عن الشكر ان نزل بهم العذاب نهاه
اولا عن الالتفات الى اموالهم ثم نهاه عن الالتفات الى انفسهم كانه قيل كيف يضيق صدرك بما اصابهم من بأس الله
تعالى وعذابه والجلال انهم لم يؤمنوا في تقوى بهم الاسلام وتخشى بهم المؤمنين (قوله وقيل انهم المتعون به)
اى قيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى قوافل الكفار وكثرة اموالهم وخبر بقلبه عليه الصلاة والسلام ان اصحابه
ليس لهم الا قدر الحاجة ولا عدا الله هذه الاموال الكثيرة انزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم وهو خير مما يتعون به اياها قلائل ثم يزول عنهم عن قرب ثم قال ولا تحزن عابهم اى ولا تحزن
لاجل فقرهم المسلمين حتى تكون رقة قلبك لاجلهم تؤيدك الى الالتفات الى المناع القليل الزائل عن قرب لانهم
المتعون به اى لان باقى الدنيا الكفرة سيصير الى اصحابك من قرب فيمتعون به زمانا والله اعلم (قوله

اوالجواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع
(من المثاني) بيان للسبع والمثاني من المثاني اوالثناء
فان كل ذلك مثني تكرر قرأته والفاظه اوقصصه
ومواعظه ومثني عليه بالابلاغة والاعجاز ومثني
على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسماؤه الحسنى
ويجوز ان يرد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون
من التبعية (والقرآن العظيم) ان ارى يد السبع
الآيات والصور في عطف الكل على البعض والعام
على الخاص وان ارى يد الاسباع فن عطف احد
الوصفين على الآخر (لا تمدن عينيك) لا تطيح
ببصرك طموح راغب (الى ما متعنا به ازواجه منهم)
اصنافا من الكفار فانه مستحق بالاضافة الى ما وثقته
فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام الذات
وعن ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان اجدا اوتى
من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظميا وعظم
صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافى
بازروعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة
والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر
الامثلة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقويتنا بها ولا نفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد
اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع
(ولا تحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم
المتعون به

وتواضع لهم) يعني ان يحتاج الانسان اليه كما قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام واسم اليك جناحك
والخفص من الرفع قال تعالى في صفة القيامة خافضة ورافعة اي انها تخفض اهل المعاصي وترفع اهل الطاعة
وتخفض الجناح هيئتنا كناية عن اللين والرفق والتواضع فهو تعالى لما نهى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفرة امره
بالتواضع لفقراء المسلمين ثم امره بان يقول للقوم اي انا النذير المبين اي الاتي بجميع البيانات الشافيات والبيانات
الواقيات (قوله) فهو وصف لمفعول النذير) يعني ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه صفة لمخذوف
وهو مفعول النذير اي عذابا مثل العذاب الذي اترلاه على المقتسمين وهم قمر من قرين بعثهم الوليد بن المغيرة ايام
الموسم فاقسموا ما داخل مكة وطرقها يقولون لمن سلكها لا نعتزوا بالخارج منا والمدعى للنوة فانه مجنون وكانوا
يقفرون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول كل واحد منهم في شأنه عليه الصلاة والسلام شيئا من
المطاعن مثل كاهن وساجر وشاعر ومفترو مجنون فانزل الله تعالى بهم حربا فأتوا مشركين وقيل هم الذين تقاسموا
وتحالفوا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام فرمهم الملائكة بالحجارة فقتلوه والقصة المذكورة في تفسير قوله
تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيته واهله ثم لقول اوليه ما شهدنا مهلك اهله وعلى هذا يكون الاقسام من القسم لامن
القسمه وعلى هذين القولين المشبه محذوف وهو مفعول النذير حذف لدلالة المشبه به عليه كما نقول رأيت انسانا
كالقمر ليلة البدر في الحسن والتقدير مامر وهو انا النذير المبين عذابا مثل العذاب الذي اترلاه على المقتسمين ثم ذكر
احتمالا آخر وهو ان لا يكون كما اترلاه واقعا في خبر النذير بل يكون واقعا في خبر آيتناك من حيث المعنى فان معنى
آيتناك اترلاه اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اي اترلاه مثل ما اترلاه على المقتسمين
وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عصية حيث قالوا ابتادهم وجهلهم بعضه حتى موافق للتوراة والانجيل
وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل او اقسموا القول فيه فقال بعضهم سحروا بعضهم كهانة
او سحر واساطير الاولين او افتراء فهو تعالى شبه اترلاه على رسوله عليه الصلاة والسلام باترلاه عليهم تسليلا عليه
الصلاة والسلام عن تكذيبهم وعداوتهم وتوسط قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله كما اترلاه بين المشبه والمشبه به
اعتراضا بما هو مدد لمعنى التسليمة من التهنى عن الالتفات الى احوالهم والتأسف على كفرهم ويحتمل ان يكون المراد
بالقرآن كتبهم بان يكون بمعنى المقرأ الذي يقرأونه ويكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين جعلوا
ما يقرأون من الكتاب مقسوما مفرقا بان آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعض فما وافق هواهم اخذوه وما لم يوافق
غيره وبدلوه كما قال تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (قوله) فاصلها عضون من عضى الشاة
اي فرقها لان المشركين فرقوا تأويلهم في القرآن فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة ونحو ذلك وقيل نقصان الهاء واصله
عضة لان العضة والعصية في لغة قريش السحر وهم يقولون للساجر عاضه والساحرة عاضه زوى انه عليه السلام
لن العاضة والمستعضة فقوله تعالى جعلوا القرآن عصية على هذا القول جعلوه اسحارا وقال الكسائي العضة
الكذب والبهتان وجعلها عضون مثل عزة وغرور فقوله تعالى جعلوا القرآن عصية معناه جعلوه بمقترى وعلى
القولين جمعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون نحو ضاغن المحذوف (قوله)
وقيل هو عام في كل ما فعلوا وعلى القولين ضمير لنسألتهم يرجع الى المقتسمين لانه الاقرب ويحتمل ان يرجع الى جميع
المكلفين لتقدم ذكرهم في قوله وقال اي انا النذير المبين اي لجميع الخلق فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى فوريك
لنسألتهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اجيب عنه بوجه الاول ان المعنى لا يسألون
سؤال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسألون سؤال تفرغ فقال لهم لم فعلتم كذا وهو ضعيف لانه
لو كان المراد من قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان في سؤال الاستفهام لما كان في تخصيص هذا الذى
يقوله فيومئذ فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله تعالى في كل الاوقات لافيه والثاني ان يصرف النون الى
بعض الاوقات والاشياء الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه مواقف يسألون في بعضها ولا يسألون
في بعضها ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في آية اخرى ثم انصتكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
ولقائل ان يقول قوله فيومئذ لا يسأل الاية صريح في انه لا يحصل السؤال في ذلك اليوم فلو حصل السؤال
في جزء من اجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض والوجه الثالث ان قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه الاية يفيد
عموم النون والضمير في قوله فوريك لنسألتهم يرجع الى المقتسمين فيكون خاصا والخاص مقدم على العام

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق
بهم (وقل اي انا النذير المبين) اذكركم ببيان وبرهان
ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما اترلاه
على المقتسمين) مثل العذاب الذي اترلاه عليهم فهو
وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم
الاشعشع الذين اقتسموا ما داخل مكة ايام الموسم
لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم
فاهلكهم الله تعالى يوم بدر والرهط الذين اقتسموا
اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل
هو صفة مضمر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه
بمعنى اترلاه اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب (الذين
جعلوا القرآن عصية) حيث قالوا اعتادا بعضه حتى
موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما
او قسموه الى سحر وسحروا كهانة واساطير الاولين
او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض
على ان القرآن ما يقرأونه من كتبهم فيكون ذلك
تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن
الح اعتراضا بمد الهاء الذين جعلوا القرآن عصية اجزاء
جمع عضه واصلها عضون من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث
لن رسول الله صلى الله عليه وسلم عكرمة العضة
والمستعضة وقيل اسحارا اوصى عكرمة العضة
السحر وانما يجمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه
والموصول بفضلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره
(فوريك لنسألتهم اجمعين) عما كانوا يعملون
من التقسيم او التثنية الى السحر فيحذف عنهم عليه وقيل
هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي

(فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم (١٦٥) بما جهاها او فارق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتبيز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي

بما تؤمر به من الشرائع (واعرض عن المشركين) فلا تلتفت الى ما يقولون (انكفئوا يا ايها الذين آمنوا) فاصدعهم واهلكهم قيل كانوا خمسة من اشرف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطالب بياغوث في ايداء النبي صلى الله عليه وسلم والاستمراء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيهم فأوماً الى ساق الوليد فر بنال فعلق بيده سهم فلم يعطف تعظماً لا خذله فاصاب عرقاً في عقبه فقطعه فأتوا ووماً الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانفتحت رجلاه حتى صارت كالرسي ومات وأشار الى انف عدي بن قيس فامحط فمخاطات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المصطب فعمى (الذين يجعلون مع الله الهة آخر صفو يملون) عاقبة امرهم في الدارين (ولقد نعم الله بك بضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن في القرآن والاستمراء بك (فسبح بحمديك) فافزع الى الله تعالى فيما نالك بالتسبيح والتحميد ككفك ويكشف الغم عنك او فزعه عما يقولون حامداً له على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنده عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزن به امر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمنى فاعبده مادامت حيا ولا تحل بالعادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عسرحسان بعدد المهاجرين والانصار والمستهزين بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وعثمان وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ما وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استمراء وتكذيباً ويقولون ان صح ما يقول فالاصنام تنفع لنا وتخلصنا منه فزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ ووجل عن ان يكون له شريك في دفع ما اراد بهم وقرأ حرة والكسائي بالياء على ثلثة وعلى وفق قوله فلا تستعجلوه والياقون بالياء على ثلثة وتلوي الخطاط اوعلى ان الخطاب للؤمنين اولهم ولغيرهم لما روى انه نزل اتى امر الله فوثب النبي

قول واصله الابانة والتبيز) اصل الصدع الشق يقال صدعته فانصدع اي شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضاً كقوله يومئذ يصدعون فقوله فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما مقال الزجاج معناه اظهر ما امرت به اخذاً من الصديق وهو ضوء الصبح قال الشاعر فان ياض غرته صديق وقال المفسرون معناه اجهر بامرئ وما مصدرية اي فاصدع بامرئ وشانك وهو تبليغ الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يفرع عليه من الاحكام قالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت هذه الآية (قولك في بنال) اي يربجل يصنع السهام والنبل السهم والاخص ما دخل من باطن القدم بحيث لا يصبب الارض (قولك تعالى فسبح بحمديك) جواب شرط محذوف اي ان ضاق صدرك بما يقولون بمقتضى الجلبة البسرية والمزاج الانساني فالنبي الى الله تعالى فيما نالك بالاشتغال بهذه العبادات وهي اربعة اشياء التسبيح والتحميد واصلاة والملازمة عليها مادام حي اقال المتحققون في بيان كون هذه المذكورات سبيل زوال ضيق القلب والحزن ان الانسان اذا اشتغل بهذه العبادات انكشفت له احواله عالم الروحانية ومتى حصل له ذلك الاسكافي صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده فيستوى عنده وجدانها وفقدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجودها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية (قولك والمعنى فاعبده مادامت حيا) اي معنى التقييد بقوله حتى يأتيك اليقين مع ان كل احد يعلم انه متى مات سقطت عنه العبادات التكليف بالاستمرار والمواظبة على العبادات ابدامادام حيا لانه لو قيل اعبد ربك من غير توقيت لجاز انه اذا عباد الانسان مرة يكون مطيعاً بمثلاً لا لمر بناء على ان الامر لا يقتضي التكرار فلما قيل حتى يأتيك اليقين فقدم بالاقامة ابدامادام حيا روى انه صلى الله عليه وسلم قال ما امرت ان اجع المال واكون من التجارين ولكن اوحى الى ان سبح بحمديك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين تمت السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة النحل مائة وعشرون وثمان آيات وهي مكية الاخر السورة فانها نزلت بالمدينة بعد قتل حرة بن عبد المطلب رضي الله عنه وهي قوله وان عاقبتكم الى آخر السورة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله ويقولون ان صح) عطف على قوله يستعجلون اي كان اول استعجال ما وعدهوا به استمراء وتكذيباً وكانوا يقولون بعد ان صح الخ واجاب الله تعالى عن استعجالهم بان ما امر الله به من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لكونه محقق الوقوع ومقرراً في علم الله تعالى وقضائه بمنزلة الواقع بالفعل فلذلك قال في حقه انه قد اتى اجراءه بجزى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاء اغوث فلا تجزع ولا تستعجل واجاب عن قولهم ان صح كونه واجب الوقوع وجار بجزى الواقع فانعبد من الاصنام شفعاً وثأناً عند الله تنفع لنا فتخلص منه بسبب شفاعتهم بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون به غيره فاني يكون لمبدع السموات والارض شريك في تصرف ملكه فضلاً عن ان يشاركه في ذلك اخس خلقه (قوله لما روى) قال الامام انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يرغم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى يأتي ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً فنزل قوله تعالى اقرب للناس حسابهم فاستفقوا وانتظروا وقوعها فلما مدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً فاستخوفنا به فنزل قوله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل قوله فلا تستعجلوه انتهى كلامه يعني انه لما نزل اتى امر الله ظنوا انها قد اتت حقيقة فزعوا وخافوا فلما نزل قوله فلا تستعجلوه اطمأنوا وسكنوا فعلى قراءة حرة والكسائي يكون الخطاب في الموضوعين للكفار وعلى قراءة الباقرين بمحتل ان يكون للغبية منبسا على الانفات وان يكون الخطاب في قوله فلا تستعجلوه للؤمنين اولهم ولغيرهم وتكون الغيبة على ظاهرها (قوله فانه) اي فان كل واحد من الوحي والقرآن يحكي به القلوب بيان لوجه الشبهة بين الروح وبين كل واحد منهما شبههما اولاً بالروح من حيث كونهما سبيل حياة القلوب مثل كون الروح سبيل حياة الجسد وشبههما ثانياً بالروح ايضاً لكونهما بالنسبة الى الدين بمنزلة الروح للجسد فكما ان قوام الجسد وزينه بالروح فكذلك قوام الدين وزينه بالوحي والقرآن اذ بهما تكون المعارف الربانية والتكاليف الالهية فالروح الاصلى ليس الا القرآن والوحي من حيث ان ارتقاء الجسد عن درجة البهيمية لا يحصل الا بهما ثم عبر بالمشبه به عن المشبه فصار استعارة تصريحية لتحقيقه ثم انه تعالى لما بين بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ان ما وعدهم به لكونه محقق

الواقع في حكم الواقع وانه تعالى منزعه عن الشركاء والانداديين لهم الطريق الذي علم به الرسول صلى الله عليه وسلم
تحقق ما توعدهم به وودونه وازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم به فقال ينزل الملائكة بالروح
اي المتبسين بالوحي والقرآن او ينزلهم ومعهم الروح على ان تكون الباء للمصاحبة كافي قولهم خرج زيد بعشيرته
فان هذه الجملة مستأنفة لبيان ما ذكر من طريق علمه عليه الصلاة والسلام بذلك ولازالة استبعادهم اختصاصه عليه
الصلاة والسلام بالعلم المذكور كأنهم قالوا سلطنا الله تعالى قضى على بعض عبيده بالسراة وعلى آخرين بالضراء
ولكن كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور التي لا يعلمها الا الله فكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالى واحكامه
في ملكه وملكوته فاجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح وتقرى بهذا الجواب انه تعالى ينزل الملائكة على
من يشاء من عباد به امره وذلك الامر ان بلغ الى سائر الخلق انه الله العالم وكافهم بالتوحيد وبالعبادة وبين لهم
انهم ان فعلوا ذلك فازوا بتحري الدنيا والاخرة فهذا الطريق حصار مخصوص بهذه المعارف من دون سائر الخلق وقرأ
العامة ينزل يضم ياء الغيبة وبسكون النون وكسر الزاي الخفيفة ونصب الملائكة وقرى تنزل بناء واحدة فوقانية
مفتوحة وتشديد الزاي على بناء الفاعل والاصل تنزل بتاثير حذف احد اعماء وقرى تنزل يضم الناء فوقانية وفتح
النون وازاي المشددة على انه مضارع مبنى للفعول من التنزيل ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل قيل المراد
بلفظ الملائكة جبريل وحده وقدي يطلق لفظ الجمع على الواحد اذا كان ذلك الواحد معظما ومنه قوله تعالى
انا نزلنا وانزلنا وانما نحن نزلنا الذكر والمراد بالروح ههنا الوحي والقرآن كما مر وقيل المراد به ههنا جبريل عليه
الصلاة والسلام والباء في قوله بالروح بمعنى مع كافي قولهم خرج زيد بعشيرته اي ومعه عشيرته والمعنى ينزل الملائكة
مع الروح وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام ما ينزل وحده في اكثر الاحوال بل كان
ينزل مع جبريل اقوام من الملائكة كافي يوم بدر وفي كثير من الغزوات وفي سائر المصالح والمهمات (قوله بامر
ومن اجله) يعني ان كلمة من في قوله من امره للسببية والتعليل كافي قوله تعالى ما خطاياهم اغرقوا والمعنى ان
ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كما قال تعالى وما ينزل الا بامر ربك وقال لا يسقونه بالقول وهم بامر
يعملون وغير ذلك مما يدل على ان الملائكة لا يقدمون على عمل من الاعمال الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالعباد
في قوله على من يشاء من عباد الانبياء الذين يخصهم الله تعالى برسائله والاذن هو الاعلام مع التخويف يقال
نذر القوم بالعدو بكسر النون اذا علموا وكثيرا ما يستعمل الانذار في مجرد التخويف كما اشار اليه المصنف بقوله
او خوفوا عطف على قوله اي اعلموا والمخاطب بقوله تعالى انذروا هرا الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا انه تعالى انما
يخاطبهم به بواسطة الملائكة المرسله فانهم هم الذين تلقون الوحي من الله تعالى ابتداء من غير واسطة سواء كان ذلك
الوحي وحيا متلوا مكتوبا في المصاحف او كان من قبيل الانهاام والقاء الكلام الخ في ثمان الملائكة يوصلون ذلك
الوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلذلك قال تعالى في آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله فبدا بذكر الله تعالى الذي هو اول ما يجب ان يؤمن بوجوده ووحدانيته ثم ذكر الملائكة الذين تلقون
منه تعالى الوحي من غير واسطة ثم ذكر الكتب التي تلتقها الملائكة منه تعالى ثم ذكر الرسل في الدرجة الرابعة لانهم
وسائط في تلقى المكلفين احكام الله تعالى وحدوده التي اجعلها الله تعالى في قوله انه لا اله الا الله فاعبدون فانه يدل
على ان الروح المشار اليه بقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره ليس الا ما يدل عليه الكلمة الجامعة وهو
التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بان تقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية فان النفوس
البشرية لها نسبة الى عالم القيب تستعد بها لقبول حصول الواردات وتبجلى المعارف والادراكات من ذلك
العالم ونسبة الى عالم الشهادة تستعد بها لان تتصرف في اجسام هذا العالم ويسمى استعدادها الحاصل لها باعتبار
النسبة الاولى قوة نظرية واستعدادها باعتبار النسبة الثانية قوة عملية واشرف كمال القوة النظرية معرفة الله لا اله
الا هو واشرف كالات القوة العملية الاتيان بالاعمال الصالحة الواقعة من خزي يوم القيامة وقدم قوله لا اله الا الله
على قوله فاتقون للدلالة على ان ما يستند الى القوة النظرية اعلى كمالا مما يستند الى القوة العملية والتكسب الى
الانسان باعتبار هاتين القوتين يسمى كمالا نفسانيا ولانسان كالات غير ما ذكر وهي كالاته الجسدية البدنية
وهي صحة جسده وكالاته الحيوانية وهي تسعة عشرة قوة وذلك لان قواه الحيوانية لا تتخلو اما ان تكون محرركة
او مدركة او لا تكون محرركة ولا مدركة فالمحرركة منها قوتان شهوية وغضبية والمدركة منها عشر قوى الخواص

او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب
ذلك اشارة الى الطريق الذي علم به الرسول ما تحقق
موعدهم به وودونه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه
بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن
يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تنزل وقرأ ابو بكر تنزل
على المضارع المبني للفعول من التنزيل (من امره)
بامرهم ومن اجله (على من يشاء من عباد)
ان يتخذ رسول لا (ان انذروا) بان انذر وا ابح
اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته (انه لا اله الا الله فاتقون)
ان الشأن لا اله الا الله فاتقون او خوفوا اهل الكفر

الظاهرة والباطنة والتي لا تكون محركة ولا مدركة سبع وتسمى القوى النباتية وهي الغازية والنامية والمولدة والجاذبة والامضة والماسكة والدافعة فالمجموع تسع عشرة وفي بدن الانسان ثلاث قوى غير ماذ كروهي الروح الحيواني والروح الطيبعي والروح النفساني اما الروح الحيواني فهو البخار اللطيف المتولد من غليان الدم المنبت في التجويف الايسر من اللحم الصنوبري واما الروح الطيبعي فهو الذي انتقل من هذا البخار الى جانب الكبد ووصل اليه واصلح حاله من التغذية والطبخ ونحو ذلك والروح النفساني هو ما دخل الشرايين من هذا البخار وتساعد حتى وصل الى الدماغ والبخار في هذه الدرجة يكون في غاية اللطافة ويتفرع عليه الانفعال الحيواني فيكون لغاية اللطافة ساريا الى جميع الاعضاء والعروق نافذا في اعماق البدن فان اتفقت سدة في شيء من الاعضاء سقط ذلك العضو عن العمل لعدم نفوذ الروح النفساني اليه بسبب السدة والله اعلم (قوله وان مفسرة) ذكر في كلمة ان ثلاثة اوجه الاول ان تكون مفسرة لان الوحي فيه ضرب من القول وفي الصحاح الوحي الكتاب والوحي ايضا الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيت الى غيرك يقال وحيث انه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه والثاني ان تكون مصدرية وهي التي من شأنها ان تنصب المضارع ووصلت ههنا بالامر كافي قوله كثبت اليه بان قم فان فعل الامر لما دل على المصدر كالمضارع صح ان يدخل عليه ما يجعه في تأويل المصدر والثالث ان تكون مخففة من الثبوت واسمها ضمير الشأن المحذوف تقديره ينزل الملائكة بان الشأن وهو مبتدأ وانذروا خبره وهو انشاء فلا بد من تقدير القول ليصح حل الانشاء على المبتدأ فان قلنا انها مفسرة لا يكون لها محل من الاعراب وان كانت مخففة او انصبة تكون في محل الجر اما على انها بدل من الروح كما اختاره الزجاج وقال انه بدل من الروح والمعنى ينزل الملائكة بان انذروا اي اعلوا الخلائق انه لا اله الا انا وما على اسقاط الحافض وابقاء عمله كما هو مذهب بعض النحاة وفي محل النصب نزاع الحافض كما ذهب اليه الآخرون والاصل بان انذروا (قوله وان النبوة عطائية) اي لا يخصها بواحد دون واحد سوى تعلق المستبقة ويدل عليه قوله تعالى على من يشاء من عباده ثم انه تعالى لما بين ان اصل السعادات ومنتهى كمال القوة العلمية معرفة الصانع شرع في تقرير الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدة ودلالة المصنوعات على وجود الصانع من حيث انها محدثات تحتاج الى محدث ولا مكانها تحتاج الى مخرج يرجع احد طرفي وجودها وعدمها على الآخر فالذي وقع في القرآن هو الاستدلال بمحدثاتها وتغيرها وحوالهافا بتدريج سبحانه وتعالى في هذه السورة في الاحتجاج على وجود الله المختار بما يحد اجرام السموات والارض فان كل واحد منهما محدث لم يتبين ان كل حجم متناه وكل ما كان متناهيا في الحجم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد والانقص مع جواز الكل لبدله من مقدر ومخصص فكل ما كان مقترا الى الغير فهو محدث وكذا كل جسم له شكل معين ووضع معين وصفات مختلفة مع تساوي نسبة جميع الاشكال والاضاع والصفات بالنسبة الى ذاته فلا بد له من مخصص بمخصص بعض تلك الاشكال والاضاع لذلك الجسم ثم تعالى ثنى بذكر الاستدلال باحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال باحوال الحيوان ثم رجع بذكر الاستدلال باحوال النبات ثم ختم الاستدلال باحوال العناصر الاربعه فان شئنا منها لا يقدر عليه غيره تعالى (قوله تعالى عما يشركون) منها الخ) اشارة الى ان قوله تعالى عما يشركون ليس نكرا لما ذكر في اول السورة لانه ذكر اول لا بطل قول من يزعم ان الاصنام تشفع لمن عبدها وتدفع ما اراد الله به من العقاب وقد اشار المصنف اليه هناك بقوله فيدفع ما اراد بهم وذكر ههنا كونه نتيجة متفرعة على ما ذكر قبله من دليل الوحدة كانه قيل خالق السموات والارض كيف يكون له شريك مع ان ما يتصور ان يكون شريكه اما شئ من ممتها او شئ يقتصر انهم ما شئ لا يقدر على خلقهما وشئ منها لا يصلح ان يكون شريكه ثبت انه تعالى هو الواحد المتعالى عن اشراكه والاداد وهذا التقرير مبنى على ان تكون كلمة ما في قوله عما يشركون موصولة والمعنى تعالى عن الاشياء التي تشركونها لمن هو خالق السموات والارض القادر على كل شئ (قوله وفيه دليل) اي وفي قوله خلق السموات والارض بالحق وجه دلالة على ما ذكر ان من هو خالق اصول الاجرام كيف يكون من قبيل الاجرام المحدثة المحتاجة الى موجد ومخصص يختص لها المقادير والاشكال والاضاع والاصناف ولما كان اشرف الاجسام بعد الافلاك وهو الانسان مركبا من بدن ونفس استدلل به على وجود الصانع الحكيم باعتبار كل واحد من بدنه ونفسه بعد الاستدلال عليه بخلق الافلاك بقوله خلق الانسان من نطفة اشار الى الاستدلال عليه باعتبار بدنه بقوله

والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي السال على القبول او مصدرية في وضع الجبر بدلا من الروح او النصب بنزع الحافض او مخففة من الثبوت والآية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لا اصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لتقدر على ذلك فيلزم التمانع (خلق السموات والارض بالحق) اوجد هما على مقدار وشكل واضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منها او بما يفتقر في وجوده او ببقائه اليهما او بما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام

(خلق الانسان من نطفة) جاد لا حش لها ولا حراك
 سيالة لا تحفظ الوضع والشكل (فاذا هو خصيم)
 منطبق منظر مجادل (مين) المحبة او خصيم مكافح
 خالقه قائل من يحيى العظام وهي رميم روى ان ابي
 ابن خلفاتى النبي صلى الله عليه وسلم يعظم رميم
 وقال يا محمد اترى ان الله تعالى يحيى هذا بعد ما قدم
 فزلات (والانعام) الابل والبقرة والغنم وانتصابها
 بمضمر يفسره (خلقها لكم) او بالهطف على الانسان
 وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله وما بعده تفصيل له
 (فيها دفي) ما يدفاه فيبقى البرد (ومنافع) نسلها
 ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالنافع ليقول
 عوضها (ومنها تأكلون) اى تأكلون ما يؤكل
 منها كالخوم والتعوم والابلان وتقديم الطرف
 للمحافظة على رؤس الاى اولان الاكل منها هو
 المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر
 الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التسداوى او التفتك
 (ولكم فيها جبال) زينة (حين تريحون) تردونها
 من مراعيها الى مراحيبها بالشئ (وحين تسرحون)
 تفرجونها بالغداة الى المراعى فان الافية تترين بها
 في الوقتين وتجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم
 الراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملائ
 البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة
 لاهلها وقرى حينما على ان تريحون وتسرحون
 وصفان له معنى تريحون فيه وتسرحون فيه
 (وتحمل اثقالكم) اجمالكم (الى بلدكم) تكونوا بالفيه
 ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها
 على ظهوركم اليد (الا بشق الانفس) الا بكلفة
 ومشقة وقرى بالفتح وهولعة فيه وقيل المتوح
 مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
 بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالنعب
 (ان ربكم رؤوف رحيم) حيث رحكم بخلقها
 لا تنفاعكم وتيسر الامر عليكم (والليل والبالغ)
 والحجر عطف على الانعام (لتركوها وزينة)
 اى لتركوها ولتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة
 على محل لتركوها وتغير النظم لان الزينة بفعل
 الحاق والركوب ليس بفعله ولان المقصود
 من خلقها الركوب واما التزين بها فاحاصل بالعرض
 وقرى بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون عليه لتركوها
 او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اى
 مترنين او مترين بانها

خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين استدلال عليه باحوال نفسه فان خلق الجسد الحساس المتحرك
 بالارادة من الماء المهيّن لا يقدر عليه سوى الاله القادر وايضا النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهم اذ كان
 وفطنته من نفوس الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة حين خرج من بيضة يعبر بين الصديق والعدو فيرى رب
 من الهرة والقطي ويعبر بين ما يوافق من الغذاء وما لا يوافق بخلاف ولد الانسان فانه حين انفصاله عن بطن الام لا يعبر
 البتة بين الضار والنافع ثم انه حال كبره يقوى عقله ويكفل فهمه بحيث يقدر على تعقل المعاني الدقيقة والعلوم
 الغامضة ويمكن من ان يخصم وينظر ويجادل مع من ينازعه في جميع المطالب والمهمات فانتقال نفس الانسان
 من تلك المرتبة الدنية الى هذه الكياسة المفرطة لا بد ان يكون بتدبيره المختار قدر على ما يشاء فهذا هو المراد من
 قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين وقيل معناه فاذا هو خصم لرببه ينكر ما يخبر به خالقه من البعث والجزاء مبين ظاهر
 الحسومة والمكافة الخصامة مواجهة ومشافهة والتخصيص الآية عامة لكونها مذكورة لتقرير الاستدلال
 على وجود الصانع وكمال قدرته لا لتقرير وقاحة الانسان وتماذيه في الكفر والتوايه (قوله بعد ما قدم)
 اى على وقت يقال رم العظم يرم بالكسر رمه اذ لم يبق فهو رميم وانما قال تعالى من يحيى العظام وهي رميم والقياس
 رمية لان فعلا وفعلولا يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدو وصديق ولما كان اشرف
 الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان الحيوانات التي ينفع بها الانسان وهي الانعام ذكرها بعد ذكر
 الانسان والانعام عبارة عن الأزواج الثمانية وهي الضأن والمز والابل والبقرة والغنم اسم الجنس المشاوب
 للضأن والمز والدفي السخونة واللام في قوله تعالى لكم فيها دفي يجوز ان يتعلق بخلقها اى خلقها لاجلكم
 ولنا فكم ويكون قوله فيها دفي جله اسمية قدم فيها الخبر او يكون فيها حال من دفي لانه لو تأخر لكان صفته
 قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ وقال فيها دفي وقيل احسن الوجهين ان يكون
 الوقف عند قوله خلقها ويبدأ بقوله لكم فيها دفي ليناسب قوله ولكم فيها جبال فانه معطوف والتقدير لكم فيها دفي
 ولكم فيها جبال (قوله وتقديم الطرف) جواب عما يقال تقديم الطرف في قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر
 وليس الامر كذلك فانه يؤكل من غير الانعام كاللجاجة والبط وصيد البر والبحر والحبوب والثمار ومحصول
 الجواب ان المراد حصر الاكل المعتاد المعتمد عليه في المعاش والحصر بهذا المعنى صحيح (قوله الى مراحيبها)
 بضم الميم وهو اسم للكان الذي تأوى اليه الابل والغنم بالليل يقال اراح الاله اى ردها الى المراح وذلك لا يكون
 الا بعد الزوال ويقال سرح القوم ابلهم سراحا اذا اخرجوها الغداة الى المرعى (قوله حافلة الضروع) اى
 ممتلئة يقال حفل الوادى بالاسيل اى امتلاء (قوله لم تكونوا بالغية ان لم تكن الانعام ولم تخلق)
 اشارة الى جواب ما يقال كيف ناسب قوله لم تكونوا بالغية قوله وتحمل اثقالكم فان المناسب للامتنان بخلق
 الانعام لمل الاطفال ان يوصف البلد بان يقال لم تكونوا حاملين اليه فان الحمل شئ وبالبلوغ شئ آخر والمناسب
 للمقام هو الاول دون الثاني وتقرير الجواب ان بينهما مناسبة من حيث المعنى وذلك لان تكبير البلد للتفخيم
 والتهويل والمعنى الى بلد بعيد غاية البعد بحيث لا يبلغ الانسان اليه بالمشى على رجله فضلا عن ان يبلغه وهو
 يحمل اثقاله على ظهره ولما كان المقام مقام توصيف البلد بالبعد وتحقيق بعده حسن توصيفه بقوله لم تكونوا بالغية
 الا بشق الانفس فقوله تعالى لم تكونوا صفة لبلد وقوله الا بشق الانفس حال من الضمير المرفوع في بالغية اى
 لم تبلغوه الا ملتبسين بالشفقة والعامة على كسر الشين وقرى بفتحها وقيل هما مصدران بمعنى واحد وهو المشقة
 وقيل الشق بالكسر كما يكون بمعنى الشقة يكون ايضا بمعنى نصف الشئ ويجوز حمل اللفظ على كل واحد من المعنيين
 ههنا اما حمله على المعنى الاول فظاهر واما حمله على نصف الشئ فالعنى لم تكونوا بالغية عند ذهاب نصف قوتكم
 ونقصانها (قوله ولتزينوا بها زينة) يعنى ان زينة منصوب على انه مصدر فعل محذوف وقيل انها مفعول لاجله
 معطوف على محل قوله لتركوها ولم ينصب الاول لفقدان شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله تعالى
 والراكب المخاطبون بخلاف قوله وزينة فان فاعله الرائي الذى هو الخالق فالتحد الماعل روى عن ابي يوسف
 ومحمد رحمهما الله انها يبعثان اكل لحم الخيل لما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال كنا قد جعلنا في قدورنا لحم
 الخيل ولحم الجار فنهنا عليه الصلاة والسلام ان تأكل لحم الجار واهمنا بان تأكل لحم الخيل وروى عن اسماء بنت
 ابي بكر رضى الله عنهما انها قالت نحرنا فرسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثرنا وروى عن حسن عن ابي

حقيقة انه كان يحرم اكلها والرواية الظاهرة عن ابي حنيفة انه لا يحرم الاكل بل يكرهه كراهة تنزيه ولم يصرح بالتحريم لا خلافا للصحابة والسنن (قوله واستدل به على حرمة لحومها) حيث قيل منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو جاز اكل لحم الخيل لكان الانسب بيان هذه المنفعة فلما بين منفعة الركوب علم منه حرمة لحوم هذه المذكورات وان تمام المقصود من خلقها هو الركوب والزيعة فان الانعام وما ذكر بعدها من الخيل والغال والجبر وان كان الانسان يحتاج اليها غالباً الا ان احتياجه الى الانعام ضروري لا يتأتى له ان يعيش بدونها لكونها مناطاً ما كولاته وملبوساته بخلاف ما ذكر بعدها من الانواع الثلاثة فان الاحتياج اليها ليس من ضروريات الانسان وبقي من الحيوانات ما لا يتفنع به الانسان غالباً فذكره على سبيل الاجال بقوله ويخلق ما لا تعلمون (قوله بيان مستقيم الطريق) اي على تقدير المضاف وان يكون المقصد مصدراً بمعنى الاستقامة والعدل وصف به السبيل على طريق قولك رجل عدل فهو بمعنى قاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يدل عنه ولما شرح الله تعالى دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اي حق عليه بيان ما يكون مستقيماً من السبيل وما يكون جائراً وليس كلمة على ههنا للوجوب اذ لا يجب على الله تعالى شيء لكن بيان ارشاد من الخي مما تقتضيه الحكمة الالهية كانه قيل انما ذكرت هذه الدلائل وسرحتها اذ اذلة للعلامة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة (قوله واقامة السبيل وتعديلها) اي ويجوز ان يكون المعنى وحق على الله تعديل الطريق وجعلها مستقيمة فان قصد السبيل معناه لغة استقامة الطريق وكون هذه الاستقامة على الله تعالى معناه انه حق عليه تعالى تعديل طريق المكلفين بان يهديهم الى ما يوصل الى مرضاته (قوله او عليه قصد السبيل) اي او يمر على فضل الله ورضوانه مستقيم الطريق بمعنى ان من سلكه يصل الى ذلك لا محالة فعلى هذا يكون قوله تعالى ومنها جأراً بمعنى ومن الطريق ما هو جأراً مائل عن الله ورضوانه يؤدي من سلكه الى نهيه وعقابه (قوله وتنير الاسلوب) يعني الظاهر ان يقال وعليه جأراً على معنى وعليه بيان المائل للعوج منها وعدل عن هذا الاسلوب بناء على ان مقتضى الحكمة انما هو بيان الطريق المستقيم المؤدى الى السعادة الابدية او بيان ما يمر عليه ويوصل الى الله (قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين) صريح في انه تعالى ما شاء هداية الكفرة لجمعهم واما اراد منهم الايمان لان كلمة لتوفيقاً انتفاء الشيء لانتفاء غيره منى الآية ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم لعلهم بان بعضهم لا يختار ذلك بل يختار ما يوافق هواه ثم انه تعالى لما قرر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بمجانب احوال الحيوانات ذكر بعده الاستدلال عليه بمجانب احوال النبات لان اسرف ما في العالم السفلي بعد الحيوان هو النبات فقال تعالى هو الذي انزل من السماء ماء (قوله ولكم صلة انزل) اي متعلق به فيكون شراب مبتدأ ومنه خبره قدم عليه والجملة صفة لقوله ماء (قوله وتقديمها يوههم حصر المشروب فيه) اي في المطر لان معناه منه لا من غيره مع انما قد نشرب ماء الينابيع والاكر ولا بأس به لان ماء الارض من جملة ماء المطر فمكن فيها (قوله ومنه يكون شجر) اي بسببه نبت الشجر فان من في قوله ومنه شجر للسببية وبدل عليه قوله يثبت لكم به الزرع والذي يثبت في الارض بسبب ماء السماء نوعان نجم وشجر فالنجم كل ما ينجم اي يظهر ويطلع من الارض مما ليس له ساق والشجر ماله ساق وقوله تعالى فيه تسميون اي في الشجر مخلون مواشيكم ترضى يقتضى ان يراد بالشجر الاشجار التي ترعاها الماشية ويمكن اسامتها فيها فان الابل تقدر على رعى اوراق الاشجار الكبار فلهذا قال المصنف يعني الشجر الذي ترعاها المواشي ماله ساق ثم عطف عليه قوله وقيل كل ما يثبت على الارض شجر سواء كان له ساق او لم يكن واستدل على صحة هذا القول بقول الشاعر

نعلفها اللحم اذا عزع الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر

يقول الخيل نعلفها اللحم الذي هو الضرع بان نسقيها اللبن المحلوب منه اذا جذبت الارض وقيل الكلاء فانه اطلق الشجر على الكلاء (قوله ترعون) اي ترعون مواشيكم من قولك رعى الابل ارضا اذا خلتها ترى وانت رقبها ويقال رعى البعير الكلاء بنفسه والرعى بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر في تفسير تسميون بضم التاء من قوله اسامها ماشيته اذا ارسلها وخلها ترعى وسامت هي تسمو سوما اذا رعت بنفسها حيث شاعت قال الزجاج اخذ ذلك من السومة وهي العلامة وتأويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات (قوله ولعل تقديم ما يسام فيه الخ) يعني ان النبات قسمان احدهما معد رعى الانعام وقد ذكره بقوله تسميون وثانيهما مخلوق لان يكون غذاءاً للانسان وهو

واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً ان لا يقصد منه غيره اصلاً ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الجمر الا هلية حرمت عام خير (ويخلق ما لا تعلمون) فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالباً احتياجاً ضرورياً او غير ضرورياً اجل غيرها ويجوز ان يكون اخباراً بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصول الى الحق واقامة السبيل وتعديلها راحة وفضلاً او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الخس ولذلك اضاف اليه التقصد وقال (ومنها جأراً) مائل عن التقصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة اولاً المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى التقصد والجأراً الما جأراً بالعرض وقرئ ومنكم جأراً عن التقصد (ولو شاء لهداكم اجمعين) اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذي انزل من السماء) من السحاب او من جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ما تشرّبونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوههم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والاكر منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكنه في الارض (ومن شجر) ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاها المواشي وقيل كل ما يثبت على الارض شجر قال الشاعر نعلفها اللحم اذا عزع الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر (فيه تسميون) ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم (والزيتون والتخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاءاً لحيوانها وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها

المراد بقوله ينت لكم به الزرع والزيتون وكان الظاهر ان يقدم ما ياكله الانسان لما يكون مرعى للحيوانات من
النبات الا ان مرعى الحيوان يسبب اكل الحيوان اياه يكون جزءه فيصير غذاءا لحيوانا وهو اشرف من الاغذية
النباتية فهذا الاعتبار يكون مرعى الحيوان اشرف مما ياكله الانسان فلذلك قدم الاول على الثاني لان الغذاء
الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعي في تسميتها بواسطة الرعي ثم ان الغذاء النباتي قسمان حبوب
وفواكه فهو تعالى اشار الى الحبوب بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله والزيتون والخبث والاعناب ولا شك ان الحبوب
اشرف في الغذائية بالنسبة الى الفواكه واشرف الفواكه الزيتون والخبث والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه
الثلاث بالذكر مع كثرة الفواكه واشرف هذه الثلاث هو الزيتون لانه فاكهة من وحده وأدم من وجهه لكثرة ما فيه من
الدهن ومنافع الادهان كبره حيث تصلح للاكل والطلل واشتعال السرج واشرف الباقين الخبث فلذلك قدم
الزيتون على الخبث وقدم الخبث على الاعناب (قوله نفعكم بها حال كونها مسخرات) جواب عما يقال فيه تحصيل
الحاصل وتقييد التي بنفسه وتكرار بلا فائدة وتقرير الجواب ان مسخرها لكم بمعنى نفعكم بها عبر عن النفع بالتسخير
لكون النفع غاية للتسخير مترتبة عليه فهو تعبير عن الشيء بغايته والامر في هذه الآية امر تكويين الامر بكلف بناء
على ان الافلاك والكواكب جادات على ما ذهب اليه اكثر المسلمين فالامر المتعلق بها امر تخليق وتدير الامر تكليف
بالفعل ومنهم من يقول انها ليست جادات فهم يحملون الامر على الاداء والتكليف (قوله رفع الدور والتسلسل)
فانه لو استند حوادث العلم السقطي الى الحركات الفلكية والكوكبية لاحتاجت تلك الحركات الى ان تستند الى
حركات اخرى ولا شك ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن استنادها الى افلاك وكواكب اخرى والامر بالدور
او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن استناد تلك الحركات والاضواء الى قوات الاهلاك والكواكب من حيث
انها اجسام مماثلة فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة لصفة ووضع معين لكان كل جسم واجب الاتصاف
بذلك الوضع والصفة ولا متع اختلاف الصفات والاضواء فثبت ان الجسم يمنع ان يكون متحركا لكونه حسما
وبقي ان يكون متحركا لغيره وذلك الغير اما ان يكون قوة قائمة به او امرا ميانعته والاول باطل لان البحث المذكور
يعود بان يقال ان ذلك الجسم بعينه لم يختص بتلك القوة بعينه مادون سائر الاجسام فتعين ان تكون تلك الحركة
مستندة الى امر ميانع عنه وذلك الميانع لا يخلو اما ان يكون موجبا بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلا
يكون بعض الاجسام يقبل بعض الصفات المعينة اولى من بعض فتعين ان يكون فاعلا مختارا قادرا على ما
يستاء وهو الله تعالى وان الحركات الفلكية على تقدير استناد الحوادث السفلية اليها حادثة بتخليق الله تعالى
وتقديره وتكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وباحدائه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى
وسخر لكم الميل والنهار والشمس والقمر والنجوم الآية يعني ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل
والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتسخيره قطعاً للتسلسل
ولتمام هذا الدليل في هذا المقام حتم الآية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يعني ان كل من كان له عقل يعلم ان
التسلسل واقول بما يؤدي اليه باطل بل لا بد من الانتهاء في آخر الامر الى الفاعل المختار القديم تعالى شأنه من غير
احتياج الى تفكر وتأمل بخلاف الاستدلال باحوال النبات على وجود الله يوجد الكائنات فان احوال النبات
وان كانت دالة عليه الا ان دلالتها على وجوده تحتاج الى التفكير والتأمل فانه لما ذكر انه تعالى انزل من السماء ماء
فانبت به الزرع والزيتون ونحوهما توهم ان يقال لانسم انه هو الذي انبتهما ولم لا يجوز ان يقال هذه الاشياء انما
حدثت بسبب اختلاف الفصول الاربعة وبأثيرات الشمس والقمر والكواكب فاما يقيم الدليل على فساد هذا
الاحتمال لا يكون الاستدلال باحوال النبات واقفا باعادة هذا المطلوب فاطمأنا للشكوك والزيتون بل يكون
الاحتياج الى التفكير والتأمل باقيا بعد فلهذا السبب ختم الاستدلال باختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر
وبالنجوم لما خلقت له بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون تنبيهها على ان هذا الدليل واف لا إعادة هذا المطلوب لمن له
عقل سليم ولا يحوجه الى مزيد التفكير والتأمل فان من يعقل ان اختلاف الفصول والاضواء الفلكية والكوكبية
لا يستند الى افلاك واطمأنا ضرورة بطلان التسلسل يقطع بان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتداء وانتهاء
وجمع لفظ الآية للدلالة على اختلاف انواع الدلالة (قوله او مصدر ميمي) عطف على قوله حان من الجميع
فيكون مسخرات مفعولا على ان يكون مسخر بمعنى التسخير لان المصدر الميمي من المزيادات يكون على وزن

(ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) على وجود
الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحدة تقع في الارض
وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فتنتق اعلاها ويخرج
منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها
ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكام
والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال
والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية
والثأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل
فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد
ولعل فصل الآية به لذلك (وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم) بان هياها لنا فكم
(مسخرات بامره) حال من الجميع اى نفعكم بها حال
كونها مسخرات لله تعالى خلقها وديرها كيف شاء
اولما خلق له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايدان
بالجواب مما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات
حركات الكواكب واطمأنا فان ذلك ان سلم
فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات
واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد
مخصص مختار واجب الوجود رافع للدور والتسلسل
او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع وقرأ حذف
والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون
تعميما للحكم بعد تخصيصه

اسم المفعول من ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف الانواع والمعنى انه سخرها انواعا من
التسخير على اسلوب قولك ضربه ضربات (قوله ورفع ابن عامر) فانه قرأ الشمس والقمر والنجوم مسخرات
بارفع في الاربعة وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات فقط والباقون بنصب الجميع وكسر تاء مسخرات فان قيل
التسخير انما يتعلق بمن له حياة وقدرة يصح منه الانقياد والمخالفة حتى يهرو ويسخر فكيف يصح ان يتعلق التسخير
بما هو من قبيل الاعراض كالليل والنهار وما هو من قبيل الجادات كما في المذكورات فالجواب ان تسخير هذه
الاشياء عبارة عن انه تعالى خلق هذه الاشياء ودبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع والمخالفة من قبلها
فهذه مسخرات لله تعالى دبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع او هو عبارة عن انه تعالى جعل فيها منافع
للخلق فصل اليهم تلك المنافع شئنا وابين ولم يجعل لهم ما يمنع عن الخلق استيفاء تلك المنافع منهن بسببه فهذه
مسخرات لما خلقن له بايجاده وتقديره على الوجهين فالمراد بالامر التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل
انه تعالى لما كون هذه الاشياء على وجه ملائم لمصالح العباد وتكونت على وفق ارادته صارت شيعة بالعبادة المتقادة
المطوعة فاطلق على هذا التكوين والتدبير لفظ التسخير على طريق التخييل فصنع المشتقات استعارة بعبارة وكانت
قرينة للاستعارة المكنية (قوله يذكر ان اختلافها ليس الا بصنع صانع) اشارة الى انه تعالى ختم الاستدلال
باختلاف اصناف ما ذرأ بقوله ليقوم يذكر ان بناء على ان خلاصة هذا الدليل راجعة الى ما ذكر في الاستدلال
باحوال النبات من الحبة الواقعة في الارض ينشق اسفلها فيخرج منه عروق الشجر وينشق اعلاها فيخرج
منه ساقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكام والثمار الى قوله علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار
فيتم الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال ان في ذلك لاية ليقوم يذكر ان ثم انه تعالى لما احتج على اثبات
الصانع بالاجرام العلوية والسفلية من السموات والارض وخلق نوع الانسان وانواع الحيوانات والنباتات شرع
الآن في الاستدلال عليه بجانب احوال العناصر فبدأ منها باستدلال بعنصر الماء واعلم ان علماء الهيئة قالوا
ثلاثة ارباع كرة الارض غائصة في الماء الذي هو البحر المحيط وهو كله عنصر الماء وحصل في هذا الربع المسكون
سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحار التي سخرها الله تعالى للناس هي هذه البحار
ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص لاستخراج
ما فيها من اللؤلؤ والمرجان واسطيد ما فيها من اللحم الطرية ونحو ذلك والماء الزئبق هو المالح الاجاج الى امر
(قوله وتمسك به الامام مالك) حيث قال كيف لا يبحث باكل السمك مع انه تعالى نص على كونه لحما في هذه
الاية وليس فوق بيان الله تعالى بيان روى عن ابي حنيفة انه لما قال لحم السمك ليس يلحم حتى لو حلف لا يأكل اللحم
فاكل لحم السمك لا يبحث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الاية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل
حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض فهل يبحث ولا قال سفيان لا يبحث فقال السائل ليس الله تعالى
قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك كان بملقين ابي حنيفة (قوله تشقه بحجر ومها) اي
بوسط صدورهما قال اهل اللغة تخر السفينة شقها الماء بصدورها وعن القراء ان الخرسوت جرى الفلك وقوله تعالى
منه لحما طريا يجوز ان يتعلق بقوله لتأكلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من الذكر بعده وكذا
منه في قوله وتسخر جوامثه حلية يتجمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتجلى به وقوله تعالى وتري الفلك
جارية معترضة بين التعليقين وهما قوله لتأكلوا منه وما عطف عليه وقوله وتنبغوا وانما قلنا معترضة لانه خطاب
لواحد وقع بين خطابين لجمع (قوله بركوبها للتجارة) اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون تقدير
الكلام لتنبغوا بكونها مواخر فيه وتنبغوا الى بيع والنساء من فضل الله بركوبها للتجارة فاذا وجدتم ما ينبغونه من
فضل الله واحسانه فاعلمكم تؤدون حق شكره ان لو جعل معطوفا على قوله تعالى لتأكلوا منه لحما وجعل قوله وتري
الفلك اعتراضا بين التعليقين كما هو الظاهر لكن المناسب تذكر الضمير بان يقال بركوبها للتجارة (قوله كراهة
ان تميل بكم) الميديل والحركة والاضطراب ميئنا وشم لا يقال ما يمد يد (قوله او ان تميل بادي سبب
للتحريك كالسفينه اذا اقبلت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت اجرام ثقيلة
في تلك السفينة استقرت على وجه الماء واستويت لان تلك الاجرام بسبب ثقلها توجه نحو المراكز وتجمع السفينة
عن ان تطرب ميئنا وشم لا فكذلك الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الامواج كما قال تعالى

ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا (ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون) جمع الاية وذكر العقل لانها
تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة
غير محتاجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات
(وما ذرأ لكم في الارض) عطف على الليل
اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
(مختلفا الوانه) اصنافه فانها تختلف باللون غالبا
(ان في ذلك لاية ليقوم يذكر ان) ان اختلافها
في الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع
حكيم (وهو الذي سخر البحر) جعله بحيث يتمكن
من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
(لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة
لانه اربط اللحم فيسرع اليه الفساد فيسارع
الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء
زئبق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف
ان لا يأكل لحما حث باكل السمك واجب عنه
بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند
الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمي الكافر دابة
ولا يبحث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه
(وتسخر جوامثه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان
اي تلبسها نساؤكم فاستدل الله لانهم من جلتهم ولانهم
يتزين بها لاجلهم (وتري الفلك) السفن (مواخر
فيه) جوارى فيه تشقه بحجر ومها من الخمر
وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (وتنبغوا
من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلمكم
تسكرون) اي تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحققها
ولعل تخصصه بتعقيب التكرار لانه اقوى في باب
الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعاش (والقى في الارض رواسي) جبالا
رواسي (ان تميدكم) كراهة ان تميل بكم وتضطرب
وذلك لان الارض قيل ان تخلق فيها الجبال كانت
كرة خفيفة بسيطة الطع وكان من حقه ان تتحرك
بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادي سبب التحريك
فلما خلقت الجبال على وجهها تما وت جوامثها
وتوجهت الجبال بنقلها نحو المراكز فيصارت
كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة

وقيل لما خلق الله الارض جعلت ثمر وفقال الملائكة
ماهى بمر احد على ظهرها فاصبحت وقدر است
بالجبال (وانهارا) وجعل فيها انهارا لان التي فيه
معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لقسا صدمكم اوالى
معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم تستدل بها
السابلة من جبل وسهل وريخ ونحو ذلك
(وبالنجم هم يهتدون) بالليل في البرارى والبحار والمراد
بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين
وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقان
وبسات النش والجدي ولعل الضمير لقر يش لانهم
كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء
في مسائرهم بالنجم واخراج الكلام عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واخام الضمير للتخصيص كما انه قيل
وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم (أفمن يخلق
كن لا يخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكثرة على
كمال قدرته وتنهى حكمته والتفرد بخلق ما عده
من مبدعاته لان يساويه ويستحق مساركته
ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد
شئ ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كن يخلق
لكنه عكس تنبيهها على انهم بالاشهر بالله سبحانه
وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات المجزئة شبهها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عده من دون الله سبحانه
وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم والاصنام واجراؤها
بجرى اول العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله
ان يعلم والمشاكلة بينه وبين من يخلق اول لب لغة
فكأنه قيل ان من يخلق ليس كن لا يخلق من اول
العلم فكيف بمن لا علم عنده (أفلا تدرون) فتعرفوا
فساد ذلك فانه جلالة كالحاصل للعقل الذى يحضر
عنده بادن تدرك والتفتات (وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها) اى لا تضبطوا عددها فضلا
عن ان تطبقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم
والزام الحجة على تفرد باستحقاق العبادة تنبيهها على
ان وراء ما عده نعم لا تحصى وان حق عبادته
غير مقدور (ان الله لغفور) حيث يتجاوز
عن تقصيركم فى اداء شكرها (رحيم) لا يقطعها
لتقصيركم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من عقابكم
بما كنتم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم

وجعلنا الجبال اوتادا على طريق التشديد البليغ (قوله ماهى بمر احد على ظهرها) كذا في ايارأيته من السخ
والنهار ان يقال بمره احد بتأنيث مقرة متونة او غير متونة لكونها خبرا عن ضمير الارض (قوله لان التي فيه
معناه) اى معنى جعل فان الالتقاء حقيقة هو طرح الشئ من اعلى الى اسفل ولا يخفى ان اثبات الجبال الرواسي
فى وجه الارض ليس بطريق الالتقاء بل بطريق الجعل والخلق ويدل عليه قوله فى آية اخرى وجعل فيها رواسي من
فوقها ولما كان قوله فى هذه والتي فى الارض رواسي بمعنى وجعل فيها رواسي ثم عطف قوله وانهارا وسبلا على قوله
رواسي كان المعنى وجعل فيها رواسي وانهارا وسبلا ومعنى القاء السبل وجعلها فى الارض انه تعالى اظهرها وبينها
ليتهدى بهامن يشاء الى مقصده ووضع فيها علامات اى معالم وهو جمع معلم وهو الاثر الذى يستدل به على الطريق
من جبل وسهل وريخ ونحوها مما يستدل به فى انهار ولعل النار تب فيها ريح من جهة الى جهة اخرى فيستدل
بها على الطريق فى الليل كما يستدل بالجبل ونحوه قال الامام ورأيت جماعة يشتمون الزاب وبواسطة ذلك الشم
يعرفون الطرقات (قوله ولعل الضمير لقر يش) يعنى غير اسلوب الخطاب فى قوله ان تيدبكم الى طريق النسيبة
فى قوله وبالنجم هو يهتدون وخص اولئك الغائبين بالاهتداء دون غيرهم بدلالة تقديمهم على يهتدون وخص
اهتداءهم بالنجم دون غيرهم حيث قدم بالنجم على عامله الذى هو يهتدون فلعل المراد هؤلاء الغائبين قر يش
فانهم امتازوا من بين جملة الناس بكسرة الاسفار للتجارة ومن سافر فى الديار للتجارة يكون اكثر سفره واقعا فى ظلمة الليالى
فيكون اهتداءه مخصصا بالنجم وقوله عن سنن الخطاب اى عن طريقه الى طريق الغيبة اشارة الى قر يش لكون هذا
المعنى فيهم اتم واكمل ثم انه تعالى لما اقام الدليل على وجود الاله القادر ووجود نعمه واحسانه اتبعه بذكر ما يدل
على بطلان عبادة غيره بانه الذى هو المتفرد بخلق هذه الاسمار البعيدة والمولى لجميع هذه النعم الجليلة فقال افمن
يخلق كن لا يخلق (قوله انكار بعد اقامة الدلائل) الانكار مستفاد من الهمة والبعيدة من القاء ولما كان المقصود
من هذا الكلام الانكار على من يجعل غير الخالق مثل الخالق فى تسميته باسم الاله فى الاشتغال بعبادته كان الظاهر
ان يقال افمن لا يخلق كن يخلق ليم الزام والتجهيل فى جعلهم العاجز كالقادر الا انه تعالى عكس هذا النظم
للتنبية على كمال جهالة المشركين فانه لاشك فى انحطاط شأن من لا يخلق شيئا وهم يخلقون بالنسيبة الى خالقهم فمن
سلك سبيل الاشتراك يلزمه ان يجعل الخالق القادر مائلا لهؤلاء المخلوقات المجزئة وهو غاية الجهالة والغواية فانكر
عليهم فى هذه الجهالة فقال افمن يخلق كن لا يخلق عبر عن الاصنام التى هى جادات بلفظ حقن ان يطلق على اولى العلم
لاجرأها بجرى اولى العلم اول المشاكلة اول لب اللغة فى انكار المماثلة بين الخالق والاصنام فانه اذا امتعت المماثلة
بين الخالق وبين من لا يخلق من اول العلم كان امتناعها بين الخالق وبين من لا يخلق ولا يعلم بطريق الاولى (قوله
فانه جلالة كالحاصل) يعنى ان قوله تعالى افلا تدرون استعارة تبعية شبه ادراك الصورة الجليلة الغير الحاصل
بالحاصلة الخزونة تشبيها مضرا ابتداء الصورة الخزونة التى ذهل عنها فاطلق عليه اسم التذكر بناء على تلك المشابهة
ثم اشتق منه تدرون او هو استعارة مكنية شبهت الصورة الجليلة الغير الحاصلة بالحاصلة الخزونة تشبيها مضرا
فى النفس وجعلت نسبة التذكر اليها تخيلا (قوله بادن تدرك) الظاهر ان يقال بادن توجبه (قوله فضلا عن ان
تطبقوا القيام بشكرها) يعنى ان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم النعم عليه بتلك النعم على سبيل التفصيل فان
ما لا يكون معلوما امتنع الاشتغال بشكره واذا كان عقل الانسان قاعرا عن احصاء نعم الله تعالى والاحاطة بها
تفصيلا امتنع منه ان يشتغل بشكرها على الوجه الذى يكون ذلك السكر لا ثقا بتلك النعم فلما كان احصاء النعم والعلم
بفواصلها من لوازم الطاعة على القيام بشكرها كان انتفاء الاحصاء مستلزما لانتفاء الطاعة على الشكر فان قيل
اذ لم يكن القيام بالشكر مما يطبقه الانسان فكيف امرهم الله تعالى بذلك فالجواب ان الشكر المأمور به هو
الاشتغال بالعبادة على حسب الطاعة بان يلاحظ كمال عظمة الله تعالى وكبريائه وكثرة ما انعم به عليه من وجوه
فضله واحسانه ويحتج فى رعاية حدوده وتكاليفه على حسب طاقته واستطاعته (قوله وتزييف للشرك باعتبار العلم)
يعنى انه تعالى زيف الشرك وعبادة الاصنام فى الآية الاولى باعتبار القدرة على الخلق وزيفه فى هذه الآية
باعتبار العلم كما انه قال ان الاله يجب ان يكون عالما بالسرو والعلائية والاصنام جادات لا شعور لها بشئ اصلا فكيف
تحسن عبادتها وقرأ العامة تسرون وتعلنون بناء الخطاب وقرأ عامهم فى رواية حفص يسرون ويعلنون ويدعون
فى كلهن بياء الغيبة للغائبة وكذلك الكسائي ودوى عن عاصم يدعون خاصة بياء الغائبة والباقون كلهم بياء

الخطاب للخطابة كذا في تفسير التيسير وليس في تفسير القراء الا قوله قرأ عاصم والذين يدعون بالياء والباقون
 بالناء (قوله لما نفي المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق) اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله تعالى في اول
 الآية أن يخلق يفيد ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا فيكون قوله ههنا لا يخلقون شيئا تكراراً محضاً وجد وقوعه
 في القرآن وتقرير الجواب ان ما ذكره اوله لا يدل على ما ذكر بعده بل كل واحد منهما مقدمة مستقلة لدليل بطلان
 القول بالاشراك وترتيب الدليل هكذا الآية الذين يعبدونهم المشركون من دون الله لا يخلقون شيئا ولا شيء
 مما لا يخلق بشريك مماثل الخالق فلا شيء من الاصنام بشريك الخالق فلا تكرار (قوله هم اموات لا تعترهم الحياة)
 اشارة الى ان قوله اموات خبر مبتدأ محذوف والى دفع مائة ل من ان قوله اموات يفيد كونهم غير احياء فالقاعدة
 في ذكر قوله غير احياء بعد ذكر اموات دفعه اولاً بان قوله غير احياء صفة مخصوصة لقوله اموات فان من الاموات
 ما تعتره الحياة بعد زمان كالنطفة والبيضه ونحوهما ولا تعتره الحياة ابدًا والاصنام من قبيل الثاني فكيف
 تكون شركاء للاله الحق الحي الذي لا يجوز ان يعتره الموت ابدًا والحال ان الميت الذي لا تعتره الحياة ابدًا في
 غاية البعد عن الحي الذي لا يعتره الموت ابدًا ويمتنع ذلك في حقه قطعاً ودفعه ثانياً بان المراد بقوله اموات ما يتناول
 الاموات حالا كالاصنام وعيسى وعزير والاموات ما لا كمالا للأنفة الذينهم تعبدونهم طائفة من المشركين والاموات
 بهذا المعنى يلزم ان لا تكون احياء بالذات لانها وصفت بانها غير احياء بالذات لتأكيد كافي قوله فتحة واحدة
 فانه لما كان المقصود نفي الالهية عن شركاء المشركين اقتضى المقام الاهتمام بنفي لوازم الالهية عنها وتوصيفها
 بما نفي الالهية فلذلك أكد كونهم امواتا حالا او ما لا يكونها غير احياء بالذات فانه تعالى وصفهم بثلاث صفات
 كل واحدة منها تنافي الالهية وهي انهم غير خالقين بل هم مخلوقون وانهم اموات غير احياء وانهم لا يعلمون وقت
 البعث والمقصود منها نفي الالهية عنهم وثبات وجوب كون الاله خالقاً غير مخلوق حيا لا يموت عالماً بالغيب كعلمه
 بالشهادة والذي يكون موصوفاً باضداد هذه الاوصاف لا يكون الها قطعاً (قوله ولا يعلمون وقت بعثهم اوبعت
 عبدتهم) اشارة الى ان ضمير يشعرون للمعبودات البنية وان ضمير يعشون يشتمل ان يكون للمعبودات ايضاً ويكون
 المعنى ان الاصنام لا يشعرون متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام وله ارواح ومعها
 شياطينها فتبصر من عابديها فيؤمر بالكل الى النار ويحتمل ان يكون للعابدين ويكون المعنى ان الاصنام وسائر
 المعبودات من دون الله لا يشعرون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم (قوله وفيه
 تنبيه) اي في قوله وما يعترون ايان يعشون تنبيه على انه لا بد من البعث وان البعث من لوازم التكليف على
 معنى ان من شأن المعبود ان يجازى عابده الذي كلفه بعبادته والدنيا دار تكليف لا يتأتى المجازاة فيها فلا بد من دار
 الجزاء وبعث الخالق للثواب والعقاب ثم انه لا بد للاله من العلم بما صدر من المكلف وبما عده من الثواب والعقاب
 وبالوقت المقدر للجزاء والذي لا يعلم شيئاً من ذلك كيف يكون الها وقوله تعالى امان منصوب بما بعده لا باقوله وهو
 يشعرون لانه استفهام علق يشعرون (قوله تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج) يعني ان قوله تعالى آلهكم اله
 واحد فذلك لما سبق واعادة للمدعى بعد اقامة الحجج عليه مفسلاً كره ليكون توطئة لما ذكر بعده من بيان ما لاجله
 اصر الكفار على القول بالاشراك وانكار اتوحيد وانفاء في قوله فالذين جواب شرط محذوف كأنه قال اولاً
 قد ثبت بالدلائل الواضحة ان الالهية مختصة بالله تعالى وانه واحد متفرد بالالهية ثم قال اذا كان كذلك فن حقيقة
 ان يخص بالعبادة ويبرزه عن الشريك فن لم يحتج عن الشرك بعد اقامة هذه الدلائل لم يتفجع بها الى هذه الدلائل حيث
 استمر على ضلاله القديم واستمراره انما يكون لاجل انه لا يؤمن بالآخرة بل يتكبرها فلذلك لا يرغب في الثواب
 ولا يهرب من الوقوع في العقاب فينبغي قلبه مكرراً لكل كلام يخالف هواه ومستكبراً عن الرجوع الى قول الناصح
 فلا جرم يبق مصرّاً على الجهل والضلال (قوله وانكار قلوبهم) عطف على قوله عدم ايمانهم بالآخرة وكذا
 قوله والاستكبار عطف عليه ايضاً والمراد بالاول عدم الايمان بالآخرة فانه هو العمدة في باب الاصرار على الضلال
 وبالأخرين انكار القلوب والاستكبار وبكونهما مترين على الاول وقوعهما خبراً للبند المتضمن لمعنى الشرط
 (قوله لاجرم حقاً) نقل الجوهري عن القراء ان قولهم لاجرم كذا كانت في الاصل بمعنى لا بد ولا محالة فحوت على
 ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً فلذلك يجب عنها باللام كما يجب عن القسم بها الا تراهم
 يقولون لاجرم لا تبتك وقيل لا رد لكانهم وجزم بمعنى حق ووجب يعني ان لا غاية لكلام متقدم تكلم به الكفرة

(والذين تدعون من دون الله) اي والآلهة الذين
 تعبدونهم من دون الله وقرأ ابو بكر يدعون بالياء
 وقرأ حفص ثلاثتها بالياء (لا يخلقون شيئاً) لما نفي
 المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم
 لا يخلقون شيئاً ليتضح انهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك
 بان اثبت لهم صفات تنافي الالهية فقال (وهم
 يخلقون) لانها ذوات ممكنة مفترقة الوجود الى
 التخليق والا اله ينبغي ان يكون واجب الوجود
 (اموات) هم اموات لا تعتر بهم الحياة او اموات
 حالا او ما لا (غير احياء) بالذات ليتناول
 كل معبود والا اله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتره
 الممات (وما يعترون ايان يعشون) ولا يعلمون وقت
 بعثهم اوبعت عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء
 على عبادتهم والا اله ينبغي ان يكون عالماً بالغيب
 مقدراً للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث
 من توابع التكليف (الهمكم آله واحد) تكرير للمدعى
 بعد اقامة الحجج (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم
 منكرة وهم مستكبرون) بيان لما اقتضى اصرارهم
 بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان
 المؤمن بها يكون طالباً للدلائل متأملاً فيما يسمع
 فيتفجع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار
 قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعاً للاسلاف
 وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن
 اتباع الرسول وتصديقه والاتفات الى قوله والاول
 هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين
 (لا جرم) حقاً

فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله لا تجزأ هذه الواقعة قبل القسم في قوله لا أقسم وقوله فلا وربك لا يؤمنون ثم أتى بعدها بجملة فعلية وهي جرم ان لهم كذا أي حق ووجب ان يكون الامر كذا فيكون ما بعد جرم مر فوعا بالفاعلية وقيل ان لا جرم لفظ مركب من الانافية وجرم جعل لفظا واحدا مبنيا على خمسة عشر وصار بعد التركيب بمعنى حق فيرتفع ما بعدهما بالساعة عليه ايضا بقوله تعالى لا جرم ان لهم النار معناه حق وثبت كونه النار مشيى لهم واستقرارها لهم وقيل ان لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لانافية الجنس وجرم اسمها مبنى معها على القبح وهي واسمها في محل الرفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا انافية وصار معناه لا محالة ولا بد ان الله تعالى يجازيهم على حسب عمله بما اسروا واعلنوا (قوله فضلا عن الذين استكبروا عن توحيد) يعني ان المستكبرين يعم كل من عرف الحق واستكبر عن قبوله وعرف النعمة واستكبر عن شكرها ويدخل في هذا الشيخ من سيق له الكلام دخولا اوليا وهم المشركون الذين يستكبرون عن التوحيد وجاز ان يكون لفظ المستكبرين من وضع الظاهر موضع ضمير المشركين المستكبرين عن التوحيد فقط وتكون النكتة في العدول عن الضمير الاشارة الى علة الحكم بانه تعالى لا يحجبهم ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد وبطلان مذهب عبدة الاوثان حكى عن منكري النبوة وبين ان عاقبة طعنهم ان يحملوا الاوزار واسار اليه المصنف بقوله فحملوا اوزار ضلالتهم فانه عليه الصلاة والسلام لما احتج على صدقه في دعوى النبوة بانزال القرآن المجزأ عليه ملعنوا في القرآن وقالوا انه اساطير الاولين وليس هو من قبيل المعجرات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرآن بانه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا ولكن لما كانت عاقبة ذلك التوسيف ان يحملوها شبه الحمل المذكور الغرض المطلوب من الفعل حسن ادخال لام العلة عليه كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا (قوله ماذا) في عمل الرفع على الابتداء وقوله انزل ربكم خبره اي اى شئ انزل ربكم غاية ما في الباب ان يكون التركيب من قبيل زيد ضربت في حذف العائد المنصوب والمسئلة مختلف فيها بين النجاة والصحيح جوازها والقائم مقام الفاعل لقوله قيل هو بالجملة من قوله ماذا انزل ربكم لانها هي المقولة والبصريون يأتون ذلك ويحملون القائم مقام ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلة ولا تامة مقام الفاعل واختلفوا في قائل هذا القول وفاعله المخدوف بعد اتفاقهم على ان المقول لهم المشركون الطاعنون في القرآن وكونه منزلا من الله تعالى فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقساموا ما دخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اسألهم وقود الحاج عما انزل الله تعالى على رسوله كذا في التفسير الكبير وفيه تسامح والمراد انه قول الوافدين على المشركين كما اختاره المصنف وعلى تقدير ان يكون هذا قول بعض المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم مبنيا على التهنيت لانهم مذكرون للاتزال والنبوة (قوله اي مادعون نزوله او المنزل اساطير الاولين) وارتفاع اساطير دليل على ان ماذا مر فوع على الابتداء وخبره ما بعده لانه لو كان منصوبا على انه مفعول محذوف لكانت اجواب السؤال فان جواب المرفوع ينبغي ان يكون مر فوعا وجواب المنصوب منصوبا ولم يقرأ احدا اساطير الاولين بالنصب (قوله وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة السبب) يعني ان كلمة من في قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم تبعية اي ان الرؤساء في كال الضلالة حيث جمعوا بين الضلالة عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التي يهدى اثرها الى الغير وهي ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة لاجرم حملوا اوزار ضلالتهم كاملة وكذلك الاتباع فان لهم ضلالة منسوبة من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة فخرها قال رؤساء يحملون من اوزار الاتباع ما هو حصة الضلال الحاصل فيهم باضلال الرؤساء اياهم ولا تحمل الرؤساء جميع اوزار الاتباع وهذا لا يخالف ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى قاتل من كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا يتقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلال فانبع كاله من الاتم مثل آتام من تبعه من غير ان يتقص من آتامه شيئا لان المراد به بعض اوزار من ضل هو وزر الضلالة الذي تسبب فيه المضل وكذلك الاتام المذكورة في الحديث قال الامام واعلم انه ليس المراد انه تعالى يحملهم اوزار غيرهم ويدل عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قيحة استحق بذلك عقابا عظيما حتى يكون ذلك العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع ثم قل عن الواحدى انه قال انها لو كانت للتبعية لكانت عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز

(ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل (انه لا يحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيد اوتابع رسوله (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم) القائل بعضهم على التهنيت او الوافدون عليهم او المسلمون (قالوا اساطير الاولين) اي مادعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهنيت او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المتسمون (يحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال (ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة السبب

(بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفادتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين الحق والمبطل (الاسماء مازنون) بأس شيئا يزرونه فعلهم (قد مكر الذين من قبلهم) اى سوا منصوبات ليكروا بها رسول الله عليهم الصلاة والسلام (فاقى الله بنيانهم من القواعد) فأتاها امره من جهة العسل التي نوا عليها بان ضعفت (فخر عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (واثامهم العذاب من حيث لا يشعرون) لا يمتنعون ولا يتوقعون وهو على سبيل التخييل وقيل المراد به غرورهم بكنهان بني الصرح بابل سمكة خمسة آلاف ذراع ليرصد من في السماء فأهبط الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيامة يخزنهم) يذللهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا لك من تدخل النار فقد اخزيته (ويقول اى سركا نى) اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم قرأ البرى بخلاف عنه اى شركا نى بغيرهم والباقيون بالهزم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأنا فاعكس التون بمعنى تشاقوني فان مشاقة المؤمنين كشافة الله عز وجل (قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيستاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة (ان الحزى اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار اسمائهم هموز ياداة الالهامة وحكايتهم لان يكون لطفًا ووعظًا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقرأ حزة بالياء وقرئ بادغام التاء في اثناء وموضع الموصول يشتمل الالوجه الثلاثة (ظالمى انفسهم) بان يكون عرضوها للعذاب المخلد (تألقوا السلم) فسالوا واختبوا حين عابوا الموت (ما كنا نفعل من سوء) قالين ما كنا نفعل من سوء كقران وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) اى قبيحهم الملائكة بلى (ان الله عليهم بما كنتم تعملون) وهو يجوز ان يكون عليه وقيل قوله تألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى سرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لا يجوز الكذب يومئذ ما كنا نفعل من سوء بالظلم يكن في زعمنا واعتقنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون المراد عليهم هو الله او اولو العلم (فادخلوا ابواب جهنم) كل صنف باب المعدله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها (خالدين فيها فليأس مثوى المتكبرين)

لقوله عليه الصلاة والسلام من غير ان ينقص من آثامهم شيء ولكنها الجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع انتهى كلامه ولا يخفى ان من اتى تكون لبيان الجنس لا يكون تقديرها هكذا بل الظاهر ان يقال في تقديرها واوزارهم التي هي اوزار الذين يضلونهم (قوله حال من المفعول) ويجوز ان يكون حال من الفاعل فاعلمنى حيث يضلونهم جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال الا ان الفائدة المتفرقة على كونه حالا من المفعول تفوت حيث فانه تعالى لما وصف الذين لا يعلمون انهم ضلال بالاضلال وكونهم حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم اوزار من يضلونهم والاضلال لا يتحقق بدون الضلال علم متدان جهلهم بذلك لا يخرجهم عن كونهم ضلالا حاملي الاوزار في انفسهم واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القرآن بأنه اساطير الاولين اى احاديثهم واباطيلهم ولم يجب عنه بيان حقيقته وكونه كلاما اكهيا معجزا بل اقتصر على مجرد الوعيد بناء على ما تكرر من بيان ذلك في مواضع متعددة من القرآن ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تأسف من قول المشركين في حق القرآن انه اساطير الاولين وجعلهم هذا القول وسيلة الى تكذيبه في دعوى الرسالة نزل قوله قدم مكر الدين من قبلهم الآية والمراد بالمكرهنا التدبير الفاسد اى قدم مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانيائهم كما مكر بك هؤلاء ولم يضر ذلك بالانبياء بل ابطال الله تعالى مكرهم ورد في نفوسهم كيدهم وتحقق فيهم معنى ما قيل من حفر لآخيه جبا وقع فيه منكبا والمصوبات جمع منصوبة وهى الحيلة يقال سوى فلان منصوبة وهى في الاصل صفة الشبكة والحبالة فحرت بحرى الاسماء كالدابة والعجوز وفسر الزجاج القواعد بالاساطين التي تعد البنيان اى انه دمت عمد البنيان فانهدم اى اعناه بعماد يعتمد عليه والعهد بصفتين جمع عماد (قوله بان ضعفت) اى انه دمت القواعد الجوهرى ضعفت اى هدمه حتى الارض وهى استعارة تمثيلية شبه حالهم في انهم سوا منصوبات ليكروابها ان الانبياء فجعلها الله تعالى سبب هلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاقى البنيان من تلك الاساطين بان ضعفت فسقط عليهم السقف وهكذا اليوم في قوله تعالى ان الحزى اليوم معمول الخبر وهو قوله على الكافرين اى كأن على الكافرين اليوم وفصل بين العامل ومعموله بالمعطوف اتساعا في الظروف (قوله وقرأ حزة بالياء) اى العنانية اذ لا تأنيث في الملائكة ومن قرأ اذناء النوفانية نظرا لفظ الملائكة (قوله وموضع الموصول يشتمل الالوجه الثلاثة) الجر على انه صفة لما قبله وانصب بتقدير اعنى والرفع بتقديرهم الذين وعلى التقادير يكون قوله تتوفاهم واردا على حكاية الحال الماضية لان الذين اوتوا العلم يقولون هذا القول حين يرون خزي الكفار وفضاحتهم يوم القيامة على اظهار اسمائهم هموز ياداة لاهانة لهم والظاهر ان توفى الملائكة اياهم امر ماض بالنسبة الى يوم القيامة فيكون تدبيره بلفظ المستقبل مبنيا على حكاية الحال الماضية وقوله تألقوا السلم يجوز ان يكون معطوفا على تتوفاهم لكونه بمعنى الماضى وان يكون معطوفا على قوله قال الذين اوتوا العلم فتكون المسألة المذكورة من جملة احوالهم الواقعة يوم القيامة ولا يكون من جملة مقالة اولى العلم بخلاف ما اذا كان معطوفا على تتوفاهم الا ان قول المصنف واختبوا حين عابوا الموت يدل على انه جعله معطوفا على تتوفاهم والاختبوا الخشوع يقال اخبت الله تى تواضع واصل الالتقاء في الاجسام واستعمل هنا في اظهارهم الانقياد اشعارا بغاية خضوعهم واستكانتهم وانها كاشى المنى بين يدي الغلب القهر (قوله ما كنا نفعل من سوء) مقول قول مضر منصوب على انه حال من فاعل اتقوا اى تألقوا السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول فعل زبدت فيه من ويجوز ان يكون تفسير السلم الذى هو القول لانه بمعنى القول الدال على الاستسلام والانقياد والاقرار لله تعالى باربوية كما قال تعالى في آية اخرى تألقوا السلم اقول كأنه قيل تألقوا ما يدل على الاستسلام وقالوا ما كنا نفعل من سوء وهذا الاستسلام وان وقع من المشركين يوم القيامة بان قالوا فيه ما كنا نفعل في الدنيا من سوء على سبيل الكذب كان ذلك دالا على صحة قول من يجوز صدور الكذب من اهل القيامة لفرط الخوف والدهشة وهو ظاهر وما الذين قالوا ان الكذب لا يجوز عليهم فانهم قالوا معنى الآية على تقدير ان يكون المراد من حكاية كلام المشركين يوم القيامة ما كنا نفعل من سوء انما نكر في زعمنا واعتقنا عاملين سوءا فيجاب عند دعا عليهم وتكذيبهم في قولهم ما كنا نفعل من سوء بقول بلى الخ ولا يعبدان يكون قائل هذا القول هو الله سبحانه وتعالى او بعض الملائكة او اذن اوتوا العلم والمعنى انه تعالى عالم بما كنتم عليه في الدنيا فيجازيكم عليه ولا ينفعكم هذا ثم صرح بذكر العقاب فقال فادخلوا ابواب جهنم (قوله وقيل قوله تألقوا السلم الخ)

عطف على ما يفهم من التقرير السابق فإنه يفهم منه أن قوله تعالى فألقوا حكاية للشرح حال الكفار عند القرب من الموت ومعانيته وعلى هذا القول يكون فألقوا استئنافاً يتم كلام الذين أوتوا العلم عند قوله ظالمى انفسهم ويكون قوله قال الذين أوتوا العلم الى قوله انفسهم جملة معترضة بين قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم وبين قوله فألقوا السلم (قوله وفي نصبه دليل على انهم لم يتعلموا) اى لم يكتشوا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال وقد استهران في نحو ماذا صنعت وجهين احدهما ان تكون ما استفهامية بمعنى اى شئ ويكون ذا معنى الذى فيكون الكلام جملة اسمية تقديره اى شئ صنعته فحق ما ذكر في جوابه ان يكون مرغوعاً على انه خبر مبتدأ محذوف ليكون الجواب مطابقاً للسؤال وثانيهما ان يكون ماذا مبتدأ لجملة اسمية واحدة معناه اى شئ منصوب المحل على انه مفعول صنعت لانه خبر متعلل عنه بضميره فيكون الكلام جملة فعلية فحق جوابه بالنصب على ان يكون مفعولاً لفعول مقدر ليطابق السؤال وفي هذه الآية الكريمة قد اجاب المقرون بالانزال بالنصب حيث قالوا خيراً اى انزل خيراً بخلاف المكرين للانزال فانهم اجابوا بالرفع حيث قالوا اساطير الاولين لكون اللائق بحال كل واحد من الفريقين ان يجيب بما اجاب به فلذلك اجابوا بالرفع فان قولهم اساطير الاولين كان مطابقاً وبيانه موقوف على الفرق بين ان يكون السؤال جملة اسمية وبين كونه فعلية وهوانه اذا سأل سائل اى شئ انزل بكم فقد تقرر عنده اصل الانزال وانما يسأل عن تعيين المنزل ولا دلالة فيه على كون المخاطب مقراً بالانزال او منكراً به بخلاف ما اذا سأل بان يقال اى شئ الذى انزل بكم فان السؤال بهذا الطريق يدل على كون المخاطب معترفاً بالانزال لما تقرر ان الجملة التى تقع صلة للموصول حقها ان يكون مضمونها معلوماً للمخاطب فلما اجاب المخاطب بان ما تدعون او انزل اساطير الاولين خالف السائل المخاطب فقد اجاب المخاطب بانه غير مسلم عندي بل ما تدعى نزوله او المنزل اساطير الاولين مطابقاً للسائل سيما زعمه من ان اصل النزول محقق مسلم عنده فكان جوابه مخالفاً للسؤال ومطابقاً لما يقتضيه حاله ولو اجاب بالنصب لكان موافقاً للسائل في الاعتراف بكون اصل النزول مسلماً عنده وكان متافياً لنفسه في توصيف ما اعترف بكونه منزلاً من ربه بانه اساطير اذن من العلوم ان المنزل من قبله لا يكون اساطير بخلاف المرفأ اللائق بحاله ان يحمل السؤال على الجملة الفعلية ويجب بالنصب لانه كان اللائق بحاله ان لا يتلعم ويوافق السائل في الاعتراف باصل النزول لان يكون متلعماً في الجواب ويجب تعيين ان المنزل ما هو فلو اجاب بالرفع وقال المنزل خير لكان موافقاً للسائل في الاعتراف باصل النزول الا انه يكون متلعماً في الجواب بتغييره اسلوب السائل فانه سأل بالجملة الفعلية طاباً لتعيين المفعول وهو قد اجاب بتحقيق كون المنزل خيراً (قوله وهو عدة) اى قوله تعالى الذين احسنوا الحسنى الآية كلام منقطع عما قبله اى ليس من جملة كلام الذين اتقوا بل هو ابتداء كلام من الله تعالى بين به ان من احسن اعتقاداً وعملاته حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة والذى يفهم من تقرير المصنف انه جعل قوله في هذه الدنيا متعللاً بقوله احسنوا وحل قوله حسنة على المكافاة الواقعة في الدنيا بقرينة قوله بعد ذلك ولدار الآخرة خير مما يجمعون ان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها ولا وجه لجعله متعللاً بنفس حسنة لتقدمه عليها ويدخلونها صفة جنات وتجري اما صفة اخرى احوال من مفعول يدخلونها وقوله لهم فيها ما يشاؤون جملة اسمية والخبر اما لهم واما فيها واعرابها كاعراب الجملة التى قبلها (قوله وهو يؤيد الوجه الاول) وهو كون قوله تعالى للذين احسنوا الى آخر الآية عدة للذين اتقوا على قولهم وقوله تعالى للذين اتقوا الملائكة صفة للثنين وطيبين حال من المفعول ويقولون حال من الفاعل اى يقبضون ارواحهم مسلمين عليهم او مبليقين سلام الله عليهم ويحتمل ان يكون الذين مبتدأ ويقولون خبره فلا بد حينئذ من عائد محذوف ثم انه تعالى لما وصف جزاء الذين اتقوا على قولهم في حق القرآن انه خير عائد الى بيان ان اولئك الكفار الذين طعنوا في القرآن بان قالوا اساطير الاولين ما ينتظرون في الايمان بك وبما انزل اليك الا الوقت الذى لا يتفعهم الايمان في ذلك الوقت (قوله تعالى فاصابهم) معطوف على قوله فعل الذين وما بينهما اعتراض (قوله انما قالوا ذلك استهزاء ذكر الامام الواحدى في الوسيط ان الزجاج قال انهم قالوا هذا على الاستهزاء ولو قالوه معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا ذلك مستهزئين انتهى وزاد المصنف انهم قصدوا بذلك الطعن في النبوة والتكليف متمسكين في ذلك بالقول بالجبر وقالوا الكل من الله تعالى واوشاء الله متا الايمان والتوحيد لحصل لنا ذلك سواء بعث الرسول

(وقيل للذين اتقوا) بمعنى المؤمنين (ماذا انزل بكم قالوا خيراً) اى نزل خيراً خيراً وفي نصبه دليل على انهم لم يتعلموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءه الراشد المفسرين قالوا له ما قالوا واذا جاءه المؤمنين قالوا له ذلك (للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة) مكافاة في الدنيا (ولدار الآخرة خير) اى وثروا بهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بمابعده حكاية لقولهم بدلاً وتفسير الخيرة على انه منصب بقاوا (ولهم دار المتقين) دار الآخرة فخذت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون) من انواع المشروبات وفي تقديم الطرف تنبيه على الانسان لا يبعد حجب ما يريد الا في الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزاء يجزى بهم رهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين بيسارة الملائكة ايامهم بالجنة او طيبين يقبض ارواحهم لتوجد نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لا يلحقكم بعد مكره (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الخسر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) ما ينتظر الكفار المار ذكرهم (الا ان تأتيهم الملائكة) لفض ارواحهم وقرأ حزنه والكسائي بالباء (او بائى امر ربك) القيامة او العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فاصابهم ما اصاب (وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فاصابهم سيئات ما عملوا) اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها (وحق بهم ما كانوا يستهزئون) واحاط بهم جزاؤه والحيوة لا يستعمل الا في التسر (وقال الذين اشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا ابائنا ولا حرمتنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزاء ومنعاً للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما القائدة فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحار ونحوها محتجين بانها لو كانت مستجابة لما شاء الله صدورها عنهم ولشأ خلافه لمجا اليه لا اعتذاراً ان لم يعتد واقبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين (اولم يبعث)

اولم يثبت فلا فائدة في البعثة فالحوادث كلها منوطه بمشيئة الله تعالى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يستحقون بهذا القول اللوم والتوبيخ في البعثة قال الامام في الجواب عن شبهة الكفار ان قولهم لما كان الكل من الله تعالى كانت بعثة الانبياء عيبا اعتراض على الله فان قولهم اذ لم يكن في بعثة الرسل مزيد فائدة في حصول الايمان والندفاع الكفر والعصيان كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تعالى هذا قول منهم صارجا رباحا يجرى طلب العلة في احكام الله تعالى وفي افعاله وذلك باطل بل الله تعالى ان يحكم في ملكه ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذلك فهذا القول من الكفار من حيث دلالة على تعليق جميع الحوادث بمشيئة الله صحيح والفساد والانكار انما يتوجه اليه من حيث انهم قصدوا الاعتراض على الله وطلبوا العلة في احكامه وافعاله ويدل عليه انه تعالى صرح في آخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فين تعالى بهذا المعنى ان سنة الله في عباده الارسال اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال ففهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر والعصيان الا انه تعالى هدى البعض واصل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع عباده ويحسن منه ذلك بحكم كونه اكلها منها عن اعتراضات المعتضين ثبت انه تعالى انما يحكم على هؤلاء الكفار باستحقاق الجزى واللعن لانهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء بل لانهم قالوا ذلك بناء على اعتقادهم انه لو كان الامر كذلك لامتنع جواز بعثة الانبياء والرسول وتكليف العباد بالاوامر والنواهي فلا جرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح في امثال هذه الشبهات (قوله وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لاه مطلقا بل باسباب قدرهاله) لما كانت خلاصة شبهة الكفار ان تعلق مشيئة الله كافية في تحقق الحوادث فاي حاجة الى بعثة الرسل اشار تعالى بقوله فهل على الرسل الابلاغ المبين الا ان المؤثر في حصول الاعتداء ليس الا الله تعالى ولان تأثيره لتبليغ الرسل الا ان له مدخل فيه من حيث توسطه بينه تعالى وبين المكلفين وتعلق مشيئة الله تعالى بوجود الحوادث وان يوجب الامانة لا تعلق لها بوجود شيء منها الاعتدال في اسباب العادة التي من جلها سعى المكلف ومباشرة لاسباب حصولها باخبار الانبياء بالنسبة الى اعتداء من اهتدى وضلالة من ضل فان كون الدين اثار تكليف والكسب والاختيار يستدعي ان تجعل الحوادث مرتبطة بالاسباب العادية وذلك من كمال الحكمة الالهية والا فلا حاجة الى توسط الاسباب في نفاذ قدرته ومشيئته فاي واسطة في حصول امور الآخرة فاذا ذكر عليه الشرع قبح شرعا وواقع بقدرته الله تعالى ومشيئته عند كسب العبد واختياره اياه ففهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعنى ففهم من هداه الله الى الايمان واتباع الحق ومنهم من اضله عن الحق واعماه عن الهدى وواقعه في الكفر والضلال وهذا يدل على امر الله تعالى لا يوافق ارادته بل قديما بالشئ ولا يريده وينهى عن الشئ ويريد وهذا مذهب اهل الحق والمعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان ونحن نقول ان الامر والإرادة قديمتان ولفظ هذه الآية صريح في قولنا وهو ان الامر بالايمان عام في حق الكل وامارادة الايمان فخاصة ببعض دون البعض (قوله بأمر بعبادة الله) اشارة الى ان ان في قوله ان اعبدوا الله مصدرية اي بعثناه بان اعبدوا الله والباء المقدرة متعلقة بمحذوف منصوب المحل على انه حال من رسولا واختلف في الطاغوت قال بعضهم كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت الشيطان والمراد من اجتنابه اجتناب ما يدعو اليه مما نهى عنه شرعا ولما كان ذلك الارتكاب بامر الشيطان ووسوسته سمي ذلك عبادة للشيطان ثم انه لما بين ان البعثة كالغذاء الصالح تكون سببا لهداية قوم وضلال آخرين امر قريشا بان يسيروا في الارض ويعابوا هلاك من ضل بتكذيب الرسل ليعتروا بذلك ويعلموا ان العذاب نازل بهم كائنا بلواؤك لاجل ضلالهم وتكذيبهم ثم انه بين ان من حقت عليه الضلالة لا يهتدى فقال ان تحرص على هدايتهم الآية وقرأ الكوفيون لا يهتدى بفتح الباء وكسر الدال فقوله من يضل مفعول يهتدى وفاعله مضمر فيه راجع الى الجلالة والعاذ على من محذوف اي الذى يضلله الله تعالى وقيل يجوز ان يكون لا يهتدى بمعنى لا يهتدى فان هدى كايكون متعديا يكون ايضا لازما يقال هدى الرجل اي اهتدى والمعنى ان الله تعالى اذا اضل احدا لم يصر ذلك مهتديا فقوله من يضل فاعل يهتدى بمعنى يهتدى والباقيون لا يهتدى بضم الباء وفتح الدال على بناء المفعول ومن قائم مقام فاعله وعاء محذوف ايضا فتكون الآية نظير قوله تعالى من يضل الله فلا هادي له وقوله فمن يهديه من بعد الله

(كذلك قول الذين من قبلهم) فاشركوا بالله وحرّموا حله ورد وارسله (فهل على الرسل الابلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لامطابقا دل باسباب قدرهاله ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت (ففهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشادهم (ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وتبانه بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى (فسيروا في الارض) يا معشر قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (ان تحرص) يا محمد (على هدايتهم) فان الله لا يهتدى من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهتدى على البناء للمفعول وهو ابلاغ (وما هم من ناصري) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم

(واقسوا بالله جهد اعينهم لايثب الله من عوت) عطف على وقال الذين اشركوا ايدنا بانهم كانوا انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فسادة ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال (يلى) يعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يعث موعدا من الله تعالى (عليه) انجازه لامتناع الخلف في وعده اولان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة اخرى للوعد (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) انهم يعثون اما لمدى علمهم به من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمرامها واما لقصر نظرهم على المألوف فيتموهون امتناع ثمة تعالى بين الامرين فقال (ليين لهم) اي يعثهم ليين لهم (الذي يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يرمعون وهو اشارة الى السب الداعي الى البعث المتقضى له من حيث الحكمة وهو الميرين الحق والباطل والحقق والباطل بالنزوات والعقاب ثم قال (انما فوق لشيء انا اردناه ان نقول له كى فيكون) وهو بيان امكانه وتقديره ان تكون الله تعالى يحض قدرته ومنه لاتفق له على سقى المواد والمدد والازم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلاسقى مادة ومثال امكن له تكوينها اعاده بعده ونصب ابن عامر والكسائي ههنا وفي يس فيكون عطف على نقول او حواجا للامر (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظنوا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجروا بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او الحرسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابوجندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله في الله اى في حقه ولوجهه (لنؤمن في الدنيا حسنة) مائة حسنة وهي المدينة او ثبوت سنة (ولا اجر الاخرة اكر) مما تجل لهم في الدنيا ومن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادركك في الآخرة فضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع اهله لاء المهاجرين خير الدارين لوافقوه او للمهاجرين اى لو علموا ذلك ل زادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كاذى الكفرة ومشاركة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطع عن الله تعالى مفوضين اليه الامر كله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) رد لقول قريش ان الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الاكهيمة بان لا يعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه (ماسألوا اهل الذكر) اهل الكتاب واعلاء الاخبار ليعلموا (ان كنتم لا تعلمون) وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا لدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا منهم لسانا الملائكة

(١٧٨)

اي من بعد اضلال الله تعالى اياه وهو الملع في نفي الهداية عنه (قوله انكروا البعث مقسمين عليه) وجعلوا انكاره ذريعة الى انكار النبوة لانه عليه الصلاة والسلام انما يدعو الى طاعة الله تعالى ورعاية حدوده وبكاليه بسب ترغيبه في ثواب الآخرة والترهيب من عقابه الكاشين بعد البعث فاذا بطل القول بالبعث بطل نبوة من دعا الى الاقرار به لكونه داعيا الى الباطل ثم انهم ادعوا الديهة في انكارهم البعث وقالوا الانسان لبس الإهذه البية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجراؤه وبطل المزاج والاعتدال امتنع عوده بعبته لان الشيء اذا عدم وفي ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه فالذى يعود يجب ان يكون شيئا مغايرا للاول لا عينه وشار الى ادعاءهم ضرورة ذلك الانكار بالاقسام والبيان ولم يصرحوا بتفريع بطلان القول بالنبوة على بطلان القول بالبعث لكونه تفريعا عليه جلبا مستغنيا عن التصريح (قوله مصدر مؤكد لنفسه) فان وعدا معنى مضمون الجنة التي دل عليها بلى وتلك الجنة لا يحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر الذي هو الوعد فقوله وعدا بلى كذا الوعد المدلول عليه بلى واللام في قوله ليين متعلق بالفعل المقدر بعد حرف الإيجاب اى بلى يعثهم ليين لهم بالبعث الذي اختلفوا فيه مع المؤمنين وذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب اليه المؤمنون (قوله بين الامرين) بين اولان البعث مقتضى الحكمة فان الحكمة تقتضى التمييز بين الحق والباطل وبين المظلوم والظالم بمحبة كل احد على حسب عمله وذلك التمييز لا يكون الا بالبعث والجزاء وقد مر ان البعث من توابع التكليف ومقتضياته ثم بين امكان البعث وان اقسامهم على نفيه وانكاره انما نشأ من قصر نظرهم على ما افوه من استمرار الميت على الموت وعدم طريان الحياة عليه وعدم التفاتهم الى ما يدل على امكانه وصحته فقال انما قولنا لشيء الآية كذا ان مكفوفة بما قولنا امر فوع على الابتداء وان نقول خبره وكن فيكون من كان اتامة التي بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اراد حدوث شيء لم يكن وسماه شيئا وان كان معدوما اقر به الى الوجود فليس الا ان يقول له احدث بحدوثه من غير توقف واللام في قوله لشيء وفيه لام التبليغ كافي قولك قلت له قم وجعلها الزجاجة السبية فيها اى انما قولنا لاجل شيء ان نقول لاجله وليس بواضح وقرأ الجمهور فيكون رفع الثوب وقرأ ابن عامر والكسائي بنصبها قال انقراء ولقراءة الرفع وجهان الاول ان يجعل قوله ان نقول له كن كلاما تاما ثم عبر عنه بانه سيكون كناية ان زيدا يكفيه ان امر في فعل برفع قولك في فعل والثاني ان يجعل كلاما مبتدأ اى فهو يكون ووجه قراءة النصب ان يكون معطوفا على ان نقول ويبعد كونه منصوبا على انه جواب كن لان قوله كن وان كان على لغة الامر فليس المقصد به ههنا الامر بل المقصود بيان ان يكون الله تعالى لا يحتاج الى سبق المادة والمدة فان قيل قوله كن ان كان خطا بما مع المعدوم فهو محال وان كان خطا بما مع الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال والجواب انه لا قول ثمة ولا خطاب فالمقصود بيان سهولة خلق الانسان عليه وانه متى اراد الله تعالى ان يخلق الانسان لم يكن له ان يخلق بغيره تعالى ارادته من غير توقف وامتناع بامر الامر المطاع اذا امر الامور المطاع المسارع في الامتثال فغير عن سرعة تكوينه على الوجه المذكور بالامر المستلزم للامتثال فانه تعالى لو اراد خلق الدنيا والآخرة بما فيهما من السموات والارض والجنة والنار وما فيها في قدر لخلق البصر لقد رعى ذلك ولكن خاطب الخلق بما يفهمون والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يعث عليه البعث الذي هو اهلون من الابدان بالنسبة الى عقولهم ثم ايه تعالى لما حكى عن الكفار انهم اقسوا بالله جهدا عما انهم على انكار البعث والقيامة وجعلوه ذريعة الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم دل ذلك على انهم يعادون المسلمين ويؤذونهم ايداء الجحى طائفة منهم الى المهاجرة عن الابل والاولاد فان الله تعالى ما هؤلاء المهاجرين من السنة في الدنيا والآخرة فقال والذين هاجروا في الله من بعد ما ظنوا الآية وقوله في الله يدل على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها قدر واعتبر اربو كات بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد (قوله مائة حسنة) او دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة آواهم اهلها ونصروهم وهو اشارة الى ان قوله حسنة سنة لم يوصف بمحذوف مقبول ان لقوله لتبوشهم لانه يتضمن من معنى لتعطيتهم والمباة منزل القوم وعلى قوله او ثبوت حسنة يكون حسنة سنة لم يوصف بمحذوف (قوله اى ارسلناهم بالنبات) على ان قوله بالنبات متعلق بمحذوف جوابا لسؤال مقدر كانه قيل بم ارسلوا فقيل بالنبات والذين (قوله اى ارسلناهم بالنبات) مع رجلا حال من فاعل يتعلق فان تعلقه بما ارسلنا يتصور على وجهين احدهما ان يتعلق به غير داخل مع رجلا في الاستثناء بان يكون المستثنى المفرغ رجلا فقط ويكون بالنبات قبدا للمستثنى منه المقدر ويكون على نية التقدير على ارادة

(الاستثناء)

اولى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يعثوا الى الانبياء الا ممثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام عى صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم (بالنبات والذين) اى ارسلناهم بالنبات والذين المجزات والكتب كاجواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يعثى بم ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجلا اى وما ارسلنا الا رجلا بالنبات

الاستثناء ويكون التقدير وما ارسلنا جماعة من الجماعات بالبينات والزبر الارجالا يوحى اليهم كافي قول الشاعر
بينهم عذبوا بالنار جارهمو * ولا يعذب الا الله بالنار

اي لا يعذب بالنار الا الله على ما يقتضيه سياق الكلام ومثل هذا التركيب ضعيف لان الاصل ان يذكر
المستثنى منه بجمع ما يتعلق به بتمامه ثم يستثنى منه وفي هذه الصورة قد تأخر بعض قيود المستثنى منه عن المستثنى
وثانيهما ان يتعلق الجار والمجرور بقوله وما ارسلنا حال كونه داخل مع المستثنى في حكم الاستثناء بان تعدد
المستثنى المفرغ ويكون التفسير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشئ من الاشياء الارجالا بالبينات والضعف الذي
يتوجه على تعلقه بما ارسلنا غير داخل مع رجالا لا يتوجه على تعلقه به بهذا الوجه فلهذا احتز على تعلقه به
على الوجه الاول بقوله داخل في الاستثناء مع رجالا وكذا تقدير قولك ماضيت الازيدا بالسوط ماضيت
احدا بالسوط الازيدا لما فيه من ذكر الاستثناء قبل تمام المستثنى منه بجميع قيوده والوجد الثالث ان يكون
البينات صفة لرجالا فيتعلق بمحذوف اي الارجالا ملتبسين بالبينات مصاحبين لها والوجد الرابع ان يتعلق يوحى
على انه مفعول به غير صريح له اي يوحى اليهم بالبينات كما يقال اوحى اليه بحق والوجد الخامس ان يتعلق يوحى
على انه حال من القائم مقام فاعله وهو اليهم اي يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والزبر ومعنى تعلقه يوحى حينئذ
معناه انما يتعلق بمحذوف كون يوحى هو العامل في متعلقه وقوله تعالى فاسألوا يكون اعتراضا على جميع الوجوه
المتقدمة والمعنى على الوجه الاول فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انا ارسلناهم بالبينات وعلى الثالث فاسألوهم
ان كنتم لا تعلمون انا ارسلنا الارجالا ملتبسين بالبينات وعلى الرابع فاسألوهم ان كنتم لا تعلمون انه يوحى
اليهم ملتبسين بالبينات والوجد السادس ان يتعلق بقوله لا تعلمون على معنى فاسألوهم ان لم يكن عندهم
علم بالبينات والزبر فان من قدر على اقامة البينات على صحة ما قلنا او كان عنده كتاب ناطق بحجته فانه يستغنى
عن السؤال (قوله على ان الشرط للتبكي والازام) يعنى ان الاصل في الشرط الذي تعلق به الحكم كلفه ان
يكون محتمل الوقوع وقد استعملت هنا في امر معلوم مقصود به لان الكلام مع قرين لقول المفسرين ان هذه
الآية رد لقول قرين الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا ولا شك ان قرينا لم يكونوا من علم البينات والزبر في شئ
فالمراد من تعليق السؤال بهذا الشرط التبكي والازام اي لارتباب في انكم غير عالمين بالبينات والزبر
وا احتمال عدم علمكم به ايسر من السؤال فكيف اذا كنتم غير عالمين بها البتة وانتم ايضا من يسألون منهم لانكم تعلمون
انهم لا يجيبونكم البتة ذكرنا من انما ارسلنا من قبل ارسال هذا الرسول الارجالا يوحى اليهم فلم يبق لهم طريق سوى
التسليم والاذعان وعليه قول الاجير ان كنت علمت لك فاعطني حتى وقرأ حصن نوح اليهم بالثبوت وكسر الخاء
والباقيون بالياء وقبح الخاء وحركة الكسائي بيلا على اصلها (قوله بتوسط انزاله اليك) بان لوجه قوله ما نزل اليهم
مع ان القرآن مزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ونفع لما يقال من ان كونه عليه الصلاة والسلام مينا لما نزل
يفتضى ان يكون القرآن كله مجملا بان يكون المراد منه شفايا لا يطلع عليه مالم تأت البينات من قل المجمل لان
المفسر الى البيان يكون مجملا مع ان بعض محكم والحكم يجب ان يكون مينا ووجه الدفع ان القرآن المشتمل على
الاحكام المتعلقة بهم لما كان مزا عليه الصلاة والسلام بالاذنات ليلغف اليهم ويبين احكامهم لم يكن البينات
بمعنى بيان المجمل بل بمعنى تبليغ ما كفوا به اليهم ولو سلم انه بمعنى بيان المجمل فالمراد ببيان ما نزل بيان ما كان مجملا منه
بقريته ان الحكم لا يحتاج الى البيان (قوله والتبين) على ان المبين لجميع التكليف والاحكام هو الرسول
صلى الله عليه وسلم لعلمنا منها ان القياس ليس بمجته لانه لو كان حجة لما تدين الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان جميع
ما نزل اليهم لجواز ان يبين المكلف بعض الاحكام بطريق القياس وتقرر الجواب ان شارع جميع التكليف
والاحكام هو الله تعالى والقياس هو المظهر لبعض منها وهو عليه الصلاة والسلام مرشدا الى ما يكون طريقا
لاظهاره فصار بذلك مينا لجميع ما نزل اليهم فان التبين اعم من ان ينص بما هو المتصور من الاحكام او يرشدا الى
ما يدل عليه ويؤيد هذا الجواب عطف قوله ولعلمهم به فكروا على قوله لبيان فان الاحكام المنصوص عليها
لا تحتاج الى استفك ثم انه تعالى لما رد قول قرين في استبعاد ان يكون البشر رسولا من الله تعالى ونص على ارساله
عليه الصلاة والسلام لبيان للناس ما نزل اليهم شرع في تهديد ما كره به والسيئات منصوب على انه صفة مصدر
محذوف وان يخسف معمول آمن وخسوف المكان ذهابه في الارض يقال خسف الله به الارض خسفا اي غاب به

(او اخذهم في قلوبهم) اي مقلين في مسايرتهم
ومتاجرهم (فاهم عجزي او ياخذهم على تخوف)
على مخافة بان يهلك قوما قلوبهم فتخوفوا
فا تيهم العذاب وهم متخوفون او على تنقص شئ
بعد شئ في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفه
اذ تنقصه روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال
على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف
العرب ذلك في اشعارها قال نعم
قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته

تخوف الرجل منها تا مكافدا
كما تخوف عود النعمة السفن
فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
(فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
(اولم يروا الى ما خلق الله من شئ) استفهام انكار
اي قدرا وامثال هذه الصنائع فابالهم لم يتفكروا
فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه
وما موصولة بجملة بيانها (يتفأ ظلاله) اي اولم
ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفية وقرأ حجة
والكسائي تروا بالياء وابوعمر وتنفيا بالياء

فيها هددهم الله تعالى اولاً بذلك وثانياً بان يأتيهم ملائكة العذاب من جانب السماء فتهلكهم بفتنة وثالثاً ان تأخذهم العقوبة في اسفارهم فانهم لا يعجزون الله تعالى بسبب ذهابهم في البلاد البعيدة بل يهلكهم الله تعالى حيث كانوا ورابعاً بان يأخذهم بالعذاب لكن لا يأخذهم به ابتداء بل يخفيهم اولاً ثم يعذبهم بعده فانه تعالى اذا هلك فرقة فخافت التي تليها زماناً تكون الاخافة نوعاً من التعذيب ثم اذا هلكهم بعد ذلك يكون ذلك الاهلاك اشد عليهم وافضح من اهلاكهم ابتداء وان يأخذهم جميعاً بالعذاب على ان ينقص شيئاً بعد شيء في انفسهم واموالهم بان يظهر فيهم القتل او الموت او الفاقة فيأخذ منهم شيئاً فشيئاً حتى يأتي الاخذ على جميعهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسفة يحصل في الارض او بعذاب ينزل من السماء او بأفات تحدث دفعة واحدة حال انهم لم يكونوا علمين بعلاقتها ودلائلها او بأفات تحدث قليلاً قليلاً الى ان يأتي الهلاك على جميعهم (قوله تخوف الرجل منها تاماً مفرداً * كما تخوف عود النعمة السفن) وروى الجوهرى ظهر النعمة يدل عود النعمة وتخوف اى تنقص منها اى من الناقة واتامك السنام والقرد ما يتلبد من الصوف الجوهرى محاسب قرد ركب بعضهم بعضاً والنسج شجر يتخذ منه القسي والسفن بالتحريك الحديدة التي يفتح بها ويطلق على المبرد ايضا يصف ناقة اثر الرجل في سنامها وتنقصه كما ينقص المبرد من الودود ويقول تنقص الرجل منها سناماً مشرفاً مر فقفا متراًكم اللحم اى ركب بعضه فوق بعض (قوله لاتصلوا) مجزوم على انه جواب الامر وهو عليكم لانه بمعنى الرموالى لاتصلوا الديوان وروى لاتصلوا الى لاتصلوا في تفسير كتاب الله تعالى ديوانكم من دون الكتب اذا جمعها وقطعها لانه قطع من القراطيس مجموعة وديوان الشاعر مجموع متفرقات اشعاره ثم انه تعالى لما هددهم المشركين بانواع عذابه اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته ليملوا به لا يعجز عن ايصال ما ذكره من انواع العذاب فقال اولم يروا الآية قرأ حزنه والكتاني اولم تروا باناء على الخطاب جرياً على اسلوب قوله فان ربكم والباقون بالياء جرياً على قوله افا من الذين مكروا وقرأ ابو عمر وتقياً بتأين والباقون بياء وتاء وكلمة ما في قوله ما خلق الله موصلة مهمة ومن شيء بيان لها فان قيل كيف بين الموصول وهو مبهمة مثله بل هو ازيد ابهاماً مما قبله فالجواب ان شيئاً لما وصف بقوله يتقياً ظلاله احتض بالخلوقات التي لها ظلال متقية من الجبال والاشجار والابنية ونحوها من الاجرام الكسيفة فصلح بذلك لان يكون مينا لما خلق الله فلما كان البيان في الحقيقة مستنداً الى ما وقع صفة لشيء قال المصنف بيانها يتقياً ظلاله وقوله يتقياً يتفعل من القى يقال فاء الظل يقى شيئاً اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخته فان ظل الارض ينسبط على وجه الارض بغروب الشمس فاذا طلعت الشمس يشتد من الظل ما كان في جانب المشرق من الاجرام الكسيفة الى ان ينتصف النهار فاذا مالَت الشمس الى جانب المغرب يرجع الظل الذي نهضته الشمس في جانب المشرق الى ذلك الجانب ايضا فذلك الظل يسمى شيئاً فافضل اعم من القى حيث يطلق الظل على ما كان قبل الزوال وبعده والقي لا يطلق الا ما كان بعد الزوال قال الازهرى تفى الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار والتي لا يكون الا بالعتى بسبب انصراف الشمس عنه والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقبل القى والظل مترادفان يطلق كل واحد منهما على ما كان قبل الزوال وما كان بعده واستدل عليه بقول الشاعر
فسلام الاله يغدو عليهم * وفيه الفردوس ذات الطلال

فان الشاعر اطلق لفظ القى في هذا البيت على ما لم تسخه الشمس لان ما في الجنة من الظل دائم لا يحصل بعد ان كان زائلاً بسبب ضوء الشمس لقوله تعالى اكلها دائم وظلها واضيف لفظ الضلال الى ضمير مفرد لان مرجع الضمير وان كان مفرداً في اللفظ وهو قوله ما خلق الله لكنه كثير في المعنى وهو نظير قوله تعالى لتسودوا على ظهوره فانه اضيف للظهور الى ضمير مفرد رجوعه الى ما هو كثير في المعنى وهو قوله ما تركبون ثم قيل المراد باليمين والشمال يمين القلك الذي هو المشرق وشماله الذي هو المغرب تشبيهاً لجانب المشرق باقوى جانبي الانسان وهو جانب يمينه من حيث ان اقوى الحركات الفلكية التي هي الحركة اليومية آخذة من المشرق الى المغرب فلذلك جعل المشرق يمين القلك والمغرب شماله ووجه تفى الظلال عن يمين القلك الى الشمال وبالعكس ظاهر وهو ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط القلك تكون ظلالها مائلة الى الجانب الغربي ثم يزولها ترجع الظلال الى الجانب الشرقي وقيل المراد باليمين والشمال يمين الاجرام التي لها ظلال فان ظلالها تفى من جانب يمينها الى جانب شمالها وبالعكس وعلى القولين يكون اطلاق لفظ اليمين والشمال على جانبي الاشياء المذكورة على سبيل الاستعارة

كذلك ما ضربت الازياد بالسوط او صفة لهم اى رجلاً ملتصقين بالنبات او يوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعنه وهو اليهم على ان قوله فاسألو اعتراض او بلا تعلمون على الشرط للتبكي والازلام (وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وانما سمي ذكراً لانه موعظة وتنبية (لتبين للناس ما نزل اليهم) في الذكر بتوسط انزاله اليك مما رواه ونهوا عنه او مما تشابه عليهم وانبيئناهم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالمقياس ودليل العقل (واعلمهم يتفكرون) وارادة ان يتأملوا فيه فيتبينوا للحقائق (افا من الذين مكروا السيئات) اى المكرات السيئات وهم الذين احتلوا الهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صدامه عن الايمان (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) بفتنة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط

(عن اليين والشمائل) عن إيمانها وشمائلها أو عن
 جانبي كل واحد منها استعارة من عين الإنسان وشماله
 ولعل توحيد اليين وجع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى
 كتوحيد الضمير في ظلاله وجعه في قوله (سجد الله
 وهم داخرون) وهما حالان من الضمير في ظلاله
 والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع
 أو الاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالته لكثرة الحمل
 وسجد البعير إذا طأ رأسه ليركب أو سجد حال
 من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
 ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها وباختلاف
 مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى
 جانب متقادة لما قدر لها من التقيء أو واقعة على
 الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والأجرام
 في أنفسها ابضا داخرة أي صاغرة متقادة لأفعال الله
 تعالى فيها وجع داخرون بالووالان من جلالتها من
 يعقل أولان الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد
 باليين والشمائل عين الفلك وهو جانب الشرق لأن
 الكواكب تظهر منه أخذة في الارتفاع والسطوع
 وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فإن الظلال
 في أول النهار تتبدى من المشرق واقعة على الربع
 الغربي من الأرض وعند الزوال تتبدى من المغرب
 واقعة على الربع الشرقي من الأرض (ولله يسجد
 ما في السموات وما في الأرض) أي بتقاد انقياداً بعم
 الانقياد لأرادته وتأنيبه طبعاً والانقياد لتكليفه وأمره
 طوعاً ليصح استناده إلى عامة أهل السموات والأرض
 وقوله (من دابة) بيان لهما لأن الدبيب هو الحركة
 الجسمانية سواء كانت في أرض أو سماء (والملائكة)
 عطف على الميين عطف جبريل على الملائكة التعظيم
 أو عطف المجرّدات على الجسمانيات وبه احتج من قال
 إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض
 والملائكة تكرر لما في السموات وتعين له أجلا لا
 وتعظيماً والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم
 وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله
 حيث احتج القليلان أولى من إطلاق من تعالوا للعقلاء
 (وهم لا يستكبرون) عن عبادته يتخافون بهم من
 فوقهم يتخافونه إن يرسل عذاباً من فوقهم أو يتخافونه
 وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق
 عباده والجللة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له
 وتقدير لأن من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته
 (يفعلون ما يؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه
 دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف
 والرجاء (وقال الله لا تتخذوا كهين اثنين) ذكر العدد
 مع أن العدد يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه

انتصريحه أو على سبيل التخييل للاستعارة المكنية لانهما لا يطليقان على سبيل الحقيقة الأعلى جاتبي الإنسان
 والظاهر أن قوله عن اليين متعلق بيشق أي يتجاوز الظلال عن اليين إلى الشمائل وبالعكس والتعريف الحاصل
 بالإيمان والشمائل بدل من التعريف الحاصل بالانضافة والمصنف أشار إلى الأول بقوله عن إيمانها وشمائلها وإلى
 الثاني بقوله أو عن جانبي كل واحد منها وأشار بآراء لفظ عن إيمانها بدل اللفظ المفرد المطابق لما في نظم القرآن لأن
 لفظ اليين وإن كان مفرداً فهو اسم جنس يتناول جميع سمياته فعبّر به عن الجمع لظفة المفرد كما في قوله تعالى ويولون
 المذبراي الأديار (قوله باعتبار اللفظ والمعنى) فإن لفظاً مفرداً معناه كثير فافرد لفظ اليين اعتباراً للأفراد ما اضيف
 هو إليه من حيث اللفظ وجع لفظ الشمائل اعتباراً للكنزة معنى ما خلق الله فإن قوله عن اليين والشمائل بمعنى عن
 عين ما خلق الله وشماله وسجداً جمع ساجد كراعى وركع (قوله وهما حالان من الضمير في ظلاله) والمعنى يتقياً
 ظلال ما خلق الله في حال كون أنفسهم ساجدين لله تعالى متواضعين متصاغرين متقادين لحكمه والجمهور وإن
 كانوا لا يجوزون انتصاب الحال من المضاف إليه إلا أن منهم من جوز ذلك إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه نحو
 خلقت رأس زيد قائماً أو كالجزم كما في قوله تعالى اتبع مله إبراهيم حينما وظل الشيء بمنزلة الجزء منه أهو ناشئ
 عنه والعامل في مثل هذا الحال معنى الاختصاص والاتصاف المستفاد من الانضافة (قوله أو سجد حال
 من الظلال وهم داخرون حال من الضمير) أي في ظلاله فالمعنى ظلالهم ساجدة وهم في أنفسهم صاغرون متواضعون
 (قوله أو واقعة على الأرض) يعني جعلت الظلال ساجدة إما لكونها متقادة لأرادة الله تعالى خاضعة لتقديره
 وتدبيره وإما لكونها واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجدين ولما كانت هيئة الظلال شبيهة بهيئة
 الساجدين أطلق عليها لفظ السجود على سبيل الاستعارة وكان الحسن يقول أما ظلالك فتستجدي بك وأما أنت فلا
 تستجده بئس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله تعالى سواء كان
 ذلك الشيء ساجداً أم لا (قوله عطف جبريل على الملائكة) بناء على أن اسم الدابة يتناول الأجسام اللطيفة
 السماوية والدواب الكثيفة الأرضية من حيث أن كل واحد من التوعيد له ديب يلقى به فيكون عطف الملائكة على
 الميين من قبيل عطف الخاص على العام لظهور الشرف ودون جعل اسم الدابة مختصاً بالحيوانى الجسماني الذي يتحرك
 ويدب وجعل الملائكة أرواحاً محضة مجردة عن الديب والحركة الجسمانية يكون من عطف أحد المتأنيين على
 الآخر قال صياح الكتشاف فإن قلت هلا جئ بمن دون ما تغليب للعقلاء على غيرهم والمصنف أجاب عنه بأن
 استعمال كلمة ما في القلبين حقيقة فهو أولى من سلوك طريقاً لتغليب الذي هو من باب المجاز وقوله تعالى وهم
 لا يستكبرون يجوز أن يكون استئنافاً خبر بذلك عنهم وإن يكون حالاً من فاعل يسجد وقوله يتخافون ربهم من باب
 حذف المضاف أي يتخافون عذاب ربهم ومن فوقهم صفة للمضاف المقدّر أي الكائن من فوقهم وصف العذاب
 بذلك لأن أكثر ما يأتي من العذاب المهلك أي يأتي من فوق ويحوز أن يكون من فوقهم حالاً من ربهم أي يتخافون
 ربهم عالياً عليهم علو الرتبة والقدرة فأخبرهم بذلك عنهم وإن يكون حالاً من فاعل يسجد وقوله يتخافون ربهم من باب
 عبادته واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا أنه تعالى وصفهم بالخوف فلو لا أنهم يجدون من أنفسهم
 الأقدام على الذنب لما حصل لهم الخوف وأجيب عنه بوجهين الأول أنه تعالى حذرهم من العقاب حيث قال
 ومن يقل منهم إلى الله من دونه فذلك نجزيه جهنم فلخوف العقاب يتركون الذنب والثاني أن ذلك الخوف خوف
 الإجلال كقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله عليه الصلاة والسلام أتى لأخشاكم لله فانه يدل على
 أنه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم كان الخوف أكثر منه وأعظم وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والهيبة
 من كمال الكبرياء (قوله ذكر العدد) جواب عما قيل أن الملائكة سبعون أو ثمانون أو ثمانون أو ثمانون أو ثمانون
 عليه وذلك إنما يكون إذا كان المعداد وراء الواحد والاثنين وأما نحو رجل ورجلين فانهما يدلان على الوحدة
 والاثنيتان فلا حاجة إلى ذكر شيء زائد يدل على الوحدة والاثنيتان معهما فأوجه قوله تعالى كهين اثنين إنما هو
 الدواحد وذكر المصنف لذكر العدد فثبت أن الأولى الدلالة على أن الكلام مسوق للنهي عن اتخاذ الاثنين من الأكهية
 فإن لفظ أكهين حامل للمعنى الجنسية أعني الأكهية ومعنى العدد أعني الاثنيتان وكذا لفظ الهامل للمعنى الجنسية
 والوحدة والغرض المسوق له الكلام في الأول النهي عن اتخاذ الاثنين من الهال عن اتخاذ جنس الهال وفي الثاني
 اثبات الواحد من الهال لا إثبات جنسه فوصف الهين بأثنين والذبوا أحداً أيضاً لهذا الغرض وتفسيره أن حق الكلام

ان يحییء المساق له الكلام من الغرض وذلك قد يكون بخذف ما يخیل غرض آخر وزيادة ما يزیل ذلك التخیل والاول كما تقول اللباس طويل واللباس قصير اذ رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة والثاني كما نحن فيه فانه زيد فيه لفظ واحد واثنين مع انهما الوحدة والاثنيتان من لفظ الموصوف اعتناء بشأنهما ودلالة على انهما الغرض المسوق له الكلام فكل واحد من لفظي اثنين وواحد وصف صناعي جئ به لبيان الغرض وتفسيره كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحه الا اذ قوله في الارض وصفه لدابة ويطير بجناحه وصفه لطائر ليدل على ان القصد الى الجنس دون الوحدة فالاشنان يشتركان في ان الوصف فيهما للبيان ويفترقان من حيث انه في الهين اثنين واله واحد لبيان القصد الى العدد دون الجنس بخلاف الوصف في قوله تعالى وما من دابة وفي قوله يطير بجناحه فانه لبيان القصد الى الجنس دون العدد والخطيب الدمشقي اورد هذه الآية في باب الوصف وذكر انه للبيان والتفسير واورد السكاكي في باب عطف البيان مصرحاً بأنه من قيل التابع الذي يراد به البيان والتفسير وذهب العلامة الى ان مذهب صاحب الكشف ان الهين اثنين ونقطة واحدة من التأكيد الصناعي بناء على قوله شفع اسم الله والهين بما يؤكده دلالة على ان المعنى فيهما العدد لا الجنس ولا خلاف بينهم اذ ليس في كلام السكاكي ما يدل على انه عطف بيان صناعي لانه لا يكون الا بترك لفظ المتبوع او بالفاظ مخصوصة وكلا الامر ين متف ههنا والفائدة الثانية لذكر العدد في هذه الآية ما اشار اليه بقوله اواعياء بان الاثنيتان تنافي الالهية ووجه الايعاء ان توصيف الهين باثنين يشعر بان علة انتهى هي الاثنيتان وكونها منافية للالهية ووجه المناقاة ان الوصف صناعي لانه لا يمكن اشتراك في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعيين وما به المشاركة غير ما به المباينة فيكون كل واحد منهما مركباً من جزئين وكل مركب ممكن وقد فرض ان كل واحد منهما واجب لذاته هذا خلف ولانا لو فرضنا الهين فلا يتخلو اما ان يكون كل واحد منهما معاملة مستقلة لكل واحد من الممكنات الموجودة او يكون لكل واحد منهما معلول مغاير لمعلول الآخر والاول يستلزم توارد العلتين المستقلتين على معلول شخصي والثاني يستلزم التنازع ولانه لو حاول احدهما تحريك جسم مثلاً والآخر تسكينه فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدين في موضع واحد او لا يحصل مراد كل واحد منهما فيلزم عجزهما والعجز لا يكون اله او يحصل مراد احدهما فيلزم عجز احدهما دون الآخر فلا يكون الاخر الها فثبت ان الاثنيتان تنافي الالهية وانتظام قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا بآلهه معطوف على قوله ما خلق الله من شيء على اسلوب قوله * علقتهما بتنا وما باردا * وقوله * متقداسا فاورحما * اي وسقتهما ما باردا واحمالا ربحا اي اولم ينظروا الى ما خلق الله من الدلائل الدالة على كمال قدرته ولم يستمعوا الى ما قاله الله واوحاه في الكتب المنزلة من بيان التوحيد وفي الشركاء (قوله وتصريحاً بالمقصود) وهوان الاله الذي ثبت وحدته هو متكلم هذا الكلام ليسارع الى تأمل كلامه ويتعظ بما فيه من وجوه الهدى والارشاد (قوله فاي اي منصوب بفعل مقدر بعده يفسر هذا الظاهر اي اي اي اذهبوا فارهبون والواو في قوله وله ما في السموات عاطفة على قوله له واحد وهو مفرد فيجب ان تأول الجملة المعطوفة ايضا بالمفرد لانها المعطوفة على الخبر كانت هي ايضا خبرا ويجوز كونها معطوفة على الجملة بأسرها وهي قوله انما هو اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء واستئناف فانه قد يؤتى بالواو اول كلام من غير ان يقصد بها عطف وتشريك وقوله واصباحا من الدين والعامل فيها الاستقرار الذي تعلق به الحال الواقع خبرا والواصب الدائم قال تعالى ولهم عذاب واصب قيل ليس من احديدان له ويطاع الان تقطع ذلك الدين والطاعة بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق تعالى فان طاعته لازمة ابدان العلة في كونه تعالى مطاعا وهي تفرد بالالهية ثابتة لازمة له ابدان فيدوم له معلولها الذي هو الطاعة والانقياد (قوله وقيل واصبا من الوصب) وهو التعب ويكون بناء فاعل حيثئذ للنسب بمعنى ذا وصب لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد (قوله واي شيء اتصل بكم من نعمة) على ان ما شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف وقوله فخر الله جواب الشرط قال الفراء التقدير وما يكن بكم وقد رد هذا الوجه بانه لا يحذف فعل الشرط الابدان خاصة في موضعين احدهما ان تكون في باب الاشتغال نحو وان احدهم المشركين استجارك لان المحذوف في حكم المذكور والثاني ان تكون متلوة بلا انافية وان يدل على الشرط مع ما تقدم من الكلام كقوله فطلقها فقلت لها بكفو * والايعل مفرق الحسام

او ايعاء بان الاثنيتان تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدة دون الالهية اولثنية على ان الوحدة من لوازم الالهية (فاي فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم بمبالغة في التهريب وتصريحاً بالمقصود فكل ما قال فانا ذلك الاله الواحد فاي فارهبون لا غيري (وله ما في السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) اي الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع وايه لمن آمن وعقابه لمن كفر (افغير الله تتقون) ولا ضار سواء كالا فاع غيره كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فخر الله) اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى للحصولها منه (ثم اذا مسكم الضر فآله تجارون) فانتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يريهم يشركون) وهم كفاركم

مبتدأ وقوله في الله خبرها زيدت الفاء في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط ومن نعمة بيان للوصول والتقدير والذي استقر بكم من نعمة فهو من الله ولما كان مضمون الصلاة في مثله سببا لحصول مضمون الخبر كما في قولك الذي يأتي في درهم وليس استقرار النعمة بالتخاطين سببا لحصولها من الله بل الامر بالعكس بين المصنف ان الوجه في كون مضمون الصلاة شرطا لمضمون الخبر كون مضمونها سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى بين اولاً انه يجب على العاقل ان لا يتق غير الله ثم بين في هذه الآية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله اذ لا منعم غيره تعالى ثم بين انه اذا اتفق لاحدهم مضرة توجب زوال شيء من تلك النعم قال الله يحاراي رفع صوته بالاستغاثة والتضرع لعله بان لا تنزع الخلق الا اليه فكأنه تعالى قال لهم فإين انتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة ثم بين انهم عند كشف الضر وسلامة الاحوال يفترون فريق منهم يبق على مثل ما كان عليه حال الضراء لا يفرغ الا الى الله وفريق منهم يغير حالهم فيشركون بالله تعالى غيره وهذا غاية الجهل والضلالة لانهما شهدت فطرته الاصلية عند زوال البلاء والضرر انه لا مفرغ للعبد الا الله تعالى فعند زوال البلاء يجب ان لا ينصرف عن ذلك الاعتقاد ومقتضاه وهذا التقرير مبني على ان يكون منكم صفه لفريق ومن للتبعيض وهذا انما يكون اذا كان الخطاب في قوله وما بكم من نعمة عاما ويكون المراد بالفريق من دامت حالته في دين الله واستمر على ما كان عليه من العبودية (قوله كما أنهم قصدوا بشرتهم كقران النعمة) بان اضافوا هالي شر كما هم واصنامهم اشارة الى ان اللام في قوله تعالى ليكفروا واللام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا ولما كان شركهم مؤديا الى كفران النعمة صار الكفران لهم غرضاً مطلوباً من الشر لك فادخل عليه لام العلة تشبيها لعاقبة الشيء بعلة وقيل انها لام كي متعلقة بشركون والمعنى ان اسراهم سببه كفرهم به اي بالقرآن وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من النبوة والشرائع على ان يكون المراد بقوله تعالى بما آتيناهم القرآن والنبوة وما تشرع عليهما (قوله وقرئ فيتمتعوا) بضم الياء التخانية وهذا المضارع في هذه القراءة يجوز ان يكون حذف النون فيه للنصب عطفا على ليكفروا وان كانت اللام في لام الصيرورة والنصب ايضا ولكن على جواب الامر ان كانت اللام لام الامر الوارد للتهديد ويجوز ان يكون حذف النون فيه الجزم عطفا على ليكفروا ان كانت اللام في لام الامر (قوله او التي لا يعلمونها) فالمعنى ويجعلون لا كهتهم التي ليس اعتقادهم في حقها علم فانهم يعتقدون انها آلهة وانها تنفع وتضر وان طاعتهم اياها تنفعهم واعراضهم عنها يضرهم وليس شيء من هذه الاعتقادات علماء لكونها مخالفة للواقع فصح ان يقال انهم لا يعلمونها فان من رأى شيئا واعتقده ان انسان وهو شجر او حجر صح ان يقال انه لا يعلم ذلك الشيء مع انه يعرف ذاته ولو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذاتها يفسد المعنى لانه يستحيل ان يجعل الشخص نصيبا من رزق قلن لا يعلمه (قوله او لجهلهم) معطوف على قوله لا اكهتهم والمعنى ويجعلون لعدم علمهم نصيبا والمجمل له هو الا كهة وحذف للعلم به والجعل بمعنى التصيير ونصيبا هو المفعول الاول للجعل والجار قبله هو الثاني ومما رزقناهم يجوز ان يكون نعتا لنصيبا وان يتعلق بالجعل فن على الاول للتبعيض وعلى الثاني للابتداء وكان مشركوا العرب يجعلون لا واثانهم جزءا من اموالهم لقوله تعالى في حقهم قالوا هذا لله يزعمهم وهذا الشرعنا اي يجعلون نصيبا من الحرث والانعام لله تعالى يتقربون به اليه ونصيبا للاصنام يتقربون به اليها وقيل المراد بهذا النصب البهية والسأبة والوصيلة والحام ثم انه تعالى لما حكى عن هؤلاء المشركين قولهم الفاسد بطريق التبية الفت البهم وخاطبهم مقدما على نفسه قائلا تالله لتسألن اى اى اسكن تسألون سؤال توبيخ وتهديد عما تقولونه على الله تعالى من انه امر بكذا ويجوز في ما يشتهون ارفع بالابتداء كأنه بعدما حكى عنهم انهم يجعلون لله البنات استأنف به ويجوز ان تكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات ولهم عطف على الله اي يجعلون لهم ما يشتهون وهذا الوجه يقتضى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد فان ضمير الفاعل وهو او يجعلون عبارة عن المشركين وكذا الضمير الجور في لهم عبارة عنهم ايضا وقد تقرر في النجوانه لا يجوز اتحاد ضميرى الفاعل والمفعول الا في باب ظننت واخواتها من افعال القلوب ولا فرق في عدم وقوعه بين ان يتعدى الفعل الى الضمير بنفسه او بحرف الجر فلا يجوز زيد ضربه اى ضرب نفسه ولا زيد حربه اى حزن بنفسه ويجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وعدمه اى ظن نفسه قائما وفقد نفسه وعدمه اذا تقرر هذا جعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدى الى اتحاد ضميرى الفاعل والمفعول الذى عدى اليه الفعل بحرف الجر قال الامام اجاز الفراء في ما وجهين الاول ان تكون في محل النصب على معنى

(ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من البيان فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من التبعيض على ان يعتبر بعضهم بقوله فلما نجاهم الى البر ففهم مقتصد (بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى (فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقرئ فيتمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جازان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لما لا يعلمون) اي لا لهمم التي لا علم لها لانها جاد فيكون الصبر لما او التي لا يعلمونها فيفتقدون فيها جبالا مثل انما تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما حذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجمل له محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم) من الزرع والانعام (تالله لتسألن ان عما كنتم تفتنون) من انها آلهة حقيقة بالقرب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات) كانت خرافة وكناية يقولون ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تزيه له من قولهم او لنحب منه (ولهم ما يشتهون) يعنى البين ويجوز فيما يشتهون ارفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو ان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لتسألن واحدا لكنه لا يبعد تجوز في المعطوف

ويجعلون لانفسهم ما يشتهون واليائي ان يكون رفعا على الابتداء لانه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابدأ فقال واسم ما يشتهون يعني البين وهو قوله ام له البنات ولكم البنون ثم اختيار الوجه الثاني لانه لو كان في محل النصب ينبغي ان يقال ولا تشبه ما يشتهون لانك تقول جعل لنفسه كذا وكذا ولا تقول جعل له وابي الرجاء اجازة الوجه الاول وقال مافي موضع رفع لا غير والتقدير ولهم الشيء الذي يشتهون ولا يجوز النصب لان العرب تقول جعل لنفسه ما يشتهى ولا تقول جعل له ما يشتهى وهو معنى نفسه انتهى ما ذكره الامام بعبارة والحاصل ان المستمع هو اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول بان يكونا عبارتين عن شيء واحد فلا يمتنع ان يقال زيد يضرب نفسه وضرب نفسه زيد اذا لامتناع اتحاد الضمير شرطا آخر وهو ان يكون كل واحد من الضميرين متصلا اذ لو كان ضمير المفعول منفصلا جاز اتحادهما مع الضمير المرفوع نحو زيد ما ضرب الاياه والمصنف فرق بين اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول المذكور ابتداء وبين اتحادهما مع ضمير المفعول المذكور معطوفا على ضمير المفعول المرفوع بالابتداء وجعل المستمع هو الاتحاد على الوجه الاول دون الوجه الثاني (قوله اخبر بولادتها) يعني التبشير ههنا بمعنى الاخبار مطلقا وان كان في عرف اللغة تخصا بالاخبار بالخبر الذي يفيد السرور والاخبار بولادة الاتي للملم بعد السرور وجعل على مطلق الاخبار (قوله صار اودام التهارك) يعني ان طول الشيء على صفة قد يعبر به عن كونه عليها في تمام اثارها وقد يكون بمعنى صيرورته عليها مطلقا وعلى التقديرين يكون ظل من الافعال الناقصة ووجه اسمها مسودا خبرها (قوله واسوداد الوجد كناية عن الاعتماد والتشوير) التشوير التحجيل يقال شوربه فتشور راي اخجله فحجل اذا فعل به ما يستحي منه والمناسب التشوير والتشوير وعمله سبه من قلم الناسخ وقوله كناية عن الاعتماد لكون اسوداده وغيبته من لوازم الغم كان اشراقه واستنارته من لوازم الفرح فان الانسان اذا قوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستبشر وجهه واذا قوى غم تحتني الروح في داخل قلبه فلا يتي منها ثرقوى في ظاهر الوجه فلا جرم يصفر وجهه ويظهر فيه اثر الارضية والكآبة (قوله محبة نفسه) اشارة الى ان الجملة الاستفهامية معمولة لشيء محذوف هو حال من فاعل يتوارى وهو مراد من قال انها في موضع الحال لان الحاجة قد نصوا على ان الحال لا تقع جملة طلبية فالعنى يتوارى محذورا نفسه ومتفكرا اعسكه على هون وتذكير ضمير يسكه ويدسه اعتبارا بلغة ما في قوله ما يشتر به وقوله على هون يتجمل ان يكون حال من الفاعل المسك او من المفعول اى يسكه اذ لية مهابة والدس اخفاء الشيء والمراد به ههنا اللود وهودفن المولود حيا وكانت العرب تدفن البنات احياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الكفا فيهن نقل عن صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال من ابلى من البنات بشي فاحسن اليهن كنه له سترامن النار وقال عليه الصلاة والسلام من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة اما هو كيهاتين وضم اصابعه اخرجهما مسلم (قوله المادية بالموت) وصف الحاجة الى الولد التي هي بيان صفة السوء فان الافراد الانسانية يطرأ عليهم الموت والفناء والملائكة لا تتوالد لكون انفسهم مصبوتة عن طرق الفناء اليها (قوله او من دابة طالدة) عطف على قوله من دابة قط قيل على الاول التكبير في الدابة الجنس وعلى هذا النوع ولما دل ظاهر الآية على ان ظلم الناس بوجوب اهلاك جميع الدواب طالدة كانت او غير طالدة ولا وجه لاهلاك غير الطالدة منها اشارة المصنف الى ان الآية على ظاهرها وان هلاك الجميع بسبب شؤم ظلم الناس وايدى بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قيل في طريق هلاك الجميع انه تعالى عسك القطر شؤم ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع السل فلا يتي على ظهرها دابة قط وقوله وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء اى وذلك يستلزم ان لا يتي في العالم احد من الناس اذ من المعلوم انه لا احد الا في آباءه من يستحق العذاب فاذا هلكوا فقد انقطع نسلهم فيلزم ان لا يتي في العالم احد من الناس وذلك يستلزم ان لا يتي احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لنا نفع العباد ومصلحتهم واذا لم يتي من ينفعها فقد انتفت الحكمة في بقاءها فوجب اهلاكها ووجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى لما حكي عن القوم عظيم كفرهم وبيع قولهم بين انه يجهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك (قوله ولا يلزم من عموم الناس) جواب عن احتجاج الطاعنين في عصبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية قائلين انه تعالى اضاف الظلم الى ما يعبر به عن جميع اولاد آدم من الانبياء وغيرهم فلو لان كل واحد منهم اتي بالذنب والمعصية لما صحت اضافة المعصية الى كافة الناس وتقرر الجواب ان الانساق ان اضافة الظلم الى الناس بناء على كون كلهم ظالمين لجواز ان يضاف الحكم الصادر عن بعض القوم الى كلهم نحو بنو افلان قتلوا زيدا مع ان القاتل واحد منهم فلما جاز ذلك فبالاولى

(واذا بشر احدهم بالاثي) اخبر بولادتها (ظل وجهه) صار اودام التهارك (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاعتماد والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستحي منهم (من سوء ما يشتر به) من سوء ما يشتر به عرفا (ايسكه) محذورا نفسه متفكرا في ان يترك (على هون) ذل (ام يدسه في التراب) ام يخفيه فيه ويثده وتذكر الضمير لفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما (الاساء ما يحكرون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم (الذي لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المادية بالموت واستهزاء الذكور استطهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خيبة الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجلود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المتفرد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) على الارض وانما اصعراها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها (من دابة) قط بسؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجبل يهلك في حجره بذن ابن آدم او من دابة طالدة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) سماه لاجلهم اولعذابهم كي يتوالدوا (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) بل هلكوا وعذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واطافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم

ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم واجب ايضا بانه قد ثبت بالدلائل القاطعة ان كل الناس ليسوا باظالمين منها قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولو كان المقتصد والسابق ظالمين لفسد ذلك التقسيم فعلمنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لا يجوز ان يقال كل الخلق ظالمون فوجب ان يخص الناس المذكورون في قوله تعالى واورثنا الكتاب الله الناس بظلمهم بالعصاة الذين هم استحقوا العقاب او يحمل التفريق فيه على العهد والمعهود المشركون الذين تقدم ذكرهم والذين اثبتوا لله البنات وعلى التقديرين يسقط استدلال الطاعنين في عصمتهم بهذه الآية (قوله والاستخفاف بالرسول واراد الله الاموال) معطوفان على البنات فانهم كما يكرهون البنات والشركاء في رياستهم يكرهون ايضا ان يستخف رسلكم وان يخص صواب دلائل الاموال وان يخص شركاؤهم في رياستهم بكرام الاموال ثم انهم يجعلون لله تعالى جميع هذه المكروهات عندهم فانهم يسمون الملائكة بنات الله ويثبتون له شركاء في الوهية ويستخفون برسوله ويجعلونه ارذل اموالهم وللانعام اكرامها (قوله مع ذلك) الجمل المشتمل على القول والفعل القبيحين الجمهور على ان الكذب منصوب على انه معقول به وان لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل اى نصف وتبين الستهم معنى كاذبا غير مطابق للواقع وهو ان لهم الحسنى عند الله في الآخرة فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيامة اجيب بان جميعهم لم ينكروا القيامة بل كان في العرب جمع يقررون بالبعث والقيامة حتى روى انهم كانوا يربطون البعير للنفس على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مكرهه وجب ايضا بان حكمهم بذلك لا يستلزم اعتقادهم بالبعث والقيامة لجواز ان يكونوا منكرين لها طبعاً ويكون حكمهم بذلك مبنياً على الفرض والتقدير بان يقولوا ان كان محمد صادقا في قوله بالبعث والشور فانه يحصل لنا الجنة والثواب بهذا الدين الذي نحن عليه ويؤيد هذا الجواب ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده الحسنى فان كلمة ان اما تستعمل في الامور المحتملة التى لا قطع بتحققها والاصل ان فريقاً من الكفار يدعى الاشتراك مع المؤمنين في نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك معهم في نعيم الدنيا كقوله تعالى ام حسب الذين اجتروا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحبائهم ومماتهم سواء ما يحكمون ومنهم من ادعى ان نعيم الآخرة لانفسهم خاصة وان النار للمؤمنين لما يرون اكثر المؤمنين على الفقر والقله ويرون انفسهم اصحاب السعة في انواع الاموال فيحتمل ان يكون قوله تعالى وتصف الستهم الكذب ان لهم الحسنى واردا في حق الذين ادعوا ان الجنة لانفسهم خاصة ثم كذبهم الله تعالى في قولهم بان لهم الحسنى فقال لاجرم ان لهم النار اى حقا ان لهم النار وقيل لاردل قولهم اى ليس الامر كما وصفوا وزعموا جرم فعلهم اى كسب ذلك القول فعلى هذا يكون ان مع ما في حيزه في محل النصب بوقوع الكسب عليه (قوله من افرطه في طلب الماء اذا قدمته) وهو منقول بالهزيمة من فرط الى كذا اى تقدم اليد وجعل صاحب الكشف فعل وافعل بمعنى حيث قال فالتفوت بمعنى مقدمون الى انثار معجلون اليها من افطرت فلانا وفرطه في طلب الماء اذا قدمته والمعنى على قراءة نافع انهم متجاوزون الحد في معاصي الله تعالى وافرط بمعنى تجاوزوا الحد لازم فلا يجزى عنه اسم المفعول ويقال فرط في الامر بالشديد اذا قصر فيه ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم فقال تالله لقد ارسلنا الية وختم تسليته بما يدل على انك لم تبعث الا لئلا تبلغ وتبين للناس ما هو الحق من العقائد والاعمال لان تلفت الى سفاهات قومك وجهالاتهم وتغتم لاجلها فقال وما اترك عليك الكتاب الية ثم انتقل الى تقرير دلائل الوهية وتفرد بها فقال والله انزل من السماء ماء الية تاتى بها على ان دلائل حقيقه ما دعوت اليه واضحة وان من خالفك فانه يخالف عنادا فلا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يكرهون (قوله فان الانعام اسم جمع) علة لقوله للفظ يعنى ان انعاما اسم مفرد بمعنى الجمع مثل اسمعيل واخلاق واكياس واعشار فالف اسماء مفردة حيث يوصف بها المفرد يقال ثوب اسمعيل واخلاق اذا كانت مخلوقة فيد كله وكذا السموات يقال خلق الثوب وسمل اى بلى وثوب اكياس وهو ضرب من الشياح يغزل غزله مرتين وفي المثل عليك بالثوب الاكياس فانه من ثياب الاكياس ويقال ايضا برمة اعشار (قوله دلالة يعبر بها اشارة الى ان العبرة مصدر بمعنى العبور اطلق على ما يعبر به الى العلم بمخالفة في كونه سببا للعبور وقيل ذكر الضمير في بطونه مع ان الظاهر ان يقال في بطونها رجوعه الى الانعام لكون المراد بعضا منها وهو

(ويجعلون لله ما يكرهون) اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسول واراد الله الاموال (وتصف الستهم الكذب) مع ذلك وهو (ان لهم الحسنى) اى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده الحسنى وقرئ الكذب جمع كذب وصفة للالسة (لاجرم ان لهم النار) رد لكلامهم واثبات لصدقه (وانهم مفرطون) مقدمون الى النار من افرطه في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصى وقرئ بالتسديد مفتوحا من فرطه في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات (تالله لقد ارسلنا الى ايم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها اوفوه ووليهم حين كان يزين لهم اويوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آية ويجوز ان يكون الضمير لقرينى اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرمهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولي امثالهم والولى القرين حيث كان او الناصر فيكون نفع الناصر لهم على ابلاغ الوجوه (ولهم عذاب اليم) فى القيامة (وما ازلنا عليك الكتاب الا بين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال (وهدى ورجة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل لتبين فها فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله انزل من السماء ماء فاحي به الارض بعد موتها) اثبت فيها انواع البنات بعد يسها (ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون) سمع تدبروا و انصاف (وان لكم فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم

(تسقيكم مافي بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانتم في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها اولوا وحده اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب تسقيكم بالفتح هتا وفي المؤمنين (من بين فرث ودم لبننا) فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضة بعض الانضمام في الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنها ان البهيمة اذا اعتلفت وانطخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة اطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يحسكها رثما يعضها هضمًا ثانياً فيحدث اختلاط اربعة معهما مائة فيغير القوة المميزة تلك المائية بما راد على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان اثنى زاد اختلاطها على قدر غناها لاسيلا البرودة والارطوبه على حزاها فيدفع الزائد الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضرع فيفيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداها ومجارها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفه فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناسي رجته ومن الاولى تبعية لان اللبن بعض مافي بطونه والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يتبدى منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم احوال من لبنا قدمت عليه لتكثيره وللتدريج على انه موضع العسبة (خالصا) صافيا لا يستحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصعد من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائلا للشارين) سهل المرور في حلقهم وقرئ سيعا بالتشديد والتخفيف

اشارة الى ان الذكور لا البان لها فكان العبرة انما هي لبعض منها وقيل ذكر باعتبار ما ذكر ومن في قوله مافي بطونه يجوز ان تكون للتبويض لان اللبن بعض مافي بطونه وفي قوله من بين فرث لا ابتداء الغاية لان الاسقاء يتبدأ من المكان الواقع بين الفرث والدم وهو اللبن الواقع اولا في خلال الفرث وثانيا في خلال الدم ويجوز ان تكون الاولى لا ابتداء الغاية فيكون مجرور الثانية بدلا من مجرور الاولى لثلاث يتعلق جاران متحدان لفظيا ومعنى بعامل واحد وهو نسقيكم وهو من بدل الاشتغال لان المكان مشترك على ما حل فيه ومن فتح النون في قوله نسقيكم فذليله واضح اذ يقال سقيته ماء ولبننا وما كان سقيا للشفة فهو يفتح اثون ومن ضم النون جعله من قولهم اسقاء اذا جعل له شربا كقوله تعالى واسقيناكم ماء فرانا اي جعلناه لكم شربا وقيل سقى واسقى كلاهما بمعنى والفرث سرجين الكرش لكل مجتر وهو الحيوان بمنزلة المعدة للانسان قال المص في الفرث وهو الخ وهو الخ يكون هو في قوله وهو بعض الاشياء راجعا الى الفرث وليس كذلك بل ينبغي ان يكون راجعا الى الدم لان المنهضم بعض الانضمام في الكرش هو الدم لا الفرث اي بعض الاشياء المأكولة ثم قال الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث قال الامام القول الصحيح في كيفية تولد اللبن ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته او الى كرشه سواء كان من الانعام او غيره فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه ما كان منه صافيا يجذب الى الكبد وما كان كثيفا ينزل الى الامعاء ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير ماء وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفر والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق الثانية من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غدي رخو يبيض فيقلب الله عز وجل الدم الى صورة اللبن فاذا تقرر هذا ظهر ان الدم واللبن ليسا بالثابت في الكرش ومنه الحس ايضا فان هذه الحيوانات تدبج ذبجا متوايلا وما رأى احد في كرشها لا دما ولا لبنا لو كان تولد اللبن والدم في الكرش لوجب ان يشاهد ذلك في بعض الاحوال واشئ الذي دلت المشاهدة على فساد لم يجب المصير اليه بقول من قال ان المراد من قوله تعالى من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتوالد من موضع واحد والفرث يكون في اسفل الكرش والدم يكون في اعلاه واللبن يكون في الوسط قول مخالف للحس والتجربة وايضا لو تولد الدم في اعلى المعدة والكرش كان تحت ذلك لان الحيوان يقي الدم وذلك باطل قطعا فلذلك ذهب المحققون الى ان المراد من قوله تعالى نسقيكم من بين فرث ودم لبننا انما نسقيكم لبنا متولدا من الاجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث والدم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا فصفاها الله تعالى عن تلك الكثينة الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل وانما قلنا ان مادة اللبن كانت حاصلة فيما بين الفرث والدم ثانيا بناء على ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء المأكولة الحاصلة في الكرش (قوله ومن تدبر صنع الله الخ) بيانه من وجوه الاول انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذا وشربه انطبق ذلك المنفذ انطبقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك الماء كمول والمشروب الى ان يكمل انضمامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك فينشد ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه الثقل فصول الانطباق تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى بالاعتقاد العليم الحكيم والثاني انه تعالى اودع في الكبد قوة هاضمة طبخة تضيخ بها تلك الاجزاء اللطيفة في الكبد وتنقلب دما ثم انه تعالى اودع في المرارة قوة جاذبة للصفر وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم صافيا الى الصافي الموافق لما تقدم منه في البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء تلك القوة الحاصلة فيها لا يمكن الاعتقاد العليم الحكيم واينما ان في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لعموم اعضاء ذلك الولد وازيادته فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك الدم نصيبا الى جانب اثنى يتولد منه اللبن الذي يكون له غذا فاذا اكبر الولد لم ينصب ذلك الدم نصيبا الى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب الى جميع بدن المغذي فانصباب ذلك الدم في كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للحكمة والصلفة لا يتأتى الا بتقدير الفاعل المختار الحكيم والاربع انه تعالى جعل الثقوب والمسام التي احدها في حلقه الذي ضيقه جدا بحيث اذا اتصل المص والحلب بتلك الحيلة لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء والاطسافة فانه لا يمكنها

الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى محبوسة في الداخل فكانت حلقة الحديد بسبب ضيق المنافذ المصفاة
 فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا وافقا لبدن الصبي سائلا للشاربين والخامس انه تعالى الهيم ذلك الصبي وهداه
 الى الصبي فان الام لا تقمت حلقة الحديد للطفل الصغير الهمة ذلك العمل المخصوص والاملا حصل بتخليق ذلك
 اللبن في الثدي فائدة والى غير ذلك من غرائب الحكم ودقائق الفضل والرحمة فسبحان من شهد جميع ذرات الاعلى
 والاسفل بكمال قدرته وبدائع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (قوله والسكر مصدر) سكر
 يسكر سكرًا وسكر اسعى به الخمر تسمية للتسبيح باسم مسبه فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض
 الانعام اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة وهي مدينة فكان نزول هذه الآية
 قبل كونها محرمة وقيل السكر هو عصير العنب والزبيب وانما اذا طبخ حتى يذهب ثلثه ثم يترك حتى يشتد وهو
 حلال عندنا في حنيفة قدس الله روحه الى حد السكر واحتج عليه بان هذه الآية تدل على ان السكر حلال لانه
 تعالى ذكره في معرض الانعام والمنتهى ورد بقوله عليه الصلاة والسلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب حرام
 باخبار جيدة قيل ان ابا علي الجبائي صنف كتابا في تحليل النبيذ فاشيخ واخذت منه الحسن العافية قيل له لو شربت
 منه تقوى فاني فليل له قد صنعت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمح بالروية اى يحبه اصحاب الدعة وهي
 الخبث والتفجور فقيح في المروءة لتسببه بهم يقال رجل داعر اى خبيث فاجرو فيه دعارة والكلام على حذف المضاف
 اى تناولته اصحاب الدعارة (قوله والابنة) كانت سابقة على تحريم الخمر فدل على كراهتها بطريق التعريض
 حيث عطف قوله وزقا حسنا على السكر وما يكون مقابلا للرزق الحسن لاجرم يكون قبيحا ومكروها
 (قوله والا) اى وان كانت نازلة بعد تحريمها تكون جامعة بين العتاب والمنة اذ قوله وزقا حسنا بطريق المنة كانه
 تعالى ونحهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن (قوله وقيل الطعم) اى قبل السكر الطعام واحتج عليه بقوله
 * جعلت اعراض الكرام سكرًا * اى جعلت ذمهم وغيتهم طعمها ونفلا الثقل بالضم ما ينتقل به على الشراب
 وقيل هذا بالخمر اشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تخمر اعراض الكرام جعل شغفه بغيرتهم وقرين اعراضهم
 جار مجرى شرب الخمر وقيل السكر سد الجوع من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر
 اسكره اذا سدته (قوله يستعملون عقولهم) يعنى ان قوله يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل
 منزلة اللازم (قوله اللهم واقذف في قلوبها) اى سخرها وقرر في نفوسها هذه الاعمال التي يعجز عنها العقلاء من
 البشر وان كانوا في غاية الذكاء والكياسة وقوله وقذف عطف تفسير لقوله اللهم فان الهام البها ثم ان يسخرها
 الله تعالى وينشئها على طابع يصدر عنها ما يصدر من الاحوال الغريبة من غير ان يعلم احد كسباحة الاوز وطيوان
 الطير في الهواء بطبعهم ما من غير تعلم ومعنى كون الفعل طبعيا ان لا مدخل للاختيار فيه لا يكون الطبيعة مؤثرة
 فيه اذ لا مؤثر الا الله تعالى قال القرطبي الالهام هو ما خلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر قال تعالى
 ونفس وما سواها فاللهمها فجورها ومن ذلك البهائم وما خلقه الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب
 مضارها وتديرها بشها لا ترى حذافة العمل في صنعها وبنائها البيوت المدسة من اضلاع متساوية لا يزيد
 بعضها على بعض فانها لو كانت مربعة بقيت منها فرج ضائقة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج
 التي بين البيوت ضائقة والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل هذه البيوت الابالات وادوات مثل المسطرة والبركار
 وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بماء الشكل المدس من الاشكال التي في داخلها وفيما يتنها فرج خالية
 ضائقة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المستمرة على الحكمة اللطيفة واخراج العسل منه في ذلك من
 غير تفكر وسابق تدبير دليل على ان احدا التي في قلوبها كاياني الشيطان وسوسه ويلهم الملك بنى آدم اشياء من
 غير ان علموا ان احدا دعاهم الى ذلك اوالى التي في قلوبهم لانها لا وقعت في قلوبهم من غير ان يسبق منها فكر وتدبير علم
 ان هناك ملقيا واخراج العسل المصنعي من لعبه دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الهيا قادر اعلى حكيم
 يفعل ما يشاء (قوله ولعل ذكره) ذكر اولان البيت هنا مستعار لجل الخل تشبها به بما بينه الانسان وبيت
 فيه من الابنية في اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ثم قال لعل التكنة في سلوك الاستعارة التنبية على
 ما في محل العسل من الصنائع المجيدة التي لا يقدر عليها المهندسون الابالات والانتظار الدقيقة (قوله من كل ثمرة
 تشبهها) اشارة الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق العرفي كافي قوله تعالى

(ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بحذف اى
 ونسفيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما
 وقوله (تتخذون منه سكرًا) استئناف لبيان الاسماء
 او تتخذون ومنه تكرر الطرف تأكيد او خبر لحذف
 صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر
 تتخذون منه وتذكر الضمير على الوجهين الاولين لانه
 للمضاف المحذوف الذي هو العصور ولان الثمرات بمعنى
 الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر (وزقا حسنا) كالتمر
 والزبيب والدس واخل والآية ان كانت سابعة
 على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والافامعة
 بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
 قال * جعلت اعراض الكرام سكرًا * اى ثقلت
 باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق
 ما يحصل من ثمنه (ان في ذلك لآية لقوم يعقلون)
 يستعملون عقولهم بالظن والتأمل في الآيات (واوحى
 ربك الى النحل) اللهم واقذف في قلوبها وقرى
 الى النحل بفتح النون (ان اتخذى) بان اتخذى ويجوز
 ان تكون ان مفسرة لان في الالحاء معنى القول وتأنيث
 الضمير على المعنى نان النحل مذكر (من الجبال بيوتا
 ومن اشجار وما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها
 لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم
 اوسقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه
 لتسكن فيه بيوتا تشبها ببناء الانسان لما فيه من حسن
 الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
 المهندسين الابالات وانتظار دقيقة ولعل ذكره
 للنبه على ذلك وقرى بيوتا بكسر الباء الياء وقرأ اى
 عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء

واوتيت من كل شيء فان بليس لم تؤت جميع ما يطلق عليه اسم الشيء المراد انها اوتيت من كل شيء اوتي الملوك اياه
فقوله تعالى ان اتخذني من الجبال بيوتاً ثم قوله كلي من كل الثمرات فيه طباق وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة
لانه اورد في الاول من التبعية وفي الثاني كلمة كل وفيه ارشادها الى وجوه العمل وترتيبه حيث سخرها الله
تعالى لان تسوي البيت ثم تأخذ من كل ثمرة جزءاً للجرس للعسل (قوله فاسلكي ما اكلت في مسالكه) اي
التي هي اجوافك وعروقك على ان قوله فاسلكي امر من سلكت التي في الشيء فانسلك اي ادخلته فيه فدخل
وهو متعد ولهذا قدر قوله ما اكلت ليكون مفعولاً والسيل مجاز عن مسالك الغذاء وهي الاجواف والعروق
فقوله من اجوافك بيان للمسالك وقوله او فاسلكي الطرق على ان قوله فاسلكي لازم من السالك والسيل مجاز
والمراد سبل عمل العسل وقوله فاسلكي راجعة على ان فاسلكي لازم والسبل حقيقة والمراد سبل الرجوع
الى البيوت فهذه ثلاثة اوجه اي اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة عن بيوتك فاسلكي سبل ربك راجعة الى
بيوتك والجرس اكل النحل وهو في الاصل صوت النحل عند الاكل يسمى اكلها جرساً لانها تصوت عند الاكل
وزاد صاحب الكتاب احتمالاً رابعاً وهو ان يكون المراد بالسبل سبل الذهاب الى طلب الثمار ويكون
المعنى ثم اقصدى اكل الثمار فاسلكي في طلبها ومطابقتها سبل ربك ولعل الوجه في عدم انتفاع المصنف اليه كونه
مستتراها لان يكون قوله ثم كلي بمعنى ثم اقصدى اكل الثمار والبقاء في فاسلكي على ما هو الوجه الاول للعطف
والتعقيب وعلى الوجه الآخر جواب شرط محذوف اي اذا اكلها فاسلكي (قوله وانت ذلل) جمع الخبر مع
ان المبتدأ مفرد لان الخطاب في قوله تعالى فاسلكي سبل ربك لجنس النحل بدليل قوله تعالى واوحى ربك الى
النحل وقد اشار المصنف اليه بقوله وتأنيت الضمير على المعنى يعني ان الجنس في معنى الجماعه (قوله عدل به
عن خطاب النحل) على طريق الامر التكليفي اظهرا الكمال قدرته ووحدانيته وتخلص منه الى خطاب الناس
وامتناءه بآلائهم عليهم بخلق النحل والهامة لاجل امتناعهم والظاهر ان توجه الامر والتكليف الى البهائم كما في هذه
الآية وفي قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم على طريق التمثيل شبه خلق الله تعالى اياها على غرار وطباع
توجب ما استند اليها من الاحوال بامرها وتكليفها فبمعنى المشبه بلفظ المشبه به وان كان لا يبعد ان يكون
لهذه الحيوانات عقول تصلح بها لان يوجه اليها من الله تعالى امر ونهي ثم ان كانت النحل نوعين احدهما ما يسكن
الجبال والغياض جمع غيضة ولا يسكنون تحت تصرف احد من الناس وثانيها ما يسكن في بيوت الناس
وما يرشونه اي ينونه ويرفعونه من سقوف البيت ويكون في تصرفهم فالاول هو المراد بقوله تعالى اتخذني
من الجبال بيوتاً ومن النجر والساني هو المراد بقوله تعالى وما يرشون اي يعرشه الناس والعرش سرير الملك
وعرش البيت سقفه والعرش والعريش ما يستظل به وعريش يمرش عرشاى اي يبيتا من خشب والمراد
بما يعرشه الناس ههنا اماما ينونه لانفسهم من البيوت ويؤمر النحل بان يتخذ بعضهم بيوتاً تسكن فيها واما
ما ينونه للنحل من الاماكن وهي خلايا النحل (قوله واحتج به) اي بقوله تعالى يخرج من بطونها اعلم
اهم اختلفوا في كيفية حصول العسل فالشهور ان النحل تأكل من الازهار والاوراق العطرية فما اكلته ينقلب
في جوفها وداخل بدنها عسلاً ثم تقي ادخاراً للشتاء وذلك هو العسل ومنهم من يقول يحدث في الهواء طل لطيف
في الليالي فيقع على اوراق الاشجار والازهار وقد يكون كثير المتجمع من اجزاء محسوسة كالترنجيبيل وقد تكون
الاجزاء الطلية صغيرة لطيفة فالنحل تلتقط تلك الذرات اللطيفة من الازهار والاوراق بافواهها وتغذي بها
فاذا شبعت التقطت شيئاً آخر من تلك الذرات وذهبت بها الى بيوتها كأنها تدخر بها غذاءها للشتاء فاذا اجتمع
في بيوتها شيء كثير من تلك الاجزاء الطلية يتعقد عسلاً ومال الامام الى هذا المذهب وقال انه اقرب الى العقل
والاستقراء ومال المصنف الى ما هو المختار عند المحققين من الحكماء حيث قال اولاً فاسلكي اي ادخلي ما اكلت في
اجوافك التي تحيل النور المرعسلا وهو تصريح بان ما اكلته النحل انما يقلب عسلاً في اجوافها وما قد ذاقها كلها
لا في خلاياها ومعالسها ثم قال ومن ذهب الى المذهب الآخر فقد احتاج الى تفسير الطون بالافواه ويدل على
ضعف هذا المذهب ايضا قوله تعالى ثم كلي فانه يدل على ان اعداء النحل تأثيراً في تكون العسل ومن جعل العسل
نباتاً محضاً فسر الطون بالافواه فليت شعري ماذا يصنع بقوله تعالى ثم كلي (قوله اما بنفسه اومع غيره)
اشارة الى جواب ما يقال من ان تعريف الناس يعيد العسوم فذات الآية على ان العسل شفاء من كل داء مع انه

(ثم كلي من كل الثمرات) من كل ثمرة تستهياها مرها
وحلواها (فاسلكي) ما اكلت (سبل ربك) في مسالكه
التي يجعل فيها بقدرته انور المرعسلا من اجوافك
او فاسلكي الطرق التي الهلك في عمل العسل او فاسلكي
راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتنوع عليك ولاتنس
(ذللاً) جمع ذلول وهي حال من السبل اي مثلاً
ذلها الله تعالى وسهلها لك اومن الضمير في اسلكي
اي واث ذل متقادة لما امرت به (يخرج من بطونها)
عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه يحل
الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامة
لاجلهم (شراب) يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به
من زعم النحل تأكل الازهار والاوراق العطرية فيستحيل
في باطنها عسلاً ثم تقي ادخاراً للشتاء ومن زعم انها
تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة
على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخاراً
فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر
الطنون بالافواه (مختلف ألوانه) ابيض واصفر
واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل
(فيدفعها للناس) اما بنفسه كما في الامر ارض البلقيصة
اومع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون مجنون
الا والعسل جزء منه مع ان الشكر فيه مشعر
بالبعض ويجوز ان يكون للتعظيم

يشتر العشر اوى والمحسومين والمحرورين وتقرير الجواب ان ما يكون علاجاً للصفر اوى ايضا انما يتم ويكمل بالعسل فيكون شفاء من كل داء بهذا الاعتبار ثم اجاب بمنع دلالة الآية على ان العسل شفاء لكل مرض لانه تعالى لم يقل شفاء لكل الناس ولكل داء وفى كل حال بل اشار بتكثير شفاء الى ان فيه بعض الشفاء وان جاز ان يكون التكثير فيه لتعظيم ما نريد من الشفاء وما زوى عن قتادة رضى الله عنه انما يدل على كونه شفاء في الجملة لا على كونه شفاء لكل داء لجواز ان يكون استطلاق بطن الرجل من فضله بلغمية فاحساج الى شرب العسل لانضاجها ودفعها وقوله عليه الصلاة والسلام وكذب بطن اخيك معناه ان بطنه لم يأخذ من العسل ما يضره ماله ويصلح من اجله الا انه لما ذكر قوله صدق الله حسن ان يقال في جنبه كذب بطن اخيك روما للشاككية (قوله فكأنما انسط من عقال) اى تخلص يقال نشطت الجلى انشطه اى عقدته وانشطته اى حللته وقد يقال كأنما نشط من عقال واس بصحيح (قوله وقيل الضمير للقرآن) ثم الامتنان على الناس بخلق الخلق وانها مده طريقت تولد العسل منه عند قوله يخرج من بطونه يا شرب مختلف اللوانه ثم ابتدأ وقال فيه شفاء للناس اى في هذا القرآن شفاء للناس من آفة الكفر والبدعة ولم يرض المصنف بهذا القول لان الاصل في الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورات قبله وما ذلك الا قوله شرب مختلف اللوانه وارجاءه الى ما لم يذكر قبله بعيد لان قوله عليه الصلاة والسلام في حديث قتادة صدق الله وكذب بطن اخيك يدل على انه عليه الصلاة والسلام جعل ضميره في شرب المذكور قبله فلا وجه لجمعه راجعاً الى القرآن ثم انه تعالى لما استدل على ان هذا العالم لا بد له من الله واجب الوجود لذاته ببعض احوال النبات ثم ببعض عجائب الحيوان اتبعه بذكر اختلاف اعمال الناس ومراتبها واختصاص كل مرتبة بحكم يخالف حكم باقي المراتب والعقل مضبوط وامر انب اعمار الانسان في اربع المراتب الاولى سن النشو والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة او الى خمس وثلاثين سنة والمرتبة الثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته الى ان تم اربعون سنة من عمره والمرتبة الثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط والسير الخفى ونهايته الى سبعين سنة والرابعة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشرين سنة فاختلاف احوال البدن الحيوانى بالتزايد والوقوف والانحطاط الخفى والجلى مع استواء احوال التربة والتدبير السكائين من قبل نفسه يدل على انه بتدبير الفاعل المختار قل الارتداد الى ارضل العبر واراد به محض الكافر لان المسلك لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة عند الله تعالى ولا يجوز ان يقال في حقه انه تعالى رده الى ارضل العبر لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه صريح في ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يردون الى اسفل سافلين وعن عكرمة ان من قرأ القرآن لا يرد الى ارضل العبر (قوله ليصبر الى حالة) الامم في هذه العبارة لام الى المفيدة للتعليل والفعل بعدها منصوب باصهار ان المصدرية ويتم ان تكون لام العاقبة والتي في نظم القرآن لا يجوز ان تكون لام لانى بعدها مذكورة صريحا بل هي الامام العاقبة او اللام التي تكون لجرد التعليل من غير ان يضر بعدها ان المصدرية توكى بعدها مصدرية ناصبة بنفسها للفعل بعدها وهي مع منصوبها في تأويل مصدر مجرور باللام المتعلقة بقوله يرد ولا اشعار لكى بالتعليل في هذا الموضع قال ابو البقاء شيئا منصوب بالمصدر على قول البصريين ويعلم على قول الكوفيين انتهى يعنى انه من قبيل ما تنازع فيه عاملان لانه قد تقدمه عاملان يعلم وعلم فعلى رأى البصريين وهو المختار يكون منصوباً يعلم وقوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيئا كناية عن النسيان لان الناسى يلزمه ان يعلم شيئا ثم ينساه فلا يعلم بعد ما علم وهذه صفة الاطفال والهزم بكسر الراء الشخ الفائق (قوله فتكم خنى ومنكم فقير) وليس فنى الكثير من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه واجتهاده ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه فانك ترى اكيس الناس واكثرهم عقلاً وفهماً يفنى عمره في طلب القليل في الدنيا ولا ينال ذلك وترى اجهل الناس واخسهم عقلاً وفهماً ينتقم عليهم ابواب الدنيا ولو كان الفنى منوطاً بالسعى وكال العقل لما وجد في اكل الناس عقلاً واكثرهم سعياً في تحصيل الدنيا من هواقل نصيباً منها فلما رأينا الاعقل الافضل اقل نصيباً منها والاخس الاجهل اوفر نصيباً علينا ان ذلك بسبب قسمة القسام الذى يفعل ما يشاء كما قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال وما يدل على ان القضاء والقدر حق يؤس اليب وطيب عيش (لاحق) وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء

وعن قتادة ان رجلاً اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فانفع فقال اذهب واسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انسط من عقال وقيل الضمير للقرآن اولمابين الله من احوال الخلق (ان في ذلك لآية لقوم يفكرون) فان من تدبر اختصاص الخلق بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حتى التدبر علم قطعاً انه لا بد من قادر حكيم يلهيها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) باآجال مختلفة (ومنكم من رد) يعاد (الى ارضل العبر) اخس يعنى الهرم الذى يشابه الطفولة في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم) بمقادير اعمارهم (قدير) يمت الشاب النسيط ويبقى الهرم الفائق وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الابتد ير قادر حكيم ركب انيتهم وعدل امر جنهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فتكم فنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم ماليك حالهم على خلاف ذلك (فاالذين فضلوا برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ما ملكت ايماهم) على ما ليكمهم فاعلموا برادى رزقهم رزقهم الذى جعله الله تعالى في ايديهم (فهم فيه سواء) فالموالى والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لهما ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فالذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايماهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الاوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبدهم فيما انعم الله عليهم فبساووه فيهم

والبلادة والحسن والقبح والحمد والسقم ونحو ذلك اسند الله تعالى تماوت ارزاق عبادہ الى نفسه ويلزم منه كونه تعالى هو ارزاق الجميع على وجه فضل بعضهم على بعض في الرزق ثم فرع عليه ان المفضلين في الرزق ليسوا رازقين مما اليهم شيئا من الرزق الكائن من قبلهم بل الرارق للجميع هو الله تعالى وحده لكنه اجرى رزق المالك على ايدي الموالى بقوله الذين فضلوا لازم لما قبله وقوله فهم فيه سواء اي الجميع في الرزق من الله سواء لازم للجملة المتقية متفرع عليها او مقرر مؤكدها ويجوز ان يكون جوابا للثني المذكور قبله ردا على المشركين (قوله وقرأ ابو بكر) اي وقرأ ابا قحسب بن ابي ابيبة مرعاة لقوله تعالى الذين فضلوا وقوله فهم فيه سواء ثم انه تعالى استدل على وجود الاله العليم القادر المختار بنوع آخر من احوال الناس فقال مخاطبا لكل والله جعل لكم اي انه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور وجعل ازواجهن من جنسهن ليستأنسوا بهن ومن جعل خطاب الجميع في قوله جعل لكم من انفسكم ازواجهن الملتصين وحله على خلق حواء من نفس آدم فقدار تكب خلاف الطاهر من غير ضرورة (قوله فان الخافد هو المسرع في الخدمة) يعني ان الخفدة وان كانت اعم من البنات والاعم لادلالته على ان الاصل ان البنات لكونها اكل في الخدمة واسرع فيها يتبادر الذهن من لفظ الخفدة اليها عند الاطلاق قال الواحدي اصل الخفدة من الخفد وهو الخففة في الخدمة والعمل يقال خفد خفدا وخفدا وخفودا اذا اسرع ومنه ما في دعاء القنوت واليك نسعي ونخفد فالخفدة جمع الخافد وهو كل من يخفد في خدمتك ويسرع في العمل بطاعتك ففني الخفدة في اللغة الاعوان والخدم ثم يجب ان يكون المراد من الخفدة الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وخفدة فالاعوان الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية فلذلك قيل هم الاختان وقيل الربائب وقيل هم الاصهار وقيل ولد الولد والاولى دخول الكل فيه لما بينا من ان اللفظ يحتمل الكل من حيث كونه موضوعا للقدر المشترك بين الكل ثم انه تعالى لما ذكر انعامه على عبيده بالتركوع وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بطيبات النعم نباتية كانت او حيوانية فقال ورزقكم من الطيبات ثم قال تعالى اقبال باطل يؤمنون والهزيمة فيه لانكار وتوبيخ وانفاد الدلالة على ان صدور ما اسند اليهم من الطيبات عنهم بعد تقرر ما ذكر قبلها اشد قباحة وضلالة والمراد بالباطل اعتقاد ان الاصنام تنفعهم واعتقاد ان من الطيبات ما يحرم عليهم وكذا الكلام في قوله تعالى اقبنة الله يمجدون والمراد بنعمة الله ما انعم به على جميع عبادہ من الرزق وسوى فيه بين الموالى والمالك وبمجودها اضافة بعضها الى الشركاء وانكار كونها من الله تعالى او ما انعم به عليهم من ايضاح الدلائل الدالة على تفرده تعالى بالوحيه وتزعمه عن الشركاء والانداد وبجحد ما عديم الالتفات الى تلك الدلائل وترك التأمل فيها بالانهاك في تقليد الاباء النضالين بين الله تعالى انه هو ارزاق الجميع عبادہ من الموالى والمالك ثم فرع عليه توبيخ المشركين على اتخاذهم اشركاء وانكر عليهم بقوله اقبنة الله يمجدون باضافة بعض ما رزقهم الله الى تلك الشركاء وجردانه من عند الله او اوضح لهم دلائل الحق ثم وخب عليهم لعدم التفاتهم اليها وجوعهم بها الى الحق ثم فصل لذات الله احوالها ثم اعاد التوبيخ على المشركين في اهم عليم من الاعتقاد الباطل والمذهب الزائغ وقدم المفعول على عامله في الموضوعين ولا يصار اليه الا لتكثره وهي ههنا اما الاتمام ووجهه ان الرض الذي سبق له الكلام في الاول ليس انكار نفس الجحود بل الغرض انكار متعلق الجحود وهو نعمة الله تعالى فكان محل الاهتمام فقدم المفعول لذلك واما ايها التخصيص مبالغه فان تقديم المفعول به يفيد الحصر والتخصيص فكانه قيل فلا يمجدون الا بنعمة الله ولا يؤمنون الا بالباطل ولما لم يستقم ارادة حقيقة التخصيص كى ان يراد ما يفيد التخصيص ولما كان نسبة جحود نعمة الله اليهم كافية في توبيخهم كان نسبة تخصيص الجحود بها اليهم ابلغ في التوبيخ وكذا نسبة الايمان بالباطل لما كان كافيا في التوبيخ كان نسبة ذلك اليهم بطريق يفيد التخصيص المبلغ فيه (قوله وبنعمة الله هم يكفرون) داخل في حيز الاستهزاء الانكارى ويقهر من تقرر المصنف ان قوله تعالى وبعبدون من دون الله معطوف على قوله يكفرون يانا وتفسير انكفروهم بنعمة الله اوله فان اتخاذ الشركاء يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويمجدون انه من عند الله (قوله ورزنا ان جعلته مصدرا فاشيا منصوب به) على معنى لا يملك ان يرزق شيئا وان كان بمعنى الرزق المتنع به كان شيئا لا منه بمعنى لا يلا ولا كثيرا ومن السماء والارض متعلق بقوله رزقا ان كان مصدرا والمعنى لا يملك ان يرزق من جانب السماء المطر ومن جانب

أفنبه الله يمجدون) حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويمجدون انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر يمجدون بالياء لقوله لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من انفسكم ازواجهن) اي من جنسكم لتأنسوا بها ولا يكون او لا دم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم (وجعل لكم من ازواجكم بنين وخفدة) واولاد اولاد وبنات فان الخافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخذ من في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذات او من الحلايات ومن للتعبير فان الرزق في الدنيا اغوذح منها (اقبال باطل يؤمنون) وهوان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبخار والسواب (وبنعمة الله هم يكفرون) حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام اوليها من التخصيص مبالغة والمحافظة على الفواصل (وبعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا قبل منه

(ولا يستطيعون) ان يملكوه اولا استطاعة لهم اصلا
 وجع الضمير فيه وتوحيده في مالا يملك لان ما مفرد
 في معنى الاكسمة ويجوز ان يعود الى انكفا راي
 ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا
 من ذلك فكيف بالجناد (فلا تضربوا الله الامثال)
 فلا تجعلوا له امثالا تشركونه به او تقيسونه عليه
 فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم)
 فساد ما تعملون عليه من اقياس على ان عبادة
 عبيد الملوك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم
 فيما تفعلون (واتم لا تعلمون) ذلك واوعا بمودلما
 جرأتم عليه فهو تعليل للامري اوانه يعلم انه الاشياء
 واتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز
 ان يراد فلا تضربوا الله الامثال فانه يعلم كيف تضرب
 الامثال واتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب تضرب
 مثلاتفسه ولمن عبدونه فقال (ضرب الله مثلا عبدا
 مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا
 فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستون) مثل
 ما يشرك به بالملوك العاجز عن التصرف رأسا
 ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله ما لا كثيرا
 فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتمل
 بامتاع الاشراك والتسوية بينهما مع ثار كهما
 في الجنسية والتخولقي على امتناع التسوية بين الاصنام
 التي هي اعجز الخلقات وبين الله الغني القادر
 على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول ولؤمن
 الموفق وتفيد العبد بالملوك للتمييز من الحر فانه ايضا
 عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن مكاتب والمأذون
 وجعه قسي المالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك
 والظاهر ان من نكرة موصوفة تطابق عبد اوجع
 الضمير في يستون لانه الجنس فان المعنى هل يستوي
 الاحرار والعبيد (الحمد لله) كل الحمد له لا يستحقه
 غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها (بل اكثرهم
 لا يعلمون) فيضيقون نعمه اى غيره ويعبدونه لاجلها
 (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) ولد اخرس
 لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء) من الصنائع
 والتدابير لتقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال
 وثقل على من بلى امره (ايما بوجهه) حيث ما يرسبه
 مولاه في امر وقرى بوجه على البناء للمفعول ويوجه
 بمعنى يتوجه كقوله ايما اوجه الى سعدا وتوجه بلفظ
 الماضي (لايات بخير) فيخرج وكفة به مهم (دل يستوي هو
 ومن يأمر باعدل) ومن هو فهم منطيق وكفاية ورشد
 ينفع الناس بحسبهم على العدل السامع لجميع الفضائل
 (وهو على صراط مستقيم) وهو في نفسه على طريق
 مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي

الارض النبات والثمار التي تخرج منها او متعلق بمحذوف هو صفة رزقا ان كان اسما لما يرزق (قوله)
 ولا يستطيعون ان يملكوه) جواب عما يقال من ان قوله لا يستطيعون فعل متعد يستدعي مفعولا تقديره
 ولا يستطيعونه ومعناه بعينه معنى قوله لا يملك لهم رزقا فهو من عطف الشيء على نفسه وتقرير الجواب بالاناسم
 ان لا يستطيعون يستدعي تقدير ضمير يرجع الى الرزق بل اجري مجرى اللازم كقولك فلان يعطى ويمنع اى يفعل
 الاعطاء والمنع فالمعنى انهم لا يملكون رزقا وليس لهم استطاعة اصلا وان سلمنا انه يستدعي ذلك لكن لاناسم
 ان ذلك الضمير يرجع الى الرزق بل هو راجع الى تلك الرزق والمعنى انهم لا يقدرون على تلك الرزق فضلا
 عن ان يملكوه بالفعل (قوله فلا تجعلوا له امثالا تشركونه به او تقيسونه عليه) يعنى ان المقصود بجهنهم
 عن الاشراك تفريره على قوله ويعبدون من دون الله الخ فانه تعالى لما وصف المتشركين بانهم يعبدون ما لا يملك
 شيئا من الرزق ولا استطاعة لهم اصلا فرع على ذلك نهتهم عن ان يجعلوا له امثالا يشركونه به تعالى في الوهية
 او يقيسونه تعظيمه على تعظيم ذلك المثل بان يقولوا هو مثله تعالى في استحقاق التعظيم لما أن عبادة عبيد الملوك
 ادخل في تعظيمه من عبادة نفسه بالذات فائتل على الاول ما يعبدونه من الشركاء وعلى الثاني ما يقيسونه به
 مما يعظم شأنه عندهم (قوله فساد ما تعملون عليه) اى تعتمدون عليه في ان تجعلوا له امثالا ومن القياس بيان ما
 (قوله وجعله قسيما) اى وصف العبدان بملوك لا يقدر على شيء ثم جعله قسيما لقوله ومن رزقناه الخ يدل
 على اى المملوكية تنافى المملوكية فان الفقهاء احتجوا بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا ووجه دلالة عليه
 انه ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف له اذ ذلك
 الحكم وكونه عبدا وصف مشعر بالذل والمقهورية وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور عقيب هذا يقتضى
 ان تكون العلة لعدم القدرة على شيء هي كونه عبدا مملوكا ثبت ان العبد لا يملك شيئا وان ملك والآية تدل
 على ما ذكر من وجه آخر وهو انه تعالى قال بعد ذكر العبد ومن رزقناه منارزقا حسنا فوجب ان لا يحصل
 هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسمين الثاني والارل فانه لو ملك العبد لكان الله تعالى قد آتاه رزقا
 حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فلا يكون احدا القسمين قسيما للاخر (قوله)
 وقيل هو تمثيل لكافر المخذول) فالمعنى على الاول لا يستوي عندكم العبد المملوك العاجز عن التصرف بالحر
 المالك الذى قدر رزقه الله المال فهو يتصرف فيه وينفق كيف يشاء وكيف يستوى من يملك الاتفاق والانعام
 على التوالى والدوام وهو المعبود الحق بمن لا يملك شيئا من ذلك وهو المعبود الباطل وعلى الثاني لا يستوى عندكم
 العبد والحر المذكوران فكيف يستوى المؤمن الموفق للطاعات والخيرات والاعمال الصالحة انى يحجرهم المؤمن
 ويخفيهم في بيته والكافر المخذول الذى حرمه الله الاتوفيق فهو لا يحصل منه عمل صالح ولا يوفق لباب من ابواب
 الطاعات والاتفاق قديما به عن العمل الصالح حتى ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى لن تناولوا البر حتى تنفقوا
 بما تحبون الى ان المعنى حتى تعملوا الطاعات فان العامل المطيع يتفق قواه وجوارحه ابتغاء لوجه الله تعالى
 والاتفاق سرا وجهرا اتيان ما يحجر به من الاعمال كالصلوات المفروضة والحج والجهاد والاعمال التي تطهر
 للناس واتيان ما يخفى من الاعمال كالنوافل التي يصنعها المرء في بيته والاعمال القلبية ثم انه تعالى لما بين امتناع
 المساواة بين العبد المملوك الذى لا يقدر على شيء وبين السيد الصالح الغنى على الاطلاق عقبه بقوله الحمد
 لله لانه لا لالة على انه تعالى هو الغنى المطلق القادر على الاتفاق والافضل وان من بعد الاصنام انى لا يملك ولا يقدر
 على شيء البتة في غاية الجهالة والضللال (قوله تعالى ايما بوجهه لايات بخير) مجزومان على انهما شرط وجزاء
 وقرى ايما بوجه بالهاء الواحدة الساكنة وكسر الجيم وفاعله ضمير الابكم فيكون بوجه بمعنى توجه يقال
 وجه بوجه بمعنى توجه يتوجه مثل قدم بمعنى تقدم وقد استهتر ان المقدمة بمعنى المقدمة وقوله ايما اوجه الى سعدا
 مثل يضرب لمن يتلقاه الشرايغا يتوجه وكان اصله ان رجلا اسمه اضبط كان سيد قومه فاصابته منهم جفوة فارتحل
 عنهم الى آخر بن فرأهم يصنعون بساداتهم مثل صنع قومه فقال ايما اوجه الى سعد او سعدا كان رجلا شريرا
 والنبي والنجاح الظفر بالحوامج وفي الكلام حذف ما يقابل قوله احدهما ابكم كانه قيل والاخر ناطق متصرف
 قادر على الصنائع والتدابير كمال عقله وسلامته اعضائه وهو خفيف على مولاه ولا يتحمل التعب والمؤونة من قبله
 اصلا ايما بوجهه بات بخير ويخرج دل عليه قوله هل يستوى هو ومن يأمر باعدل وقوله ومن يأمر مر فروع

واذا قال تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل بان حركته الله تعالى لفسد الاصنام لايصال المشاركة بينه وبينها اولئزم والكافر (ولله غيب السموات والارض) يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما عاب فيه ساعن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض (وما امر الساعة) وما امر قيام القيامة في سرعته وسهولته (الا كلم البصر) الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها (او هو اقرب) او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي يتدأ فيه فانه تعالى يحى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن أو التحير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراعى فهو عند الله كالشي الذي يقولون فيه هو كتح البصر او هو اقرب مسالمة في استقرايه (ان الله على كل شيء قدير) فيقدر على ان يحى الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجات بل على قدرته فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة اتباع لما قبلها وحزب بكسرها وكسر الميم والمهاء مزينة مثلها في اوراق (لا تعلمون شيئا) جهالا مستحسين جهل الجملادبة (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) اداة تعلمون بها فقصون بمساعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تقولون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بترك الالحاس حتى يحصل لكم العلوم البديهة وتكتفوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنعطر فيها (لعلكم تشكرون) كي تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروا

معطوف على الضمير المرفوع في يستوى وسوغه الفصل بالصغير المنصل وقوله وهو على صراط مستقيم اما استئناف احوال (بقوله) وانما قابل تلك الصفات) اى الاربع وهى انه اكتم وانه عاجز لا يقدر على شيء وانما كل اى ثقل على موله وان موله انما يرسله لايات يختبره وهى صفات الاصنام فانها لا تسمع ولا تنطق وانما عاجز لا تستدر على شيء وانما كل على عاجزها تحتاج الى ان تحملها وتضعها وتسمع عنها ما وقع عليها من الاذى وتضرمها والى اى مهم يوجهها عابدها لا تأت بخير قابل تعالى تلك الصفات الاربع بهذين الوصفين وهما كونه امرا بالعدل وكونه في نفسه على صراط مستقيم لانهما كمال ما يقابل تلك الصفات الاربع لان كونه امرا بالعدل يتضمن كونه ذا فهم منطيقا قادرا على كفاية الناس وارشادهم الى ما فيه صلاح حاجتهم في الدارين يستقيم على العدل الشامل لجميع الفضائل وكونه على صراط مستقيم وسيرة صالحة سنية يتضمن كونه بحيث انه الى اى مطلب يتوجه يلعدو بظفره باقرب سعى فالرجل الموصوف بتلك الصفات الاربع اذا لم يكن مساويا في الفضل والشرف لمن انصف بهذين الوصفين مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فلا يمكن ان يكون مساويا لرب العالمين في العبودية كان اولى او فلا ان لا يكون الكافر مساويا للؤمن كان اولى بين الله تعالى بضرب هذا المثل ان الذى لا ينطق بالحق ولا يأمر بالعدل ليس كالذى يأمر بالعدل مع كونه في نفسه متصفا بالعدل متباعداعن الظلم والجور وبين في المثل الاول ان الذى لا يملك الانتفاق ليس كالذى يملكه (قوله) يختص به علمه (وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها) انه مثل نفسه بالذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لا يكون كذلك الا اذا كان كاملا في العلم والقدرة فبين بقوله والله غيب السموات والارض كونه كاملا في العلم وبين كمال قدرته بقوله وما امر الساعة الا كلم البصر والساعة هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تنفج الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله او هو اقرب لبس المراد منه الشك بل المراد بل هو اقرب اضرايا عن تشبيه امر قيام الساعة في السرعة بجمع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ولا شك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء لا تحزن لمخ البصر عبارة عن مرور الجفن على جملته تلك الاجزاء التي منها تتركب الحدقة فيكون الزمان الذى يحصل فيه لمخ البصر مرورا من آتات وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في زمان واحد من تلك الازمان فلذلك اضرب عن تشبيه الاول الى الحكم بانه اقرب تذيها على ذلك وقال الزجاج المراد الابهام على المتخاطبين انه تعالى يأمر بالساعة في زمان لمخ البصر وفيها هو اقل منه لان المراد من تشبيه امر قيامها بامر لمخ البصر تشبيه زمان الاول بزمان الثاني وهذا هو الذى اراد المصنف بقوله والتحير لانه تعالى لما بهم الامر عليهم فقد خيره بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود تقريب وقوعها وان كان بعيدا بالنسبة اليها (قوله) والمهاء مزينة يعنى ان اصل امهاتكم اما انكم الا انه زيدت الهاء فيه كما زيدت في اوراق اصله اراق وقوله لا تعلمون شيئا حال من مفعول اخرجكم اى اخرجكم غير عالمين وقوله شيا متصوب اما على المصدرية اى شيئا من العلم او على انه مفعول به والعلم ههنا العرفان فيتعدى الى واحد (قوله) مستحسين جهل الجملادية) اى لا تجهل الذى هو عدم العلم عما شأنه ان يكون عالما لان الجنتين في بطن امه في حكم الجناد خلوه عن العلوم البديهة راسا فضلا عن العلوم النظرية المكتسبة التي يترتب عليها العلوم البديهة فان النفس في مبدأ الفطرة كانت خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس ظاهرة وباطنة توصلت بها الى ان ترسم فيها ماهيات الحسوسات لما يثبها ويثبها من المشاركات والمباينات وان تنزع منها صور كلية بصورة تتمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب المجهولات التصورية وتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك التصورية مع بعض من ابتاع تلك النسبة وانتزاعها وادراك انها واقعة اوليست بواقعة مثل ادراك ان الكل اعظم من الجزء ومنه هذه الادراكات علوم تصديقية يمكن النفس ترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات التصديقية فظهر ان السبب الاول لحدوث العلم في النفس هو انه تعالى اعطى هذه الحواس واليه اشار بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصولها سببا لا انتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق المذكور فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم وينفهم منه ان يكون جعل لكم السمع والابصار متأخرا عن الاخراج من البطن وليس كذلك فالجواب ان حرف الواو لا يقتضى الترتيب وايضا اذا جلتا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا جعلنا قوله

الميرزا الى الطير قرأ ابن عامر وحجرة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة (منفردات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (في جو السماء) في الهواء المتباعد من الارض (ما يسكنهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعة تحتها تسكنها (ان في ذلك لايات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها (لنقوم يؤمنون) لانهم هم المشفقون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فضل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان تتناول المتخذة من الورب والصوف والشعر من حيث انها ثابته على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم طعنكم) وقت ترالككم (ويوم اقامتكم) ووضعها اوضربها وقت الحضر والنزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم طعنكم بالفتح وهو لغة (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الصوف للضأن والورب للابل والشعر للزمن واصوافها الى ضمير الانعام لانها من جلته (اثاثا) ما يلبس ويفرش (ومتاعا) ما تجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة اولى حين مماتكم اولى ان تقضوا منه اوطساركم (والله جعل لكم ما خلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تقفون بها حراشمس (وجعل لكم من الجبال اكاثا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المحيطة فيها جمع كن (وجعل لكم سرايل) نسايا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفا باحد الضدين اولا لان وقاية الحر كانت اهم عند هم (وسرايل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن والسرايل يعم كل ما يلبس (كذلك) كاتمام هذه التيم التي تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) اى تنظرون في نعمه فتؤمنون به ارتقا دون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب وتنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقبل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) اعرضوا اولم قبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضررك فائ اعليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السب مقام المسبب (يعرفون نعمته الله) اى يعرف المشركون نعمته الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعرفون بها وبانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشاعة آلهتها اوسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقبل نعمته الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمجبرات ثم انكروها عناد ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (واكثرهم الكافرون) المجحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او لثبوت في النضر اولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون

(١٩٣)

وجعل معطوفا على اخر جكم فيكون داخلا فيما اخبر به عن المبتدأ ويجوز ان يكون مستأنفا كما قال البغوى تم الكلام عند قوله لا تعلمون شيئا ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع الآية لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات (قوله والاسباب المؤاتية له) اى الموافقة للطلب يقال آتيت على ذلك الامر مؤاتاة اذا وافقته وطاوعته والعامة تقول وآتيت على كذا الامام هذا دليل على كمال قدرته فانه لولائه تعالى خلق الطير خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو خلقة يمكن معها الطيران فيه لما يمكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا تبسطه حرة وتسكسه اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا (قوله وقرأ الحجازيان) وهما نافع وابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يوم طعنكم بفتح العين والباقيون بسكونها وهما القاتن كاشعر والشعر والشعر والنهر واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين احدهما لبيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر والالات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اى ما تسكنون فيه والجعل بمعنى الخلق فيتمدى الى واحد وهو سكنا ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا فقدم عليه لكونه نكرة ويجوز ان يكون بمعنى التصغير فيكون سكنا مفعول الثاني والقسم الثاني من البيوت القباب والخيام والفساطيط واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الخ اى بيوتا يمكن نقلها وتحملها من مكان الى مكان والظعن في الاصل سير البادية لجمعة او حضور ماء والجمعة بالضم طلب الكلا في موضع قد بطل على طلب كل ما يتعدى به من الطعام او طلب مريم وقد يطلق الظعن على كل خارج للسفر والسكن المسكن وانشد الفراء جاء الشتاء ولم اعد له د سكتنا * يا ويح نفسى من حفر القراميص

والبيت ما بوى الانسان اليه لئلا يبيت فيه وجعل السكن بعضا من البيوت يدل على ان السكون المعترفى السكن بمعنى الاقامة التي هي ضد السفر ويؤيده ان المصنف فسر السكن بقوله موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم فكان هذا قرينة على ان المراد بالسكن البيوت المتخذة من الحجر والمدر والخشب قال المفسرون اثاث انواع متاع البيت من الفرش والالبسة من قولهم شعرايث اى كثير واث التبت يثا انا اذا كثرت واثف ولا واحد للاثاث وقيل واحدها اثانة وعطف المتاع على الاثاث اقتضى المغايرة بينهما اشار المصنف الى الفرق بينهما بان حل المتاع على ما يتجر به والاثاث على ما لا يقصد به التجارة بل يقصد به الخدمة من الاكتساء واشتقوا الافتراض وقوله اثاثا لظاهره منصوب عطفا على بيوتا اى وجعل لكم من اصوافها اثاثا فيكون قد عطف الجرور على الجرور والمنصوب على المنصوب (قوله والسرايل يعم كل ما يلبس) سواء كان لبسه للتوق عن الحر والبرد او عن اشد في الحرب ولا يخص بالاول دليل انه تعالى جعل ما نفي عن شدة الطعن والضرب والرى من قبيل السرايل (قوله وقرئ تسلمون) بفتح التاء واللام مضارع سلم وهو مناسب لقوله تقيكم بأسكم فان المراد به الدروع الملبوسة في الحروب الا ان المصنف لم يرض بكونه مربوطا به واختار كونه مربوطا بقوله كذلك يتم نعمته عليكم كانه مرتبط به على قراءة العامة (قوله وهذا من اقامة السبب مقام المسبب) يعنى ان ما هو جواب للشرط حقيقة محذوف وهو فانت معذورو لما كان تليغد عليه الصلاة والسلام سببا لكونه معذورا غير متضرر بقولهم اقيم هذا السبب مقام السبب وجعل جوابا للشرط وقوله تعالى يعرفون نعمته الله استئناف لبيان حالهم في توليهم عن الايمان وذمهم بانهم يعرفون جميع ما نعم الله تعالى عليهم من اثم المذكورة في هذه السورة وغيرها ويعترفون بان جميعها من الله ثم ينكرونها بان يقولوا رزقنا الله اياها بشفاعدة آلهتها فلا يشكرونها والتولى عن الايمان بهذا الطريق لما كان يستلزم مجاهرة الكفار عنادا لجواز ان لا يعلم التولى المذكور بطلان اعتقاد ان نعمته الله عليه انما هو بشناعة الآلهة قالوا اكثرهم الكافرون ترقيا في ذمهم بمعنى انهم مع كونهم يعرفون نعمته الله ثم ينكرونها ككافرون فان قيل هم كلهم كافرون فذمهم بقوله واكثرهم الكافرون قلنا لانه لما حل الكافر على اجاحد المعاند خرج من تولى جاءه لا يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه غير معاند ولانه كثيرا ما اراد الجمع بلفظ الاكثر كما في قوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ثم انه تعالى لما ذكر الذين تولوا عن الايمان ووصفهم بما وصفهم اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال ويوم نبعث اى اذكر يوم نبعث (قوله يمتون) اى يتلون الجوهري متوه ومتيه اذا ابتليته (قوله ولاهم يسترضون) هو من الارضاء لامن الرضى اى لا يطلبون الارضاء على الاستعتاب طلب العتي

(ن)

(٤٩)

(ويوم نبعث من كل امة شهيدا) وهونبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وتم زيادة ما يحق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقنات الكلى على ما يمتون به من شهادة الانبياء عليهم السلام (ولا هم يستعجبون) ولا هم يسترضون من العتي وهى الرضى واتصاف يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحق بهم ما يحق

وهو اسم بمعنى الاعتبار الذي هو إزالة العيب فقوله تعالى ولا هم يستعبدون معناه لا يطلب منهم الاعتبار أي إزالة عيوبهم وغضبه بأن يتوبوا وينزجر واعمالهم عليه من الكفر والمعاصي لأن الآخرة ليست بدار تكليف وعمل وإنما يطلب ذلك منهم في الدنيا وفي الصحاح يقال اعتنى فلان إذا عاود إلى مسرى راجعا عن الإساءة فقطهر بما ذكرنا أن تفسير الاستعجاب بالاسترضاء وتفسير الاعتبار بالارضاء تفسير باللازم (قوله وكذا قوله وإذا رأى الذين ظلموا) يعني أنه أيضا منصوب بخذوف أي إذا رأى وقوموا فيه وبحقيق بهم ما يحيق والفاء في قوله تعالى فلا تخفف عنهم ليست فاء جواب إذا بل هي عاطفة لما بعدها على الجزاء المقدر لأن جوابها متى كان مضارعا لا يكون مصدرا بالفاء سواء كان موجبا كما في قوله تعالى وإذا أتتكم بالسفاسف فما كنتم تعلمون تعرف في وجوه أو متفيا نحو إذا جاء زيد لا يكرهك وإنما يصدر بالفاء إذا كان جملة اسمية نحو إذا جاءني زيد فاناكرمه وتقدير المبتدأ في الآية بأن يجعل تقديرها فهو لا يخفف خلاف الظاهر وقوله تعالى الذين ظلموا فطهر وقع مرقع المضمر للإشعار بأن العذاب لا يخفف عنهم ويجب أن يكون دائما وهو المراد من قوله ولا هم ينظرون (قوله وإنا أنهم التي دعوا شركاء) يراها المستركون لأن الله تعالى يعيها بالقائدتين الأولى أن يشاهدوا المشركون في غاية الذل والحقارة والثانية أن تكذب تلك الأصنام المشركين في قولهم إنما شركاء الله تعالى في استحقاق العبادة ومن قال أن المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار إلى الكفر إنما ذهب إلى هذا القول لأنه تعالى حكى عن أولئك الشركاء أنهم القوا إلى الذين أشركوا أسكنهم الكاذبون والأصنام جادات فلا يصح منهم هذا القول فوجب أن يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول ودليل هذا ضعيف لأنه تعالى قادر على أن يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام فحينئذ يصح منها هذا القول (قوله وهو اعتراف) جواب عما يقال ما للقائدة في قول المشركين ربنا هؤلاء شركاؤنا ع أن غائده لا يلزمه كلامه معلوم أن الله تعالى وتقر بالجزء الأول أن المشركين يقولون هذا الكلام تجب من حضر تلك الأصنام مع أنه لا ذنب لها واعترافا بأنهم كانوا مخطئين في عبادتها وتقر بأنما في المشركين إنما قالوا ذلك أحالة ليدفعوا عن ذنبهم على تلك الأصنام وظنوا أن ذلك ينجيهم من عذاب الله أو ينقص من عذابهم بأن يحصل شطر منه على الأصنام فعند هذا نكذبهم تلك الأصنام وهو قوله تعالى فاقوالهم القول أنكم لكاذبون في قولكم في حقنا أنهم شركاء الله في المعودة أو في استحقاق العبادة أو في أنهم جلا المشركين على الكفر وقوله تعالى الذين كفروا مبتدأ وأوردناهم خبره لما ذكرنا الله تعالى وعيد الذين كفروا اتبعه بوعيد من ضم إلى الكفر صدقنا غير عن سبيل الله فإن رؤس الكفرة وقادتهم وسادتهم ضلوا بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهذا العذاب الأليم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم غيرهم ثم أنه تعالى ذكر نوعا آخر من التهديدات المانعة للكافرين عن المعاصي فقال ويومئذ يأتى الله فأي عذري بقى للكلف في ارتكاب المعصية قال تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وقوله تعالى وجئناك شهيدا تخصيص بعد التعميم كقوله تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح (قوله يانا بلغا) إشارة إلى أن التبيان اسم في معنى البيان كالتلقاء في معنى اللقاء كأنقل عن الزجاج أنه روى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أنهم قالوا لم يأت عن المصادر على فعال الأخر فإن تبيان وتلقا فلان هذا يجب أن تكون المصادر التي تكون على فعال كلها مفتوحة التاء كالسنة رواه كذا رواه التكرار والتعذر والتعاب وإن يكون ما هو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء أسماء نحو التماسح والتثمل وقوله بلغا إشارة إلى أن صيغة فعال سواء كانت مفتوحة التاء أو مكسورة إذا كانت مصدرا أو اسما بمعنى المصدر تكون من أبنية المبالغة وتكرار الفعل فالتكرار والتذكر والتعاب بمعنى كثرة الكر والذكر والمعب قال المتسرون القرآن تبيان لكل شيء يحتاج إليه من الأمر وإنهى والحلال والحرام والحدود والأحكام وقال نفاة القياس دلت هذه الآية على أن القرآن تبيان لكل شيء أي لكل شيء من العلوم الدينية لأن غير ذلك ليس بما يجب الالتفات إليه وعلوم الدين أما أصول وأما فروع فأما علم الأصول فهو بتمامه موجود في القرآن وأما علم الفروع فالأصل برآة الذمة الأماورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب وذلك يدل على أنه لا تكليف من الله تعالى الأماورد في هذا وإذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وأما تبيان كل الأحكام وأما الفقهاء فانهم قالوا القرآن إنما كان تبيان لكل شيء لأنه دل على أن الإجماع

وكذا قوله (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) أي العذاب (ولا هم ينظرون) يمهلون (وإذا رأى الذين استركوا شركاءهم) أو أنهم التي دعوا شركاء أو الشياطين الذين ساركوهم في الكفر بالجل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعمهم أو نصيحتهم وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك أو الناس بأن يسطر عذابهم (قالوا اليهم القول أركم لكاذبون) أي اجابوهم بالكذب في أنهم شركاء الله أو أنهم ما عبدوهم حقيقة وإنما عبدوا أهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطباع الله الأصنام به حينئذ أو في أنهم جلولهم على الكفر وأمرهم إياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي (وألقوا) وألقى الذين ظلموا (إلى الله يومئذ السليم) الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا (وضلع عنهم) وضاع عنهم وبطل (ما كانوا يغترون) من أن آلهتهم ينصرونهم ويسقون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمتع عن الإسلام والجل على الكفر (زدناهم عذابا) لصددهم (فرق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصددهم (ويومئذ يأتى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبينهم فإن نبى كل أمة يأتى بهم (وجئناك) بالمحمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (وتزك عليك الكتاب) استئناف أو حال بانحمار قد (تبيان) بيان ما ليع (كل شيء) من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال بالأحالة إلى السنة أو القياس (وهدى ورجى) الجسيع وأما حرمان المحرم من تفریطه (وبترى السبلين) خاصة

حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد فضلا عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام باحد هذه
الاصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرآن روى عن علي رضي الله عنه انه قال كل شيء علمه في القرآن الا ان الرجال
تجبر عنه فبعضه مبين فيه بان نص عليه صريحا وبعضه مبين على وجه الاجمال بالا حلة على ما يوجب العلم من
بيان النبي صلى الله عليه وسلم اوجاع المسلمين او القياس على ما نص عليه للاشتراك في علم الحكم ثم انه تعالى
لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب اتبعه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وهي
اجمع آية لوجوه ارشاد المكلفين وهدايتهم الى ما فيه صلاح حالهم في الدارين امر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة
اشياء وهي العدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهى عن ثلاثة وهي الفحشاء والمنكر والبغى اما العدل
فهو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط ورعاية العدل واجبة في جميع الاشياء لاسيما فيما يتعلق
بالاعتقاد وفيما يتعلق بافعال الجوارح وفيما يتعلق بالاخلاق الفسادية واجل وجوه العدل اعتقاد الاعتقاد
بوحدة الاله فان في الاله تعطيل محض وايات اكثر من الاله تشريك وتثنية وهما مذمومان والعدل هو اجبات
اله واحد واعتقاد انه لا اله الا الله وايضا الاعتقاد بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والاعتقاد بانه مستقل
بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة انه تعالى يخلق فيه قدرة كاسبة
تدعوه الى الفعل والقدرة المؤثرة ليست الاله تعالى والعدل فيما يتعلق باعمال الجوارح كالاعتقاد باداء الواجبات
المتوسطة بين البطالة والترهيب فان قوما من اهل البطالة ونفاعة التكليف يقولون الاحتراز عن شيء من
المعاصي ليس لله عليه تكليف اصلا وقال قوم من المانوية انه يجب على الانسان ان يحتجب عن كل اكل
الطيبات وان يبالغ في تعذيب نفسه وان تحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى انهم يخصون انفسهم
ويحترزون عن التزوج وعن اكل الطعام الطيب وانهم يحرقون انفسهم ويرون انفسهم من شاهق الجبل فهذان
الطريقان مذمومان والعدل الوسط هو هذا الشرع الذي جاء تايده محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الزيادة
على العدل في باب العمل بحسب الكمية قد تكون احسانا الى نفسه اذا كانت على الوجه الذي استحسنه
الشرع ونذب اليه كالتطوع بعد اداء الواجبات وقد تكون اساءة على خلاف الوجه المشروع وكذا الزيادة
بحسب الكيفية وبالجملة فالمبالغة في اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان والاحسان
بهذا المعنى يدخل فيه التعظيم لامر الله والتفقه على خلق الله ومن الظاهر ان السفقة على خلق الله اقسام كثيرة
اشرفها واجلها صلة الرحم فقوله وايتاء ذي القربى من قبيل التخصيص بعد التعميم اي اذا تابشرف الخاص ومبالغة
في الخث عليه (قوله عن الافراط في متابعة القوة الشهوية) البهية والغضبية السمية والوهمية السبعانية
والعقلية الملكية والثلاث الاول هي المداخل التي ياتي الشيطان من قبلها بخلاف القوة الرابعة اعني القوة العقلية
الملكية فان الشيطان لا يقوى الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بينها وبين السرور والتبطين فلا وجدلان بتوسل
الشيطان بها الى اخواء بني آدم بخلاف القوى الثلاث الاول فانها مبداء الشرور والقبائح وداعة البها
فان الفحشاء اثر القوة الشهوية والمنكر اثر الغضب والبغى اثر القوة الوهمية فان القوة الشهوية انما ترغب
في تحصيل اللذات الشهوية والتي خرجت منها عن الحسد المأذون فيه شرطا فهي المسماة بالفحشاء واما القوة
الغضبية السبعية فهي ابدا تسعى في ايصال انشور والبلاء والايذاء الى سائر الناس ولا تترك الناس يتكبرون
تلك الحالة فالتكبر عبارة عن الافراط الحاصل من اثار القوة الغضبية فقول المصنف والمنكر ما يتكر على متعاطيه من
اثار القوة الغضبية معناه ان المنكر من اثار القوة الغضبية هو احدى الخسائر عما يقبله الناس من اثار
الغضبية وتمييزها واما القوة الوهمية الشيطانية فهي ابدا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع واطهار
اراسه والتقدم وذلك هو المراد من البغى فانه لا معنى للبغى الا التناول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكر
ان هذه الانفاض الثلاثة مطبقة على احوال هذه القوى الثلاث (قوله وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون)
روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون قال ما سلمت اولا الاحياء من رسول الله عليه وسلم ولم يقرر
الاسلام في قلبي فحضرته عليه الصلاة والسلام ذات يوم فبينما هو يحديثني اذ رأيت بصره ينحصر الى السماء
ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لثل ذلك فسا لتد فقال بينا انا احدك اذ جبريل عليه صلى الله عليه وسلم نزل
عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرائض وايتاء ذي القربى

(ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط في الامور اعتقادا
كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول
بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وملا
كالعدل باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهيب
وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير
(والا حسان) احسان الطاعات وهو اما بحسب
الكمية كالتطوع بالثواب او بحسب الكيفية كما قال
عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذي القربى) واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم
للبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الافراط في متابعة
القوة الشهوية كما رأيت فانه اقبح احوال الانسان
واشتعها (والمنكر) ما يتكر على متعاطيه من اثار القوة
الغضبية (والبغى) والاستعلاء والاستيلاء على الناس
والجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة
الوهمية ولا يوجد من الانسان شرا هو مندرج في هذه
الاقسام صادر بتوسط احدي هذه القوى الثلاث
ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية
في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان
ابن مظعون رضي الله تعالى عنه ولولم يكن في القرآن
غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى
ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله وزنا عليك
الكتاب للتنبيه عليه

أي صله الرحم ويتهى عن الفحشاء الرثى والترك ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والبنى الاستطالة قال عثمان
فوقع الإيمان في قلبي وأتيت باطالبا فأخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن أخي ولئن كان صيدا قاذوا كذا بانه
ما بأمركم إلا بمكارم الأخلاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الدين قال يا معشر الناس
إن يتبعوني وتدع نفسك فزّل انك لا تهدي من حيث ولكن الله يهدي من يشاء روى أن بني أمية كانوا
يسرون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الخطبة رضى عنه إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة
فترك ذلك وكتب إلى العمال في الأفاق بترك ذلك وكان سبب محبة علي أنه قال كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت أرى
عبد الله بن عبد الله بن عتبة فبلغه شيء من ذلك فأنته يوما وهو يصلي فأطال الصلاة ففقدت انتظر فراغته فلما
فرغ التفت إلى وقال متى علمت أن الله تعالى غضب علي أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضى الله عنهم قلت لم اسمع
بذلك قال فما الذي بلغني عنك في علي قلت ما هو قال يا بني انك تمضي في خطيئتك فإذا أتيت إلى ذكره عرفت منك
تقصير أو خطيئة كذا قلت نعم قال يا بني أن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما تعلم لما نفرقوا عنا في أولاده فلما
ولى الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يركب بسببها هذا الأمر العظيم فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ أحوصه
أن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية فحل هذا الفعل عبد النّاس محلا عظيما وأكثروا مدحه بذلك (قوله
تعالى يعظكم) الظاهر أنه مستأنف في قوة التعليل للأمر بما تقدم أي أن الوعظ سبب لما تقدم من الأمر وإنه
المذكورين ويعد جعله حالا من فاعل ينهى إذا وجه التخصيص الحال بهذا الفاعل دون فاعل يأمر فان الوعظ
يكون بكل واحد من الأوامر والتواهي ولا خصوصية له بالنهي ثم أنه تعالى لما جمع جميع المأمورات والمنهيات
في هذه الآية على سبيل الأجل ذكر بعدها بعض تلك الاقتسام على سبيل التفصيل فبدأ بالوفاء بعهد الله فقال
وأوفوا بعهد الله وهو معطوف من حيث المعنى على قوله أن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية عطفا
الخاص على العام أي ما بوفاء العهد والبيات عليه واستشهد المصنف بقوله تعالى أن الذين ينادونك على أن
عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد الله واحد ولم يرد أن هذه الآية وازددة في تلك البيعة أعني بيعة الرضوان
لأن هذه السورة مكية نزلت حين كان المسلمون مستضعفين فيماني قريش وإنما هذه البيعة هي البيعة الأولى
وكل من دخل في الإسلام فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة (قوله وقيل كل أمر يجب الوفاء به)
أي العمل بمقتضاه فعهد الله تعالى يتناول الأدلة العقلية والسمعية عند هذا القائل وإن لم يكونا من اليهود التي
يلزمها الإنسان باختيار نفسه لأنهما أوكد في لزوم الوفاء بما يدلان على وجوبه بالنسبة إلى المؤمنين وسائر اليهود
ولذلك لا يصح في هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح في غيرهما ذلك وربما تدب فيه ترك الوفاء فإن المؤمنين
أنما يجب الوفاء به إذا لم يكن الصلاح في خلافه لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على عيب ورأى غيره خيرا
منها فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه ولم يرص المصنف بهذا القول وقال لا يلائم قوله إذا عاهدتم لانه
يلزم على أن المراد بعهد الله ما يلزمه الإنسان باختياره ومعنى الوفاء بالشأن عليه كانه قبل أن يتوكل على ما عاهدتم
الله عليه وبايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توكدت تلك البيعة بالإيمان التي يخلفون بها على الشان عليها
والتوكيد مصدر وكديو كد بالواو وفيه لغة أخرى أكديو كد بالهمزة ونظيره قولهم ورخت الكتاب وأرخته
قال الراغب وكبت القول والعهدوا كدته بمعنى أحكمته وكل واحدة منهما لغة أصلية وليست الهمزة بدلا من
الواو لأنها متساويتان في الاستعمال فلا يس ادعاء كون أحدهما أصلا والآخرى منقولة منها أولى من عكسه
وذهب المصنف إلى أن الكلمة واوية وإن الهمزة مبدلة من الواو على ما عاهدتم من الرجاج وتوكيدها مصدر
مضاف إلى مفعوله وقوله وقد جعلتم حال أمان فاعل تقصروا وأمان فاعل المصدرون كان محذوفا وقوله تعالى
ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من حلف على عيب
فرأى غيره خيرا منها فليأت بالذي هو خير وليكفر عن يمينه (قوله شاهدت تلك البيعة) وبما ترتب عليهما من
الشأن عليهما والعمل بمقتضاهما ومن نقضها والعمل بما يناقضها فإن من خلف بالله تعالى على أمر فقد منع نفسه عن
إتيان ما يخالفه احتراز عن هتك حرمة اسم تعالى وما يفرع عليه من تهديد اليمين عذابه فصار بذلك كانه جعل
الله تعالى شاهدا عليه يراقب أنه هل يحث في يمينه أو يحفظه ويترقبه والشاهد بهذا المعنى لما شابه الكفيل من
حيث أن الكفيل مراعى لحال المكفول به رقيب عليه غير أن الشاهد بالكفيل فقوله كفيلا من قيل التشبيه المبلغ

(يعظكم) بالأمر والنهي والمبين بين الخير والشر
(لعلمكم تذكرون) تعظون (وأوفوا بعهد الله)
يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام
لقوله تعالى أن الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل
أمر يجب الوفاء به ولا يلائم قوله (إذا عاهدتم) وقيل
النذر وقيل الإيمان بالله (ولا تنقضوا الأيمان) إيمان
البيعة أو مطلق الإيمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها
بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب الواو همزة
(وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة
فإن الكفيل مراعى لحال المكفول به رقيب عليه
(أن الله يعلم ما تفعلون) في نقض الأيمان والعهود
(ولا تكونوا كالمتي نقضت عزها) ما عرلته مصدر
بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقض عزها
من بعد إبرام وأحكام (انكثا) طاقات نكت فتلها جمع
نكت واتصابه على الحال من عز لها أو المفعول
الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت

والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي
 ربطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرافة تفعل
 ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير
 في ولا تكونوا وفي الحار الواقع موقع الخبر لا تكونوا
 منتهين بامر آة هذا شأنها فتعدي ايمانكم مقدرة
 ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولا يمكن منه
 (ان تكون امة هي اربى من امة) بان تكون جماعة
 ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
 يقوم لكثرةكم وقتلهم اولكثرة منابذتهم وقوتهم
 كقريش فاهم كانوا اذارا واشوكة في اعادي حنفاهم
 نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم (انما يلوكم الله به)
 الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم
 بكونكم اربى ليظهر أمتكم بجل الوفاء بعهد الله
 وبيعة رسوله ام تغفرون بكرة قریش وشوكتهم وقلة
 المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربي وقيل للامر
 بالوفاء (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون)
 اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله
 لجعلكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يفضل
 من يشاء) بالذل (ويهدى من يشاء) بالتوفيق
 (ولسألن عما كنتم تعملون) سؤال تبيكت وبجارة
 (ولا تحذوا ايمناكم دخلا بينكم) تصريح بالنهي عند
 بعد التضمن تأكيذا وبالمقابلة في قبح المنهى (فتزل
 قدم) اى عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد
 اقدامهم وانما وحدوا لئلا يذلل قدم واحدة
 عظيم فكيف باقدام كثيرة (وتدوقوا السوء) العذاب
 في الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) بصدوقكم عن الرفاء
 او صدق غيركم عنه فان من نقض البيعة واراد جعل ذلك
 سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تستروا
 بعهد الله) ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله (ثمنا
 قليلا) عرضا يسيرا وهو ما كانت قریش يعدون
 لصعاف المسلمين ويشترون لهم على الارتداد (انما
 عند الله) من النصر والتغيم في الدنيا والثواب
 في الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم
 تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ما عندكم) من
 اعراض الدنيا (ينفذ) ينفضي (وما عند الله) من
 خزان رحته (باق) لا ينفذ وهو تعليل للحكم السابق
 ودليل على ان نعيم اهل الجنة باقى (وليقرن الذين
 صبروا لاجرهم) على الفاقه واذى الكفار وعلى مشاق
 التكليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (باحسن ما كانوا
 يعملون) بما ترجع فعله من اعمالهم كاللواحيات
 والندوبات او بجزء احسن من اعمالهم

ثم انه تعالى مثل نقض العهد بتقضى الغزل بعد ابرامه واحكامه تأكيذا لوجوب الوفاء وتخريص النقض فتدل
 ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا والكتب بالسمر مصدر قولك نكتت الحبل اذا انقضت فتله
 والانكاث هنا جمع نكت بمعنى متكوث اى متقوض (قوله والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه) كالشاة
 من كان لا تشبهه بشخص معين يفعل ذلك وهو امر آة سمها ربطة وذلك لان المقصود من الامثل صرف المكلف
 عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين وان تحقق في الخارج من انصف به
 (قوله تعالى دخلا) فقول ثان لتتخذون ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله والدخل الفساد والدغل وهو
 الغش والخيانة وقيل هو ان تظهر الوفاء وتبطن القدر والتقص وقيل الدخل الداخل في الشيء وليس منه وقيل
 ما ادخل في الشيء على فساد وقال الجوهري دخلا بينكم اى مكر وخديعة وهم دخل في بني فلان اذا
 اثسروا اليهم وابسوا منهم هذه كلمات القوم في بيان مفهوم لفظ الدخل والمصنف اختار منها كونه موضعا
 للنقض والابرام والافساد فيكون جعل ما عقد للافساد عين الفساد بالمبالغة في النهي والتخييع وقوله تعالى ان
 تكون اى بسبب ان تكون متعلق بقوله تتخذون وقوله تكون يجوز ان تكون تامة وامة فاعلمها وان تكون
 ناقصة وامة اسمها وقوله هي على التقديرين مبتدأ واربي خبره والجملة في محل نصب على الحال على الوجه
 الاول وعلى انها خبر كان على الثاني وجعل الامام قوله تعالى تتخذون ايمانكم استفهاما على سبيل
 الانكار والمعنى اتخذون ايمانكم دخلا بينكم سبب ان تكون امة ازيد في القوة والكثرة من امة
 اخرى ولم يافت المصنف اليد لان ارتكاب تقدير الهمة مع صحة المعنى واتضمامه ليس باولى من غير ارتكاب
 التقدير بلا دليل (قوله تصريح للنهي عنه بعد التضمن) فان قوله تعالى ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها
 من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم مقدرة وموضع اندغل والمكر والخديعة يتضمن النهي عن اتخاذ الايمان
 دخلا من حيث ان موضعه النهي عن مشابهة تلك المراتع اتخذا لا ايمان دخلا وقد قرر ان النهي عن المقيد
 يرجع الى قيده فيكون النهي عنه حقيقة هو افساد فيكون قوله ولا تتخذوا معطوفا على قوله ولا تكونوا مع
 قيده وقوله انما يلوكم الله به وليبين لكم تمليلا لقوله تعالى ولا تكونوا وقوله ولو شاء الله معترضة بين
 المعطوف والمعطوف عليه تأكيذا للمعنى الابتلاء وانه تعالى ينصر قليل اعداء والعدد بحكم الاهية على ذى
 القوة والشوكة والمال كما انه يحكم الاهية يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقوله ولسألن معطوفا على
 قوله يلوكم الله وقوله تعالى فتزل منزل منصوب باضمار ان في جواب النهي (قوله بصدوقكم) على ان ما مصدرية
 وان صدقتم لازم من الصدود وهو الاعراض وقوله او صدق غيركم على انه متعد من الصد وهو المنع ومفعوله
 محذوف ثم انه تعالى أكد هذا اليمين والتحذير فقال ولا تستروا بعهد الله ثمنا اى لا تنقضوا عهدكم تطلبون
 ينقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن اوفوا بعهدا فان ما عند الله من الثواب هو خير لكم ثم ذكر دليلا
 قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينقد اى يذهب وينفى (قوله بما ترجع فعله) اشارة الى جواب
 ما يقال من ان كلمة ما مصدرية واحسن افعال تفضيل فيكون المعنى لجزئهم اجرهم بمقابل احسن
 اعمالهم ويفهم منه اى لا يحجازى المرء بمقابل اعماله الحسنة وهو خلاف ما يدل عليه قوله تعالى فمن يعمل
 مثقال ذرة خيرا يره وتقرير الجواب صيغة احسن هنا ليست للتفضيل بل هي صيغة بمعنى الحسن الذى لا يرجع
 فعله على تركه من الواجبات والندوبات فان المؤمن يشاب بكل واحدة منهما بخلاف المباهات التى لا يرجع
 احد طرفيها على الآخر فان المؤمن لا يشاب بها ولا يتركها سلتا انها للتفضيل لكن لانسان ان الموصوف باحسن
 هو العمل بل الموصوف به هو الجراء المقدر واطراف احسن بمعنى من ثم انه تعالى لما بالغ في النهي عن نقض العهد
 والايمان وبيان ما يترتب عليه من عذاب الدنيا والآخرة عقبه بالترغيب في الصبر على مشاق التكليف مع فقرهم
 وقلة عددهم وكثرة الكفرة وعلى بيعة الاسلام والوفاء بعهد الله الذى هو البيعة لرسول الله والكفرة اربى منهم
 عددا وشوكة ومالا وعلى مشاق التكليف الشرعية مطلقا من جعلها الوفاء بالعهد ببيان انه تعالى يحجاز به
 على اعماله الحسنة واجبة كانت او مندوبة او ببيان انه تعالى يحجاز به بجزء او احسن من اعماله ثم ان كان المراد
 بالصبر الصبر على مشاق الاحتراز عن نقض ايمان البيعة يكون قوله تعالى من عمل صالحا الآية ترغيبا في اتيان
 كل ما كان من شرائع الاسلام بان وعد على اتباعه سعادة الدنيا والآخرة وان كان المراد بالصبر على مشاق

لئلا يتوهم منه ان له سلطانا) فان قارى القرآن لما امر بان يسأل الله تعالى ان يعينه من وسواسه توهم مندان له
 تسلطا وولاية على اغواء بني آدم كلهم ففى الله تعالى انه لا تسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بصحة الله
 تعالى اياهم عن طاعته وقبول وسوسته ف قوله تعالى انه ليس له سلطان الآية فى معرض التعليل للامر بالاستعاذة
 واسارة الى ان الاستعاذة المأمور بها ليست عبارة عن مجرد القول انفارغ عن الالتجاء الى عصمة الله تعالى
 وتقوى بعض الامر اليه معتقدا بانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بصحته ولا قوة على طاعته الا بتوقيفه وهذا
 الالتجاء والاعتقاد انما يكون بالايمان به اولا والتوكل عليه ثانيا فن جمع بين الامرين لا يكون لليطان عليه
 سبيل انبئة (قوله يحبونه ويطيعونه) يقال توليته اذا واليته واطعته ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله
 والذين آمنوا ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت عنه يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة
 عن اذا كان بمعنى الاعراض (قوله بالله اوبسب الشيطان) يعنى ان صغيره يتجمل ان يرجع الى ربهم
 ويكون الباء صلة مشركون محذوف اى هم مشركون بالله من اجل الشيطان اوبسب حله اياهم على
 الشرك والعصيان (قوله لفظا او حكما) يعنى ان تبديل الآية مكان الآية قد يكون بان ينسخ تلاوة الآية
 وينزل آية اخرى تثلى بدلا وقد يكون بان ينسخ حكم آية من غير ان ينسخ تلاوة لفظها ويشعر مكانه حكم
 آخر والتبديل رفع الشيء مع وضع غير مكانه والمراد به ههنا النسخ واعلم انه تعالى شرع ههنا فى حكاية
 شبهات منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كان المشركون اذا نزلت
 آية فيها شدة ثم نزلت آية اخرى نسخها الى اخف منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه بأمرهم اى يوم بأمر وينهاهم
 عنه غدا انما هو مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية واظها ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل
 اعترض بين الشرط وجوابه جئى به توخيلا للكفار على قولهم انما انت مفترى اذا كان هو اعلم بما ينزل من المصالح
 خالفهم ينسبون محمدا الى الافتراء بناء على تبديله آية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك مقتضى الحكمة
 البالغة والمصلحة الثلاثة بكل وقت وزمان ويحتمل ان تكون جملة حالية من فاعل بدلتها عائلين بما فى
 التبديل من الحكمة والمصلحة وانما تبدل عن التكلم الى الغيبة للاشارة الى علة العلم والمشركون نسبوه عليه
 الصلاة والسلام الى الافتراء باواع من المبالغات وهى تصدر بالجملة اداة الحصر على طريق قصر الموصوف
 على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على اشوت والاستقرار وحذف مفعول لا يملون للعلم به اى
 لا يملون حكمه الاحكام وما فى تبديلها من المصالح والحكم (قوله كفولهم حاتم الجود) بمعنى حاتم جواد
 او صاحب جود وكذا روح اقدس بمعنى روح مقدس او صاحب قدس اضيف الموصوف الى صفته للاشعار
 باختصاصه بها وانه ليس له شأن سوى الانصاف بها (قوله وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب
 المصالح بما يقتضى التبديل) يعنى ان بناء فعل هنا لاسل المتكرر فى مهلة اى لوجود اصله شأنا فنيا
 كدرجته الى كذا اذا بلغت اليه درجة درجة فتزىل القرآن توزيع نزوله الى الاوقات بانزاله مدرجا على حسب
 المصالح وذلك يقتضى ان ينسخ حكم آية ويبدل مكانه اخرى وذلك لان المصالح تختلف باختلاف الاوقات فلا جرم
 يكون انزاله مدرجا على حسب اختلاف المصالح مستازما للنسخ والتبديل ومقتضيا اياه لما بين المشركون
 قولهم انما انت مفتر على انتحال القرآن على النسخ والتبديل كان. قوله قل نزله روح القدس واردا ليسان
 فساد سندهم لان اشارة اللفظ الدال على تدرج النزول للتنبيه على حقيقة النسخ والتبديل اشارة الى ما يقتضيهما
 والمعنى ان جبريل نزل بالقرآن من كلام ربك ملتبسا بالحق اى الامر الصحيح الثابت ليثبت الذين آمنوا بما فيه
 من الحجج والآيات فيردادوا تصديقا وقينا وقرى ليثبت مخفقا من اثبت (قوله وفيه نمر يض الخ) اى
 وفى اثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين ثم يض بمحصل اضدادها للمشركين وذلك لان قوله قل
 نزله روح القدس الآية جواب عن قول المشركين انما انت مفتر فاما ارادوا بقولهم انما انت مفتران هذا ليس
 من كلام الله تعالى لان الله تعالى لا يسر من احد بان يأمره اليوم بشئ وينهاه غدا عند بل هو من تلقاء نفسك
 واجيبوا بان هذا من الله تعالى وزيد فى التصور بان قيل نزله روح القدس ثم زيد قوله بالحق دفعا لظنهم
 بالطف الوجوه اى تزىلا ملتبسا بالحق وحكمة ومصالح الخلق ثم شنع على قبيح افهامهم بان قيل
 ليثبت الذين آمنوا الخ ثم ايضا بان اضداد هذه الخصال حاصله فيهم وانهم مترزلون ضالون مو بخون

(انما سلطاناه على الذين تولوه) يحبونه ويطيعونه
 (والذين هم به) بالله او بسبب الشيطان (مشركون
 وانما لنا آية مكان آية) بالنسخ فجعلنا الآية النسخة
 مكان النسخة لفظا وحكما (والله اعلم بما ينزل) من
 المصالح فلعلم ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة
 بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة
 الآن فيثبت مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بنزل
 بالتحقيق (قالوا) اى الكفرة (انما انت مفتر) متقول
 على الله تأمر بشئ ثم يدرك فتنه عينه وهو
 جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعترضوا لئلا يخفى الكفار
 على قولهم والذين هم به فساد سندهم ويجوز ان يكون
 حالا (بل اكثرهم لا يعلمون) حكمية الاحكام ولا يميزون
 الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعنى
 جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو
 الطهر كفولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح
 اقدس بالتحقيق وفى ينزل ونزله تنبيه على انزاله مدرجا
 على حسب المصالح بما يقتضى التبديل (من ربك
 بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على
 الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا النسخ وتبدروا ما
 فيه من رعاية الصلاح والحكمة رنخت عقائد هم
 واطمأن قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين)
 انتقاد دين حكمه وهما معطوفان على محل ليثبت
 اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه نمر يض بمحصل
 اضداد ذلك لغيرهم وقرى ليثبت بالتحقيق (ولقد
 نعم انهم يقولون انما يعلم بامر) يعنون جبرائيل غلام
 عامر بن الحضرمى وقيل جبرائيل وسارا كانا يصنعان
 السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول
 صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل
 عائشا غلام حواري بن عبد العزيز قداسم وكان
 صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى (لسان الذى
 يلحسون اليه انجيمى) لغة الرجل الذى يملون قولهم
 عن الاستقامة اليه ما اخذ من لحد القبر وقرأ حزة
 الكسائى يلحدون بتفتح الياء واخاء لسان انجيمى
 غير بين

منذرون بالخرى والتكال والمان في الدنيا والآخرة ليريد في غيظهم وحنيتهم وما احسن هذا البيان ثم انه تعالى
 حكى شبهة اخرى عن طاعنى ثبوته عليه الصلاة والسلام بانه يعلم هذه الكلمات من غيره ثم يظهر هاهنا منه ويرى
 انه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب عنه بان قال لسان الذى يلحدون اليه اعجمى الآية
 واللسان وان كان اسما لجرحة التكلم الا ان العرب يطلقونه على اللسنة والاحساد في اللغة الميل يقال لحد
 اليه والحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعاذل عن الحق ملحد وقرأ خزنة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء
 اى يميلون وقرأ الباقر بن بضم الياء وكسر الحاء والاحساد قد يكون بمعنى الامالة قال صاحب الكشاف
 يقال الحد البر ولحدوه فهو ملحد ولحدود اذا مال حفره عن الاستواء والاستقامة فخر في شق منه
 ثم استعمل لكل امالة عن الاستقامة فليل الحد فلان في قوله والحد في فعله ودينه ومنه المحدث لانه امال مذهبه
 عن الاديان كلها فعلى هذا يكون كل واحد من الحد ولحد متعديا وقصر هذه الآية بالقولين قال الفراء يميلون
 اليه القرآن او يميلون قولهم عن الاستقامة اليه وكون المغة عبارة اعجمية عبارة عن كونها مبهم لا يتضح
 المراد منها والاعجم الذى لا يفصح مراده ولا يبين كلامه وان كان عربيا و اشار المصنف اليه بقوله اهل الحل
 الذى ذكره لسان اعجمى غير بين (قوله ما تلقفه) اى اخذه وتناوله بسرعة يقال لقفت السبي القفه لقفاه
 وتلقفته اذ اتاه ولنه بسرعة بين المصنف بطلان ما زعمه المشركون من انه عليه الصلاة والسلام تعلم القرآن
 من بشر ثم ادعى انه وصى اليه بواسطة الملك بوجهين الاول ان القرآن المبين كيف يكون مأخوذا من لسانه اعجمى
 غير بين ومن المعلوم ان المعاني المبينة الواضحة لا تؤخذ من لا تعرف لغته ولسانه والثاني ان احلثانه اخذتلك المعاني
 باستماع الكلام الاعجمى الذى لا يفهمه هو ولا اثم لكن لانسل انه اخذ منه لفظ القرآن ايضا لان لفظه لكونه
 في اعلى درجات الفصاحة والبلاغة يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار بطلان ذلك بوجوه اخر الاول ان لم
 ما في القرآن من العلوم الكثيرة والمعاني الدقيقة لا يتأتى ان يحصل في بعض اوقات مرور المتعلم على المعاني يحتاج
 الى ملازمته مدة متطاولة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فمجانين الخلق انه عليه الصلاة والسلام تعلم من فلان وفلان
 ولم يتفوه بذلك احد سواهم والثاني ان تعلم تلك العلوم الكثيرة المتعلقة باحوال جميع الكلفين في الستين لا يتصور
 الا من معلم بلغ في غاية الفضل والتحقيق الى حيث يكون مشارا اليه بالبيان ويخضع له اهل الدنيا باجمعهم تكف
 يذهب الوهم الى تعلمها من غلام سوق يدعى بعد فلان باستماع كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها (قوله
 واؤثك اشارة الى الذين كفروا) لانهم المذكورون بقوله الذين لا يؤمنون اولى قریش لان سياق الكلام فيهم
 لانهم هم الذين قالوا انما انت مفتر وقالوا انما بعلمه بشر والمشار اليه على الاول وان كان مثاولا قریش وغيرهم
 الا انهم يدخلون فيه د خولا اوليا ولما ورد ان يقال انه تعالى اثبت افتراء الكذب للذين لا يؤمنون حيث قال
 اما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون فائدة قوله بعد ذلك واؤثك هم الكاذبون اليس هو مستدركا خاليا
 عن الفائدة نية بهذا الكلام على وجه يندفع به الاستدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان تكون اشارة الى قریش
 ظاهر لانهم لما نسبوا الكذب والافتراء اليه عليه الصلاة والسلام بقولهم انما انت مفتر قلب الله تعالى ذلك
 الامر عليهم وجعل قوله اما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون مقدمة كلية يتفرع عليها المقصود كانه قيل انهم
 لا يؤمنون بآيات الله ويكل من لا يؤمن به سافهم الذين يفترون الكذب قریش هم المفترون الكاذبون لانه
 فلا استدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان تكون اشارة الى قوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله
 لعنادهم ومكابرتهم انهم كانوا يعاندون بآيات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها آيات الله لان مضمون الجملة
 الا ولى ما وما ويحتمل ان يكون في قوم علم الله انهم لا يؤمنون بآيات الله ويموتون عليه فن علم الله منه ذلك
 لا يهديه اذ افتراء الكذب لا يصدر الا من الذين لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدر عن آمن بها لان خوف العقاب
 اذ يردعه عنه ومضمون الثانية خص الجماعة الذين يعرفهم المخاطب بانهم انكاذبون من الذين كفروا بآيات الله
 على ان يكون تعريف الكاذبين للعهد الخارجى و اشار المصنف اليه بقوله هم الكاذبون على الحقيقة وان كان
 التعريف الذى فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة الكاذبين
 وخصوصياتهم يكون مضمون الثانية خص تلك الحقيقة بهم مبالغة كما في قولك عمر والشجاع اى الكامل
 في الشجاعة تبرز الكلام في صورة توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا تتجاوز الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره

(وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذوى بيان
 وفصاحة والجليلان متسا نعتان لا بطلان طعنهم
 وتقريره بمثل وجهين احدهما ان ما يستبعد منه كلام
 اعجمى لا يفهمه هو ولا اثم والقرآن عربى تفهمونه
 بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما صاحب
 انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف
 منه اللفظ لان ذلك اعجمى وهذا عربى والقرآن
 كما هو مجرب باعتبار المعنى فهو مجهز من حيث اللفظ
 مع ان العلوم الكثيرة التى في القرآن لا يمكن تعلمها
 الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة
 فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوفى سمع منه بعض
 اوقات مروره عليه كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف
 معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة
 دليل على غاية عجزهم (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله)
 لا يصدقون انهم عند الله (لا يهديهم الله) الى الحق
 او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب اليم)
 في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط
 شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال
 (اما يسترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله)
 لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه (واؤثك) اشارة
 الى الذين كفروا اولى قریش (هم الكاذبون)
 اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب
 لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات
 اعظم الكذب والذين عادتهم انكذب لا يصرفهم
 عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت
 مفتر انما بعلمه بشر

(من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لا يؤمنون وما ينتهما اعتراض اومن اولئك اومن الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب (الامن اكره) على الافتراء او كلفة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان (وقلبه مطمئن بالإيمان) لم يتغير عقيدته وفيه دليل على ان الإيمان هو التصديق بالقلب (ولكن من سرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به نفسا فعابهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمرا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فبطوا سمية بين بعيرين ووحى بحربة في قلبها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال مالك ان عاد والى فعدلهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان افضل ان يتجنب عنه اعزاز الدين كفضله ابواه لما روى ان مسئلة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول في محمد قال رسول الله قال فاذا تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال الآخر ماتقول في محمد قال رسول الله قال فماتقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقدا اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنأه (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الإيمان او الوعيد بانهم استحبو الحياة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) اى الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم من الزيغ (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (واولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة عما يراد بهم اذا غفلت حاله الرهنة عن تدبر العواقب (لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا عمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب النخل

لقصورها عن رتبة الكمال فكذا الحال في قوله تعالى واولئك هم الكاذبون واليه اشار بقوله او الكاملون في الكذب وعلى التقديرين تفيد الجملة الثانية غير ما تفيد الاولى فلا استدراك وكذا ان اراد بالثانية اولئك الذين عادت لهم الكذب واستمروا عليه بناء على انه عبر عن المسند في الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفي الثانية عدل الى الجملة الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لاندفاع الاستدراك اما ثبت للذين كفروا في الجملة الاولى هو مطلق الكذب وما اثبت لهم في الثانية هو الكذب الخصوص الواقع في قولهم انما اتهمتم وانما يعلم بسر وفي الآية دليل على ان الكذب من اكبر الكاثر واخش الفواحش لان كلمة انما للمصر فدللت على ان الكذب والفرية لا يقدم عليه الا من كان كافرا بآيات الله وهذا تهديد عظيم روى الامام محبي الدين والسنة في تفسيره ان عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يرى قال قد يكون ذلك قلت المومن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المومن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (قوله بدل من الذين لا يؤمنون) فان قلت كيف يكون بدلا منه مع ان قوله تعالى انما يفترى الكذب رد لقول قريش انما انت مفترؤهم ما كفر وابتعد الايمان اجب عنه بان قوله تعالى منه من بعد ايمانه المراد من بعد تمكنه من الإيمان بقوله تعالى واولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الى الهدى لهم بل تمكنهم من الهدى والاعراض عن الإيمان بعد التمكن منه على سبيل العناد والتمرد ابلغ في ابطال مقاتلتهم كانه قيل انما يفترى الكذب من كفر بالله عنادا بعد تمكنه من الإيمان الصحيح المستند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت من افترى الكذب (قوله او مبتدأ خبره محذوف) تقديره فعليه غضب حذف لدلالة ما بعده من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة ما بعده من فان جواب من شرح يدل عليه تقديره فعليهم غضب الا من اكره لكن من سرح بالكفر صدرا فعليهم غضب اى قمع صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل التشرح بسط اللحم ونحوه يقال سرح اللحم وشرحت الكلام المشكل اى بسطته واظهرت معانيه ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاستند الفعل الى المضاف اليه وانتصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه مفعول للتشرح والتقدير ولكن من سرح بالكفر صدرا وحذف التمييز لانه لا يتكلم بصدر غيره اذ لا يتكلم على سرح صدر غيره فهو نكرة ويراد به المعرفة (قوله استثناء متصل) لان من اكره على كلمة الكفر داخل في جنس من كفر لان الكفر لغة يعم القول والعند (قوله تعالى وقلبه مطمئن بالإيمان) جملة حالية اى الا من اكره في هذه الحالة ووجد الاستدراك في قوله ولكن من سرح بالكفر دفع توهم ان من اكره من غير اعتقاده او مع اعتقاده والعياذ بالله مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب العظيم وقوله وقلبه مطمئن لا ينفى ذلك الوهم فاحتجج الى الاستدراك لدفع ذلك الوهم روى عن مجاهد انه قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وصهيب وبلال وعمار وسمية رضوان الله عليهم اجمعين اما الرسول فهداه واما ابوبكر فقومه واخذوا الآخرين بالسوهم ادرع الحديد ثم اجلسوهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ببحر الحديد والشمس واتاهم ابو جهل يستهم ويوبخهم وشتم سمية ثم طعن بالحربة في فرجها وقال الآخرون ما قالوا لهم غير بلال فانهم جعلوا يعذّبونه ويقول احدا حد حتى ملوه فتركوه قال عمار كما تكلم بالذى ارادوا غير بلال هانت عليه نفسه فتركوه وقال حجاب لقد اوقدوا نار ما اطفاها الاودك نظهرى قال الامام قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه لان الغضب لكونه من الكيفيات النفسانية المستحيلة في حقه تعالى يراد غايته وهى العذاب فيكون فائدة قوله ولهم عذاب عظيم توصيف ذلك بالعظم (قوله اى الكافرين في علمه) فالعلم انه تعالى لا يهدي الى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصم من الزيغ والميل عن الحق من علم الله انه يختار الكفر وان يموت عليه واذا كان كل واحد من ايشار الامور الدنيوية وعدم هدايتهم الى ما يوجب البسات على الحق سببا للكفر بعد تبيين الحق وقبوله يكون سببا لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه تعالى بين طريق عدم هدايتهم الى ما يوجب البسات على الحق بقوله واولئك الذين طبع الله على قلوبهم اى خلق في قلوبهم ومساخرهم لا طبع عليها حقيقة فان القلوب والمشاغرات لا تقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث حصر حقيقة الغفلة فيهم بحيث لا يتجاوزهم الى غيرهم وذلك اما لكونهم كاملين في الغفلة

بحيث لا تعد غفلة غيرهم في جنب غفلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق لغضب الله تعالى وعذابه العظيم
 وابتار الحياة الدنيا على الحياة الآخرة والحرمان من هداية الله تعالى وكونه مطبوعا على قلبه ومشاعره ثم غفل
 عما يراه من العذاب الشديد الدائم في الآخرة تكون غفلته اسد واكمل ويكون عن الطاعات وتحصيل اسباب
 السعادات الابدية ابعد فلا جرم يكون في الآخرة اخسر ثم انه تعالى لما ذكر حال من كفر بالله بعد ايمانه وحال
 من اكره على الكفر فانظر الكفر حذرا من الهلاك ذكر بعده حال من اظهر الكفر مكرها اذا هاجروا وواجهوا
 وصبروا وحال من آذى المسلمين واكرههم وجعلهم على الارتداد على القرائين في قوله من بعد ما فتوا فقال ثم ان
 ربك للذين هاجروا والآية (قوله بالولاية والنصر) اشارة الى ان قوله تعالى للذين هاجروا خبران كما تقول ان زيدا
 لك اي هولاك لا عليك بمعنى هو ناصر لك لا خاذل لك (قوله تجادل عن ذاتها) اشارة الى ان النفس الثانية عبارة
 عن ذات الشخص وعينه وحقيقته والنفس الاولى عن جسد الشخص وجلته فليس النفس نفس اخرى تضاف
 احدا منها الى الاخرى روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكتب الاخبار خوفنا قال يا امير المؤمنين والذي
 نفسي بيده لو وافيت في القيامة بحمل سبعين نبيا لانت عليك امارات وانت لا يهلكك الا نفسك وان لحظهم زمن مدة
 ما سبق ذلك مقرب ولا يبي مرسل الا وقع جاييا على ركبته حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا اسألك الا نفسي
 وار تصديق ذلك قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها والسعي في
 خلاصتها (قوله اي وجعلها) اشارة الى ان ضرب عدى الى مفعولين اولهما القرية الموصوفة وثانيهما مثلا
 لتضمين ضرب معنى جعل فان ضرب المثل اعتدله ووضع من ضرب اللبن والخاتم فلا يتعدى الا الى مفعول واحد
 فلما عدى ههنا الى مفعولين احتج الى اعتبارا لتضمين والمراد بالقرية اهلها بقرينة ما استند اليها من كثر ان التيم
 والجوع والخوف وقوله بما كانوا يصنعون لما هدد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد الواقع في الآخرة هددهم ايضا
 بأفات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف واعلم ان المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان الشئ
 موجودا او لم يكن لان المثل إنما يضرب لترغيب المكلف في الاتصاف بتلك الصفة او لتثنيه عنها ولا مدخل في ذلك
 الترغيب والترهيب لتحقيق تلك الصفة في شئ بعينه كما مر في قوله ولا تكونوا كالتى نقصت عن لها وقد يضرب بشئ
 معين فالمتصود ضرب القرية الموصوفة مثلا سواء كان ترهيب كل قوم انتم الله عليهم فكمروا فانزل الله تعالى بهم
 نعمته وترهيب كفرهم كذمة بخصوصهم ولا يلزم ان يكون القرية الموصوفة المثل بها قرية من قرى الاولين بل قرية كانت
 حالها كذلك فضر بها الله مثلا لاهل مكة او لكل قوم شأنهم كسائر اهل مكة وان لا يكون موجودا في قرى الاولين
 مثلها بل قد قرية على هذه الصفة فيضرب بها المثل ثم ان اهل مكة قد ابتلاه الله تعالى بما ذكر من الجن فانهم
 كانوا اثنتين لا تغار عليهم العرب بل كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم لكونهم اهل حرم الله مع انهم كانوا
 يغير بعضهم على بعض وكانوا مضطئين في بلدهم من حيث ان ذلك البلد كان ملائما لامر جنهم فاطمأنوا اليه
 واستقر وافيه من غير اضطراب وانزعاج وكان بأيتهم برفقهم رغدا من كل مكان وهذه التيم الثلاثة جمعها من قال
 ثلاثة ليس لها نهاية الامن والسكنى والكفاية فقولنا على امانة اشارة الى الامن وقوله مطمئنة اشارة الى السكينة
 وقوله بأيتها رزقها اشارة الى الكفاية والمفهوم من كلام المصنف ان يكون الاطمئنان اثر الامن ولازمه من حيث
 ان الخوف يوجب الانزعاج وينافي الاطمئنان ثم انه تعالى زاد على هذه التيم المذكورة في حق اهل مكة
 حيث بعث فيهم رسولا من انفسهم ينذرهم بما يوجب العذاب الاليم ويدعوهم الى التيم المقيم فكثروا به وبالغوا
 في اذائه فسلط الله عليهم البلاء وابتلاههم بالجوع سبع سنين وقطعت عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتى جهدوا وظلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الورب الذي يحسن بالدم
 وابتلاههم الله تعالى بالخوف حيث كان عليه الصلاة والسلام يبعث اليهم السررا فيغيرون عليهم (قوله استعار
 الذوق) لما كان في الآية اشكال من حيث ان الله تعالى اوقع الاذقة على اللباس مع ان اللباس ليس بما يدرك
 بالذوق ثم اضاف اللباس الى الجوع والخوف وليس لهما لباس فكيف صحت اضافة اللباس اليهما اشار
 المصنف الى دفع الاشكال المذكور بان جعل الذوق مستعارا لادراك اثر الضرر بان شبه ادراك الانسان
 اثر ما يضره باحساس طعم الشئ المر بالتم الذي هو الذوق فاطلق على المشبه الذي هو امر عقل اسم المشبه به
 وهو الذوق وجعل اللباس مستعارا لما غشيهم واشغل عليهم من الجوع والخوف بان شبه ما يغشى الانسان

(ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا)
 اي عذبوا كعذاب رضى الله تعالى عنه بالولاية
 والنصر وهم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك
 وفرأبن عامر فتوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين
 كالحضري اكره مولاه جبراحتى ارتد ثم اسلموا
 وهاجروا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد
 وما اصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها)
 من بعد الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لما فعلوا
 دل (رحيم) منعم عليهم بمجازاة على ما صنعوا بعد
 (يوم تأتي كل نفس) منصوب برحيم او بذكر
 (تجادل عن نفسها) تجادل عن ذاتها وتسعى
 في خلاصتها لا يهمل شأن غيرها فتقول نفسي نفسي
 (وتوفي كل نفس ما عملت) جازا ما عملت (وهم
 لا يظنون) لا يفتقرون اجورهم (وضرب الله مثلا
 قرية) اي وجعلها مثلا لكل قوم انتم الله عليهم
 فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النعمة اولمكة
 (كانت آمنة مطمئنة) لا يزعج اهلها خوف
 (بأيتها رزقها) اقواتها (رغدا) واسعا (من كل
 مكان) من نواحيها (فكفرت بانعم الله) بنعمه جمع
 نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدروع وادرع اوجع
 نعم كئوس وابوس (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف)
 استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم
 واشغل عليهم من الجوع والخوف

وليتبس به من اثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي والجامع بينهما كونهما مستعملين على الانسان وغاشيين له ثم اطلق اسم اللباس على ما يغشى الانسان من اثرهما وجعل اضافته اليهما قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي فكل واحد من الاذاقة واللباس استعارة مغايرة لاستعارة الاخر ثم اوقعت الاذاقة المستعارة على اللباس المستعار بان جعل اللباس مفعولا للاذاقة بالنظر الى المستعاره يعني ان الاذاقة بمعنى الاصابة والايصال وان لم تكن ملائمة للمعنى الذى استعير منه اللباس لكنهما ملائمة للمعنى الذى استعير به اللباس وهو اثر الخوف والجوع الذى يغشى الانسان كما يشاء اللباس فا وقعت الاذاقة بمعنى الاصابة على اللباس فاطلاق الاذاقة بمعنى الاصابة او الايصال على اللباس بالمعنى المجازى بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو اثر الجوع والخوف فان الاستعارة على ثلاثة اقسام مطلقة ومجردة ومرشحة فالمطلقة ما لم تترن بصفة مما يلائم المستعاره او المستعار منه والاستعارة المجردة ما قرنت بما يلائم المستعاره كقوله غر الرداء اى كثير العطاء استعير الرداء للعطاء من حيث انه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ثم وصف الرداء بالغمر الذى يلائم العطاء دون المعنى المستعار منه وهو الرداء الحقيقى تجريد والاستعارة المرشحة ما قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله

ينازعنى رداى عبد عمرو * رويدك يا خاعرو بن بكر

لى السطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعجب من بطر

استعار الرداء للسيف والاعتجار لف العمامة على الرأس من غير اذارة تحت الخنك ثم اوقع الاعتجار على شطر الرداء بالنظر الى المستعار منه لكونه ملائما للرداء الحقيقى ومعنى اليت يجاذبنى سبى عبد عمرو ويريد ان يأخذه منى فقلت له رويدك لى السطر الاعلى من السيف وهو طرفه الذى فى يمينى وخذ انت الطرف الاخر منه فاعجبر اى لف برأسك (قوله غلقت لضحكته رقاب المال) اى بقيت رقاب الرهن فى الميرتمن ولم يأت للسدوح فكها منه يقال غلق الرهن اذا استحققه الميرتمن وذلك اذ لم يقل بعثك فى الوقت المتروكية قول اذا ضحك ضحككذا يقين السائل انه بذلك التسم استغلق رقاب ماله ويعطى بلا خلاف (قوله بعد ما زجرهم عن الكفر) اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فكلوا وتشربوا واعشوا عن صنع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة بعد ما علمتم وخافوا عقابها (قوله عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداها حل لهم) اعلم انه تعالى حصر المحرمات فى هذه الاربعة فى هذه السورة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة الانعام حيث قل قل لا تجد فى الاوحى الى محرمات على طاعم وهاتان السورتان مكتبتان وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة البقرة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة المائدة فانه تعالى قال فى اول تلك السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا ما على عليكم فاباح الكل الا ما على عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله الا ما على عليكم هو قوله تعالى فى تلك السورة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فذلك تلك الاربعة المذكورة فى تلك السورة الثلاث ثم قال والمختنقة والموقودة والمتردية والنطيخة وما اكل السبع الا ما ذكركم وهذه الاشياء داخلية فى الميتة ثم قال وما ذبح على الاثصب وهو واحد الاصناف الداخلة تحت قوله وما اهل لغير الله به فثبت ان السور الاربعة دالة على حصر المحرمات فى هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدينيتان فان سورة البقرة مدينة وسورة المائدة من اخر ما نزل بالمدينة فجموع ما نزل فى مكة والمدينة دالة على انحصار المحرمات فيها وما زيد عليها فبدليل شرعى ثبت الحكم به وما ذهب اليه الكفار من زيادة المحرمات على هذه الاربعة بلا شترع ثابت مقرر لا يصح القول بزيادته اذ هو قول من ينفق فانهم كانوا يحرمون البعيرة والثنية والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فتحريمها ذهب الى زيادة المحرمات باحوالهم وجهاتهم فتجاوزين عن اتباع ما شرعه الله تعالى على لسان انبيائه وازدادوا ايضا فى المحلات حيث حلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله فين الله تعالى ان المحرمات هي هذه الاربعة واذكدها البيان بالانهى عن التحريم بمجرد احوالهم فقال ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب (قوله تعالى حلالا طيبا) قال بعضهم الحلال والطيب واحد كانه قال كلوا ما احل لكم فهو كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم اى ما حل لكم وقال بعضهم الطيب ما نستطيعه النفس وتلذذه به لان من الحلال ما لا تلذذه النفس بل نكرهه فانه تعالى جعل غذاء

واقوع الاذاقة عليه بانضرا الى المستعاره كقول كعب بن جراح اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واذن اى الغمر الذى هو وصف المعروف وانسوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعنى رداى عبد عمرو * رويدك يا خاعرو بن بكر
لى السطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعجب من بطر
استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعجب نظرا الى المستعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم والضهير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم (فاخذهم العذاب وهم ظالمون) اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجذب السديد او وقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهدهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدالهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة (واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون وان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الاكهة عبادته (الما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فى اضطر غير باع ولا عا فان الله غفور رحيم) لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداها حل لهم ثم أكد ذلك بالانهى عن التحريم والتحليل باحوالهم فقال (ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق مقتضى الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما اقيم عليه دليل كالسباع والخنزير الاهلية

البشر ما هو اطيب والذو جعل للبهائم والانعام ما هو اخبث واخشى ولا شك ان ما هو اطيب والذاتم نعمة وادعى الى التكر وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ اي فمن اضطر الى تناول ما ذكر من المحرمات وقيل معناه غير باغ على الوالي ولا متعد على الناس بالخروج لقطع الطريق فعلى هذا لا يباح تناول شيء من المحرمات في سفر المعصية (قوله) واتصبا الكذب بلا تقولوا على انه مفعول به ويحتمل ان يكون مفعولا مطلقا فان القول قديتهدى وقد لا يتعدى فهو مفعول به والا فمفعول مطلق فعلى هذا تكون ما موصولة واللام صلة لقوله لا تقولوا اي لا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من الهائم وذلك الكذب هو ان تقولوا في حقها هذا حلال وهذا حرام او متعلقة بتصف بان يكون مسوقا لبيان الوصف الذي تبينه الالسة فالقاء في قول المصنف فتقول كالفاء التي في قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فان القاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرسيا على ما قبلها في الذكر لان مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها في الزمان لقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نبؤا من الجنة حيث نشاء فعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشيء ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل بكقوله تعالى وناذى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجال ومنه قوله تعالى وكمن قريه اهلكناها فجاءها بأسنا بناها وهم يظنون فان تبين البأس تفصيل الاهلاك المجمل وما نحن فيه من هذا القبيل فان قول الالسة هذا حلال وهذا حرام تفصيل للوصف الذي استدل بها فكلما ما ايضا موصولة واللام صلة ولا تقولوا (قوله) او مفعول لا تقولوا (عطف على قوله بدل منه وقوله لوصف السنتكم الكذب اشارة الى ان اللام في قوله لما تصف للتعليل والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف السنتكم الكذب اي لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة فان قيل حل الآية على هذا الوجه يؤدي الى التكرار لان قوله لتفتروا على الله الكذب عين قولك لاجل وصف السنتكم الكذب فالجواب ان قوله لما تصف السنتكم ليس فيه بيان انه كذب على الله فاعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليقيد هذا البيان الراء ونظيره في القرآن كثيرا فانه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة (قوله) ووصف السنتهم بالكذب) جواب عما قبل الكذب مصدر لكذب والالف واللام فيه تعريف الحقيقة والسنتهم لا تصف اي لا توضح ولا تبين حقيقة الكذب وما هيته بل تتكلم كلاما موصوفا بالكذب فما وجه كون الكذب مفعول تصف وتقرر الجواب نعم ان مقتضى الظاهر ان يقال مما تصف السنتكم الكلام الكاذب وتظهره الا انه جمل الظاهر المتين بالسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة في وصف كلامهم بالكذب فان اصل الكلام مما تصف السنتكم الكلام الكاذب ثم عدل عنه فقيل الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف واقام الكذب مقامه فقيل لما تصف السنتكم الكذب كما يقال وجهها يصف الجمال مع ان وجهها انما يظهر الشكل الخصوص الموصوف بالجمال لانفس الجمال وحقيقته الان وجهها لما كان في غاية الحسن والجمال صار كما انه عين حقيقة الجمال فاذا وصف الشكل الجميل صح ان يقال انه وصف نفس الجمال وكذلك العين لما كانت تشبه الساحر وتصفه كال المشابهة والتوصيف صح ان يقال انها تصف السحر (قوله) وقرئ الكذب بالجر بلا من ما) قال ابو القاء وقرأ بفتح الكاف وكسر الذال والباء على البدل من جعلها مصدرة او بمعنى الذي انتهى اي ولا تقولوا لوصف السنتكم الكذب والذى نصف السنتكم الكذب والمراد من كونه بلا من ما المصدرية كونه بلا مناهم مع ما في خبرها اي من المصدر المنسب منها وهو وصف السنتكم (قوله) والكذب اي وقرئ الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء على انه صفة الالسة جمع كذوب كصور وصبرا وجمع كاذب كشارف وشرف او جمع كذاب نحو كتاب وكتب وهو مصدر بمعنى الكذب قال المرء يتبعه كذابه * اي كذبه وقرئ الكذب بفتحين ونصب الباء تقدير اعني قصد الذم الالسة او بمعنى الكلم الكواذب اي ولما تصف السنتكم الكلم الكواذب (قوله) تعليل لا يتضمن الغرض) يعني ان اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا للتعليل الصريح اذ لبس الافتراء على الله غرضهم من التحريم والتحليل من غير حجة بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل اليه تعالى ويقولون انه تعالى امرنا بذلك فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى ثم انه تعالى اوعد المفتريين فقال ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال متاع قليل اي ما يتمتعون به من نعيم الدنيا شيء قليل في ذاته وبحسب

واتصبا الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب متصبا بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي ولا تقولوا ولا تقولوا بجر قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لا يتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لما كان المفتري يفتري لتبصيل مطلوب نفي عنهم الفلاح ويده بقوله (متاع قليل) اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب اليم) في الآخرة

مدة الانتفاع به بل منافع كل الدنيا قليل ثم انه تعالى لما بين ما يحل ويحرم لاهل الاسلام اتبعه ببيان ما خص اليهود بحرمه فقال وعلى الذين هادوا حرمات ما قصصنا عليك من قبل اى من قبل تحريمنا على اهل ملتك ما عددناه من الحرمات (قوله كما يكون للضررة) اى للضررة ما حرم لمن اكله فان ما حرم على المسلمين لم يحرم عليهم الاصوات لهم من مضرتهم بخلاف اليهود فانه حرم عليهم ما حرم جزاء لغتهم وعقوبة على ظلمهم وقال ايضا ذلك جزئناهم بغيرهم ثم انه تعالى لما بالغ في تهديد المشركين على انواع قبائحهم من اسكار البعث والنسوة وكون القرآن العظيم من عند الله وتحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه ونحو ذلك بين ان امثل تلك القبائح لا تمنعهم من قبول النسوة وحصول المغفرة والرحمة اذا اذموا على ما فعلوا وآمنوا واطاعوا ولم يقدر للجهالة متعلق لنعم كل جهالة وكل من يفعل السوء فاما يفعلها ملتبسا بالجهالة اما الكفر فلا ان احدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا وانه ما لم يعتقد ان ما هو عليه حق لا يختاره ولا يثبت عليه واما المعصية فلما لم تقصر الشهوة غالبية على العقل والعلم لم تصدر تلك المعصية فثبت ان كل من عمل السوء فاما يقدم عليه بسبب الجهالة فلذلك قيل كل من عصي الله فهو جاهل ثم انه تعالى لما زيف في هذه السورة مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احل الله تعالى ذكر في آخر السورة من هورئيس الموحدين ووصفه باوصاف شريفة وطريقة حسنة مقبولة لذوى العقول ليكون ذكره حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والافتداء به في الاتصاف بماله من افضال والكمالات فقال ان ابراهيم كان امة فانت الله الآية سميت الامامة لكثرة افرادها وفي الحديث لولان الكلاب امة لامرئ يقتلها جعل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام امة تشبهها بالامة من حيث اجتماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في جماعة فان ذلك ليس بيد من قدرة الله تعالى كما قال الشاعر

وليس من الله بمستكر * ان يجمع العالم في واحد

يعنى ان الله تعالى قادر ان يجمع في واحد ما في الناس من انواع الفضل والكمال والدامغة اسم لشجرة بلغت ام الدماغ وهي الجلدة التي تجمّع الدماغ شبه المذاهب الزائفة بأشخاص لها رؤس مستقلة على الدماغ وشبه ابطال حجج تلك المذاهب بشجها بتجعة دامغة فأطلق اسم الدمع على الابطال المذكور ثم اشتق من الدمع معنى الابطال لفظة الدامغة بمعنى البطلة فجعل هذه الاستعارة التبعية تخيلا لما عجز من تشبيه المذاهب الزائفة بالاشخاص المذكورة وهذا التشبيه المضمر في النفس هو الاستعارة بالكناية عند الخطيب الدمشقي (قوله ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين) اى ولاجل كونه عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين جعل الله تعالى ذكره عليه الصلاة والسلام بحيث يعقب التزييف ويخلفه على ان قوله تزييف ثاني مفعول يعقب يقال عقبه مخففا يعقبه بمعنى خلفه يخلفه وعاقب كل شئ آخره الذي يخلفه ويكون بعده وبالتضعيف يتعدى الى اثنين وان شئت قلت يعقب ذكره تزييف بان يجعل عقب ثلاثا وذكره مر فوعا على انه فاعل عقب وتزييف منصوبا على المفعولية (قوله اولانه كان وحده مؤمنا) قسما للامة والرحلة بضم الراء الذي يرحل اليه يقال اتم رحلتي اى الذين ارتحل اليهم والخبة المنتخب يقال جاني خبة اصحابه اى خيارهم فان كان امة فاعلة بمعنى المفعول يكون اما بمعنى المأموم اى المقصود الذي يؤمّه الناس اى يقصدونه لياخذوا منه الخير الجوهرى الأم بالقبح القصد يقال امة يؤمّه اذا قصده واما بمعنى المؤتمم به الجوهرى امت القوم في الصلاة امامة واتم به اى اقتدى وصف الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنسب صفات الصفة الاولى انه كان امة اى كالامة من حيث اجتماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في الجماعة والثانية كونه قانتا لله تعالى اى مطيعا له قائما بما امره قال الراغب الفوت زوم الطاعات مع الخضوع وفسر بكل واحد منهما في قوله تعالى كل له قانتون قيل خاضعون وقيل طائعون والثالثة كونه حنيفا اى مائلا عن الملل الى ملة الاسلام والاربعة انه لم يكن من المشركين وكيف يكون مشركا وقد كان أكبرهمته في حال صغره وكبره مصروفا الى تقرير دلائل ثبوت الصانع ووحدته حتى قابل ملك زمانه واقام عليه الحجج والبراهين الدالة على وجود الاله القادر على كل شئ مثل قوله ربى الذى يحيى ويميت وقوله فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب ثم ابطال عبادة الاصنام والكواكب بقوله لاحب الاقلىن ثم كسرتك الاصنام حتى آل الامر الى ان القوة في النار ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الضمانينة ومن وقف على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان مستغرقا

(وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك) اى في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بحرمنا او بقصصنا (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للضررة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للدين علوا السوء بجهالة) بسببها او ملتبسين بها لنعم الجهل بالله وبمقامه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعيم الافتراء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا) ان ربك من بعدها (من بعد التوبة) (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يشب على الانابة (ان ابراهيم كان امة) لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله

وليس من الله بمستكر * ان يجمع العالم في واحد وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائفة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احل الله اولانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والخبة من امة اذا قصده وافقدي به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرة لقوله اى جاعلك للناس اماما (فانت الله) مطيعا له قائما باوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجنباه) النبوة (وهده الى صراط مستقيم) في الدعوة الى الله (وايتناه في الدنيا حسنة) بان حبيه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويشنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعرا طويلا في السعة والطاعة (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن اهل الجنة كما ساه بقوله والحفنى بالصالحين

في بحر التوحيد والخامسة كونه شاكرا لانعامه روى انه عليه الصلاة والسلام كان لا يتعدى الامع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكر الله تعالى على انه عاقني مما ابتلاكم فلو لا قوة عنكم على الصبر على ما صابكم لما ابتلاكم بهذا البلاء والسادسة ما دل عليه قوله اجتنابه اي اصطفاه للنوة واختاره للحلة والسابعة ما دل عليه قوله وهذه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله والترغيب في الدين الحق والترهيب والتنفير عن الدين الباطل والثامنة ما دل عليه قوله وآتينا في الدنيا حسنة قال قتادة ان الله تعالى حبه الى كل الخلق وكل اهل الاديان يتولونه اي يحبونه ويقترون بالانتساب اليه اما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر واما كفار قريش وسائر العرب فانه لا فخر لهم الا به وذلك لانه تعالى اجاب دعاءه في قوله واجعل لي لسان صدق في الاخيرين حتى قال من يصلي منا كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم والانتاسعة قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين اجاب الله تعالى دعاءه في قوله رب هب لي حكما واخفني بالصالحين وكونه من الصالحين لا ينفي كونه في اعلى مقامات الصالحين ثم انه تعالى لما وصفه بهذه المدائح التسع وصفه بخصلة عاشرة هي اجل واشرف من المدائح السابقة وهي ان يكون سيدا للانباء والمرسلين عليه وعليهم صلوات الله وسلامه اجمعين ما مورا بانساع ملته فكلمة ثم للتنبيه على ان منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى من منزلة عليه الصلاة والسلام وكون نبينا صلى الله عليه وسلم ما مورا باتساع ملته لا ينفي اختصاصه بفضائل آخر فضل بها على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واصل الملة الدين لقوله عليه الصلاة والسلام لا توارث اهل ملتين اي اهل دينين (قوله حينئذ في التوحيد) اشارة الى ان قوله حينئذ حال من المضاف اليه وامتناع الحال من المضاف اليه ليس على اطلاقه وانما يمنع اذا لم يكن بين المضاف والمضاف اليه ملازمة قوية مثل ان يكون المضاف جزءا من المضاف اليه او بمنزلة الجزء منه والملة ههنا بمنزلة الجزء من ابراهيم فلذلك كان انتصاب الحال منه بمنزلة انتسابها من الملة والعمل فيها معني الاضافة وقوله تعالى انما جعل السبت الالية جواب عما قيل انه عليه الصلاة والسلام لما امر بتابعه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة فان الظاهر ان ابراهيم قد اختار في شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة ان قوم موسى عليه الصلاة والسلام يعظمون يوم السبت وروى ذلك على ان تعظيمه سبعة متواترة من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال امرهم موسى عليه الصلاة والسلام بالجمعة وقال تفرغوا لله تعالى في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من اعمالكم فابوا ان يقولوا ذلك وقالوا لا تريد الا اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى عليه الصلاة والسلام وامرهم ايضا بالجمعة فقالت النصارى لا يريدان ان يكون عيدهم بعد عيدنا فالتفتوا الى احد وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهذا الى خاتمة السبع اليهود غدا والنصارى بعد غد فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه ليس معناه ان اليهود اختلفوا فيهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك بل معناه انهم اختلفوا على نبيهم من حيث انه امرهم باختيار الجمعة وخالفوه باختيارهم وما آخروا وما بدلا على ان يوم الجمعة سيد الايام واجدر للاختيار ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدأ بالخلق واتكوا في يوم الاحد وانتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى وبدأ بالخلق واتكوا في يوم الاحد فقبل هذا اليوم عيدنا لهذا وجه افريقيين في اختيار اليومين ونحن نقول يوم الجمعة هو يوم التمام والكمال ونعم النعمة وكما لها هو الموجب للكمال الفرح والسرور والموجب للاستعانة بالشكر والخضوع فكان يوم الجمعة افضل بالسبب الى سائر الايام من هذا الوجه وفضله عليها من هذا الوجه يصلح ان يكون وسعها عقليا للتخصيص بجعله يوم العيد والعبادة الزائدة وقيل معنى اختلافهم في السبت انهم اختلفوا في تارة وحرموه اخرى ولم يتفقوا على كلمة واحدة مع انه تعالى امرهم بتعظيمه والامتناع عن الصيد فيه قال قتادة استحل الصيد في بعضهم زمن داود يعني اهل ايلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تعريمه بالاعترا وسخروا قردة دون الذين نهوا اباؤهم عن ذلك ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام باتباع ابراهيم عليه السلام بين في اي شيء يتبعه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة

(ثم اوحى اليك) يا محمد وتم اما تعظيمه والتبعية على ان ما اجل ما ولى ابراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته اولتراحي اياه (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) في التوحيد والدعوة اليه بالرفق ويراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه (وما كان من المشركين) بل كان قدوة للموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فانزعجهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبالسبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتلوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازة على الاختلاف او بجازاة كل فريق من الاتيين والمعتبين بما يستحقه

(قول بالمقالة المحكمة) اشارة الى ان المراد بالحكمة الباهية القطعية المفيدة للمعارف الحقيقية والعلوم
اليقينية والموعظة الحسنة الامارات اللطيفة والدلائل الاقناعية والدلائل الجدلية الدلائل التي يكون
المقصود من ذكرها ارام الخصم وإخامه ثم ان الجدل على قسمين احدهما هو الدليل المركب من مقدمات
مشهورة مسلمة عند الخصم وهذا القسم هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثاني ما يكون مركبا
من مقدمات فاسدة الا ان المستدل يوردها ويجوزها دفعا لتشتبب الخصم وسفاهته بسلك الطريق
الفاسدة عند المناظرة وهذا القسم لا يليق بالعقلاء وانما اللائق بهم هو القسم الاول وذلك هو المراد بقوله
تعالى وجادلهم بالتي هي احسن فهو تعالى حصرا لجميع الدلائل الصادرة عن العقلاء في هذه الاقسام المذكورة
في الآية الكريمة والذين يدعون الى الحق بطريق المناظرة ثلاث طوائف القسم الاول الكاملون
الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وهي الحكمة والقسم الثاني الذين يغلب عليهم المشاغبة والخاصة
لاطلب الحق واليقين والمكاملة اللائقة بهم للمجادلة التي تنفذ الاخام والازام فهاتان الطائفتان قسمان الاول
منهما هم الكاملون في الاستكمال بحسب القوة النظرية والثاني هم ناقصون الذين لم يستعدوا للاستكمال
بحسب القوة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطائفتين حيث لم يبلغوا في الكمال الى درجة الحكماء
الحقيقيين ولا في التفصان الى حد المشايخين بل هم اقوام بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا
الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكيمة والمكاملة مع هؤلاء لا يمكن الا بالموعظة
الحسنة وهي الدلائل الاقناعية الفنية والتكلم مع المشايخين بالجدل على الطريق الاحسن ودلت هذه الآية
الكريمة على ان الدعوة لابدان تكون بالدلائل القطعية التي هي الحكمة والا فبالدلائل الفنية وهي الموعظة واما
الجدل فهو ليس من طرق الدعوة بل المقصود منه غرض آخر وهو الازام والافحام واليه اشار المصنف بقوله
وجادل معانديهم بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة ثم انه تعالى قال ان ربك هو اعلم يعني معناه انك يا محمد
مكلف بالدعوة الى الله بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية فلا يتعلق بك فهو تعالى اعلم بالضايفين
واعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق
بالجسمانية كثيرة الانجذاب الى عالم الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها
لاجرم يمنع انتقالها بها وزوالها قال تعالى اشتغل انت بالدعوة ولا تطمع في حصول الهداية للكل فانه
تعالى هو العالم بخصوصيات استعدادات النفوس ولكل نفس فطرة مخصوصة كما قال فطرة الله التي فطر
الناس عليها لا تبدل خلق الله (قوله لما امره بالدعوة الى الحق) بيان لارتباط هذه الآية بما قبلها فان المحققين
لما امروا بالدعوة الى الدين الحق وكانت الدعوة المذكورة تتضمن امر المبتلين بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم
والحكم عليهم عليه بانه كفر وضلالة وكان ذلك بما يشوش قلوبهم وربما يحملهم ذلك على ايداء الداعي بخواتم
والضرب اقتل وكان يؤدي المحققين الى تأديب هؤلاء السفهاء المشايخين بالضرب والقيل ونحو ذلك ولم يرض
المصنف بما قيل من كون الآية نازلة في قصة حرة لان تلك القصة لا تتعلق لها بما قبل الآية فذلك القول يستلزم
القول بجواز ان لا يرتبط بعض الآيات ببعض وما روى من انه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على المنة
وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية لا يقتضي كون الآية نازلة في تلك القصة لجواز كونها نازلة لحكمة اخرى وتمسكه
عليه الصلاة والسلام في الانتهاء عما عزمه من المنة بهذه الآية من حيث كون حرمه المنة متفرعة من عموم
هذه الآية لاجرم امر الله تعالى المحققين في هذا المقام برعاية العدل والافصاف وترك الزيادة فقال تعالى وان عاقبتهم
فما قوا بمنزل ما عوقبتهم به ولا تزدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم وهو تعالى لا يرضى بالظلم وفي الآية دلالة على
ان الاولى ترك المقاصة فانه اذا قلت للرخص ان كنت تأكل اشفاكه فكل انتفاع فانه يفهم منه ان الاولى
ان لا يأكلها ثم انه تعالى عدل عن طريق التعريض الى التصريح حيث قل ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فانه
تصريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا شديدا ذكر بعده ما يفيد سهولته لمن اختار العقوب فقال
وما صبرك الا بالله ولما كان السبب الحامل على الغضب والانتقام لا يتصلو عن امرين احدهما فوات نفع
كان من الماضي والاخر توقع ضرر يكون في المستقبل تهني عن الالتفات الى السبب الاول بقوله ولا تحزن
عليهم اي على الكافرين بسبب اعراضهم عنك واتقيا فهم للعذاب الدائم اوعلى المؤمنين وعن الالتفات

(ادع) من بعث اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام
(بالحكمة) بالادلة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق
المرجح للشيعة (والموعظة الحسنة) الخطابات المنفعة
والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين
للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل
معانديهم (بالتي هي احسن) بالطريقة التي هي احسن
طرق المجادلة من الزفق واللين واظهار الوجه
الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك
انفع في تسكين لهبهم وتبيين شعبهم (ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اي اتما
عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية
والضلال والمجاهزة عليهما فلا اليك بل الله اعلم
بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم (وان عاقبتهم
فما قوا بمنزل ما عوقبتهم به) لما امره بالدعوة وبين
طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخافة ومراعاة
العدل مع من رخصهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث
انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدر
في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل
انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حرة وقد مثل به
قال والله لئن انظرني الله بهم لامثل بسبعين مكانك
فترأت كفر عن يمينه وفيه دليل على ان السبب
ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو
تعرضا بقوله وان عاقبتهم وتصريحاً على الوجه
الاصح بقوله (ولئن صبرتم لهو) اي الصبر
(خير للصابرين) من الانتقام للمقتدين ثم صرح
بالامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اول
ناس يلزمه زيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال (واصبر
وما صبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتأييده (ولا تحزن
عليهم) على الكافرين اوعلى المؤمنين وما فعل بهم
(ولا تن في ضيق مما يمكرون) في ضيق صدر
من مكروهم

الى السبب الثاني بقوله وللك في ضيق مما يكرون اي اثبت على دعوتك ودع ما اصابك منهم من الاذى (قوله)
وقرأ ان كثير في ضيق بالكسر اي يكسر الضاد والباقيون بفتحها وهما اللذان بمعنى وقيل المشنوح مخفف من ضيق
المستدكي في ميت اي في امر ضيق امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يدعو الخلق الى سبيل رب
العالمين باحد الطرق الثلاثة كل طاعة بما يليق بها من طرق الدعوة ثم قال ان ادت الدعوة المذكورة الى مناصبة
الباطل لا تريدوا في الانتقام على قدر اعتدائهم ورمز في هذه المرتبة الى ان ترك الانتقام هو الاولى ثم عدل عن
الرجز الى التصريح حيث قال واصبر ثم ترقى في المرتبة الرابعة الى التهديد على استيفاء الزيادة فقال ان الله مع الذين
اتقوا عن المعاصي بالصبر على اذى السفهاء وترك اصل الانتقام منهم ومن تأمل هذه الآية الكريمة وتريدها عرف
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون على هذا الوجه وان القرآن العظيم بحر لاسا حل له
قبل لبعض العلماء عند قرب وفاته اوصى فقال انما الوصية من المال ولا مال لي ولكن اوصيك بخواتيم سورة
الحل والحمد لله على جزيل آله ثم في اوائل جاد الاول من شهور سنة خمسين وتسعمائة

سورة بنى اسرائيل مكية وهي مائة واحد عشر آية

(قوله) وقد يستعمل علما يعني ان اسما كذا استعماله على انه اسم مضاف غير علم لان الاعلام لا تضاف الا لان
يقع فيها الا شراك اتفاقا وان استعماله علما شاذ نادرا فيجوز منع من الصرف للتعريف والالف والنون
المزيدتين في آخره كعثمان والدليل على ان سبحان علم للتسبيح قول الشاعر

قد قلت لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر

فانه لولا انه علم لوجب صرفه لان الالف والنون في غير الصفات انما تمنع مع العلية والعرب تقول سبحان من كذا
اذ انجبت منه (قوله سبحان من علقمة الفاخر) معناه تعجب منه اذا فخر واصل السبح السبر السريع في الماء
او في الهواء يقال سبح سبحا وسباحة واستعير لمر النجوم في تلك كل في تلك سبحون ولجى الفرس والسباحات
سبحا وسرعة الذهاب في العمل وان لك في النهار سباحا طويلا والتسبيح تنزيه الله واصله المر السبر في عبادة الله
وسبحان الله معناه اشترطه نصب على المصدر كانه قال ابرى الله من السوء براءة وهو في الآية على معنى الامر اي
نزهوا الله وبرئوه من قول المشركين ومن العجز عما اراده ومن جلته اسراء عبده في بعض من الليل من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى الى ما شاء الله (قوله واسرى وسرى) يعني يقال سررت سرى ومسرى وسررت
بمعنى سررت ايلا والذي بالالف لغة اهل الحجاز والفعل على اللغتين لازم وعدى في الآية بالناء في بعده ولما ورد
ان يقال الاسراء لا يكون الا بالالف في قوله لا لاجاب عنه بقوله وفادته الدلالة بتكثيره على تقليل مدة
الاسراء يعني ان اسم الجنس اذا استعمل متكررا يكون تنكيه اما للبيان شخصا او نوعا فيكون المعنى اسرى بعده
ليلا واحدا من المايالى او نوعا واحدا من انواعها فدعا لتوهم ان يكون الاسراء في ليالي متعددة كما في قوله سبروا
فيها ليالي اي ليل دنافية الحب الى المحبوب وفاز في مقام الشهود بالمطلوب واما لتكثيره والتقليل فكان ليلا
المتكررة بمزلة اللفظ المشترك الذي لا يبين المراد منه الا بالقرينة المعينة المراد وتصدير السورة بالكلمة الدالة على
التعجب النليغ قرينة دالة على ان الوارد بعدها امر خارق للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها الا الله عز وجل فلما قيل
بعدها ليلا تبين تلك القرينة ان المراد منه بعض الليل فان التبعض قريب من التقليل فكانه قيل اسرى بعده
في بعض ليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة اربعين ليلة فتعين بهذه القرينة ان المراد تقليل مدة الاسراء والدلالة
على ان الاسراء وقع في بعض الليل (قوله ليلا يطابق المبدأ المنتهى) علة لكون المراد ان المسجد الحرام المحيط به
على طريق تسمية احد الملايين باسم الآخرفاتهم اتفقوا على ان المراد بقوله الى المسجد الاقصى بيت المقدس
وكلة الى فيه لانه الغاية وسمى بالاقصى بعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن خلفه مسجد فيكون بعد
المسجد من مكة فدل ذلك قوله الى المسجد الاقصى انه وصل الى ذلك المسجد فاما كونه دخل ذلك المسجد ام لا
فليس في اللفظ دلالة عليه فلما كان المراد بالنتهى الحد الملايين بالمسجد الاقصى كان المناسب ان يكون المراد بالمبدأ
ايضا الحد الملايين بالمسجد الحرام ليلا يطابق المبدأ المنتهى (قوله واستنعت) اي طلبوا منه عليه الصلاة والسلام
ان يبين لهم نعت بيت المقدس والمسجد الاقصى فجلى اي ظهر له في الحال فطفق ينظر اليه ويتعجب لهم (قوله)
ولذلك تعجب قريش واستحالوا) بناء على ان ارتفاع الجسد من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى ما فوق العرش

وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهم
لثان كالتقول والقليل ويجوز ان يكون الضيق
تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصي
(والذين هم محسنون) في اعمالهم بالولاية والفضل
او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم
محسنون بالشفقة على خلقه *
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات
يوم تلاها اوليته كان له من الاجر كالذي مات واحسن
الوصية

سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى
وان كادوا ليفتنوك الى آخر عثمان آيات وهي مائة
وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبحان الذي اسرى عبده ليلا) سبحان اسم بمعنى
التسبيح الذي هو التزنيه وقد يستعمل علما له فيقطع
عن الاضافة وينع من الصرف قال

قد قلت لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر

واتصا به بفعل متروك الظهاره وتصدير الكلام به
للتزنيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى
وليلا نصب على الظرف وفادته الدلالة بتكثيره
على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل
اي بعضه كقوله ومن الليل فتعبد به
(من المسجد الحرام) بعينه لما روى انه عليه الصلاة
والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر
عند البيت بين النائم واليقظان اذا نأتى جبريل بالبراق
او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كانه مسجد
اولا نه محيط به ليلا بق المبتدأ المنتهى لما روى
انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هانئ
بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص
انقصه عليها وقال مثل النبيون فصليت بهم ثم خرج
الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالذ
وارتداس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضى الله
تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا ان صدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى
الصديق واستنعت طائفة سافروا الى بيت المقدس
فجلى له فطفق ينظر اليه ويتعجب لهم فقالوا اما انت
فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن غيرنا فاخبرهم بعدد جالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها
جل اورق فخر جوا يشدون العير الى السنية فصادفوا
العير كما اخبرهم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الاسحر ميين
وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان
في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده

في مقدار ثلث الليل مما لا يقبله العقل قال الامام ومما يدل على جواز عقاله ثبت في الهندسة ان قرص الشمس يساوي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم اننا نشاهد ان طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل على ان بلوغ الحركة في السرعة الى الحد المذكور امر يمكن في نفسه غاية ما في الباب انه سيق التجب الا ان مثل هذا التجب لا يتخص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع الجزات فجرد التجب لا يستلزم الانكار والبطلان وايضا كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتمعا كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتمعا ولو حكنا بهذا الاستماع كان ذلك طعنا في نبوة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج متفرع على تسليم جواز اصل النبوة ثبت ان القائلين بامتناع حصول حركة جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة والسلام في لحظة واحدة من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكر ايضا باطلا فان قالوا نحن لا نقول ان جبريل عليه السلام جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول جبريل عليه الصلاة والسلام هو نزول الخب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا تجليا في ذات جبريل عليه الصلاة والسلام فلتا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المنسرين فهم يقولون بان جبريل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الاملاك الى مكة واذا كان كذلك كان الازام المذكور قويا وهذا يقرر ما ذهب اليه الاكثرون من طوائف المسلمين وذهب الاقلون الى انه عليه الصلاة والسلام ما اسرى الروح عنه روى عن حذيفة انه كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكي هذا القول عن عائشة رضي الله عنها وعن معاوية والذي ذهب اليه اهل التحقيق انه تعالى اسرى روح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الأقصى واختلف العلماء في ان الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة او كل واحد في ليلة فذهب من زعم ان الاسراء وقع في اللحظة والمعراج في النوم وذهب آخرون الى ان الاسراء وقع مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وجسده بقطعة وذهب آخرون الى تعدد الاسراء في اللحظة وقال انه اربع اسراء ات تعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر فيه فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخرون وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر وهذا لا يدل على اتعددا لان بعض الرواة قد يحدث بعض الخبر لعله به ونسيانه البعض الآخر او يذكر ما هو الاهم عنده او يبسط ثارة فيسوق الحديث كله وتارة يحدث الخطاطب بما هو الانفعاله (قوله) وصرف الكلام من الغيبة) يعني ان الجمهور قرأوا التزييه بنون العظمة على اسلوب قوله باركافهما التفات من الغيبة في قوله اسرى بعبدته الى التكلم في باركا وفي لزيه ثم اتفت من التكلم الى الغيبة في قوله انه هو السميع في الكلام التفاتان وقرئ لزيه بياء الغيبة وعلى هذه القراءة يكون في الآية اربع التفات لانه الفث اولا من الغيبة في قوله الذي اسرى بعبدته الى التكلم وقوله وآتينا موسى الكتاب معطوف على الجملة السابقة الدالة على تزييه الله تعالى على طريق عطف الجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمد صلى الله عليه وسلم بانه اسرى به وذكر في هذه الآية انه اكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بآتائه الكتاب والضمير المنصوب في جعلناه يجوز ان يكون للكتاب وهو الظاهر وان يكون لموسى عليه الصلاة والسلام (قوله على اي لا تتخذوا) اي على ان يكون ان فيه مفسرة ولا نهاية على طريقة قولك كتبت اليه ان افعل كذا فان ان فيه مفسرة للمفعول المقدر للفظ كتبت اي كتبت اليه شيئا هو افعل كذا فكلمة ان حرف دال على ان افعل كذا يفسر به المقدر لكتبت الدال على معنى القول والمؤدى معناه فكذا ان التي في الآية مفسرة بمعنى اي تفسر ما تضمنه الكتاب من التكليف فان نهى بني اسرائيل عن ان يتخذوا من دونه تعالى وكلا اي ربا يكونون اليه امورهم في معنى تكليفهم بان يتعبدوا بامثال جميع ما كفهم الله تعالى من الاوامر والنواهي ولا يلتفتوا الى ما تدعو اليه نفوسهم وطبائعهم ورياساؤهم الضالون وقرأ ابو عمرو ولا يتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبني اسرائيل والباقيون ان لا يتخذوا ببناء الخطاطب التفاتا وحكم ان في قراءة ابى عمرو مصدر يذ ناصبة للفعل بعدها على حذف الحافض اي لا يتخذوا من دوني وكلا اي ربا يكونون اليه امورهم (قوله او انشاء) فالعنى لا تتخذوا

والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثابئة وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن انبي صلى الله عليه وسلم او في ما يحمله والتجب من لوازم المعجرات (الى المسجد الأقصى) بيت المقدس لانه حيث لا يمكن ورآه مسجدا (الذي باركا حوله) بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحطوف بالانهار والاتجار (لزيه من آياتنا) كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ لزيه بالياء (انه هو السميع) لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم (البصير) بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا) على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على ثلثا يتخذوا (من دوني وكلا) ربا تكونون اليه اموركم غيري (ذرية من جلتنا مع نوح) نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالياء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكلا ياذرية من جلتنا مع نوح اوعلى انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبين اربابا

من دوني وكذا ذرية من جلتنا مع نوح في السفينة وهم مؤمنوا قومه وبنوا اسرائيل من نسل سام بن نوح وبنو
انتصاه على النداء على قراءة ان لا يتخذوا ابنا الخطاب لان النداء انما يكون للخاص لا لمن غاب عنهم فلا وجد
لانتصاه على النداء على قراءة ان لا يتخذوا ابنا الغيبة كالا وجد لكونها مصدرية على قراءة الخطاب لان
بنو اسرائيل غائبون ويحتمل ان يكون انتصاب ذرية على انه مفعول اول لا يتخذوا وقوله وكذا ذرية
قدم على الاول وهو وان كان مفرد اللفظ الا انه في معنى الجمع والمعنى لا يتخذوا ذرية من جلتنا مع نوح وكلاهما
ولا يأمرهم ان يتخذوا الملائكة والنبين اربابا ومن ذرية الحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم الصلاة والسلام
(قوله او بدل من واوتخذوا) قال ابو البقاء هذا على القراءة بالياء لانهم غائبون يعني قوله ذرية لكونه اسما
ظاهرا من لا متزلة الغائب لا يصح ابدالها من ضمير الخطاب قال ابن الحساج في الكافية ولا يبدل ظاهرا من مضم
بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيد امان الا بدال انما يكون لتبيين الذات المرادة وتوضيحها ككون
البدل اوضح تعريفا وابين دلالة عليها وضمير التكلم والمخاطب لتعين مدلولها محاسبا ووضح من الاسم الظاهر
لان مدلوله انما يتعين بحسب العقل فقط فلا بدل الظاهر من ضمير التكلم والمخاطب لكان المقصود بالنسبة
اقل تعيينا ودلالة على الذات المرادة من غير المقصود وهذا يجوز فلهذا حاز ضربته زيدا واولي يجرى في المسكين زيد
ولا عليك الكريم المفعول (قوله وفيه ايما) اشارة الى وجدار تباط قوله انه كان عبدا شكورا بما قبله يعني
انه استثنى لبيان علة ما ذكره وحث الذرية على الاقتداء به (قوله واوحينا اليهم وحيا مضيما متوتا) اشارة
الى ان القضاء اتمام الشيء على وجه البت والاحكام وصمن ههنا معنى الايحاء لا قضائه كلية الى ما ذكر الله
تعالى انعامه على بني اسرائيل بازال التوراة وانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما اعتدوا بهداه بل وقعوا
في الفساد فقال وقضينا الى بني اسرائيل اى اعلناهم واخبرهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ومفعول
لنفسد محذوف اى لنفسد ما كاتم بارتكاب المعاصي ومخالفة احكام التوراة ويجوز ان لا يقدر له مفعول
اى لتوقن الفساد (قوله مرتين افسادتين) اشارة الى مرتين منصوب على المصدرية وكذا علوا فانه مصدر
علا يعلو (قوله وقتل شعيا) قد كان عادة الله تعالى انه اذا ملك الملك على بني اسرائيل يثب معه نبيا يسدده ويرشده
ولا ينزل عليهم الكتب وانما يورثون بتابع الاحكام التي في التوراة فذاك الله تعالى منهم ملكا يدعى صديعة فثب
معه شعيا وهو الذي بتر يمينه عيسى ومحمد بعده عليه الصلاة والسلام وعليهم فذاك ذلك الملك بنو اسرائيل
وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث فثب الله تعالى سنجاريب ملكا بال ومعه ستمائة
الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في مسافة فرسخ فاوحى الله تعالى الى شعيا
النبي ان ائت ملك بني اسرائيل فخره ان يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاقى شعيا
ملك بني اسرائيل فاخبره بما اوحى اليه فقال الملك الملك الله رضينا بقضاء الله فاستقبل القلة وتوصل ودعا وبكى للانية
والتسليم وطالب الرحمة في الدنيا وكان عبدا صالحا فاوحى الله تعالى الى شعيا ان تخبر الملك بان ربه قد رحمه
واخرجه خمسة عشرة سنة وانجاءه من عدوه سنجاريب فآياه شعيا فاخبره به ففخر الملك ساجدا متضرعا
فثنى الله تعالى فرحته واصبح عسكر العدو كلهم مرنى الاسنجاريب وخمسة نفر من كثانة احدثهم بخت نصر
فصرخ رجل على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه
قد هلكوا فخرج الملك وقتلوا اهل بيته منهم احد فلم يوجد سنجاريب في الموت ففرق طالبوه فوجده ومع اصحابه
الخمسة في مقبرة فجعلوهم في الجوامع ثم اتواهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم الملك خسر ساجدا من حين طلعت
الشمس الى العصر ثم رفع رأسه فامر امير عسكره ان يقبدهم بالاغلال ويطوف بهم حول بيت المقدس وابيلاء
فطاف بهم سبعين يوما مقيد بن قايح الله تعالى الى شعيا النبي ان قل الملك بنو اسرائيل يرسل سنجاريب
ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم حتى يبلغوا بلادهم فباغ شعيا الملك ذلك فقتل فخرج سنجاريب
ومن معه حتى قدموا بابل فلبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بخت نصر ابن ابنته ثم قبض الله
تعالى ملك بني اسرائيل صديقه فخرج امر بني اسرائيل وتنازعوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعيا معهم
لا يملكون منه شيئا فجمعهم يوما وقام فيهم خطيبا امر الله فالهمد الله تعالى خطبة بليغة ووعظهم وامرهم ونهائهم
وحذرهم عقابه تعالى ان اصرروا على ما هم عليه فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقية

وقرى بارفع على انه خبر محذوف او بدل من واو
تخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله
تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم
مع نوح عليه السلام في السفينة (انه) ان نوحا
عليه السلام (كان عبدا شكورا) يحمده الله
تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
كان بركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل
الصغير لموسى عليه الصلاة والسلام (وقضينا
الى بني اسرائيل) واوحينا اليهم وحيا مضيما
متوتا (في الكتاب) في التوراة (لنفسد في الارض)
جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء
المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين اولاهما
مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيتهما قتل
زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام
(ولتعلن خلوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله
تعالى او لتظلمن الناس

شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المشارق في وسطها
فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله تعالى على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشيد
ابن اموص وبعث لهم ارميا بن حلفيا نبيا وكان من سبط هرون عليه الصلاة والسلام وذكر واثه الخضر واسمه
ارميا وسعى خضر الانه جلس على فروة بيضاء فقام عندها وهي تهتر خضرآ فبعث الله ارميا الى ذلك الملك
يسدده ويرشده فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله تعالى
الى ارميا ان انت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما امرتك به وذكرهم نعمتي وعرفهم باحداثهم فقام ارميا
فيهم ولم يدري ما يقول فالحمد لله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال
في آخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لا يقضن لهم فتنة يخير فيها الخليم ولا سلطان عليهم جبارا فاناسيا
ألبسده الهيبة واتزع من صدره الرحمة يا بعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارميا اني مهلك
بني اسرائيل بملاك اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فقتل علماءهم وحرقت التوراة وخرب المسجد والى فيه
الجيف وسي سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم لما اراد الله هلاك بخت نصر تاجعت فقال
لمن بين يديه من بني اسرائيل ارايتم هذا البيت الذي خربت والناس الذي قتل من هم وما هذا البيت قالوا
هذان بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعذوا فسلط عليهم بذنوبهم وقد كان ربهم ورب
الخلق اجيعون بكرمهم وبعزمهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبروا وظن انه يجبرونه فلذلك
بني اسرائيل قال فاجبروني كيف بن اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فاني قد عرفت من
في الارض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن اولادك عن آخركم فكوا وتضرعوا الى الله فبعث
الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بام دماغه فم كان يقر ولا يسكن حتى يوطأ رأسه على ام
دماغه فلما مات شق رأسه فوجد البعوضة عاضة في ام دماغه ليرى الله تعالى العباد قدرته ويحيى الله تعالى من
في يديه من بني اسرائيل فردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ثم انهم لما دخلوا
الشام دخلوها وابس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبائا الذين كانوا بابابل
فرجع الى الشام يبكي عليها ليله ونهاره وقد خرج من الناس وهو كذلك اذ قيل اليه رجل وقال يا عزير ما يبكيك
فقال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بيننا اظهرنا الذي لا يصلح دنيا و آخرتنا غيره قال افصح ان ردالك
ما فات قال نعم قال ارجع فصم وتطهر فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عد الى المكان الذي وعده فجلس فيه فاته ذلك
الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعث الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فغلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل
فوضع لهم التوراة فاحبوه حتى لم يحبوا كحبه شيئا قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يتحدثون
الاحداث وكما بعث الله تعالى فيهم الرسل كانوا فرقا يكذبون وفرقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من
انبيائه زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكانوا من بيت آل داود فبات زكريا وقيل قتلوا زكريا ويحيى
وقصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم اختلفوا في العباد الذين بعثهم الله على بني اسرائيل حتى
تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وسفكوا الدماء الذي هو اول الفسادين من هم فقيل بخت نصر وجنوده وقيل هم
جالوت وجنوده سلطه الله تعالى عليهم حتى اهلكهم وقهرهم الى ان رد الله الكرة عليهم بتقوية طالوت حين
محاربة جالوت فلما اتفق العسكران تقدم جالوت وطلب من يقاله فقتل داود وقيل سحاريب قال الامام لا يتعلق
كثير خرض في معرفة الاقوام باعيانهم بل المقصود من هذه الايات بيان ان بني اسرائيل افسدوا في الارض
بكثرة المعاصي فسلط الله عليهم قوما قهروهم بالقتل والسبي وتخريب الديار ثم رد الله اليهم الدولة وامدهم باموال
وبين ثم افسدوا مرة ثانية فرجع الله اليهم بالقهر وان عاد والى الافساد عاد الله اليهم بالقهر والتعذيب (قوله
فجاسوا) الجوس: فتح الجيم وصمها مصدر جاس يجوس اي قش وطلب الشيء باستقصاء كما يجوس الرجل
الاخبار وطلبها والخلال هو الانفراج بين الشئين والديار بيت المقدس ثم انه تعالى لما بين ان افسادهم الاول استمر
الى ان بعث الله اليهم قوما اولي بأس شديد قهروهم بالقتل والاسر ونحوهما بين على طريق الاستئناف ان ضرر
افسادهم وعصيانهم لا يتعدى الى غيرهم بقوله ان احسنتم فان حقيقة الحال انكم ان احسنتم واطعتم الله تعالى
خففت ذلك الاحسان لا ترجع الا اليكم وان اسأتم فضررنا لا تعدى عنكم الى غيركم روى عن علي رضي الله عنه انه

(فاذا جاء وعد اولاهما) وعد عقاب اولاهما (بعثنا
عليكم عبادنا) بخت نصر عامل لهراسف على بابل
وجنوده وقيل جالوت الخزري وقيل سحاريب من اهل
ينوى (اولي بأس شديد) ذوى قوة وبطش في الحرب
شديد (فجاسوا) ترددوا لطلبكم وقرى بالخاء وهما
اخوان (خلل الديار) وسطها للقتل والغارة فقتلوا
كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا
المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك
اولوا البعث بالخلية وعدم المنع (وكان وعدا مفعولا)
وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل (ثم ردنا لكم الكرة)
اي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم
وذلك بان اتى الله في قلبهم بن اسفنديار لما ورت
الملك من جده كشاف بن لهراسف شفقة عليهم
فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا
على من كان فيها من اتباع بخت نصر وابان سلط
داود على جالوت فقتله (واعدناكم باهوال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والتف من ينفر من الرجل
من قومه وقيل جمع نفروهم المجتمعون للذهاب
الى العدو (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لان ثوابه لها
(وان اسأتم فلها) فان وبالها عليها وانما ذكرها
باللام ازدواجا

قال ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه (قوله) حذف لدلالة ذكره (اولا) اى حذف جواب اذا وهو قوله بعثناكم
لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله بعثنا عليكم عبادا لنا وكذا حذف موصوف الآخرة فان التقدير وعدا مرة الآخرة
للعلم به (قوله اى يجعلوها بادية آثار المساء فيها) يعنى ان المساء وهى الحزن من الاعراض النفسانية القلبية
ولا تتعلق بالوجوه الا انها عديت الى الوجوه لكون آثارها بادية فيها فانه اذا حصل الفرح فى القلب ظهرت
النضرة والاشراق فى الوجه وان حصل الحزن والخوف فى القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد فى الوجه
وذلك ان الانسان اذا قوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فاستبشر وجهه واذا قوى غمده تقيت الروح
فى داخل قلبه فلا يسرى اثره الى الوجه فلا جرم يظهر فيه اثر الارضية والغبرة ففساء الوجه كناية عن الغم الشديد
فلهذا عديت المساء الى الوجه فى هذه الآية (قوله وقرئ بسوؤن) على الواجهة الاربعه بتون العظمة وتون
التأكد الخفيفة والمتقلة وبياء الغيبة وتون التأكد واللام مكسورة فى الجميع على انها لام الامر والجملة جواب
اذا على انها لامى لان تون التأكد لا تدخل على المضارع الا اذا كان فيه معنى الطلب والتقى والاستفهام
والعرض ولكن على حذف الفاء اى فلبسوؤن لما تقرر فى النحو من ان الجزاء اذا لم يكن ماضيا بغير قد لفظا ومعنى
ولم يكن المضارع متبنا ولا متفيا بلا وجب دخول الفاء فى الجزاء سواء كان جملة اسمية كقوله تعالى افا نمت
فهم الخالدون او امرا كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني او نهيا كقوله تعالى فان علمتوهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار او غير ذلك وقرئ بسوؤن على الواجهة الاربعه بفتح اللام على انها لام القسم وهو جواب
القسم المقدر لفظا وجواب الشرط معنى فلا حاجة الى تقدير جواب ولا يجوز حيث ان يكون قوله وليدخلوا
السجد معطوف على يسوؤوا بل يتعلق بحذوف معطوف عليه تقديره وبعثناهم ليدخلوا وانما اتى بالواو ليعلم انه
معطوف على جواب الشرط والجملة من جعل اللام الاولى لامى جعل اللام التى فى قوله وليدخلوا ايضا لامى
معطوفة عليها عطفت على اخرى ومن جعلها لام امر او لام قسم جعل اللام فى ليدخلوا لام التعليل متعلقة
بحذوف وان جعلت الاولى لام امر يجوز ان يكون الثانية ايضا كذلك وقوله كادخلوه صفة مصدر محذوف
(قوله ما غلبوه) على ان تكون ماموصولة منصوبة المحل على انها مفعول بها اى ايهلكوا الذى علوا وغلبوا عليه
وظنوا به وقوله او مودة علوهم على ان تكون مامصدرية قائمة مقام الوقت كافى قولك اتيتك خفوق النجم اى زمان
خفوقه فيكون عدم ذكر المفعول المقصد التعميم اول تنزيل الفعل منزلة اللازم نحو هو يعطى ومنع وقوله تبرا
مصدر مؤكد كافى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما اى حقا لا شك فيه (قوله) وذلك بان سبط الله) يعنى بعث
العباد اولى البأس الشديد عند افسادهم مرة ثانية بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام
وقع بان سبط الله عليهم الفرس مرة اخرى حتى قتلوه وسبوه ونفوههم من ديارهم فذلك قوله تعالى يسوؤوا
وجوهكم الآية وقوله عسى ربكم من جملة ما قضاه الله تعالى الى بنى اسرائيل فى التوراة والمعنى لعل ربكم
يا بنى اسرائيل ان يرجحكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم مرة ثانية ثم عاد الله عليهم برحمة حتى كثروا وانتشروا
ثم انهم قعدا وابتكذب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على ايدى العرب
فجرى على بنى النضير وقرىظة وبنى قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلالة ثم الباقون منهم مهجرون بالجزيرة
لاما لهم ولا سلطان ابدا (قوله محبسا لا يقدرزون على الخروج منها ابدا) جواب عما يقال ان قوله حصيرا
فعل بمعنى فاعل وقد اجرى على جهنم وهى مؤنث سماعى فينبغى ان يقال حصيرة بالاء لما تقرر من ان فعلا
بمعنى فاعل يلزم تأنيده ومعنى مفعول يجب تذكره واما ما شاذ من التوعين بحسب تأويله وتقرير الجواب
ان جهنم مؤنول بالسجن والجلبس وقيل انها فى معنى الفراش والبساط ويجوز ان يقال تأنيث جهنم مجازى فلذلك
ذكر صفة ثمانية تعالى لما شرح معاملته مع عباده التخليصين وهو اسراء سيد المرسلين واتناء التوراة لموسى
عليهما الصلاة والسلام وبين ما فعله فى حق العصاة بتسليط من يعينهم عليهم ويبين به ان طاعة الله تعالى توجب
كل خير ومعصيته توجب كل بلية وقهر لاجرم اتى على القرآن فقال ان هذا القرآن يهذى الآية (قوله التى)
صفة لمحذوف اى للطريقة التى هى اقوم الطرق وعدل الى الحذف مع ان الذكر هو الاصل ليذهب ذهن السامع
كل مذهب مما يهدى اليه القرآن من وجوه الخير فان ايهام الموصوف وعدم تعيينه بنحو الملة او الطريقة
او الحالة او الخصلة يؤدى الى ان يشغل الذهن اليها والى ما يشاكلها فكأنه قيل يهدى لما لا يدخل تحت

(فاذا جاء وعد الآخرة) وعد عقوبة المرة الآخرة
(يسوؤوا وجوهكم) اى بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم
اى يجعلوها بادية آثار المساء فيها فحذف لدلالة
ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحجرة وابوبكر ليسو
على التوحيد والضمير فيه للوعدا والبعث والله ويعضده
قراءة الكسائى بالنون وقرئ ليسون بالنون والياء
والنون الخفيفة والمتقلة وليسون بفتح اللام على الواجهة
الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله (وليدخلوا
المسجد) متعلق بحذوف هو بعثناهم (كادخلوه
اول مرة وليتبروا) ليهلكوا (ما علوا) ما غلبوه
واستولوا عليه او مودة علوهم (تنيرا) وذلك بان سبط
الله عليهم الفرس مرة اخرى فزناهم ملك بابل من
ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل
دخل صاحب الجيش مذبح فرايتهم فوجد فيه
دما يغلى فسالهم عنه فقالوا ادم قربان لم يقبل منا
فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوف منهم فلم يعد الدم
ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم
ربى وربك ما اسباب قومك من اجلك فاهدأ
ياذن الله تعالى قبل ان لا يبق احد منهم فهذه
(عسى ربكم ان يرجحكم) بعد المرة الآخرة
(وان عدتم) نوبة اخرى (عدنا) مرة ثالثة
الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه
وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل
قرىظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين
هذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)
محبسا لا يقدرزون على الخروج منها ابدا لا باد وقيل
بساطا كما يسط الحصير (ان هذا القرآن يهذى الى
هى اقوم) للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات
او الطرق (ويشر المؤمنون الذين يعلمون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا) وقرأ حزة والكسائى ويشر
بالتحقيق (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم
عذابا ابديا) عطفا على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه
يشر المؤمنون بشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم
او على يشر باضمار يخبر

الوصف والحصر بخلاف ما لو ذكر واحد من الامور المذكورة فان ذلك يعين حيثئذ حقيقة اقوم ههنا لان زيادة المطلقة كافي قولنا الله اكبر لان ما هدى اليه القرآن من الملل والشرائع لا يشاركه سائر الاديان والملل في اصل الاستقامة حتى يقال حصولها في هذه الملة اكثر واكمل من حصولها في غيرها وصف الله تعالى القرآن بثلاثة اوصاف اولها انه يهدي التي هي اقوم وثانيها انه يشر المؤمنين الذين اهتدوا لما هدى اليه القرآن من الطرق بالاجر الكبير لان من سلك اقوم الطرق لابد ان يفوز باعز المقاصد ولما كان الاجر الكبير مبشرا به وجب ان يكون تقدير قوله تعالى ان لهم اجرا كبيرا بان لهم وحذف حرف الجر من ان وان كثير شائع والصفة الثالثة قوله تعالى وان الذين لا يؤمنون فانه ان كان معطوفا على قوله ان لهم اجرا كان المعنى ويشر المؤمنين بان لا عذاب لهم عذابا اليسا وان كان معطوفا على يشر بانهم يتجر يكون المعنى ان هذا القرآن يهدي التي هي اقوم ويشر المؤمنين بكذا ويخبر بان الذين لا يؤمنون كذا فان قيل هذه الآية في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا يتكرون الايمان بالآخرة فكيف يليق بهذا الوصف قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليسا الجواب عنه بوجهين احدهما ان اكثر اليهود يتكرون الثواب والعقاب الجسماني والثاني انهم يؤمنون بالآخرة على خلاف ما هي عليه كفولهم ان تمس النار الاباما ومدودات فخل هذا القول لبس ايمانا بحقيقة الآخرة ثم انه تعالى لما بين شأن القرآن وكونه مدارا لمنافع الدارين بين ان الانسان قد يعدل عن التمسك بشرائعهم والرجوع الى بيانه ويقدم على ما لا فائدة له فيه فقال ويدع الانسان بالتسرب والباء في الموضوعين متعلقة بالدعاء اي يدعو الله عند غضبه بما يليق به شر او بما يحب ان يخرجه من شره مثل دعائه بما هو خير في نفسه وفي علمه والقياس ان ثبت ما يدعو لانه في موضع الرفع الا انه لما وجب سقوطها لفظا لاجتماع الساكنين اسقطت في الخط ايضا على خلاف القياس ونظيره سندع ازبانية وسوف يؤث الله المؤمنين (قوله صبرا) اي مصورا يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل (قوله تدلان على القادر الحكيم) لما قال يهدي التي هي اقوم وكان اقوم الاحوال المتعلقة بالاعتقاد الاعتقاد بان هذا العالم لا بد له من صانع قادر حكيم ذكر ما يكون هاديا ودليلا يؤدي الى هذا الاعتقاد (قوله مبصرة) لما كان الابصار عبارة عن ادراك الشيء بحاسة البصر وذلك لا يتصور في النهار جعل الابصار مجازا عن الاضاءة على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب من حيث ان الاضاءة سبب لحصول الابصار ويجوز ان يكون بناء ابصرته لتعديبه بصير يقال بصرت بالشيء اذا علمته قال تعالى بصرت بآلهم بصروا به فلا يكون ابصرت الشيء بمعنى رأيت بل بمعنى بصرت به وعرفته فيكون اسناد الابصار الى النهار من قبيل اسناد الحكم الى السبب (قوله او مبصرا اهله) على ان يكون تركيب ابصر الرجل لاسناد الفعل الى فاعله والمراد اسناده الى من يلاصق ذلك الفاعل كما يقال اضغف الرجل اذا ضعف ما شئت واجبن الرجل اذا كان اهله اجبنا فقوله ابصر النهار معناه ابصرا اهله وهذا على تقدير ان يكون المعنى وجعلنا نفس الليل والنهار آيتين وقيل ليس المراد بالآيتين نفس الليل والنهار بل ما فيها من النيران الشمس والقمر على حذف المضاف ايمان من الاول فالتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين واما من الثاني فالتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين فعلى هذا لا تكون اضافة آية الليل وآية النهار بيانية بل تكون بمعنى اللام وقوله تعالى وكل شيء فصلناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية وكذلك وكل انسان آزمناه وذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيد الكلام وتحقيقه كانه قيل فصلناه حقا واليد اشار المصنف بقوله بيانا غير ملتبس لما بين الله تعالى من اول السورة الى هنا ان سعادة الانسان دأرة على طاعة الرحمن وشقاوته جنوطة بالعصيان وبين ايضا علو شأن القرآن واتخطاط شأن الانسان وان من جملة ما في القرآن من البيان بيان ان الليل والنهار آيتان اتبعه بقوله وكل شيء فصلناه تفصيلا ثم صرح بان من جملة ما بينه الله تعالى ان كل ما قدره الله تعالى على الانسان وحكم به عليه في سابق علمه لازم له يجب حصوله له ويمتنع زواله عنه فقال وكل انسان آزمناه طأره اي عمله وسأر ما قدره من السعادة والبقاوة والرزق والمصائب وكونه طويل العمر او قصيره سليم الاعضاء او معيها ونحو ذلك (قوله كانه طير اليد من عيش الغيب ووكر القدر) لشارة الى ان الطائر مستعار لتعذر جملة على الحقيقة لان المقدر لا يطير حقيقة في وصوله الى الانسان عن المقر الاصلي فكما ان الطائر الحقيقي يأتي الى كل ما ياتي اليه متقلبا من عشه ووكره فكذلك الحوادث تنتهي الى الانسان بعد موتها في علم الله تعالى وعالم الغيب وذكر الطائر ما كان من شجر او جبل

(ويدع الانسان بالشر) ويدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعو بما يحسنه خيرا وهو شر (دعاء بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان يحجولا) يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرجته لانيته فارخت اكافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندب فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رجلا ففزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر والدعاء استجالة بالعذاب استهنأه كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الخرين بين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيبه فغضب عتقه يوم بدر صبرا (وجعلك الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم تعاقيهما على نسق واحد بامكان غيره (فجونا آية الليل) اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتيين كاضافة العدد الى العدود (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضية او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبنا وقيل الايتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة اثرها ونقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها (لتبغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا في رياض النهار اسباب معاشكم وتوصلوا به الى استبانة اعمالكم (ولتعلوا) باختلافها او بجمع كنهها (عدد السنين والحساب) وجنس الحساب (وكل شيء) تقتفرون اليه في امر الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس (وكل انسان آزمناه طأره) عمله وما قدره كانه طيرا ليه من عيش الغيب ووكر القدر

لما كانوا يقيمون وينشاءون بسنوح الطائر وروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد
(في عنقه) لزوم الطوق في عنقه (ونخرج له يوم القيامة
كتاباً) هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بأثار اعماله
فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالاً
ولذلك يسيد تكرر هالها ملكات ونصبه بانه مفعول
اوحال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده
قرآءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرى ويخرج
اي الله تعالى (يلقاه منشوراً) لكشف الغطاء وهما
صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشوراً حال من مفعوله
وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيه كذا
(اقرأ كتابك) على ارادة القبول (كفى بنفسك اليوم
عليك حسيباً) اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسباً
تميز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى
الصارم وضرب القداح بمعنى ضاربها من حسب
عليه كذا او بمعنى الكافي موضع موضع الشهيد لانه
يكفي المدعى ما هممه وتذكيره على ان الحاسب
والشهادة بما يتولاه الرجال او على تأويل النفس
بالتخص

وعش الطائر موضعه الذي يجمعه من دقاق العيدان وغيرها في افنان الشجر فاذا كان في جبل او جدار او نحوهما
فهو وكروا الاضافة في قوله عش الغيب ووكر القدرية والقضاء هو الارادة الازلية المقضية لنظام الموجودات
على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاسياء في اوقاتها استعير العنق والوكر لعالم الغيب والتقدير العلمي
(قوله لما كانوا يقيمون وينشاءون) اي لما جعلوا الطائر سبباً للخير والشر وسندوهما اليه باعتبار سنوحه
وروحه استعير الطائر لما كان سبباً لهما وهو قدر الله وقسمته وعمل العبد فكأن سبباً للخير والشر وسنوح الطائر
عبارة عن مروءة عن مياسر الانسان الى ميامنه وروحه عبارة عن ضد ذلك كانوا يقيمون بالاول وينشاءون
بالثاني شبه المصنف المقدرات من حيث كونها سبب الخير والشر المكتسب والتقدير الازلي بالطائر على زعم العرب
وجعل هذا التنبية طريقاً لاطلاق اسم الطائر عليهما بما اشار الى تحقيق المشابهة بين الاعمال والطائر من وجه
آخر وهو المجيء من المقر الاصلي (قوله لزوم الطوق في عنقه) الظاهر ان ليس المراد تقدير متعلق بقوله في عنقه لان
المرزوم والازرام لا يتعديان بكلمة في بل المقصود الاعماء الى ان قوله في عنقه جيء به بعد تمام الكلام بقوله الزمناه
طائر له دلالة على كمال الازرام بحيث لا سبيل الى ان ينفك عنه ما قدر له من الخير والشر اصلاً فانه اذا قصدت المبالغة
في الزام الشيء لاحد يقال جعلت هذا الشيء في عنقك اي قد اشدك اليه والزمك حفظه لان من عظمت رغبته في حفظ
الشيء يرميه على عنقه ويجعله في موضع القفلة قال اهل المعاني انما خص العنق من بين سائر الاعضاء بكونه محل
الازرام لان ما علق عليه يكون الزم بالخص لان الذي عليه اما خير يزينه او شر يسيئه وما يزين يكون كاطوق
والخلى وما يسيئ يكون كالغل وكل واحد منهما مما يلزم صاحبه وانا اقول كان الظاهر ان يقال الزمناه عنقه
بالنصب على انه بدل من مفعول الزمناه الا انه جيء بكلمة في للدلالة على كمال الازرام حتى كان الطائر شئ حال
في عنقه لا امر متعلق عليه (قوله ونصبه) اي ونصب كتاب يحتمل ان يكون على انه حال من مفعول به اي لنخرج
بنون العظيمة مضارع اخرج ويحتمل ان يكون على انه حال من المفعول المحذوف والتقدير ونخرجه له كتاباً اي
نخرج الطائر ويعضده قرآءة ويخرج بضم الياء وفتح الراء اي يخرج الطائر كتاباً قال الحسن بن ادم بسطت لك
صحيفة واكل بك ما كان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك
فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طوبت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة فعلى هذا قوله تعالى
ونخرج له يوم القيامة معناه نخرج من قبره (قوله من لقيه كذا) وهو منقول بتضعيف العين من ان
الشيء فيتعدي الى اثنين قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا (قوله اي كفى نفسك) فعلى هذا ينبغي ان يؤتى
الفعل لتأنيث فاعله كافي قوله وما تأنيهم من آية الا انه ذكر لكونه مسنداً الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وفي مثله
يجوز الامر ان وقوله لكشف الغطاء هذا على ان يكون المراد بالكتاب المخرج له يوم القيامة نفسه المنتقشة بآثار
اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان كثيراً كان او قليلاً قوياً كان او ضعيفاً فانه يحصل بسببه في جوهر النفس
الانسانية اثر مخصوص فان كان ذلك الاثر اثرًا يجذب الروح من حضرة الحق الى الاستغفال بالخلق كان ذلك
من موجبات الشقاوة والخذلان وان كان يجذب الى التبتل والانقطاع اليه تعالى كان موجبا للسعادة والايقان
الا ان تلك الآثار تخفى مادام الروح متعلقاً بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه
الاحوال وظهورها واذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن وتخلص عن كونه محتجباً بحجاب البدن فحينئذ زال
الغطاء وانكشف الحجاب فيخرج من عمق البدن المظلم حال كونه كتاباً متقشاً بالاعمال الصادرة في الدنيا ويكون
هذا الكتاب في هذا الوقت كأنه منشور بعد ان كان مغشواً بظلمة البدن وعند ذلك تشاهد القوة
العقلية جميع تلك الاشياء مكتوبة بالكتابة الذاتية في جوهر الروح فيقال له في تلك الحالة اقرأ كتابك ثم يقال
له كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً فان كانت تلك الآثار من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة لاجل حاله واعلم
انه تعالى جعل كل ما يصدر من العبد باختياره من قول وفعل ولحمة وفكرة ونحو ذلك مما يتعلق به الارادة
الازلية والعناية الالهية كاطير الذي يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل احد في الازل مقداراً من الخير والشر
فذلك الحكم الذي سبق في عمله الازلي لا بد وان يصل اليه هو ذلك الطائر فعند ذلك عرف ان الكفاية الابدية لا تتم
الا بالعناية الازلية والارادة السابقة ثم ان كل طائر وصل اليه من عالم الغيب محفوظ في صحيفة عمله ومنتقش منه
اثر في جوهر روحه يلقى اليه ذلك الكتاب منشوراً ويجازي على حسب ما في كتابه ثم انه تعالى بين ان ثواب العمل

الصالح وعقاب العمل السيئ يختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم قرر ذلك بقوله ولا تزروا زرة وزر اخرى قال الزجاج وزر يزور وزورا فهو وزر ومعناه اثم يا اثم عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اتبعوني وانا احل اوزاركم فقال تعالى ولا تزروا زرة وزر اخرى ثم انه تعالى لما بين انه لا يعذب احدا بما يعلم منه من اختياره المعاصي واتباعه الشهوات ما لم يعمل به اى لا يجعل عليه حجة على من علم منه انه اذا امره عصاه بل يبعث اليه رسولا يمهده الترائع فاذا خالف ما امر به من الطاعة وظهر عصيانه للناس فحينئذ يعذبه لانه تعالى ازم عليهم الحجة ببعثة الرسل ولم يبق للناس على الله حجة بعد بعثتهم قال تعالى ولوانا اهلكناهم بعذاب من قبله لاقولوا ربنا لولا ارسلنا رسلنا لولا ان نذل ونخزى حيث قال ههنا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يلزمهم الحجة بين طريق تعذيبه من قضى عليه التقاوة في الازل وعلم منه اختيار الضلالة فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اى قضى الله تعالى باهلاكها العلم بان اهلها يختارون الضلالة على الهدى فان الحوادث كلها مسبوقه بقضاء الله تعالى وقدره والقضاء عبارة عن الارادة الازلية والسعادة الالهية المقضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر عبارة عن تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها لانفاذ القضاء السابق امرنا مترفيا اى عظماءها الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش بطاعة الرسول الذى بعث اليهم حتى اذا عصوه عناد او مكابرة فعند ذلك يهلكون ولا يهلكون بمجرد علمنا بانهم لا يقدمون الاعلى العصية ولا يختارون الامتابة الهوى والشهوى فبني الآية اذا اردنا امضاء ماسق من القضاء باهلاك قوم امرنا المتعمين المغترين الظانين ان اموالهم واولادهم وانصارهم ترد عنهم باسنا بالايمان والعمل بشرائع ديني على ما يبلغهم عنى رسولى ففسقوا اى خرجوا عما امرهم الله تعالى فاستحقوا العذاب فحينئذ يحسب عليهم القضاء السابق باهلاكهم اظهر معاصيهم فحينئذ ندمر ما والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يقدمون الاعلى العصية لم نكتف في تحقيق ذلك بالاهلاك بمجرد ذلك العلم بل امرنا مترفيا ففسقوا واذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ توقع العذاب الموعود به وهذا كالتقرير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهارسولا وبقوله وما كان ربك مهلك القرى بظلم اهلها غافلون فلما حكم الله تعالى في هذه الآيات انه لا يهلك قرية حتى يخالفوا امر الله لاجرم ذكر ههنا انه يا امرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك استوجبوا العذاب والهلاك المعبر عنه بقوله ففسقوا فدمرناهم تدميرا اى اهلكناهم اهلاك الاستئصال والدمار هلاك الاستئصال فقول المصنف لانفاذ قضائنا السابق اشارة الى دفع ما يقال انه تعالى كيف يريد اهلاك قوم ابتداء اى من غير ان يسبق منهم ما يستحقون الاهلاك بسببه مع انه تعالى قال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ثم اشار الى دفعه بوجه آخر وهو ان المراد بآية اهلاكهم اذ نوقت هلاكها تشبيه الدنوقت التى بارادته في كونه كالسبب المؤدى اليه كما يقال اذا اراد المريض ان يموت حقيقة والتاجر يريد ان يفقر حقيقة بل الارادة مجاز عن دنو الوقت لكونه كالارادة في التأدى الى الموت والفقر فكذلك الحال ههنا (قوله ويدل على ذلك ما قبله وما بعده) يعنى انه تعالى قال امرنا مترفيا ولم يصرح بما اذا يا امرهم فاختلف العلماء في ان الأمور به فاهو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به الطاعة وذهب صاحب الكشاف الى ان المراد به الفسق وان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا وجعل امرهم بالفسق مجازا عن يصيب عليهم انواع النعمة صبا ويجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فصاروا بذلك كأنهم مأمورون بالفسق والافلا وجه لامرهم بالفسق حقيقة بان يقال لهم افسقوا وشدوا النكر على من جعل المعنى امرناهم بالطاعة ففسقوا وقال انه تقدير شئ لا دليل عليه مع الاعراض عن تقدير ما يدل عليه الدليل فان قوله تعالى امرنا مترفيا ففسقوا فيها يدل على ان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا فانه اذا قيل امرته فقام واحرته فقرأ فدمر منه ان الأمور به قيام او قرأة فكذا فيما نحن فيه لا يفهم الا ان الأمور به هو الفسق لا امر آخر فتقدير الطاعة تقدير شئ لا دليل عليه مع العدول عما يقتضيه الدليل ومنع المصنف كونه تقديرا بلا دليل حيث قال ان ما بعده وما قبله يدل على ان المقدور هو الطاعة امدالة ما بعده عليه فلان الفسق هو الخروج عن الطاعة الخ واما دلالة ما قبله عليه فلان الرسول انما يبعث ليطاع ويعمل بالشرائع التى يبلغها

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواء (ولا تزروا زرة وزر اخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) بين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع (واذا اردنا ان نهلك قرية) واذا تعلق ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقت المقدور كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد امره شدة (امرنا مترفيا) متعميا بالطاعة على لسان رسول بعثه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتردد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بافسق لقوله

الرسول عن الله تعالى اليهم فيطيعوا ربه فيما امرهم به فبدل ذلك دلالة ظاهرة على ان المعنى امرنا متفرقا بان
يطيعوا الرسول الذي بعث اليهم (قوله اوالتسبيل) لا معنى لكلمة او ههنا لان الجمل على الفسق لا يحمل له
سوى السببية (قوله وقيل معناه كثرا) قرأ الجمهور امرنا بالتخفيف والقصر وفيه وجهان احدهما انه
من الامر الذي هو ضد النهي وقدر ما يتعلق بهذا الوجه وثانيهما ان امرنا بمعنى كثرا قال الواحدى العرب
تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثروهم وامرهم ايضا بالبدلان امر الثلاثى يستعمل لازما بمعنى كثر
و يستعمل ايضا متعددا بمعنى امر بالمدى كثر واستعمل في الآية متعددا فيكون فعل وافعل بمعنى وهو
معنى قول المصنف يقال امرت الشيء وامرته فامر اذا كثرته واستدل على استعمال الثلاثى متعددا بقوله
عليه الصلاة والسلام خير المال سكة ما بورة ومهرة ما مودة اى مكثرة كثر الله ولدها فلولا ان الثلاثى متعددا لما
منه اسم المفعول وقرئ امرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح روى عن ابى عبيدة امر الله وامره فتح الميم
وكسرها وقرئ امرنا بالمدى والهمزة فيه التعدية حكى الجوهري عن ابى عبيدة ان امرته بالمدى امرته اعتان
بمعنى كثرته ومنه الحد يث خير المال سكة ما بورة ومهرة ما مودة اى كثيرة التناج والنسل وامر هو اى كثر
فخرج على تقدير قولهم علم فلان ذلك واعلمته انا ذلك قال يعقوب ولم يقله احد غيره قال الحسن امر ماله بالكسر
اى كثر وامر القوم اى كثروا وامر الله ماله بالمدى وانما قيل مهرة ما مودة لان زواج وانما هو موزورات من الوزر فقبل
كا قال عليه الصلاة والسلام للنساء ارجعن ما زورات غير ما جورات وانما هو موزورات من الوزر فقبل
ما زورات لان زواج بقوله ما جورات وقرئ ايضا امرنا بالتسديد وفيه وجهان احدهما ان يكون التضعيف
للتعدية عدى الفعل تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين والثاني ان يكون بمعنى جعلناهم امر آء فى الصحاح امر
فلان وامر ايضا بالضم اى صار اميرا والمصدر الامر بالكسر والامارة والمهر ولد القرس والجمع امهار
ومهار والانى مهرة والجمع مهر ومهرات وفرس بمهر اى ذات مهر والسكة الطريقة المصطفية من النخل وسكة
ما بورة اى ملحقة يقال ابر فلان نخله اى لقمه واصلمه وتأبير النخل تلقيحه (قوله وهو ايضا مجاز من معنى
الطلب) اى كما ان امرناهم بالفسق مجاز من الجمل عليه او التسبيل فكذلك امرناهم بمعنى كثرتهم ايضا مجاز
من قيل اطلاق ما يدل على السبب وارادة السبب فانك اذا قلت امر الله المهرة وامر الله المترفين وارتدت معنى
كثرتهم فقد استعملت الامر الذى هو ضد النهي فى لازم معناه فانه تعالى اذا قال للمهرة كوني كثيرة التناج او قال
للمترفين كونوا كثرى الاعوان والا موال والعدد والعدد تكون كثرتهم لازمة له متفرعة عليه لا محالة
(قوله بحمله او بظهور معاصيهم) الاول على ان يكون قوله فحق عليها القول لتفريع الحكم على السبب المؤدى
اليه والثاني على ان يكون التركيب من قبيل قولك اطعمته فاشبعته وسقيته فارويته فان الاشباع ليس حكما
متفرعا على الاطعام وكذا الاوآء ليس امرنا مغايرا للفق فان كلمة الفاء فى مثلها لتفسير ما قبلها وتبينه فيكون
تحقق كلمة العذاب السابقة عبارة عن ظهور فسقهم ومعاصيهم الثابتة فى العلم الازلى والقضاء السابق وهذا على
ان يكون امرنا من الامر الذى هو ضد النهي وان كان بمعنى كثرتنا يكون قوله فحق عليها القول بيانا لانهم اكهم
فى المعاصى لان تكثير المترفين وتسلطهم على الضعفاء وتفريع الفسق عليه يستلزم انهم اكهم فى الفسق ثم انه
تعالى لما بين طريق اهلاك قوم يستحقون الاهلاك على ظهور معصيتهم الثابتة فى العلم الازلى بين ان الاهلاك على
الطريق المذكور كان عاقبة مع الذين فسقوا وعمر دوا من القرون الذين كانوا بعد نوح عليه الصلاة والسلام تخويفا
لكفار مكة فقال وكما اهلكنا الآية فقوله كم منصوب باهلكنا ومن القرون تمثيل لكم ومن فى من يعد نوح لابتداء
الغاية ولما اختلف معناه جاز اتحاد متعلقهما والقرون مائة وعشرون سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى اول قرن آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وقيل ثمانون سنة وقيل اربعون سنة (قوله بذنوب عباده) متعلق
بخيرا قديم على عامه والخير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطلة فلا يجرى فى الملك والمملوك شئ ولا تحرك
ذرة ولا تسكن ولا تبضطرب نفس ولا يطمئن الا ويكون عنده خبره وهو معنى العليم لكن العلم القديم اذا
اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خيرا وصاحبه خيرا كذا فى المقصد الاقصى للزالى رحمه الله ولما كان متعلق
الخير بواطن الامور ومتعلق البصير بظواهرها قدم الخير على البصير لكون اليواطن متقدمة بالشرف على
الظواهر (قوله مقصورا عليها) اى باقيده به لقوله تعالى ثم جعلناهم من المعلوم ان من يريد الدنيا

(ففسقوا فيها) كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه
الا الامر بالقرآءة على ان الامر مجاز من الجمل عليه
او التسبيل له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم
وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول
متوى كقولهم امرته فصاعا وقيل معناه كثرنا يقال
امرته الشيء وامرته فامر اذا كثرته وفى الحد يث
خير المال سكة ما بورة ومهرة ما مودة اى كثيرة التناج
وهو ايضا مجاز من معنى الطلب وبؤيده قرآءة يعقوب
امرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون
منقولا من امر بالضم اماراة اى جعلناهم امر آء
وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولهم اسرع
الى الحماقة واقدر على الفجور (فحق عليها القول)
يعنى كلمة العذاب السابقة بحمله او بظهور معاصيهم
او بانهم اكهم فى المعاصى (فدمرنا هاتديرا) اهلكنا
ياهلك اهلكا وتخريب ديارهم (وكما اهلكنا) وكثيرا
اهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمثيله (من بعد نوح)
كعاد وثمود (وكفى برك بذنوب عباده خيرا بصيرا)
يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقدير
الخير لتقدم متعلقه (من كان يريد العاجلة) مقصورا
عليها هم (مجلناهم فيها ما نشاء لمن نريد) قيد المجمل له
والمجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متين ما يشاء
ولا كل واحد جميع ما يهواه ويعلم ان الامر بالمشيئة
والهم فضل ولن يزيد بل من له بدل البعض

والآخرة معا لا يكون حكمه كذلك ومن في من كان شرطية ويجعلنا جوابها وما نشاء مفعوله ولمن تريد بدل بعض من كل من ضميره باعادة العامل تقديره لمن تريد فجعله له وقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم جعل هنا بمعنى صير ومفعوله له جهنم لان تعاد الجلالة منهما وقيل ثانياهما تحذوف اي مصيرا او ما وى وبصلاها اي يدخلها حال اما من الضمير في قوله واما من جهنم ومذمومها حال من فاعل يصلها (قوله وقيل الآية في المنافقين) فيكون المعنى من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالجهاد والصوم والصلاة وهو معطوف من حيث المعنى على قوله مقصورا عليها هسد فانه يتناول المنافق والكافر المباهر والمراد بالعاجلة الدنيا لانها تكون قبل الآخرة قبل هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى وكل انسان أئزمنه طأره اي ما قدر له وما لم ير اليه من عس الغيب بين اولان ما قدر له من الاعمال يصدر عنه ثم بين ان ذلك العمل محفوظ بلفظه مكشوف يوم القيامة فهو يجازى على حسب عمله وبين هاهنا ان العامل في الدنيا قسمان منهم من يريد بعمله الدنيا وقصر همه عليها فحاله ان يجعل القدر الذي نشاء فجعله في الدنيا لا القدر الذي يشاءه العامل لمن يريد ان يجعل له شيئا فيها الا ان عاقبته جهنم يدخله فيها فيصلى عتبهام مذمومها اي ملوما مذمورا اي متفيا مطرودا من رحمة الله تعالى اشار الله به الى ان عقوبة من قصر همه على الدنيا مضرة ومقرونة بالذم الى المضرة العظيمة وقوله مذمومها اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وان تلك المضرة دائمة خالية عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلنا له جهنم يصلها اشارة الى المضرة العظيمة وقوله مذمومها اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وقوله مذمورا اشارة الى البعد والطرده من رحمة الله تعالى وذلك يستلزم ان تكون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة لكونها دائمة غير مبدلة بالخلاص والراحة (قوله حقهما من السعي) اشارة الى ان قوله سعيهما مفعول مطلق مبين للنوع وهذا المعنى مستفاد من اضافة السعي الى ضمير الآخرة وعبد الاوثان وان كانوا يزعمون انهم انما يسعون فيما علموه طلبا لمنافع الآخرة ويقولون اله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته بل غاية قدرتنا ان نشغل بعبادة بعض المقربين من عباد الله كالملك والكوكب ونحوهما ثم ان ذلك المقرب يشتغل بعبادة الله تعالى فانهم لا يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق بل هو تقرب بما يتخبرون بأرائهم الفاسدة واللام في لهالام العلة اي سعى لاجل الآخرة وهو يدل على ان الساعي انما يشاب على سعيه اذا كان سعيه مقرونا بالنية والاخلاص وحاصل الآية ان القسم الثاني من العمال تحقق فيه اربعة امور احدها ان يريد الآخرة اي يريد ثوابها ومنافعتها ولا يقصر همه على الدنيا وثانيها ان يسعى سعي يلبق بالآخرة وثالثها ان يكون بسعيه مقرونا بالنية والاخلاص لاكن هاجر الى المدينة لاجل ان يتزوج بام قبس ولاكن هاجر لاجل ان ينال منفعة الدنيا والآخرة ورابعها ان تكون هذه الامور المذكورة مسبقة بالايمان الصحيح فسنجد اجتماع هذه الشروط لظ يكون السعي مشكورا والعمل مهورا وشكر العبد عبارة عن ان يجعل جوارحه ولسانه مشغولا بالافعال الدالة على تعظيم النعم وكونه معظما عند ذلك الشاكر كما قيل

افادكم النعماء مني ثلاثة * يدى ولساني والضمير المحجبا

والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثنى عليهم بكلامه القديم وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم مطعين عند الله ولما انصف الله بهذه الامور الثلاثة بالنسبة الى المؤمن المطيع وصف نفسه تعالى بانه شاكر وجعل المؤمن مشكورا على طاعته من قبل الله تعالى ثم انه تعالى لما بين ان من يريد العاجلة يجعل له فيها القدر الذي شاء الله تعالى نجعله ومن يريد الآخرة يشاب على سعيه وطاعته بين ان كل واحد من الفريقين يعطى ما قسم له من الاموال والاولاد ونحوهما مما ينتفع به في الدنيا على وجه يكون آتفه مددا لسالفه ولا يحرم من العاجلة من اراد الآخرة وان كان يحرم من الآخرة من قصر همه على العاجلة فان العطايا الدنيوية لا تمنع عن احد مؤمنا كان او كافرا لان الكل مخلوق في دار التكليف والعمل فوجب اراحته القدر وازالة العلة عن الكل بايصال متاع الدنيا الى الكل على القدر الذي تقتضيه الحكمة ثم انه تعالى اخره عليه الصلاة والسلام بان ينظر ويرى تفاوت اهل الدنيا في متاعها ويعلم ان تفاوت درجات الآخرة ودرجاتها وتفاوت اهلها فيها اكثر من تفاوت اسباب الدنيا وتفاوت اهلها فيها فان نسبة التفاوت في درجات متاع الآخرة ودرجات عقابها الى التفاوت في امور الدنيا كنسبة نفس الآخرة الى نفس الدنيا ثم انه تعالى لما بين ان سعادة الآخرة منوطه بارادة الآخرة بان يسعى سعيها موافقا لطلب الآخرة وبان يكون مؤمنا شرع في تفصيل هذه الامور

وقرى ما يستاء والضمر فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويفزون معهم ولم يكن غرضهم الامساك بهم في القاتم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلها مذمومها مذمورا) مطرودا من رحمة الله تعالى (ومن اراد الآخرة رسي لها سعيها) حقها من السعي وهولالان بما امر به والانهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يتخبرون بأرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة (فاؤثرك) الجامعون للشروط الثلاثة (كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والثبوت بدل من المضاف اليه (نعم) بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آتفه مددا لسالفه (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا (من عطاء ربك) من معطاه متعلق بنعم (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لا يمنع في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال (وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودرجاتها

المجمل فبدأ بشرح حقيقة الايمان وبيان ماهو العبد فيه وهو التوحيد والتبرئ من الشرك ثم قال لا يجعل مع الله
 آلهة آخر ثم ذكر عقبيه سائر الاعمال التي يكون من عمل بها ساعيا سعى الآخرة (قوله اول لكل احد) قيل هذا
 الاحتمال اول لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه الى قوله اما يلبس عندك الكبير احدهما
 او كلاهما وهذا لا يلبق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان ابويه ما بلغا عنده الكبر فعلمنا ان الخطاب بهذا النوع الانسان
 (قوله او فتعجز) يعني ان قوله فتعجز يجوز ان يكون بمعنى فتصير فتعصب ما بعده على الخبرية وان يكون على اصل
 معناه ويكون كتابة عن ملزومه الذي هو العجز فان القادر المتمكن من تحصيل الخبرات يسعى بل يبقى جالساً قاعدا عن السعي والطلب فلما
 انما تأتى بالقيام على الرجل بخلاف العاجز عن تحصيلها فانه لا يسعى بل يبقى جالساً قاعدا عن السعي والطلب فلما
 كان القعود من لوازم العجز والضعف صح ان يكنى به عنه فيكون مذموما منصوبا على الحال وقوله تعالى فتعجز
 منصوب باضمار ان بعد الفاء جوابا للنهي كقولك لا تقطع عنا فتعجزك اي لا يكن ذلك انقطاع فيحصل ان تعجزك
 فابعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة على حرف الفاء التي هي حرف العطف وسماه التحويون جوابا لكونه مشابها للجره
 في ان الثاني مسبب عن الاول الاترى ان المعنى ان انقطع جفوناك فكذلك تقدير الآية ان جعلت مع الله الها آخر
 صرت مذموما بكل اسان مخذولا من قبله تعالى لانه بكلك الى من اتخذته شريكا ولا نصر عنده ولا عون او يجزى
 عن دفع ما توجه اليك من المكارة لانه تعالى لا ينصرك ومن العلوم ان الشركاء لا يقدرن على النصر
 والشناعة (قوله واهم امر امر مقطوعا به) يعني ان القضاء في اصل اللغة اتمام الشيء والفراغ منه وما تم وفرغ منه
 يلزم ان يقرر ولا يغير اي لا يقبل السخ والتغير فاذا استعمل القضاء في موضع الامر والازام كما في هذه الآية
 يفهم منه الامتداد والتكوين على ذلك الوجود دون الآخر امر مقرر موافق للحكمة كما في قوله تعالى فقضاهن سبع
 سموات وقد يطلق القضاء على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجد ويطلق ايضا على وجود
 جميع الموجودات في الموح المحفوظ اجالا واقدروا تفصيل قضائه السابق بايجادها في مواد الاحكام الخارجة
 واحدا بعد واحد ولما ذكر في الآية ماهو الركن الاعظم في الايمان والتوحيد اتبعه بذكر ما هو من التراتع
 المترتبة عليه وهو انواع النوع الاول تخصيص العبادة لله تعالى والاحترار عن عبادة غيره (قوله ويجوز ان تكون
 ان مفسرة ولانهاية) يعني اي لا تعبدوا الوقوعا بعد ما هو بمعنى القول واما ان جعلت مصدرة ناسبة لما بعدها
 فيثبت تكون لانافية لان صلة المصدرية لا تكون شيئا مما فيه معنى الطلب على الاصح وان اجاز سيبويه كون صلة
 المصدرية ذلك فقال يجوز ان يقال في تقدير امرته ان قام اي بالقيام واختاره المصنف في بعض المواضع
 (قوله وان تحسنوا) على ان الباء في قوله وبالوالدين متعلقة بقضى (قوله احسانا) واقع موقع فعله المحذوف
 والجملة معطوفة على جملة قوله ان لا تعبدوا على تقدير ان تكون كلمة ان فيها مصدرية عطف بالجملة المثبتة على النقية
 وقوله او احسنوا بالوالدين احسانا على ان يكون قوله احسانا واقعا موقع فعل الامر المحذوف ويكون بالوالدين
 متعلقا بذلك المحذوف على التقديرين وتكون هذه الجملة الامرية معطوفة على ان لا تعبدوا على ان تكون ان فيها
 مفسرة ولاهية عطف بالجملة الامرية على النهي ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين والوالدين ان
 السبب الحقيقي لوجود الانسان هو الله تعالى والسبب الظاهر الابوان فامر بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه بالامر
 بتعظيم السبب الظاهري (قوله وبدل على قراءة حرة والكسائي) فانهم اقرأوا بيلغان بالف الشنية قل نون
 التأكيد المسددة المسكورة على ان الالف ضمير والوالدين لتقدم ذكرهما فيكون احدهما بدلا منه بدل البعض من
 الكل ويكون او كلاهما بدلا منه ايضا كونه معطوفا على البدل وهو بدل الكل من الكل لان كلاهما امر ادنى لالف
 الشنية ولا يجوز ان يكون الاول بدلا والثاني تأكيدا معطوفا على البدل لان عطفه على البدل يدل على ان تأكيد
 الشنية غير مراد والحاصل ان بين ابدال الاول بدل البعض وبين تأكيد البدل منه بكلاهما تدافعا لان فائدة
 التأكيد دفع توهم ازادة احدهما واما الاعتراض بانه لا تدافع بناء على ان المعنى اما يلبغان احدهما او يلبغان
 كلاهما فيراد البدل الاول والتأكيد ثانيا فمدفوع بانه اذا ذاك يخرج الكلام عن كون كلاهما معطوفا على احدهما اي
 عطف الجملة وهو معنى قول المصنف ولذلك لم يجز ان يكون تأكيد الالف اي ولاجل ان يكون كلاهما معطوفا على
 البدل الذي هو احدهما على قراءة يلبغان لم يجز ان يكون كلاهما تأكيدا للالف لان التأكيد يجب ان يكون معمولا
 لعامل المؤكد فلما ابدل احدهما من المؤكد بدل البعض كان المقصود بالنسبة هو البعض فينا فيه تأكيد بالكل

(لا يجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امتد او لكل احد (فتعجز)
 فتصير من قولهم سجد الشفرة حتى قعدت كأنها حربة
 او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه
 (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة
 والمؤمنين والمخذولان من الله تعالى ومفهومان الموح
 يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) واهم امر
 مقطوعا به (ان لا تعبدوا) بان لا تعبدوا (الاياه)
 لان غاية التعظيم لا تحق الا بالاله غاية العظمة وتبابة
 الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز
 ان تكون ان مفسرة ولانهاية (وبالوالدين احسانا)
 وبان تحسنوا اووا حسنوا بالوالدين احسانا لانهما
 السبب الظاهر للوجود والتعبد والتعبد والتعبد
 الباء بالاحسان لان صلتها لا تتقدم عليه (اما يلبس
 عندك الكبير احدهما او كلاهما) اما هي ان الشرطية
 زيدت عليها ما تأكيد اول ذلك صح لحوق النون
 المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يلبس وبدل على
 قراءة حرة والكسائي من الف يلبغان الراجع
 الى والوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا
 او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى
 عندك ان يكونا في كنفه وكنائله

وان قدر فعل آخر مسند الى ضمير التثنية وكان كلاهما تأكيداً لذلك الضمير لزم الخروج عن البحث لان المفروض كونه تأكيد الفاعل الفعل المذكور (قوله وقيل اسم الفعل الذي هو انضجر) عطف على قوله وهو صوت اى قيل انه ليس من قبيل الاصوات بل هو اسم للفعل المضارع وهو قليل فان الاكثر في باب اسماء الافعال ان يكون اسما للامر نحو ويدفانه اسم لامهل وبه اسم لدع وقد يكون اسما للفعل الماضى نحو هبها اسم لبعده ولم يذكر ابن الحاجب ما كان اسما للفعل المضارع حيث قال في الكافية اسماء الافعال ما كان بمعنى الامر او الماضى نحو رويد زيدا اى امهله وهبها ذلك اى بعد (قوله وهو مبنى على الكسر) لانه لو بنى على السكون لاجتمع ساكنان لان الفاء الاولى ساكنة وفيه سبع قراءات ثلاث في المتواتر واربع في الشاذ فقرأ نافع وحفص بالكسر والتثنية وابن كثير وابن عامر بالفتح دون التثنية وكم والباقيون بالكسر دون تثنوين ولا خلاف بينهم في تسديد الفاء وقرأ نافع في رواية اف بارفع والتثنية وقرئ بالضم من غير تثنوين وبالتصب والتثنية واف بالسكون (قوله قياسا بطريق الاولى) اى بواسطة القياس الجلى الذى يكون من باب الاستدلال على الاعلى وقيل النهى عنه يدل على المنع من سائر انواع الايداء دلالة لفظية من حيث ان اهل العرف اذا قالوا لا تقل فلان اف عتوا به لا تعرض له بنوع من انواع الاذى كقولك فلان لا يملك الثقبير والقطمير فانه يدل بحسب العرف على انه لا يملك شيئا الثقبير الثقبرة التى في ظهر الثواة والقطمير الثقبرة الرقيقة التى تكون على الثواة (قوله ولذلك) اى ونكون النهى عن التأليف يدل على المنع من سائر انواع الايداء اما بالاستدلال بحرمة الادنى على حرمة الاعلى او بكونه دالاعلى دلالة لفظية بحسب العرف والشرس والشراسة سوء الخلق يقال رجل شرس اى سىء الخلق شديد الخلاف (قوله تذال لهما وتواضع معهما) يريد ان خفض الجناح استعارة تمثيلية استعير للتذلل والتواضع لان الطائر اذا قصد الجوى بسط جناحه واذاهم بالنزول خفض الجناح فشبها بتصور من الانسان في حال التواضع من الانخفاض بما يتأهد من الطائر عند انحطاطه من الجو ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن التواضع واما الوجه في اضافة الجناح الى الذل وليس له جناح فكونه دليلا على الاستعارة بالكناية مخيلا كون الذل من جنس الطائر ويسمى اثبات الامر المنخص بالمشبه به المشبه استعارة تمثيلية فانه شبه الذل بالطائر تشبيها مضمرافى النفس ولم يصرح من اركان التشبيه بشئ سوى المشبه وهو الذل ودل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بان اثبت للذل المشبه ما يختص بالمشبه به وهو الجناح من غير ان يتحقق فى الذل شئ يجرى عليه اسم الجناح بل الوهم يتخزع له صورة تشبهه بالجناح فانبت تلك الصورة الخترعة ليكون اثباتها قرينة للاستعارة بالكناية ونظيره فى قول لبيد

وغداة ربح قد كشت ورة * اذا أصبحت بيد الشمال زمامها

فانه شبه الشمال بالانسان واصل الى لازم الانسان وقت اشتغاله بالعمل وهو اليد على سبيل الاستعارة التخيلية وكذلك شبه القرة بالثاقه واثبت لهما ما به قوام انقيادها وهو الزمام على سبيل التخييل هذا على ان يكون ضمير زما مبالغة للقرة ويحتمل ان يكون للغداة بل هو الظاهر فكون الاستعارة بالكناية هي تشبيه الغداة بالثاقه والقرة والقر البدر يقول كم من غداة تمب الشمال وهي ابرد الريح ورة قد ملكك الشمال زمامها فهي في قبضتها متصرفه على حكم ارادتها قد كشت وانما اذهبت غادية البدر عن الناس بايقاد نار القرى ونحر الجزر لهم وتحرير المعنى كم من برد كفت غاديت به باطعام الناس فعلى هذا يكون اضافة الجناح الى الذل تفيد غاية المبالغة فى التذلل لان خفض الجناح عبارة عن التذلل والتذلل منه غاية التذلل (قوله او اراد جناحه) عطف على قوله جعل للذل جناحا فيكون هذا وجها ثانيا لاضافة الجناح الى الذل مع ان الذل لا جناح له وتقريره ان اضافة الجناح الى الذل ليست بمعنى اللام حتى يستبعد ويقال ما معنى اضافة الجناح اليه بل المزايد من الجناح جناح المحاطب واصله الى الذل من قبيل اضافة الموصوف الى صفته كانه قبل واخفض لوالديك جناحك الذليل كما يقال حاتم الجود وحاتم الجواد (قوله وقرئ الذل بالكسر) قيل الذل بالكسر في الدابة ضد الصعوبة وبالضم للانسان ضد العز وما كان ما يلحق الانسان اسدوا كثروا وقع بالنسبة الى ما يلحق الدابة وهو كونها ذلول لا مفادة لصاحبها فرقوا بينهما فاختروا الضمة التى هي اقوى الحركات لما يلحق الانسان والكسر الضعيف لما يلحق الدابة للاشارة الى ما بينهما من الفرق (قوله من فرط رجحتك عليهما) اشارة الى ان كلية من التعليل كما فى قوله

(فلا تقل لهما اف) فلا تنصجر مما يستقذر منهما ولا تستثقل من مؤثمتها وهو صوت يدل على نصجر وقيل اسم الفعل الذى هو انضجر وهو على الكسر لالتقاء الساكنين وتويند فى قراءة نافع وحفص للتثنية وقرأ ابن كثير وابن عامر يعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للتباعد كمنذ منونا وغير منون والنهى على ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايداء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك الثقبير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ايده وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيها بعد الامر بالاحسان بهما (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يجنبك باغلاط وقيل انتهى والنهر والنهم اخوات (وقل لهما) بدل التأليف والنهر (قولا كريما) جيلا لاستمراسة فيه (واخفض لهما جناح الذل) تذال لهما وتواضع معهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله وغداة ربح قد كشت ورة

اذا أصبحت بيد الشمال زمامها

للتعال يد والقرة زماما وامره بخفضه مبالغة او اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واصله الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والتعت منه ذلول (من الرحة) من فرط رجحتك عليهما لا تفقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس

(وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى ان يرحمهما
 برحمته الباقية ولا تكف برحمتك الفانية وان كانا كافرين
 لان من الرحمة ان يهديهما (كما ربياني صغيرا)
 رحمة مثل رحمتهم على وتربيتهم وارشادهم الى
 في صغرى وفاء بوعده للراحين روى ان رجلا
 قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوى بلغنا
 من الكبر ائى الى الله عنهما ما وليا منى في الصغر
 فهل قضيتهم حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك
 وهما يحبان بقاءه وانت تفعل ذلك وتريد موتهما
 (ربكم اعلم بما في نفوسكم) من قصد البر اليهما
 واعتقد ما يجب لهما من التقدير وكانه تهديد
 على ان يضرب لهما كراهة واستقلا (ان تكونوا
 صالحين) فاصدين للصالح (فانه كان للاويين)
 للتواين (غفورا) ما فرط منهم عند حرج الصدر
 من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون
 عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه اندراجا
 اوليا لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة
 الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة
 حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل
 المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم
 (والمسكين وابن السبيل ولا تبذرا) بصرف المال
 فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل
 التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال اوفى
 الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار
 (ان البذيرين كانوا احوال الشياطين) امثالهم
 في الشرارة فان التصنيع والاتلاف شرا واصلداهم
 واتباعهم لانهم يطعمونهم في الاسراف والصرف
 في المعاصي روى انهم كانوا يخرجون الابل ويتياسرون
 عليها ويبدون اموالهم في السعة فنهاهم الله تعالى
 عن ذلك وامرهم بالاتفاق في القربات (وكان الشيطان
 لربه كفورا) مبالغيا في الكفر به فاينبغي ان يطاع
 (واما تعرض عنهم) وان اعرضت عن ذى القربى
 والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد
 بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكفاية
 (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله
 ترجوه ان ياتيكم فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه
 لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء
 موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى
 هو قوله تعالى (فقل لهم قول لا ميسورا) اى فقل لهم
 قول لئلا ابتغوا رحمة الله برحمتك عليهم باجبال القول لهم
 والميسور من يسرا الامر مثل سعد الرجل ونحوه وقيل
 القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل
 اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم

تعالى بما خطاياهم اغرقوا الى واخضع جناحك من اجل الرحمة وقوله رحمة مثل رحمتهم على اشارة الى ان الكاف
 في تحمل النصب على انه صفة مصدر مخذوف ولم يقل رحمة مثل تربيتهم على مع ان المذكور في القرء ان هو التربية
 للاشارة الى ان التربية لكونها ناشئة عن الرحمة كانها عين الرحمة (قوله وفاء بوعده) مفعول له لقوله تعالى
 ارحمهما قال عليه الصلاة والسلام ارحم الراحمين وقال عليه الصلاة والسلام رضى الله في رضى الوالد
 وسخطه في سخط الوالد وقال لا يدخل الجنة منان ولا يلاق ولا مد من خمر (قوله وان كانا كافرين) اشارة الى رد
 ما قيل من ان الآية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فلا ينبغي للمسلم ان
 يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقول اللهم ارحمهما لانهما كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية
 والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ووجه الرد ما ذكره المصنف قل الامام قوله تعالى وقل رب
 ارحمهما كما ربياني صغيرا وظاهر كون الامر للوجوب انه لا يقتضى التكرار فيمكن في العمل بعقضى هذه الآية
 ذكر هذا القول في العمر مرة وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في اليوم مرة اوفى الشهر اوفى السنة فقال
 ترجو ان يحزبه اذا دعا لهما في اواخر الشهادات كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال
 تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يكبرون في ادبار الصلوات (قوله وفيه تشديد عظيم) وكيف
 لا وقد غفر ما فرط منهم على سبيل المبادرة في حق من كان اوابا وهو صيغة مبالغة فيقتضى الكثرة والمداومة
 كما روى عن سعيد بن المسيب ان الاواب هو الرجل الذى كلما اذنب بادر بالتوبة وقوله تعالى وآت ذا القربى حقه
 الذى يدل على ان المراد بذى القربى غير الوالد كقول التوسية نوعا آخر من انواع السعى الموافق لطلب
 الآخرة المدلول عليه بقوله تعالى وسعى لهما سعيها وهو عطف على قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه الى هذا
 الموضع والمعنى انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب عليك ان تشغل برب سائر الاقارب الاقرب فالاقرب ثم بالصالح
 احوال المساكين وابناء السبيل وذو القربى ان كانوا محارم فقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل
 موسرا حقهم ان ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة عند ابى حنيفة رحمة الله تعالى وقال الامام الشافعي لا يجب
 الاتفاق الاعلى الولد والوالدين محتسبا وان كانوا ميسرين ولم يكونوا محارم كابناء العلم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة
 وحسن المعاشرة والمؤالفة في السراء والضراء ونحو ذلك (قوله تعالى واما تعرض عنهم الآية) قيل انها
 نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسام وخباب رضى الله تعالى عنهم وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم
 في الاحايين ما يحتاجون اليه وقد لا يجد عليه الصلاة والسلام ما يدفعه اليهم فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن
 القول فنزلت بمعنى انه عليه الصلاة والسلام لما كان يعرض عنهم وجهه الكريم ويسكت ولا يجيبهم حياء من
 التصريح بردهم قال تعالى واما تعرض عنهم والممكن لترتيب قوله فقل لهم قول لا ميسورا على تحقيق الاعراض
 المترقب منه عليه الصلاة والسلام في المستقبل وجد لانه في قوة قولك وان لم تجبهم فاجبهم بقول فيه يسر قال
 في توجيه الآية وان اعرضت عنهم اى فيما مضى فاجبهم من بعد بقول ميسور فيكون قوله تعرض عنهم على حكاية
 الحال الماضية ثم عطف على هذا التأويل قوله ويجوز ان يراد بالاعراض الخ اى ويجوز ان يكون الاعراض
 كناية عن عدم النفع يدفع ما يحتاجون اليه لعدم الاستطاعة عليه بناء على ان الاعراض بالوجه من لوازم عدم
 النفع فيثبت يكون ترتيب الجزاء المذكور عليه ظاهرا (قوله لا انتظار رزق من الله) يعنى ان قوله ابتغاء رحمة
 مفعول له لقوله تعرض وعلة للاعراض بان يكون الابتغاء بمعنى الانتظار فانه يصلح ان يكون علة حاملة على
 الاعراض ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل تعرض او من ضمير عنهم (قوله
 وقيل معناه لفقد رزق) يعنى ان قوله تعالى ابتغاء رحمة الله بل هو مجاز عن فقد الرزق لانه سبب لا ابتغاء
 على ظاهره لان الاعراض عن المحتاج ليس لا ابتغاء رحمة الله بل هو مجاز عن فقد الرزق لانه سبب لا ابتغاء
 فهو من قيل اطلاق السبب على السبب ثم قال ويجوز ان يكون الابتغاء متعلقا بالجواب منصوبا به
 على معنى قل لهم قول لا ميسورا وهذا الجواز منى على قول من يجوز اعمال ما بعد الفاء الجزائية
 فيما قبلها وقد ثبت ذلك في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الآية فان اليتيم وما بعده منصوبان بما بعدهما الجواب
 (قوله والميسور من يسرا الامر) يعنى انه اسم مفعول من يسر كما ان الميسور والخوس كذلك يقال سعد الرجل
 فهو ميسور ونحوه فهو مخوس ثم قيل ويحتمل ان يكون الميسور مصدرا بمعنى اليسر ويكون المعنى قل لهم قول لا

يذكر فيه معنى السر ويدل على طلب السر مثل اغناكم الله ورزقنا الله وإياكم وفي الصحاح المجلود مصدر بمعنى الجلالة كالملوف والمعقول يقال عقل يعقل عقلا ومعقولا ويقال حلف أى أقسم يحلف حلفا ومحلوقا وهو أحد ما جاء من المصادر على مشغول مثل المجرود والمعقود والمعسور (قوله تمثيلان لمنع الشحيح) أى لا متاع البخل عن اتفاق ما له على المحاييج مثل حال من يده مغلولة إلى عنقه فلا يقدر على شئ من التصريف وحال من يسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شئ في كفه ثم استعمل الفاعل الممثل به في المثل والمعنى لا تجعل يدك في الانقباض عن الاتفاق كالملولة المنوعة من الانبساط ولا تتوسع في الاتفاق توسعا بحيث لا يبقى في يدك شئ وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا في الكتب الاخلاق وان لكل خلق طرف في افراط وتفریط وهما مذمومان والخلق الفاضل ما هو العدل القاسطين الطرفين فالخلف افراط في الاساءة والاسراف تفریط والمعتدل وهو الكرم الوسط (قوله نادما او منقطعاً بك) الجوهرى حسر الشخص بالكسبر يحسر حسرا وحسرة فهو حسيبر اذا تلطف وتخزن على الشئ الفائق وحسر البعير يحسر حسورا اعني واستحسر وتحسرت له وحسرتة انا حسرا يتعدى ولا يتعدى وقطع بفلان فهو مقطوع به واقطع به فهو منقطع به اذا عجز عن سرفه من نفقة ذهبت او من راحلة عطيت واتاه امر لا يقدر بسببه على ان يتحرك (قوله حسره السفر اذا بلغ منه) يقال بلغ منه المرض اذا اثر فيه تأثيرا بليغا (قوله فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعداي) على هذا الرواية يحتل ان كلمة من متعلق بمحذوف أى اخر سؤالك من ساعة ليس فيها دروع الى ساعة يظهر لنا فيها درع ودرع المرأة قيصها وهذا القول مبنى على رواية الكشف وهي هكذا من ساعة الى ساعة فعداي اوعلى تلك الرواية يحتل ان يكون من متعلق يظهر (قوله ثم سلاه بقوله ان بك يبسط الرزق) الظاهر ان ليس مقصوده ان الآية نازلة لتسليه عليه الصلاة والسلام بخصوصه مما حصل من الاصرار والاضافة بل المراد انها نازلة لتسليه المعسر من مطلقا وحصل له عليه الصلاة والسلام التسلي في ضمن هذه التسلية العامة وذلك لان مخاطب في قوله تعالى وآت ذا القربى حقه عام لكل بقربة كونه معطوفا على قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه وان قيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام بخصوصه امره الله تعالى ان يؤتى اقراره الحقوق التي وجبت لهم في مال الفيء والغنمة واوجب عليه ايضا ان يؤتى حق المساكين وابناء السبيل من هذين المالين كما اشار اليه بقوله وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان الخطاب في هذه الآيات بعم الكل وامر الله تعالى الموسرين منهم بالاتفاق على المعسر من منهم سلاهم بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى يضيق بحسب مشيئته وهي تامة للحكمة والمصلحة عند المعتزلة وبالعكس عندنا وليس اعتبار المعسر لهما وان ملك عليه ولا يخل به عليك لكونه مهانا عند الله ولا يخل منه تعالى عليه بل هو لكونه مصلحته فيه وفي ضمن هذه التسلية العامة تحصل تسليته عليه الصلاة والسلام ايضا بقوله بمشيئته التابعة للحكمة ليس معناه ان افعله تعالى ومشيئته معللة بالحكمة والمصلحة وان رعاية ما هو الاصلح في حق العبد واجبة عليه بل المراد ان مشيئته تعالى موافقة للحكمة ولا تغفل عنها وانه تعالى منزّه عن ان يفعل ما لا حكمة فيه ولا مصلحة (قوله ويجوز ان يراد الخ) اشارة الى وجهين آخرين لا تنظم هذه الآية بما قبلها وعلى كل واحد من الوجهين تكون هذه الآية تعليلا للآية الناطقة بالنهي عن القبض المفرط والبسط المفرط والامر بالاقتصاد تقرير الاول ان القبض المفرط والبسط المفرط كل واحد منهما مختص بالله فاقصد انت واترك ما هو مختص به تعالى وتقرير الثاني انكم اذا تحققتهم وأملت فيما بسط الله وقبض وامعنت النظر فيه وجدتموه مقتصدا يقبض تارة ويبسط اخرى فاقصدوا واستنبوا استند (قوله وان يكون تمهيدا) من حيث انه يدل على انه تعالى متكامل بارزاق العباد على حسب مشيئته التخصيص للحكم والمصالح فيجوز ان يبنى عليه انهى عن قتل الاولاد خيبة الاتفاق فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجزهن عن الكعب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على التهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقر البنات يفرأ كفاءهن عن الرغبة فيهن فيحتاجون الى احكامهن من غير الاكفاء وفي ذلك عار شديد (قوله وانخطى) بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها مصدر خطى خطا بمعنى اثم بآثم وكلاهما من باب علم يعلم علما وهو قرأه الجمهور وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر خطا بفتح الخاء والطاء من غير مد وفيه وجهان الاول ان يكون اسم مصدر من اخطأ يخطئ اخطا اذا اتى بما ليس بصواب فهو مغاير الخطأ الذي يقابل العمد والثاني ان يكون لغة في الخطى بمعنى الائم كمثل ومثل وخذر وخذر فالمعنى على هذه القراءة ان قتلهم ليس

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبدثر عن عونها امر بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير (محسورا) نادما او منقطعاً بك بلا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بن رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اياه صبي فقال ان اى تسكيتك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعداي فاذهب الى امه فقالت قل له ان اى تسكيتك الدرع الذى عليك فد خل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قيصه واعطاه وقعد عربا نا واذن بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) بوسعه وبضيقة بمشيئته التابعة للحكمة السالفة فلس ما يرهقك من الاضافة الا لمصلحة (انه كان به اده خيرا بصيرا) يعلم سرهم وعلمتهم فيعلم من مصالحهم ما ينفع عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى تعالى العالم بالسرار والظواهر فاما العباد فعملهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستوا بسند ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى (ولا تغفلوا اولادكم خيبة اهلاق) مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو ادهم بناتهم مخافة الفقر فتهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال (نكس رزقهم وإياكم ان قتلهم كان خسرا كبيرا) ذبا كبيرا لما فيه من قطع التماسل وانقطاع النوع والخطى الائم يقال خطى خطا بمعنى اثم بآثم وكلاهما ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ بضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وخذر وخذر وحذر

بصواب وقرأ ابن كثير خطأ بكسر الخاء وقح العطاء والمد وفيه وجهان أيضاً الأول ان يكون لغته في خطي والثاني ان يكون مصدر خاطئ بخطي خطأ مثل قاتل يقتل قتالا وخاطئ وان لم يسمع لكنه جاء خطأ وبجيه يدل على وجود خطأ لأن تفاعل مطاوع فاعل كباعده فتباعده وتاولته فتناول في قول الساعر

تخطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه في منقع الماء راسب

القناص الصياد ومنقع الماء بالفتح الموضع الذي يحبس فيه الماء أي قصده الصياد ففر منه وخاطأه فعلى هذا معنى الآية ان الذين يقتلون اولادهم كأن قتلهم الاولاد خطأ أي عدوا لعن الحق والصواب وقرئ خطأ بالفتح والمد وهو اسم مصدر خطأ كالعطاء اسم الاعطاء وقرئ خطأ بفتح الخاء والطاء المنونة اصله خطأ كقراءة ابن ذكوان الا انه سهل الهمزة بإبدالها الفاعل حذفها للسالكين كعصا وقرئ خطأ بكسر الخاء كقرني (قوله الاباحدي ثلاث) اشارة الى ان قوله تعالى بالحق متعلق بلاققتلوا كأنه قيل لا يقتلوا النفس التي عصمها الله تعالى وحقق دعما بالاسلام او بالعهد او بسبب من الاسباب الابان تستحق القتل بارتكاب شيء مما يوجب قتلها الا ان قوله تعالى الابالحق محتمل بسبب فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وان الشيء الذي يستحق المراء بسببه لان يقتل أي شيء هو فضته عليه الصلاة والسلام بقوله لا يحل دم امرئ مسلم الا احدى معان ثلاثة كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق وقوله تعالى ائماجرء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلحوا دل على ان قطع الطريق من جملة الاسباب التي يحل بها دم المراء وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله اقتلوه حيث وجدتموه دل على ان الكفر مع الحرب من جملة الاسباب المبيحة لقتل النفس ومن جملة الاسباب المبيحة للقتل عند الامام الشافعي ترك الصلاة عمدا مجانا معتقدا بفرضتها وعمل اللواطية وقول الساحر قتل فلانا بسحرى والقتل بالثقل فانه يوجب القصاص عنده خلافاً لابي حنيفة في الجمع وبالجملة الاصل في الدماء الحرمه والحمل انما يثبت باسباب عارضة مجتأ لها بين الشارع كيفيتها وقوله تعالى الابالحق بين على سبيل الاجال ان قتل النفس قديح بسبب ما وقد فصل بعض تلك الاسباب بنص القرآن وبعضها بالاحاديث المشهورة (قوله تسلط بالموأخذة بمقتضى القتل) أي بموجب على من عليه لما جعل ثبوت التسلط اولى القتل متفرعا على مجرد كون القتل مقتولا ظلما مع قطع النظر عن كون ذلك القتل عمدا عدوانا موجبا للقصاص او خطأ موجبا للدية جعل الجزاء المتفرع على ذلك الشرط ان قتل عمدا ان ثبت للوارث التسلط بالموأخذة بمقتضى القتل سواء كان ذلك المقتضى ثابتا على القاتل وهو ان يقتص منه او ان يعطى دية القتل فان اولياء المقتول مخيرون بين امرين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية من ماله او كان ثابتا على المأخذة ان كان القتل خطأ ثم اشار الى جواز ان يكون المراد بالتسلط المتفرع عليه التسلط على القاتل بان يقتص منه (قوله فلا يسرف اي القاتل) أي اذا قرر انه تعالى جعل لولى المقتول ظلما تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه فلا يسرف القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فيقتل فيكون قد اسرف في القتل حيث كان سببا لهلاك نفسه وهلاك غيره وفي الارتداد عنه سلامة نفسه وسلامة نفس الغير فعلى هذا يكون الضمير في قوله انه كان منصورا للمقتول أي لا يسرف القاتل المبشدي لان من قتل مظلوما كان منصورا في الدنيا بالجبب القود على قاتله بان يقتص له وليه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه (قوله اوالولى بالثلة او قتل غير القاتل) عطف على قوله القاتل بمعنى يحتمل ان يكون المولى في قوله فلا يسرف ضمير المولى واسراف المولى يكون على وجهين احدهما ان لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع اعضاءه وثانيهما ان لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتل به جماعة غيره وكل ذلك كان يفعله اهل الجاهلية كانوا يقتلون غير القاتل وكذا كانوا يمثلون بالمقتول فنهى عن كل منهما (قوله والضمير المالمقتول واما لوليه) على تقدير ان يكون الحكم المعلن فلا يسرف القاتل (قوله واما الذي يقتله المولى اسرافا) على تقدير ان يكون المعلن فلا يسرف المولى بالثلة وقتل غير القاتل فان الذي قتله المولى اسرافا منصورا بالجبب القصاص على المسرف ان كان اسرافه بالثلة ثم انه تعالى لما نهى عن اتلاف النفوس اتبعه بالثمة عن اتلاف الاموال فقال ولا تقر بوا مال اليتيم الآية وخص مال اليتيم بالذكر لانه لضعفه وكما يحجزه يعظم ضرره بانلاف ماله ونظيره قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم باسرافا وبادرا ان يكبروا أي مخافة ان يكبروا فأخذوا اموالهم منكم ومبادرة في اكله (قوله غاية لجواز التصرف) لانه لا يجوز للوصي ان يتصرف

وقرأ ابن كثير خطأ بالمد والكسر وهو اما لغة فيه او مصدر خاطئ وهو وان لم يسمع لكنه جاء في قوله تخطأه القناص حتى وجدته

وخرطومه في منقع الماء راسب وهو منى عليه وقرئ خطأ بالفتح والمد وخطأ بجذف الهمزة مقوفا ومكسورا (ولا تقر بوا الرئي بالكرم والاتبان بالمفد مات فضلا ان تباسروه (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدة (وساء سبيلا) ونس طريقا طريقه وهو ان تصب على الانضاع المؤدى الى قطع الانساب وتجميع الفتن (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) الاباحدي ثاب كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قبل مظلوما) غير مستوجب للقتل (فقد جعلنا لوليه) للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا بالموأخذة بمقتضى القتل على من قتله او بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوانا فان الخطأ لا يسمى ظلما (فلا يسرف) أي القاتل (في القتل) بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابن فلاتسرفوا وقرأ حزة والكسائي فلاتسرف على خطاب احدهما (انه كان منصورا) علة النهى على الاستئناف والصير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعرفته واما الذي يقتله المولى اسرافا بالجبب القصاص او التعزير والوزير على المسرف (ولا تقر بوا مال اليتيم) فضلا عن ان تصرفوا فيه (الاباتي هي احسن) الا بالطريقة التي هي احسن بان ينجذ او يجره (حتى يبلغ اشده) غاية لجواز التصرف ان الذي دل عليه الاستثناء

في مال الضبي بعد بلوغ اشد اى بعد بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح نفسه وعند ذلك لا تبقى ولاية غيره عليه وذلك حد البلوغ واذا بلغ غير كامل العقل لم تترك الولاية عليه قبل اشد الرجل غير اشد اليتيم وان كان لفظهما واحدا لان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشدته آتياه حكما انما هو الاكتهال وذلك ثلاثون سنة واشد الغلام ان يشتد خلقه وذلك بلوغه ثمانى عشرة سنة (قوله بما عاهدكم الله) على ان العهد بمعنى الوصية والتكليف قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد (قوله او ما عاهدتموه وغيره) على ان يكون العهد بمعنى العقد والالتزام كالنذر والشروع في النوافل والمعاملات الواقعة بين العباد فقتضى هذه الآية ان كل عقد وعهد يجري بين انسانين كعقد البيع والشركة والصلى وغيره فانه يجب عليهما بمقتضى ذلك العقد (قوله يطلب من المعاهد ان لا يضيعه) يعنى ان قولك سألته الشئ معناه طلبته منه وليس المراد من كون العهد مسئولا كون ذاته مطلوبا بل المعنى ان عدم تضييع العهد كان مطلوبا من المعاهد وان المعاهد كان مسئولا سطلو باحتذف المضاف والمضاف اليه وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادا على دلالة المقام على المراد (قوله او مسئولا عنه) فان صاحب العهد اذا سئل لم تكنت العهد وما وفيت به يكون العهد مسئولا عنه فحتذف الجسار واوصل مسئولا الى الضمير (قوله او يسأل العهد لم تكنت) بان يكون ضمير مسئولا راجعا الى العهد وينسب اليه السؤال على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه العهد بمن نكث عهده وسئل عن نكث عهده واستعمل عبارة المشبه به في المشبه اوشبه العهد بمن نكث عهده تشبيها مضرا في النفس ويجعل نسبة السؤال اليه تشبيها للاستعارة بالكناية والاستشهاد بسؤال المؤودة باى ذنب قتلت في مجرد السؤال لان سؤالها بعد الاحياء يوم القيامة وهو سؤال على التحقيق وسؤال العهد على التخييل ولا يكتفى في الكلام على الوجه الاول وانما هو في الوجه الثانى والثالث (قوله ولا تنبع) فان قوله تعالى لا تنفق مأخوذ من قولهم قفوت اثر فلان اقفوه وقفوا وقفوا اذا تبعته اثره وسبقت قافية الشعر قافية لانها تقفو البيت وسمى القفاقا لانه مؤخر بدن الانسان كانه شئ ينبع ويقفوه فعنى الآية لا تنبع ما لا علم لك به من قول او فعل وحاصله يرجع الى التهي عن الحكم بما لا يكون واللقافة جمع قائف وهو من ينبع آثار اقدام الناس ويستدل بها على احوال الانسان كحكم المشركين في باب الاكليات والنوبات بما يقتضونه بسبب تقليد اسلافهم او اتباع اهل انهم رجبا بالغيب (قوله واخرج به من منع اتباع الظن) اى العمل بالقياس بان قال القياس لا يفيد الا الظن والظن يغير العلم بالحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لا يجوز بمقتضى هذه الآية واجاب عنه بان الظن قديمى علما كما في قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فاستنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وامارات تدل عليه وهو لا يفيد الا الظن وقد رأيت انه تعالى سمي هذا الظن علما وقيل انه مخصوص بالعقائد فاللهي عنه هو اتباع الادلة الظنية في الاعتقادات فلا يتنافى جواز اتباعها في العمليات كيف وقد ثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد تكلموا في الحوادث بارائهم وشاوروا في امرهم وولى ابو بكر وعمر رضي الله عنهما اختلاف باجاء الصحابة بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلها عمر شورى ولم يرد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقال انهم فعلوا ما فعلوا وقالوا ما قالوا واختلفوا لمقتضى هذه الآية تاركين اياه فدل على ان قوله تعالى ولا تنفق ما ليس لك به علم ليس فيه الاجتهاد في الاحكام وتشديد الفروع بالاصول المنصوص عليها لان الامة قد اجتمعوا على ان العمل بالظن جائز في صور كثيرة منها العلم بالقنوى فانه عمل بالظن ومنها العمل بالشهادة فانه عمل بالظن ومنها نقص قيم المتلفات وارش الجنائيات فانه لا سبيل اليه الا بالظن ومنها الصلاة على الميت ودفنه في مقابر المسلمين وتوريث المسلم من ابنه بناء على اسلامه وهو مظنون ومنها اكل الذبيحة بناء على اعتقاد انها ذبيحة مسلم وهو مظنون وسند الاجماع في مثل هذه الصورة قوله نحن نحكم بالظاهر وهو يتولى السر آرو ذلك تصریح في ان الظن معتبر في باب العمل فلذلك تخص هذه الآية بالعقائد وقيل انها مخصوصة بالارمى وشهادة الزور ومعناها لا ترم ولا تقبل ما ليس لك به علم نقل عن محمد بن الحنفية ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لا تشهد الا بما رايت عينك وسمعت اذنك ووعاه قلبك ومن هذا القبيل قذف الحصن والحصنة ورميها بالاكاذيب فان بعض الناس يذكرون مثالب الناس ويعيوبهم ويهجونهم ويالئون فيه فالقصود انتهى عنه وعن امثاله ويؤيدكون الآية مخصوصة بالارمى قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله

(واوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكليفه او ما عاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسئولا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه وينبى به او مسئولا عنه يسأل الثالث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم تكنت تيكنت التناك كما يقال للمؤودة باى ذنب قتلت فيكون تضييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا (واودوا الكيل اذا كاتم) ولا ينجسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالبران السوى وهو روى عرب ولا يقدح ذلك في عريية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتكبير ونحوها صار عربيا وقرأ حرة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء (ذلك خير فاحسن تأويلا) واحسن عاقبة تفعل من آل اذا رجع (ولا تنفق) ولا تتبع وقرئ ولا تنفق من قاف اثره اذا قناه ومنه القافزة (ما ليس لك به علم) ما لم يتعلق به علك تقليدا اورجا بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعيا او ظنا واستماله بهذا المعنى شائع

وقيل انه مخصوص بالغناذ وقيل بالزوي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفأ مؤثماً بالس فيه حبسه الله في ردة الجبال حتى يأتي بالخروج وقول الكتيب ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفلوا حواصن ان قفينا (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك) اي كل هذه الاعضاء فاجراها بحري العقلاء (٢٢٤)

لما كانت مسئلة عن احوالها شاهدة على صلاحها هذا وان غلب في العلاء لكنه من حيث اناسم جسع لذا هو يعم القليلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اوائك الايام (كان عنه مسئولا) في ثلاثها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الصبر في عنه لمصدر لا تنف اول صاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى بسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان الابد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفؤاد بقلب الهمة واوابعد الصفة ثم ابدالها بالفتح (ولا تمش في الارض مرحا) اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم الملع وان كان المصدر أكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا للسد وطئت (ولي تبلع الجبال طولا) بتناولك وهوتهم بختال وتعليل للنهي بان الاحتيال حاقة مجردة لا تعود يحدوى لس في التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة في اواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعنى المنهى عنه فان المذكورة ما مورات ومنه وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما منى عنه خاصة وعلى هذا قوله (عندرك مكروها) يدل من سيئة او صفه لها مجعولة على المعنى فانه بمعنى سئ او قدرى به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان اوفى الطرف على انه صفة سيئة والمراد به المغضوب المقابل للرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (بما اوحى اليك ربك من الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته واخيرا للعمل به (ولا تجعل مع الله الها آخر) كرهه للثبته على ان التوحيد مبدء الامر ومنتهاه فان من لا قصده لا يقبل عمله ومن قصد بفعله اوتركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نيته في العقب فقال تعالى (خلق في جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للاستكثار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اثنا)

في ردة الجبال والردغة بفتح الدال وسكونها وبالفن المجعولة الماء والطين والوحل الشديد وفي حديث الجبال عصارة اهل النار وهو في الاصل الفساد وقوله حتى يأتي بالخروج يريد حتى يرجع عما قال اي حتى يخرج من عهده وقول الكتيب

ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفلوا حواصن ان قفينا

الحواصن جمع حاصنة بمعنى محصنة وهي المرأة العفيفة (قوله في ثلاثها) وهي كان عنه مسئولا ولا يبعد ان يخلق الله الحياة والعقل والطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال اليها ويسألها أصرفها صاحبها في الطاعة ام في المعصية ويحتمل ان يكون التقدير ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسئول بناء على ان السؤال لا يصح الا من يكون عاقلانا طقا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فيقال له لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه (قوله اي ذا مرح) اشارة الى ان المرح بفتح الراء مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف والمرح شدة الفرح يقال مرح يرحح مرحا فهو مرح المصدر بفتح الراء والتعنت بكسر هاء والمراد من الآية النهي عن ان يعيش الانسان مشايلا على الكبرياء والعظمة اي لا تمش في الارض تحت لا فتور او قد جاء بكسر الراء وان كان المفعول في الدلالة على المعنى المراد وهي نهى الخشاطب عن المتنى بالكبر والتعظم لان المصدر أكد اي اكثر تشريرا للانصاف بالمرح وفيه بحث لان المصدر انما يكون أكد للاتصاف اذا ترك على حاله كما في رجل عدل واما اذا اول المصدر بقوله ذا مرح كما فعل المصنف فينبذ لا يكون فرق بين انقراء تين ولما كانت مشية المرح مستقلة على شدة الوطأة والتكبر على الارض بمسبه عايتها وعلى انطواء والتعظيم قال تعالى في تعليل النهي عنها انك لن تخرق الارض اي كيف تكبر على الارض ولن تقدر على ان تجعل فيها خرقا وشقا وكيف تعظم وتطاول ولن تبلى الجبال طولا فانه لا يحمى احقر واضعف من كل واحد من الجنادى وكيف يليق بك التكبر (قوله يعنى المنهى عنه) فان الكوفيين وابن عامر لما قرأوا سيئه بضم الهمزة والهاء وتذكيرا للكسبة من غير تنوين باضافة سبي الى الضمير اراجع الى قوله كل ذلك مشيرا بتوليه ذلك الى جميع ما تقدم وفيه السبي والحسن حكم على سبي ما تقدم وهو المنهى بانه كان عندرك مكروها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب سيئه بفتح الهمزة وتاء التانيث منصوبة متبوية فينبذ يكون ذلك اشارة الى ما منى عنه خاصة ويحتمل ان يكون اشارة الى مصدرى قوله تعالى لا تقف ولا تمش وهما مقفومان ليس لك به علم والمشى في الارض مرحا على طر يق قوله تعالى لا فارض ولا بكرعوان بين ذلك (قوله والمراد به المغضوب) جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان هذه الآية دلت على ان هذه الاعمال مكروهة عند الله تعالى والمكروه لا يكون محررا اذ هذه الاعمال لا تكون مرادة لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لا تكون مخلوقة لله تعالى لان كونها مخلوقة لله تعالى يستلزم كونها امر اذله (قوله ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة) وهي الخصال الخمس والعشرون بعضها نواهي وبعضها حكام لان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته واخيرا للعمل به والامر بالتوحيد من القسم الاول وباقي التكليف من القسم الثاني فانها خيرات تعلم لاجل العمل بها (قوله ورتب عليه) اي على قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر ما هو غاية الشرك في الدنيا واولا ما هو نيته في العقب فقال تعالى (خلق في جهنم ملوما) وبين الملوم والمدحور فتقول كونه مذموما معناه ان يذكر ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذا ذكر ذلك له يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذي حلاك عليه وما استغفرت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك فهذا هو اللوم فثبت ان اول الامر هو ان يصير مذموما وآخره ان يصير ملوما واما الفرق بين المدحور وبين المدحور فهو ان المدحور عبارة عن الضعيف يقال تشادلت اعضاؤه اي ضعفت واما المدحور الذي هو المطرود فهو عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال تعالى ويخلد فيه مهبانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانتة وتعميضة الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانتة والاستخفاف به فثبت ان اول الامر ان يصير مخذولا وآخره ان يصير مدحورا ثم انه تعالى لما امر بالتوحيد ونهى عن اثبات الشرك لله تعالى واوعد عليه ان يبعده بذكر فساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى لاسيما كون ذلك الولد اخس الاولاد فقال أفأصفاكم ربكم بالبنين اي اترجمون انه تعالى اختاركم فجعل لكم الصفة ونفسه الاخس بان اختصكم بالبنين واتخذ من الملائكة اثنا وتقولون

(ان)

بنانا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعاداتكم (انكم لتقولون قولوا عظيما) باضافة الاولاد اليه وهي خاصة ببعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم يجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلق اذ ونهم

(ولقد صرنا) كررنا هذا المعنى بوجوه من النقر
(في هذا القرآن) في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا
القرآن ابطال اضافة البينات الىه على تقدير وقد
صرنا القول في هذا المعنى او اوقفنا التصريف
وقرئ صرنا بالتخفيف (ليذكروا) ليذكروا وقرأ
حزبه والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر
الذي هو معنى التذكر (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق
وقلة طمأنينة اليه (قل لو كان معه آلهة كما يقولون)
ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحض عن عاصم
بالياء فيه وفي ما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله
عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو
وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر
الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين
والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم (اذا لا تغوا الى
ذي العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء لول
والمعنى اطلبوا الى من هو ملك سبيلا بالمعازة
كاي فعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه
والطاعة لعلمهم بقدرته وبجزم كقوله تعالى اولئك
الذين يدعون ينفون الى ربهم الوسيلة (سبحانه)
تنزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علوا) تعاليا (كبرا)
متباعدة غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب
الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته
واخذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يتمتع
بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن
وان من شئ الا يسبح بحمده) تنزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل
بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته
(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ايها المشركون لا خلاصكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحصل
التسبيح على المستترك بين اللفظ والدلالة
لاستاده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما يتصور منه
وعليهما عند من جواز اطلاق اللفظ على معنيه وقرأ
ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء (انه كان
حليما) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم
(غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم
ما تقرأ عليهم (مستورا) يذا ستر كقوله تعالى وعد
مأتيا وقولهم سيل مفعوم مستورا عن الحس او يحجب
آخر لا يفهمون

ان الملائكة بنات الله والهمزة في الانكار والتوبيخ والتفضيح باختيار مذهب ظاهر الفساد وقوله تعالى واتخذ
يجوز ان يكون معطوفا على افاصافكم فيكون داخلا في خير الانكار ويجوز ان يكون الواو فيه الحال وقد مقدرة
عند قوم واتخذ يجوز ان يكون متعديا الى اثنين قال ابو البقاء اثنا مفعول اول لاتخذوا ثانياهما محذوف
اي اولادا واختاره المصنف ايضا حيث قال بنات لنفسه ومن الملائكة متعدي باتخذوا ومحذوف على انه حال من
التكرة بعده وفيما ذهب اليه ابو البقاء نظرا لانه يستلزم ان يتبدأ بالتكرة من غير مسوغ لان ما يقع مفعولا اولا
في هذا الباب يجب ان يصح وقوعه مبتدأ او ما لا يصح ان يكون مبتدأ لا يصح كونه مفعولا اولا والظاهر ان يقال
المفعول الثاني هو من الملائكة قدم على الاول كافي قولك في الدار رجل او يقال ان اتخذ ههنا متعديا الى
واحد كافي قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا (قوله كررنا هذا المعنى بوجوه من انشراح) اشارة الى ان
مفعول صرنا محذوف وهو قوله هذا المعنى والمراد به ابطال اضافة البينات الى الله تعالى والمراد من تصريفه
صرف تقريره من وجه الى وجه آخر وتلخيصه نكر تقريره وتبينه بوجوه مختلفة في مواضع من التنزيل (قوله)
ويجوز ان يراد بهذا القراءة ابطال اضافة البينات الىه تعالى (بان يطلق القراء ان على المعنى بطريق اطلاق اسم
الدال على المدلول وحينئذ يقدر لصرفنا مفعول وهو القول ووجه ظرفية هذا المعنى لتصرف القول كونه محلا
لتغيير القول وصرفه من اسلوب الى اسلوب اخر (قوله من الذكر الذي هو بمعنى التذكر) وهو ان تفكر والتأمل
فان الذكر قديميحيى بهذا المعنى كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والتذكر الاعتبار والاتعاظ قال
الواحدى التذكر ههنا استبد من الذكر لان المراد منه التذكر والتدبر وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد
النسيان ثم ان المقصود من التذكر والاتعاظ ان تلمس قلوبهم الى هذا المعنى الذي كرر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة
قوله وما يزيدهم الا نفورا فان النفور مقابل للطمأنينة كانه قبل كررنا القول في هذا المعنى او كررنا هذا المعنى
في القرآن المنزل ليتعظوا ويطمئنوا اليه فايزيدهم الانفوار وفيه تعكس بما ينبغي من حيث ان حق هذا التكرير
ان يزيدهم اتعاظا وطمأنينة قلب ومع هذا قد زادهم نفورا وعنادا والكاف في قوله تعالى كما تقولون في محل التصب
على انه صفة مصدر محذوف اى كونا مثل قولكم وقوله تعالى عطف على ما تضمنه المصدر تقديره تنزهه وتعالى وعن
متعلقة به (قوله حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته) هذا التعليل مبنى على ان قوله
تعالى يسبح استعارة تبعية شبه دلالة ما ذكر على تنزيهه الله تعالى عما لا يجوز عليه من لوازم الامكان وتوابع الحدود
بالسبح فاستعمل يسبح مكان يدل كافي قولهم نطق الحال لما بطل الله تعالى قول الذين قالوا الملائكة بنات الله
وتنزه ذاته عما نسبوا اليه عقبه بقوله تسبح له السموات السبع دلالة على ان الاكوان باسرها دالة شاهدة بتلك التزاوة
ولكن ايها المشركون لا تفهمون دلالتها عليها لا خلاصكم بالنظر الصحيح (قوله ويجوز ان يحمل التسبيح الح)
عطف على ما سبق من حيث المعنى فان التسبيح الحقيقى وعموان قول المسيح بلسانه سبحانه الله مثلا لما يتصور
من الجادات لتوقفه على الفهم والنطق حل التسبيح اولا على الدلالة على وحدانية الله تعالى وتنزهه عما لا يليق
بالالهوية تسبيها لدلالة الحال بالتسبيح الحقيقى والتسبيح بهذا المعنى المجازى حاصل في جميع الموجودات والحى
المكلف كما يسبح الله تعالى بهذا التسبيح المجازى يسبحه ايضا بالقول ثم قال ويجوز ان يحمل التسبيح على عموم
المجاز بان يراد مطلق الدلالة سواء كانت دلالة الحال او دلالة اللسان لاستداده الى ما يتصور منه اللفظ وهو الملائكة
والشفلان وانى ما لا يتصور منه ذلك وهو السموات والارض ولا يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا الا عند من يجوز
كون البكالة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر
يسبح بالياء) اى الياء المنقوطة من تحت لاستناد الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى ولوجود الفصل بين الفعل
وفاعله المؤنث والباقر بناء التأنيث (قوله حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم) جواب عما يقابل
كيف يصح ان يجعل خطاب لا تفقهون للمشركين ولا يخاطب بالحلم والمغفرة الا المؤمنون وتقرير الجواب ان
قوله تعالى انه كان حليما استئناف في موضع التعجب كانه قيل ما احله واعظم غفرانه حيث يعلم من هؤلاء العائدين
ما هم عليه ثم لا يعاجلهم بالعقوبة (قوله مستورا ذاك ستر) على ان مستورا من باب النسب كقولهم
مكان مهول وجارية مغنوجة اى ذو هول وذات غنج ورجل مرطوب اى ذو رطوبة وكان وعدة ما تيا بمعنى
ذى آتيا لانه يؤتى اليه وسيل مفعوم بفتح العين اى ذوملى لانه ملوء فان السيل مفعوم بكسر العين والواو مفعوم

ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا
 ما ارسل عليهم من الايات بعد ما نفي عنهم التفقه
 للدلالات النصوبية في الانفس والافاق تقريرا له
 وبما لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به
 بقوله (وجعلنا على قلوبهم اكنة) تكفها وتحول دونها
 عن ادراك الحق وقوله (ان يفقهوه) كراهة
 ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا للمل عليه قوله
 وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه
 (وفي آذانهم وقرا) يمنعهم عن استماع استماع في
 لفظه وتدبر في معناه ولما كان القرآن مجزأ من حيث
 اللفظ والمعنى اثبت لتكريره ما يمنع عن فهم المعنى
 وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده)
 واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال
 واصله تحدد وحده او بمعنى واحدا وحده (ولو اعلی
 ادبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد ونفرة
 وتولية ويحوز ان يكون نافر كفاعد وعود (نحن
 اعلم بما يستمعون به) بسببه ولاجله من الهزؤ بك
 وبالقرآن (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وكذا
 (واذ هم نجوى) اي نحن اعلم بفرصهم من الاستماع
 حين هم مستمعون اليك مضمرين له وحين هم ذوو
 نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون
 جمع نجوى اذ يقول الطالمون ان تبعون الارجلا
 مسحورا) مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على
 وضع الطالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيتهم
 بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذي سحر به
 فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الارجلا
 يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (انظر كيف ضربوا
 لك الامثال) مثلوك بالثأر والساحر والكاهن
 والجنون (فضاوا) عن الحق في جميع ذلك
 (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيهم فتون
 ويخطون كالخبر في امره لا يدري ما يصنع اوالى
 الارشاد (وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا) وخطاما (ائذا
 لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين
 غضاضة الحي وبوسة الميم من المباحدة والمناقة
 والعامر في اذا ما دل عليه مبعوثون لانفسه لان ما بعد
 ان لا يعمل فيما قبلها وخلقها مصدر او حال (قل)
 جوابا لهم (كونوا بحجارة او حديد او خلقا مما يكبر
 في صدوركم) اي بما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه
 ابعدي منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيايتكم
 لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم
 عظاما مر فوثة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة
 قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (فسيقولون
 من يعيدنا قل الذي فطرنا اول مرة) وكنتم ترابا
 وما هو ابعده من الحياة (فسيقولون اليك رؤسهم)
 فسيبر كونها نحوك نجبا واستهزاء

بفتح العين الجوهرى اللفظ المتلى يقال ساعد فم وافقت الالة ملائته وافهم المستك البت ملائته ويرجحه بالحجاب
 ليس بمستور بل المستور ما وراءه فلذلك جعل المستور للنسب ويحتمل ان يكون توصيف الحجاب بكونه مستورا
 عبارة عن كونه غير مرئي على طريق اطلاق المألوم وارادة لازمه لان ما يكون مستورا يلزمه ان لا يرى (قوله
 اي حجاب آخر) بان يكونوا محجوبين بالحجاب الاول عن فهم ما يقرأ عليهم وبالحجاب الثاني حجوا عن فهم كونه
 محجوبين عن فهم ما تلى عليهم وهو قوله لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون (قوله نفي عنهم ان يفهموا
 ما ارسل عليهم) بيان لوجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وذلك انه تعالى ابطل مقالة المشركين ونزه نفسه عما نسبوا اليه
 تعالى ثم قال تسبح له السموات السبع الآية على معنى ان جميع الكائنات تدل على تنزيهه عن جميع لوازم الامكان
 والحدوث ولكن لا تفقهون الدلالات النصوبية في الانفس والافاق ثم قرر ذلك بقوله واذا قرأت القرآن الآية
 وقوله تعالى ان يفقهوه اما مفعول به بتقدير المضاعف او مفعول به على تقدير منعناهم ان يفقهوه للدلالة الجملة على
 قوله ومنعناهم (قوله واصله تحدد وحده) خذف الفعل الذي هو تحدد واقیم المصدر مقامه ولو قيل المصدر بمعنى
 اسم الفاعل كانه قيل واحدا لكان له وجه (قوله هربا ونفورا وتوليدا) الاول على ان يكون انتصاب نفورا على انه
 مفعول له اي تركوا مجلس الذكر هربا عن استماعه والثاني على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لان التولي
 والنفور بمعنى وان كان جمع نافر يكون حالا من فاعل ولو افا لكفار كانوا عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا
 من القرآن ما ليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهورين متحيرين لا يفهمون منه شيئا واذا سمعوا آيات فيها ذكر الله تعالى
 وذم المشركين تركوا ذلك المجلس وولوا هاربين ثم ان القوم لما وصفوه عليه الصلاة والسلام بكونه مسحورا فاسد
 العقل ذكر ما يدل على فساد عقله عليه الصلاة والسلام بحسب زعمهم وهو قولهم انه عليه الصلاة والسلام يدعى
 ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورفاتا يعود حيا طريا كما كان فحكي الله تعالى عنهم ذلك تجهيلا لهم وابطالا لافاتهم
 فقال وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا قال الواحدى الرقت كسر الشئ بيدك تقول رفته وارفت على وزن جبرته
 واجبرته بكسر العين في المضارع اذا كسرت كما يكسر المدر والعظم البالي والرفات الاجزاء المنفصلة من كل شئ
 يقال رفت رفاتا فهو مر فوت مثل حطم حطما فهو محطوم وزنا ومعنى والخطام اسم بمعنى المحطوم كالجلذا
 والرضاض والفتات (قوله وخلقنا مصدر) اي على غير لفظ الفعل اي اثناء مبعوثون بمناجيد او حال بمعنى مخلوقين
 فالقوم لما استبعدوا ان يردوا الى حال الحياة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا ثانيا يجعلها حية عاقلة كما كانت والدليل
 على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل على خلاف ما زعموا من امتناع العظام المرفوثة عن قبول
 الحياة لعلية اليبس عليها اجابهم الله تعالى بما معناه تحولوا واعدوا واعد الموت الى اي صفة تزعمون انها شدة
 للحياة وابتعد عن قبولها كصفة الحجرية والحديدية ونحوها بما هو ابعد من قبول الحياة بالسبب الى حال كونكم
 عظاما مر فوثة في صفة الحياة والعقل والادراك ونحوها بما هو لازم الحياة فانه تعالى يعيد الحياة اليها اذ لو لم تكن
 قابلة لها لما قبلت اياها في اول الامر والدة العالم عالم بجميع الجزئيات فلا تشبه عليه اجزاء بدن زيد المطيع باجزاء
 بدن عمر والعاصي وقادر على المكثات واذا ثبت ان عود الحياة الى تلك الاجزاء ممكن قطعا سواء صارت عظاما
 ورفاتا او صارت شيئا ابعده من العظام المرفوثة في قبول الحياة نحو ان تصير بحجارة او حديد او قوله تعالى كونوا بحجارة
 ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما اعجزتم الله تعالى عن الاعادة وذلك كقول اقبال الرجل التلومنى
 وتلفظ على وانا فلان فيقول كن من شئت يكن ان الخليفة فاطم منك حتى فكذا المعنى ههنا كونوا على اي صفة
 كانت فاعادة الحياة اليكم ممكنة (قوله فسيبر كونها) يقال انفض رأسه ينفضه انفضا اذا حركه إسكرا
 او استبعادا واما انفض ثلاثيا ينفض يفتح العين وضمها فغناه تحرك وهو لا يتعدى (قوله وان يكون اسم عسى
 او خبره والاسم مضمر) اعلم ان عسى يرفع الاسم وينصب الخبر نحو كان كقوله عسى الغور يا بؤسا وعسى صابغا
 الا ان خبرها في الاغلب يكون ان مع الفعل نحو عسى زيد ان يخرج فان زيدا فيه مرفوع على انه اسم عسى وان
 يخرج منصوب المحل على انه خبرها والتقدير عسى زيد الخروج اي اذا الخروج واخرج الى تقدير المضاعف الا
 يلزم كون الحديث خيرا عن الجنة وتستعمل على وجه آخر وهو ان تتم مرفوعها الى الذي كان منصوب المحل
 في الاستعمال الاول وتستغنى عن خبرها لاشتغال الاسم على المنسوب والمنسوب اليه نحو عسى ان يخرج زيد فالآية
 التي نحن فيها يحتمل ان يكون اسم عسى فيها راجعا الى البعث وتكون كلمة ان مع ما في خبرها خبر عسى كافي بقوله عسى

زيدان يخرج والظاهر ان يكون ضميرا للفظ يكون اثنامة ويكون التقدير عسى البعث ان يقع في زمان قريب وان يكون قوله يوم يدعوكم بدلا من قريبا والمعنى عسى ان يقع البعث يوم يدعوكم وهو يوم النفخة الاخيرة ويحتمل ان يكون منصوبا باذكر جعل قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيون بحمده مجازا على طريق التمثيل كما في قوله كن فيكون لان حقيقة الدعاء والاجابة غير معقول في حق الاموات فاظهاره ادعاء ههنا والاجابة ولا خطاب ولا مخاطب شبه حال المكلفين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم النفخة الاولى ومطابقة الجميع لارادة الباعث وانبعاثهم انبعاث شخص واحد متفاد لا امر الا امر المطاع بالدعوة والاجابة فغير عن الحالة المشبهة بالعبودية عن المشبهة والاستجابة في الاصل موافقة الداعي في اداء اليه وهي الاجابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهو او كد من الاجابة وقد ورد في الاخبار ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام يقوم على حفرة بيت المقدس يدعو اهل القبور في قرن يقول ايها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون وظاهره يدل على ان الدعاء القول والاجابة اجابة القول والعمل فلا ينبغي لنا الا ان نقول آمنت بالله وبما جاء من عند الله على امراد الله وآمنت بالله وبرسول الله وبما جاء من عنده على امراده وقوله بحمده حال من فاعل تستجيون اي تستجيون لمنسبين بحمده (قوله وتستقصرون مدة لبثكم في القبور) ينبغي ان يراد من اللبث في القبور لبثهم فيها بين الفئتين الاولى والثانية فانه يراد عنهم العذاب في هذا الوقت كما روى عن ابن عباس انهم لما بعثوا وعانوا احوال القيامة استقصروا مدة لبثهم في القبور فبينما بين الفئتين استقصار من امانة الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما وبعض يوم واما قلنا هذا لان الكلام مع من ينكر البعث ويقول متى هو فلا جرم ان يكون هو في العذاب الشديد من حين مات فكيف يمكنه ان يستقصر جميع تلك المدة كالذي مر على قرية فان من كان مبتلى بالعذاب الشديد في القبر فلا يستقصر مقامه فيه يوم بعثه الله فيبعث الا ان يقال يوم البعث والانبعاث يوم عمدتناول الزمان الذي قاسى فيه شدة عذاب النار واهواله فان من عاينها وابتلى بها يصح منه ان يستقصر مدة لبثه في القبر ويستحق ما ابتلى به فيه بالنسبة الى ما ابتلى به بعد البعث فان من كان في بلاد وشدّة اذا نزل به ما هو اشد منه واعظم استقصرا ما كان فيه قبل ذلك فكذا المسرك اذا عاين عذاب القيامة واهوالها استقصرا ما كان فيه من العذاب في القبر ونسى ذلك ثم انه تعالى لما بين صحة المعاد بقوله قل الذي فطركم اول مرة امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول للمؤمنين اذا اردتم ايراد الحجج الدالة على صحة الحشر والمعاد على الخلفين فاذكروا تلك الدلائل والحجج بالطريق الاحسن وهو ان لا يكون ذكرها مخلوطا بالتمسك والسبب اذ لو اخلط بذكرها شيء من السبب لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تنسوا الذين يدعون من دون الله فيسوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب وتكامل الثرة ويمتنع حصول المقصود بخلاف ما اذا اقتصر على ذكر الحجج بالطريق الاحسن الخالي عن التمسك والاذناء فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر في القلب تأثيرا شديدا (قوله تفسير للتي هي احسن) فيكون المراد بقوله قل لعبادي الذين آمنوا ويكون قوله ربكم اعلم بكم خطابا مع الكفار على انه مقول لقوله يقولوا وقوله التي هي احسن توطئة وتهيد له وقوله وما ارسلناك عليهم وكلاما للتنذيل لمجموع مجادلته مع المشركين فامر المؤمنين بها من لدن قوله وقالوا انذا كنا عظاما الى ههنا ويكون المعنى ايها المشركون ان يشأ ربكم يرجحكم بان يوفقكم للايمان والمعرفة وان يشأ يعذبكم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك المشقة غائبة عنكم فاجتهدوا انتم في طلب الدين ولا تصروا على الجهل والباطل لئلا تصروا اخر ومن من السعادات الابدية وقوله ان الشيطان يزعجهم اعتراض بين المفسر والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم بكم قال بعده وربكم اعلم بمن في السموات والارض بمعنى ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض التبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل وخص كلانهم بما يقتضيه علمه ومشيئته فيه فلم يعد ايضا ان يؤتى خاتم النبيين القرءان وبفضله على جميع افراد نوع الانسان وان يخص اصحابه العراة الجوع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه تعالى لا ينتظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية وانما ينظر الى طهارة الباطن واستعداده للتخلي بالفضائل النفسانية والمعارف الذوقية الربانية والحاصل انه تعالى رد اولا على المشركين في استبعادهم البعث يقولهم انذا كنا عظاما ورفاتا انما لمبعوثون وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يحثيهم ويجادلهم بالطريق الذي امر به

الله

(ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا) فان كل ما هو آت قريب واتصاه على الخبر والظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مصر (يوم يدعوكم فتستجيون) اي يوم يستجيبون فتنبهون استعارة لهما الدعاء والاستجابة للتسوية على سرعتهما وتيسر امرهما وان لمقصود منها الاحضار للحجاسة والجزاء (بحمده) حال منهم اتي حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفذون الزاب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او متقادين لبعثه انقياد الخادمين عليه (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول (وقل لعبادي) يعني المؤمنين (يقولوا التي هي احسن) الكلمة التي هي احسن ولا يخفى ان المشركين (ان الشيطان يزعج بينهم) يخرج بينهم المرء والشرف لعل الخساسة بهم تقضي الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهرا وعدوا (ربكم اعلم بكم) ان يشأ ربكم او ان يشأ بعدكم (تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا اللهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يحجمهم على التمرع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه

ثم امر المؤمنين بان يجادلوا معهم بالطريقة التي هي احسن ولا يخاشنهم لئلا يفوت المقصود ثم قال في آخره فكيف تخاضتهم انت والمؤمنون وما ارسلناك تقسهم على الايمان ثم انه تعالى رد على المشركين في استبعادهم امر النبوة بعد الدرد عليهم في استبعادهم العث بمثل قولهم كيف يكون نبيهم ابى طالب ويكون العراة الجوع اصحابه فقال وربك اعلم بما في السموات والارض على معنى انهم ان كانوا لا يعلمون وجده استحقاق النبوة واستحقاق اصحابك للتقدم في اتباعك والاهتداء لديك فاعلم ان ربك اعلم باحوال من في السموات والارض وبما آتى كل واحد منهم من الفضل والتقدم ولذلك لا تتفاوت مراتب الانبياء في الاتصاف بالملك وتشديد القصور والباق حتى ان داود عليه الصلاة والسلام مع كونه ملكا عظيما لم يذكر الله تعالى ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب التنبيه على ان المراد من تفضيل بعض النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم والديس والفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمية لا بالمال والجاه فظهر بما ذكر من التقرير ان المراد منه البعض المطلق والكلام مسوق لتقرير ما اجل في قوله وربك اعلم بما في السموات والارض فان علمه بمن فيه ما عبارة عن ان الله تعالى بما يحصل منهم من فضله على حسب علمه بحاله ومشيئته في حقه وقوله وآتيناه داود وزبورنا ما ذكر في هذا المقام التنبيه على ان المراد بتفضيل بعض الانبياء على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم الدينية لا بالمال وسعد المال حتى انه تعالى لم يتعرض لشي من فضائل داود عليه الصلاة والسلام سوى ما شرفه من آياته الزبور (قوله وقيل هو) اي قوله تعالى ولقد فضلنا الآية اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قيل ان المراد بالعص المعهود نبينا وذكر هذا المعطوف في مقام تبينه وكان ان زبور مشتق من تفضيله وهو انه عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء وان امته عليه الصلاة والسلام خير الامم فان ذلك مكتوب في زبور داود عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون والمراد بهم نبينا صلى الله عليه وسلم وامته فكان عطفه عليه تذييل على وجه تفضيله (قوله وتذكروه ههنا) يعني ان الزبور علم لكتاب داود عليه الصلاة والسلام فكيف عرف تارة ونكر اخرى والتعريف العلمي يعني عن التعريف اللامى واجاب عنه اولاً بأنه ليس من الاعلام المرتجلة بل هو من الاعلام المنقولة فانه منقول عن اسم صفة كحتم وعباس او عن اسم معنى كفضل لاه اسم فعول بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر كقبول وبعد ما نقل الى العلمية جاز تعرفه تلخيصا واشارة الى اصله وجاز تذكره اعتبارا لعلمية كعباس والعباس وفضل والفضل وثانياً بأنه ليس من الاعلام بل هو اسم جنس بمعنى الزبور وهو المكتوب فاذا اراد به المعبود المعين يحتاج الى تعريفه بالاسم كما في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وان اراد به فرد من جنس الزبور عظيم الشأن كامل في كونه كتابا يستعمل نكرة كما في قوله تعالى وآتيناه داود وزبوراً وكذا ان اراد به قطعة من قطع الزبور المعهود بان يكون الزبور اسما مشتركا بين الكل والبعض كما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه كما يطلق على بعض القرآن قرآن فلما قصد به فرد بما يصدق عليه زبور بمعنى قطعة من الزبور نكر كما في قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى (قوله انها آلهة) اشارة الى ان كل واحد من مفعول زعمت محذوف لدلالة المقام عليه اي زعمتموهم آلهة او زعمتم انها آلهة (قوله كالملائكة والمسح وعزير) لم يذكر الاصنام لانه تعالى قال في صفتهم اولئك الذين يدعون يتعون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يلبق بالاصنام البتة فينبغي ان تكون الآية نازلة في قوم عبدت الملائكة من المشركين الرافعين انه ليس لنا اهلية ان نستغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى وهم الملائكة فأتخذوا للملك الذي عبده تمثالا وصورة واستغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعمهم انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الآية احتجاجا على بطلان قولهم ووجه الاحتجاج ان الاله المعبود هو القادر على ازالة الضرر وايصال النفع والاشياء التي يعبدونها لا يقدر على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع وغاية شأن الملائكة انهم عباد مكرمون لا يستبقونه بالقول وهم بامرة يعملون فوجب القطع بان شيئا منها ليس باله وروى عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت في الذين عبدوا المسح وعزير والملائكة والسمس والقمر والحجور وفي الوسيط قال المفسرون ان المشركين من قرين واهل مكة اضاعهم فخط شديد سبع سنين حتى اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل ادعوا الذين زعمتم اي ادعيتهم انها آلهة من دون الله (قوله هؤلاء الاكهة يبتغون) اشارة الى ان اولئك مبتدأ يشير الى الذين زعمهم المسركون انهم آلهة من دون الله وقوله الذين يدعون صفة للبتدأ وفاعل

(وما ارسلناك عليهم وكلاما) موكولا اليك امرهم تقسهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا ودارهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايدائهم فسكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلات وقيل شتم عمر رجل منهم فزله فامر الله بالهفو (وربك اعلم بما في السموات والارض) وباحوالهم فيختار منهم لنبوتهم ولايتهم من يشاء وهو رد لاستبعاد قرين ان يكون نبيهم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمية لا بكثرة الاموال والابحار حتى داود عليه السلام فان شرفه عما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيد من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتيناه داود وزبوراً) تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خيرا لامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من الارض يرثها عبادي الصالحون وتذكيره ههنا وتبريقه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقول ويؤيده قرآنه حجة بالضم وهو كالعباس او الفضل اولان المراد وآتيناه داود بعض الزبور وبعضا من الزبور فيذكر الرسول عليه الصلاة والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهة (من دونهم) كالملائكة والمسح وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض واغفر والقمط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (اولئك الذين يدعون يتعون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الاكهة يتعون الى الله القربى بالطاعة (ايهم اقرب) بدل من وايتعون اي يتغنى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرحون رحته ويتخفون عذابه) كسائر العباد فكيف ترعون انهم الهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة

يدعون ضميم المشركين وعابد الصلوة مخذوف والمعنى اوثك الالهة الذين يدعونهم المشركون لكسف ضرهم
او يدعونهم الالهة فتعولها اومعولها مخذوفان ويتقنون خيرا ليتبدأ والوسيلة القربة وايهم موصولة بمعنى
الذي حذف صدر صلتها وهي بدل من الضمير في يدعون والتقدير ما ذكره بقوله يتقنى من هو اقرب منهم الى الله
الوسيلة اى التقرب اليه تعالى فكيف بغير الاقرب (قوله بالموت والاستئصال) فان الهلاك قد يستعمل في الموت
كقوله تعالى ان امرؤ هلك اى مات عن قتادة انه قال هذا قضاء من الله تعالى كما سمعت ليس منه يد اما ان يهلكنا
يعوت كقوله كل نفس ذائقة الموت اوق يهلكنا بعذاب متئصل اخترکوا اخره وكذبوا رسله حل الهلاك على
الامانة من غير تسليم احد على الميت والتعذيب الشديد على الهلاك بعذاب الاستئصال وقال الزجاج ما من
اهل قرية الاوتستهمك اما يموت واما بعذاب يستأصلهم وقال مقاتل اما المؤمنة الصالحة فبالموت واما الطالحة
فبالعذاب وهذه كلمات متقاربة سكت المصنف عنها لانه تعالى جعل التعذيب قسيما لالهلاك فلا بد ان يكون ادنى
حال من الهلاك وعليه فلا وجه لجله على عذاب الاستئصال بخلاف قتل الرؤساء واصابة انواع البلاء فانه ادنى
حال من اهلاك الاستئصال والله اعلم لما قال تعالى في الآية المتقدمة ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية
مع اهلها لابد ان يرجع حالها الى احد امرين اما الهلاك واما التعذيب وقيل المراد من قوله وان من قرية قرى
الكفار ولابد ان يكون عاقبتها احدا لاهرين اما الاستئصال بالكلية وهو المراد من الهلاك واما العذاب الشديد
من قتل كبرائهم وتسليم المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الاموال واخذ الجزية فخصير القرى كلها في حكم اهل
الاسلام على ما قال بعض اهل التأويل في قوله تعالى اولم يروا اننا انشأنا الارض ننقصها من اطرافها لا يزال ينقص
اهل الكفر قرية قرية وبلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ربي تلى الارض قرأيت مشارفها ومغاربها وسيلغ ملك امتي ما روى لي منها فذلك والله اعلم تأويل قوله
تعالى الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا اى تلك اهل الكفر ويحتمل ان يكون المراد من
الآية انه يغنى جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض مستوية لانه فيها ولا ارتفاع حيث قال كل من عليها
فان وقال ويسألوك عن الجبال فقل ينفخ فيها زبى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا إنمنا وقال ويست
الجبال بسافكانت هباء منبثا ونحو ذلك وجميع ذلك يدل على انه لا يبقى عليها احد ولا بناء قصير كلها صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا انمنا فذلك هلاكها وتعذيبها والله اعلم كذا في شرح التأويلات (قوله واستوجبوا الاستئصال)
وذلك انه تعالى قد انزل ابا نرسالة كل رسول من الآيات والحجج بالاحتجاج الامة بعدها الى انزال آية اخرى فاذا
سألوا شيئا من الآيات بعد ذلك يكون ذلك السؤال سؤال تخت وعندا لا سؤال استرشاد واستهداء وقد جرت سنة
الله تعالى على ان كل من سأل تعنا ونمرداشيا من الآيات واظهر الله تعالى ما سأل ولم يعتبر بها وكفر بعد رؤيتها
ولم يؤمن بسببها يحل بهم عذاب الاستئصال الا ترى ان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام سألوه ان يسأل ربهم ان
ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية فسأله فاخبره الله تعالى انه ينزلها عليهم ثم اخبرهم ان كفر منهم بعد انزالها
عليهم فانه يعذبه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين وذلك لان سؤالهم كان منياعلى التردد والعناد روى ان اهل مكة
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله تعالى لهم الصفاذها وان يزيل عنهم الجبال التي حوالى مكة حتى
يزرعوا تلك الاراضى فطلب عليه الصلاة والسلام ذلك من الله تعالى فقال تعالى ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط
ان كفر والهلكتهم فقال عليه الصلاة والسلام لا اريد ذلك فزلت هذه الآية وكانت كفار قريش يقترحون عليه عليه
الصلاة والسلام انها معجزات قاهرة غير ذلك مثل قولهم لن تؤمن لك حتى تفجرنا من الارض ينبوعا وقولهم له
عليه الصلاة والسلام انك تزعم انه كان قبلك انبياء فنفهم من سخرت له الرمح ومنهم من كان يحى الموتى فانتبش من
هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما معنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون اى ما معنا ان نرسل
بها الا لعنا بان الآخرين يكذبون بها كما كذبت بها الاولون فبستوحون بذلك التكذيب عذاب الاستئصال
على ما جرت عليه السنة الالهية وقد سبق من وعده انه لا يهلك هذه الامة بعذاب الاستئصال رحمة وفضلا وتكرما
لبيهم الذى ارسله رجة للعالمين بل اخر جزاءهم الى يوم القيامة (قوله بينة ذات ابصار) اشارة الى ان
مبصرة حال من الناقة والاستاذ مجازي لان الابصار قائم بمن اعتبر بها واستدل والناقة سبب ابصار الحق وتصديق
الرسول فقوله مبصرة بانه النسبة اى بينة ذات ابصار على معنى انها فيها ابصار المان تأملها يبصر بسببها الحق اوى بينة

(وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة)
بالموت والاستئصال (او معذبوها عذابا شديدا)
بالقتل وانواع البلية (كان ذلك في الكتاب) في الاصح
المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما معنا ان نرسل
بالآيات) وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها
قريش (الا ان كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين
الذين هم امثالهم في الطمع كعاد وثمود وانما لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال
على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان
فيهم من يؤمن اوبلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم
الملككة بتكذيب الآيات المقترحة فقالي (وآيتنا ثمود
الناقة) بسؤالهم (مبصرة) بينة ذات ابصار اوبصرة

اوجع عليهم ذوى بصائر وقرى بالفتح (فظلموا بها)
فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقربها
(وما نزل بالآيات) اي الآيات المقترحة (الاتخوفا)
من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا انزل او بغير
المقترحة كالعجرات وآيات القرآن الاتخوفا عذاب
الآخرة فان امر من بعث اليهم مؤخر الى يوم القيامة
والباء من يده او في موقع الحلال والمفعول محذوف
(واذا قلنا لك) واذا ذكرنا اذ وحيا اليك (ان ربك احاط
بالناس) فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى
اهلكهم من احاط بهم العدو فهي بشارة بوقعة بدر
واته ير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه (وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك) ليلة المعراج وتعاقي به من قال انه كان
في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرويا بالرؤية
او عام الخديبية حين رأى انه دخل مكة وفيدان الآية
حكى الان يقال رآها بمكة وحكاها حيث نزل ولعله
روى اياها في وقعة بدر لقوله اذ يريكم الله في ثمامك
قليل ولا روى انه لما ورد ما قال لك اني انظر
الى مصارع القوم هذا مصرع نزل وهذا مصرع
فلان قسا معت به قریش واستخبر وامنه وقيل
رأى قوما من غمامة يرقون منبره ويترنون عليه نزل
القرءة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم
وعلى هذا كان المراد بقوله (الا فتنة للناس)
ما حدث في ايامهم (والسجدة الملعونة في القرآن)
عطف على الرويا وهي شجرة الرقوم لم اسمع المشركون
ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الحجيم تحرق
الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يملوا ان من قدر
ان يحصى وبر السندل من ان تأكله النار واحشأه
النعامة من اذى الحجر وقطع الحديد الحمة الحجر التي
تنبلعها قدر ان يخاف في النار شجرة لا تحرقها ولعنوها
في القرآن لعن طعنها ووصفت به على الجزل للبالغنة
او وصفها بانها في اصل الحجيم فانه ابعد مكان
من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعم
ملعون ذلك كان ضارا وقد اوت بالسيطان وابى جهل
والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء
واخبر محذوف اي والسجدة الملعونة في القرآن
كذلك (ونخوفهم) بانواع التخويف (فايزيدهم
الاطيانا كبيرا) الاعتوا بجوارحهم

ذات بصائر وهو جمع بصيرة بمعنى الحجة الواضحة وتسمى بصيرة على الاستدلال المجازي لكونها سببا لا بصارا والناقصة
وان كانت شدة واحد الكثرة مستتمة على آيات كثيرة من ظهورها من العشرة الصماء وظهور سقمها عقيب خروجهما
وعظم ضررهم او كثرة درها وغير ذلك (قوله اوجاعلهم ذوى بصائر) اي حجج (وقرى بالفتح) اي بفتح الميم والصاد
بمعنى محل ابصار كقوله عليه الصلاة والسلام الولد بفحلة محنة اجراء لها مجرى الامكنة على طريق
ارض مسبعة (قوله اي الآيات المقترحة) وان اصل الآيات يظهرها الله تعالى لان يستدل بها على صدق مدعى
النوبة واما الآيات التي اقترحتها قوم بعد ظهور ما يكون كافي في الدلالة على صدق المدعى فليس ارسالها لاجل ان
يهتدى بها القوم لكونهم معاندين غير طالين للرشد وانما يرسلها الله تعالى لاجل ان يخافوا من نزول العذاب
المستأصل ويعدوها كخدمة الجيش وطلعت عن حيث معانيتهم كمال قدرة الله تعالى حال تعنتهم ومخالفهم امره
(قوله او بغير المقترحة) فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدعى فكيف
قيل اس المقصود من اظهارها الاتخويف فالجواب ان ظهور الآيات الخارقة للعادة انما يؤدي الى التصديق
والايمان من حيث دلالتها على ان من لم يتفكر فيها ولم يستدل بها على الصدق يستحق العذاب الشديد فهذا
الخوف هو الذي يحمله على التفكير والتأمل في تلك المجزة والباء في قوله بالآيات امام من يدعى بالمفعول او التقدير
وما نزل الرسل ملتبس بالآيات والمجرات الاتخويفا وقوله تعالى واذا قلنا لك كانه جواب عما خطر بباله عليه
الصلاة والسلام من ان عدم ارسال ما اقترحه القوم من الآيات يوجب ان يزداد عنادهم الى حيث عنعه
من تبليغ رسالته وظهار دينه كانه قيل لا تنهونهم ذلك واذا كرما وحي اليك ربك من ان الناس في قبضة قدرتي
انصرك واصصمك منهم على ما انت عليه (قوله او عام الخديبية) عطف على قوله ليلة المعراج اي المراد رؤياه التي
رآها في عمرة الخديبية فانه عليه الصلاة والسلام رأى ان يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع من البيت
الحرام عام الخديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم حتى قال عن لابي بكر رضى الله تعالى عنه ما قد اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اننا دخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبر انا فاعل ذلك في هذه السنة وستفعل ذلك
في سنة اخرى فلما جاء العام المقبل دخلها فآل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وكون الواقعة مدنية
لا ينافي كون رؤيتها حاصلة في مكة كما ان ماراة ليلة المعراج كان فتنة للناس من حيث انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر
لهم قصة الاسراء كذبه وكفر به كثير من كان قد آمن به وازدادوا لمصون ايمانا (قوله ولعله روى اياها في وقعة
بدر) وما قيل من ان تلك الواقعة مدنية والسورة مكية فجوابه ما ذكرنا من ان كونها مدنية لا ينافي ان تقع رؤيته
ما يتعلق بها في مكة (قوله ان من قدر ان يحصى وبر السندل) وهو دويبة تكون في بلاد الترك لا تؤثر فيها النار
ويتخذ من وبرها متاديل فاذا استخضت المتدليل القيت في النار فذهب الوسخ وبقي المتدليل (قوله ولعنوها في
القرآن) جواب عما يقال ليس في القرآن لعن هذه الشجرة فكيف وصفت بانها ملعونة في القرآن اجاب عنه
اولا بان اسناد اللعن الى الشجرة اسند مجازي من قبيل اسناد وصف طاعنها من الكفرة والظلمة اليها وثانيا بان اللعن
في اللغة التباعد فلما كانت هذه الشجرة مبعدة عن جميع وجوه الخير حيث كان موضع استقرارها اصل الحجيم سمعت
ملعونته بناء على عرف العرب فانهم يقولون لكل طعام مكروه ضار انه ملعون لكونه ضارا مكروها وهو المراد
بكونها ملعونة في القرآن (قوله وقد اوت بالسيطان) عطف على قوله وهي شجرة الرقوم وقيل المراد بالشجرة
الملعون في القرآن الشيطان الخ روى عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة في القرآن المراد بها نوا امية بن الحكم بن
ابي العاص قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام اني امر وان يتداولون منبره فقصر رؤياه على ابي بكر
وعمر وقد خلا في بيته معهما فلما تفرقا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم فاعتد ذلك عليه واتهم عمر في افشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يسمع اليهم والى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الواحدي هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيعدها هذا التفسير ان يقال هذه الآية مدنية ولم نقل به
احد وما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان لعن الله اباك وانت في صلبه فانت ابعث من اعنه
الله قيل في وجه ذكر الرويا وذكر الشجرة اني جعلها الله تعالى فتنة للناس بهذا القول ان اقوم لما طابوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالبحر القاهرة واحبوا بانه لامصلحة في اظهارها لانهما لو ظهرت ولم يؤمنوا
انزل الله عليهم عذاب الاستئصال وقد رفع ذلك عن هذه الامة صار عدم ظهورها شبهة لهم في انه عليه الصلاة

والسلام ليس بصادق في دعوى الرسالة والالامتنع عن اظهارها وكانت شبهتهم هذه مظنة ان تورث نوع اضطراب في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فزلت هذه الآية تسليته عليه الصلاة والسلام كانه قيل هذه الشبهة لا توهم امره ولا تصير سببا لضعف حالك الا ترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة وكذلك ذكر التجربة الموصوفة ثم ان تلك التبهات ما اوجبت ضعفا في امره ولا فتورا في اجتماع المحققين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات المقترحة لا توجب فتورا في حالك ولا ضعفا في امره ثم انه تعالى وصفهم بقسوة القلب والتصادي في النقي والطغيان حيث قال ونخوفهم فايزيدهم الاطعنا اشارة الى وجه آخر لعدم اظهار ما اقترحه من الآيات والمعجزات فان من لم يتأثر من التخويف بمخاوف الدنيا والآخرة كيف ينتفع باظهار ما اقترحه من الآيات نعمنا واعتادا (قوله تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية) متصل بقوله ان الشيطان كان للانسان عدوا ميتنا فانه تعالى بين به انه عدو لهم من قديم الزمان وبين ههنا سبب عداوته وانه من اى وقت كان عدو لهم (قوله وفيه) اى في قوله طيننا سوءا كان انتصابه بزع الخافض اوعلى انه حال من عاد الموصول او من نفس الموصول ايماء الى ان الانكار المدلول عليه بقوله اسجدوا مبنى على كون اصله اشرف من اصل آدم عليه الصلاة والسلام كانه قال كيف اسجد له وسجدوا لغيره لا لادنى غير معقول (قوله والمعنى اخبرني) اطلق لفظ الاستفهام واريد الامر بمجامع الطلب والرؤية التي هي سبب للاخبار المسبب عنها في لفظ ارايت تجوز من وجهين (قوله مع التقرير) اى مع انه تعالى قرر قوله هذا ولم ينكر عليه في ذلك القول (قوله واقرسما من خلقه) فانه عرف انه مركب من قوة بهيمة شهوانية وقوة سبعة غضبية وقوة وهية شيطانية وقوة عقلية ملكية وعرف ان القوى الثلاث الشهوانية والغضبية والهوية هي المستولية في اول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الامر ومضى كان الامر كذلك علم العين بالقراسة ان اغواءه يؤثر فيهم (قوله امض لما قصده) يعنى ان قوله تعالى اذهب لبس من الذهب الذى هو ضد الجبى وانما معناه امض لتأتك الذى اخترته والمقصود التحلية وتنفو بض الامر اليه (قوله من قولهم فرلصاحبك) يعنى ان وفر يستعمل لازما ومتعدا يقال وفر الشيء بنفسه وفورا ويقال وفرته افره وفرا فهو موفور فعدى (قوله باعصار فله) اى تجاوز جزاء احوال موطنه كقولك جازيد رجلا صالحا والحال موطنه اسم جامد فقصته هي الحال في الحقيقة وذلك الاسم كانه وطاء وطر بقى لما هو حال حقيقة لجية قبلها موصوفا بها كقوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا (قوله واستخف) ولوقال واستخفف بنك الادغام لكان اوفق للتفسير وهو استفترز بقدر استفترز الحرف او الفرح اى استخففه واذفرته انا اى افرسته وازنجته وطيرت فؤاده ورجل فزأى خفيف ومن في استطعت موصولة في محل النصب على انها مفعول استفترز اى استفترز الذى استطعت افترازه منهم قال ابن عباس سموت ابلوس دعاء الى معصية الله تعالى وقيل المراد بصوته الغناء والالهو واللعب ومعنى الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك (قوله من الجلية وهي الصباح) وقيل فعل وافعل بمعنى يقال اجلب على العدو واجلأ اذا جمع عليه الخيل والمعنى حيثند اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكاييد والباء في بخيلك زائدة على هذا القول (قوله والخيال الخيالة) اى اصحاب الخيول يعنى ان الخيل تطلق على الفرسان كما في قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى اى يا اصحاب خيل الله وقد تقع على نفس الافراس كما في قوله تعالى والخيال والبغال والحمير لتركبوها والمراد به هنا الاول والمراد بخيل ابلوس ورجله كل من كان في معصية من راكب ومات (قوله ويجوز ان يكون تمثيلا) اى ان يكون قوله واستفترز من استطعت واجاب عليهم بخيالك ورجلك تمثيلا لحال الشيطان في تسلطه واغواءه من غير ان يكون هنالك استفتراز وصوت وخيل ورجل بحال مغوار قدر فيه هذه الامور المذكورة فاستعمل في حال الشيطان ما استعمل في حال المغوار اى كبر الغارات اثبت لابليس او لا صوتا يستنز به العصاة وهو دعاءه اياهم الى المعصية والفساد واعوانا من لثاية والرجالة يصحبهم على المعصاة ويحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل والا فرب ان يكون الكلام من قبل الاستعارة امتيانية بان يشبه حال ابلوس بحال المغوار الذى يجهد في امره لصوت والاعوان من الخيالة والحال فان قيل كيف امر الله ابلوس بهذه الاشياء وهو يقول ان الله لا امر بالشياء والجواب انه ليس امره بكليف بل هو امر تهديد كقوله اعملوا ما كنتم تنصرون فغير

(واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا) لمن خلقت من طين فصب بزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقه وهو طين او منه اى اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار (قال ارايتك عذا الذى كرمته على) الكاف لتأكيد الخطاب لاجل له من الاصراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على (لئى اخرتنى الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطنه القسم وجوابه (لاحتكن ذريته الا قليلا) اى لاستأصلهم بالاغواء الا قليلا لا قدر ان قاوم شكيتهم من احثك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلاما خوذ من الخنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او فرسا من خلقه ذاوهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لما قصده وهو طرد وتخليته بينه وبين ما سوات له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) جزاؤكم وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الاتفاقات (جزاؤ موفورا) مكلا من قولهم فرلصاحبك غرضه واتصاف جزاء على المصدر باصنام فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون احوال موطنه لقوله موفورا (واستفترز) واستخفف (من استطعت منهم) ار تستفترز والفر الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (وأجلب عليهم) وصح عليهم من الجلية وهي الصباح (بخيالك ورجلك) باعوانك من راجل وراكب والخيال الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصاحب والراكب ويجوز ان يكون تمثيلا للتسلط على من يغويهم فصار صوت على قوم فاستفترهم من اما كنهم وأجلب عليهم بجند حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكرم وغيره الضم وهما لغتان ككندس وكندس وندس وهما وجهك الرجل وقرى ورجالك ورجالك

وشاركهم في الاموال) يعملهم على كسبها وجهها من الحرام والنصرف فيما على ما لا ينفي (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه
 سميت عبد العزى والتضليل بالجل على الاذيان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القيمة (وعبدهم) المواعيد الساطة كشفا علة الاكله والانتكال على كرامة
 الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (وما يعدهم الشيطان الاغورا) اعراض لبيان مواعيده والغرور تزين الخطايا بما يوهوم انه صواب (ان عبادي) يعني المخلصين
 يعظم الاضافه والتقييد في قوله الاعبادك
 (٢٣٢)

منهم المخلصين يخصهم (ليس لك عليهم سلطان).
 اي على اغواءهم قدرة (وكي ربك وكلا) يتوكلون به
 في الاستعاذه منك على الحقيقة (ربكم الذي يزجي)
 هو الذي يجري (لكم الفلك في البحر) يتقومان فضله
 الريح وانواع امته التي لا تكون عندهم (انه كلن بكم
 رحيا) حيث هيا لكم ما تختارون اليه وسهل
 عليكم ما تمسرون اسبابه (واذا مسكم الضر في البحر)
 خوف الفرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم
 كل من تدعونه في حوادثكم (الاياه) وحده فانكم
 حينئذ لا تخاطرون ببالكم سواء فلان تدعون لكتفه
 الاياه او ضل كل من تعبد ومنه عن اغاثكم الله
 (فلننجاكم) من الغرق (الى البر اعرضتم)
 عن التوحيد وقيل اتسعتهم في كفران النعمة
 كقول ذي الرمة
 * عطاء فتى تكفى في العالي

فاعرض في المكارم واستطالا *
 (وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض
 (افاتم) الهرة فيه للانكار والفاء للعطف على
 محذوف تقديره أنجوتم فاتم فخلصكم ذلك على
 الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالفرق قادر
 ان يهلككم في البر بالخسف وغيره (ان يخسف بكم
 جانب البر) ان يقلبه الله واتم عليه او يقلبه ببيتكم
 فيكم حال اوصاله ليخسف وقرأ ابن كثير وابوعمر
 بالتون فيه وفي الآية التي بعده وفي ذكر الجانب
 تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفر واورعوا
 وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن
 فيه من اسباب الهلاك (او يرسل عليكم حاصبا) ريحا
 تحصب اي ترمي بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكلا)
 يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعاله (ام اتمتم ان يعيدكم
 فيه) في البحر (تارة اخرى) بخلق دواعي تلجئكم
 الى ان ترجعوا فتركوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح)
 لا تمر بشيء الا قصته اي كسرته (فيغر فكم)
 وعن يعقوب بن النعمان على استاده الى ضمير الريح (ما كثرتم)
 بسبب استراكم او كثر انكم نعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم
 عليناه تبعا) مطابا لاتبعا بان تصار اوصاف
 (ولقد كرمنا بني آدم) بحسن الصورة والزواج الاعدل
 واعتدال القيامه والتبوير بالعقل والافهام
 بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش
 والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن
 من الصناعات وانساق الاسباب والمسببات العلوية
 والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك
 مما يغيب الجسد دون احصائه ومن ذلك ما ذكره

ابليس في تعريفه ان ذلك لا يضركم شيئا ولا ينقص من ملكه شيئا وان سلطان ابليس انما يجري على الجهال
 الذين قد اخرجهم الله تعالى من جنة من شرفهم بعبوديته (قوله اعتراض) اي هو كلام وقع في اشياء
 ما خوطب به ابليس لبيان حال مواعيده وليس من جنة ما خوطب به ابليس والا لقلل ما عده انيت (قوله
 والغرور تزين الخطا) فان قيل مواعيد الشيطان ليس نفس الغرور فكيف قيل وما يعبدون الاغورا فالجواب
 ان تقدير الكلام ما يعدهم الاوغدا اذا غرور او جعل مواعيده نفس الغرور مبالغة كما في رجل عبد ويحتمل
 ان يكون قوله الاغورا مقعولا من اجله اي ما يعدهم شيئا من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور ثم انه تعالى لما كان
 ابليس من ان يأتي بأقصى ما يقدر عليه في باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد في قلب الانسان
 قال وكفى ربك وكلا والمعنى ان الشيطان وان مكده الله تعالى من ذلك الا ان سلطانه وولايته متصورة على من
 استعبده هو واسترقه حيث امر الحظوظ العاجلة الخسيسة واختار اتباع الشياطين على ابتغاء رضى الرحمن
 وتوالة كما قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه وامان لازم طريق العبودية واستعبده محافظه حتى الى يوبى
 واتخذ ربه مقربا فزع اليه ومعتدا يعتمد عليه في جميع امور فانه تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويصممه
 من اضلاله واغوائه (قوله ربكم الذي يزجي) تعليل لكفائته وبيان لقدرته على عصمة من توكل عليه في اموره
 ورد في الخبر ان الله تعالى لما لعن ابليس وطرده قال يارب اسألك ان تعينني على بني آدم قال اعنتك قال يارب زدني
 قال اجلب عليهم خيالك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم فاستعاذ آدم بالله تعالى وقال انك
 جعلت بيني وبين ابليس عداوة وقويته على فاعني عليه يارب فقال اذا علمت حسنة فلك بها عشر وان علمت سيئة
 فواحدة قال يارب زدني قال اغفر لمن شئت ولا ابالي فقال آدم حسبي يارب والخطاب في قوله ربكم وفي قوله انه
 كان بكم رحيا عام في حق الكل والمزاد من الرحمة منافع الدنيا والازياء سوق الشيء حاله بعد حال والمعنى ربكم الذي
 يتبر الفلك على ونجى البحر لتتغوا من فضله (قوله وقيل اتسعتهم) على ان يكون اعرضتم من العرض مقابل
 الطول من قولهم اعرض في الشيء وعرضه اذا جعله عرضا او صار عرضا كما في قوله * فاعرض في المكارم
 اي صار عرضا فيها ووسع (قوله ان يقلبه الله واتم عليه) اي ان يقلب الله تعالى جانب البر محصورا بكم
 على ان يكون جانب البر مقعولا به لقوله يخسف كالارض في قوله تعالى فيخسفها به وبداره الارض ويكون بكم
 جالا من المفعول بتقدير محصورا بكم وفاعله مستتر فيه يرجع الى اجلاله وقوله او يقلبه يسببكم على ان تكون الباء
 سببية متعلقة بخسف (قوله لا معقل) اي لا ملجأ (قوله ريحا تحصب) وفي الصحاح الحاصب الريح السليمة
 التي تسمى الحصباء وهي الخصى يقال حصت الرجل احصيه بالكسر اي رميته بالحصباء والقصف الكسرة قال
 قصفت الريح السفينة وريح قاصف اي شديد ورعد قاصف شديد الصوت (قوله مطابا لاتبعا بان تصار
 اوصاف) يعني ان التبع من يلزم الغير لمطالبته بالحق اي لا تجدوا لكم من يتبعنا بانكار ما نزل بكم واتقاه منا
 بسية ولا من يتبعنا بصر فعد عنكم ومنعه ايانا من ازاله بكم (قوله بحسن الصورة) فان صورة الانسان احسن من
 صور جميع الحيوانات قال تعالى فاحسن صوركم والله تعالى لما ذكر خلق الانسان قال فبما رآك الله احسن الخلقين
 وقال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والمزاج الاعدل يدل على انه تعالى جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل
 لغيرهم ما خبث منها فهو بافضل منهم واعتدال القامة اي بالنسبة الى سائر الحيوانات فان في الاشجار ما يماثلها من جهة
 القامة والتميز بالعقل فان الانسان يشارك سائر الحيوانات فيما لها من القوى فان النفس النباتية لها قوى
 ثلاث قوة الاغذية والنماء وتوليد المثل والنفس الحيوانية لها قوتان زيادة على هذه الثلاث وهما القوة الحساسة
 سواء كانت ظاهرة او باطنة والقوة المحركة بالاختيار فهذه القوى الخمس اعني قوى الاغذية والنماء
 والتوليد والحس والمحركة الاختيارية تجالس للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوة اخرى وهي
 القوة العاقلة المدركة لصفات الاشياء كما هي وهي التي يتجلى بها نور معرفة الله تعالى وضوء كبريائه فهذه القوة لانبية
 لها في الشرف والفضل الى القوى النباتية والحيوانية والافهام بالنطق فان ما سوى الانسان من الحيوانات عاجز
 عن تفهيم ما حصل في باطنه من لذة او ألم تفهيمها تاما واقيا بخلاف الانسان فانه يمكنه تفهيمه وتعريف غيره كل
 ما عرفه ووقف عليه واحاط به فكونه قادرا على هذا التعريف هو المراد بكونه ناطقا سواء كان ذلك التعريف
 باستعمال آلة اللسان او بغيره كما في الانسان الاخرس فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة او بطريق الكتابة ومن كرامات

(الانسان)

ابن عباس وهوان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده (وجعلناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن من جلته جلا اذا جعلته ما يركبه
 او جعلناهم فيها حتى لم تخسف بهم الارض ولم يفرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات بما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم

الإنسان ان آتاه الخط وذلك لان ما استنبطه كل انسان من العلوم قليل فاذا اودع الانسان ما علمه في الكتاب وجاه انسان آخر واستفاد بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه اشياء اخر ثم جاء ثالث وفعل كذلك ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر ما بحث كثره الى علم المتقدمين كثرت العلوم والفضائل وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى اقصى الغايات واكل التهاميات ومعلوم ان هذه النعمة المستفادة لاتأتى الا بواسطة الخط والكتب ولهذه الفضيلة الثابتة في الكتب قال تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والتسلط على ما في الارض فان الارض بالنسبة اليها كلام الحاصنة تكفلنا احياء واسواتا ويتنفع بالماء العذب بالشرب وسقى الاشجار والبساتين والبحر ايضا كما قال وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه وبالهواء لانه مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى الطين على هذه العمارة وبالنار اذ بها طبخ الاغذية والاشربة والاستضاءة بضوئها في الليالي المظلمة وهي الدافعة لضرر البرد وهذا وجه انتفاعه بالسائط الارضية واما المركبات من المعادن والحيوان والنبات فالانسان هو المستول عليها والمنفع بها وبالجملة جميع منافع هذا العالم مصروفة الى الانسان والانسان فيه كالرئيس الخدم والملك المطاع وسائر الحيوان بالنسبة اليه كالعبد وكل ذلك يدل على انه تعالى خصه من عنده بمزيد التكريم والفضل والتكريم جعل الشيء مكرما باعطائه ما يكون مكرما بسببه ولا يعتبر في مفهومه الاضافة الى الغير بخلاف التفضيل (قوله بالغلبة والاستيلاء) فاللازم ان لا يكون الانسان مفضلا على الجن والملك ونحوهما وان اراد يفضليهم على الكثير التفضيل بالشرف والكرامة يكون المراد بالقليل الذي لا يكون الانسان مفضلا عليه بالشرف الملائكة بل يكون الملك افضل من الانسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدى في البسيط (قوله والمستثنى جنس الملائكة والخواص منهم) يعنى ان الخرج بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا وهو القليل الذي لا يكون الانسان مفضلا عليه اختلف في تعيينه فقيل انه جنس الملائكة وقيل انه خواصهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام قال الامام محيى السنة وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف قال قوم فضلوها على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقديوم وضع الاكثر موضع الكل كما قال الله تعالى هل اأنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون اى كلهم وفي حديث عن جابر مرفوعا قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بنى آدم دنيايا كلون ويشربون ويتكلمون ويجمعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك في الآخرة فقال وعزتي لاجعل ذرية من خلقته يدي كمن قلت له كن فكان وقال ابو هريرة المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده كذا اورده الواحدى في البسيط وقال قوم الملك افضل من البشر على الاطلاق تمسك بهذه الآية قال الامام الرازى وهو في الحقيقة تمسك بدليل الخطاب ومذهب الحنفية الى ان خواص بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم والاتباء والزهاد افضل من عوام الملائكة لان تقرير الدليل ان يقال تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان الحال في القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطاب وقال الكلبي فضل بنو آدم على الخلائق كلهم الاعلى طائفة من الملائكة وهو قول المصنف او الخواص منهم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم قال الامام محيى السنة والاولى ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروى عن ابى هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة وقال الامام ابو منصور الماتريدي اما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر فانما الاستكلام فيه بما لم نعلم وليس لنا الى معرفته حاجة فالامر فيه الى الله تعالى (قوله ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس) اى جنس بنى آدم يعنى ان سلمنا ان قوله تعالى وفضلناهم على كثير يدل على ان جنس بنى آدم ليسوا مفضلين على جنس الملائكة او على الخواص منهم بناء على ان الكثير لم يعبر به عن الكل فان المراد بالتفضيل الشرف والكرامة لكن اللازم منه وهو ان لا يكون جميع افراد بنى آدم مفضلا على ما ذكر لا يتناقى ان يكون بعض الافراد مفضلا عليه وذلك لان الاضافة الى بنى آدم ليست للعهد الخارجى ولا الذهنى لان الكلام ليس في تكريم بعض الافراد وتفضيله ولا تعريف نفس الحقيقة بقرينة ذكر بنى آدم في مقابلة كثير من الخلق وذكر الحقيقة في مقابلة الفرد غير معقول فتعين ان تكون اضافة بنى آدم للاستغراق فظهر بذلك وجه قوله ولا يلزم من عدم

(وفضلناهم على كثير من خلقنا من غير بيان)
بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى
جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم
تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة
موضع نظري وقد اولى الكثير بالكل وفيه تعسف

تفضيل الجلس عدم تفضيل بعض افرادهم ذكراته تعالى لما ذكر ان الشيطان ليس له سلطان على المخلصين من عباد الله تعالى وانه كان في عصمة من يتوكل عليه واتبعه يذكر ما يدل على كمال قدرته من اجراء السنن لهم في البحر ابتغاء منافع الدنيا وان تكرمه لني آدم ليس من جهة تنخير الفلك لهم فقط بل انه تعالى كرمهم من وجوه تنى من جاراتها حلقهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضاهم على كثير من المزايا وحثهم على الاجتهاد في اكتساب الخيرات المؤدية الى سعادة الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس باسمهم الالهة قرأ الجمهور بنون العظمة وقرئ يدعو بياء الغيبة واستناد الفعل الى ضمير الجلالة والملك وكل اناس على القراءتين منصوب على انه معقول به وقرئ يدعى مبنيا للمفعول وحينئذ كل مرفوع لقيامه مقام الفاعل وقرئ يدعو بضم الباء وفتح الهمزة بعدها واو ساكنة نقل عن القراء انه قال اهل العربية لا يعرفون وجهها لهذه القراء ولعل القارئ قرأ يدعى بفتح الهمزة بمروجة بالضمه فظن الراوي انه قرأ يدعو وذكرا لها وجهين الاول ان الاصل يدعى على بناء المفعول الا ان القارئ قلب الالف واوا واحال الوقف على لغة قوم يقولون هذه افرو وعصو ووصلو في الالف والعصا والاصل ثم اجري الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل والثاني ان الفعل مفرد والاصل يدعى ابدلت الواو من الالف لتدل على ان الفاعل جمع وليست ضمير جمع بل الفاعل باق على افراده كما في قولهم اكلوني البراغيث واعراب الفعل بالحركة التقديرية ومعنى كون الواو علامة الجمع انها حرف جئى به ليدل على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء لتدل على ان الفاعل مؤنث فعلى هذا كل مرفوع على انه قائم مقام الفاعل (قوله او ضمير) وثون الرفع محذوفة لقلة المبالة بها فان علامة الرفع قد تكون مقدرة كما في نحو يرمى ويغزو ويدعاهان رفعها بالحركة التقديرية فعلى هذا الوجد يكون كل مرفوعا على انه بدل من الواو حتى هي ضمير الجمع وجعل الواو ضميرا اولى من جعلها علامة الجمع لان جعلها علامة يستلزم ارتكاب حذف الفاعل من غير سبب وذلك غير معهود في قواعد العربية والباء في قوله تعالى بامامهم متعلقة بقوله ندعو اي ندعوهم باسم امامهم الذي يأثمون به ويقتدون فيقال يا امة فلان ويا اهل القرآن مثلا ويجوز ان يكون بامامهم في موضع الحال والباء متعلقة بمحذوف اي ندعوهم ملتبس بكتابهم والامام من يؤتم به ويقتدى والمراد به نبيهم وقيل كتابهم السماوى الذى ازل عليهم فان كل امة تقتدى بكتابها كما تقتدى بشيئا وقيل رئيسهم الذى كان يدعوهم في الدنيا الى هدى اولى ضلالة فيقال يا اصحاب عالم كذا وفاضل كذا واتباع عمود واتباع فرعون من رؤساء كل قوم في الدين محقق كانوا او مبطلين وقيل كتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر فيقام الامتياز بحسب الاعمال مقام الامتياز بالانساب وقيل القوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم كالقوة النظرية والعلمية والقوة الغضبية والشهوية سواء كانت شهوة التقوى او شهوة الضياع او شهوة الجاه والرياسة والقوة العقلية الداعية الى العفة والتجاعة والكرم والصبر والقناعة ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة والجمدة وما يدعو اليها من القوى النفسانية فان كل ذلك بمنزلة الامام وقيل امامهم امهاتهم والمعنى ان كل اناس يدعى يوم القيامة باسماء امهاتهم دون اسماء آياتهم والحكمة في ذلك ثلاثة امور منها اجلال عيسى عليه الصلاة والسلام اذ لم يكن له اب يدعى باسمه فلا جرم يدعى باسم امه فدعى سائر الناس باسماء امهاتهم اتباعا له عليه الصلاة والسلام واجلال الاله وتفضيلا (قوله ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ) يعنى ان المراد من المظلومية المنفعة نقص ما يستحقونه من الثواب الموعود بازاء عملهم وان القليل مستعار للشئ اتافه الحقير وهو في الاصل اسم للشجرة الرقيقة التى تكون على ظهر النواة وسميت فتيلا لانه اذا اراد الانسان استخراجها انفلت وقيل القليل هو الوسخ الذى يثقله الانسان بين سياحه وابهامه وهو قيل بمعنى مفعول (قوله وجمع اسم الاشارة والضمير) جواب عما يقال اسم الاشارة وضمير يقرأون كتابهم عبارة عما يعبر عنه بضمير قوله كتابه يمينه فلم افرد الاول وجمع الثاني وتقرير الجواب انه محل الالاعلى لفظ من اوتى فافرد الضمير الى راجع اليه وحمل ثانيا على معناه فجمع ما هو عبارة عنه (قوله وتعليق القراء ببناء الكتاب بالعين) مع ان من اوتى كتابه بشماله يقرأ كتابه ايضا معنى على ان اصحاب احتمال ثقل استهم فيمجزون عن القراء الكماله المينة بسبب ما غشيه من الحجة والخيرة حين معايتهم ما في كتابهم من القبايح بخلاف اصحاب العين فان حالهم على عكس ذلك فلا جرم انهم يقرأون كتابهم على احسن الوجوه وايضا ثم انهم لا يكتفون بقرآتهم بانفسهم بل يقولون لاهل الحشر هاؤم اقرأوا كتابه يدل على حال مقابلهم انهم

(يؤم ندعو) نصب باختيار اذكر او ظرف للمادل عليه ولا يظنون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افغو او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا التجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والثون محذوفة لقلة المبالة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يشتر كافي يدعى (كل اناس بامامهم) بمن اتوا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب اودين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع حلقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام ا كتحف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وان لا يتفصح اولاد الزنى (فن اوتى) من المدعون (كتاب يمينه) اي كتاب عمله (فاولئك يقرأون كتابهم) ابتهاجا وتجبجا يرون فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى في معنى الجمع وتعليق القراء ببناء الكتاب بالعين يدل على ان من اوتى كتابه بسماله اذا اطلع على ما فيه غشيه من الجبل والخيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم

لا يقدر على قراءته كتابهم على طريق الابتهاج والتبجح فاستغنى عن ذكر حال مقابلتهم (قولنا اعني القلب) اي ليس المراد بالاعني في قوله ومن كان في هذه اعني فهو في الآخرة اعني عني البصر بل المراد منه عني القلب ولا يمكن حل العيني في قوله فهو في الآخرة اعني على عني البصر لانهم يعرفون الله تعالى بالضرورة وكان المراد منه العيني عن طريق الجنة والنجاة من النار لما روي انه لما نزلت هذه الآية نبأ ابن ام مكتوب وكان من رسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال يارسول الله اني في الدنيا اعني افاكون في الآخرة اعني فانزل الله تعالى انها لا تسمى الا بصدا ولكن تسمى القلوب التي في الصدور وقيل المراد بالاعني اثنى عني البصر لقوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعني قال رب لم حشرني اعني وقد كنت بصيرا قال كذلك ائتلك آياتنا فتسبها وكذلك اليوم تنسى وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيا وكما وبما وهذا المعنى من جملة عقوباتهم (قولنا زوال الاستعداد) يعني انه وان كان في الدنيا ضالا عن الصراط المستقيم الا ان ضلاله في الآخرة اشد واقوى بالنسبة الى ضلاله الكائن في الدنيا لانه يمكنه الاحتذاء في الدنيا بالتوبة عما هو فيه وبالخروج عن جهله وعما هو فيه بالتفكير في الأدلة وتحصيل ما كلف به من الايمان بالغيب والأعمال الصالحة بخلاف ضلاله في الآخرة فانه لا يمكنه الخروج عنه لزوال الاستعداد للاهتداء الى الحق الذي كلف به ولزوال الأكلة والمهلة (قولنا وقيل الثاني للتفضيل) يعني قيل ان الله اعني في قوله تعالى فهو في الآخرة اعني ليس افعول التي للصفة بل هي صيغة التفضيل بمعنى اشد عني ولذلك عطف عليه قوله تعالى واصل سبيلا واختلف في تقرير المعنى حيث قيل فليل هذه اشارة الى التعميم المذكورة في الآيات المتقدمة من قوله تعالى الذي يرزقكم انفسكم الى قوله تفضيلا فالمعنى من كان في هذه التعميم اي رآها وعانيتها اعني ولم يعلم كونها نعمة آلهية وصلت اليه بشدة الله تعالى ورحمته فهو في الآخرة انتم اي لم يرها ولم يعانيتها اشد عني عن معرفة كون التعميم المشاهدة بين السماء والارض والجن والحيوان والانس والدواب ارفق من الله تعالى والاستدلال بها عليه فهو في الآخرة اي في امره اشد عني واصل سبيلا وابعد عن تحصيل نعمه وعلى التواضع يكون المعنى عن الامر من ماصلا في الدنيا والمعنى المفضل هو المعنى السلب عن معرفة احوال الآخرة والمفضل عليه هو المعنى السلب عن معرفة كون العالم وما فيه من نعم من اكرم قدرة المخلوق المخلوق لما ثبت الله له ما يريد وقيل هذه اشارة الى الدنيا ايضا والمعنى من كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الآخرة اعني واصل سبيلا لانه في الدنيا تفضل في الآخرة لا تفضل في الدنيا وفي الدنيا يهتدى الى التخلص عما يهلكه من المهلكات بازائه عما وجهه به بالتفكير في الدلائل المتصوبة وفي الآخرة لا يهتدى الى ذلك البتة واصل سبيلا لان ضلاله في الآخرة لا سبيل له الى الخروج منه بخلاف ضلاله في الدنيا (قولنا ولذلك لم يعم) اي ولكون اثنى للتفضيل قرأ ابو عمرو ويهتوب وابو بكر عن عامر من كان في هذه اعني بالامانة والكسرة فهو في الآخرة اعني بالنعمة والتفكير وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر في رواية بالامانة فهم بالكون التعميم من ذوات الياه واباقون وهم ابن كثير ونازع وابن عامر وحفص عن عامر بالنعمة والتفكير فيها لانه الاصل وابو عمرو وفرق بينهما في الاول لانه ليس افعول تفضيل فانه مشرفة لانهما وتقدير الامراف عن التغيير فاما قبل اعتبار الكون التعميم من ذوات الياه واباقون فاما في موضع الوقف وانفس نفخ في الرشف فاذا اميلت جني بها نحو الياه تنفخ به بخلاف ما اذا كانت في وسط الكلمة كاشف انكم فانه ليس محل الوقف فابقيت الالف فيد على اصلها واما الثاني فانه لتفضيل فانه في حكم المتوسط لان تمام افعول التفضيل بمن الداخلة على التفضيل فهي في حكم التعميم واما كونها شديدة الانفصال عما قبلها فلما لم تكن الالف واقعة في الضرف كانت موصولة عن التغيير فبقيت على ما هو اورد هذا الوجه بانهم اما ناولوه ولا تاني من ذلك مع انه مخرج من فلان يملوا اعني مشدرا بعد من اول واخرى (قولنا لا نعشر ولا نعشر ولا نعشر في صلاتنا) اي اشهدوا ان لا يؤخذ نعشر امواتهم وقيل ارادوا بالنعشر الصدقة الواجبة ويؤثر ان اعني آخذ ما يجب على المسلمين من ربع العشر عاشر الاضافة ما يؤخذ من ربع العشر ونصف العشر وقيل في هذا العشرية منه وهو زكاة ما سقته السماء واشترطوا ايضا ان لا يحسروا اي ان تضيعوا الى الغزو وقيل استكثار والنية ان يقوم انسان فيسلم الاكبر وفي حديث ابن مسعود في ذكر اقامة حين يقع في الصور فيؤمنون فيؤمنون حتى رجل واحد قواما رب العالمين قال ابو عبيدة اخذت فيكون في حالين احدهما ان يشع يديه على ركبته وهو قائم والوجود الاخر ان يكتب على وجهه باركاد هو الحضور وقوله ولا نعشر يريدون به ولا نعشر في النية لانه لا يعلم جزاءه والاصل انها مشروطون ان لا يكون تبايعهم

مع ان قوله (ومن كان في هذه اعني فهو في الآخرة اعني) ايضا مشعر بذلك فان الاعني لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعني القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعني لا يرى طريق النجاة (واصل سبيلا) منه في الدنيا زوال الاستعداد وفقدان الأكلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا يشهد والاعني مشعر من فائد الحاشية وقيل الذي للتفضيل من عني بقلبه كالأجهل والابل ولذلك لم يعمه ابو عمرو ويعتوب فان افعول التفضيل مما مدح بين فكانت الله في حكم المتوسط في اعمالكم بخلاف انفس فان اشد واقعة في الشرف لفظا وحكما فكانت معرصة للامانة من حيث انها تفسيرها في التثنية وقد اما انها حرة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بينهما (وان كادوا ليفتنوك) نزلت في نيف قالوا لا تدخل في امرك حتى نعلمنا خصا لا تخشع به ادلى اعرب لا نعشر ولا نعشر ولا نعشر في صلاتنا وكل ربانا فهو لنا وكل رباعينا فهو موضوع عنا وان تمنعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرم مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نكنك ما سلام الحرح حتى تلم باكتها ونعسها يدك وان هي الخففة واللام هي اشارة

والمعنى ان الشان فارجوا بالعتهم ان يوقعوك في الفتنة
 بالاستزال (عن الذي اوحينا اليك) من الاحكام
 (لتفتري علينا غيره) غير ما اوحينا اليك (واذا اتخذوك
 خليلا) ولو اتبعتم ادم لا اتخذوك افتاء لك وليا لهم
 ريشا من ولايتي (وارلان نبتك) (ولو لا نبتنا اياك
 لقد كنت تركن اليهم شاكليلا) لقارب ان تميل الى
 اتباع ادم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم
 لاذة خدعهم وشدة احتياهم لكن ادركك عصمتا
 فغبت ان تقرب من الركون فضلا عن تركن اليهم وهو
 صريح في انه عليه السلام ما هم باجا بآتهم مع قوة
 الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه
 (اذ لا ذنبا لك) اي لو قارب لا ذنبا لك (ضعف الحياة
 وضعف الممات) اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
 ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان
 خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا
 في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
 ثم حذف الموصوف واقسم الصفة مقامه ثم اضيفت
 كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب
 وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف
 الممات عذاب القبر (ثم لا تجدك علينا نصيرا)
 يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد
 اهل مكة (ليستفزونك) ليرى مجونك بمعاداتهم
 (من الارض) ارض مكة (ليخرجوك منها) واذا
 لا يابثون خلافا (ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
 الا قليلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهل كوا
 بيد بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حين دوا
 مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالدينونة فقالوا التام
 مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى تؤمن بك
 فوقع ذلك في قلبه فخرج من حلة فزلت فرجع ثم قتل
 منهم ثوا قر بطة واجلى ثوا الضير بقليل وقرئ
 لا يلبثوا موصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله
 وان كادوا يستفزونك لاي على خبر كاد فان اذا لا تعمل
 اذا كان معتدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر
 وحزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافا وهو
 لغة فيه قال الشاعر
 عفت الديار خلافا فهم فكانما
 بسط الشواطب بينهن حصيرا
 (سنة من قد ارسلتنا قبلك من رسلنا) نصب
 على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة
 اخر جوارسولهم من بين اظههم فالسنة لله واصافها
 الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه (ولا تجد
 لستناحو لا) اي تغييرا (اقم الصلاة لدلوك الشمس)
 لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتاني
 جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر
 وقيل لغرو بهيا

زكاة وجاد وصلاة وان كل ربا يستحقونه على غيرهم فهو لهم وكل ربا يستحقه غيرهم عليهم فهو موضوع عنهم وابن
 ترك لهم الاصلح حولا بشرط ان لا يكسر وهما يديهم عيذرأس الملوك وان يقدروا على منع من قصد وادبهم
 المسمى بوجيعضد شجرة ويقطع حشيشه كما حرم حرم مكة شرفها الله (قوله ولو اتبعتم ادم) اشارة الى ان اذا
 حرف جواب وجزاء فانما اداة الشرط مقامها دليلا على تضمنها معنى المجازاة وقوله لا اتخذوك جواب قسم
 محذوف تقديره اذن والله لا اتخذوك وليس مراد المصنف ان كلمة لومقدرة في النظم واذا لا اتخذوك جواب لها
 اذ لا حاجة الى تقديرها وانما المراد تفسير المعنى وهو لا يوجب الاعراب واصل الفتنة الاختيار يقال فتن الصانع
 الذهب اذا ادخله النار واداه لغيره من ريشته ثم استعمل في كل من ازال الشيء عن حده وجهته ويقال
 فتنه اي خدعه وصرفه عما هو عليه فقوله وان كادوا الفتونك عن الذي اوحينا اليك اي يزلونك ويصرفونك
 عن الذي اوحينا اليك وهو القرآن اي عن حكمه وذلك لان في اعطائهم ما ارادوا مخالفة لحكم القرآن واللام لام
 العاقبة في لتفتري علينا غيره اي بان يقول الله امرني بذلك (قوله عذاب الدنيا وعذاب الآخرة) اخبر العذاب
 وجعل الحياة والممات عبارتين عن الدنيا والآخرة لان العذاب بوصف بالضعف كما في قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا
 من اثار اي عذابا مضاعفا وقوله من قدم لنا هذا فزده عذابا مضاعفا في النار قال لكل ضعف اي عذاب مضاعف
 وحاصل المعنى انك لومكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحققت تضعيف العذاب
 عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشركين في الدنيا ومثلي عذابهم في الآخرة والسبب
 في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام اكثر فكانت ذنوبهم اعظم
 فلذلك كانت العقوبة المستحقة عليهم اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
 العذاب ضعفين وقوله في حق الاماء فعلمين نصف ما على المحصنات من العذاب لان الرق منصف للثقة (قوله
 وان كاد اهل مكة) اي وان الشان قرب اهل مكة ليرى مجونك من ارض مكة على ان ان مخففة واللام فارقة
 والاستفزاز هو الازعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركى مكة وحل الارض على ارض مكة على ما قاله بجاهد وقادة
 لان الآية مكية وما قبلها اخبار عن احوال اهل مكة يعني هم المشركون اذ يخرجوه من مكة فكأنهم الله تعالى
 عنه وامره عليه الصلاة والسلام بالهجرة فخرج بنفسه فان قيل قال الله تعالى وكأئن من قرية هي اشد قوة من
 قرية التي اخرجتك يعني اهلها وهو صريح في انهم اخرجوه وذكرهنا وان كادوا يستفزونك من الارض فكيف
 الجمع بينهما على قول من قال المراد بالارض ههنا ارض مكة اجيب بان قوله اخرجتك من قبيل اسناد الحكم الى
 سيده فانهم هموا باخراجه عليه الصلاة والسلام منها لانه عليه الصلاة والسلام ما خرج باخراجه وانما خرج باسم
 الله تعالى فزال الشاقص (قوله لا يلبثوا) محذوف التثنية قرأ الجمهور لا يلبثون برفع الفعل وثابت التثنية بعد اذا
 ولم يعملوا اذ الكون متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه فان لا يلبثون معطوف على قوله يستفزونك وهو
 مرفوع فخلوه عن الجازم والثائب على انه خبر كاد والمعطوف على خبر كاد واقع موقع خبر كاد فيكون واقعا موقع
 الاسم فلا تعمل اذا فيه لاعتماد ما بعدها على ما قبلها فيصير اذا لغوا واذا قرئ لا يلبثوا وبغير التثنية لا يكون معطوفا
 على خبر كاد فيلزم الغاء اذن بل تكون جملة قوله اذا لا يلبثوا معطوفة على جملة قوله وان كادوا يستفزونك
 (قوله عفت الديار خلافاهم فكانما) بسط الشواطب بينهن حصيرا عفت اي اندست وخلافاهم اي
 بعد هم والشواطب النساء اللاتي تشقن الجريد ليعمل منه الحصر والشطبة السعة الخضراء الرطبة والجمع التطب
 يقال شطبت المرأة الجريد شطبا اذا شققته لعمل منه الحصر يصف دروس ديار الاجاب بعد هم بانها غير مسكونة
 حيث شبه ما بقى بعد ترحل الامل من الديار بالشطبة التي تقشر حال تسجي الحصر فقال فكانما بسط الشواطب
 بين تلك الديار ما تسجي منه الحصر لسجته لانهم بسطوا نفس الحصر للجلبوس عليه فانه لا يتناسب الاستاد الى
 الشواطب ثم انه تعالى لما قال له عليه الصلاة والسلام يوم ندعوك اناس با ما همم الآية امره بالموالاة
 على اشرف الطلعات بعد الايمان فقال اقم الصلاة الآية ويحجزون ان يرتبط بقوله وان كادوا يستفزونك
 من الارض الآية فكانه قيل لا يلبثوا بسعيهم في اخراجك من بلدك ولا نبتت اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى
 والمداومة على اداء الصلاة فانه تعالى يدفع مكرهم وشهرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا
 على اديانهم ونظيره قوله تعالى في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

ومن آتاه الليل فسمع وإطراف النهار لعالم ترضى وقوله في سورة الحجر فسبح بحمديك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اختلف أهل اللغة والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين أحدهما أن دلوكها غروبها روى عن علي بن رضى الله عنه أنه قال دلوك الشمس غروبها وروى هذا القول عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والقول الثاني أن دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختار أكثر الصحابة والتابعين ويدل على صحة هذا القول وجوه الأول ما روى عن جابر أنه قال طعم عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين دلت الشمس والثاني ما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال اتاني خبريل عليه الصلاة والسلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى في الظهر والثالث قول أهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذا قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دلوكها وقيل لم يبق الاضداد قلت دلوكها لانها في الخلتين زالت هكذا قاله الأزهري وقال القفال أصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب قال الأزهري الأول جل الدلوك على الزوال في نصف النهار والمعنى أنه الصلاة أي أدها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل وعلى هذا التقرير يدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن الفجر فإذا جلنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية فإن جلنا على الغروب يدخل فيه الثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والصبح وجل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أول فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال (قوله وكذا كل ما ترك من الدال واللام) فإن جميع ذلك يتضمن معنى الانتقال كدخول أي مشي بحمله غير منبسط الخطوط لقله عليه ودخل دلوجا من باب دخل يدخل وهو بالجمع المجهول والأول بالخاء المجهولة ومعناه أخذ الدلو ومشي بها من رأس البئر إلى الحوض حتى يفرغها فيه وذلك الموضع مدح ومدجلة والدخ بفتح اللام اسم للسبح من أول الليل ودخل الرجل لسانه فدخل أي خرج يعدي ولا يعدي ودلف الشيخ إذا مشى وقارب الخطو والدله بالخبر وذهب العقل من الهوى يقال دلها الحب أي حبه وادهنه ودله هو ينسده أي يحبره المصنف فسر دلوك الشمس بزوالها ثم نقل أنه يفسر بغروبها ثم أشار إلى وجه كل واحد من التفسيرين فقال وأصل التركيب الانتقال يعني أن الدلوك في أصل اللغة بني عن التغير والانتقال من حال إلى حال وهو حاصل في كل واحد من الغروب والزوال فكان كل واحد منهما من أنواع الدلوك فصح إطلاقه على كل واحد منهما إطلاقا كلي على كل واحد من أفرادهم وجزئياته ثم نقل ما يرجح أن يكون المراد به الزوال وهو كون الدلوك مشتقا من ذلك والدلوك بهذا المعنى صفة الناظر إلى الشمس وإضيف إلى الشمس لكونها حاملة للناظر اليه أي أن يدلك عينه ليدفع تأثيرها من شعاع الشمس وذلك التأثير إنما يحصل فيها عند النظر إلى الشمس وقت دنوها من الزوال فظهور أن مراد من يقول الدلوك من ذلك بيان أن الدلوك يعني الزوال (قوله وصلاة الصبح) على معنى وإقام صلاة الصبح لأن قوله وقرأ أن الفجر معطوف على قوله الصلاة فيكون المعنى وقرأ أن الفجر أي صلاتها تسمى لها باسم بعض أركانها (قوله تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار) يعني أن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح خلف الإمام تنزل عليهم ملائكة النهار وهم في صلاة العشاء قبل أن تخرج ملائكة الليل لقيام شيء من طلبة الليل بعد فاذا فرغ الإمام من صلاته عبرت ملائكة الليل ومكنت ملائكة النهار ثم إن ملائكة الليل إذا صعدت قالت يا رب أياك نعبدك يصلون لك ويقول ملائكة النهار ربنا أياك نعبدك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة أشهدوا أي قد غفرت لهم (قوله أو شواهد القدرة) عطف على قوله ملائكة الليل والمعنى أن قرأ أن الفجر تشهد به دلائل القدرة الباهرة فإن الإنسان إذا شرع في أداء صلاة الصبح في أول وقتها الذي هو وقت بقاء الظلمة يستمر إلى الصياء وهو في أثناء الصلاة بعد الظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالصلى يشاهد في أثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة إلى الصياء فكأنما تحولت من العدم إلى الوجود ويشهد عقله السليم بأن هذا التقلب والتحويل لا يقدر عليه إلا الحق سبحانه ويستتبرأ بطلانه بنور هذه المعرفة وقوة اليقين (قوله أو كبير من المصلين) أي يشهده كثير من المصلين في العادة وقوله أو من حقن أن يشهده الجمل الفقير فعلى هذا يكون المقصود الترغيب في أن تؤدي هذه الصلاة بالجماعة ووجه الفرق بينهما وبين سائر الصلوات أن تأثير هذه الصلاة في تصفيته وتنويره أكثر من تأثير سائر الصلوات فإذا حضر جمع من المسلمين لأداء هذه الصلاة استثار قلب كل واحد منهم بسبب ذلك الاجتماع لأنه يعكس نور معرفة الله تعالى وتورط طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد إلى قلب

وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فإن الدالك لا تستقر يده وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدخ ودلج ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينه ليدفع شعاعها واللام للتأنيث مثلها ثلاث خلون (إلى غسق الليل) إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة (وقرآن الفجر) وصلاة الصبح سميت قرآن لأنه ركعتها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الأمر بأقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا (أن قرأ أن الفجر كان مشهودا) تشهد به ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالصياء والثوم الذي هو أخ الموت بالانبياء أو كثير من المصلين أو من حقن أن يشهده الجمل الفقير والآية جامعة للصلوات الخمس أن فسر الدلوك بالزوال وصلاة الليل وحدها أن فسر بالمغرب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب

وقوله لدلول الشمس الى غسق الليل بيان لبدأ الوقت
ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق (ومن الليل فيجهد به) وبعض الليل فترك
التهجد للصلاة والصبر للقرآن (نافلة لك) فريضة
زائدة لك على الصلوات المفروضة افضلية لك
لاختصاص وجوبه بك (عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا) مقاما يحمد به القائم فيه وكل من عرفه وهو
مطلق في كل مقام بتضمن كرامة والمشهور انه مقام
الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه
عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذي اشفع فيه
لامتي ولا شعاري بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك
المقام الشفاعة واتصا به على الظرف باصناف فعله
اى فيمكن مقاما او بتضمن يبعثك معناه والحال بمعنى
ان يبعثك ذا مقام (وقل رب ادخلي اى في القبر
(مدخل صدق) ادخال امر ضيا (واخرجني) اى منه
عند البعث (مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة وقيل
المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجا منها آمنا من المشركين وقيل
ادخاله القار واخراجا منه سالما وقيل ادخاله فيما
خوله من اعباء الرسالة واخراجا منه مؤديا حقه وقيل
ادخاله في كل ما يلائمه من مكان او امر واخراجا منه
وقرى مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلي فادخلي
دخولا واخرجني فاخرج خروجا (واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا) حجة تبصرني على من خالفني او ملكا
ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حرب
الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الارض (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهى الباطل)
وذهب وهلك الشرك من زهى بروحه اذا خرج
(ان الباطل كان زهوقا) مضجعا غير ثابت
عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة
يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل يكت
بخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق
وزهى الباطل فيكت لوجهه حتى التي جميعها وبقي
صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صنم فقال يا علي
ارم به فصعد فرمى به وكسره (ونزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ما هو في تقويم دينهم
واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن
البيان فان كله كذلك وقيل انها للبيض والمعنى
ان منه ما ينشئ من المرض كالفاحة وآيات الشفاء
وقرأ البصريان نزل بالتخفيف

الاخر قصيرا وواجههم كما لم اتي بالشرق المتعاقلة اذا وقعت عليها انوار الشمس فانه ينعكس النور من كل واحدة من
تلك المراى الى الاخرى فكذلك في هذه الصورة ولهذا السبب كل من له ذوق سليم اذا أدى هذه الصلاة بالجماعة وجد
من قلبه ضجة ونورا (قوله بيان لبدأ الوقت ومنتهاه) وذلك لان اللام في قوله لدلول الشمس للتعقيب وقوله الى
غسق الليل متعلق بام وكلمة الى لانتهاء غاية الافاقة وغسق الليل تراكم طلعه واشتدادها والظلمة المراكمة انما
تحصل عند غيوبة الشفق الابيض والحكم المبدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية منتهاها عندها
فيكون قوله لدلول الشمس الى غسق الليل بيانا لبدأ الوقت ومنتهاه (قوله من الليل) متعلق بتهجد اى تهجد
بالقرآن بعض الليل كما يشعر به قوله وبعض الليل فترك التهجد والاظهر ان يكون متعلقا بمقدور عطف عليه فتهجد
لان الغاية لا بد لها من معطوف عليه والتقدير ومن الليل اى في بعض الليل فتهجد بالقرآن فالمراد منه الصلاة
المستقلة على القرآن عبر عنها باسم بعض اركانها والمعروف في كلام العرب ان التهجد عبارة عن النوم بالليل يقال
تهجد فلان اذا نام بالليل ثم لما رآى يتأق عرف الشرح انه يقال لمن اتى بالليل من نومه وقام الى الصلاة انه فتهجد
وجب ان يقال سمي ذلك تهجدا من حيث انه الى التهجد عن غيبه كما قيل للعابد تحبث لاقائه الخبث وهو الائم
والخوف عن نفسه وناغلة مصدر على وزن الغافية منصوب بفعله المقدراى تنقل نافلة لك والناغلة في اللغة ان يادة
على الاصل ومعناها في هذه الآية ايضا الزيادة وفي تفسير كونها زيادة قولان متباين على ان صلاة الليل كانت
واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فغلب من قال انها كانت واجبة عليه بقوله تعالى يا ايها المرسل قم الليل
الا قليلا لم تسخت فصارت نافلة اى تطوعا وزيادة على الفرائض وقال آخرون ان صلاة الليل كانت واجبة
عليه عليه الصلاة والسلام ومعنى كونها نافلة له على التخصيص انها فريضة زائدة له عليه الصلاة والسلام
على الصلوات الخمس واختار المصنف هذا القول لان فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب ان يكون التهجد
واجبا عليه ومن قال ان صلاة الليل ليست واجبة عليه بل هي تطوع في حقه كما هي تطوع في حق امته قال في وجه
قوله نافلة لك بلام الاختصاص انه تعالى غفر النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكل طاعة باقى
بها سوى المكتوبة فانه لا يكون تأثرها في كثرة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها في زيادة الدرجات وكثرة
الثواب فلما كانت زيادة الثواب سميت نافلة بمعنى زيادة الثواب بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات
فهم يحتاجون الى التواقل لتكفير الذنوب والسيئات لاخص زيادة الثواب وللإشارة الى هذا المعنى جعلت
تطوعاته عليه الصلاة والسلام زوائد ونوافل في مثنوئته بخلاف تطوعات امته (قوله ولا شعاري) عطف على قوله
لما روى فهو وجهه ثان ليكون المراد بالمقام المحمود مقام الشفاعة وتقرر كون المقام من حيث هو مقام محمودا يستمر
بالانعام عليه وذلك الانعام لا يجوز ان يراد به تبلغ الدين والهداية الى الشرح القويم والصراط المستقيم لان
ذلك الانعام كان حاصلا الان وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يشتركون المراد منه مقام الشفاعة واتفق
المفسرون على ان كلمة عسى من الله تدخل فيما هو قطعي الوقوع لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في
شيء ثم حرمه كان عارا عليه والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم لا يعطيه (قوله اى في القبر) قدم هذا
الوجه واختاره لكونه مناسب المذكور بحقيق قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وبالجملة على ضم الميم
في قوله مدخل ومخرج لوقوعهما بعد فعل زاعى وجعلهما المصنف مصدر ميميا وان جاز ان يكونا اسمي ممكن
وقرى بفتح الميم فيهما على ان كل واحد منهما مصدر ميمي من الفعل الثلاثي منصوب بفعل مقدر موافق لهما فتدبره
فادخل مدخل واخرج مخرج والاضافة فيهما للعينين مدحا للمضاف كما سأل الله تعالى ان ادخلا حسنا واخرجنا
حسنا لا رى فيه ما نكرهه وان كان المعنى ادخلي مكة ظاهرا عليها يكون المأمر به ان يسأل الله تعالى ان يخرج
له مكة ويدخل فيها ادخالا مرضيا وان كان المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة تكون الاية مبررة بقوله
وان كادوا يستغروك من الارض والمعنى ان كفار مكة لما ارادوا اخراجه عليه الصلاة والسلام من مكة امره
الله تعالى بالهجرة الى المدينة وقاله قل رب ادخلي مدخل صدق وهو ادخاله المدينة واخرجني مخرج صدق
وهو اخراجه من مكة او ادخاله القار واخراجا منه (قوله ومن البيان) فان قيل من البائية لا بد ان يتقدمها
ما يحتاج الى البيان لان يتقدم هي عليه وهذا قد تقدمت هي عليه فكيف يكون بيانه فالجواب ان البيان لا يحتاج
تقدمه لفظا بل يكفي تقدمه رتبة وهو حاصل ههنا فان قوله من القرآن بيان لمفعول نزل وهو قوله ما هو شفاء

وحال منه كان من الاوثان في قوله فاجتنبوا الرجيس من الاوثان حال من الرجس وبين له وذوالحال متقدم من حيث الرتبة على الحال وان كانت تبعيضية يكون من القرآن مفعولا به وما هو شفاء بدلا منه شبه المؤمنين بالرضى من حيث احتياجهم في توبته دينهم وعقائدهم واصلاح نفوسهم واخلاقيهم الى ما ينعينهم ويصلح شأنهم في البائين وشبه القرآن بالدواء الشافي من حيث كونه خالعا ومن لا تضعف العقائد والاخلاق الذميمة ويصلح شأن المؤمن في باب العقائد والاعمال والاخلاق فغير عن المشبه بانهم المشبه به يقل ونزل من القرآن ما هو شفاء ثم بين المراد بهذا اللفظ المستعار بقوله من القرآن وان شئت قلت ذكر طرفي التشبيه البلغ وجعل كون القرآن بمنزلة الشفاء بالنسبة الى المؤمنين تحجيلا للاستعارة التي هي تشبيه المؤمنين بالمرضى ثم انه تعالى لما وصف القرآن بانه شفاء ورحمة للمؤمنين وانه لا يزيد الظالمين الا خيرا وخسارا بين ان شأن نوع الانسان انه ان فاز بالنعمة والدولة اغتر بها ونسى ذكر الله تعالى والاشتغال به ثم اتبع ذلك بقوله قل كل يعمل على شاكلته اى على حسب طريقتيه المشاكلة لما هو عليه من الهدى والضلال فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الاعراض عن الذكر عند الانعام ومن اليأس من رحمة الله عند الشدة والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلا ويذل على هذا قوله تعالى فربكم اعلم بما هو اهدى سبيلا اى المؤمن الذى لا يعرض عند النعمة ولا يأس عند المحنة ثم ذكر وجه آخر وهو ان يكون المراد بالمشاكلة ما يشاكل جوهر روحه والمعنى كل احد يفعل على وفق ما يشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه نفسا مشرقة طاهرة علوية صدرت عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة خبيثة سفلية ظلمانية صدرت عنه افعال خبيثة قال الامام اختلاف العقلاء فان النفوس الناطقة البشرية هل هي مختلفة بالماهية اولا فخير من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلاف افعالها واحوالها لاجل اختلاف جواهرها وما هياتها ومنهم من قال انها منسوبة في الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف امرجة ابدانها ثم قال والختار عندي هو القسم الاول والقرآن مشعر بذلك فانه تعالى بين في الآية المقدمة ان القرآن بالنسبة الى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى البعض الآخر يفيد الخسار والخزى ثم اتبعه بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها من القرآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس الكدرة ان يظهر فيها من القرآن آثار الخزي والضلال وكان الحسن تعقدا للمخ وتلين الدهن وتبييض ثوب القصار وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بما هياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية فيظهر فيها من القرآن ضلال ونكال على نكال انتهى كلامه والمصنف اشار الى القول الاول بقوله اوجوهر روحه والى الثاني بقوله واحواله التابعة لمزاج بدنه من غير تعرض لترجيح اخذ القولين على الآخر ويحتمل ان يكون قوله هذا ترجيحا للقول الاول ويكون عطف قوله واحواله التابعة للاشارة الى ان اختلاف جوهر الروح بالماهية انما يقتضى اختلاف الافعال بواسطة اختلاف تدبيره في مادة بدنه (قولهم من الابداعات) اى من الامور المخترعة لاعلى مثال والسؤال عن الروح وان كان يقع على وجوه كثيرة اchiedا ان يقال اى شئ ماهية الروح وحقيقته هو مخبر ام حال في التخيير ام موجود غير مخبر ولا حال في التخيير وثانيها ان يقال الروح هل هو قديم او حادث وثالثها انه هل يبقى بعد موت الاجسام او ينفى ونحو ذلك من احوالها الا ان الظاهر انهم سألوه عليه الصلاة والسلام عن حقيقة الروح وانه عليه الصلاة والسلام اجابهم بان بين لهم ذات الروح بعض عوارضه واحواله وهو قوله تعالى قل الروح من امر ربي يعنى انه موجود بامر الله تعالى وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه لاهل الظاهر اذ من البين انه لا يجاوز ادراكهم عن عالم الحسوسات وما يدركونه من المعاني الممقولة ليس الاصورات من الجزئيات الحسوسة على حسب الاستعدادات المختلفة بل هو من عالم الامر اى الابداع الذى هو عالم الذوات المجردة عن الهوى والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكها بالحواس المجعول بالكون لقصور ادراككم عنه فالجواب المذكور اشارة الى ان الروح لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض غير مباشرة وبذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلاة والسلام في جواب ما راب الله المين على ذكر بعض صفاته وان اراد وابسأله عن الروح انه هل هو قديم او حادث يكون الجواب بانه من امر ربي يعنى انه حادث يتكونه وموجود بامر الله اى بقوله كن ولفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل كما في قوله تعالى وما امر فرعون

(ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لتكذيبهم وكفرهم به
(واذا انعمنا على الانسان بالحمدة والسعة) (اعرض)
عن ذكر الله (وتأى بحجابه) لوى عطفه وبعد بنفسه
عنه كانه مستغن مسند بامر الله ويحوز ان يكون كناية
عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر
برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب
او على انه يعنى نعم (واذا ساء الشر) من مرض
او فقر (كان يوشسنا) شديد اليأس من روح الله
(قل كل يعمل على شاكلته) قل كل احد يعمل على طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه
واحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم اعلم بما هو اهدى
سبيلا) اسد طريقا واين منهجا وقد فسرت المشاكلة
بالطبيعة والعادة والدين (ويا لؤئك عن الروح)
الذى يعنى به بدن الانسان ويدبره (قل الروح
من امر ربي) من الابداعات الكاشفة بكن من غير مادة
وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامر الله
وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه

برشيد اى وما فعله برشيد وقوله فلما جاء امرناى فقلنا فقله تعالى قل الروح من امر ربي اى من فعل ربي وانه حادث
 حصل بفعل الله وتكوينه وابتدائه (قوله وقيل بما استأثر الله به) الظاهر ان يقال بما استأثر الله به
 بدون الضمير بمعنى استبد وتفرّد بعلمه واستعما له متعد يا غير معهود في اللغة ومعنى الجواب حينئذ قل معرفة
 الروح من شأن الله تعالى لا من شأن غيره على ان يقدر المضاف بعد قوله قل ويكون الامر بمعنى الشأن وهذا
 التوجيه يطابقه قوله وما اويتم من العلم الا قليلا ولم رض المصنف بهذا الوجه لان معرفة الروح ليست اعظم شأنا
 من معرفة الله تعالى واذا كانت معرفته تعالى بمكنة بل حاصلة فاي مانع يمنع من معرفة الروح مع ان مسألة الروح
 يعرفها اوساط العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف يليق بالرسول الذي هو اعظم العلماء وافضل الفضلاء ان يقول
 اننا لا نعرف هذه المسألة وانما علمها من امر ربي وشأنه فلذلك اختار ان يكون السؤال عن حقيقة الروح او عن
 قدمه وحدوثه وانه عليه الصلاة والسلام اجاب عن ذلك السؤال بان بين لهم ما سأله في قوله نزل به الروح الامين
 على قلبك وفي قوله فارسلنا اليها روحنا ففتن لها بشرا سويا حيث سألو الرسول صلى الله عليه وسلم كيف جبريل
 في نفسه وكيف قيامه في تبليغ الوحي فقال قل الروح من امر ربي اى انه من عالم الامر او موجود بامر الله وتكوينه
 او ينزل ويبلغ بامر الله كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام وما ينزل الا بالامر ربك (قوله وقيل خفي) اى قيل
 ان الروح المستول عنه في هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو اعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى
 يوم يقوم الروح والملائكة صفا روى عن علي رضي الله عنه انه قال انه ملك له سبعون الف وجه لكل وجه
 سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى تلك اللغات كلها وما خلق الله تعالى خلقا اعظم من
 الروح غير العرش ولو شاء ان يتلغ السموات السبع والارضين السبع وما فيهن بلعة واحدة لفعل صورة خلقه على
 صورة الملائكة وبصورة وجهه على صورة الاديئين يقوم يوم القيامة عن عرش العرش وهو اقرب الخلق الى الله
 تعالى اليوم بعد الحجب السبعين وقرب الى الله عز وجل يوم القيامة وهو يشفع لاهل التوحيد ولو لان يشفعين
 الملائكة ستر من نور لا تحرق اهل السموات من نوره (قوله وقيل القرآن) اى وقيل المراد بالروح المستول عنه
 في هذه الآية ان القرآن لانه تعالى سمي القرآن في كثير من الآيات روحا منها قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا
 من امرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره ولان القرآن تحصل به حياة الارواح والعقول اذ به تحصل معرفة
 الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسوله واحوال الآخرة والارواح انما تحيى بهذه المعارف مع ان الاثر في هذا الموضع
 القرآن لانه تقدمه قوله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وبيان لشئنا الذين بالذي
 اوحينا اليك الى قوله تعالى ان يا تو انزل هذا القرآن لا بانون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان ما قبل
 هذه الآية وما بعدها في وصف القرآن ناسب ان يكون المراد بالروح المذكور في هذه الآية ايضا القرآن ولما
 استعظم القوم امر القرآن وسألوا انه هل هو من جنس البشر والكهانة اجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام
 البشر وانما هو كلام ظهر بامر الله تعالى ووحية وتنزله فقال قل الروح من امر ربي اى ان القرآن انما ظهر بامر ربي
 ووحية (قوله ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس) جواب عما يقال سلبا ان علم الانسان مقصور على
 ما يستقيده بواسطة الحواس لكن كيف يلزم منه ان يكون معلومة شيئا قليلا بالنسبة الى معلومات الله تعالى
 ومعلومات النفوس المجردة عن الحجب الطبيعية والعوائق الجسمانية واشار بقوله من احساس الجزئيات اى
 بطريق الاحساس المستفاد من احساس الجزئيات المعرفة لذاته الى ان الانسان يجوز له ان يعلم شيئا من الاديان
 على سبيل التشبيه والمقابلة بما شاهد في عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الآخرة بهذا الطريق (قوله
 ويحواه من المصاحف والصدور) اشارة الى جواب من زعم ان هذه الآية تدل على ان القرآن مخلوق لان القديم
 لا يقبل الازالة والادب لما قرر من ان ما نزل عليه من المصاحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول به عليه محمد
 روى يحيى السنة في تفسيره عن عبد الله بن مسعود انه قال اقرأوا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى
 يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف يمتا في صدور الناس قال يسرى عليهم لئلا يرفع ما في صدورهم فيصيحوا
 لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا ترفع
 الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى الخيل فيقول الرب تعالى مالك فيقول يا رب

وقيل بما استأثر الله به لعله لم يبارى ان اليهود قالوا
 لقر يش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
 وعن الروح فان اجاب عنها اوسكت قلبه بلي
 وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو يفي فيهم
 القصتين وابهى امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل
 الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل
 القرآن ومن امر ربي معناه من وحية (وما اويتم
 من العلم الا قليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم
 فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو
 من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
 ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما وامل اكثر
 الاشياء لا يدركه الحس ولا شيء من احواله المعرفة لذاته
 وهو اشارة الى ان الروح محال يمكن معرفة ذاته
 الا بعوارض غير محال يتيسر به فلهذا اقتصر على هذا
 الجواب كما اقتصر موسى في جواب ومارب العالمين
 بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام
 لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال
 بل نحن وانتم فقالوا ما يحب شأنك ساعة تقول
 ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول
 هذا فنزلت ولوان ما في الارض من شجرة اقلام
 وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم
 من الخير والحق ما تنبأه الطائفة البشرية بل ما ينظم به
 معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي
 لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه
 كبير (ولشئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) اللام
 الاولى موطئة للقياس ولتذهبن جوابه اثنان ثواب
 جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبن بالقرآن ومحواه
 من المصاحف والصدور

اتلى ولا يمل في اتلى ولا يمل في (قوله بمعنى ولكن رحمة من ربك تركت غير مذهب) من انه على تقدير ان يكون الاستثناء منفصلا يكون استدراكا على قوله واتى شئنا نذهبن بالذى اوحينا وعلى تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى منه قوله وكبلا بنساء على ان الرحمة من جنس الوكيل مندرجة فيه كاقال ابو القاسم (قوله ولولا هي) اى اللام الموطنة فان القسم مقدر معها الجاز ان يكون قوله لا يأتون جواب الشرط غير مجزوم بناء على ان حرف اشترط اذا لم يمل فيما هو اقرب منه فلا لا يمل في الا بعد اولى كما في البت فانه رفع بقوله فيه مع انه جواب الشرط لما ذكرنا (قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ) يعنى ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى من الجن والانس فلما ظهر عجز كل واحد من الفريقين عن اتيان مثله ظهر ان القرآن ليس من نظم هذين فريقين ولم يلزم منه كونه وحيا لاهيا لحوازه كونه من نظم الملائكة وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة ووقع التحدى مع جميع الفرق اثلاث فلم يذكر الملائكة ايجاب عنه ولا بان المقصود من تحقيق المعجزات القرآن دفع شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر والجن ولم يذهب احد منهم الى احتمال كونه تأليف الملائكة فلذلك لم يذكر الملائكة في مقام التحدى وثايبا به لوجه لذكر الملائكة في هذا المقام من حيث كونهم وسائط في اتيانه ونزوله الى البشر (قوله ويجوز ان تكون الآية تقريرا) لا ينافي لكونه معجزا بعد الامتنان بتزيله ثم بابقائه كما يفهم ذلك من التقرير السابق (قوله كبرنا بوجوه مختلفة من كل معنى) اشارة الى ان قوله تعالى من كل مثل مفعول صرفنا وكلمة من فيه زائدة في المفعول وقد جوز الكوفيون والاخص زياتها في الايات والمعنى ولقد صرفنا تقرير كل معنى من التزيين والتزيين والوعود والوعيد والمواعظ وتقرير الدلائل الدالة على حقية ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل وبطلان ما هو الباطل منها من وجه الى وجه آخر وكررنا تقريره بوجوه مختلفة ليدكرنا واذعنا الى الحق فاني اكثر اهل مكة الاجودا للحق واصرارنا على الكفر والعماد (قوله وانما جاز ذلك) يعنى ان قوله الا كفورا مستثنى مفرغ في الكلام الموجب وقد تقرر ان عدم ذكر المستثنى منه انما يجوز في غير الموجب ولا يجوز في الموجب لفساد المعنى فكان القياس ان لا يجوز ان يقال ابي اكثر الناس الا كفورا الا انه جاز من حيث ان قوله ابي اكثر الناس في قوة لم يفدوا ولم يرضوا الا كفورا وفسر الكفور بالحرد لانه تعالى اثبت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ببيان كوز القرآن معجزا وانه عليه صلاة والسلام اظهره على وفق دعواه وحينئذ يتم الدليل على كونه نبيا صادقا لان كل من ادعى النبوة وظهر المعجزة على وفق دعواه فهو نبى صادق فصحة نبى صادق عليه الصلاة والسلام واثباته من شرط كونه نبيا صادقا واثبات المعجزات الكثيرة وتواليها لانه يستلزم ان لا يتغير الامر فيه الى حد ينقطع عنده عند المعاديين لانه كلما اتى الرسول بمعجزا افترحوا عليه معجزا آخر لا الى نهايته فكفار مكة بعد ان اظهر كون القرآن معجزا انتموا منه عليه الصلاة والسلام ستة انواع من المعجزات فالتاسم هذا ليس الاتعنا وجودا (قوله وقر الكوفيون ويعقوب نفجر) يتبع التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فخرت الماء فانفجر بمعنى بجمته فانجس ويؤيد هذه القراءة كون الينوع واحدا وقرأ باقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المستددة مضارع فخر للتكثير واتفقوا على ان الثانية بالتشديد للتصريح بمصدرها (قوله لا ينضب ماؤها) بضم الضاد اى لا يغور في الارض ولا ينسفل وينبع الماء ينبوعا اى خرج واليعسوب الفرس الكبير الجرى والنهر السيد الجربة وعب الماء اذا زخر وكثر وارتفع يقال زخر الوادى اذا امتلا وارتفع ماؤه وبحر زاهر والعباب باضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه اقترح القوم وقالوا له عليه الصلاة والسلام ازل عنا جبال مكة ونحرقنا النبيوع ليسر علينا امر الزراعة والحراثة ثم قالوا فان لم تستطع اظهار الخبر فاطهر التبر بان تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اى قطعنا جمع كسفة وهى القطعة مثل قربة وقرب واتصابه على الحال من السماء (قوله وحفص فيما عدا الطور) انظر اهراته معطوف على ابن كبر كما ان قوله وابن عامر وقوله ونافع وابوبكر معطوفان عليه فيكون المعنى وسكنه حفص فيما عدا الضور وهو مخالف لما ذكره الامام الرازى في تفسيره وهو قوله قرأ ابن عامر كسفا بفتح السين ههنا وفي سائر القرآن بسكونها وقرأ نافع وابوبكر عن حاصم ههنا وفي الروم بفتح السين وفي باقي القراءة ان بسكونها وقرأ حفص في سائر القرآن بالفتح الا في الطور وقرأ ابن كبر وابوعرو وحجرة والكسائي في الروم بفتح السين وفي سائر القرآن بسكونها هذه عبارة الامام في الكبير وفي تفسير الامام ابي الليث وحاشية الطيبي وتفسير القراءة هكذا قرأ نافع وحاصم وابن عامر كسفا بفتح السين والباقون بسكتها والله اعلم في فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع

(ثم لا تجد لك به علينا وكبلا) من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا (الا رحمة من ربك) فانها ان نالتك قطعها تسرده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركت غير مذهب به فيكون امتثالا بابقائه بعد المنه في تنزيهه (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وازال الكتاب عليه وابقائه في حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم ولكال المعنى (لا يأتون بمثله) وفيهم العرب العرباء وارباب البيان وامل التحقيق وهو جواب قسم محدوف دل عليه اللام الموطنة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان انا خليل يوم مسنة * يقول لا غائب مالى ولا حرم (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان آياتهم به لا يخرج عنه كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله لم تجد لك به علينا وكبلا (ولقد صرفنا) كررنا بوجوه مختلفة زائدة في التقرير والبيان (لكس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس (فابي اكثر الناس الا كفورا) الاجودا واذا جاز ذلك ولم يكن ضربت الا زيدا لانه متأول باثني (وقالوا اني نؤمن لك حتى تتبرنا من الارض ينبوعا) ثم اقرحنا بعد ما ازمهم الحجة ببيان انهم القرآن وانضمناهم غيره من المعجزات اليه وقر الكوفيون ويعقوب نفجر يا تحفيف والارض ارض مكة والينوع عين لا ينضب ماؤها بفعل من نبع الماء كيعسوب من عب الماء اذا زخر (او تكون لك جنة من نخيل وعنت فنفجر الانهار خلالها نفجيرا) او يكون لك بستان يستل على ذلك (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى او تسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كبر وابوعرو وحجرة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابوبكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو ما تخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالنضج

(اوتاني بالله والملائكة قبلا) كفيلا بما تدعيه اوشاهدا على صحته ضامنا لدركه اومقابلا كما لعشير بمعنى المعاشرة وهو تعامل من الله وحال الملائكة محذوفة لدلائلها عليها كما حذف الخبر في قوله ومن يك امسى بالدينه رحله فاني وقبار بها لغريب اوجاعة فيكون حالا من الملائكة (اويكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة (اوتري في السماء) في معارجها (ولن تؤمن رقبك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرأه) وكان فيه تصديقك (قل سبحان ربي) نجبا من اقتراحتهم اوتزيها لله من ان ياتي اوتحكم عليه اويشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظفرونه الله عليهم على ما يلزم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم وللاهم ان يتحكموا على الله حتى يتعبرونها على هذا هو الجواب الجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولوترنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق (الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا) الاقولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لو كان في الارض ملائكة يمشون) كما عشي بنوا آدم (مطبخين) ساكنين فيها (لترتنا عليهم من السماء ملكا رسولا) فكنتهم من الاجتماع به والتلفق منه واما الانس فعاتبهم جماعة عن ادراك الملك والتلفق منه فان ذلك مشروط بنوع من التاسب والتجانس وملكنا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على اني رسول اياكم باظهاره المنجزة على وفق دعواي اوعلى اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وتهديد انصب على الحال او التمييز (انه كان بعباده خيرا بصيرا) يع احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) يهدونه (وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها او يمشون بها روى انه قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امساهم على اقدامهم قادر على ان يمشهم على وجوههم (عيا وكما وصما) لا يصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما لمذمهم ولا يتفقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يتبصروا بالآيات والعبر ونصا موا عن استماع الحق وابوا ان يتفقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤو في القرى والحواس (ما واهم جهنم كلما خبت) سكن لهم بان اكلت جلودهم ولحومهم (زناهم سعيرا) توقدا بان تبذل جلودهم ولحومهم فتعود ملتية مستعرة فانهم لما كذبوا بالعادة بعد الافشاء جزاها الله بان لا يزالون على الاعادة والافشاء واليد اشار بقوله (ذلك جزاؤهم بانهم

(٢٤٢)

وكسرو وكسرو من سكنه جعله ايضا جاعلا وزن فعل به تم العين لكسركن عينه تخفيفا كما خففت سدراسه سدر بفتح الدال جمع سدرة اوجعله فعلا بمعنى المنعول كالطحن بمعنى المطحون والكاف في قوله كازعت صفة محذوف اي اسقاطا مثل من عومك على ان ماصدريه والمصدر بمعنى المفعول والمراد بمنعومه عليه الصلاة والسلام ما حكي عنه تعالى من قوله ان نسا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحب مر كوم اي لا يصدقون انها كسف ساقطة للعذاب فعمل منه ان ما حكي عنهم في هذه السورة من قولهم او تسقط السماء كازعت علينا كسفا انما قولونه عنادا وتعدا لا لتحصيل اليقين (قوله كفيلا اومقابلا اوجاعة) فسر القبيل بثلاثة اوجه الاول الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل قبالة والثاني المقابل كما لعشير بمعنى المعاشرة والثالث الجاعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالزوم والنج والعرب والقبيل هذا المعنى يجمع على قبل وسنه قوله تعالى وحشرنا عليهم كل شي قبلا اي قبلا واذا كان قبلا بمعنى كفيلا كان التقدير اوتاني بالله قبلا وبالملائكة قبلا واذا كان مة ابل كان التقدير اوتاني بالله مقابلا وبالملائكة مقابلين وعلى الوجهين يكون قبلا حالا من الله وحال الملائكة محذوف لدلالة المذكور عليه كما حذف خبره في قوله

فمن يك امسى بالدينه رحله فاني وقبار بها لغريب

اي فاني لغريب وقبار كذلك وان كان قبلا بمعنى جاعة يجوز ان يكون حالا من الله والملائكة وان يكون حالا من الملائكة فقط اي فوجا بعد فوج وكل فوج من الجن والانس قبيل (قوله في معارجها) قدر المضاف لان هذا الفعل اذا عدى بكلمة في انما يعدى الى ما هو آلة الارتقاء يقال رقى في السلم وفي الدرجة وارقى الصعود يقال رقى بكسر العين رقى بالفتح رقى على وزن فعول اصله رقى فاذا غم بعد قلب الواو ياء (قوله ولن تؤمن لاجل رقبك وحده) روى عن عبد الله بن ابي انه قال لن تؤمن لك حتى تضع على العمامة حلما ثم ترفي فيه وانا انظر اليك حتى تأتيتها ثم تأتني ملك بصك منشور معار بعة من الملائكة يشهدون ان الامر كما تقول فقال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل سبحان ربي (قوله حتى يتخبرونها على) اي حتى يحكمون على باختيارها يقال تخبر عليه اي اقترح عليه في اختيار الخير (قوله باظهاره العجرة على وفق دعواي) اذا كان ذلك شهادة منه تعالى على كونه عليه الصلاة والسلام صادقا في دعوى الرسالة ومن شهد الله تعالى على صدقه فهو صادق فكل من قال بعد ذلك يجب ان يكون الرسول ملكا لا انسايا يكون كلامه مهيلا لا يلتفت اليه (قوله لا يصرون ما يقر اعينهم) اشارة الى جواب ما عقال كيف يحشرون عيا وكما وصما وقد قال تعالى ورأى الجرمون النار وقال سمعوا لها نغيضا وقال دعوا هانك ثورا وقال يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات انهم يرون ويسمعون وينطقون فكيف قال هتاعيا وكما وصما اجاب عنه المصنف اولابا المعنى انهم يحشرون عيا بحيث لا يرون شيئا يسمعون شيئا يلتذون بسماعه كما لا ينطقون بحجة ثم اشار الى الجواب ثانيا بقوله ويجوز ان يحشروا الخ يعني انهم يكونون راكبين سامعين ناطقين في الموقف اولذلك لما قدر واعي ان يطالعوا كتبهم ولان يسمعون الزام حجة الله عليهم الا انهم اذا اخذوا يذهبون من الموقف الى النار يجعلهم الله تعالى عيا وكما وصما (قوله مؤو في القوى) من الافة يقال ايف الزرع على مالم يسم فاعله اي اصابته افة فهو مؤو ف (قوله توقدا) اشارة الى ان العير مصدر بمعنى التسعير وهو التوقد والتلهب كالنذر والكبر بمعنى الاذكار والانتكار ويجوز ان يكون التسعير بمعنى النار الم حورة يقال سعرت النار بمعنى هيئت او الهبت ها وقد تشدد العين لتكثير المبالغة فان قيل قال تعالى لا تخفف عنهم العذاب وقوله كما خبت بل على ان العذاب يخفف عنهم في ذلك الوقت اجيب بان قوله كما خبت معناه كما ارادت ان تخبوا زناهم تسعروا وتلهبا (قوله تعالى ذلك جزاؤهم) مبتدأ وخبر والباء في قوله بانهم كفروا بآء السببية اي ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدم جزاؤهم بسبب انهم كفروا بآياتنا الدالة على صدق مدعى النبوة مكابرة وعنادا وعطفا على كفرهم بالآيات المذكورة قولهم وقالوا اذا كنا عظاما الخ يعني انهم كانوا كالتربة والبعث والحشر واستبحروا ان يعود الانسان بعينه بعد ان يصير عظما وزفانا واجاب الله تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعني ان من خلق السموات والارض كيف يستبعد عتد ان يقدر على اعادتهم باعينهم واراد بخلق مثلهم خلق انفسهم ثانيا فان مثل الشيء لما كان مساويا له في حاله جاز ان يعبه به عن الشيء نفسه الاترى انه يقال مثلك لا يفعل هذا ويراد انت لا تفعله وقيل المراد انه قادر

(على)

صكفروا بآياتنا وقالوا اذا كنا عظاما ورفينا اثنا لمعونون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم

على ان يخلق عيد آخر ين يوحدهونه ويقرن بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر الشبهات الفاسدة وما اختاره المصنف اتسب بالمقام وتم الجواب عند قوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم ثم عطف قوله وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهي قوله اولم يروا الخ فانه في قوة قدرأوا فليس هو داخلا في حيز الاكار بل هو معطوف على جملة برأسها وقوله لا ريب فيه صفة لاجلا غير مرتاب فيه فان اراد به اجل الموت فوجد الافراد واضح وان اراد به اجل القيامة يكون المقصود من هذه الجملة بيان ان وقوعه ودخوله في الوجود وقام معلوما عند الله وبيان انه في نفسه امر ممكن الوجود بناء على ان اعادة امثالهم اهون في عقولهم من خلق السموات والارض ابتداء (قوله وانتم من فروع بفعل يفسره ما بعده) اي وليس بمرفوع على الابتداء لان كلة لول للشرط والتعليق والمعلق عليه لا بد ان يكون من الاحوال المتغيرة القائمة بالذوات ولا يجوز ان يعلق الحكم بنفس الذوات وكان من حقها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على المعاني والاحوال فلا بد ان يلبها الفعل ظاهر او مضمر والمواقع الاسم بعدها في الآية وجب ان يقال ان ذلك الاسم من فروع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والاصل لو لم يكون خذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو اذ لا يمكن بناؤه متصلا بعد حذف رافعه ونظيره في وجوب تقدير الفعل قوله وان احد من المشركين اي وان استجبارك احد وقول حاتم * لودات سوار لطمني * اي لو لطمني ذات سوار لان لو طلبة للفعل فلما لم يوجد لفظا جعل مقدر والمعنى لو لطمني من كان كفوا لاهان على ولكن لطمني من هو غير كفئ وقيل اراد لو لطمني حرة فكيف يكون اللاطمة ذات سوار عن الحرية لان العرب قلا يلبسون الاماء السوار فالمعنى لو كانت اللاطمة حرة لكان اخف على وذكر للعدول عن الظاهر الى طريق الخذف والتفسير فالتدين الاولى المبالغة في ترتب الجزاء على الشرط لان تكرار الشرط يتضمن تكرار الجزاء الثانية الدلالة على الاختصاص وهو التعليق وذلك ان انتم وان كان فاعلا لفعل مقدر الا انه لما كان عبارة عن ضمير تملكون المتأخر ومختدا معه بالذات كان من حيث المعنى فاعلا له قدم عليه وقد تقرر في علم المعاني ان تقديم الفاعل المعنوي يفيد الاختصاص فقوله تعالى لو انتم تملكون يدل على انهم المختصون بهذه الحالة المنسية والشخص الكامل فانه من المعلوم ان خزائن الله تعالى غير متناهية لا يتصور نفادها بكثرة الانفاق في ملكها واستولى عليها من غير منازع ومن احم ثم امسكها ولم يقض بها حاجة احد من المحتاجين يكون في غاية الشح ونهاية البخل (قوله ليجلتم) اشارة الى ان امسكتم لا بقدره مفعول ويجعل لازما لضمته معنى يخدم ويجوز ان يجعل متعديا ويقدر له مفعول اي لامسكتم المال والخيرات التي ملكتموها الا انه لما حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق مفعول له لقوله امسكتم وقيل انه مصدر في موضع الحال اي لامسكتم خاشين الانفاق وفيه نظر لان المصدر المعرف لا يقع موقع الحال الاسماعا نحو وارسلها العراك ولا يقاس عليه والانفاق مصدر انفق اذا اخرج المال وجعله المصنف مصدرا نفي بمعنى انفق وفي الصحاح نفي ازاد ينفق نفقا اي نفقا وافق الرجل اي افتر واذهب ماله فعلى هذا خشية الانفاق معناه خشية الفاقة والافتقار (قوله اذلا احد الا ويختار النفع لنفسه) جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب كافة الانسان خطابا عاما ويصنعهم بالبخل المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان في الانسان من هو جواد كريم وتقرير الجواب وصف كافة الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث خلق محتاجا الى ما ينظم به احواله والمحتاج لا بد وان يحب ما به يدفع حاجته وان يمسكه لنفسه ولا يؤثر به غيره وانفق ان يؤثر به غير انما بفعل ذلك اطلب عوض شوق ما انفق مثل ان يحمده ويذكر بالبخل او يخرج من عهده الواجب او يتقرب به الى الله تعالى وقلا ينفق للعوض وفائدة نصل اليه فكان المنفق بهذه الكيفية ذا الغرض في الحقيقة بخلاف الجود هو العطاء تقضلا من غير داعي يدعو اليه سوى الكرم ودفع حاجته المحتاج ثم اشار الى وجه آخر وهو انه وصف اسكل بالاجل على اقامة الاكرم مقام الكل لان البخل اغلب فيهم وقيل الخططاب في قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي الآية ليس للكل بل هو خطاب للذين قالوا ان نؤمن نؤمن لك حتى تنجز لنا من الارض يدوعا فانهم لما طلبوا اجرا الانهار والعيون في بلد هم تكثر اموالهم اجا بهم الله تعالى بانكم لو تملكون خزائن رحمة الله لبقيم على بخلكم وشحكم واقدامهم على ابطال النفع الى احد فلا فائدة في اسعافكم بما طلبتموه وقوله تعالى فتور الى بخيلا مكا يقل قتر على عياله يقتر وقتر فتورا فتورا اي ضيق عليهم في الانفاق وقصر وكذلك انتخير والافتقار ثلاث لغات (قوله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للمل) اذ لو اراد بها

(اولم يروا) او اعطوا (ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم) فانهم ليسوا اشد خلقا منهم ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء (وجعل لهم اجلا لا ريب فيه) هو الموت او القيامة (فأي الظالمون) مع وضوح الحق (الا كفورا) الاجودا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي) خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم من فروع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لودات سوار لطمني * وفائدة هذا الخذف والتفسير المبالغة مع الابتجاز والدلالة على الاختصاص (اذن لا امسكتم خشية الانفاق) ليجلتم مخافة النفاق بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اقر غيره بتنى فانما يؤثر له عوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخل اغلب فيهم (وكان الانسان قتورا) بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانتجار الماء من الحجر وانفلاق البحر وتلق الطور على نبي اسراءيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة وعن صفوان ان يهودا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تروا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بيري الى ذي سلطان ليقبته ولا تقذفوا بحصنة ولا تغروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للمل الثابتة في كل اشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والسقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف رأيد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام

الاحكام المطلقة سواء كانت عامة او خاصة لما كان الجواب مطابقا للسؤال لان الآيات المذكورة في الجواب عشر والسؤال عن تسع كانه عليه الصلاة والسلام قال اعلما معاشر اليهود ان الآيات التي اوتيتها موسى عليه الصلاة والسلام وان نسخها شريعة وتكون نحن واتهم فيها سواء هذه المذكورات لكن آية اخرى تخص بكم وهي هذه الآية العاشرة قيل في ارتباط هذه الآية بما قبلها انها جواب عن قولهم ان نؤمن لك حتى آتينا بهذه الآيات المجرزات وتقريره انه تعالى قال انما قد آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التي طابتوها بل اقوى منها واعظم فلو حصل في علمنا ان جعلنا في زمانك مصلحة لقلنا ها كما فعلنا في زمان موسى لكن لما علمنا ان جعلنا في زمانك مصلحة فبدلنا فعلها وقوله تعالى يثبت يجوز ان يكون منصوبا على انه صفة للعدو وان يكون مجزورا على انه صفة للمعدود (قوله فقلنا له سلهم من فرعون) على ان يكون قوله تعالى فاسأل خطيبا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ لو كان الخطيب لينا صلى الله عليه وسلم لما احتج الى تقدير القول بالسؤال هو فرعون والمسؤل عنه انفاذ بنى اسرائيل من ايدى القبط فانهم كانوا بمنزلة الاسرى في يد فرعون والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات يثبت فارسلناه الى فرعون وملائكة وقتلناه اذ جاءهم سل بنى اسرائيل وخلفهم وشأنهم فالسؤال بمعنى الطلب من قولهم سألتك الشيء لان قولهم سألتك عن الشيء واذا جاءهم متعلق بقلنا القدر (قوله اوسلهم عن حال دينهم) على ان يكون الخطيب ايضا لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول الا ان المسؤل حيثئذ بنوا اسرائيل والمسؤل عنه شأن دينهم والمعنى فقلنا لموسى سل بنى اسرائيل اذ جاءهم عن حال دينهم وقل لهم هل اتيتم ثابتون على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اودخلتم في دين فرعون واذا متعلق بقلنا القدر ايضا (قوله ويؤيده) اي يؤيد كون الخطيب لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول ووجه التأييد ان تلك القرأة صريح في ان السائل هو موسى عليه الصلاة والسلام لان ضمير سال عما داله والمعنى فطلب موسى بنى اسرائيل من فرعون اوسلهم عن حال دينهم واذا جاءهم في هذه القرأة متعلقة بسأل (قوله اوفسل يا محمد) عطف على قوله فقلنا له سلهم من فرعون اي ويجوز ان يكون السائل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والمسؤل بنى اسرائيل والمسؤل عنه ما جرى بين موسى وفرعون بعد ان اظهر موسى له ما آتاه الله من المعجزات التسع اي سلهم ان فرعون هل قبل آيات موسى وآمن بها او انكرها واصبر على الكفر لتسلي نفسك ولا تضطرب من تعبت المشركين اوسلهم عن الآيات العامة الغير المسوخة التي آتاه الله تعالى موسى فانه امر محقق عندهم ثابت في كتابهم وليس المقصود حقيقة السؤال ببيان شيء من العام بل كونه اعنى المسؤلين من اهل علمه ولهذا لم يسأل عليه الصلاة والسلام منهم (قوله وعلى هذا كان اذ نصبا يا آتينا) اي ظرقاه وتكون جملة فاسأل بنى اسرائيل معترضة بين الطرفين وعامله وقاؤه الاعتراض ازيد انيق فان تظاهر الأدلة يوجب طأينة القلب او هو من باب التهميش والالهاب وزيادة الثبوت والطأينة على اسلوب قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات يثبت اذ جاء بنى اسرائيل اوفرعون وملاء فاسأل عن ذلك من مسلمي اهل الكتاب يخبروك بما اخبرني (قوله اوباصمار يخبروك) الذي هو جواب قوله فاسأل بنى اسرائيل فلا يكون اذ جاءهم ظرقا يخبروك اذ لا يتصور وقوع اخبارهم عن حال الآيات التسع لثبوتها على الله عليه وسلم في زمان مجي موسى عليه الصلاة والسلام الى بنى اسرائيل بل يكون مفعولا به واخبارهم اياه عليه الصلاة والسلام ذلك الزمان عبارة عن اخبارهم اياه ما وقع في ذلك الزمان من القصة بما فيها والمعنى سل بنى اسرائيل عن حال الآيات التسع فانهم يخبروك القصة بما فيها من لدن مجي موسى من مدين الى مصر عند اياه اليهم وذهابه الى فرعون وطأينة منه ارسال بنى اسرائيل معه وادعائه النبوة واطهار تلك الآيات القاهرة باسمها وعجز فرعون وعناده الا انه يجب ان يكون قوله اذ جاءهم بمعنى اذ جاءهم بتقدير المضاف لان الخطيب ليس المرسلين صلى الله عليه وسلم وبنوا اسرائيل هم الموجودون في زمانه وموسى عليه الصلاة والسلام ما جاءهم بل جاء آباءهم وان كان اذ جاءهم منصوبا باصمار اذكر على انه مفعول به جاز ان لا يجعل فاسأل اعتراضا بان يجعل اذكر بدلا من اسأل لما سبق من ان المقصود من السؤال بيان كون المسؤلين من اهل علمه والتاء في قوله فقال له فرعون على هذه الاوجه فصيحة والمعنى اذ جاءهم فذهب الى فرعون فادعى النبوة واطهر المعجزة وكذبه فقال (قوله وقرأ الكسائي بالضم) والقرأة تصح التاء

(فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم) فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك اوسلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على لفظ المضى بغير همز وهولعة قریش واذا متعلق بقلنا اوسال على هذه القرأة اوفسل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليطهر للمشركين صدقك اوليتسلي نفسك اوليتسلي انه تعالى لو اتى بما افترحوه الا صروا على العناد والكابرة كن قبلهم اولبر داديقتك لان تظاهر الأدلة يوجب قوة اليقين وطأينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا يا آتينا او باصمار يخبروك على انه جواب الاسمي او باصمار اذ كره على الاستئناف (فقال له فرعون افي لا ظنك يا موسى مسحورا) سخرت فتخط عقلك (قال لقد علمت) يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه (ما انزل هؤلاء) يعنى الآيات (الارب السموات والارض بصائر) يثبت تبصرك صدقك ولكيك تعاند واتصاه على الحال

(540)

(فی)

(७८)

كما فارع ظنه بظمه وشستان مابين الطين فارظن
ن الحففة والام هي الفارقة (ماراد) فرعون (ان
يستزهم) ان يستخف موسى وقومه ويفهم
(من الارض) ارض مصر والارض مطلقا بالقتل
والاستصال (فاغرقاه ومن معه جميعا) فعكنا
عليه مكره فاستفزناه وقومده بالاغراق (وقلنا من
بعده) من بعد فرعون واغرقاه (لنبي اسرائيل) اسكنوا
الارض التي اراد ان يستقركم منها (فاداباه وعد
الآخرة) اسكرة والحياة والساعة والدار الآخرة
يعني قيام القيامة (جئناكم ليفضا) تحتلطين ايامكم وايامهم
ثم تحكم بينكم وغير سعداءكم من اشقيائكم واللفف
الجماعات من قائل حتى (وبالحق ازلناه وبالحق نزل)
اي وما ازلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقضى لازاله
وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي احتمل عليه وقيل وما
ازلناه من السماء المحفوظا بالصدور الملائكة وما نزل
على الرسول الا محفوظا بهم من تحليط الشياطين ولعله
اراد به نفي اعتراض البطالان له اول الامر وآخره
(وما ارسلناك الا مبشرا) المطيع بالشواب (ونذيرا)
للعاصي من العقاب فلا عليك اذا التبشير والاذار
(وقرآ فرقتاه) نزلناه مفرقا نجما وقيل فرقة فيه الحق
من الساطل خذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرى
بالتسديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين
سنة (لتقرأ على الناس على مكث) على مهل وتؤدده
فانه اسير الحفظ واعصون في الفهم وقرى بالفتح
وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث
(قل آمنوا به اولا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرآن لا يزيد
كما لا وامتناعكم عنه لا يورث نقصانا وقوله (ان انذرين
اوتوا لعلم من قبله) لتعليل له اي اراكم تؤمنوا به فقد امر به
من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب
السابقة وعرفوا حقيقة الوحى واما رات النبوة
وتمكنوا من الميز بين الحق والمطل اورا ونعت
وصفة ما نزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون
تعليلنا لقل على سبيل تمسليه كانه قيل نزل بايمان
العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكثر بايمانهم واعراضهم
(اذا تبلى عليهم) القرآن (يجرون للاذقان سجدا)
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا
لانجازاه وعده في تلك الكتب بعنة محمد صلى الله
عليه وسلم على فترة من الرسل وانزله القرآن عليه
(ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان
وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كاش لا بحالة
(ويجرون للاذقان يكون) كرهه لاختلاف الحال
او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني
لما اترفهم من مواظب القرآن حال كونهم باكين
من خشية الله وذكر الذن لانه اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد واللام فيه لا اختصاص بالخروج به
سماع القرآن (خشوعا) لما يزيدهم علما ويقينا بالله

سبيل الاستعارة التخييلية بأن شبهت الهيئة الحاصلة من كمال الانقياد والخضوع بهيئة من يخص الحرور بالذق من حيث ان هيئة الحرور على الوجه اقصى هيئات الخضوع ثم ان الذق مع كونه بعد شئ من الارض من اجزاء وجهه من خر على وجهه اذا خص الحرورية كان وصول سائر اجزاء الوجه الى الارض اتم وأولى فغير عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن المسبب بها تصوير العاية خضوعهم ونظيره في كون الكلام محمولا على التمثيل دون الحقيقة قوله تعالى انقلبتم على اعقابكم وقوله فنبذوه وراء ظهورهم (قوله وهو اجوب) اى كون المراد من الآية انه لا رجحان لاحد الاسمين على الآخر بل هما سياتيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود اجوب لما ذكره بعد وذلك لان اعتراض اليهود كان تعميما للمسلمين على ترجيح احدا للاسمين على الآخر واعتراض المشركين كان تعيينا على الجمع بين اللفظين فقوله تعالى اياما تدعوا مطابقا للرد على اليهود لان المعنى اى اسم من الاسمين سه يتنوه به فهو وحس لا رجحان لاحدهما على الآخر في الحس ولا يظهر كونه ردا على من يقول كيف تعبدون اكهين وتنعون عنهما (قوله حذف اولهما) اى في الموضوعين لان المفعول هو المسمى وهو محذوف وفيها واما المذكور فيها هو المفعول الثانى وهو الاسم والتقدير دعوا معبودكم الله او سموه الرحمن اى هذين الاسمين تدعوه وتسموه فقوله ايا منصوب تدعوا على انه مفعول ثان له والظاهر ان قوله وأول التخيير معنى على كون الآية مسوقة للرد على اليهود الذين رجحوا تسميته تعالى باسم الرحمن وطعنوا في المسلمين بتغليبهم ذكر هذا الاسم فان الجواب بالتخيير انما يناسب الرد على من زعم رجحان التسمية باحد الاسمين ولو كانت الآية مسوقة للرد على المشركين الذين حظروا الجمع بين الاسمين لكان المناسب ان تحمل كلمة او على الاباحة فانها وان كانت لاحد الشئتين او الاشياء الا انها اذا وقعت حيث يحصل بالجمع بين الفعلين او الافعال فضيلة وشرف في الغالب تحمل على الاباحة فتوعم الفقه والنعو وحال الحس او ابن سبرين وان وقعت حيث لا يحصل به ذلك تحمل على التخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولا شك انها اذا وقعت في جواب من منع الجمع بين الاسمين يكون حملها على الاباحة انبى لكون المقام مقام الترغيب في الجمع بينهما كما ذكر في شرح الرضى ان اذا كان في الامر فله معنيان التخيير والاباحة فان حصل للأمر بالجمع بين الامرين فضيلة وشرف في الغالب فهي الاباحة فتوعم الفقه والنعو والافهى للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا والفرق بينهما ان الاباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على احدهما وفي التخيير يحتم احدهما ولا يجوز الجمع (قوله بقرأة صلاتك) بتقدير المضاف او على اطلاق اسم الكل وارادة الجزء فان الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والمخافة من عوارض الصوت يقال خفت صوته يخفت خفقا وخفوتا اذا ضعفت وسكن وصوت خفيت اى ضعيف خفى روى انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع صوته بالقرأة فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فانزل الله تعالى هذه الآية (قوله وفيه تنبيه) وجه التنبيه انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان يخص الحمد والتسابيح بالاله المزهة عن جميع صفات نقصان المنقرض بالملك المنعم على الاطلاق ثم امره بان يصفه بصفة الكبرياء المطلق في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه ويعتقد انه واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه وبه تقدم ان كل ما كان صفة له فهو من صفات العظمة والجلال والعز والكمال وان كل واحدة من تلك الصفات اذلية قديمة سرمدية مزهية عن التغير والزوال وان كل واحدة منها متعلقة بما لانهاية له من التعلقات ويعتقد ان كل ما يجري في ملكه وسلطانه واقع بقضائه وقدره ومشيئته وقالت المعتزلة انا تكبر الله تعالى ونعظمه عن ان يكون فاعلا لهذه القبائح والقوا حش بل نعتقد ان حكمته يستضي التزه والقدس عنها وعن ارادتها قال واحد من رؤساء المعتزلة يقال له القاضي عبد الجبار السهماني حيث رأى الاستاذ ابا اسحق الاسفراييني سبحان من تزه عن الفحشاء فقال الاستاذ ابواسحق سبحان من لا يجري في ملكه الاما يشاء وبه تقدم انه ملك مطاع وله الامر والتهى والرفع والمخفض ولا اعتراض لاحد عليه في شئ من احكامه ثم انه تعالى أكد التكبير بالأمور به فقال تكبرا اى اقصى ما يقدر عليه الانسان الضعيف بان يجتهد ويسعى في تعظيمه وتقديسه حسبما يسعه قدرته ثم يعترف بان عقده وفهمه لا يفي بمعرفة جلال الله تعالى ولسانه لا يفي بشكره وثباته وجوارحه واعضائه لا يفي بخدمته فيكبر الله تعالى على قدر طاقته فانه جل عن ان يكبره تكبرا يلبق بعزه ومجده (قوله اذا افصح الغلام) اى فهم ما يقوله في اقل ما يكلم وخلص كلامه عن اللكنة والمراد بهذه الآية قوله تعالى وقول الحمد لله الى آخر السورة عن عرب الخياط رضى الله تعالى عنه انه قال قول العبد لله اكبر حير من الدنيا وما فيها قيل افتمت التوراة بفاتحة سورة الانعام واحتمت

(قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يارحمنا فقالوا انه ينهانا ان نعبد آلهين وهو يدعوا لها آخر اوقات اليهود المكثف ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة فالمراد على الاول هو النسوية بين اللفظين باثما بطلان على دات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني انهما سياتيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله (اياما تدعوا) فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واول التخيير والتثوين في ايا عوض عن المضاف اليه وماصلة لتأكيد ما في ايا من الابهام والتخيير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حوس فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمالفة والدلالة على ما هو والدليل عليه وكونها حسنى لدلائلها على صفات الجلال والاکرام (ولا تجهر بصلاتك) بقرأة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السبب واللعوف فيها (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من حلفك من المؤمنين (وانبغ بين ذلك سبيلا) بين الجهر والمخافة سبيلا واسطفا ان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول انا اناجى ربي وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقط الوستان فلما نزل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع دليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وانبغ بين ذلك سبيلا بالاخفات ثم اراها والجهر ليل (وقل الحمد لله الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له شرك في الملك) في الالهية (ولم يكن له ولي من الدن) ولي يواله من اجل منزلة به ليدفعها بموالاته نبي عنه ان يكون له ما يشاء ركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطارا وما يعاربه ويقويه ورب الحمد عليه الدلالة على انه الذى يستحق جس الحمد لانه كامل الذات المتبرك بالابحاد المنعم على الاطلاق وماعده ناقص مملوك لله اذ وضع عايد وذلك عطف عايد قوله (وكبره تكبرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التزه والتعبد واجتهد في العادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك * روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من نبي عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة نبي اسراييل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قطار في الجنة والقطار لف اوقية ومات اوقية

بجاء هذه السورة والحمد لله رب العالمين

(سورة الكهف وهي مكية)

(بسم الرحمن الرحيم)

(قوله رب استحق الجدة) إشارة الى ان ليس تقدير الكلام قولوا الحمد لله بل هو جلة اسمية لاجل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الجملة وجميع افراده مختصة به تعالى وانه المستحق لها لانه الذي وصلت الى كل احد نعمته وان الذي وصلت النعمة على يده طريق لوصولها الى الخادم وذلك الغير وان استحق الحمد ايضا في مقابلة سعيه واجتهاده في قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكن والاقدار على ذلك السعي ليس الامنة تعالى ويتوفيقه فأتى بجدة الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى وانه تعالى مستعمل لذلك الغير في اصال نعمته الى العبد الا ان الحمد لا يجب ان يكون في مقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة الفضائل الغير المتعدية كما اشار اليه بقوله في آخر السورة السابقة ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جلة الحمد لانه كامل الذات ويدل عليه ايضا انه تعالى ذكر الحمد لنفسه ليدل على كماله ويدل على اثره اماما يدل على قدرته وسلطانه فكقوله تعالى الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض وامام يدل على انعامه وافضاله فكقوله تعالى الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب (قوله وهو في المعاني) قال ابن السكيت كل ما ينصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في عرض او دين او معاش يقال في دينه عوج كذا في الصحاح (قوله او قويا بمصالح العباد) يقال فلان قيم المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد فقيما لثانته وكذا قيم الاطفال فالقرآن لما كان سببا لهداية الخلق قائما بمصالح الارواح البشرية كان كالقيم المشفق القائم بمصالح الاطفال (قوله او على الكتب) عطف على قوله بمصالح العباد فان بعض اهل التأويل فسر القيم بالشاهد وقال القرآن قيم على الكتب المتقدمة وشاهد عليها في الزيادة والقصان وفي التغير والتحرير فمين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرفوا وغيروا والماصل ان قيا اذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيما فيكون بمعنى غير ذي عوج الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته كقوله تعالى محصنات غير مسافحات فانهن اذا كن محصنات لم يكن مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فهما يؤيدان معنى واحد الا انه كرر بناء على عادة العرب وكذا قوله تعالى لينذر بأسا شديدا فان الشديدا هو البأس وكرر للتأكيد هذا اذا لم يقدر لقوله قيا متعلق واما اذا قدر له متعلق فاما ان يقدر على قوله تعالى اغن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي رقيب يحفظ شهيد فيكون تيمنا لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى حيث انه كامل في نفسه مكمل لغيره فيكون بالغا في الاستقامة جدا ويقدر له الباء على نحو قولهم فلان قيم بهذا الامر اي قائم بمصالحه فيكون تكبيل بمعنى انه مستقيم في نفسه قيم بامور غيره (قوله تقديره جعله قويا) زيادة بل ايضا اي ولم يجعل له عوجا بل جعله قويا وقوله قيا سواء كان منصوبا بمضمرة او على انه حال من الضمير في ان يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جلة الصلاة بخلاف ما اذا كان قيا حالا من الكتاب فانه حيث لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل الكتاب لئلا يلزم الفصل بين الحال وذو الحال باجني فان الحال من تمام المعطوف عليه وبعض منه والمعطوف اجني فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذو الحال باجني وعلى تقدير ان يكون قوله ولم يجعل معطوفا على انزل قال بعض اهل التأويل الكلام محمول على التقديم والتأخير اي انزل على عبده الكتاب قيا ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه ان يجعل قيا منصوبا بمضمرة لان الظاهر ان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فلو جعل قيا حالا من الكتاب لم يعطف قبل تمام الصلاة وحل الكلام على التقديم والتأخير بعيد جدا وكذلك جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كانه قيل انزله متتابعته العوج بعيد خلاف الظاهر واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا بدلا الفاسكة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيا ليس متصلا بعوجا وانما هو من صفة الكتاب وغيره لم يبا بهذا الوهم فلم يسكت انكالا على فهم المعنى وفعل حفص في مواضع من اقره آن مثل ما نعله ههنا من سكتة لطيفة نافية للوهم الناسقة فها انه وقف على مرقدنا ويتدنى بقوله هذا ما وعد الرحمن ليفهم من الوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعده كلام غيرهم قيل هم الملائكة وقيل المؤمنون ومنها انه يقف على من في قوله كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق ويتدنى براق الملائكة اكلت واحدة على فعل اسم مبنى للبالغة من مرق يرق فهو مرقاق ومنها انه يقف على لام بل في قوله تعالى بل ران

سورة الكهف مكية وقيل الاقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وهم مائة واحدة عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب) يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل له عوجا) شبا من العوج باختلال في اللفظ وتناهي في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيا بمصالح العباد فيكون وصفه له بالتكبير بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بمخترها واتصافه بمضمرة تقديره جعله قيا وعلى الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل الحال دون المعطوف اذ لو كان للمعطوف كان المعطوف فاصلا بين اعضاء المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيا

(انجعلنا ماعلى الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) ولاهلها (لتبؤوهم ايهم احسن عملا) في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يرضى به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وانا الجاعلون ماعليها صعيدا جرزا) تهدي فيه والجرزا الارض التي قطع ثباتها مأخوذ من الجر زهوها القطع والمعنى ان العبد ماعليها من الزينة تراها مستويا بالارض وتجعلها كصعيد امسلس لاثبات فيه (ام حسبت) بل احسبت (ان اصحاب الكهف والرقم) في ابقاء حياتهم مدة مديدة (كانوا من آياتنا عجا) وقصتهم بالاضافة الى خلق ماعلى الارض من الاجناس والانواع الفسائفة للخصر على طبائع متاعدة وهيئات متخالفة تجب انظار من من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بجيب مع انه من آيات الله كالتزر الحقيق والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم ارامهم قريتهم اوكلهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا رقيم مجاورا

وصيدهم والقوم في الكهف همدا اولوح رصاصى او حصى رقت فيه اسمائهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فادوا الى الكهف فاحتطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا اياكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ويرحمكم فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فشاء رجل وسط اثناسا وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيت مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجاره فوضعت في جانب البيت ثم مررت بقرفا فترت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لاعرفه وقال انى عندك حقا وذكرك حتى عرفته فدفعته اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ما هودون نفسك فابتعدت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجبني له واغيبني عيالك فانت وسلمت الى نفسها فلما تكتفتها وهمت بها ارتعدت فقلت مالك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخف في الرضاء فتركتها واعطيتها مائة منها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هما وكان لي غنم وصكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فخبسني ذات يوم غيب فلم ارجح حتى امسيت فأتيت اهلى واخذت محلى فخلبت فيه ومضت اليهما فوجدتهما نائمين فستق على ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلى على يدي حتى ايقظتهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (اذأوى الفتية الى الكهف) يعني فتية من اشراف الروم اراهم دقيانوس على الشرك فابوا وهرى الى الكهف

وقرى شاذا بفتح الهمة على حذف الجار اى لان لم يؤمنوا فعلى هذه القراءة المناسبة ان يكون باخع للمضى لان لم يؤمنوا ماضى ولا ضرورة تدعو الى صرفه عن معناه فلا يعمل الا اذا جعل حكاية حال ماضية كأنه قيل لعلك بخت نفسك لاجل ان لم يؤمنوا فخرى باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها وان لم يحمل على حكاية الحال الماضية لاي عمل فيجب اضافته الى ما بعده (قوله وفيه تسكين) اى تسكين لوجده واعتماده على عدم ايمانهم ووجه التسكين ان الآية لما دلت على ان اهل الارض لم يعط لهم ماعليها من الزينة ليتفكروا به بما نا وانما اعطى لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم ماعلى الله تعالى انه يكون منهم فيجازى كل واحد من آخر الحياة الدنيا وزينتها ومن آخر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده وينته ظهرا عليه الصلاة والسلام ان شأنه وما يليق به ليس الا بشارة المطيع وانذار العاصى وانه تعالى هو المطلع على اعمالهم ونياتهم ومن يستحق لان يخلق فيه الاهتداء والضلالة فيسكن بذلك وجده وغضبه والزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشيء وعن الشيء بمعنى واحد اى لم يردده ولم يرغب فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوى من الارض وقيل هو وجه الارض مطلقا والجرز الذى لا نبات فيه ولاما (قوله بل احسبت) اشارة الى ان ام منقطعة مقدرة بيل والهمزة وبلى هي التى للانتقال لا لابطال ماسبق والهمزة للانكار وذكر الله تعالى اولا من الآيات البكية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها ثم ذكر انه يزيل ذلك كله ويجعله كأن لم يكن ثم اضرب عنه وقال ام حسبت كأنه قيل يتعجب من قصة اصحاب الكهف ولا يتفكر في سائر الآيات فان تزيين الارض بانواع المعادن والحيوان والنبات وازالتها بالكليّة بعد ما اخذت الارض زخرفها واريث اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عاده ان يتعجب من شئ قل اناسه به وان كان الذى بجحضرته اعجب منه قال الامام تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسالوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا من آياتنا عجا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خاليا من الكل فكيف يستبعدون قدرته على حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة او اكثر في النوم روى ان قريشا بعثوا الى المدينة رهطا وقالوا لهم سلوا اخبار اليهود عن محمد وصفته واخبروهم عن قوله فانه اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرج الرهط حتى قدموا المدينة فسألوا اخبار اليهود عن اخبار محمد صلى الله عليه وسلم فقال اخبار اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأ وسلوه عن الروح ما هو فان اخبركم عن اثنين ولم يخبركم عن الثالث فهو نبي والا فتقول فلما قدم الرهط مكة قالوا قد جئناكم بتفصيل ما بيننا وبين محمد واخبروا ما قالت اليهود فجاؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه فقال عليه الصلاة والسلام اخبركم بما سألتهم عند غدا ولم يستثن فانصرفوا عند ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك حتى ارجف اهل مكّة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم مضى خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك ثم جاء جبريل من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبه الله تعالى اياه على جرمه وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وعجا في قوله تعالى كانوا من آياتنا عجا خبر كان ومن آياتنا حال منه لانه في الاصل صفة فلما قدم صار حالا قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الرقيم مجاورا - وصيدهم والقوم في الكهف همدا

استشهد على ان الرقيم الكلب وهذا يدل على ان قصة اصحاب الكهف كانت في علم العرب وان لم يكونوا عالميها على وجهها * الوصيد فناء البيت وهو مفعول مجاورا والحمد جمع هائد بمعنى الراقد والتائم يعنى ان اصحاب الكهف كانوا رقادا في النار وكلهم مجاورا لوصيدهم كما قال تعالى وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد (قوله اولوح رصاصى) فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب قال تعالى كتاب مرقوم اى مكتوب (قوله تعالى اذأوى الفتية) منصوب بعجا اوباذكر المقدر لا بقوله ام حسبت لانه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة ولا يجوز حسبانهم عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت الذى ادوا فيه الى الكهف اى صاروا فيه وكانوا فتية اى شبانا متقابلين في الانسان من اولاد عظماء الروم آمنوا برهم وكان ذلك الايمان عبرة

وتفكر انهم في عظمة الله تعالى وملكوته لم يأتهم بذلك ونحي ولم يقرأوا كتابا ولم يدركوا زمان نبوة وكانوا في زمن فترة قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام ثم بعثه الله تعالى وهم في الكهف راقدون ولبث في امته ثلاثا وثلاثين سنة ثم رفعه الله ومضى بعده زمان طويل ثم بعثهم الله تعالى وايقظهم واطلع اهل ذلك العصر على حالهم ليقلوا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة آتية (قوله اواجعل امرا ناكلا رشدا) على ان تكون كلمة من في قوله من امرا نا رشدا تجريدية اذ هو الامر بعينه مبالغة في ارشاده ولهذا قال اجعل امرا ناكلا رشدا والتجريد من المحسنات البدعية المعنوية وهو ان ينزع من امر ذي صفة امر آخر بمائل لذلك الامر ذي الصفة في تلك الصفة لأجل المبالغة في كل تلك الصفة في ذلك الامر ذي الصفة حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فان جعلت كلمة من في الآية تجريدية يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم في الرشاد والهداية حدا يصح مع ذلك الحد ان يستخلص منه امر آخر مثله في الرشاد وفي الوجه اول تكون من متعلقة بهي* ويكون المعنى انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس وطلبوا سلامة الدين سألوا ربهم ان يهيئ لهم الرشاد والاستقامة في مفارقتهم الكفار (قوله يعني انهم ائمة لا تنبهم فيهم الاصوات) يعني ان ضرب الحجاب المانع من ان تصل الاصوات الموقوفة الى آذانهم واسماعهم كاية عن الاثمة الثقيلة وانما صلح كناية عنها لان الصوت والنسبة طريق ازالة انهم فسد طريقه يدل على استحكام النوم وثقله وخصت الاذان دون العيون مع ان النوم يتعلق بهما دون الاذان لان ضرب الحجاب على العين لا يصلح كناية عن المبالغة في النوم لان سد الابصار انما يدل على كمال ان لا يكون ما هو طريق الازالة مؤثرا في زواله (قوله بنى على امر آت) اي بنى عليها القبة عند دخوله عليها فان العرس كان بنى على اهلها حجابا (قوله ظرفان لضربنا) الاول ظرف مكان والثاني ظرف زمان والمعنى انهم فيه ستين ذوات عدد وقد ينسبها الله تعالى بقوله وليأوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا (قوله ليتعلق علمنا تعلقا حاسيا) لما كان قوله تعالى لنعلم متعلقا بقوله بعثنا ودل الكلام على ان يكون علمه تعالى حادثا متربيا على ايقاظهم دفع ذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى سرمدي لا يجوز عليه التغير والزوال وانما التغير في المعلومات وانه تعالى عالم بها في الازل على ما ستكون عليه في اوقات حدوثها وبقيائها وكما تجددها حال من الاحوال تعلق علمه تعالى بتلك الحال عند تجددها فالتجدد والتغير انما هو في تعلقات العلم لا في نفسه وقال هشام انه تعالى لا يعلم الحوادث قبل وقوعها ولا يعلمها الا عند حدوثها واحتج عليه بهذه الآية (قوله المختلفين منهم او من غيرهم) اشارة الى ان اهل التأويل اختلفوا في الجزئين قال مجاهد رضى الله عنه ان الجزئين من الفتية لان اصحاب الكهف لما اتهموا اختلفوا في انهم كم ناموا ويدل عليه قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لربنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاصحاب الكهف كانوا جزئين استقل احدهما مدة لبثهم واستطاعوا آخرون وهم الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال القراء ان طائفتين من المسلمين اختلفوا في مدة لبثهم في الكهف قبل خروجهم منه فبعثهم الله تعالى ولم يبين ذلك بل ايهما وليس لنا حاجة الى تعيين ما بعثهم الله تعالى بيانه (قوله ولما لبثوا حال منه) اي من امدا لانه لو انا اخر عنه لكان نعتاله فلما قدم عليه صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا زمان لبثهم في الكهف وان كانت الام لا معلقة يكون المعنى حيث نزل علم اى الجزئين احصى اى علمه كقوله احصاه الله ونسوه للنبى الذى لبثوا فيه لاجله (قوله وقيل احصى اسم تفضيل) لم يرض به لان افعل من كذا لا يبنى من باب افعل يفعل وقولهم ما اولاه للتغير وما اعطاه للمال فمن الشواذ والشاذ النادر لا يقاس عليه والمذاق يروى بالبدال والذال وهو رجل من بني عبد شمس وابوه واجداده يعرفون بالا فلاس قال الشاعر في حقته

فانك ان ترجوتها وقعها * كراحي النداء والعرف عند المذاق

وقوله واما انصب فاعل دل عليه احصى اى دل احصى الذى هو التفضيل على ذلك الفعل المضمر من جنسه واحتج الى الاضمار لان افعل التفضيل لا يعمل في مظهر واول البيت

ولم ار مثل الحى حيا مصبحا * ولا مثله يوم التفيسا قوارسا

اكرموا حى الحقيقة منهموا * واضرب مثالا لسيوف القوارسا

المصحح الغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل ما حقق على الرجل ان تحميه والدفاع عنه من اهل بيته والقوارس

(فقالوا ربنا آتينا من ادراك رخذ) توجب لنا الغفرة والرزق والامن من العدو (وهى لنا من امرنا) من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) نصبر بسيدنا رشدين مهتدين اواجعل امرا ناكلا رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهية احداث هيئة الشىء (فضر بنا على آذانهم) اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى آذانهم ائمة لا تنبهم فيها الاصوات فحذف المنعول كما حذف في قولهم بنى على امر آت (في الكهف ستين) ظرفان لضربنا (عددا) اى ذوات عدد و وصف الستين به يحتمل الكثير والتقليل فان مدة لبثهم بعض يوم عنده (ثم بعثناهم) اي بظنناهم (لنعلم) ليتعلق علمنا تعلقا حاسيا مطابقتا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا (اى الجزئين) المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم (احصى للمالبثوا امدا) ضبط امدا زمان لبثهم ونما في اى من معنى الاستفهام علمه تعالى فمؤيداً واحصى خبره وهو فعل ماض واما مدة قوله ولما لبثوا حال منه او مفعوله وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة واما تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الإحصاء كحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق واما انصب بفعل دل عليه احصى كقوله * وأضرب مثالا لسيوف القوارس

جمع قونس وهو على البيضة من الحديد ويطلق على ما بين اذني القرس ايضا مدح كلا الفريقين اعداءه واصحابه يقول لم ارمه ارا عليهم مثل الذين صبحناهم ولا غيرين مثلنا يوم لقيناهم وصف المغار عليهم بكمال الشجاعة ليكون ادل على شجاعة من غلب عليهم فالقوانس في البيت منصوب بفعل مقدر من جنس افعال التفضيل اي يضرب القوانس لابتغى افعال التفضيل لانه لا يعمل في المظهر فكذا فيما نحن بصده فان قيل انه انما لا يعمل في مظهر فاعل او مفعول به فلم لا يجوز ان يكون امدا منصوبا على التميز ويعمل فيه احصى كما في اكثر منه مالا واحسن وجهها الجيب بان التميز في امثال ذلك انما هو فاعل في المعنى لان المسال هو الذي كثر والوجه هو الذي حسن وليس الامد هو الذي احصى (قوله تعالى آمنوا برهم) فيه انتفاع من التكلم الى الغيبة اذ لوجاء على نسق قوله نحن نقص عليك لقليل برك وقوله زدناهم وربطنا الثقات من هذه الغيبة الى التكلم ايضا (قوله وقوتهاها بالصبر) يعني ان قوله تعالى وربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وجعلها على الصبر على السداد التي تحملوها بربط الدابة وشدها بالباط وهو الحبل فان ربط الدابة شدتها بالباط والمربط ايضا هو الحبل ومن المجاز ربط الله على قلوبهم لانه يتعدى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت كلمة على الاستعلاء لبيان الغلبة والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقرا عليها كما في قوله ويجرح دوما في عراقيهم نصلي (قوله اذ قاموا) منصوب بربطنا والمعنى قوي قلوبهم اذ قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس حين عاينهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اقروا بربوبية الله تعالى بين يدي ذلك الجبار بتقوية الله تعالى اياهم على مخالفته وعصيانهم وقيل انهم كانوا اعظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم فاحتجوا ورأوا المدينة من غير معاد فقال اكبرهم اني لاجد في شيئا وهو ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد في انفسنا فاقاموا جعلا فقالوا ربنا رب السموات والارض (قوله والله لقد قلنا قولنا ذات شطط) يعني ان قوله لقد قلنا جواب قسم مضر وشططا مصدر شطت الدار شطت اي بدت وشط الرجل اي بعد عن الحق والشطط مجاوزة القرب في كل شيء استار اليه بقوله مفرط في الظلم واتصاه على انه صفة مصدر محذوف اي قولنا ذات شطط لان اذ اجواب وجزاء (قوله تعالى لولا يا تون) تحضيض فيه معنى الانكار وقوله عليهم تقديره على عبادتهم وعلى اتخاذهم خذف المضاف للعلم به ولم يكفوا بالانكار على اتخاذهم الشركاء وعبادتهم اباعا من غير ان يقيموا برهاناً قطعياً على صحتهم بل قالوا نحن انظم من افترى على الله كذبا اي لا احد اظم منه يعنون ان الحكم بان الله تعالى شريكاً وولداً مع فقد ان ما يدل عليهما ظلم واقتراء عليه تعالى (قوله تعالى وما يعبدون) ذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان ما يعنى الذي والعائد محذوف اي واعتزلتم الذي يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبودهم وقوله الله مستثنى متصل من الذي يعبدونه وانما ان تكون مامصدرية وان يكون الله مستثنى متصلاً ايضا بتقدير المضاف اي واذا عتزلتموهم اي تركتموهم وعبادتهم الاعداء الله والثالث ان تكون نافية وتكون الجنة من كلام الله تعالى وقعت معترضة بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والا مستثنى مفرغ اخبر الله تعالى عن الفرية انهم لا يعبدون غيره (قوله من امركم) متعلق بالفعل قبله ومن لا ابتداء الغاية او للتعويض وقيل هي بمعنى بدل كما في قوله تعالى رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيعلق بمحذوف (قوله تعالى مرفقا) قرأ الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء فقل هما لغتان بمعنى واحد في الجارحة وفي ما يرتفق به اي يشنع به وقد يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما الجارحة فكسر الميم فقط (قوله لنصوع يقينهم) اي لخلوص يقينهم عن شوب الشك والتامع الخالص من كل شيء (قوله لورايتهم) يعني ان قوله تعالى وترى ليس المراد به ان المخاطب يرى هذه الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك الكهف الى جهة الشمال نحو بنات نعش فتكون الشمس طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فيؤذيهم حرها وتغير الوانهم فالمعنى انك لورايتهم على هذه الصورة ثم اخبر انهم كانوا في متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء فقال وهم في فجوة منه اي من الكهف والنجوم متسع في مكان الرأغب في فجوة اي في ساحة واسعة (قوله لان الكهف كان جنوبيا) اي كانت ساحة الغار ودخله في جانب الجنوب وذلك يقتضي ان يكون بابه في جانب الشمال (قوله اولان الله تعالى زورها عنه) يعني ان للمفسرين في تفسير الآية قولين الاول ان باب ذلك الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لا يقع فيه شعاع الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما

(نحن نقص عليك نباهم بالحق) بالصدق (انهم فية) شيان جمع فتى كصبي وصبيبة (آمنوا برهم وزدناهم هدى) بالثبت (وربطنا على قلوبهم) وقوتهاها بالصبر على هجر الوطن والاهل والاسال والجرأة على اطهار الحق وازد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) بين يديه (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الهة لقد قلنا اذا شططنا) والله لقد قلنا قولنا ذات شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبره وهو اخبار في معنى انكار (لولا يا تون) هلا يا تون (عليهم) على عبادتهم (يسلطان بين) ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذا عتزلتموهم) خطاب بعضهم لبعض (وما يعبدون الا الله) عطف على الضمير المنصوب اي واذا عتزلتم القوم ومعبودهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون مامصدرية على تقدير واذا عتزلتموهم وعبادتهم الاعداء الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفرية بانوحيده معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم (فألقوا الى الكهف يذشر لكم ربكم) يذشر اذ رزق لكم ويوسع عليكم (من رحته) في الدارين (ويهيئ لكم من امركم مرفقا) ما يرتفقون به اي يتفقون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذاً كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح (ورى التمس) اورأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اول لكل احد (اذ اطلعت ترا ورعن كهفهم) تامل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا اولان الله تعالى زورها عنه

واصله تزاور فادغمت النار في الزاى وقرأ الكوفيون بخذفها وابن عامر ويعقوب تزور كحمر وقرئ تزوار كحمار وكلها من الزور بمعنى الميل (ذات اليمين)
 جهة اليمين وحقيقتهما الجهة ذات اسم اليمين (واذا غربت تقرر ضهم) تقطعهم وتصرم عنهم (ذات الشمال) يعني عين الكهف وشماله لقوله (وهم في جفوة مند) اي وهم
 (٢٥٢)

من ذلك من حيث ان الشمس اذا طلعت تطلع عن عين الكهف واذا غربت تغرب عن شماله فضوء الشمس ما كان
 يصل الى داخل الكهف وكان الهواء الطيب والسليم الموافق يصل اليهم فلا جرم بقيت اجسامهم مصنونة عن
 العقوبة والفساد والقول الثاني ان الله تعالى منع ضوء الشمس عن الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان
 ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله تعالى بها اصحاب الكهف قاله الزجاج واستدل على صحته بقوله ذلك
 من آيات الله قال ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لما كان ذلك كرامة عجبية من آيات الله (قوله
 واصله تزاور) وذلك لانه اختار قراءة تزاور بقح الزاى المشددة واصله تزاور فاسكنت النار الثانية فادغمت
 في الزاى وقرأ الكوفيون تزاور بخذف احدى التاءين للتخفيف وابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاى وتسايد
 الراء من الازورار وهو العدول عن الشيء والزور بالتحريك الميل يقال زور عنه وازور عنه وتزاور عنه تزاورا كله
 عدل عنه وانحرف (قوله وحقيقتهما الجهة ذات اسم اليمين) اي خلاصة المعنى ان الشمس حين طلوعها تميل
 عن كهفهم جهة اليمين الا ان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرر ان كلمة ذو ذات موضوع لان
 يوصف بها التركة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهني فيكون كالتركه معنى ولو قال جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر
 (قوله والمراد به اما الشاء عليهم) لانهم تكروا في دلائل وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته من غير ان يأتهم
 بذلك وحى الهى ومن غير ان يقرأوا كتابا ساعيا وان يحالوا لاهل التوحيد والمعرفة لكونهم في زمان فتره من الرسل
 قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدى كالنذيل
 للكلام السابق من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف الى ههنا وجئ به عام في كل من سلك طريق المهتدين
 ومن آخر الغواية وقلبه قلب اسلافه الضالين ليدخل اصحاب الكهف في الاولين دخولا وليا ويدخل دقيانوس
 الضال في الآخرين كذلك والتذليل هو ان تقطع الكلام بما يستل على معناه تأكيد او لاحتلاله من الاعراب
 (قوله او التنبية الخ) على ان يكون قوله من يهد الله فهو المهتدى مرتبطا بقوله ذلك من آيات الله وفي التيسير
 قيل ذلك من آيات الله اي ما اخبرنا من قصتهم آية صدق في دعوى النبوة فنهداه الله بها صدق لذلك فآمنوا
 بالله تعالى ووحدوه واعتزلوا اهل الشرك والضلال وآثروا الموضع الخالية في الجبال على طيب العيش في الاوطان
 والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال (قوله تعالى وتحسبهم باقظا) قرأ نافع وابن كثير وابو امرؤ والكسائي بكسر
 السين ومعناه كما ذكر في قوله وتري الشمس اي فلور ايتهم لحسبتهم باقظا وهو جمع يقط ويقط بضم القاف وكسرهما
 وهو القطان ورقود جمع راقد كقاعد وقعود (قوله او كلب راعي مر وابه) اي مر واراعى غنم فقال لهم ابن
 تذهبون فقالوا نعم من هذا الجبار فقال الراعى ما انا اغنى عن ربى منكم فترك غنمه ولحق بهم فبعتهم كلبه (قوله وقيل
 الوصيد الباب) قيل الكهف لا يكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة (قوله وقرئ او اطلعت عليهم
 بضم الواو) وقرأها الجمهور بكسر الواو على ما هو الاصل في النقاء الساكنين وقرئ بضم الواو وتشديد الهاء او الوصير
 عن ابن عباس رضى الله عنهما ما غرامع معوية غزوة المصطلق نحو الروم فربا الكهف الذي فيه اصحاب الكهف
 فقال معوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قدم الله ذلك من هو خير منك
 فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراروا ولملت منهم رجعا فقال معوية لا تشبه حتى اعلم عليهم فبعث رجلا فقال لهم
 اذهبوا فادخلوا الكهف فارسل الله عليهم رجعا فاحرقهم كذا في الوسيط (قوله لبسأل بعضهم بعضا
 فيتعرفوا حالهم) فانه يجوز ان حالة غريبة تدل على كمال قدرة الله تعالى فيردادون هدى واستيقنا وفي شرح التاويل
 اخبر الله تعالى انه انما بعثهم للتساؤل فينبذ لا تكون اللام لامى بل هي لام العاقبة لانه لمسا علم منهم ما يكون عند
 بعثهم من التساؤل بعثهم لذلك وكذلك جميع ما يخلق ويشاء انما يخلق لما يعلم ان كذا فيظهر ماعل على ماعل وهو كقوله
 تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ذرأهم لمسا علم انه يكون منهم وهو ان يعملوا اهل جهنم فيصيروا
 اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة
 خلقه كذلك والحاصل ان كل ما يخلقه الله تعالى انما يخلقه لمسا علم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه
 يكون منه اذ يجري الفعل لذلك مجرى العجز او الجهل بالعواقب وهو متعالى عن ذلك علوا كبيرا او يخرج الفعل
 لذلك مخرج العجز والجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان وما يكون وتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يخرج
 ان يخلق شيئا لغير ما علم انه يكون وهكذا يكون في الشاهد فان من عمل عيلا لغير ما علم انه يكون فهو عبث وجاهل

(بعاقبة)

في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح
 الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك
 لان باب الكهف في مقابلة نبات النعش واقراب المشارق
 والمغرب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه
 الشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
 لجانبه الايمن وهو الذى يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه
 الايسر فيقع شعاعها على جانبها ويحلل عفونته
 وبعدها هوائه ولا يضر عليهم فيؤذى اجسادهم ويحلل
 ثيابهم (ذلك من آيات الله) اي شأنهم او ايوأؤهم
 الى كهف شأنه كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار
 الشمس وقرضها طالع وغاربه من آياته (من يهد الله)
 بالتوفيق (فهو المهتد) الذى اصاب الفلاح
 والمراد به اما الشاء عليهم او التنبية على ان امثال هذه
 الآيات كثيرة ولكن المتفهم بها من وفقه الله تعالى
 للتأمل فيها والاستنباط بها (ومن يضل) ومن يضل
 (فلي تجده وليا مرشدا) من يله ويرشده (وتحسبهم
 باقظا) لانفتاح عيونهم او لكرمة قلبهم (وهم رقاد)
 نيام (وقلوبهم) في رقدتهم (ذات اليمين وذات الشمال)
 كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول
 الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضيم لله تعالى وتقلبهم
 على المصدر منصوبا بفعل يد يد عليه وتحسبهم اي
 و ترى تقلبهم (وكتبهم) هو كلب مرواه فبعثهم
 فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب ابناء الله
 فناموا واما احرسكم او كلب راع مرواه فبعثهم وبعثه
 الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وصا لبعثهم اي
 صاحب كلهم (باسط ذراعيه) حكاية حال
 ما ضية ولذلك عمل اسم الفاعل (بالوصيد)
 بضاء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل
 العتبة (لو اطلعت عليهم) فنظرت اليهم وقرئ
 لو اطلعت عليهم بضم الواو (لوليت منهم فرارا)
 لهرت منهم وفرارا ليحتمل المصدر لانه نوع من التولية
 والعلة والخال (ولملت منهم رجعا) خوفا مما صدرك
 لما البسهم الله من الهيئة او لعظم اجرامهم وانفتاح
 عيونهم وقيل لوحدة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه
 انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
 فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك
 ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت
 عليهم لوليت منهم فرارا فلم يستمع وبسب ناسا فلما
 دخلوا جات ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملت
 بالتشديد للبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رجعا
 بالتشديد (وكذلك بعثناهم) وكما انهم آية بعثناهم
 آية على كمال قدرتنا (ليسألوا بينهم) لبسأل بعضهم
 بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيردادوا وبقينا
 على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث
 ويشكروا ما انعم به عليهم

(قال قائل منهم كم لبتم قالوا لبنا يوما او بعض يوم) بناء على غالب ظنهم لان انفسهم لا يحصى مدة لبته ولذلك احوالوا العلم الى الله تعالى (قالوا ربكم اعلم بما لبتم) ويحوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم واليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول انقصارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتصق لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما بهمهم وقالوا (فابعثوا احداكم يورثكم هذه الى المدينة) والورق النقضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحزرة وابو مكرورح عن يعقوب بالغثيف وقرئ بالغثيل وادغام القاف في الكاف والغثيف مكسور الواو مدغموه مدغم ورد المدغم لا لتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزدد رأى المتوكلين والمدينة طرسوس (فليظنوا بها) اي اهلها (ازي طعاما) احل واطيبوا كثر وارخص (فليأتكم رزق منة وليتلف) وليتلف اللطف في المعاملة حتى لا يغيب اوفى الخفي حتى لا يعرف (ولا يشعروكم احدا) ولا يفعل ما يؤدى الى التعور (انهم ان يظهروا عليكم) ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها (يرجوكم) يقتلوكم بالرجم (او يعيدوكم في ماتهم) او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا (ولن تفلحوا اذا ابدا) اذ خلتهم في ملتهم (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما اثبتناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم (ليعلموا) يعلم الذين اطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) بالبعث او الموعد الذي هو البعث (حق) لان نومهم وانتباههم كمال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفي نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفي نفوس جميع الناس مسكاياها الى ان يحشر ابدانها فيرد هاعليها (اذ يتنازعون) نظرف لا عثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون (بينهم امرهم) امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا واما الفتنة حين امانتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة

بعاقية عمله وكفى قوله تعالى كم لبتم استفهامية منصوبة بالفعل الذي بعدها كافي قولك كم يوما سمعت لان الفعل الذي بعدها غير مشغول عنها بضميرها وفي مثله تكون كم مرة بدلى على حسب اقتضاء العامل والمير محذوف تقديره كم يوما لبتم حذف لدلالة الجواب عليه واوفى قوله او بعض يوم للسك منهم لما ذكره من ان جوابهم هذا مبنى على غالب الظن قبل انهم دخلوا الكهف اول النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وهو في هذا الجواب وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤخذوا به (قوله ولذلك احوالوا العلم الى الله تعالى) يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبتم هم الذين قالوا لبنا يوما او بعض يوم وان ما بعده بدل منه وعلى الاحتمال الثاني يكون اصحاب الكهف ثلاث فرق قال واحد منهم كم لبتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الآخرون بان قالوا ربكم اعلم بما لبتم روى ان ابن عباس استدلل بهذه الآية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لان الله تعالى قال في اول الآية قال قائل منهم هذا واحد وقال في جواب قول هذا القائل قالوا لبنا يوما او بعض يوم وقالوا قول جمع اول واقفه ثلاثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبتم وهذا قول جمع آخر سواهم خاطب هذا الجمع الاول بان قالوا ربكم اعلم بما لبتم فكان الجيبون ستة والسائل واحد فالجمع سبعة (قوله ثم لما علموا ان الامر ملتصق لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما بهمهم) بيان لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احداكم الآية بما قبله الذي هو هذا حديث مدة اللب مع انه لا مناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقرره ان الآية من باب اسلوب الحكم كقوله

انت تشكى عندى من اولة القرى * وقد رأت الضيفان يضحون منزلى

فقلت كأي ما سمعت كلامها * هم الضيف جدى في قراهم وعجلى

وتقول بعضهم للججاج وقد قال الججاج له متوعدا لا حلتك على الادهم يعنى القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اى على الفرس الادهم يعنى الذى غلب سواده والاشهب الذى غلب بياضه فان التكلم قد يتلقى المخاطب بغير كلام مدح على وجه آخر وقوله وقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اى باسكان الراء وقبح الواو والباقون بكسر الراء وقرأ ابن كثير يورثكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرأ بالتخفيف اى باسكان الراء وكسر الواو وادغام القاف في الكاف وبعدهم ادغامها (قوله وحملهم) اى حل اصحاب الكهف للورق يدل على ان امسك الزاد امر مشروع لا ينافى التوكل (قوله من العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول) كايقال للآخره معاد فانه من العود بمعنى التحول لا من العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول (قوله اذ دخلتم في ملتهم) قد به لكون اذامضا فان قيل ليس انهم لوا كرهوا على الكفر حتى اظهروا ولم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا من انهم لوردوا الى الكفر وبما اظهروا ليدخلوا في ذلك الكفر مدلا بما تميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصبرون كافرين في الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك (قوله اطلعنا عليهم) اى على احوالهم غيرهم يقال عثرت على كذا اى علمته واختلفو! في السبب الذى عرف اناس طول مدة اصحاب الكهف على وجهين الاول انه طال شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار بحية تدل على ان مدتهم قد طال طولا خارجا عن العادة والثاني ان ذلك الرجل الذى بعثوه الى المدينة لما ذهب الى السوق ليشتري الطعام اخرج الدراهم التى عليها اسم دقيانوس فقال صاحب الطعام هذه الدراهم غير موجودة في هذا اليوم وانما كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر داهر فلعك وجدت كذا فاجتمع الناس اليه وحلوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعث بها شيئا من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كذا ابل الله تعالى بعثه بعد موته (قوله ليعلموا ان وعد الله بالبعث) على ان الوعد مصدر على حاله اى ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعد الله تعالى وخبرنا منه حق فان القوم لما علموا ان الله تعالى اناهم مدة طويلة وابقاهم من غير طعام ولا شراب في تلك المدة على ان الانسان لا يبق من غير طعام ولا شراب في مدة اسبوع فضلا عن مثل تلك المدة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر وادى وابقائهم فيها قادر على البعث والاحياء بعد الموت ولا يجوز عن شئ يريد كونه (قوله حين امانتهم الله تعالى ثانيا) فان الملك وقومه لما رأوا

أولاً طائفة بنى عليهم بنيانا بسكنه الناس
وتخذونه قرية وقال آخرون لتخذن عليهم
مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى (فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا ربهم أعلم بما قال الذين غلبوا على أمرهم لتخذن
عليهم مسجدا) وقوله ربهم أعلم بهم اعتراض
أما من الله ردا على الخائفين في أمرهم من أولئك
المتنازعين في زمانهم وأمن المتنازعين فيهم على
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أم من المتنازعين
لرد إلى الله بعد ما تناكروا أمرهم وتناقلوا
الكلام في أسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك
حتى إن المبعوث لداخل السوق وآخر الدرهم
وكان عليها اسم دقيا نوس انهموه بأنه وجد كرا
فذهبوا به إلى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص
عليه القصص فقال بعضهم إن آباءنا أخبرونا
أن فتية فروا بدشهم من دقنا نوس فلعلمهم هؤلاء
فأطلق الملك أهل المدينة من مؤمن وكافر
وأبصرهم وكلمهم ثم قالت الفتية للملك
ستودعك الله وبعلذك من شر الجن والأنس
ثم رجعوا إلى مضاجعهم فأتوا فدفعهم الملك
في الكهف وبى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا إلى
الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولئلا
ينزعوا فدخل فبهم عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا
(سيقولون) أي الخائفون في قصتهم في عهد
الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب
والمؤمنين (ثلاثة رابعهم كلهم) أي هم ثلاثة
رجال رابعهم كلهم بالضماء البهم قيل هو قول
اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا (ويقولون خمسة سادسهم
كلهم) قاله انصارى أو العاقب منهم وكان
نسطوريا (رجعا بالغيب) يرمون ربما بالخبر الخفي
الذى لا مطلع لهم عليه وإتيانا به أو ظنا بالغيب
من قولهم رجم بالظن إذا ظن وإتاهم يذكر
بالسن اكتفاء بعطفه على ما هو فيه (ويقولون
سبعة وأمنهم كلهم) إنما قاله المسلمون بأخبار
الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جرأيل عليه
السلام وإعلاء الله تعالى إليه بأن اتبعه قوله (قل رب
اعلم بعديهم ما أعلم الا قليل) وتابع الأولين قوله
رجعا بالغيب وبأن أتت العلم بهم لطائفة بعد
ما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة
فإن عدم إيراد رابع في نحو هذا الحل دليل عدم
مع الأصل بنفيه ثمرد الأولين بأن اتبعهما رجعا
بالغيب ليتبين الثالث وبأن أدخل قيد الواو على
الجملة الواقعة صفة للكرة تشبيها لها بالواقعة حالا
من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على أن إقصاء بها أمر ثابت

على الكثرة والمبالغة في العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة على معنى ان تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا سبعة جاؤا بالواو لتدل على ان السبعة دالة على الكثرة والمبالغة في العدد وان مدخولها ثامن فلما كانت السبعة اصلا في المبالغة في العدد عندهم كانوا اذا وصلوا الى الثمانية ذكر والقضا يدل على الاستئناف فقالوا وثامنهم وكان قريش اذا عداوا يقولون واحدا ثانيا ثالثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة وكان العقد عندهم سبعة كما انه يوم عندنا عشرة فاذا جاوز السبعة جاؤا بالواو على الاستئناف ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله تعالى في حق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان يطفئ كن ان يبدها ازواج اخيرا ممكن مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا فان قوله والناهون عن المنكر هو الثامن ومنه قوله تعالى اذا جاؤا ففتح ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وكذا قوله وابكارا ثامن ما تقدم ولم يذكر المصنف هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت في اللغة وقد انكرها حذاق النحاة (قوله واسماءهم عليخا ومكتلينا ومستليينا هو لاء اصحاب عيين الملك ومروث وشاذ نوث وسار نوث الذي وافقهم حين هر يوامن ملكهم دقيانوس قيل اسمه كفتسططوش وروى عن ابن عباس ان اسماءهم مكتلينا وعليخا ومروث وسار نوث ودونوارس وكشتططوش قال عبد الله بن عمر اذا وقع الحريق في موضع فكتبت هذه الاسماء على قطعة ورق وطرحته في الحريق طفي باذن الله تعالى (قوله فلا تجادل في شأن الفتية) فان المرآة في اللغة الجدال يقال ماري يمارى مارة ومراى جادل والمراد بكون الجدال ظاهرا ان لا تعمق بل يقتصر على ما اوحى اليه في القرآن وهو انه لا يعلم عددهم الا القليل فوجب التوقف وترك قطع النزاع ونظيره قوله تعالى ولا تجالوا اهل الكتاب الاباقى هي احسن ونقل عن الفراء انه صلى الله عليه وسلم فر يقان من نصارى نجران يعقوبى ونسطورى فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن عددا مصحح الكهف فنهى عنه بقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا (قوله ولم يستن) اى لم يقل ان شاء الله سمي قولك ان شاء الله كلمة استثناء لانه عبر عنها بقوله الا ان يشاء الله قيل احسن الوحي بعد خمسة عشر يوما وفي رواية اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهي وذكر تعلقه به وجهين الاول ان يجعل الا ان يشاء الله مستثنى مفرغا من اعم الاحوال بان يقدر المضاعف بعد الباء المقدرة بعد الواو ويحذف مفعول المستثنى وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله اى فاعل ذلك اى لا تقولن اى فاعله غدا في حال من الاحوال الا في حال كونك ملتبسا بذلك المشيئة الله والثاني ان يجعل مستثنى مفرغا من اعم الاوقات اى لا تقولن ذلك من تلقاء نفسك في وقت ما الا في وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه وفيه وجه ثالث وهو الا ان يشاء الله في معنى كلمة تأييد كانه قيل فلا تقولنه من تلقاء نفسك ابدا فيحمل الاستثناء على تأكيد النهي والمبالغة على هذا الوجه فهو وجه تعلقه به (قوله ولا يجوز تعليقه بفاعل) لان قوله تعالى الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله اى فاعل لا يخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشيئة بالفعل او اعتراضا قبله ولا وجه لشيء منهما اما الاول فلان المشيئة المقترنة بالفعل سواء كانت مشيئة الفعل بالفعل توجب الفعل ولا تنافيه حتى يصح استثناءه من قوله اى فاعل ذلك بكل حال ومشيئة الله تعالى بترك الفعل لا يمكن اقترانها بفعل العبد حتى يصح استثناءه منه واما الثاني فلانه لو كان المراد اى فاعل ذلك غدا بكل حال الا في حال ان تعترض مشيئة الله تعالى بترك الفعل لا فادكون هذا القول منها عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان يقول اى فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تعالى منى ترك الفعل لان تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشيئة الترك فكيف ينهى عن تعييد الفعل بانتفاءها وتعليقه عليه فلما امتنع تعلقه بقوله اى فاعل تعين تعلقه بالنهي على احد الوجهين نهي الله تعالى عن ان يعد الانسان عدة ولا يستثنى فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يستقل في افعاله فلذلك امر بان يلحق الاستثناء بها لثلاث لحققة مرة الخلف في الوعد اذا لم يفعل ما وعد فقول الواحد ان شاء الله يدفع عنه حث خلف الوعد على تقدير عدم وقائه بعهد لان ارادة الله تعالى لا يقدر العبد على ايقاعها فلا يخفى بتركه الا انهم اختلفوا في ان الاستثناء هل يجب ان يكون متصلا بما قبله في اللفظ لدفع الخث او لا يجب فذهب ابن عباس ومن تبعه الى انه لا يجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسي ان يقول ان شاء الله ثم ذكر بعد سنة وقاله كفى

وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلهم واسماءهم عليخا ومكتلينا ومستليينا هو لاء اصحاب عيين الملك ومروث وشاذ نوث ودبر نوث وشاذ نوث اصاب يساره وكان يستنبرهم والسابع الراعى الذي وافقهم واسم كلهم قطير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لا هل الكتاب والقيل منهم (فلا تمار فيهم الامر اظهرا) فلا تجادل في شأن الفتية الاجد الا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مستر سد فان فيما اوحى اليك للدوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعمق تريد تفصح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه محل بمكارم الاخلاق (ولا تقولن لشيء اى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) نهي تأديب من الله تعالى لشيء حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسلوه فقال اتوبى غدا اخبركم ولم يستن قابطا عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذب قريش والاستثناء من النهي اى ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اى فاعله فيما يستقبل الا ان يشاء الله اى الا ملتبسا بمشيئة قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضا ضها دونه لا يناسب النهي

في دفع الحث واحتج عليه بقوله تعالى واذكر ربك اذ نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام متصل بما قبله والتقدير انه اذا نسى ان يقول ان شاء الله فليذكره اذ اذكره وقوله واذكر غير مختص بوقت معين بل يتناول جميع الاوقات فوجب ان يكون دافعا للحنث في اى وقت ذكره واعلم ان استدلال ابن عباس بظاهره في ان الاستثناء لا يجب ان يكون متصلا واما الفقهاء فقالوا اننا لوجوزنا ذلك لزم ان لا يستقر شيء من اليهود والايمن حتى انه يبلغ المنصور ان اباحقيقة خالف ابن عباس في الاستثناء المتفصل فاستحضره ليذكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك فانك تأخذ البيعة بالايمن كما يقول المبيع المبيعك على السمع والطاعة ثم يوكدها بالايمن بان يقول والله لا اخرج من هذه البيعة فلو جاز انفصال الاستثناء لجاز ان يخرج من عندك ويستثنى بان يقول الا زمان كذا والامر كذا او ان يفعل كذا فاستحسن المنصور كلامه ورضى عنه قال الامام حاكم كلامهم يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه ما فيه وايضا فلو قال ان شاء الله تعالى في نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع ان الحذور الذي ذكره حاصل فثبت ان الذي عولوا عليه ليس بقوى والاولى ان يحتج على وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل آخر (قوله ولذلك جوز) اي لما ذكر من الآية ولما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان شاء الله لما نزل قوله تعالى واذكر ربك اذ نسيت ولما روى عن ابن عباس استدلال المصنف به على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر دليل عامة الفقهاء على عدم جوازه على سبيل المعارضة لدليل المجوز ثم اجاب عن دليل المجوز بقوله وليس في الآية والخبر وتقريره ان معنى الآية قل ان شاء الله اذ اسق منك وعد وفرط منك نسيان لذلك ثم ذكرته وهو ما يدل على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ان لو كان الاستثناء المتدارك به من القول السابق ولم يلزم ذلك لانه يجوز ان يكون الاستثناء من مقدر يدل عليه القول السابق مثلا اذا قال اكرمك فيما يستقبل ونسي الاستثناء ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله تعالى حاز ان لا يتعلق هذا الاستثناء بالوعد السابق بل بمقدر يدل عليه ذلك الوعد وكذا الحال فيما روى من الخبر فان قوله عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ليس متعلقا بقوله السابق في غدا خبركم بل بمقدر يدل هو عليه ولم يندفع به حث خلف الوعد الذي هو من قبيل ترك الاول والافضل (قوله ويجوز ان يكون المعنى) عطف على قوله مشيئة ربك بحسب المعنى وهو جواب آخر من قبل عامة الفقهاء بجمع ان يكون معنى الآية واذكر مشيئة ربك واستثنى اذ ذكرته وباحتمال عدم ارتباطها بما قبلها وضبط ما ذكره من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذ نسيت اما ان يكون متعلقا بما قبله او لا بل يكون كلاما مستأنفا فان تعلقه بما قبله فيه احتمالان الاول ان يكون المعنى اذ نسيت ان تقول ان شاء الله حين وعدت فقله اذ اذكرت والثاني ان يكون المعنى اذ نسيت ذلك استغفر الله وتب اليه ويكون المقصود من الامر بالاستغفار المبالغة في الحث على الاستثناء على سبيل الغليظ والتشديد على تركه بايهم ان تركه من الذنوب التي تجب فيها التوبة وان لم يتعلق بما قبله بل كان كلاما مستأنفا فيه قولنا فعلى القول الاول يقدر مفعول تركت وهو قوله بعض ما امرك به لاحل الثاني بل يجرى مجرى لازم فسر قوله اذا نسيت بقوله اذا تركت بعض ما امرك به لان النسيان قد يستعمل في الترك مجازا بطريق اطلاق المسبب وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو ما كان مستندا الى السبب الاختياري والمذمور من نحو ما روى في الحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان هو ما لم يستند الى سبب كذلك وهناك قول ثالث وهو ان يحل قوله تعالى واذكر ربك اذ نسيت على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها فيكون مفعول نسيت مقدرها واداء الصلاة والظاهر هو الاحتمال الاول وان يكون واذكر ربك اذ نسيت متعلقا بما قبله لانه على تقدير ان يكون كلاما مستأنفا يلزم جواز عدم ارتباط بعض الآيات ببعضها وهو بعيد (قوله واطهر دلالة) عطف تفسير بقوله اقرب رتدا فسر اقرب باظهر وفسر رتدا بقوله دلالة والرتد مصدر رتد رتدا من باب علم ومعناه ضد القوابة لا الدلالة التي هي ارشاد الغير فتفسيره بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون تسمية العجزة بالرشد للمبالغة في كونها سببا له على تأويل انها ذور رتد وجعل لفظ هذا في قوله لا قرب من هذا رشدا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف فكان المعنى ايها المشركون انكم قد استظمتم الاخبار عن حالهم وبيان نبأهم وقصتهم وقدينت لكم ما اوحى الى واني لا اظلم من ربي ان يعطيني من الآيات الدالة على نبوت ما هو اعظم في الدلالة عليها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والارقيم كانوا من آياتنا نجبا افتح القصة بتقابل

(واذكر ربك) مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روى انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذ نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليعتلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليعتلك المنسى (وقل عسى ان يهدين ربي) يدلني (لا تقرب من هذا رشدا) لا تقرب رشدا واطهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لا اعظم من ذلك كقصص الانبياء المتبا عد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الا عصار المستقبل الى قيام الساعة

شأنهم اختتمها بطابع ما هو اعظم منها واقراب ارشاد المسترشدين (قوله) اولاً قرب رشد او ادنى خيرا من المنسى فعلى هذا يكون قوله تعالى وقول عسى مرتبط بقوله واذا كررتك لا بمجموع القصة بان يكون معطوفاً على ما هو العامل في قوله تعالى اذا وى الفتية الى الكهف على معنى اذا ذكر اذ وى الفتية وقول عسى ان يهدينى ربى ويكون المعنى على الوجد الثانى واذا كررتك اذا نسبت شيئاً وطبع منه ان يهديك لشيء آخر بدل المنسى وقول عسى ان يهدينى ربى لشيء آخر وهو اقرب رشداً ومنفعة من المنسى فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسى (قوله) وهو بيان لما اجله اى بقوله فضر بنا على آذانهم في الكهف ستين عدداً فانه تعالى اجل قصتهم بقوله اذا وى الفتية الى قوله نحن نقص عليك نبأهم ثم شرع في تفصيلها بقوله نحن نقص وساق الكلام في تفصيلها الى ان عين في آخر مدة لبثهم في كهفهم احياناً محفوظاً اجسادهم (قوله) على وضع الجمع موضع الواحد) فانه لا وجه لقرأة الاضافة سوى ان يكون ستين تمييزاً وحق مائة ان يضاف الى مائة مفرداً ويقال ثلاثمائة سنة كما يقال ثلاثمائة رجل وثلاثمائة درهم قال ابن الحاجب ومبرم مائة والف وثبتت هما وجمعهما مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل في الاستعمال افراد مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة في الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد في قوله تعالى بالاخسر من اعماله فان الاصل فيه بالاخسرين عللاً لاستقلاله بمحصل الفائدة مع كون المفرد اخف لكن اورد الجمع مبالغة وتنصيصاً على الانواع بان كل نوع كأنه جنس مستقل يكتفى لزيادة خسارهم هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع الواحد وسوغه ههنا امران الاول ان ما في لفظ ستين من علامة الجمع ليست متحضرة لكونها علامة الجمع بل هي جبراً حذف من لفظ سنة فكانت كأنها من تمام بناء الواحد قبل اصل سنة ستهمة مثل جهة لانها من سنهت الخلة وتسنت اذا انت عليها السنون وقيل المحذوف منه الواو وتشهداطلاقات العرب على كل واحد من القولين فأنهم يقولون سنهت عنده وتسنت عنده واستأجرته مسائة ومسانة وتقول في التصغير سنة وسنية والثاني ان الاصل اى القياس المرفوض في العدد اضافته الى الجمع لكون المعدود جماعة اى فيما فوق الواحد والاثنين لان العدد المضاف ليس الا ما فوقهما الا انه قد يعدل عنه الى المفرد لغرض قبل اضافته الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض وقوله ومن لم يضيف ابدال الستين من ثلاث جعله صاحب الكشاف عطفاً ببيان له وهو الظاهر لان جعله بلا يستلزم ان لا يكون تعيين مدة لبثهم مقصوداً وليس كذلك بل المقصود ذلك لانه لما قيل ثلاثمائة لم يعرف انهم ايام او شهر او اسنون فبين انها سنون وقوله تسعاً مفعول به لقوله ازدادوا على وزن اضعلوا ابدلت له افضل دالاً لوقوعها بعد الـ اى وقلت الباء ألفاً قصار ازدادوا وكان زاد متعبداً الى اثنين نحو زادهم مر ضا وزدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدى الى واحد والاصل ازدادوا وتسع ستين غذف التيمير لدلالة ما تقدم عليه اذ تقول عندي ثلاثمائة درهم وتسعة الاوانت تريد تسعة دراهم ولواردت تسعة ثياب ونحوها لم يجز لانه ليس من جنس ما قبله حتى يدل عليه فلما نزل قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لاتبها فنزل قوله تعالى قل الله اعلم بالثبوا اى انه تعالى اعلم بقدر اربهم من اهل الكتاب المختلفين فيه لانه المنفرد بعلم ما غاب في السموات والارض عن العباد وادراكهم فيكون طالبا مدة لبثهم لا محالة (قوله) ومحله الرفع على الفاعلية) فان المعنى ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع زيدت الباء في الفاعل اصلاحاً للفظ قال نجم الدين الاسترابادى في شرح الكافية واما احسن يزيد فعند سيبويه لفظ افعل صورته الامر ومعناه الماضي من افعل اى صارذاً فعل كالحلم اى صار ذا الحلم والباء بعده زائدة في الفاعل وضعف قوله ان الامر بمعنى الماضي بانه مما لم يعد له بل جاء الماضي بمعنى الامر وبان افعل بمعنى صارذاً كذا قليل وبان زيادة الباء في الفاعل قليل والمطرود زيادتها في المفعول (قوله) والنصب اى ومحله النصب على المفعولية فان قولك احسن يزيد امر لكل احد بان يجعل زيدا حسناً اى بان يصفه بالحسن فكانه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل ما يمكن ان يكون في الشخص وهذا معنى مناسب للتعبير بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة صارذاً كذا وان لم يكن شيء منهم ايقاساً ما طرد هذا الاصل هذا التركيب فالمعنى الامر والخطاب لكل واحد وصار ملخصه انشاء التعب وهمزة افعل ان كانت للجعل والتعدي فالباء مريضة في المفعول وان كانت للصيرورة كانت الباء التعدي (قوله) وقرأ ابن عامر بالياء اى بناء الخطاب والجزم عطفاً على قوله ولا تقولن لشيء وقوله واذا كررتك اذا نسبت وقوله وقول عسى اى ولا تشركت انت ايها الانسان

اولاً قرب رشد او ادنى خيرا من المنسى (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) يعنى لبثهم فيه احياء مضروباً على آذانهم وهو بيان لما اجله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حذرة والكسائي ثلاثمائة تسعين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبراً لما جذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضيف ابدال الستين من ثلاث (قل الله اعلم بالثبوا غيب السموات والارض) له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علماً (أبصر به وأسمع) ذكر بصيغة التمجيد للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يتجسس به شيء ولا يتفادونه لطيف وكتيف وصغير وكبير وخفى وجلى والباء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء من يدة عند سيبويه وكان اصله أبصر اى صار ذا بصيرة نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة لاول زيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به واثصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء من يده ان كانت الهمزة للتعدي ومعدياً ان كانت للصيرورة (مالهم) الضمير لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) يتولى امورهم (ولا يشارك في حكمه) في قضائه (احداً) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشرار

وقرأ الباقون بالياء التثنية ورفع الفعل على أنه نفي محض مسند إلى ضمير البارئ تعالى أي لا يشرك الله في حكمه وقضائه أحدا من خلقه فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما أنزل الله وحكم به وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً لله تعالى في حكمه (قوله أمره بأن يداوم درسه ويلزم أصحابه) فإن كفا قريرش لماساً لوه عليه الصلاة والسلام عن قصة أصحاب الكهف وقالوا له أن أخبرتنا بما لنا لك صدقتك وأتبعناك وأخبرهم بها قالوا له عليه الصلاة والسلام إن أردت أن نجالسك فاطرد عنك هؤلاء الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك فتبعك فانزل الله تعالى وأتل ما وصي اليك حتى بلغ أنا اعتدنا للظالمين نارا فقام عليه الصلاة والسلام يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني أن أصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات قال الامام من هذه الآيات إلى قصة موسى والخضر كلام واحد نزل قصة واحدة وهي أن الكفار قريرش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أردت أن نؤم بك فاطرد من عندك من هؤلاء الذين آمنوا بك فنهأ الله تعالى عن ذلك ومنعه منه وبين في جملة هذه الآيات أن الذي اقترحوه والتسوه مطلوب فاسد ثم قال قوله تعالى وأتل ما وصي الخ يتناول القرآنة ويتناول الاتباع أيضاً فيكون المعنى الزم قراءة الكتاب الذي أوحاه اليك ربك والزم العمل به (قوله لا أحد يقدر على تبديلها) أي بطريق من طرق السخ مع أن السخ ليس بتبديل في الحقيقة بل المسوخ معني إلى وقت طر بان الناسخ فالسوخ كالتأنيب له فكيف يكون تبديلاً (قوله وفيه أن غدوة علم في الأكثر) والإعلام لا يدخلها الألف واللام الجوهري الغداه غدو غدو فخذوا الواو بلا عوض قال لبيد

وما الناس إلا كالديار وأهلها * فيوم بها حلوا وأغدو بلا ق

فجاء به على أصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس يقال أتيت غدوة غير مصروفة لأنها معرفة مثل سحر (قوله وتعديته بعن) جواب عما يقال من أن قوله ولا تعدني من عداه إذا جاوزوه وهو يعدي بنفسه كما أشار إليه بقوله ولا يجاوزهم نظرنا إلى غيرهم وكان الطاهران يقال ولا تعدهم عينا فلم يجيء بكلمة عن واجب عنه بأن عدا المسامحة معنى تباعدى تعديته يقال نبا الشيء عنه يذوأي تجباني وتباعد ونبا بصري عن الشيء إذا أقصمه ولم يعلق به ويقال أقصمته عني أي أزدريته واعتبرنا تضيق التحصيل بجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى الإقحام ولوقيل ولا تنب عيناك عنهم لفهم معنى الإقحام ولم يفهم معنى المجاوزة فجمع بين مادة العدو وكلمة عن ليحصل بجموع المعنيين وذلك المبلغ من إفادة المعنى الواحد (قوله والمعتزلة لما غاظهم استناد الأغلة إلى تعالى) اعلم أن أصحابنا احتجوا بهذه الآية على أنه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال لأن قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى فالمعنى من خلقنا ظلمة الكفر في قلوبهم باختيارهم الكفر وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى اغفلنا خلق الغفلة وإيجادها في القلب بل هو من قيل قول معدي كرب لبي سليم * فأتاك فاجابناكم * وسأناكم فاجابناكم * وهجوناكم فاجابناكم * أي ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مقحمين فإن الهريرة فيه للوجدان فكذلك في الآية ويحتمل أن تكون الهمزة في هذه الأفعال لتسبب الفاعل إلى أصل الفعل فكذلك في الآية واحتجوا على أن بناء الأفعال في الآية ليس للإيجاد والتكوين لقوله تعالى بعده واتبع هواه فإنه لو كان المعنى أوجدنا الغفلة في قلبه حقيقة لكان للناسب أن يقال فاتبع هواه ليدل على أن الأغفال سبب في الاتباع فلذا استند الاتباع إلى شهورهم لا إلى متبذلة الله وقدم مرارا أن القدرة المؤثرة ليست إلا لله تعالى فلذلك قال قل كل من عند الله وإن العبد له قدرة كاسية يصح استناد اغفاله الاختيارية إليه بسببها وإنعامه قراءاً ومن اغفلنا قلبه باستناد الفعل إلى الكلام العظيم نفسه ونصب قلبه على أنه مفعول به وقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام ورفع قلبه على الفاعلية على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفائه إذا وجدته غافلاً دللت الآية على أن أشراحوال الإنسان أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الحق ويكون ملوماً من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق (قوله أي تقدم على الحق) يعني أن أصل الكلمة ينبغي عن التبع والسبق يقال فرط منه قول قبيح أي سبق وفرس فرط أي سرعته تتقدم الخيل وفي الصحاح فرط عليه أي عجل وعدا ومنه قوله تعالى أنتأخف أن يفرط علينا وإن بطني وفرط عليه سبق وفرطت القوم أفرطهم فرطاً أي سبقتهم إلى الماء فأنافطوا والجمع فراط وفرط الطبع من الغنى متقدما تها إلى الوادي والماء وأفرط في الأمر أي جاوز فيه الحد والاسم منه الفرط بالسكون

ثم لما دل احتمال القرآن على قصداً صاحب الكهف من حيث أنها من الغيبات بالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه وصي مجر أمره بأن يداوم درسه ويلزم أصحابه فقال (واتل ما وصي اليك من كتاب ربك) من القرآن ولا تسمع لقولهم أت بقرآن غير هذا أو بدله (لا مبدل لكلماته) لا أحد يقدر على تبديلها وتغيرها غيره (ولن تجد من دونه ملقدا) ملجأ تعدل إليه اذهمته به (وأصبر نفسك) احسبها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) في مجامع أوقاتهم وفي طرق النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم في الأكثر فتكون اللام فيه على تأويل التكبر (يريدون وجهه) رضى الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرنا إلى غيرهم وتعديته بمن لتعنيته معنى نبا يقال نبت وعلت عنه عينه اقصمته ولم يعلق به والغرض في هذا إعطاء معنيين أي لا تقصمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم وقرئ ولا تعد عيناك ولا تعد من عداه وعداه والمراد نهى الرسول أن يزدري بفقره المؤمنين وتلو عنه عن ربانة زعيم طموحا إلى طراوة ترى الأغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف في القرآنة المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها (ولا تطع من اغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلاً (عن ذكرنا) كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريرش وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وأنهما في المحسوسات حتى خفي عليه أن الشرف بحيلة النفس لا بزيينة الجسد وأنه لو اطاعه كان مثله في الغياوة والمعتزلة لما غاظهم استناد الأغفال إلى الله تعالى قالوا أنه مثل اجتنه إذا وجدته ككذلك أوتبته إليه أو من اغفل الله إذا تركها بغير سنة إلى لم نسبه بذكرنا كقولنا الذين كذبنا في قلوبهم الأيمان واحتجوا على أن المراد ليس بظاهر ما ذكرنا ولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باستناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا لأنه بالمواخذة (وكان أمره فرطاً) أي تقدم على الحق وبذلكه وراء ظهره

والفرط بالتحريك الذي يتقدم الواردة لهي لهم الارضية والدلاء ويمد الحياض ويستقي لهم وهو فعل بمعنى
 فاعل مثل تبع بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت اللهم اجعله لسافر طاي اجر اتقدمنا وامر فرط اي بجاوز فيه
 الحد ومنه قوله تعالى وكان امره فرط الى هنا كلام الجوهرى فالفرط على قوله فعل بمعنى المفعول والمعنى لا تطع
 من كان اموره التي يلا بسها مجاوزا فيها الحد والحق بحيث كان نابذ له ورأى ظميره (قوله ومنه الفرط) يجوز
 ان تكون الفاء فيه مفتوحة والراء ساكنة وان تكونا مفتوحتين (قوله الحق ما يكون من جهة الله) يعني
 ان الحق مبتدأ ومن ربك خبره والجملة مفعول القول ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما امر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان لا يلتفت الى اوامرك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء من عندك وخليت لنا مجلسك
 تؤمن بك ونجلس معك امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق ما يكون من عند الله لا ما يقتضيه الهوى فان خالفتم
 اهواءكم وقبلتم الحق الذي جاءكم من عند الله اصبتكم وعاد نفعه عليكم وان لم تقبلوه عاد ضرره عليكم ولا مدخل
 في اصابة الحق والاهتداء به لكون اهل مجلسكم فقراء واغنياء خاملين او مشهورين بالقرعة والجاه ثم تعالى رتب
 عليه وعيد من كابر عقله وعاندر به وترك الحق الصريح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله في شيء
 فليؤمن ومن شاء فليكفر وعمل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الايات (قوله ويجوز ان يكون الحق خبر
 مبتدأ محذوف) نحو هذا الحق او الذي آتيتكم به الحق كأننا من ربيكم والحق هو العادل في الظرف والابتداء المقدر
 عبارة عما ذكر من اول السورة الى هنا او عما اوصى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واباما كان يكون قوله تعالى
 وقال الحق من ربكم كالفذلك لما ذكر من مفتتح السورة او لجمع ما جاء به عليه الصلاة والسلام ثم رتب ما بعده عليه
 بالفاء فالمعنى ما جئتكم به من حديث الكتاب القيم المعرى عن كل الاعوجاج الطاهر الا بما جاز الكشاف عن الغيبات
 المحتوى على مكارم الاخلاق المزيح للعالم والاعذار المزيل للرب والشبهات حق كاش من ارب العلم بالحكيم
 (قوله وهو لا يقتضى استقلال العبد بنفسه) جواب عن قول المعتزلة ان قوله في شيء فليؤمن ومن شاء فليكفر
 صريح في ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض الى العبد واختياره في انكر ذلك فقد خالف صريح القرءان
 وتقرير الجواب صريح الآية وصريح العقل ايضا وان دل على ان نحو الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية
 يمنع حصوله بدون مشيئة العبد وقصده اليه واختياره الا ان تلك المشيئة والقصد ليست بمنشئة اخرى سابقة
 عليها والالزام ان يكون كل قصد ومشيئة مسبوقا بقصد آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد الى
 قصد واختيار يخلق الله تعالى من غير قصد سابق عليه واذا توقف فعل العبد على ذلك القصد الذي لا مدخل له فيه
 فكيف يصح ان يقال ان العبد مستقل في فعله بل يجب القول بان الكل من عند الله (قوله شبه به ما يحيط بهم
 من النار) فتكون الانصاف في سرادقها بمعنى من كافى خاتم فضة فان الاغنياء الذين يتفاخرون في الدنيا يحيط بهم النار
 من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك كما قال سرايلهم من قطران وقال ليس لهم طعام الا من ضرير وقال
 في حق سرايلهم يغاثوا بماء كالمهل والله اعلم والحرة كل مكان محجور عن الغرابي ممنوع عنه من الحر وهو المنع اثبت
 الله تعالى للنار شيئا شبيها بما يحيط بهم من جمع الجهات بحيث لا تخلص لهم منها ولا فرجة فيق ايتفرجون بالنظر
 الى ما وراءها من انوار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذي وصفه الله
 تعالى في قوله الى ظل ذي ثلث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان
 ويحيط بهم كالسرادق حول القسطاط (قوله وقيل حائط من نار) روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سرادق
 النار اربعة جدران مربعة اربعة اركان المعنى انهم وراء هذه الجدران فيهم محيطة (قوله كالجسد
 المذاب) يعني قيل ان المهل كل شيء اذبت من الاجساد السبعة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والارصاص
 وغيرها وقيل هو دردى الزيت (قوله وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصليب) يعني قوله تعالى يغاثوا بماء
 كالمهل وارد على طريق التهكم بهم وتحقيرهم حيث ذكرت الاغنياء تساهم فيه من شدة العطش وايراد ما يضاد
 الاغنياء وهو ان يؤتى بماء كالمهل اذا قرب اليه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه واذا شرب منه قطع امعاءه حتى
 تخرج من بده فالمعنى ان يستغيثوا اي يطلبوا الفوت والممدد عنهم فيمن شدة العطش يؤثروا بماء كالمهل مكان
 ما اذاب المستغيث من العطش فمعنى اتياء ذلك المساء اغاثته على سبيل التهكم والتحقير كافي قوله

غضبتم عليهم ان يقتل عامر * يوم النار طاعتوا بالصليب

والشار بكسر التون ما لى عامر والصلب الداهية والامر العظيم واعتبوا اى ارضوا وازيل غضبهم جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذى يجرى بين الاحبة تهكميا بهم والشوى انضاج اللحم من غيرمرقة تكون مع ذلك الشئ المشوى (قوله واصل الارتفاق نصب المرفق) وهو موصل الذراع والعضد فسر المرفق فى الآية بالتكأ وهو موضع التكأ على مرفق يده بان يصبه ويجعله دعامة تحمله وذلك انما يكون للاستراحة ولا استراحة لاهل النار فلا انكأ (قوله وهو لمقابلة قوله وحسنت مرفقا) يعنى آيات المرفق لاهل النار مع انه لا ارتفاق لهم مبنى على المشاكلة لقوله تعالى فى حق اراك اهل الجنة وحسنت مرفقا فان الآية التالية المقابلة لهذه الآية لما كانت مفصلة بذكر الار تفاق جعلت هذه الآية ايضا مفصلة بذكره لاجل المشاكلة لان آيات المرفق للكفار مبنى على التهم كآيات الاغائة لهم فى قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الظالمين اردفه بوعيد الصالحين فقال ان الذين آمنوا الآية وقوله تعالى انالانضج اجر من احسن عملا يجوز ان يكون خبران الذين آمنوا يحذف العائد اى منهم او ينزل العموم منزلة العائد كفى قولك نعم الرجل زيد على قول من يجعل الخصوص مرفوعا بالابتداء وما قبله خبره وهو المختار فان قولك نعم الرجل جلة فعلية والجملة الواقعة خبرا للمبتدأ لابد ان تكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدأ واستغنى عنه فى باب نعم تنزل استغنى الرجل وعمومه للمبتدأ واخبره منزلة العائد واما على قول من يجعل الخصوص خبر مبتدأ محذوف ويجعل الكلام مبنيا على تقدير سؤال وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا قيل من هو فقيل زيد اى هو زيد فحيث يكون الكلام جملتين ليس فى شئ منهما خبر جملة حتى يحتاج الى العائد او باقامة قوله من احسن عملا مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومقتضا معهم فى المعنى كفى الجملة الواقعة خبرا عن خير الشأن فانها لما كانت عبارة عن الضمير المذكور استغنى فيها عن العائد (قوله واخبرها او تلك) عطف على قوله هى الثانية بما فى خبرها (قوله واخبرنا) عطف على قوله استثناف (قوله وهو جمع اسورة) واسورة جمع سوار وهو زينة تلبس فى الزند من اليد وهو من زينة الملوك كانوا يسورون فى ايديهم ويتوجون على رؤسهم وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله اساور وقوله فى جمع سوار احتراز عن قول من قال ان اساور جمع اسوار بكسر الهمزة اوضعهما فى الصحاح وقد يكون اساور جمع اسوار واسوار قال تعالى يحلون فيهما من اساور من ذهب وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها سوار قال الساعر

والله لولا صبية صغار * كائنا وجوههم اثمار * اخاف ان يصيبهم اقطار * اولاطم ليس له سوار

* لما رأى ملك جبار *

على كل واحد منهم ثلاث اسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤا ولما نهم فيها حرير فان قيل ما السبب فى انه تعالى قال فى الحلى يحلون على مالم يسم فاعله وقال فى السندس والاستبرق ويا بسون باستاد اللبس اليهم قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة الى ما استوجبه بعملهم بمقتضى الوعد الالهى وان يكون الحلى اشارة الى ما فضل به عليهم ابتداء تفضلا زائدا على مقدار الوعد ثم انه تعالى لما بين عاقبة الظالمين الذين اغتروا بزينة الدنيا وخارفتها وافخر وا بها على فقرهم المسلمين وآثروها على ما عند الله تعالى من الثواب الجزيل وبين ايضا عاقبة من آمن بالله وباليه والجزاء وعمل بمقتضى ايمانه شبه حال الفريقين بحال رجلين موصوفين تصويرا للامر المعقول بصورة المحسوس لزيادة الايضاح والبيان فقال واضرب لهم مثلا الآية فتبين به ان كثرة الاموال والاتباع لا تصلح لان يقف بها الاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا بل الفخر انما هو بطاعة الله التى هى زينة المؤمنين وقوله تعالى جعلنا لاجلها جنتين ان كان يانا وتفسيرا للمثل لا يكون له محل من الاعراب وان كان صفة لجنتين يكون فى محل النصب (قوله مؤزرا بها) اى ملقا وفى الاساس ومن المجاز الزرع يؤزر بعرضه بعضا اذا التف وبأزر انبت اى التف وتلاصق (قوله ليكون كل منهما جامعا للاقوات والقواكة) لاشتراكه على الكروم المحفوفة بالخل وكون كل واحد منهما متبها فى احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا لما ذكر ومتواصل العمارة وتكون متغصنة متواصلة لاتبائه فى كل وقت بمنفعة جديدة وثمر مرغوبة (قوله واخراذ الضمير) فى آت والظاهر ان يقال آتانا مبنى على رجوعه الى كلنا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب اللفظ والمعنى اعطت كل واحدة

(بأس الشراب) المهل (وسامت) النار (مرفقا) متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرفقا واصل الارتفاق لاهل النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انالانضج اجر من احسن عملا) خبران الاول اى هى الثانية يعانى خبرها وارجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد او واقع فهو قه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبرها (او تلك) لهم جئات عدن تجرى من تحتهم (الانهار) وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر واخبرنا (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتكررها لتعظيم حسنها عن الاطاعة به وهو جمع اسورة او اسوار فى جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة (من سندس واستبرق) مبارق من الذهب وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي النفس وتلذ الاعين (متكئين فيها على الارائك) على السرر كما هو هيئة المتكئين (نعم الثواب) الجنة ونعيمها (وحسنت) الارائك (مرفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا) للكافر والمؤمن (رجلين) حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه يهودا ورتان ايهما ثمانية آلاف دينار فشا طرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل المثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (جعلنا لاجلها جنتين) بستانين (من اعناب) من الكروم والجملة بما بها يان الثملى اوصفة للرجلين (وحففتا هما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بهما مؤزرا بهما كروهما يقال حفصه القوم اذا احاطوا به وحففت بهم اذا جعلتهم حافين حوله فبريده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيت وغشيت به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والقواكة ومتواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الاتيق (كلنا الجنتين آت اكلها) ثمرها واخراذ الضمير لافراد كلنا وقرى كل الجنتين آتى اكله (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيا) يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالباً

(وجزنا خلاصهما) ليدوم شر بهما فانه الاصل ويريد بهما وما عوم يعقوب وبقرنا بالغيف (وكان له ثم) انواع من المال سوى الجنين من ثم ما لهما اذ اكر قرأ اعاصم بفتح
 الداء والميم وابوعمر وبضم الداء واسكان الميم والباقون بضمهم وكذلك واحيط بثره (فقال لصاحبه وهو يحاوره) (وهو يراجع في الكلام من حار اذ ارجع
 انا اكثر منك مالا واعز نفرا) حشما واعوانا وقيل
 اولاد اذكورا لانهم الذين ينفرون معه (ودخل
 جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويقاخره بها
 وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ممتعة به
 من الدنيا تنبئها على انه لاجنة له غيرها ولا حظ له
 في الجنة التي وعد المتقون اولا اتصال كل واحدة
 من جنته بالاخرى اولا ان الدخول يكون في واحدة
 واحدة (وهو ظالم لنفسه) ضارها بالبعث وكفره
 (قال ما ظن ان تبيد هذه) اي تفني هذه الجنة
 (ابدا) اطول امله وتماديه على غفلته واغتراره
 بجهلته (وما ظن الساعة قائدة) كائنة (ولئن
 رددت الى ربى) بالبعث كما زعمت (لا جدن خيرا
 منها) من جنته وقرأ الحزبان والتأخى منهما
 اي من الجنين (منقليا) مرجعا وعاقبة لانها فانية
 وتلك باقية وانما اقسام على ذلك لا اعتقاده انه
 تعالى انما اولاه ما اولاه لاستعجاله واستحقاقه اياه
 لذاته وهو معه انما يلقاه (قال له صاحبه وهو
 يحاوره) اكرت بالذي خلقت من تراب (لانه اصل
 مادتك او مادة اصلك ثم من نقطة) فانها مادتك
 القرية (ثم سوال رجلا) ثم عدلك وبكلك انسانا
 ذكر بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله
 تعالى لان منشاء النك في كمال قدرة الله تعالى
 ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب
 فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده
 منه (لكننا هو الله ربى ولا اشرك برى احدا) اصله
 لكن اتاخذت الهمة والقيت حركتها على نون
 لكن فتلاقت النونان وكان الادغام وقرائة ابن
 عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها
 عن الهمة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد
 قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو
 بالجملة الواقعة خبرا له خبرا انا اوصيه الله والله بدله
 وربى خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكرت
 كانه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به وقرئ
 ولكن هو الله ربى ولكن انا الله الا هو ربى (ولولا ان
 دخلت جنتك قلت) وهلا قلت عند دخولها
 (ما شاء الله) الامر ما شاء الله او ما شاء الله كأننى على
 ان ما عوصولة اوى شئ شاء الله كان على انها
 شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها
 بمشئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها (لا قوة
 الا بالله) فهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالضعف على
 نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدير
 امرها فبعموته واقداره وعن النبي صلى الله عليه
 وسلم من رأى شيئا فاجبته فقال ما شاء الله لا قوة
 الا بالله لم يضمره

(٢٦١)

من الجنين اكلها اي ثمها تاما ولم تنظم اي لم تنقص منه شأ والظلم نقصان يقال ظلمنى حتى اى نقصنى ولما وصفهما
 بوفاء الثمار وتام الاكل من غير نقصان وصفهما بما هو اصل الخير ومادته وهو امر الشرب فقال وجزنا خلاصهما
 نهرا والعمامة على تشديد الجيم للبالغة في وفائه شر بالهما فانه وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان
 يتلى ويصل الى جوانب كلتا الجنين ويدوم في كل وقت كان كالانهار وقرئ بالغيف على الاصل لانه نهرا
 واحدا والعمامة على فتح هاء نهرو قرئ بسكونها قرأ اعاصم كان له اى صاحب البستان ثم بفتح الداء والميم فيه
 وفي قوله واحيط بثره وهو جمع ثمة كشجر وشجرة وقرأ ابو عمرو بضم الداء وسكون الميم فيهما والباقون بضم
 الداء والميم فيهما ومن ضمهما يقول انه جمع ثمار يقال ثمارو ثم يغفف وينقل كالجار والحجر والكتاب والكتب
 ويجوز ان يكون ثم بضمين جمع ثمر بفتحين كخشب وخشب وبالسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة انه بالضم
 انواع المسال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حل النجس وكان ابن عباس يقرأ بالضم ويقول هو انواع
 المسال من ثم ما له اذا كثره وعن مجاهد ان الثمر هو الذهب والفضة خاصة وقيل هو المسال والولد (قوله تعالى
 فقال له صاحبه) يعنى قال صاحب البستان للمؤمن وقوله وهو يحاوره يجوز ان يكون حالا من الفاعل
 او من المفعول ميتا للهيئة اذ لا يلزم من القول المحاورة وهي مراجعة الكلام من حازاى رجوع قال تعالى انه ظن
 ان لن يموت وقال امرؤ القيس

وما المراء الا كالشهاب وضوءه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

والنفر العشرة الذين يذبون عن الرجل وينفرون معه والمعنى ان الكافر ترفع على المؤمن بحسبه وماله ثم اراد
 ان يظهر للمؤمن كثرته ماله وصنوف ماله كما يجب البهجة والسرور فاخذ يد اخيه المؤمن يطوف به
 فيها يريه بوجعها وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ (قوله لان المراد ما هو جنته) اي ما يقال له
 انه جنة فلان على ان التعريف فيه للعهد الذهني والمعمود هو الفرد الملوذ بالاضافة اليه مع قطع النظر
 عن كونها قطعتين بينهما من اربع او بقعة واحدة من غير ان يراد بها مشاهدته وقت الدخول او براد دخول
 كل واحدة منهما على حدة او باعتبار كونها بمنزلة جنة واحدة نظر الى اتصالهما واخلوهم ساعن نكتة تفيد بها
 احدا عما (قوله تعالى وهو ظالم) حال من فاعل دخل ولتفسد مفعول ظالم واللام فيه مريدة لتقوية العامل
 لكونه فرعا وقوله قال ما ظن ان تبيد هذه ابدا الظاهر انه مستأنف جئى به يسا لاسبب ظلمه فانه لم يراقه
 واعجب حنا وهرتها ظن انها لا تفنى ابدا وما اكنفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما ظن الساعة قائدة فجمع بين
 كفرين فان قيل هب انه شك في البعث والقيامة فكيف قال ما ظن ان تبيد هذه ابدا مع ان الحس بدلى على ان
 ما في الدنيا كلها في معرض الزوال والفناء اجب بان مراده انها لا تبيد مدة حياته (قوله وانما اقسام على ذلك)
 يعنى ان الكافر بنى جزمته بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى انما اعطاه الجاه والمسال في الدنيا لكونه اهلا
 مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت والمقدمة الاولى كاذبة لان فتح باب الدنيا على الانسان
 كثيرا ما يكون للاستدراج (قوله لانه اصل مادتك) نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية
 النباتية المتولدة من التراب فكان اتراب مادة بعيدة للانسان والاعذية الحيوانية لا بد ان تنتهى الى الغذاء
 النباتى المتشعب الى التراب (قوله او مادة اصلك) فان آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من التراب وخلق
 سبب في خلق كل احد (قوله ولذلك) اى ولكون منشاء كفره بالبعث شكه في كمال قدرة الله تعالى علل انكاره
 على كفره بالله تعالى بأبش قدرته تعالى لأبش وجوده ثم ان المؤمن وبج اكفر على كفره بار قال له
 ولولا ان دخلت اسأقر من ان حرف التحضيض اذا دخل على المسأقى يكون للتوبيخ وكلمة ما ان كانت شرطية
 تكون في محل النصب على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوبا واحتج اصحابنا بهذا الآية على ان كل ما اراده الله
 تعالى واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى لم ير ديان الكافر وطاعة العاصى فكانت تجل على المعتزلة ومعنى
 الآية فلا قلت عند دخولك حنك ورويتك ما منع الله تعالى به عليك ما شاء الله من ابقائها واغنائها كأن
 لا معارض لميتته وشكرت على انعامه اليك بدل الاشغال والافتخار بالنعمة عن المنعم وملاحظة التمتع بها
 دهر اطويلا بناء على طول الامل وتماديا في الغفلة والاعتزاز بالمهلة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
 من اعطى خيرا من اهل اموال فيقال عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يرفه مكروها كذا في الكواشى

(ق)

(٦٦)

(ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) يحتمل ان يكون انافصلا وان يكون تأكيداً للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبرنا والجملة متعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر انفر بالاولاد (فمسي ربنا ان يؤمن خيرا من جنتك) في الدنيا اوفي الآخرة لا ياتي وهو جواب الشرط (ويرسل عليها) على جنتك الكفر (حسبنا من السماء) مرأى جمع حسانته وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بغضبيها واعذاب حساب الاعمال السيئة (فتصبح صعيدا زلقا) ارضنا ملساء يراق عبيها باستئصال نباتها وابتجارها (او يصح ماؤها غمرنا) غارنا في الارض مصدر وصف به كالترياق (فلن تستطع له طبا) للماء الغائر ترددا في رده (واحيط ثمره) واهلاك امواله حسبما توقعه صاحبها وانذرته منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتي عليه اذا اهلكه من اتي عليهم العدو اذا جاءهم متعلبا عليهم (فاصبح بقلب كفيه) ظهرا لبطن تلمظا وتفسرا (على ما اتفق فيها) في عبارتها وهو متعلق بقلب لان قلب الكفين كتابة عن الندم فكأنه قبل فاصبح يندم احوال اى تخسرا على ما اتفق فيها (وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها (ويقول) عطف على يقلب احوال من ضميره (يا ليتني لم اشرك بربى احدا) كأنه تذكر مواعظ اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمني انه لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ماسبق منه (ولم تكن له فتنة) وقرأ حرة وانكسأت بالياء لتقدمه (ينصرونه) يقدرون على نصره يدفع الاهلاك اوردا للمهلك والاثيان بمثله (من دون الله) فانه قادر على ذلك وحده (وما كان متصرا) متعابا بوقته عن انتقام الله منه (هناك) في ذلك المقام وتلك الحال (الولاية لله الحق) النصر له وحده لا يقدر عليها غيره تقر بقرئوله ولم يكن له فتنة ينصرونه او ينصر فيها اولياء المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فصل بالكافر اخاه المؤمن وبعضه قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) اى لاوليائه وقرأ حرة وانكسأت الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه ولا يعبد غيره فقولاه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون نبيها على ان قوله ياليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مآد هاهنا وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحرة وانكسأت الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤنكد وقرأ عامم وحرة عقبها بالسكون وقرئ عقي وكلها بمعنى اعاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) اذكر لهم ما تشهد (الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها) اوصفتها القرية (كآه) هو كآه ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لا يضرب على انه بمعنى صيره (انزلناه من السماء) فاخطط به نبات الارض (فالتف بسبه) وخالط بعضه بعضا من كثرة وتكاثره او نجع في النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حق فاخطط بنبات الارض لكن لما كان كل من الخناطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرة (فاصبح هشيا) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح)

(قوله يحتمل ان يكون انافصلا) هذا الاحتمال على تقدير ان تكون الرؤية علمية لانها ان كانت بصرية تعين ان يكون انا كيدا ليه المتكلم لان ضمير الفصل يشترط ان يقع بين المبتدأ والخبر او بين ما حصله المبتدأ والخبر (قوله وهي الصواعق) وقيل الحسبان سهام صغار ترمى في القسي الفارسية سميت حسبنا لكونها سها ما معدودة محسوبة تجمع فترمي بمرة واحدة وقيل الحسبان العذاب الا ان ابكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا ويقال اصاب الارض حسان اى جراد ولعل اصل الحسبان السهام التي ترمى واطلاقه على الصواعق على سبيل الاستعارة وهي القطع من النار تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان ينبغي ان يجعله بمعنى اسم المفعول اى شيئا ما يعد اى يدخل في الحساب ويعتد به من انواع العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المصنف ان يكون المراد بالحساب الحكم الازل والتقدير الالهي المتعلق بتخريب الجنة وبارسائه وقوع المعلوم المقدر عند تعلق الارادة بوقوعه او يكون الحساب على اصل الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون اوعذاب معطوفا على قوله التقدير وقوله حساب الاعمال منصوبا بمنزعة الخافض اى بحسابها والصعيد وجد الارض والزاق والغور في الاصل مصدران وصف بهما مبالغة والمعنى عسى ان يصح ماؤها وهو النهر الذي في خلالها غارنا ذاهبا في الارض بحيث لا يبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وترده الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ارجوان ارزق ما هو خير وافضل من جنتك وان تهلك جنتك (قوله ظهر الطين) منصوب على انه مفعول مطلق اى يقلب كفيه قلبيا خاصا بالنادمين المتلهفين فان قوله يقلب كفيه كتابة عن الندم لان التادم بفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا لمعنى يندم عدى يعلى (قوله احوال) عطف على قوله متعلق بقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب اى متخسرا على ما اتفق (قوله احوال من ضميره) على اعتبار حذف المبتدأ لتكون الجملة اسمية اى يقلب وهو يقول لما تقرر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها (قوله كأنه تذكر مواعظ اخيه) من قوله انت كافر بالله لكني مؤمن الى قوله ان ترى افقر منك فاما اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بين وما بين من افقر وانني ويزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلك لكفرنا ما نفع به عليك ويضرب بستانك (قوله وقرأ حرة وانكسأت بالياء) اى يباء التذكير في لم يكن لتقدم الفعل ووجود الفصل واقامته مقام علامة التأييد (قوله النصر له وحده) يعنى ان الولاية له وهي بالفتح بمعنى تولى الامر والنصرة والمعنى في ذلك الموضع وتلك الحال يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدائه لا يتولى الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزازه وبذل من يشاء اذلاله وقرأ حرة وانكسأت الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لا يغلب الا لا يعبد غيره بل يلجئ اليه كل مضطر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر ياليتني لم اشرك بربى احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته في التوحيد بناء على النظر في الأدلة وامثالا لامر الله وتصديقا لكتابه وتبذره لكان ايمانا مقبولا عند الله تعالى لكن كان ندمه وتوبته عند مشاهدة البأس منيا على اعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك ومتعظا بموعظ اخيه لبقيت عليه جنته فلم يقبل ولم يصبر به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا لا خالصا لوجه الله تعالى فالآية بهذا المعنى تكون نظيره قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (قوله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد) فانه يؤكد مضمون الجملة التي لها محتمل غير نحو زيد ابوك حقوا وهنالك في محل النصيب على انه ظرف مفعول لما تعلق به خبر الولاية وهو قوله الله (قوله اذكر لهم) اى للمشركين الذين استكبروا على فقر المسلمين واقتفروا باموالهم واعوانهم يريدانه يجوز ان يجعل اضرب بمعنى اذكر فيتعدي الى واحد فعلى هذا يكون كآه انزلناه خبر مبتدأ محذوف اى هو كآه وان يكون بمعنى صير فيكون كآه مفعولا ثانيا (قوله او نجع في النبات) اى نفذ فتكون الباء فيه للتعدية لالاسمية لان الماء لرقته هو الذي ينفذ في النبات ولا ينفذ النبات في الماء فكان حق العبارة فاخطط بنبات الارض ونجع فيه يقال نجع به الدواء اذا نفعه ونجع الطعام اذا هنيء ورف النبات رفيقا اذا اهترأ نضارة وتلا لا (قوله مهشوما) من الهشم وهو كسر الشيء اليابس والهشم من النبات اليابس التكسر (قوله من الصلوات الخمس الخ) عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهي الحشائث يذبحن السيئات وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج (وعن)

تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبده ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المترعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضرورا رفاهم هشيا نظيره الى ياح فخير كان لم يكن (وكان الله على كل شيء) من الانتباه والافناء (مقتررا) قادرا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يترن بها الانسان في دنياه وقضى عنه عما قريب (والباقيات الصالحات) واعمال الخيرات تنبئ له عمرها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله

والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين (نوبا) عائدة (وخير املا) لان صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا (ويوم نسير الجبال) واذكر يوم نقلها ونسرها في الجبال واذكر يوم نقلها ونسرها في الجبال واذكر يوم نقلها ونسرها في الجبال (٢٦٣)

خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابوعرو وابن عامر تسير بالناء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت (وترى الارض بارزة) بادية رزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وتري على بناء المفعول (وحسرتاهم) وجعتاهم الى الموقف ومحيشه ما ضيا بعد تسير وتري لتحقيق الحشر اولاد لالة على ان حشرهم قبل التسير ليعاينوا ويبنهوا واما بعدلهم وعلى هذا تكون الواو والهمزة باعتماد قد (لم تغادر) فلم تترك (منهم احدا) يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء (وعرضوا على ربك) تشبه حالهم بحال الجن المروضين على السلطان لا يعرفهم بل يأمر فيهم (صفا) مصطفين لا يحب احدا احدا (لقد جئتمونا) على اعتبار القول على وجه يكون حالا او عملا في يوم نسير (كما خلقناكم اول مرة) عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادي اواحياء كخلقكم الاول لقوله (بل زعم ان لن نجعل لكم موعدا) وقملا لا تجاوز الوعد بالبعث والشور وان الانبياء كذبوك به وبلى الخروج من قصة الى اخرى (ووضع الكتاب) صحائف الاعمال في الايمان والشمال اوفى الميزان وقيل هو كتابة عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (عما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا) ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين المهلكات (مال هذا الكتاب) نجما من شأنه (لا يغادر صغيرة) هنة صغيرة (ولا كبيرة الا احصاها) الا عدها واحاط بها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا في الصحف (ولا يظن ربك احدا) فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائكة لعلمه (واذقنا للملائكة اسجدوا لا آدم فسجدوا الا ابليس) كرهه في مواضع لكونه مقدمة للا امور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المتفكرين واستعجب صنعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس اوليا من حال الغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاعتراض بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تارك في القرآن (كان من الجن) حال باصمارة قد اواسنفت للتعليل كانه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (فسق عن امر ربه) فخرج عن امره بترك السجود والفاء للسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصي ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة

وعن الضحاك انها الفرائض وفي رواية عن ابن عباس انها الكلام الطيب وفي رواية عنه انها جميع الاعمال الحسنة فان جميعها باقيات ابقاء اجرها ونفعها وسويت مسالحات لانقاذ النفس عنها وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جلسائه خذوا جنتكم قالوا احضر عدو قال جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانهم المقدمات وهن المعقات وهن الباقيات الصالحات وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عزيمت من الليل ان تكلموه وعن العدو ان يجاهدوه فلا تجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فتقولوا فانهم الباقيات الصالحات (قوله لا يحب احدا احدا) اشارة الى ان اصطفاؤهم عارة عن ظهورهم فخير من حيث يرى جاعتهم كما يرى كل واحد وقوله تعالى صفاحا من مرفوع عرضوا وهو في الاصل مصدر يقال صف صفا ثم يطلق على جماعة المصطفين واختلف في صفاتها هل هو مفرد وقع موقع الجمع والمراد صفوف دليل ما ورد في الحديث الصحيح وهو انه يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد وصفوا في حديث آخر اهل الجنة مائة وعشرون صفاتهم منها ثمانون صفات ونظيره في وقوع المفرد وقع الجمع قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا وقيل بل الخلائق يكونون صفا واحدا وهو بالغ في القدرة واما الحديثان فيحصلان على اختلاف الاحوال يوم القيامة لانه طويل مقداره خمسون الف سنة فتارة يكونون فيه صفوا جدا وتارة صفوا قليلا صفاتها معناه قياما لقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف اى قياما (قوله على وجه يكون حالا) اى عرضوا وقد قيل لهم لقد جئتمونا او عملا في يوم نسير الجبال اى نقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا كما خلقناكم واس المراد تشبيه حال البعث من القصور بحال النشأة الاولى من كل واحد لانهم خلقوا صفراء لاعقل لهم ولا قدرة بل المراد تفرغ المشركين المنكرين للبعث المتفكرين على فقراء المسلمين المؤمنين بالاموال والاخوان بان يقال لهم لقد جئتم حرة بغير اموال ولا اعوان ولقد بعثتم وشاهدتم ان البعث والقيامة حق وواقع كما وقع خلقكم اول مرة (قوله وبلى الخروج من قصة الى اخرى) يعنى ان الاضراب ههنا ليس لابطال القصة الاولى بل للانتقال الى ما هو اهم منها فانه تعالى لما بين خسارة الدنيا بتخلي حالها بحال الآيات الذي يكون بعد حدوثه اخضر ورافاهم هتيماء تطيره الرياح فصار كأن لم يكن اتبعه باحوال القيامة ثم اضرب عن يانها واشتغل عنه الى تفرغ الكفار الذين ينكرون البعث والحساب وان في قوله ان لن نجعل مخففة من الشبهة اى بل زعم ان الشأن ان لن نجعل لكم موعدا للبعث تبعثون فيه وتحاسون (قوله ينادون هلكتم التي هلكوا بها) الويلة والويل الهلكة لسا روا اعمالهم محصاة عليهم في كتابهم وعلما وانهم محزون بها وهم لكون نادوا بالويل والهلاك فان كل من وقع في مهلكة يدعو بها كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد فانه نداء للحسرة عليهم كانه قيل لها تعالى يا حسرة فان هذه الحال من الاحوال التي حزنك ان تحضرى فيها الا انهم لما نادوا الويلة المضافة الى انفسهم حيث قالوا يا ويلتنا كان النادى هلكتم التي هلكوا بها لاجنس الهلاك (قوله هنة صغيرة) الهنة بكى بها عن الخصلة السوء يقال في فلان هنة اى خصلت شرولا يقال ذلك في الخبر (قوله قرر ذلك) اى قرر فحج الكبر والافتخار ببيان انه من سنن ابليس فانه لما امتنع عن السجود لا آدم استكبارا وافتخارا بان اصله نار واصل آدم تراب والنار علوى نورانى لطيف فيكون اشرف من التراب الذي هو سفلى ظلماتى كثيف واداه ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا في اثار بعد ان كان رئيس الملائكة ومقرهم ومعلمهم واشدهم اجتهدا في العبادة حتى لم يبق في سبع السموات ولا في سبع الارضين موضع قد رشح الا وقد سجد العين لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأت من الحب نفسه حيث لم يرا احدا مثله فابى ان يسجد لا آدم استكبارا فقال انا خير منه خلقتى من نار وخلقته من طين فلغته الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحاني العلوى كان من طبعهم الانقياد لامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلذلك لما امر وبالسجود لا آدم لم يتعوا عن ذلك وسجدوا طوعا وربة امتالا لامر الله تعالى وانقيادا لحكمه كما قال تعالى لا تعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف ابليس فانه تعالى لما خلقه للضلالة والنوابة والضلال والاعوجاج خلق من النار التي طبعها الاستعلاء والاستكبار ونظمه الله في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة تشبها بفاعلمهم تقليدا لا لتحقيقا حتى عدم من جلتهم وذكروا في زميرهم بل زاد عليهم في الاجتهاد بالعبادة والاعتقاد فالتخذوه رئيسا ومعلما لما رواه من الاشتداد والاستزادة في الاجتهاد بالارادة فلما اتحن بالسجود لا آدم في جلة الملائكة ظهر ما تقتضيه

الجنة وخلع عند كسوة اهل الرغبة والرغبة ليجر الله الخبيث من الطيب فطاشت تلك المخادعات ولاشت منه تلك العادات وعاد المشوم الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فمجدت الملائكة وأبى ابليس واستكبر من غيبه وظهر انه كان من الجن كما قال ما كان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الجن الذين تولدوا من الجن وهو ابواب الجن واصله واول من عصي ربه كان آدم عليه الصلاة والسلام اول الانس وابوهم روى انه تعالى لما خلق الارض خلق الجن من مارج من نار يعني من لهب من نار لا دخان لها فكثر نسله وهم الجن بنوا الجن فاسكنهم الارض فعبدوا الله دهر اطويلا في الارض ثم ظهر فيهم البغي والحسد فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله تعالى اليهم جنودا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم من وجه الارض الى شعوب الجبال وجن آثر البحور روى ان الملائكة سبوا ابليس من بين الجن ونشأ عند الملائكة وكان مغمورا مغلوبا لوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا فيهم بالغلب تناوله امر الملائكة بالسجود لادم فكان قوله تعالى فسجدوا والابليس استناب متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالغلب ويحوز ان يكون منقطعاً وقيل الاستثناء متصل بانه على انه قد كان ملكا من جله الملائكة فخير الله تعالى صورته وطبعه وصيره الى صورة الجن وطبعهم وسيرهم بعد ابائه واستكباره وكفره فصار عسوخا كما مسح الله تعالى بعض بني آدم فصياروا قرودا وخنازير الا انه لما سأل النظره الى قيام الساعده في وصار له نسل والحال ان سائر المسوخات لا تبقى بعد ثلاث ايام ولا يصير لها نسل فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اي صار من الكافرين وقيل معناه كان في علمه الا ان الله تعالى انه سيكون كافرا لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه كان مؤمنا ثم صار كافرا برده امر الله تعالى واستقباحه كان عبدا لا صنما كانوا كفرة وقت عبادتها ثم صاروا مؤمنين بالبري منها الا انه لما كان الاعتناء في الايمان والكفر بالخواتيم وموافاة الموت فيل ان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبله اذ العبرة بالخواتيم وان كان يحكم الحال مؤمنا وهذه المقالات منسوبة الى الشيخ الاشعري رحمه الله تعالى (قوله أعقيب ما وجدته مذونه) حكى الله تعالى اول اعداؤه ابليس وذريته لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على فخر آباء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال والاتباع في تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكانه قال تعالى لهم انكم في هذا الفعل اقتديتم بابليس في تكبره على آدم وعلم ان ابليس عدوكم فكيف تقتدون به في طريقته المذمومة وكل من كان غرضه من اظهار العلم والمناظرة والتفاخر والتكبر فهو مذموم ابليس فيدخل في هذا الانكار والتعجب روى عن النبي انه قال كنت جالسا يوما اذا قبل رجل فقال اخبرني هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم تذكرت قوله تعالى افتخذونه وذريته اولياء من دوني ففلمت انه لا يكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم بنوا الدور كما بنوا الدنوا ثم قيل انه يدخل ذننه او ذكره في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين والله اعلم ثم انه تعالى لما قرآن القول الذي قالوه في الافتخار على الفقر آو الاستكبار عليهم اقتدا بابليس عاد به الى تهويل احوال يوم القيامة فقال و يوم يقول اي اذكر لهم يوم يقول عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي اي ادعوا من زعمتم انهم شركائي حتى اهلغوهم للعبادة (قوله فنادوهم للاغاثة) بان قالوا اللهم انا كنا نكفركم بتعاصيهم انتم مقنون عنا نصيبا من النار (قوله مهلكا يتركون فيه) على ان يكون الموقر اسم مكان يعني ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين في موضع الهلاك وهو النار ويعمل الهتهم في موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه الصلاة والسلام في الجنة ويعمل الملائكة الذين ادعوا انهم شركاء الله في موضع آخر اراد الله تعالى من دار الكرامة فتكون جهنم موبقايين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى عليهم السلام (قوله واعدواوه هي في شدتها هلاك) على ان يكون الموقر مصدرا وعبر عن العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة في استلزامها للهلاك واما على المجاز باعتبار ما يؤول اليه كانه قبل جعلنا بينهم عداوة تحرمهم وتؤذيهم الى الهلاك والتلف كقوله * ولا بغضك تلفا * اي ولا يكن بغضك بحيث يجر الى التلف والهلاك والكلف من كافت بهذا الامر اي اولعت به وهو واشد الحب ونهاية الكلف الولوع بالشئ مع شغل قلب ومشقة ومنه قول عمر رضي الله عنه عثمان كلف باقار به اي شديد الحب لهم

(أفتخذونه) أعقب ما وجدته من تخذونه والهمزة الانكار والتعجب (وذريته) اولاده واوليائه وسماهم ذرية مجازا (اولياء من دوني) قسبت لوفهم في فطبعهم منهم بدل طاعتي (وهم لكم عدو بئس للطالمين بدلا) من الله تعالى ابليس وذريته (ما شهدتهم خلق الله عوات والارض ولا خلق انفسهم) نبي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض يدل على نفي الاعتقاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) اي اعوانا رد لا تضادهم اولياء من دون الله شركاءه في العادة فان استحقاق العبادة من توابع الخلقية والاشراك فيه يستلزم الاشراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذمالهم واستثناء الاعداء عنهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما شهدتهم خلق ذلك وما حصصهم معلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يرجعون ثلاثتهم الى قولهم طبعه في بصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذ المضلين على الاصل وعضدا بالخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخضم جمع عاضد من عضده اذا قواه (ويوم يقول) اي الله تعالى للكافرين وقرأ حزة بالنون (نادوا شركائي الذين زعمتم) انهم شركائي او شعائركم ليعنوكم من عذا بي واصافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عسده من دونه وقيل ابليس وذريته (مدعوهم) فنادوهم للاغاثة (فلما يستجيبوا لهم) فلما يفيوهم (وجعلنا بينهم وبين الكفار وآلهتهم) (موبقا) مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوق وبقا اذا هلك

(قوله وقيل البين الوصل) فلا يكون ظرفا بل يكون مفعولا اولاجلعلنا ويكون موقاما مفعولا ثانيا وان جعل ظرفا يكون موقاما مفعولا اولاجلعل ويكون الظرف المقدم مفعولا ثانيا له ويجوز ان يكون جعلنا بمعنى خلقتنا فتعدي الى واحد ويتعلق الظرف حينئذ بالجعل او يمحذوف على انه حال من موقبا (قوله تخالطوها) فسر المواقعة بالخالطة لان مخالطة الشيء لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها موقعة (قوله من كل جنس يحتاجون اليه) لما كان لفظ المثل في اصل اللغة بمعنى الشبه وفي عرف الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه بمورده ويطلق مجازا على كل حالة غريبة وصفة عجيبه وقصة بدیعة تشبه المثل السائر في الغرابة والمثل الذي تكرر تميزه في القرآن بوجوه مختلفة ليس المثل باحد هذه المعاني بل الذي تكرر فيه هو تقرير دلائل الوحدةانية والنبوة وتحقيق احوال البعث والقيامة وبيان الاحكام والوعود والوعيد والقصاص والامثال وهذه الامور ليست من قبيل المثل المفسر باحد التفاسير المذكورة الا انها لما كانت امورا مهمة يحتاج الانسان الى بيانها اشده الاحتياج صرح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها للمثل السائر فلذلك قال المصنف في تفسير الآية من كل جنس يحتاجون اليه والظاهر ان مفعول صرفنا محذوف وقوله تعالى من كل مثل صفة لذلك المحذوف والمعنى ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس معنى من كل جنس يحتاجون اليه ويجوز ان يكون من كل مثل هو المفعول على ان تكون كلمة من زائدة على رأبى الاخفش والكوفيين وشئ في قوله تعالى اكثرتشى جدلا وضع موضع الاشياء التي يتأني منها الجدال اى افضلها واحدا واحدا والمعنى ان الانسان اكثرتشى جدلا من كل شئ يجادل والتفضيل مستفاد من اضافة افعال التفضيل الى التكره فانه اذا اضيف الى التكره المفردة واريد بيان كون صاحب افعال زائدة على ما اضيف اليه في المعنى المدلول عليه بالمصدر الذي اشتق منه افعال التفضيل يجب ان يكون المفضل داخلا في اضيف اليهم فدانهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة فاذا اضيف الى التكره المفردة محوز افضل رجل واكثر شئ جدلا يجب ان تكون التكره بمعنى الجنس المتناول للمفضل وامثاله ليكون المفضل بعضا منهم ومشاركا معهم في اصل الفعل وزائد عليهم فيه فاذا قيل زيد اقل من رجل وهما افضل رجلين وهما افضل رجال كان معناه زيد افضل من كل رجل وهما افضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما وذكر في شرح الرضى في بحث الاضافة ومذهب سيويه ان اضافة افعال التفضيل حقيقة مطلقة وذلك انه في حال الاضافة على ضربين احدهما ان يكون بعض المضاف اليه فيدخل فيه اى فيما اضيف اليه والمعنى ان صاحبه مفضل في المعنى الذي وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد مما بقى منهم بعده ولا يلزم منه تفضيل الشئ على نفسه لانه لم تفضله على جميع اجزاء المضاف اليه بل على ما بقى من المضاف اليه بعد خروج هذا المفضل منه فالاضافة في هذا المعنى بتقدير اللام كافي قولك بعض القوم وثلاثهم وجزؤهم وأحدهم فاذا كانت اضافة بهذا المعنى كاضافة بعض القوم يكون بتقدير اللام مثله فيكون بعضه بدليل قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وثانيهما ان يكون صاحب افعال مفضلا على جميع افراد نوعه مطلقا ثم تضيف الى شئ للتخصيص سواء كان ذلك الشئ مشتملا على امثال المفضل نحو زيد افضل اخوته ولم يكن محوزا افضل بغداد اى افضل افراد نوع الانسان وله اختصاص ببغداد فالاضافة اليه لاجل التخصيص كافي غلام زيد ومصارع مصر لا تفضيله على اجزاء المضاف اليه فهذه الاضافة لاجل التخصيص حقيقة اتفاقا بمعنى اللام ثم تقول اقل بالمعنى الاول اما ان تضيفه الى المعرفة او انكره فان اضيفته الى المعرفة لم يجز ان تكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيدا لا يمكن كونه بعض المضاف اليه بل اذا كان ذلك الواحد من اسماء الاجناس التي يقع لفظ مفردة اعلى القليل والكثير نحو البنى اطيب التمر جازا والرجل ليس جنسا بهذا المعنى فتقول زيد افضل الرجلين اى احدهما المفضل على الآخر وافضل الرجال اى احدهم المفضل على كل واحد من الباقيين واما اذا اضيفته الى التكره فتجوز اضافة الى الواحد والثنى والجمع نحو زيد افضل رجل وزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال اى احدهم في مطابق صاحب افعال والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمع وانما جازاى رجل هو اى رجلين هما وى رجال هم مع ان الجوز في جميعها ليس في الظاهر جملة معينة لكون المضاف بعضها منها لان المراد بكل واحد من هذه الجوزات الجنس المستغرق للجمع من المسئول ومن امثاله فيكون في الحقيقة منقسما الى المسئول وامثاله فعنى اى رجل اى قسم من اقسام الرجال

وقيل البين الرصل اى جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (انهم مواقعوها) تخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عندها مصرفا) انصرفا او مكانا ينصرفون اليه (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) من كل جنس يحتاجون اليه (وكان الانسان اكثر شئ) يتأني منه الجدال

(جدلا) خصوصاً بالباطل واتصابه على التميز (ومانع الناس ان يؤمنوا) من الايمان (اذ جاءهم الهدى) وهو الرسول الداعي والقرآن المبين (ويستغفروا ربهم) ومن الاستغفار من الذنوب (الان تأتيهم سنة الاولين) الاطلبوا انتظارا وتقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاساس لتصل بجذوف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (او تأتيهم العذاب) عذاب الآخرة (قبلا)

(٢٦٦)

عباداً وقرأ الكوفيون قبلاً بضمين وهولفة فيه اوجع قيل بمعنى انواع وقرئ بفتحين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلاً وقبلاً وقبلاً واتصابه على الحال من الضمير والعذاب (وما نزل المرسلين الا مشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) بافتراح الآيات بعد ظواهر المعجزات والسؤال من قصة اصحاب الكهف ونحوها تعساً (ليدحضوا به) ليريدوا بالجدال (الحق) عن مقره ويطلوه من ادحاض القدم وهو ازلا قها وذلك قولهم للرسول ما انتم الا بشر مثنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك (واخذوا آياتي) يعني القرآن (وما الذروا) وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب (هرواً) استهزاء وقرئ هزاً بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين (ومن اظلم من ذلك آيات ربه) بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكرها (ونسى ما قدمت يداها) من الكفر والمعاصي ولم يفكر في عاقبتها (انا جعلنا على قلوبهم كنفاً) لتعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم (ان يفقهوه) كراهية ان يفقهوه وتذكير الضمير واقرأ ده للمعنى (وفي آذانهم وقراً) ينعهم ان يستمعوه حتى استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا) تحقيقاً ولا تفصيلاً لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله ما لا داعي لهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه (ورك اغفور) البالغ المغفرة (ذوالرجة) الموصوف بالرجة (لويوا) اخذهم بما كسبوا ليعجل لهم العذاب (استشهدوا على ذلك) ما هم سال قرئش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل اهلهم موعد) وهو يوم بدر او يوم القيامة (ان يجحدوا من دونه موثلاً) نجى ولا ملجأ يقال وائل اذا نبأ وائل اليه اذا جأ اليه (وتلك اقرى) يعني قرى عاد وثمود واصراهم وتلك مبتدأ خبره (اعلكناهم) او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر (لما ظلموا) كقرئش بالكذب والراء وانواع المعاصي (وجعلنا لهم لكهم موعداً) لاهلاكهم وقتاعلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فاعتبروا بهم ولا يغترون بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلكهم وحقق بكسر اللام جلا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحض (واذا قال موسى) مقدربا ذكر

اذا قسموا رجالا رجالواى رجلين اى قسم من اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلين رجلاين وكذا يجوز زيد افضل رجل اى افضل اقسام هذا الجنس اذا قسم رجالا رجالا الى هنا كلام الرضى رحمه الله تعالى (قوله) خصوصاً بالباطل (فان القرآن الكريم قد صكر الله فيه) تقرير جيع ما يحتاج اليه الانسان في كل واحدة من التثنتين بوجوه مختلفة واساليب مجيبة يتخير الناظر فيها بالتأمل والاستبصار من اجل فضل الله تعالى ورحمته لعباده ومع هذا فانهم لا يتدبرون دلائله وما فيه من الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وبها يقطعون الطريق على انفسهم فتارة يجادلون مع الانبياء ولا يقبلونهم بالنبوة والرسالة ويقاوتونهم وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ما نزل الله على بشر من شيء وتارة يجادلون في مناسباتها وتارة في ناسخها ومنسوخها وتارة في قدمها وحدوثها ونحو ذلك ولو تغرغوا من المجادلة الى المعادلة والمجاهدة ومن المنازعة الى التعليم والمطوعة لامتلات قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا بذلك الى عز الدارين وكان الانسان ظلوماً جهولاً (قوله من الايمان) اوردة على توضيح المعنى ولا ضرورة الى تقديرها لان منع قديتى الى مفعوله الثاني بنفسه تقول اعطيت مالاً ومنعته شراً فان قوله ان يؤمنوا منصوب المحل على انه مفعول ثان لمنع وقوله الان تأتيهم مرفوع المحل على الفاعلية واذ ظرف لمنع (قوله وهو الاستئصال) اى سنة الله تعالى في المصرين على الكفر والعناد بعد قيام الحجّة وظهور الآيات ان يعذبوا بعذاب الاستئصال وذلك لم يتحقق بعد في حقهم حتى يجعل مانعاً من ايمانهم فوجب تقدير المضاف اذهم ليجعلون ايمانهم موقفاً على نزول عذاب الاستئصال او عذاب الآخرة لان العاقل لا يرضى بمحصول هذين الامرين الا انه قيل في حقهم انهم يزعمون ان الايمان موقوف على نزول احد الامرين وقد عدم حصول الموقوف عليه تشبیهاً بالحال بحال من يعتقد توقف الايمان على احدهما ويتقرب نزوله من عنده ومحصول المعنى لم يمنع الناس من الايمان الا التعت والتعناد لانه قد ظهر لهم من الحجج والآيات ما لو لم يعاندوا ولا كبروا لزمهم الايمان بها والتصديق لكن الذى منعهم من الايمان ما ذكر من عنادهم وقيل معنى الآية مانع كفار مكة من الايمان بعد قيام البرهان الا انى قدرت في حقهم ما هو سننى فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب فتكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر (قوله وهولفة فيه) الجوهري رأى قبله وقبله بالضم اى مقابلة وعياناً ورأيت قبله بكسر القاف اى عياناً والقبيل السكيت والجماعة من الثلاثة فصاعداً من قوم ستنى مثل الروم والزنج والعرب واجمع قبل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً قال الاخفش اى قبلاً وقال الحسن عياناً (قوله استهزاء) من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والا فالقرءان وانذارهم العقاب المنذر به ليس شيء منهما استهزاء قائماً بالمستهزئين الجوهري الهزؤ والهزؤ السخرية تقول هزئت منه وهزئت به واستهزأته والهزأة بالتحريك من يهزأ بالناس (قوله على تقدير قوله ما لا داعي لهم) متعلق بقوله وجواب وقوله فان حرصه على اسلامهم بيان لما يدل على المقدّر يعنى ان الجملة الشرطية جواب لقوله عليه الصلاة والسلام المداول عليه بما هو عليه من حرصه على اسلامهم فانه عليه الصلاة والسلام لما قيل له انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً ففهم منه انه قيل له انهم مأوفوا القلوب والآذان فأعرض عنهم واترذعوتهم فنزل لكهم احرصه على اسلامهم مرة من يسأل ويقول ما لا داعي لهم وقد بعث للدعوة فاجيب عن هذا السؤال المقدّر بانك ان تدعهم الى الهدى فلن يتأثروا بدعوتك اذا اى في تلك الحال وهى كونهم مطبوعاً على قلوبهم وآذانهم ولما احتل الجواب على الشرط الذى هو سبب كانها بعد اذ اجزاء مسبباً عنه فصيح ان اذا جواب وجزاء (قوله ولا بد من تقدير مضاف في احدهما) اى اما في تلك او في القرى اى اهل تلك القرى او تلك اصحاب القرى (قوله لاهلاكهم) استارة الى ان المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدر اهلك ومن قرأه بفتحين جعله مصدرهما من الثلاثى على القياس (قوله مقدّر باذكر) عطف على قوله تعالى واذا قلنا للملائكة اى واذا ذكرناهم بآلاء المشركين المنكرين على فقراء المسلمين قصة موسى عليه الصلاة والسلام وتواضعه للذى ذهب اليه يعلم منه وفيه تفرعهم على تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه ايضا تعريف اهل الكتاب والمشركين ان اخفاء اصحاب الكهف وذى القرنين عن محمد صلى الله عليه وسلم وتأخر الوحي عنه لا يدل على انه ليس نبي فان موسى عليه الصلاة والسلام كان نبياً اصطفاه الله تعالى بكلامه وبانزال التوراة عليه ثم ذهب يعلم من العلم ما علمه غيره ونهى بعد في ان يكون العالم الكامل في أكثر العلوم مجهول بعض الاشياء فيحتاج في تعلمها الى من دونه فلذلك

(ارجل)

ارحمّل موسى عليه الصلاة والسلام الى الخضر وقال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فظهر ان هذه القصة مع كونها قصة مستقلة في نفسها فهي نافعة في تقرير المقصود من القصتين المتقدمتين (قوله وقوله حتى ابلغ) مجرور بالمطف على المجرور بالاضافة في قوله لدلالة حاله وقوله عليه اي على الخبر متعلق بالدلالة وتوضيح المقام ان لا ابرح يجوز ان يكون من الافعال الناقصة المستدعية خبر منصوبا من قولهم لا ابرح افعّل ذلك اي لا ازال افعله من زال يزال وان يكون من الافعال التامة الغير المحتاجة الى الخبر من قولهم برح مكانه اي زال عنه وصار الى البراح وهو المنسحق من الارض لا زرع فيه ولا شجر من زال يزول زوالا وازاله غيره فذكر المصنف اول انه من الافعال الناقصة لكن حذف خبره لان الحال والكلام يدلان عليه معاما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ يجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح ولا ازال اسير واسافر حتى ابلغ ثم ذكر وجه آخر كونه من الافعال الناقصة وهو ان في الكلام حذف مضاف تقديره لا يبرح مسيرى ثم حذف المضاف واقيم به التكلم مقامه فانقلب مرفوعة مسترة بعد ان كانت مجرورة المحل بارزة وكذا انقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وبقى حتى ابلغ هو الخبر وفيه بحث وهو ان هذه الجملة خالية عن ضمير يربطها يعود الى قوله مسيرى فكيف تكون هذه الجملة خبرا عن مسيرى في الاصل والضمير الذي فيها يعود الى ضمير التكلم الذي اضيف اليه المسير وذلك لا يكتب به رابطا لان يقال العائد محذوف تقديره حتى ابلغ به اي مسيرى او يقال جعلها خبرا على طريق التوسع والمساخطة اقامة لها هو غاية الخبر مقام خبر والتقدير لا يبرح مسيرى حاصل او مستترا حتى ابلغ وفرقه من الوجه الاول مع اشتراك الوجهين في حذف الخبر ان حذف الخبر في الوجه الثاني متفرع على حذف المضاف من الاسم بخلاف الوجه الاول فهما متغايران في التخريج التحوي وان اتحد في الاحتياج الى حذف الخبر ثم ذكر وجه آخر وهو ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازال على حذف الصلة اي لا ازل عما انا عليه من المسير ولا افارقه ولا تاركه حتى ابلغ وعلى هذا الوجدان لم يحذف الخبر لكن حذف المفعول الغير المصرح بالحذف لا بد منه على كل واحد من التقديرين (قوله وعد لقاء الخضر فيه) روى ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضى ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يتبعني علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال موسى ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادلني عليه فقال اعلم منك الخضر قال ابن اطلبه قال غلى الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتاني مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لقاء اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبنا عيشان حتى بلغا مجمع بينهما فرقد موسى فاضطرب الحوت عند الصخرة فطمر الى البحر وسار وقيل ان يوشع توشع في ذلك المكان من عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا الا يحيى فانضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب في الماء وقيل ان خبر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهي في المكتل فاضطربت وعاشت فوثبت في البحر والحاصل انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان هذا العالم موضع جمع البحرين وما عين له موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على مسكنه المعين (قوله والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب) فحقا منصوب على الظرفية (قوله او حتى ابلغ الا ان) يعني ان كلمة او بمعنى الا ان اي لا ازال اسير حتى ابلغ يجمع البحرين الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين (قوله فاجب بها) اي استحسن تلك الخطبة لبلوغها واشتمالها على المعارف والعلوم الكبيرة من قولهم اعجبني هذا الشيء الحسنه (قوله وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر) وهو من اولاد دسام بن نوح ابي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فطاف الدنيا والخضر على مقدمته وسد يا جوج وما جوج وبنى الاسكندرية واما ذو القرنين الاصغر فهو اليوناني الذي قتل داري وسلب ملكه وتزوج ابنته واجتمع له ملك الروم وفارس وطاف الدنيا وبلغ الضلالت وقال الامام اختلف الناس في ان ذا القرنين من هو وذكروا اقوالا الاول انه هو الاسكندر بن فيلبوس اليوناني قالوا والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بنى القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حشة وايضالبلغ ملكه اقصى المشرق وان يا جوج وما جوج قوم من الترك يسكنون في اقصى الشمال بدليل ان السد المذكور في القرآن يقال في كتب التاريخ انه مبنى في اقصى

(لقاء) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سمياه فناء وقيل ابعده (لا ابرح) اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله (حتى ابلغ يجمع البحرين) من حيث انها تستدعي ذاتا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازل عما انا عليه من المسير والاطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ويجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ يجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (او امضى حقا) او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب او حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاعصى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضى بالحق ولا ينزع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يتبعني علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم منك الخضر قال ابن اطلبه قال غلى الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتاني مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لقاء اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبنا عيشان

الشمال فهذا المسمى بذى القرنين قد دل القراء أن على أن ملكه بلغ أقصى الشرق والمغرب والشمال وهذا هو تمام
 القدر المعمور من الأرض ومثل هذا الملك البسيط لا شك أنه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب أن يبقى
 ذكره مجتدا على وجه الدهر وإن لا يبقى مستترا والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد
 ليس إلا الاسكندرو ذلك أنه لم يأت أبوه فيلبوس جع ملوك الروم بعد أن كانوا طاعة ثم جع ملوك الغرب وقهرهم
 وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم عاد إلى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني
 اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحهم ثم انعطف إلى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقون والقبط
 والبربر ثم توجه إلى داري بن داري وهذا مراراً إلى أن قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس
 ثم قصد إلى الهند واليمن وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبني المداخن الكثيرة ورجع إلى العراق ومصر
 بشهر زورومات بها فلما ثبت بالقراء أن ذا القرنين كان رجلاً ملك الأرض بالسكينة أو ما يقرب منها وثبت بعلم
 التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الاسكندر وجب القطع بأن المراد بذى القرنين هو الاسكندر بن فيلبوس
 اليوناني ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا قويوا وهو انه كان تليد ارسطاطاليس الحكيم وهو على مذهبه فتعظيم
 الله تعالى اياه يوجب الحكم بأن مذهب ارسطاطاليس حق وصديق وذلك مما لا سبيل اليه واجيب عنه بما
 روى من أن الخضر كان على مقدمة ذى القرنين فدعاه الخضر عليه السلام إلى الاسلام فاسلم وكان على ملة الخليل
 عليه الصلاة والسلام وقد استوزره فلم يقبل منه وانقطع بسببه وبهذا يتدفع الاشكال المذكور أن صح والله اعلم
 وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الخضر ابن ملك من الملوك فاراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل
 وهرب منه ولحق بجزيرة البحر فطلبه أبوه فلم يقدر عليه (قوله أي مجمع البحرين) يعني أن ضمير بينهما للبحرين
 وأن حق الاجتماع أن يضاف إلى البحرين لا إلى اليمن وإنما يضاف إلى اليمن توسعاً قال الامام اجمع المفسرون على أن
 المعنى انطلقا إلى أن بلعا مجمع البحرين بأرجاع ضمير بينهما إلى البحرين ويحتمل أن يرجع إلى موسى والخضر عليهما
 السلام ويكون المعنى ولما بلغا الموضع الذي هو مجمع موسى وصاحبه الذي كان يقصده لأن ذلك الموضع الذي
 وقع فيه نسيان الخوت هو الموضع الذي كان الخضر يسكن فيه أو يسكن بقربه والظاهر أن لفظا البحرين على هذا
 الإحتمال باق على أصل معناه لا كقيل من أن البحرين موسى والخضر عليهما السلام (قوله نسي موسى أن
 يطلبه ويتعرف حاله) قيل النسيان فعل يوشع وحده والكلام على حذف المضاف أي نسي أحدهما كقوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمصنف لم يرض به بل جعل النسيان مستنداً إليه ما على معنى نسيان امر الخوت
 نسي موسى أن يتعرف حاله ونسي يوشع أن يذكر لموسى ما شاهد من الخوت وهو اضطرابه ووبته في البحر ذاهبا
 فيه وقد قدر المضاف ومن المعلوم أن ليس المراد من نسيان الخوت نسيان ذاته بل نسيان حاله قيل انهما خرجا من
 الشام وذهبا نحو ارمينية فأتياها إلى الضحرة التي قيل لموسى أنك تجد عندها العبد الصالح الذي تطلبه فلما انتهى
 إليها وضع موسى عليه الصلاة والسلام رأسه فنام فاضطرب الخوت ووثب في البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره
 موسى ونسي يوشع أن يذكر أمره لموسى وتوضيح الفرق بين قوله نسي موسى أن يطلبه وبين قوله وقيل
 نسيان فقد أمره الخ' يتوقف على بيان مقدمة وهي أنه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام أن موضع الخضر
 مجمع البحرين ثم أن ذلك المجمع لما كان متسعاً أيضاً لا يتعين أن موضع ملاقات الخضر من ذلك المكان المتسع
 أي موضع هو جعل فقد أن الخوت المشوي علامة دالة على الظفر بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان
 المتسع الذي صدر عنه مجمع البحرين فلما بلغا ذلك المجمع الذي يتعين به مكان الخضر بنوع معين كان على موسى
 عليه الصلاة والسلام أن يطلب ما به يتعين خصوص مسكنه ويتعرف حاله هل هو باق في المكمل أو مفقود
 ذاهب وكان على يوشع أن يذكر له ما رأى من حاله فنسي كل واحد منهما ما هو اللائق بحاله وارتحلا من ذلك الموضع
 من غير أن يطلب موسى عليه الصلاة والسلام الخوت ويتعرف حاله ومن غير أن يذكر يوشع ما رأى من حياة الخوت
 ودخوله البحر وهذا ما اختاره المصنف وذكره بقوله نسي موسى أن يطلب الخ' ولم يرض بقوله من قال أن ما نسيه
 كل واحد منهما أمر واحد وهو تفقد ما يكون اشارة على الظفر بالمطلوب من أحوال الخوت لأن هذا هو الذي
 نسيه موسى وأما يوشع فقد شاهد من الخوت هذه الامارة وإنما نسي أن يذكرها لموسى (قوله مسلماً) على أن
 السرب مصدر كالطلب أي يذهب يسرب فيه أي يسلك ويذهب فيه من قولهم سرب أي ذهب على

(فلما بلعا مجمع بينهما) أي مجمع البحرين وبينهما
 ظرف اضرب اليد على الاتساع أو بمعنى الوصل
 (نسي موسى أن يطلبه) يتعرف
 حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه
 في البحر روى أن موسى رقد فاضطرب الخوت
 المشوي ووثب في البحر مجزأة لموسى أو الخضر وقيل
 توشعاً يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش
 ووثب في الماء وقيل نسيان فقد أمره وما يكون اشارة
 على الظفر بالمطلوب (فأتياها سبيله في البحر سرباً)
 فأتياها سبيله في البحر مسلماً من قوله
 وسارب بالتهار وقيل امسك الله جريته الماء على الخوت
 فصار كالطافي عليه ونصبه على المفعول الثاني
 وفي البحر حال منه أو من السيل ويجوز تعلقه
 باتخذ (فلما جاوزا) مجمع البحرين

(قال لفتاه آتنا غداً لنا ما نتغدى به) (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوز وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم ينج موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال أرايت اذ أوينا) أرايت مادها في اذ أوينا (الى الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت) (فاني نسيت الخوت) فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه (وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره) اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان أن اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوسا وسه والحال وان كانت نجية لا ينسى مثلها لكنه لما مضى بمشاهدة امثالها عند موسى وأنها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاباً بشاره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبته الى الشيطان هضم لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجبابنة واشتغالها باحدهما عن الآخر بعد من نقصان صاحبها (وانخذ سبيله في البحر عجا) سبيل عجا وهو كونه كالسرب او اتحاداً عجا والمفعول الثاني هو انظر وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجا تعجباً من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الخوت في البحر عجا (قال ذلك) اي امر الخوت (ما كناغ) نطلب لانه اشارة المطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جا آفیه (قصصا) يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعاً او مقتصين حتى أتيا الصخرة (فوجدوا عبداً من عبادنا) والجمهور على انه الخضر واسمه بابا بن ملكان وقيل البس (آتيه رجدة من عندنا) هي الوحى والنبوة (وعلمنا من لدنا علماً) بما يخص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني) على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف (مما علمت رشداً) علماً دارساً وهو اصابه الخير وقرأ البصريان يتخين وهما لغتان كالخجل والخجل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المخذوف وكلاهما مفعولان من علم الذي له مفعول واحد ويشوز ان يكون علماً لا يتبع او مصدراً بانخار فله ولا ينف في نيته وكونه صاحب شريعة ان يعلم من غيره مالم يكن شرطاً في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقاً وقدر اعي في ذلك غاية التواضع والادب فاستجمل نفسه واستأذن ان يكون تابعاً له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه (قال انك لن تستطيع معي صبراً) انني عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانه مالا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) اي وكيف تصبر وانتي نبي على ما تولى من امور ظواهرها من اكبر وبواطنها لم تحط بها خبراً

(٢٦٩)

وجهه في الارض والسرب ايضا يث في الارض لا مثفله وان كان له مثفد يقال له تفق الجوهرى التفق سرب في الارض له مخلص الى مكان فليل ومنه السرب في الآية روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال معنى جعل سبيله في البحر سرباً انه دخل في البحر كما يدخل في السرب كأن الماء ارتفع بعضه فصار كالطابق والكوة فذهب الخوت فيه فصار الماء على الخوت كالطابق وصار الخوت في البحر كأنه في السرب (قوله ما نتغدى به) الغداء ما يعد للاكل غدوة والعشاء ما يعد للاكل عشية (قوله قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد) فيكون حكمة هذا الاشارة الى مسيرهما بعد الجاوزة وكان هذا المسير اتعب لهما مما سبق لان رجاء المطلوب يقرب البعد والخيبة تبعد القريب ولهذا ورد في الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام لم ينصب الا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى (قوله أرايت مادها في اذ أوينا) يعني ان قوله أرايت بمعنى اخبرني حذف بمفعوله الذي هو المستخبر عنه وهو المظروف لقوله اذ أوينا وهو ايضا ظرف قوله فاني نسيت الخوت وحذف لدلالة مقام الحيرة عليه ونهر الزيت علم لنهر هناك سمي نهر الزيت لكثرة اشجار الزيت على شاطئه (قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان) قرأ حفص بضم الهاء فيه وفي قوله في سورة الفتح عليه في الوصل والباقيون بكسرهما فيهما وان اذكره في محل النصب على انه بدل من هاء انسانيه بدل احتمال اي انساني ذكره (قوله سبيل عجا) على ان يكون فاعل اتخذ ضمير الخوت وسبيله اول مفعول اتخذ وفي البحر يجوز ان يتعلق بقوله اتخذ وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاول او الثاني وعجا صفة محذوف هو ثاني المفعولين (قوله واتخاذ عجا) على ان عجا صفة محذوف هو مفعول مطلق لا اتخذ وفي البحر هو المفعول الثاني (قوله او موسى في جوابه) عطف على المستتر في قال لقيام الفصل مقام التاكيد اي قال في موسى في آخر كلامه عجا اي عجت عجا فحكي الله تعالى ذلك او قال موسى ذلك في جواب فتاه فحكي الله تعالى ذلك عنه وهذا الاحتمال الاخير ليس مما يعول عليه لان موسى عليه الصلاة والسلام لما قال ليوشع آتنا غداً لنا اياه بقوله أرايت اذ أوينا الى الصخرة وهي كلة تعجب وقال واتخذ سبيله في البحر اي تعجب في موسى من ذلك فحكي الله تعالى تعجبه والارتباب في نفسه بعيد من بلاغة التزييل بل ينبغي ان يكون عجا مفعول في موسى (قوله يقصان قصصا) على ان قصصا مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه او مصدر لقوله فارتدا على آثارهما لان معناه اقتصا على آثارهما (قوله او مقتصين) على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال (قوله تعالى علماً) مفعول ثان لعلمناه ولو كان مفعولاً مطلقاً لقليل تعليلاً وقوله من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من علماً (قوله وهو في موضع الحال من الكاف) في اتبعك اي اتبعك باذلالك عليك (قوله او مصدراً بانخار فعله) اي على ان تعلمني وترشدني رشداً او مما علمت وارشدت رشداً (قوله فاستجمل نفسه) فان قوله على ان تعلمني اقرار منه على نفسه بالجمل وعلى استاذنه بالعلم وقوله مما علمت كلمة من فيدل على بعض تعاليم بعض ما علم كانه يقول لا اطلب منك ان تعلمني مساوياً لك في العلم بل اطلب منك ان تفيدني بعض مما علمت روى انه لما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً قال له الخضر كني بالانوراء علماً وبني اسرائيل شعلاً فقال له موسى ان الله امرني بهذا فخذ قال له انك ان تستطيع معي صبراً وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا كثيرة منكراً بحسب الظاهر ولا يجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً وخبراً غير لقوله لم تحط وهو منقول من الفاعلية اذا صل بما لم يحط به خبراً اي علمك وبجوز ان يكون مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل لان قوله لم تحط به بمعنى لم تخبر به خبراً الجوهرى من اين خبرت هذا الامر اي من اين علمت والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشيء وقوله لهم لا خبرت خبرك اي لا علمت خبرك (قوله وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى) فان الصبر في مقام التوقف واجب ما مور به فلو كان جبر ما امر الله به وأوجب على العبد قد اراده الله تعالى لما كان لتعلق صبره بمشيئة الله فائدة فان كلة ان تفيد الشك فقوله سجدني ان شاء الله معناه سجدني صابراً ان شاء الله كوني صابراً وهذا يقتضي وقوع الشك في ان الله تعالى هل يريد كونه صابراً او لا وكونه مشكوكاً فيه يدل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما اوجد عليه وانه تعالى قد يامر بالشيء مع انه لا يريد لا كما زعمت المعتزلة من ان الامر يستلزم الارادة ولما كان تحقق مشيئة الله تعالى غيباً لا يعلم حصولها الا اذا علمنا حصول متعلقها كان تعليق ما لزمه من الصبر بحصولها موها لكونه غير

(نق)

(٦٨)

سجدني ان شاء الله صابراً) معك غير منك عليك (ولا اعصى لك امراً) عطف على صابراً اي سجدني صابراً وغير عاص او على سجدني وتعلق الوعد بالمشيئة اما لاثنين اولهما بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى

(قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء) فلا تفاجئني
بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجد صحته (حتى
احدث لك منه ذكرا) حتى ابتعد بك ببيان وقرا
نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثبيلة (فانطلقا)
على الساجل يطلبان السفينة (حتى اذا ركبنا
في السفينة خر فيها) اخذ الخضر فأسسا فخرق
السفينة بان قلع لوحين من أواحيها (قال آخرتها
لنغرق في اهلها) فان خرقتها سبب لدخول الماء فيها
المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالنسبة للكثير
وقرأ حزة والكسائي ليفرق اهلها على استناده الى
الاهل (لقد جئت شيئا امرا) آتيت امرا عظيما
من امر الامر اذا عظم (قال ألم اقل انك لن تستطيع
معى صبرا) تذكير لما ذكره قبل (قال لا تؤاخذني
بما نبت) بالذي نسبته او بسئ نسبه يعنى وصيته
بان لا يعترض عليه او نسياني اياه وهو اعتذار
بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع
قياس المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى
لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة
وقل انه من معار يض الكلام والمراد شيء اخر نسبه
(ولا ترهقنى من امرى عسرا) ولا تعشى عسرا
من امرى بالمصايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك
يعسر على متابعك وعسرا مفعول ثان لترهق
فانه يقال رمقه اذا غشيه وأر هقه اياه وقرئ
عسرا بصوتين (فانطلقا) اى بهما خرجا من السفينة
(حتى اذا لقيا غلاما فنته) قل قتل عنقه وقيل
ضرب برأسه الخاط وقيل استنجد فذبحه والفاء
للدلالة على انه لما لقى قتله من غير ترو واستكشاف
حال ولذلك (قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس)
اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ورويس عن يعقوب زكية والاول ابغ
وقال ابو عمرو والزكية التى لم تذنب قط والزكية التى
اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها
كانت صغيرة لم يبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا
يقتضى قتلها او قتلت نفسها فتقاد بهان به على
ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين
مستف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقتها جراء
واعتراض موسى عليه السلام مستأثفا وفي الثانية
قتله من جلة التمرط واعتراضه جراء لان القتل
اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جدرا بان يجعل
عبد الكلام ولذا فصله بقوله (لقد جئت شيئا
نكرا) اى منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر

عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون تعليق الوعد بالمتبئة اما المتين اوله بصعوبة الامر لا يكونه غير
عازم على الصبر كمتعلق من قال انت طالبي ان شاء الله فانه لا يقع الطلاق ولا يكون الزوج عازما على الطلاق
بهذا القول والمقصود من هذا الكلام دفع ما يقال من ان ما حكاه الله تعالى عن الخضر وسوسى عليهما الصلاة
والسلام يستلزم صدور الكذب من احدهما فان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معى صبرا وقال موسى
ستجدنى ان شاء الله صابرا وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحد هما
وصدور الكذب من احدهما يناقض عصمة الانبياء وتقرير الجواب انه لم يحصل صدور الكذب من واحد منهما
اما من الخضر فلحقق عدم الصبر من موسى باستحباره عمارا من الخضر وانكره نظرا الى ظاهره وامام موسى
فانه قد استثنى في جوابه وقال ستجدنى ان شاء الله صابرا فان التعليق بالشيئة يدفع الخث ويناقى الكذب
وقيل انه من معار يض الكلام بان لا يكون النسيان بمعنى الترك بل اراد به ما يقابل الذكر الا انه لا يراد به نسيان
وصيته بل النسيان في الجلالة اذا الانسان لا يخلو عن نسيان لما روى عن ابن عباس انه سعى انفسا لانه عهد اليه
فنى والترىض خلاف التصريح وذلك يكون بان تصرح بذكر شيء وتعمل كلامك الى عرض وناحيته تذكر
كقولك ما اتبع البخل تعرض للمخاطب انه يحيل فعلى الاول قد كان موسى نسي وصية الخضر حقيقة ونهاه عن
المؤاخذة معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثاني لم ينس في نفس الامر بل نهاه عن اخذ النسيان موهبا
من قبيل المعارض ارجل النسيان على الترك لان المؤاخذة بالنسيان حقيقة مما لا يصدر من النبي فلا يحتاج
الى النهي عنها وجعل صورة المنهى عنه في الوجد الاول طريقا الى الاعتذار بالنسيان الناشئ عن قلة التحفظ (قوله
ولذلك) اى ولكون القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا فان انكر اعظم من الامر
في القبح لان ما يشتد وعظم من الامور لا يلزم ان يكون منكرا والشئ انما يكون نكرا اذا انكرته العقول
ونفرت عند الطبع وانفوس (قوله قدنى من نصر الخبيثين قدنى) اكتفى بتعريك الدال من قدنى عن ثوب
الوقاية والخبيثان عبد الله بن الزبير وابنه خبيب وقيل هو واخوه مصعب ومن روى الخبيثين على الجمع اراد ثلثتهم
وقرأ ابو بكر لدنى بضم الدال وتسديد النون وعن الزجاج قال اجود القراءات تسديد النون لان اصل لدن
الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت نونا يسلم سكوت النون الاصلية فتقول من لدنى كاتقول منى وعنى ومن قال
لدنى لم يجره ان يقول منى وعنى وترك النون الوقاية لان لدن اسم غير ممكن فلا ضير في تحريك آخره بخلاف من وعن
فانما حرفان والدليل على ان الاسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدنى في قدنى فان قداسم غير ممكن
قال الجوهرى بعد ما ذكر ان كلمة قدحرف لا تدخل الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حبسك فهو اسم
وتقول قدنى وقدنى ايضا بالنون على غير القياس لان هذه النون انما تادق الافعال وقاية لها عن صورة الجر
مثل ضربنى وشتمنى (قوله تعالى استظها اهلها) اى سألهم الطعام فان آخر كسب الجائع الاقدام على المسألة
والاستطعام وهو امر مباح في كل الشرائع وربما يجب ذلك عند خوف التلف والضرر الشديد عن ابى بن
كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لثام قال الامام رأيت في كتب الحكايات ان اهل تلك
القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبل من الذهب وقالوا
يا رسول الله نسترى بهذا الذهب ان تجعل البساء حتى نصير انقرآه هكذا ماتوا أن يضيقوا بها اى اتوا لان
يضيقوها اى اتيان اهل تلك القرية اليها لاجل الضيافة وقالوا اغرضنا منه ان يدفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله وذلك يوجب القدح
في الاكهيمة فعلمنا به ان تغير هذه النقطة الواحدة يوجب بطلان الرواية والعددية (قوله فاستعيرت
الارادة) فانها تكونها من صفات الاحياء لا يوصف الجدار بها حقيقة فشبهه مسرفة الجدار الى الانقضاء
بالارادة بجماع الميلاق بينهما فاستعيرت لها فهي استعارة تبعية (قوله يلف سملى) اى يجمع ما تنبت من
امرى وجل اسم محبوبة يقول ان دهرنا يجمع بينى وبين محبوبتى دهر همد الاحسان لا الاساءة شبهه مساعدة
الزمان لاجتماعه مع محبوبته بالهم فاستعير لها (قوله وقرئ ان ينقص) على بناء المفعول من النقص بمعنى
الهدم يقال نقص البناء ينقصه اذا هدمه وان ينقص من قاصد يقصه اى كسره وتقول العرب انقصت السن
اذا انسقت طولا (قوله ليتعشا) اى ليتقوا ويرتفعوا عن اخطا الضرورة يقال نعتته الله اى رفعه وانعش

العائر اذا نهض من عثرته نفي عنه مثبته اتخذا لاجر على عمله تحريضه على اخذه كانه قال لم تشأ ذلك وقد علمت حالنا وحالهم (قوله اوتبر يضايته) اي بان الاشتغال باصلاح الجدار فضول اي فعل زائد لا يثبت لانك لا تفعله لاخذ الاجر وليس لنا في نفس اقامة الجدار فائدة فهي من فضول العمل (قوله واتخذ افعل من اتخذ) على وزن علم والظاهر انه افعل من اخذ اصله اتخذ ابدلت الهمزة ثاء ابدلت الياء وادغمت في التاء ذلك لان مادة اتخذ لم يذكرها الجوهري بل قال اتخذ اففعال من الاخذ الا انه ادغم بعد ثلثين الهمزة وابدل الياء ثاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الاففعال توهمو ان التاء اصلية فبنوا امته فعل يفعل وقالوا اتخذ يتخذ وقرئ اتخذت عليه اجرا وقولهم اخذت كذا يدلون الذال تاء فيدغمونها في اثناء هذا كلامه الا ان البصريين يجعلونه من الاخذ بناء على انه لما جاء في بعض القراءات اتخذت دل على ان هذه اللغة واقعة في كلام العرب وكانت التاء الاولى في اتخذ دأثره بين الاصالة والانقلاب عن الهمزة ولا شك ان الاولى تحسن على الاصالة فلماذا قطعوا بانه ليس من الاخذ (قوله الاشارة الى الفراق الموعود) فان المشار اليه لا يجب ان يكون موجودا حاضرا وقت الاشارة بل يكفي ان يكون موجودا ذهنا ويدل عليه قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي معدومة وقت نزول القرآن ولما وعد موسى عليه الصلاة والسلام انه ان حدثت منه مسألة ثالثة يفارقه ولا يلح عليه في المصاحبة فلما وقع منه الاعتراض على ترك الاجر وحل ميعة الفراق الموعود تصور الحضر عليه السلام ذلك الفراق الموعود فاشار اليه وجعله مبتدأ وخبر عنه على طريق قولك هذا اخوك فان لفظ هذا لا يشار به الى غير الاخر فكذا في الآية وخص الاعتراض الثالث بكونه سبب الفراق دون الاولين لان موسى عليه الصلاة والسلام في السوء الاولين عذرا وهو كون الظاهر كان منكرا بخلاف الاعتراض الثالث فانه غير مبني على امر منكروا بناء على طمعه الذي هو متكرر في نفسه فان الطمع ارادى الخصال فلما نطق موسى عليه الصلاة والسلام بما ينفي عن الطمع قال له الحضر هذا فراق بيني وبينك وجعله سببا للفراق واصله هذا فراق بيني وبينك فاضيف المصدر الى الضمير كايضاف الى المفعول به (قوله سأبئك بالخبر الباطن الخ) اي بالحكمة التي تخفى عليك فيما توليته من الامور سميت تأويلها كونها امر جمعا ومصدر تلك الامور من قولهم آل الامر الى كذا اي صار اليه وتلك الحكمة خفيت على موسى لان احكام الالاء عليهم صلوة والسلام مبنية على الظواهر كما قال عليه الصلاة والسلام نحن نحكم بما ظواهره والله يتولى السرائر اراى من يتولى سرائر الامور وظواهرها هو الله تعالى والظاهر في اموال الناس ونفوسهم ان لا يكون لغيرهم ولا ية التصرف فيها من غير سبب والحضر لما تصرف في اموال الناس ونفوسهم من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف كان ذلك التصرف منكرا في حكم الشرع الا انه تعالى لما اتى الحضر قوة عقلية قدر به ان يطالع على بواطن الامور ويقف على الاسرار الالهية التي هي اسباب معتبرة في نفس الامر لما ذكر من التصرفات ففعل ما فعل تلك الاسرار الحقيقية والحكم الالهية فظهر بهذا تفاوت ما بين موسى والحضر عليه السلام في باب العلم وان مرتبة الحضر كانت فوق مرتبة موسى فيد فان قيل ظهر بما ذكرناه تعالى خص الحضر بما علمه من العلوم الدينية فكانت مرتبة فوق مرتبة موسى باخصاصه بتلك العلوم والاطلاع على بواطن الاشياء وحقائقها وموسى لا يعلم هذا النوع من العلوم الالهية فكان من الواجب على الحضر ان يظهر له علمه على ما يمكنه تعلمه وهذه المسائل الثلاث علوم لا يمكن تعلمها بالمادة في ذكرها واطهارها فالجواب ان العلم بالاسرار الالهية وان كان لا يمكن تعلمه بنفسه من البشر الا انه يمكن ان يعلم طريق حصوله بتصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب من العلائق البدنية ثم ان موسى عليه السلام لما استكمل معرفة السرائر الظاهرة بعنه الله تعالى الى هذا العلم ليعلم ان كل الانسان بان يتقن من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم البواطن والحقائق المبنية على التزهد عما يشغل سره عن الحق وان وجد الى جنب القدس وعالم الغيب (قوله قدماهم وخلفهم) اي ان لفظ وراءهم والاضداد يطلق على كل واحد من جهتي الامام والخلف قال تعالى من وراءهم جهم اي امامهم وقال ويدرون وراءهم يوما ثقيلا وذلك ان وراءهم كان طرف مكان الا انه مأخوذ من التواري وهو التستر والاختفاء يقال وارت الشيء اي اخفيتها وتواري هو اي تستر وكل ما غاب عنك فهو متواري عنك وانت متواري عنه فيصح ان يقال لكل ما غاب عنك انه وراءك وما كان امام الشيء او قدما له اذا كان غائبا عنه لا يبعد ان يطلق عليه لفظة وراءه ولكون وراءه بمعنى القدام احتج بوروده في القرءان بذلك المعنى وقرآءة ابن عباس وكان امامهم ملك وان كان الملك الغاصب في جهة خلفهم لا بد ان يكون

ويعقوب وابوبكر بضمتين (قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) زاد فيه لك مكافئة للعقاب على رفض الوصية ووسما بلة التبات والصبر لما تكرر منه الاستمرار والاستسكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستسكار ثانيا مرة (قال ان سألتك عن شيء بعده فلا تصاحبنني) اي وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصاحبنني اي فلا تصاحبني صاحبك (قد بلغت من لدني عذرا) قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحي فقال ذلك ولوليت مع صاحبه لا بصر اعجب الاعاجيب وقرأنا نافع من لدني بتحريك النون والاكفاء بهاء نون الدعامة كقوله قدني من نصر الحيين قدني وابوبكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد (فاطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) قرية انطاكية وقيل ايلة بصرة وقيل ارمينية استطعها اعلمها فابوا ان يضيفوها وقرئ يضيفوها من اضافته يقال ضافه اذا نزل به ضيفا وضافه وضيفه انزله واصل التركيب للجميل يقال ضاف السهم عن الغرض ادمال (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) يداني ان يسقط فاستعيرت الادارة للمشارفة كما استعير لها الهمم والعزم قال يريد ان يصدري براءه ويعدل عن دماء بني عقيل وقال آخر ان دهرنا بلف ستملي بجمل لزمان يه بالاحسان وانقض النعل من قضض اذا كسرتيه ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او فعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقض بالنصاد المهملة من انقضت السن اذا انتقت طولا (فاقامه) بمسارته او بمودعده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبنائه (قل لو سئت لا اتخذت عليه اجرا) نحر يضاع على اخذ الجمل ليتعسا به اوتبر يضايته فضول ل في لو من انفي كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واستغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افعل من اتخذ كتابع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان اتخذت اي لاخذت وظهر ان كبير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون (قال هذا فراق بيني وبينك) الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنني او الى الاعتراض الثالث والوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا وهذا الوقت وقد واصله الفراق الى البين اضافة المصدر الى الطرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سأبئك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) لم يوجب وهو دليل على

ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذ لم يكفه وقيل سمواساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر (فاردت ان اعينها) اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) قدماهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل متواري بن جلندي الازدي (ياخذلك سفينة غصبا) من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعينها عن قوله وكان وراءهم ذلك لان ارادة التعيب مسبب عن خوف الغصب

فإنما قدم للعناية أولان السبب لما كان مجموع الامر من خوف القصب ومسكنة الملاك رتبة على اقوى الجزئين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتيم وقرئ كل سقينة صالحة والمعنى عليها (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما) ان يشاهما (طغيانا وكفرا) لعتيمهما بعقوبة فليحتمل حاشرا او يقرن بايمانهما طغيانه و كفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافرا

(٢٧٢)

مرجع السفينة عليه حتى يكون خرقها فائدة وقوله تعالى غصب يحتمل ان يكون مصدرا في موضع الحال وان يكون مفعولا مطلقا لبيان نوع الاخذ فنحرج القهقري (قوله وانما قدم للعناية) يعنى قدم المسبب الذى هو ارادة التعيين على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق المسبب ان يترتب على السبب ويتأخر عنه ولوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه العناية ان موسى عليه الصلاة والسلام بنى انكاره على خرق السفينة على كون انكاره فدفعه بان خرقها لارادة تعييسها لاجل الاغراق وثانيهما ان السبب ليس بمجرد خوف غصب السفينة الصحيحة بل كون السفينة للمساكين جزئ سبب التعيب وذكر الجزء الآخر عقبه على سبيل التقييد لانه حال من فاعل اردت باصمارق (قوله او يقرن بايمانها) عطف على قوله فليحتمل حاشرا يعنى ان اثبات الطغيان واغشاهما لايما يحتمل ان يكون المراد به ان يؤدبهما ويلحقهما شراب سبب عقوبته او ان يجمع بين كفره و ايمانها في بيت واحد يقال قرنت الشئ بالشئ اى وصلته به ويقال غشيه غشيانا اذا جاءه واغشاه اياه غيره كذا في الصحاح (قوله او يعدبهما بعنقه) عطف على ما قبله ايضا وهو من العدوى يعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه الى غيره يقال اعدى فلان فلانا من خلقه او من علة به او جرب اى يحتمل ان يكون المراد باغشائه الطغيان اياهما ان يحملهما حبه على ان يتابعه على دينه او يرتد باضلاله والمالاة المساعدة يقال مالته على الامر بمالاة اى ساعدته عليه وشايته (قوله اى فكره كراهته من خاف) على ان يكون قوله فخاف استعارة تبعية متفرعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب وهو خوف سوء العاقبة على المسبب الذى هو الكراهة واستندت الكراهة المبينة على الخوف اليه تعالى تتيها لكرهته تعالى بكراهية الخائف (قوله ويجوز ان يكون قوله فخشنا حكاية قول الله تعالى) عطف على قوله وانما خشى ذلك والمعنى ان الله تعالى اعلم بحال الغلام واطلعه على سره وقال له اقل الغلام لانكاره كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يعشى الغلام والديه طغيانا وكفرا ولما قال الخضر واما الغلام فكان ابواه مؤمنين درج قول الله تعالى فخشنا في أثناء كلامه وابقى فضيت ايماء الى اضلال ارادته في ارادة الله تعالى واعلاما بان علمه مقتبس من المستكة القدسية ولا شوب فيه لرأيه وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا كما قال جبريل عليه السلام لم يزل يهابك غلاما والواهب هو الله تعالى وهو مبلغ لكلام الله تعالى اياها (قوله وبين الاب الذى حفظناه) اى روى جانبها لاجله وكرامته وفى العرب الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال (قوله ومعنى ذلك) اى معنى ما فعله الخضر في المسائل الثلاث تحمل ادى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة الاولى فلان الخضر علم انه لو لم يعب تلك السفينة بالخرق لغصبها ذلك الملك وفات منافعها على ملاكها بالكلية وان خرقها بقص بعض مايتها وهو اهون بالنسبة الى الضرر الاول فوجب تحمله دفعها هو اعظم منه فكذا المسئلة الثالثة لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار لو سقط لضاع اولئك الايتام وفيه ضرر شديد قيل وقال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام حين قال له اخرجتها لتفرق اهلها فاد التفتك امك في اليم فلم تفرق فلم خفت الفرق عليهم مع حفظ الله تعالى ولما قال اقلت نفسا زكية بغير نفس قال انك قتلت القبطى بالوكة فلو تعاتبني بهذا ولما قال له لو شئت اتخذت عليه اجرا قال انك سقيت لابنقى شعيب فلم تطلب لذلك اجرا فلم تأمرني بذلك فكان له وجوه تنبيه في هذه القصة قال وهب ثم انطلق موسى والخضر حتى قعدا على الصخرة فاقل طائر فقمس متفاره في البحر ثم اخرجه فسمعه على جناحيه فقال الخضر انه يقول ما علم الخلق في علم الله الا بقدر ما حلت بمنقارى وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه اوصنى قال لا تضك من غير عجب ولا تعبر الحاطى بخطيئته وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم لغد وروى ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به (قوله يعنى اسكندر الرومى) فيه نظر لان الاسكندر الرومى هو ذو القرنين الاول كان مؤمنا عبدا صالحا وقيل كان نبيا وقد اسلم على يدى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان وزيره الخضر وهو اول التابعية وكانت مدة ملكه اثني سنة لانه كان في دين الخليل الى ان ادر كه سيل العرم وما بعده وكانت امه رومية وكان يقال لها سافلسوف لعقلها وذو القرنين الثاني كان فيلسوفا حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف كذا نقل من تاريخ ابن كثير وفى تصدير الكواشى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لا يمكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله

وبعد بهما بعنقه فيرتد باضلاله او بما لا اله الا الله تعالى طفياه وكفره حباله وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان محمدا الخضرى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكذب اليه ان علت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تفعل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشنا حكاية قول الله تعالى (فاردنا ان يدلهما ربهما خيرا منه) ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه (زكاة) طهارة من الذنوب والاخلاق الردية (واقرب رجلا) رجة وعطفا على والد به قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وابوعرو ويبدلها بالتشديد وابن عامر ويعقوب رجلا بالتفيل واتصاه على التميز والعامل اسم الفضيل وكذلك زكاة (واما الجدار فكان لعاملين يتعين في المدينة) قيل اسمها اصرم وصرم واسم المقتول خسون (وكان تحته كنز لهما) من ذهب وفضة روى ذلك من فوعا والزم على كثرهما في قوله والذين يكتزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتها وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوجا من ذهب مكتوبا فيه عجت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجت لمن يؤمن بالرزق كيف يسع وعجت لمن يؤمن بالموث ككيف يفرح وعجت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجت لمن يعرف الدنيا وتقابلها باهلها كيف يطمئن اليها لاله الا الله محمد رسول الله (وكان ابوهما صالحا) تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء وكان ساجدا واسمه كاشح (فارد ربك ان يلبسا اشد هما) اى الحلم وكال رأى (ويستخرجان زكاهما رجة من ربك) مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رجة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رجة من ربك واعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشرة للتعيب وثانيا الى الله وإلى نفسه لان التبديل باهلا لك الغلام واما جاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولان الاول في نفسه شروا والثالث خير والثاني ممتاز اول اختلاف حال العارف في الانسبات الى الوسائط (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن امرى) عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومعنى ذلك على انه متى تعارض ضرر ان يجب تحصيل اهو نهما دفع اعظمهما وهو اصل مهد غير ان الشر أعنف في تفاصيله مختلفة (ذلك) تأويل مالم تسطع عليه صبرا) اى مالم تستضع

(وناسخ)

خذف انتاء تحفيقا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا بادر الى انكار مالم يستحسنه فاعل فيه سرا لا يعرفه وان يدوم على التعلم وتذلل للعلم ويراعى الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعق عنه حتى يتحقق اضراؤه ثم يهاجر عنه (ويسألونك عن ذى القرنين) يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم

وناسخ الله فاصححه الله واسمه عبد الله والاسكندر من القرون الاول من ولد يونان بن يافث بن نوح او كان بعد نوح
 قالوا وعاش الف وثمانمائة سنة (قوله قرنان من اناس) الجوهرى القرن من اناس اهل زمان واحد ويطلق
 القرن ايضا على ثمانين سنة وقبل على ثلاثين سنة وعلى ما بين ذلك في السن تقول هو على قرنى اى على سنى وعلى
 جانب الرأس ايضا قيل ومنه سمي ذو القرنين ذكر في اول هذه السورة ان الهودام والمشرकिन ان يسألوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فالمراد من قوله
 ويسألونك عن ذى القرنين هو ذلك السؤال عن عقبة بن عامر قال ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالحف
 او الكتب فقلوا استأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدخل عليه فانصرف اليه فاخبرته فقال عليه
 انصلا والسلام ماله يسألوننى عما لا اعلم انما انا عبد لا اعلى الاما على ربى ثم قال انى ابتغى وضوا انوضأ به ثم
 قام الى مسجد في بيته وركع ركعتين فلما انصرف حتى بدا السوروى وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت
 بابا من اصحابى فادخلهم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم اخبرتكم عارا ردت من تسألونى
 عنه وان شئتم غير ذلك فافعلوا فهدا ان ثبت يدل على انه انا نبأ ذى القرنين وخبره قيل ان يسألوا عنه واما اهل
 استأويل فانهم قالوا جيعانه سئل قبل ان يزل عليه خبره ثم نزل ذلك بعد السؤال (قوله وصلة) اى ما يتوصل به
 كالقربة بمعنى ما يتقرب به قالوا السبب في اصل اللفظ عبارة عن الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود فهو
 يتناول العلم والقدرة والاكفة والمعنى واعطيناه من كل شئ مقاصده واغراضه والامور التى يتوصل بها الى تحصيل
 ذلك الشئ فانه تعالى اعطاه من كل شئ يحتاج اليه في فتح المسالك وضبطها وتدبير امرها ما يتوصل به الى اسباب
 تحصيل ذلك المراد فاق مقصود اراده هب الله له ما يوصله اليه فينتج قرأ نافع وابن كثير وابوعرو فاتبع سببا
 بوصول الهمة وتشديد التاء وكذلك ثم اتبع اى سلك وسار وقرأ الكوفيون وابن عامر فأتبع ثم أتبع في الثلاثة
 بقطع الهمة وتخفيف التاء فقبل هما بمعنى واحد فية عدان الى المفعول واحد وقيل أتبع باقطع متعد الى اثنين
 حذف احدهما تقديره فاتبع سباسبيا (قوله اوجية) عطف على قوله حارة اى يجوز ان يكون جامية بالالف
 بدون الهزة بمعنى حارة من قولهم حتى النهار بالكسر وحى التورجيجا اذا شد حره ويجوز ان يكون بمعنى
 حنة بهمة من غير الف أى ذات حارة وهى الطين الاسود على ان تكون يا حامية مقلوبة عن الهمة فتكون قراءة
 حنة وحامية بمعنى واحد (قوله ولعله بلغ) جواب سؤال مقدور وهو ان يقال قد تقرر ان الشمس في السماء
 الرابعة ولها فلك خاص يدور بها في السماء فكيف يكون غروبها في عين حنة وتقرر الجواب انه تعالى لم يخبر ان
 غروبها في الحقيقة في عين حنة وانما اخبر بان ذال القرنين يجدها ويظن انها تغرب فيها حيث قال وجدها تغرب
 في عين حنة فانه لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمارات وجدا شمس كانها تغرب في هذه العين
 المظلمة وان لم يكن كذلك في الحقيقة اذ تغيب وراء البحر ولا شك ان البحار القريبة قوية السخونة فهي حامية وهى
 ايضا حنة لكثرة ما فيها من المذوم والحمة السوداء فقوله تغرب في عين حنة اشارة الى ان الجانب الغربى من الارض
 قد احاط بالبحر وهو موضع شديد السخونة قال اهل الاخبار في صفة ذلك الموضع اشياء عجبية قال ابن جريج
 هناك مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها لسمع الناس صوت الشمس حين تخر اسهمارومة وفي رواية
 لسمعوا صوت مرها في السماء كصوت المنشار في الخشب وروى ان الله تعالى خلق مدينتين احدهما بالشرق
 والاخرى بالمغرب اسم الشرقية جابلق والغربية جابلص وهما اللذان يقول لهما الناس جابلقا وجابلصا وعلى كل
 مدينة منهما عشرة آلاف باب بين كل بابين مسيرة فرسخ يبيت كل ليلة على كل باب من هذه الابواب عشرة آلاف
 رجل لا يعودون بعد النوبة ابدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لولا كثرة اصوات اهل
 هاتين المدينتين وضيئتهما لسمع اهل الدنيا سقطة الشمس حين تسقط وحين تطلع ومن وراء هاتين المدينتين اربع ام
 ناسك ومنسك وهائل وبائل ومن دونها باجوج ومأجوج وقد انطلق بي جبريل ليلة اسرى بي فدعوت يا جوج
 ومأجوج الى الله فابوا ان يجيؤنى فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى اهل المدينتين
 فدعوتهم الى الله فاجابونى فهم اخوانا في الدين من احسن منهم فهو مع محسنكم ومن اساءهم فهو مع مسيئكم
 (قوله فبالهام) اى من غير واسطة وذلك يدل على انه كان غيبي وحمل هذا اللفظ على ان المراد انه تعالى
 خاطبه على لسان بعض الانبياء عدول عن الظاهر والقول بان القول بمعنى الالهام لا يخلو عن بعد فتقل الامام

وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين
 اولاته طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه
 انقضى في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان
 اى صفتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتل اهل لقب
 بذلك لشجاعته كما يقال الكس للشجاع كأنه
 ينطح اقرانه واختلف في نيته مع الآفة في على ايمانه
 وصلاحه والسايلون هم اليهود سألوهم امحسانا
 او مشركا امكة (قل سألوكم عنكم منه ذكرا) خطاب
 للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله (انا مكنته في
 الارض) اى مكنته لاهله من التصرف فيها كيف شاء
 فحذف المفعول (وآتيانه من كل شئ) اراده وتوجه اليه
 (سيدا) وصلته توصله اليه من العلم والقدرة والآلة
 (فاتبع سبا) اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله
 اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة
 التاء (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
 حنة) ذات حارة من حنت البئر اذا صارت ذات حارة
 وقرأ ابن عامر وحزة والكسائي وابو بكر حامية
 اى حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة
 للوصفين اوجية على ان ياءها مقلوبة عن الهمة
 لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك
 اذ لم يكن في مطلع بصره غير الماء ولذلك قال
 وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل
 ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حنة
 فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف يفيد الشمس
 تغرب قال في ماء وطن كذلك نجده في التوراة (ووجد
 عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم
 جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا
 فخير الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكي
 بقوله (قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب) اى بالقتل
 على كفرهم (واما ان نتخذ فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم
 الشرائع وقيل خيره بين القتل والا ستر وسماء احسانا
 في مقابلة القتل يؤيد الاول قوله (قال اما من ظلم
 فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) اى
 فاختر الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه
 بالاصرار على كفره او اصر على ظلمه الذى هو
 الشرك فعذبه انا ومن معى في الدنيا بالقتل
 ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله

(وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) وَهُوَ مَا يَنْتَظِرُ الْإِيمَانَ (فَلَهُ) فِي الدَّارَيْنِ (جَزَاءُ الْحَسَنَى) فَلَهُ الْحَسَنَى وَقَرَأَ حَرْفَ الْكَافِ وَ يَذُوبُ وَحُفْصُ جَزَاءُ مَنْوَنَا مَنْصُورًا عَلَى الْمَسَالِ
 أَيُ قَدْ أَتَى بِذَلِكَ الْحَسَنَى بِجَزَائِهَا أَوْ عَلَى الْمَصْدَرِ لَفْعُهُ الْمُسْتَدْرَأُ لَا يَجْزِي بِهَا جَزَاءً أَوْ الْفِعْلُ وَ قُرِئَ مَنْصُورًا وَغَيْرُ مَنْوَنٍ عَلَى أَنْ تَتَوَيْنَ حَذْفُ لِقَاءِ الْكَافِ كَثِيرٌ وَمَنْوَنًا مَرْفُوعًا عَلَى
 الْإِيمَانِ بِدَلِّهِ وَالْحَسَنَى بِدَلِّهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمَّا وَمَا لِقَائِهِمْ دُونَ الْخَيْرِ أَيْ لَيْكِنْ شَاكٌ مَعَهُمَ أَمَّا التَّعْذِيبُ وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فَالْأَوَّلُ لِمَنْ أَصْرَعَ عَلَى الْكُفْرِ وَالثَّانِي لِمَنْ تَابَ عَنْهُ وَذَلِكَ أَنَّ
 آيَاهُ أَنْ كَانَ يُبَاقِي وَجْهِي وَأَنْ كَانَ غَيْرُهُ فَالْإِهْلَامُ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ (وَسَقُولُهُ مِنْ أَمْرِنَا) بِمَا نَأْمُرُهُ (يُسْرًا) سَهْلًا مُتَسِرًّا غَيْرَ شَاقٍ وَتَقْدِيرُهُ ذَابِيسِرَ وَ قُرِئَ بِضَمِّينَ (فَمَاتِجِ
 سَبَا) ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا يُوصلُهُ الْمَشْرِقَ (حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ) يَعْنِي الْمَوْضِعَ الَّذِي تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ مَمْرُورَةِ الْأَرْضِ وَ قُرِئَ بِفَتْحِ الْلامِ عَلَى اخْتِيارِ مُضَافٍ

(٢٧٤)

الواحدى عن الانبارى انه قال ان كان ذوالقرنين نيا فان الله تعالى قال له كما يقول للانبيا اما بشكم اوبوحى اى
 لا بالهام (قوله فعلته الحسنى) اختار قرآءة من عدا حفص وحزرة والكسائى وهى رفع جرأ من غير تنوين
 باضافته الى الحسنى وهى الايمان والعمل الصالح (قوله وتقديره ذابيسر) يعنى ان يسرافضة مصدر تحذف اى
 من مطلع الشمس فاتبع طريقا يوصله اليه والعامة على كسر اللام من مطلع وهو اسم مكان بحسب استعمال
 ثم ان ذالقرنين لما وصل الى قرب الاماكن المسكونة من مغرب الشمس انصرف وقصد اقرب الاماكن المسكونة
 قولاً ذابيسر وتقيده بقوله من امر بالدلالة على انه من قول الله كما هو كذلك على تقدير ان يكون حكاية قول جبريل
 الرب ومن فتح اللام لا يريد المكان لانه خلاف ما تواطأ عليه اهل اللغة بل يريد المصدر فيحمل الكلام حينئذ
 على اختيار المضاف الا ان عبارة ابي البقاء تشير الى انه لا فرق بين فتح اللام وكسرهما في جواز حمل الكلمة على
 المعنيين حيث قال مطلع الشمس (قوله لغزابة لتهم) اى لكونهم لا يعرفون غير لغة انفسهم فاكنوا غفقهون
 اللسان الذى يتكلم به ذوالقرنين وقوله تعالى من دونهما يعنى امام السدين (قوله اى قال مترجوهم) لما وصفهم
 الله تعالى بانهم لا يفقهون قولاً ولا يفقهون غيرهم احتاج اى ذوالقرنين في فهم كلامهم وتفهم كلامه اياهم الى من
 يترجم بينه وبينهم ووجود ذلك المترجم من جهة الاسباب التى آتاها الله تعالى اياه (قوله تعالى حتى اذا ساوى) فيه
 اختصار اى فاتوه بها فاضد هاى وضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث سدت ما بين الجبلين الى اعلاهما
 ثم وضع المتافخ عليها ففتح فيها حتى صارت كالنار ثم صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فانصق بعضه بعض
 وصار جبلا صلبا بين جانبي الجبلين سمي كل جانب للجبلين صدفا لكونه مصادفا ومقابلا للآخر من قولك
 صادفت الرجل اى لاقيته وقابلته وصارت الزبر المنضودة مساوية لهما كالخشو فيما بينهما واعلم ان هذا
 معجز قاهر لان هذه الزبر الكثيرة اذا نفع عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والفتح عليها
 لا يمكن الا بالقرب منها فكانت له تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المتافخين عليها قيل كان بعد
 ما بين السدين مائة فرسخ وحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين ذراعا وارتفاعه مائتى ذراعاً وجعل
 حشوا الاساس الصخور وطينه النحاس يذاب فيصب عليها فصار كانه عرق من جبل تحت الارض فلما ملأ
 حشوا الاساس بهذا الوجه وبلغ وجه الارض جعل بناء السدين من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم فضاء الارض
 ووضع عليها الحطب والفحم صفائهم نضداً رصفاً آخر ونضد فوقها الحطب والفحم وهكذا الى ان بلغ ارتفاع السد
 مائتى ذراعاً فصار السد فى ارتفاعه مساوياً للجبلين ثم قال للعلمة انمخوا على الزبر المبنية بالكبر فعملوا فاصارت كالنار
 فان الحديد اذا احسح بصير كالنار فاكتت النار ما فى خلال الحديد من الفحم والحطب وصب عليه القطر وهو النحاس
 المذاب الصالح لان بقطر كالماء فصار النحاس مكان الحطب وتحلل خلال الحديد ولصق كل واحد منهما بالآخر
 وامر تاجاً بحيث صار المجموع جبلاً صلباً (قوله وبه تمك البصريون الخ) فانهم يقولون المختار اعمال
 ثاى المتنازعين مع مجبور اعمال الاول ايضا والكوفيون يختارون اعمال الاول مع تجوز اعمال الثاني ثم انهم
 اتفقوا على انه ان اعمال الاول واقضى الثاني المنقول اختصر ذلك المنقول لعدم استلزامه الاختصار قبل الذكر مع انه
 يتدفع به التباس المنقول لغيره وان جاز الحذف ايضا كسائر المفاعيل فوجه استدلال البصريين على مذهبهم بهذه
 الآية انه لو اعمال الاول لقلل آتوى افرغه بالضمير الراجع الى قطرا بناء على ان المختار ان لا يحذف ضمير المنقول
 فى الثاني لانه يؤدى الى التباس وحذف المنقول وان جاز تركن لا يلقى بفصاحة القراء ان جمله على خلاف
 المختار (قوله تعالى قال هذا رحمة من ربى الآية) يعلم منه ان الله تعالى من كمال حكمته وقدرته ورفعته جعل
 لوجود كل سبب من اسباب السموات والارض ولبوغ كل احدال مقام من مقامات الدنيا والاخرة والى قرينة
 من قربات الحضرة الالهية شبيهاً مناسلاً فاذا اراد بلوغ احدال مقام اوقربه اورفعة بسبب ذلك ووقفه لاتباع
 ذلك السبب كما اتى ذالقرنين من كل شىء سبباً ووقفه لاتباع سبب فاتبع سبباً حتى بلغ به مشرق الارض
 ومغربها وجوانبها كلها وسخر الخلق له وحصل مقاصد الملك والسياسة باتباع اسبابها كذلك اتى كل رسول
 ونبي وولى ومؤمن ومسلم وفاسق وموافق وكافر اسباب بلوغه الى الرسالة والنبوة والولاية والايمان
 والاسلام والنسق والفساق والكفر ووقفهم لاتباع اسباب التى آتاهاهم اياها الى مقاماتهم ودرجاتهم
 ودرجاتهم حتى يبلغ كل مقام قربه من الجنة والدار (قوله تعالى وتفرق في الصور) لما كان كذلك السد

اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر (وجدها تطلع
 على قوم لم يجعل لهم من دونها سداً) من المباس
 او البنية فان ارضهم لا تمك الا بنية اراهم اتخذوا
 الاسراب بدل البنية (كذلك) اى
 امر ذى القرنين كما وصفته في رفعة المكافاة وبسطة
 الماك او امره فيهم كما هم في اهل المغرب من التغيير
 والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
 اوجد او جعل اوصفة قوم اى على قوم مثل ذلك
 اقبل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم
 (وقد احطنا بمالديه) من الجنود والالآت والعدد
 والاسباب (خبراً) علماً تعلق بطواهره وخفيايه
 والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيطه الاعلم
 اللطيف الخبير (ثم اتع سبباً) يعنى طريقاً ثالثاً
 معترضاً بين المشرق والمغرب اخذوا من الجنوب
 الى الشمال (حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين
 المنى بينهما سداً وهما جبلا راميّة واذر بجان وقيل
 جبلا في اواخر الشمال في مقطع ارض الترك منيفان
 من وراىهما يا جوج وما جوج وقرأ نافع وابن عامر
 وحزرة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين
 بالضم وهما لفتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى
 والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر
 سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين
 ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفه (وجد
 من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) لغزابة
 لهم وقلة فطنهم وقرأ حزة والكسائى يفقهون
 اى لا يفقهون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلغتهم فيه
 (قالوا يا ذا القرنين) اى قال مترجوهم وفى مصحف
 ابن مسعود قال الذين من دونهم (ان يا جوج
 وما جوج) قبيلتان من ولد يافث ابن نوح وقيل
 يا جوج من الترك وما جوج من الجبل وهما اسمان
 يحصيان بدليل منع الصرف وقيل عريان
 من أوج الظلم اذا اسرع واصلها الهمن كما قرأ
 عامر ومنع الصرف للتعريف والتأنيث (مفسدون
 فى الارض) اى فى ارضنا بالقتل والتخريب والتلاف
 الزرع قيل كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون
 اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا اكلوه وقيل كانوا
 يأكلون الناس (فهل يجعل لك خراجاً) جعلاً يخرجهم
 من اموالنا وقرأ حزة والكسائى خراجاً وكلاهما
 واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض
 والذمة والخرج المصدر (على ان يجعل بينا وبينهم
 سداً) يجزى دون خروجهما علينا وقد ضمه من ضم
 السدين غير حزة والكسائى (قال ما مكنى فيه ربي
 خير) ما جعلني فيه مكيثاً من المال والملك خير مما تبذلون لى
 من الخراج ولا حاجتي اليه وقرأ ابن كثير مكنى على
 الاصل (فاعتروني بقوة) اى بقوة فعله او ما اتقوى به

(وخرج)

من الالات (اجل بينكم وبينهم ردماً) حاجراً حصيناً وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مر دم اذا كان فيدرق فوق رقاع (آتوى زبر الحديد) قطعة واليرة القطعة
 الكبيرة وهو لا ينفذ في رد الخراج والافتقار على المعرنة لان الالباء بمعنى المناولة ويدل عليه قرآءة ابي بكر ردماً آتوى بكسر التاوين موصولة الهزة على معنى جيتوى ز
 الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بين جاء
 وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر يضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلاهما لغات من الصدف وهو الماء
 ومنه التصادف للتقابل (قال انمخوا) اى قال للعلمة انمخوا في الاكوار والحديد (حتى اذا جنته) جعل المنوخة

اي آتوني قطراى نحاسا ذابا فرغ عليه قطر الخذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على زعمهم الثاني من العالمين المتوجهين نحو معمول واحد اولي اذ لو كان قطر مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذر من الالباس وقرأ جرة وابو بكر قال آتوني موصولة الالف (فاسطعوا) بحذف التاء حذر من تلقا مقاربين وقرأ جرة بالا دعاء لجامعين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صاد (ان يظهره) ان يعلم بالصعود لارتفاعه وانما لاسه (وما استطاعوا له نقيا) لثخنته وصلابة قتل حفره للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والحاس المذاب والبيان من ذر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافع حتى صار كالنار فصب الحاس المذاب عليه فاختلفا والنصق بعضه ببعض وصار جلا صلبا وقيل بناء من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلايب من حديد ونحاس مذاب في تجاوزها (قال هذا) هذا السدا والاقدار على تسويته (رجة من ري) على عبادته (فاذا جاء وعد ربي) وقت وعده بخروج بأجوح ومأجوح او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة (جعله دكاء) مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جبل ادله لمنسبط السنام وقرأ الكوفون دكاء بالمد اي ارضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) كاشا لا بحالة وهو آخر حكاية ذي القرنين (وتركتنا بعضهم يومئذ مروج في بعض) وجعلنا بعض بأجوح ومأجوح حين يخرجون مما وراء السديع وجون بعضهم في بعض مراد حين في البلاد او مروج بعض الخلائق في بعض ويضربون ويختلطون انسهم وجهتهم حيا برى ويؤيد به وتنفخ في الصور لقيام الساعة (بجمعناهم جمعا) الحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وبرزناها وظهرناها لهم (الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها فذكر بالتحديد والعظيم (وكانوا لا يستطيعون سمعا) استماعا لذكرى وكلامي لا فراط سمعهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صح به وهؤلاء كانتهم اصميت مسامعهم بالكليّة (أخسب الذين كفروا) أظفونوا والاستفهام للانكار (ان يتخذوا عبادي) اتخاذهم الملائكة والمسبح (من دون اولياء) معبودين نافعهم ولا اعدبهم به خذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مدمفعوليه وقرئ أخسب الذين كفروا اي أذكفهم في النجاة وان بما في حبره من رفع بانه فاعل حسب فان اعتمد على الهمة ساوى الفعل في العمل او خبره (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) ما يقام للتزليل وفيه نكمت وتنبه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقرونه (قل هل نذكركم بالاعسر من اعمالا) نصب على التخيير وجعل لانه من اسماء الفاعلين (الاعمالين) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وبقيهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخريتهم وبطلوا رفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجواب على السدل او النصب على الذم (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) يحسبهم واعتقادهم انهم على الحق (اولئك الذين كفروا بآيات ربيهم) بالقرآن او بدلالة المنصوبة على التوحيد وثبوت (ولقائه) بالبعث على ما هو عليه اوقلاء عذابه (فحبطت اعمالهم) بكفرهم فلا يشاؤون عليه (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) نغزدرى بهم ولا نجعل لهم قدارا باعتبار اولنا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لا بحسابها (ذلك) اي الامر ذلك وقوله (جزاؤهم جهنم) جملة دية له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والخبر خبره

وخروج بأجوح ومأجوح من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعده التفتيح في الصور لقيام الساعة قبل الصور قرن من توريج عمل فيه الارواح يقال ان فيه من الثقب على عدد ارواح الخلائق عن مجاهد انه كاليق ذكره البخاري فاذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة انشأ ذهاب كل روح الى جسده فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون اي من القور ينسلون اي يخرجون سراعا وقدرى ان الله خلق الصور حين فرغ من السموات والارض وان عظم كل دائرة فيه كلفظ السموات والارض وفي حديث ابي هريرة والنبي نفسه بيده ان عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والارض وروى انه رأس من رأس بالمشرق ورأس بالمغرب والله اعلم واختلف في عدد النفخات فقيل ثلاث نفخة الفرع لقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذا اختيار ابن العربي وقيل هما النفختين ونفخة الفرع هي نفخة الصعق لان الامر من ملازمان فانهم اذا فرغوا فرعا ما تواقيل اتفتحت الروايات على ان بين النفختين اربعين سنة وذلك بعد ان يجمع الله ما تفرق من الاجساد في بطون السباع وحوانات الماء ويطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما بالبله الشمس وذره الى باح فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح جمع الارواح في الصور وامر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فارسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل روح الى جسده باذن الله تعالى وقد انكر بعض اهل الزيغ ان يكن الصور قرنا قال ابو الهيثم من انكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب لهما بويلات (قوله عن آياتي التي ينظر اليها فاذا ذكر) يعني ان نظرا لآيات الدالة على الالهية والمصنوعات الدالة على القدرة الباهرة كان سبيل ذلك الله تعالى عند مشاهدتها كما يقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فاطلق السبب واريد السبب وانما اخرج الى حل الآية على المجاز المرسل لان المقصود وسمة الكافرين بالعصيان والسم كالفهم من قوله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى اذ لا يذكر لا يقال فيه اعينهم في غطاء عنه بل انما ياسبه الصم (قوله كانتهم اصميت مسامعهم) اي ابطلت وازيلت قواهم السامعة من قواهم اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفي بعض النسخ اصميت اي جعلت مصممة لاجوف لها (قوله اتخاذهم الملائكة والمسبح) يعني ان قوله ان يتخذوا في محل النصب على انه اول مفعول على حسب وثانيهما محذوف واراد بقوله عبادي الملائكة وصيبي عليهم الصلاة والسلام وقال ابن عباس يعني الشياطين قولهم وطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعني الاصنام سماها عبادا كما في قوله ان الذين تدعون من دون الله عبادا مثلكم (قوله وقرئ أفحسب) بسكون السين ورفع الباء على انه مبتدأ وان مع ما في خبره خبره فحسب مبتدأ مضاف الى الذين كفروا وان يتخذوا خبره ويجوز ان يكون حسب بمعنى المحسب والكافي وان يتخذوا فاعله بناء على ان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمة ساوى الفعل في العمل (قوله وجعل لانه من اسماء الفاعلين) يعني ان اسم الجنس وان كان يتناول آحاد مدلوله لانه لا يدل على اختلاف فاعله ولا على تنوع مدلوله فجمع العمل ليدل على احد الامرين (قوله الامر ذلك) على ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف والمعنى الامر الذي ذكرت من حبوط اعمالهم وخساسة اقدارهم ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ مشاربه الى ما ذكر من اعمالهم الباطلة وجزاؤهم مبتدأ ثانيا وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الاول والصلد محذوف اي جزاؤهم به كذا ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ اشار به الى الجزاء الحاضر في الذهن وبكون جزاؤهم بدلا منه وجهنم خبره من الله تعالى سوء صنيعهم بقوله اولئك فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا انتقل الذهن الى معنى الجزاء فاشير اليه بقوله ذلك وجعل خبره او جعل بدل الجزاء او جعل جهنم خبره او عطف بيان الخبر ثم اتى تعالى لما بين وعيد انكار وان جهنم نزل اثم اتبعه بوعيد المؤمنين وبيان ان جنة الفردوس نزل لهم وايضا جنة الفردوس اضافت بعين عن قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون المعروف وانما هو عن المنكر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ما تاتي درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه انفتحت ابواب الجنة فقل بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكرام اذا اعطى الغزل او فلا بد وان يبعه بالخلة والكرامة الزائدة وما بعد الجنة الاورثته تعالى وكذلك في الآية الاولى لما جعل الله تعالى جهنم نزلا للكافرين لم يبق عذاب آخر بعد جهنم

او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان الخبر (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) اي بسبب ذلك (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة وادله البستان الذي يجمع الكرم والتخل (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يغون عنها حولا) تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تساعدهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تارة كيد الخلود (قل لو كان البحر مدادا ما كتب به وهو واسم ما دبه الشئ كالحبر الدواة والاباء للسرراج

الاكونهم يحويين عن رؤية الله تعالى كما قال لا انهم عن ربه يومئذ لم يحجبوا (قولدهو اسم ما عديبه
الشيء) اي يزايد يقال امددت الجيش بمدد والاستمداد طلب المدد والخبر اسم خاص لما يوضع في الخصرة ويكتب به
والمداد يطلق على كل ما عديبه غيره كالخبر للدواة واليت للسراج قال ابن الانباري سمي الخبر مدادا لامتداد الكتاب
واصله من الزيادة ويجبى الشيء بعد الشيء ويقال للزيت الذي يوقده السراج مداد لكونه مددا لما في منته
بالاستعمال والمعنى لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب كلمات الله وحكمته لنفد البحر قبل ان تنفذ تلك الكلمات فان
كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيف ما فرض في الاتساع والعظمة متناهية والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي
فيل في سبب نزول هذه الآية انهم لما سألوا عن الروح وعص كذا وكذا ونزل في جواب الروح في آخر الآية وما
اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود انه يقول اتناخذ اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد
ارتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا مع قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية اي وان كانت الحكمة وهى
القرء ان خيرا كثيرا وقد آتاه الله تعالى ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فانه كالاغاية لذات الله تعالى ولصفات كماله
في علمه وحكمته فكذا لاغاية للكلمات الدالة عليها (قوله وقرئ بالياء) يعنى أن حجرة والكسائي قرأ آتاه بالياء
من تحت لكون تأنيث الكلمات غير حقيقى والباقون باناء من فوق لتأنيث اللفظ والعامة على قراءة مدد بالفتح الميم
وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التثنية على انها جمع مدة وهى اسم ما استعده من المداد على القلم وحواها ولو
جئنا محذوف للعلم به تقديره لنفد (قوله يأمل حسن لقائه) الحسن فيه مستفاد من قوله يرجو لان الرجاء ظن
النافع الواصلة اليه كايان الخوف ظن المضار الواصلة اليه (قوله فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه) وروى انه عليه
الصلاة والسلام قال في جواب جندب لك اجر ان اجر السروا جر العلية فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصديه
الربا والسعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدي به كاهودأب الكاملين روى عنه عليه الصلاة
والسلام انه قال من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام تكون وان خرج الدجال عصم
منه وقد تمت سورة الكهف بحمد الله تعالى وعونه

(سورة مريم عليها السلام وهى مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قولده امال ابو عمرو الهاء) امالة الالف ضد تفخيها واشباعها وهى ان يحو بالالف نحو الباء والفتحة نحو
الكسرة ليجانس الصوت فان سبب ذلك ان يقع بقرب الالف كسرة سواء كانت الكسرة متقدمة على الالف
كافى عماد او متاخرة كافي عالم وكذا تمال الالف اذا كانت الالف متقبلة عن حرف مكسور كافي خان
او عن ياء كافي هاب وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة موضع ياء كافي دعوى فالفتحة تصريا في دعويان
وكافى جلى كقولك حليان ولا خلاف في الاسماء الثلاثة وهى كاف وعين وصاد فانها لاتمال بالانثى
وذلك لان اسماء حروف التهجى على نوعين ثنائى وثلاثى وجرت عادة العرب على ان يصفقوا بالثنائيات
مقطوعة عما بعدها فيقولون باباطاها وكذلك امثالها وعلى ان يصفقوا بالثلاثيات التى وسطها الالف
باشباع فتحها فيقولون دال ذال كاف صاد وكذلك امثالها واما اسم الزاى فقد اختلفوا في التلظية فيتم من اظهر
الباء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو لا يميله ومنهم من لم يظهر الباء وجعله ثنائيا فهو يميله والاصل في جميع هذه المواضع
اشباع الفتحة والامالة فرع عليه وعلى هذا يجوز اشباع كل مال ولا يجوز امالة كل متبع من المفتوحات والعامة
على تسكين واخر اسماء هذه الحروف حتى ان بعضا من القراء يقف على كل واحد منها وقفة يسيرة ويفصل بعضها
عن بعض بادنى سكتة مبالغة في تمجيد بعضها عن بعض ثم انهم اختلفوا في امالة ياءوها وتفخيها مع كونها ثنائيتين
فاختار ابو عمرو وامالة ها وتفخيها ياءا على ان اشباع الفتحة اصل والامالة وان كانت فرعا لانه فرع مشهور كثير
الاستعمال فاشيع احد الاسمين واميل الآخر ليكون القارئ جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو
احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر وخصواها بالامالة فرقا بينهما وبينها التى التنبيه فانها لاتمال قط
وقول المصنف لان ألفات اسماء التهجى يأت محل بحث لان هذه الاسماء لا استتفاق لها حتى يحكم بان ألفاتها يأت
في الاصل وان هذا التعليل يستدعى امالة كلمة يا ايضا فلا بد من الفرق بين كلتيها ويا حتى يخص الاول بالامالة
دون الثانى لذلك الا ان يقال لما لم يكن لها اصل حملوها على المنقلة من الواو تارة فلا يملوها وحلوا المنقلة عن

(الكلمات ربى) الكلمات علمه وحكمته (لنفذ البحر)
لنفذ جنس البحر باسمه لان كل جسم متناه (قيل
ان تنفذ طيات ربى) فانها غير متناهية لا تنفذ كعلمه
(ولو جئنا بعثله) بمثل البحر الموجود (مددا) زيادة
ومعونة لان مجموع المتناهي من متناه بل مجموع
ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الامتاهيا
للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهي ينفذ
قل ان ينفذ غير المتناهي لاحالة وقرئ ينفذ بالياء
ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما استعده الكتاب
ومددا وسب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرأون
وما اوتيتم من العلم الا قليلا (قل نعم انابشر مثلكم)
لا ادعى الاحاطة على كتابه (يوحى الى انما اهلككم
الله واحد) وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو
لقاء ربه) يأمل حسن لقائه (فاجعل عملا صالحا)
يرتضه الله (ولا يترك بعبادة ربه احدا) بان
يرآيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا نعمل العمل
لله فاذا اطلع عليه سمرى فقال عليه الصلاة والسلام
ان الله لا يقبل ما شورك فيه ونزلت تصديقه وحسنه
عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا
وما الشرك الاصغر قال الربا والالآية جامعة خلاصتى
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف
عند مضجعه كان له نور في مضجعه يتلأ لا الى مكة
حشو ذلك انور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
فان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلأ لا من مضجعه
الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يستيقظ وعند عليه الصلاة والسلام
من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نور
من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه
المرجع والمآب

سورة مريم مكية الآية السجدة وهى ثمان اوتسعون وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(كهيعص) امال ابو عمرو الهاء لان ألفات اسماء التهجى يأت

الياء اخرى فاما الوها فجوزوا الامر بن دفا للتحكم وخصوا الاعتبار المؤدى الى الامالة بكلمة هافر فايتهما وبين هاء
التنبيه (قوله وابن عامر وحجرة الياء) بمعنى انهما اما الياء فحكما الياء جمع بين مراعاة الاصل والفرع المشهور
وخصا الياء بالفرع لان الكسرة من جنس الياء فامالة حركة الياء الى ما يجانسها وهو الكسرة اولى من امالة حركة
الياء ومن امالهما جميعا نظر الى الوجه الذي اعتبره ابو عمرو وابن عامر وحجرة في باوها ومن اشبع فتحتهما فقد
تمسك بالاصل (قوله ونافع بين بين) يعني انه امال الالف يجعلها بين يخرج الالف ويخرج الياء على السواء
لابان جعل امالتهما نحو الياء اكثر ثم ان نافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال صاد قبل ذال ذكر لانه الاصل
وادعيا فيها الباقون (قوله فانه مشتمل عليه) اي ان ما قبله وهو كهيعص سواء اول بالسورة او بالقراء آن
مشتمل على ذكر رحمة الله عبده زكريا فيصح ان يحكم على كهيعص بانه الذكر بمعنى انه ذا كرومين لها او ذوالذكر
والبيان وهو كانه جواب عن قول ابى البقاء من أن قول القراء ان قوله تعالى ذكر رحمة ربك خبر الحروف المقطعة
بعيد لان الخبر هو المبتدأ في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها وذكر مصدر
مضاف قيل الى مفعوله وهو الرحمة والرحمة في نفسها مصدرا ايضا مضاف الى فاعله وعيده مفعول رحمة وفاعل
الذكر غير مذكور لنظا وتقديره ذكر الله رحمة عبده زكريا وقيل بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون
عبده منصوبا بنفس الذكر والتقدير ذكرت الرحمة عبده فجعلت الرحمة ذاكرة له مجازا وذكر يا بدل او عطف بيان
او منصوب باضمار اعني هذا على قراءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قراءة اخرى وهي ان يقرأ على صيغة الماضي
بتخفيف الكاف وتشديدها وان يقرأ على صيغة الامر من باب التفعيل الا ان لفظ رحمة على قراءة التشديد
مفعول ثان قدم على الاول وهو عبده والفاعل اما ضمير القراءن او ضمير البارئ تعالى والتقدير ذكر القراءن المتلو
او ذكر الله عبده رحمة اي جعل العبد يذكر رحمة ويجوز على الجواز المتقدم ان يكون رحمة ربك هو المفعول
الاول والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد وعلى قراءة التخفيف يكون رحمة منصوبا على انه مفعول به وعبده
مر فوعا على انه فاعل للفعل قبله وزكريا مر فوعا على انه بدل او بيان او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى قراءة
ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاول محذوفا ورحمة منصوبا على المنعول الثاني وعبده منصوبا
على انه مفعول رحمة اي ذكر امك رحمة ربك عبده زكريا ويكون كهيعص كلاما تاما والمراد بالرحمة اجابة الله
تعالى دعاء حين سأل الولد في ابان الكبر ووقته واما ان النسي بالكسر والتشديد وقته يقال لكل الفاكهة في ابانها
اي في وقتها (قوله او لان ضعف الهرم اخفى صوته) عطف على قوله لان الاخفاء والجهير يعني انه اتى
باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان ذلك الصوت كان خفيا في الواقع نهاية ضعفه بسبب الكبر فعلى هذا يكون
قوله نادى ربه باقيا على ظاهره فان النداء هو طلب الاقبال بالجهير ورفع الصوت قال الجوهري ناداه مناداة
ونداء اي صاح به وما كان من ذكر يا كان صحيحة ونداء نظرا الى قصده فببرعته بالنداء لذلك ووصف بكونه خفيا
في الواقع واما ان قيل ان زكريا قصد اخفاء دعائه مع قومه لئلا يلام على طلب الولد في زمان الكبر او من مواليه
الذين خافهم فلا وجه لتسمية ذلك النداء نداء مع انه لاجهر فيد قلنا الجهر لا يشترط في نداءه تعالى بل هو مشروط
في نداء المخلوق الذي يحتاج في الاطلاع على ضمير من يطلب اقباله الى ان يسمع منه صوتا دالا على ما في ضميره
واليه اشار المصنف بقوله لان الاخفاء والجهير عند الله سيان (قوله تفسير للنداء) يعني لم يعطف على ما قبله
لكمال اتصاله به من حيث كونه تفسيريا وبياناه (قوله ولا تاته اصلب ما فيه) الفرق بين الوجهين مع اشتراكهما
في ان كل واحد منهما كناية عن وهن جميع البدن وضعفه ان الوجه الاول يستلزم ضعف جميع البدن من حيث
كون العظام عماد جميع البدن واصل بناءه والوجه الثاني يستلزم من حيث كونه اصلب ما في البدن مع قطع النظر
عن كونه عماده واصل بناءه ولما كان كل واحد من كون العظم عماد البدن وكونه اشد ما فيه واصلبه يتقل
منه الى ضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان كل واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم
بالذكر وقيل في الفرق بينهما ان الاول كناية مترتبة على تشييد البدن باليت وتشبيه العظم بالعمود كناية عن به قوله
لانه دعامة البدن واصل بناءه والثاني ليس كذلك ورد بان العظم عمود للبدن واصل لبنائه وقد ذكره علماء الشريعة
لا سيما عظام الصلب فليس الوجه الاول مبنيا على التشبيه (قوله وتوحيدة لان المراد به الجنس) واذا كان
العظم الذي هو عمود الجسد قد اصابه الوهن او الذي تقوم به الاعضاء والذي هو اصلب الاجزاء كان اصابته اسائر

وابن عامر وحجرة الياء والكسائي وابو بكر كليهما
ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون
دال الهاء عند الدال والباقون يدعونها (ذكر
رحمة ربك) خبر ما قبله ان اول بالسورة او بالقراء آن
فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر
رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليكم
ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر
(عبده) مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة
فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد (زكريا)
بدل منه او عطف بيان له (اذ نادى ربه نداء خفيا)
لان الاخفاء والجهير عند الله سيان والاخفاء اشد
اجباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد
في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم
او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه
حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون
وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون (قال رب
اني وهن العظم مني) تفسير للنداء والوهن الضعف
وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بناءه
ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه وهن
وتوحيدة لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم
والكسر ونظيره كل بحر كات التلاب

الاجزاء والاعضاء اول ولا دخل لجمع العظام في افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض السوفيه الكلام حيث
العدد الجنس ولا مدخل لاعتبار العدد في هذا المقام (قوله شبه الشيب) اى تشبيهها بمضمرة في النفس بشواظ
النار اى بلهبها الخالص عن الدخان واقتصر من طرفي التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه
في انشبت النية اطلاقها ودل على هذا التشبيه باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه النية بالسبع باثبات
الاطفار لها فتشبه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخيلية وشبه انتشار الشيب
في شعر الرأس باشتعال النار ودل عليه باثبات لازم المشبهه حيث اقتصر على خروج التشبيه الثاني مخرج الاستعارة
التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبهه وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازى واشتق منه لفظ اشتعل فكان
استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه قرينة للاستعارة بالكناية فان قيل اللفظ المستعار في الاستعارة التخيلية
يجب ان لا يتحقق معناه لاحسا ولا عقلا بل يكون معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار فان الوهم اخترع
للنية صورة شبهة بصورة الاظفار المحققة ثم عبر عن تلك الصورة السبئية باسم المشبهه وهو الاظفار فعناه
صورة وهمية لا تتحقق لها احسا ولا عقلا والمعنى الذى عني بلفظ اشتعل ايس صورة وهمية بل هو امر ثابت للشيب
فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار والشور امر محقق ثابت للشيب حسا الا ان الاشتعال الحقيقي الذى هو من
لوازم المشبهه وهو الشواظ انما ثبت له باخترع الوهم وهذا القدر كاف في كونها استعارة تخيلية وقرينة للاستعارة
بالكناية وكونها صورة وهمية لا تتحقق لها احسا ولا عقلا (قوله واسند الاشتعال الى الرأس) يعنى ان الاشتعال يعنى
الانتشار والشور حقه ان يستدل الى الشيب لانه من الصفات القائمة به لكنه اسند الى مكان الشعر الذى هو محل
الشيب للبلاغة في الدلالة على شمول اشتعال الشيب واعلم ان اصل الكلام المتعارف الاوساط في هذا المقام ان يقال
اى شخص عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو شاب رأسي لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل
عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل شيب رأسي فانه ابلغ من شاب رأسي اذ ليس فيه تعريض لانتشار الشيب ثم عدل عنه
الى ما هو ابلغ وهو اشتعل رأسي شيئا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب رأسي من جهات احداها اسناد الاشتعال
الى الرأس لافادة شمول الاشتعال اذ وزن اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيئا وزن اشتعل النار في بيتي
واشتعل بيتي نارا والفرق بين وثانيتهما ما في التخيير من التفصيل بعد الاجال وثالثهما تنكير شيئا لافادة الكمال ثم عدل
عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل الرأس شيئا لما فيه من مزيد التقرير لان التعويل فيه على شهادة العقل دون اللفظ
فلما اشتعل الكلام على هذه اللطائف ترفى الى اعلى درجات البلاغة (قوله ايضا كالمقصود) فان شيئا غير متقول
من الفاعلية اذا اصل اشتعل شيب الرأس فلما قصد سلوك طريق التفصيل بعد الاجال ايهما ما هو المتشعل حقيقة
ثم ميز بقوله شيئا لتعين ان المتشعل هو الشيب (قوله بل كعادتك) اشارة الى ان قوله بدعائك من اضافته المصدر
الى مفعوله اى بدعائى اياك وقوله شيئا اى خائبا فان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب
ولم ينلها (قوله يعنى بنى عمه) بناء على ان تعريف المولى للعهد الحزبى وان المولى وان كان يراد به الناصر
وابن العم والمالك والصاحب الا ان المراد في الآية ابن العم قال الشاعر

مهلا بنى عمنا مولىنا لا تنبشوا بيتنا ما كان مدفونا

وقوله واني خفت المولى وان خرج على لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا كقولك انى خفت
وخشيت ان يكون كذا ريدا ناخفا بعد لانه قد زال الخوف مضى وكذا قوله وكانت امرأتى عاقرا (قوله وعن
ابن كثير) قرأ الجهمور ورأتى بالمدى بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن ابن كثير روايتان احدهما
بالمدى كالجهمور والاخرى بالقصر اى بدون الهجزة وقبح الياء في كل واحدة من قرأتى المد والقصر (قوله وهو
متعلق بمحذوف) يريد بالمتعلق تعلق الظرفية لا تعلق المفعولية لان خفت اخذ مفعوله وهو المولى وليس
ظرفا لحقت لفساد المعنى وهو كون خوفه من المولى الكاشفين في الحال واقعا بعد موته لان معنى من ورأتى
بعد موتى وعلى ان يكون ظرفا لمعنى الولاية يكون المعنى خفت الذين يلون الامر بعد موتى (قوله وقرئ
خفت المولى) يفتح الحاء والفاء المشددة من الحفة بمعنى القلة او بمعنى قدامى ويقال درج القوم اذا انقضوا
والدرج بمعنى الطي استعير للوت والمولى في هذه القراءة مرفوع على انه فاعل خفت وفي قراءة العامة
منصوب على انه مفعول به وقوله تعالى من لذلك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه

(واشتعل الرأس شيئا) شبه الشيب في بياضه وانارته
بشواظ النار وانشاره وفشوه في الشعر باشتعالها
ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس
الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله ميرا ايضا
للمقصود وكفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان
عمل المخاطب يتعين المراد بغنى عن التقييد (ولم اكن
بدعائك رب شيئا) بل كعادتك استجبت لى وهو
توسل بما سلف معه من الاستجابة وتذنيه على ان
المدعواه وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى
عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان
لا يخيب من اطمعه (واني خفت المولى) يعنى بنى عمه
وكا نوا اشرار بنى اسرائيل فخنسوا ان لا يحسنوا
خلافة على امته ويبدلوا عليهم دينهم (من ورأتى)
بعد موتى وعن ابن كثير المد والقصر يفتح الياء وهو
متعلق بمحذوف او بمعنى المولى اى خفت فعل المولى
من ورأتى او الذين يلون الامر من ورأتى وقرئ
خفت المولى من ورأتى اى قلوا وعجزوا عن اقامة
الذين بعدى او خوفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا
كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتى عاقرا)
لا تلد

حال من وليا له في الاصل صفة للتكرار (قوله وليا من صلي) قال بعض المفسرين طلب زكريا من بلي امر الدين ويقوم مقامه في رعاية امره ولدا كان او غيره وقال الاكثر ان طلب ولدا من صلبه استنباهدا بقوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء واجتنب ذلك البعض بمحرم لفظ الولي وبانه لما بشر بالولد استعظمه وقال اني يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لان يهبه الله تعالى ولدا لما استعظم ذلك حين بشر به والظاهر ان هذا الدليل لا يعارض دليل الاكثر لان الله ليس استعظاما بل سؤال عن جهة حصول الولد كانه قيل هل يهدى من امرأتى ونحن على حالنا من الهرم والضعف اوبان يحولنا شابين او يهدى من امرأة غيرها فحصول دعائه هب لي ولدا وارثا مني ومن آل يعقوب فيه صلاح ونفع في الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح ومن جزم الفيلين قصد السببية على معنى ان تهب يرث ومن رفعهما لم يقصدها وجعلهما صفة لوليا فعلى هذا يكون يرث من جهة المطلوب فلم هذا لم يرض به صاحب المفتاح وجعله استثناء لان الانبياء مستجابوا الدعوة فلو دعا زكريا ربه ان يهبه وليا يرثه لاجاب الله دعاءه ووهب له ذلك ولم يوجب وليا كذلك لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما الصلاة والسلام ولو جعل يرث مستأنفا لايكون من جهة المطلوب بل يكون بيانا للغرض وغرض الانبياء يجوز ان لا يحصل وجعله صاحب الكشاف صفة لان الثابت عنده هلاك زكريا قبل يحيى ذكره في سورة بني اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين حيث قال اولهما قتل زكريا والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقيل قتل عيسى بن مريم عليهم السلام وقيل لاغضاضة ان يستجاب للنبي بعض ما سأل دون بعض فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت الله تعالى ثلاثا فاعطاني اثنتين منها ومنه في واحدة (قوله وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام) قال الامام اكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام لان زوجة زكريا عليه السلام هي ايشاع اخت مريم بنت عمران بن ماثان وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهودا بن يعقوب بن اسحق وكان بين عمران بن ماثان وعمران بن بصير الف ومائة سنة صرح به المصنف في اول سورة آل عمران وكانت النبوة في سبط يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقال بعض المفسرين لس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بل هو اخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب احوال يحيى بن زكريا لما مر ان ام يحيى هي بنت عمران بن ماثان فتكون قرابة آل يعقوب ليحيى من قبل امه فيكونون احواله وعلى تقدير ان يكون يعقوب اخا زكريا يكون آل يعقوب اعماما ليحيى قال الكلبي كان بنو امانان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث ولده منه جبرته ويرث من بني ماثان ملكهم (قوله وأورث) هو تصغير وارث والاصل وورث وورث وواوين وجب قلب اولاهما بمنزلة اجتماعهما متحركتين في اول الكلمة كما في او يصل واصنه ووصل تصغير واصل والواو الثانية بدل من الف فاعل (قوله وهذا يسمى التجريد) اي هذا الصنيع وهو ان ينزع من امر ذي صفة آخر مثله فيها ايذانا بكمالها فيدفعان تجريد من الولي وهو الوارث نفسه وارثا آخر ايذانا بكمال الوراثة فيه وقد يكون التجريد بكلمة في كافي قوله تعالى في صفة الجنة لهم فيها دار الخلد واعلم ان زكريا عليه الصلاة والسلام قسم على سؤال الولد امورا ثلاثة احدها استيلاء الضعف عليه وعلى امرأته وذلك مما يزيده الدعاء توكيدا لما قيد من الاتكال على حول الله وقوته والتبري من الاسباب الظاهرة واثباتها انه تعالى عوده بالاجابة ولم يرد دعاءه قط وانكر يم اذا عودا احدا بالاحسان لا يقطع بالآخره لاسما في زمان كونه احوج اليه وثالثها كون المطلوب منتقاه في امر الدين وهو قوله واني خفت الموالي ورفرع سؤال الولد على هذه الامور الثلاثة وقوله تعالى يازكريا فيه اختصار اي فاستجب دعاءه وقتلا يازكريا فاعلى هذا كان النداء من الله تعالى كما ذهب اليه اكثر المفسرين لانه ذكر قبل هذه الآية ان زكريا نادى ربه نداء خفيا وسأله الولد وذكر بعدها انه عليه الصلاة والسلام قال رب اني يكون لي غلام ولما كان ما قبل هذه الآية وما بعدها خطا بجمع الله تعالى وجب ان يكون نداء زكريا من الله تعالى واللفظ والنظم وقيل هو نداء الملك لقوله تعالى في سورة آل عمران فتادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يشرك يحيى والجواب ان حصول النداء من الملائكة وهو قائم لا ينافي حصوله من الله تعالى وقوله وهو شاهد اي مدح يحيى بانه لم يكن له سمي قبل شاهد بان التسمية بالاسمى النادرة الغريبة تنويه اي رفع لقدر السمي يقال ناه الشيء تنويه اي ارتفع ونوهته تنويه اذا رفعت ذكره (قوله كقوله تعالى هل تعلمه سمي) اي مثلا وشيها

في الاسم

(فهب لي من لدنك) فان مثله لا يرجي الا من فضلك
وكال قدرتك فاني وامرأتى لانصلح للولادة (وليا)
من صلي (يرثي ويرث من آل يعقوب) صفتان له
وجز مهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب
الدعاء والمراد وراثته النسخ والعلم فان الانبياء
لا يرثون المال وقيل يرثي الجورة فانه كان حبرا
ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق
عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا
زكريا او كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان
عليه السلام وقرئ يرثي وارث آل يعقوب على الحال
من احد الضميرين واو يرت بالتصغير لصغره ووارث
من آل يعقوب على انه فاعل يرثي وهذا يسمى التجريد
في علم البيان لانه جرد من المذكور او لامع انه المراد
(واجعله رب رضيا) ترضاء قولوا وعملوا (يازكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) جواب لنداءه ووعد
بالاجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له (لم نجعل له
من قبل سميا) لم يسم احد يحيى قبله وهو شاهد بان
التسمية بالاسم الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها
كقوله تعالى هل تعلمه سمي لان المتماثلين يشاركان
في الاسم

في صفات الجلال والجمال فان اول الآيات فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم اسميا ومعلوم ان محمدا تفرده بالاسم لا
يوجب عبادته فان قيل لو كان السمي في الآية بمعنى المثل للزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين قبله كادم ونوح وابراهيم
وموسى عليهم الصلاة والسلام وذلك باطل اجيب بان المراد هل تعلم له شيئا فمما يخص به من الاوصاف وهو ان كل
الناس انما يسميهم اباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم في الوجود واما يحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى هو الذي
سماه قبل دخوله في الوجود فكان ذلك من خواصه ولم يكن له شبيه في هذه الخاصية وانه ولد بين شيخ فان ويجوز
عاقروا وانه كان حصورا لا يقرب النساء حصر النفس اى متاعا لها من الشهوات ولا يقرب اللعب واللهو (قوله
لا به يحيى به رحم امه) وزال عقرها الذي هو منزلة الموت للرحم وقيل سمي يحيى لان الله تعالى احى قلبه بالايمان
والطاعة فانه تعالى سمي المطيع حيا والعامى ميتا بقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه قيل ان يحيى اول من آمن
بعيسى قصار قلبه حيا بذلك وذلك ان ام يحيى كانت حامل به فاستقبلتها مريم وقد حلت بعيسى فقالت لها ام يحيى
يا مريم احاملت فقالت مريم لماذا تقولين كذا فقالت انى ارى ما فى بطنى يسجد لى فى بطنك وقيل احياء الله
تعالى بالطاعة حتى لم يعص ولم يهيم بعصية لساروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من احد الا وقد عصى او هم بعصية الا يحيى بن زكريا فانه لم يهيم ولم يعملها (قوله تعالى وقد بلغت
من الكبر عتيا) حال من ياء التكلم في قوله انى يكون لى غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتى وقد مقدرة فيها والمعنى
انى يكون لى غلام حين بلوغى عتيا مع ان العقر صفة قديمة لامرأتى لم يولد لى منها غلام حال سباني وحال كهولتى
لكون امرأتى عاقرا من ابتداء انشائها فكيف تلد حال شيخوختى مع قدم عقرها وتمكن هذه الصفة فيها وضعف
بدنى ومجوقتى (قوله جساوة) اى يساوا بحماد اذ قال جسا الشيخ جسوا اى بلغ غاية السن وغفل الشئ عفو لاى
يسس وغفل الشيخ فلابس جلده على عظمه (قوله ثم قلبت الشانية وادغمت) فصار عتيا بضم العين وكسر التاء
وهى قرأة غير حرة والكسائي وحفص فانهم قرأوا عتيا وصليا وجسبا بكسرا ولهالاتياع وقرأ آخرة والكسائي بكسر
العين والواقون بضم اول ذلك كله (قوله وانما استعجب الولد الخ) جواب عما يقال الظاهر ان الاستعجاب
في قوله تعالى انى يكون لى ولد ليس استعجاب انكار بل هو استعجاب لمجيى وما وجهه مع انه هو الذى طلب الولد
في حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم علمه بكونه تعالى قادرا على هـ الولد لها فوجه نجيته حال
ما شر به مع علمه بقدرته الله تعالى عليه وتقرير الجواب ان علمه بما كان حصول الولد من صلها لكونه تعالى قادرا
على كل الممكنات لا ينافي ان يستعجب ويستعظم كمال قدرة الله تعالى على تكوين الاشياء من غير توسع الاسباب
والوسائط (قوله ولذلك) اى وليكون قول زكريا عليه الصلاة والسلام انى يكون لى غلام اعترافا بكمال
قدرة الله وبان تأثيرها لا يتوقف على الاسباب بان قال كذلك على ان محل الكافر رفع على انه خبر مبتدأ محذوف
والتقدير الامر كذلك وقوله قال رب ابدء كلام استؤنف به جوابا لما يقال فاذ قال الله تعالى بعد تصديقه
زكريا فاجب قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقد تقرر ان الكافى الذى يعنى مثل في كذلك
تكون مقحمة لانا كيد لما مر ان لفظ المثل في قولهم مثلك لا يجمل بمعنى انت لا تجمل فالمعنى في الآية انه
نعالى قال مثل ذلك الكلام هو على هين فيكون الكافى بمعنى مثل زائد في الآية اشارة الى ما سبق ذكره
وهو قول زكريا رب ابدء كلام الخ او ما وعد الله تعالى اياه بقوله يا زكريا ان نبشرك بكلام (قوله ويؤيد
الاول) وهو ان يكون كذلك خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة مقول قال الاول على قرأة من قرأ وهو على
هين بالواو فان تخلل الواو وفيدتين الجملة وذلك يتبع من كون ذلك اشارة الى مبهم وكون الجملة تفسير لان المفسر
يتعسف ان يكون محجة هو على هين وان جعلت الكافى مخصصة بقال الشانية تكون قال الشانية مع ما في حيزها
مقول قال الاول واخام القول الشانى على قرأة الواو تكرارا (قوله او كما وعدت) لاهامة يعتد به فابعد غير
ان الاول يتبع اتاء والموعود له هو ان يحصل له الغلام البشرية في المستقبل فيكون هين بمعنى يهون حصوله على
والثانى بضم التاء والذى وعده الله تعالى بالنسبة اليه تعالى هين ازلا وابد وان كان بالنسبة الى زكريا لا يهون عليه
(قوله بل كنت معدوما) ومن قدر على الخلق والايجاد من العدم الصرفة كان قادرا على تبديل صفات الشئ
الضعيف والشيخة العاقرة بان يعيد اليهما القوة التي منها يتولد الماسان الذى ان يخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم
ليس بشئ عند اهل السنة وبعض المعتزلة خلافا لبعضهم ومنهم من قال المعدوم شئ (قوله علامة اعلم بها

والاطهر انه اعمى وان كان عربا فنقول من
فعل كيعيش ويعمر قيل سمي به لانه حي به رحم
امه اولان دين الله حي بدعوته (قال رب انى يكون لى
غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر
عتيا) جساوة وغولا فى المعاصى واصله عتو
كعقود فاستقلوا توالى الصمتين والواو
فكسروا التاء فانقلت الواو الاولى ياء ثم قلت الثانية
وادعت وقرأ حرة والكسائي عتيا بالكسر وانما
استعجب الولد من شيخ فان ويجوز عاقرا عتيا بان
المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط عند التحقيق
ملعاة ولذلك (قال) اى الله او الملك المبلغ للشارة
تصديقه (كذلك) الامر كذلك ويجوز
ان تكون الكافى منصوبة بقال فى (قال ربك) وذلك
اسارة الى مسهم تصديره (هو على هين) ويؤيد الاول
قرأة من قرأ وهو على هين اى الامر كما قلت او كما
وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى
الاسباب ومفعول قال الشانى محذوف اى افضل
ذلك وهو على هين (وقد خلقتك من قبل ولم تك
شيئا) بل كنت معدوما صرنا وفيه دليل
على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حرة والكسائي
وقد خلقتك (قال رب اجعل لى آية) علامة
اعلم بها وقوع ما بشرتنى به (قال آيتك ان لا تكلم
الناس ثلاث ليال سوبا) سوى الخلق ما بك من خرس
ولانكم واما ذكر الالبالى ههنا والايام فى آل عمران
للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد
لذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن

وقوع ما بشرتني به فان البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب آية يعلم بها وقت وقوع ذلك الغلام في رحمة الله ليرداد في الشكر ودعاء السلامة وأنفقوا على ان تلك الآية هي تعذر الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزا ثم اختلفوا على قولين أحدهما انه اعتقل لسانه أصلا والثاني انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله تعالى ومن قراءة التوراة واختار المصنف هذا القول حيث قال والعجود للذكر والشكر وقوله تعالى سبوا حال من فاعل تكلم اي لا تكلم الناس في هذه المدة حال كونك صحيحا سبوا والمحراب يطلق على المسجد وعلى الغرفة وقوله ان سبوا يجوز ان يكون تفسيرا لأوحى وان يكون بمعنى المصدر المنسوب على انه مفعول أوحى وبكرة وعشيا ظرفان للتسبيح (قوله وقيل كتب لهم على الارض) لم يرص به لقوله تعالى في سورة آل عمران آتيتكم ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا والرمز لا يطلق على الكتابة روى عن ابي العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة المغرب فيحتمل ان يكون المعنى انهم يصلون معه في محرابهاتين الصلاتين بان يخرج اليهم فياذن لهم بلسانه في دخول محرابه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم على عادته فاذن لهم بالاشارة بدل الكلام وفيه دلالة على ان الصلاة كانت في الامم الماضية في ختم الليل والنهار (قوله على تقدير القول) اي فوهيناه يحيى وقتلناه بعد ولادته في حال طفوفه يا يحيى وصف الله تعالى اياه بهذه الصفات التسع كرامة له الصفة الاولى كونه مخاطبا من الله بقوله خذ الكتاب فذل ذلك على انه تعالى بلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان يخاطب فيه بذلك والصفة الثانية قوله وآتيناه الحكم صبيا فان صيرورة الصبي في صغره عاقلا قوى القلب بحيث يقدر على قراءة التوراة بالفهم والاستبصار وتجري كلمات الحكمة على لسانه كما تجري على ألسنة الحكماء ليس اغرب من انشقاق القمر وانطلاق البحر والصفة الثالثة قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وهو معطوف على الحكم اي وآتيناه حننا وحنان الرحمة واللين وحينئذ الناقصة صوتها اذا اشتاقت الى ولدها والصفة الرابعة قوله تعالى وزكاة اي وآتيناه زكاة اي عملا صالحا زكيا او كونه متصدقا به على ابيه والصفة الخامسة قوله تعالى وكان تقيا يتقيا لله تعالى ويحجبه واولى الناس بهذا الوصف من ام يعص الله تعالى والصفة السادسة قوله وبرا بوالديه ولاعبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه والوالدين احسانا والصفة السابعة قوله ولا يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب والصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ من العاصي كان العليم ابلغ من العالم والصفة التاسعة قوله وسلام عليه اي امان من الله تعالى له وسلامة وهو عطف على آتيناه قيل اوحش ما يكون الخلق فيه ثلاثة ايام رطب يوم ولد وفي يوم نفسه خارجا ما كان فيه يوم يموت وفي يوم ما لم يشاهده قط ويوم يبعث حيافري محشرا اعطيا فآكرم الله تعالى يحيى عليه الصلاة والسلام فخصه بالسلامة والسلام عليه في هذه المواطن الثلاثة ثم تعالى لما ذكر ولادة يحيى عليه الصلاة والسلام من شيخ فان وعجوز عاقر ذكر ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام من فرياب وقدم القصة الاولى على الثانية على طريق التزيق مما هو اقرب الى العقل والعادة الى ما هو ابعد عنه جاف قال واذا ذكر في الكتاب مريم اذا نبتت وذكر لكلمة اذا اربعة اوجه الاول كونها يدل احتمال من المحذوف المضاف الى مريم والثاني كونها يدل كل منه بناء على ان يراد بالفرف ما وقع فيه والثالث ان يكون ظرفا للمضاف المقدراى اذكر قصة مريم او خبرها او نبأها اذا نبتت وارابع ان يكون بمعنى ان المصدرية فيكون يدل احتمال اي واذا ذكر مريم ابتذاها وتقدير المثال لا اكرمك لان لم تكرمى اي لعدم اكرمك ولا يجوز ان يكون ظرفا لذكر لان الذكر ليس في ذلك الوقت والنبت اصله الطرح واللقاء ولا ابتذا فتعال منه وانبتت اي اعتزلت وتباعدت وانفردت على سرعة الى مكان هي ناحية الشرق من بيت المقدس او من دارها ثم انهم لم يقصروا على ذلك بل اتخذت من دون اهلها حجابا باى حائل لا يحول بينها وبينهم ثم لابد في احتياجها من ان يكون لغرض صحيح وليس بمذكور في القرآن واختلف المفسرون فيه على وجوه فقل انها لما رأيت الحوض تباعدت عن مكانها المتعاد للعبادة تنظر الطهر لتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل قدعت في المشرق وهو موضع صعود في الشمس وضم الرأ وقبحها لغة فيه وفيه لغتان اخريان مشرقا وشرقا بفتح الشين وسكون الرأ احتجبت عن اهلها لتختلي للعبادة ولا تستغل عنها وقيل كان لها في منزل ذكرها بحر اب على حدة تسكنه وكان ذكرها اذا خرج اغلق عليها الباب فتمت خلوة في الجبل انقل رأسها فانزعج السقف لها فخرجت فجلس في المشرق وراء الجبل فانها الملك وقيل عطشت فخرجت الى

(فخرج على قومه من المحراب) من المصلى او من الغرفة (فآوحى اليهم) فآومأ اليهم كقوله الارمزا وقيل كتب لهم على الارض (ان سبوا) صلوا او نزهاو اربكم (بكرة وعشيا) طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح وبأمر قومه بان يوافقوه وأن يتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة (يا يحيى) على تقدير القول (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجهد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) يعني الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنباه (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه اورحة وتطفاف في قلبه على ابيه وغيرهما عطف على الحكم (وزكاة) وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابيه او مكنه او وقفه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنبيا عن المعاصي (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) عاقا او عاصي ربه (وسلام عليه) من الله (يوم ولد) من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من عذاب النار وهول القيامة (واذا ذكر في الكتاب) في القرآن (مريم) يعني قصتها (اذا نبتت) اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتغال لان الاحيان مشتغلة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالطرف الامر الواقع فيه وهما واحدا وظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمى فتكون بدلا لا محالة (من اهلها ما كانا شرقيا) شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصراني المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انبتت متضمن معنى انت (فاتخذت من دونهم حجابا) سترًا (فارسلنا اليها روحنا فتمتل لها بشرا سويا) قيل قدعت في مشرقه للاغتسال من الحوض فتجسدت بشرا يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت

المغارة للسقى والله اعلم (قوله لتستأنس بكلامه) فانه لو ظهر في صورة الملائكة لفرحت عنه ولم تقدر على استماع كلامه (قوله ولعله) اى ولعل تمثله في تلك الصورة البهية لتسبح شهورتها اطلق الروح على جبريل عاينه الصلاة والسلام تشبهه بالروح في انه سبب حياة الدين كان الروح سبب حياة البدن وهذه استعارة في مجرد الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو قرينة الاستعارة (قوله وتحتفل) اى تنصرف وتذهب بقل حقلته فاحتفل اى جلوته عن مكانه فاجتلى (قوله ويجوز ان يكون للمبالغة) اى في عودها بالرحن عطف على ما قبله من حيث المعنى فان محصول ما قبله ان قوله ان كنت تقيا لتقيدا لحكم المدلول عليه بما قدر جزاء ثم قال ويجوز ان لا يكون المقصود منه تقييد الحكم بل يكون للمبالغة في عودها بالرحن كما انها قالت انى عائدة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تتق كقوله عليه السلام نعم العبد صعب لولم يخف الله لم يعصه فان الشرط فيه للمبالغة في نبي العصيان على انه لولم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليرى ذلك الخوف اى ليس في ما تخافين مني لاجله وانما شأني الرسالة من قبل ربك في هبة الغلام واسند الهبة الي نفسه لكونه سببا في هبته من حيث انه تعالى وهب الغلام لربهم بواسطة نفخ الملك في درعها ويجوز ان يكون ضمير اهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكما للغلام ربهما يقول مضر كانه قال انما انا رسول ربك لا يبلغ اليك ما قاله الله تعالى في حقتك وهو قوله اهب لك غلاما (قوله ولم يباشرنى رجل بالحلال) جواب عما يقال قولها ولم يمسنى بشركاف في مقصودها وهو ان تقول انما يكون بمس البشر وليس في ذلك فإذ قالت بعده ولم يك بغيا وتقرير الجواب انها جلت المس على المس المشروع وهو ما يكون مسوقا بالنكاح فلذلك احتاجت الى ان تقول ولم يك بغيا كما انها قالت الولد لا يكون الابتنكاح وسفاح ولم يتحقق شئ منهما عندى ونحو المس والمباشرة والقربان مما سبق به عن الغنسيان المشروع وان كان بحسب اللغة يعنى المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات على الرطبي المشروع ولا يكتفى عن الزنى الا بما فيه تعبير وتقييد نحو خبث بها وفجر (قوله ولذلك لم تلحقه الناء) اى ولكونه فعولا بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بغى للمذكر والفاجر والمرأة التي تبغى الرجال لم تلحقه الناء وانما يفرق بينهما بانه اذا كان بمعنى المفعول فيقال ناقة حلوبة مثلا وان جعل البغى فاعلا بمعنى فاعل ينبغي ان يكون بناء الأيت نحو امرأة بصيرة وقديرة الا انه لم تلحقه الناء لانه للمبالغة اول النسب كذا قاله ابو البقاء وتبعد المصنف وجه التعليل بهما ان الناء انما تلحق اسماء الفاعلين حملها على الفعل وانما فصل عليه اذا كانت جارية عليه وموافقة له لفظا ومعنى بان تكون للحال والاستقبال والفاعل الذى يكون للمبالغة والسبب يكون للدوام والتبوت للحال ولا للاستقبال فلما لم يجر على الفعل لفظا ولا معنى لم تلحقه الناء فراقبته وبين ما يجرى عليه لفظا ومعنى وكذا لا تلحق الناء ما كان للنسب مما هو على فاعل نحو تاجر ولابن وحائض اذا اريد بها ذات ثم وذات لبن وذات حيض فكذا بنى اذا كان بمعنى ذات بنى وتعليل الاستواء بكون الصفة للمبالغة مطلقا لا وجه له لانهم صرحوا بان ابناء المبالغة من الثلاثى ثلاثة اقسام الاول ما يفرق فيه بين المذكر والمؤنث مطلقا اى سواء كان جاريا على الموصوف او لا يكون كصبار وصديق وامر ففعلوا نحو امر مما تلحقه الناء مطلقا والثاني ما يستويان فيه مع الموصوف ويشتركان بدونه كطعام ومسكين وفعل الذى لا يكون بمعنى مفعول كناقعة ركوبة والثالث ما يستويان فيه مطلقا كضحكة وعلامة (قوله ونفعل ذلك لتجعله) يعنى ان قوله ولتجعله علة للمعلل محذوف ووجه التعليل مع المعلل معطوفة على قوله هو على هين (قوله اولين به قدرتنا لتجعله) على ان يكون معطوفا على علة مضرة عطف مفرد على مفرد وحل الكلام على اضمار المعلل اولى لان اضماره يغنى عن استنار العلة بخلاف اضمار العلة فانه لا يغنى عن اضمار المعلل اذ لم يذكر قبل العلة المضرة ما يصح تعليله بها الا يصح ان يقال هو على هين لتبين به قدرتنا بل لا بد ان يجعل التقدير هو على هين وفعلنا ذلك لتبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير في قوله هو على هين راجع الى خلق ذلك الغلام بغير ذكر وكذا ضمير تجعله آية فان ذلك الخلق آية على كمال قدرة الله تعالى لانه قد قرر انه تعالى لما خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى ظهر انه تعالى قادر على انواع الخلق يخلق كيف يشاء وانه على كل شئ قدير الا ان عطف قوله ودرجة منا على قوله آية يستدعى ان يكون ضمير تجعله للغلام لان من كان رجة للعباد هو الغلام فانه النعمة لمن تبعه في دنياه وآخرته

فيباهي في مغنيتها اناها جبرائيل فتملا بصورة شاب امر دسوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتسبح شهورتها فتمنحدر نطقها الى رحمتها (قالت انى اعوذ بالرحن منك) من غابة عفا فها (ان كنت تقيا) تنفى الله وتحتفل بالاستعانة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى فانى عائدة منك او فانه عطف بتعويذى او فلا تعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما انا رسول ربك) الذى استعذت به (لا اهب لك غلاما) اى لا يكون سببا في هبته بالتسبح في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده قراءة ابى عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من الذنوب او ناعيا على الخير اى مترقياس من الس الى الس على الخير والصالح (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشرا) ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما لى فاعلا يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك وبعضه عطف قوله (ولم يك بغيا) عليه وهو فعول من البغى قلت واودبه وادعت تم كسرت الغين اتساعا ولذلك لم تلحقه الناء او فعيل يعنى فاعل ولم تلحقه الناء لانه للمبالغة اول النسبة كطابق (قال كذلك قال ربك هو على هين ولتجعله) اى ونفعل ذلك لتجعله اولين به قدرتنا ولتجعله وقيل عطف على لا اهب على طريقة الالتفات (آية للناس) علامة لهم ورهانا على كمال قدرتنا (ورجونا) على العباد يهتدون بار سادة

(قوله اي تعلق به قضاء الله) اي حكمه قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وما حكم الله برقوعه يعجب وقوعه لانه لو لم يقع لانتقلب علم الله جهلا وهو محال (قوله او قدر وسطى في اللوح) على ان يكون القضاء بمعنى التقدير ومنه القضاء والقدر (قوله او كان امر احقيقا بان يقضى ويفعل) على ان يكون القضاء بمعنى الصنع والفراغ يقال قضيت حاجتي وقال تعالى فقضاهن سبع سموات ولما كان نفس خلقه واجباه رجدة للعباد وكان خلقه على هذا الوجه علامة بالدعوة الى كمال قدرة الله تعالى كان امر احقيقا بان يقضى ويفعل فصارت بذلك كانه امر متفنى ومنه قول فلذلك قيل في حقه قبل ان يولده انه كان امر امقنيا (قوله بان نفع في درعها) قيل ان جبريل عليه الصلاة والسلام رفع درعها ففتح في جيبه فخلت حين لبست وقيل نفع جبريل عليه السلام من بعد فوصل اليها فخلت بعيسى في الحال وقيل قد جيب درعها باصبعه ثم نفع في الجيب حتى وصلت النفع الى الرحم وقيل نفع في ذيلها قال السدي اخذ بكبها ففتح في جيب درعها فدخل النفع صدرها فخلت ثيابها اختها امرأ ذكرها وهي حامل يعجبي تزورها فلما التزمتها عرفت انها حبل وذكرت مريم حالها فقالت امرأة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى في حق يعجبي عليه الصلاة والسلام مصداق بكلمة من الله وقيل ان النفع كانت في فيها فوصلت الى بطنها فخلت في الحال وعلى التقادير يظهر ان في الكلام حذفا وهو كان امر امقنيا ففتح فيها فخلته اي حلت عيسى في بطنها (قوله وهو في بطنها) يريد ان الباء في به للباس وان الجار والمجرور في محل النصب على انه حال من فاعل انبذت كقوله ثبت بالدهن اي ثبت والدهن فيها كما ان بنا في قول النبي حال من فاعل تدوس اي تدوس الجحاجم ونحن عليها والدوس الوطى بالارجل واول البيت

كان حيولنا كانت قديما * تسقى في قعودهم الحليب

فرت غير نافرة عليهم * تدوس بنا الجحاجم والتربا

الفحوف جمع قحف وهو العظم الذي فوق الدماغ والحليب اللبن والضمير في قعودهم للاعداء والجحاجم جمع حجمة وهي عظم الرأس المنحل على الدماغ والترب عظم الصدر والعرب تسقى اللبن كرام خيولها يقول كان خيلنا كانت تسقى اللبن في اقحاف رؤس الاعداء فألفت بها فكانت خيولنا تمر عليهم وتدوس اي تطأ بأرجلها جحاجمهم وراشهم ومحن عليها ولم تنفر عنهم فان قلت لم لم تجعل الباء في قوله فانبذت به للتعدية فالجواب ان المفعول الذي يتعدى الفعل اليه بالباء يجب ان يكون بحيث لا يستلزم صدور الفعل من الفاعل التعلق به كما في قولك ذهبت زيد وصدور الانبذ من الفاعل يستلزم انبذ ما في بطنها من الجنين فلا فائدة في ايراد حرف التعدية والقصى البعيد يقال مكان قاص وقصى مثل عاص وعصى واختلفت في عللة الانبذ على وجوه احدها ما رواه الثعلبي عن وهب انه قال ان مريم لما حلت بعيسى عليه الصلاة والسلام كان لها ابن عم يسمى يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون فكان مريم ويوسف يتخذان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احدا شدا عبادتها وعبادة منهما واول من عرف امر مريم يوسف فقهر في امرها فكلما اراد ان يتهمها ذكر صلاحتها وعبادتها وانهم لم تنس عنه ساعة قط واذا اراد ان يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم ان قال لها انه قد وقع في نفسي شيء من امرك وقد حرصت على كتمانك فقلبت ذلك فرائيت ان الكلام فيداشني لصدرى فقالت قل قولا جيلا فقال اخبريني يا مريم هل يثبت زرع غير بذروهل تثبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم لم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذي انبته الله تعالى من غير بذر ولم تعلم ان الله انبت التجر بغير غيث وبالقدرة جعل القيث حياة النجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة ولم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا نثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلب يوسف فكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاسيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وتضييق القلب فلما دنا نفاسها اوحى الله تعالى اليها ان اخرجي من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حماره فلما بلغت تلك البلاد وادركها النفاس اجاءها المخاض الى اصل نخلة وذلك في زمان برد فاحضنتها فوضعت عندها وثانيها انها استحييت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لئلا يعلم بها زكريا عليه الصلاة والسلام وثالثها انها لما كانت في نهاية الشهرة استحييت من هذه الواقعة ورابعها انها خافت على ولدها اولادته فيما بين اظهرهم واعلم ان هذه الوجوه كلها محتملة وليس في القرآن ما يدل على شيء منها

(وكان امر امقنيا) اي تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطى في اللوح او كان امر احقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آيذ ورجة (فخلت) بان نفع في درعها قد دخلت النفع في حوقها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل سنة وقيل ثمانية ولم يمش مولود وضع ثمانية غيره وقيل سبعة كما حكى نبتة وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشرين سنة وقد حاضت حوضتين (فانبذت به) فاعتزلت وهو في بطنها كقوله * تدوس بنا الجحاجم والتربا والجرو والمجرور في موضع الحال (مكانا قصدا) بعيدا من اهلها ورا الجبل وقيل اقصى الدار

فالأولى السكوت عنها (قوله كاللغز) مفعول من تعالاه الجميع أي علقه (قوله من تحتها عيسى) عليه الصلاة والسلام قدم هذا الاحتمال لأن من تحتها يفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احدوا الذي علم كونه تحتها هو عيسى عليه الصلاة والسلام فوجب ان يكون هو المراد به ولأن ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة فلا يليق بالملك ان يكون في ذلك الموضع بمنزلة القابلة فالجنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطيبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في اول الامر ما يسرها تطيبا لقلبها من علوشان ذلك الولد ومن قال النادى هو جبريل عليه الصلاة والسلام قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اول الامر تذكيرا للشارات المتقدمة وكان المراد بالنداء هنا الخطاب لا الصيحة برفع الصوت كما في قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا ولما كان هذا الكلام منبها على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف عليه احتمال ان يكون المعنى من تحت مكانها بان يكون النادى في مكان اسفل من مكانها وفيه وجهان الاول ان يكونا معاني مكان مستور ويكون هناك مبدءا معين لتلك الخلة فكل من كان اقرب منها كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادى والثاني ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفلى وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة انها كانت حين ولدت على داسة وجبريل عليه السلام كان اسفل منها والداسة الاكمة المرتفعة عن الارض (قوله ان لا تحزنى اى لا تحزنى) على ان تكون ان مفسرة لتقدمها ما هو معنى القول وكذا على هذا افية وحذف نون تحزنى بالجرم وقوله اوبان لا تحزنى على ان تكون ان مصدرية ولا نافية وحذف التون للنصب (قوله هكذا روى مرفوعا) اى انه عليه الصلاة والسلام مثل عن السرى فقال هو الجدول وهو النهر الصغير وسمى سرى لان الماء يسرى فيه ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى فكلنى واشترى فان تفرعه على ذكر السرى وتساقط الرطب الجنى انما يحسن بان يراد بالسرى الجدول حتى يجمع في تسليتها بين الماء والرطب فتؤمر بان يقال فكلنى واشترى قال صاحب الكشف فان قلت ما كان حزنها فقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انها طعام وشراب ولكن من حيث انها مجزئان تريان الناس اسما من اهل العصمة والبعد من الرية وان مثلها بما قد فوها به بعزل وان لها امورا خارجة من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير خل لبس يبدع من شأنها (قوله وقيل سيدا من السرى) يقال سرى سرى وسروا من باب نصر وسرى يسرى سرى من باب علم وسروى وسروا من باب حس والجنى بمعنى صار سرى اى سيدا وجمع السرى سرارة وجمع السرارة سرورات والمراد بالسرى ههنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويؤيد هذا القول ان النهر لا يكون تحت الانسان بل يكون الى جنبه ومن قال السرى هو النهر استشهد بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ضرب عيسى او جبريل بعقه الارض فظفر ماء عذب بقرى النهر وقيل انه كان هناك ما جارا والاول اقرب يقين لان قوله قد جعل ربك تحتك سرىا يشعر بالجدول في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكر ذلك تعظيما لسانها وذلك لا يثبت الاعلى الاول (قوله وامليه اليك) اشارة الى ان الهرم تضمن معنى الامالة لان الهرم بمعنى التحريك لا يتعدى الى بل يتعدى بنفسه فالباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والتقدير حرى جذع الخلة بميلة ذلك اليك (قوله واوفلى الهرم والا مالقه) على ان يزل الفعل المتعدى منزلة اللازم للمبالغة على طريق قولهم فلان يعطى ويمنع ثم يعدى كما يعدى الفعل اللازم فتكون الباء للضرورة فلا تكون زائدة بل تكون للتعبية كما في قول الشاعر

فان تعذر بالحمل عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح في عراقيها نصلى

فانه جعل الجرح لازما ثم عدها بقرى الضرع والحمل الجذب وهو انقطاع المطر ويطرس الارض من الكلال ويجرح اجواب الشرط ونصلى فاعله والمراد بالتصل السيف والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن بسبب الحمل وخلو الارض من الكلال اذ يحجبها للضيفان (قوله او هزى الثمرة بهزه) اى بهز الجذع على ان يكون مفعول الهز محذوفا وتكون الباء للاستعانة كقوله كسبت بالقلم فان قلت ان الهز والهرى يك يقع على الجذع اصالة وعلى الثمرات فتقديم الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعاً والتبع اصلا فلا وجد لارتكابه مع قيام المعنى الصحيح الحاصل بان تجعل الباء صلة لتأكيد التعلق قلنا هن الثمر وان كان تابعا بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان

(فاجاءها الخاض) فالجاءها الخاض وهو فى الاصل مفعول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كما فى فى اعطى وقرى الخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها الخروج (الى جذع الخلة) تستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العذق والعصن وكانت خلة يابسة لارأس لها ولا خضرة فيها وكان الوقت شتاء والتعريف اما الجنس او العهد ان لم يكن ثم غيرهما وكانت كاللغز عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريهما من آياتها ما يمكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خضرة النفساء الموافقة لها (قالت بالبنى مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سعى به وقرى به وبالهزمية وهو الحليب المحلول بالياء ينسأ اهله لقلته (منسيا) منسى الذكربحيث لا يخطر ببالهم وقرى بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضمير احدهما وقيل الضمير فى تحتها للخلة (ان لا تحزنى) اى لا تحزنى اوبان لا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سرىا) جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرى وهو عيسى (وهزى اليك بجذع الخلة) وامليه اليك والباء مزيدة للتأكيد واوفلى الهرم والا مالقه او هزى الثمرة بهزه والهرم تحريك يجذب ودفع (تساقط عليك) تساقط فادعت انشاء الثانية فى السين وحذفها حزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرى تساقط ويسقط وتسقط فالتاء للخلة والياء للجذع

المقصود هو التمر وقوله وخذ فهاجرة أى قرأ أسقط بفتح التاء وتخفيف السين وقبح القاف والذي اختارها
 المحصف يسقط بفتح الياء الختائية وادغام تاء التفاعل وقرأ حفص تساقط على أنه مضارع ساقط بمعنى أسقط ذكره
 الجوهري وقرئ تنساقطاً ظاهراً التاء بن على الاصل وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة وهي التاء فى الاولى
 والياء فى الثانية ويسكون السين وكسر القاف من اسقط وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة التى هى التاء
 فى الاولى والياء فى الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بتأويله بالثمة على قراءة التاء فالجُمُوع
 تسع قرأت (قوله لما فيه من المعجزات) أى ليريم على ان يراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة فتناول
 الكرام ذو عقل ان يراد بها معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام على ما قيل انه عليه الصلاة والسلام اعطى النبوة
 فى حال طفولته والا فالوجد ان يكون ذلك اراه صان النبوة عيسى وكرامة لا ملام لان المعجزة هى الفعل الخارق للعادة
 الصادر عن يدى النبوة على وجه التحدى ولا دعوى ولا تحدى من احد منها وما الارهاص ما يظهر على يد الانبياء
 قبل نبوتهم كاظلال الغمام لتبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى طريق الشام وارتجاج ايوان كسرى ليله ولد (قوله
 او من الرطب وعصيره) على ان يراد بالسرى السيد والاول على ان يراد به الجدول (قوله او من القر) بضم
 القاف وهو البرد ويطلق على القرار ايضا والسخنة الحرارة (قوله تعالى فاما ترين) دخلت فيه ان الشرطية
 على ما لا آئمة للتاكيد فادغت فيها وكتبت الثون متصلة بما تترين اصله ترىين حذفت الهمزة كما فى ترى وقلت
 الياء الفاعلة حذفت الالف لاجتماع الساكنين فلما دخلت ثون التاكيد سقطت ثون الاعراب فاجتمع ساكنان
 فكسرت باء الضمير فصار فاما ترين (قوله وقرئ ترين) بقلب باء الضمير همزة على لغة من يقول لبأت بالحج
 اصله لبيت بالحج تلبية أى قلت لبيك اللهم لبيك بنية الحج لجرى ان التاخي بين الهمزة وحروف اللين فى الابدال
 حيث قلبت الهمزة حرف لين تارة كما فى رأس ولوم وبرز قلب حرف المين همزة اخرى كما فى آخره وأقنت فلما
 استحكم التاخي بينهما فى الابدال ابدلت باء ترين همزة ودخلت فيه ان الشرطية على ما لا آئمة للتاكيد
 فادغت الثون وكتبت متصلة بها وتترين اصله ترىين حذفت الهمزة كما فى ترى وقلت الياء الفاعلة حذفت الالف
 (قوله صمتا اوصيما) لاشك ان المعنى فاما ترين من البشر احدا فسا لك الكلام معه فقول كذا ولا تكلم به فى امرك
 شياً فان الامساك عن الكلام مراد من الصوم لاحالة ذلك اما بان يكون الصوم عبارة عن الامساك عن الكلام
 فقط او يكون عبارة عن الامساك عن المفطبات الثلاث والكلام جميعا وكل واحد من المعنيين محتمل فى الآية
 فان الصوم فى اللغة هو الامساك عن الطعام والشراب والكلام فيصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام ولا يتكلم
 حتى عيسى فعلى هذا يكون النذر بالصوم نذرا بالامتناع عن الكلام صريحا وعلى الاول تنجيبا (قوله بعد ان
 اخبرتم بنذرى) اشارة الى جواب ما يقال لما التزم الصمت كيف يصح منها ان تقول انى نذرت للرحن صوما
 وهذا الكلام منها لئلا نذرت من الصوم وحاصل الجواب انها كانت مأمورة بهذا الكلام عند رؤيتها اياهم
 بسألوها عن سبب ولادتها لقوله تعالى فقولى وبه تكون ناذرة ويحجب السكوت عليها بعد هذا الكلام فى ليست
 بما مورة بان تنذرى فى الحال بل هى مأمورة بان تصبر الى ان يأتيتها قومها فينهوها فتقول لهم حينئذ انى نذرت
 للرحن صوما وقيل فى الجواب انها ما تكلمت معهم لانها كانت مأمورة بان تأتى بهذا النذر عند رؤيتهم فلوات
 بهذا النذر وتكلمت معهم بعد ذلك لكانت تاركة للوفاء بنذرهما وما تكلمت بل سكنت و اشارت بانها نذرت الصوم
 فالمراد بالقول فى قوله تعالى قولى انشاء النذر بالقول لاجواب القوم واعلامهم بنذرهما (قوله وانما اكلم الملائكة
 وانابى ربي) مفهوم قوله لن اكلم اليوم انسيا حيث نفت عن نفسها التكلم المتعلق بالانس (قوله وامرهابذلك)
 يعنى امرها الله تعالى بان تنذر الصوم ولا تبشر الكلام بينهم لوجهين الاول كراهة مجادلة السفهاء فدل ذلك على
 ان السكوت عن السفهاء واجب قبل اذل الناس سفيه لم يجد مشافها والثانى الاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة
 والسلام لكون كلامه اقوى فى ازالة التهمة من كلامها (قوله مع ولدها) اشارة الى ان به فى محل التنبص على انه
 حال من فاعل انت أى أنت مصاحبة به نحو جابيا به أى ملتصبا بها وقوله حاملة اياه يحتمل ان يكون حالانية من
 فاعل انت وان يكون حال من الهاء فى به (قوله بعد ما طهرت من النفاس) بناء على ما روى عن ابن عباس ان
 يوسف النجار احتلم مريم وابنها وانتهى بهما الى غار فادخلهما فيه ومكثوا اربعة ايام حتى طهرت من النفاس
 ثم أتت به قومها فتمسكه فكلما عيسى فى الطريق فقال اماء أبشرى فأتى عبد الله وسجد (قوله بديعا) من قولهم

(رطباً جنياً) تمميز او مفعول روى انها كانت
 نخلة يابسة لأرأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء
 فنهتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطباً
 وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على
 برآءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش
 والمنهية لمن رآها عليه على ان من قدر ان يتر النخلة
 اليابسة فى الشتاء قدر ان يحملها من غير ثقل وانه
 ليس بيدع من شأنه ما فيه من الشراب والطعام
 ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلنى واشربى)
 أى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره
 (وقرئ عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها
 ما احزتك وقرئ وقرئ بالكسر وهو لغة
 نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر
 النفس سكنت اليد من النظر الى غيره
 او من القر فان دمة السرور بارده ودمة الحزن حارة
 ولذلك يقال قررة العين وسخنتها للمحجوب والمكروه
 (فاما ترين من البشر احدا) فان ترى آدميا وقرئ
 ترين على لغة من يقول لبأت بالحج لتأخي بين الهمزة
 وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحن صوما) صمتا
 وقد قرئ به اوصيما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم
 (فلن اكلم اليوم انسيا) بعد ان اخبرتم بنذرى وانما
 اكلم الملائكة وانابى ربي وقيل اخبرتهم بنذرهما
 بالاشارة وامرهابذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء
 بكلام عيسى عليه السلام فانه كاف فى قطع الطاعن
 (فأنت به) أى مع ولدها (قومها) راجعة اليهم بعد
 ما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا)
 يا مريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا منكرا من فرى الجملد

فلان يغري الغري اى يأتى بالعجب في عمله وظاهر اللفظ يحتمل ان يراد انك قد جئت شيئا عجيبا خارجا عن العادة من غير قصد التعبير والذم الا ان المصنف حمله على الذم حيث اتبعه بقوله منكر القوا لهم بعد ما اخذت هرون ما كان ابوك امر اسوء فان ظاهر هذا القول التوبيخ (قوله وكانت من اعقاب من كان معه) اى كانت مريم من يعقوب هرون النبي عليه الصلاة والسلام في طبقة الاخوة بان تكون مريم من نسل اخوت هرون واخيه وقيل ليست من نسل اخوت هرون واخيه بل كانت من نسل نفسه عليه السلام وانما قيل انها ياخذت هرون بمعنى با واحدة من قبيلة هرون بان يراد هرون القبيلة التي هو ابوها كما يقال بالانسان مدان اى با واحد منهم وهم مدان اسم قبيلة (قوله اولم ارا اقبل من صلاحها) عطف على قوله تكلم يا عيسى بن مريم وشبهوها بالرجل الصالح المسمى بهرون وشبهوها باسمه على سبيل الاستعارة التكميلية المبني على تشبيه احد الضدين بالآخر يجتمع الضدية تنزيلا لثلاثة ضدات منزلة المناسب بواسطة التكميم او على سبيل الاستعارة الحقيقية على معنى كنت عندنا مثله في الصلاح (قوله واشبهوها) عطف على قوله شبهوها به الاول نشر لقوله هورجل صالح والثاني نشر لقوله واطاخ والمعنى اتى في الحال مثله والشخص يقال له باشبهه الفاسق سب له روى انه كان في بي اسرا ثيل رجل صالح يسمى هرون نسب اليه كل من عرف بالصلاح وذلك ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا منهم يسمون بهرون تبركاه وباسمه (قوله وصيها حال) اى وابس بخير لكان لانها زائدة لانصب الخبر والمعنى كيف تكلم من استغرق المهد حال كونه صيها وقيل كان تامدة بمعنى وجد فصيها حال من الضمير فيد وقيل انها دأته اى ناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها ترادف ما زال ولغظ كان وان كان بقيد قيد مضمون الجملة بالزمان الماضي مطلقا الا ان المراد منه في الآية الزمان القريب بقرينة المقام والمعنى كيف تكلم من كان بالاس وقريبا من هذا الوقت في المهد وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبي به وان عيسى لم يبرح بعد عند ولادته من هو بالمهد لم يكن فيه اعملية تلك الوكالة من حيث ان حاله كالشاهد على ذلك (قوله او بمعنى صار) اى كيف تكلم من صار في المهد صيها فصيها على هذا خبرها قيل المهد محرابه الساروي انها اخذته في خرقه فأتته قومها فاماروا بها قالوا ما قالوا والمهد يطلق على المقر مطلقا كما في قوله تعالى وجعل لكم الارض مهادا وقيل هو مهد الصبي اى كيف تكلم صبياسيله ان ينم في المهد ومن اهله وان لم يكن في تلك الحال موضوعا فيه فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم اجيب عبد بن جبريل او عيسى عليه السلام نادى من تحتها ان لا تعزنى وامرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالنبيه امر على ان الحبيب هو عيسى او لعلمها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او بالوحي اليها على سبيل الكرامة لم (قوله وللد على من يزعم ربوبيته) يعنى ان الحاجة في ذلك الوقت وان كانت الى دفع تهمة الزنى عن امه الا ان الله تعالى انطقه اول ما تكلم بان يقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل فلا يتعده النصراني الهيا كانه تعالى جعل ازالة التهمة عن ذاته المقدسة اولى من ازالة التهمة عن مريم فلذلك انطقه اول ما تكلم بقوله انى عبد الله (قوله نفاعا معلى الخير) حيث ينفع اصحاب الافات بسبب دعائه فانه كان يجيب الموتى ويرى الاكف والابرص وانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان سلوا عن قبل انفسهم لامن قبل نفسه (قوله وامرني بالصلاة) قيل قوله واوصاني بالصلاة وان كاه لا يدل على انه تعالى اوصاه باذاتها في الحال بل بعد بلوغه حد التكليف وحصول شرائط الوجوب والاداء ولا يفيد ان جعله الله تعالى لا انفصل عن امه قوى التركيب كامل العقل بحيث يمكنه اداء الصلاة والركعة مع صغر جسده وآتاه الكتاب وسائر ما خص به من الفضائل ولكن هذا هو الا وفق لقوله مادمت حيا فانه يغيد أن هذا التكليف مترجع اليه في جميع زمان حياته والآية تدل ايضا على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى (قوله ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره) لما كان المقصود من عطف هذه الجملة على ما قبلها تأكيده مضمون ما قبلها كان المعنى وجعلني را خاضعا متواضعا لا محي ولم يجعلني عاليا متكبرا مضيعا لحق والدني التي تأكدها لقيها مقام الوالدين الا انه عليه الصلاة والسلام عبر عن هذا المعنى بما يستازمه وهو كونه جبارا شقيا في علم الله لكونه الكناية المبلغ من التصريح (قوله والتعريف بالهدى) والمعنى هو الهدى والسلام المذكور في قصة يحيى عليه الصلاة والسلام وهو قوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا فاني والسلام الموجه اليه بالهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى

(ياخذت هرون) يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهم مائة سنة وقيل هو رجل صالح او صالح كان في زمانهم شبهوها به تكما اولم ارا اقبل من صلاحها او شبهوها به (ما كان ابوك امر اسوء وما كانت امك بعيا) تقرير لان ما جاءت به فري وتنبه على ان الفواخش من اولاد الصالحين اغش (فاشارت اليه) الى عيسى ان كونه ليحيىكم (قالوا كيف تكلم من كان في المهد صيها) ولم نعهد صيها في المهد كانه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصيها حال من المستكن فيد او تامدة او دأته كقوله تعالى وكان الله عليما حكما او بمعنى صار (قال انى عبد الله) انطقه الله تعالى به اول لانه اول المقامات وللد على من يزعم ربوبيته (اتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا وجعلني مارقا) نفاعا معلى الخير والتعريف بلفظ الماضي اما اعتبار ماسبق في قضائه او جعله المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكل الله عقله واستبأ طفلا (انما كنت) حيث كنت (واوصاني) وأمرني (بالصلاة والركعة) زكاة المال ان ملكته او منهير النفس عن الرذائل (مادمت حيا وبرابو الدني) وباراها عطف على ماركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه او وصاني اى وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجبر عطف على الصلاة (ولم يجعلني جبارا شقيا) عند الله من فرط تكبره (والسلام على يرم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) كما هو على يحيى والتعريف بالهدى والظاهر انه الجنس والمراد به بالهدى على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كتوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى

الامر ان يتوجه اليه مثله وهو غير معهود بل ليس ذلك الكلام المتوجه الى يحيى ايضا معهودا بين عيسى وبين قومه اذ لم يميز بينهم ذكره ومن حق المشار اليه بلام العهد ان يكون معهودا فكان حل الكلام على العهد خفيا ولا يظهر ان يحمل على الجنس والتعريض باللعنة على من اتهم مريم بالزنى ووجد كونه للتعريض ان الكلام للناس فلما قال وجنس السلام على اصالة وعلى اتباعي تبعاء فقد عرض بان ضد ذلك على من عداه وروى عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه قال يحيى انت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن فقال ان تسليد على نفس تسليم الله عليه لانه انما فعله باذن الله قال الامام واعلم ان اليهود والنصارى يتكبرون ان عيسى عليه الصلاة والسلام تكلم في المهد وفي زمان الطفولية واحتجوا عليه بان هذا من الوقائع العجيبة التي تواتر الدواى الى نقلها فلو وجدت لتقلت باتواتر ولو كان كذلك لمرغف النصارى لاسيما وهم اشد الناس بحثا عن احواله واشد الناس غلوا فيه حتى زعموا كونه اكلها فلما يعرفه النصارى مع شدة الحب وكال البحث عن احواله علمنا انه لم يوجد ولان اليهود اظهروا عداوته لما اظهروا ادعاء النبوة فلوانه عليه الصلاة والسلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه اشد ولكان قصدهم قتله اعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا انه ما تكلم واما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على انه تكلم بانه لولا كلامه الذي داهمهم على برائة امه من الزنى لما تركوا اقامة حد الزنى عليها في تركهم لذلك دلالة على انه عليه الصلاة والسلام تكلم في المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان الحاضرون عنده كلاما قليلا فذلك لم يشتهر وعن الثانية يقولهم لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه وانما سمع كلامه اقرار به فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله انتهى كلامه (قوله) وهو تكذيب لهم فيما يصفونه من انه ابن الله او هو الله او ثالث ثلاثة ووجد التكذيب انه تعالى اشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله ذلك اى ذلك الموصوف بهذه الصفات المذكورة بقوله اى عبد الله اى الكذاب الخ واخبر عنه بانه عيسى بن مريم ونص على انه ولد هذه المرأة وقد ذكر قبل ان ادلنا ان ذلك به مكانا شرقيا ارسنا اليها روحنا فذهب لها غلاما زكيا بان نزع في خيصها فحملته ووضعته عند جذع التخلية وهذه المذكورات توصيف له عليه الصلاة والسلام باضداد ما يصفه النصارى به ذه وتكذيب لهم بما يكون برهانا على كذبهم فهو بالغ من ان ية لهم كذبتم فيما وصفتوه به (قوله) ثم عكس الحكم اى بانهم حكموا بانه عليه الصلاة والسلام هو الله او ابنه فقال تعالى ما كان الله ان يتخذ من ولد حيث صرح بنى الولد عند واحة اى لا يصح له ذلك ولا ينبغي بل يستحيل واكد بقوله سبحانه ثم بين استحالة ذلك بقوله اذ قضى امرا فان قضى هنا بمعنى خالق كما في قوله ففقتضاهن سبع سموات والمراد انه اذا اراد خلق شيء فانه يكون من غير توقف على سبب وآلة ووجد الدلالة ان من كان شأنه ذلك كان منزها عن اتخاذ الولد لعدم احتياجه حينئذ الى شيء (قوله) والاضافة للبيان اى هي من اضافة الموصوف الى الصيغة اى التول الحق كقوله وعده الصدق اى الوعد الصدق والمحكوم عليه بانه التول الحق هو القول بان عيسى عليه الصلاة والسلام ابن مريم واتمام قصة مريم اى هنا (قوله) ومعناه كلمة الله اى معنى قوله قول الحق سواء كان سفة عيسى او بدله كلمة الله وسمى عيسى عليه الصلاة والسلام قولاً كما سمي كلمة لانه انما تكون بكلمة كن ونسأ عنها فسمى السبب باسم سببه (قوله) على انه مصدر مؤكد اى لمختمون الجملة التي لها مجتمعت غيره اى اقول قول الحق كقولك هذا عبد الحق وقولك رجع القهقرى فان المصدر في كليهما مؤكد لما يستعمل غيره الا ان المحتمل في الاول جملة وفي الثاني مفرد اعني مجرد الفعل عن نسبت الى الفاعل وقولك لا فعله البتة من قبيل الاول اى قطعت بالفعل وجزمت به قطعة واحدة اى ليس فيه تردد بحيث جزم به ثم تردد فيه ثم جزم به مرة اخرى فيكون قطعتين او اكثر بل هو قطعة واحدة لا يثنى فيها النظر ويحتمل ان يكون منصوبا على المدح ان جعل القول بمعنى الكلمة والحق من اسماء الله قال صاحب الكشف ثم انه تعالى بين استحالة اتخاذ الولد على الله تعالى بانه اذا اراد شيئاً من الاجناس كلها اوجده بكلمة كن وهو منزّه عن شبه الحيوانات التوالدة والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف على سبب فشيء ذلك بامر الا مرا المطاوع اذا اورد على المأمور الممثل انتهى (قوله) من موصولة صلتها اذا اراد الخ وقوله اذا اراد شيئاً تفسير لقوله اذا قضى اى اذا اراد قضاءه فالعنى اذا اراد ايجاد شيء فكما اراده يكون لا محالة ولا يتوقف كونه على اسباب وادوات وقوله تعالى كن عبارة عن نقاد قدرة الله تعالى ومشيئته في الممكنات فان تعلق الارادة الازلية

(ذلك عيسى بن مريم) اى الذى تقدم بعثه هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجود الا بلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم (قول الحق) خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضهير للكلام السابق اول تمام القصة وقبل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعتوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول (الذى فيه يعترفون) فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالثناء على الخطاب (ما كان الله ان يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتزيده لله تعالى عما يهنتوه (اذا قضى امرا) فلما يقول له كن فيكون تكببت لهم بان من اذا اراد شيئاً اوجده مكن كان منزها عن شدة الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب

بالمعاد من حيث كونه موجبا لوقوعه يجري مجرى امر الامر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الإرادة به
يجري مجرى امثال المأمور التقاد لاوامر مولاه فعبارة عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة التخييلية
ومن الناس من اجري الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا حدث شأ قال له كن وهذا ضعيف لانه تعالى امان
يقول له كن قيل حدوثه احوال حدوثه فان كان الاول كان ذلك خطا باع المعدوم وهو عبث وان كان الثاني
فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاي تأثير لقوله كن قيد ومنهم من زعم ان المراد بقوله كن هو الخلق
وهو التكوين وذلك لان القدرة على الشيء غير تكوين الشيء فانه تعالى قادر في الازل وغير مكين في الازل
ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكين لها فالتقديرية غير المكونية والتكوين ليس نفس المكون
لانا نقول المكون انما حدث لان الله تعالى كونه واوجده فلو كان التكوين نفس المكون لكان قولنا المكون انما
وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكون انما وجد بنفسه وذلك محال ثبت ان التكوين غير المكون فقوله كن اشارة
الى الصفة السمة بالتكوين (قوله سبق تفسيره) وهو ان المقصود من هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق
وهو الاستكمال بحسب القوة النظرية اصلا ويتفرع عليه الامر بالتوحيد فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد الحق
الذي عنده الاعتقاد بوجود الاله المستجمع لجميع صفات الجلال والجل ووحده فقال ان الله ربى وربكم وفرع
عليه الاستكمال بحسب القوة العملية الكائن بملزمة الطاعة التي هي الايمان بالاوامر والالتزام عن انواهي
فقال فاعبدوه فان قيل ان قائل ان الله ربى وربكم لا يصح ان يكون هو الله تعالى فكيفه قولان الاول ان قائله هو
سيد المرسلين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى قل يا محمد ان الله ربى وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من
مرىم والثاني ان قائله هو عيسى وان الله ربى عطف ما بعدها على قولها انى عبد الله اتانى فى الكتاب
وفيه ضعف لانه يقتضى وقوع قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله كن فيكون وهو كلام الله اعتراضا بين كلامي
عيسى والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرأ وان الله بقبح الهمة بناها على حذف حرف الجر متعلقا بما
بعده والتقدير ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله اى ولان المساجد لله
فلا تدعوا واللام متعلقة بلام تدعوا والتقدير فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لان المساجد لله فعلى هذا يعمل
ما بعد الفاء السببية فيما قبلها بخلاف الجزائية وقيل فى وجه هذه القراءة انه معطوف على الصلاة فى قول عيسى
اى اوصانى بالصلاة وبان الله ربى ويؤيده ما فى مصحف ابى وبان الله ربى باظهار الباء اقول هذا القول ضعيف لكثرة
الفواصل بين المتعاطفين ولا يؤيده ظمور الباء فى مصحف ابى لان الباء السببية والمعنى وبسبب ان الله ربى وربكم
فاعبدوه فهى كاللام ومن قرأ وان بكسر الهمة جعله كلاما مستأنفا ويؤيدها قراءة ابى ان الله بكسر الهمة
بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على وصف الربوبية فى قوله تعالى هو ربى وربكم فاعبدوه يدل على انه انما يلزمنا
عبادة الله تعالى لكونه ربنا ومنعنا علينا بانواع النعم لما تقرر من ان ترتب الحكم على الوصف المشتق مشعر
بالعملية لاسيما اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة صراطا مستقيما تشيها له
بالطريق من حيث انه يؤدى الى الجنة (قوله اليهود والنصارى) قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لفريرة وانه
ابن يوسف النجار والنصارى يختلفون فيما بينهم فى شأنه عليه الصلاة والسلام قال قتادة بنو اسرائيل بعد ما رفع
عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء اختلفوا اربع فرق فاخرج كل قوم عالمهم فاختلوا فى شأنه فقال احدهم
هو الله هبط الارض فاحبى من احبى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم يعقوبية فقالوا لثلاثة كذبت
ثم قال اثنان لثالث قل فبذلك قال هو ابن الله اظهره ماشا ثم رفعه الى السماء وهم السطورية فقال له الانسان
كذبت ثم قال احده الاثنان منهم للاخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله الله والله وهو نقصد الثالث
وهو الاسرائيلية ملوك النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله ولكنه وهو الاسلام الموحدة قال اما ما علمون ان عيسى
كان يطمع وينام وان الله تعالى لا يجوز ذلك عليه فخاصمهم فقام لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقبلوا فظفروا
على المسلمين منهم (قوله من سجد يوم عظيم هوله) يعنى ان مشهد اما من الشهود بمعنى الحضور ومن الشهادة
وايما كان فاما ان يكون مصدرا ميميا او اسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة فالمراد اما الشهادة عليهم
او شهادتهم فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام فهذه تسعة اوجه واصنافه مشهد الى يوم فى الجميع يعنى فى
كثير اليوم (قوله او من وقت اليهود او من مكانه) اى من زمان شهودهم هول الحساب فى يوم

(وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)
سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان
والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف
على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم)
اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية
قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط
الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو
ثالث ثلاثة وموحدون قالوا هو عبد الله ونبي
(فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)
من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزأؤه وهو
يرم القيامة او من وقت اليهود او من مكانه او من
سهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم
الملائكة والانبياء والسنتم وايد بهم وارجلهم
بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها

القيامه او من مكان شهودهم اياه في ذلك اليوم (قوله وقيل هو ماشهدوا به) اى قيل المراد بالشهد المأخوذ من الشهادة ماشهدوا به في حق عيسى واهد لاما شهد به عليهم الملائكة والانبيا وجوارحهم وعلى هذا ان كان المشهد مصدرا مما يكون المعنى ويل لهم من عقوبة شهادتهم في حقها في ذلك اليوم ولا وجد لان يكون اسم زمان او مكان حينئذ لا يتكلف بعيد وعلى تقدير جملة مصدرا مما وان كان يصح المعنى الا ان المصنف لم يرض به لان تخصيص الشهود به بما شهدوا به في حق عيسى واهد لا يناسب التعبير عنهم بقوله للذين كفروا فانه يشعر بان استحقاقهم للويل معلل بمطلق الكفر (قوله تعجب) فان التعجب له صفتان احدهما ما فاعله والثانية افعله به فقوله تعالى اسمع وقوله وأبصر معناه الظاهر ما اسمعهم وما أبصرهم والتعجب يجوز عليه الجهل فذكر توحيد هذه الصيغة في هذا المقام ثلاثة اوجه الاول ان يرجع التعجب الى العباد والمعنى ان اسمعهم وأبصرهم يوئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عيا في الدنيا والثاني انه ليس المراد التعجب بل المراد التهديد بما يسمعون ويبصرون يوئذ مما يسمونه فملى الوجد الاول متعلق الاسماع والا بصر منسى ليعلم كل ما يصح ان يسمع ويبصر وعلى هذا الوجه ثوى وهو ما يسمونه ويصدق قلوبهم والثالث ان هذه الصيغة وان اشهر استعمالها في معنى التعجب الا انها في الاصل لفظ امر وقد استعملت ههنا في اصل معناها والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وأبصرهم مواعيد ذلك اليوم والباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (قوله والجار والجرور على الاول) اى على ان تكون هذه الصيغة للتعجب على احدا وجهين في موضع الرفع على الفاعلية وذلك لان اكرم يزيد مثلا فله اكرم زيد اى صار زيد ذا اكرم كما غدا البعير بمعنى صار ذا غدة الا انه اخرج لفظ الماضي الذى معناه الخبر على لفظ الامر كما اخرج على لفظ الخبر ما معناه الامر والدعاء كقوله تعالى والطاقات يتربعن بالنفس والمراد الامر وقولهم رجع الله والمراد الدعاء والباء زائدة لازمة اصلا للظلال لانه لو لم ترد الباء لكان ما هو على لفظ الامر الحاضر مستندا الى الاسم الظاهر وقد تقرر ان فاعله لا يكون الا ضميرا مستترا وللتبعية على نقله الى معنى انشاء التعجب فالباء زائدة في المرفوع كما في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا فيكون الجار والجرور في موضع الرفع على الفاعلية (قوله وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين) فان لكن استدراك على قوله اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا فالمعنى لكن هم اليوم سمعوا ولا يسمعون ولا ينتظرون فغير عن اغفالهم هذا الضلال المبين (قوله يوم تحسرا الناس) الظاهر ان يوم الحسرة مفعول انذرهم لا تظرف اذ ليس المعنى انذرهم في هذا اليوم وما يقع فيه مما لا يطيق سماعه الاذان ولا تسمع قصوره الاذهان ويوم الحسرة قيل يوم الموت وقيل هو يوم القيامة وقيل هو يوم يذبح فيه الموت وقيل هو حين يخرج آخر فريق من المسلمين من النار ثم تدطبقاتها وكل من هذه الايام يصدق عليه انه حين قضى الامر اى اتم وامضى وفرغ منه فان يوم الموت قد صار الامر بحيث لا يتدارك ويوم القيامة يشتر كل احد في مقره الذى هو موضع الخلود وحين يذبح الموت يقطع ما يؤمله الكفار من انتهاء عذابهم بطران الموت عليهم كما ينتهى عذاب الدنيا بذلك ويذبح يوم الامر وينقطع الامل وكذا حين اخرج آخر المؤمنين والظاهر ان الموت عرض لا يصير جسماء حيا وبالموت والى ما مراد بذبحة بمنظر الفريقين اعلامها انه لا موت بعد ذلك البتة فطريق الاعلام غير معلوم لنا (قوله ملك ولا ملك) الملك بالضم هو التصرف في المملكة بالامر والنهى ومنه اشتق الملك على وزن كيد وهو التصرف بالامر والنهى والملك بالكسر اختصاص رقبه الغير بالانسان بحيث يستقل في منافعهما ويتمكن من التصرف فيها والوراثه الاستقلال بالملك والصرف خلافة عن الغير وحاصل الوجد الاول ان الارث مجاز عن الاختصاص الملكى اى ان الملك يقي مقتصر على الله تعالى بحيث لا يبق لاحد على الارض ولا على من عليها ملك ولا ملك كما كان يدعى في دار التكليف ان افلان ملكا ولافلان ملكا وحاصل الوجد الثانى انه مجاز عن توفى الارض ومن عليها بالافناء والهلاك توفى الوارث لارثه وعلى الوجهين الظاهر ان تعريف الارض مجمل على العموم لا العهد (قوله ملازما للصدق كثير التصديق) يعنى ان التصديق من انية المبالغة للصدق وكون الشخص مبالغيا فى الصدق يكون بحسب الكرم وبحسب الكيف ومن لازم الصدق في اقواله وافعاله واخلاقه ولم يصد عنه الاما يلباق الحق والواقع وكذا ايضا تصديقه بجميع ما ورد من عند الله تعالى قولاه وعلا بحيث لم يقع منه توقف ومهلة في قبول شئ مما ظهله من الحقوق كان مبالغيا فى الصدق كما وكيفا فاذل ذلك قال تعالى في حسنة انه كان حسدا وقال ايضا واولا ابراهيم الذى وفى وقال واذ ابلى ابراهيم ربه بكلمات فانه من والصدق اصل

وقيل هو ماشهدوا به في حق عيسى واهد (اسمع بهم وأبصر) تعجب معناه ان اسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) اى يوم القيامه جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عيا في الدنيا والتهديد بما يسمعون ويبصرون يوئذ وقيل امر بان يسمعون ويبصروا مواعيد ذلك اليوم وما يتحقق بهم فيه الجار والجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والظفر حين يتفهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين (وأنذرهم يوم الحسرة) يوم تجسر الناس السيى على اساءته والمحسن على قلة احسانه (اذ قضى الامر) فرغ من الحساب وتصدر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما يشعرا اعتراضا بآثارهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل (انما نحن نرت الارض ومن عليها) لا يبق لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او توفى الارض ومن عليها بالافناء والهلاك توفى الوارث لارثه (واليا يرجعون) يردون للجزاء (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله (نبيا) انبأه الله تعالى

كل فضيلة وملاك كل كمال وخير ولما كان الصديق اعم من النبي لان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب ان يكون كل صديق نبيا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل التصديق على قوله ملازما للصدق بل جعلهما جميعا تفسير للصدق على سبيل الترقى لما كذب الله تعالى انصارى فيما زعموه في حق عيسى عليه الصلاة والسلام بين ضلال عبدة الاصنام بالشروع في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه كان بالعرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وحقة دينه على ما قال تعالى ملائكتكم ابراهيم فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لا ياتكم كما تقولون انا وجدنا اباينا على امة فقلوم ان اسرف آباؤكم واجلهم قد راهوا و ابراهيم فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستبدلين فانظروا فيما اقام من الدليل الدال على بطلان الشرك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان (قوله ولا يقال بالحق) اي لتلايجمع بين العوض والمعوض عنه ويقال يا ايها لكون الف بدلا من الياه (قوله دعاه الى الهدي واحتج عليه وتم دعاه وتم ببطه) امور متعاطفة (قوله ابلغ احتجاج) منصوب على انه مفعول مطلق للتويع وقوله وارشفه عطف عليه وار ساقاة اللطافة يقال رجل رشيق التداي لطيفه والركون الميل السير والعبادة الخضوع لمن هو في غاية الفضل والافضل وقوله يابث لا تعبد الشيطان بمعنى لا تطعه فيما يوسوس اليك ويقول لك واسار المصنف اليه بقوله ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص حيث عبر عن عبادة الشيطان بمطاعته لما امر به و اشار الى ان قوله عصيا لم يلبس بقوله ان الشيطان مستعص اي بالغ في العصيان كانه يطلب من نفسه ان يعصى ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون في عبادتها بانها تماثيل الكواكب المدبرة لهذا العالم وانما تماثيل اسخاص معطمة عند الله يصلحون لان يكونوا شفعا وتعود ذلك من الاعذار الفاسدة فاذكره ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق التماثيل بانها لا تسع ولا تبصر ولا تفهم عن عابدها شيئا من الاعناء لا يبطل اعذارهم بحسب الظاهر الا انه عليه الصلاة والسلام احتج عليهم بذلك بناء على انهم يزعمون ان عبادتها تنفعهم وان طرقتهم مقبولة مستحسنة فين عليه الصلاة والسلام فساد زعمهم (قوله واثباتا على مولاته) اي على الدخول في جملة اعوانه واولاده وعدم الخروج عنهم بالدخول في زمرة اولياء الله فالتبثبات على مولاته الشيطان عبارة عن ثبات حكم المولاته الواقعة بينهما في الدنيا واثباتها بهذا المعنى لا ينافي قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو (قوله فانه اكبر) جواب عما يقال ربنا الله تعالى كونه وليا للشيطان على مس العذاب بالفناء السبية وهو ان يكون ولاية الشيطان اسوأ حالا واعظم عقوبة من مس العذاب نفسه حيث جعل هو موصلا اليها او جعلت هي نتيجة له والطاهر ان الامر بالعكس فان المولاته مؤدية اليه معنى لانه مقابل الرضوان وقد قال الله تعالى في حق الرضوان انه اكبر من الثواب نفسه فيكون ما يقابله اسوأ حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب ولاية الشيطان على العذاب نفسه بالفناء السبية وجعلها اعظم محذورا واسوأ حالامنه (قوله وذكر الخوف والمس وتكبر العذاب) جواب عما يقال المقام يقتضي ان يقال اعلم واوثق لان عذاب المشرك مقطوع به وان المس والتكبر يدلان على تقليل عذاب المشرك مع ان عذابه غليظ واجاب عنه بان ذلك منى على المقابلة بالجميل وترك التعليق او على عدم علمه بان اياه سيموت على الكفر فانه يتجاوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواب يمنع القطع في حقه (قوله ولعل اقتصاره الخ) جواب عما يقال للشيطان وصفا من كل واحد منهما يصلح عليه للنهي عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى وترك سجوده لا دم استعظام الامر به تعالى اياه بذلك وثانيه مساعدته للانسان قال تعالى فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتخذونه وذرت اولياءه من دوني وهم لكم عدو فم اقتصر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه عليه الصلاة والسلام لم يلفت الى معاداته لا دم وذرت له اقتصر من جنابه على ذكر ما يختص منها برؤس العزة لعل درجته في كونه رايانا اي مثالا هارفا بالله وبما يليق بشأنه فلم يرض بما رتبته الشيطان في حق الله تعالى جنابة والثاني ان عصيانه للرحن ملاك جناباته كلها واصلها الذي يتفرع عليه غيره فان ملاك التي ما يتفرع عليه الشئ او يقوم به واثالث ان عصيانه منبه على معاداته لا دم عليه الصلاة والسلام من حيث انه نسا من حسده لا دم ومعاداته اياه (قوله وقدم الخبر على المبدأ) جعل قوله اراغب خبرا مقدما وات مبدأ مؤخرا وان جاز ان يكون اراغب مبتدأ لاعتماده على همة الاستفهام وانت فاعل سدمس الخبر بل هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه والثاني انه لا يلزم منه الفصل

(ان قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا (لا يه يا ب) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال بالنبى ويقال بالانبا وانما يذكر للاستعطف ولذلك كررها (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فيعرف حاله ويسمع ذكره ويرى خشوعه (ولا ينفى عنك شيئا) في جلب نفع ودفع ضرر دعاه الى الهدي وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشفه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستحق به العقل الصريح وبأبي الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستعفاء التام والانعام العام وهو الخالق الزاخر المحيي المميت المعاقب المنيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لعرض صحيح وان شئ لو كان حيا عبر اسمعيا بصيرا مقبلا على النفع والضرر ولكي كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كاللائكة والنبين لما يراه مثله في الحاجة والانتقاد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جماد الا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يهديه الحق القويم والصرط المستقيم لما لم يكن محطوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوي فقال (يابث اني قد جاني من اعلم ما لم يأتك فاني اهدك صراطا سويا) ولم يسم اياه بالجهل المفرط ولا تصد بالعالم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ببطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضرر فانه في الحقيقة عبادة للشيطان من حيث انه الامر به فقال (يابث لا تعبد الشيطان) واستهجن ذلك وبين وجه الضرر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحن عصيا) ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخفيفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال (يابث اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحن فتكون للشيطان وليا) قرنا في المعن اول العذاب تليه وريك اوثابا على مولاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتكبر العذاب اما السجدة او الخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناباته لارتقاء همة في الرابطة اولانه ملاكها اولانه من حيث انه نتيجة معاداته لا دم وذرت منه عليها (قال اراغب انت عن آلهي يا ابراهيم) قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفاظاظ وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يابث يابثي وأخره وقدم الخبر على المبدأ وأصدره بالهزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها بما لا يرغب عنها عاقل

ثم هددته فقال (لئن لم تنتد عن مقالتي فيها والارغبة عنها (لا رجنتك) بلساني يعني الشتم والذم او بالمجاعة حتى تموت اوتبعه غني (واهجرني) عطف على ما دل عليه لا رجنتك اي فاحذرنى واهجرني (مليا) زمانا طويلا من الملاوة اومليا بالذهاب عنى (قال سلام عليك) توديع ومنازكة ومقابلة للبيعة بالحنسة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيكم ولكن (سأستغفرلك ربى) لعله يوفقك للتوبة والايان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة (انه كان في حفا) بليغا في البر والالطاف (واعتزلكم وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة يديني (وادعوربي) واعبدوه وحده (عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا) خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى

(٢٩١)

التواضع وهضم النفس والتثبيد على ان الاجابة والالائية تفضل غير واجب وان ملك الامر خائفته وهو غيب (فلا اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالهجرة الى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب) بدل من فارقه من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى والاخران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لا ينهما سجعنا الانبياء اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضل على الانفراد (وكلا جعلنا نبيا) وكلا منهما اومتهم (وهبنا لهم من رحمتنا) النوة والاموال والاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يقتصر بهم الناس ويشنون عليهم استجابة لدعوتهم واحمل لى لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واصافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يشنون عليهم وان محاسنهم لا تحفى على تبعاد الاعصار ونحو الدول وتبدل الملل (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) سويدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء واسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخاصه (وكان رسولا نبيا) ارسله الله الى الخلق فأنابهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى (ونادينه من جانب الطور الايمن) من ناحيته اليمنى من الجبين وهي التي تلى بين موسى اومن جانبه اليمون من اليمن بان تشمل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه) تقرب تشريف شبهه عن قر به الملك لمناجاته (فجيا) مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مر تفعا من النجو وهو الارتفاع لمرؤى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (وهبنا له من رحمتنا) من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا (اخاه) معاضدة اخيه وموازرتة اجابة لدعوتهم واجعل لى وزيرا من اهلى فانه كان اسن من موسى وهو مقول او بدل (هرون) عطف بيان له (نبيا) حال منه (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادقا الوعد) ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال سجدنى ان شاء الله من الصابرين فوق (وكان رسولا نبيا) يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان بأمر اهله بالصلاة والركاة) لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان بأمر اهله بالصلاة والركاة) لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان بأمر اهله بالصلاة والركاة)

بين العامل ومعهوله بما ليس معمولاً للعامل وذلك لان قوله عن آلهتى متعلق بأراغب فاذا جعل انت فاعلا فقد حصل الفصل بما هو كالمعلم من العامل بخلاف جعله خيرا واما لو جعل مبتداً فانه حينئذ يكون اجنبيا غير معمول لا راغب ولعل المصنف اراد بالخبر المحكوم به وبالمبتداً المحكوم عليه فان أراغب ان جعل مبتداً لا يكون مسندا اليه بل يكون المسند اليه فاعله ويكون هو محكوما به مقيدا فائدة الخبر والمعنى انت معرض عن آلهتى وعبادتها (قوله زمانا طويلا) على ان مليا منصوب على انه ظرف زمان والملاوة يجوز في معيها الحركات الثلاث يقال اقت عنده ملاوة من الدهر اى حيناً وبرهة ومضى على من النهار اى ساعة طويلا (قوله اومليا بالذهاب عنى) اى سليا مطيقا به من قولهم فلان ملي بكذا اى مطبق به قادر عليه فيكون منصوبا على انه حال من فاعل الهجرنى اى تركنى حسبا تقدر عليه والا صبتك بما لا تقدر عليه (قوله واضافته الى الصدق) على طريق اضافة الموصوف الى الصفة فان المراد باللسان ما يوجد به من الانبياء بطريق ذكر السبب واردة المسبب او ذكر المحل واردة الحال وتلك الانبياء لكونها صادقة لا كذب فيها توصف بالصدق مبالغة كانه قيل وجعلنا لهم نداء صادقا يذكركم الامم كلها الى قيام الساعة بما لهم من الخصال المرضية ويصلون على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آل ابراهيم في الصلوات الى قيام الساعة وعدلونك الانبياء عبارة عن امتدادها وافتنائها الى قيام الساعة فالكلام نشر على ترتيب اللف (قوله ولذلك) اى ولكون الانبياء متفرعا على الارسل في الوجود سواء كان الارسل انفس النبي او ارسال من هو اقدم فان الرسول هو الذى ينزل عليه الوحى والكتاب والنبي ينبي من غير عكس مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما صاحب وحى اى يوحى اليه (قوله وهى التي نلى عيسى موسى) يعنى ان الايمن صفة للجانب والمراد بالجانب الايمن عيسى موسى عليه الصلاة والسلام لان الطور جبل بين مصر ومدين ولبس الجبل عيسى ولا يسار فوجب ان يكون اليمين راجعا الى عيسى الذى يأتيه والمعنى ونادينه من الجانب الذى كان على عيسى موسى وهو متوجه الى الطور واضيف الجانب الايمن الى الطور للابسة (قوله شبهه من قر به الملك) لما كان الاصل في القرب قرب المكان ولا يتصور القرب المكانى بالنسبة الى الله تعالى شبه تقريره وتكليمه اياه بان كله يعلم يكلم به غيره مناجيا بحيث لم يطلع على ذلك غيرهما تقرب الملك بعض خواصه لمناجاته فاطلق اسم التقريب عليه استعارة اصلية وسرت الاستعارة الى المشتق (قوله من النجو) الجوهرى النجو والنحو المكان المرتفع الذى تطن انه نجواؤه لانه لا يعلوه السيل (قوله صرير القلم) اى صوته يقال صر القلم والباب يصصر صرير اى صوت وصرير بكرة صوتها عند الاستقاء وكذلك صرير الباب وصرير البعير وفي الكشف حتى سمع صرير القلم الذى كتب به التوراة والواح التوراة كتبت قبل خلق آدم باربعين سنة على ما في الحديث الصحيح الوارد في شان محاجة آدم موسى عليهما الصلاة والسلام وكتبتهما في اللوح المحفوظ اقدم وايضا لعل الكتبة التي سمع موسى صرير قلمها كتبة ثالثة ولا يبعد (قوله فانه كان اسن) علة لتقدير المضاف في قوله معاضدة اخيه لان هرون لما كان اسن من موسى عليهما الصلاة والسلام لم يزم ان لا يكون نفس هرون وهو بالوسى لان الموهوب يجب ان يكون اقل سامنا الموهوب له كما في قوله تعالى (وهبنا له اسحق ويعقوب) (قوله وعد الصبر على الذبح فوق) يروى عن ابن عباس انه وعد صاحبه ان ينتظره في مكان فانتظره سنة ويروى عن عيسى عليه الصلاة والسلام قال له رجل انظرنى آنك قال عيسى عليه الصلاة والسلام نعم وانطلق الرجل ونسى الميعاد ثم جاء الى ذلك المكان وعيسى هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد رجلا ونسى ذلك الرجل الميعاد فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اى وقت ينتظر قال ان واعد به نهارا فكل النهار وان واعد به ليلا فكل الليل (قوله اشتغالا بالاهم) تعليل للابتداء باهله في الامر بالعبادة البدنية والمالية فان المقصود من ذكر الاحكام المفيدة ليس بيان صدور افضل من فاعله بل المقصود بيان كونه مقيدا بالقيد المذكور فالمقصود بقوله تعالى وكان يأمر اهله بان انه عليه الصلاة والسلام يبدأهم عن هو اقرب الناس اليه في الامر بالعبادة لكون تكليمهم اهم بالنسبة اليه لكثرة حقهم عليه بالنسبة الى حق سائر امته فكلمهم ليعلمهم قدوة لمن سواهم ولم يرض بما قيل من ان المراد باهله جميع امته التي هو خيرهم فانه عليه الصلاة والسلام كان رسولا اليهم لانه خلاف الظاهر (قوله وهو بسيط شيت) اى من نسله وولد اولاده فان ادر يس هو اخنوخ بن برد بن مهلايل بن فتيان بن اتوس بن شيث بن

اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكليم قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلاك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاستقامة اقواله وافعاله (واذكر في الكتاب ادريس) وهو بسيط شيت وجد ابى نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى ازل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خطبا لقلم ونظر في علم النجوم والحساب

آدم وينتهي اليه نسب نوح عليه الصلاة والسلام فانه نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخوخ الذي هو ادريس وكان
خياطا واول من خاط الثياب قلبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار (قوله
يعني شرف النبوة) يعني قيل المراد بالمكان العلى روضة المكنة والمنزلة عند الله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع
وذلك المكان اما الجنة واما السماء السادسة ومن قال بالاول قال انه اذيق الموت ساعة ثم احيا ثم ادخل الجنة
ولم يخرج منها فهو حي هناك لا يموت بعدواختلف الذين قالوا انه في السماء اهوحي في السماء ام ميت فقيل هو ميت
وقيل حي قيل اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهم
الصلاة والسلام وقصة ادريس آخر القصص ثم انه تعالى اثنى على كل من تقدم ذكره من الانبياء بالشهادة
الشامل لهم بعد ما اثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الشفاء (قوله بيان للوصول) يعني ان كلمة من في من
التيين بيانية لان النعم عليه يجوز ان يكون تبا وغيروي والانبياء كلهم منهم عليهم والخاص بين العام وحلها على
التبعض باطل لان النعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم لان النعم عليهم بعض من ذرية آدم فجاز ان تكون من
اثنائية للتبعض كما جاز ان تكون للبيان بدلا من النبيين في قوله من النبيين فوجب ان يحمل تعريف الوصول
على الجنس للبالغة كما في قوله ذلك الكتاب وان يقدر مضاف بان يقال اولئك بعض الذين انعم الله عليهم من النبيين
وجمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بانهم من حله الله تعالى في السفينة مع نوح فقال وعمن حلنا مع
نوح والذي اخص بكونه من ذرية آدم من غير ان يكون من حل مع نوح هو ادريس عليهما السلام فانه كان سابقا
على نوح لما مر من انه جد أب نوح واسماعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم كما قال ومن ذرية ابراهيم ثم خص
بعضهم بانهم من ولد اسراييل وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام وهم موسى وهرون وذكرا ويحيى وعيسى من قبل
الام كما قال تعالى واسراييل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسراييل وكلهم من ذرية آدم ولكن جعل من قرب
من آدم من ذريته وجعل من بعد منه من ذرية من قرب منه تشريفا لكل واحد باب يقرب منه فربط الله
احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلو باعمالهم فهم في منزلة الفضل بولادتهم
من هؤلاء الانبياء ثم قال وعمن هدينا اي الى الحق واجتينا اي اصطفيانا تنبيها بذلك على انهم كما اخصوا
بهذه المنازل اخصوا بهداية الله تعالى لهم وانه تعالى اختارهم للرسل وقوله تعالى وعمن هدينا يحتمل العطف على
من الاولى والثانية والمعنى على الاول انعم الله عليهم من النبيين وعمن هدينا واجتينا وعلى الثاني انعم الله عليهم
من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم وبعض من حلنا مع نوح وبعض من هدينا واجتينا (قوله والبكى جمع بك)
على خلاف القياس والقياس في جمع اسم الفاعل من الناقص ان يجمع على فعلة نحو قاض وقضا ورام
ورما ولم يسمع بكاة في جمع بالكيل المستعمل في جمعه بكى واصله بكوى مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ومن قال
في بكيا انه مصدر فقد اخطأ لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطر في عليه وسجدا حال مقدرة لانهم حال الخروا لبسوا
ساجدين والمراد بآيات الله تعالى ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم بما تضمن الوعد والوعيد والترغيب
والترهيب والمعنى ان الانبياء المذكورين مع ما انعم الله عليهم من انواع النعم كان شأنهم اذا اتلى عليهم آيات الله وكتبه
المنزلة عليهم يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وخوفا وطعنا ثم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح
ترغيبا لنا في التأسي بطريقهم ذكر بعدهم من هو بالصد منهم فقال فخلق من بعدهم خلف اي جاء من بعدهم هؤلاء
الانبياء خلف من اولادهم يقال خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف يتبع اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون
كما قالوا في جانب الشر وعيد وفي جانب الخير وعد قال الشاعر

خلفت خلفا ولم تدع خلفا * ليت بهم كان لابلك اللقا

(قوله كسرب الخمر) عن ابن عباس قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة
وسربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب (قوله وركوب النطور) اي القرس والبقل للجهاد بل لاجل
ما ينظر اليه (قوله كقولهم فمن يلق خيرا) قابل النقي بالخير فدل على انه اراد بالنقي الشر وما قبل البيت

أمن حل اصبحت تنكت واجبا * وقد تعترى الاحلام من كان نائما

يقال نكت في الارض اذا جعل يخط وينثر باصبعه وهو كناية عن المنهم لان المنهم يفعل ذلك والواجب الحزين يقول
أمن اضغاث احلام نصبح حزينا تنكت في الارض ومن كان نائما تعترى الاحلام ثم قال

(انه كان صديقا نبييا ورفعناه مكانا عليا) يعني
شرف النبوة وارلى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء
السادسة والرابعة (اولئك) اشارة الى المذكورين
في السورة من ذكرنا الى ادريس (الذين انعم الله
عليهم) بانواع النعم الدينية والدنيوية (من النبيين)
بيان للوصول (من ذرية آدم) بدل منه
بإعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعض
لان النعم عليهم اعم من الانبياء واهم من الذرية
(ومن حلنا مع نوح) اي ومن ذرية من حلنا
خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان
من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) الباقون
(واسراييل) عطف على ابراهيم اي ومن ذرية
اسراييل اي يعقوب وكان منهم موسى وهرون وذكرا
ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات
من الذرية (وعمن هدينا) ومن حله من هديناه
الى الحق (واجتينا) (النبوة والكرامة) اذا تلى
عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاوئك
ان جعلت الوصول صفته واستئناف ان جعلته خبره
ليبين خشيتهم من الله واجباتهم له مع ما لهم
من علو الطبقة في شرف النسب وكال النفس والزلزلي
من الله عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن
وابكوا وان لم تبكوا فابتكوا والبكى جمع بك كالتسجود في جمع
ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ
حزاة والكسائي بكيا بكسر الباء (فخلق من بعدهم
خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف
صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون (اضاعوا الصلاة)
تركوها او اخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات)
كسرب الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب
والانهم في المعاصي وعن علي رضي الله عنه
واتبعوا الشهوات من بناء السيدور كوب المنظور
وليس المشهور (فسوف يلقون غيا) شرأ كقوله
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره

ومن يفو لا يعلم على النقي لائما
اوجزاء غي كقوله يلق ائاما او غيا عن طريق الجنة
وقيل هو واد في جهنم تستعذ منه اوديتها

(الامر تاب وآمن وعلى صالحا) يدل على ان الآية في الكفرة (فاولئك يدخلون الجنة) وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء المفعول من ادخل (ولا يدخلون شيئا) ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينصب شيئا على المصدر وفيد تبيد بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص احورهم (حشاش عدن) بدل من الجنة يدل البعض لاشتغالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بارفع على انه خبر محذوف وعدل علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبره ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله (التي وعد الرحمن عبادهم بالغيب) اي وعدوا ايمانهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب (انه) ان الله (كان وعده) الذي هو الجنة (مأثرا) يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتي اليه احسانا اي مفعولا متجزا (لا يسمعون فيها لغوا) فضول كلام (الاسلام) ولكن يسمعون قول لا يسلون فيد من الغيب والقيصة او التسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المقتطع او على معنى ان تسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواء كفوله

ولا يصيب فيهم غير ان سيوفهم * بين فلول من قراع الكتاب او على ان معناه ادعاء بالسلامة واهلها اغنياء عند فهو من باب اللغوظ هراواء فائده الاكرام

فمن يلي خبر احمد الناس امره * ومن يقول لا يعدم على التي لا تها
اي ومن يفعل الشر لا يعدم من يلوم عليه ومن يقول بالكسر من غوى وبانتع من غوى يغوى غياوغه ايد فهداغ
وقوله الامن تاب وآمن يدل على ان الآية في الكفرة لانه لا يقال آمن الا امر كان كافرا بحسب التعليل كما روى عن قتادة ان المراد بالخلف المذكور بقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف الى جود وعن مجاهد اسم النصارى وقيل هم مشركوا العرب وهم اولاد اسماعيل - لميد الصلاة والسلام وقيل الآية نزلت في حق المسلمين الذين يؤخرون الصلوات عن اوقاتها وعلى قول من حل الآية على الكفار يكون قوله تعالى الامر تاب وآمن استثناء مقتطعا والمعنى الامن رجوع عن كفره وآمن على شرطه وعلى صالح بعد ايمانه وعلى قول من حلها على المسلمين يكون متصلا ويكون المعنى الامن تاب عن ذنوبه ودام على ايمانه فاوئك يدخلون الجنة فان قيل الاستثناء دل على ان التوبة والايمان والعمل الصالح لا بد منها جميعا لدخول الجنة والتجاسة من النار وهو محل بحث لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة او كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليها الصلاة وان كانا باضه غير واجبة وكذا الصوم فلهما لو ما تفي ذلك الوقت كانا من اهل التجاسة مع انهم يصدر منهما عمل فلو وجد ترتيب التجاسة على العمل الصالح اوجب بان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تأتي بالاعم الاغلب (قول) ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم (نقظ شيئا في هذا التركيب منصوب على انه مفعول على اقامة المفعول به المنصوب بنزع الخافض مقام الفاعل فان نقص قد يستعمل لازما وقد يستعمل متعديا الى واحدة ال نقص الشيء نقصا ونقصانا ونقصته انا وقد يتعدى الى ثان بواسطة حرف الجر فيقال نقصت من زيد حق وقدرت في العوائد اذا وجد المفعول بدعين للقيام مقام الفاعل واذا لم يوجد فالجزم سواء ويجوز قيام المنصوب بنزع الخافض مع وجود المفعول به بدون حرف الجر مقام الفاعل ذكر في الرضى منع ثبابة المنصوب بسقوط الجار كما في امرتك الخير والوجد الجواز لا خافد بالمفعول به للصريح انتهى (قول) ويجوز ان ينصب شيئا على المصدر اي شيئا من النظم وفي قوله شيئا متكررا في سياق التي اشارة الى ان اعمال الخير التي فعلوها في حال الكفر يثيبهم الله تعالى عليها مثل اصدق وقصة الرحيم قال يحيى السنة في شرح السنة اذا اسلم الكافر بئيد الله تعالى على عمل الخير التي عملها في حال الكفر كما يجاوز عنه ويعفو عما فعل في حال الكفر من السيئات (قول) وعدن علم لما جعل جنات بدلا من المعرفة ولا يحسن ابدال انكرة من المعرفة الا موصوفة كافي قوله تعالى بالنصية ناصية كاذبة وايضا لما وصف جنات بقوله التي وعد الرحمن عبادهم ولا توصف التكرات بالمعارف احتج الى تعريف جنات عدن ولا سبيل الى تعريفها الا بتعريف عدن ولفظ عدن ليس فيه شئ من التعريف سوى العلية وسوى وقوعه مضافا اليه في العلم فان ما كان مضافا اليه في العلم لا بد ان يكون معرفة مثل عبد الله وعبد مناف وعلل عليه عدن ولا يوقعه مضافا اليه في العلم وثانيا بكونه علما للعدن بمعنى الاقامة اي حقيقة معنى الاقامة وجنسها فان اعلام الاجناس موصوفة للحقائق الذهنية المتعينة كاسامة فانه علم الحقيقة الذهنية الاسدية وكافضيرة فانه اسم للميزة المعرفة بلام الجنس وكذا لفظ عدن فانه علم المعنى العدن المعروف تعريف الجنس (قول) اي وعدوا ايمانهم وهي غائبة عنهم) على ان الباء في قوله بالغيب للملابسة كما فرض كون الغيوب من جنس الغيب وهو حال من المفعول المحذوف لوعداى وعدوا وهي غائبة عنهم ومن المفعول الثاني وهو عباد (قول) او وعدهم بايمانهم) على ان الباء في النسبة بتقدير المضاف والمعنى وعدوا عبادهم بسبب تصديقهم بالغيب وايمانهم به (قول) وعده الذي هو الجنة جعل الوعد بمعنى الموعود للإحتياج الى جعل المأني بمعنى الآتي فانه لوجعل الوعد بمعنى المصدر لا حجاج اليه لان الوعد بمعنى المصدر خيثة ان وعد الله آت لا محالة وبمعنى المفعول معناه ان الموعود وهو الجنة ما تفي اي تأتونها العباد لا محالة والمأني اسم مفعول على بابه من اتي اليه احسانا اذا فنه والمعنى ان الرحمن كان وعده اعباده الجنة مفعولا متجزا لا متاع الخلف في وعده يقال انجز وعده اذا وقي به فهو تعالى وان وعدهم بايمانهم فذلك الامر كما نه حاضر حاصل ايم (قول) فضول كلام) وهو الكلام الذي سببه ان يبلغ ويطلع لحثوه عن الفائدة تزه الله تعالى داره التي وعدوا عبادهم عن الغيب والقيصة اذ لا تكليف فيها وجعل الاستثناء او لا متقطعا لان السلام سواء كان بمعنى التسليم او بمعنى القول الذي لا يظفرق اليهم التبريس ليد ليس من جنس اللغو ويستثنى منه اصوات العصفير ونحوها من الطيور قال المبرد السلام دعاء الانسان لصاحبه بان يسلم من الافات في دينه وبدنه ويتخلص

من المكره ثم فشا استعماله في الاكرام حتى لا يفهم منه غيره ولهذا التوركت لملك صاحبك على الاهانة (قوله على عادة المتعمين) جواب عن سؤال مقدر وهو ان المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة ذالوجه في مدح الجنة به واجاب عنه بوجهين الاول ما روى عن الحسن من انه تعالى اراد ان يرغب كل قوم بما احوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة وليس الحرير وهي من عادة العجم والارائك التي هي الحال المضروبة على الاسرة وكانت عادة اشراف اليمن ولاشي كان احب الى العرب من القراء والعشاء فوعدهم بذلك والثاني انه كناية عن اعتدال احوال اهل الجنة من حيث الطعام والمشرب فان اعتدل احوال المساكين وابعد هاهنا عن الضرر هو التعدي واتعشى وهي عادة مجودة متوسطة بين الزهادة في الطعام والتفريط فيه بالاكل في اليوم والميل الى حرمة وبين الزهادة والاقرار فيه وهي الاكل متى وجدوه مرة بعد اخرى ثم نفل جوابا ثانيا وهو ان ذكره الكثرة والشي ليان دوام رزق اهل الجنة لا بيان ان الرزق انما يحصل لهم في هذين الوقتين المعلومين كما قال انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ويراد دوام الحضور عنده في كل وقت فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشى بالنسبة الى اهل الجنة ولا صباح ولا مساء ولا نيل ولا نهار بالنسبة اليهم قال تعالى لا يرون فيها سمسا ولا زمهريرا وقال عليه الصلاة والسلام لا صباح عند ربك ولا مساء بل هم في نور ابداء واجب بان المراد انهم يأكلون مطاوعا لان في الجنة غدوة وعشيا اذ قيل انهم فيها يعرفون مقاسار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها وروى ابن عدي عن ابي عبد الله عليه السلام في حديثه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهم في الجنة في كل ساعة (قوله ببقية عليهم من ثمرة ثمراتهم) شبه اعمال التي بالورث وشبه ثمرات تلك الاعمال بترك المورث اذ قضى نجبته يبقى للوارث ما به كذلك اعمال المتقين تنقض وتبقى ثمرتها لهم وهو الجنة فبصر عن ايمان تلك الثمرات لهم بالارث واشتق منه نورث فصارت استعارة بجنة ونكتة العدول الى الجواز التنبيه على ان تملك تلك الثمرات لهم اقوى وجوه التملك كانه قيل تملك الجنة ايهاهم اقوى تملك والآية تدل على ان المتقي يدخل الجنة وليس فيها دلاله على ان غير المتقي لا يدخلها وايضا صاحب الكبرياء يصدق عليه انه متق لكونه متقيا عن الكفر فيدخلها (قوله حكاية قول جبريل عليه السلام) ولا شك ان قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله تعالى فلا وجه لعطف هذه الجنة المحكية عليه بل هي معطوفة على ما تقدم من اول السورة الى هنا عطف القصة على القصة واللازم في مثل تناسب القصتين المتعاطفتين في الغرض الذي سبق الكلام لاجله وذلك تناسب موجود ههنا من المقصود من ذكر افايص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبته وهي المقصودة من هذه الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من افايص الانبياء وذنبها ببيان ما احدث الخلف بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم وقال في حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبريل عليه السلام كانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انك وان استغثت الى ولكنني اليك اشوق الا ان امرنا موكول الى الله عز وجل يتصرف فيما يحسب مستبها وارادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه وليس اجتاني عنك لاجل ان ربك ردعك وقلاك كما يقول المشركون وما كان ربك نسيا تار كاك ولا شك ان في ذكرها زيادة التسليية له عليه الصلاة والسلام (قوله ثم نزل بيان ذلك) اي ثم نزل جبريل ببيان ما يجب لمسأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها ونزل حينئذ قوله تعالى ورسولنا الامام ربك وقوله ولا تقولن شيئا اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى (قوله وقيل ان الآية حكاية قول المتقين الخ) اعنا ان له اختاره ليناسب ما قبله ويظهر عطفه عليه وانزل ههنا من انزل في الاكل اي ما جعلها وتخذها منازل كما اشار اليه بقوله نزل الجنة لانه خلاف الظاهر وايضا مقتضى ايام ربنا لان خطابا النبي صلى الله عليه وسلم كما في الوجه الاول غير ظاهر الا ان يكون حكاية الله على النبي لان ربهم ورب واحد ولو حكاية على لفظهم لقول ربنا وانما حكى كذلك ليجعل تمهيدا لما بعده وكذا وما كان ربك نسيا اذ لم يقل ربهم ومرضه لانه لا يوافق سبب انزل وما يكون الخطاب من جماعة المتقين او احد منهم فبعد وقوله ولطفه اشارة الى ان الامر هنا امر تكميل واوصف كقولك للسام انزل ههنا (قوله ما كان ربك ناسيا لافعال العاملين) اشارة الى ان النبي اصل النسيان لزيادته حتى يقتضى ثبوت اصله وانما المبالغة باعتبار كثرة من فرض

(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتقين وانتوسط بين الزهادة والزغبة وقيل المراد دوام الرزق ودوره (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) ببقية عليهم من ثمرة ثمراتهم كما سبق على الوارث مال مورثه والورثة اقصى ما يستعمل في التملك والاشقة اق من حيث انها لا تمقب بسخ ولا استرجاع ولا يتحلل برد واسقاط وقيل يورث لما يكون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد (وما تنزل الا ايام ربك) حكاية قول جبريل حين اسأله لادرسول الله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجب ورجا ان يوحى اليه فيه فابدا عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والنزل انزل على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى انزل مطاوعا كما في لفظ نزل بمعنى انزل والمعنى وما نزل وقداغب وقت الامام ربك الله على ما يقتضيه حكمته وقرئ وما ينزل بالياء والضمير للوحى (له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا تنتقل من مكان الى مكان او لا تنزل في زمان دون زمان الا بامرهم ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تار كاك اي ما كان عدم النزول لادامد الامر به ولا يمكن ذلك عن ربك الله اك وتوديعه ابا كاك زعت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل ان الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما نزل الجنة الا بامر الله واطفئه وهو مالك الامور كلها السالفة والمرتبة والحاضرة فاجدناه وما نجد من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ربك ناسيا لافعال العاملين وما وعداهم من الثواب عليها

تعلقه بكافى وماربك بسلام للعبيد فى احد الوجوه وقوله بيان لامتناع النسيان لان رب هذه المخلوقات العظيمة
 المدبر لامرها والمسك له فى كل حال لا يمكن ان يجرى عليه الغفلة والنسيان على ما مر فى قوله لا تأخذ سنة
 ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض (قوله وهو خير محذوف او بدل من ربك) فى قوله وما كان ربك
 نسياً او فى انكشاف هو بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف أى هورب السموات والارض كقوله
 وفاتية خولان فأتبع فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسياً من كلام المتقين وما بعده
 من كلام رب العزة انتهى وانما لم يجر على البدل ان يكون من كلامهم لانه لا يظهر اذ ذلك ترتب قوله فاعبدوا الخ
 عايه لانه من كلام الله تعالى لئلا يضل على الله عليه وسلم فى الدنيا بلا شك وجعله جواب شرط محذوف على تقدير
 اذا عرفت احوال اهل الجنة واقوالهم فأقبل على العدل لا يلائم فصاحبة النزول للعدل عن السبب الطاهر الى
 الخفى كذا فى الكشف ولا يذكر المصنف لما فيه من التكلف بل جعله من كلام الله تعالى لئلا يضل على الله عليه وسلم كما مر
 (قوله خطاب للرسول الخ) الترتب مأخوذ من الفاء وقوله لما عرفت الخ اشارة الى وجه الترتب وقوله واعمال
 بانصب عطف على مفعول ينبأك اشارة الى تفسيره على كونه حكاية قول المتقين وقوله فأقبل لم يقل فاسترلان
 الاقبال كان حاسلاً قبل لئلا يتكرر مع ما بعده لان معناه البات والاستمرار فلا يتوهم ما ذكر كما قيل (قوله
 وانما عدى باللام الخ) أى والمعروف تعديته بعلى لما فيه من معنى السبوت المتعدى بها كأنه قيل اصبر ثابتاً
 على طريق التخصين وجعل العبادة بمنزلة القرن اشارة الى قوله رجعتا من الجهاد الا الصغير الى الجهاد الاكبر
 وقيل انه استعارة تسمية ملوحد الى مكينة بجملة الابد بمنزلة القرن والصبر والمداومة عابها بمنزلة النبات له ولو كان
 تضميناً لم يتجوز ان العبادة بمنزلة القرن وفيد نظر (قوله مثلاً يستحق ان يسمى آلهما الخ) يعنى ان اصل
 السمى المشارك فى الاسم وذلك يقتضى المسألة خصوصاً فى اسماء الاجناس فأريد بنى السمى نفي المثل على طريق
 الكناية ونفى السمى حيث يجوز ان يراد بنى المشاركة فيما يطلق عليه مطلقاً كآله لان الكفرة وان سموا اصنامهم
 آلهة لكنهم اسمية باطلة لا اعتداد بهم وان يراد بنى المشاركة فيما يختص به كآله والرحمن كما قل عن ابن عباس رضى
 الله عنهما وأشار اليه المصنف رضى الله بقوله واحداً يسمى الله وقوله فان المشركين الخ لتعليل الاول ولهم لان
 الله اصله الاله كما مر فتأمل (قوله لظهور احديته) أى احديته الذاتية المتقضية للتفرد باسمائه العلية
 وتعالى بكسر اللام اسم مصدر مضاف وقوله وهو تقرير للامر أى كونه لا يفعل الا بانه وامره وقوله ولا يستحق
 العبادة أى التى هى غاية الخضوع اذ لا تليق بغيره المتعدد الامثال وهذا يعلم من ذكره بعد الامر بعبادته فلا يردان
 التفرد بالتسمية لا يدل على التفرد بالعبادة (قوله المراد به الجنس ناسه الخ) لما كان هذا القول لا يصدر الا من
 الكفار المنكرين للبعث اختلف فى تفسيره فقيل الفيه للعهد والمراد شخص وهو ابى بن خلف فاعنه الله اوجباة
 معينون وهم هؤلاء الكفرة وقيل انهم الجنس وهو حيث مجازاً ما فى الطرف بان اطلق جنس الانسان وايراد بعض
 افراد كآله لخلق الكل على اجزائه ارفى الانسان بان يستدل الى الكل ما صدر عن البعض كما يقال بنوا فلان قتلوا
 قتيلاً واقتاتل واحد منهم ولا منافاة بين كون التعريف للجنس المفيد للعموم واردة البعض كما هوهم وانما
 الكلام فى انه هل يستلزم فى مثله لخصه او لحسنه رضى انباقيين به او موطوعةهم ومساعدتهم حتى يعد كأنه صدر
 منهم او لان قتل بالاول ورد عليه الاعتراض بان بقية الناس من المؤمنين لم يرضوه وايضا صرح المصنف رضى الله
 باشتراطه فى سورة التوبة فان لم يقل به هنا تناقض كلامه وان وفق بينهما بعض اهل العصر بما لا طائل تحته
 فيحتاج الى تكلف ما قيل ان الاستغراب مر كوز فى طبائع الكل قل النظر فى الدليل فالرضى حاصراً بالنظر الى
 الطبع والجنس لكن كلام المصنف لا يساعد كما استراه والحق عدم اشتراط ذلك وانما يشترط لحسنه نكتة يقتضيهما
 مقام الكلام حتى يعد كأنه صدر عن الجميع فقد تنكرن الرضى وقد تكون المظاهرة وقد تكون عدم الغوث والممدد
 ولذا اوجب الشرع القسامة والدية وقد تكون غير ذلك فذكر المصنف رضى الله وجهه فى محل لا يقتضى تعينه
 فكانت النكتة هناك لما وقع بينهم اعلان قول لا يذنبى ان يقال مثله واذا قيل لا يذنبى ان يترك قائلاً بدون منع
 ما رقت جمل ذلك بمنزلة الرضى حثاهم على انكاره قولاً وفعلاً تأمل واعلم ما ذكره لا يختص بالنسبة الاسنادية
 بل يجرى فى الاضادة كقوله * فيفب نجح عيسى وقد غر بوا به فى انكشاف وقوله على الخبر المراد به ما يقابل
 الانباء الذى منه الاستفهام ولبعض الناس هناك كلام محتمل لاحاجة الى ايراده وقيل ان المراد بكونه على الخبر

وقوله (رب السموات والارض وما بينهما) بيان
 لامتناع النسيان عايه وهو خير محذوف او بدل من ربك
 (فاعبدوا واصطبروا ما دته) خطاب للرسول
 صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أى لما عرفت ربك
 بانه لا يذنبى له ان يفسدك او اعمال العمال فأقبل
 على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بأخطاء الوجى
 وهى الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى السبب
 للعبادة فيما يورد عليه من التداكد والمشاقة كقوله
 للبحار اصطبر لقرئك (هل تعلم له سمياً) مثلاً
 يستحق ان يسمى كذا او احداً يسمى الله فان المشركين
 وان سموا الصنم آلهما لم يرضوه الله قط وذلك لظهور
 احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقل الله
 والمكارة وهو تقرير للامر أى اذا صح ان لا احده
 ولا يستحق العبادة غيره لا يكن بدمى التسليم لامر
 والاشتغال بعبادته والا يصطبر على مثاقها
 (وبقول الانسان) المراد به الجنس باسره فان القول
 مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنوا فلان
 قتلوا فلاناً واقتاتل واحد منهم او بعضهم المعهود
 وهم الكفرة واوى بن خلف فانه اخذ عطاساً بالية
 ففقتها وقال يرع مجداً تابعت بعد الموت (اذامات
 لسوف اخرج حياً) من الارض او من حال الموت

بحسب الظاهر والا فالهمزة مقدرة فيه وليس بمتعين كما ذكره المحرّب وقوله من العرض فالتحريك حقيق او من حال الموت فهو محذور عن الانتقال من حال الى اخرى (قوله لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة الخ) يعنى ان تقديم الضرف لان الاخراج الى الحياة ليس بمنكر مطلقا وانما المنكر كونه بعد الموت فقدم الضرف لانه محل الابتكار والاصل في المنكر ان يلى الهمزة ويحمل انه اريد انكار وقت بعينه مائة لانه يتيسر انكاره بطريق برهني كما ذكره الطيبي ولما كان وقت اخر احواله وخروج الروح ليس وقت اخر احواله حيابل بعده زمان طويلا قال الرضى ان فيه معطوفا محذوفا للقيام القرينة عليه والمعنى ان اذامات وصرت ريمياء البعث اى مع احواله الامرين كقوله اذامتنا وكنا عظاما ورفاتا نبعث خلقا جديدا فن قال انه لا حاجة اليه ان يصيب الله ان يراد بحال الموت زمان ممتد الى اول زهوق الروح كما هو المتبادر منه وربما يكون في كلام المصنف رجاء الله اشارة اليه او بقوله انهم اذا احوالهم في تلك الحال علم احواله اذا كانوا رفاتا بالطريق الاول وفي كلام الفاضل المحشى هاتين قول (قوله وانتصابه بفعل دل عليه اخرج) سواء كان من لفظه او معناه كما بحث ونحوه وعد المانع اللام وحدها دون سوف لانها لا تمنع على الصحيح خلافا لابن عطية قيل ان الرضى ذكر ان كلمة الشرط تدل على لزوم الجراء الشرط وتحصل هذا الغرض على ان اذامته مع كونه بعد حرف لا يعمل ما بعده فيما قبله كما قلنا في فصح وان في قولك ان جئتني فاني مكرم ولا م الابتداء في قوله اذامته ما ممت لسوف اخرج حيا انتهى فان قلت هذا مائة على ان العامل الجواب والجمهور على انه الشرط كما في المعنى قلت ذلك في ان الشرطية وهذه نظرية انتهى ولا ينبغي ان كلام الرضى ليس بمنقح عليه كما في كتب العربية واما ما ذكره من السؤال والجواب فانه يصرح ان يكون على كلام الرضى فانه مخالف لصرح كلامه من جعلها شرطية ولا من قبل المصنف رجاء الله فانه لا يعارض كلام الرضى فلا حاجة لاراده بر منه وسياقه ياباه فدير (قوله وهي هنا مخصصة الخ) هذا بناء على ان اللام اذا دخلت على المضارع خلصت الحال وهو قول للنحاة ومن قال انها لا تخلصد يمتنع بمثل هذه الاية ولا يحتاج الى دعوى تبريدها للتوكيد وقوله كما خلصت بصيغة التجهول وهذا ايضا بناء على ان اصله الاله وال فيه للتعريف والتعويض عن الهمزة المحذوفة فانها اذا اجتمعت مع حرف النداء جعلت لمحض التعويض لا ليجتمع تعريفاً وهذا احد اقوال المشهوره فيه ايضا ولذا قطعت همزته وقوله فساغ الخ تعليل لما نحن فيه (قوله مع ان الاصل ان يتقدمهما الخ) نبع في هذا الزمخشري حيث قال وسطبت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى ايقول ذلك ولا يذكر حال النساء الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك العجب واغرب الخ وهو مخالف للمذهبين في مثله بحسب الظاهر من انها مقدمة من تأخير فاصله والا يذكر الخ او داخلة على مقدر واصله ايقول كذا اول الخ واما كونها مؤخره من تقديم في قوله احد مع انه قيل عليه ان الهمزة ليست من المعطوف لتقدمها عليه ولا من المعطوف عليه لتأخرها عنه وكيف يدخل الانكار على يقول مع تأخر الهمزة عنه وفيه ابطال صدارتها فالاولى ان يقال لا يذكر معطوف على مقول مقدر بعد الهمزة لدلالة الاول عليه فيرتفع الاشكالان وقيل لا يخلو اما ان يعطف لا يذكر على يقول المذكور او على المقدر فعلى الاول لا يستقيم تقريره المعنى بقوله ايقول ذلك ولا يذكر لان التقدير حينئذ اولاً يذكر وعلى الثاني لا يصح قوله ووسطبت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قيل ويمكن ان يجاب باختار الاول وقوله ايقول ذلك ولا يذكر بيان لمحصل المعنى لا لتقدير اللفظ وذلك لان الهمزة افادت انكار الجمع لدخولها على الواو المفيدة له وكما قيل ايتكر الجمع بين القول وعدم ان ذكر فصح قوله ايقول ذلك ولا يذكر واما السؤال بطلان صدارة الهمزة فلا وجه له لما ثبت من التوسع فيها خاصة انتهى * اقول في هذا كله تكلف ما لا حاجة اليه مع خروجه كله عن القانون التحويلي اما الاول فلان كلامهم غير محتاج لاذكروه كما تقدم عن كتب واما الثاني فلخصنا لذهب اليه النحاة من المذهبين لانهما يقل احداً مؤخره من تقديم وايضا صدارتها وانما هو بالنسبة الى جعلتها بالاتفاق وتقدمها على الواو اتم فيه كما صرح به في المعنى فلا حاجة الى التوسع المذكور كما انه لا حاجة الى ما قيل ان وجوب التصدير انما هو اذا بقيت على معناها الاصلية الاستفهامية اما اذا تولد منها معنى آخر كالانكار والتوبيخ فلا يبقى وجوب التصدير ولذا قال المصنف رجاء الله مع ان الاصل الخ اذا عرفت هذا فعنى كلام الشيخين هنا وهو بيان لمعنى التظيم مبنى على القول بعدم التقدير انه لم يدخل حرف الانكار على العاطف فتوسط في الكلام مع ان القول المذكور منكر كعدم التذكر فاجابوا بانه وان كان اصل المعنى المراد منه هذا ومقتضاه ان يقال ايقول

وتقديم الضرف وايلاً و حرف الانكار لان المنكر يكون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لانه فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قلها وهي هنا مخصصة للتوكيد محذوفة عن معنى احوال كما خلصت الهمزة واللام في بالله للتعويض فساغ افتراؤها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذامات بهمرة واحدة مكسورة على الخبر (اولاً يذكر الانسان) عطف على يقول وتوسط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه

إذا الخ لا إله عدل عند الله لا على أن النكر بالذات عدم التذكر والقول بامتناعه عنه فلا وجه لما قاله المحشي فإنه لو تأمل لم يقله (قوله بل كان عدما صرافا الخ) بناء على أن الشيء يختص بالموجود وقد تقدم تفصيله وقوله فإنه أي الخالق المفهوم من خلقنا وإنما كان أعجب لأنه لم يسبق له مثال يحذى حذوه ولم تجتمع له مادة قبل حتى يعاد على أحد المذاهب المعروفة في المعاد كما أشار إليه المصنف رحمه الله وقوله على الأصل أي بدون ادغام فإنه خلافه والتفخيم لشيأه صلى الله عليه وسلم من الإضافة فإنه لا تعظيم كعب الله وقوله لما روى الخ تأييداً للمعية للتصريح بها في الحديث وقوله مخصوصا بهم أي بالكفرة وقوله ساغ بالعين المحمودة أي جاز وبنته إلى الجنس بأسره نسبة مجازية كما روى وقوله فإنهم بيان لوجود الجوز في قوله فقد حشروا جميعاً معهم فجاز نسبتهم مجازاً لهم وقوله ليرى بيان لحكمة حشرهم معهم والقبلة هنا حسن الحال والمرة وقوله وشما تهم عليهم كان الظاهر أن يقول بهم فكانت علقه بمقدراى مقتضين عليهم وقوله يدهمهم بالمال المهلة أي بفجأهم وهذا بناء على العموم في الإنسان فالأمر من يجوز أقرب منها والكفار مستمرون على الجني لعدم استطاعة القيام فلا يتنافى جمع ضمير نحشرهم أن يراد بالإنسان واحد كما تقدم والعدة بضم العين المهلة ما يعد لها بعده (قوله أولاده من توابع التوافق) أي من لوازمه والتوافق تفاعل من الوقوف والتعاول تفاعل من القول والمفاعلة فيه حقيقة خلاف أخواته فإنها فيد للسلالة يعني أن الجني وهو جلوس المستوفى على ركبة شأن من يجيئ للجلوس أمير وقوله قبل التواصل الخ أي قبل الوصول إلى جزاء ما هو سببه وهذا عام لجميع أهل الموقف كما في الآية المذكورة على أحد تفسيراتها لخاص كاقبل وإنما الفرق أن المؤمنين يقومون بعد تلك الحالة والكفار يبقون على هيأتهم الأولى فلا يس في تقريره سوء ترتيب وقوله على المعتاد أي في الحساب حال من ضمير جاثون أو متعلق به وقوله وإن كان الظاهر الفناء لأنه لف ونشر وقوله فلعلهم عبر به لأنه من المغيبات وقوله جشاة أي للهول كما مر على أن جشيا حال مقدرة بخلافه على ما قبله لأن قوله لنحضرهمهم حول جهنم جثيا يقتضي أن يكونوا في الاحضار وهو أمر عند ذلك فإن أريد العموم لا يكون كذلك لأن منهم السعداء وهم يمضون على أقدامهم فإذا وصلوا إلى شاطئ النار تجاثوا فأن قلت جثيا حال مقدرة بالنسبة إلى السعداء وغير مقدرة بالنسبة إلى الأشقياء فكيف يصح التقدير وعدمه في حالة واحدة قلت إن أريد بالجني الجني حول جهنم فهي مقدرة بالنسبة إلى الكل ويجوز أن يكون من استناد ما لبعض إلى الكل كما مر وكل منهما مجاز فآمل والقرأة بكسر الجيم للتباعد عن الأجزاء والكسائي وحقق جثيا بكسر الجيم اتباعاً والباقيون بالضم ووقع في النسخ هنا تحريف (قوله من كل أمة شايعة ديناً) أي تبعت ديناً من الأديان وفي نسخة رئيساً فيكون تفسيراً لا شديداً معاً عليه كسباً أي الأولى هي المشهورة وهذا بناء على إبقاء السبعة على معناها المتبادر منها وهي الفرقة والثقة مطلقاً قبل المؤمنين كما أشار إليه بقوله ولو خص الخ وقوله تنبيه ولم يفسره بما في الكسائي بطائفة تبعت غاويها من الغواة لأن المقام يقتضي التخصيص وإن كان عاماً للاتباع بحسب الوضع لكنه أورد عليه أن قوله أشد عتياً يقتضي اشتراكهم في العتى بل في أشدته وهو لا يناسب المؤمنين وأجيب عنه بأنه يصح أن يتعدى بالتقدير أو يجعل من نسبة ماله بعض إلى الكل وهذا الظاهر ولا يبعد فيه من جهة العربية لأن التفضيل على طائفة لا يقتضي مشاركة كل فرد فرد كما إذا قلت هو أشجع العرب لا يلزم وجود السباعية في جميع أفرادهم وقوله أعصى إشارة إلى أن العتوى على هذا بمعنى العصيان لأنه كما فسرنا الأغلب النوع والطاعة وبه يعمون مأمور ووجه التثنية على هذا أنه خص العذاب بالأشد معصية ففقد إيماء إلى التجاوز عن كثير منهم فلا وجد لما قيل أنه لا دلالة له عليه وقوله ويلرحهم أريد دخل فيه إشارة إلى أن في النظم حذفوا وإيجازاً وكثيراً منصوب على نزع الخافض وهو عن الألام وقوله طبقتاها وفي نسخة طبقتاها أي النار (قوله وإيهم منى على الضم عند سيرويه) أي المشددة تكون موصولة واستهامة وشرطية واختلف فيها وفي إعرابها فذهب سيرويه إلى أنها موصولة وكان حقها أن تبني كسار الموصولات لشبهها بالحرف بافتقارها لما بعده من الصلة لكنها لما لم تلتزم الإضافة إلى المفرد لفظاً نحو إيهم أو تقديرها نحو إيهم من خواص الأسماء بعد التشبيه فرجعت إلى الأصل في الأسماء وهو الأعراب ولأنها إذا اضيفت إلى تكرة كانت بمعنى كل نحو أي رجل وإذا اضيفت إلى معرفة كانت بمعنى بعض نحو أي الرجلين كما ذكره النحاة فحملت في الأعراب على ما هي بمعنى كما ذكره المصنف رحمه الله لكنها إذا حذف صدر صلتها عند ما زاد نفعها المعنوي وهو الإيهام والافتقار إلى الصلة بنقص الصلة التي هي بحرؤها أقوى مشابهاً لها

تخرف فعدت الى ما هو حق الوصول وهو البناء فهي على هذا منصوبة محلا وبالجملة بعدها الحذف والمبتدأ بالجل
 لها من الاعراب والقرأة بالنصب عن طلحة تقتضي انهم مفعول منزع عن وقد خطي في هذا بانه لم يسمع منه وبانه
 يقول يا عرابها اذا افردت عن الاضافة وكيف اذا اضيفت كما في الغنى وهو مفصل في محله وقوله ومرفوع معطوف
 على قوله منصوب المحل (قوله والجملة محكية) اي بالقول الذي هو صلة الوصول انخوف الذي هو مفعول
 لنزعن واي استفهامية لاموصولة كما بينه وهذا قول الخليل رحمه الله ولما كان لا معنى لجل الزرع لمن يسأل عنه
 بهذا الاستفهام اوله بعضهم بانه مجاز عن تقارب احوالهم وتساويها في التوحي حتى يستحق ان يسأل عنها والمراد
 الذين يجاب بهم عن هذا السؤال وهو مع تكلفه في حذف الوصول مع بعض الصلة وهو تكلف على تكلف
 ومثله لا يخفى وقوله او معلق عنها فالجملة في محل نصب والمعنى لنزعن جواب من يسأل عنه بهذا ولما كان
 التعليق عند الجمهور يختص بافعال القلوب اجاب عنه بانه نزع شئ عن شئ يقتضي افرانه وتمييزه عنه وهو سبب العلم
 به فهو لتخصنه معنى يلزمه العلم عموم لمعاملته والاول ان يقال انه مستلزم العلم لم من يراهم بذلك ومن لا يرى
 التعليق مختصا بافعال القلوب كيوتس لا يحتاج الى التأويل (قوله او مستأنف) اي استئنافا نحو يا اوياسيال
 كانت اي موصولة كان قيل من الزرعون فقيل هم انذين هم اشد واما اذا كانت استنافية فالظاهر الاول ويجوز
 الثاني على التأويل السابق وجعل من زائدة على مذهب الاخفش الذي يجوز زيادتها في الايات وكونها مفعولا
 لتأويلها باسم وهو مبني على تقدير تخصيصه بالكفرة وفيه نظر (قوله واما مبتدعة) معطوف على قوله
 بالابتداء وهذا منقول عن المبرد في الاعراب في قال انه لم يقله غير المصنف لم ينصب قال ابو البقاء يعني ان ايهم فاعل
 لم تضمنه شيعة من معنى الفعل والتقدير لنزعن من كل فريق يشيع ايهم اشد واي موصولة بمعنى الذي فتأمل وقيل
 اي هنا شرطية (قوله وعلى البيان الخ) يعني ان الجار والمجرور متعلق بفعل مخذوف او مصدر ميم لان المعنى
 على من والصلي بماذا كما في سقايه ورعاياه كما نه قيل على من عتوا فقل عتوا على الزجر وبماذا يصلون فقيل يصلون
 بالنار لا بالمصدر المذكور لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فن جوزه مطلقا وفي الجار والمجرور للتوسع فيه جوزه
 هنا وكذا من قال ان عتيا وصلياجع عات وصال وهو منصوب على الحالية (قوله لنحن اعلم بالذين هم اول بالصلي
 الخ) قيل هذا على كون صليا تميرا عن النسبة التي بين اول والمجرور وبما بعده على انه تمير عن النسبة التي بين
 المبتدأ والخبر وقيل ان الاول على تقدير كونه تليين وبما بعده على تعلقه بفعل فتأمل وقوله وقرأ جزء الخ وقع
 في بعض النسخ وقد قرأوا به في جنبها كما مر وهو اتباع وكذا في عتيا فالاول ذكره ايضا وقوله ويجوز وكان المراد اولا
 الفرق باجمعا (قوله التفات) اي من النسبة للحضور وهو جار على التفسيرين في الانسان بالعموم
 والخصوص وعلى الثاني الورود بين ويجوز ان يكون خطابا للناس دون التفات لامر كما في الكشف وقوله
 الاواصلها الخ يعني ان المراد بالورود اما دخولها حقيقة لكنها لا تحرقهم بل تصير عليهم ردا وسلاما كما راي ابراهيم
 عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث وعليه كثير من سلف المفسرين واهل السنة والمراد به الجواز على الصراط
 او القرب منها او الجنوح حولها ورجحه التبخان كثيرهما لانه يلائم قوله ثم نجى الذين الخ لان الظاهر منه انه تفصيل
 وتفريق بعدما اشتركا فيه ويقدر فيه مضاف ايضا الى نذر الظالمين فيما حولها بقرينة قوله لتحضرونهم حول جهنم
 والمراد المروء على الصراط بعده واما على التفسير الاول فلا يحتاج الى تأويله فتأمل وقوله خادمة بالحاء الموحدة والهم
 والاول اول اي ساكنة وتنهار اي تسقط وتقع والمراد انها تحرقهم وتشتعل كما يقال وقع في البلد حريق (قوله
 واجبا) اي كالجواب في تخم وقوعه والمقصود المبالغة ان لا يجب على الله شئ عند اهل السنة واليد اشار بقوله
 وقضى الخ وهو تفسير مقضيا كما ان ما قبله تفسير حتما (قوله وقيل اقسام عليه) اي معنى كان حتما مقضيا كان قضا
 لازما والمقصود منه انشاء القسم وقد يقال ان على ربك المقصود منه اليقين كما تقول لله على كذا اذا لمعني له
 الاثنا كذا المزموم والقسم لا يذكر الا لله وعلى ورد في كلامهم كثير القسم كقوله

على اذا ما جئت ليلى ازورها * زيارة بيت الله رجلا ن حافيا

فان صيغة النذر قد يراد بها اليقين كما صرح جوابه او المراد بهذه الجملة القسم كقولهم عرمت عليك الاما فقلت
 كذا وورد في الحديث لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد فتمت النار الا تحلة القسم فقال ابو عبيد وتبعد جماعة من
 المفسرين ان المراد بالقسم في الحديث قوله وان تمكم الاواردها الآية واعترض الا زهرى في التهذيب بانه

والجملة محكية وتقدير الكلام لنزعن عن من كل شيعة
 الذي يسأل فيهم ايهم اشد او معلق عنها لنزعن عن
 نصبت معنى التميز لا لزوم للعلم او مستأنف والفعل
 واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لنزعن
 بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تسبيح وعلى
 البيان او متعلق بالفعل وكذا البناء في قوله (ثم لنحن
 اعلم بالذين هم اول بالصلي) اي لنحن اعلم بالذين هم
 اول بالصلي او صليهم اول بالنار وهم المنتزعون ويجوز
 ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم
 مضاعف لاضلالهم واضلالهم وقرأ جزء والكسائي
 وحفص صليا يكسر الصاد (وان تمكم) وما تمكم
 التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم
 (الاواردها) الاواصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون
 وهي خادمة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام
 سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم
 لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم
 قد ورد تموها وهي خادمة واما قوله تعالى اولئك
 عنها مبدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها
 الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان علم ربك
 حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا اوجه الله
 على نفسه وقضى بان وعد به وعد الا يمكن خلفه
 وقيل اقسام عليه

لا قسم فيها فكيف يكون له تجلته وقبل ان هذا اصل معناه ولكن لما كان ما يتخلل به يكون امر اقليل ان اريد به ايقاع شيء من الخلو ف عليه كبر قسمه اودكر ما يتصل من الخث وهو قوله ان شاء الله فعبير به عن الغلبة كقول كعب وقعهن الارض تحليل قال ابن هشام في شرح بابت سعاد اللهم الان يقال ان قوله تعالى وان منكم الاواردها معطوف على ما يجب به القسم في قوله فور بك لتعشيرهم الخ وهذا مراد من قال ان الواو لتقسم وفيه بعد وقال السبكي هذا عجيب فان القسم مقدر في قوله وان منكم ويدل عليه شتان احدهما قوله كان على ربك حتما مقضيا قال الحسن وقتادة قسما واجبا وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم منه القسم كما امر الحديث ولك ان تقول انه لا تقدير فيه والمعنى ما قررناه كما رواه قال الجلاء معطوفة على جواب القسم احوال وحديث البعد غير مسجوع لعدم تخلل الفاصل (قوله وهو دليل على ان المراد بالورود الجوارح) وجه الدلالة انه لما ذكر ان الجميع واردو هائم قسمهم الى ناحج والى متروك على حاله في الجني علمان مقابل جات لكنت غير متروك على جسيه فجاء ما ذكر وهو ظاهر والدليل هو قوله ونذر الظالمين الخ وقد بين ايضا بان المؤمنين يشارقون الكفرة الى الجنة بعد تباينهم وتبقى الكفرة في مكانهم جائين والتزكيب يدل على انتهاء المؤمنين من الورطة التي تبقى الظالمون فيها للتقابل بينهما فدل على ان تلك الورطة هي الجحيم حولها وانهما يشتركان فيها وقد كانا اشتركا في الورد فدل هذا على ان المراد بالورود هو الجحيم وهذا انما يتأتى بتقدير مضاف في قوله فيها اي في حوالها بقرينة الجوارح اشارة الى المصنف رحمه الله في قال انه لا يجري في كلام المصنف رحمه الله لم يصعب لكنه قيل على ان الجوارح انما يصلح قرينة ان ثبت انه لا جوف في النار وهو غير معلوم وايدان الظالمين لا يتركون حولها بل يدخلون النار ورد بان الجحيم حول جهنم علم من الآية السابقة فرد هذا اليها والتفصيل بالمعلوم اول وليس المراد بالدلالة الدلالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال وقوله لا يتركون الخ لا دليل فيه ولا يخفى ان ما ادعاه من الاولوية الظاهر خلافة لان جسيه انكره اعيدت فالظاهر انها غير الاول لاسيما وقد وقعت فاصلة وهي كالتافية لاجتناب تكرارها مع ما فيها من التندبر والخالف للظاهر فامل (قوله او بيان الرسول صلى الله عليه وسلم الخ) او نتائج الجمع لان ما هو بين اللفظ والمعنى بنفسه لا يكون مبيها بيان الرسول صلى الله عليه وسلم كالتجمل ونحوه لاسيما ومبين على الاول بمعنى متبين بصيغة اسم الفاعل وهذا بمعنى مبيته بصيغة اسم المفعول فلا حاجة الى القول بانها لتع الخلو حتى يقال ان فيه تغليا اذا اريد بالآيات جسيمها بخروج التشابهات وقوله واخوات الاعجاز فهو من بان معنى ظهر كاول فلو قدمه كان اظهر وعلى هذا فالاستناد اليها مجاز او بتقديره مضاف وقوله لاجلهم فاللام للتعليل وقوله او معهم فاللام صلة القول كقولك كذا اذا خاطبته به وما وقع في بعض النسخ او منهم تحريف (قوله موضع قيام او مكانا) كان الظاهر اي مكانا لان اصل معناه الاول ثم استعمل لطلق المكان كما في الكشف وما قيل ان الاخير في التعبير والتفسير لا يجدي لانها لاسيما متزايدة فالظاهر انه اراد ان المقام محل القيام فان المقام بمعنى المعاش كما ذكره الراغب في قوله قياما لاناس فهو على ظاهره وان كان متساويا لعمود فهو خاص اريد به عام فقد زيادة على ما في الكشف وهو على الاول بمعنى المنزل فتوافق القرآنان ولا يتكرر مع قوله تباين ولا قد مد والتدنى كالنادى مجتمع لندوة القوم ومخاضهم ومزل ان كان بضم الميم بمعنى النزول فهو عطف على اقامة وان كان بفتحها فهو عطف على موضع وكان الظاهر عند حيز (قوله والمعنى الخ) ناخر الى ما مر في تفسيره ثبات وعلمهم معطوف على الحال ويظهر متوافق به لا بقصور حتى يكون الظاهر ابدال الباء بعلى كما قيل وقوله ايضا اي كما روي عليهم انكار الحشر بقوله اولا ذكر الخ والتهديد بما قيد من الاشارة لاهلاكهم والتعص هتاما استدلو به من حسن حالهم في الدنيا على حسن حالهم في الآخرة لخلقه فين قبلهم من القرون وهو تنقض اجالي كما بين في آداب البحث وهو معناه اللغوي وهو الابدال وكتم خبيثة واستنهاية وهي على كل حال لها المصدر فلذا قدمت وانقرن اهل كل عصر وقد اختلف في مدته وهو من قرن الحيوان سمي بالتقدم كما اشار اليه ومنه قرن الشمس لاول ما يطلع منها (قوله وهم احسن صفة لكم) بناء على انه يجوز وصفها كما ذكره الزمخشري وتبعه ابا بقاء ورده ابو حيان بان الهامة صرحوا بان كم سواء كانت خبيثة او استنهاية لا توصف ولا يوصف بها كالغدير وحده صفة قرن ولا يرد عليه كم من رجل قام وكم من قرية هلك بناء على ان الجار والمجرور يسميان تعلقه بمحذوف هو صفة لكم كما ادعى بعضهم ان الرضى اشار الى لانه يجوز في الجار والمجرور ان يكون خبر المبتدأ بمحذوف والجملة مفسرة لاحتلالها فادعاه غير

(ثم تجبي الذين اتوا) فبسا قون الى الجنة وقرأ الكسائي وبعقوب تجبي بالتحفيف وقرئ ثم بتخ التاء اي هناك (ونذر الظالمين فيها جسيا) منارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجحيم حوالها وان المؤمنين يشارقون الكفرة الى الجنة بعد تباينهم وتبقى الكفرة فيها منارة بهم على هيأتهم (واذا تخلى عليهم آياتنا بينات) مر ثلاث الالفاظ بينات المعاني بنفسها او بيان الرسول صلى الله عليه وسلم او او اختصت الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم او معهم (اي الفريقين المؤمنين والكافرين) خيرة قاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومزل (واحسن نديا) مجلسا وجمعة ما والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارستها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حفظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بنفاه من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد بنقضها بقوله (وكم اهلكنا) قبلهم من قرن هم احسن ائانا ورثنا) وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيسا به وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن صفة لكم والانا تميز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدمته والخرق مارث منه

مسلم عنده واخرى يضم الحاء المحجمة وسكون الراء المهملة وثاء مثلية ومثناة تحتية مارت الى قدم وبلى وقيل
 مالبس وقيل اردأ المتاع (قوله وانرى المنظر فعل من الرؤية الخ) يعنى انه على هذا فعل بمعنى مفعول واما على
 القراءة الاخرى فيحتمل انه منه ايضا لكن ابدلت همزة ياء وادغمت ويحتمل انه لا يبدل فيه وانه من روى
 من الما يروى ريانند عطش ولما كان الرى به التضاريف والحسن استعمل فيه كما يقال هوربان من التميم كما قال
 ريان من ماء التميم بلغة ورق الشباب وقوله على انه من الرى ان كان بفتح الراء فهو ظاهر لان الرى اسم ما خوذ من
 ذلك المصدر وان كان بالكسر كما ضبط بالقاف اكثرها فهو مصدر والتعنة بفتح النون ويجوز كسرهما التعم والتزفة
 فأتى عن الابتداءية المتضمنة لتسايرهما كما فى الكتاف مع اتحادهما اللفظا ومعنى لان مدخول من معناه الخفيف
 هو التزفة والراد به على طريق المجازا والكتانية المنظر الجميل والهيئة الخسنة فاقيل انه نظر الى المغايرة باعتبار
 كونه مذكورا في النظم ونقلوا عن اهل المغذا والى ان الثاني مصدر وما فى النظم اسم فانه كذلك فى القاموس
 وهذا اولى تكلف بارد وقوله على القلب الى القلب المكاني بتقديم اللام على العين فوزنه فلم كما يقال فى رأى
 راء (قوله كالطحن) بكسر الطاء وسكون الحاء المهملة وتون الحاء المطحون واخبر بكسر الحاء انجمدة وسكون
 الياء الموحدة وراء مهملة من خيرا لارض اذا زرعها وهو مصدر بمعنى الزراعة ومعنى ما زارع عليه اسم كالضن
 كما ذكره ابن السدي في مثله (قوله وقرى ريانحذف الهمزة) اى والقصر وهى قرية ابن عباس رضى الله عنهما
 وقد قرى ايضا بالمد ومعناها امر آة بعضهم بعضا كما فى الدر المصون واما هذه القراءة فقد خرجت على وجهين
 احدهما ان يكون اصلها ريان شديد الياء تخفف يحذف احدى الياءين وهى الثانية لانه التى حصل بها الثقل ولان
 الآخر محل التغير والثاني ان يكون اصلها ريانا ساكتا بعد هاء هزمية فتقلت حركة الهمزة الى الياء فمخفت
 على القاعدة المعروفة (قوله وزيامن الى الخ) الى انشائي بفتح مصدر زوا بمعنى جعد لان ارى بمعنى الهيئة
 ويكون معنى الاثبات ايضا كما ذكره المبرد فى قول المنقي

أش فقل الضعاف يوم باتوا - يذى ارى الجبل من الاثبات

وهو واوى لا يأتى كما فى القاموس وقوله فانه اى الى بالكسر (قوله ثم بين اخ) اى بين بعد استقص الجواب
 عما تمسكوا به وقوله وانما العيار هو من قولهم عايرت بين المكيال والميزان اذا اتحتته وعدها بعلى تضمنه معنى
 الدلالة والفضل هنا معنى ازيادة ولذا قاله بانقص (قوله فيجده ويجهله بضرب العسر) اشارة الى ان معنى المد
 وهو تطويل الجبل ونحوه اى يديه تطويل العسر وقوله وانما اخرج الخ اشارة الى ان صيغة الامر مستندة لطبر
 كما يستعار الخبر للامر وقد اشار الى بقوله اولا فيجده لانه لكونه كائنا لا محالة كائنا ما مور به المثل ليقض اعذارهم
 وتقوم عليهم الحجة كما فى الآيتين المذكورتين او هو دعاء بامهالهم وتنفيس مدة حياتهم كما فى الكتاف (قوله
 غاية المد) فيه تسخ لان الغاية اما مجموع الشرط وجوابه ان قلنا ان الجسر هو الكلام او مفهوم الجواب ان
 قلنا انه هو الكلام والتبسط قيده وعلى القول الثاني فانه يعترض ومرضه لبعده وصاحب الكشاف
 اختار هذا وقد مد (قوله تفصيل للوعود) التفصيل مستند من اما كما ذكره انحاء ولا كلام فيه وانما
 الكلام فى قوله يوم اقامة فان قيل ان المد والقول بضعان حين الموت وعند معاينة العذاب ولذلك يؤمن عنده
 كل كافر فالمراد بالساعة ما يشمه ومن مات فقد قامت قيامته ولا يخفى ان ما ذكره من ادناويل لتصل الغاية بالمعنى
 لا يناسب ما فى النظم لان الساعة لا تطلق عليه كيود القيامة وامر الفاصل سهل لان امور هذه الدار والى الاقعد
 فاصلة لتقصيها الا ترى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نار والنسب وعيدهم بما يشاهدونه فى الدارين لانه الدال على
 الخرى (قوله والجنة محكمة بعد حتى) فهى مستأنة وحتى ليستجارة ولا عاطفة وهكذا هي حيث دخلت
 على اذا الشرطية عند الجمهور وهى منصوبة بالشرط والجزاء على خلاف المشهور وذهب ابن مالك الى انها جارة
 كما فى المعنى وقوله محكمة اشارة الى انها غاية للمقول باحد القولين فهو جاز عليها فليس هذا على انه غاية
 للمد نعم ما بعده صريح فيه (قوله اى قسمة وانصار الخ) وجد التقابل فيه ظاهر فاراد ياندى
 من فيه كما يقال المجلس العالى للتعظيم فلذا عبر به والتقام مئة وعبرنا بالمكان والجند اشارة الى ان
 الاول فيه سرية وجور بخلاف هذا فانه مكان شرو محاربة قتال (قوله عطف على الشرطية
 المحكمة بعد القول الخ) فى هذه الجنة وجوه فقل انها مستأنة لا محل لها وقيل انها معطوفة على جواب

وارى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والمحبر
 وقرأ القون واين ذكوان زيا على قلب الهمزة وادغامها
 او على انه من الرى الذى هو التعمه وابو بكر رشا على
 القلب وقرى ريانحذف الهمزة وزيامن الى وهى الجمع
 فانها محاسن موحدة ثم بين ان جميعهم استدراج وليس
 باكرام وانما العيار على الفضل والقص ما يكون
 فى الاخرة بقوله (قل من كان فى الضلالة فليد له
 الرجن مدا) فيجده ويجهله بطول العمر والمتعة وانما
 اخرج على لفظ الامر ايذانا بان ادمهاله مما ينبغي
 ان ينعله استدراجا وقطعا لعاذره كقوله تعالى انما على
 لهم ليرداودا انما وكثره اول نعمكم ما تذكر فيه من
 تذكر (حتى اذا راوا ما يوعدون) غاية المد وقيل غاية
 قول الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خبر حتى
 اذا راوا ما يوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل
 للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين
 عليهم وتعذيبهم اياهم قتل واسرا واما يوم القيامة
 وما ياتى لهم فيه من الخرى والنعك (فسيعلمون من هو
 شر مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس
 ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلا ووبالا عليهم وهو
 جواب الشرط والجنة محكمة بعد حتى (واضعف
 جندا) اى فئة وانصارا قابل به احسن بدا من حيث
 ان حسن النادى باحتماع وجوه القوم واعيانهم
 وظهور شوكتهم واستظهارهم (وزيد الله الذين
 احتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكمة بعد القول
 كانه لما بين ادمهاله الكافر وتمييعه باخياة الدنيا
 ليس لنفضه

من وهو قوله فلم يحدد الخ واختاره في الكشف واعترض بأنه غير مناسب معني اذ لا يتجه ان يقال من كان في الضلالة يزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا اعرابا سواء كان دعاء او خبرا في صورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت موصولة وفي موضع الجزاء ان كانت شرطية فهو في حكم الجزاء وعلى كلا التقديرين فهي خالية من ضمير يربط الخبر بالمبتدأ والجواب بالشرط واجيب بان المعنى من كان في الضلالة زيد في ضلالته و زيد في هداية اعدائه لانه بما يفيظه ومن شرطية لاموصولة واشترط ضمير يعود من الجزاء على اسم الشرط غير الظرفي ممنوع فانه غير متفق عليه عند النحاة كما في الد والمصون مع انه مقدر كما سمعته وفي كلام المصنف اشارة اليه لكنه لما كان لا يتخلو من تكلف لم يختره والثالث ما اختاره المصنف وهو انه عطف على مجموع الجملة الشرطية ليم التقابل فانه صلى الله عليه وسلم امر ان يجيبهم فليوث بذكر القسمين اصالة كما في الاول وهذا اول كما في الكشف (قوله اراد ان بين الخ) ارادة الخير والتعويض من قوله والباقيات الصالحات الخ فمبادل من قصور حظوظه الدنيوية التي كانت لغيره للاستدراج وقطع المعاذير وقوله وقيل قد علمت وجه تمر بضمه وقوله كانه قيل الخ فلا يارم عطف الخبر على الانشاء ولا عدم الربط المعنوي واللفظي كما مر وانه وضع فيه الظاهر موضع الضمير (قوله الطاعات التي تبقى عائدتها اي فائدتها فبقاؤها بقاء ثوابها وقوله ويدخل اشارة الى ان المراد بها ما ذكره او ما وقع في بعض التفسير المأثورة من تفسيرها بما ذكر على سبيل التمثيل لا التخصيص والحصر (قوله الخدجة) اي الناقصة وقوله سيما بخذف لا بما اجازه الرضي وقال ابو حيان انه لم يسمع في كلام العرب وقوله كما اشار اليه الخ لان المراد ما يرد اليه والمراد به العاقبة وهي بمعنى الماك وقيل انها بمعنى المنفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهو قريب منه (قوله والخير ههنا اما مجرد ان زيادة الخ) جواب عما قيل كيف فضلوها عليهم في خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضي المشاركة فيدوهم لاثوابهم وعاقبتهم لا خير فيها وهو ظاهر وقوله ههنا اي في هذه الآية اي في المحلين كما صرح به بعض ارباب الحواشي لافي قوله خير مردا فقط لانه لما فسر الثواب بالعاقبة الشمالة للثلاثة الدنيوية للاثواب المتعارف لم يتجه الى تأويل الخيرية فيه كما قيل وسعري تفصيله فاجاب اولاً بان المقصود مجرد الزيادة بقطع النظر عن مفضل عليه بخصوص بشاركة في ذلك وتحقيقه كما ذكره بعض علماء العربية ان لافعل اربع حالات احداها وهي الاصل ان يدل على ثلاثة امورا تصاف من هو له بالحدث الذي اشتق منه وبهذا كان وصفا ومشاركة مصحوبه في تلك الصفة ومن يذم موصوفه على مصحوبه فيها وبالاخيرين فارق غيره من الصفات والثانية ان يخلع عنه ما تماز به عن الصفات ويتجرد للمعنى الوصفي والثالثة ان تبقى عليه معانيه الثلاثة ولكن يخلع عنه المعنى الثاني ويخلفه قيد آخر فان الاشتراك مقيد بذلك الصفة التي هي المعنى الاول فيصير مقيدا بالثالث وهو الزيادة لكن لافي المعنى المشتق منه كقولهم العسل احلى من الخ ل فان لافعل زبادة في حلاوته وهي اكثر من زبادة الخ ل في حلاوته قال ابن هشام في شرح السهيل وهو بدعي جدا والارابعة ان يخلع عنه المعنى الثاني وهو المشاركة وقيد المعنى الثالث وهو كون الزيادة على مصاحبه فيكون للدلالة على الاتصاف بالحدث وعلى الزيادة مطلقا لا مقيدة وذلك نحو يوسف احسن اخوته انتهى وهذا الاخير هو الذي اراده المصنف رجاء الله بجوابه الاول فالمعنى ان ثوابهم وهم ردهم متصف بالزيادة في الخيرية على من اتصف بها بقطع النظر عن هؤلاء المقتخرين بدنياتهم فلا يلزم مشاركتهم في الخيرية حتى يرد السؤال وثانياً بانه على طريقة قولهم الصيف احمر من الشتاء يعني لبس المراد تفضيل نفس الباقيات على ما انتفع به الكفرة من حيث المنفعة بل في الكلام حذف واضمار والمعنى ان كل واحد من ثواب المؤمنين وعقاب الكفرة وان كان بالغالى ما هو غاية الكمال في بابه لكن بلوغ الثواب غاية ازيد واكثر من بلوغ العقاب غاية كيف لا وفي الجنة من الضعف والا ففضل ما لا يقاسر قدره والنار من عدله تعالى لا يزيد عقاب العصاة على مقدار معصيته والمقصود من بيان حال ثواب المؤمنين ليس تهديدا اضدادهم بل هو في نفسه مقصود بالبيان فلا يرد ان يقال هذا الجواب غير مناسب لمقام التهديد مع انه في حين المنع ايضا (قوله كان لحساب عليه مال فتقاضاه) اي خباب بن الارت قال كنت في الجاهلية اي في حال الجاهلية فعملت للعاص بن وائل فاجتمع على عنده مال فاتيتہ اتقاضاه فقال لي الخ (قوله ولما كانت الرومية) يعني ان الرومية مجاز عن الاخبار في الاعلام لجامع التنبية

اراد ان يبين ان قصور حفظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليعد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والمجده ولا اله الا الله والله اكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما منع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يقتخرون بها سيما وما لها النعيم المقيم وما ل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله (وخير مردا) والخير ههنا اما مجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احمر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده (افرايت الذي كفر يا ايها الذين آمنوا) وقال لا تؤثروا مالا ولدا) نزلت في العاص بن وائل كان نجاب عليه مال فتقاضاه فقال له لاني تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جنتي فيكون لي ثم مال وولد فاعطيتك ولما كانت الروية اقوية سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وفرأ حنة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كما سدد في أسد اولة فيه كالعرب والعرب

والاستفهام مجاز عن الامر بجامع الطلب فكان ارأيت بمعنى اخبر بعد ذلك اي عقيب ذلك من قال انما مات
 لسوق اخر ج خيافاته تعالى حتى اولا قول منكري الحشر على وجه الانكار عليهم ثم اقام الدليل على صحته ثم قال
 افرأيت وعطف قصة هذا الكافر على الحكاية السابقة بقوله اولا يدكر الانسان ثم هدد التكرين وساق الكلام الى
 ههنا فحكي ههنا كلام من قال على سبيل الاستهزاء والطمع في القول بالبعث لا وتين مالا وولدا (قوله تعالى اطلع)
 بهمة واحدة مقتوحة لانها هي همة الاستفهام وهمزة الافعال محذوفة للوصل ومثله افترى على الله كذبا
 (قوله وتأتى عليه) اي خلف عليه الجوهرى آل يؤلى ابله خلف وتأتى وتأتى مثله فان قوله لا وتين جواب
 قسم محذوف والجملة القسمية في محل النصب على انها مقول القول (قوله الاباحد هذين الطير يقين) وهوان
 يلج المرء من شأنه الى ان يرتقى الى عالم الغيب الذي توجد به الواحد القهار او يتقرب اليه بأخذ منه عهده بان
 يؤتيه في الآخرة مالا وولدا (قوله فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد) فن اتخذ العهد عند الرحن خالصا
 لوجهه قبل عهده الرحن ووعد الثوبة والاكرام واعده عند مواسم العمل الذي عهد الله عاملة بالثواب عهدا
 لكونه سببا لنيل عهده الله (قوله سنظهره) يعني ان سين التسوييف وان دخلت فعل الكنية التي لا تأخر
 عما يصدر من المكلف من القول والعمل كما قال تعالى ما يلطف من قول الالديه رقيب عتيد الا ان المراد بنسب
 الكنية تعريف تبيينها وظهورها على طريقة قوله اذا ما اتينا لم تلدني لثيمة * ولم تجدى من ان تقرى بهايدا
 فان قوله لم تلدني جواب واذا ظرف للمستقبل من الزمان وليس المراد عدم الولادة في المستقبل لان الولادة قد
 وقعت قبل الانساب بل المراد ان يتبين ويظهر في المستقبل انها لم تلد في الماضي لثيمة وقوله لم تجدى بداي قرأنا
 خلاصا يقال لا يد من كذا اي لا فرق منه يقول اذا اتينا وعين كل واحدنا من اتصلت نسبتة اليه صحت بافلاية
 اني لست بان لثيمة وظهورك ما تضطري الى الاقرار بذلك اقتصر الشاعر على ذكر الام لان الام اذا كانت من
 الكرام فالاب اولى ويجوز ان يريد به التعريض بكون ام المخاطبة لثيمة (قوله او سنقيم منه) على ان يراد بالكنية
 المنوطة التي هي عبارة عن اثبات العمل في الحقيقة ما يؤدى ذلك اليه من المجازاة والانتقام على طريق اطلاق اسم
 السبب وارادة المسبب (قوله ونطول له من العذاب) على ان يكون المدمعنى تطويل مدة العذاب والخلود
 فيه كما يقال مد الله في عمره ومده في عيشته اي امهله وطول له فيكون من المد لا من المدد وأشار بقوله ما يأتى له الى
 ان قوله من العذاب صفة موصوف محذوف اي تطول له شيئا من العذاب اي نوعا من العذاب يستحقه هذا
 الكافر الذي قال لا وتين مالا وولدا (قوله او يزيد عذابه) على ان يكون قوله بمد من المدد وتضعيف العذاب
 كما قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فان مدم وماده يستعملان بمعنى واحد اي زاده وألحق به ما يقوله ويقال
 مد الجيش اذا ألحق به المدد (قوله تعالى وزنه ما يقول) يجوز ان يكون الضمير في محل النصب بترع الخافض
 فيكون ما يقول مفعولا به والتقدير وزنت منه ما يقول اي مسمى ما يقوله ومدلوله لانفس قوله ويجوز ان يكون
 ضمير زنه مفعولا لصريح ما يقول بدلا منه بدل اشتمال فالمعنى رث ما عنده من المال والولد باهلا كما اياه وبأيتنا
 فردا قد سلب منه ما كان له في الدنيا من علاقة الابوة والمالية وهذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قضاه
 جلنا بينه وبين ان يقول وبأيتنا فردا غير قابل به ثم انه تعالى لما بالغ في تحقيق الحشر والبشر وازد على
 من انكرهما شرع بعده في الرد على عباد الاصنام فقال واتخذوا من دون الله آلهة والبراد بالقرينة الانقطاع عنها
 في العاقبة بالكلية ولا شك ان مثل هذه القرينة لا يحصل الا للكافر والافالو من والكافر سبوا عند البعث
 في كونهما منفردين عن النسل والولد لقوله تعالى ولقد جئتنا فرادى كما خلقناكم اول مرة ثم شفاوتون بعد ذلك
 فالو من بلا في اجابه والولادة وما اشتهاه والكافر يحال بينه وبين ما يشتهي ويفرد عنه ايدا (قوله سيجد
 الآلهة الى قوله اوسنكر الكفرة) يعني ان ضمير يكون يجوز ان يرجع الى الآلهة لانه اقرب مذكور قيل انه تعالى
 يحكى الاصنام يوم القيامة حتى يوشوا عبادهم ويترأوا منهم فيكون ذلك اعظم خسرتهم ويجوز ان يرجع الى
 المشركين وقوله يعادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان عاد الضمير المحرور فيه الى المشركين العابدون والى المفعول ان
 عاد الى الآلهة وضمير يكونون يعني ان يكون للآلهة على تقدير ان يفسر الضد بضد العز وكذا على تقدير ان يفسر
 بالعون لان ما يكون ذل على المجدين المشركين وما يكون عوننا في عذابهم هم الآلهة والمعاون قد يسمى ضد الآلهة
 بضاد العدو وينافيه لما تنهك عليه واما ان يفسر الضد بالكفر وترك العباد فضمير يكونون حيث يكون المشركين

(أطلع الغيب) أقصد بلغ من عظيمة شأنه الى ان ارتقى الى عالم الغيب الذي توحده الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتأتى عليه (ام اتخذ عند الرحن عهدا) واتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطيرين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه (كلا) ردع وتنبه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه (سنكتب ما يقول) سنظهره له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما اتينا لم تلدني لثيمة * اي تبين اني لم تلدني لثيمة اوسنقيم منه انتقام من كتب جرعة العدو وحفظها عليه فان نفس الكنية لا تأخر عن القول لقوله تعالى ما يلطف من قول الالديه رقيب عتيد (ومعه له من العذاب مدا) ونطول له من العذاب ما يستأهله اوتزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترأه واستهزأه على الله ولذ لك اكده بالصبر دلالة على فرط غضبه عليه (وزنه) بعوته (ما يقول) يعني المال والولد (وبأيتنا) يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول متفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزرا) ليعتزوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لعز زهم بها (سيفكرون بعبادتهم) سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتموهما لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وسنكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون عليهم ضدا) يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العزاي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقدها نيرانهم او جعل الوال الكفرة اي يكونون بكافرين بهم بعد ان كانوا بعد ونهبا

و يكون عليهم بمعنى اعدائهم وضد خبر بعد خبر والمعنى ويكون المشركون اعداء الالهة ويكفرون بهم بعد ان كانوا يعبدونها فقول المصنف او جعل الواو للكفرة قسيم لجملة قوله يؤيد الاول اذا فسر الضد الخ (قوله وتوحيد) جواب عما يقال كيف افرد قوله ضد ما ع انه خبر عن جمع وتقرير الجواب انهم وان كانوا اشد ادا في نفس الامر الا انهم كشيء واحد من حيث اشتراك الجميع في المعنى الذي به مضادتهم فلذلك جعلوا ضد واحد ونظيره انه عليه الصلاة والسلام جعل المؤمنين مع كثرتهم بواحدة لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وموافقهم فعملهم كشيء واحد لذلك واول الحديث المؤمنون تنكأ فداؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم قوله عليه الصلاة والسلام تنكأ فداؤهم اي يتساوون في القصاص والديات والكفارة النظير والمساوى وقوله وهم يد على من سواهم اي هم مجتمعون على اعدائهم لا يسهوهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا على جميع الاديان كما انه جعل ايديهم بواحدة وفعلهم فعلا واحدا ونظيره اجعل النفاق يديدا اي فرق بينهم فان افردت اليد في مقام الجمع دل على الاتفاق والاجتماع وان جمعت اريد الشقاق والافتراق (قوله وقرئ كلا) بفتح الكاف والتثنية على انها كلا التي للردع والتثنية الذي فيها التثنية وهذا التثنية يلحق آخر الايات والانصاف المصرة ويلحق الفعل والاسم المعروف باللام قال

اقلى اللوم عاذل والعنان * وقول ان اصبحت لقتل اصاب

الاصل لقد اصابا والعنان باشباع فتحة الباء للوزن ثم قلب الاشباع نونا وهذا التثنية في الحقيقة لترك التثنية لانه اذا يؤتى به اشعار بترك التثنية وذلك لان الالف والواو والياء في القوافي تصلح للتثنية لما فيها من المد فيبدل منها التثنية اذا قصد الاشعار بترك التثنية فخلو التثنية من المد فيجوز ان يكون تثنية كلا من التثنية الذي لترك التثنية وان يكون تثنية التثنية ومثل هذا التثنية يسمى التثنية الثابت مناب جرف الاطلاق على ان يكون كلا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كأنه تعالى لما قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا قال تعالى رداعليهم كل هذا الرأى كلا وتكون هذه الجملة مستأنفة ويكون قوله سيكفرون استئنافا آخر (قوله وكلا) اي وقرئ كلا بضم الكاف والتثنية على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المفعول لان المراد من سيكفرون انكار الالهة وكل ما نسب للمشركون اليها من الشفاعة والنصرة والابعاد من النار الدال عليه ليكونوا لهم عزا فلذلك قدر انما نصب سيكفرون لكونه مناسب له ثم انه تعالى لما ذكر حال المشركين مع الاصنام في الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين في الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الا ان يقول في تفسير ارسلناهم سلطانهم اي قيصناهم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وهما في المعنى واحد لانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيصوا وقرن بعضهم بعضا قال الامام اجيب الاصحاب بهذه الآية على انه تعالى يريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت فلا تاعلي فلان موضوع لا فائدة انه سلطه عليه لارادته ان يستولى عليه قال عليه افضل الصلاة والسلام قل باسم الله وارسل كلبك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يقيدان الله تعالى سلطهم عليهم لارادته ان يستولى عليهم وذلك بقيد المفعول ويتأكد هذا بقوله تعالى تؤذهم انا فان معناه لتؤذهم انا ويتأكد هذا بقوله تعالى واستقرز من استطعت منهم ثم قال لا يجوز ان يكون المراد بالارسل الخلية لانه تعالى كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بين الصالحين من عباده وبينهم ثم انه تعالى خص الكافرين ارسلا الشياطين عليه فلا بد من تخصيص الكافر بالذكر من فائدة الآية ههنا ولا بد ان يكون من الله تعالى معنى في الكفار ليس ذلك المعنى في المؤمنين ومعنى في المؤمنين ليس ذلك المعنى في الكفار وهو انه تعالى اذا علم من المؤمنين الرغبة في الاجابة وفقهم لذلك وهداهم واذا علم من الكفار اباؤهم لاذكر سلطهم عليهم والازوال والاعراض اخوات معناه التوبيخ وشدة الازعاج (قوله فانه لم يبق لهم) اي لم يبق بينك وبين ما نطلبه من هلاكهم الا ايام محصورة وانفساس معدودة والعدوكا به عن سرعة تقضي آجالهم وقلة ايامهم عدلان الكثير ربما يستمر عنه لكثرته (قوله تعالى يوم نحشر) منصوب باضمار ذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدا او بما بعده من قوله لا يملكون الشفاعة قال ابن عباس هم الذين اتقوا اطاعته واجتنب معاصيه وقوله تعالى الى الرحمن اي الى جنته ودار كرامته ويدل عليه ما ذكر بعده وهو قوله ونسوق النجيين الى جهنم لانه مقابلة (قوله ولعله لان مساق الكلام في هذه السورة لتعداد نعيمه

وتوحيد لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فائهم بذلك كشيء الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتثنية على قلب الالف نونا في الوقف قلب الالف الاطلاق في قوله اقل اللوم عاذل والعنان * او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيكفرون كلا سيكفرون بعبادتهم (الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين) بان سلطانهم عليهم اوقيصنا لهم قرناء (تؤذهم انا) نهرهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطق به الايات المتقدمة (فلا تجعل عليهم) بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعد لهم) ايام آجالهم (عددا) والمعنى لا تجعل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفساس معدودة (يوم نحشر المتقين) نجيعهم (الى الرحمن) الى ربهم الذي غفرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعيمه الجسم وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها

(الجسم) فدل ذكر اسم الرحمن غلى انه انما انعم بها تفضلا ورحمة لعباده وذكره عند شرح احوال الكافرين بها
 تو يخالهم بتعكيسهم لما ينبغي فان حق من تفرديا نعم اصول النعم وفروعهما ان يختص بغاية التعظيم والاکرام
 ولا يشكر غيره وهم به كفر واوشعوا حقوقه وعبدوا غيره (قوله) كما يقصد الوفاة على الملوك) اى ركانا على هيئة
 جنة ومحاسن مجموعة عن على رضى الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال لا والله ما على ارجلهم يشكرون ولكن يؤتون
 بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها حال من ذهب وازتها الزر جديف يكون عليها حتى ينسربون ابواب الجنة (قوله
 عطاها الخ) الوردد جع وارده وهو الذى يسير الى الماء ولما كان العطش لازما للورود صح ارادة عطاها اى طلبا بالماء
 من لفظ ورد اعلى انه مجاز مرسل بطريق لفظ المنزوم وارادة اللازم (قوله الضمير فيه العباد) اى لاهل المنحصر كلهم
 واختلف فى ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم والمصنف قدم الاحتمال الاول وقرره على وجهين
 الاول مبنى على ان يراد بالعهد الايمان وما يتفرع عليه من الاعمال التى وعد الله تعالى لصاحبها سعادة الآخرة
 وكرامتها والمعنى لا يملك احد من اهل المنحصر ان ينفع احدا بشفاعته الا ان يكون الشافع عن قدم اعمالا صالحة خالصة
 اوجد الله تعالى مستعانة به لكون عاملها موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخرى وية التى من جلها ان يستأهل
 صاحبها بيبها لان يشفع فى العصاة فقوله على ما وعد الله متعلق بقوله يستعده ويستأهل والوجه الثانى مبنى على
 ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدى بالباء وهى محذوفة فى الآية كما فى قوله امرتك الخير
 (قوله ومجمله الرفع) اى ومعمل قوله تعالى من اتخذ الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين
 اى على انه بدل من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة على تقدير المضاف
 فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرر ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب
 والبدل كقولك ما جاءنى احد الازيد والازيدا (قوله وقيل الضمير للعجربين) عطف على قوله الضمير فيه العباد
 فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة شفاعة غيرهم لهم لشفاعتهم لغيرهم لان الجرم لا يستأهل ان يشفع فى مجرم مثله
 وقوله بالاسلام عطف بيان لقوله به موضح له اشارة الى ان المجرم يستعد ان يشفع له بمجرديايمانه وان كان من اصحاب
 الكبار لما قبل الخير ومومن لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا فدخل فيه صاحب
 الكبر لانه باقراره واعتقاده بالتوحيد والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق ان يشفع له
 كما يستحق اصحاب الصغار لذلك فان كل واحد منهما مجرم موكل امره الى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان
 شاء عفاه تفضلا او بشفاعة الشافعين فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق التعذيب فعلى هذا التأويل تكون
 الآية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبر لا يعفوله وصاحب الصغرة مغفوره ومن كان مغفورا
 الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة متعلق على مذهبهم وبما يدل على ان المجرم يستحق الشفاعة بمجرد
 الايمان والافرار بالشهادتين ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 قال كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد عليك فى هذه الحياة الدنيا بانى
 اشهد انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكنلى الى نفسى طرفة عين فانك
 ان تكنلى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدى من الخير وانى لا ائق الابرجتك فاجعلنى عندك عهدا تؤدبه الى
 يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد طبع الله عليه طبعاً ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى متاد ابن الذين
 لهم عند الله عهد فدخلون الجنة هذه رواية الامام الواحدى فى البسيط والطبع الحتم وهو التأثير فى الطين ونحوه
 يقال طبع الكتاب وعلى الكتاب طبعاً اذا حتمه والطابع بالفتح الحتم يريد به انه يختم عليه ويوضع كما يشعه الانسان
 بما يعز عليه وقال الامام الرازى ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كتمان الشهادة وظهور وجه دلالة الآية
 على ثبوت الشفاعة لاهل الكبار (قوله الضمير يحتمل الوجهين) يعنى قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون
 للعجربين كما يحتملها ضمير لا يملكون ثم لما راد الله تعالى على عبدة الاوثان عادالى الرد على من اثبت له ولدا كما قالت
 اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون فى هذه الآية
 (قوله مرة) اشارة الى ان بناء الفعل للتكثير نحو تبضع الرجل اى خرج بضعة قليلا قليلا والبضع العرق ووجه
 التكثير فيه انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموت البهائم فيكثر ما يبطاوعه ضرورة فلذلك
 كان يتفطرن ابلغ من يتفطرن لان الافتطار مطاوع فطرن الثلاثى ولادالة فيه على الكثرة والمبالغة ولان بناء الفعل

(وقدا) واخذ بن عليه كما يقصد الوفاة على الملوك
 يتفطرن لكرامتهم وانعامهم (ونسوق الجبرمين)
 كما يساق اليهائم (الى جهنم وردا) عطاها شافان
 من يرد الماء لا يرد الماء العطش او كالدواب التى ترد الماء
 (لا يملكون الشفاعة) الضمير فيه العباد المدلول
 عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم (الامن اتخذ
 عند الرحمن عهدا) الامن تعالى بما يستعده به
 ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل
 الصالح على ما وعد الله او الامن اخذ من الله
 اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الامن اذن له الرحمن
 من قولهم عهد الامير الى فلان يكذا اذا امره به
 ومجمله الرفع على البدل من الضمير او النصب على
 تقدير مضاف اى الاشفاعة من اتخذ او على
 الاستثناء وقيل الضمير للجبرمين والمعنى لا يملكون
 الشفاعة فيهم الامن اتخذ عند الرحمن عهدا
 يستعده به ان يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ
 الرحمن ولدا) الضمير يحتمل الوجهين لان هذا
 لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم
 (لقد جئتم شيئا ادا) على الالتفات للمبالغة فى
 الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والادبالفتح
 والكسر العظيم النكر والادة الشدة وأدنى الامر
 وأدنى اثقلنى وعظم على (تكاد السموات)
 قرأ نافع والكسائى بالياء (يتفطرن منه)
 يشقق مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر
 وحزرة وابوبكر ويعقوب يتفطرن والاول ابلغ
 لان الفعل مطاوع فعل والاتصال مطاوع فعل
 ولأن اصل الفعل للتكلف (وتنشق الارض وتخر
 الجبال هذا) تهد هذا او مهدودة ولانها تهد
 اى تكسر وهو تفرير لكونه ادا والمعنى ان هول
 هذه الكلمة وعظمتها بحيث لو تصور بصورة
 محسوسة لم تحملها هذه الاجرام العظام وتفتت
 من شدتها ولان فطاعتها مجلبة لغضب الله
 بحيث لو لا حله لحرب العالم وبدد قواعه غضبا
 على من تنوء بها

(ان دعوا الرحمن ولدا) يحتمل التصب على العلة لتكاد اوله ادا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هذا اي هه هه اءاء الولد للرحن وهو من دعا بمعنى سعى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليجتنب بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي هو مضاف وعادى الى فلان اذا انتسب اليه (وما ينبغي للرحن ان يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل وله ترتيب الحكم بصفة الراجح ان لا يشاع بان كل ما عداه

(٥٠٣)

لمساكن لتكلف دل قوله يتفطن على ان السموات شقت وتكلفت في حصول التشقق فيهن من شؤم مقالة هو لا الكثرة وليس في بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولا شك ان ما حصل بالجهد والاهتمام يكون ابلغ فان قيل كيف يؤثر القول بانبات الولد لله تعالى في انقطار السموات وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفتها بهم وخرور الجبال وانطباقها عليهم اوجب بان الله تعالى يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال هذه الافعال عند صدور هذه الكلمة منهم غضبا على من تفوه بها لولا حلى واتى لا اعجل بالعفو بدو يجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض والجبال تكاد تفعل كذلك لو كانت تفعل من فطاعة هذا القول وهدمه لا ركان الدين وقواعده وقوله تعالى يتفطن في محل التصب على انه خبر تكاد وقوله هذا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل لتقاربا معنى اذا خروا والسقوط والهد الانهدام من قولك هذا الخائط يهد هذا وقوله اي تكسر تفسير لقوله تعالى نخر و بيان اوجد انتصاب هذا الالبيان الاحتياج الى تقدير العامل اذا الحاجة الى تقدير العامل او مصدر من المتعدي واقع موقع الحال اي مهدودة مهدومة يقال هدز يد الخائط يهد هذا اي هدمه وضعفه والثاني ان يكون مفعولا من اجله اي لانها تهد والهد ليس فعل الجبال اذ اني للفاعل الا انه فعلها اذ اني للمفعول فصيح ان يكون مفعولا له واليد اسار بقوله ولانها تهد اي تكسر (قوله يحتمل التصب على العلة لتكاد اوله ادا على حذف اللام) اي ويحتمل التصب بترفع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له صريحا لا تنافى شرط التصب وهو اتحاد فاعل الفعل المعلن وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضمارها هو ان الضمير مقدر فيصير كاللفوظ فلذلك يظهر اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكيفية او صورة وحكما (قوله وهو من دعا بمعنى سعى المتعدي الى مفعولين) يقال دعوته زيدا بمعنى سميت زيدا او دعوته بمعنى نادته وهذا المعنى غير مراد في هذا المقام وهو ظاهر فلا بد ان يكون دعوا بمعنى سموه الا انه حذف المفعول الاول ليعم كل من سماه المشركون ولدا للرحن من عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا قال الشاعر

دعنى اخاه بعد ما كان بيننا * من الفعل ما لا يفعل الاخوان

وقد قرئ فيها بالباء (قوله ولا يتطلب له) اي لا يحصل له ولو طلبه فرضا على طريق فرض المحال يعني ان ينبغي الشيء مطاوع لقولك بغيت الشيء اي طلبته يقال بغيت الشيء فانبغي كما يقال طابت الشيء فانطلب (قوله تعالى ان كل من في السموات والارض) كلمة من في ذكره موصوفة وصفتها الجار بعدها ويجوز ان تكون موصولة واضافة كل اليها لا يتنافى كونها موصولة لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المسموع للشخص يجوز ايضا ان يراد به المسموع والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كافي قوله * وكل الذي جاتني احتمل * والقاء في قوله تعالى فاعلم يسرناه فصيحة تنصح عن مقدر عطف بها ما بعدها عليه وتقديره بلغ هذا المنزل فاعلمه يسرناه على لسبائك بازاله على لغة العرب او فاعلمه يسرناه بلفظك على ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر بشاراته المتقين وتندري وتخوف بانذاراته قوما لدا وهو جوع آلد وهو الخصم المجادل الباطل الاخذ في كل ليد اي جانب من الخصومة ولديا الوادى جانباه ويجوز ان تكون الضمائر في قوله تعالى يسرناه لتبشر به وتندري به لهذه السورة الكريمة المشتملة على ذكر التوحيد والنسبة والحشر والرد على فرق المبطلين بآء بل المنزل وان تكون للقرء ان كلد وضير قبلهم لهؤلاء القوم للدهم اهل مكة هل تحس اي هل تعين وتشاهد من هؤلاء المهلكين من احد ومنهم حال من احد اذ هو في الاصل صفة فلما قدم عليه انقلب حالا ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرئ تسع بضم التاء وفتح الميم مبنيا للمفعول والركز الصوت الخفي من غير ان ينطق بضم ويتركب من حروف مثل صوت ما يركز في الارض ثم هه ما يتعلق بسورة مريم عليها السلام صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمنا الى يوم الدين امين (سورة طه عليه الصلاة والسلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله لاستعلائه) فيناسبه التفضيل والهاء من التفضيل فيناسبها الامالة والاستعلاء ارتقاء اللسان الى الخنك اطبق اوله وتطيق والاستعلاء من التعليل سبعة احرف اربعة منها مطبقة الصاد والضاد والطاء والظاء وثلاثة منها غير مطبقة وهي العين والحاء والقاف ونسبة الاستعلاء الى الحرف مجاز فان الاستعلاء بالحقيقة انما يكون للسان لا للحرف والاطباق ان تطبق على مخرج الحرف من اللسان ما حاذاه من الخنك والافتتاح بخلافه

(ن)

(٧٧)

(سورة طه مكية وهي مائة واربعة وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم (طه) فحكما ابن كثير وابن عامر وحفص وقالون عن نافع ويعقوب على الاصل وفتح الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه واما لهما الباقيون وهما من اسماء الحروف

يخشى اى انزال الله لتذكره لمن يخشى تنزيل الله تعالى والثالث انتصابه على المدح والاختصاص والرابع انتصابه على انه بدل من تذكرة على ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال فيكون تنزيلا مصدرا بمعنى المفعول اى ما انزلناه الا مذكرا منزلا فيكون منزلا بدل الكل من مذكر الكثرة كما متحد بنانا (قوله او معنى) اى على تقدير كونه منصوبا على الاستثناء المنقطع فان جعل تذكرة مفعولا على احد الوجهين وجعل تنزيلا بدلا منه يكون المعنى ما انزلنا القرءان الانزيلا وهو تعليل للشيء بنفسه ان جعل الانزال والتنزيل بمعنى واحد وينوعد ان جعل التنزيل عبارة عن الانزال على التدريج فانه نوع من مطلق الانزال (قوله بعرض تعظيم المنزل) اى باظهار ما يدل على تعظيم الجوهرى عرضت الشيء فاعرض اى اظهرته فظهر وهو من النوادر قال تعالى وعرضتاهم يومئذ للكافرين عرضا قال القرءان اى ابرزناها حتى تظهر اليهم الكفار فخم القرءان المنزل بذكر ما يدل على عظيمة منزلة ترغيبا في تدبره والعمل بمدلوله فان قيل لم عطف الجمع على المفرد في قوله تعالى عن خلق الارض والسماوات مع اى الاول رعاية النظايق بين المعطوف والمعطوف عليه اجيب بان الالف واللام اذا دخل في اسم غير علمي مفردا كان اوجعا يصرف التعريف الى الجنس اذ لم يمكن حمله على المجهود وان امكن فلا ولا وجه لجل تعريف السماوات على الاحاد المعدودة فحين صرفه الى الجنس فليس في الكلام عطف الجمع على المفرد بل في عطف الجنس على الجنس وفيه رعاية النظايق (قوله ثم اشار الى وجه احداث الكائنات) بين وجه ارتباط قوله تعالى الرحمن على العرش استوى بقوله خلق الارض والسماوات وجعل قوله الرحمن على العرش استوى اشارة الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها على طريق التنازع وهو يشعر بانه جعل العرش على الذى تحمله الملائكة ويحفظون حوله وحل الاستواء على العرش على القصد ايدى الله تعالى على تعظيمه معنى الاسنيلاء وانظروا كما قيل في قوله تعالى ثم استوى الى السماء معناه ثم قصدوا اشار الى وجه تخصيص العرش بالذكر مع ان الاسنيلاء حاصل بالنسبة الى جميع الكائنات بقوله بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام وانزل منه الاسباب والقصد المسند الى الله تعالى ليس المراد به حقيقة القصد لانه اسم للارادة باعتبار الحدوث وارادته تعالى منزلة عند بل هو استمارة تعية شبه خلق السماء بعد خلق ما ذكر قبله بمباشرة الخلق فعلا بعد فعل آخر فانها تكون مسبوقه بالقصد الحادث فغير عن تعلق الارادة الازلية بخلق السماء بالاستواء بمعنى القصد فاشتق منه لفظ استوى وفي الصحاح المساواة بين الشئين المعادلة بينهما تقول سويت الشئى فاستوى اى عدلته فاعتدل واستوى على ظهره ابتداء استعلى واستقر عليه واستوى الى السماء اى قصد واستوى على كذا اظهره قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

اتمى وقد تمسك المشبهة بهذه الآية في ان معبودهم جالس مستقر على العرش وهو باطل بالعقل والنقل واختلف اهل الحق في تأويل هذه الآية فقال بعضهم ان الله تعالى منزلة عن المكان والجهة وانه تعالى لم يرد من الاستواء الجلوس والاستقرار بل مراده به شئ آخر الا اننا لا نستقل بتعيين ذلك المراد خوفا من الخطأ وقال البعض الآخر لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار اوردل ظاهرا لفظ الاستواء على معنى الاستقرار لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشئ الواحد منزعا عن المكان وحاصلا فيه وما ولا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع التقيضين معا وهو باطل ولا الى ترجيح انقل على العقل لان العقل اصل للنقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع وعلمه وقدرته وبعد للرسول لم يثبت النقل فالقدح في العقل لاجل تصحيح النقل ينقض القدح في العقل والنقل معا فايبقى الا ان يمنع بصحة العقل ويستعمل بتأويل النقل ثم انهم اختلفوا في تأويله فقال بعض العلماء المراد من الاستواء الاسنيلاء والاقتدار كما في قول الشاعر قد استوى بشر على العراق والمراد من العرش هو الذى تحمله الملائكة وقال صاحب الكشاف العرش سرير الملك والاسنيلاء عليه كتابة عن الملك لانه من توابع الملك وروادفاته يقال استوى فلان على العرش قصدا (الاخبار عند بانه ملك وان لم يقعد على العرش البتة والتعبير عن الشئ بطريق الكناية بالغ وادفع من الايضاح بذكره لانك مع الكناية كسدى شئ بالينة (قوله ليدل بذلك على كمال قدرته) فان ما في السماوات من الملك والتعظيم وغيرها وما في الارض من المعدن والنبات والحيوان والانسان وما بينهما من العناصر وما تحت الثرى

(تنزيلا) نصب باضمار فعله او يخشى او على المدح او البذل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا لا لفظا او معنى فلا لان الشئ لا يعمل بنفسه ولا بنوعه (من خلق الارض والسماوات العلى) مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى فتعظيم اشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسماوات التى هى اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السماوات العلى وهو جمع العلىا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام واتقادر وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب اقتضاه حكمته وتعلقت به مشبهته فقال (الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت انقدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواه فقال

(وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى)
وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنى عن جهره
فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه
تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيها
ليس لاعلام الله بل لتفجير النفس بالسذكر
ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وضمها
باتضرع والجوارثم لم يظهر بذلك انه المستجمع
لصفات الالهية بين انه المتفرد بها والمتوحد
بمقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى) ومن في من خلق الارض صلبة لتزويلا
اوصفته له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفتن في
الكلام ونفخيم المتزل من وجهين اسناد اتزاه
الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص
بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب
الايمان به والافتقار له من حيث انه كلام
من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام
جبرائيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن
على الجبر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى
خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على
المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا
والثرى الطبقة الزاوية من الارض وهي آخر طبقاتها
والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى
على سائر الاسماء في الحسن لدلائلها على معانيها
اشرف المعاني وافضلها (وهل أتاك حديث موسى)
قفي تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى
ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبلغ الرسالة والصبر
على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من أوائل
ما نزل (اذ رأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث
او مفعول لا ذكر قبل انه استأذن شعبا عليه الصلاة
والسلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما واقى
وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شتائية
مظلمة منيرة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق
وتفرقت ماشيته اذ رأى من جباب الطور نارا (فقال
لا اله الا الله) اقيوا بمكانكم وقرئ حزة لاهله
امكثوا هناء وفي القصص بضم الهاء في الوصل
والناقون بكسرهما فيه (اني آتيت نارا) ابصرتها
ابصارا لاشبهته فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به
(لعلى آتاكم منها بقبس) بتعلة من النار وقيل جرة
(اواجده على النار هدى) هاديا بدلى على الطريق
او يهدي ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها
في كل ما يعين لهم

مما لا يعلم الا الله اذا كان لله خلقا وملكانت قدرته وامره لا يمتنع شيء منه عن نفاذ قدرته وارادته فيه دل ذلك
على كمال قدرته وارادته فان قيل الثرى هو السطح الاخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله تعالى
مالكا له اجاب الامام عنه بان الثرى في اللغة الزاب التدى فيجوز ان يكون تحته شيء وهو اما الثور او الحوت
او الصخرة او البحر والهواء على اختلاف الروايات فقوله وما تحت الثرى معناه وما تحت الارض لان ظاهر الارض
تراب جاف وما هو اسفل منه فهو تراب مائل وهو الثرى اى يعلم ما تحت الارض مما بطن فيها كما يعلم ما ظهر منها
وما بينها وبين السماء وعن السدى ما تحت الثرى هو الصخرة التي تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون اراد
الثرى الذى تحت الصخرة التي على الثور الذى تحت الارض ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم احد ما فوق
السدة الا هو قيل السدة شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة وعقها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش
اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل امه من الام تغشاها الملائكة كأنهم فراش من ذهب عليها الملائكة
لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه الصلاة والسلام في وسطها (قوله اى وان تجهر بذكر الله ودعائه
فاعلم انه غنى عن جهره) جواب ما يقال ان قوله تعالى فانه يعلم السر واخفى جزء الشرط ومن شرط الجزاء
ان يكون مسبعا عن الشرط وعلمه تعالى بشئ ما ليس مسبعا عن شيء من الممكنات فكيف يكون مسبعا عن جهر
المخاطب بالقول وتقرير الجواب ان جزء الشرط لا يكون الاجلة والشروط المسبب عن الشرط قد يكون
نفس مضمون تلك الجملة التي هي وقوع نسبة تلك الجملة اولا وقوعها كما في قوله تعالى الذين يخفون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون الشروط اعلام
المخاطب بمضمون تلك الجملة لانفس مضمونها كما في قوله تعالى وما بكم من نعمتي الا انتم لا تعلمون فان الشرط فيه وهو استقرار
العمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله تعالى بل هو سبب للاخبار بانها من الله تعالى وما نحن فيه من هذا القبيل
فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزاء بل هو سبب للاعلام به فعلى هذا الظاهر ان يقول فاعلم انه
يعلم السر واخفى الا انه عدل عنه الى ما اختاره للاشارة الى ان ما هو جزء حقيقة حذف في الآية واقيم مقامه
ما يدل عليه فان علم السر والاخفى مستلزم للغي عن الجهر وتحقيق الملزوم دليل على تحقق الملزوم فلذلك اطلق
اللزوم واريد باللازم (قوله وهو ضمير النفس) اى المراد بالاخفى ما تضرع النفس ولم تظهره لاحد لاسرا
ولاجهرا وبالسرا ما سرته الى غيرك وبالجهر ما رفع به صوتك (قوله قفي تمهيد نبوته بقصة موسى) اى انبى
الله تعالى ما ذكره تمهيدا لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتسقى الآية قصة
موسى عليه الصلاة والسلام يقال فقوت فلانا اى اتبعته وفتيته بفلان اى اتبعته اياه يريد به ان قوله وهل أتاك
حديث الى آخر الآية جملة معطوفة على قوله ما انزلنا عليك القرآن لتسقى على طريق عطف القصة على
القصة ليكون بعده وجلا على الاقتداء بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل اعباء النبوة فان هذه السورة
من أوائل ما نزل فاحتج فيها الى ارشاد طريق التبليغ وتقوية قلبه وتسلية عما ناله من عناد المعادين
والعنى انا انزلنا عليك القرآن لتكمل من اعب التبليغ ومقاولة العناء من اعداء الاسلام وقسمنا بينهم
وغير ذلك كما انزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام التوراة وقوله تعالى وهل أتاك يحتمل ان يكون
اول ما اخبر الله تعالى به عن امر موسى عليه الصلاة والسلام فيكون الاستفهام في هل أتاك للانكار اى لم يأتك
الى الآن وقد أتاك الآن فتنبه له وهذا قول الكلبي ويحتمل ان يكون قد أتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام
تقريرا فكأنه قال أليس قد أتاك (قوله في ليلة شتائية) اى ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا
اى اقبلت به الشتاء (قوله ملجئة) اى ذات بلج وفي الكشف انه قد حصد زنده اى صوت ولم يخرج نارا
يقال سلد الزند يصد بالكسر صلود اذا صوت ولم يخرج نارا قيا كان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا
غيره الا يصحب الرفقة ثلاثا ترى امرأته فلذلك اخطأ الطريق (قوله بتعلة من النار) اى بشئ فيه لهب
مقبس من معظم اثار وقيل القبس الجرة الغير المشتعلة يقل قبست منه نارا في رأس عود او فيلة او غيرها
قال اكثر المفسرين ان الذى رآه موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن نارا بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ
النار لان موسى حسبه نارا فلما رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء فوقف
متحجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة

تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما قال الامام والصحیح اندرأى ناراً يكون صادقا في خبره اذا الكذب لا يجوز على الانبياء (قوله ولما كان حصوا لهما) اي حصول الاتيان بالنفس ووجود الهدى مترقبين ومتوقعين بني الامر فيها على الرجاء والطمع فقال لعلي ولم يقطع بان يقول اني آتيكم ثلاثا بعد ما لم يتيقن الوفاء به وانظر كيف احتز موسى عن شأنة الكذب قبل نبوته حيث لم يقل آتيكم بل قال لعلي آتيكم وانما قال او اجد على النار هدى لان النار كلما تفلح من اهلها وناس عندها (قوله كما قال سبوي في مررت بزيد) نأ كيد لقوله او مستعملون المكان القريب منها فانه جعل اللصوق بمكان يقرب من النار بمثابة استعمال نفس النار (قوله قيل انما نودى قال من المتكلم) قال وهب لما نودى موسى اجاب سريرا وهو لا يدري من دعاه فقال اني اسمع كلامك ولا اري مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فسلم ان ذلك لا ينبغي الا لربه فايقن بان المتكلم هو الله تعالى وايضا لما سمع من جميع الجهات بحيث لا يتفاوت سماعة من بعض الجهات على سماعة من الجهات الاخرى بذلك انه ليس بكلام المخلوقين وعلم ذلك ايضا بسماعة ذلك الكلام وانه لما رأى النار في السجرة الخضراء بحيث لا تضمر خضرة السجرة ورأى خضرتها بحيث لا تطفئ تلك النار وكل واحد من هذه الامور لا يقدر عليه احد الا الله عليم بذلك علما استدلاليا ان ما سمعه كلام الله تعالى وقال سبحانه لا يجوز ان يخلق الله علما ضروريا بذلك ومنع المعزلة ذلك وقالوا لو حصل العلم الضروري يكون هذا النداء كلام الله تعالى لحصل العلم الضروري بوجود الصانع لاستحالة ان يكون الصفة معلومة بالضرورة وتكون الذات معلومة بالاستدلال ولو حصل العلم الضروري بوجود الصانع لخرج موسى عن كونه مكلفا لان حصول العلم الضروري ينافي التكليف وقد علم قطعا انه عليه الصلاة والسلام لم يخرج عن التكليف فقلنا ان الله تعالى عرفه ذلك بان نصب له من الدلائل ما يدل عليه (قوله وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه) اي كلامه القديم انذى ليس من جنس الحروف والاصوات وذلك الكلام لا يتلف منه تعالى تلقنا حسيا لان الحاسة الجسمانية لا تتلف الكلام القديم الثابت بذات الله تعالى وانما تتلف تلقنا روحانيا وهو ان يلهم الله تعالى به من خصله بكلامه بشرا كان او ملكا والمعزلة لما تنكرنا وجود ذلك الكلام قالوا انه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها لان صريح القرءان دل على ان الله تعالى ناداه بكلامه ولا كلام له سوى ما يتلف بالحاسة الجسمانية وذلك الكلام حادث فيمتنع ان يقوم بذاته تعالى فلا جرم يكون نداؤه تعالى عبارة عن خلقه في جسم وانه تعالى قادر عليه بقله متى شاء واهل السنة لما ثبتوا الكلام انفسى الازل قالوا انه تعالى اسمعه ذلك الكلام اسماعا روحانيا معناه يسمعه الله عليه الصلاة والسلام لما قال عرفته انه كلام الله تعالى بان اسمعه من جميع الجهات وجميع الاعضاء دل على ان ذلك الكلام يمثل لبدنه (قوله وقيل معناه فرغ فابك) يعني مال اهل الاشارة الى ان العمل في النوم يبر بالزوجة فيكون قوله فاخلع نعليك اشارة الى ان لا يلتفت بخاطره الى اهله وماله وان لا يبتغي مشغول القلب بامرهما (قوله والمنسند يستعمل المعنيين) وهما طهارة القلب عن العلائق وطهارة القلب عما ينافي التواضع والادب يعني ان قوله تعالى انك بالواو دى المقدس يصلح ان يكون تعميلا لقوله تعالى فاخلع نعليك على كل واحد من الاحتمالات المذكورة في وجه الامر (قوله بتا ويل المكان) فان طوى يكون منصوبا على تقدير ان ياول بالمكان اذ ليس فيه حيث سد سوى العملية وان اول بالبقعة كان غير منصوب للتأنيث والعلمية فلا بد خله التزوين حيث فابك طامر والكوفون قرأوا طوى بضم الطاء والتزوين والباقون بعضهم من غير تنوين وقرئ بكسر الطاء متونوا بكسرهما غير متون فان كان اسمافه ونظيره عتب وان كان مسد فله ونظيره عدى وسوى وعن الحسن البصري انه بمعنى التني بالكسر والقصر والتني المكرر مرتين فيكون المعنى على هذه التفسيرات انه ظهر مرتين فيكون منصوبا بلفظ المقدس لانه معناه كانه قيل المقدس مرتين من المقدس او منصوبا بلفظ نودى الجوهري قال بعضهم طوى بالضم مثل طوى بالكسر وهو الشيء المثنى وقالوا في قوله تعالى بالواو المقدس طوى اي قدس مرتين (قوله تعالى وانا اخترتك) عطف على قوله انار بك اي نودى وقيل اني انار بك وانا اخترتك وقرأ حزة وانا اخترتك بفتح الحزة وبضمير المتكلم العظم نفسه عطف على قوله اني انار بك فان قوله اني هنا بجرمة مقنونة على تقدير الباء اي باني لان النداء يوصله بها تقول ناديت بكذا

ولما كان حصوا لهما مترقبا بني الامر فيبدا على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على انار ان اهلها مسرفون عليها او مستعملون المكان القريب منها كما قال سبوي في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه (قلنا انماها) اي انار وجد نارا يضاء تنفذ في سجرة خضراء (نودى ياموسى اني انار بك) فقد اب كير وابوعمر وادى باني وكسره الباكون باختيار القول او اجراء النداء شعرا وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لك سمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى اخس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعض وجهته (فاخلع نعليك) امر بذلك لان اخفوة تواضع وادب ولذلك طاف السائق حافين وقبل الخجاسة فعليه فانها كانتا من جلد حار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الامل والمال (انك بالواو المقدس) تعميل للامر باستمرار البقعة والمقدس يستعمل المعنيين (طوى) عطف بيان للواو وتونن اب عامر والكوفون بتا ويل المكان وقيل هو كنى من الطي مصدر لنودى او المقدس اي نودى نداه بن اوقدس مرتين (وانا اخترتك) اصطفيتك لاشوة وقرأ حزة وانا اخترتك (فاستمع لما يوحى) للذى يوحى اليك او للوحى

ففتحت هجرة ما عطف عليه ايضا وجوزوا بالبقاء ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فاعلمه باستمع
قال الواحدى ويحوزوا اخترناك بالكسر ولم يقرأ به وقال شهاب الدين وقرأ السلى والاعيش وابن هرمز
واما اخترناك بكسر الهيرة (قوله واللام تحتل اشعلق بكل من الفعلين) بان يكون الكلام من باب التنازع
بين اخترناك وبين استمع كأنه قيل اخترناك لما يوحى واستمع لما يوحى وانظروا تعلقه باستمع واللام من يدق المعقول
كما في ردف لك (قوله دال على انه) اى ان ما يوحى مقصور على تقرير التوحيد والامر بالعبادة وجه الدلالة ان
البذل هو المقصود بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للبذل منه (قوله وهى تذكرة المعبود) فقوله لذ كرى من
اضافة المصدر الى مفعوله اى أفعاله تذكري وتكون ذا كرى لان ذكر الله تعالى عبارة عن الاشتغال بهادته باللسان
والجنان والاركان فكأنه قيل اقم الصلاة لتكون عبلا يستهاذا كراى ويكون من قبيل اضافة المصدر الى فاعله على
تقدير ان يكون المعنى لاني ذكرتها في كل كتاب ولم اخل منها شريعة وامرت بها كل امة وكذا على تقدير ان يكون
المعنى لان اذكرها بالدع والنساء كقول في تفسير قوله تعالى ولذكر الله اكبراى ذكر الله العبد اكبر من ذكر العبد اياه
والفرق بينهما ان المذكور على الاول هو الصلاة وعلى الثانى هو العبد (قوله لاوقات ذكرى) على ان
تكون الامة في قوله تعالى لذ كرى لاهم التاريخ بمعنى في كما في قوله تعالى باليتى قدمت لى يتي اى قدمت الحيرات
او الطاعات في اوقات حياتى في الدنيا ولام الدارح لا تدخل الاعلى الوقت ظاهرا او مقفرا فلذلك قال لاوقات
ذكرى اى صلاتى (قوله اولذ كرى صلاتى) اما على تقدير المضاف او على ان يكون المضاف ذكر الله بحاجات ذكر
الصلاة على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان ذكر الصلاة سبب لذ كرى الله تعالى فيكون المعنى اقم الصلاة
اذا ذكرتها بعد نياتها اى ان نسبت صلاة فاقصها اذا ذكرتها او قد نقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الواحدى اقم الصلاة لذ كرى معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها ولم تكن وهذا قول
عامة المفسرين وروى ذلك مرفوعا وذكر باسناد عن انس بن مالك رضى الله عنه ان نبي عليه الصلاة والسلام
قال من سى صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غيره وقرأ أقم الصلاة لذ كرى رواه مسلم قال الخطابي هذا الحديث
يحتل وجهين احدهما انه لا يكفرها غير قضائها والاخر انه لا يلزمه في نفسها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة
في ترك صوم رمضان من غير عذر وكما تلزم المحرم اذا ترك شيئا من نسكه فدية من دم او طعام وايس عليه الا ان
يصلى ما ترك فقط قال ابو حنيفة من فاتته صلوات يجب الترتيب في قضائها ما لم يزد على صلاة يوم وليلة واخرج عليه
بقوله تعالى اقم الصلاة لذ كرى اى لذ كرها واللام بمعنى عندكما في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اى عند
دلو كها معنى الآية اقم الصلاة المذكورة عند تذكرها وذلك يقتضى رعاية الترتيب كذا ذكره الامام وقوله تعالى ان
الساعة آتية كالتعليل للامر بالعبادة واقامة الصلوات واعلام بان اقامة التى هى موعد جرات الاعمال آتية وان
كل امرئ مخرجى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله اريد اخفاء وقتها) كاد وان كان موضوعا
للمقارنة الا انه من الله تعالى للتحقيق والوجوب والمعنى انا اخفى وقتها عن الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت
كان عسى في قوله تعالى قل عسى ان يكون قريبا للقطع بقربه اى هو قريب وقيل المراد اخفاء نفس وقوعها
والمعنى اكاذا خفيها فلا قول هى آتية لفرط ارادى اخفائها ولولا ما في الاخبار بانيانها مع تعمية وقتها من الله تعالى
للعباد لما اخبرت به وقيل المعنى اكاذا اخفى الساعة واتيانها واخفى احوال الجنة ونعيمها واحوال النار وعذاب
حيمها لئلا تكون عبادتى مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهى كما قال تعالى وما امرنا
الا بعبادة الله مخلصين له الدين وقوله اكاذا خفيها على ان تكون همة اخفيها لئلا يذلل الساب اى ان يل خفاءها نحو
اعجمت الكتاب اى ازلت بحجته واشكيت اى ازلت شكواه والمعنى انها لتحقق وقوعها وقر بها اكاذا ظهرها واقر
اظهرها كما قال تعالى اقربت لساعة وان اقتضت الحكمة تأخيرها برهة من الزمان وقرى اخفيها الفتح اله من
خفاء ينفيد اذا اظهره (قوله عن تصديق الساعة) على ان ضمير عنها للساعة والمراد تصديق بانيانها فيكون
ضمير من لا يؤمن بها ايضا الساعة وعلى تقدير ان يكون ضمير عنها الصلاة يكون ضمير بها الساعة والمعنى لا يصدقك
عن الصلاة من لا يؤمن بالساعة والاول اول لان الاصل في الضمير ان يرجع الى اقرب مذكور وهو الساعة ومن
جعل ضمير عنها الصلاة نظر الى انها هى المقصود بالذ كرى وقوله تعالى ان الساعة آتية افما ذكر على وجه التعليل للامر
بها (قوله فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه) اى في دينه علة لكونه نطق الآية مبني على انه ينبغي ان

واللام تحتل اشعلق بكل من الفعلين (انتى انا الله
لا اله الا انا فاعبدي) يدل مما يوحى دال على انه
مقصود على تقرير التوحيد الذى هو منهى العلم
والامر بالعبادة التى هى كمال العمل (واقم الصلاة
لذ كرى) خصها بالذكر واغرد بها بامر لعل الذى
اناط بها انا منها وهى تذكر المعبود وشغل القلب
والمسان بذكره وقيل لذ كرى لاني ذكرتها
في الكتب وامرت بها اولان اذكرك بالثناء اولذ كرى
خاصة لانراى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل
لاوقات ذكرى وهو موافقت الصلاة اولذ كرى صلاتى
لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن
صلاة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى
يقول واقم الصلاة لذ كرى (ان الساعة آتية) كاشنة
للمخلة (اكاذا خفيها) اريد اخفاء وقتها واقر
ان اخفيها ولا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار
بانيانها من المطف وقطع الاعذار لما اخبرت به
او اكاذا ظهرها من اخفاء اذا سلب خفاءه
ويؤيده القراءة بالفتح من خفاء اذا اظهره
(خفى كل نفس بمسعى) متعلق بالآية او بالخبر
على المعنى الاخير (ولا يصدق عنها) عن تصديق
الساعة او عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهى
الكافر ان يصدق موسى عنها والمراد به ان يصدق
عنها كقوله لا اريك ههنا تسبها على ان فطرته
اسلمة او خلت بحاسنها لا حشورها ولم يعرض
عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد
الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه

يكون تابجا قويا في دينه يعني ان ضعف الرجل في دينه لما كان سيال الصد الكافر اياه عن دينه كانه نهي الكافر عن
الصد المسبب عن الضعف تبيين اودل على نهي الرجل عن الضعف الذي هو سبب لصد الكافر فكانه قيل لا تكون
رخوا ضعيفا في امر دينك فصدك عند الكافر فالآية من قبيل قولهم لا اريدك ههنا فان التكلم نهي نفس عن ان
يرى المخاطب واراد النهي عن ان يحضر عنده ويكون بمراه فذكر السبب الذي هو ان يرى المخاطب واراد السبب
وهو ان يحضر المخاطب عنده و اشار الى ان التكتة في العدول الى الحجاز التبيد على انه لا يئصد عن الحق بنفسه وان
سلامة فطرته تحمله على ترجيح الحق واختياره وان موضع الاحتياط ليس الاما يئيد من الصد الخارجى (قوله
استفهام يتضمن استيقاظا) يعني ان حقيقة الاستفهام متممة في حقه تعالى فوجب ان يكون الاستفهام الواقع
في كلامه تعالى لحكمة وهي ههنا ايضا السامع وتبيينه على معظم ما يخترع ويتعدى في الحسب الياسية فانه
عليه الصلاة والسلام لما سئل وما لك بيمينك اجاب عنها بانها قطعة خشب يابسة لا تصلح الا لما يصلح له امثالها فقرر
سأنها وحقاتها فاذا اظهر الله تعالى منها تلك الآيات العظيمة كانت لها عظمة عظيمة ونحوها ظهر كمال قدرة الله
تعالى بتقدير الماينة البعيدة بين المقلوب عند والمقلوب اليه وتقرر في قلبه بمشاهدة هذه المعجزة الباهرة انه تعالى
ينصره ولا يخذله بين يدي الاعداء وما في قوله تعالى وما لك بيمينك استفهامية مبتدأ وتلك خبرها و بيمينك متعلق
بعمدوف منصوب على انه حال عامله معنى الاشارة في تلك كقوله هذا بلعى شيخا والتقدير ما هي قارة او ما خوزه
بيمينك وجوز ان يخشى ان تكون تلك موصولة بمعنى التي و بيمينك صلتهما الى ما التى التست بيمينك وهذا ليس
مذهب البصريين فانهم لم يجعلوا شيئا من اسماء الاشارة موصولا الا كلمة ذا واما الكوفيون فيجوزون ذلك
في جميعها ولا يقل يدك لاحتمل ان يكون في يده اليسار شئ من الخاتم ونحوه فلو اجل اليد لتخبر في الجواب
(قوله على لغة هذيل) فانهم ارادوا كسر ما قبل ياء التكلم فلم يقدروا عليه لما كان الالف قبلتها الى اية لكونها
اخت الكسرة وادغوها في ياء التكلم فقالوا عصي ويا بشرى واتوكل على العصا لا تكاء عليها سواء كان حال
الشي او حال الوقوف على رأس المشاشية ويقال هش الورق اذا خبطه اى ضربه بالعصا بسقط والهشاشة
الارياح والخفة لله مر ووشى وهشيش اى رخلوين وهش الخبر يش بكسر الهاء اى صار هشا (قوله وقرئ
اهش) اى بكسر الهاء فتقل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول مخدوف اى امش الورق او الشجر اى اضرب بها اوراق
الشجر او اغصانها بسقط ورقها على غنى لتأكلد وقرئ اهس بضم الهاء والسين المهملة وهو السوق والزجر (قوله
انحى) يقال انحى عليه بالسوط اذا دفعه موهما ضربه والمراد ما يفعله الرعاة لاغنامهم (قوله فعلق بها ادواته)
الادوات جمع اداة وهي الالة كالقوس والكثانة والخلاب ونحوها وفي اكثر النسخ ادواته وهي المطهرة وجمع على
ادوى على وزن مطايا (قوله وعرض الزندين) اى وضعهما على شعبي العصا عرضا فقولهم عرضت العود
على الاناء وازند العود الذى تنقد به النار وهو الاعلى والزند السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان ولا يقل
زندتان وفي المثل في كل شجر نار واستجد المرخ والعفار كذا في الصحاح والعرض والالقاء مأربة واحدة
للاستغلال روى عن وهب انه قال كانت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ذات شعبتين ومجحين فاذا طالت
الشجرة حناتها بالحنجن واذا حاول شيا لواه بالشعبتين واذا سار ابقاها على عاقد فعاق فيها ادواته من القوس
والكثانة والخلاب واذا كان في البر يذركرها و القى كساء عليها فكان ظلا وفيها من المعجزات انه كان يستقي بها
فتطول بطول البر وتصبح شعبتها اداوا وتكونان شعبتين بالليل واذا ظهر عدد وحاربت عند واذا اشتهى ثمرة رزها
فاوزقت وتغنصت وانمرت وكانت تحمل زاده وسقاءه فتماشيد ويركزها فيع الماء من تحتها فاذا رزها فغضب وكانت
تقيدها وروى وقوله وكان عليه الصلاة والسلام فهم الخ جواب عما يقال لما قال هي عصاى تم الجواب لانه سئل
بما لك عن حقيقة ما في يده وما هيته الموجودة فلما قال هي عصاى تم الجواب فلما ذكر منافعها مفعلا ومجلا
وتقرر اجاب انه عليه الصلاة والسلام فهم ان هذا السؤال لا للاستفهام لانه تعالى منزه عن ذلك بل المقصود منه
ان يتذكر ويستحضر حقيقتها وما يعلم من منافعها وقوله علم ان ذلك آيات باهرة جواب اذا في قوله حتى اذا رآها وقوله
فذكر حقيقتها عطف على قوله فهم ان المقصود وقوله قيل لما ألقاها جواب عما يقال كيف ذكر الذى انقلب اليه
العصا بالفاظ مختلفة وهي الحية والثعبان والجبان فان الحية وان كان اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير
والكبير الا ان الجبان والثعبان متباينان فان الثعبان اكبر ما يكون من الحيات والجبان الحية الصغيرة الخفية

واتبع هواه) ميل نفسه الى الذات المحسوسة
المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتملك
بالانصداد بصدده (وما لك) استفهام يتضمن
استيقاظا لما يريه فيها من العجائب (بيمينك) حال
من معنى الاشارة وقيل صلته تلك (يا موسى)
تكرر لزيادة الاستئناس والتبيين (قال هي عصاى)
وقرئ عصى على لغة هذيل (اتوكأ عليها)
اعتمد عليها اذا اعيت او وقفت على رأس القطيع
(واهش بها على غنى) واخبط الورق بها على
رؤس غنى وقرئ لاهش وكلاهما من هش
الخبر يش اذا انكسر لها شئ منه وقرئ بالسین
من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها
(ول فيهما ما كرت اخرى) حاجات اخر مثل
ان كان اذا سار ألقاها على عاقد فعلق بها ادواته
وعرض الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء
واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تفرشت
السباع لغت قال بها وكأه عليه السلام
فهم ان المقصود من سأل ان يتذكر حقيقتها
وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على
خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى
خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتها بالليل كما سمع
وتصير ان دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البر
وتحارب عند اظلم عدو ويضع المساء برزخها
ويغضب بزعتها زتورق وترا اذا اشتهى ثمرة
فرزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر
حقيقتها ومنافعها مفعلا ومجلا على معنى انها
من جنس العصا تنفع منافع امنائها ليطابق جوابه
العرض الذى فهمه (قال ألقاها يا موسى) ألقاها
فاذا هي حية تسعى (قيل لما ألقاها انقلب حية
صفراء بلفظ العصا ثم تورمت وغشمت فلذلك
سمها جبانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة
باعتبار المتسمى وحية اخرى بالاسم الذى يعم
الحالين وقيل كانت في خصامة الثعبان وجلادة
الجبان ولذلك قال كأنها جان (قال خذها ولا تخف)
فانه لما رآها حية تترع وتبتلع الحجر والسجر
خاف وهرب منها

السريعة والحر كذا والسعي المشي بسرعة وخفة حركة قيل انه لما القاها فاذا هي اعطى ثعبان نظرا اليه الناظر ونمشي
سرعة ولها عرف كعرف الفرس وكان بين حليتها اربعون ذراعا صارت شعباتها تدقن اها والحسن عنقها لها
وعينها متقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخفة من الابل فتبلغها وتضع بنابها في اصل الشجرة العظيمة
فتقلعها وتنهز فتسمع لها صرير عظيم فلما عين موسى ذلك اخذ من الفزع ما باخذ اليه سرع عند الاحوال والخواف
فهرب فعارضه ملك فقال اما تستحي من ربك بكلمك وتهرب فرجع ولعل الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الزمان
وهو اول زمان النوح وتعدل الرسال ان يشاهد انقلابها ولا يزول ما يطرأ للطبيعة التبرية من الخوف والفزع
الحاصل بمعاينة مثل ذلك حتى لا يطرأ عليه الخوف بمساعدة ذلك عند فرعون (قوله يجوز بها للضريقة)
يعني ان بناء السيرة في الاصل لنوع من السير ثم اتسع فيها فغير بها عن المذهب والهيئة مطلقا وذكر اول ان سيرتها
مقصود على انه مفعول به غير صريح اي سعيدها الى سيرتها الاولى وثانيا انه مفعول به صريح على انه مفعول
ثان لقوله سعيده لان عاد لما كان متعديا الى واحد عدى بالهزة الى ثان وثالثا انه ظرف اي سعيدها في الهيئة
التي كانت عليها قبل ورابعا انه مفعول مطلق لفعله المقدر فعلى هذا الوجود يكون انقلاب الحية عصا مفهومها من
مجرد قوله سعيدها لان المعنى حيثئذ سعيدها عصا بعدما ذهبت وبطلت صورة العصا فيها بانقلابها الى صورة
الحية وقوله تسير سيرتها الاولى له معنى زائد على انقلاب الحية عصا وهو ان تعود النافع الفائتة بانقلاب العصا
حية بخلاف الوجه الاخر فان انقلاب الحية عصا يفهم من مجموع قوله سعيدها سيرتها الاولى اي على تلك الوجوه
(قوله قيل لما قال له به ذلك) اي لما قال له به لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطحا يند نفسه الى ان ادخل
يده في فم الحية واخذ بلحيتها فاذا هي عصا كما كانت ويده في سمعها في الموضع الذي يضمها فيه اذا انكأ واعلم ان
ادخاله يده في فم الحية واخذ بلحيتها من غير ان يتضرر به مجرة وانقلاب العصا حية مجرة اخرى فنيها تناول
مهرات مع الما رب التي تقدمت (قوله لانه يتجهجهما) اي يتلصبا كما قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها
(قوله كانهما متعة) اي ذات شعاع واعلم ان معنى ضم اليد الى الجناح ما قال في آية اخرى وادخل يدك
في جيبك وروى انه عليه الصلاة والسلام كان تسديد الامة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها
تحت ابطه الايسر واخرجها كان ليد نور ساطع بضئى بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر او اشده وضوءا ثم اذا
ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول بلا نور وبريق وانفق المفسرون على ان السوء كان كناية عن البرص فانه
ابغض شئ الى العرب ولهم من نفرة عظيمة واسماهم لاسم ما جنة فكان جديرا بان يكنى عند ولا يصرح باسمه
وقوله من غير سوء يجوز ان يتعلق ببدن لكونها صفة مشبهة فيها معنى الفعل كانه قال يد من غير سوء ويجوز
ان يتعلق بمخدوف على انه حال من الصبر في بضاء (قوله اي دللتا بها او فعلنا ذلك) نشر على ترتيب قوله
او بمدل عليه الآية او القصيدة اي خذ هذه الآية بعد الآية التي هي قلب العصا حية او دللتا بها او فعلنا ما فعلنا
بك من ذاك واستماع كلامي اياك واختيارك للنبوة واظهار المجرة القاهرة لك لتريك بعض آياتنا الكبرى
اولئك الآية الكبرى حال كونها من آياتنا على ان يكون الكبرى مفعولا ثانيا لتريك ومن آياتنا حال منها وعلى
الاول يكون المفعول الثاني وهو ضعيف لانه ليس في اليد الاتعير اللون اما العصا ففيها تغير اللون وخلق
الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع السمير والحجر ثم عودها بعد ذلك عصا كما كانت
فهى اعظم قطعا فلان يكون المعنى خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا لتريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى
اولئك بها الكبرى من آياتنا اولئك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك فلا دلالة على كون اليد الكبرى بالنسبة الى
العصا ثم انه تعالى لما اظهر له هذه الآيات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك بانه طغى اي جاوزه
حد العبودية بدعوى الربوبية ثم جاوزه العين الحد في تلك المجاوزة حيث لم يتعبد بدعوى المشاركة فيها حتى قال انا
ربكم الاعلى روى عن وهب انه قال قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام اسمع لما يوحى من كلامي واحفظ
وصيتي وانطلق برسالي وانك بعينى وسمعى وانك معك يدي وبصرى وانى البسك جبة سلطان تستكمل بها القوة
في امرى ابعتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى ونسى شكرى وغرته الدنيا حتى يجد حتى وانكرت بوبى اقسم
يعزنى اولا المحبة والعهد الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطش به بطش جبار ولكن هاهنا على وسقط من عيني قلبه
رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره من نعمتى وقل له قولنا لا يغتر بلباس الدنيا ناصيته يبدى ولا يظفر ولا ينس

(منعبد هاسيرتها الاولى) هيتهما وما لتهما المتقدمة
وهى فعله من السير يجوز بها للطريقة والهيئة
وانتصابها على نوع الخاضع اوعلى ان اعاد متقول
من عاد به معنى عاد اليه اوعلى الطرف اي سعيدها في
طريقتها اوعلى تقدير فعلها اي سعيدها العصا بعد
ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها لما كنت تنفقد
قل قيل لما قال له به ذلك اطمأنت نفسه حتى
ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها (وانتم ذلك الى
جناحك) الى جنبك تحت اعضاء يسال لكل
ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من
جناحي الطائر سيما بذلك لانه يتجهجهما عند الطيران
(تخرج بضاء) كانهما مسومة (من غير سوء)
من غير عاهة وقبح كى به عن ابيص كما كفى
بالسوء من العورة لان الطسا تعاهد وتفر عند
(آية اخرى) مجرة ثانية وهى حال من ضمير
تخرج كبضاء او من ضميرها او مفعول بانشار
خدا ودونك (لريك من آيات الكبرى) متعلق
بهذا المضمر او بمدل عليه الآية او القصيدة اي
دللتا بها او فعلنا ذلك لتريك والكبرى صفة آياتنا
او مفعول تريك ومن آياتنا حال منها (اذهب الى
فرعون) بهاتين الآيتين وادعه الى العباداة
(انه طغى) عصى وتكسر (قال رب انشر لى
صدرى ويسر لى امرى) لما امره الله بخطب
عظيم وامر جسيم سأل ان ينسرح صدره

والأبلى فكلمة كلاماً طويلاً قال فسكت موسى عليه الصلاة والسلام سبعة أيام ثم جاءه ملك فقال اجب ربي
فما امرتك ففعلت ذلك قال رب اشرح لي صدري الآية (قوله ويشرح قلبه) إشارة إلى أن المراد بالصدر القلب
كما في قوله أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وإن كان قد مراد به العضو الذي فيه القلب كما في قوله
تعالى فأنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وإن المراد بشرح القلب توسيعه حتى لا يضيق
بسفاهة المعادين ولجاجهم ولا يخاف من شوكتهم وكثرةهم ويجتري على مخاطبة فرعون ومحااجة فانه تعالى إذا
وسع قلبه وعلم أن أحداً لا يقدر على مضيقه إلا بأذن الله تعالى لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده
وأيضاً سأل الله تعالى أن يوسع قلبه ليفهم ما ينزل عليه من الوحي فكانه قال رب اشرح لي صدري فأفهم
عنك ما أنزلت علي من الوحي (قوله وفائدة لي) جواب عما يقال ما فائدة لي في قوله اشرح لي صدري
ويسرلي امرئ مع أن الكلام يستقيم بدونه وتقر بالجواب أنه أيهم الكلام أو لا فقال اشرح لي ويسرلي فمما أنمى
مشروحه وسرته بين ورفع الأبهام ذكر الشروح والميسر وهما الصدور والامر فكان الرفع بعد الأبهام أكد لطلب
الشرح والتيسر لصدرة وأمره من أن يقول اشرح صدري ويسر امرئ علي التصريح بالمراد ابتداءً لأن الرفع
بعد الأبهام تكرار للمعنى الواحد من طريق الأجل والتفصيل (قوله ولعل تبيض يده كان لذلك) أي لكونها
سبباً لخلاص موسى من أن يقتله فرعون أو لكونها آية لا دخل في فرعون ونفها (قوله قلبها في موازير) أصله
موازير قلت هزته وأوال الصنم ما قبلها فصار موازير وقلت في الأزراب أيضاً وإن لم ينضم ما قبلها لاجل التظهير على
التظهير فأنشأها أخوان في المعنى فيكون كل واحد منهما نظيراً للآخر من حيث المعنى وحلا على الضارع وهو يوازي
(قوله ومفعولاً جعل) مبتدأً أنشأ فيه التثنية إلى لفظ اجعل وقوله وزيرا هو من خبره ووجه العناية بالمفعول
الثاني أن المقصود الأهم طلب الوزير (قوله ولي صلة) أي يجوز أن يكون قوله ولي صلة لعل الجمل متعلقاً به ويجوز
أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من وزيراً لاند في الأصل صفة لوزيراً فلما قدم عليه انصب محالاً (قوله أولى وزيراً)
عطف على قوله وزيراً وهو وزيراً أي يجوز أن يكون مفعولاً اجعل قوله لي وزيراً فيكون الثاني مقدماً على المفعول
الأول وهو وزيراً ومن أهلي يجوز أن يكون صفة لوزيراً أو أن يتعلق باجعل (قوله وهو من عطف بيان للوزير) فيه
أن عطف البيان يشترط فيه التوافق بينه وبين متبوعه ثم يفان وتكرار وقوله وزيراً فكرة فكيف يكون هرون عطف
بيان له والظاهر أن يجعل هرون بدلاً من وزيراً (قوله أو وزيراً ومن أهلي) أي يجوز أن يكون مفعولاً
وزيراً من أهلي فيكون وزيراً مفعولاً أولاً ومن أهلي مفعولاً ثانياً وفيه أن شرط المفعولين في باب التواسخ محذوف
انعقاد الجملة الاسمية منها وانت لو ابتدأت بوزيراً وأخبرت عنه بقولك من أهلي لم يحسن إذا لم يوسخ للابتداء به
(قوله وقرأ ما بين عامر بلفظ الخبر) فانه قرأ أشد به فتح السهمه وأشركه بضمها على معنى الخبر عن نفسه أي أنا أفعل
ذلك وجزم كل واحد من الفعلين على أنهما جواب الأمر وإن قرئ أشد على لفظ الأمر يكون المعنى قوله بظهي
وأجعله شريكاً في أمر الرسالة (قوله أي أنعمنا عليك) يعني أنه من قولهم من عليه مناعني أنعم عليه لأن
قولهم من عاب منة بمعنى امتن عليه لأن التذلل للصنعة والمقام مقام التلطف بناء على أنه تعالى راعي مصالحه
قبل من غير أن يسألها موسى فكيف لا يعطيه مراده بعد السؤال والمعنى مناعنا عليك الآن باباً منك سؤالك وقد سلفت
لنا من عليك أخرى (قوله في وقت آخر) إشارة إلى أن مرة ظرف منشا أي منشا عليك في وقت آخر ذي مرة
والمرة واحدة المر الذي هو مصدر قوله مر مرمرأ ومروراً أي ذهب فإن قيل لم قال مرة أخرى مع أنه تعالى ذكر منشا
كثيرة إيجاباً بأنه ليس المراد مرة واحدة من المن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير والمن المذكورة ههنا ثمان
الأولى قوله إذا وحينئذ إلى أمك ما يوحى والثانية قوله وألقيت عليك محبة والثالثة قوله لنصنع على عيني والرابعة
قوله إذا تمشى أختك والخامسة قوله تعالى وقلت نفساً فحيك من الغم والسادسة قوله وقتك فثونا والسابعة
قوله فلتت سبتين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى والثامنة قوله واضطجعتك لنفسى (قوله بالهام
أوفي منام) يعني أن المراد من هذا الوحي ليس هو الوحي الواصل إلى الأنبياء لأن أم موسى ما كانت من الأنبياء فإن
المرأة لا تصلح للإمامة والفضاء فكيف تصلح للنبوذة يدل عليه قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً أوحى إليهم فذلك
اختلف في المراد من هذا الوحي على وجوه أحدها أن أم موسى رأت رؤيا تأويلها وضع موسى عليه الصلاة
والسلام في التابوت وقد دفن في الحرم والله رده إليها وأنها إن المراد بالوحي الإلهام بأن أوقع الله تعالى في قلبها

عن علة جازمة على ان تلقيه في التابوت ثم تقذف التابوت في اليم وهو نيل مصر في قوله جميع المفسرين فان اليم يقع على البحر والهر العظيم وثانها ان المراد بالوحي اليها انه تعالى اوحى ذلك الى بعض الانبياء المعوث في ذلك الزمان كنعيب عليه الصلاة والسلام او غيره ثم ان ذلك النبي عرفها ما اوحى اليه امام شافعية او مر اسئلة ورابعها اعله تعالى بعث اليها ملكا على وجه النبوة بل على طريق بعثه جبريل الى مريم في قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وبلغ ذلك الملك اليها ما اوحى اليه (قوله ولا يخل به) بضم الياء وفتح الحاء من اخل الفارس بمركبته اذا ترك موضعه الذي عينه له الامر وقوله له ظم شأنه تعليل لقوله لا يعلم الا بالوحي (قوله وفرط الاحتسام به) تعليل لقوله ينبغي ان يوحى على طريق التلف والنشر المرتب وان في قوله ان اذفيه يحتمل ان تكون مصدرية ومفسرة والمراد بقذفه في التابوت جعله فيه كما في قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب (قوله غلام رماه الله بالحسن يافعا) تمامه له سمياء لا تشق على البصر فقوله غلام اي هو غلام وزمناه الله ضفة غلام اي هو غلام حصل الله فيه الحسن ووضع فيه ويا فعا اي شابا واليا فاع من اليفاع وهو ما ارتفع من الارض ويا فاع الغلام اي ارتفع فهو ويا فاع ولا يقال موضع وهو من اتوادروا سمياء العلامة والمراد بها هنا الحسن وقوله لا يشق على البصر اي يفرح به من ينظر اليه ولا يغل من تكرارا لنظر اليه لكونه في غاية الحسن (قوله لما كان القاء البحر اياه الى الساحل) جواب عما قال جعل الله البحر مأمورا بما شال امره مع ان الامر لا يكون الا للبحر العاقل والبحر ليس كذلك وتقرير الجواب ان قوله فليلقه اليم وان كان امرا صورة الا ان معناه الخبر اي ان تفعل ما امرت به يلقه اليم بالساحل لتعلق ارادتي بذلك واخرج الكلام على سبيل الاستعارة المكنية والتحيلة حيث شبه اليم في النفس بما مور ذي تميز امره امر مطاع باللقاء من حيث كون القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجبا للحصول كحصول المأمور به من المأمور المطيع وجعل امر اليم بقوله فليلقه اليم قرينة التشبيه المضمر وقائدة اخراج الكلام على هذه الصورة التأكيد والمبالغة في حصول الالتقاء (قوله والاول ان يجعل الضمائر كلها موسى عليه الصلاة والسلام) لانه لو جعل ضمير ان اذفيه يأخذه وعدوه لموسى وغيره فاخذ فيه وفليلقه اليم للتابوت لزم تفكيك الضمائر وتناثر النظم فان قيل المقذوف في البحر وكذلك الملقى الى الساحل هو التابوت قلنا نعم ان المقذوف بالذات والملقى بالذات هو التابوت الا ان موسى عليه الصلاة والسلام مقذوف وملقى بالجمع لكونه في جوف التابوت فينبغي ان يجعل ضمير فاخذ فيه وفليلقه اليم ايضا لموسى حتى لا يفترق الضمائر ولما كان فليلقه اليم امرا من حيث اللفظ انجزم جوابه في قوله يأخذه (قوله اولان الاول) وهو كون فرعون عدوا لله تعالى حال اخذه موسى لكفره بالله تعالى وعنه امر واقع حينئذ وكونه عدوا لموسى عليه الصلاة والسلام حينئذ غير واقع لان موسى في ذلك الوقت لم يكن بحيث يعاديه احد بل هو بحيث يؤول امره الى المعادة معه ولو قيل يأخذه عدولي وله لفهم ان عداوته لموسى من قبل عداوته لله تعالى (قوله ثم قبرته) اي طنته بالقبر وهو الزفت (قوله وكان بشرع) اي يدخل من اليم يقال شرعت الدواب في الماء شرعا وشرعا اي دخلت (قوله اصبح الناس) اي اكلمهم صباحا اي جالته يقال صبح باضم صباحة فهو صبح اي جيل حسن (قوله اي محبة كائنة مني) على ان مني ظرف مستقر متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة جائلة مني وعلى الثاني يكون ظرفا لقوا متعلقا بالقيت وعلى التقديرين كلمة من ابتدائية والفرق بين الاحتمالين ان الملقى على الاحتمال الاول محبة الناس اياه لكن لما كانت المحبة حاصلة واقعة بتخليق الله تعالى من حيث انه تعالى ركزها في القلوب وصفها بقوله كائنة مني فلذلك احبه عدوا لله فرعون وكل من ابصره وعلى الاحتمال الثاني يكون الملقى بالذات هو محبة الله تعالى واما محبة الخلق اياه فانما نشأت وترعت عن محبة الله تعالى اياه واليه اشار بقوله اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب وقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض (قوله وظاهر اللفظ) جواب عما يقال ان ما قيل يخالف لما فيه من ظاهر لفظ القرآن فان ظاهره يدل على ان اليم ألقاه بساحله وان موسى عليه الصلاة والسلام التقط من الساحل لامن البركة وان ما قيل يدل على ان أم موسى القته في اليم فيقذف اليم الى النهر المتشعب منه الشارع الى بستان فرعون فاداه النهر الى بركة في البستان فاخذ من البركة لامن الساحل وأشار الى وجه التوفيق بينهما بان جعل لفظ القرء أن على ان معناه ألقاه اليم بساحله

(ما يوحى) ما لا يعلم الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاحتسام به (أن اذفيه في التابوت) بان اذفيه او اى اذفيه لان الوحي بمعنى القول (فاذفيه في اليم) القذف يقال للقاء وللو ضغ كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا (فليلقه اليم بالساحل) لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجبا للحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاول ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقدوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض (أخذه عدولي وعدوه) جواب فليلقه وتكرر وعدو للبعث والاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعه فيه ثم قبرته وألقته في اليم وكان بشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجهها فاحبه حباً شديداً كما قال (وألقيت عليك محبة مني) اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فاذا لك أحبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبه القلوب وظاهر اللفظ ان اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه

فيه فوهة نهر فرعون تجرى منه الى البركة (قول لان الماء يسحله) لتعليل لسادل عليه المعنى كأنه قال سمي الشاطئ ساحلا لان الماء يسحله اى يشره وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره فان السحل في اللغة القشر يقال قشرت العود وغيره اقشره قشرا اى نزعته عنه قشره والمطر القاشرة هى التى على وحده الارض (قول ولترى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك) فسر قوله لتصنع بقوله لترى ويحسن اليك من قولهم صنع اليه معروفا اذا احسن اليه وفسر قوله على عيني بقوله وانا راعيك اشارة الى انه حال من الضمير المستتر في لتصنع لاصالة له وقوله لتصنع منصوب باضمار ان بعد لامكى وهذه الالة معطوفة على علة مقدرة قبلها والعلل المعلل هو قوله تعالى وألقيت اى ألقيت عليك الحجة اى لتعطف عليك وتصنع ويجوز ان تكون هذه الالام متعلقة بعمل مخدوف وجهه المعلل مع علة معطوفة على الجملة السابقة اى ألقيت عليك حجة منى وتصنع على عيني فعلت ذلك والعين مجاز عن الرعاية والحراسة بطريق اطلاق اسم السبب على السبب فان الناظر الى الشئ يحرم عما لا يريد في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه (قول وقرئ وتصنع بكسر اللام وبسكونها) على انها استلام كى بل هى لام امر الغائب والاصل فيها ان تكون مكسورة ويجوز سكونها بعد الواو والقاء الخفة وذلك في القرآن ككبرنحو وليوفوا نذورهم وليطوفوا قرأ العامة بكسر اللام وضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول ونصب الفعل باضمار ان بعد لامكى وقرئ وتصنع بالنصب وفتح التاء (قول لظرف لا ألقى وتصنع) والمعنى على الاول وألقيت عليك حجة منى وقت مشى اخذك وعلى الثانى لترى ويحسن اليك في هذا الوقت وكونه ظرفا لتصنع اولى لان تقييد الترتيب بزمان مشى اخذ صحيح لان الترتيب انما وقعت زمان مشى اخذ وردته الى امه بخلاف القاء الحجة عليه فانه وقع قبل ذلك من اول ما تنقله فرعون فلا وجه لكونه ظرفا لألقى الابا اعتبار الاتساع في زمان المشى (قول وابدل من اذ أوحينا) والمعنى ولقد متنا عليك مرة اخرى اذ أوحينا الى امك اذ تمشى اخذك (قول على ان المراد بها وقت منس) جواب لما يقال كيف يكون اذ تمشى اخذك بدلا من اذ أوحينا مع ان احد الزمانين غير متحد مع الآخر صدق قابل هما مختلفان متباعدان وليس احدهما بعضا من الآخر ولا اشتعلا عليه ايضا واذا اريد بكلمة اذ وقت يسع كل واحد من الفعلين متحدان زمانان ولا يختلفان الا باعتبار اختلاف الفعل الواقع فيهما فصح ابدال احدهما من الآخر ومعنى بكلمة يصنع اليه ويحسنه ويريد وتذكير الضمير في بكلمة للفظ من وان كان عبارة عن المؤنث ولا انقطة آل فرعون وأحبه وعزموا على تربته عندهم طلبوا امرأته ترضعه ويريد فلم يبدل ثدى امرأته منهن لان الله تعالى قد حرم عليه المراضع غير امه وجعل ذلك طريقا لهداية امه فان شطر والى الاستقصاء في دفع النساء وبذلك فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما من النبل وانه لا يقبل ثدى كل امرأته يؤدي اليه بها فلما علمت ذلك اخذت موسى جاء اليهم منكرا فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم (قول غم قتله) فانه عليه الصلاة والسلام لما قتل القبطى خطبا بان وكزه اى ضربه بجمع يده على ذقنه حين استناده الاسرى الى عليه حصل له النهم من وجهين احدهما من عذاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون منه على ما حكاه الله تعالى عنه بقوله فاصبح في المدينة خائفا يترقب والاخر من عقاب الله تعالى حيث قتله لابل امر الله فنجاه الله تعالى من العين اماما من فرعون فبان وفقد الله تعالى له هاجرة الى مدين وامان من عقاب الآخرة فبان غفر الله تعالى له باستغفاره حين قال رب انى ظلمت نفسي فاغفرلى فغفر له (قول وابتليناك ابتلاء) على ان فتونا مصدر كانه كفوف والجلوس جئ به تأكيدا لفته كانه قيل وقتك حقوا والفتنة الامتحان والاختبار تقول فتت الذهب اذا ادخلته النار لتظهر باجوده كذا فى الصحاح قال صاحب الكواشى وقتك فتونا اى اختبارناك اختبارا بايقاعك فى المحن وتخليصك منها وقال صاحب الكشاف الفتنة المحنة وكل ما يثقب على الانسان وكل ما يتلى الله به عباده فتنة قال تعالى وتبلوكم بالشرا وخير فتنة ما لم يكن جيزا بن عباس عن قوله وقتك فتونا قال خلاصك من محنة بعد محنة اولها ان امه حلت فى السنة التى كان فرعون يقتل فيها الولدان فهذه فتنة يابن جبرثم القدامد فى البحر وهو فى التابوت ثم منعه الرضاع الامن ثدى امه ثم اخذ له فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجرة بيده بدل الدرة ثم قتل قبطيا وخرج الى مدين هاربا خائفا لاراد ولادليل واجرتة عشرة سنين هرا العفورة ابنة شبيب ومثل الطريق وتفرق غنمه فى ليله منملمة وكان ابن عباس يقول عند ذكر كل واحدة من هذه المحن فهذه فتنة يابن جبرثم على هذا معنى فتاك خلاصك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث ولا بد فى قوله تعالى وقتك فتونا من ملاحظة

لان الماء يسحله فانه على منه لكن لا يعد ان يتأول الساحل بحيث فوهة نهره (ولتصنع على عيني) ولترى ويحسن اليك والاراعيك وراقبك والعطف على علة مضرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة بانما فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ وتصنع بكسر اللام وبسكونها والجزم على انه امر وتصنع بالنصب وفتح التاء اى وليكون علك على عيني منى ثلاثا لثبوتها على امرى (اذ تمشى اخذك) ظرف لا ألقى وتصنع اوبدل من اذ أوحينا على ان المراد بها وقت متسع (فقول هل ادلكم على من يكفنه) وذلك انه مكان لا يقبل ثدى المراضع فبسات اخذت مريم متعصية خبره فساد فتم يطلبون له امر شعبة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فبسات بامه فقبل ثديها (فرجعتك الى امك) وقاء بقولنا انا رادود اليك (كى تفرعيتها) بلسانك (ولا تخرن) هى براقك اوانت براقها وفقد اشفاقها (وقلت نفسا) نفس القبطى الذى استغاث عليه الاسرى ابلى (فجئناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالغيرة والامن منه بالهجرة الى مدين (وقتك فتونا) وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتى اوفتته على ترك الاعتداد بالناء كسجور وبدور فى حجرة وبدرة فخلصناك من بعد اخرى وهو اجمالى لسانه فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الآلاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزادوا جرت نفس الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره

التخليص من المحنة اما بان يجعل فتاك بمعنى خلصناك من قولهم قست الذهب اذا اردت تخليصه او بان يكون فتاك بمعنى اختبرناك ولم يذكر صلته والتقدير اختبرناك اختبارا لما يقعك في المحن وتخليصك منها وذلك لانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام ولقد متنا عليك مرة اخرى ثم عدلنا وذكروا قولهم وفتاك فتونا والفتة بمعنى المحنة ليست من قبيل الانعام الا ان يقال انها لكونها موجبة للثواب من قبيل النعم والمصنف جعل قوله تعالى وفتاك فتونا اجالا لسانا له في سفر هجرته من مصر الى مدين ثم يجوز ان يكون اجالا له ولما سبق ذكره من وضع امد اياه في الثابوت وقد قد في اليتم الى غير ذلك وقدم الاختال الاول لان عدما نال الطفل فتة في حقه لا يخلو من بعد (قوله قضاء لا وفي الاجلين) اي الذين خيره شعيب عليه الصلاة والسلام في قضاء ايها شاء مهرا في تزويج بنته اياه قال تعالى حكايته عنه اني اريد ان اكحك احدي ابنتي هاتين على ان تأجرتي ثمانى حجج فان اتمت عشرا فن عندك قطضى موسى عليه الصلاة والسلام او فاهما وهذا صريح في ان موسى لما قضى الاجل المشروط سار باهله الى مصر ولم يكث في اهل مدين بعد قضاءه ويدل عليه قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله وهو الاجل المشروط عليه في تزوجه صفورا بنت شعيب وروى عن وهب انه قال لبث موسى عند شعيب ثمانى وعشرين سنة منها عشر سنين مهرا مرأته والباقي ليستكمل الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء بناء على انه جامع مدين وهو ان ثنتي عشرة سنة فحك في ثمانى وعشرين سنة ليبلغ سنه اربعين سنة وتقدير الآية وفتاك فتونا فخرجت هاربا الى اهل مدين فلبثت سنين فيهم ثم جئت من عندهم مستقرا او كائنا على قدر معين فقوله على قدر متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل جئت (قوله على قدر او على مقدار من السن) اشارة الى ان قوله على قدر لا بد فيه من تقدير مضاف اليه لان القدر لا يكون الا لمر من الامور اي على قدرى الذى قدرته لان اكلك او على مقدار سن فالقدر على الاول عبارة عن تعلق الارادة الازلية بالمقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص بالاشياء في اوقات حدوثها وتلك الارادة الازلية هي اسماء بقضاء وعلى الثاني القدر بمعنى المقدار قال عليه الصلاة والسلام ما بعث الله نبيا الا على رأس اربعين سنة (قوله واصطفيتك لحجتي) اي اخترتك لحجتي لتصرف على ارادتي وتستعمل بما امرتك به من اقامة حجتي وتبليغ رسالتي وان تكون في حركاتك وسكناتك لوحجتي لانفسك ولا تفكر والاصطناع افعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع اليه معروفا واصطناع فلان فلان اتخذ صنعا محمدا اليه بتقريب مترتبة وتخصيصه بالتكريم والاجلال عن القفال قال اصطنعتك اصلا من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاهى اليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان (قوله مثله فيما خوله) اي اعطاه جواب عما يقال كيف قال لنفسى مع انه تعالى غنى عنه فلا يجوز حل الكلام على ظاهره فلذلك جعله على الاستعارة التخييلية حيث شبه حال موسى فيما خوله الله تعالى من انقرب والكليم واتكريم بحال من قر به الملك واستخلصه لنفسه ووجه الشبه منزع من عدة امور فكانت الاستعارة تمثيلية (قوله ولا تفترأ) يعنى ان وني بني ونيامثل وعديعد وعدا بمعنى فترتق فتورا والحكمة في هذا التكليف ان من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استحق غير فلا يخاف احد غيره ويتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف في مقصود (قوله وقيل في تبليغ ذكرى) على ان يكون المراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع في كل العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها قدرا فكان جدرا بان يطلق عليه اسم الذكر روى انه تعالى لسانا دى موثى عليه الصلاة والسلام بالوادي المقدس واعطاه سؤله وارسله الى فرعون انطلق من ذلك الموضع الى فرعون وشيعته الملائكة يصاحفونه وخلف اهله في الموضع الذى تركهم فيدفعوا برأوا محقين به حتى مر بهم واعى من اهل مدين فمر بهم فحملهم الى شعيب فحكوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز بيني اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعث بهم شعيب الى موسى بمصر ولما انطلق موسى من اطوار الى جانب مصر كان لا علم له بالطريق وليس له زاد ولا حول ولا صاحب شي الا العصا يظل صائما وبيت طاويا يصيب من تمار الارض ومن الصيد شيأ قليلا حتى ورد ارض مصر الى تمام الامر (قوله قيل اوحى الى هرون) جواب عما يقال كيف اجتمع مع هرون حتى يخاطب بقوله اذهب الى فرعون روى انه تعالى اوحى الى هرون انه قد اسئبا موسى وارسله الى فرعون وقومه وانه جعلك وزيرا وشريكا له في رسالته فاذا كان يوم السبت لغرة ذى الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس الى شط النيل فانها الساعة التى تلتقي انت واخوك فيم افا قبل موسى في ذلك الوقت وخرج هرون من عسكر بني اسرائيل حتى التقى على شط

(فلبث سنين في اهل مدين) لبث فيهم عشر سنين قضاء لا وفي الاجلين ومدين على ثمانى مر اكل من مصر (ثم جئت على قدر) قدرته لان اكلك واستيتك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء (يا موسى) كرهه عقب ما هو غاية الحكاية للتيه على ذلك (واصطنعتك لنفسى) واصطفيتك لحجتي مثله فيما خوله من الكرامة عن قر به الملك واستخلصه لنفسه (اذهب انت واخوك باياتي) بمجرأى (ولاتبيا) ولا تفترأ ولا تقصرا وقرئ تيا بكسر التاء (في ذكرى) لا تسياني حيثما تفلتما وقيل في تبليغ ذكرى والدعاء الى (اذهب الى فرعون انه طغى) امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله

النيل (قوله وقيل عداه) هو ثنية امر الحاضر من وعد يعد يعنى قيل المراد بالقول الذين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شابا لايهرم وملكا لا يترع منه الابالوت وان تبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا دون هاما وكان غابا حيثئذ فلما قدم اخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هاما كنت ارى لك عقلا ورأيا انت رب وتريد ان تكون مربوبا وانت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رأيه وحكى عن عمرو بن دينار انه قال بلغنى ان فرعون عمرار بعائلة سنة وتسع سنين فقل له موسى ان اطعنى عمرت مثل ما عمرت فاذا مت دخلت الجنة (قوله على رجا نكسا وطمعا) يعنى لعل للترجى الا انه بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اى اذهبا وقولا مترجين وطامعين فلا حد دون اليأس منه ويستحيل ان يكون ذلك الترجى بالنسبة الى الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور (قوله فان الراجى مجتهد) علة لتكون الذهاب والقول الذين مقيدين بكونهما فى حال الرجاء دون اليأس يعنى انهما نكسا بالتبليغ على هذا الوجه لانه ابغى لهما فى دعائه الى الحق فان الرسل انما يبعثون لان يدعوهم يرجون وطمعون ان يقبل منهم (قوله والتذكير للمتحقق) اى للمتيقن بالحق الجوهرى حقيقت الامر وحققته ايضا اذا تحققت وصحرت منه على يقين وحققت قوله وظنه تحقيقا اى صدقت والمعنى قولاه ذلك راجين ان يترك الاصرار على انكار الحق وتكذيبه اما بان يترك اى يعطى ويقل الحق قلبا وقالب او بان يتوهم انه حق فيخفى بذلك من ان يصير على الانكار ويبقى مترددا ومتوقفا بين الامر من وذلك خير بالنسبة الى الانكار والاصرار عليه (قوله ان يجعل علينا لعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واطهار المعجزة) فيتعطل المطلوب من الارسل اليه فان قيل كيف يخاف موسى وقد آتاه الله تعالى سؤاله وشرح صدره وشرح الصدر بنافى حصول الخوف قلنا لان ذلك لانه قد سئران السؤال ان يوسع الله قلبه ليحمل أعباء دعوة فرعون الى عبادة الله تعالى وللصبر على مشاقه ولتلقى ما يوحى اليه على وجه لا يتطرق اليه السهو والخرىف وحصول الشرح بهذا المعنى لا ينافى حصول الخوف من استعجال فرعون فى عقوبتهم ما قبل اتمام الدعوة واطهار المعجزة وان تفوت الفائدة المطلوبة من ارسالهما اليه من الزام الحجة وقطع المعضلة ونحو ذلك (قوله واطلاقه) اى عدم تقييد قوله وان يطغى بذكر متعلقه بان يقال وان يطغى عليك كاذكر متعلق بفرط وهو علينا فى قوله ان يفرط علينا لان تجربته عن القيد من حسن الادب والعماشى عن النطق بالفتح فان المعنى اوان يطغى بالخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرائته عليك (قوله تعالى لا تخافا) ليس المراد منه انهى عن الخوف لانه من حيث كونه امرا طبيعيا لا مدخل للاختيار فيه لا يدخل تحت التكليف ثبوت وانقضاء بل المراد التسلي بوعده الحفظ والنصرة فانه ليس المراد من المعية المعية المكانية بل المراد منها ما يلزمها من الحفظ والنصرة كأنه قيل اننى حافظ لهما وناصرهما (قوله أسمع وارى ما يجرى بينكما وبينه) يعنى ان قوله تعالى اسمع وارى ما يجرى بينكما ولم يذكر مفعولهما وليس منزلتين منزلة اللازم بل قصد تعلقهما بالمفعول الغير المذكور فوجب تقديره على حسب تعيين القرينة ان عاما فعام وان خاصا فخاص والقرينة تقتضى تقدير العام اى أسمع وارى جميع ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل الخ وذلك لان قوله تعالى اسمع وارى ذكرنا كيدا لقوله اننى معكما اخبرا ولا يازه حافظهما وناصرهما ثم اخبر بانه يسمع ويرى للدلالة على انه يفعل بهما ما يوجب حفظهما ونصرتهما على اتم الوجوه واكملها والحفظ والنصرة انما يتجان ويكملان اذا كان الحافظ والناصر عالما بجميع ما ياله من اراد حفظه وهذا يقتضى ان يقدر المفعول عاما بان يقال اسمع وارى جميع ما يجرى بينكما وبينه ليتم الحفظ ويكمل ويزول خوفهما بالكيفية فحذف المفعول قصدا للتعميم مع الاختصار (قوله ويجوز ان لا يقدر شي) بان يزيل الفعلان منزلة اللازم ولا يقصد تعلقهما بالمفعول فضلا عن غموده وخصوصه وان يكون القصد الى شأن الحفظ والنصرة الى ما يتأتى من سببه من السمع والبصر مع قطع النظر عن تعلقهما بالسمع والبصر لانهما انما ذكرتا تيمنا لقوله اننى معكما لكونهما ما يتيم به الحفظ والنصرة ولا مدخل فى ذلك الاعتبار لتعلقهما بالمفعول والتيمم ان يؤتى فى كلام لا يوهى خلاف المقصود بفضلته مثل مفعول احوال او نحوهما مما ليس بمجالة مستقلة ولا ركن كلام لكنه وهى التفصيل فى الكلام وان اوتى بما فى كلام يوهى خلاف المقصود ليدفع ذلك الايهام سمي اتيا نها تكميلا كقوليه

فسيق ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

(فقولاه قولنا) مثل هل لك الى ان تترك واحدك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة خذرا ان يحمله الحساسة على ان يسطو عليها او احتراما لماله من حق التربية عليك وقيل كناية وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شابا لايهرم بعده وملكا لا يزول الابالوت (لعله يتذكر او يخشى) متعلق باذهبا وقولا اى باشر الامر على رجا نكسا وطمعا انه يمر ولا يثيب سعيهما فان الراجى محتهد ولا يس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعضلة واطهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآية والتذكر للمتحقق والحشية للتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا قل من ان يتوهم فيخشى (قال ربنا اتناخاف ان يفرط علينا) ان يجعل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واطهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه القارط وفرس فرط يسبق الحيل وقرى يفرط من افراطه اذا جعلته على العجلة اى تخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسى اوجنى على المعالجة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية (اوان يطغى) ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرائته وقساوته واطلاقه من حسن الادب (قال لا تخافا اننى معكما) بالحفظ والنصرة (اسمع وارى) ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فا حدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شي على معنى اننى حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا اتم الحفظ

(فأشياء فتقول أنا رسول ربك فأرسل معاني أسرايل)
 الملق بهم (ولا تعذبهم) بالكيف الصعبة وقتل
 أولادهم فأنهم كانوا في أيدي القبط يستخذمونهم
 ويعتبونهم في العمل ويقتلون ذكور أولادهم
 في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على
 ان تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم
 الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة
 (قد جئتكم بالنبأ من ربك) جملة مقرر لما نصته
 الكلام السابق من دعوى الرسالة واعا وحد
 الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى
 بها نه لا الاشارة الى وحدة الحق وتعدد دها
 وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأتت بآية اولوحيك
 شيء مبين (والسلام على من اتبع الهدى) سلام
 الملائكة وخرقة الجنة على المهتدين والسلامة
 في الدارين لهم (انا قد اوحى اليك ان العذاب على
 من كذب وتولى) ان عذاب المشركين على
 المكذبين للرسول ولعل تغير النظم والتصرع بالوعيد
 والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر أهم وأجمع
 وبالواقع أليق (قال فمن ربكم يا موسى) أي بعد
 ما أتاه وقال له ما امرأه ولعله حذف للدلالة الحال
 عليه فان المطيع اذا أمر بشيء فعله لا محالة وانما
 خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل
 وهرون وزيره وتابعه اولانه عرف ان له رتبة ولاخيه
 فصاحه فاراد أن يفهم ويدل عليه قوله انا خير
 من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (قال ربنا
 الذي اعطى كل شيء) من الانواع (خلقه) صورته
 وشكله الذي يطابق كماله الممكن له واعطى خليقته
 كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول
 الثاني لانه المقصود يسانه وقيل اعطى كل حيوان
 نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرى خلقه صفة
 للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول
 الثاني محذوف اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه
 (ثم هدى) ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف
 يتوصل به الى بقائه وكما له اختيارا وطبعها وهو
 جواب في غاية البلاغة لاختصاصه واعرابه عن
 الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على ان
 الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى
 وان جميع ما عدها مقتدر اليه منعم عليه في حد ذاته
 وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وأخبر
 عن الدخول عليه فلم يرا الا صرف الكلام عنه

اي تسيل والديعة المطر الذي يدوم يوما وليلة فان قوله غير مفسدها منصوب على انه محال من فاعل سقى وهو
 صوب الربيع اي مطره جئني بها باليدفع ما يوهمه قوله فسقى ديارك امطار الربيع والديم من كونها مخربة للديار فان
 المطر قد يقول الى خرابها وعلى هذا الوجه يكون قوله اسع وارى حالين من المستكن في قوله تعالى معكم فلا ذلك قال
 على معنى اني حافظكم باسمع مبصرا (قوله من دعوى الرسالة) بيان للكلام السابق والمراد بما تضمنه الكلام
 السابق هو الحجى بالآية فان دعوى الرسالة لا تثبت الا بيته التي هي اظهار المجزة وكانت دعوى الرسالة متضمنة
 لدعوى بيته (قوله لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها) يعني ان المراد بقوله بآية جنس ما يكون برهانا لدعوى
 الرسالة قطع الطر عن وحدته وتعدد ذلك وحدها وقوله سلام الملائكة جعل السلام بمعنى التحية من الملائكة
 وخرقة الجنة للمهتدين فيكون المقصود من الكلام ترغيب الخاطئين في الاهتداء بتصديق الرسول واتباع ما جاء به
 من التكليف والاحكام وشارة المهتدين بكونهم من اهل الجنة ثم يجوز ان يكون السلام بمعنى السلامة كالرضاع
 والرضاعة قال بعض المفسرين قوله والسلام على من اتبع الهدى قول الله تعالى لهما كأنه قال فتقولا له انارسلوا
 ربك وقولاه السلام على من اتبع الهدى وقال آخرون بل كلام الله تعالى تم عند قوله قد جئتكم بالنبأ من ربك وقوله
 بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعدم قطعها بالامن وصدق بالسلامة له من عقوبات الدنيا والآخرة
 فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ويكون على بمعنى اللام اي والسلام لمن اتبع الهدى كما ان اللام
 تكون بمعنى على كما في قوله تعالى ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اي عليهم اللعنة وقوله ان احسنت احسنتم لا تقسمكم
 وان اسام فلها ويكون قوله انا قد اوحى اليك استثنافا لتعليل كأنه قيل السلامة من العذاب للمهتدين لانه اوحى
 اليك ان العذاب على المكذبين للرسول (قوله ان عذاب المشركين على المكذبين للرسول) يعني ان تعريف العذاب
 في قوله تعالى ان العذاب للعهد والمعهود هو العذاب النخص بالمشركين وهو عذاب الخلد في النار وما يوجد
 في اكثر النسخ وهو ان عذاب المتزائل اي القبر والنار لا يلبق ان ينسب الى المصنف (قوله ولعل تفسير
 النظم) يعني هذه الجملة ذكرت في مقابلة قوله والسلام على من اتبع الهدى وكان الظاهر ان تذكر على اسلوب تلك
 الجملة بان يقال والعذاب على من كذب وتولى بل بأن يقال وعدم السلام عليه لانه هو المقابل للسلامة لكنه صرح
 بالوعيد وصدرت الجملة بان وجعل مضمون الجملة مما اوحى اليها لكون الخلية عن الرذائل في اول الامر أهم
 بالنسبة الى التحلية بالفضائل كما ان همة من يعالج البدن مصروفة في اول الامر الى تنقية البدن من فضول
 الاخلاط ثم الى تقويته بالاغذية الصالحة وهكذا الحال فيمن يعالج النفوس فان اللائق لسانه الاهتمام بالخلية اولا
 (قوله اعطى كل شيء من الانواع) على ان كل شيء مفعول اول لا عطى وخلقه بمعنى مخلوقه ثانياً وضيم خلقه
 لكل شيء والمعنى اعطى كل شيء من انواع المخلوقات مخلوقه الذي هو صورته وشكله المطابق للكمال المودع فيه
 فالمراد بمخلوق كل شيء المخلوق الذي ينخص بذلك الشيء ويناسبه ويليق به ويتم به الغرض الذي خلق لاجله يدل
 عليه اضافة الخلق الى الشيء (قوله واعطى خليقته) على ان خلقه اول المفعولين وكل شيء ثانياً قدم على
 الاول لان الغرض منوط بذكر اعطاء كل شيء فلذلك صار المفعول الثاني اهم فقدم على الاول والخلقة الخلاق
 يقال هم خليفة الله وهم خلق الله ايضا فالخلق ايضا بمعنى المخلوق الا ان ضمير خلقه يرجع الى الذي وهو الرب تعالى
 وحيث يجب ان يختص كل شيء بما يحتاج اليه المخلوقات وينفعون به فان الاتفاق هو الانتفاع (قوله وقيل
 اعطى كل حيوان نظيره) على ان كل شيء مفعول اول الا انه خص بالحيوان وخلقته بمعنى مخلوقه هو الثاني
 وضيمه لكل شيء ويراد بمخلوق كل حيوان زوجة ومعنى الاختصاص المستفاد من الاضافة كونه نظيره
 في الخلقة (قوله وقرى خلقه) اي يفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة يتحمل ان تكون في محل نصب على انها
 صفة كل اوفى محل الجر على انها صفة شيء وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثاني محذوفاً ما على وجه الاختصار
 اعتمادا على دلالة المفعول عليه والمعنى اعطى كل شيء خلقه ما يحتاج اليه واما على وجه الاختصار والمعنى ان كل
 شيء خلقه الله لم يخله من اعطائه وانعامه واقتصر الامام الواحدى في البسيط على هذا الوجه ولم يتعرض للاول
 كما اقتصر المصنف على الاول ولم يتعرض للثاني (قوله ولذلك بهت الذي كفر) لاغراق العقلاء على ان العاقل
 لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق هذه السموات والارضين والسمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة
 عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فاذلك انهم فرعون ولم يتأت له ان يتعرض للدليل الذي اقامه

موسى عليه الصلاة والسلام على وجود الصانع القادر على كل شيء ويدل على كون هذه القضية مسلمة معلومة بالضرورة قول موسى ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فان كلمة الذى تقتضى وصف المعرفة بجملة معلومة الانتساب اليها فلا بد وان يكون مضمون الصلاة معلوما مسلما عند فرعون الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وزورا وبهتانا ويحتمل ان يكون جاهلا بربه بناء على كونه دهريا قاطلا لصانع سوى الدهر اصلا ويكون ادعاؤه الربوية لنفسه بمعنى انه يجب عليهم طاعته والانتقاد له والاعراض عن طاعة غيره ثم ان موسى لما ذكر دليلا ظاهرا وبرهانا باهرا على وجود الاله العليم القادر على كل شيء واخبر فرعون عن الدخول عليه قال معترضا على موسى ثمال القرون الاولى كقوم نوح وعاد وحمود فان اكرمهم لم يقروا بالله وبما دعوا اليه رانما عبدوا الاوثان فلو كان ما ذكرته من الدليل حقا لوجب على اهل القرون الماضية ان لا يفتلوا عنه فعارض الخجة بالتقليد وقال معترضا على موسى هكذا وهو اعترض فاسد مبنى على التقليد المحض غير مستند الى حجة ودليل فلذلك لم يلتفت موسى الى قوله وقال عليها عند ربى ولم يتعلق غرضى باحوالهم ثم عاد الى تقوية كلامه الاول وبرز سائر الدلائل فقال الذى جعل لكم الارض الآية (قوله عليها عند ربى) جملة اسمية وقوله في كتاب متعلق بمحذوف على انه خبر ثان اى عليها مستقر عند ربى مثبت في اللوح المحفوظ اثبت فيه ليكون ما كتب فيه ظاهرا للبلاتكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزّه عن السهو والغفلة فان قيل علم الله تعالى صفة قائمة بذاته فكيف يكون مثبتا في كتاب والصفة القائمة بالشيء لا تكون مثبتة في غيره فالجواب ان المراد باثباته اثبات متعلقاته التى هي الاحكام المعلومة به واثبات المصنف الى جوابه بقوله ويجوز ان يكون تمثيلا اى يجوز ان لا يكون المعنى ان علمها مثبت في الكتاب حقيقة بل يكون قوله انه ثبت في الكتاب استعارة تمثيلية شبه تمكن بال القرون الماضية في علمه ببقاء المكتوب في الكتاب فكانه قيل ان بالها في استقرار علمه عند الله بحيث لا يزول شيء منها عن علمه تعالى كالثبوت الذى استحفظه العالم وقيد بالكتابة فيكون المقصود بقوله في كتاب تأكيد قوله عليها عند ربى (قوله ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى) فان الظاهر انه استثناف لا محل له من الاعراب جرى به تعليل لما سبق من استقرار حال القرون الاولى عنده تعالى استقرار الشيء المكتوب في الكتاب ووجه التعليل انه عليه الصلاة والسلام لم يذكر مقول لا يضل ولا ينسى ليعلم الاشياء كلها فلما كان تعالى بحيث لا يضل ولا يخطئ شيئا من الاشياء بحيث لا يهتدى اليه بل كانت بأسرها حاضرة عنده بذواتها لا يغيب عنه شيء منها وما علم من ذلك لا ينسأ ابدا ثبت بذلك ان علم احوال القرون الاولى مستقر عنده كانه في كتاب فيكون انتظام الكلام هكذا ان فرعون طلب بقوله ثمال القرون الاولى تفصيل ما سبق من قوله والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى فأجابه موسى بقوله عليها عند ربى وانها مع ذلك مثبتة في اللوح المحفوظ ايضا لحكمة لا يعلمها الا هو وبقوله عليها عند ربى كأنها في كتاب ثم علل احاطة علمه تعالى بها بقوله لا يضل ربى اى لا يخطئ ربى شيئا من الاشياء بمعنى انه عالم بكل المعلومات وما علم منهم ابدا بل يبقى ذلك العلم ابدا لا يبدى وهذا على تقدير كون قوله لا يضل ربى ولا ينسى مستأنفا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان يكون في محل الجر على انه صفة لكتاب والعائد محذوف والتقدير في كتاب لا يضل ربى بحيث لا يهتدى اليه اى لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ولا ينسأه اى لا ينسى ما فيه يقال ضلالت الشيء اضله من باب ضرب وضلالت الشيء اضله من باب علم وكلاهما لفتان مشهورتان واللغة الاولى اشهر (قوله ويجوز ان يكون سؤاله دخلا) عطف على قوله فلم ير الا صرف الكلام عنده اى عن السؤال عن ربهما من هو الى ان يسأل عن تفصيل حال الامم الماضية فانه لما سأل عن الاله بقوله فمن ربكم او كان سبيل الجواب عنده الاستدلال على وجوده بما يدل عليه من الآثار التى لا يقدر عليها الا من كان واجب الوجود لذاته مستجمعا لجميع صفات الاجلال والاكرام منزها عن سمات الحدوث والامكان واجاب عليه الصلاة والسلام بالاستدلال عليه بهت الكافروا فخم عن الدخول على ما اتاه من الدليل وصرف الكلام الى وجه آخر على كونه متخضا غير قادر على الدخول وقيل ما بال القرون الاولى ليس منبأ على كونه متخضا عن الدخول بل وورده على طريق الدخول على قوله عليه الصلاة والسلام ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتقدير الدخول ظاهر من تقرير المصنف (قوله اى كالمهدى) التعريف فيه للعهد الذهنى فلذلك وصف بالجملة كافي قوله ولقد أمر على التميم يسبى وصفه بهاتينيهما على ان المهدى وان كان بمعنى المهود وهو الفروش المبسوط الا

(قال ثمال القرون الاولى) فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة (قال عليها عند ربى) اى انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما أخبرنى به (في كتاب) مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيد بالكتابة ويؤيده (لا يضل ربى ولا ينسى) والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه اباعضاها بالصورة والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الحالية مع كثرتهم وتضادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وياجزأ عنهم وياحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى (الذى جعل لكم الارض مهيدا) مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح قرأ الكوفيون مهيدا اى كالمهدى تمهدونها وهو مصدر سمي به والباقيون مهادا وهو اسم ما عهد كالفراس اوجع مهدا

انه مخصوص بما بسطه العباد ليقعدوا او يناموا عليه فلذلك كان قوله جعل لكم الارض مهبطا من باب التشبيه
 البليغ والمهد والمهاد واحد من حيث ان المراد بكل واحد منهما ما يهد ويقرش ولا فرق بينهما الا بان المهد في الاصل
 مصدر بمعنى القرس والبسط سمي به اليهود والمهاد اسم في الاصل ويجوز ان يكون جمع مهبط مثل كعب وكعب
 وقرخ وقرخ (قوله وجعل لكم فيها) فان السالك ادخال الشيء في الشيء فالعنى ادخل في الارض لاجلحكم طرنا
 تسلكونها لتبلغوا الى مقاصدكم (قوله عدل به من لفظ العيبة) يعنى ان قوله فاخرجنا به من كلام موسى لكونه
 معطوفا على ما قبله بالفاء وما قبله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام فيجب ان يكون ما عطف عليه من كلامه
 فلما كان من كلامه كان يعنى ان يكون جارا على اسلوب ما قبله بأن يقال فاخرج به الا انه عدل به من لفظ العيبة
 الى صيغة التكلم على بناء على ان موسى سمع هذه الكلمات من الله تعالى يعينها فادرجها في كلامه فحكاها كما هي
 على طريق الاقتباس ونكتة العدول عن مقتضى الطاهر الى طريق حكاية كلام الله بعينه كون هذا العدول ادل
 على كمال القدرة والحكمة بالنسبة الى ان يقال فاخرج به وايضا لما كان هذا العدول مستقلا على وضع ضمير الجمع
 موضع المفرد كما هو عادة الملوك في التعبير عن انفسهم وعلى وصف النبات الخارج به بالاختلاف والتشتت دل
 الكلام على انه لا مطاع تنقاد المخلوقات على اختلافها وتفرقها لارادته ولما عدل موسى الى طريق الحكاية
 لكلام الله تعالى حكى الله تعالى كلامه لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى ورد من موسى (قوله وعلى
 هذا نظر) اى وعلى كون العدول من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم للتبعية والايذان المذكورين قوله تعالى
 فاخرجنا بنحرات مختلفة ألوانها وقوله فأنبتناه حدائق بلفظ التكلم بعد التعبير بلفظ الغيبة وان لم يكن العدول
 الى التكلم فيها على وجه الحكاية لكلام الله والوجه في كون العدول الى التكلم في مثل هذا المقام دالا
 على كمال القدرة والحكمة ان من اشتهر بالقدرة الفائقة والخداقة الظاهرة اذا قال من يفعل كذا يفهم منه اثر
 القدرة الباهرة لا يقدر عليه غير التكلم والامر كذلك ههنا فان الماء واحد والارض واحدة والمخرج مختلف
 ألوانها فلا يكون ذلك الا بامجاد قادر مختار لا يمتنع شئ من ارادته ومشتد (قوله فانه من حيث انه مصدر)
 جواب ما يقال شئ جمع شئ فكيف يصح ان يكون صفة للنبات وتقرير الجواب ان النبات والنبات وان سمي بكل
 واحد منهما الثابت الا ان كل واحد منهما مصدر في الاصل الخ (قوله لذوى العقول) اشارة الى ان انتهى جمع نهيبة
 كترفة وغرف وفي الصحاح النهية بالضم واحدة التهي وهي العقول لانها تنهى عن القبح (قوله واول مواد
 ابدانكم) فان بنى آدم انما يتولدون من النطفة ودم الطيب وهما يتولدان من الاغذية والغذاء اما حيوانى وانبائى
 والحيوان ينهى الى النبات والنبات اعما يحدث من امتزاج الماء والتراب فصنع الله تعالى خلقا منها وذلك لا ينطبق
 كوننا مخلوقين من النطفة (قوله بصرفناه اياها او عرفناه صحتها) يعنى يجوز ان يكون اريتنا من الرؤية بمعنى
 الابصار وان يكون من الرؤية بمعنى المعرفة وعلى التقديرين اذا نقل الى باب الافعال تعدى الى مفعولين لكن
 التزم على الوجه الثانى حذف المضاف حيث قال عرفناه صحتها اى اوضحنا له وجه الدلالة فيها ولا ضرورة الى
 ارتكاب الحذف اذ لو قيل عرفناه آياتنا لاستقام المعنى ولا يجوز ان يكون اريتنا من الرؤية بمعنى العلم والالزام
 حذف المفعول الثالث من باب اعلمت وهو غير جائز والآيات تتناول ما يدل على الوحدة اية وما يدل على النبوة
 فالذى يدل على التوحيد ما ذكر في هذه السورة من قوله تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذى حمل
 لكم الارض مهبطا الى قوله في سورة الشعراء قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض فأنبتنهما
 والذى يدل على صدق مدعى النبوة هي الآيات التسع المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام وهي العصا واليد وطق
 البحر والحجر والقمل والجراد والضفادع والدم وتبقى الجبل واصناف تعال اراءة الآيات الى نفسه مع ان المظهر لها
 هو موسى بناء على انه تعالى هو الذى اجراها على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه حيث قال فنفخنا فيه من روحنا
 مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام (قوله كلها تأكيدها لتشمول الانواع) فان الجمع المضاف بقيد الشمول
 والاستغراق وكلها تأكيدها لتشمول والآيات انواعها ايجاد المعدم كايجاد الضوء من اليد ومنها اعدام
 الموجود كاعدام جنات السحرة ومنها تغيير الموجود قلب العصا الى دابة وادانها بعصا ولما ورد ان قوله كلها
 بقيد العموم والله تعالى ما اراه جميع الآيات لان من الآيات ما ظهر هاعلى يد الانبياء الذين كانوا قبل موسى والذين
 كانوا بعده اجاب عنه اولابان التعريف الحاصل بانضافة الآيات للعهد والعهود والآيات التسع المختصة بموسى

(وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا
 بين الجبال والأودية والبارى تسلكونها من
 ارض الى ارض لتبلغوا مقاصدها (وازل من السماء
 ماء) مطرا (فاخرجنا به) عدل به من لفظ الغيبة
 الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيهها
 على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة
 وايضا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته
 وعلى هذا نظيره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء
 ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها آمن خلق
 السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتناه
 حدائق (ازواجا) اصنافا سميت بذلك لازدواجها
 واقتزان بعضها ببعض (من نبات) بيان وصفه
 لازواجا وكذلك (شئ) ويحتمل ان يكون صفة
 لنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوى
 فيه الواحد والجمع وهو جمع شئ كبريى ومريض
 اى متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح
 بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا
 وارعوا انعامكم) وهو حال من ضمير فاخرجنا على
 ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات فأنبت
 كلوا وارعوا والمعنى معدى لانتفاعكم بالاكل
 والعلف آذنين قيد (ان في ذلك لايات لاولى النهى)
 لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب
 القبائح جمع نهيبة (منها خلقناكم) فان التراب اصل
 خلقه اول آياتكم واول مواد ابدانكم (وفيها
 نعيذكم) بالموثوقين والجزاء (ومننا نخرجكم
 تارة اخرى) بتأليف اجزائكم المتفتنة المختلطة
 بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها
 (ولقد اريناه آياتنا) بصرفناه اياها او عرفناه صحتها
 (كلها) تأكيد لتشمول الانواع ولتشمول الافراد
 على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع
 المختصة بموسى وانه عليه السلام اراه آياته وعدده عليه
 ما اوتى غيره من المعجزات

(فكذب) موسى من فرط عتاده (واي) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجبنا لتخرجنا من ارضنا) ارض مصر (بشرك يا موسى) هذا تعلل وتخير ودليل على انه علم كونه محققا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا منه من ارضه (فلما تبينك بسحر مثله) مثل سحره (فاجعل بيننا وبينك موعدا) وعدا لقوله (لا تخلفن نحن ولانث) فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان واتصبا (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة بدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى متصفا يستوى مساقته البناء واليك وهو في التعت كقولهم قوم عدى في السد وذو قرأ ابن عامر وعاصم وحزرة ويعقوب بالضم وقبل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النوروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار (وان يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم او على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بانه على خطايب فرعون والباء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطايب لقوم (فتولى فرعون فجمع كبده) ما يكاد به معنى السحرة والآلهة (ثم اتي) بالموعد (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فبجحمتكم بعذاب)

عليه الصلاة والسلام فتكون كلها لتقول تلك الآيات وثابتا بانه عليه الصلاة والسلام اراد الآيات المختصة به واخبره بآيات غيره من الانبياء اجالا وتقصيلا وما اخبر به فكأنه اراد لانه نبى صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يراه عيانا وفيه بعد لان الاخبار بالشئ لا يسمى اراءة الا بحاجز بعيد الا ان تجعل الارادة بمعنى التقرّب (قوله فكذب موسى واي الايمان والطاعة) حذف مفعول كل واحد من كذب واي اختصارا لكونه معلوما بدلالة المقام عليه (قوله فان الاخلاف لا يلائم الزمان) علة لتفسير الموعد بالمصدر يعنى ان الموعد اما زمان او مكان او مصدر والاولان باطلان فتعين الثالث اما بطلانها فلان قوله لا تخلفن صفة لموعدا غلو كان اسم زمان او مكان لازم ان يتعلق الاخلاف بالزمان او المكان والاخلاف انما يتعلق بالوعد لا بالزمان والمكان يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه او مكانه والجعل ههنا بمعنى التصيير وموعدا مفعول اول والظرف هو الثاني والجملة التي هي لا تخلفن نحن ولانث صفة لموعدا ونحن تأكيد صحيح للعطف على الضمير المرفوع المستتر في تخلفن ومكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر كأنه قيل اجعل بيننا وبينك وعدا ثم قيل عدنا مكانه (قوله لاه) اى لا يجوز انتصاب مكانا بنفس المصدر لانه وصف قبل العمل بقوله لا تخلفن والمصدر اذا وصف قبل العمل لا يعمل عند الجمهور لان مفعول المصدر منته ولا يوصف الشئ الا بعد تمامه (قوله وعلى هذا) اى على تقدير ان يتصّب مكانا سوى يكونه بدلا من موعدا بان يقدر مكان مضاف الى موعدا يكون سؤال فرعون بقوله اجعل بيننا وبينك موعدا طباق جواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة ولما ورد ان يقال انه ليس بمطابق لسؤال فرعون لان الموعد المذكور في الجواب يعنى زمان الوعد والا لما صحت خبره بقوله يوم الزينة فقوله زمان وعدكم يوم الزينة كيف يطابق قول فرعون اجعل بيننا وبينك مكان وعد ذكر المصنف في وجه صحة المطابقة احتمالين الاول ان الجواب وان لم يطابق السؤال لفظا الا انه يطابقه من حيث المعنى لانه عليه الصلاة والسلام لما اجاب بتعيين زمان الوعد بانه يوم الزينة فقد اجاب بتعيين مكانه ايضا لانهم لا بد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فالجواب بتعيين زمان الوعد بيان لمكانه ايضا كما اذا قلت لصاحبك اين اراك فقال يوم عرفة فقد اجابك بتعيين مكان الرؤية من حيث المعنى فكأنه قال تاني في عرفات والاحتمال الثاني ان يقدر مضاف في الجواب كما يقدر في السؤال فكان فرعون لما قال اجعل بيننا مكان موعدا اجاب بقوله مكان موعدكم يوم الزينة وقدر المكان في الخبر ايضا ليصح الاخبار عن مكان الوعد بانه يوم الزينة (قوله كما هو على الاول) اى كما ان انطباق الجواب على التقدير الاول باضمار والمراد بالوجه الاول ان يرد بقوله اجعل موعدا المصدر ولا يقدر مكان مضاف بل ينتصب مكانا سوى بفعل دل عليه موعدا اى عدنا مكانا سوى فيكون مسؤل فرعون على هذا الوجه ايضا مكان الوعد وايضا فجواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة لا ينطبق على مسئوله الا باعتبار الضمار ثم ان نظر الى قول فرعون عدنا مكانا فالطابق بان يقدر مكان موعدكم مكان يوم الزينة وان نظر الى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا فالطابق بان يقدر وعدكم وعد يوم الزينة وهذا اولي فليأمل (قوله وهو ظاهر في ان المراد به المصدر) اذ لو كان الموعد زمانا او مكانا لكان المعنى زمان وعدكم او مكانه واقع يوم الزينة فليزحم حصول الزمان او المكان في الزمان وهو محال فتعين انه مصدر وحينئذ لا بد من ان يقدر المضاف قبل موعدكم اذ ليس المراد ان نفس وعدكم واقع يوم الزينة لانه واقع قبل ذلك بل المراد ان انجاز موعدكم واقع يوم الزينة فيكون الجواب بالزمان والمطابقة من حيث المعنى لان المسؤل عند تعيين المكان من حيث ان قوله مكانا سوى منصوب بالفعل المدلول عليه بالمصدر (قوله وهو في التعت) وفي الصحاح العدى بكسر العين الاعداء وهو جمع لا تغلبله قال ابن السكيت ولم يأت فعل في التعت الاحرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى وقوم عدى اى اعداء مثل سوى وسوى بكسر العين وضمهما (قوله عطف على اليوم او على الزينة) فعلى الاول يكون في محل الرفع ويكون التقدير موعدكم يوم كذا وموعدا ان يحشر الناس اى يحشرهم وعلى الثاني يكون في محل الجر اى موعدكم يوم الزينة ويوم ان يحشر الناس اى يحشرهم وضمحى منصوب على انه ظرف يحشر (قوله تعالى فتولى فرعون) اى اعرض عن قبول الحق وقيل ترك ما كان فيه من الشئون الا هذا الامر ويجوز ان يكون المعنى رجع عن المكان الذى وقع فيه المواعدة (قوله بأن تدعوا) اى تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فان من سماها سحرا فعد جعل الله تعالى سحرا فيكون هذا افتراء على الله تعالى

وفيها) اي وفي الوجه الثاني والثالث ان لام الابتداء لا تدخل خبر المبتدأ وانما تدخل على المبتدأ لكونها
موضوعا لتأكيد موصوفية المبتدأ بالخبر وتلك الموصوفية لما كانت من احوال المبتدأ وجب ان يختص
ما يدل عليها بالمبتدأ لان العلة الموجبة لحكم في محل لا بد ان تكون مختصة بذلك المحل فوجب ان تختص لام
الابتداء بالمبتدأ ولا تدخل على الخبر ولا يرد ان يقال هذا الدليل يستلزم ان لا تدخل اللام على الخبر فيما اذا دخلت
ان على المبتدأ لان ذلك لاجل الضرورة وهي امتناع اجتماع حرفي اثنا كيد على المبتدأ ولا ضرورة فيما اذا لم تدخل
ان على المبتدأ (قوله وقيل اصله) اي قيل في جواب ما اورد على الوجهين الاخيرين ان اللام ليست داخلية على
خبر المبتدأ بل هي داخلية على المبتدأ المقدر وتقدير الكلام على الوجه الثاني ان الشأن هذان لهما ساحران وعلى
الوجد الثالث نعم هذان لهما ساحران وتقدير قوله ام المجلس لعجز ام المجلس لهي عجوز ورد المصنف هذا الجواب
بان المؤكد للام الابتداء لا يليق به الحذف لان الحذف ينافي الغرض المطلوب من التأكيد (قوله بمذهبكم
الذي هو افضل المذاهب) يعني ان المثلي تأنيث الاصل وهو افضل الاشبه بالحق وان المراد بالطريقة المذهب
الذي يسلكونه ويتدينون به وسعوه بالطريقة المثلي والسنة الفضلى بناء على زعمهم فان كل حزب بما لديهم فرحون
والزجاج جعل الآية من باب حذف المضاف اي ويذهب بأهل طريقتكم المثلي ويجعلها متبعا لافسها وقال
الفراء الطريقة رجال الاشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومهم
ومنه قوله تعالى كطرا أئق قددا اي كطرافا مختلفة الالهواء الجوهرى القدد ايضا الطريقة والفرقة من الناس
اذا كان هوى كل واحد على حدة والمقصود على التقديرين ان ينفروا قومهم عن موسى وهرون بانهما يريدان
ان يذهبا باشراف قومكم واكبركم وهم بنو اسرائيل واخذوا هذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام ارسل
معنا بنى اسرائيل وسعوا بنى اسرائيل بذلك لانهم كانوا اكثر القوم بومئذ علما وعددا واموالا وعلى التقدير الباء
في قوله بطريقتكم للتعددية واعلم انه تعالى لما ذكر ما أسروه من الجوى حكى عنهم ما ظهره وبجوهه يدل على التغير
عن موسى ومنا بغير دينه من وجوه احدها قولهم هذان ساحران وهذا طعن منهم في عجرة موسى مبالغته في التغير
عنه لان كل طبع سليم ينفر عن السحر ويستكره رؤية الساحر من حيث ان الانسان يعلم ان السحر تمويه وتليس
لا بهالة ومن كان السحر بنى امره يأكل على احدهن اتباعا وثابها قولهم يريدان ان يخرجناكم من ارضكم وهو
يفيد نفرة عظيمة لان مفارقة المولد والمستأشيدة على القلوب وهذا هو الذي حكاه الله تعالى عن فرعون بقوله
أجئنا لنخرجنك من ارضنا يسبحك لئلا يموسى فكان السحرة تلقوا هذه السبحة من فرعون ثم اعادوها على قومهم
وثالثها قولهم ويذهب بطريقتكم المثلي وهذا ايضا له تأثير شديد في تغير القلوب فان العدو اذا جاء واستولى على جميع
ما تعزز به القوم من المذهب واشرافهم وما يرجون فيه يكون ذلك في نهائذ السقفة على القلب (قوله فأنزعوه) اي
فأنزعوا عليه فان كل واحد من العزم والاجاع يتعدى بلى يقال عزمت على كذا عزما وعزمت بالضم والفتح وعزيمة
وعز بما اذا اردت فعله وقطعت عليه الا انه حذف صلة أجعوا في نظم التزليل كما حذف صلة العزم في قوله تعالى
ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح فلذلك حذفها المصنف في قوله فأنزعوه اي اعزموه واما ان قرئ
فاجعوا بوصول الهمة وفتح الميم من الجمع بمعنى لاتدعوا شيئا من كيدكم الاجتم به فحينئذ لا حاجة الى اعتبار حذف
الصلة فان جمع تعدى بنفسه (قوله مصطفىين) فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال (قوله وهو اعتراض)
يعني ان قوله قد افلح اليوم من كلام الله تعالى جيى به بين كلامهم ومقولهم فهو اعتراض باعتبار كونه اجنبيا وقع
بين كلامهم وفيه بحث لان الظاهر انه من كلامهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على الاجماع والاتفاق على كيدهم
بالجد والاهتمام فلا اعتراض حينئذ (قوله تعالى قالوا يا موسى) استئناف جيى به لبيان ما ادى اليه توابعهم
بالاجماع على كيدهم واتيان مكان الوعد ذوى صف اي قاتوا المكان وقالوا اما ان تلقى مامعك قبلنا واما ان تلقى
مامعنا قبلك وهذا التحير مع تقديمه عليه الصلاة والسلام في الذكر حسن ادب منهم فلا جرم رزقهم الله تعالى
الايمن ببركته ثم انه عليه الصلاة والسلام قابل ادبهم بأدب فقال بل ألقواوا الظاهر انه عليه الصلاة والسلام
امرهم بذلك ليظهر الفرق بين السحر وبين المعجزة الالهية كما انه قال ألقواوا فاسترون عاقبة سحرهم وأن الله سيظهره
ويتصرون له ويصدق بالحق على الباطل فيدمغه (قوله وتغير النظم) مجرور بالعطف على قوله يذكر الاول
فان ما في شقهم من الكلام المبلغ بما في شق عليه الصلاة والسلام من حيث ان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى

وفيها ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه
هذان لهما ساحران لحذف الضمير وفيه ان المؤكد
باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين
وهو ظاهر وابن كثير وحقق ان هذان على انها
هي الخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام
بمعنى الا (يريدان ان يخرجاك من ارضكم)
بالاسيلاء عليها (بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار
مذهبهم واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبذل دينكم
وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل
فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل
معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فأجعوا
كيدكم) فأنزعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه
واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجعوا ويعضده قوله
فجمع كيدهم والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول
بعضهم لبعض (ثم انشوا صفا) مصطفىين لانه
أهيب في صدور الرأئين قيل كانوا سبعين ألفا
مع كل منهم جبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالا واحدة
(وقد افلح اليوم من استعلى) فاز بالمطلوب من
غلب وهو اعتراض (قالوا يا موسى اما ان تلقى
واما ان تكون اول من ألقى) اي بعد ما اتوا مراعاة
للادب وأنما بعده منصوب بفعل مضمر او هو فوج
بخر محذوف اي اخبر القاءك اولا او القاءنا
او الامر القاءك او القاءنا (قال بل ألقواوا) مقابلة
أدب بأدب وعدم مسالة بسحرهم واسعافا الى ما
اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في سقهم
وتغير النظم الى وجهه ابلغ

علل المصنف قوله عليه الصلاة والسلام بل ألغو بأربع علل والاسعاف بالحاجة فضاؤها (قوله ويستندوا) اي ويستندوا من تغد الشئ بالكسر فداى فى (قوله قديمه) تخيل تشبه الباطل بالخصم المصنوب فى مقام المجادلة يقال دفع دمه اذا شجبه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامنة (قوله اي فآلقوا اذا جبالهم) يعنى ان الشئ فى قوله تعالى فاذا جبالهم عطف بها عامل الظرف على جهة محذوفة دل عليه اسوق الكلام فيها فآ فصيحة وقوله فآلقوا معطوف على قوله قال بل ألغو (قوله والتحقى انها ظرفية) اي ان اذا المفاجأة كذا الظرفية ظرف بمعنى الوقت لكنها خصت باسم آخر لاختصاصه بكون عاملها فعل المفاجأة فاضافة اذا الى المفاجأة للملابسة بينهما وبين المفاجأة يقال فآجأ الموت اي اخذه بفترة وفاجأه السبع اي اتاه بغتة والجملة التى يضاف اليها اذا المفاجأة ابتدأ اي اسمية فانه لا يقع بعدها الا المبتدأ والخبر فقوله جبالهم وعصبيهم متداً ويخيل خبره وانها تسعى مفعول تخيل اقيم مقام الفاعل اي تخيل اليه سعيها فان قراءة الجمهور تخيل بضم الياء الاولى وقبح الثانية مبنيا للمفعول وقوله جبالهم وعصبيهم تخيل لما صيف اليد كذا اذا صار فى حكم الفرد وهو تخيل جبالهم وعصبيهم وكذا قوله انها تسعى لما كان مفعول تخيل صار فى معنى سعيها فاذا قدر فآجأ قبل كذا ادعاء لا فيها صار التقدير فآلقوا فمجاهاً موسى وقت تخيل حالهم وعصبيهم سعيها الا ان المصنف قال فى تقدير المعنى فآلقوا فمجاهاً موسى وقت تخيل سعى جبالهم وعصبيهم من سحرهم فاضاف تخيل الى مفعوله ولم يذكر فاعله واضاف السعى الى لفظ جبالهم وعصبيهم بدل اضافته الى ضمير سعيها وهذا تصوير لاعراب نظم الآية والمعنى على تخيل مفاجأة موسى باخبار والعصى تخيلة سعيها وعلق فعل المساجدة فى تصوير المصنف نظره تعلقه بالمفعول به اتساعاً فى التعلق مثل الاتساع فى اضافة اسم الفاعل الى الطرف فى قوله تعالى الى مالك يوم الدين اي انه تعالى مالك الامور كلها فى يوم الدين (قوله وقرأ ابن عامر) اي برواية ابن دكوان تخيل بضم التاء الفوقانية على معنى تخيل الخيل والعصى وانها تسعى بدل اشتمل من المستكن فى تخيل وقرئ تخيل بنون العظمة على ان الله تعالى هو المخيل لاجل الامتحان والابتلاء وتخييل بفتح التاء والياء اصله تخيل فحذف احدى الاء بن كفا فى قوله تعالى تنزل الملائكة اسند الفعل الى ضمير الجبال وانث تأنيث جماعة الجبال والعصى وقوله انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير كفا فى قراءة تخيل بضم التاء وقبح الياء (قوله مؤكدا بالاستثناف) كانه لما قيل له لا تخف سأل كيف لا تخاف والحال يقتضى استبعاد الخوف فاجيب انك انت الاعلى ووجه دلالة الاستثناف على التاكيد انه يدل على الاهتمام بشأن المستأنف منه ووجه دلالة تعريف الخبر عليه ان اللام تعريف الجنس وقد دخلت على الخبر فافادت ان حقيقة العلو والغلبة مختصة بك لا تنمى الى غيرك (قوله تحقيرا لها) كانه الحاقها بها لم يوضع لها اسم بل كفى فى التعبير عنها بلفظ اسم الجنس او انواع ووجه دلالة الانهاهم على التعظيم انه يدل على ان العصا بلغت فى الكمال وعظم الشأن الى الغاية التى تجزى العبارة عن بيان ماهيتها المخصوصة وانما يتأتى ان يعبر عنها بشئ من عوارضها العامة (قوله تلتف) قراءة العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجرم الفاء على انه جواب الامر وقراءة حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرئ تلتف بالرفع اما على الحال او الاستثناف وانث الفعل فى تلتف جلا على معنى ما لان معناها العصا ويحتمل ان يكون تلتف صيغة المفرد المذكر المخاطب ويكون المستر فيه موسى ويستند اليه التلتف باعتبار كونه سبباً بالقاء العصا (قوله على ان ما كاذف) تكف وتمنع الحروف المسببة عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فاتها مادامت عاملة لا تدخل على الفعل ويحتمل ان تكون مامصدرية والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وذكر لقراءة كيد ساحر ثلاثة اوجه الاول تقدير المضاف اي كيد شئ وسحر والشئ تسمية الساحر سحرا على المبالغة فانه لكثرة ملاسة السحر وتوغله فيه صار كانه نفس السحر والثالث انه من قيل اضافة المبهم الى مجرته نحو مائة درهم وألف دينار او اضافة الجنس الى نوعه لبيان نحو علم فقه وعلم نحو فان الكيد وهو الحيلة تكون سحرا وغيره فاضيف الى السحر لبيان فكانه قيل كيد هو سحر (قوله وتشكر الاول) مع ان القصد فيه ايضا الى الجنس وهو يقتضى تعريفا لا انه لو عرف لصار للمضاف ايضا معرفة والمقصود تشكيكه لان المراد به نوع من الكيد وهو السحر فكري لئول تشكيكه الى تشكيك المضاف وتشكيكه لانث ان يراد به الجنس كما تكر ديا فى قوله فى سعى دنيا مع ان المراد بها العلوم العين تشكيك السعى اذ لو عرف الدنيا لصار السعى معرفة والمراد تشكيكه اذ المعنى فى سعى ما دنياوى واوله الحمد لله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت * باذنه الارض وما نعت * اوحى اليها القرار فاستقرت

ولا يبرزوا مامعهم ويستندوا اقمى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقتد بالحق على الباطل قديمه (فاذا جبالهم وعصبيهم تخيل اليه من سحرهم انها تسعى) اي فآلقوا فاذا جبالهم وهى للمفاجأة والتحقى انها ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وحلة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فآلقوا فمجاهاً موسى وقت تخيل سعى جبالهم وعصبيهم من سحرهم وذلك بانهم لطفوها بالزئيق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيّل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ تخيل على اسناده الى الله وتخيّل بمعنى تخيل (فآوحس فى نفسه خيفة موسى) فآضر فيها خوفاً من مفاجاته على ما هو مقتضى الجملة الشرية او من ان يخالف الناس منك ولا يدعوهم (قلنا لا تخف) ما توهمت (انك انت الاعلى) تعليل للنهي وتقرير لقلبه مؤكداً بالاستثناف وحر فى التحقيق وتكرير الضمير وتعرف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الطاهرة وصيغة التفضيل (وألق ما فى يمينك) اجمعه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تال بكثرة جبالهم وعصبيهم والى العويدة التى فى يدك او تعظيمها اي لا تخف بكثرة هذه الاحرام وعطسها فان فى يمينك ما هو اعظم منها ائرا فآلقه (تلتف ماصنعوا) بتلعه بقدره الله تعالى واصله تلتف فحذف احدى التاءين وتاء المصدرية يحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستثناف وحفص بالجرم والتخفيف على انه من لفته نعى تلتفته (ان ماصنعوا) ان الذى زوروا واعتدوا (كيد ساحر) وقرئ بالنصب على ان ما كاذف ومفعول صنعوا وقرأ حزة والكسائي سحره ذى سحر او تسمية الساحر سحرا على المبالغة باضافة الكيد الى السحر لبيان كقولهم علم فقه اسما وحده الساحر لان المراد به الجنس المطلق والى قال (ولا يطلع الساحر) اي هذا الجنس تشكيك الاول لتشكيك المضاف كقول العج

يوم ترى النفوس ما ست فى سعى دنياط لما قدمت كانه قيل ان ماص كيد سحرى

وشدها بالاراسيات الثبت * والمجامل الغيث غياث المسنت * والمجمع الناس ليوم الموقت
بعد الميثاق وهو محمي الموت * يوم ترى النفوس ما أعدت * من نزل اذا الامور غيت
في سعي دنيا طامسا قديمت

ف قوله ما نعت اي ما تعبت الارض بالخالفه لله تعالى بل اطاعته حيث اوحى لها القرار يقال عني بالكسر يعني عشاء
اي تعب ونصب وعيشه انا تعبت فمتني ويعد ان يكون من نعت وتصلب بمعنى قابل غيره طابا لثته وقوله وما
اعدت اي ما جعلته عدة وقوله من نزل بيان ما أعدت وغيت الامور اي بلغت غايتها وآخرها والمعنى اذا الامور
بلغت اواخرها وقوله في سعي دنيا ظرف نعت او ظرف طام ان كانت ما في طامسا مصدرية او مدت في سعي دنيا
يقول يوم القيامة ترى النفوس ما جعلته عدة من نزل يوم القيامة * حين تبلغ الامور اواخرها وقد مدت *
اي امهلت في جهنم وتبيد اسبابها (قوله حيث كان واين اقبل) فان الذهاب والايان يعبر بهما عن الكون
والاقبال يقال اقبلت فانت كذا اي اقبلت واكلت (قوله فالفاهم ذلك) اي تحقق ان
ما ظهره موسى عليه الصلاة والسلام ليس بسحر بل هو معجزة آلهية والاعتبار الرجوع عما كان عليه من الاساءة
الى الاستزادة والطاعة * والروى آخر الحروف من فواصل الآية قبل ما لاني موسى عصاه فاذا هي اعظم من
حبالهم ثم اخذت تردد عظماني ملائ الوادي ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة وكانت ضربت لفرعون
قبه يجلس فيها وينظر اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم هبطت فأكلت كل ما عملوا من الكيد والناس ينظرون
اليها المحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتباعد فأخذها فهاها مسانين ذراعا فصاح فرعون بموسى فاخذها
فاذا هي عصا كالقبة ونظر السحرة فاذا هي لم تدع من حبالهم وعصيتهم شيئا الا اكلته فصر فوايدك انه ليس بسحر
وقالوا لو كانت سحرا لبقيت الاشياء واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل
عاقل يعلم بالضرورة انه لا يقدر على ايجاد الحيوان من الجاد وتعليم جثتها جلة واحدة ثم تصغيرها وتصيرها كما
كانت جلة واحدة الا الاله القادر على كل شيء واستدلوا بظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا من
عنده تعالى فلا جرم تابوا وآمنوا وانواعها وانها في الخضوع وهو السجود قال الزمخشري ما عجب امرهم اقلوا
حبالهم للكفر والحدود ثم اقلوا رؤسهم بعد سبحة السكر والسجود ولما تناف فرعون ان يصير ذلك سببا لاقتداء سائر
الناس بهم في الايمان بالله ورسوله القى لهم في الخل شبهتين الشبهة الاولى قوله لهم اتمتم لقبل ان اذن لكم يعني
انكم اتمتم في الايمان به والاتباع له على اول خاطر خطر ببالكم من غير بحث ومناظرة وامعان مرة بعد اخرى
في امره فامكن ايمانكم عن بصيرة والشبهة الثانية انه لكبيركم في علم السحر فاصططحتم على ان تظهروا المعجز عن
معارضتكم وترويح الامر وتغليب الشبهة ثم هددهم صرقالهم عن الايمان وتغيير انفسهم عن الاقتداء بهم فقال لا قطعن
ايديكم الآية وبناء القطع والتصايب لكثير المقبول (قوله كان في القطع ابدي من مخالفة العضو والعضو) فان
القطع لا ابدي من العضو الذي هو موضع الخلاف صار كأنه قد ابدي من نفس الخلاف لما بين الخلاف وموضع
من الملازمة (قوله بالخفيف) اي تخفيف عين الفعل على ان ثلاثي لا يشق له التكثير (قوله شبهتمكم المصلوب
بالجذوع) اي في الجذوع جواب عما يقال ان فعل المصلوب متعدي الى المفعول الثاني يعني فلم عدى ههنا بكلمة في
وتقرير الجواب ان الكلام هنا من قبيل الاستعارة التورية شبه متعاق كلبه على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمطلق
كلمة في وهو التمكن بطريق النظر فبما استعرا التمكن المشبه به التمكن المشبه استعارة اصلية فاستعمل في التمكن المشبه
كلمة في الموضوع للدلالة على تمكن النظر فبما الذي هو المشبه به فمرت الاستعارة اولاً واصالة في تمكن النظر فبما
في كلمة في الدالة عليه (قوله لدوله اتمتم له) يعني انه يدل على ان المراد من قوله انا اشد بنفسه الخبيثة وموسى عليه
الصلاة والسلام لان معنى اتمتم له اي لاجله وبسببه لانكم ختمتم على انفسكم ان يذبحكم ان لم تؤمنوا له (قوله وقيل
رب موسى) اي قيل يريد نفس ورب موسى فالعني ولعلنا ايها السحرة انا انا على ايمانكم رب موسى اورد موسى
على ترككم الايمان به اشد عذابا لكم وأدوم فان قيل كيف يعقل من فرعون ان يهدد السحرة ويبالغ في وعدهم الى
هذا الحد يستهزئ موسى ويقول انا اشد عذابا من قريب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية وما لها من الانوار
الهائلة حتى انها قضيت ابتلاع قبة فرعون واضطر هو الى ان استغاث بموسى من شر ذلك التعبان فمع قرب عهده
بذلك بعد منه ان يجاسر على ما ذكر من التهويل واجب باله يجوز ان يكون اشد الخوف في قلبه ومع ذلك كان يظهر

(حيث ان) حيث كان واين اقبل (فالف السحرة
سجدا) اي فالف فتلقت فتحقق عند السحرة انه
ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته
فالفاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا
واعتباوا وتعلموا انوا (قالوا آتانا رب هرون وموسى)
قدم هرون لكبرسته اوردى الآية اولاً لأن فرعون
رى موسى في صغره فلما اقتصر على موسى اقدم ذكره
فرمما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على
الاستنباع روى انهم راوا في سجودهم الجنة ومنزلهم
فيها (قال اتمتم له) اي لموسى واللام لتضمن الفعل
معنى الاتباع (قبل ان اذن لكم) في الايمان له
(انه لكبيركم) اعطيكم في فكم واعلمكم بما ولا ستاذكم
(الذي علمكم السحر) واتم توطأتم على ما فعلتم
(فلا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) اليد
اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتداء كائن القطع
ابدي من مخالفة العضو والعضو وهي مع الجبرور بها
في موضع النصب على الحال اي لا قبلتها مختلفات
وقرى لا قطعن ولا صلبين بالخفيف (ولا صلبكم
في جذوع الخل) شبهتمكم المصلوب بالجذوع
بتمكن المظروف بالنظر وهو اول من صلب (واتعلن
اينا) يريد نفس وموسى لقوله اتمتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله اراد به توبيخ موسى والهزؤ به
فان لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي
آمنوا به (اشد عذابا وابق) وأدوم عذابا

الجلادة والواقحة تمشية لنا موسى وتروى بحال امره **(قول له نخشرك)** اى ان نخشرك طاعتك والايان بك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والافيل بهم ما وعدهم به فاجابوه بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة في اصول الدين واسم لا يؤثرون رضى الخلق المستوجب معصية الخالق وعقابه الدائم اذ مضى الدنيا لا تصد العاقل عن الثبات على ما يؤدى الى سعادة الآخرة **(قوله وقرئ)** تقتضى على البناء للمفعول ورفع الحياة ووجهها ان الحياة في القرأة المشهورة لما انتصب على الطريقة اتسع في الطرف باجرأه بجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صميم يوم الجمعة للمعلم السحرة انهم من اصر واعلى الايمان اوقع بهم فرعون ما وعدهم به قالوا اقض ما انت قاض لاعلى وجه الامر لكن اظهر وابه ان ذلك الوعيد لا يصدهم عن الايمان البتة ثم يتواما لاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقتضى هذه الحياة الدنيا على قضائك وحكمك انما يكون في هذه الحياة الدنيا وهي فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الآخرة وهي باقية والعقل يقتضى تحمّل الضرر الفانى للتوصل الى السعادة الباقية **(قوله وما اكرهنا عليه من السحر في معارضة المجرة)** يعنى انهم وان كانوا سحرة يعملون السحر باختيارهم الا انهم كانوا يكرهون في الحضور واظهار السحر على طريق معارضة المجرة ليقوله وابعد في المدائن حاشرين بانوليكى سحر عليم فانه يدل على انهم حضروا وفعوا واما فعلوا بالحشر ولا اكرهوا وابعدها عنهم لما رأوا ان العصا تحفظه وهواناً ثم ابوا أن يعارضوه وقالوا ما هذا سحر فعملهم فرعون كرهه على ان يعارضوه **(قوله حياة مهتأة)** اى حياة تمتد نعمة فيها بها **(قوله قد عمل الصالحات)** يدل على ان الجزاء الموعود انما يكون ان كان اياً بكل الصالحات وذلك غير معتبر بالاتفاق ولا يمكن فبئس ان يحمل ذلك على اداء الواجبات **(قوله والايات الثلاث)** وهي قوله تعالى له من يأت ربه مجرماً الى قوله تزيى يحتمل ان تكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال الجرمين واجوال المؤمنين في عرصه القيامة والهادى الى انه ضمير الشأن والجملة الشرطية خبرها ومجرماً حال من فاعل يأت وقوله لا يموت يجوز ان يكون حالا من الهاء قوله وان يكون حالا من جهنم لا شتم الله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ في دعوة فرعون وأراه الايات المتتابعة التي اظهرها الله تعالى على يده فلم يزد الا اعتوا وعنادا اوحى الله اليه ان اخرج بني اسرائيل ايلان السرى سيرا لليل والاسراء مثله **(قوله فاجعل لهم)** يعنى ان طريقاً منصوب على انه مفعول به لقوله فاضرب بناء على انه بمعنى اجعل واتخذ والمعنى اجعل لاجل عبودهم طريقاً في البحر يساليس فيه ماء ولا طين ولا ندوة **(قوله وصف به الواحد مبالغه)** جعل الطريق لفرط يسها كاسيا يسهل كما جعل المي لفرط جوعه كجماعة جياع اولان المراد بقوله طريقاً الجنس وهو في حكم الجمع لتعدد معني لا يصفى على ما روى ان البحر انقلب فصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق **(قوله كأن فتود رحلى حين صمت)** احوال غرزاوهى جياها) وبعده قوله

على وحشية خذلت خلوج * وكان لها طلائع فضاها

فكرت بتقيته فصادقته * على دمه ومصرعه السباط

الفتود جمع فتد على خلاف القياس ولقد خشب الرجل والحوالب عروق الضرع وهما جبالان اى عريان مكشوفان بالسرة وجمعت فتح الضاد اى ضربت يقال ضربه بالعصا اذا ضربه بها وحوالب مفعول صمت وغرزا وصفة حوالب بتقدير المضاف اى ضربت ذات حوالب والفرز بتقديم المهمل على المعجمة جمع غارزة وهي من التوق القليلة اللبن والفرزة بتقديم المعجمة هي التي كثر لبنها وعلى وحشية خبر كان وخذلات اى اخرجت قال الاصمعي اذا تخلف القطبي عن القطيع قبل خذل والخلوج من التوق التي اخرجت عنها ولدها فقل لذلك لبسها والطلا لولد من ذوات اللطف والسباع منصوب بمضمر يشمر قوله صادفته شبه حالة فتود رحله حين وضعت على ثاقته الموصوفة بالصورة الجمالة وضعهما على وحشية فقدت ولدها على طريق تشبيه الهية بالهية **(قوله حال من المأمور)** اى من فاعل اضرب اى اضرب غير خائف او صفة ثانية لطريقا والمأد محذوف اى لا تخاف فيه والدرك والدرك اسمان من ادرك اى لا يدركك فرعون وجنوده ومن قرأ لا تخاف مر فوجعا جعل قوله ولا تخشى باثبات الالف معطوفا عليه اى لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشى الفرقى واما من قرأ لا تخف مجزوماً فانه لم يقرأ قوله ولا تخشى الا باثبات الالف فذكر المصنف في توجيهاً ثلثة اوجه الاول انه كلام مستأنف مقطوع عما قبله اخبر الله تعالى

(قالوا ان نؤثرك) لن نخشرك (على ما جاءنا) موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما (من الايات) المعجزات الواضحات (والذى فطرتا) عطفت على ما جاءنا او قسم (فاقض ما انت قاض) ما انت قاضيه اى صانعه او احكامه (انما تقتضى هذه الحياة الدنيا) انما تصنع ما تنهوا او تختكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خبر وائى فهو كالتليل لما قبله والتمهيد لبعده وقرئ تقتضى هذه الحياة كقولك صميم يوم الجمعة (انما أنا ربنا ليغفر لنا خطايانا) من الكفر والمعاصي (وما اكرهنا عليه من السحر) في معارضة المعجز روى انهم قالوا افرعون بارنا موسى ثاقفاً يقول فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام يظل سحرة فابى الايمان يعارضوه (والله خير وائى) بجزاء او خير نوايا اى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرماً) بان يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لا يموت فيها) فيسريح (ولا يحيى) حيلة مهتأة (ومن يأت ربه مؤمناً قَدْ عمل الصالحات) في الدنيا (فاولئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة (والاستقرار) وذلك جزاء من ترك) تظهر من ادناس التكفر والمعاصي والايات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام الله (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر عبادى) اى من مصر (فاضرب لهم طريقاً) فاجعل لهم من قولهم ضرب به فى ماله سبها او فخذ من ضرب للابن اذا علمه (في البحر يسا) يابس مصدر وصف به يقال يس يسا ويسا كقم سقبا وسقبا ولذلك وصف به المؤث فقيل شاة يس للتي جف لبنها وقرئ يسا وهو اما تخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يسا كصعب وصف به الواحد مبالغه كقوله كأن فتود رحلى حين صمت * جواب غرزاوهى جياها اوله مدد معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقاً (لا تخاف دركا) حال من المأد موسى انما يدرككم العدو او صفة ثانية والعاذ محذوف وقرأ حرة لا تخف على انه جواب الامر (ولا تخشى) اشتقاق اى وانت لا تخشى او عطفت عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتذنون بالله الظنونا احوال بالواو والمعنى لا تخشى الفرقى

به انه لا يحصل له خوف والواو ابتداء والثاني انه مجزوم بالعطف على المجزوم قبله وعلامة جزمه سقوط لام الفعل
المجتهلة وهذه الالف ليست لام الكلمة وانما هي الفاشباع التي بها موافقة القواصل وروى عن الالف في قول
في قوله الرسول والبلا والظنونا والثالث انه خال من فاعل لا يخفى على حذف البدأ اي وانت لا تخشى الفرق
واما اخرج الى تاويل الجملة الحالية بالاسمية لان الضمير السارح النقي بلا كالتثنية في عدم مباشرة الواو له (قوله)
والعني فاتيهم فرعون نفسه) على ان اتيه متعدي الى اثنين حذف ما هو الثاني في الذكر والباء في قوله يجزوه
للايسة والمضاجعة وهي مع المجزوم في محل النصب على انه حال من المفعول المحذوف وقرئ فاتيهم بشد يد البناء
في تعدي بنفسه الى واحد ويتعدي بالياء الى آخر وقيل الباء زائدة في المفعول الثاني والتقدير فاتيهم فرعون
بجوده كما في قوله لا تأخذ بلحيتي وقوله اني ابرى بعده (قوله وتادهم خلفهم) اي ساق جوده وخلف موسى وقومه
فان الذود البوق حال ذدت الالف اي سقتها (قوله وفيه) اي في ايها فاعل غشهم مبالغة وتعظيم للاصحابهم
وسترهم من الهم مع وجازة اللفظ واختصاره ومن في قوله من الهم للتعيين ولا ينافي تعظيم ما غشهم وقيل بل المعنى
علامهم وسترهم من ما البحر قدر ما غرقهم فيكون الابهام للتخمين (قوله والفاعل هو الله او فرعون) وعلى هذين
التقديرين يكون ما غشهم مفعولا ثانيا (قوله وهو تكملة) التكملة ان يوتى بعبارة والمقصود عكس معناها فقوله
تعالى وما هدى اى ما هدى قوم يديل على كونه مهتديا لما ينظر في الهداية الان هذا تعلق بقومه وفرعون
مع كونه رئيس الضالين كيف يتوهم كونه مهتديا لما ينظر في الهداية فيكون ما يدل على ذلك في حقد روى
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا
من قوم فرعون الخيل والدواب ليعيد فرعون اليه فخرج بهم ليلا وهم سبعة الف وثلاثة آلاف وثيف لاس فيهم ان
سبب ولا عشرين وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعطامه معهم من مصر
فلم يعرفوا مكانه احيى ذلتهم بحوز على موضع العظام فأخذوها وقال موسى عليه الصلاة والسلام للمجوزا خكمي
فقال آكون معك في الجنة فلما خرجوا معهم فرعون وعلى مقدمته الف وخمسة الف سوى الجناحين
والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هتأمرت فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعضا من البحر فاضرب ففلق فقل
الهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهي طرق رطبة فدعا ربه ففتت الصياحفت ففقاوا الخفاف الفرق في بعضا
فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاووزوا واقل فرعون الى تلك الطريق فقال قوم له ان موسى
قد سحر البصرة فصار البحر كاري وكان على فرس حصان واقل جنبل عليه الصلاة والسلام بين يدي فرعون على
فرس حمر وهي الاثني من الخيل فابصر الحصان البحر فاقبح فرعون على اثرها وضاحت الملائكة في الناس الحقوا
فرعون حتى اذا دخل آخرهم وكادوا لهم يخرج البحر عليهم فقر قوا فسمع بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم
فقالوا ما هذا يا موسى قال اغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله حتى
يخرجهم فلما نظر اليهم فدعا فلق عليهم البحر الى الساحل واسياوا من سلاحهم وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام
لما ضرب بعضا من البحر حصل اثنا عشر طر يقا باليابوق المساقا ثمانين كل طر يقين كالطود العظيم وهو الجبل فأخذ
كل سبط من بني اسرائيل في طريق من هذه الطرق كما قال تعالى فصار كل فرق كالطود العظيم ومنهم من قال انما
حصل طريق واحدة لقوله تعالى فاضرب لهم طر يقا في البحر يستاوونكم فجاءه على الجنس وقوله الايمن منصوب على
انه نعت الجناب وجانب مفعول ثان لوانعنا على حذف المضاف اي ايمان جانبه الذي هو على عين السالك من مصر
الى الشام فان المفسرون ليس للجنابيين ولا فساريل المراد ان طور سيناء عين من انطلق من مصر الى الشام وقرئ
الايمان بالجر على الجوار نحو جرح ضرب خرب او بدلي انه نعت للطور ووصف بذلك المقيم من الجن (قوله للبلايسة)
اي للبلايسة للمواعدة فيهم من حيث انه تعالى وعدهم موسى وحده او وعده مع القيا السبعين ان تأواجناب الطور الايمان
فيكم موسى ويعطيه التوراة لاجل بني اسرائيل وبيان دينهم وشرح شريعتهم لسان الله تعالى على قوم موسى
بأنواع البعثة ذكر لهم تلك النعم وحشهم على شكرها وقدم منها ازالة البصرة لكون المنافع لا تنفهم مع البصرة فقال
قد انجيناكم من عدوكم ثم يذكر المنفعة الدينية وهو قوله وواعدناكم جانب الطور الايمان ثم يذكر المنفعة الدنيوية
وهي قوله وازلنا عليكم المن والسيلوى ثم جرحهم عن الفضيان بقوله ولا تطغوا فيه ثم بين ان من غصى ثم تاب كان
مقبولا عند الله (قوله لذائذه) يعني المراد بالطيبات اما ما يستطبه الطبع من لذائذ الاطعمة كاللحم والسيلوى

(فاتيهم فرعون بجوده) وذلك ان موسى خرج
بهم اول الليل فأخبر فرعون بذلك فقيس أثرهم والمعنى
فاتيهم فرعون بنفسه ومعه جنوده فحذف المفعول
الباقي وقيل فاتيهم بمعنى فاتيهم ويؤيد القراءة
والباء التعدي وقيل الباء من يئدة والمعنى فاتيهم جنوده
وزادهم خلفهم (فغشهم من الهم ما غشهم) الصبر
لجوده اوتاهم فادهم وقد مبالغة ووجازة اي غشهم
ما سمعت قصته ولا يعرف بكنهه الا الله وقرئ
فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل
هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم
للهلاك (واضل فرعون قومه وما هدى) اي اضلهم
في الدين وما هداهم وهو يتوهم به في قوله وما هدىكم
الاسيل الرشاد او اضلهم في البحر وما انجا (يا بني
اسرائيل) خطايلهم بعد انجائهم من البحر واهلاك
فرعون على اضمار قلنا والذين منهم في عهد النبي صلى
الله عليه وسلم بما فعل باليه (قد انجيناكم من عدوكم)
فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الايمان)
لناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما تعدي المواعدة
اليهم وهي لموسى اوله والسبعين المختارين للبلايسة
(وازلنا عليكم المن والسيلوى) يعني في التبداء كلوا
من طيبات ما رزقناكم لذائذ او حلالاته وقرأ آجرة
والنكس في انجيتكم وواعدناكم ما رزقناكم على التاء
وقرئ وواعدناكم وواعدناكم والايمان بالجر على الجوار
مثل حجر ضب خرب

(ولا تصغروا فيه) فيما رزقناكم بالاخلال بشكره
 والتعدي لمساعد الله لكم فيه كسرف والبطر
 والتمنع عن المستحق (فيحل عليكم غضبي) فيلزمكم
 عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب ادائه
 (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) فقد تردى وهلك
 وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم
 من حل يحل اذا نزل (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك
 (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى)
 ثم استقام على الهدى المذكور (وما اعجلكم عن قومك
 ياموسى) سؤال عن سبب العجلة يتصنع اسكارها
 من حيث اسما نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم
 وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامر من
 وقدم جواب الاسكار لانه اهم (قال هم اولاء على اترى)
 ما تقدمتهم الاخطى بسيرة لا بعدتها عادة وليس بيني
 وبينهم الامسافة قريبة تقدم الرقعة بها بعضهم بعضا
 (وعجلت اليك رب لنرضى) فان المسارعة الى امتثال
 امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضا لك (قال فانا
 قد فتنا قومك من بعدك) ابتليانهم بعبادة العجل بعد
 خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا
 ستائة الف ما نتج من عبادة العجل منهم الاثنا عشر
 ألفا (واضلهم السامري) ياخذ العجل والدعاء
 الى عبادته وقرى واضلهم اى اشد هم ضلالة لانه كان
 ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه
 عشرين ليلة وحسبوا بها يا مهادر بعين وقالوا قد اكثنا
 العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند
 مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا
 من الله عن الترتيب بلهظ الواقع على عادته فان اصل
 وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى متبئته
 والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل
 يقال لها السامرة وقيل كان عالما من كرمات وقيل
 من اهل باجرماء واسمه موسى بن ظفرو كان منافقا
 (فرجع موسى الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين واخذ
 التوراة (غضبان) عليهم (اسفا) حزينا بما فعلوا قال
 يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة
 فيها هدى ونور (أفضال عليكم العهد) اى الزمان
 يعنى زمان مفارقتهم (ام اردتم ان يحل عليكم)
 يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادته ما هو مثل
 في العبادوة (فأخلفتم موعدي) وعدكم اى بالثبات
 على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من
 اخلفتم وعده اذا وجدت الخلف غية اى فوجدتم
 الخلف في وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو
 لا يناسب الترتيب على الترتيد ولا على التيق الذى يليه
 ولا جوابا لهم

او يستطيع ادا شرع كالحلالات التى من جلته المني والسلوى فانها قد اترتها الله تعالى عابته ولم تفسه ما ادا مدين
 (قوله فيلزمكم عذابي) هذا المعنى على ان يقرأ يحل بكسر الحاء فان قرأه العامة بكسر الحاء فى الاولى وكسر اللام
 الاولى فى الثانية على انهما من حل الدين اذا وجب ادائه ومن قرأهما بالضم جعلهما من حل بمعنى نزل وقوله تعالى
 وما اعجلكم عن قومك ياموسى يتصل بقوله وواعذناكم جانب الطور الايمن واضمر ههنا فيحل موسى وقتلناه
 وما اعجلكم دلت الآية على انه تعالى امره بحضور المقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون الذين
 احتارهم الله تعالى من قبيلة بني اسرائيل يذهبون معه الى الطور لياخذوا التوراة فارهم موسى عليه الصلاة
 والسلام ثم تعجل من بينهم شوقا الى مناجاة ربه وخلف السبعين وامرهم ان يسعوا الى الجبل فالمراد بقوله التوبة
 السبعون وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن وعاع انتقدم عليهم وما وجد نص يدل على التمتع عن ذلك ولا على
 الاجتماع معهم فى الجبى ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه بناء على اجتهدا ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فاخطأ
 فى ذلك الاجتهاد من حيث ان العجلة نقيصة في ثبوتها وقد انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فاستوجب
 العتاب لذلك يقال اغفلت الشيء اذ تركته على ذكرتك ولما ورد ان يقال قوله وما اعجلكم عن قومك سؤال عن سبب
 العجلة فكان المطابق فى الجواب ان يقال عجلت اليك طلبا لبادرة ضلالتا وشوقا الى اكملك اومسارعة الى تعجيل
 موعودك الذى هو ايمان الجانب الايمن من الطور ونحو ذلك والجواب بقوله هم اولاء على اترى لا يطابق ظاهره
 اشار الى الجواب عنه بقوله سؤال عن سبب العجلة يتصنع اسكارها يعنى انه لما تضمن الانكار قدم العذر عما اسكر
 عليه فابتدأه لكون الاعتذار عنه اهم بالنسبة الى بيان السبب (قوله ابتليانهم بعبادة العجل) يعنى ان المراد
 بالفتنة المحنة التى فيها شدائد وبلايا والمعنى ألقيت قومك الذين خلفتهم مع هرون فى محنة وفتنة بعبادة العجل وخلفائهم
 فيهم الكفر والضلال لسوء اختيارهم وميلهم الى جانب التقليد والهوى وعدم اتباعهم الدلائل القاطعة التى اقامها
 صاحب المعجزات القاهرة واستند الاضلال الى السامري لانه كان سبب ضلالهم حيث اتخذهم العجل ودعاهم
 الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى والاله ملك احد اضلال احدوا استدلفتن الى نفسه لانه خالق الاعيان
 والاعراض بأسرها والسامري انما باشر ما يؤدى الى تكون العجل من الذهب والحلى والله تعالى هو الذى جعله
 جسدا ملتبسا بلحم ودم وفتح فيه الروح وجعله خوارا فذلك وجه اضافته الفتى اليه تعالى « قرأ العامة واصلهم
 السامري على انه فعل ماض مستند الى السامري وقرى اضلهم مر فوعا بالابتداء وهو افعال تفضيل يعنى اشد هم
 ضلالا والسامري خبره (قوله اذ ليس فى الآية ما يدل عليه) تعليل لعدم القطع بحجة ما ذكر من الامر من
 الذين اولمهم اقاموا على الدين الذى تركهم موسى عليه الصلاة والسلام عليه حين انطلاقه الى الجبل عشرين
 ليلة ثم اردوا بعبادة العجل وثانيهما كون خطاب قد فتنا قومك متوجها اليه عند قدمه الى الطور قبل وقوع
 الخبره ثم قال ان صح هذا الامر ان كان خطاب قد فتنا قومك بلفظ الماضى واقعا قبل وقوع الفتنة بشرين
 ليلة كان وجه التوفيق بينهما انه تعالى اخبر عن الفتنة المتقدمة بلفظ الوجود الكاشفة على عادته كقوله ونادى
 اصحاب الجنة (قوله وكان منافقا) اى آمن بموسى ظاهرا وكان من قوم يعبدون البقر وكان حبيب عبادة البقر
 راسخا فى نفسه والظاهر ان كلمة ام فى قوله تعالى ام اردتم مضافة لدلالة السمة الاستفهام والمعنى أفضال عليكم زمان
 مفارقتى فتسبتم ما امرتكم به ووعدتم اى من الثبات على دينى الى ان ارجع اليكم من الطور بسبب طول الزمان
 ام تعدتم فعل ما يكون سببا لمعصية ربكم اى لعاقبه فأخلفتم لذلك موعدا كما يابى فكانه قيل انسيتم ذلك الوعد ام
 تعدتم المعصية المؤدية الى غضب ربكم وقوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم لا يمكن اجرأوه على الظاهر
 لان احدا لا يريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد السبب بالعرض صح هذا الكلام
 والمصنف جعل الوعد فى قوله فأخلفتم موعدى مصدر مضاف الى مفعوله ولم يرض باحتمال كونه مضافا الى فاعله
 على معنى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين ذى القعدة بتمم وعشرين ذى الحجة ملتبسا بكتاب منزل
 من ربكم فيه شرح دينكم وبيان انقراض الاحكام بناء على ان هذا الاحتمال لا يناسب ترتيب قوله فأخلفتم
 موعدى على ما ذكره من الترتيد لطلب سبب وقوعهم فى الفتنة فلو جعل المصدر مضافا الى فاعله لما كان فى الترتيد
 لطلب سبب وقوعهم فى الفتنة وجده وايضا ذلك الاحتمال لا يناسب قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فان
 تعدهم المعصية لا يصلح سببا لكونه عليه الصلاة والسلام بخلف وعده اياهم بالعود بعد الاربعين وايضا ذلك

(قَالُوا مَا اخْلَفْنَا موعِدَكَ بِمَلَكَا) بَانَ مَلَكُنَا امْرَا اِذْ لَوْخُنَا وَاَمْرَا وَاَوَّلَ يَسْئُولُ لَنَا السَّامِرِيُّ لِمَا اخْلَفْتَاهُ وَقَرَأَ نَافِعٌ وَعَاصِمٌ بِمَلَكُنَا بِالْقَمْحِ وَحِزَّةٌ وَالْكَسَائِيُّ بِالنِّمِّ وَثَلَاثُهَا فِي الْاَصْلِ لَغَاتٌ فِي مَعْدَرِ مَلَكَتِ الشَّيْءِ (وَلَكُنَّا حِلْنَا اَوْزَارًا مِنْ زَيْتِ الْقَوْمِ) حِلْنَا اَحْجَالًا مِنْ حَلَى الْقَبْطِ الَّتِي اسْتَبْرَأْنَاهَا مِنْهُمْ حِينَ هَمَّ بِنَا بِالْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ بِاسْمِ الْعَرِسِ وَقِيلَ اسْتَعَارُوا لَعِيدَ كَانَ لَهُمْ ثُمَّ لَمْ يَرُدُّوا (٣٢٩)

الاختلال لا يناسب جوابهم بشراهم ما اختلفنا موعدهم على كنفنا فانه اعتذار عن خلفهم فيما وعدوا به عليه الصلاة والسلام لاعتوجدها في وعده لهم بالعود بعدار بعين (قولهم جلنا احالا) الظاهر ان المصنف اختار قراءة من قرأ جلنا بفتح الحاء والهمزة الحثيفة حيث تعرض لكون انفسهم حاملين ومسترين ولم يتعرض لمن بعينهم على الاستعارة والجل فان ناعما وابن كثير وابن عامر وحفصا قرأوا جلنا بضم الحاء وكسر الهمزة شديدة والباقيون بفتحها مع تخفيف الهمزة ونسبة الفعل الى انفسهم وعلى القراءة الاولى نسبو الفعل الى غيرهم فقليل ذلك الغير وهو موسى عليه الصلاة والسلام حيث امرهم باستعادة الحلي والخروج بها فكانت اذنهم بذلك والاوتار الاجمال والاثقال وسماوا الحلي التي استعاروها من القبط اوزارا لانها آتاهم من حيث انها تلبس للفخر والحيلة والترف على الفخر آلا لانها مادام استحبابها احيا وتسر فوافيتها باذن استحبابها حل لهم الاستمتاع بها فظلموا ان يحاسبوا صار حكمها حكم الغنيمة ولم يحل انهم الانتفاع بالغنائم بعد فاعوا بسبيها لان بني اسرائيل كانوا مستأمنين بالنسبة الى القبط وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى اى ليس له ان يأخذ الا باذنه حتى او اخذ ماله بطريق الزباحل عند ابي حنيفة وان جرى ذلك يندوب بين مسلم اسلم عنك كالجور للمسلم المستأمن اخذه من الحربى برضاه وقوله من زينة تجوز ان يتعلق بحملنا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لاوزار او قوله فكذلك نعت لصدور محذوف اى فالى السامري ما كان معد من الحلي او من التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل حين عبر البحر وذلك انه رأى ما تحت حافره يخضر فقام ان له شأنا فاخذ منه شيئا فجعله في عمامته فألقاه في الحلي المقدوف في النار القاء مثل القاء بني اسرائيل ما معهم من الحلي المقدوف في النار قال الامام قولهم في حق ذلك العجل الجسد هذا آلهكم فيد اشكال لان القوم ان كانوا في الجبهة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل الممول في تلك الساعة هو الخالق للسموات والارض فيهم مجانين وليسوا مكلفين ولان مثل هذه السفاهة على مثل ذلك الجمع العظيم فحال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم والله موسى واجاب بان القوم لمعلمهم كانوا من الخلوية الذين يجوزون حلول الاله او حلول صفة من صفاته في ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا في غاية البعد لان ظهور الجوار لا يناسب الالهية لكن لعل القوم كانوا في نهاية البلادة كيف لا وانهم قالوا لنبهم بعد مارأوا الآيات العظام اجعل لنا الهما كالههم آلهة قالوا ذلك والحال ان اقدامهم ما جفت من ماء البحر (قولهم نسيده موسى) فيكون هذا من كلام السامري وان كان ضمير فئسى السامري يكون هذا من كلام الله تعالى ويكون انسان مجازا عن لازمه الذى هو الترك كانه تعالى اخبر عن السامري انه ترك ما كان عليه من اظهار الايمان او انه استدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يخل في شئ ولا يخل في شئ ثم بين ما يستدل به على ذلك بقوله أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اى استدلال على انه لا يصلح ان يكون الهيا بان من لا يتكلم ولا ينع ولا يضر كيف يكون الهيا والحال ان الاله يبنى ان يكون سامعا بدعاء عابده ناعما دافعا عند المضار شيئا ومما يقابل كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا وقرأ العامة ان لا يرجع رجع على ان تلك ان هي الخنفقة من التقلية ويدل على ذلك وقوع اصلها وهي التقلية في قوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا روى عن الزجاج انه قال الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقولهم وحسبوا ان لا يكون فتنة بمعنى انه لا تكون ولا وجد لكون الروبة ههنا بضم رة لان عدم رده عليهم جوابا ليس مما يحسر وأن الناصبة لاتقع بعد افعال اليقين لانها تجعل الجلة في تأويل المفرد فيلزم الاختصار على احد المفعولين وهو ضمير جاز في هذه الافعال (قولهم يؤيد الوجد الاول) وهو ان يكون هرون عليه الصلاة والسلام قال لهم ذلك بعد ما شاهد منهم افتنانهم بعبادة العجل قبل مجئ موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما قال السامري ما قال ووجه التأييد ان جوابهم بان قالوا ان نبرح مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع اليانا موسى انما يلائم الوجد الاول دون الثاني (قولهم ان تتعنى في الغضب) يعنى ان المراد باتباع هرون آية اما الاتباع في اخلاق اخذ وسيرته او الحقوق بد وترك المقام بين اظهر المرتدين والخصامات الخاصة والخصامات يقال حيث عليه بالكسر اذا غضبت واعلم ان المصنف حل الامر في قول موسى عليه الصلاة والسلام لا خيد افعصيت امرى على امره آية بالصلاة في الدين واظهار الغضب والخصومة مع الخصامات وحل القول في قول هرون له ولم ترقب قولى على قول موسى له اخلتني في قومي واصلى للآلريد ما يقال قول موسى له افعصيت امرى يدل على انه امره بشئ وان اخاه لم يمثل امره فكيف يحسن ان يقول اخوه

في جوابه انما لم امثل قولك خوفا من ان تقول لم تر قب قولي فهل يصدر مثله من العاقل وعلى تفسير المصنف يكون حاصل الجواب خالفتم امرنا اي بالصلاة في الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم تر قب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلم ولا محذور في هذا الجواب غاية ما في الباب ان هرون قدامي مرسى اما بالصلاة في الدين بان لا تكون تلك الصلاة مؤدية الى تفرقة الدماء بين بني اسرائيل واختلال انتظامهم (قوله اي ما طلبك له) اي اي شيء طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباله وقوله بمالم يصروا به ان قرى بالياء المعجمة من فوق يكون الخطب لموسى وقوم اوله وحده على طريق التعظيم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلعت النساء وان قرى بياء القيبة يكون مستدا الى بني اسرائيل يقال بصر بالشيء اي علمه وابصره اي نظرائه وقيل بصر بالشيء وابصره بمعنى علمه والعامدة على ضم الصاد في الماضي ومضارع قرى بكسر الصاد في الماضي وقبحها في المضارع وهي لغة وقرى كل واحد من الماضي والمضارع على بناء المفعول اي اعلمت بمالم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبريل عليه الصلاة والسلام وبأثره القرب الذي اخذه من حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا في انه متى رآه فقال الا كثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس ولعله لم يسمه جبريل او روح القدس او نحوهما من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبريل انما عرفه بانه رسول روحاني فلا جرم يكون للتراب الذي اصابه حافر فرسه خاصا احياه مالم يصق به فلذلك قال في جواب موسى قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميقات الذهاب الى الطور والعامدة على فتح القاف من قبضة وهي المرة من القبض فهي مصدر سمي به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر وقرى قبضة بضم القاف وهي اسم لما يقبض وقرى قبضت قبضة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاول بجميع الكف ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان يئد على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي (وكذلك سولت نفسي) زينته وحسنه (قال فاذهب فان لك في الحياة) عقوبة على ما فعلت (ان تقول لامساس) خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الجحى ومن مسك فتحامي الناس ويخاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحش النافر وقرى لامساس كبحار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) في الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفه الله ويجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اباه وسأبدا لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلف الموعد اذا وجدته خلفا وقرى بانثون على حكاية قول الله

في جوابه انما لم امثل قولك خوفا من ان تقول لم تر قب قولي فهل يصدر مثله من العاقل وعلى تفسير المصنف يكون حاصل الجواب خالفتم امرنا اي بالصلاة في الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم تر قب قولي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلم ولا محذور في هذا الجواب غاية ما في الباب ان هرون قدامي مرسى اما بالصلاة في الدين بان لا تكون تلك الصلاة مؤدية الى تفرقة الدماء بين بني اسرائيل واختلال انتظامهم (قوله اي ما طلبك له) اي اي شيء طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباله وقوله بمالم يصروا به ان قرى بالياء المعجمة من فوق يكون الخطب لموسى وقوم اوله وحده على طريق التعظيم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلعت النساء وان قرى بياء القيبة يكون مستدا الى بني اسرائيل يقال بصر بالشيء اي علمه وابصره اي نظرائه وقيل بصر بالشيء وابصره بمعنى علمه والعامدة على ضم الصاد في الماضي ومضارع قرى بكسر الصاد في الماضي وقبحها في المضارع وهي لغة وقرى كل واحد من الماضي والمضارع على بناء المفعول اي اعلمت بمالم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبريل عليه الصلاة والسلام وبأثره القرب الذي اخذه من حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا في انه متى رآه فقال الا كثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس ولعله لم يسمه جبريل او روح القدس او نحوهما من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبريل انما عرفه بانه رسول روحاني فلا جرم يكون للتراب الذي اصابه حافر فرسه خاصا احياه مالم يصق به فلذلك قال في جواب موسى قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميقات الذهاب الى الطور والعامدة على فتح القاف من قبضة وهي المرة من القبض فهي مصدر سمي به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر وقرى قبضة بضم القاف وهي اسم لما يقبض وقرى قبضت قبضة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاول بجميع الكف ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان يئد على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي (وكذلك سولت نفسي) زينته وحسنه (قال فاذهب فان لك في الحياة) عقوبة على ما فعلت (ان تقول لامساس) خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الجحى ومن مسك فتحامي الناس ويخاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحش النافر وقرى لامساس كبحار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) في الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفه الله ويجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اباه وسأبدا لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلف الموعد اذا وجدته خلفا وقرى بانثون على حكاية قول الله

اخلف للوجدان بمعنى ان تجد فيه خلفا وقرى ان تخلفه بضم نون العظمة وكسر اللام على استاد الفعل الى الله تعالى وحذف المفعول الاول اى ان تخلفك فوسى انما يقول ذلك على حكاية قول الله تعالى عند كافي قول جبريل لا هب لك (قوله ظلمات على عبادته) اى امضيت نهارك وانت واصحابك مقيمين على عبادته يقال ظلمات اعل كذا اذا غلته بالنهار دون الليل قرأ العامة بحذف احدى اللامين للتخفيف وابقاء الظاء مفتوحة على حالها وقوله لخرقة جواب قسم محذوف اى والله لخرقة والعامة على ضم النون وكسر الراء مشددة من حرقة يحرقه بالتشديد بمعنى احرقة بالنار وشددوا للكثرة والمبالغة او برده بالمبرد على ان يكون من حرق الشيء يحرقه ويحرقه بضم الراء وكسرها اذا برده بالمبرد ويؤيد الاحتمال الاول قراءة لخرقة بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من الاحراق ويعضد الثاني قراءة لخرقة بفتح النون وكسر الراء وضمها خفيفة اى لبرده ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من ابطال ماذهب اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله (قوله فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا) اى صار ما هو فاعل في المعنى مفعولا لان من شأن التعدية ان يصير الفاعل مفعولا كما اذا قلت في خاف زيد عرا خوف زيد اعرا بتصير الفاعل مفعولا وعلمنا في القراءة المشهورة كان تميزا من نسبة وسع الى الضمير المستتر وهو في المعنى فاعل فصار مفعولا بنقل الفعل الى باب التفعيل (قوله مثل ذلك الاقتصاص) اشارة الى ان محل الكاف نصب على انه نعت للمصدر المحذوف (قوله من انباء) صفة للمحذوف الذى هو مفعول نقص فالتقدير نقص عليك شيئا من انباء ما قد سبق قصاصا مثل اقتصاص قصة موسى مع فرعون اولاهم مع السامري ثانيا (قوله تبصرة لك الخ) بيان لفائدة ذكر الاقاصيص في القرآن الكريم فان اشتغاله على ما فيه من الاقاصيص كما هي عليه من جلالة وجوه كونه معجزا الى غير ذلك من القوائد (قوله كتابا مستملا على هذه الاقاصيص) اشارة الى ان القرآن يسمى ذكرا على طريق تسمية الذات بالمصدر للمبالغة في انصافها به فان القرءان العظيم كما انه معجز بنظمه الفائق معجز باشتغاله على ذكر اقاصيص الاولين على الوجه المطابق لما ذكر في الكتب الهية المقدمة مع انه عليه السلام ماسمعاها من احد ولا قرأها في كتاب وعلى ذكر جميع ما يحتاج اليه الناس من امور دينهم ودنياهم وايضا سمي ذكر الكونه حقيقا بالذكور والتذكروا لايضاظ والتفكر والاعتبار قال تعالى وهذا ذكر مبارك و قال بالايها الذى نزل عليه الذكركم نقل ان يكون المراد بالذكر الجليل والصيت العظيم وفى الصحاح الصيت الذكرا الجليل الذى ينشر في الناس دون التبعيح يقال ذهب صيته في الناس قال تعالى وانه لذكركم ولقومك (قوله سماها وزرا) يعنى استعملها الجمل الثقيل وينقص ظهره اى ينقله (قوله والجمع فيه) اى جمع ضميرها الذين وتوحيد ضميرها عرض مع انهما عبارتان عامتا بعبارة بكلمة من الجمل الاول على معنى من والثاني على لفظه (قوله اى بنس لهم) يعنى ان ساء هذه هي التي بمعنى بنس لالتى بمعنى اخرن ومن شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرفا باللام او مضافا الى العرف به او ضميرا مفسرا بكرة منصوبة وان يذكر بعد ذلك المخصوص وههنا لم يذكر فاعل ساء فلا بد ان يكون مستترا فيه ميم ابقوله خلا فيكون المستتر فيه ميم ا عبارة عن ميمه ولم يذكر المخصوص ايضا فوجب ان يكون محذوفا وتقديره ساء الجمل حلا وزرهم (قوله اسكل امر اللام) اذ لا يقال اخرن لهم بل يقر اخرنهم ويقال ساء يسوءه سواء بالفتح نقض سره واشكل ايضا نصب حلا كما في قولك اخرن لهم الوزر حلا اذ لا وجه لكونه حلا معجزا للوزر وغير التميز لا وجه له ايضا قيل يمكن ان يقال اللام للبيان كما اذا كان ساء بمعنى بنس وحلا تميز من النسبة والمعنى اخرنهم حل الوزر ونقله (قوله تعالى يوم ينفع في الصور) بدل من يوم القيامة او بيان له او منصوب بمتخاضون او باضمار اذ كرهوا الجمهور ينفع بضم الباء وفتح الفاء على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده وقرى تنفع بفتح نون العظمة على بناء الفاعل على طريق استاد الفعل الى الامر وهو الباري تعالى والعدول عن المباشر للفتح هو اسرافيل مجاز والتكسنة في المجاز اما تعظيم الامر بان لا يجري في ملكه الا ما يشاء ولا يحدث حادث الابامر وتكوينه او تعظيم النافع بانه ملك مقرب مكرم عند الله بلغ في قربيه منه تعالى ومكانته لديه الى حيث يصح ان يسند ما يصدر عنه من العمل الى ذاته تعالى قرأ الجمهور في الصور بسكون الواو فقتل انه قرن بنفع فيه يدعى به الناس للشمس وقيل انه جمع صورة والتفتح نفع الروح فيه ويؤيده قراءة من قرأ الصور بفتح الواو والاول اولى لقوله تعالى فاذا نفخ في الناقور والله تعالى يعرف الناس احوال الاخرة بما مثل ماشوهد في الدنيا فان عادة الناس التفتح في البوق عند ارادة الاجتماع في الاسفار او في العساكر والمراد من هذا التفتح هو التفتح الثانية

(وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) ضلالت على عبادته مقيما اخذت اللام الاولى تضييفا وقرى بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها (لخرقة) اى بالنار ويؤيده قراءة لخرقة او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذ ابرد بالمبرد ويعضده قراءة لخرقة (ثم لنسفته) لم لنسفته رمادا او مبرودا وقرأ بضم السين (في اليم نسفا) فلا يصادف منه بشي والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المنة لمن له ادنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتك (الله الذى لا اله الا هو) اذ لا احد يما له او يدانيه في العالم والقدرة (وسع كل شيء علما) وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا الجبل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرى وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا (كذلك) مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى (نقص عليك من انباء ما قد سبق) من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثير المعجزات وتنبهها وتذكيرا للتبصرين من امتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) كتابا مستملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالشكر والاعتبار والتكثير فيه للتعظيم وقيل ذكرنا جيلا وصيتا عظيما بين الناس (من أعرض عنه) عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى (فانه يحصل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا لتبسيمها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالجمل الذى يفدح الحامل وينقص ظهره او انما عظيما (خالدين فيه) في الوزر او في جلالة والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حلا) اى بنس لهم فيه ضميرهم بفسرهم حلا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حلا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولوجعت ساء بمعنى اخرن والضمير الذى فيه للوزر اسكل امر اللام ونصب حلا ولم ينفذ مزيد معنى يوم ينفع في الصور وقرأ أبو عمرو بالنون على استاد التفتح الى الامر به تعظيما له والتفتح وقرى بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرى في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك

لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقافانه يدل على ان الفصح في الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم يفتح في الصور فتأتون اوجاجا (قوله اسود الكبد) كأنه لشدة عداوته احرق كبده والسبال جمع سبله وهي الشارب والصهبة حرة يعلوها سواد وهي من الاول ان المختصة بالشر يقال للرجل اصعب وللمرأة صهباء ويقال زرقت عينه بالكسر وازرقت ازرقاقا وازراقت ازريقاقا ولكون الزرقعة من العيوب بنى منها باب الافعال لان فان كان الزرق بمعنى زرق العيون يكون مجازا عن قباحة الصورة لان زرقعة عيونهم مستلزمة لكون صورتهم منكرة فاطلق الملتزم واريدها لازم مكانه قيل نحشرهم على اقبح الصورة وان كان بمعنى العمى يكون كناية لان الزرقعة من لوازم العمى (قوله اى في الدنيا اوقى القبر) يؤيد الاول قوله تعالى قال لكم ليتكم في الارض عدد سنين قالوا ليتنا يوما او بعض يوم ويؤيد الثاني قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوم فكون وقال الذين اتوا العلم والايان لقد ليتكم في كتاب الله الى يوم البعث فان اللبث المضاف الى يوم البعث هو ليتهم في القبر لا لبثهم في الدنيا (قوله يستقصرون مدة لبثهم فيها) اى في الدنيا فانهم عالمون بمقدار عمرهم فيها لكنهم قالوا ذلك استقلا لا لمدة لبثهم فيها اما لزوالها والزوال وان طالت مدته قصير بالانتهاء والزوال واما لانهم لما قابلوا اعمارهم في الدنيا بأعمار الآخرة وجدوها في نهائية القلة فقال بعضهم ما لبثنا في الدنيا الا عشرة ايام فقال اعقلهم ما لبثنا الا يوما واحدا اى قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى لبثنا في الآخرة كعشرة ايام بل كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل في امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد واما لانهم لما عاينوا الشدائد وتذكروا ايام النعمة والسرور وتأسفوا عليها وصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار قال الشاعر

تمتع بأيام السرور فانها قصار وایام الهموم طوال

(قوله اسند تقالا) اى استقلا وهو متفاعل من تقال بمعنى استقل اى عد قليلا رجع الله تعالى قول من بالغ في التقليل لا ابتناء على الحكم المذكور ثم انه تعالى لما وصف امر يوم القيامة وبين عظم ما نال المجرمين من الحيرة التي تخافتوا بها بمثل هذا الجنس من المقال حكى سؤال من لا يؤمن بالخشع فقال وبسألوك عن الجبال روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سال رجل من تقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزلت والسف القلع ومنه نفس البعير ايت اذا اقتلع دبشيه من اصله والسف ايضا التذرية ومنه قوله تعالى ثم لنسفنه في اليم نسفا قال الخليل يقلعها وقال ابو عبيد يستأصلها ويطيرها كما قال وبست الجبال بسا (قوله فالاولان) وهما كون مقرها قاعا وصفصفا فان الاستواء المدلول عليه بهما استواء بحكم الاحساس بخلاف الاستواء المدلول عليه بقوله لا ترى فيها عوجا ولا انما فانه استواء حقيق تام لا يتحصل بالمراجعة الى الحس وانما يحصل برأى المهندس وعرضه على المقياس الهندسية ولما كان العوج النقي قوله لا ترى فيها عوجا العوج الخفي الذي لا يدرك بالاحساس التحق بالمعاني فلذلك عبر عنه بالعوج بالكسر والالكان الظاهر ان يقال عوجا بالفصح لان الارض من قبيل الاعيان وما فيها من الاعوجاج من الكيفيات المحسوسة فقوله لا ترى فيها عوجا بالكسر ابلغ في وصف الارض بالاستواء بالنسبة الى ان يقال عوجا بالفصح وهذا التوجيه بخلاف قوله تعالى لا ترى فان الظاهر منه رؤية العين وهي لا تتعلق بالعوج بالكسر وجعلها من رؤية القلب لا يناسب عموم الخطاب لان كل احد لا يعلم الهندسة حتى يتأتى منه علم ذلك (قوله وهوالتواء) اى الارتفاع يقال في تفسير الكعب هو العظم الثاني (قوله على اضافة اليوم) ذكر لا تنصب قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي وجهين الاول ان يكون ظرفا ليعنون والتقدير يوم اذ نسفت الجبال يتبعون والثاني ان يكون بدلانيا من يوم القيامة في قوله تعالى وساء لهم يوم القيامة جلا البدل الاول يوم يفتح ويومئذ وحيث يكون العامل فيه ساء لانه هو العامل في البدل منه والتقدير ساء لهم جلا يوم اذ نسفت الجبال ولم يجعل بدلا من يوم يفتح لان البدل لا يكون له بدل لانه يفتى الى ان يكون البدل مقصودا وغير مقصود معا لان هذا الوجه لا يخلو عن بعد الفصل الكثير ولاستلزامه ان يكون يتبعون غير مرتبط بما قبله وقيل انه اوجه ليجي قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة بدلا ثالثا على الترقى اى ساء لهم جلا يوم اذ يتبعون الداعي فان قلت اضافة يوم الى اذ اضافة زمان الى زمان فيلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال اوجب بان المراد بالزمان المضاف المسمى وبالزمان المضاف اليه الاسم كافي شهر

(ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ يحشر المجرمون (زرقا) زرق العين وصفوا بذلك لان الزرقعة اسوأ الوان العين وانغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا في صفه العدو اسود الكبد اصعب السبال ازرق العين او عيبا فان حدقة الاعمى زرقا (يتخافتون بينهم) يخفون اصواتهم لما يعلأ صدورهم من الرعب والهول واخفت خضض الصوت واخفاؤه (ان لثم الاعشرا) اى في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها ولاستطاعتهم مدة الآخرة اولئاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا اسمهم استحقوا على اضعافها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات اوقى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الايات (نحن اعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول امثلهم طريقة) اعدلهم رأيا او عملا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح لقول من يكون استقلا منهم (ويسألوك عن الجبال) عن حال امرها وقد سأل عنها رجل من تقيف (فقل ينسفها ربي نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها (فيذرها) فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا انما اعوجاجا ولا تواءا انما ملئت فيها بالمقياس الهندسى وثلاثتها احوال مرتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعاني والامت وهو التواء البسر وقيل لا ترى استئناف مبين للمحالين (يومئذ) اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة

(يبنون الداعي) داعى الله الى المحشر قبل هو اسرافيل يدعون الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقولون من كل اوب الى صوبه (لاعوج له) لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحن) خفست لهابتد (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا ومنه الهبس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهبس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن) الاستثناء من الشفاعة اى الشفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الامن اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن (ورضى له قولا) اى ورضى لكانه عند الله قوله في الشفاعة اورضى لاجله قول الشافع في شأنه اوقوله لاجله وفي شأنه (يعلم ما بين ايديهم) ما تقدمهم من الاحوال (وما خلفهم) ما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) ولا يحيط علمهم بمعلوماته (ولا يعلمون الضير لاحاد الموصولين او لجموعهم فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه) (وعنت الوجوه للحي القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناء وهم الاسارى في يد المالك القهار وظاهره ما يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حل ظلم) وهو

(ومن يزل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) لان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلا تخاف ظلم) منع ثواب مستحق بالوعد (ولا همضا) ولا كسرا منه بنقصان اوجزائه ظم وهضم لانهم يظلمون غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على التهي (وكذلك) عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (انزله قرأنا عرييا) كد على هذه الوتيرة (وصرفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة (او يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فيبطئهم عنها ولو ذه انكسرت اسند التقوى اليهم و الاحداث الى القرآن (فتعالى الله) في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامهم كالأعمال ذاته ذاتهم (الملك) النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرحى وعده ويخشى وعيده (الحق) في ملكوته يستحق لذاته او الثابت في ذاته وصفاته (ولا نتجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيد) نهي عن الاستعجال في تلقى الوحى من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيد بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد

رمضان ويوم الخميس وذات يوم وذات ليلة وذات اليمين وذات الشمال والظواهر انه من اضافة العام الى الخاص كما في شجر الاراك (قوله يدعون الناس قائما) فيقول يا ايها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المترقة والشعور المترقة ان الله يأمر كن ان تحتمين لفصل القضاء فيقولون من كل اوب الى صوبه وصوته لا يعدلون (قوله لا يعوج له) اى لدعائه اى يستوون اليه من غير انحراف (قوله او من اعم المفاعيل) اى لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن في ان يشفع له فن على هذا عبارة عن المشفوع وعلى الاول عن الشافع (قوله يخفق اقدامهم) اى بضربها على الارض ضربا خفيفا وكل ضرب شىء عر يض خفيف (قوله اى ورضى لكانه) على تقدير ان يكون الاستثناء من الشفاعة فلام اذن له صلاحه اذن ولام رضى له للتعليل وقوله اورضى لاجله على تقدير ان يكون الاستثناء من اعم المفاعيل وان تكون اللام في رضى له متعلقة برضى وعلى الثاني تكون متعلقة بقوله قولا والمعنى الامن اذن له الرحمن في ان يشفع له ورضى قول الشافع لاجله وفي شأنه (قوله ما تقدمهم من الاحوال) اى ما تقدم من احوال الذين يبنون الداعي ولو فسر قوله ما بين ايديهم بما يستقبلونه من الاحوال وقوله وما خلفهم بما مضى منها لكان قريبا الى الشائع (قوله ولا يحيط علمهم بمعلوماته) اشارة الى ان التميز محمول من الفاعلية وان قوله به فيه مضاعف مقدور ليكون قوله ولا يحيطون به علما مقابلا لقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لانه اذا لم يقدر المضاف وقيل المعنى ولا يحيطون بذاته لم يصح التقابل وقيل في اظهار التقابل من غير تقدير المضاف في به ان الضمير فيه يرجع الى ما في ايديهم وما خلفهم بتقدير احدهما لعل التبعين او مجموعهما في قول المعنى الى ان الخلق لا يحيطون بمعلوم الله علما الا بما شاء الله * والعناء جمع عانى وهو الاسير ويسمى الاسير نائبا لخضوعه وذلة لمن هو في يده (قوله وظاهره ما يقتضى العموم) وذلك لانه تعالى لما أجاب عن سؤال من قال كيف تكون الجبال يوم القيامة شرح احوال ذلك اليوم في حق عامة الخلائق فقال اولا يومئذ يبنون وقال ثانيا وخشعت الاصوات للرحن وقال ثالثا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن وقال رابعا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وقال خامسا وعنت الوجوه فالظاهر ان المراد ذوات المكلفين وانفسهم ذكر الوجوه واريد اصحاب الوجوه لان قوله عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كما في قوله وجوه يومئذ ناعمة لسمعها راضية وخص الوجوه بالذكر لان اثر الخضوع والذلة يظهر فيها ويبين بها فالظاهر ان جملة قوله وقد خاب من حل ظلم الحاح من الوجوه يحذف العائد الى من حل

لكونه عبارة عنهم وقوله ولا يخاف في موضع الجزم على انه موضع جواب الشرط والتقدير فهو لا يخاف والخشية اليأس من كل خير (قوله اى مثل ذلك الانزال) المستحل على بيان الغيوب بما كان وما يكون انزله يعنى الكتاب قرأنا عرييا بلسان العرب ولعنهم وصرفنا فيه من الوعيد من كل ما خلق بالقرون الماضية وما سيق بالامم المكذبة للانباء والكتب النازلة لعلهم يتقون اى لكي يحذروا ما يوجب سخط الله تعالى (قوله مكررين فيه آيات الوعيد) يدل على انه جعل قوله وصرفنا فيه من الوعيد حالا وقيدا للانزال وهذا لان كون انزال القرآن كد على ما ذكره في من الآيات متضمنا للوعيد انما هو باعتبار تكرار آيات الوعيد فيه لا مطلقا لان قوله لعلهم يتقون متعلق بالانزال المفيد بالتصريف لا مطلقا ولا بالتصريف كذلك فلا بد من التقييد (قوله ولهم ذكركم) وهى كون المراد بالانقضاء الاستمرار على التقوى الخاضع قبل تكرار آيات الوعيد وهو جواب عما يقال لما اضيف الذكر الى القرآن ولم نصف التقوى اليه ومحصل الجواب انه لما كان المقصود ان يقال انزله كذلك يستمر المتقون على تقواهم وان لم يوجد المتقون فلا اقل من ان يحدث لهم القرآن عظة واعتبارا حين يستمعونه وجب ان يضاف التقوى اليهم والاحداث الى القرآن ان المزل حال تكرار آيات الوعيد فيه (قوله الحق في ملكوته) اى الثابت في ملكيته يستحق تلك الملكية لذاته وتذكر ضمير الملكوت لكونه مصدرا مقدرا بان مع الفعل (قوله نهي عن الاستعجال في تلقى الوحى) روى انه عليه الصلاة والسلام كان يتعلم ويتبادر جبريل عليه الصلاة والسلام بالقرآنة عند تبليغ القرآن خيفة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال لا تتجل بالقرآن (قوله ومساوقته) اى متابعتها يقال فلان في ساقفة العسكر اى في آخره وهو جمع سائق وهو يساوقه اى يتابعه وتساقط الابل اى تتابعت والمساوقة المتابعة كان بعضهما يسوق بعضا (قوله على سبيل الاستطراد) جعل التهي المذكور استطرادا لكونه اجنبيا بالنسبة الى ما سبق له الكلام فان الكلام مسوق لبيان ان اصلاح بني آدم يتوقف على ذكره مرة بعد اخرى

بتكرير آيات الوعيد وتجديد ما يدعوا الى اجابة الرب المجيد كما قال وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد الخ ولا شك ان اشبه اجنبي بالنسبة الى هذا المقصود وذكر في اثنا عشر ذكر شأن القرءان الى تذكره ولم يجعله اعتراضا لانه ليس له فائدة ترجع الى تأكيد مضمون الكلام السابق واللاحق (قوله وقيل نسي عن تبليغ ما كان يجمل) لم يرض به لما فيه من تنقيح المطلق وهو اقرب الى قوله تعالى ولا تجعل بالقرءان آية ولا ياتي عند قوله من قبل ان ينضى اليك وحيه (قوله تقدم الملك اذله) الراتب قدمت اليه بكذا امرته قبل وقت الحاجة الى الفعل اي قبل ان يدهم الامر او الناس او عزت عليه في كذا اي قدمت وكذلك وعزت عليه توحيها وقد يخفف فيقال وعزت عليه وعزا (قوله وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه) يعني انها معطوفة على الجملة التي قبلها على طريق عطف القصة على القصة والجملة الثانية وان كانت انشائية والاولى خبرية لكن الانشائية مستحبة على ذيل وقصة في حكم الخبرية فعطف على الخبرية كما عطف الخبرية على مثلها ووجد المناسبة بين النصتين انه تعالى بين بالجملة الاولى ان الانسان انما يبط عن المعاصي والمكرات بتكرير آيات الوعيد وتعدد التهديدات حيث قال وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ثم اردف بقصة آدم كأنه قال ان طاعة بني آدم للشيفان وتركهم التحفظ من وساوس الشيطان امر قديم فانما قد عهدنا الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا ان هذا عدوك ولزوجه ثم انه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد فظهور ان امر البشر في ترك الحفظ امر قديم (قوله ولم يعم به) اي لم يعم به ولم يعتد به الاحتداد الصادق يقال عنت بحاجتك بغيره اوله اعني بها عناية قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعميه اي يهسه (قوله قصمهم راي) معنى العزم في اللغة توطيت النفس على الفعل والمعنى لم نجعله رأيا معزوما عليه حيث جرى على ما وسوس اليه ابليس اللعين الذي حسده وابتى ان يسجده وقيل لم نجعله حفضا لما امر به وقيل صبرا عما نهى عنه (قوله ويذوق شربها وارياها) الشرب يتقح الشين وسكون الراء المهملة الحفظ والاريا يتقح العزيمة وسكون الراء الغسل اي له له كان ما وقع منه من نسيان العهد وعدم الثبات على الامر قبل ان يذوق مر الامور وحلوها لا من نقصان عقله وقصور حله فانه ارشح اناس عقلا واوفرهم حيلما روي من الحديث وقال الحسن كان عقل آدم مثل عقل ججع ولده ثم قال تعالى ولم نجعله عرما ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام مع ذلك ارفده وسوسه فكيف في غيره (قوله وعلى هذا لا يقدر له مفعول) لان قوله ابني السجود لا يصلح جوابا لقول من قال لم يسجد بخلاف ابني بمعنى انه فعل الاباء واطهره وانه من اهل الاباء عن طاعة المولى ولا فائدة في اعادة هذا الغرض لبيان تعلقه بمفعوله فلذلك نزل منزلة اللازم ثم انه تعالى اشار بقوله قلنا يا ادم ان هذا عدوك ولزوجه الى علة اخرى اعصياه وهو حسده الذي هو سبب عداوته لهما فان اللعين كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله في حق آدم حسده فصار عداؤه فكيف يقدم على ان يسجده مع عداوته اياه وفيه اشارة الى ان كل من حسد احدا يكون عداؤه ويريد هلاكه ويسعى في افساد حاله ثم لما كان المخرج من الجنة حقيقة هولاء الله تعالى كان قوله فلا يخرجكما من الجنة من قبيل استناد الفعل الى السبب فان اللعين بوسوسته يكون سببا لخروجهما من الجنة ثم ان ظاهر الآية وان كان نهى الشيطان عن ان يكون سببا لاخر اجهما الا ان المراد نهيهما عن ان يكونا سببا لهما الجوهري فنهيت للنفس في ان يغوي بهما ويسعى فيما يؤدي الى خروجهما من الجنة كأنه قيل كونا شديدي الشكينة قويي العزيمة في رعاية ما كلفتما به والاحراز عما نهيتما عنه بحيث يكون الشيطان خائبا من ان يطعم في زلتكما ويقدم على اغرائكما وقوله تعالى فشتي منصوب باضمار ان في جواب النهي اي لا تبا شرا اسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة مثل الحرص والزرع والطحن والعجن والخبر ونحو ذلك مما لا يخلو الناس عنه في امر معيشتهم (قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها) لك خبر ان وان لا تجوع في محل النصب على انه اسمان والتقدير ان لك عدم الجوع والعري وهو مجرد الجلد عما يستره يقال عري يعري عريا (قوله ولا تضحي) اي وان لا يصيبك حراشيس اذ ليس فيها سمس يقال ضحي الرجل للشمس اذ برزته مرض لها الجوهرى ضحيت للشمس بالكسر ضحاه بالاد اذ برزت لها وضحي بالفتح مثله والمستقبل اضحي في البغتين جيه والكن السترة الخائلة من الشمس والجمع اكان قال تعالى وجعل لكم من الجبال اكانا فهو تعالى لما ذكرناه في الجنة من الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان يذكر تنائضا كان ذكرها على هذا الوجه كأنه تفسير للشقاء المذكور في قوله فشتي

وقيل نهى عن تبليغ ما كان يجمل ان ياتي بيانه (وقل رب زدني علما) اي سئل الله زيادة العلم بدل الاستحجال فان ما اوصى اليك ثلاثة لاختانة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد امرنا بالقيام بخدمته انما كان اليد او عر عليه وعزم عليه وعهدنا اذ امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لانه لا على ان اساس بني آدم على العصيان وعرفهم راسخ في النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمان (وسى) العهد ولم يعم به حتى غفل عند اتركه ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجعله عرما) نصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة ونص لم يترك الشيطان ولم يستطع تغييره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شربها وارياها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بمحلم ادم لرحح حمله وقد قال الله تعالى ولم نجعله عرما وقيل عرما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم يجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عرما مفعولا وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عرما ومتعلق بنجد (واذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم) مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات (فمسجدوا لآدم) قد سبق في القول (ابني) جملة مستأنفة لبيان ما منع من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اطهر الاباء عن المطاوعة (قلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجه فلا يخرجكما من الجنة) فلا يكون سببا لاخر اجهما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث ينسب الشيطان الى اخر اجهما (من الجنة فشتي) اغرده باسناد الشقاء اليه بعد اسرا كهما في الخروج اكتفاء باستنزام شقائه شقاهما من حيث انه قيم عليها او محاذفة على المفاصل اولان المراد بالشقاء انصب في طلب المعاش وذلك ونظيفة الرجال ويؤيده قوله (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعري وانك لا تعطى فيها ولا تضحي) فانه بيان وتذكير لماله في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشيع والارز والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى يتقطع ويحول منها يذكر تنائضا ليظهر سمد باصناف الشقوق المحذرة منها

والعاطف وان ناب عن ان لكنه من حيث انه عامل
 لامن حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على
 ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابوبكر وانك
 لا تلتصبا بكسر الهمزة والباقيون يفتحها (فوسوس
 اليه الشيطان) فانتهى اليه وسوسه (قال يا آدم
 هل ادلك على شجرة الخلد) الشجرة التي من اكل
 منها خلد ولم يموت اصلا فاضافها الى الخلد وهو
 الخلود لانه سيبه بزمعه (وملك ليليل) لا يزول
 ولا يضعف (فاكل منها فبذت لهما سوء آتئهما
 وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اخذا
 بلزقان الورق على سوء آتئهما للستر وهو ورق التين
 (وعصى آدم ربه) باكل الشجرة (ففوى) فضل
 عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة
 او عن الأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول
 العدو وقرئ ففوى من غوى الفصل اذا اتهم
 من اللين وفي التني عليه بالعصيان والغواية مع صغر
 زلته تعظيم الزلة وزجر بالغ لا ولاده عنها (تم اجتبا
 ربه) اصطفاه وقر به الحمل على التوبة والتوفيق لها
 من جبي الى كذا فاجتبه مثل جليلة على العروس
 فاجتلبها واصل كلمة الجمع (فتاب عليه) فقبل توبته
 لما تاب (وهدى) الى انشأت على التوبة والشئب باسباب
 العصاة (قال اهبطا منها جميعا) انخطاب لا دم وحواء
 اوله ولا بلبس ولما كانا صلى الذرية خاطبها مخاطبتهم
 فقال (بعضكم لبعض عدو) لامر المعاش كالعيد الناس
 من التجاذب والتحارب والاختلال حال كل من التوعين
 بواسطة الاخر يؤيد الاول قوله (فاما يا بنيكم مني
 هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداي فلا يضل)
 في الدنيا (ولا يثقي) في الآخرة (ومن اعرض عن
 ذكرى) عن الهدى الذاكركى والداعى الى عبادتى
 (فانله) شنة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك
 يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى
 وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض
 الدنيا متها الكاعلى ازديادها خائفا على انتفاصها بخلاف
 المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بسؤم
 الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم
 الذلة والمسكنة ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل
 ولوان اهل القرى آمنوا الايات وقيل هو الضريع
 والزقوم في النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) قرئ
 بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجرم عطفا على محل
 فانه معبشة ضنكالا نه جواب الشرط (يوم القيامة
 اعنى) اعنى البصر والقلب ويؤيد الاول (قال رب
 لم تحشرتنى اعنى وقد كنت بصيرا) وقدامها محجرة
 والكسائى لان الالف متقلبة من الباء وقرئ ابوعرو بان
 الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالغير

(قوله والعاطف وان ناب عن ان) اى المكسورة جواب عما يقال ان المكسورة لا تدخل على ان المفتوحة كراهة
 اجتماع الحرفين بمعنى واحد وهو التحقيق وكراهة اجتماع عاملين يعملان عملا واحدا فلا يقال ان أن زيدا مطلق
 والواو نائية عن ان المكسورة وقائمة مقامها كإفنى قولك ان زيدا في الدار وعمرا فلم ادخلت عليها في قوله تعالى وانك
 لا تلتصبا فيها وتقرير الجواب ان الواو ليست موضوعة للتحقيق حتى يجمع حرفان بمعنى واحد والمفتوحة مع
 ما في حيزها لما كانت في أول المفرد جازا اجتماعها مع الواو النائية عن العامل (قوله او عن الأمور به) وهو
 الباء بعد عن الشجرة فانه مأثور به في ضمن قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة والظاهر ان يقال فغوى وفضل عن
 الانتهاء عما نهى عنه بقوله ولا تقربا الا ان النهى عن الشيء لما تضمن الامر بضده عند الشافعية وكان معنى قوله
 لا تقربا هذه الشجرة ابعدا عنها قال او عن الأمور به قرأ الجمهور فغوى بفتح الواو بعد هاء الف بمعنى ضل وقرئ
 بكسر الواو وقع الباء بمعنى يشم (قوله وفي التني عليه بالعصيان) اى وفي تشهيره به يقال نعى فلان على فلان
 ذنوبه اى اظهر ذنوبه وشهره بها والعصيان ترك الامر وارتكاب المنهى عنه فان كان عبدا يسمى ذنبا وان كان
 خطا يسمى زلة والآية دالة على انه عليه الصلاة والسلام صدر عنه عدم المعصية والمصنف سماها زلته بناء على انه
 عليه الصلاة والسلام اعتمر ترك الانتهاء عن اكل الشجرة اجتهادا لابان لعدم المعصية ووجه الاجتهاد انه عليه
 الصلاة والسلام حل النبي على التزيه دون التحريم او حل قوله تعالى هذه الشجرة على شجرة بعينها دون
 جنسها ومع ذلك الظاهر ان هذه الواقعة انما كانت قبل نبوته عليه الصلاة والسلام ثم اجتبا ربه اى اختاره
 واصطفاه وتاب عليه بالغفوة ردها الى التوبة حين قال ربنا ظلمنا انفسنا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام
 انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود عليه الصلاة والسلام لكان بكاءوا اكثر ولو جمع ذلك الى بكاء نوح عليه
 الصلاة والسلام لكان بكاء نوح اكثر وانما سمي نوحا لانه توحده على نفسه ولو جمع ذلك الى بكاء آدم عليه الصلاة
 والسلام على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر قال وهب انه لما كثر بكاءه امره الله تعالى بان يقول لا اله الا انت
 سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين فقالها آدم ثم قال قل لا اله الا انت عملت
 سوءا وظلمت نفسي فارحمني وانت ارحم الراحمين فقالها آدم ثم قال قل سبحانك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت
 نفسي فتب على انك انت التواب الرحيم قال ابن عباس هن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه (قوله ولما كانا
 اعلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم) جواب عما يقال خطاب اهبط اللثني وهما آدم وحواء آدم وابليس وما بعده
 من الخطاب للجمع فكيف جاز ان يخاطب شخصان بما يخاطب به الجماعة وتقرير الجواب انهما وان كانا شخصين
 معينين في انفسهما الا انهما لما كانا صلى ما تفرع منهما من الذرية جعلتا بمنزلة الجماعة فخوطينا بمخاطبة الجماعة
 فقال بعضكم لبعض عدو فان ذرية آدم وحواء يتعادون لامر المعاش وكذا ذرية آدم وابليس يتعادون
 لا اختلال حال كل واحد من نوعي البشر والشرطيين بواسطة الاخر فان نوع البشر اخرجوا من اتعيم المقيم بسبب
 وسوسة ابليس وان ابليس طرد من بين المقدسين ومقام العالين بسبب ابائه عن السجود لا دم وهذا معنى اختلال
 كل من النوعين بواسطة الآخر (قوله ويؤيد الاول) وهو ان يكون الخطاب لا دم وحواء لاله والبس ووجه
 التأيد ان خطاب يا بنيكم لا يدخل فيه ابليس وذريته لانهم آيسون من رحمة الله وطلعون الى يوم القيامة
 (قوله مصدر وصف به) مبالغته او بتقدير ذات ضنك يقال ضنك عيشه بضنك ضنكة وضنكمان باب نصر ينصر
 وخلاصة المعنى ان من اتبع كتاب الله تعالى ومواعظ رسوله هداه الله تعالى فلا يضل في امر دينه مادام حيا ووفاه
 يوم القيامة سوء الحساب ومن اعرض عنه ضاق عيشه في الدنيا لانه لا يجد الحلف في الاتفاق في الدنيا ولا الثوبة
 في العقبي فلا جرم يضيق الاتفاق وبلالزم الشح فيكون محروما من الحلف في الدنيا والثوبة في الآخرة بخلاف من
 اتبع الهدى فانه يتسع قلبه في ذلك لرجاء الحلف والاجر وتغلب نفسه بالقناعة التي هي كثر لا يفي فيكون في سعة
 الدنيا والآخرة فيكون المراد بضيق معبشة المعرض ضيق قلبه في شأن اعراض الدنيا وان كثر ما في يده منها مع انه
 يضيق على الكافر ويوسع على المؤمن قال الله تعالى ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل وما نزل اليهم من ربهم
 لا كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولوان اهل القرى آمنوا اتقوا التخنك عليهم ركات من السماء وقيل المراد
 بالمعيشة الضنك عذاب الآخرة في جهنم فان طعام اهلها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والفلسين فلا يموتون
 فيها ولا يحيون وقيل المراد بها عذاب القبر روى عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن

الا الله تعالى وقال اهل السنة له تعالى بحكم الملكية ان يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بقره وعذابه من غير
 عليه فتحتى ذلك (قوله ويجوز عطفه) اى عطف قوله واجل مسمى على الضمير المستتر في كان العائد على الاخذ
 العاجل المدلول عليه بالسباق فيكون الفضل بالخبر للاهتمام ببيان لزوم الاخذ العاجل لانتهاء العدة بتأخير
 عذاب هذه الامة والمعنى ولو لعدة شبيقت من ربك بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان الاخذ العاجل
 واجل مسمى لعذابهم الاجل لازمين لهم كما لا يزمين لعاد ونمود واضربهما ولم يشردا لاجل المسمى دون الاخذ
 العاجل الا ان هذا الاحتمال انما يكون على تقدير كون قوله لازما مصدرا وصف به لان المصدر لا يثنى ولا يجمع
 بل يفرد على كل حال بخلاف ما اذا كان اسما كذا بمعنى ملازم فانه حيث كان ينبغي ان يطابق في التثنية فيقال لازمين
 ويجوز ابقاء ان يكون لازما جمع لازم كقيام جمع قائم ثم انه تعالى لما اخبر تيد عليه الصلاة والسلام بانه لا يهلك
 احدا قبل استيفاء اجله امره بالصبر على ما يقولون مما يعمد ويؤذيه مثل تكذيبهم اياه فيما يدعيه من النبوة فقال
 فاصبر على ما يقولون اى على ما سمع منهم مما يؤذيك الى ان يحكم الله فيهم وهذه الآية منسوخة بآية القتال
 ثم امره بالسج عقيب امره بالصبر لان السج سواء كان بمعنى التزهد والاجلال او بمعنى الصلاة بطريق اطلاق
 الجز على الكل من قبيل ذكر الله تعالى وذكره يفيد السلوة والراحه وينسب جميع ما اصاب من القوم والاحزان
 الا بذكر الله تطمئن القلوب (قوله معترفا بانه مولى التعم كلها) الاعتراف به مستفاد من لفظ الحمد لان الحمد
 الاصطلاحي انما يكون في مقابلة التعم وتأكيده التعم بقوله كلها مستفاد من اطلاق الحمد حيث لم يقيد بكونه
 في مقابلة شيء من التعم (قوله ومن ساعاته) اى فسبح بعض ساعاته والآناء جمع اى كفى وقيل جمع اى
 كرسى يقال ابنى ابنى اى حان (قوله وانما قدم زمان الليل) اى الزمان الذى هو الليل يعنى قدم قوله ومن
 آناه الليل على عامه واخر عند قوله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اهتماما بشأن الليل حيث ان ما كان بالليل من
 العبادة افضل مما كان بالنهار لان الشواغل الداعية الى تفريق الخواطر تقل بالليل فيكون ما وقع فيه من العبادة
 مقرونا بحضور القلب وموافقة القلب للسان فيكون ادخل في استحقاق الاجر والفضل وايضا انفس فيد اصيل
 الى الاستراحة فان العبادة الناشئة اى الحادثة في الليل اشد وطأ اى كلفة اوثبات قدم واقوم قليا اى اشد
 قرأه لانتفاء الشواغل (قوله ويجئ بلفظ الجمع) جواب عما يقال النهار له طرفان فكيف قيل واطراف النهار
 والظواهر ايراد لفظ التثنية كما قال واقم الصلاة طرفي النهار وتقرب الى الجواب انه ذكر لفظ الجمع في موضع ذكر لفظ
 التثنية لعدم التباس المراد فانه لا يلتبس على احدا ان النهار له طرفان لا غير وذكر لفظ التثنية في آية اخرى
 للتخصيص على المراد وزيادة البيان كما عبر الشاعر عن الامر بزيادة تارة بلفظ التثنية واخرى بلفظ الجمع في قوله
 ظهراهما مثل ظهور الترسين * لذلك وقوله ومههين قد فدين مرتين * وبعده جبهتهما بالثنية لانهما
 المهمة المفازة البعيدة والقد فدا الارض المستوية والمره بككون الرأى المفازة التي لا يات بها ولا ما وجبهتهما
 اى قطعتهما ولم يعتالى الامر واحدة بنعت واحد لا بنعتين ليعبر كل واحد من المههين عن الاخر يصف
 الشاعر نفسه بالظانة والخبرة في سلوك المفاز وبالجزأة والاقدام على المهالك وانما قال ظهور الترسين كراهة الجمع
 بين اثنتين احدهما في المضاف وثانيتهما في المضاف اية كقوله تعالى فقد صفت قلوبكم بها (قوله او امر بصلاة
 الظهر) عطف على قوله تعالى تكرر بلصلاى الصبح والمغرب فان قوله واطراف النهار منصوب بالعطف على محل
 قوله ومن آناه الليل كانه قيل وسمع اطراف النهار التي هي ما بعد الزوال وما قبله وعبر بلفظ اطراف باعتبار انه ذو حظ
 من طرفي النهار ولا بد مع هذا الاعتبار من الذهاب الى قول من قال اقل الجمع اثنان (قوله فانها نهاية النصف
 الاول) اى فانها انصلى عند الزوال الذى هو نهاية النصف الاول الخ (قوله اولان النهار جنس) يتناول كل
 فرد من افراد النهار فلما كانت صلاة الظهر تكرر في كل نهار جمع وقت لتعدد النهر التي انصيف هو اليها
 لانهما في نفسه (قوله او بالتطوع في اجزاء النهار) عطف على قوله بصلاة الظهر في قوله او امر بصلاة
 الظهر فقوله تعالى واطراف النهار في ثلاثة اوجده (قوله اى نظر عينيك) ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرد
 استحسانا لا ينظر وعنى ان يكون له مثله وفيه دليل على ان النظر الغير المدود معقوده لانه لا يمكن الاحتراز
 عند ولما كان النظر الى الزخارف كالركوز في الطبايع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملا منه
 عينه قيل له عليه السلام ولا تمدن عينك اى لا تفعل ما عليه جبل البشر ولقد شدد المتقون في وجوب غض

ويجوز عطفه على المستكن في كان اى لكان الاخذ
 العاجل واجل مسمى لازمين لهم (فاصبر على ما يقولون
 وسبح بحمد ربك) وصل وانت حامد لربك على هدايته
 وتوفيقه وتزهد عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من
 النقائص حامدا لله على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى
 التعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل
 غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما من آخر النهار
 او العصر وحده (ومن آناه الليل) ومن ساعاته جمع
 اى بالكسر والقصر وآناء بالتخ والمد (فسبح) يعنى
 المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه
 بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى
 الاستراحة فكانت العبادة في هذا جنس ولذلك قال تعالى
 ان ناشئ الليل هي اشد وطأ واقوم قليا (واطراف
 النهار) تكرر لصلاتي الصبح والمغرب ارادة
 الاختصاص ويجئ بلفظ الجمع لأن الالباس كقوله
 ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر
 فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف
 الاخر وجهه باعتبار النصفين اولان النهار جنس
 او بالتطوع في اجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق
 بسبح اى سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله
 ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابوبكر بالبهاء
 للفعول اى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) اى نظر
 عينك (الى ما تمناه) استحسانا له وعنى ان يكون
 لك مثله (ازواجهم) اصنافا من الكفرة ويجوز
 ان يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم اى الى
 الذى تمناه وهو اصف بعينهم واناساءهم

(زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا و به على نضيته معنى اعطينا او بالبدل من نحل به او من أزواجنا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة
وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة واجمع زاهر وصف لهم بانهم زاهر والدنيا لتعهم وبها من بينهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد (لنفتهم فيه) لنبلوهم
(٣٣٨ -)

البصر عن ابنية الظلمة واختيال الفسقة في اللباس والركب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشياء ليعيون النظر
فالنظر اليها يحصل لمرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها روى عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف قبعتي الى يهودى فقال قل له ان رسول الله يقول لك بعني كذا
وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلاك رجب فانيته فقلت له ذلك فقال لا والله لا يبيع ولا اسلفه الا برهن
فاثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخبرته فقال والله لو باعني او اسلفني لقتلته واني لأمين في السماء وامين
في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فتركت هذه الآية تسلياً له عن الدنيا قال ابو الدرداء الدنيا دار من لادار له
ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى ابن مريم
لا تتخذوا الدنيا داراً فتتخذكم عبيداً وأزواجاً منصوب على انه مفعول متعنا او على انه حال من الهاء به روى
لفظ ماهرة فافرد الراجع اليها ومعناها اخرى فجمع ما كانت عبارة عنه ومنهم مفعول متعنا على ان من فيه
للبعض اى بعضهم او ناسا منهم وذكر لاتصاب زهرة ستة اوجه الاول ان يكون منصوباً بفعل متعنا دل
عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة والثاني ان يكون مفعولاً ثانياً لمفعنا على نضيته معنى اعطينا وازواجاً
مفعوله الاول وزهرة هو الثاني والثالث ان ينصب على انه بدل من محل به والرابع والخامس ان يكون بدلاً
من أزواجاً على حذف المضاف اى ذوى زهرة او من غير حذفه بان يجعل اصناف الكفرة نفس الزهرة على
المباغة والسادس ان يكون منصوباً على الذم وهو النصب على الاختصاص بتقدير اعني والمذموم الموصول
او ضميره مذكور كونه زينة الدنيا الا الآخرة وعلى تقدير ان تكون زهرة يتيم الهاء جمع زاهر كفاجر وخرقة وبارورة
تكون صفة أزواجاً اى اصنافاً زاهراً الدنيا اى متفرقة الوجوه مثلاً لئى الألوان والهيات يقال زهرت النار
زهراً اى اصنافاً وزهرتها انا والازهر النير ورجل ازهر اى نيرابيض مشرق الوجه والمرأة زهراً او وصف المتمتعون
بانهم زاهروا هذه الحياة الدنيا لصفاء الوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ما عليه الصالحاء من تغير اللون والبلغ
بالقوت والاكتفاء بالرفقات من الثياب (قوله اولعذبهم) يؤيده قوله تعالى ولا تعجبكم اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله لعذبهم بها في الحياة الدنيا (قوله على خصائصهم) قال في النهاية الحصاص الجوع والضعف واسطها
الفقر والحاجة الى الشيء (قوله انكارا لما جاء به من الآيات اوللاعتداد به تعنت) يعنى ان قول انكفار
هلا بآيتنا محمد عليه الصلاة والسلام بآية يجوز ان يكون طلباً لآية تدل على صدقه آية كانت انكاراً لما
جاء به مما يدل عليه وان يكون طلباً لآية مقترحة مثل العصا الناقعة اعتدادهم بما جاء به تعنا وعنادا ويحصل
ان يكون قوله تعالى فاصبر على ما يقولون توطئة لحكاية هذه المقالة من الكفرة ويكرن المراد بما يقولون معانهم
هذه قرأ نافع وابوعمر وحفص اولم تأتيتهم بتأيت الفعل لتأيت فاعله والباقيون بالياء من تحت لكون التائيت غير
حقيق وقرأ العامة بآية ما باضافة بآية الى ما مر فوعدة وهي واضحة وقرئ بتنوين بآية مرفوعة فعلى هذه القراءة
تكون ما بدلاً من بآية بدل كل من كل او خبر مبتدأ محذوف اى هي ما في الحذف الاول كانتورة والانجيل من
البشارة بنينا محمد بارساله نبياعرياموصوفابنايهم من العتوت الكريمة (قوله تعالى ولوانا هلكناهم بعذاب
الآية) بيان انه لا عذر لهم في ترك التسارع وسلك طريق الضلال بوجه ما ثم انه تعالى ختم السورة بضرب من
الوعيد ونوع من الزجر والتهديد فقال قل كل متر بص الآية قرأ العامة السوى على وزن فاعل بمعنى الدين المستوى
المستقيم وقرئ السواء بفتح السين والمد بمعنى الوسط الجيد وقرئ السوى بفتح السين لان الصراط لكونه بمعنى
السليل يجوز تأنيته وقرئ الصراط السوء بفتح السين وسكون الواو بمعنى الشر وقرئ السوى بضم السين وفتح
الواو وتشديد الباء تصغير سوء والمعنى على القراءة الثلاث الاخيرة فستعلمون من اصحاب الطريق المروج
والدين الباطل (قوله ومجملها الرفع على الابتداء) وما بعدها الخبر والمجمل في محل النصب سادة مسد المفعولين
ومن لما كانت استفهامية بمعنى اينما يعمل فيها فستعلمون (قوله على ان العلم بمعنى المعرفة) اذ هو كان على
بآيه لا حجة الى تقدير مفعول ثان لعدم جواز الاقتصار على احد مفعولي وعلى تقدير ان تكون من انشائية
موصولة تكون في خير مفعول فستعلمون على معنى فستعلمون الذى اهتدى اوفى خير خبر من الاستفهامية
على معنى اينما اصحاب الصراط السوى والذى اهتدى اوفى خير المجرور باضافة اصحاب اليه على معنى اينما اصحاب
الصراط السوى واصحاب الذى اهتدى على ان المراد بالذى اهتدى النبي عليه الصلاة والسلام

وتخبرهم فيه اولعذبهم في الآخرة بسببه (ورنق
ربك) وما ادخلك في الآخرة او ما رزقك من
الهدى والنوّة (خير) مما منحهم في الدنيا (وابني)
فانه لا ينقطع (واثر اهلك بالصلاة) امره بان يأمر
اهل بيته والتابعين له من امتة بالصلاة بعدما امر بها
ليعاونوا على الاستعانة على خصائصهم ولا يهتوا
بامر المبتدأ ولا يفتنوا لفت ارباب الثروة (واصطبر
عليها) ودوام عليها (لا تألأك رزقا) ان ترزق
نفسك ولا اهلك (نحن نرزقك) وايام فقرغ بالك
لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوى
التقوى روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب
اعله ضرراً أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا ولا
يتبين آية من ربه) بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة
او بآية مقترحة انكار لما جاء به من الآيات اوللاعتداد
به تعنا وعنادا فآلزمهم بآيته بالقرآن الذى هوام
المجربات واعظمها واتقها لان حقيقة العبرة
اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم او العمل على
وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل وأعلى
مقدراً وابقى اثره فكذا ما كان من هذا القليل وبنيهم
ايضا على وجه عين من وجوه اعجازه المختصة بهذا
الناب فقال (اولم تأتيتهم بآية ما في الحذف الاول)
من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان
استدل على زيادة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية
معان الاكثى به اى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين
وفيه اشعار بان كيدل على نبوته برهان لما تقدم مدد من
الكتب من حيث انه معجز وتلك ابست كذلك بل هي
مفتقرة الى ما يستند على صحتها قرأ نافع وابوعمر
وحفص اولم تأتيتهم بآيتهم والباقيون بالياء وقرئ الحذف
بالتحف (ولو انما اهلكناهم بعذاب من قبله) من
قبل محمد والبيئة والتذكير لانها في معنى البرهان والمراد
بها القرءان (لقالوا ربنا لولا ارسلت البيا رسولاً فضع
آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا
(وتخزي) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالباء
للفعل فيها (قل كل) اى كل واحد منا ومنكم
(متر بص) منظر لما يؤول اليه امرنا واحمر كم
(فتر بصوا) وقرئ ففتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط
السوى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد
والسوى والسوء اى الشر والسوى وهو تصغيره
(ومن اهتدى) من الضلالة ومن في الموضعين
الاستفهام ومجملها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون
الانشائية موصولة بخلاف الاولى اعدم العائد فتكون
معدوفة على محل الجلة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على
ان العلم بمعنى المعرفة وعلى اصحاب وعلى الصراط على
ان المراد به النبي عليه الصلاة والسلام وعنده عليه الصلاة والسلام من قرأ طه اعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

(سورة الانبياء مكية وهي مائة واثناعشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله بالاضافة الى ماضى) جواب عما يقال كيف وصف وقت الحساب بالاقترب مع انه قد عدى من بعد نزول هذا القول أكثر من تسعمائة سنة يقال قرب الشيء واقترب اذا دنا والحساب بمعنى المحاسبة وهو اظهر ما للبعد وما عليه ليجازي على ذلك قبل المراد به وقت حسابهم وهو يوم القيامة كما قال اقتربت الساعة فسمى يوم القيامة يوم الحساب تسمية للزمان بأعظم ما وقع فيه واشده وقعا في القلوب فان الحساب هو الكاشف عن حال المرء في تسميته به تنويره بقف عظيم للكافرين (قوله واللام صلة لاقترب) الفرق بين كونها صلة وكونها تأكيداً كيدا للاضافة ان اللام الجارة اذا كانت صلة لاقترب كان المقرب له اى المدنوم منه مذكورا وكان المعنى دنا من الناس حسابهم واذا كانت تأكيداً كيدا للاضافة لم يكن المقرب له اى المدنوم منه مذكورا للعلم به فيصير المعنى كاقبل اقترب حساب الناس اى الحساب الذى للناس فلما كانت اللام تأكيداً كيدا لاختصاص المستفاد من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنو وقت حسابهم وهو يحصل من هذا التركيب ثم قدم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة وعرف الحساب تعريف الجانس فصار اقترب للناس الحساب على ان الناس ظرف مستقر قدم على الحساب ليكون العناية مصروفة الى ذكر المقرب له وبيان ان الحساب لهم لاغيرهم وفى التقديم والتصريح باللام وتعرف الحساب ما لغات ليست فى قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف من الحساب واضيف الى ضمير الناس تأكيداً كيدا لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام الاختصاص فان قيل اذا كان اقترب للناس مقدياً فى الاعتبار على ان يقال اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تأكيداً كيدا للاضافة بل يكون الامر بالعكس فالجواب انه اذا كان احدهما تأكيداً كيدا للآخر كان كل واحد منهما مؤكداً بالآخر فصح جعل اللام تأكيداً كيدا للاضافة ومعنى التأكيد ان كل واحدة من اللام الجارة والاضافة معنية عن الاخرى فاذا جع بينهما كانت احدهما تأكيداً كيدا للاخرى (قوله معرضون عن التفكير) فان القول السليمة بما ذكرناه لا بد من الحساب والجزاء والالزام للسوية بين المطيع والعاصي والتقين والعجبار وهي بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة (قوله تحدث تنزيه) يعنى ان المراد بالذكر كلام الله تعالى الذى يذكرهم ما لهم وما عليهم وهو صفة ازيلية قديمة الا انه تعالى انزه بالتفريق وحدث تنزيه في كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة فذات المنزل ازل قديم والحدث انما هو تنزيه فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان القراء ان تحدث ان الشراء ان ذكر اقوله تعالى فى صفة القراء ان هو الا ذكر للعالمين والذى يحدث بهذه الآية فالقراء ان تحدث واجب عنه ايضا بان الموصوف بالانسان وبانه ذكر هو المركب من الحروف والصوات وحدوثه مما لا نزاع فيه وانما النزاع فى قدم كلام الله تعالى عز وجل بمعنى آخر فقوله تعالى ما يايتهم من ذكر الآيات بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يمد دلهم الذى ذكر كل وقت ويظهر لهم الآية والسورة بعد السورة لكيلا يكره على اسماعهم الموعظة ليعظوا فافترس بهم ذلك الاستسجارا قرأ العامة بمحدث بالجر على انه صفة لذكر محمول على لفظة وقرئ مرفوعا جلا على محله لان من مزينة فيه كافي ما جاءنى من احد (قوله لاهية قلوبهم) اى متشاغلة عن التأمل فيه من لهيت عن الشيء الهى لم يواهبها نال بالضم من باب صلم اذا غشيت عنه قدم ذكر اللعب على اللهو كما فى قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وتنبه على ان اشتغالهم باللعب الذى معناه السخريه والاستهزاء مع الله بالله والذى معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق (قوله اى استمعوه حامين) على تقدير ان يكونوا حالين مترادفين من واو استمعوه وان كان لاهية حالا من واو يلعبون يكون من قبيل الاحوال المتداخلة لكون الحال الاولى عاملة فى الثانية (قوله بالغوا فى اخفائها) جواب عما يقال من ان التجوى اسم من التناجى فلا تكون الاخفية فاسمى قوله تعالى واسروا التجوى اجاب عنه اولابان معناه بالغوا فى اخفائها وثانيا بان المعنى جعلوها بحيث لا يفتن احد لتناجيههم ولا يعلم انهم متناجون (قوله بدل من واو اسروا) فيكون واو اسروا ضمير اعماء الى ما عاد اليه سائر ضمائر المذكورة ويكون المقصود من ابدال قوله الذين ظلموا من الواو الاعلام بانهم المبسغون فى الظلم وذلك لانه جعل الذين ظلموا مفسر لهم بهذا ابدال وان كان الذين ظلموا فاعلا يكون واو اسروا حرفا جازي به للدلالة على ان الفاعل جمع كما يأتى بالنساء للدلالة

(سورة الانبياء مكية وهي مائة واثناعشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى ماضى او عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستجلبونك بالاعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عذرك بك كالف سنة مما تعدون اولان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيداً كيدا للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقديهم بقوله (وهم فى غفلة معرضون) اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكير فيه وهما خبران للضمير ويوزان بكون الطرف حالا من المستكن فى معرضون (ما يايتهم من ذكر) ينههم من سنة العقلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر اوصاله لئلا يتهم (محدث) تنزيه لذكره على انما هم التنبه لى يتعظوا وقرئ بالرفع جلا على المحل (الاستمعوه وهم يلعبون) يستهزئون به ويستسحرون منه لنهاى خلفتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور وانما كره فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اى استمعوه حامين بين الاستهزاء به والتلهى والذهول عن التفكير فيه ويحوزان بكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير (واسروا التجوى) بالغوا فى اخفائها او جعلوها بحيث حتى تساجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو اسروا والاياء باهم ظالمون فيما اسروا به او ناسل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله هو ولا اسروا التجوى فوضع الموصوف موضع تسميلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم

على ان الفاعل مؤنث (قوله وانما اسروا به تشاورا) لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره لاجرم اسروا به لان عادة التشاورين ان يجتهدوا في كتمان سرهم عن اعدائهم (قوله جهرًا كان او سرا) اشارة الى جواب ما قال هلا قيل يعلم السر حتى يطابق قوله واسروا التجوى وتقريره ان القول عام يشمل السر والجهر فكان العلم بالقول العلم بالسر ويزاد فكان أكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر الواقع كما ان قوله يعلم السر أكد من قوله يعلم سرهم مع انه مطابق لقوله واسروا التجوى لان التجوى هو القول الواقع بطريق المسارعة والمطلق مطابق لكل واحد مما أخذ (قوله ولا ماتضرون) اشارة الى ان متعلق قوله العليم هو ما اضروه في نفوسهم من غير ان يتكلموا به لاسرا ولا جهرًا لقوله تعالى يعلم السر واخفى قال الامام قدم السمع على العلم لانه لا بد من سماع الكلام ولا يتم حصول العلم بعبث ولا يخفى ان هذا التوجيه لا يصح فيما استدل به تعالى من السماع (قوله اضرب لهم) يعني ان الاضرابات المذكورة في هذه الآية واقعة في كلام الذين طموا حكاها لله تعالى عنهم كما وقعت في كلامهم للدلالة على كونهم متعيرين خاطبين خبط عشواء لا يميزون بين مضرب عنه ومضرب منه لا يدرون ما يقولون ولا يجدون تمسكًا ينفعهم في هدم امره واطهار فساد ما ادعاه من الرسالة ولما كان هذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات المذكورة لو كانت واقعة في كلام الكفرة وانه تعالى حكاه عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا مقدما على بل بأن يقال قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضربهم وتقدم بل على قالوا لا يبعد ذلك قال المصنف والظاهر ان تكون بل الاولى اضربهم تعالى عن حكاية قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون الى حكاية قولهم في حق القرآن انه اضغاث احلام او يكون اضربا عن محكي اى عن التحاور في شأنه عليه الصلاة والسلام وفي شأن ما جاء به من الخوارق الى التناول في امر القرآن وان تكون بل الثانية والثالثة من كلام الكفرة اضربوا بهما عن قولهم في امر القرآن انه اضغاث احلام الى انه مفترى الى انه كلام شرعى ثم يجوز ان تكون كلمة بل من كلام الله تعالى لا محكية عن الكفرة لان الكلام المحكى ما يقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث من الثاني والرابع من الثالث ووجه افادة بل هذا المعنى ان الاضراب قديم يكون لا بطلان الكلام الاول وقد يكون للانتقال منه الى خبر آخر أهم من الاول والاضراب الواقع في كلام الله تعالى لا يحمل على الاول لانه يستلزم ان يكون الاول باطلا في نفسه او غلطًا والله تعالى منزّه عن ذلك فلا بد ان يكون الاضراب الواقع فيه للانتقال الى الاهم والاهم في مقام بطلان مقالة القوم بيان ما هو افسد بالنسبة الى الاول فيكون ما بعد بل في مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ما قبلها (قوله وليس فيه ما يناسب قول الشعراء) لان الشعر تخيلات ملفقة وتعو بهات من خرفة يدعو الى الهوى والشيطان والقرءان يدعو الى الهدى وطاعة الرحمن وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرءان مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقولهم انه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلا في نفسه لان القوة البشرية وان استغرقت طوقها لا تطيق اتيان مثله فهو ابعد من قولهم انه اضغاث احلام مع كونه فاسدا في نفسه من حيث ان الكتاب الذي احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كيف يتصور كونه من تخالط الاحلام فهو اشد فسادا بالنسبة الى قولهم انه سحر لان تشديد النظم المميز الفائق بالسحر اقرب من جعله من تخالط الاحلام لقوله عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا والاضغاث الحزم من البيان وغيره فاستعير للتخالط والباطل شبهت تخالط الاحلام وابطالها بحزم من اخلاط النبات في كونها مخلوطة من اشياء غير متاسبة ثم استعملت في الابطال بقرينة اضافتها الى الاخلاط والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرويا وضم اللام ايضا لغة فيه فالاحلام بمعنى السمات سواء كانت باطلة او حقة واضيف الاضغاث بمعنى الابطال اليها على طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد تخص الرويا بالتمام الحق والحلم بالتمام الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام الرويا من الله تعالى والحلم من الشيطان (قوله وصحة الشبهة) جواب عما يقال محال الكاف في قوله كما ارسل الاولون اماجر على انه صفة آية او نصيب على انه صفة مصدر محذوف فالتقدير على الاول بآية مثل ارسال الاولين وعلى الثاني آياتا مثل ارسال الاولين واما مصدرية على الوجهين ولا وجه لتشبيه الآية ولا تشبيه آياتها برسالة الاولين وتقرير الجواب ان ارسال بتضمن آياتها ويستلزمه فذكر ارسال الذي هو ملوم لآياتها

(هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون) بأسره في موضع النصيب لانه من التجوى او مفعولا لقول مقدرا كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرءان سحر فاسكر واحضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فسادا للناس عامة رقل ربى يعلم القول في السماء والارض) جهرًا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو أكد من قوله قل انزل الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اخترهم ناوليطابق قوله واسروا التجوى في المبالغة وقرأ حزة والكسائي وحفص قال بالا حار عن الرسول (وهو الشيع العليم) فلا يخفى عليه ما تنسرون ولما تضمنون (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضرب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخالط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتتام الحكاية والابتداء باحرى اول الاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه باطيل خيلت اليه وغلطت عليه الى كونه مفترى اختلقها من تلقا نفسه ثم الى انه كلام شرعى يتخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغب فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لقوالهم في درج الفساد لان كونه شعر ابعد من كونه مفترى لانه مسكون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه يستل على معاني كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولاهم جر بوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانس من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما ارسل الاولون) اى كما ارسل به الاولون مثل الديد البيضاء والعصا وبرآة الائمة واحياء الموتى وصحة الشبهة من حيث ان ارسال يتضمن الاثبات بالآية (ما آتيت قلوبهم من قرينة) من اهل قرينة (اهلكناهم) باقتراح الآيات للمجاهدين (أفهم يؤمنون) لو جنتهم بها وهم اعنى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاثبات بالمقترح للبقاء عليهم اذ لو أئى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كن قبلهم

الآية واريد لازمه حجاز افكائه قيل بآية مثل آية الاولين او اثباتا مثل اثبات الاولين واشار المصنف بقوله كما
 ارسل الاولون الى جواب آخر وهو ان كلمة ما في قوله تعالى كما ارسل الاولون موصولة وعندها محذوف والمعنى
 بآية مثل الآية التي ارسل بها الاولون وتشبيها لآية بالآية تشبيها واضح لا خفاء فيه ثم ان مشركي مكة لما اقترحوا
 آية شبيهة بآية الاولين في انها لا تطرق اليها احتمال انها اضغاث احلام او كلام مقترى او قول شاعر
 اجابهم الله تعالى بان الامم التي اهلكناهم باصرارهم على التكذيب بعد ما اتهم الايات التي اقترحوها لم يؤمنوا
 بابانها فلما اتهم ما اقترحوه لما آمنوا ايضا لكونهم اعنى منهم فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لان
 الحكمة الالهية قد اخضعت ان من كذبوا بعد الاجابة الى ما اقترحوه لا يدان بزل بهم عذاب الاستئصال
 وقد سبق وعده في حق هذه الامم ان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة فلذلك لم يجابوا الى ما اقترحوه للابقاء عليهم
 اى للترحم بهم يقال ابقى على فلان اذارجه (قوله والاحالة اليهم) اى احالة المشركين الى اليهود
 والنصارى في استعلام ان البشرية لاتا في الرسالة اما الامم والاسكان لا اثبات الحكم المتعلق بالاعتقادات
 بما تقول الكفرة فان اليهود والنصارى وان انكروا نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام الا انهم لا ينكرون
 ان الرسل كانوا بشرا ثم انهم لما كانوا يوافقون المشركين في معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون
 لا يكذبونهم فيما قالوا في حق الرسل واما لانه لا فرق بين المؤمنين والكفار في حصول العلم بتبجيلهم اذ بلغ حد
 التواتر (قوله وقرأ حفص نوحى بالنون) اى بنون العظمة مينا للفاعل اى نوحى نحن والباقون بالياء
 وقبح الحاء مينا للفعول وهذه الجملة في محل النصب على انها صفة لرجال (قوله نوحى لمسا اعتقد وانها) انت
 العائد الى ما لكونها عبارة عن الخاصة فان عدم الاحتياج الى الطعام والخلود بمعنى عدم طريان الموت من
 خواص الملائكة تفاه عن الرسل تحقيقا لكونهم البشرا جع بشر مثلهم وابطل الالزام ان البشرية تنافي الرسالة فان
 نفي الخاصة للالزام لا يكتفى يستلزم نفي المألوم تحقيقا لكونهم البشرا مثلهم (قوله وقيل جواب) عطف
 على قوله نفي لما اعتقدوا وتوصيح هذا القول ان الكفرة كانوا يطعنون في الرسالة باشياء منها قولهم ابعث الله بشرا
 رسولا وقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فانهم الله تعالى بان الرسل الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر
 وان رسالتهم صحت بما ظهر الله تعالى على ايديهم من الخوارق والمعجزات فلما صحت رسالتهم بذلك فقد صحت
 رسالة سيد المرسلين بما يظهره الله تعالى على يديه من الايات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرا ومنها قولهم
 ان الذى يدعى الرسالة يأكل الطعام ويشرب ويتكح ويمشى في الاسواق كغيره من الناس كما اخبر الله تعالى عنهم
 ذلك بقوله ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق ونحوه فانهم واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل
 كانوا يأكلون الطعام ويشربون ويمشون في الاسواق ويقضون حوائجهم فقال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
 الطعام وما كانوا خالدين اى في الدنيا وقال في آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم ازواجا وذرى ففعل
 ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل من كان يأكل ويشرب ويتكح وانه بشر
 وهو رسول كسائر الرسل ولم يرض المصنف بهذا التأويل لان جعل الكلام اجتنابا عما سبق له الكلام مع امكان
 ربطه بالمقام لا يخلو عن بعد (قوله وتوحيد الجسد) جواب عما يرد من ان جعل في الآية الظاهر انه بمعنى صير
 فيتعدى الى مفعولين ثانيهما جسدا ومفعوله الاول وهوهم جمع فكيف يصح ان يخبر عن الجمع بالمفرد وايضا
 الظاهر ان قوله لا يأكلون في محل النصب على انه صفة لجسد فكيف يصح ان يرجع اليه ضمير الجمع وان جعل
 تقدير الكلام وما جعلناهم ذوى جسد غير طامعين او وما جعلنا كل واحد منهم جسدا كقوله ثم نخرجكم طفلا
 اى نخرج كل واحد منكم طفلا سقط الايراد في الصحاح الجسد البدن والجسم والجسد ايضا الزعفران او نحوه من
 الصنع وهو الدم ايضا والجسد ايضا صدر قولك جسدي به جسدا ذالصق فهو جسد وجسد ويقال الجسد
 لما اشبع صبغه من الثياب ويقال للزعفران الجساد (قوله اى فى الوعد) يعنى ان صدق يتعدى الى مفعولين الى
 ثانيهما يحترف الجبر وقد يحذف ويقال صدقت الحديث اى في الحديث كما في قوله تعالى واختار موسى قومه
 اى من قومه وضمير صدقتهم للرسل وقد وعدهم الله تعالى بانجائهم وانجاء من صدقهم وآمن بهم واهلاك من
 كذبهم ويدل عليه قوله تعالى فانجيئناهم ومن نشأوا هلكا المسرفين اى بهذاب الاستئصال وليس المراد عذاب
 الآخرة لانه اخبار بما مضى * والصبت الذكر الجميل الذى يشرف الناس دون القبيح يقال له ذكر في الناس اى صيت

(وما ارسلنا قبلك الا رجا لا يوحى اليهم فاسألو)
 اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) جواب لقولهم هل هذا
 الا بشر مثلكم بأمرهم ان يسألو اهل الكتاب
 عن حال الرسل المتقدمين ليزول عنهم الشبهة والاحالة
 اليهم اما الامم فان المشركين كانوا ايضا ورونيهم
 في امر النبي عليه السلام ويشقون لقولهم
 اولان اخبار الجمل الفيزي يوجب العلم وان كانوا كفارا
 وقرأ حفص نوحى بالنون (وما جعلناهم جسدا
 لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) نفي لما اعتقدوا
 انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا
 ابشرا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول
 يأكل الطعام ويمشى في الاسواق وما كانوا خالدين
 تأكيد وتقدير له فان التعبد بالطعام من توابج التحليل
 المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس
 اولانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف
 او نأ ويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذلولون
 ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجسدان
 للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء
 واشتداده (ثم صدقناهم الوعد) اى في الوعد
 (فانجيئناهم ومن نشأ) يعنى المؤمنين بهم
 ومن في ابقائه حكمة كن سيؤ من هوأ وأخذ
 من ذريته ولذلك حيت الغرب من عذاب
 الاستئصال (واهلكنا المسرفين) في الكفر
 والعنصا (لقد ازلنا اليكم) ياقريش (كتابا) يعنى
 القرآن (فيه ذكركم) صحتكم لقوله وانه لذكر ذلك
 ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر
 من مكارم الاخلاق (أفلاتهقلون) فتؤمنون به

(وكم قصتنا من قرب) واردة من غضب عظيم لان انقص كسريين ملازم الاجزاء بخلاف النقص (كانت طائفة) صفة لاهلها وصفت بها لما قيمت مقام (واذنا بعدها) بعد اهلاك اهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضيق للاهل المخذوف (اذا هم منها يركضون) يهربون مشرعين راكضين دوابهم اومشبهين بهم من فرط اسراعهم (لا تركضوا) على ارادة القول اى قبل لهم استهزاء لا تركضوا الما لسان الحال او المقاتل والقائل ملك او من عمة من المؤمنين (وارجعوا الى ما ترقم فيه) من التعم والتلذذ او الاتراف ابطار الصفة (ومساكنكم) اى كانت لكم (لعلكم تسألون) غدا عن اعمالكم اوتعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب اوتقصدون للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل (قالوا يابلنا اننا كنا ظالمين) لما رأوا والعذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى منادى من السماء بالثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فازالت تلك دعواهم) فزالوا يرددون ذلك وانما سماء دعوى لان المولود كانه يدعوا الولد ويقول ياويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو الثبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خدث النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمائلة الحصيد والخمود اوصفاه او حال من ضميره (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعين) وانما خلقناها مشحونة بضروب الدائع تبصرة للنظار وتدكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا لما ينظم به امر العباد فى العاس والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغفروا بزخارفها فانهم سرعة الزوال

وشرف وقى القر. آن صبت لقرش لانه بلسانهم ولقنهم منزل على نبي منهم يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لانهم جلته والمرجوع اليهم فى حل مصادقه وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعود والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى كلا انها تذكرة وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز ان يراد بالذكر ما يكون شيئا للذكر الجليل من مكارم الاخلاق التى من تخلق بها يشترصه فى الناس وقوله تعالى فيه ذكر كم معناه فى علمه والعمل بما فيه جميع ما يحتاجون اليه فى امر دينكم ودنياكم من حسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم امر الله والتفقه على عباده وصديق الحديث وأداء الامانة والوفاء بالعهد وغير ذلك فذكر الذكر واراد به مكارم الاخلاق الموجبة للثناء الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وارادة السبب واعلم ان قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على قوله وما ارسلنا قبلك اى قد ارسلنا قبلك رسلا يوحى اليهم ايشارة ثبات صدقناهم الوعد فصدقناهم الصلاة والسلام نبي كسارا الانبياء بشر مثاهم ولا بدان يصدق الله تعالى فى وعده فاحذروا يا قرش سوء العاقبة وزول البلاء على تكذيبه ثم قال تعالى اقتدرنا واجاب عن قولهم فلما بنا بآية بقوله ما آمنت ثم اجاب عن قولهم هل هذا الا بتر مثلكم قوله وما ارسلنا وادرج فيه اتهديد ايضا بقوله ثم صدقناهم الوعد ثم بين انه قد اتاكم ما يكفيكم ويغنيكم عن اقتراح الآيات ويوجب ايمانكم به وهو الكتاب الذى فيه ذكر كم أفلا تعقلون فتؤمنون به وترتدون عن اقتراح الآيات وعن القدر فيه بما لا يليق به وتحضى بداعة العقول بطلانه (قوله فلما ادركوا الخ) لما لم يجب ان يكون ما اصاب المهلكين من الناس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة جعل قوله تعالى أحسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم البأس بادراك المحسوس فاطلق عليه اسم الاحساس واستق منه قوله أحسوا (قوله راكضين دوابهم اومشبهين بهم) يعنى ان الركن ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركنض برجلك ويجوز ان يكونوا ركنوا وادابهم يركضونها هارين منهزمين من قربتهم لما دركته مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا فى سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين راكضين لدوابهم (قوله تعالى الى ما ترقم فيه) اى الى نعمكم التى خولتوها وتوسعت فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم عن من جعلها لكم اى عن حده وشكره قال الخليل المنرف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه والمعنى ارجعوا الى نعمكم والى مساكنكم التى تسكنونها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم اوارجعوا اليها واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتجوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وبما ذآرسمون كعادة الخدمين اولعل الناس تسألكم بما فى ايديكم ويستتروكم فى المهمات وانوازل اوارجعوا الى نعمكم ولساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فجبوا السائل عن علم ومشاهدة (قوله بالثارات الانبياء) اللام فيه للاستفاضة والثارات الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال ثار القتل بالقتل اى قل قاتله وبابه قطع والمقصود من نداء الثارات الاخبار عن موجب دعائهم على انفسهم بالويل حب قالوا ما يولنا ويتواوحد استحقاقهم به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل قال تعالى فزال تلك الكلمة وهى ياويلنا دعواهم اى دعاءهم فذلك مرفوع على انه اسم ما زالت ان جعلت الدعوى منصوبة المحل على الخبرية او منصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لانهم ما عرفنا - وحصيذا من باب التسيب الابخ اى مثل ذلك الزرع المحصود والفعل بمعنى المفعول يستوى فيه المفرد والجمع والذكر والمؤنث (قوله وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى) وبس كل واحد منهما مفعولا على حدة لان جعل لا يندى الى ثلاثة مفاعيل فانه قد تعدى الى مفعوله الاول وهو ضمير الجمع فلا يتعدى به الى مفعولين آخرين فلذلك جعل حصيدا خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا حامضا فانه فى معنى جعلته جامعا للطينيين وكذلك ما نحن فيه فان معناه جعلناهم جامعين لمائلة الحصيد والخمود (قوله اوصفاه) عطف على قوله بمنزلة المفعول الثانى اى يجوز ان يكون خامدين صفة لحصيذا فانه مفرد فى معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستكن فى حصيدا وقوله خامدين استعارة تبعية شبه الموت بخمود النار وانطفائها فاطلق عليه اسم الخمود ثم اشتق منه خامدين (قوله فينبغي ان يتسلقوا بها) اى ان يتسلقوا بها يعوا بسببها فان تسلق مطاوع لقرشك سلقته سلقا اذا التفت على ظهره دورا يقال سلقته سلقا بزيادة الياء واشارة المصنف به الى وجود تعلق هذه الآية بما قبلها وهوانه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منة ومحازاة على ما فعلوه وهوانهم ضيعوا ما خلقه الله تعالى لقوادى دينية ودنيوية اما الدينية فهى ان يتفكر المكلفون

فيها ويستدوا بهما على غلبة الله وكبريائه وكمال قدرته وحكمته واما الدينوية فهي ما يتعلق بهما من المنافع التي لا تعد ولا تحصى فمن اغتر بزخارفها ولم يتساقط بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية فقدر بان يهلك ويحبل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى لما ذكر انهم خلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط وما بينهما من بدائع الموجودات وغرائب المصنوعات لان يلهي به ويلعب بين انهم يتخذ ما يلهي به ويلعب من حيث ان الحكمة صارفة عند الامن جهة عدم القدرة على اتخاذها فقال لو اردنا ان نتخذها لاهي ما يلهي به على انه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشئ بالفتح اهلوا اذ لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكننا لم نتخذها لعدم ارادتنا اتخاذها ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد اخرج الكلام عن الالتئام بما قبله قال الامام الواحدى اللهو طلب الزوج للنفس ثم المرأة تسمى اللهو ووكذا الولد لانه يتروح بكل واحد منهما ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانة والمعنى لو اردنا ان نتخذ امرأة ذات لهو وولد اذ اللهو لاتخذناه من لدنا اي بما نصطنيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله لو اردنا ان نتخذ ولد الاصطفي مما يخلق ما يشاء وقال المفسرون اي من الخور العين وهذا رد لقول اليهود في عزير قول انصارى في المسيح واهد من كونها ولدا وصاحبة ومعنى من لدنا من عندنا اي بحيث لا يجزى لاحد فيه تصرف لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره انتهى (قوله ويدل على جوابه) يعني ان كل ذلك في الآية شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكننا لم فعله لانه لا يليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى تتعلق بالاتخاذ بالارادة والثانية تتعلق بالاتخاذ المرتب على الارادة بكونه ممن يفعل ذلك وتقتضيه حكمته (قوله والجملة كالنتيجة للشرطية) كانه قيل لو اردنا الفعل لانه ولكن لم يرد فاما كونا فاعلين ثم انه تعالى اضرب عن حديث تعليق اتخاذ ما يلهي به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له ان يفعل ذلك وجملة كالمسكوت عنه الى بيان ما هو اهم بالنسبة الى ما قبله وهو ان شأنه تعالى ان يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهب فيه لعله (قوله وانما استعار لذلك) اي استعار القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمع للحق والحق بان شبه الحق بالجرم الصلب الثقل وشبه الباطل بالجرم الرخو الاجوف فقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فدمغه على طريق تشبيه المفعول بالمحموس فان كل واحد من الحق والباطل من قبيل المفعول والجرم الصلب والرخو من قبيل المحسوس وعبر عن هذه الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع فضل تمكن قال صاحب المنتاح اصل استعمال القذف والدمع في الاجسام ثم استعير القذف لاراد الحق على الباطل والدمع لذهاب الباطل وبحو والتستار منه حسي والمستعار له عقل وقرآءة فيدمغه بالنصب ضعيقة لما تقرر في النحو من ان ما بعد الفاء انما ينصب باعتبار ان في جواب الاشياء الستة الامر والتهى واثني والاستفهام والتمني والعرض وقوله فيدمغه لم يقع بعد احد هذه الاشياء ولعل من نصبه نظر الى ان المضارع فيه شبه التثنية ولهذا قيل انه في الآية اضعف مما في البيت لان المضارع فيها الاستمرار وقيل في توحيد النصب ان المضارع كالتمني والترجي في كونهما متربين وانما شرطوا في نصب ما بعد الفاء السببية كون ما قبلها احدا لاشياء المذكورة لان الفاء السببية تقتضي ان يكون ما قبلها سببا لما بعدها والسببية لا تتحقق الا عند تحقق احدها الامور ولذا لم يجز النصب في الموجب الا في ضرورة الشرع كما في البيت المذكور وذلك لان الاشياء الستة مأولة بالمصادر فيكون ما قبل الفاء كالشرط المحقق الوقوع ويكون ما بعد الفاء كجزائه المسبب عنه ولما كان المضارع منصوب بان مراد ما قبل الفاء المذكورة جملة ولا يجوز عطف المفرد على الجملة جعلوا ما بعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المقدم فتقدير زرتي فاكرمك ليكن منك زيارة فاكرم مني وكذا المنصوب بعد الواو فانه ايضا معطوف على المصدر المقدر من الفعل قبله فتقدير قولك زرتي وازورك ليكن منك زيارة وزيارتي مني فاذا تقرر هذا ظهر ان مراد المصنف بقوله ووجهه ان وجه انتصاب فيدمغه مع كون النصف بعيدا لعدم وقوع الفاء بعد احدا لاشياء المذكورة ثم ان يجعل الجملة التي قبل الفاء في تأويل المفرد كالتثنية بعدها فانها في تأويل المفرد بان المضرة فاذا اول ما قبل الفاء ايضا بالمفرد تطابق المعطوفان في الافراد فتأويل الكلام بل زيد قذف الحق على الباطل فدمغه بدمغه على القذف المتحصل من الجملة قبله وجعله ابا البقاء معطوفا على الحق اي بل نقذف بالحق فالدماغ وكذا تأويل البيت وارب الخوق بالحجاز فالاستراحة (قوله وذكره

(لو اردنا ان نتخذها) ما يلهي به ولله (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا ومن عندنا بما يليق لخضرنا من المجردات لامن الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتك في رفع السقف وتزيينها وقيل الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على انصارى (ان كونا فاعلين) ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية (بل نقذف بالحق على الباطل) اضرب من اتخاذ الله وتزيينه لذاته عن اللعب اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جلته الجدل على الباطل الذي من عداد الله (فيدمغه) فيدمغه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة الرمي والدمع الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشائه المؤدى الى زهوق الروح تصور ابا لابطاله وبمبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لاني تميم * وألحق بالحجاز فاستريحنا ووجهه مع بعده الجملة على المعنى والعطف على الحق (فاذا هو زاهق) هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح النصار

لترشيح البحار فان قوله فيدفعه استعير من الشجة التي بلغت الدماغ والحواس فقلت الاستعارة بما يلائم
 المستعار منه فان ذهاب الروح انما يلائم المعنى الاصل للدماغ فان الدماغ مجمع الحواس فاذا بلغت الشجة اليديموت
 الحيوان (قوله وهو في موضع الحال) اي قوله مما تصفون حال من الويل والعامل الاستقرار الذي تعلق به
 الخبر اي استقر لكم الويل واقعا مما تصفون اي مما تصفون الله تعالى به مما لا يليق به من الصاحبة والولد وتصفون
 كلامه بانه سحر وأضغاث احلام ونحو ذلك من الاباطيل ثم انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين في النبوات وتعتهم
 باقتراح الآيات واجاب عن شبههم بانواع التهديدات بين انه منزّه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات
 والمخلوقات والملائكة المقرّبون مع كرامتهم وعلو قدرهم عند الله اذا كانوا خاضعين له تعالى خائفين منه تعالى
 فالشمرع ضعفه اولى ان يطيعوه فقال له من في السموات والارض (قوله يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم
 الخ) يعني ان المراد من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعندوان كان من الظروف المكانية
 الا انه شبه قرب الشرف والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبّر عن المشبه بلفظ المشبه به (قوله وافراذه للتعظيم
 يعني ان قوله ومن عنده معطوف على من في السموات والمراد به الملائكة باجماع المفسرين فيكون عطفه على
 من في السموات من قبيل عطف الخاص على العام تنبيهها على شرفه لان من في السموات يتناول من عنده لا محالة
 وقوله لا يستكبرون حال من قوله من في السموات وما عطف عليه ان جعل مر فوعا على انه فاعل الظرف على
 رأى الاخفس وان جعل مر فوعا على الابتداء وله خبره فينثذ لا ينصب الحال الاعلى رأى من يجوز بحجي الحال
 من المبتدأ لا عند غيره فيكون اما من الضمير المستكن في عنده الواقع صلة او من الضمير المستكن في له الواقع خبرا
 ويحتمل ان يكون من عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره وتكون هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها (قوله
 اولانه اعم منه من وجه) فان قوله من عنده بمعنى المكرم عنده وفي منزلة منه كما يتناول ملائكة السموات والارض
 يتناول الملائكة الذين لا يتبوأون في المكان فان ملائكة السموات عنصريون مخلوقون مما خلق من السموات
 ومن الملائكة نوع متعال عن النبوة في السماء والارض لجردهم من المواد العنصرية فلا يكون من عنده اخص
 مطلقا بالنسبة الى من في السموات والارض بل يكون اخص منه من وجه ويجوز ان يكون مبينا له بان يراد به
 النوع المتعال عن النبوة (قوله وانما حجي بالاستحسار) جواب عما يقال المناسب لمقام توصيف الملائكة
 بالاجتهاد في العبادة ومواظبتهم عليها ان يقال لا يحسرون بمعنى انهم لا يطرأ عليهم شيء من الاعياء والقصور
 ولا يستحسرون لا يفيد هذا المعنى لانه يدل على انه لا يطرأ عليهم غاية الحسور واقصاه وهذا المعنى لا يلائم المقام
 يقال حسر البعير يحسرسورا اذا اعجب واحسرمثله واستحسرابلغ منهما وقديكون استغفل بمعنى فعل نحو
 قر واستقر فلاسؤال والاجواب والتسبيح بالنسبة الى الملائكة كالنفس بالنسبة اليها فكما ان قياما وقعودا
 وتكلمنا وغير ذلك من افعالنا لا يشغلنا عن النفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من افعالهم
 ولا تلحقهم فترة الفراغ منه (قوله بل اتخذوا) اشارة الى ان أم هذه متقطعة مقدره ببل والهمزة حكي الله تعالى
 عنهم اولاقولهم هل هذا الابشر مثلكم وثانيا قولهم بل قالوا اضغاث احلام الى قوله كما ارسل الاولون ثم اجاب
 عن كل واحد منهما بضرب من التهديد والوعيد وساق الكلام الى هنا ثم اضرب عن الحكاية المذكورة وجوابها
 الى انكار فعلهم الذي هو اشنع من قولهم فقال ام اتخذوا آلهة وقوله من الارض يجوز ان تعلق بمحذوف
 هو صفة الالهة اي عملوا وصنعوا آلهة ككائنة من الارض ومنسوبة اليها كما يقال فلان من مكة بمعنى انه
 منسوب اليها ومعنى نسنتها الى الارض كونها مستقرة عليها ومعبودة وهي عليها ويجوز ان تعلق باتخذوا بمعنى
 ابتداء واتخاذها من الارض بان صنعوها ونحوها من بعض الحسرة او من بعض جواهرها كالفضة والصفير
 والمقصود: على التقديرين تحقير المتخذ دون تخصيصه لان النكر حينئذ يكون عدم اتخاذهم الالهة السماوية
 اي المستقرة عليها والمعمولة من اجرائها ولا وجه له وقوله هم ينشرون جملة منصوبة للحل على انها صفة آلهة
 اي الهة لا يقدر على احياء الموتى ادهم وحدهم قرأ العامة ينشرون بضم الياء وكسر الشين وقرئ بفتح
 الياء وضم الشين ونشر يكون لازما ومتديا يقال انشر الله الميت اي احياه فشر ينشرون ونشره بشر بمعنى انشره
 انشارا والانكار عليهم باتخاذهم الالهة التي تنفرد باحياء الموتى بدل على انهم يعتقدون ان آلهتهم تحيي الموتى
 بل تستقل في ذلك وهم لا يعتقدون ذلك كيف وانهم ينكرون العث رأسا فضلا عن ان تكون الاصنام قادرة عليه

(ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به بما
 لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية
 او موصولة او موصوفة (وله من في السموات
 والارض) خلقا وملكا (ومن عنده) يعني الملائكة
 المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقرّبين
 عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراذه
 للتعظيم اولانه اعم منه من وجه والمراد به نوع
 من الملائكة متعال عن النبوة في السماء والارض
 او مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يعظمون
 عنها (ولا يستحسرون) ولا يميون منها وانما حجي
 بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيهها على
 ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر
 منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار)
 ينزهونه ويعظمونه دائما (لا يسترون) حال
 من الواو في يسبحون او هو استئناف او حال من ضمير
 قبله (ام اتخذوا آلهة) بل اتخذوا والهمزة لانكار
 اتخاذهم وقوله (من الارض) صفة لآلهة
 او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون
 التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم
 يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الالهية فان
 من لوازمها الاقدار على جميع المكينات والمراد به
 تجهيلهم واتهمكم بهم وبالبالفة في ذلك زيد الضمير
 الموهوم لاختصاص الانشار بهم

مستقلة عليه الا ان ادعاءهم الالهية في حقها الاستلزام اعتقادهم بذلك مسح ان ينكر عليهم ذلك اللازم على طريق
الجهيل والتكبر ثم انه تعالى لما انكر عليهم اتخاذهم الالهة استدلل على بطلانه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدنا اى لو فرض ذلك وقدر كما قدر المستيلات لفسد ما خلقناه بالحق كما قال وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعين قال اهل الحق في قوله تعالى الا الله لفسدنا الالهة بمعنى غير صفة للكرة قبلها الا انه لما عذر
الاعراب فيها جعل ما استعنته من الرفع على ما بعده والمعنى لو كان يتولاهما ويدبرهما امرهما آلهة شتى غير الواحد
الذى فطرهما لفسدنا ولا يجوز ان تكون الا الاستثناء لا لنا لو جلتاها على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما
آلهة مستثنى منهم الله لفسدنا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله لا يحصل الفساد وذلك
بامل لانه لو كان فيهما آلهة سواء كان الله معهم او لم يكن معهم فالفساد لازم ولما بطل جلها على الاستثنائين ثبت
ما ذكرناه وان المعنى لو كان في السماء والارض آلهة غير الله لفسدنا وهلاك من فيهما بوجود التمايز من الآلهة
فان كل امر صادر عن اثنين فصاعدا لا يبقى على نظام واحد وانتفاء الفساد لازم للتعدد دليل على انتفاء اللزوم وهو
التعدد لكن في هذه الملازمة وفي انتفاء نوع خفاء لانه ان اراد بالفساد الفساد بالفضل اى خروجها بالفضل عن
هذا النمط المشاهد فهذا لا يلزم من مجرد التعدد بل يلزم من تحقق التخاليف والتمايز وبمجرد التعدد لا يتحقق التمايز
لجواز التوافق وان اراد إمكان الفساد فالملازمة مستلزمة ضرورة ان اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم
امكان تمايزهما المستلزم لامكان فساد المعلول لكن لا نسلم بطلان اثباتي اذ لا دليل على امتناع الفساد بل
التصوّر شاهدة على وقوعه كقوله تعالى اذا السماء انشقت واذا النجوم انكدرت ويوم تبدل الارض غير
الارض فظنهم ان حجة الآية اقناعية والملازمة عادية على ما هو الاثر بالخطايات فان العادة جارية بتحقيق التغالب
والتمايز عند تعدد الاحكام والملوك على ما اشعرنا به بقوله ولعلنا لم نعلمهم على بعض واشار المصنف الى ان المراد بالفساد
الفساد بالفعل وجعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على انه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور
واحد وقد بين استحالته في الكلام (قوله لما عذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها) فان ما قبلها جمع
منكر والجمع اذا كان نكرة لا يستثنى منه عند جماعة من المحققين اذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء
ثم استدلل على تعذر الاستثناء بانه يدل على خلاف المراد ويساويه ان الاستثناء قيد للحكم المتعلق بالمستثنى منه
فيكون الشرط كون آلهة فيهما بقيد ان لا تكون معه تعالى فيكون الفساد لازما لكون الآلهة فيهما ودونه تعالى
(قوله جلها) علة لقوله وصف بالابن ان الاصل في الاستثناء وفي غير الصفة وقيد بعمل كل واحد منهما
على الآخر (قوله لانه متفرع على الاستثناء) اى لان البديل فيما بعد الامشروط بحجة الاستثناء وقد ثبت تعذر
الاستثناء ولانه قد تقرر ان الواقع بعد الاخير الصفة اذا وقع في كلام موجب يجب نصبه وان البديل انما يجوز
في كلام غير موجب وكذا لو اذا دخلت في الكلام الموجب لا تتجمله متفيا كما لا تتجمله كلمة ان متفيا من حيث ان كل
واحدة منهما بمجرد الملازمة فلما لم يكن الكلام غير متنى بدخول لوعليه لم يجز البديل فيما بعد الواقع فيه والسر
فيه ان ما بهد الوجود بدلا في الكلام لكان الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات وهو متنع فيه ولا يتمتع
في طرف النفي فانه يصح ان يقال ما في الدار الازيد ولا يصح ان يقال كان في الدار الازيد لانه يستلزم ان يكون
في الدار جميع الاشياء الازيد وهو متنع فلوجل ما بعد الا في هذه الآية على البديل لرجع المعنى الى قولنا لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدنا لان البديل منه في حكم المنطوق فقع الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات ثم انه
تعالى لما قام الدليل الدال على وحدانيته فرغ عليه كونه متممها عما يصفد المشركون فقال فسبحان الله وادرج
تقريرهم في زعم كون الجهاد الذي لا يعقل ولا يحس شريكا في الآلهة رب العرش العظيم ولن هو القاهر فوق
عباده (قوله لا يسأل عما يفعل له قوته سلطانه) وكون افعاله مبنية على القدرة الكاملة والحكمة البالغة
فلا مسأغ لسائل ان يقول لم فعلت هذا على طريق طلب حكمة فعله وذلك لانه تعالى حكيم بذاته لا يخرج فعله عن
الحكمة وانما يسأل عن حكمة فعله من يحفل فله السعد وامان لا يحصل فعله الا بالحكمة فانه لا يمكن ان يسأل لم فعلت
وقيل معناه لا يسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه وان جازان يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله
تعالى رب لم حشرني اعمي واستدل اهل السنة على انه تعالى لا يسأل عما يفعل بانه تعالى فاعل كل شيء ولا علة
لفعله لانه لو فعل لفرض لا يخلو اما ان يكون وجود ذلك الفرض وعدمه بالنسبة اليه على السواء او لا يكون

(لو كان فيهما آلهة الا الله) غير الله وصفت
بالا لما عذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما
بعدها ودلالة على ملازمة الفساد لكون الآلهة
فيهما دونه والمراد ملازمة لكونها مطلقا او معه
جلها على غير كما استثنى بغير جلالها ولا يجوز الرفع
على البديل لانه متفرع على الاستثناء ومشرط
بان يكون في كلام غير موجب (لفسدنا) لطلنا لما يكون
بينهما من الاختلاف والتمايز فانها ان توافقت في المراد
تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاقبت عنه
(فسبحان الله رب العرش) المحيط بجميع الاجسام
الذى هو محل انتداب برومنا التقادير (عما يصفون)
من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد (لا يسأل عما
يفعل) له قوته سلطانه وتفرده بالالوهية
والسلطنة الذاتية (وهم يسألون) لانهم يملكون
مستعبدون وانصير للآلهة اولي العباد (ام اتخذوا
من دونه آلهة) كرهه استعظما لكفرهم واستغفلا
لامرهم وبكينا واطهارا لجهلهم او غما لا نكار
ما يكون اهم سندا من النقل الى اسكار ما يكون
لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة
ينشرون الموت فاتخذوهم آلهة لنا وجدوا فيهم
من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية
الامر باشرا كهم فاتخذوهم متابعة للإمر وبعضهم
ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساد عقله وعلى
الثاني ما يدل على فساد عقله

فان كان على السوء احتمال ان يكون غرضوا ان لم يكن على السوء لزم كونه تعالى ناقصا في ذاته وكاملا
 بغيره وذلك محال فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة اليه على السوء الا ان وجوده اولى من
 عدمه بالنسبة الى العباد فالجواب ان تحصيل ما هو الاوى في حق العباد ان كان مساويا لعدم تخصيه بالنسبة
 اليه لا يكون غرضه وان كان محصيه اولى يكون مستكملا بالغير وهو محال (قوله من الكتب السماوية) حال
 من قوله تعالى ذكر من معي وذكر من قبلي والعامل فيه معنى اتنيذ او الاشارة الى الدول عليهما بقوله هذا وادابيه
 الاشارة الى الوجود بين اظهرهم من الكتب الثلاثة القرآنية والتوراة والانجيل والقرآن ذكر وعظة
 لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة والتوراة والانجيل ذكر للامم المتقدمة استدل بهذه الكتب على
 صحة التوحيد وهي اثبات توقف على وجود الاله فلا دور (قوله وقرئ بالتوراة والاعمال) العامة على اضافة
 ذكر الى من الموصولة اضافة المصدر الى مفعوله كقوله يسأل ليجتد وقرئ ذكر بالتوراة فيهما ومن يتبع للهم
 وسكون الون منصوب به مفعول به بالمصدر كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقرئ ذكر بالتوراة
 فيهما ومن يكسر الميم وهو قول المصنف وبه ومن الجارة على ان معنى اسم بمعنى عندي ومن قبل اي جنبه
 كجاء به الانبياء من قبل (قوله وبعدها) اي وقرئ هذا ذكر معنى وذكر قبل بالتوراة فيهما بدون من (قوله
 تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق) اي راسا اضراب عن قوله قل هاتوا برهانكم لكونه ادخل في تضليلهم فان من
 اتقى عند العلم راسا وكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل مطلقا لا يزيل الالتزام بان يقال له لا يصح القول بما لا دليل
 عليه فان من يبرهن يدل على صحة مذهب والا فلا يحتمل حول ذلك (قوله وسط للتأكيد) يعني ان قوله هو الحق
 جلة معترضة وسطت بين السبب الذي هو الانجيل والسبب الذي هو الاعراض تأكيذا للسبب الاول للثاني
 والحكم بالسبب مستفاد من الفاء في قوله فهم معرضون كانه حكم اولا بان اعراضهم بسبب الجهل ثم قال الحكم
 بان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل والعامة على نصب الحق على انه منقول به للقول الذي قبله ويجوز ان
 يكون انصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله كما تقول هذا عبيد الله الحق وعلى قراءة الرفع يكون
 قوله لا يعلمون مصدقا غير عقيد بالمتعلق على طريق قولك فلان يعطى ويمنع فاذا توقف على قوله لا يعلمون كان جارا
 من حيث المنقذ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث المعنى لان السبب والسبب كالشيء الواحد وقرأ
 حجة والكسائي وحفص توحى بالتوراة وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله ارسلنا وقرأ الآخرون بالياء وقبح
 الحاء على البناء للمفعول وهذه الآية مقربة لما سبق من آيات التوحيد لكونها من قبيل اتعظيم بعد التخصيص
 (قوله الملائكة بنات الله) و اضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة (قوله على
 مدحض القوم) اي على موضع زلة من زعم انهم بنات الله فانهم لما رآهم مكرمين مكرمين لهم صفات فاضة
 استغيرهم زلفت ارجلهم من هذا الموضوع وزعموا اسمهم اولاد الله وغفلوا عن كونهم عبادا مكرمين متقدين لله
 تعالى وانه تعالى مرز عن اتخاذ الصاحبة والولد كانه مرز عن ان يكون له تريك في ملكه والوهبة (قوله تنبها
 على استهجان السبق المعرض به للفاتلين) وجد اعترض انه تعالى لما قال لا يسبقونه بالقول فهم منه بريئة
 السياق والمقام ان هنالك من صدر عنه السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله ما لم يقله احدهما ادنى علم وعقل
 من ان له تعالى شريكا ولدا ونحو ذلك ونسب السبق المتى اليه تعالى واليه تنبها على ان السبق المتيث المعرض به
 وان كان سبق قولهم قوله الا انه بمنزلة سبق انفسهم عليه تعالى في الهجنة والفتاحة والذي يدل على هذا استهجان
 ان يقال لا يسبقونه بقولهم الا انه ما ينب اللام عن الاضافة اختصارا في المعنى بترك اعترض للمضاف اليه وقرئ
 لا يسبقونه بضم الباء على انه مضارع سبقه اي غلبه في السبق ومضارع فعل المباعدة مضوم العين مطلقا يقال
 سابت قد سبقه فالتسابق المتى على هذه القراءة هو السبق على طريق المباعدة على معنى ان تكلفوا بان يتلبوه
 في السبق بالقول لا تساعدهم فيه نفوسهم وتأبى عند عقولهم لما ركز في قلوبهم من الخشية المسببة عن معرف جلال
 الله وعظمته ثم اند تعالى بعد ما بين ان قولهم تابع لقوله وانه لا يسبق قولهم قوله بين ان عملهم ايضا تابع لاسره
 لا يعملون عملا ما لم يؤمر به ومن كانوا في نهاية الخضوع وكالعبودية بهذا الحد كيف يكونون آلهة ولولاد
 وكذا الخشية والاشتقاق المذكوران بعد ان من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما الها واحدا (قوله وهو
 كالمعنى لمسا قبله) يعني انه استثنى لبيان عادعاهم الى ما ذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعا لقوله

(قل هاتوا برهانكم) على ذلك امام من العقل
 او من انقل ذاته لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف
 وقد تطافت الحجج على بطلانه عقلا وتقللا (هذا
 ذكر من معي وذكر من قبلي) من الكتب السماوية
 فانظروا هل تجدون فيها الا امر بالتوحيد والهي
 عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته
 بعنه الرسل وازال الكتب مع الاستدلال فيه
 بالنقل ومن معي امتد ومن قبلي الامم المتقدمة
 واطراف الذ كرا اليهم لانه عقبتهم وقرئ بالتوراة
 والاعمال وبه ومن الجارة على ان مع اسم هو ظرف
 بكقبل وبعده وشبههما وبعدهما بل اكثرهم لا يعلمون
 الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق
 يازرع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد السبب
 والسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع
 ارسل من اجل ذلك (وما ارسلنا من قبلك من رسول
 الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) اتعظيم بعد
 تخصيص فان ذكر من قبل من حيث انه خبر لاسم
 الاشارة لمخصوص بالوجود بين اظهرهم وهو الكتب
 الثلاثة قرأ حفص وحزرة والكسائي توحى بالتوراة
 وكسر الحاء والباقيون بالياء وقبح الحاء (وقالوا
 اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا
 الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيهه عن ذلك
 (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون
 وليسوا بأولاد (مكرمون) مقربون وفيه تنبيه
 على مدحض القوم وقرئ بالتسديد (لا يسبقونه
 بالقول) لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن
 العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فتسب
 سبق اليه واليه وجعل القول محله واداته تنبيهها
 على استهجان السبق المعرض به للفاتلين على الله
 حال يقوله وايب اللام عن الاضافة اختصارا وتحياتا
 عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقه
 فسند سبقه (وهم امرء يعلمون) لا يعملون قط
 عالم بأمرهم به (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم)
 لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالمعنى لما قبله
 والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون
 انفسهم ويراقبون احوالهم (ولا يشعرون الا ان ارقت)
 ان يشعروا به مهابدة

وعلمهم تابعاً لأمراء والمعنى أنهم لما علموا كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات يحازي كل نفس حسب عملها
 على ما يكون له من العلم بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعياً لهم إلى ما ذكر من كمال الخضوع ومراقبة الأفعال
 والأعمال وهو ابتداء كالتعبيد لقوله تعالى ولا تشعرون إلا أن ارتضى لأن علمهم بذلك يقتضي كمال التأدب وقوله
 يعلم ما بين أيديهم أي ما قدموه من أعمالهم وما خلفهم أي وما هم عاملون إياه بعد وقيل على العكس (قوله تعالى
 وهم من خشية) أي من خشيتهم منه فاضيف المصدر إلى مفعوله مشفقون وجلون خائفون فلا يقسمون
 في عبادة الله تعالى والمؤمنون يخافون الله تعالى من كثرة ذنوبهم روى أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة
 المراج ساقلاً كالحلس من خشية الله تعالى والخشية والاشفاق متقاربان في المعنى والفرق بينهما أن المنذور إليه
 في الخشية جانب النفس منه وهو عذبه ومهابته وفي الاشفاق جانب الحائف وهو الاعتناء بتأنيده وعدم الأمن
 من أن يصيبه مكره ثم إن الاشفاق في عدى بكل واحد من كل شيء وعلى يقال اشفق عليه وهو مشفق متدأى حذر
 فان عدى بمن يكون معنى الخوف فيداهلهم من معنى الاعتناء وان عدى بعلى يكون معنى الاعتناء الظاهر من معنى
 الخوف (قوله ولم يعلموا) يعني أن الرواية قليلة وإن مع ما في خبرها من مسد الفعولين وليست بصريفة
 لأنهم ما أروها كذلك البتة قال تعالى ما شهدتهم خلق السموات والأرض إلهة من الهة فأنشأ أنواع من
 الدلائل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته تأكيدهم الدليل وحدايته وتقريرا لبرهان نزوحه عن الشركاء والانداد
 فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب في هذا العالم كيف يصح أن يكون له شريك في الوهية وملوكه
 وارثي مصدر بمعنى الضم والالتحام فقوله السموات والأرض رتق من قبيل رجل عدل ولذلك قال ذات رتق
 أو من رتقين ولم يقل كانتا رتقين لأن المصدر لا يثنى ولا يجمع كقوله وما جعلناهم جسداً لآبائكم الطعام
 واختلف المفسرون في وجه فقههما بعد الالتحام روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المعنى كانتا شيئاً واحداً
 من لفظ أحدهما بالآخر فصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض وأشار المصنف اليد بقوله
 كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وهو ما قيل أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس على هيئة الهر عليها
 دخان لأن فيهما فاصداً للبحر وخلق من الأرض من موضع خلق من الأرض وبيتها قال كعب
 خلق الله السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحاً توسطهما ففتقهما به وقيل المعنى كانت السموات طبقة واحدة
 ففتقها بالريح فكانت المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك كانت الأرض طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها
 وأحوالها فجعلها سبع أرضين وقيل المعنى كانت شيئا واحداً وحقيقة متحدة ففتقها بالهبة كما جاء
 في الحديث المشهور أول ما نظر إليها نظر الرعد ارتعدت فحمدت نصفها فخلق من العرش فاضطرب فكتب عليه لا إله
 إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وتركت الماء رتقاً على حاله إلى يوم القيامة وذلك قوله وكان عرشه على الماء ثم
 حصل من تلاطم الماء أدخنة مزاجية به فذهابها على بعض وزيد فخلق من السموات والأرض طباقاً وكانتا رتقاً فخلق
 الريح ففتق بين طباق السموات وطباق الأرض ثم جعل ذلك الرتق على وجه الماء ودخني فصار أرضاً بقدرته وقيل المعنى
 أن السموات كانت رتقاً مستوية صلبة لا تمطر وكذا الأرض كانت رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات
 ففتق السماء وهي أشد الأشياء وصلابة بالنبات بالرياح وهو الماء وكذلك فتق الأرض بالنبات وهو النبات مع
 شدتها وصلابةها لآية على هذا القول فخير قوله تعالى والسماء ذات الريح والأرض ذات الصدع ورحم هذا
 القول بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي وذلك لا يليق إلا إذا كان الماء تعلق بما تقدم ولا يكون
 كذلك إلا إذا كان المراد بالرتق والفتق ما ذكرنا فان قيل هذا الوجه من جوح لأن المطر لا يترل من السموات بل من
 سماء واحدة وهي سماء الدنيا اجيب بأنه أطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لأن كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب أخلاقي
 وبرمة أثار ويحوزان براد بلفظ الجمع السموات بأسرها وجعلها مفتوحة مفتوحة بالمطر مني على أن لها مدخلا
 في الأمطار ففتق السموات والأرض بعدما كانتا رتقاً على أي معنى كان هو الدليل الأول من الدلائل الستة
 المذكورة في هذه الآية (قوله فان الفتق يارضي) لأنه من جهة الميكنات والميكنات بأسرها حادثة مفترقة
 إلى تخصص يخصص أحدها طرفها بالوقوع (قوله وانما قال كانتا) يعني في الضمير الرجوع إلى الجمع باعتبار أن
 المرجوع إليه جاعتان (قوله وقرئ رتقاً بالفتح) أي بفتح التاء فان كان مصدراً على وزن طلب فوجد الأخبار به عن
 المشي ظاهر واختار المصنف أنه فعل بمعنى مفعول كالتقبض بمعنى المتبوض والتقبض بمعنى المتقبض فكان ينبغي

(وهم من خشية) عذبه ومهابته (مشتور)
 مر تمدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك
 خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء
 فان عدى بمن غنى الخوف فيه اظهر وان عدى بعلى
 فبالعكس (ومن يقل منهم) من الملائكة
 أو من الخلائق (ان الله من دونه) فذلك نجزيه
 جهنم) يريد به نبي النبوة وأدعاء ذلك عن الملائكة
 وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية
 (كذلك نجزي الظالمين) من ظلم بالاشراك وأدعاء
 الربوبية (اولا الذين كفروا) اولاً يعلموا وقرأ ابن
 كثير بغير واو (ان السموات والأرض كانتا رتقاً)
 ذات رتق أو من رتقين وهو الضم والالتحام
 أي كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة (ففتقناهما)
 بالتبويج والتميز أو كانت السموات واحدة ففتقت
 بالتحريك فكانت المختلفة حتى صارت أفلاكاً وكانت
 الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها
 وأحوالها طبقات أو أقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة
 بينهما ففرج وقيل كانتا رتقاً لا تمطر ولا تنبت
 ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات
 سماء الدنيا وجهها باعتبار الآفاق والسموات بأسرها
 على أن لها مدخلا ما في الأمطار والكفرة وان لم يعلموا
 ذلك فهم متمكنون من العلم به نظراً فان الفتق
 عارض مقترن مؤثر واجب ابتداء أو بوسيلة
 أو استقاراً من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال
 كانتا ولم يقل كن لا أن المراد جعالة السموات
 وجعالة الأرض وقرئ رتقاً بالفتح على تقدير
 شيئاً رتقاً أي من رتقاً كالفرض بمعنى المرفوض

ان يطابق الخبر عنه في اثنية الا انه افر د بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد في اللفظ والتقدير كانت اشياء
رتقا وقوله تعالى وجعلنا يحتمل ان يكون بمعنى خلقنا في معنى الى واحد وهو كل شئ شئى صفة شئى ومن ابتدائية
متعلقة بالفعل المذكور قبلها فان اراد بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ خلق الحيوان ظاهرا كما في قوله تعالى والى الله
خلق كل دابة من ماء وان اريد بالماء حقيقة الماء الذى هو احداله اصريكون جعلها مبدأ مجازا كما في قوله تعالى
خلق الانسان من عجل بان شبه جعل الله تعالى كل حيوان مفرد الاحتياح الى الماء بحاله قليل الصبر عنه بخلفه
اياه من الماء ثم قيل جعلناه وانما شأنه منه بمعنى جعلناه شديدا الاحتياح اليه بحيث لا يعبش بدونه فيكون جعلنا
استعارة تصريحية تبعية ويحتمل ان يكون بمعنى صيرنا في معنى الى اثنين ثانيهما من الماء فعلى هذا كلمة من اتصالية
والمعنى صيرنا كل شئ متصلا بالماء ملا بساله كما في قوله تعالى المائقون والمنافقات بعضهم من بعض اى مشترك
بعض متصل به لا ينفك عنه وانما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب ان يكون مفعوله
الاول متصلا بالثاني ولا يتأتى ذلك الا بكونها اتصالية يقال هذا بسبب منه اى ملا بسد ومخالط لا ينفك عنه
ولكون الشئ بسبب الغير يستلزم الملا بسد والاتصال القوى بينهما فسر المصنف قوله تعالى من الماء بقوله
بسبب من الماء الا ان من في كلامه بيانية لاتصالية وكذا يحتمل الامر من على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه
صفة كل وان نصب على انه مفعول ثان يتعين كونه بمعنى صيرنا وكون الشئ مخصوصا بالحيوان سواء اريد به
الجسم الحساس المتمكن بالارادة او ما يعيم النبات لانه يصير ما يادار طوبى وخضرة ونور ثم بسبب الماء يدل عليه
قوله تعالى كيف يحيى الارض بعد موتها وهذا هو الدليل الثانى من الدلائل المذكورة في هذه الآية أخبر الله تعالى
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتق منهما رزاقهم ثم ذكر ان جعل بالماء حيتهم ثم ذكر ان جعل لهم الارض
بحيث تقرأ باهلها وتسكن بهم بان انت عليها الجبال الراسيات ثم ذكر ان جعل لهم فيها سبلا فجبالهم تدوا بهالى
مصالحهم التي جعلت لهم في البلاد النائية وذكر ايضا نعمته في رفع السماء بلا عمد وحفظها من ان تسقط عليهم
وذكر ايضا نعمته فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر وما فيها من المنافع الراجعة اليهم ليتذكروا
ان من قدر على هذه الامور العظيمة وانعم عليهم بآتم النعم البديعة منزلة عن الشريك والولد وانه واحد وساطان
عزيز صمد (قوله كراهة ان تحمى) يعنى ان قوله ان تميم مفعوله اما بتقدير المضاف او بحذف لام العلة
ولا توافية غذف ما حذف لعدم الالتباس قال ابن عباس ان الارض بسطت على وجه الماء فكلت تميم باهلها
كما تميم السفينة على الماء فأرساه الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرسة (قوله مسالك واسعة)
يعنى ان اصل التركيب وجعلنا فيها سبلا فجبالا على ان سبلا هو المفعول وجبالا صفة فلما قدم عليه ان تصبها باليدل
على انه تعالى حين خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال يدل على هيئة ذى الحال حتى تعلق العادل به
(قوله اوليدل منها) اى ويجوز ان يكون فجبالا هو المفعول وسبلا بدلا منه تفسيرا للفجج وبيانا لكونها نافذة
مسلوكة فان الفتح قد يكون غير نافذ مع ما في البدل من اتاكيد والسبلة ابناء السبل المختلفة في الطرقات (قوله)
بيان لبعض تلك الآيات فان خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والجوهر ومسارها وطلوعها
وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب آيات باهرة دالة على وجود الصانع المدبر الحكيم (قوله والمراد بالآيات
الجنس) جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد من الشمس والقمر يسبح في فلك مع ان لكل واحد منهما فلكا
على حدة فان قولنا كلهم في دار مثلا وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم في دار على حدة الا انه خلاف
التبادر والمتبادر ان يكونوا مجتمعين في دار واحدة وتبادر هذا المعنى الى الفهم اشارة لكون اللفظ حقيقة فيد وتقرر
الجواب كون كل واحد منهما في فلك على حدة لما كان ثابتا بالارصاد كان ذلك قرينة صارفة عن حل لفظ في فلك على
الواحد بالتخص فتمين حله على الواحد بالجنس كما يحتمل عليه لفظ حلة بقرينة استماع ان يكسب الجماعة حلة
واحدة بالتخص وقوله يسبحون استعارة تبعية تشبيها لاسراع كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح
على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد منهما وان كان واحدا بالشخص الا انه اعيد اليه ضمير الجمع تعدده باعتبار
المطلع واحتج ابو على بن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى يسبحون ويقولون اى رأيت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال الجمع بالواو والتون لا يكون الا لحياء العقلاء
العالمين والجواب عنه ما اشار اليه المصنف من انه لما اسند اليهم ما هو من افعال العقلاء فعبر عنهم بضمير العقلاء

(وجعلنا من الماء كل شئ حى) وخلقنا من الماء
كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك
لانه من اعظم مواد في التركيب اولفطر احتياجه
اليه وانتفاعه به يعينه او صيرنا كل شئ حى بسبب
من الماء لا يحى دونه وقرى حيا على انه صفة كل
المؤمنون لان والطرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان
(أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات (وجعلنا في الارض
رواسى) ثابتات من رسا التي اذا نت (ان تميمهم)
كراهة ان تحمى بهم وتضطرب وقيل لان لا يمدحذف
لا من الالباس (وجعلنا فيها) في الارض والرواسى
(فجبالا سبلا) مسالك واسعة وانما قدم فجبالا وهو
وصف له ليصير حيا لا فيدل على انه حين خلقها خلقها
كذلك اوليدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها
وسبعا للسبلة مع ما يكون فيد من التوكيد (اعلمهم
يسبحون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)
من الوقوع بقدرته والفساد والانحلال الى الوقت
المعلوم بمشيئته واستراق السمع بالنسب (وهم عن آياتها)
احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال
قدرته وتناهي حكمته التي يحس بعضها ويبحث
عن بعضها في على الطبيعة والهيئة (معرضون) غير
متفكرين (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس
والقمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل في فلك)
اى كل واحد منهما والتون بدل من المضاف اليه
والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الاميرحلة
(يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع
السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال
من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس
والضمير لهما واما جمع باعتبار المطالع وجعل واو
الاعتلاء لان السباحة فعلهم

وهو السباحة والسجود نزل منزلة العقلاء فمعر عنهم بضرب العقلاء ولما جعل يسبحون خير كل وجعل جله كل في فلك يسبحون حالاً من الشمس والقمر ورد أن يقال كيف جاز أن يختص المعطوف بكونه ذاك حال مع أن الحال قيد في متعلق العامل في ذي الحال والعامل كما يتعلق بالشمس والقمر يتعلق بالليل والنهار أيضاً فينبغي أن يكون معتبرون الجمله الخالصة قيداً في المتعلق بالجميع فأجاب عنه بقوله وجازاً نفرادهما به لعدم اللبس لظهور أن السباحة في الفلك إنما تكون للشمس والقمر دون الليل والنهار كما تقول رأيت زيدا وهذا متبرجة أي مظهرة زيتها واختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه إما أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الرأكد وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب تتحرك فيه أيضاً بمختلفة لجهة حركته أو موافقة لها وإما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء ومختلفة وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة قالت الفلاسفة الرأى الأول باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الرأى الثاني فانه أيضاً باطل لعين ما ذكر فلم يبق إلا احتمال الثالث وهو أن يكون الكوكب مغروناً في الفلك واقفاً فيه والفلك يتحرك فتتحرك الكوكب تبعاً لحركة الفلك قال الامام واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق وهو باطل بل الحق أن الاحتمالات كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لنظ القراء أن تكون الافلاك واقفة والكواكب جارية فيها كما يسبح السمك في الماء (قوله قالوا نرى بصير يرب النون) الريب ما يريك من المكارة والنون الموت والمعنى تنتظر به أن تصيبه مكارة وحوادث تؤديه الى الموت فرب النون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر والشقاء والفرح ببلية العدو ولما كانوا يشتمون بموته عليه الصلاة والسلام إبط الله تعالى شتماتهم بهذه الآية أي قضى الله أن لا يخلد بشر في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مات أبني هؤلاء الهزلة في المعنى دخلت على الخلود لانه هو النكر بعد تقرر ذلك أي أن مات أفهم الخالدون فنجي بالهزلة لانكار هذا المعنى وكذا الله تعالى هذا الانكار بقوله كل نفس ذائقة الموت وإشارته المصنف الى أن المراد بالنفس النفس الناطقة التي هي الروح الإنسانية وإن موتها عبارة عن مفارقتها جسد ها وقد مرارة السعادة لما يصيب النفس من ألم المفارقة تشبهه بالكمية المطعومة وجعل الذوق تشبيهاً للاستعارة فلا يرد ما ذكره الامام من أن عموم كل نفس لا بد أن يراد منه الخصوص فإنه تعالى نفساً كما قال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك مع أن الموت لا يجوز عليه وكذا الجسادات لها نفوس وهي للموت فانه إنما يتجدد لو كان النفس بمعنى الذات وليس كذلك روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمات وسعى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فيه بين عينيه ووضع يده على صدغه وقال وإني أراه وإخيلاه وأصفاه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت ففهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب وقال في خطبته من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رباً فليتعبد رباً لا يموت ثم قرأ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أما إن مات أوقلت انقلبتم على أعقابكم الآية ثم أتته تعالى قرر القضاء بتسوية الأمر بين الخلق وبين وجه الحكمة فيه بأن المقصود من هذه الدنيا الابتلاء بالمكارة التي تسمى شر أو هي المضار الدنيوية من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات والشهوات العاجلة التي تسمى خيراً كالنساء والبنين والقاطير المقطرة من الذهب والفضة والخليل المسومة والأنعام والحرب ليظهر ما في علمه من شكر الشاكرين على المنح وصبر الصابرين على المحن ويميزوا من أضدادهما ويمجازي كل أحد على حسب ما وجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ما قصر فيه بترك ما وجب عليه منهما وهذه المجازاة لما تم تسعها دار التكليف فلا بد من دار أخرى لا يصابر إليها إلا بالموت والنشور فلا بد لكل نفس أن تموت ثم تبعث فقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم أتته تعالى رجع الى تفهيمهم وتوضيح حالهم التي هي استهزاءهم بمعنى بعث صار فاعن الغواية والعذاب الآليم داعياً الى الهدى والتعظيم المقيم مع أنهم مستحقون لأن يهزأ بهم فقال واذراك الذين كفروا الخ وإن في قوله أن يتخذونك نافية وهي مع ما في خبرها جواب أن الشرطية وهزأهم مصدر وقع موقع اسم المفعول أي مهزأ به والهزأ السخرية والجمله الاستفهامية بعده محكية بقول ضمير معطوف على جواب الشرط أي ويقولون أهذا الذي يذكر (قوله لدلالة الحال) فانه يقال فلان يذكر الناس ويراد به يفتابهم ويذكرهم بالغيوب ويقال فلان يذكر الله ويراد به يصف الله تعالى بالعظمة والجلال ويثنى عليه بما هو أهله ويطلقون فعل الذي ذكره اعتماداً على دلالة الحال والمقام وجبة قولهم يذكر الرحمن هم كافرون

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فان مت ففهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتر بصير به ريب النون وفي معناه قوله فقل للشاكرين بنا أفيقوا * سيلي الشاكرين بنا ليقيا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهزلة لانكاره بعد ما تقرر ذلك (كل نفس ذائقة الموت) ذائقة مرارة مفارقتها جسد ها وهو برهان على ما أنكره (ونبلوكم) ونعامكم معاملة المختبر (بالشر والخير) بالبلايا والنعمة (فتنة) ابتلاء مصدر من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لماسبق (واذكراك الذين كفروا أن يتخذونك الاهزوا) ما يتخذونك الاهزوا مهزأ به ويقولون (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي بسوء وانما أطلقه لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء (وهم يذكر الرحمن) بالتوحيد أو بإرساده الخلق ببعث الرسل وإزالة الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن (هم كافرون) منكرون فهم أحق بأن يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولجلولة الصلة بينه وبين الخبر

في موضع النصب على انه حال من فاعل القول المقدرا ومن فاعل يتخذونك اي يقولون ذلك وهم على هذه الحالة او يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزؤ والسخرية وهي الكفر بالله الموجب للهزؤ والسخرية والمصنف اختار انساني حيث قال فهم احق بان يهزؤ بهم وهم الاول مبتدأ وكافرون خبره وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون متكرون لذكر الرحمن وهم الثانية تأكيدي لفظي الاول ليبيد الاختصاص ووقوع الفصل بين المبتدأ والخبر بمفعول الخبر واصله المذكور الى الرحمن اما من قيل اضافة المصدر الى مفعوله اي وهم بان يذكروا الرحمن بما يجب من الوجدانية والتزبد عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك واما من قيل اضافته الى الفاعل اي بان يذكروا الرحمن عبادا بارشادهم الى الصراط المستقيم بعث الرسل واتزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد بالذكر القرءان المنزل الذي هو ذكر للعالمين وموعظة لهم (قوله ولذلك) اي وللاحتياج الى التاويل في جعل العجل مبدأ لخلق الانسان قيل انه على القلب والمعنى خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يمرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم وهو بعيد لانه لمامكن جعل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه لا يوجد لان يقال انه مقلوب روى عن ابن عباس انه قال نزلت الاية في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله واليهى عما جبلت عليه نفوسهم) جواب عما يقال كيف نهى عن الاستعجال الذى جبل عليه الانسان والامور الجبلية لا تنفك عن الانسان فانهى عنها من قبل تكليفه بالابتناء وهو لا يقع بان يصير الجواب ان الامور الجبلية اعمساكون من لوازم الانسان اذا خلى الانسان ونفسه وهو لا يتاخر ان يكون تركها مقدورا له بان يهيم نفسه الامارة بالسوء ويخالف هواها وينع الادلة العقلية والسمعية الا ترى انه تعالى ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها بما اعطاه من القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك الجملة ونحوهما من الامور الجبلية وانه تعالى جعل في وسعه راضة نفسه حتى يصير صورا حليما بالراضة وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا لاية اخبرته تعالى خلقه جزوعا متوجعا سخيا كما قال المصلين فان استثناء المصلين منهم يدل على ان الانسان يتحول بالراضة عن الحالة التى خلقه الله تعالى عليها الى حالة اخرى (قوله وقت وعد العذاب) اى وقت العذاب الموعود على ان الوقت المقدر مبتدأ وهى خبره قدم عليه فانهم كانوا يستعجلون العذاب الموعود لمن اصر على الكفر والتكذيب ويقولون متى هذا الزعد فاراد الله تعالى نهيمهم عن الاستعجال وبيان انه نازل بهم في الوقت المقدر له فجعل ذم الانسان على افراط العجلة وبيان انه مطبوع عليها اذ ربه الى نهيه وزجره عن الاستعجال فقوله متى هذا الوعد هو الاستعجال المذموم الذى اريد نهيمهم عنه (قوله تحيط بهم النار من كل جانب) اشارة الى ان قوله عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم عبارة عن جميع الجوانب كانه قيل من قدامهم وخلفهم وقوله لما استعجلوا جواب لو المقدور وحسن حذفه لان ما تقدم يدل عليه والمعنى لكنهم استعجلوا لجهنم بهول ذلك الحين وما فيه من العذاب المهيمن (قوله ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضرب حين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكون واعا موضع الضاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك (بل تأنيهم) العدة او النار او الساعة (بغتة) فجاء مصدرا وحال وقرئ يفتح الغين (فتبهم) فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والصبر للوعد او الحين وكذا في قوله (فلا يستطيعون ردها) لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار والبلغنة (ولاهم ينظرون) يعلمون وفيه تذكير باسم الله في الدنيا

(خلق الانسان من عجل) كانه منه خلق لقرط استعماله ووجه تأني كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في زعمه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مادته الى الكفر واستعجال الوعد روى انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب (سأريكم آياتي) فتصافى في الدنيا كوقعة بدرو في الآخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاثبات بها واليهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) وقت وعد العذاب او القيامة (ان كنتم صادقين) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) محذوف الجواب وحين مفعول به يعلم اي لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدر على دفعها ولا يجدون ناصرا يمسها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضرب حين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكون واعا موضع الضاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك (بل تأنيهم) العدة او النار او الساعة (بغتة) فجاء مصدرا وحال وقرئ يفتح الغين (فتبهم) فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والصبر للوعد او الحين وكذا في قوله (فلا يستطيعون ردها) لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار والبلغنة (ولاهم ينظرون) يعلمون وفيه تذكير باسم الله في الدنيا

انتقال حكى الله تعالى انهم يستجلون العذاب الموعود ويقولون متى هذا الوعد وبين ان سبب ذلك الاستحجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه وما فيه من العذاب الشديد ثم اضرب وانتقل من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال بل تأتيتهم بغتة ولما كان استجلالهم ذلك بطريق الاستهزاء وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى ويخرج من استهزائهم نزل قوله تعالى ولقد استهزئوا الآية تسلياً له عليه الصلاة والسلام وقوله اولو يعلم الذين كفروا الآية لا يخفوا بضاعتهم التسلياً ودفع الحزن عن قلبه الميرفان بيان ما لصاحب هذا الاستهزاء من العذاب الشديد يفيد تسلياً المهزوء به وازالة حزنه. لا محالة (قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون) اى جزاء ما كانوا فكأنه قيل سيصيبهم جزاء استهزائهم كما اصاب جزاء استهزائهم من قبلهم بانبيائهم فلا تبال باستهزائهم وكن مثلياً فارغ البال ثم انه تعالى لما بين استحقاقهم لما اصاب الاولين وانه سيصيبهم لا محالة مثل ما اصاب الاولين وان عدم اصابت ذلك اياهم عاجلاً انما هو لحفظه وكلايته حيث امهلهم مدة بمقتضى رحمة العامة ومشيئة وحكمته الباهرة امره عليه الصلاة والسلام ان يسألهم عن الكلى ليقروا وينتبهوا على انهم في قبضة قدرة الله تعالى مخزون لحكمته ومشيئته لينتهوا عن الاستهزاء والتكذيب ويتسكوا بحبل الطاعة والتصديق ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى دعهم عن هذا السؤال لانهم لا يصلحون له لاعتراضهم عن ذكر الله تعالى فلا يخطر ببالهم حتى يخافوا بأسه ثم اذا رزقوا الكلاية من عذابه عرفوا ان الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عند ما ضرب عن امر السجيل عليهم بانهم لا يصلحون للسؤال الى ما هو أهم وهو الانكار عليهم فيما زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتنتقمهم مما استحقوا من العذاب متعاضداً ومنعوا حفظنا على ان قوله تعالى من دوننا صفة مصدر محذوف والذي اضيف اليه دون ايضاً محذوف وتقدير الكلام تمنعهم متعاضداً من دون متعاضداً من غير متعاضداً فيحتمل ان يكون من دوننا بمعنى من عندنا فيكون صفة محذوف يتعلق بقوله تمنعهم والتقدير تمنعهم من عذاب يكون من عندنا كأنه قيل دعهم عن هذا السؤال لا لغفلتهم واعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم آلهة تستقل في حفظهم وانظر الى من اعرضوا عن ذكر ربهم اليها فان هذا ضرب واغرب لاد من لا يقدر على نصر نفسه ولا يتحجب نصر من الله عز وجل كيف ينصر غيره ثم اضرب عما هو مهموه من ان ما هم فيه من الكلاية من جهة ان لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأس اليهم فقال بل متعاضداً وآباءهم الآية كأنه قيل دع ما زعموا من كونهم محفونين بكلاية آلهتهم بل ما هم فيه من الحفظ انما هو متعاضداً من غيرنا نحنناهم من البأس ومتعاضداً بانواع السراء لكونهم من اهل الاستدراج والانهاك فيما يؤدبهم الى العذاب العظيم والعقاب الاليم ويحتمل ان يكون اضربا عن الاستئناف السابق كأنه قيل دع ما بين بطلان ما اعتقدوه من ان يكون لهم آلهة تمنعهم واعلم انهم انما وقعوا في ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب انهم تعالى معهم بما يستهزئون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغتروا واعرضوا عن التأمل في قول الرسول المبلغ عن الله واتبعوا ما سولت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة لتساوة قلوبهم وخباثة طباعهم والافتقار لنضح الحق من الباطل وتبين الرشد من الغي خاسبي الا ان ينقذهم منهم على سبيل التدريج بان يعاجلهم بمكاره الدنيا ثم يضطرهم الى عذاب النار في العقوبة واشار الى هذا المعنى بقوله عز من قائل أفلا يرون اى أغفلوا وعجوا فلا يرون كيف شرعنا في ذلك بان نقص دار الكفر من جواربها ونضع البلاد والنرى من حوالى مكة وندخلها في ملك نبي محمد عليه الصلاة والسلام ونقص ما فيها من المشركين واحداً بعدوا حد بتسليط المسلمين عليها وانظروا هم على اهلها بحيث لا يقدر على دفعهم عن انفسهم وديارهم اذ هم الغالبون ام المغلوبون فالفساد في أفلا يرون له طيف الجنة على المقدر والى في قوله افسهم الغالبون له طيفها على المغلوبين والعبارة الفاضلة في تأدية هذا المعنى ان يقال أفلا يرون ان عساكر الموحدين المطيعين يأتون ارض المشركين وينقمونها من اطرافها الا انه تعالى استدخل المسلمين الى ذاته تنبيهاً على ان المجازى والمنتهى والمخرب هو الله تعالى حقيقة وان ظهر ذلك بتسليط المسلمين وتكليفهم من التخريب والاهلاك والذى ورد عليه نظم التنزيل تصوير الامر على ما هو عليه في نفس الامر ثم انه تعالى لما بالغ في تهديد الكفرة المستهزئين المستجلين وانذارهم بانواع العذاب قرر ذلك وأكد بقوله قل انما انذركم بالوحى الى من التراء أن الكريم (قوله وقرأ ابن عامر ولا تسع) اى بضم نا الخطاب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انهم المفعولان وقرأ الحسن على قرأتين عامر الا انه يضم ياء الغيبة على ان فيه ضميره عليه الصلاة والسلام وقرأ باقى السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع الصم

(ولقد استهزئوا برسلى من قبلك) تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم (خفاق بالذين سخفوا منهم ما كانوا به يستهزئون) وعذله بأن ما يفعلونه به يحقق بهم كالحاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى جزاءه (قل) يا محمد للمستهزئين (من يكادهم) يحفظكم (بالميل والنهار من الرحمن) من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالى غير رحمة العامة وان اتدافع بها بميلتد (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لا يخطر ببالهم فضلاً عن ان يخافوا بأسه حتى اذا كانوا مدعروا الكلى وصلحوا للسؤال عند (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا) بل آلهة تمنعهم من العذاب تجسوا وزمننا اومن عذاب يكون من عندنا ولا يضربان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه من المرض الفاسل عن الشيء بسيد وعن المعتد لتقيضه ابعد (لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم مناصبون) استئناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدرون على نصر نفس ولا ينجده نصر من الله كيف ينصر غيره (بل متعاضداً وآباءهم حتى طال عليهم العمر) اضرب عما هو مهمو ابيان ما هو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتشجيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلان ما هو مهمهم ذلك وهو انه تعالى تمنعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبتهم بما يدل على انه امل كاذب فقال (أفلا يرون انما اى الارض) ارض الكفرة (تنقصها من اطرافها) بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدى المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله والمؤمنين (قل انما انذركم بالوحى) بما وصى الى (ولا يسمع الصم الدعاء) وقرأ ابن عامر ولا تسع الصم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرأى بالياء على ان فيه ضميره

ونصب الدعاء (قوله للدلالة على قصاصهم) وجد الدلالة ان تعريف الصم للعهد والمعهود هؤلاء المندرون وهم ليسوا بصم حقيقة فلما سوا صماد على انهم شبهوا بالصم لقصاصهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم مستصير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا البصر بما انذروا به كس ربح الشيء بدون مس جسد فقد ذلك يسمعون ويعتدرون ويعترفون على انفسهم بالظلم حيث لا يتفهمون فقال ولئن مستهم نفقة اى هبت هبوبا ليئا ونفخة بنائل اى بشئ يسير من العطاء (قوله توزن بها صحائف الاعمال) يعنى ان الله تعالى يضع الموازين الحقيقية ويوزن بها الاعمال وقدرى انه ميزان له كفتان ولسان وهو يدجبر بل عليه الصلاة والسلام فان قيل كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض لا توصف بالخفة والثقيل المختصين بالجواهر اوجب بان في كيفية وزنها وجهين الاول ان توزن صحائف الاعمال والثاني انه تعالى يعطيها صور الجواهر فيضع في كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سوداء مظلمة والمعتزلة عن آخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا لا يجب ان يحمل ما ورد في القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت اصلا فوضع الموازين عندهم عبارة عن اعداد المحاسبات الشرعية والتجربة على حسب الاعمال بالعدل والتصف من غير ان يظلم عباد الله مثقال ذرة فقل ذلك بوضع الموازين الحقيقية لتوزن بها الموزونات للعدل وتسوية الحقوق وعامة اهل السنة على انه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويوزن بها صحائف الاعمال وجع الموازين مع ان الميزان الموضوع واحد نظرا الى تعدد ما يوزن فيه او لتعظيم شأنه فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يعنى ان حسناته تذهب بسيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اى اذهبت حسناته سيئاته كذا روى عن ابن عباس وهو وافق لما ذهب اليه المعتزلة (قوله لجزاء يوم القيامة) يعنى ان اللام فيه اما للتعليل على حذف المضاف او هي لام التوقيت بمعنى في كافي قولك جئت لحس خلون اى مضين وذهب صاحب الكشاف الى انها لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجيء بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص وضع الميزان يوم القيامة (قوله شيئا من حقد او من الظلم) الاول على ان يكون شيئا مفغوا ذائبا لا يظلم لانه يعنى لا تنقص ونقص يتعدى الى مفغوا لئن يقال نقصه حقه وقال تعالى لا ينقصكم شيئا والثاني على ان يكون مفغولا مطلقا وقرأ العامة آياتها بقصر التهمة من الاثبات بمعنى احضروا وقرئ بمد التهمة فيحتمل ان يكون وزنه اقلنا من آتى يؤتى اياه او اقلنا ويؤيده قوله به الان ما هو بوزن اقلنا يتعدى الى مفغولة بنفسه قال تعالى وآيتنا نمود الناقة ثم انه تعالى شرع في قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على اداء الرسالة وتسليته به لانه ليس اول من يعتد لدعوة المستكبرين ووجه ربط قصة موسى بما قبلها انه تعالى لما امر رسوله عليه الصلاة والسلام ان يقول انما انذركم بالوحى اتبعه بانه عادة الله تعالى في الانبياء فيه فقلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الالهي اكونه فارقا بين الحق والباطل وما بعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شيئا واحدا هو التوراة فالمعنى ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعداء كافي قوله تعالى وما آتيناك على عبدنا يوم الفرقان يعنى يوم بدر حين يفرق بين الحق والباطل (قوله حال من الفاعل) يعنى يخشون ربهم او عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فآثروا باوامره وينتهون عن نواهيه او وهم غائبون عن الآخرة لم يروا ما فيها من الاهوال او وهم غائبون عن انفس لا كاذبين يخشون المعاصي بحضرة الناس ويرتكبونها في الخلوات او من المفغول يعنى يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد او يخشون ربهم وهو غائب عن الحس لا تدركه الابصار وانما يبرهنون به ايمانا غيبيا استدلاليا (قوله مبالغة وتعريض) من حيث انه يفيد حصر الخوف من الساعة في التيقن والحصر ليس اصل الخوف بل هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم بانفسه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم (قوله استفهام توبيخ) عبر الله اهل مكة بان القرآن ان مع الله على جميع ما اشتمل عليه التوراة من الاوصاف مستل على امر زائد على ما فيها وهو كونه معجز الاشياء على الامور العجيبة والبلاغة البديعة وعلى الادلة العقلية وبيان الشرائع الحكمية فقل هذا الكتاب لا يتجاسر على انكار من له ادنى تميز (قوله وقرئ رسله) يتبع الآراء والشين والعامة على ضم الآراء وسكون الشين وهما متجانسان كالعدم

وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على قصاصهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ما يندرون) منصوب يسمع او بالداء والتقييد به لان الكلام في الانذار او بالمبالغة في قصاصهم وتجاسرهم (ولئن مستهم نفقة) ادنى شيء وفيه مبالغت ذكر المس وما في النفقة من معنى القلة فان اصل النسخ هبوب راحة الشيء والبناء الدال على المرة (من عذاب ربك) من الذي يندرون به (ليقولن يا ويلتنا اننا كنا ظالمين) لدعوا على انفسهم بالويل او اعترفوا عليها بالظلم (ونضع الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تقبل الارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للبالغة (ليوم القيامة) لجزاء يوم القيامة اولاه له وفيه كقولك جئت لحس خلون من الشهر (فلانظلم نفس شيئا) من حقه او من الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) اى وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة (آيتنا بها) احضرواها وقرئ آيتنا بمعنى جاز بنا بها من الاشياء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثنان من الثواب وجنات الضمير للمشتال وآيتنا لاضافته الى الحجة (وكفى بنا حاسبين) ان لا مزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للتحقين) اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرنا بتعظيمه المتفقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل قلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للتحقين او مدح لهم منصوب او مرفوع (بالغيب) حال من الفاعل او المفعول (وهم من الساعة مشفقون) خائفون وفي تصدير الضمير بناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر) يعنى القرآن (مبارك) كثير خيره (انزلنا) على محمد (افاتم له منكر) استفهام توبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الا هتداه لوجه الصلاح واضافة ليدل على انه شد مثله وانه له شأننا وقرئ رشده وهو لغة

والعدم يقال رشد بالفتح رشد رشدا ورشدا أكسر يرشدر رشدا كلاهما بمعنى والاضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى ولقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا ابراهيم رشدا بليق بمثله ويحال من انتصب للرسالة وخله الرحمن ولو قيل الرشد اوترك اللام وخير الجماعة لما افاد الكلام هذا التفخيم فان الرشد وان كان خلاف النقي الا ان بين رشد المؤمنين والرشد الذي اوتي ابراهيم عليه الصلاة والسلام بونا بعيدا (قوله علما انه اهل لما آتينا) اى من الرشد المفسر بالاهتداء لوجوه الصلاح في امور الدين والدنيا فيكون تعليلنا لمقلبه وعلى الثاني يكون تأكيد له لان آتينا الا هتداء المذكور والعلم بكونه جامعا لمحاسن الاوصاف والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل في المعنى الثاني فانك اذا قلت في حق احد من الفضلاء اما عالم بعلان فقولك هذا في الدلالة على كونه جامعا لوجوه الفضل اشد واقوى مما اذا فصلت صفات كماله (قوله فان التمثال) يعنى انه اسم للشيء المصنوع منها بخلق من خلق الله تعالى واصله من مثل الشيء بالشيء اذا شبهته به واسم ذلك المثل التمثال فقع عليه الصلاة والسلام لهم باب هذا الكلام الدال على تخفيرا صنامهم لينظر فيما يوردونه من شبهة في طلبها عليهم (قوله ويجوز ان يؤول) اى اى يجوز ان لا يزل عاكفون منزلة اللازم وتجعل اللام للتعدي بأحد الوجهين (قوله جواب عمالزم الاستفهام) اى جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام سألهم عن حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم اجابوه ببيان ما حلهم على عبادتها فلا نطابق بين السؤال والجواب وتقرر الجواب انه لس جوابا بالنفس الاستفهام بل عمالزم من السؤال عن مقتضى عبادتها وذلك السؤال اللازم هو أى شيء حلكم على عبادتها مع ان شأنها من الحفارة مارا بموه والقوم لمالم يحدوا في جوابه الا طريقة التقليد فاجابوه بأن آباؤهم سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتدوا به لاجرم اجابهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله لقد كنتم اتم و آباؤكم في ضلال مين فين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة التمسكين به (قوله وهن السموات) فانه ليس من الضمائر المختصة بالموثبات العاقلات بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال تعالى فيهن اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم لما سمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقالة القوم وعلم ان استفهامهم ذلك منى على انهم حسبوا انه عليه الصلاة والسلام انما انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المراح واللعب قال بل ربكم رب السموات الآتية كانه قال ما قلته لكم انما قلته على سبيل الجند واظهار الحق ولا برهان على ذلك كانه ليس المراد من الشهادة في قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه لا شهادة من المدعى بل استعيرت الشهادة لتحقيق الدعوى بالحيث والبرهان اى است من اللاهين في الدعاوى بل من المحققين عليها بالبراهين الناطقة بمنزلة الشاهد الذى تقطع به الدعاوى (قوله من المتحققين) اى من المتقين له يقال تحققت الشيء اذا صرت منه على يقين والشاهد من تحقق الشيء وحققه فقوله من الشاهدين من باب التسمية البليغ اظهر عليه الصلاة والسلام كونه صادقا جادافيا خاطبهم به في حق اصنامهم اولا بقوله بل ربكم رب السموات والارض فدل بذلك على ان من خلقهما على هذا الوجه البديع لمنافع العباد هو الذى يحسن ان يعبد لان من بقدر على ذلك بقدر على ان يضمر ويتفق في الدار الآخرة بالعقاب والثواب واظهره ثانيا بالطريقة الفعلية المدلول عليها بقوله وتالله لا كيدن اصنامكم فان قيل اما اذا قل لا كيدن اصنامكم والكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به والاصنام جادات لا تتضرر بانكسر ونحوه وايضا ليست هي بالاحتمال في ايقاع الكسر عليها لان الاحتمال انما يكون في حق من له شعورا جيب بان ذلك من قبل التوسع في الكلام فان القوم كانوا يزعمون ان الاصنام لهم شعور ويجوز عليهم التضرر فقال ذلك بناء على زعمهم وقيل المراد لا كيدنكم في اصنامكم لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغم وقرأ الآية تالله بالتاء المشبهة من فوق وقرئ بالباء الموحدة والاصل في حروف القسم الباء لان تلك الحروف انما تدخل على المقسم به لان تلتصق فعل القسم بالمقسم به والاصل في تأدية معنى الالتصاق هو الباء وابدلت الواو من الباء للمناسبة بينهما من حيث كونهما شفويتين ومن حيث ان الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الالتصاق والتاء بدل من الواو كما في وراث وفي التاء معنى زائد ليس في اختيها وهو التجب وذلك لان المقسم عليه بالتاء يجب ان يكون امرا نادرا لو وقع وان الشيء المعجب لا يكثر وقوعه واللام يكن امجبا ومن ثم قبل استعمال التاء لا يكون الا مع اسم الله تعالى فكانه عليه الصلاة والسلام تعجب من تسهيل الكيد على يده وتآبته منه لان ذلك كان امرا مقطوعا مند لصوابه لاسيما في زمن غرور دمع عتوه وقوة سلطانه وبعد منصوب بلاء كيدن ومديرين حال موثقة

(من قبل) من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه اوبلوغه حيث قال اتى وجهته (وكتابه عالمين) علما انه اهل لما آتينا اوجامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات (اذ قال لا يبه وقومه) متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذ كرم من اوقات رشده وقت قوله (ما هذه التماثيل التي انتم لها مكفون) تحقير لتأنيها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لارواح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص بالتعدي فان تعدي العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا وجدنا آباءنا لهم عابدين) فقلدناهم وهو جواب عمالزم الاستفهام من السؤال عما يقتضى عبادتها وحلهم عليها (قال لقد كنتم اتم و آباؤكم في ضلال مين) منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فاما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق (قالوا أجتنبنا الحق ام لنت من اللاهين) كانهم لاستبعادهم تضليل آباؤهم ظنوا ان ما قاله على وجد الملاعبة فقالوا أبتجد تقوله ام تلعب به (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اضرب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض والتمثيل وهو داخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم (وانا على ذلكم) المذكور من التوحيد (من الشاهدين) من المتحققين له والمبرهين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه (وتالله) وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب (لا كيدن اصنامكم) لا اجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب اصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل (بعد ان تولوا) عنها (مدبرين) الى عيذك ولعله قال ذلك سرا

لان التول والادبار يعني واحد قرأ العامة تولوا بضم التاء واللام مضارع ولي متددا وقرئ تولوا بفتحهما مضارع تول واصله تولوا حذف احدى التاءين ويؤيد قراءة الجميع قولوا عنه مديرين والمعنى بعد غيبتكم عنى وذهابكم الى عيدكم قال السدي كان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا اذا اجتمعوا فيه ورجعوا منه دخلوا على الاصنام فسجدوا الهائم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابنه ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو خرجت معنا الى عيدنا لا نحبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم اشكى رجلى فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى في آخرهم وقال تالله لا أكيدن اصنامكم بهدان تولوا مديرين اي الى عيدكم فسعوا منه واحتج هذا القائل عليه بقوله تعالى قالوا سمعنا فتي يذكرهم يقال له ابراهيم وقال الكلي كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الامر ايضا فلما هم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بكسر الاصنام نضر قبله يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه اراى اشكى خدا هو قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح في الغد معصوبا رأسه فخرج القوم الى عيدهم ولم يخلف احده غيره وانتشر ذلك في جماعة فلذلك قال تعالى سمعنا فتي يذكرهم يقال له ابراهيم ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دخل بيت الاصنام وكانت في بيت بهي عظيم وهو بيت المقدس امام البيوت فوجد فيه سبعين صنما مصطفة وشم صنم عظيم مستقل الباب وكان من ذهب وفي عيده جواهر تان تضئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق الا الكبريت علق الفأس في عنقه ولم يكسرها فقوله الاكبر الهم استثناء من مفعول قوله ففعلهم ولهم صفة للكبر وصير اليه يرجع اي ابراهيم والمعنى انه فعل ذلك ثم قال في نفسه املهم يرجعون الى في هذه الحادثة فأبكتهم بان اقل لهم بل فعله كبيرهم هذا ويجوز ان يرجع الى الكبر والمعنى لعلهم يرجعون الى الكبر قائلين ما هؤلاء مكسورة وما لك صحىحا والفأس في عنقك وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم او املهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتنكلم ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك مع علم انه لا يرجعون اليه استهزاء بهم ومن في قوله تعالى من فعل هذا بالكهنا يحتمل ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين استثناء لا محل له من الاعراب ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين في محل الرفع على انه خبر للموصول (قوله ويذكر تاني مفعولى سمع) لان سمع انما يتعدى الى واحد اذا تعلق بالكيفية المسبوكة كقولك سمعت قرآنه واما اذا تعلق بالاعيان التي لا تعلق بها السمع فحينئذ يتعدى الى اثنين فيكون فتي مفعولا اولاً ويذكرهم في محل النصب على انه مفعول ثان فان فانه لا يجوز لك ان تقول سمعت زيدا ونسكت حتى تذكر شيئا مما سمع وجعله صفة لفتى ابلغ في نسبة الذكر اليه لاستواء الوجهين والاشتغال على نسبة الفعل الى الفاعل واختصاص الوجه الثانى بنسبة الوصفية فيكون قوله يقال له ابراهيم صفة ثانية لفتى لان المفعول الثانى لا يبدئه لسمع لما مر من انك لا تقول سمعت زيدا ونسكت حتى تذكر شيئا مما سمعت (قوله هو ابراهيم) على ان يكون ارتفاع ابراهيم على انه خبر محذوف ثم يجوز ان يكون نائب فاعل ما لم يسم فاعله بمعنى يقال له ويطلق عليه الاسم ولو اريد به المسمى لما جاز قيامه مقام الفاعل لان اللفظ في حكم الجملة في جواز كونه مفعول القول فيؤدى لكون القول حينئذ بمعنى التسمية كانه قيل يسمى ابراهيم واختلف النحاة في جواز تسلط القول على المفرد الذى لا يؤدى معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة ولا هو مصدر لقال ولا صفة لمصدره نحو قلت زيدا اي قلت هذا اللفظ فأجازه جماعة منهم الرخسرى ومنعه آخرون واما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولك قلت خطبة او قصيدة او شعرا او اقتطع من جملة كقوله

اذا ذقت فاهما قلت طعم مدامة * معتقة مما يجيب به البحر

او كان مصدرا نحو قلت قولاً او صفة له نحو قلت حقاً او باطلا فانه يتسلط عليه القول اجزاء (قوله يرى منهم) يعنى ان قوله على اعين الناس في محل النصب على انه حال من الهاء في به اي اتوا به وجيئوا به ظاهرا مكتوبا يرى منهم ومنظر واردر حرف الاستعلاء بناء على طريق التشبيه اي تشبه في صورته في اعيانهم باستعلاء الراكب على مركبه وتوضيح المقام ان المعنى فأتوا به مستقرا على اعين الناس مستعلاء عليها وذلك بان شبه انطباع صورة المركب في القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب ثم ذكر كلمة على وارىد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وفريتها

(فعلهم جذذا) قطعاً فعال بمعنى مفعول كالخطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهولفة او جمع جذب كخفاف وخفيف وقرئ يا فتح وجذذا جمع جذيد وجذذا جمع جذة (الاكبر الهم) للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون) لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحسبهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحسبهم اولانهم يرجعون الى الكبر فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيد ه عند تحققهم بحزن آلهتهم (قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا بالكهنا) انه لمن الظالمين يجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعطام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتي يذكرهم) يعيهم فعله فعله ويذكر تاني مفعولى سمع اوصفة لفتى صحيحة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه (يقال له ابراهيم) هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم (قالوا فأتوا به على اعين الناس) يرى منهم بحيث يتمكن صورته في اعيانهم تمكن الراكب على المركب (لعلهم يسعدون) بفعله او قوله او يحضرون عقوبته

اعين الناس فالمراد بالاثبات اتيان مثاله لسماع بعض القوم قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتالله لا كيدن
 احسانكم وسوء اسدي لا كتهتم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنا قتي يذكرهم اى يسيهم ويسبهم
 يقال لدا ابراهيم فهو الذى يظن انه الذى فعل هذا فبلغ ذلك عمرو الجبار واشراف قومه فقالوا فيما بينهم فاثوابه
 على اعين الناس اعلمهم يشهدون عليه انه الذى فعل قيل كرهوا ان يأخذوه بغير يئذ وقيل انه ليس من الشهادة بل
 هو من الشهود وهو الحضور والمعنى اعلمهم يحضرون عقوبتنا اياه (قولك حين احضروه) اشارة الى ان فى
 الكلام حذف والتقدير فاثوابه فلما شاهدوه قالوا مكرين عليه فعله موخين له انت فعلت هذا وفى قوله انت
 وجهان الاول انه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر بعده والتقدير افعلت هذا بالهت اظاحذف الفعل انفصل
 الضمير فعلى هذا لا يحمل لفعل الملفوظ به الانباء مفسرة والثانى انه مبتدأ والخاتمة التى بعده فى محل الرفع على الخبرية
 وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو ان اداة الاستفهام اذا دخلت على الفعل يكون الشك فى انه هل وقع
 او لا ولا شك فى فاعله واذا دخلت على الاسم لا يكون الشك فى وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعا به ويكون
 المشكوك فيه هو الاسم الذى دخلت عليه اداة الاستفهام ويذكر فى انه هل هو الفاعل او غيره فاذا قلت اقام زيد كان
 الشك فى قيامه واذا قلت ازيد قام وجعلته مبتدأ كان الشك فى ان الفعل هل صدر منه او من غيره والوجه
 الاول هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدم ما يطلبه وهو اداة الاستفهام (قولك اسند الفعل اليد) جواب
 عما يقال كيف اسند الفعل الى كبيرهم وانه كذب لا يليق بالثبى المعصوم فاجاب عند الاول بان اسناد الفعل
 اليد من قبيل اسناده الى السبب الحامل فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى الاصنام مصطفة مزينة يعظمها
 المشركون ورأى على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمن يد التواضع والخضوع اشتد بغضه
 وغيفله فحمله ذلك البغض على ما فعل تلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لانه هو المباشر للفعل الا انه
 ابى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام وكسر هاليورد عليهم هذا القول الموهوم لكون الاسناد
 اليد حقيقيا لظهور جهلهم فى عبادة الاصنام وثابته عليه الصلاة والسلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير ان
 ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرر فعل نفسه وثابته لها على اسلوب ترضى مع
 الاستهزاء بالكبر لان اثبات الفعل الدائر بين شخصين لمن هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز واثبات للقادر منهما
 كما اذا جئت من قال لك انت كئيت هذا وانت شهر بحسن الخط وهو اى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على الخرمسة
 الفاسدة بل كئيت انت فان قصدك بهذا الجواب تقدرا لكئيتك مع الاستهزاء بالاعى لانفيع عنك وثابته للامى
 وثابته لانه لم يستند الفعل اليه اعتقادا بل اسندته حكاية لما يلزم من مذهبهم جواز كانه قال كيف تتكروا ان يفعله
 كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى اله ان يقدر على هذا الفعل وعلى ما هو اعظم منه ويؤيد هذا الجواب
 ما حكى انه قال لهم بل فعله كبيرهم بناء على انه غضب من ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها هيئة واشرف
 جوهر فانه لا وجد لهذا القول الا بان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم من مذهبهم وراعيان اسناد الفعل الى
 الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد به انهم ان قدروا على النطق قدروا على الفعل
 فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسألهم اعتراض بين الشرط والجزاء وهذا الجواب
 يتضمن تجهيل القوم واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المصنف بحمل جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى
 لكونه تعسفا ومخالفا لظاهر النظم وخامسا بان الكذب لما يلزم على تقدير ان يكون الفعل مستندا الى كبيرهم
 ولا نسلم ذلك لم لا يجوز ان يكون مستندا الى ضمير فتى ابراهيم ولما ظهر بهذه الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم
 ليس بكذب ورد ان يقال فكيف اثبت عليه صلوات الله وسلامه لا ابراهيم ثلاث كذبات وهى قوله انى سقيم وقوله
 بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى فاجاب المصنف عنه بانه عليه الصلاة والسلام سماها كذبات تشبهها لها
 بالكذبات لكونها على صورة الكذبات ولما قال لهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام انما السجدة عليهم فاسألهم ان كانوا
 ينطقون فرجعوا الى انفسهم اى تفكروا بقلوبهم وراجعوا عقولهم قال بعضهم لبعض انكم اتم الظالمون
 بهذا السؤال تسألون هذا الرجل وآلهتكم حضور فاتركوا مسأله واسألوا آلهتكم التى بحضورتكم وقرأ
 الجمهور نكسوا وامنيا للمعول مخفف الكاف وقوله على رؤسهم حال اى كاشين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل
 المذكور قبله والنكس والنكس لغتان بمعنى وهو قلب الشيء ورد آخره على اوله وقرئ نكسوا بالتشديد وليس

(قالوا انت فعلت هذا با كتهتم ابراهيم) حين احضروه
 (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألهم ان كانوا ينطقون)
 اسند الفعل اليه تجوزا لان غيفله لما رأى من زيادة
 تعظيمهم له تسبب لمسا شره اياه او تقرر لنفسه مع
 الاستهزاء والتبكيك على اسلوب ترضى كالوقال لك
 من لا يحسن الخط فيما كئيت بخط رشيق انت كئيت
 فقلت بل كئيت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جواز
 وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون
 وما بينهما اعتراض الى ضمير فتى ابراهيم وقوله
 كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله
 وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكذب
 ابراهيم الا ثلاث كذبات نسبية للعارض
 كذبا لما شابهت صورتها صورته (فرجعوا
 الى انفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال
 بعضهم لبعض (انكم اتم الظالمون) بهذا السؤال
 او عبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلموه
 بقولكم انه لمن الظالمين

التشديد والتعديّة ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى الخفف وقرئ بكسوا مخففاً منيا للفاعل وعلى هذا يكون القول
محدوداً تقديره نكسوا أنفسهم على رؤسهم قال المفسرون أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الأول ثم أدار كتم
التقاوة فردوا إلى الكفر بعد أن أقرروا على أنفسهم بالظلم شبه انقلابهم إلى الكفر والمجادلة الباطل بعد أن أعلن الحق
بصيرورة أسفل الشيء متعلّياً إلى أعلاه فغير عنه بالتكسر ثم اشتق منه بكسوا وهو استعارة تبعية وقيل المعنى إيهام
قلوباً على رؤسهم حقيقة لقرط أقرطهم نخلاً وأسكساراً مما بهتهم به إبراهيم عليه الصلاة والسلام فاجابوه
الابماهو حجة عليهم حيث قالوا في جواب قوله فأسألوههم أن كانوا ينطقون ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف
أمر ناسؤا لهم فأقرروا بهذا الخبر التي لفتهم وجلة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان
لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا أي نكسوا قائلين والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قيل
كيفية القصّة أنه لما اجتمع عمرو وقومه لأحراق إبراهيم عليه الصلاة والسلام حسود في بيت وثواباً بالخطيرة
وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنا فلقوه في الحج ثم جعوا الخطيب الكثير حتى أن المرأة لو مرضت قات أن عامان
الله تعالى لاجمع من خطبا لإبراهيم وكانت المرأة تغزل وتستزى الخطيب بغزلها فتلقه في ذلك اللين احتساباً
في دينها قيل جعوا له الخطيب من اصناف الخشب على ظهر الدواب أربعين يوماً وقدوها فلما اشتعلت النار
صار الهواء بحيث أومر الطير في أقصى الجولوا حرق من شدة وهجها روى إيهام لم يملوا كيف يلقونه فيها أهدم تأتي
القرب فجاء اليلس وعليهم على المجنيق فعملوه وقيل صنع لهم رجل من الأكراد وكان أول من صنع المجنيق فخسف
الله به الأرض فهو يتججل فيها إلى يوم القيامة ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فوضعوه في المجنيق
مقيداً مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة الاتقيلين صيحة واحدة أي ربنا ما في أرضك
أحد يبعدك غير إبراهيم وأنه يحرق فيك فأنذرت لنا في نصرته فقال تعالى إن استعنت بأحد منكم فليصبره فقد
أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيره فأنا أعلمه وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فإنه خليلي ليس له خليل غيري وأيا لله ليس له
الغيري فلما أرادوا القاءه في النار أراه خازن الرياح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء وأناه خازن المياه فقال
أن شئت أجدت النار فقال إبراهيم لأحاجة لي اليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم أنت الواحد في السماء
وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض من يبعدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وحين ألقى في النار قال لا اله
إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه في المجنيق ورموه به إلى النار فأناه جبريل
فقال له يا إبراهيم ألك حاجة قال أما ليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى
يا نارك وني برداً وسلاماً على إبراهيم قيل فبردت نار الدنيا كلها يومئذ ولم ينفع بها أحد من أهلها ولولم يقل على إبراهيم
لقلت ذات برداً ولولم يقل وسلاماً بعد قوله برداً لمات إبراهيم من بردها وقيل جعل كل شيء يطوى عند النار
إلا الوزغة فأنها كانت تنفتح النار وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل الوزغة وقال كانت تنفتح
النار على إبراهيم قيل إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار كان فيها أربعين يوماً أو خمسين يوماً وقال
ما كنت أطيب عبداً من الأيام التي كنت فيها في النار قيل لما رموه في النار أخذت الملائكة باصبعي إبراهيم
واقعدوه في الأرض فاذا عين ماء عذب ووردا جرو وجرس ولم تحرق النار منه الاوثاقه قال ابن اسحق فبعث الله
ملكاً العلى في صورة إبراهيم فجاء فقعده جنب إبراهيم يؤنسه وأناه جبريل يقيص من حر الجنة وطفنة
فالبسه الثياب وجلس على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر
أحبائي ثم نظر عمرو من صرحه وأشرف على إبراهيم فرأه جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنته
وحوله نار تحرق الخطيب فتاداه عمرو يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال قم فأخرج فقام يمشي
حتى خرج منها قال عمرو من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قال ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسي فيها فقال له
عمرو أتى مقرب إلى الهك قرباً لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنعتك وأنى ذابح لربك بقرعة فقال إبراهيم
عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال عمرو لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف
أذبحها له ثم ذبحها وكف عن إبراهيم وروى أنهم لما رأوه سالماً لم يحترق منه غير وثاقه قال هاربان أبو لوط عليه
الصلاة والسلام إن النار لا تحرقه لأنه سحر النار لكن أجعلوه على شيء وأوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه
فوق تبن وأوقدوا تحته فصارت شرارة في حية إلى لوط فأحرقته وروى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى

(ثم بكسوا على رؤسهم) انقلوا إلى المجادلة
بعد ما استقاموا بالمراجعة شد عودهم إلى الباطل
بصيرورة أسفل الشيء متعلّياً على أعلاه وقرئ
نكسوا بالتشديد ونكسوا إلى نكسوا أنفسهم (لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمر بسؤالها وهو
على إرادة القول (قال أفتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم) إنكار لعبادتهم إياها
بعد اعترافهم بأنها جادات لا تنفع ولا تضر فأنه
ينافي الألوهية (أف لكم ولم تعدون من دون الله)
تضجر منه على إصرارهم بالباطل الذين وأف صوت
المتضجر ومعناه فجأ وثنا واللام لبيان التأفف له
(أفلا تعقلون) قبح صيغكم (قالوا) أخذوا
في المضادة لما يجروا عن الحاجة (حرقوه) فإن النار
أهول ما يعاقب به (وانصروا آلهمكم) بالانتقام إياها
(إن كنتم فاعلين) إن كنتم ناصرينها نصر مؤزراً
والقائل منهم رجل من أكراد فارس اسمه هينون
خسف به الأرض وقيل عمرو

في النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل في تفسير قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما) ذات برد وسلام اي ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوني وجعلوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولوا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما ليك فلا فقال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علم بحسالي فجعل الله ببركة قوله المنجية روضة ولم يحترق منه الا وناقد فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اتى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذا ذاك ابن ست عشرة سنة واقلاب النار هواء طيبة ايس بدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من محبته وقيل كانت النار بحالها الكثرة تعالى دفع عند اذا ما كثرى في السندل ويشعر به قوله (على ابراهيم وارادوا به كيدا) مكرافى اضرارهم (جعلناهم الاخسرين) اخسر من كل خاسر لما عاينهم سعيهم برهانا فاطعوا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا ان يدرجته واستحقاقهم اشد العذاب (ونحيناه ووطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) اي من العراق الى الشام وبركانه العامة ان اكثر الانبياء يشوفيه فانشرت في العالمين شرأثم التي هي مبادئ الكلمات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفسطين ولوط بالمؤتفكة وينهما مسيرة يوم وليلة (وهبه الله اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهي حال منهما وولد لولد اوزبادة على ماسأل وهو اسحق فتخصص يعقوب ولا بأس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصالح وحلناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وارسلنا اليهم حتى صاروا كاملين (واوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كلهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات

في النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل في تفسير قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما) ذات برد وسلام اي ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوني وجعلوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولوا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما ليك فلا فقال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علم بحسالي فجعل الله ببركة قوله المنجية روضة ولم يحترق منه الا وناقد فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اتى مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذا ذاك ابن ست عشرة سنة واقلاب النار هواء طيبة ايس بدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من محبته وقيل كانت النار بحالها الكثرة تعالى دفع عند اذا ما كثرى في السندل ويشعر به قوله (على ابراهيم وارادوا به كيدا) مكرافى اضرارهم (جعلناهم الاخسرين) اخسر من كل خاسر لما عاينهم سعيهم برهانا فاطعوا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا ان يدرجته واستحقاقهم اشد العذاب (ونحيناه ووطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) اي من العراق الى الشام وبركانه العامة ان اكثر الانبياء يشوفيه فانشرت في العالمين شرأثم التي هي مبادئ الكلمات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفسطين ولوط بالمؤتفكة وينهما مسيرة يوم وليلة (وهبه الله اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهي حال منهما وولد لولد اوزبادة على ماسأل وهو اسحق فتخصص يعقوب ولا بأس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصالح وحلناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وارسلنا اليهم حتى صاروا كاملين (واوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كلهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات

ترتفع مارتحت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار اي ذات اقبال وادبار (قوله وقيل كانت النار بحالها) الا انه تعالى خلق في جسم ابراهيم عليه الصلاة والسلام كيفية مائة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخرقة جهنم في الآخرة وكانه ركب بنية العمامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديد الحماة ويد السندل بحيث لا يضره المكث في النار ولم يرض به لان ظاهر قوله تعالى يا نار كوني بردا يقتضي ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تأثيرها لان النار بقيت بحالها (قوله من العراق الى الشام) قيل كانت واقعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمرود بكوني في حدود بابل من ارض العراق فجهاد الله تعالى من تلك البقعة الى الارض المباركة ثم قيل انها مكة وقيل هي ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله وعن سفيان انه خرج الى الشام فقتل الى ابن فقال اني لمدينا فيها الجراب بذرهم وقد كان لوط النبي عليه الصلاة والسلام آمن بابراهيم بن تاريخ عليهما الصلاة والسلام كما قال تعالى فآمن له لوط وكان ابن اخيه هاران بن تاريخ ويقال بالحاء وهو لوط بن هاران بن تاريخ بن ناحور وأزلقب تاريخ ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهاران فكان هاران وابراهيم اخوين وأمت به ايضا سارة بنت عم ابراهيم وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوفي مهاجرا الى ربه ومعد لوط وسارة بقمس الفرار بدينه والتخلص الى عبادة حتى نزل حران فكث بها ما شاء الله تعالى ثم ارتحل منها و نزل بفسطين وهي برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد الى ارض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعث الله نبيا الى اهلها روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون هجرة بعد هجرة فخير اهل الارض اكبرهم مهاجرا اراد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام والمقصود ترغيب الناس في المقام بها (قوله عليه) قال الجوهري انفل والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومث نافلة الصلاة والنافلة ايضا ولد الولد والنوافل العطايا والتوفل الرجل الكثير العطاء فالنافلة المذكورة في الآية يجوز ان تحمل على العطية الواقعة تفضلا من غير ان تكون جزاء مستحقا فترعا على ما يدعو اليه فتكون حالا من المفعول وما عطف عليه جميعا اي وهبنا ما حال كونه كل واحد منهما عطية متبرعا بها وقيل انه منصوب على انه مصدر وهبنا له من غير لفظ بمعنى وهبنا له هبة مبتدأة ويجوز ان يحمل على ولد الولد لان يعة وبوا اسحق عليهما الصلاة والسلام وعلى الزيادة على ماسأل كافي قوله تعالى ومن الليل فنهجه نافلة لك اي زيادة على الفرائض فانه عليه الصلاة والسلام سأل الله ولدا حيث قال رب هب لي من الصالحين وهو سؤال الولد فاجاب الله تعالى دعاءه وهب له اسحق ولد البستانس به من وحشة الغربة واعطاه يعقوب من اسحق من غير دعاء فكان ذلك نافلة كالشيء المتطوع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد فعل هذين الوجهين يكون حالا من المعطوف عليه فقط كما مر في قوله تعالى كل في ذلك يسبحون من انه حال من الشمس والقمر فقط لعدم اللبس (قوله ليحثوهم عليه فيتم كلهم بانضمام العمل الى العلم) تعليل لما ذكرنا في وجوه مدحهم فانه تعالى مدحهم اولا بصلاحهم في انفسهم وكونهم عاملين بطاعة الله تعالى ثم بصلاحهم غيرهم بامر ربهم وارسلنا اليهم لتكميل عبادتهم ثم بان علمهم وادبهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتي الزكاة لئتم كلهم بانضمام العمل الى العلم فالظاهر ان

يقول بدل قوله ليخبروا عليه ليكون صلاحهم واصلاحهم متبياً على العلم الا ان ترتب العلم على الايمان لما كان
ظاهراً مكشوفاً لم يتعرض له بل جعل فائدة الايمان اليهم حث الامة على فعلها فان معظم ما يوحى الى الانبياء
هو التكليف المتعلقة بالامة فلذلك جعل فعل الخيرات مصدراً من المبني للمفعول فانه لو جعل من المبني للفاعل
وكان مضافاً من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم وكان التقدير فعلهم الخيرات واقامتهم الصلاة وايتاءهم الزكاة
لفهم ان يكون هذه المذكورات من الاحكام المختصة بالموحى اليهم وليس كذلك بل هي من التكليف العامة
التي يشترك فيها الانبياء والامم فالاصل ان يقال واوحينا اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتي الزكاة ثم فعلا
الخيرات لانه في معنى الاول لان مع الفعل في معنى المصدر ثم فعل الخيرات اي صيغ ذلك الحرف المصدرى مع
ما بعده مصدراً مودعاً لناصباً لما بعده ثم اضيف ذلك المصدر الى مفعوله ثم خص من بين الخيرات اقامة الصلاة وايتاء
الزكاة تنبيهاً على من يذنبها وسرفها بما بالسبب الى سائر الخيرات (قوله وحذف تاء الاقامة المعوضة عن
احدى الالفين) احداً مما الف الالف البديلة من واو اقوام يعنى ان مصدره فعل يجرى على
افعال فان كان صحيح العين جاء تاماً كالآكرام وان كان معتل العين حذف منه احدى الالفين وعوض عنها تاء
التأنيث فلما قيل في نظم التنزيل واقام الصلاة بدون التاء اعتذر عن حذفها بقيام المضاف اليه مقامها وقد
ورد آياتها ايضا مع الاضافة قال تعالى يوم ظنكم وبوم اقامتكم ثم انه تعالى لما بين اصناف ما انعم عليهم وفاء
بعهد الربوبية بين استغاثهم بالطاعة والعبادة وفاء بعهدهم بالعبودية فقال وكانوا عابدين (قوله ولو طأ آيتناه)
منصوب على شريطة التفسير اي وآيتناه لو طأ آيتناه حكماً والجملة معطوفة على قوله ووهبنا لجمع ابراهيم ولو طأ
عليها الصلاة والسلام في قوله ويحييها ولو طأ بين ما انعم به على كل واحد منهم فقال ووهبنا لداود اسحق ثم قال ولو طأ
آيتناه نذكر الله تعالى مما آتاه من انعم اربعة امور احداً الحكم وتأييدها العلم وثالثها انبياؤه مما يعمل الخبايا
ورابعها ادخاله في رحمة اوجته وان فسر الحكم بالحكمة يراد بها ايماناً ما يجب فعله وتنقضية الادلة القاطعة
والعقل المميز لا ما اشتهر بين القوم من انها العلم الذي يتصل به العمل بما ناسبه فان عطف قوله وعلمنا عليها اي
جعلها على ذلك المعنى ووجه تفسير الحكم بالنبوة كونه اسباباً لتقدير الحكم على الامة وسودوم اعظم القرى بالمرئفة
وهي قرى قوم لوط التي قلبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها (قوله تعالى ونوحاً) منصوب على العطف على
لوطا فيكون مستتر كرامة في عامله الذي هو آيتناه المفسر بآيتناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحاً
آيتناه حكماً وعلمنا داود وسليمان آيتنا مما على هذا يكون اذ بدلا من نوحاً ومن داود وسليمان بدل احتمال ويجوز
ان يكون نوحاً منصوباً باختيار اذكر اي اذكر نوحاً وداود وسليمان اي اذكر خبرهم وقصصهم وعلى هذا تكون
اذ منصوبة بنفس المضاف المقدراى خبرهم الزايع في وقت كذا وكذا (قوله ونصرناه مطاوعة انصر) بمعنى
ان نصرناهم بمعنى منعا الذي يطاوعه انصر بمعنى امتنع قال الله تعالى هل ينصرونكم او ينصرون اي هل
يمنعونكم او يمنعون والحاصل ان نصرهم هنا بمعنى منع لا بمعنى اعان وبدل عليه تعديته بمن فان نصر بمعنى اعان
يتعدى بل يقال نصره الله على عدوه فلما قيل همناً ونصرناه من القوم علم ان المعنى ومنعنا وحينا منهم ومنه
قوله تعالى فن نصرنا من بأس الله اي عصمنا من عذابه والانتصار كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام
ايضا (قوله رعت ليلاً) النفس ان تنشر الغنم ليلاً وترعى بلاراع من باب دخل ونسرت جيعاً وانفشتها صاحبها
اذ تركه وترعى كذلك قال الشاعر فقالها ليلية من انفاش قال المفسرون دخل رجلان على داود عليه الصلاة
والسلام وعنده ابنه سليمان احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه
فوقعت في حرنى فأتى بقدشاً فقال لك رقاب الغنم فقال سليمان غير هذا ارفق بهما يطلاق اصحاب الحرث بالغنم
فيصيرون من ألبانها ومنافعها وتقوم اصحاب الغنم على الحرث حتى اذا كان كليله نفست فيدفع هؤلاء الى هؤلاء
غنمهم ويدفع هؤلاء الى هؤلاء حرثهم فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك واكثر المفسرين على ان الحرث كان
كرماً قد تلت عناقيد وقال قتادة كان زرعاً كذا في البسيط وجع الضمير في حكمهم لكونه عبارة عن الحاكمين
والحاكمين وهو يستلزم اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف الى احدهما فقط لان
اضافته الى الفاعل على سبيل القيام به واضافته الى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معاً ولان مختلفان
فلا يكون اللفظ الواحد مستعملاً فيهما معاً وايضاً انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان اضافته الى الفاعل حقيقة

وكذلك قوله (واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وهو
من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء
الاقامة المعوضة عن احدى الالفين لقيام المضاف
اليه مقامها (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين
في العبادة ولذلك قدم الصلاة (ولو طأ آيتناه حكماً)
حكمة او نبوة او فصلاً بين الخصوم (وعلمنا)
بما ينبغي علمه للانبياء (ونحنيناها من القرية) قرية
سودوم (التي كانت تعمل الخبايا) يعنى المواط
وصفها بصفة اهلها واستندها اليها على حذف
المضاف واقامتها مقامه وبدل عليه (انهم)
كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وادخلناه
في رحمتنا) في اهل رحمتنا او في جناتنا (انه
من الصالحين) الذين سبقت لهم من الحسن (ونوحاً
اذ نادى) اذ دعا الله على قومه بالهلاك (من قبل)
من قبل المذكورين (فانجنيناها) دعاه (فنجيناها
واهلها من الكرب العظيم) من الطوفان واأذى
قومه وانكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوعة
انصر اي جعلناه منتصراً (من القوم الذين كذبوا
بآيتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم اجمعين) لاجتماع
الامر من تكذيب الحق والانهمالك في التوراة ولم يجتمعوا
في قوم اذواهلكهم الله (وداود وسليمان اذ يحكمنا
في الحرب) في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيد
(اذ نفست في غنم القوم) رعت ليلاً (وكننا الحكمهم
شاهدين) لحكم الحاكمين والحاكمين اليهما عالين
(فهم منها سليمان) الضمير للحكومة او للقوى
وقرى فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب
الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير
هذا ارنق بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث
فيتمتعون بألبانها واولادها واشعارها والحرث
الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى
ما كان ثم يترادان

والمنعول مجاز فالجواب ان هذه الاضافة مجرد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف اليه فاعلا او مفعولا على طريق عموم المجاز كما به قيل بكاشاهدين للقضية الواقعة بينهم من اصابة احدا للحاكمين وخطا الآخر واستيفاء كل واحد من الحاكمين حقه على النهج المستقيم (قولهم ولعلمها قالا الاجتهادا) فان بعض العلماء قال يجوز الاجتهاد للانبياء ليدر كوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار والانبياء اثمة اولي الابصار وافضلهم فكيف لا يجوز لهم الاعتبار مع ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب انه يكون للانبياء نصيب منه والالكان كل واحد من المجتهدين افضل منهم في هذا الباب ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء فيستلزم ان تكون درجة الاجتهاد ثابتة للانبياء ليرث العلماء عنهم ذلك ومنهم من لا يجوز لهم الحكم بالا اجتهاد ويقول انهم مستفنون عند بالوحي فان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص والنص ليس بمقدود في حق الانبياء فلا يجوز لهم الاجتهاد عند اكثر العلماء بخلاف اهل السنة فانهم يجوزون لهم الحكم بالا اجتهاد فجاز ان يجتهدوا ويكون اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فيرجع ابوه داود الى اجتهاده قبل الحكم بالا اجتهاد نفسه لان الحكم الواقع بالا اجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر ويجوز ان يكون الثاني وحيا وحيد لا ينقض الحكم بالا اجتهاد وقيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان واختار المصنف انها حكما بالا اجتهاد لا بالوحي لانها بالوحي حكما بالوحي لما اخصص سليمان بقوله تعالى ففهمناها سليمان بخلاف ما اذا قالا بالا اجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابا او اوصوب فانه يجوز ان يقال في حقه ففهمناها سليمان ولما كان الاجتهاد في نفسه معتقرا الى العلم ولا يصح بدونه قيل وكلا آيتنا حكما وعلماء وقيل لو كان بالا اجتهاد لما تنقض حكم سليمان حكم داود لان الاجتهاد لا ينقض الاجتهاد فتعين انهما كانا بالوحي والجواب ما مر من انهما اجتهادا وكان اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فيرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم بالا اجتهاد نفسه فقد روي في الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بين الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وروى ان داود ناشده وقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتنى بالذي هو اوفق بالبريقتين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث الخ (قولهم والاول) اي حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني انه اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى ولي الجنابة او يعطي ارش الجنابة فان موجب جنابة العبد عنده صيرورة العبد جزاء جنابته قلت الجنابة او كثرت وللمولى ان يختار القداء بالارث فكذا الحال في حادثة الحرث فان الغنم فيه بمنزلة العبد الجاني فكانت نفس الغنم جزاء جنابته وقال سليمان لا يزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين ملكه بان يدفع الغنم الى اهل الحرث لينتفعوا به اباراء ما فات عنهم من الانتفاع بالحرث الى ان يزول ما طرأ على الحرث من النقص والضرر ويصير كما كان ونظيره قول الامام الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده فانه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول انه يضمن قيمة العبد ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد ترد بقاء ملك كل واحد منهم فاما فاته عنه وحيل بينه وبينه (قولهم الا ان يكون معهم احافظ) اي الا ان يكون مع البهيمة سائقها او قائد عافاته يضمن ما تلفته وهو سائقها او قائدها والذي تلفته بعد انتهائها سويقها او قودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلاة والسلام جباري هدر والامام الشافعي يوجب ضمان ما تلفته ليلالما روى في الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ناقة لرجل هاربة دخلت حائط رجل فافسدت ما فيه فحكم النبي عليه الصلاة والسلام فيها فقصي ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشي بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصاب ما شئتهم بالليل وقد روى ايضا انه عليه الصلاة والسلام قال ما اصاب الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصاب بالنهار فليس على اهلها منه شيء واعل ابا حنيفة يجعله منسوخا بقوله جبار (قولهم دليل على ان خطا المجتهد لا يقدح فيه) اي لا يجعله آثما من حيث انه تعالى وان اتى على سليمان باصابعه حيث قال ففهمناها سليمان لكنه تعالى اثنى على الخطي ايضا بطله المؤدى الى الاجتهاد ولم يأتهم خطا حيث اثنى عليه بقوله وكلا آيتنا حكما وعلماء فان العلم المؤدى الى الائم والعقاب لا يكون سببا للامتنان عليه والمدح بسببه اختار المصنف قول من ذهب الى ان المجتهد يخطئ ويصيب وان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام قالا بالا اجتهاد الا ان داود اخطأ واصاب سليمان وانه يجوز الخطا على الانبياء الا انهم لا يقرون واما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث اذ لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة فاذا اخطأوا فلاتم عليهم روى انه عليه الصلاة والسلام قال اذا حكم الحاكم اجتهدا فاصاب فله اجران واذا حكم واجتهدا فخطا فله اجر يعني انه يؤجر على اجتهاده

ولعلمها قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان التلف بالليل اذا المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسده فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح الجماء جبار (وكلا آيتنا حكما وعلماء) دليل على ان خطا المجتهد لا يقدح فيه

في الحق لان الاجتهاد عبادة لانه يؤجر على الخطأ الا ان الاثم في الخطأ امر فروع عنه اذا بذل جهده في اصابة الحق والحاصل ان في كل حادثة حكما معينا عند الله تعالى وعليه دليل قطعي او ظني فمن وجده اصاب ومن فقده اخطأ ولم يَأْتِ فان قيل لو تعين الحكم فالخالف له لم يحكم بما انزل الله فيفسق او يكفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الآية فالجواب انه لما امر به بالحكم بما ظنه وان اخطأ فقد حكم بما انزل الله وقوله تعالى وكلا آيتنا حكما وعلما لا يتاخران ان يكون البعض منهم مخطئا لان خطأ المجتهد لا يوجب ان لا يكون له علم وحكم فان كل مجتهد لابد ان يكون عالما قادرا على استنباط الاحكام من النصوص اذ لو لم يكن عالما بالغالى مرتبة الاجتهاد لم يجز له ان يجتهد ويحكم بالاجتهاد (قوله وقيل على ان كل مجتهد مصيب) فيما عليه من الاجتهاد في الحادثة كما ذهب اليه ابو يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى قال صاحب الكتاب وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصول كان مع سليمان وفي قوله وكلا آيتنا حكما وعلما دليل على انه ما جاز على الصواب ووجه الاستدلال انه لو كان المصيب واحدا منهما كان مخالفه مخطئا لما صح ان يقال وكلا آيتنا حكما وعلما وفيه انه انما يكون دليلا على كونهما من اهل الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبا وانما يدل عليه ان لو قيل وكلا آيتنا حكما وعلما بمحكم الله تعالى به في تلك الحادثة وليس بضم التنزيل هكذا فيموز ان يكون المراد به آيتنا علمنا بوجود الاجتهاد وطرق الاحكام وهو لا ينزله كونه مصيبا للدليل الذي اقامه الله تعالى ليدل على ما حكم به في تلك الحادثة وايضا القول بان كل مجتهد مصيب مخالف لما يفهم من قوله تعالى ففهمناها سليمان فانه يدل بطريق المفهوم على ان داود لم يفهم الحكم الذي هو الحكم عند الله وانه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبا في حكمه واجتهاده المؤدى اليه ثم اشار بقوله ولولا النقل الى جواب ما قيل لان سلم ان القول المذكور مخالف للمفهوم قوله ففهمناها سليمان وانما يخالفه ان لو كان داود وسليمان قد اختلفا في الحكم وليس كذلك لما روي عن ابي بكر الاصم انه قال انهما لم يختلفا في الحكم البتة بناء على انه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان واتفقا على ذلك الحكم ولما ورد ان يقال لو اتفقا في الحكم يتفهم الله تعالى اياهما ذلك لكان الظاهر ان يقل ففهمناها اياهما ولا يخص سليمان بالذكر اشار الى دفعه بقوله على ان قوله ففهمناها اياهما الا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما اخص بصغر السن والقبول منه اغرب خص بالذكر اظهارا لما تفضل به عليه في صغره وتقرير ما اشار اليه بقوله ولولا النقل لاحتمل توافقهما ان احتمال التوافق بناء على ان تخصيص سليمان لاطهار ما تفضل عليه في صغره وهذا التخصيص لاجل اظهار ما تفضل عليه في صغره يتفه ما نقل انهما قد اختلفا في القول والحكومة فان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد اتفقا على ان داود قال لصاحب الحرب اذهب فان الغنم لك فلما خرج التحاكم من عنده ومراعى سليمان قال كيف قضى بينكما فاجاباه بما قضى به فقال عليه الصلاة والسلام لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا وروى انه عليه الصلاة والسلام قال غير هذا ارفق بالفر يقين فأخبر داود بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضى بينهما وعلى الرواية الثانية انه دعا سليمان فقال بحق البتة والابوة الا ما خبرتني بالذي هو ارفق بالفر يقين فقال ان تسلم الغنم الى صاحب الحرب حتى يرتفق بتافهما وان يعمل صاحب الغنم في اصلاح الحرب حتى يصير كما كان ثم ترد الغنم الى صاحبهما والحوت الى صاحبه ولا ينحى ان اجاع الصحابة في بيان كيفية القصة على الوجه المذكور ينفي احتمال توافقهما في الحكم لما بين الله تعالى ما آتاه داود وسليمان عليهما السلام ذكر ما خص به داود فقال وسخرنا مع داود الجبال يستجبن وهو العامل في مع وهو نظير قوله تعالى يا جبال اوبى معه ويستجبن حال من الجبال والظير معطوف على الجبال وقيل الواو فيه بمعنى مع كذا اعرب ابو البقاء وان جعل يستجبن استئنا فاجابا لمن قال كيف سخرهن يكون قوله مع داود خلا من الجبال اى سخرنا الجبال كائنة مع داود والمراد بكونها معه اما تسبيحها مع تسبيحه واما سيرها مع سيره على ان يكون يستجبن المشدد بمعنى يستجبن الثلاثي من السبح الذي هو السباحة نقل الى باب التفعيل للتكثير ولو لم يقصد التكرار لقل يستجبن وان كان من التسبيح بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح دلالة فانهم يستجبن الله تعالى ويذكره بدلالة الحال قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا ان التسبيح بهذا المعنى لا يختص بكونها مع داود ولعل وجه التخصيص انه عليه الصلاة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال وما فيها من الاجاز والاستبحار فبرئاد يتينا وتعظيما ونشاطا في التسبيح والتقديس واشياقا اليه ويدل عليه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر مع ان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ويحتمل ان يكون

وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاطهار ما تفضل عليه في صغره

المراد بتسبيح الجبال معد ان يمثل له صوت التسبيح من جهتها على طريق انعكاس الصدى من الاجرام الصقيلة العالية كما روى عن ابن وهب انه قال كانت الجبال تسبحوا به بالتسبيح ويجوز ان يكون تسبيح الجبال بان يخلق الله تعالى فيها الكلام فان التكلم والسخن عندها هل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلها لا من يوجد بها بخلاف المعتزلة فان التكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جادات لا يصح منها الفعل ولا يصح اسناد التكلم اليها بان يخلق الله تعالى فيها الكلام لان التكلم هو الله تعالى لا الجبال على زعمهم (قوله وقيل يسرن معه) عطف على قوله يقدر (قوله وقرئ بالرفع) اي برفع الطير على انه مبتدأ حذف خبره اي والطير مسخرات ايضا او على انه معطوف على الضمير المرفوع المتصل في يسرن وهو ضعيف لانه لم يؤكّد ولم يفصل بينهما وازاجاز الكوفيون مثله من غير استقبح ويجوز ان يكون البصريون ايضا لكن على قبح (قوله في الاصل اللباس) اي يطلق على ما لبس درعا كان او غيره حتى استعمل في البيت فيما هو شديد باللباس الحقيقي وقوله البس بكسر الهمزة وفتح الراء من لبس الثوب لبسا بضم اللام من باب علم لان قولك لبست عليه الامر لبسا بفتح اللام من باب ضرب بمعنى خلطت وتمازيت اليت اما نعيمها واما بوسها اي البس في كل حالة ما يلائمها ويصلح لها وليس المراد لبس ما هو ثوب حقيقة بل المراد عدل كل زمان ما يليق به وكانت الدرع قبل داود صفائح اي قطع حديد عراضا فاول من سردها وحلقها داود عليه الصلاة والسلام فجسعت بين الحقة والتحصين ووجد المعجزة فيه انه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من غير استعانة باداة واكد من نحو الكبر والنار والمطرقة فقال تعالى وآله الحديد (قوله بدل منه) اي ان لام كي في قوله تحصنكم متعلقة بعلمنا كما تعلقت به اللام التي في لكم فلما ورد ان يقال كيف يجوز ان يتعلق حرفا جر متحدا لفظا ومعنى بعامل واحدا جاب عنه بانه بدل منه كافي قوله تعالى لجعلنا من بكره بارحمن ليوتهم وهو بدل اشتمال لان تحصنكم في تأويل لا حصانكم وبين الاحصان وضمير لكم ملازمة الاشتمال وقرأ نافع وابن كثير وجزة والكسائي وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت وباسناد الفعل الى داود او اللبوس وقرأ حفص وابن عامر بالياء من فوق على استاده الى الصنعة او اللبوس على تأويله بالدرع وقرأ ابو بكر ورويس بنون العنقة جريا على طريقة علمناه والباس ههنا الحرب وان وقع على السوء كله والمعنى لينعمكم ويحرسكم من مكاهه باسكم كالقتل والجرح بنحو السيف والسهم والرمح الجوهرى الباس العذاب والبأس الشدة في الحرب تقول منه يؤس الرجل يؤس باسا اذا كان شديدا لباسا والخطاب المدلول عليه بقوله تعالى لكم ليحصنكم من باسكم فهل انتم لهذه الامنة من اهل مكة ومن بعدهم الى يوم القيامة اخبر الله تعالى ان اول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارثها الناس فعمت السمعة بها لكل الحار بين من الخلق الى آخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على هذا النعمة فلذلك اوجب عليهم الشكر فقال فهل انتم شاكرون اى اشكر والله تعالى على ما يسر الله عليكم هذه الصنعة وحرسمكم به امن مضار البأس والحرب قال مجيب السند يقول لداود واهل يتد وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمتي بطاعة الرسول انتهى كلامه يريد ان الخطاب المذكور يجوز ان يكون لداود واهل يتد بتقدير القول اي فقلنا لهم بعد ما نعمنا عليهم بهذه النعمة هل انتم شاكرون ما اعلمى من النعمة التي ذكرت من تسخير الجبال والطير والانه الحديد وعلم صنعة اللبوس (قوله امرأ خرج في صورة الاستفهام للمبالغة والتفريع) فان تفرع الاستفهام عن مباشرة الفعل بعد بيان ما يوجب مباشرته ابلغ في استحبابه من الاستحباب بصورة الامر لتضمنه التفريع على تركه بعد تحقق ما يوجد ومثله كثير ومنه قوله تعالى فهل انتم متهمون قبل ان دوا عليه الصلاة والسلام خرج يوما مشكرا طالبا من يسأله عن سيرته في ملكته فاستقبله جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة آدمي ولم يعرفه داود عليه الصلاة والسلام فقال له كيف ترى سيرة داود في ملكته فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام نعم الرجل هو لولا ان فيه خصلته واحدة قال وما هي قال بلغني انه يأكل من بيت المال وليس شيء افضل من ان يأكل الرجل من كديده فرجع داود عليه الصلاة والسلام وسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من كديده فالان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد وبيعهما وبأكل من ذلك فذلك قوله تعالى وعلمناه اى الهنتاه ويقال علمناه بالوحى صنعة لبوس ثم انه تعالى لما ذكر النعم التي خص بها اود ذكر بعد ما النعم التي خص سليمان بها فانه تعالى ورث سليمان من داود ملكه ونبوته وزاد عليه امرين سخره الريح والسليمان الريح والعامة على نصب الريح عامل مقدر اى وسخرنا الريح لسليمان وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر الجارية له وعاصفة حال من مفعول سخرنا المقدر

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدر سن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يقل له او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال واستئناف لبيان وجده تسخير ومع متعلقة به او يسخرنا (والطير) عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف (وكذا فعلين) لا مثاله فليس يبدع متاوان كان عجيبا عنكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال اللبس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح خلقها وسردها (لكم) متعلق بعلم او صنعة اللبوس (لحصنكم من باسكم) بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجاروا ضمير لداود او اللبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالياء للصنعة او اللبوس على تأويل الدرع وفي قراءة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل (فهل انتم شاكرون) ذلك امرأ خرج في صورة الاستفهام للمبالغة والتفريع (وسليمان الريح) وسخرنا الريح

على قرآنة من نصب او من فاعل الاستقرار الذي تعلق به الخبر على قرآنة من رفعه والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللينة (قولوا لعل اللام في دون الاول) جواب عما يقال ما الفائدة في تخصيص داود بلفظ طمع وسليمان بلفظ اللام حيث قال في حق داود وسخرنا مع داود الجبال وقال في حق سليمان وسخرنا سليمان الريح وراى هذا الاسلوب ايضا في قوله يا جبال اوبى معه وقال وسخرنا له الريح تجري بامره رخاء وتقرى الجواب ان ما كان غارقا في حق كل واحد منهما وان كان معجزا تشرف به صاحبه الا ان سليمان لما كان مستخدما لمساوح معجزه استخدام الممالك الملوك انساب اليه باللام دون داود فانه تشرف به من حيث موافقته عند تسبيحه وايس نسبة معجزته اليه كنسبة الملوك الى مالكة فنسب معجزات سليمان اليه باللام التليك ولا ينسب معجزات داود اليه بتلك اللام (قولوا بعد بركيه) الباء فيه للتعديعية يعنى انها تعمل عمل الريح العاصفة مع كونها لينة في نفسها فان منزهة عليه الصلاة والسلام كان بالتمام وكانت الريح تحصله من نواحي الارض اليها في مدة يسيرة بعدما سارت به منها بكرة وكانت تذهب به غدوة من السام الى اى ناحية من نواحي الارض يشها وبين السام مسيرة شهر الى وقت الزوال ثم ترجع منها بعد الزوال الى السام عند الغروب كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر والروح تفيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس الى التالى وقد يكون مصدر قولك راح يروح رواحا وهو تفيض قولك غدا يغدو وغدا قال الحسن لما شعلت الخيل بى الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب ففكر الخيل فطفق محميا بالسوق والاعتناق فأبدله الله ما كانها حبرا منها واسرع وهو الريح تجري بأمره حيث شاء وكان يغدو من ايليا فيقبل بالسمك فيروح منها فيبت بارض السام قال مقاتل سجدت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ من ذهب في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط الساط فبقعه عليه وحزله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وقصته قد انبأ على كراسي الذهب والاعمال على كراسي النفضة وحولهم الناس وحول الاس الجن والسياتين وتغلط الطير باحتجتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الزواجر ومن الزواجر الى الغروب وكان عليه الصلاة والسلام امر ان يبعد عن الغروب ولا يسمع في ناحية من الارض ملكا الا اناد وعده الى الحنفى (قولوا ومن عطف) يعنى ان من في قوله من يعوضون سواء كانت موصولة او نكرة موصوفة يجوز ان تكون في محل النصب بالنصب باله طفق على الريح اى وسخرنا له من يعوضون ويدخلون تحت البحر وان يكون في محل ارفع على الابتداء والخبر الجار الجرار قبله وجع الصبر العالم اليه جلا على معناه وحسن ذلك تقدم الجمع في قوله الشياطين وقوله دون ذلك صفة تسلا والمراد بجنه الشياطين جنهم من ان يعوضوا ويغردوا عليه كما قال من رغب - هم عن امرنا ناذق من عذاب السعير وقيل المراد حفنهم من ان يفسدوا ما عملوا وروى ان سليمان كان اذا بعث شيئا نافع انسان ليعمل به اعلا قال له اذا فرغ من عمله قبله قبل الليل اجعله مسغولا بعمل آخر لا يفسد ما عمله وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يستقلوا بعمل آخر خربوا ما عملوه وفسدوه قال الامام الرازى في تفسيره ان اجباى سأل نفسه وقال كيف تنهى الهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لطيفة لا يقدر رن على حمل الثقل وانما يكتمهم الوسوسة راجب عنه بانه سبحانه كشف اجسامهم وقواهم وزاد في عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما مات سليمان ردهم الله تعالى الى الخلقة الاولى لانتهاء الحكمة الداعية الى تغير خلقهم ثم قال الامام الرازى واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها قلتم ان الجن من الاجسام ولا يجوز وجود محدث لبس بمنحصر ولا قام بالمنحصر وتكون الجن منهم فان قلت لو كان الامر كذلك لكان مثلا لا يرى تعالى ولو جاب ان تميز البارى عنهم بغيره عنهم فيلزم ترك الواجب قلت هذا ضعيف لان الاشتراك في الوازم النبوية لا يدل على اشتراك الملائكة وكيف في الوازم السلبية سلبا له جسم لكن لا يجوز حصول القوة على هذه الاعمال الشاقة في الجسم اللطيف وكلامه معنى على ان البنية تسترطفيه وليس في يده الا الاستقرار الضعيف سلبا له ليد من تكثف اجسامهم لكن لم قلت بانه لا بد من ردها الى الخلقة الاولى بعدما موت سليمان فان زعمت ان ابقائهم على الخلقة الثانية يقضى الى التلبس اى تلبس النبي على الخلق بان يدعى النبوة ويجعل ذلك معجزة لنفسه قلت كيف يقضى الى التلبس والخلق ان يقولوا لا يجوز ان يكونوا مخلوقين كذلك او تكون قوة اجسامهم معجزة لبي آخر ومع قيام هذا الاحتمال لا يمكن النبي من الاستدلال به على نبوته (قولوا تعالى واوبى اذ نادى ربه) كقوله ونوحا وما بعده في الوجهين المذكورين اى وكذلك اثبتا اوبى حكما وعلمنا اواذ ذكر اوبى اى اذ خبره اذ نادى وقد كان تعالى قد اصطفى اوبى

ولعل اللام في دون الاول لان الخرى في يد عاى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الحال والطير مع داودنا لاضافة اليه (عاصفة) سديدة الهبوب من حيث انها بعد بركيه في مديرة نرفه نزال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في سبها طيبة وفي كل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته (تسمى بامر) معنيته حال ثابته او بدل من الاولى او حال من صمدتها (الى الارض التي باركتها) الى السام رواحا بعدما سارت به مكررة (وكذلك شىء عالمين) فكر به على ما تقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يعوضون له) في الخراب ويخرجون نفاثتها ومن عطف على الريح او مستأجرا حبه ما قبله وهى كرة موصوفة (يعملون عملا دون ذلك) يعساوون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور ١٠٠٠ راع الصنائع العريسة كقوله تعالى يعملون له ما يريدون من محارب وعماريل (وكنائهم حافظين) اى يروا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى حالهم (واوبى اذ نادى ربه اى مسنى الضم)

واستبناه وبسط له اصناف المالك كذا من الابل والبقر والغنم والحيل والخيول والبساتين ولم يكن في اهل عصره
افضل منه في كثرة الاموال والاهل والاولاد من الرجال والنساء وكان رعيها بالمساكين بكفيل الايتام والارامل
وبكرم الضيف وبلغ ابن السيل وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وعرفوا فضله وكان احدهم من الذين اسعد النعم
ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صنافر وكانوا كهم ولا فائدة الله تعالى باهلاك ماله من الابل
مع رعايتها بان اصابها من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فاحرق الابل ورعايتها حتى اتى على
آخرها فجاء ابلوس عليه اللعنة في رى بعض الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا ايوب
هل تدري ما صنع ربك الذي اخترته احرق اهلك ورعايتها فقال ايوب انهما مال اعارنيده فهو اولي به اذا شاءت رعه
قال ابلوس صار الناس مهوتين متعجبين منه انهم من يقول ما كان ايوب يمنع شأ وما كان في غرور ومنهم من يقول
لو كان الله ايوب يقدر على شيء يمنع من وليه ومنهم من يقول هو الذي فعل ما فعل ليشتم به عدوه ويقع به صديقه
فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اكون في التراب وعريانا
احشروا الى الله عز وجل ولوعلم الله فيك ايها العبد خيرا البصير روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجارني منك
ولكنك علم منك شرا فاحرك ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الغنم ورعايتها بان سلط عليه في صباح صبيحة ذات
جيسا ومات رعايتها ثم جاء ابلوس ممثلا بصورة قهرمان الرعاة الى ايوب فقال له مثل قول الاول ورد عليه ايوب مثل
الاول فرجع ابلوس صاغرا ذليلا ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك سائر امواله من الحيل والخيول والبقر والبساتين
وحراسها ومن يقوم عليها حتى اهلك اهله واولاده جميعا قيل كان له سبعة بنين وثلاث بنات وقيل سبعة بنين
وسبع بنات وكذا اهلك صنف منها جاء ابلوس الى ايوب عليه الصلاة والسلام واخبره بذلك واجتهد في تريق قلبه
وحمله على الجزع والسكوى وترك الصبر فصر ولم يجزع واسترجع وفوض الامر الى مالك الملك وقيل لما سمع بهلاك
اهله واولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه وقال ليت امي لم تلدنني فدارك الامر من
ساعته فدمع على ما فعل واستغث وتاب ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه حتى خرج من قرية الى قرية بشاكيل
مثل البات الغنم ووقت فيه حكمة لا يملكها فكان يحس باظفاره حتى سقطت اظفاره كلها ثم حكها بالسوح الحسنة
حتى اذا لم يجد منها شيئا حكها بالفتار والحجارة المستنقمة تنطع الحمة وتغير واثنت فأخرجده اهل القرية منه او جعلوه
على كناسة وجعلوا له عريشا هناك ورفضه الناس كاهم خوفا من العدوى الامر انه فهمي التي كانت تصلح اموره
وتختلف اليه بما يسهو ويحتاج اليه قبل ان ابلوس لما رأى ان ايوب عليه الصلاة والسلام كلما اشتد عليه انواع
المكاره والبلايا يزداد بذلك الاصبرا وسعد الله انطلق حتى اتى امره أنه فقتل لها في صورة رجل فقال ابن بعلك
يا الله قالت هو ذاك المروح الذي تردد اليك ان في جسده فلما سمع منها هذه الكلمة طمع ان تكون تلك جزع
فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من العيم والمال وذكرها حال زوجها ايوب وشبابه فصرخت فلما صرخت
علم ان قد جزع وتابا واناها بسخنة فقال ليدع هذه ايوب لي فيرا فجاءت الى ايوب تصرخ فقالت يا ايوب الى
مضى بعدك ربك الا يرحك ابن المسال ابن المشية ابن الولد ابن الصديق ابن اللون الحسن ابن جسمك الذي
قد بلى وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان اذ نجى هذه السخنة لابلوس واسترجع قال ايوب عليه الصلاة والسلام
اباك وعد الله ونفخ فيه فاخسسه ترين ما بتليانه من البلايا ولا تدكرين ما كسافيه من الرخاء فكلم متعسا الله تعالى
بنعمائه قالت ثمانين سنة قال فكلم مدة ابتلائنا بهذا البلاء قالت سبع سنين واشهرها قال وملك ما اوصفت ربك
الاصحبت في البلايا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شئنا في الله لا اجلدك مائة جلدة اخرى ان اذبح
لغير الله وحرام على ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرايك الذي تأتيتني به فطرداه فذهبت فلما نظر ايوب في
شأنه ولبس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهب امره خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين فقال الله عز وجل يا ايوب نفذ فيك على وسبقت رحمتي غضبي ارفع رأسك فقد استجبت لك ورددت لك
مالك وو لك ومثلهم معهم لنكون من خلقك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وقدوة للصابرين اركض برجلك
هذا مع تسلسل بارد وشراب فيه شفاء لك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض
برجله فنبعث عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهريه دابة ولا جراحة الا سقطت منه وري ثم ضرب برجله مرة
اخرى فنبعث عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار

في مسني الضر وقرى بالكسر على اضماع القول
او يضيء الذاء معناه والضر بالفتح شائع في كل منبر
والنفس خاس بها في النفس كرض وهرال (وانت
ارحم الراحمين) وصف به بغاية الرحمة بعد ما ذكر
نفسه بما وجبها واسكنني بذلك عن عرض
الضرب لعل في السؤل وكان روميا من ولد عيسى
بن اسحق استبناه الله وكثر أهله وماله فابتلاه به هلاك
اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض
في بدنه في عشرة سنة او ثلث عشرة او سبع او سبعة
انهم وسع سماعت روى ان امرأته ما خرجت من بيت
يوسف او رجة بنت اخرايم بن يوسف قالت له يوما
لودعوت الله فقلت كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال أتعجبى من الله ان ادمعه وما اخسسه
بلائي مدة رمان

احسن ما كان عليه ثم كسى حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الالهل والمال الا وقد ضعه الله تعالى حتى ذكر ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صورة جراد من ذهب فجعل يضعه بيده الى نفسه فأوحى الله تعالى اليه يا ايوب الم اغتلك عما تفعله قال بلى ولكنه لا يتسع من نعمك فخرج من ذلك الموضع حتى جالس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب ايه قد طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لا رجعت اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة التي كانت ورأت الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وكان ذلك بعين ايوب وعمايت صاحب الحلة ان تأتبه فسأل منه فارس اليها ايوب ودعاها فقال لها ما تريدن يا امه الله فبكت وقالت بعلي فقال اتر فيه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد بعلي الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك ذلك المبتلى فبكت وقالت بعلي فقال اتر فيه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد بعلي الذي كان في خدمته ثمانين سنة فتبسم ايوب وقال انا هو فعرفته بضحك فاعتقه ثم قال لها انك امرتني ان اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على مازين وفي هذه القصة روايات كثيرة والله اعلم بما هو الاصح منها قالت العلماء قول ايوب اني مسني الضرب لكن جزعا من ايوب لانه تعالى وصفه بالصبر حيث قال انا وجدناه صابرا بل هو دعاء منه الاترى الى قوله تعالى فاستجبنا له اى اجبناه واليه اشار المصنف بقوله واكتفى بذلك عن عرض المطلوب اطلاقا في السؤال قيل لبعض العلماء الراضى بالله هل يسأل ربه قال يعرض اى يسأل حاجته بالكفاية قيل له مثل ايش قال مثل قول ايوب رب اني مسني الضرب وانت ارحم الراحمين على ان الجزع انما هو الشكوى الى الخلق وامان من شكا الى الله فليس يجازع الاترى الى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكوى وبى وحزنى الى الله قال ابن مسعود وقتادة والحسن في قوله تعالى وآتيناه اهلهم ومثلهم انه تعالى اوحى اولاده الذين هلكوا في بلاءه واوحى مثلهم في الدنيا وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وآتيناه اهلهم ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته وزاد في شبابه حتى ولدت ستة وعشرين ذكرا واهبط الله تعالى اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج الى اندرك فبعث الله سبحانه حراة فهبطت اليه بجراد الذهب والمالك قائم معه وكانت الجرادة تذهب من الاندر فينبعها حتى يردّها الى اندره فقال الملك يا ايوب امانت من الذاخل حتى تتبع لخارج فقال ان هذه بركة من ركات ربى ولست اشبع منها (قوله رجة على ايوب وتذكره لغيرة) فلا يكون رجة وذكرى متنازعين في العابدين بل يكون متعلق الرجة بخذوفا وهو ايوب للعلماء لان الكلام فيه وعلى الثاني يتوجه كل واحد منهما الى العابدين على سبيل التنازع ولا يخفى ان عدم تخصيص الرجة بـايوب وجعلها متوجهة الى عامة العابدين لدخول ايوب فيهم دخولا اوليا وافق للواقع وانسب للمقام من تخصيص الرجة بـايوب والذكرى بغيره والذي كرى على الاول بمعنى التذكرة وعلى الثاني بمعنى الذكر ولعل الوجد في اظهار اللام في الوجه الثاني مع تحقق شرط نصب المفعول له في كل واحد من الوجهين الاشارة الى ترجيح فان تصريح لام التخصيص مع صحة تعدية الفعل الى العلة بدونها يشعيران تلك العلة لها من يد اختصاص باستدعاء الفعل (قوله او تكفل منه) اى اولانه كان ذاكفالة متصلة به تعالى من حيث كون المكفول به مما يتخفى به وجه الله تعالى كما قيل انه رجل كفل مائة من الانبياء اى ضمهم الى نفسه حتى نجاهم من القتل وقيل انه رجل تكفل ان يصلى بالليل ولا يفتروا ان يصوم بالنهار ولا يفطروا يقضى بين الناس ولا يغضب ووفى به فشكر الله تعالى له وجعله نبيا وقيل انه زكرا سمي به لكفاله مريم وبالجمله ان كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذى الكفل رجل كان ذاتكفل منه تعالى وان كان بمعنى النصيب والضعف فالمراد به من كان ذا نصيب من فضل الله وثوابه او من كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم لما ذكر الله تعالى صبر ايوب وانقطاعه اليه بذكره هؤلاء لا سمي ايضا كانوا من الصابرين على طاعة الله وعن معاصيه فان اسمعيل صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت على ما فيه من المشاق فلا جرم اكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين وكذا الاخران (قوله وصاحب الخوت) يعنى ان ذا بمعنى صاحب والتون الخوت والمراد بذى انون يونس عليه الصلاة والسلام سمي بذلك لانه ابتلع الخوت قبل تحسنة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذوا اسمين اسراييل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو التون محمد واحد عليهم الصلاة والسلام (قوله لما برم) اى مل لطول دعوتهم على قول من يقول انه

(فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر) باشفاء من مرضه (وآتيناه اهلهم ومثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان او احيى ولده وولد له منهم نوافل (رجة من عندنا وذكرى للعابدين) رجة على ايوب وتذكره لغيرة من العابدين ليصبروا كما صبر ايوب كما ايتب اول رحمتنا العابدين وانادكرهم بالاحسان ولا ننسا هم (واسما عيل وادريس وذو الكفل) يعنى الياس وقيل يوسع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله اوتكفل منه اوله ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكليف وشدائد النوائب (واد حلثاهم في رحمتنا) يعنى النبوة او نعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (وذو التون) وصاحب الخوت يونس بن مبي (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قل ان يؤمر

عليه الصلاة والسلام وقع في بطن الحوت بعد اشتداله باداء الرسالة وقيل انه وقع في بطن الحوت قبل اشتداله باداء الرسالة بناء على ما روى عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسي منهم تبعه اسباط ونصفا وبق سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شبيب النبي عليه الصلاة والسلام ان اذهب الى حر قيل الملك وقُل له وجد نبياً قويا امينا حتى يلقى في قلوب اولئك ان يرسلوا بني اسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في مملكته نجمة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوى امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله تعالى باخراجه قال لا قال فهل سمعتي لك قال لا فقال يونس وههنا انبياء غيري فالحوا علي فخرج مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما همثوا سفينة فركب معهم فلما جلت السفينة تكفأت بهم فكدوا يفرقون فقال الملاحون هنار رجل عاص اوعبد ابق لان السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاص ومن رسنا اذا بلينا بهذا البلاء ان نقترع فن وقعت عليه القرعة النقياء في البحر ولا ن يفرق واحد خير من ان تفرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلهم اعلى يونس عليه الصلاة والسلام فقال انا الرجل العاصي والعبد الا بق فأتى نفسد في البحر فجاء حوت وابتلعده فاوحى الله تعالى الى الحوت ان لا تؤذ منه شعرة فأتى جعلت بطنك سجناله ولم اجعله طعاما لما انجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذ بالعراء كالفرخ المتوفى اس به شعرا ولا جلد اثبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشدت فيبت خزن عليها يونس عليه الصلاة والسلام فقيل له اتخزن على شجرة ولم تخزن على مائة الف اوزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم ثم اوحى تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم فتوجد اليهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فأتاهم يونس وقال الملكهم ان الله تعالى ارسلني اليك فارسل معي بني اسرائيل قالوا ما نعرف ما تقول ولوعنا انك صادق ففعلنا وقد آتيناك في دياركم وسبناكم فلو كان الامر كما تقول لنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاث ايام يدعوهم الى ذلك فأبوا عليه فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم وامر يونس للعلاء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه في المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشي فلما لبسوا اغلقوا باب مدبنتهم فايدخلها دوابهم ولا عنهم وعزلوا كل والدته عن ولدها وكذا الصبيان والامهات ثم قاموا ينظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فنسجوا جوبهم ووضعوا الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان ونعت الاغنام والبق فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فأماوا به وبعثوا معه بني اسرائيل فعلى هذه الرواية كانت رسالة يونس بعد نبذ الحوت ودليل هذا القول قوله تعالى في سورة الصافات فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبأنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف اوزيدون وأكثر العلماء على ان قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبا انما وقعت بعد ان ارسله الله اليهم وبعد ان رفع العذاب عنهم بسبب توبتهم واخلاصهم في الدعاء وذكر المصنف في سبب خروجه وغضبه امرين الاول انه غضب عليهم اطول ما ذكرهم واقاموا على كفرهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفذ لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى بطن الحوت والثاني انه لما اخبر قومدا ان الله تعالى ينزل العذاب بهم لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضي الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لاي سبب لم يعذبهم فتشبهى ان ينسب الى الكذب ويعبر به فقال لا ارجع الى قومي كذابا فذهب مغاضبا للارجوع اليهم كارهها له والغضب والكره وان كان من قبله خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه لان اكثر استعمال بناء المفاعلة في المبالغة ولا شك ان ما صدر بطريق المبالغة يكون اعم ويحتمل ان يكون البناء على بابه من باب المشاركة من حيث انه اغضب قومدا حين لم يؤمنوا بدعوته وأصرواعلى الكفر مدة واغضبوا اياه حين خرج من بينهم لخوفهم لحقوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم (قول لدن نصيب عليه) فان قدر قد يكون بمعنى ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال تعالى الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق ومن قدر عليه رزقداى ومن ضيق وقد يكون بمعنى قضى يقال قدر الله الشيء وقدره اي قضاه فالعنى فظن ان لن تقدر عليه بشدة وعقوبه يروى عن ابن عباس مر على معوية يوما فقال له دعوية لقد ضربتني امواج القرءان البارحة ففرقت فيها ولم اجد لنفسى خلاصا الا بك فقال وما هي يا معوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه

وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لم يسأدهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة اولانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحقوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن ان لن تقدر عليه) ان نصيب عليه اولن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعنده انه قرئ منقلا اولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل للحال بحال من ظن ان لن تقدر عليه في مراغمته قومدا من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على الناء للفعول وقرئ به منقلا (فأدى في الظلمات) في الظلمة الشديدة التكاثر او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل (ان لا اله الا انت) بانه لا اله الا انت (سجناك) من ان يمجرك شيء (ان كنت من الظالمين) لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له

تعالى فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة وقوله اولى بعمل فيه قدرتنا على ان يكون تقدر من القدرة
التي هي مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق اطلاق السبب وارادة السبب فان بين القدرة
والفعل علاقة السببية فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الآخر ويحتمل ان يكون قوله فظن ان لن تقدر
استعارة تبعية واردة على طريق الاستعارة التخييلية بان يشبه حاله في خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله
تعالى بحال من ظن انه تعالى لا يقدر عليه والمراعاة المغاضية يقال راعم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم
وأن في قوله ان لن تقدر عليه تخففة من التقليل واسمها ضمير التان المحذوف ولن تقدر هو الخبر والعامة على تقدير
بنون العظيمة مقحوة وتخفيف الدال وقرئ تقدر بضم النون وتشديد الدال يقال قدر الشيء تقديرا وقدره
يقدر قدرا بمعنى واحد وقرئ يفتح الياء التختائية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء
المفعول واسمها ضمير شان محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها ويجوز ان تكون مفسرة لورودها بعد ما هو بمعنى
القول نزه عليه الصلاة والسلام ربه عن كل النقائص التي من جعلها العجز مثل ان يفعل ما فعله ظلم او عن شدة
الاستقام وان يعجز عن تخليص المكروب او عن مؤاخذه الجاني ولعل قوله ان يعجز لك شيء معنى على انه اخار من
محتملات معنى تقدر الاحتمال الاخير وهو ان يكون المراد بالنقص الخطرة الوهمية وان يكون هذا التسبيح
استغفارا منه عن توهم العجز به تعالى (قوله تعالى وكذلك) اي وكما انجينا يونس من كرب الحس
في بطن الحوت اذ دعا انجي المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا فالكفا فيه صفة مصدر محذوف (قوله وفي الامام
نجي) لا يدل الا على ان هذه الكلمة رسمت بنون واحدة ولا دلالة فيه على ان القراءة بتشديد النون وجعلها
لاخفاء جماعة القراءة الا ان النون الثانية من نجي بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجي واخفاء الحروف حاله بين
اظهارها واخفاها وهو لا يكون الا بسكونها وقد يطلق الاخفاء على اختلاس حركة الحرف وهو عدم اتمام
الحركة كما اخفى في قوله تعالى مالك لا تأمنا على يوسف حركة النون الاولى والمراد بالاخفاء ههنا تلفظ النون
الثانية على حاله تشبيها بادغامها في الجيم ثم ذكر ان ابن عامر وابا بكر قرأ انجي بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء
ونال النجاح هذه القراءة لمن لا وجه لها وقال بعضهم زاول هذه الرواية غلط في الرواية فانها نجي بنونين
كما هي قراءة العامة لكن النون الثانية من نجي تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فائس على السامع
الاخفاء بالادغام فظن انه ادغام فذكر المصنف ان اصلها نجي بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستقل
توال المنين فحذفت الثانية كما في قوله تعالى ما تنزل الملائكة وكما حذفت في قوله تدكرون وتطاهرون
وتخوهم ولكن ابقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين الاول ان النون الثانية اصل لانها فاء التثنية فحذفتها
بعيد جدا والثاني ان حركتها غير حركة النون الاولى فلا يستقل الجمع بينهما بخلاف تطاهرون الا ترى انك لو قلت
تخامى المظالم لم يسخ حذفت التاء الثانية والمصنف اجاب عن كل واحد مما ذكره في وجه الاستضعاف وهو حذف
احد المنين عند اختلاف الحركة في نحو تخامى المظالم وتقرير الجواب ظاهر (قوله وقيل) اي وقيل في توحيد
قراءة نجي انه فعل ماض مبني للمفعول وانما سكنت لانه تخفيفا كما سكنت فيما في من الربا في القراءة فالتشديد
واسند هذا الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول به الصريح كما في قراءة من قرأ ليبنى قوما بما كانوا
يكسبون وقد ذهب الى جوازه الكوفيون والاعشى قال ابو البقاء وهو ضعيف من وجهين احدهما تسكين آخر
الفعل الماضي والاخر اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح فان الفعل المبني للمفعول ينبغي
ان يسند الى المفعول كما يسند الفعل المبني للفاعل الى الفاعل وانما يسند الى غيره اذا لم يذكر المفعول به
(قوله لا تدري) وان كان على صورة انتهى الا ان مثل هذه العبارة اذا كان من العبد للسيد يكون تضرعا
وتعوذا ودعاء والمبايع عمر كز يا عليه الصلاة والسلام ما تشنة وبلغ عمر زوجته تسعا وتسعين ولم يرزق ابنا ولدت
أحب ان يرزق الله تعالى من يؤسده ويقويه على امر دينه ودينه ويكون قائما بمقامه بعد موته فدار به بان
لا يتركه وحيدا بلا ولد وهو كقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ثم ارد الامر الى مولاه مستسلما متقادا المتبنة
فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به والمراد باصلاح زوجة اما جعلها صالحة للولادة
بازالة عقرها قال الكلبي كانت عتيما فولدت وحى بنت نع وتسعين سنة واما تحسين خلقها وكانت حرة اي
غضبانة سيئة الخلق فعنى قوله واصالحها على الوجه الاول واصالحها للولادة لاجل دعاء زكريا وعلى الثاني

(فاستجباله ونجينا من الغم) بان قذفه الحوت
الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل
ثلاثة ايام والغم عم الالتقام وقيل غم الخطيئة (وكذلك
نجي المؤمنين) من غوم دعوا الله فيها بالاخلاص
وفي الامام نجى فلذلك احى الجماعة النون الثانية
قائما تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر
بتشديد الجيم على ان اصله نجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت التاء في تطاهرون وهى وان كانت تاء
محذوفة اوقع من حروف المضارعة التي لعنى
ولا يقدح فيه اختلاف حركتي التوين فان الداعي
الى الحذف اجتماع المنين مع تعذر الادغام وامتناع
الحذف في تخامى لحرف اللبس وقيل هو ماض
محذوف اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا
ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول المذكور
والماضي لا يسكن آخره (وزكريا اذ نادى ربه رب
انذرني فردا) وحيدا بلا ولد يرثي (وانت خير الوارثين)
ذن لم ترزقني من يرثي فلا ابالي (فاستجباله ووهب له
يعني واصالحها له زوجة) اي اصالحها للولادة بعد
عقرها او زكريا تحسين خلقها وكانت حرة
(ايهم) يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء
عليهم السلام (كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون
بأجواب الخيرات

اعلمناها لخصبة زكريا وحسن المعاشرة ويجوز ان يراى باصلاح جهل جعلها ذات هيئة حسنة ومنظر بهي بحيث
يرغب فيها زوجها لان النساء اذا بلغن سن زوجة زكريا يكن من القواعد الاتي لا يرغب فيهن احد (قوله يعني
المتوالدين) بلطف الجمع ليتناول زكريا وامرأته ويحيى عليه الصلاة والسلام علل استجابة دعاء زكريا
باصلاح زوجته وما يترتب عنهما من هيئة المولود الصالح بقوله انهم كانوا يسارعون الآية وذكر في التعليل
ثلاثة شروط احدها المسارعة في الخبرات لان الوسيلة متقدمة على المطلب وانها ان يكون الداعي بين الحرف
والرجاء ينفذ تفصيله ولا يمتد على غيره لان العمل بالتوفيق ويرجع ذلك رحمة الله الواسعة وثانها ان يكون
تخلص الامر آتيا كما قال ابراهيم الخفي الخشوع ان يرى الله تعالى من العبد الاخلاص اذا ارشى العبد ستره واغلق
بابه فالخشوع انما يكون بالقلب لا بالجارح بان يأكل العبد خشنا ويلبس خشنا ويأطأ رأسه ولا يرائي ويتصنع
وان كان المراد بقوله انهم المذكورين سابقا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يكون المقصود لتعليل استجابة
جميعهم مثل اتيان موسى وهرون الفرقان وتبريد النار واطفائها لاراهيم وانجائه وهجرة لوط من العراق الى
الشام ثم انجائه مما نزل بقومه وانجاء نوح ومن كان معد في السفينة من كرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على
الانبياء المذكورين والمراد بمسارعتهم في الخبرات مبادرتهم الى طاعة الله حراعين لحدود الشرع وهي محمود
والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب وقرأ العامة رغبا ورهبا بفتح العين والهاء وهما
امام صدر ان على وزن طلب وقعا موقع الحال من فاعل يدعون بتقدير المضاف اى يدعون ذوى رغب ورهب
واما جعان لرأغب ورأهب مثل خادم وخدم اى راجين وخاشعين (قوله يعني) اى متواضعين قال مجاهد
الخشوع هو الخوف الا لازم للقلب (قوله تعالى والى احصنت فرجها) يجوز ان ينتصب بالهطف على ما قبله
وان ينتصب بانهما اذا كروا ان يرتفع بالابتداء والخبر مذكوف اى وفيما نلى عليكم التى احصنت فرجها احصانا كليا
من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ولما كان نفع الروح في الجسد عبارة عن احياؤه كافي قوله
تعالى فاذا سويت ونسخت فيه من روحي اى احياه كان المفهوم من قوله تعالى فنحننا فيها من روحنا فاحييناها
وليس المراد احياؤه مريم فلذلك جعل تقدير الكلام فنحننا الروح في عيسى فيها والمعنى واحيينا عيسى
في جودها فيكون قوله فيها حالا من المفعول المذوف وهو عيسى فانه مفعول من جهة ان الله احيانا عيسى
كأنه في جوف مريم فادار بالروح روح الانسان الذى هو من امر الله وحده والمراد بنسخته في عيسى ادخاله في بدنه
نسيها ليراد الروح في البدن بنسخ النافع في الشيء فيكون نفعنا استعارة تبعية (قوله وقيل) اى ويجوز ان يراى
فعلنا النسخ في مريم من جهة روحنا الذى هو جبريل عليه الصلاة والسلام فلا يكون المراد بالنسخ ايراد الروح
في البدن بل يكون المراد به معناه الحقيقي ويترى فنحننا منزلة اللازم ويكون استناد النسخ الى البارى تعالى من قبيل
استناد الفعل الى السبب الا امر فان جبريل هو الذى نفع في روع مريم بامر الله تعالى فوصل اثر النسخ الى جوف
مريم فحصلت بعيسى عليهما الصلاة والسلام ثم انه تعالى لما فرغ من قصص الانبياء تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام
على تبليغ الرسالة وتسلية له بانه ليس اول من بعث لدعوة المعاصدين خاطب الناس كافة فقال ان هذه
انكم امم واحدة والامة الامة واصلاها القوم الذين يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا
عليه من الدين والامة واتسع قاصها من ام معنى قصدنا لقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الامة
المقصودة قال تعالى انا وجدنا آباءنا على امة اى على دين وامة قرأ الجمهور انكم مرفوعا على انه خبران وامة
واحدة منصوب على انه حال من الامة الاولى اى اسما لهما امة واحدة غير مختلف فيها والمعنى لادين سوى ديني
ولا رب غيرى فانا المستحق للعبادة فلا تعبدوا غيرى (قوله صرفه الى الغيبة) يعنى ان اصل الكلام
وتقصصهم وتفرقتهم الى الامة الى طريق الغيبة على الالتفات كأنه ينعى عليهم ما اقصدوه الى آخرين
ويخرج عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون اننا نعلم ان الركب هو لا حيث جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعاً فاصاب
كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بقطع دينهم كأنهم قطع شتى بلن بعضهم بعضا ويترى بعضهم من بعض ثم
انه تعالى توعد هؤلاء الفرق المختلفة بانهم اليه يرجعون فهو يحاسبهم ويحجز بينهم روى عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال تفرقت بنوا اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان امتي بشتى فرق
على اثنين وسبعين فرقة تملك احدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة

(ويَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا) ذوى رغب أو راغبين
في الثواب راجين للإجابة أو في الطساعة وخاشعين
من العقاب أو المعصية (وكانوا لنا خاشعين) مخبتين
أودأى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا
بهذه الخصال (والتي احصنت فرجها) من الحلال
والحرام يعنى مريم (فنحننا فيها) في عيسى فيها
اى احيينا في جوفها وقيل فعلنا النسخ فيها
(من روحنا) من الروح الذى هو بامرنا وحده
او من جهة روحنا جبرائيل (وجعلناها وانها)
اى قصصهم او حالهم ولذلك وجد قوله (آية للعالمين)
فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى
(ان هذه امة منكم) ان ملة التوحيد او الاسلام ملككم
التي يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها
(امة واحدة) غير مختلفة في ايمان الانبياء ولا مساركة
غيرها في حجة الاتباع وقرئ امة منكم بالاصب
على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئ بالرفع
على انهما خبران ان (وانا ربكم) لا اله الاكبر
(ما عبدون) لا غير (وتقطعوا امرهم بينهم)
صرفه الى الغيبة التفتنا للنبي على الذين تفرقوا
في الدين وجهلوا امره قطعاً موزعة بفتح فاعلمهم
الى غيرهم (كل) من افرق التجزئة (الينا راجعون)
فيجازيهم

قال الجماعة اى الجماعة المعهودة انتمسكة بما بينه الله تعالى ورسوله من غير ان يتوبوا ذلك شيئا من الهوى
 وطمع بعضهم في صحة هذا الخبر بان قال ان اراد بالثنتين والسبعين فرقة اصول الاديان فهي لم تبلغ هذا القدر
 قال الامام في الجواب عنه المراد ستفترق امتي في حال ما وليس فيه دلالة على ان افترقاها في سائر الاحوال
 لا يجوز ان يزيد وينقص (قوله استعير لثواب) يعنى ان الكفران مصدر بمعنى الكفر انذى هو المحذور والانتكاز
 كما ان الشكر عبارة عن تعظيم النعم والافرار بفضلها وافضلها شبه قبول العمل واعطاء الثواب بمقابلته ينكر
 النعم عليه لانهم فاطلق عليه الشكر مجازا فليل الله تعالى انه شكور بهذا المعنى قال تعالى ومن اراد الاخرة
 وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا مثابا عليه وكذا شبه رد العمل ومنع الثواب
 بالكفر والمحذور فاطلق عليه الكفران كما في قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن ننكره اى لن نحرما ثوابه ولن
 تمنعوه (قوله ونفى نفي الجنس) يعنى ان مجازاة المكلفين واثابهم على اعمالهم وحرماتهم من الثواب لا يتولى
 على شيء من ذلك سوى الله فانه مالك يوم الدين فكان الظاهر ان يقال فلا تنكر سعيه الا انه نفى جنس الكفران
 للبالغة لان نفي الماهية يستلزم نفي جميع افرادها فالتعبير عن النفي المراد بنفي الجنس بمنزلة آيات المطالبين بالبرية
 (قوله وممتنع على اهلها) جعل الحرام مستعارا للمتنع الوجود يجامع ان كل واحد منهما غير من جو
 الحصول لتعذر حله على معناه الحقيقى وهو فعل مقدور للمكلف منع الشارع تناوله بالنص القاطع ورجوع
 من قضى الله باهلاكه الى التوبة وكذا رجوع من جعله الله تعالى هالكا الى الحياة الدنيوية ليس حراما بهذا
 المعنى هذا على تقدير ان تكون كلمة لا في قوله تعالى لا يرجعون زائدة كافي قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وكذا ان
 لم تكن صلة وكان المعنى حرام على الكفرة المهلكين عدم رجوعهم الى دار الجزاء فالقصود ابطال قول من
 ينكر البعث فان عدم الرجوع اليها ليس حراما حقيقة وانما هو حرام بمعنى انه ممنوع الوجود (قوله وقرئ حرم)
 اى بكسر الحاء وسكون اراء وهما لغتان كالخل والحلال (قوله وهو مبتدأ) يعنى ان قوله انهم لا يرجعون
 مبتدأ خبره حرام على معنى رجوعهم او عدم رجوعهم ممنوع الوجود ويجوز ان يكون حرام مبتدأ لا خبره لفظا
 ولا تقديرا لكونه صفة مشبهة كجبان رافعة للظاهر بعدها على الفاعلية وذلك الظاهر قائم مقام خبره وهو قول
 المصنف او فاعله ساد مسد خبره وقد بحث فان الصفة انما ترفع الظاهر الذى بعدها على الفاعلية بشرط الاعتماد
 لا بدونه الاعلى رأى الاخفش فانه لا يشترط ذلك (قوله او دليل عليه) اى ويجوز ان يكون حرام مبتدأ وما بعده
 خبره دليل على الفاعل كانه قيل حرام عليهم واثابهم او حيايتهم على ان يكون لاصلة او عدم بعثهم على ان لا تكون
 صلة (قوله اولانهم لا يرجعون ولا ينيون) عطف على قوله رجوعهم الى التوبة الخ ويجوز ان يكون قوله
 وحرام خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الذى ذكر من العمل الصالح المقرون بالايمان حرام عليهم وما بعده صلة له محذوف
 لام التعليل مع انهم ويؤيده قراءة انهم بكسر الهمزة فان كسرها يقتضى ان يتم الكلام قبله ولا بد للتمام من تقدير
 المحذوف (قوله وقيل حرام عزم) اى معزوم يعنى قيل الحرام هنا بمعنى الموجب فانه قد يستعمل بمعنى الواجب
 كما في قوله تعالى ائبل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا فان ترك التارك واجب ويدل عليه ايضا قول
 الخنساء

(من يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسوله
 (فلا كفران لسعيه) فلا تضع لسعيه استعير لثواب
 كما استعير انسكر لاعطائه ونفى نفي الجنس للبالغة
 (واما له) لسعيه (كاتبون) مثبتون في حقيقة عمله
 لا تضع بوجد ما (وحرام على قرينة) وممتنع على
 اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم (اهلكناها)
 حكمتا باعلاها او وجدنا ما هالكا (انهم لا يرجعون)
 رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم
 رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعله
 ساد مسد خبره او دليل عليه وتفسيره توبتهم
 او حيايتهم او عدم بعثهم ولا انهم لا يرجعون ولا ينيون
 وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذلك وهو المذكور
 في الآية ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم
 وموجب عليهم انهم لا يرجعون (حتى اذا قمت
 بأجوج وأجوج) متعلق بحرام او محذوف دل
 الكلام عليه او لا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك
 او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور امارتها
 وهو فتح سد بأجوج وأجوج

وان حراما لا ارى الدهر ياكيا * على سجدوا الأبيكيت على صخر

اى وان واجبا وايضا كثيرا ما يطلق احد الضدين على الآخر مجازا (قوله اى يستمر الامتناع الى قيام الساعة)
 على ان تكون حتى غاية لقوله حرام والمعنى وممتنع على قوم قدرنا اهلاكهم رجوعهم الى التوبة الى ان
 تقوم القيامة فيثبت يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كفى غفلة من هذه الآية او ممتنع على الذين اهلكناهم حقيقة
 رجوعهم الى ان تقوم القيامة فيثبت يبعثون ويحاسبون (قوله او الهلاك) على ان تكون حتى غاية
 لمحذوف كانه قيل حرام على الهالكين رجوعهم الى الحياة بل يستمر بهم الهلاك الى قيام الساعة (قوله او عدم
 الرجوع) على ان تكون حتى غاية لقوله لا يرجعون وذلك بان يكون حرام خبر مبتدأ محذوف ويكون المعنى
 وذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على من قدرنا اهلاكهم لانهم لا يرجعون عن الكفر الى قيام الساعة فكيف
 لا يمتنع عليهم ذلك العمل والمراد بفتح أجوج وأجوج فتح سد بها فحذف المضاف كاحذف المضاف الى القرينة

في قوله وحرام على قرية اى على اهلها (قوله وحتى هي التي) مبتدأ وخبر قال اكثر المفسرين الضمير في قوله تعالى وهم من كل حذب ينسلون ليا جوج وما جوج فانه قد روى ان يا جوج وما جوج لا بد وان يسبوا في الارض ويغلبوا على الناس من كل موضع مرتفع والحذب التشنز وهو المكان المرتفع (قوله تسد مسد الفاء الجزائية) فان الجملة الاسمية اذا وقعت جواب شرط يجب دخول الفاء عليها لتدل على انها جواب وجزاء الا اذا صدرت اذا المفاجأة فانها تسد مسد الفاء فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيؤكد ما بينهما من الاتصال (قوله والضمير للقصة) يعنى ان لفظ هي ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر ضمير القصة لانه لا يفسر الا بجملة يخبر بها ويحتمل ان يكون ضمير امبهما يفسره الابصار كما فسر ضمير اسروا بقوله الذين ظلموا في قوله تعالى واسروا التجوى الذين ظلموا اذ هو يدل من واسروا تفسير او عطف اقتراب الوعد الحق على فتح سديا جوج يدل على ان قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يا جوج وما جوج كما روى عن حذيفة انه قال لو ان رجلا اقنى فلوا بعد خروج يا جوج وما جوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهرى ولد الفرس فان قيل الشرط هو مجموع فتح سديا جوج وما جوج واقتراب الموعد الحق وهذا المجموع انما يحصل في آخر ايام الدنيا والجزاء وهو شخص خاص ابصار الذين كفروا وارتفعاتها من شدة الاهوال بحيث لا تكاد تطرف انما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لا بد ان يكونا متقاربين فالجواب ان التفاوت القليل يجرى مجرى العدم (قوله يحتمل الاوثان) اى يعمها ادعى ان ما بين العقلاء وغيرهم واستدل عليه بانه عليه الصلاة والسلام لم يرد على ابن الزبير في تعميمه ما تعبدون للعقلاء بل سلمه ذلك واجابه بوجه آخر الا ان جوابه محل تأمل لانه لا ينبغي كون اليهود واخوانهم عبدوا هؤلاء المكربين وانما يدل على انهم عبدوا الشياطين باطاعتهم الشيطان فيما امرهم به من عبادة هؤلاء المكربين فكيف صلح جوابا عن قول ابن الزبير ويمكن ان يقال من عبد من غير ان يستحق العبادة لذاته ومن غير ان يأمر بها ويشب ويرضى ان يعبد لا يكون معبودا وانما يكون معبودا صورة وبجواز او يكون المعبود في الحقيقة من امر بذلك لان العبادة عبارة عن الطاعة والالتقاد وليس ذلك الا من امر بها فلذلك نفي عليه الصلاة والسلام دخول هؤلاء المكربين تحت قوله وما تعبدون فقل بل هم عبدوا الشياطين (قوله وعلى هذا) اى على تقدير ان يحتمل ما تعبدون من دون الله على ما بين الاوثان وغيره ما يكون الخطاب في قوله تعالى انكم وما تعبدون مثالا للمشركين وغيرهم كاليهود والنصارى وبني ملج وهم بطن من خزاعة قالوا صاهر الله تعالى سروات البن فولدت له الملائكة بخلاف ما اذا حمل ما تعبدون على الاصنام خاصة فان الخطاب يخص المشركين (قوله ايس اليهود عبدوا عزرا) لا وجد لسؤال ابن الزبير لان كلمة ما لا تتناول من يعقل فقوله تعالى وما تعبدون لا يتناول الملائكة فان الملائكة من العقلاء بل يقتصر على الاصنام لكنه عليه الصلاة والسلام جاره وأزعمه بوجه آخر تنبيهها على ان لدفع شبهة طرقت متعددة (قوله بيان التجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب) الاول على تقدير ان يكون المقصود من قوله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم لغير اهل الحسنى من العقلاء والثاني على تقدير ان يكون المقصود تخصيص ما تعبدون بغير اهل الحسنى مع كونه في نفس اهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسنى من قبيل بيان التفسير ومثل هذا البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق لانه تكليف ما لا يطاق واما جواز تأخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية جوزه الشافعية استدلالا بهذه الآية ووجه الاستدلال ما اشار به المصنف من انه تعالى انزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصص جهنم اتم لها وار دون اى تحصصون فيها وترمون وتأخر عند نزول قوله ان الذين سبق لهم منا الحسنى وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوز او بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبير وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى واجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بان قوله وما تعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزرا والملائكة حقيقة لان ما لغير العقلاء الا ترى ما روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال له ما جهلاك بلغة قومك يا غلام اما علمت ان ما لما لا يعقل فيكون قوله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسنى على هذا بيان تقرير وبيان التقرر يصح مزاحيا وسؤال ابن الزبير وارد على طريق التعتن بناء على انه جعل ما مستعملة بمعنى من مجازا او حله على التغليب فسال بناء على ظنه القاسد ثم انه عليه الصلاة والسلام اجابه بقوله ما جهلاك فقد رد عليه بان ما لما

وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكى هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتح بالسيد (وهم) يعنى يا جوج وما جوج او الناس كلهم (من كل حذب) تشنز من الارض وقرئ جدب وهو القبر (ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين (واقتراب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هي) شاخصة ابصار الذين كفروا (جواب الشرط واذا المفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية) كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيؤكد والضمير للقصة او مهم يفسره الابصار (يا ويلنا) مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا في غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) لأنفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالندى (انكم وما تعبدون من دون الله) يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدة لهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبير قد حصنتك ورب الكعبة ايس اليهود عبدوا عزرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو ملج عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبق لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روى ان ابن الزبير قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين سبق لهم منا الحسنى تأخر عن الخطاب

(حسب جهنم) ما يرى به البهاوت هيج به من حصبة
يحبس اذا رماه بالحصى، وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر (اتم لها واردون) استئناف
او بدل من حسب جهنم واللام معوضة عن
على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها
(لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها) لان المؤاخذ
المعذب لا يكون الها (وكل فيها خالدون)
لا خلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) انين وتنفس
شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب
ان اريد بما تعبدون الاصنام (وهم فيها لا يسمعون)
من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسمعون
(ان الذين سقت لهم منا الحسنى) الحصة الحسنى
وهي السعادة والتوفيق للطاعة او البشرى بالجنة
(اولئك عنها مبعدون) لانهم يرفعون الى اعلى
عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ
هذه الآية ثم قال انما هم وابوبكر وعمر وعثمان وطلحة
وازهر وسعد وسعيد وعبد الرحمن وعوف وابن الجراح
ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول (لا يسمعون
حسبها) وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره
سبق للبالغ في ابعادهم عنها والحسين صوت
يحمس به (وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون)
دايمون في غاية النعم وتقديم الطرف للاختصاص
والاهتمام به (لا يحزنهم الفزع الاكبر) الفضة
الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففرغ من في السموات
ومن في الارض او الانصراف الى النار اوحين يطبق
على النار اودح الموت على صورة كبش الخ (وتلقاهم
الملائكة) تستقبلهم مهئين (هذا يومكم)
يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول (الذي كنتم تعدون)
في الدنيا (يوم تطوى السماء) مقدر باذكار وظرف
لا يحزنهم وتلقاهم او حال مقدر من العائد المحذوف
من تعدون والمراد بالظي ضد السر او الخو
من قولك اطوعني هذا الحديث وذلك لانها نشرت
مظلة لبي آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ
بالياء وباءتاء والباء للفعول (كطي السجل للكتب)
طبا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب
فيه ويدل عليه قراءة حجة والكسائي وحسن
على الجمع اي للعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل
ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل
كالدار والسجل كالعزل وهما لغتان فيه (كما بدأنا
اول خلق نعيده) اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة
مثل بدأنا اياه في كونها ايجادا عن العدم او جمعا
من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة
بالقياس على الابداء لشعول الامكان الذاتي الصحيح
للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء

لا يعقل فلا يرد ما اوردته على الآية من النقص بالملائكة ونحوهم وان صح انه عليه الصلاة والسلام اجاب بان
قال انهم ما عبدوا ما ذكرته من اهل الحسنى وانما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فهو جواب بطريق التسليم
اي لو سلم ان قوله تعالى ما تعبدون يتناول العقلاء الفضلاء لكن لانهم عبدوا اولئك المكرمين في الحقيقة بل
عبدوا الشياطين الذين امروا بذلك والتعبير عنهم بلفظ ما ليس مبنيا على حله على المعنى المجازي بل مبنى على
عدمه اي على عبد الشياطين في عددا الاصنام الجامدة التي تعبد بمراحل عن العقل والتمييز وكذا قوله عليه الصلاة
والسلام بل لكل من عبد من دون الله ان صح ذلك عنه مبنى على التسليم ايضا والحاصل ان المراد بقوله ما تعبدون
الشياطين وعلى التقديرين لم يكن قوله وما تعبدون مستعملا في العقلاء مجازا ولا متاولا لاهل الحسنى حتى
يقال قوله تعالى ان الذين سقت لهم منا الحسنى بيان للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله السانعية
بل ليس ذلك الا بيان تقرير يصح مزاحيا عن الخطاب فليس في الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت
الخطاب على جميع الروايات فليأمل فان القام محل الالتفات (قوله ما يرى به) يعني ان الحسب بفتح الحاء والصاد
اسم لما يحسب اي يرى في النار ولا يقال له حسب الا وهو في النار فاما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب
وتحذلك (قوله او بدل من حسب جهنم) ويجوز ابدال الجملة من المفرد اذا كانا بمعنى واحد والتقدير
انكم اتم لها واردون والحسب بسكون الصاد مصدر بمعنى الرمي (قوله لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها)
هذا الكلام بالشياطين أليق لان المؤاخذة لا تليق بالاصنام الا ان يقال عباد الاصنام في الحقيقة عباد الشياطين
الذين امروا باعبادتها فكأنهم اتخذوا الشياطين آلهة والصغير في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون قيل يرجع الى
المعبودين اي لا يسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لا يغيثونهم ولا يغيثونهم كما يقال سمع الله لمن حده اي
اجاب الله دعاءه وقيل يرجع الى الكفار والمعنى انهم لا يسمعون شيئا اصلا من حيث انهم يحشرون صما عما زيادة
في عذابهم وانهم لا يسمعون ما ينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات العذابين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة
ثم انه تعالى لما شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الارابر فقال ان الذين سقت لهم منا الحسنى فهي عامة
في حق كل المؤمنين وشرح من احوال ثوابهم خمسة امور احدها قوله اولئك عنها مبعدون وثانيها قوله لا يسمعون
حسبها والمراد به تأكيدهم عن الان من لم يدخلها وقرب منها فادى سمع حسبها وثالثها قوله وهم فيما اشتهت
انفسهم خالدون ورابعها قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وفسره المصنف باربعة اوجدها الاول انها الفضة الاخيرة
والثاني ان يومهم بالعباد النار والثالث اطباق جهنم على اهلها اي وضع الطبق عليها بعدما اخرج منها من اخرج
فيفزع اهلها حيث فزع عاصيد الميزع عوا فرعا اشد منه والاربع ذبح الموت بين الفريقين والتداء يا اهل الجنة خلود
بلاموت ويا اهل النار خلود بلاموت وخاصها قوله وتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم
من القبر او عند باب الجنة (قوله او تلقاهم) فان قيل تلقى الملائكة عند باب الجنة وظى السماء متقدم عليه
بزمان كثير فكيف يكونان في يوم واحد والجواب ان اسم يوم الظي يطلق على الزمان المتبدل الذي تبداء زمان الظي
ومشاه زمان دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار (قوله او حال مقدر من العائد المحذوف من تعدون)
اي تعدون ذلك اليوم مقدرا كونه يوم تطوى السماء طيا مثل طي الرجل ماقى يده من الطومار لاجل الكتابة
لان الكتاب مصدرا كالكتابة وما فيه من اللام للتعليل فان قلت نسر الطومار شرط لاجل الكتابة فكيف يصح طيه
عنه اها قلت انه يطوى او لا يحفظ مطويا لاجل ان ينشروا يكتب فيه وقت الحاجة فالمراد من طيه هذا الظي السابق
(قوله او لما يكتب او كتب فيه) على ان الكتاب بمعنى المكتوب (قوله السجل ملك يطوى كتب الاعمال)
اي كتب بنى آدم اذا رفعت اليه قال السدى السجل ملك موكل بالحف فاذمات الانسان رفع اليه كتابه فيطويه
فعلى هذا الكتاب والكتب على اختلاف القراءة تين هي الحشافة واللام فيه زائدة كما في قوله ردف لكم (قوله
او كاتب كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام) وهو بعيد لان كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا رجالا
معروفين وليس فيهم من سمي بهذا الاسم (قوله في كونها ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء) ذكر الامام انهم
اختلفوا في كيفية الاعادة فذهب من قال ان الله تعالى يرف اجزاء الاجسام ولا يعدها ثم انه يعيد تركيبها فذلك
هو الاعادة ومنهم من قال انه تعالى يعدها بالكلية انه يجردها بعينها مرة اخرى وهذه الآية تدل على هذا
الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب الاجزاء المتفرقة بل عن اليجاد

بعد العدم وجبان تكون الاعادة كذلك واحتج القائلون بالذهب الاول بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض فهذا يدل على ان اجزاء الارض باقية لكنها جعلت غير هذه الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيامة بانه يوم تطوى فيه السماء كطي السجل وصفه ايضا بانه يعاد فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلهما (قوله وما كافة) تكف الكاف عن العمل ونصح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها زائدة قد تكون كافة عن العمل نحو انما زيد منطلق وغير كافة كافي قوله تعالى فبارجة من الله لنت لهم فان الباء فيه لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الراجعة مجرورا بها فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها مفعولاه والمفعول به لا بد له من عامل فعلا كان او معناه فلا بد ان يكون الباء ما يتعلق هي به بخلاف الكاف المكفوفة هنا فانها لا تستدعي ما يتعلق هي به لان مجرورها لم يكن مفعولاه حتى تستدعي ما ينصبه من فعل او ما في معناه والفرق بين كون ما كافة وبين كونها مصدرية انها على تقدير كونها كافة يكون قوله اول خلق نعيده كلاما تاما ويكون قوله كما بدأنا جلة منقطعة عن ذلك على معنى تحقق الاعادة مثل تحقق البدء وليس المعنى على اعادة مثل البدء ومحل الكاف في مثله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف (قوله واول مفعول بدأنا) ظاهر نظم التنزيل وان كان يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس المراد باول الخلق من سبق وجوده وجود الآخرين في نشأة الدنيا لان الكلام ليس في اعادتهم وابدائهم خاصة بل ان الكلام في ابداء مجموع المكونات واعادتها فان هذا المجموع اذا هلك ثم تعلقت الاعادة به يوصف بالاولية بالنسبة الى ما يتعلق به من الابدان انما ينفذ هذا المجموع الموصوف بالاولية كيف يكون مفعول بدأنا مع ان ايقاع البدء عليه متفرع على اعادته لانه قبل تعلق الاعادة به لا يوصف بالاولية اصلا فالظاهر ان يكون الكاف في محل النصب على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التنسیر والتقدير نعيد اول الخلق اى الخلائق الاولين نعيدوهم الكلام ههنا جعلت ما كافة وان جعلت مصدرية يكون التقدير نعيد اول الخلق اعادة مثل بدنا اياه نعيده وكله ما ان كانت موصولة تكون الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فان مفعول نعيد حينئذ اول خلق لا الكاف (قوله تأكيذا لنعيده) يعنى انه مصدر وقع مؤكدا مضمون جلة لا محتمل لها غير الوعد فهو من المصدر الذى يسمى تأكيذا لنفسه وناصبه مضمر اى وعدنا ذلك وعدا هو منصوب بقوله نعيده لكونه في معنى الوعد (قوله وقيل المراد بان بورجنس الكتب المنزلة) فقوله ولقد كتبنا في الزبور معناه ولقد بينا في التوراة والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بعد الذكر اى من بعد ما كتبنا وبيننا في اللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وكتب فيه كل ما سيكون ليعتبر الملائكة ويعلموا ان الله تعالى احاط بكل شىء علما واحصى كل شىء عددا (قوله والذين كانوا يستضعفون) نشر مرتب على قوله والارض المقدسة واراد بمشارق الارض ومغار بها الرض الشام وجهاتها الشرقية والغربية قال الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هي الارض المقدسة يرثها الصالحون ودليله قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغار بها التي باركنا فيها ثم بالآخرة يرثها امة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام (قوله لان ما بعث به سبب لاسعادهم) لودبروا فيه واتبعوا احكامه فلما زاب سعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فأنما وقع في المحنة من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب ما يقال كيف كان رجة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال ورد في الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رجة للعالمين فهل اصابك من هذه الرجة شىء قال نعم اصابني من هذه الرجة انى كنت اخشى عاقبة الامر فامنت بك لما انبى الله تعالى على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلاة والسلام رجة للعالمين بين معظم اسباب كونه رجة لهم وهو كونه داعيا الى التوحيد والطاعة فانه بعث واناس في جاهلية وضلال واهل التكايك كانوا في حيرة في امر دينهم اطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم بحيث لم يكن لطالب الحق سبيل البتة (قوله فالاولى لقصر الحكم على الشىء) يعنى ان كلمة انما سواء كانت مفتوحة الهرة او مكسورة فانه قد تكون لقصر الحكم على الشىء نحو انما يقوم زيد وقد تكون لقصر الشىء على الحكم نحو انما زيد قائم فقوله تعالى انما يوحى الى الالة من قبيل قصر الحكم على الشىء حيث يدل على ان حكم ما يوحى اليه عليه الصلاة والسلام منحصر في مضمون قوله تعالى

وما كافة او مصدرية واول مفعول لبد انا اول فاعمل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأناه اول خلق ظرف لبد انا او حال من ضمير الموصول المحذوف (وعدا) مقدر بفعله تأكيذا لنعيده او متصعب به لانه عدة بالاعادة (علينا) اى علينا انجازها (انا كنا فاعلين) ذلك لا محالة (ولقد كتبنا في الزبور) كتاب داود (من بعد الذكر) اى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالدكر اللوح المحفوظ (ان الارض) ارض الجنة والارض المقدسة (يرثها عبادى الصالحون) يعنى عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغار بها او امة محمد صلى الله عليه وسلم (ان في هذا) فيما ذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعيد (ابلاغ) لكفاية او اسبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) همهم العادة دون العادة (وما ارسلناك الا رجة للعالمين) لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب اصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رجة للكفار امنهم به من الحسف والسحق وعذاب الاستئصال (قل انما يوحى الى انما الحكم الاله واحد) اى ما يوحى الى الاله لا اله الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثه مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشىء والائابة على العكس

انما الهكم اله واحد فانه في محل الرفع على انه قائم مقام فاعل الفعل السابق اذ التقدير انما يوحى الى وحدانية الله تعالى وان قوله انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد اي يقوم زيد لا غيره فكانه قيل لم يوحى الى شيء الا التوحيد ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الحصر مع انه قد اوحى اليه اشياء غير التوحيد اشار المصنف الى دفعه بقوله وذلك لان المقصود الاصلى يعنى ان ما ذكرنا يريد على تقدير ان يكون الحكم المقصود ما اوحى اليه مطلقا وليس كذلك بل المراد ما اوحى اليه مقصودا بالمقصد الاصلى الاول وقوله تعالى انما الهكم اله واحد من قبيل قصر النسخ على الحكم بمنزلة انما زيد قائم اي لا يفعل زيد سوى القيام فان قلت هذا الحصر يستلزم ان لا يكون الله تعالى موصوفا بغير الوحدانية مع ان له تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى فالجواب ان الحصر ليس حقيقيا اذ المقصود نفي ما يصفه المشركون (قوله وقد عرفت ان التوحيد الخ) اشارة الى ما ذكره في تفسير قوله تعالى في هذه الصورة هذا ذكر من معي وذكر من قبلي اذ التوحيد لما يتوقف على صحته بعثة الرسل واتزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ووجه الفاء في قوله تعالى فهل اتم مسلمون ان مل هذا الكلام انما يذكر اذا تقدم ما يوجب المسارعة والاقدماء على شيء من الامور فيوتى به للتعريض عليه والتوبيخ على تركه وههنا لما بولغ في امر التوحيد بما سبق من الحصرين عقده للبالغة في ايجاب المسارعة الى التوحيد فلذلك اخرج الامر على صورة الاستفهام وكون التوحيد مما يصح اثباته بالسبع وان اشتهر بين المتكلمين الا انه لا يخلو عن اشكال وهو ان جية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف على كون الرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدا اذ التعدد يستلزم الامكان كما بين في موضعه فظهر ان جية السمع موقوفة على الوحدانية ولو توقفت الوحدانية ايضا على السمع لزم الدور فالاحكام التي يستدل عليها بالنص هي التي لا يتوقف النص على ثبوتها فالتوحيد ليس من تلك الاحكام التي يستدل عليها بالنص فلا يستدل بالنص على ثبوته (قوله مستون في الاعلام به) على ان يكون قوله على سواء في محل النص على انه حال من مفعول اذنتكم (قوله او مستون انا وانتم) على انه حال من الفاعل والمفعول معا وعلى التقديرين يكون اذنتكم منقولا من اذن بمعنى علم وعلى قوله او حربي لكم وان كان منقولا منه ايضا وان المراد بالايذان ايدان الحق الا ان ايدان الحرب مستفاد من استعماله في مقام الانذار والتهديد كانه قيل قد بذلت وسعي الى الآن في اعلام الحق وارشادكم اليه فاذا لم تقبلوه ولم تلتفتوا اليه فتهيؤوا لجزاء عنادكم (قوله او ايدانا على سواء) على انه صفة مصدر محذوف (قوله وقيل اعلمكم اني على سواء) على انه خبران المحذوفة مع اسمها والجنة استثنائية (قوله اقريب ام بعيد ما توعدون) في محل النص بادري لانه علق ادري باداء الاستفهام واصل الكلام اقريب ما توعدون ام بعيدا لانه احر المستفهم عند روى الآي وقوله ما توعدون يجوز ان يكون مبتدأ وما قبله مع ما عطف عليه خبره ويجوز ان يكون فاعل قريب لاعتماده على الف الاستفهام والمقصود من قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول الآية لتعليل الامر المدلول عليه بقوله فهل اتم مسلمون والتهى عن الطعن في الاسلام جهرا وعن اضمار الاحن والاحقاد للمسلمين وبيان ان تأخير العذاب عنهم ليس لحق ما سروي به وما اعلنوا بل لحكمة اقتضت ذلك ثم قال لعل وجد الحكمة في التأخير استدراج وزيادة الاحتقاق للعقوبة والعذاب ولما كان الاستدراج سببا للفتنة والعذاب اطلق عليه لفظ الفتنة مجازا مر سلا وقوله او امتحان اي معاملة شبيهة بالامتحان على سبيل الاستعارة التخييلية وقرأ العامة رب احكم بكسر الباء وحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وقرئ بضم الباء على انه منادى مفرد معرفة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يدعو باستجبال العذاب على قومه ويقول رب اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل فان العدل في حقهم ان يجعل العذاب عليهم ولا يمهلهم فلا جرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر وقرئ ربى بكون الباء واحكم على بناء افعال التفضيل وهما مبتدأ وخبر وقرئ احكم بفتح الهمزة والميم على انه فعل ماض من الاحكام مرفوع المحل على انه خبر ربى ايضا تمت سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا اوار الشروع فيما يتعلق بسورة الحج مستعينا بالله تعالى

(سورة الحج سبعون واربع آيات مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المعنى يا اهل مكة احذروا

(فهل اتم مسلمون) مخلصون العادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان اتوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) عن التوحيد (فقل اذنتكم) اعلمكم ما امرت به او حربي لكم (على سواء) مستون في الاعلام به او مستون انا وانتم في العلم بما اعلمكم به او في المعادة او ايدانا على سواء وقيل اعلمكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأى بالبرهان الثبر (وان ادري) وما ادري (اقريب ام بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين او من الحشر لكنه كائن لا محالة (انه يعلم الجهر من القول) ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام (ويعلم ما كنتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان ادري لعله فتنة لكم) وما ادري لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة في امتحانكم او امتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتتمتع الى اجل مندر تقتضيه حسنة (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقضى لا استجبال العذاب والتسديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثيرا الرحمة على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) من الحال بان الشوكة تكون اهم وان راية الاسلام تنفق اياما ثم تسكن وان الموعدة لو كان حقا انزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فتعجب اما نبيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقرب حاسبه الله حسابا يسيرا وصالحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرءان

(سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم

عقاب ربكم بطاعته فان التقوى المأمور بها انما تحقق بالاتقاء عن جميع المحرمات وبالانتهاء عن ترك شيء من الواجبات وبالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الانتهاء عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى في عرف الشرع الا ان الملائكة تخصيص الخطاب باهل مكة ان يراد بالتقوى المرتبة الاولى منه وهو التوق عن العذاب المخلد بالثبوت من الشرك كما هو المراد بقوله تعالى فانهم كذا التقوى فانه تعالى امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهل صفته والمعنى ان بالتقوى يتدفع هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى والزلزلة تضعيف الزلزال يقال زلت ندمه اذا زالت عن مكانها بسرعة ويقال زلت بافلان زللا اذا زل في طين او منطلق ويصير متعديا بالتضعيف يقال زلزل الله تعالى الارض زلزالا فزلزلت هي وقد يستعمل لازما بمعنى تزلزل فقوله تعالى ان زلزلة الساعة معناه ان تزلزل الساعة ولهذا فسرهما الكواشي رحمه الله تعالى بقوله اى حركتها الشديدة بالزجاج فيكون المصدر مضاعفا لفاعله وفسرهما المصنف رحمه الله تعالى بالتحريك وجعلها اولاً من اضافة المصدر الى فاعله المجازى على طريق استناد الفعل الى زمانه وثانيهما من اضافة المصدر الى ظرفه بتقدير في وقتنا من غير تقدير والفرق بين الوجهين الاخيرين ان المضاف اليه في كل واحد من الاحتمالين وان كان ظرفاً للمضاف حقيقة الا انه قد توسع فيه واجرى مجرى المفعول به واضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به من غير تقدير كلمة في كافي قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال يأسارق الليلة اهل الدار في احد الاحتمالين بخلاف الاحتمال الآخر فان الظرف لم يتوسع فيه وكانت الاضافة اليه بتقدير في كافي ضرب اليوم واطضافة المصدر معنوية سواء اضيف الى ظرفه او الى فاعله لانه ليس بصفة ولا اضافة انما تكون لفظية بان يكون المضاف صفة مضافة الى معمولها اى الى مرفوعها او منصوبها (قوله وقيل هي زلزلة الخ) عطفت من حيث المعنى فان ما ذكرنا ثانياً يدل على ان الساعة اما فاعل مجازى لهذه الزلزلة او زمان لها وعلى التقديرين هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر (قوله فبقوا على انفسهم) اى يترجوا وعليها يقال ابقيت على فلان اى ارجعت عليه ورجعته وفى الصحاح تقول ارجعت عليه اذا ابقيت عليه ورجعته (قوله اذا دهشت) اى اذا ادهشت الزلزلة التى ألقت الرضيع تدبها حلق لفظ المرصعة على التى تلبس الارضاع بالفعل استدلالاً بالحقوق التاء اياه فان الاصل فى الصفات المختصة بال مؤنث ان لاتلحقها تاء التأنيث اذا قصد بها التى من شأنها ان تلبس بالفعل فاما اذا قصد بها الدلالة على اللابسة بالفعل فحينئذ يجب ان تلحقها تاء فقال حائضه وطالقة ومريضة وطائفة فلما قيل فى الآية مريضة التاء علم ان المراد بها التى يارضع بالفعل وألقت تدبها الصبي (قوله وما موصولة) فلا بد من تقدير الهى الذى ارضعته وهو الطفل وان كانت مصدرية فلا حاجة الى التقدير اى عن ارضاعها (قوله جنبها) مبنى على ان الحمل باقمح ما كان فى البطن او على رأس الشجرة وبالكسر ما كان على الظهر واستدل به من قال ان هذه الزلزلة تكون فى الدنيا لانه لا مريضة ولا حامل يوم القيامة ومن قال انها تكون يوم القيامة يقول هذا على جهة التمثيل اى لو كان مثلها فى الدنيا هلت المريضة عما ارضعت وتضع الحامل حملها من غير تمام من شدة دهشها (قوله فارهقهم هولاً) والمعنى ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله تعالى وهو الذى اذهب عقولهم يقال رهق بكسر الهاء اى غشيته وارهد طفينا اى اغشاء اياه والهول مصدر هاله الشيء اى افرعه ولا شك انه تعالى اذا بسط بساطه اى بسط عرته وسلطان جبروته وسرادق كبريائه بحيث الجأ اليه اليه الى ان قالوا نفسى نفسى يجعل هولاً وافراعه بحيث يغشى اهل الموقف بأسهم بما شاهدوه من امارات ما يكون من ذلك الموقف قرأنا من رحمة الله عليهم وترى الناس يفتح التاء من ترى ونصب الناس على صيغة خطاب الواحد بمعنى تعلم والناس اول مفعول وسكاري ثانيهما وقرئ بضم التاء وكسر الراء على بناء الفاعل وهو ضميراً للزلزلة او الساعة فلا بد حينئذ من تقدير المفعول الاول ليمبنى به المعنى اى وترى الزلزلة او الساعة اهل الموقف الناس سكاري فهو مفعول ثالث ويؤيد هذه القراءة قراءة من قرأ وترى الناس بضم التاء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله ونصب الناس مضارع مبنى من التعدى الى ثلاثة مفاعيل الاول قائم مقام الناعل وهو ضمير الخطاب والناس سكاري هما المفعولان الباقيان وهذا معنى قول المصنف رحمه الله عليه وقرئ ترى من ارتك قائماً والاصل وترى الزلزلة او الساعة انك الناس سكاري ويجوز ان يكون مضارع رأيت التعدى الى اثنين والمعنى

ان زلزلة الساعة تحريكها الاشياء على الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيها فانفتحت اليها اضافة معنوية بتقدير فى واضافة المصدر الى الظرف على اجر آله تجري المفعول به وقيل هى الزلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وافتتاحها الى الساعة لانها من انما طها (شى عظيم) هائل خلل امرهم بالتقوى بفطاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم وعلما انه لا يؤمنها منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بجلالة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لهن ولها والضمير للارزلة ويوم منتصب بذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدھنة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا ذهبت الى ألقت الرضيع ثديها تزعت من فبه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها) جنبها (وترى الناس سكارى) كانوا سكارى (وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فأرهمهم هولها بحيث طبع عقولهم وذهب ضميرهم

وترى أيها الرسول قوما سكارى فبنى للمفعول واستند الى مفعوله الاول وترك الثاني منصوبا على حاله وهو معنى قوله رجة الله عليه اورأيتك قائما وقوله بنصب الناس ورفع على ترتيب اللف ولما ورد ان يقال لما استند الفعل الى الناس كان ينبغي ان يقال ويرى بالياء التحتية اجاب عنه بقوله وتأيتني على تأويل الجماعة (قوله وافراده بعد جمعه) افراد الفعل وجمعه عبارة عن استناده الى ضمير الواحد والجمع يعني افراد فاعل الرؤية في ترى الناس وجمعه في يوم ترونها منى على ان الرؤية في يوم ترونها الزلزلة او الساعة وفي قوله وترى الناس جميع الناس رأيا للزلزلة لكونها امرا معيارا للناس بخلاف الحالة القائمة فان كل احد لا يرى الاما مقام بغيره ولا يرى الجميع اما مقام بالجمع والالزم ان يرى كل احد اما مقام بنفسه وفيه بحث ظاهر وهو ان استناد الفعل الى الجميع انما يقتضي قيامه بالجميع ولا يقتضي وقوع اما مقام به من الجميع وما ذكره مبنى على ان يكون الخطاب في قوله تعالى وترى الناس اكل من يصلح ان يكون مخاطبا على سبيل البذل ولو كان الخطاب لواحد بعينه وهو اني صلى الله عليه وسلم لما قيل يراها الجميع اى يرى كل احد اما مقام بغيره (قوله سكرى كعطشى) ووجه الشبه كون كل واحد منهما جاعلا على فعل مع ككون واحد على وزن فعلان ولو قال بجرى وقضى وصح التشبيه من حيث ان كل واحد منهما جاع على وزن فعلى الا ان المساهمة بين سكرى وعطشى اتم لما ذكرناه يقال رجل عطشان وقوم عطشى كما يقال جوعان وجوعى وكسلان وكسلى واللفظ انما يجمع على فعلى اذا كان مأخذه من قبل العلل والادواء فنقل عن القرأ رجة الله تعالى انه قال والعرب تجعل فعلى جعل لكل ذى زمانة وضرب وهلاك ولا يبالون اكان واحد فاعلا او فعلا او فعلا (قوله وهي تهمه واضرايه) حال من فاعل زلت لما امر الله تعالى مشركى اهل مكة بالانقضاء عن عقابه بلامرمة طاعته خص من يبتهم من هو متوغل في المخالفة والعصيان ووصفه بالخاصة في دين الله تعالى ووحدانيته وفيما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بيجرد زعمه الفاسد وظنه الباطل من غير سند يسوقه اليه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المريد التردد على الله تعالى يقال مر دالشي اذا جاوز حد مثله واصله العرى يقال غلام امر دوغصن امر اذا عرى عن الشعر والورق (قوله كتب عليه على الشيطان) صفة للشيطان والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم وينبع كل شيطان مر يد كتب عليه ان من يقل منه فهو ضال والكعبة والكتاب الحكم والقدر ويكون بمعنى الرق والانبثاق فالتعنى قضى عليه اورقم فثبت في ام الكتاب وهو اللوح اى قد قضى الله تعالى على كل شيطان من الجن والانس انه من يتبعه ويتولاه فانه يضل عن الصراط المستقيم والدين القويم فاما الشيطان الجنى فيالوسواس والتسويلات والنقاء التبهات واما الشيطان الانسى فيابقاعه في مذاهب اهل الهوى والبدع كالفسلفة والزنادقة المنكرين للبعث والحساب ويؤمنون عليهما البراهين المموهة المشوبة بسوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فاتباعه تقبل منه تلك الشبهات الزائفة والدلائل الباطلة فيعتقدون بعبادته ويصبرون من جلته ويدخلون في زمرة من كما قال تعالى ومن يتولهم منهم قال صاحب الكشف والكعبة عليه مثل اى كائنا كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله جعل الكعبة بمعنى الرق والاملاء ولما تعذر حله على الحقيقة حله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الاضلال عليه ظهور المكتوب على ما كتب عليه واليه اشار المصنف بقوله والمعنى كتب عليه اى اثبت عليه ورقم فصار كان الاضلال شيئا ثبت عليه ورقم (قوله على تقدير فسأته انه يضل) يعنى فتح الهمزة في قوله تعالى فانه يضل منى على انه خبر مبتدأ محذوف اى فسأته وحاله انه يضل قال صاحب الكشف عفا الله تبارك وتعالى عنه وقرى انه بفتح الهمزة وكسرها فن فتح جعل الاولى نائب فاعل كتب والثانية عطفا عليها ولم يرض المصنف به حيث قال لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام يعنى ان كلمة ان الاولى لو كانت مرفوعة المحل على انها فائضة مقام فاعل كتب وكانت الثانية ايضا في محل الرفع على كونها معطوفة على الاولى مؤكدة لها بالزم عطف جله تاما على كلام غير تام لان قوله من تولاه مبتدأ لم يستوف خبره بعد لان كلمة من قيدان قدرتها موصولة فلا خبر لها وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام في عطف الجمل فاعراب الآية ان كتب مبنى للمفعول على قرأ العامة وانه في الموضعين مفتوح الهمزة اما الاولى فلكونها مع ماقى خبرها في محل الرفع على اياها خبر مبتدأ محذوف وكلمة من في قوله تعالى من تولاه يجوز ان تكون شرطية والفاء في جوابها وان تكون موصولة وانقضاء زائدة في الخبر لتضمن البتدأ معنى الشرط (قوله على حكاية المكتوب) فان كلمة ان الواقعة في الكلام المحكى

وقرى ترى من ارىك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفع على انه نائب مثاب الفاعل وتأيتني على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثرا لسكرائها يراه كل احد على غيره وقرأ حزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر محرى العلل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) زلت في النضرين الخارث وكان جد لا يقول الملائكة بنات الله والقرأ ان اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تهمه واضرايه (وينبع) في المجادلة اوفى عامة احواله (كل شيطان مر يد) متجرد للفساد واصله العرى (كتب عليه) على الشيطان (انه من تولاه) تعدد الضمير للسان (فانه يضل) خبر لمن اوجواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرى بالفتح على تقدير فسأته انه يضل لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرى بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب

مكسورة لكونها واقعة في ابتداء الكلام ولا بد في الحكاية ان تحفظ صورة الكلام المحكي ولا تغير عما هي عليه من حيثها (قولوا اواخمار القول) فيكون عليه في موضع الرفع على انه قائم مقام الفاعل لقليل المضمر ثم تعالى لما حكى عنهم انهم يجادلون في الله بغير علم وكان من جملة ما جادلوا فيه في صحة حقيقة البعث والخشع اورد ما يدل على صحة بقوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الآية قيل تحريك الوسط في كل ما كان فيه العين من حروف الخلق قياس مطرد كالشعر والنهر وقيل ليس بقياس بل هما لغتان بمعنى كالجلب والجلب والطرود والطرود فيتوقف على السماع ثم انه تعالى ذكر في مراتب النشأة الاولى ومبادئها سبعة امور الاول التراب فانه مبدأ لجميع الافراد الانسانية اما بواسطة كونه مبدأ لاصلهم آدم عليه الصلاة والسلام او بواسطة الغذاء وكونه مبدأ للمنى ودم الطمث فانه اما حيواني او نباتي وغذاء الحيوانات ينتهي الى النبات قطعاً للتسلسل والنبات اما يتولد من الارض والماء فصح قوله فانا خلقناكم من تراب على كل واحد من الاعتبارين فقوله فاناظر وا في بدء خلقكم الخ اشارة الى ان قوله تعالى فانا خلقناكم ليس جزءاً في الحقيقة لكنه اقيم مقام الجزء من حيث كون الاخبار به سبباً مؤدياً الى النظر في منجونه الذي هو من يلزمهم والمرتبة الثانية النطفة وهي ماء الفحل فان قلب التراب اليابس ماء رطباً لطيفاً مبنياً على قدرته باهرة لا يبعد عنها إعادة الموت والمرتبة الثالثة العلقة وهي قطعة الدم الجامة ولا شك ان بين الماء وبين الدم الجامة بما يشهد به المراتبة الرابعة المضغة وهي الحبة الصغيرة قدر ما يمتنع والمرتبة الخامسة ما ذكره بقوله ثم نخرجكم طفلاً والسادسة ما ذكره بقوله تعالى ثم نلقواكم بالاشدكم والسابعة ما ذكره بقوله ومنكم من يتوفى وقسم المضغة الى الخلق وغير الخلقة اي الى المساواة للمساواة المزدهة عن العيب يقال حجرة خلقاء اي مساواة لالعيب فيها وخلق السواك اي سويته ولم يستند وقيل الخلقة هي التي تم وكل خلقها بنح الروح فيها وهو الذي يولد لتسام مدة الحمل وحيات غير الخلقة ما تنسقط المرأة غيري ولم يكمل خلقه بنفع الروح فيه وقيل الخلقة ما قد بدا خلقته وصورته وغير الخلقة ما لم يصور بل تسقط المرأة نطفة ايضا او علقة او مضغة لم تبين خلقته وقدم الوجد الاول لانه اوفق لبناء الفعل الدال على تكثير الخلق فان الانسان ذوا أعضاء متباينة وقوى متفاوتة فاذا اكل فيه جميع ما يتم به خلقه النوع فقد كثر فيه الخلق واللام في قوله تعالى لنبيين متعلقين بمحذوف اي نقلناكم من حال الى حال ومن خلق الى خلق لنبيين لكم بهذا التدريج من فعلنا وقد رتبنا ما لا يسعد الذكر ولا يحيط به الوصف واشير الى هذا التعميم بمحذوف المفعول وقوله تعالى ونقر في الارحام مرفوع على الاستئناف وليس عليه لما قبله حتى ينصب عطفاً على العلة المتقدمة روي عن الزجاج رجحة الله تعالى عليه انه قال قوله تعالى ونقر في الارحام لا يجوز فيه الالرفع ولا يجوز ان يكون المعنى فعلنا ذلك لنقر في الارحام لان الله تعالى لم يخلق الانام ليقروا في الارحام واما خلقهم ليدلهم على رشد هم وصلا حهم ونقل المصنف رجحة الله تعالى عليه قراءة التصب فيه وفي قوله تعالى ثم نخرجكم طفلاً واشار الى دفع ما ذكره الزجاج رجحة الله تعالى عليه بقوله ونقر برهم في الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويلغوا حد التكليف يعني ليس الاقرار في الارحام وحده علة الخلق المذكور حتى يرد ما ذكره بل العلة هي مجموع الاقرار في الرحم الى تمام مدة الولادة والتولد طفلاً والانشاء والبلوغ الى حد التكليف والعلة في الحقيقة هي الاخيرة يعني بلوغ حد التكليف اي حتى يكلفوا بمعرفه الله تعالى وتوحيده وطاعته فيما لو سعادة الآخرة لكن لما كان الاقرار في الرحم وما تلاه من مقدمات البلوغ ادخل في التعليل قدر لام العلة ايذنا بذلك وخص قوله لتبلغوا باعادة اللام للتبديد على ان المقصود الاول وبالذات هو الثاني لا الاول من بين اجزاء الغرض وهو الجزء الثاني الاخير الذي هو البلوغ المذكور لانه وان التكليف فقوله تعالى ثم لتبلغوا على هذه القراءة معطوف على قوله تعالى ثم نخرجكم وقد اشار اليه المصنف بقوله حتى يولد واو ينشأ واو على قراءة الرفع معطوف على قوله تعالى لنبيين لكم فان قلت ما معنى ثم في الموضوعين فالجواب انه يحتمل ان يكون للتأخر في الرتبة وهو الاظهر الانسب بالمقام ويحتمل ان يكون للتأخر في الزمان فان بلوغ الاشدمترخ عن اخراج طفلاً وهو غير الاقرار في الارحام ولو باعتبار ابتداء الاقرار في الارحام (قولوا وقرأ بالياء) اي وقرئ قوله تعالى ليين وقرأ بالياء اختتامية فيهما باسناد كل واحد من الفعلين اليه تعالى كما في قراءة النون وقرئ بشر ينفتح الياء من تحت وكسر القاف ونصب الراء اي وقرأ الله تعالى وهو من قرأ الماء اذا صبد وقرأ يعقوب في رواية ونقر بفتح النون وضم القاف ورفع الراء من قرأ الماء بقره

اواخمار القول او تضمنين الكتب معناه (ويهاية الى عذاب السعير) بالجمل على ما يؤدى اليه (يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدوراً وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب (فانا خلقناكم) اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيج ربكم فانا خلقناكم (من تراب) اذ خلق آدم منه والاغذية التي يتكون منها المنى (ثم من نطفة) منى من النصف وهو الصب (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمتنع (مخلقة وغير مخلقة) مساواة لانقص فيها ولا عيب وغير مساواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة (لنبيين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمنا وان ما قبل التفسير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره ولا قدر على ذلك ثانياً وحذف المفعول ايعاء الى ان افعاله هذه تبين بهما من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر (ونقر في الارحام ما نشأ) ان نقره (الى اجل مسمى) هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلاً) عطفاً على نين كان خلقهم مدرجالنبيين تبين القدرة ونقر برهم في الارحام حتى يولد واو ينشأ واو يبلغوا حد التكليف وقرأ بالياء رفعا ونصبا وقرأ بالياء ونقر من قرئت النساء اذا صبيت وطفلاً حال اجريت على تأويل كل واحد والدلالة على الجنس اولانه في الاصل مصدر (ثم لتبلغوا اشدكم) كما لكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانهاتدة في الامور (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشدا وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله (ومنكم من يرد الى ارضه اعمى) انهم والخرق وقرئ يسكون الميم

(لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولة من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعله ويتكر من عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعترى الانسان في استنائه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) مينة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا ارتلتا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفعت وقرى ربات اي ارتفعت (٣٧٦)

(وانبت من كل زوج) من كل صنف (بمجي) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) اي بسببانه الثابت في نفسه الذي به يتحقق الاشياء (وانه يحجي الموتى) وانه يقدر على احيائها والامساك احيى النطفة والارض الميتة (وانه على كل شيء قدير) لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وان الساعة آتية لا ريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وان الله يثبت من في القصور) بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) تكرر للتأكيد ولما يطمع به من الدلالة بقوله (ولا هدى ولا كتاب منير) على انه لا استدلال او وحى او اول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم الفطري ايصح عطف الهدى والكتاب عليه (تاتي عطفه) متكبها وبشيء العطف كناية عن التكبر على الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرى بفتح العين اي مانع تعطفه (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى التمكن مد بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالعرض له (له في الدنيا خزي) وهو ما اصابه يوم بدر (وتذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) المحرق وهو النار (ذلك بما قدمت يدك) على الالتفات وارادة القول اي يقال له يوم القيامة ذلك الحزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي (وان الله ليس بظلام للعبيد) وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا ثبت له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قروا الاخر (فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه) روى انها زلت في اعارب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه وتحت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبحت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا فاطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبحت الا شرا وانقلب وعن ابن سعيان يهوديا سلم فاصابته مصائب فتشام بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال آتاني فقال ان الاسلام لا يقلل فتزلت (خسر الدنيا والاخرة) يذ هاب عصمته وجبوت عمله بالا رتداد وقرى خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسارته او على انه خير محذوف (ذلك هو الخسران المبين) اذ لا خسر مثله (يدعو من دون الله مالا يضمه ولا ينفعه) بعد جاد الا يضرب بنفسه ولا ينفع (ذلك هو الضلال البعيد) عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا

اذا صابه وقوله كالصم في القوة والعقل يعني ان الاشكال القوة في الخواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين الثلاثين والاربعين وقيل من ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى ست وثلاثين سنة (قوله تعالى لكيلا يعلم) متعلق بقوله يرد فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً مع انه يعلم بعض الاشياء كالطفل اجيب بان المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيئاً فان مثل ذلك قديد كرتي مقام في العقل للمسالفة (قوله تحركت بالنبات) الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يقال اهتزت فلان لكيت وكيت الا اذا كان ذلك الامر من الحسن والمنافع قيل الاصل اهتزت وبانباتها خذف المضاف واستدكل واحد من الفعلين الى نفس الارض فنقرأ ربث فغناه الزيادة من اي جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسر به بقوله ارتفعت وزادت من جهة العلو وقوله تعالى وان الساعة يحتمل ان يكون معطوفا على الجبرور بالباء وان يكون خبر مبتدأ محذوف حذف للدلالة المقام عليه والتقدير والامر أن الساعة آتية ولا ريب فيها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا (قوله تكرر بللتا كيد) يعني ان هذه الآية نزلت ايضا في النصير بن الحارث وفاطمة النصير برالبة في الذم وليريد عليه انه لا استدلال في مجادله من دليل عقلي ولا وحى سماوي كالاستدلال في مجادله من العلم الضروري والنظري كانه قيل انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وقيل الآية الاولى واردة في التابعين المقلدين وهذه الآية في المتبوعين المقلدين فان كل واحد من الفريقين يصدق عليه انه يجادل من غير علم وان كان احدهما متبعا والاخر متبوعا ويؤيد هذا القول قوله تعالى ليضل عن سبيل الله بغير علم فان المضل هو المقلد المتبوع لا التابع * والتالي الى والعطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الانسان ويلو به ويميله عند الاعراض عن الشيء وهو عبارة عن الكبر والخيلاء والعطف بفتح العين العين العطف والبر (قوله على ان اعراضه عن الهدى التمكن منه) متعلق بقرآءة من قرأ ليضل بفتح الياء فانه لما ورد على هذه القراءة ان يقال المجادل ما كان مهتديا حتى يخرج بالجدال من الهدى الى الضلال اجاب عنه بانه لما كان متمكنا من الاهتداء بان يترك في انصاف من الدلائل والآيات فتركه واعرض عنه واقل على الجدال بالباطل جعل كالتخارج من الهدى الى الضلال وورد ايضا ان يقال ما كان غرضه من الجدال ان يضل عن الهدى او يضل غيره عنه فكيف قيل ليضل فاجاب عنه بان الضلال لما كان عاقبة مترتبة على جداله شبه بالعرض المضلوب منه فادخل عليه لام العلة لذلك (قوله وهو ما اصابه يوم بدر) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الآية نزلت في النصير بن الحارث فانه قتل يوم بدر ومن قال انها لم تنزل في واحد يعينه حل خزي الدنيا على ذم المؤمنين وقهرهم اياهم فان الخزي وهو الهوان والقضيحة لا يزنم ان يكون بالقتل وقوله عذاب الحريق يجوز أن يكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة والاصل العذاب الحريق اي المحرق كالسجيع بمعنى المسجوع وجعله المصنف رحمة الله تعالى عليه من اضافة المسبب الى سببه وجعل الحريق عبارة عن النار (قوله والمبالغة لكثرة العبيد) جواب عما يقال الظاهر ان يقال انه تعالى ليس بظالم للعبيد ليقيدني اصل الظلم وفي كونه مبالغا مفرطا في الظلم لا يفيدني اصله وتقرير الجواب ان المراد في اصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبنى على كثرة العبيد ثم انه تعالى لما وصف حال المظهر بن للشرك المجادلين في عهده بذكر حال المترشحين المذبذبين فقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فقلوه على حرف حال من فاعل يعبد والحرف والناحية والوسط والطرف من صفات الاجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال من يعبد الله تعالى حال كونه على فلق في دينه من غير ثبات وطمأنينة قلب بحال من يكون على طرف من العسكر ونحوه فان احس بظفر وخنقة قروا طمان والاخر (قوله تعالى وان اصابته فتنة انقلب على وجهه) المراد بها هاتما بسبب كرهه الطبع وينقل على النفس كالجلد والمرض وسائر المحن والامساخ ان يجعل مقابلا للخير لانه ايضا فتنة وانحان قال تعالى ويلو كبر السوء والخير فتنة ولم يقل وان اصابه شرع انه هو المقابل للخير لان ما يتفر عنه الطبع ليس شرا في نفسه بل هو سبب القرينة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء (قوله مهراسريا) اي خطيرا كريما (قوله ووضع الظاهر) بالجر عطفا على قوله والفاعلية فان الظاهر ان يكون قوله انقلب مستندا الى ضمير مستتر راجع الى من في قوله تعالى ومن الناس من مثل ضمير قوله تعالى اطمان به فلما جعل خاسر الدنيا مفعولا على انه فاعل انقلب فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر في انقلب تنصيصا على خسران المتقلب (قوله مستعار من ضلال من ابعد في التيه) اي شبه ضلالا

(من)

وقوع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسارته او على انه خير محذوف (ذلك هو الخسران المبين) اذ لا خسر مثله (يدعو من دون الله مالا يضمه ولا ينفعه) بعد جاد الا يضرب بنفسه ولا ينفع (ذلك هو الضلال البعيد) عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا

من عبد من دون الله تعالى ما لا يضره ان لم يعبد، وما لا ينفعه ان عده عن سواء السبيل وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادا او علما بضلال من ابعد في التبديلا فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد فان القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان اثبات البعد له استعارة تخيلية قرينة للاستعارة بالكناية فالظاهر انه شبه العدول عن الحق المشبه بالمسافة الحسية والصراط المسلك فيها حسا بالضلالة عن الصراط المستقيم وشبه التوغل في ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسي فعبر عن التوغل في العدول عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية ثم لا بد مع اعتبار هذه الاستعارة من تقدير مضاف في البعيد اي البعيد مسافته واضافة المسافة الى الضلال لادنى الملازمة فان الضلال واقع في تلك المسافة (قوله لمن ضربه بكونه معبودا) اشارة الى دفع ما يقال كيف نفي النفع والضرر عن الاصنام في قوله تعالى يدعون من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وابتهجها في قوله تعالى ان ضربه اقرب من نفعه وتقدير الدفع ان معنى الآية الاولى ان الكافر لتهامة جهله وحجاقته يعبد جادا لا يضر ولا ينفع بنفسه والضرر المتيقن للآوان في الآية الثانية ليس ضررها بانفسها بل لزم التناقض بل المراد من ضررها كون عبادتها سببا للضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها كقوله تعالى انهن اضلن كثيرا من الناس واضافة الاضلال اليهن من حيث كونهن اسبابا للضلال فكذا ههنا نفي الضرر عنهن اولا بمعنى كونهن فاعلة له واضاف الضرر اليهن في هذه الآية بمعنى كون عبادتهن سببا للضرر وكذا النفع المضاف اليهن ليس نفعها بل هو النفع في زعم العابدين وتوقعهم (قوله والزرع قول مع اعتقاد) جواب عما يقال كيف يكون يدعو معلقا بلام الابتداء وليس هو من افعال القلوب وكذا الزرع والتعلق من خصائص افعال القلوب وفيه اشارة الى جواب آخر عن سؤال التناقض تقرره ان نفي الضرر والافع عن الاصنام حكم من الله تعالى حكمه به على الكافر المنقلب على وجهه انه يدعو ويعبد من دون الله تعالى ما لا يضره ولا ينفعه بنفسه ثم حكى عنه انه يزعم اي يقول ويعتقد يوم القيامة حين استضراره بسبب عبادة الاصنام لمن ضربه اقرب من نفعه لبئس المولى وباختلاف الحاكم يتدفع التناقض فجعله لمن ضربه في حيز مفعول يدعو الا انه علق الفعل بلام الابتداء (قوله اجراء له مجرى يقول) يعني ان المقام مقام حكاية قول الكافر الا انه وضع يدعو موضع يقول ليدل على قول فيه صراح ودعاء فلما كان يدعو الى نفي معنى يقول متعذرا معنى الدعاء والصراح كان الثاني للضرر والنفع عن الاصنام هو الله تعالى والمثبت لهما هو الكافر فاندفع التناقض بهذا الوجد ايضا (قوله او مستأنفة) عطف على قوله واللام معلقة كانه قيل جلة قوله لمن ضربه في محل انصب على انها في حيز مفعول يدعو مستأنفة لاحتلالها من الاعراب فيكون يدعو الثاني تكريرا للاول وتأكيده له فلا معمول له لفظا ولا تقديرا كانه قيل يدعو من دون الله الذي لا يضره ولا ينفعه فعلى هذا يكون قوله ذلك هو الضلال البعيد جلة معترضة بين المؤكد والمؤكد لان فيها تشديدا وتأكيده للكلام ويكون قوله تعالى لمن ضربه كلاما مستأنفا واللام فيه للابتداء ومن موصولة وضربه مبتدأ واقرب خبره والجملة صفة من لبئس جواب قسم مقدر وانقسم المقدر مع جوابه خبر لمبتدأ الذي هو الموصول ثم انه تعالى لما ذكر المشركين المجادلين بالباطل الذين يعبدون الله على حرف وبين ما ل امرهم ذكر المؤمنين المتكئين على الايمان والاعمال الصالحة وبين ثوابهم في الآخرة ثم قال ان الله يفعل ما يريد باهل طاعته من اهل الكرامة واهل معصيته من اهل الهوان والفضيحة (قوله كلام فيه اختصار) فان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا باعلاء كلمته واطهار دينه وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام من كذبه يستدعي كلاما يذكر فيه ان الله ينصر رسوله في الدنيا والآخرة ومنكر ان يترك ذلك حسدا وعداوة ويطمع انه تعالى لا يفعل ذلك ويغفل حتى يكون هذا الكلام ردا له واقناطا وترهيبا وقهرا (قوله وقيل المراد بالنصر الرزق) على ان يكون ضمير ينصره راجعا الى من في قوله تعالى من كان يظن بناء على ان من حق الضمير ان يرجع الى المذكور اذا امكن ذلك ومن ذهب الى انه يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجز ذكره في هذه الآية قال قد ذكر فيها ما يدل عليه الصلاة والسلام وهو ان الايمان لا يتم الا بالله ورسوله فعلى تقدير ان يكون النصر معنى الرزق يكون المعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تتال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فان من لم يرض برزق الله تعالى وليس به صبرا واستسلام لما قسم الله تعالى له فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة - والسبب الحبل والسما قيل المراد بها سقف البيت بناء على ان كل ما عاكك فهو سما

(يدعون لمن ضربه) بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة (اقرب من نفعه) الذي يتوقع بعبدته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام متعلقة بدعو من حيث انه بمعنى يرعى وان عم قول مع اعتقاد او داخل على الجملة الواقعة مفعولا لاجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراح حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكريرا للاول ومن مبتدأ وخبره (لبئس المولى) الناصر (ولبئس العشير) الصاحب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) من اقامة الموحد الصالح وعقاب المشرك لادانته لولا ما نع (من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن (فليمدد بسبب الى السماء ثم لقطع) فليستقص في ازالة غيظه اوجز عدا بان يفعل كل ما يفعله المتلى غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبالا الى السماء بيته فيخشق من قطع اذا اختشق فان اختشق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبالا الى السماء الدنيا ثم لقطع به المسافة حتى يبلغ عناه فيجتهد في دفع نصره او يحصل رزقه وقرا ورش وابوعروا بن عامر لقطع بكسر الهم

وقيل المراد بها سماء الدنيا والمعنى فليعدد الذي يغضه نصر الله تعالى ورسوله أو يحزن حدة قلبه رزقه بحبل الى السماء المظلمة ثم يقطع بالسافط الخ وعن سماء الدنيا الذي يعترض لك من اقطارها ومن في قوله تعالى من كان يظن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة وفليعد ما جزاء الشرط أو خبر للوصول والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهل يذهب في محل النصب على اسقاط الحافض اى في انه هل يذهب (قوله فليصور في نفسه) لمادل ظاهر نطم الآية على ان الامر بانظر بعد الاختناق لا يصح ان يحمل على النظر والتأمل صرف الكلام عن ظاهره وجعل النظر لما مور به عبارة عن ان يتصور انه ان فعل ذلك هل يذهب الذي يغضه من نصر الله تعالى وهو سابق على الاختناق كانه قيل فليأمل انه ان فعل ذلك هل يذهب كيد وما يغضه والفاء في فليتنظر محمول على التراخي الرتبى ثم انه تعالى لما قال وان الله يهدي من يريد اتبعه بيان من يهديه ومن لا يهديه فقال تعالى ان الذين آمنوا والآية وان التائب مع اسمها وخبرها في محل الرفع على انه خبر ان الاولى كما في قولك ان زيدا ان الخير عنده لكثير والصائبون من صبا الرجل عن دينه اذا خرج منه الى دين آخر وهم قوم كانوا يعبدون الجيوم ويعظمونها وقال قتادة هم قوم كانوا يعبدون الملائكة وقال مجاهد هم قبيلة بين اليهود والنصارى قيل كانوا يعبدون اثار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم الهين نور وظلمة (قوله بالحكومة بينهم او الجزاء) يعنى ان المراد بالفصل اما الفصل بالحكم بان هذا محقق وذلك مبطل أو الفصل بالجزاء بان لا يجمع الجميع في موطن واحد بل يجازى كل واحد بما يليق به ويدخله الدار المدة له (قوله يستخر لقدرته ولايتاى عن تديره) لما دخل كثرة الانس ومردة الجن والشياطين وسائر الحيوانات والمجادات في عمومته اى في عموم قوله من في السموات وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا لله تعالى حمل السجود على معنى مجازى يتصور في كل موجود نمكن وهو كونه منقادا مستخرا لقدرته ومشيئته تعالى غير متأبى عن شئ مما يحدث فيه من افعاله وتديره تشبهها لهذا الانقياد والطاعة بالسجود الحقيقى الصادر عن المكلف واطلاقا لاسم السجود المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ثم اشتق من هذا السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة اليه تبعا والمعنى تنقاد له المكونات باسرها (قوله او يدل بذله على عظمة مدبره) عطف على قوله يستخر يعنى ان السجود فى الآية مجاز اما عن السخرية والانقياد او عن الدلالة على عظمة الملك المدبر فان السجود الحقيقى ان يكون على طريق الخضوع واتعظيم فدل للاحالة على العظمة والكبرياء فكذا جميع هذه المذكورات تدل عليهما فتبده دلالتها عليهما بالسجود الحقيقى فاطلق عليهما اسم السجود (قوله وقرى والدواب بالتخفيف) اى بتخفيف الباء مجذوف الباء الاولى كراهة الضعيف او الجمع بين الساكنين (قوله عطف عليها ان جوز الخ) جواب عما قال السجود بمعنى السخرية للقدرة والارادة او بمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام في حق الناس جميعا فاستاده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة وتخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند الى الكثير السجود الحقيقى وذلك يستلزم ان يكون لفظ يسجد مستعلا في المعنيين باللاق واحد وتقرير الجواب ان من جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميده واستاده باعتبار احد مفهوميده اى امر باعتبار مفهوميده الآخر الى امر آخر فلا شك ان المسند الى كثير من الناس هو السجود الحقيقى والى الاحاد الباقية وسائر المذكورات السجود بالمعنى المجزى والسجود بهذا المعنى وان صح استاده الى كثير من الناس ايضا الا ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند اليهم سجد مخصوص مغاير للسجود المستند الى الافراد الباقية ومن لم يجوز ذلك لا يجعل قوله وكثير من الناس معطوفا على ما قبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر او فاعل فعل مضمر وتقدير الآية والله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والتأني بمعنى العادة والطاعة (قوله وان يعطف به) اى ويجوز ان يكون قوله وكثير حق عليه العذاب موصوفا وصفة عطف به على ما قبله ويكون الاعمال في جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام وما ذكر من ان تخصيص الكثير بالذكر يكون لغوا حيث قد فالجواب عنه ان ذكر الكثير ليس لتخصيص الحكم بهم وتنفيذ عاقداهم حتى يكون لغوا باطلا بل المراد بذكره تفصيل الناس الى من هو ساجد بذاته وبظاهرة والى من هو ساجد بذاته فمرد بظاهرة وبيان ان الكل ساجد له تعالى بالمعنى العام (قوله وقرى حق بالضم) فان حق يستعمل لازما

(فليتنظر) فليصور في نفسه (هل يدعى كيد) دعه ذلك وسماء على الاول كيدا لانه متعنى ما يقدر عليه (ما يغبط) غبطه أو انذى يغرضه من نصر الله وقيل نزلت في قوم من المسلمين استبطأوا نصر الله لاستتجالهم وشدة غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزاله) أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدي) ولا أن الله يهدي به أو ثبت على الهدى (من يريد) هدايته أو ثباته أنزله كذلك مينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واطهار الحق منهم من البطل أو الجزاء فيجازى كلاما يليق به ويدخله محل المعدل وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض) يستخر لقدرته ولايتاى عن تديره او يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يتم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرى والدواب بالتخفيف كراهة الضعيف او الجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليهما ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميده واستاده باعتبار احد هما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ محذوف محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو قوله الثواب او فاعل فعل مضمر اى ويسجد له كثير من الناس يسجد طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحققين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بعبده وقرى حق بالضم وحقا باختيار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فساله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرى بالفتح معنى الاكرام (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة

(هذان خصمان) اي فوجان مختصمان ولذلك قال
 (اختصموا) جلا على المعنى ولوعكس جاز والمراد
 بهما المؤمنون والكافرون (في ربهم) في دينه وفي ذاته
 وصفاته وقيل تخصصت اليهود والمؤمنون فقال
 اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبي . قيل نبيكم
 وقال المؤمنون نحن احق بالله انما بحمد ونبيكم وبما
 انزل الله من كتاب واتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به
 حسدا فزالت (فالذين كفروا) فصل لخصو متهم
 وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة
 (قطعت لهم) قدرت على مقادير جشهم وقرئ
 بالتحقيق (ثياب من نار) ثياب تحيط بهم احاطة الثياب
 (يصب من فوق رؤسهم الجحيم) حال من الصغير في لهم
 او خيرتان والجحيم الماء الحار (يصهر به ما في بطونهم
 والجلود) اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثره
 في ظاهرهم فيذاب به احشائهم كايذاب به جلودهم
 والجلية حال من الجحيم او ضميرهم وقرئ بالتشديد
 للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سباط متجددون
 بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقطع به اي يكف بعنف
 (كما ارادوا ان يخرجوا منها) من النار (من غم)
 من غومها بدل من الهاء باعادة الجار (اعيدوا فيها)
 اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد
 الخروج وقيل يضر بهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها
 فيضربون بالمقامع فيهبون فيها (وذوقوا) اي وقيل
 لهم ذوقوا (عذاب الحريق) النار البالغة في الاحراق
 (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
 تجري من تحتها الانهار) غير الاسلوب فيه واستند
 الادخال الى الله تعالى واكديا احاد الحال المؤمنين
 وتعليقنا لتأنيهم (يحلون فيها) من حليت المرأة
 اذ البسها الحلى وقرئ بالتحقيق والمعنى واحد (من
 اساور) صفة مفعل محذوف واساور جمع اسورة
 وهي صمغ سوار (من ذهب) بيان له (ولؤلؤ) عطف
 عليها لاعلى ذهب لانها يعهد السوار منه الان يراد
 المصصة به ونصبه ناعم وعاصم عطفها على محلها
 او اعتبار الناصب مثل ويوتون وروى حفص بهمزة
 وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو بهمزة الاولى وقرئ
 لؤلؤ بقلب الثانية واو او او ليا بقلبها واو او بقلب
 الثانية يا و ليا بقلبها يا و لول كاد (ولله اسمهم
 فيها حري) غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان
 الحري بابهم المعتادة واللمح افعله على هيئة الفواصل
 (وهدا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله
 الذي صدقنا وعدنا وكلمة التوحيد (وهدا الى صراط
 الحميد) الحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة والحق
 اواله الحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام
 (ان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله) لا يريد به
 حالا ولا استقبالا وانما يراد استمرار الصد منهم كقولهم
 فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي

ومتعدا يقال حققت الشيء بمعنى اتيت وحق الشيء اي ثبت ثم انه تعالى بين ان الناس قسمان منهم من يستجيبون منه
 من حق عليه العذاب ولا شك ان طريق التفرقة بين الاختصاص بينهما قد ذكره الله تعالى كيفية
 اختصاصهما فقال هذان خصمان (قوله ولذلك) اي ولكون الخصم صفة لموصوف مفرد اللفظ لجمع المعنى
 كالنوع والتفرقة وكان قوله خصمان في معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكئة صح استناد اختصاصها
 الى ضمير الجمع كما في قوله تعالى وان طشتان من المؤمنین اقتلوا فني قوله هذان اعتبار المعناه ولو عكس جاز كما جاز
 اعتبار المعنى فقط بان قيل هؤلاء خصمان اختصاصا واعتبار المفظان قيل هذان خصمان اختصاصا (قوله
 ثبران تحيط بهم احاطة الثياب) يعني ان قوله تعالى ثياب مستعار للثياب التي يقطعها الله تعالى ويلبسها لهم على
 متاديرحتهم تشبيها بالثياب الملبوسة في احاطة البدن (قوله تعالى يصهر به) اي يذاب يقال صهرت الشيء
 فانصهر اي اذبت فذاب فهو صهر اذ اذاب روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لو سقطت قطرة من الجحيم
 الذي يصب على رؤس اهل النار على جبال الدنيا لاذت بها وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال ان النار تضربهم
 بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وفي الحديث الشريف لو وضعت
 مقمعة منها في الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوها (قوله النار البالغة في الاحراق) إشارة الى ان الحريق بمعنى
 المحرق كالسبع بمعنى السمع والعدول الى صيغة الفعل للدلالة على المبالغة (قوله غير الاسلوب) فانه من تمام
 فصل الخصومة مقابل لقوله تعالى فاذا كفروا قطع لهم ثياب من نار فالاسلوب المناسب له ان يقال والذي آمنوا
 وعملوا الصالحات اعدت لهم جنات (قوله صفة مفعل محذوف) اي يحلون فيها حلها كائنا من اساور
 او لمبوسا كائنا من اساور وفيه بحث لان حليت وحليت مشددا وتحققا بمعنى واحد لا يتعدى شيء منهما الا الى
 مفعل واحد يقال حليت المرأة احليتها حليا وحليت مشددا وتحققا بمعنى واحد لا يتعدى شيء منهما الا الى
 منصوب الا ان يجعل يحلون بمعنى يلبسون والظاهر ان تجعل من ابتدائية متعلقة يحلون (قوله الا ان يراد
 المصصة) على ان يكون المعنى ان الاساور قد تكون متخذة من الذهب وحده ومن اللؤلؤ وحده الا ان اتخذ
 السوار من اللؤلؤ وحده غير معهود وانما يجوز عطفه على ذهب على ان يكون المعنى من اساور منهما بان يرصع
 اللؤلؤ في الذهب وظاهره ان السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده وينضم بعضها الى بعض غاية ما في الباب انه لا يكون
 ذلك معهودا في زمان المفسرين وقرأنا نافع وعاصم ينصب لؤلؤا والياقوت بجره وقد ذكر المصنف رجدة الله عليه وجه
 كل واحد منهما واختلف في رسم هذه المعلقة في الامام فنقل الاسمعي رجدة الله تعالى عليه انها في الامام لولو بغير
 الف بعد الواو ونقل انها ثابتة ايضا في الامام بعد الواو وقرأ حفص عن عاصم لؤلؤ بهمزة ثنتين وروى ابو بكر عند ايضا
 لؤلؤ بقلب الهمزة الثانية واو او قرئ لؤلؤيا واو او او ليا او بالياء آخر او الاصل لؤلؤا بهمزة ثنتين ابدلت كل واحدة منه او او
 فصارت آخر الاسم المتكسر او او قبلها ضمة وهو غير معهود في كلام العرب الا في كذا حوقل فعله فيها ما فعل بادل جمع دلو
 بان قلبت الواو ياء وضمة كسرة وفعل هذا من قرأ ايضا ليا ياءين ثم اتبع الواو الاولى للثانية في القلب وقرئ
 ولول بالجر عطفها على المجرور قبله والاصل لؤلؤ ابدلت الهمزة واو بن ثم اعل اعل اعل اعل بان قلبت ضمة اللام كسرة
 والواو ياء ثم اعل اعل افاض (قوله غير اسلوب الكلام) يعني الظاهر ان يقال لؤلؤا وحريرا بجر المفعولين
 او نصبهما على طريق عطف المفرد على المزدوج لان الله عدل عند الى الجنة الاسمية للدلالة على الدوام والثبت (قوله
 اولها ففلة على هيئة الفواصل) فانه لو قيل وحريرا بالنصب لم تكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق
 والحمد حال الوصف بخلاف ما لو قيل وحرير بالجر فانه لا تنويع محافظة هيئة الفواصل حيث يفتقد هذا التعليل انما
 ينفع ان لو قرئ وحريرا بالنصب دون الجر (قوله وهو الجنة) اي المحمود نفسه الجنة والمحمود عاقبته الحق كانه قيل
 وهدا الى صراط الجنة التي هي المحموده نفسه او الى صراط الحق المحمود عاقبته او الى صراط الله تعالى المستحق
 لذات الحمد ثم انه تعالى لم يفاضل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمه آيت وعظم كفر هؤلاء فقال تعالى
 ان الذين كفروا قيل نزلت في ابي سفيان واصحابه حين صدوه عليه الصلاة والسلام عام الحديبية عن البت فكره
 صلى الله عليه وسلم قتلهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود في العام القابل (قوله ولذلك) اي ولكون قوله
 يصدون لا يقصد به الدلالة على زمان معين من حال او استئصال وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه قيل ان الذين
 كفروا من شأنهم ان يصدوا عن سبيل الله ويثله قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجرهم غير المتناهي عما كانوا
 يصدون عن سبيل الله

حسن عطفه على الماضي (قوله وقيل هو حال من فاعل كفروا) لم يرض به لان الجملة الحالية اذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعاً مثبتاً امتنع دخول الواو عليه قال تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط حال كونك تعد ما تعطيه كثيرا وما ورد منه على قلة كقول بعض العرب قت واصك وجهه * وقول من قال فلما نشبت اظافيرهم * اي اسلختهم * نجوت وارهنهم مالكا * مؤول يحمل الكلام على حذف المبتدأ اي واننا اسك وانارهنهم فلا يحمل عليه الفراء ان العظيم وعلى القولين خبران محذوف لدلالة آخر الآية عليه فظاهر كلام المصنف رحمة الله عليه يدل على ان موضع تقديره بعد قوله عن سبيل الله وتقدير الخبر قيل تمام الاسم بمعلقاته لا يخلو عن بعد وقد قدره صاحب انكشاف بعد قوله تعالى والمسجد الحرام وقيل انه يستلزم النصل بين الصفة والموصوف باجني وهو خبران لان قوله الذي جعلناه صفة للمسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا ان الذين كسروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذي جعلناه للناس فالظاهر ان موضع التقدير بعد قوله تعالى والباد وللزحشري عفا الله تبارك وتعالى عنه ان يجيب عما يتوجه اليه من الاعتراض بان يقول لانسم ان قوله الذي جعلناه صفة للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب بتقدير اعني او مرفوع بتقدير هو (قوله وأوله الخفية بمكة) وقالوا المراد من المسجد الحرام الحرم كله كما في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعده ليلان المسجد الحرام وقد اسرى به من بيت ام هاني واستدلوا على ان اراضي مكة لا تملك بهذه الآية وقالوا انها لو ملكت لما استوى العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المسجد واستدلوا عليه ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام مكة مناخ لما سبق اليها وقال الامام الشافعي رحمة الله عليه يجوز بيع دور مكة واجارتها وقال قوله سواء العاكف فيه والباد المراد به استواء وهما في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه واليه اشار المصنف بقوله وهو مع ضنفه ووجه الضعف انه لا يلزم ان يكون المراد بقوله سواء المساواة في الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز ان يراد به الاستواء في تعظيمه والعبادة فيه بمعنى انه ليس للقيم ان يمنع من العبادة فيه البادي وبالعكس ويؤيد قوله عليه الصلاة والسلام يابني عبد المطلب من ولي منكم من امور الناس شياً فلا ينعن احدا طواف بهذا البيت اوصلي فيه ساعة من ليل او نهار واحتج الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه على من لا يرخص في كراهة دور مكة وبيعها بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فقالوا اضاف الديار الى مالكمها او الى غير مالكمها ويقول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابيه فهو آمن وقال اشترى عمر بن الخطاب دار العجني اترى انه اشتراها من مالكمها او من غير مالكمها قرأ الجمهور وسواء بالرفع وقرأ حفص عن عاصم بالنصب ووجد الرفع كونه خبراً مقدماً والعاكف والبادي مبتدأ مؤخر او اتم واحد والخبر وان كان المبتدأ شتيين لان سواء في الاصل مصدر وصف به والجملة الاسمية في محل النصب على انها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا وقوله تعالى للناس متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلنا اي جعلناه حال كونه معبد للناس سواء العاكف فيه (قوله والا) اي وان لم يكن للناس حالا من العائد جعل مفعولاً ثانياً لجعلناه ويكون جعله سواء العاكف حالاً منه اي من عائد الموصول والوجه في انتصاب سواء كونه مفعولاً ثانياً او حالاً من هاء جعلناه ولأنه هو المفعول الثاني وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر وصف به وهو في حكم اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويافيه العاكف (قوله بما ترك مفعوله) والتقدير ومن يرد فيه مراد اما عادلاً عن القصد ظالمًا بذقه من عذاب اليم وقوله وقرئ بالفتح اي بفتح الياء اي من اتى فيه بالخاد ظالمًا على ان الباء للتعدية (قوله واذا ذكر اذ عيناه وجعلناه مياة) المياة اسم مكان من باء بمعنى رجع واصل التبويع جعل المكان مياة ومقرا ومعناه ههنا جعله لابراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت مياة اي مرجعا يرجع اليه للعبادة والعبارة وعن الزجاج رحمة الله عليه بواً انا له ههنا اي يتنا له ههنا مكان البيت لبنينه ويكون مياة له ولعقبه يرجعون اليه ويحبونه لانه رفع زمان الطوفان فبئنه الله تعالى بان ارسل ريحاً جوجاً فكشفت الاساس القديم الا انه لما كان المقصود من التبيين والتعيين ان يتخذ مقرا ومياة تبعه المصنف رحمة الله تعالى عليه قوله وجعلناه له مياة ولما كان متفولاً من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر ان يقال واذا بواً انا ابراهيم بدون اللام و اشار المصنف رحمة الله عليه بقوله وجعلناه مياة الى ان مكان البيت مفعول به لبواً وان اراد اللام معنى على تصنيفين بواً انا معنى جعلنا ولم يرض المصنف رحمة الله عليه يقول من قال اللام زائدة في المفعول به ومكان البيت ظرف لما تقرر من ان اللام انما تراد اذا تقدم

وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف
دل عليه اخرا الآية اى معذبون (والسجد الحرام)
عطف على اسم الله واوله الخفية بمكة واستشهدوا
بقوله (الذى جعلناه للناس سوءا العاكف فيه والباد)
اى المقيم والطائر على عدم جواز بيع دورها
واجارها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين
اخرجوا من ديارهم وشرأء عرد دار السجى فيها
من غير نكير وسوءا خبر مقدم والجملة مفعول ثان
لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والافعال
من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
والحال والعاكف مر تفع به وقرئ العاكف بالجر
على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مما ترك
مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورد
(بالساد) عدول عن القصد (نظم) بغير حق
وهما حالان مترادفان والثانى بدل من الاول
باعادة الجار وصله له اى لمحاذا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الانام (نذرة من عذاب اليم) جواب لمن
(واذبوأنا لابراهيم مكان البيت) اى وادكر اذ عيناه
وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف
اى واذ انزلناه فيه قبل رفع البيت الى السماء
او انظمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح
ارسلها فكنتس ماحوله فشاء على اسه التديم

المحمول وكان العامل فراوشى* منها غير متحقق ههنا ولا ن مكان البيت ظرف فحقة ان يتعدى الفعل اليه بكلمة في روى ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة الى اعقاب آدم وكانت من ياقوتة حجارة ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام روى انه تعالى لما امر ابراهيم ببناء البيت لم يدراين بيتي فارسل الله تعالى اليه السكينة وهي ريح جوج فتطوت موضع البيت كالجنة فكشفت البيت الى ما حول البيت واظهرت الاساس القديم فيها عليه الصلاة والسلام على اسها القديم والمرتبة الثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان عليه الصلاة والسلام يومئذ رجلا شابا فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فارادت كل قبيلة ان تتولى رفعه ثم توافقوا على ان يحكم بينهم اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقصي بينهم ان يتبعوه في مرط ثم يرفعون جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى عليه الصلاة والسلام فرفعوه اليه فوضع في مكانه وكانوا يدعونه الامين قيل بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة والمرارة الرابعة بناء عبد الله بن الزبير والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم (قولنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا) جواب عما يقال كيف يكون انتهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسير التوبة وليس فيه معنى القول وتقرير الجواب ان فيه معنى القول من حيث انه لا يقصد الامن اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا لا تشرك في شئ والتعبد فيه معنى القول لان تعبد الشخص عبارة عن تصديره كالعبد لفي التكليف بالامر والنهي فكانه قيل كائنا ابراهيم ان لا تشرك في شئ الخ (قولنا ومصدرية) ولا يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة لان صلة المخففة لا تكون امر او انهي ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجاما وكذا صلة المصدرية على الاشهر واجاز سبويه رجة الله عليه ان يكون صلة المصدرية ذلك نحو امرته ان افرأ امرته ان قم اي بان قم على معنى القيام فالمصدرية التي تنصب المضارع توصل بالفعل الماضي والمضارع والامر والنهي عنده فكلما ان في الآية الكريمة يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالنهي بحرورة المحل بلام علة مقدره متعلقة بمحذوف والمعنى فكلنا ذلك لئلا تشرك كما كان قولك امرته ان قم بمعنى امرته بان يقوم الان الظاهر على هذا الوجه ان يقال ان لا يشرك بيه الغيبة وقد قرئ به ووجه قرأة العامة بالياء ان يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب فظهر بما ذكرنا انه يجوز ان تكون كلمة ان في الآية مصدرية ناصبة مع كون لا تشرك مجزوما بلا الناهية وكان المعنى بوا نا له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لى شريكا في العبادة (قولنا ولعله عبر عن الصلاة بارتكائها) وهي القيام والقرأة والركوع والسجود واختار ان القائمين هم المصلون لان المصلي لابد ان يكون في صلاته جامع بين القيام والركوع والسجود وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد بالقائمين المقيمين بالبيت فيكون المراد بالطائفتين من يطوف به وهو آفاق غير مقيم هناك (قولنا وقرئ آذن) اي بالمد والتخفيف الذال بمعنى اعلم وي بعده قوله في الناس اذ كان ينبغي حيث ان يقال آذن الناس بدون في لانه يتعدى بنفسه وذهب اكثر المفسرين الى ان المأمور بالنداء هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا انه عليه الصلاة والسلام لمسافر من بناء البيت قال له الله تعالى اذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتي قال الله تعالى عليك الاذان وعلى البلاغ فصعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الصفا وفي رواية على جبل ابى قبيس وفي اخرى على المقام فارفع حتى صار كطول الجبال فادخل اصبعه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس الا ان ربكم قد بينى لكم بيتا وكتب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم وجوابه الحرام لئليكم به الجنة ويحرمكم من النار فسمعهم اهل ما بين السماء والارض فابق شئ سمع صوته الا اقبل يلى ويقول ليك اللهم ليك فقيل اول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد رضى الله تعالى عنه من اجاب مرة جميع مرة ومن اجاب مرتين حج مرتين او اكثر على وفق ذلك المقدار (قولنا تعالى رجالا) نصب على الحال وعلى كل ضمير عطف عليها كما انه قيل رجالا وركبانا والضمير الهزال يقال ضمير ضمير ظهورا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج راكب بكل خطوة تخطوها راحلة سبعين حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها ستمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال صلى الله عليه وسلم الحسنة بمائة الف حسنة قال مجاهد رضى الله عنه حج ابراهيم واسماعيل ماشين وكانا اذا قربا من الحرم خلعنا العمامة

ان لا تشرك في شئ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) ان مفسرة لبوا نا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التوبة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة بارتكائها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك وكيف وقد احتجعت وقرئ يشرك بالياء (واذن في الناس) نادفهم وقرئ آذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعدا باقبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمع الله من في اصلا ب الرجال وراحام النساء فيما بين المشرق والمغرب من سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع (ياتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كجبال (وعلى كل ضامر) اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبد بعبد البفر فنهزله

والكاف في أتوك ضمير ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان من أتى الى الكعبة حاجا ناله قد أتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه يجيب نداءه وتكون بائين صير كل ضامر لانه في معنى الجمع اذا المعنى على ضوامر من جماعة الابل (قوله او استئاف) عطف على قوله صفة لضمائر لما قال اولا واذن في الناس بالحق يا أتوك رجالا استأف فقال يا تين من كل فج عقيق وقوله تعالى يشهدوا ويحزون ان يتعلق بقوله واذن وان يتعلق بقوله يا أتوك رجالا واختلفوا في المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهو ان يجزوا في ايام الحج وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهو العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو الاول (قوله وقيل كنى بالذكور عن النحر) لكون الذكر من لوازم نحر المسلمين وهو معطوف على ما قبله من حيث المعنى فانه اختار ان قوله ويذكروا اسم الله لم يذكر ليتقل منه الى المروم وانما ذكر ليدل على ايجاب الذكر عند اعداد الهدايا والضمائم وحمل الذكر على التسمية على الذبايح مع ان غير ذبيحة الحقة يكثر فيها ذكر الله تعالى بالنسبة والتكبير لانه ذكر عبده على ما رزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام هو التسمية على نحرها قال الحسن رضي الله تعالى عنه وفائدة ومجاهد الايام المعلومات هي ايام العشر من ذبيحة قتل لها معلومات للخص على علمها بحسبها لكون الحج في آخرها والايام المعدودات هي ايام التشريق وهو اختيار الامام الشافعي رضي الله عنه وابي حنيفة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في رواية عنه ان الايام المعلومات هي ايام الحج وهي يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل هي ايام النحر وهو قول ابى يوسف ومحمد رضي الله عنهما تصريحا بما ذكر بعده وهو قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام واذكر على الانعام يدل على التسمية على الذبايح والجواب عن هذا ان قال الاول ان اليوم العاشر منها من ايام النحر وهو افضلها وكذا في المطلق الفرية فلا تقتضي الاستغراق والبهيمة اسم لكل ذات اربع في البر والبحر فهذه الانعام هي الابل والبقر والضأن والمزlan الهدي والذبيحة لا يكونان من غيرها (قوله واذا حلة لما عليه اهل الجاهلية) فانهم ما كانوا يأكلون من ذبايحهم ترفا على الفقراء فاعلم الله تعالى ان ذلك جار ان شاء اكل وان شاء لم يأكل وقيل امر نبي لمافيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقراء واستعمال التواضع والبأس الشديد الفقر والفقر المحتاج الذي ليس له غنى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البأس الذي طهره بأسه في ثيابه وفي وجهه والفقر الذي لا يكون كذلك بل تكون ثيابه تقيه ووجهه وجه غنى واتفق العلماء على ان الهدي ان كان تطوعا كان للمهدي ان يأكل منه وكذلك اخصية التطوع اسروى انه عليه الصلاة والسلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة ففخر منها ثلاثا وستين بدنة بنفسه ونحر على رضي الله عنه ما بقي ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ بضعة من كل بدنة فيجعل في قدر ففعل ذلك وطبخ فأكل من لحمها وحساء فهاو كان هدي تطوع واختلفوا في الهدي الواجب مثل دم التمتع والقرآن والتذوق والكفارات والدماء الواقعة جبر النقصان والذي وجب بانسداد الحج وفواته وحزنا اصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل شيئا منها فذهب قوم الى انه لا يجوز للمهدي ان يأكل شيئا منها ومنهم الامام الشافعي رحمه الله عليه وذهب الاثمة الحنفية الى ان يأكل من دم التمتع واقران لكونهم سادم النكر لادم الحنانية ولا يأكل من واجب سواهما (قوله لم يلوا وسخهم) يريد ان انثى هو الوسخ يقال للرجل ما انتفك وما ادرك اي ما وسخ وان قضاءه ازالته واذا هابه فان الحاج اشعث اعبرو كل ما يستقذر من الشعث من صول الشعر والظفر ونحوهما فتفتر بل جميع ذلك عند مبدأ الاحلال والخروج من الاحرام فيخلق رأسه ويقص شاربه ويقلم اظفاره ويتف ابطه وشلق عاتقه ويدهن رأسه والمراد بنذوره من افعال البر في الحج فانه اذا حج او اعتمر فقد اوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لو لا ايجابه لم يكن الحج بقضيه وقيل المراد بها ما اوجبه الدخول في الاحرام من انواع المناسك التي تجب بالدخول في الحج وسميت نذورا تشيها للابحاج بطريق الفعل بالابحاج قولاً وان كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل ان يصدق بها على اهل مكة (قوله طواف الركن) اعلم ان طواف الحج ثلاثة الاول طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يمر لثلاثاً من الحجر الأسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لاشيء على تاركه والثاني طواف الافاضة يوم النحر بعد ارمي والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لا يحصل التحلل من الاحرام ما لم يأت به وعن عائشة رضي الله عنها

(بائين) صفة لضمائر محمولة على معناه او استئاف فيكون الضمير للناس وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عقيق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيد المعنى والمعنى بمعنى (لبشدها) ليحضرها (منافع لهم) دينية ودنيوية وتكبرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضمائم وذكورها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبيحة المسلمين لا ينفك عنها تبيينها على انه المقصود بما تقرب به الى الله (في ايام معلومات) هي عشر ذبيحة الحقة وقيل ايام النحر (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) علق الفعل بالمرزوق ويند بالبهيمة تحريضا على التقرب وتبنيها على مقتضى الذكر (فكلوا منها) من لحومها من ذلك اباحة واذا حلة لما عليه اهل الجاهلية من الترحم فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في التطوع به دون الواجب (وأطعموا البأس) الذي اصابه به بؤس اي شدة (الفقر) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول (ثم ليقتضوا منهم) ثم ليربلوا وسخهم نقص الشارب والاظفار وتنق الابط والاستعداد عند الاحلال (ويوفوا نذورهم) ما يندرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر يفتح الواو وتشديد الفاء (وايطوفوا) طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبت العتيق) القديم لانه اول بت وضع للناس والمعنى من تسلط الجارية فكلم من جبار سار البس ليهدهم فتعبد الله واما الحجاج فاما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه

قالت حاضرت حفصة يوم النفر فقالت ما اراني الا حابستكم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اطاف
 يوم النفر قيل نعم فقال فانفروا فثبت بهذا انها لم تقطف يوم النفر طواف الافاضة فلا يجوز لها ان تنفر والطواف
 الثالث لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً في تركه فليعد دم
 المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع ثم ان الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة
 والوداع (قوله اي الامر ذلك) اي الذي ذكر من قوله تعالى واذبوا أنالا براهم مكان البيت الى قوله
 تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فان هذه الآيات مشتملة على الاحكام المأمور بها وانتهى عنها (قوله احكامه) اي
 احكام الله تعالى المتعلقة بافعال المكلفين بالايجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لا يحل هتكه من نحو
 البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والاحرام والهتك خرق الستوراء والحرمه بهذا المعنى تعم جميع
 ما لا يحل هتكه وقد تخصص بالحرم وجميع التكليف المتعلقة بالحج وقد تخصص بالحرمة الخمس التي من جعلتها
 الحرم حتى يحل والحرمه بهذا المعنى وان كانت اخص من الحرمه بالمعنى الاول لانها اعم من الحرمه بالمعنى
 الثالث وهو ما ليس من قبيل التكليف المذكورة (قوله عند ربه) يدل على الثواب المؤخر لانه لا يقال عند ربه
 فيما حصل من الخيرات (قوله الا تلتوا عليكم تحريمه) اشارة الى ان ماموصولة وان ما يستداليه يتلى محذوف
 وان الاستثناء متصل لكون المستثنى منه عبارة عما حرم من الانعام ولا شك في دخوله في المستثنى منه قبل
 الاستثناء قال الله تعالى في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخفة
 والموقوفة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكركم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام
 وقال تعالى في اولها احلت لكم بهيمة الانعام الا ما تلي عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم اولها جازان يذهب الوهم
 الى ان الاحرام اذا حرم الصيد المباح قتله فانه يحرم الانعام ايضا بين الله تعالى ان الاحرام لا يحرم الانعام فهي
 محالة للمحرم كما تحل لغيره ثم استثنى منه ما حرم لعارض وفرغ الامر باجتناب الاوثان وقول الزور على
 قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله مع كون الاجتناب عنهما داخلا في تعظيم حرمة الله عليه على ان التوحيد
 وصدق القول من اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور في سلك واحد لان الشرك من باب الزور بل هو رأس
 الزور فان المشرك يزعم ان الوثن يحق له العبادة وكان اهل الجاهلية يقولون في تليتهم ليك لا لشريك لك
 الا شريكاً لك تملكه ومالكه فكانه قيل فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور وكذا
 ولا تقربوا شيئاً من فمظانك بشئ من قبيل عبادة الاوثان و اشار المصنف رحمة الله تعالى عليه الى وجود ارتباط
 قوله تعالى واحلت لكم الانعام وقوله فاجتنبوا الى قول الزور بقوله كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه
 قوله واحلت لكم الانعام ردالما كانت الكفرة عليه من تحريم الجائر والسوائب واتبعه بقوله ايضا فاجتنبوا
 الرجس من الاوثان واتبعه بقوله تعالى واجتنبوا قول الزور ردالافترائهم على الله تعالى بانه حكم بذلك (قوله
 وقيل شهادة الزور) عطف على قوله تعميم بعد تخصيص فانه يدل على ان المراد بالقول الزور ما يعم كل قول منحرف
 مصروف عن الواقع سواء كان من قبيل الشهادة او لا روى انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قائماً
 واستقبل بوجهه الكريم وقال الزور الا شريك بالله ثلاث مرات وتلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية (قوله
 طوح به) اي جعله تأهباً يرمى به ههنا وههنا الجوهري طوحه اي توهه وذهب به ههنا وههنا وطوح في البلاد اي
 رمى بنفسه ههنا وههنا قوله ويجوز ان يكون من التشبيهات) عطف على ما قبله من حيث المعنى فان معنى
 ما ذكره اولاً يدل على انه من قبيل التشبيه الفرق حيث اشار الى ان كل واحد من طرفي التشبيه والمشببه
 امر متعدد شبيه كل واحد مما في طرف المشبه بكل واحد مما في طرف المشبه به فالذي في طرف المشبه
 هو الايمان والشرك والاهواء والشیطان والذي في طرف المشبه به السماء والساقط من السماء والطير
 المختلطة والريح شبيه الايمان في علوه بالسماء وشبه الشرك التمكن من الاعيان والتقدير عليه بقطره الاصلية
 بالذي صعد الى السماء وسط منها وشبه الاهواء التي فوق افكاره بالطير المختلطة وشبه الشيطان الذي توهه
 في اودية الضلالة بالريح التي تهب في بعض الهوامي المتلفة ثم جوز ان يكون من التشبيهات الركبة
 ومعنى كون التشبيه مركباً ان يقصد الى عدة اشياء مختلفة فيترزع منها هيئة متزعة ويجعلها مشبهاً او مشبهاً
 ولهذا صرح صاحب المفتاح في تشبيه المركب بالركب بان كلا من المشبه والمشببه هيئة متزعة فمما في الآية

(ذلك) خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله
 يطلق للفصل بين كلامين (ومن يعظم حرمات الله)
 احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق
 بالحج من التكليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام
 والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرّم (فهو خبره)
 فالتعظيم خبره (عند ربه) نواب (واحلت لكم الانعام
 الا ما تلي عليكم) الا تلتوا عليكم تحريمه وهو ما حرم
 منها العارض كالبيت وما اهل به لغير الله فلا تحرموا
 منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبوا
 الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس الذي هو
 الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غايبة الباطنة في النهي
 عن تعظيمها والتشريع عن عبادتها (واجتنبوا قول الزور)
 تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور
 كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردالما كانت
 الكفرة عليه من تحريم الجائر والسوائب وتعظيم
 الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة
 الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور
 الا شريك بالله ثلاثاً وتلا هذه الآية وان زور من الزور
 وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف
 فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع (حفظ الله)
 مخلصين له (غير مشركين به) وهما حالان من الواو
 (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) لانه سقط
 من أوج الايمان الى حضيض الكفر (فحطفته
 الطير) فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرأ نافع
 بفتح الحاء وتشديد الطاء (او تهبى به الريح في مكان
 سحيق) بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة
 وأو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتشويع
 فان من المشركين من لا خلاص له اصلاً ومنهم
 من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز
 ان يكون من التشبيهات الركبة فيكون المعنى ومن يشرك
 بالله فقد هلك تشبهه هلاً كما يشبه احد الهالكين

ان كان من قيل التشبيه المركب بان جعل المشبه المشرك بالله تعالى والمشبه به من خرم من السماء فقد
 ذلك اختطقه الطير وعصفت به الريح في مكان صحيح فكلاهما في التشبيه مركبان اما المشبه به فظاهر واما
 المشبه فلان المشرك من ترك الايمان بالله تعالى واشرك به فان قلت ينبغي ان تكون السماء والطير والريح
 استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه به قلت فقد دخلت اداة التشبيه في مجموع قوله خرم من السماء والاستعارة
 انما تكون اذا كان الكلام نغاليا عن اداة التشبيه (قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله) اي الامر والثان
 ما ذكر من ان تعظيم حرمات الله تعالى خير وان الاجتناب عما ذكر من الاشراك وقول الزور امر جسيم لا يختص عنه
 واعراب ذلك هنا كاعراب ذلك المتقدم والشعائر جمع شعيرة وهي السلامة من الاشعار وهو الاعلام والشعور
 العلم واختلف في شعائر الله قال بعضهم يدخل فيه كل عبادة تقرب بها الى الله تعالى كصيام ودية وذبيحة
 وطواف ورمى لان كل ذلك من اعلام دينه تعالى ويؤكد هذا القول قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
 بن التبعيض وقيل المراد به العبادة المتعلقة بالحج ومواضع نسكه فان كل ذلك اعلام الحج وقيل المراد به
 الهدى خاصة وتسمى الدين شعيرة من حيث انها تشعير بان تطلع في سنامها من الجانب الايمن والايسر حتى
 يسيل الدم فيعلم انها هدى فلا تعرض لها احد فهي من جملة معالم الحج بل من اظهرها واشهرها علامة وهذا
 القول اوفق لظاهر قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فان ظاهرها يدل على ان
 للمهدي ان ينتفع بهديه الى وقت الحرج بان يركبها اذا احتاج اليها ويشرب لبنها و يأخذورها وان امكن ان يكون
 المعنى لكم فيها منافع الى اجل ينقطع التكليف عنده والبرة الحلقة التي تكون في انف البعير والتجيسة الناقة
 الكريمة روى ان عمر رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيع تلك التجيسة ويشترى بشها
 بدنة فنها عن ذلك فقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدنة بحملة بالقبايطي اي بالثياب القطيعة وهي ثياب ينض
 رفاق من كنان تجلب من مصر فيصدق بحلالها والقطا اهل مصر (قوله فحذفت هذه المضافات والعائد
 الى من) هذه العبارة تقتضي ان يكون التقدير فان تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب زيادة كلمة منه ولم
 اجد تلك فيما عتدى من النسخ ولعلها سقطت من النسخين الا لا بد منها لئلا على ان الجملة الجزائية لا بد من استعمالها
 على ماير بطها باسم الشرط وقيل عموم ذوى تقوى القلوب يعني غناء الضمير فهو المراد بقوله والعائد الى من غاية
 ما في الباب انه تعرض لحذف هذه العبارة مع دخوله في جملة المضافات المحذوفة للتشبيه على انه احتاج الى تقديره
 لقائدين اجدهما فائدة الربط والاخرى فائدة تعيين اصحاب الافعال فان المقام يقتضي تقدير كل واحد من
 المضافات القدرية مع قطع النظر عن فائدة الربط اما الحاجة الى تقدير التعظيم المضاف الى ضمير الشعائر فلان
 المقصود من ايجاد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر والتجربة على. واما الحاجة الى تقدير المضافين
 الاخيرين فلان المعنى ان تعظيمها بعض افعال ذوى التقوى فان التقوى في عرف الشرع عبارة عن التوقى عن
 كل ما يؤثم من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات ومن لم يتوقى عن شيء منها لا يكون متقيا فضرورة ان الكل
 ينتفى بالبقاء الجزء اى جزء كان وليس المعنى ان تعظيمها صادر وناسى من تقوى القلوب حتى رد ما يقال وما ذكر
 من تقدير المضافات انما يحتاج اليه على تقدير ان تحمل كلمة من على التبعيض فانها ان جعلت للابتداء لم ينتج
 الى تقدير الالفاظ المذكورة اذ المعنى فان تعظيمها ناسى من تقوى القلوب اى من تقوى قلوبهم على ان اللام يدل
 من المضاف اليه على ما ذهب اليه الكوفيون فلما كان الالف واللام بدلا من الضمير حصل الربط وتم المعنى (قوله
 لكم فيها) اي في الشعائر التي هي الهدايا المشعة لتعرف انها هدى منافع دينية الى ان يحرج عند الامام الشافعي
 رجة الله تعالى عليه فانه يجوز للمهدي ان ينتفع بلبن الهدى وصوفه ووبره وركوب ظهريه الى ان يحرجه وذهب
 اكثر المفسرين الى ان المهدي انما يجوز له ذلك قبل ان يسميها هديا ويقلدها فاذا اجتمعا هديا انقطعت المنافع بعد
 ذلك وهو قوله تعالى الى اجل مسمى فان المهدي لو ملك منافع الهدى لجوز له ان يوجرها للركوب وليس له ذلك
 اتفاقا وفيه ان مولد ام الولد يملك الانتفاع بها وليس له ان يبيعها فلم يجوز ان يكون الهدى كذلك لا يملك المهدي
 بيعه واجارته وملك ان ينتفع به (قوله ثم وقت محرما متجهة الى البيت) اشاره الى ان الحل اسم زمان يتقدر
 المضاف بمعنى وقت محرما اى وقت حلول محرما ووجوبه لان الحل مشتق من حل الدين اذا وجب وحلها معطوف
 على قوله منافع والى ان قوله تعالى الى البيت حال من ضمير فيها والعامل في الحال الاستقرار الذي تعلق به كذا في

(ذلك ومن يعظم شعائر الله) دين الله اوفر انص الحج
 وواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو
 اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختار حسانا سمنا
 غالية الاثمان زوى انه عليه الصلاة والسلام اهدى
 مائة بدنة فيها اجل لاني جهل في انقذ برة من ذهب
 وان عمر رضى الله عنه اهدى نجينة طلبت منه
 ثلاثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها
 من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
 والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى
 والتجربة والامرة بهما (لكم فيها منافع الى اجل
 مسمى) ثم محلها الى البيت العتيق اى لكم فيها منافع
 ذرها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان يحرج ثم وقت
 محرما متجهة الى البيت اى ما يليه من الحرم

وتم يختل التزاحي في الوقت والتزاحي في الزمة اى لكم فيها منافع دينية الى وقت النحر وبعدة منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها والمراد على الاول لكم فيها منافع دينية تتفعون بها الى اجل سمي هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور والجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل امة) ولكل اهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا او قريبا يتقربون به الى الله وقرأ حزة والكافي بالكسر اى موضع نك (ليذكروا اسم الله) دون غيره ويجمعوا نسيكتهم لوجهه على الجعل به تنبيهها على ان المقصود من المناسك تذكر العبود (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعا (فالهكم اله واحد فله اسما) اخلصوا القرب اوالذكر ولا تشوبوه بالاشراك (وبشر الخبت) المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها (والصابرين على ما اصابهم) من المكلف والمضطرب (والمقيمين الصلاة) في اوقاتها وقرئ المقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) في وجوه الخير (والبدن) جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك واتصافه بفعل بفسره (جعلناها لكم) ومن رفع جعله مبتدأ (من شعائر الله) من اعلام دينه التي شرعها الله (لكم فيها خير) منافع دينية ودينية (فاذكروا اسم الله عليها) بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صفن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافيا ببدال التثنية من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الباء مطلقا كقولهم أعط القوس باربها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت

والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهي وقت نحرها حال كونها منتهية الى البيت العتيق اى الى الحرم الذي في حكم البيت فان المراد به الحرم كذا في قوله تعالى فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اذا الحرم في حكم البيت كله فان البيت وما حوله من مكة تنزه عن اراقته دم الهدايا وجعل مني نحرها ولا شك ان الفائدة التي هي اعظم المنافع الدينية في شعائرها نحرها خالصا لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فان وقت الفعل اذا كان فائدته جليلة فاطنك بنفس الفعل (قوله ودعوا على الاولين) اى قوله تعالى لكم فيها منافع الآية على ان يكون المراد بشعائر الله جيع ما يتقرب به الى الله تعالى من معالم الدين وعلى ان يراد به قرآن الحج ومواضع النك المعلة بعلامات يستدل بها على الاعمال الواقعة فيها (قوله متعبدا او قربانا) مصدران بمعنى التعبد والتقرب اى جعلنا لكل امة نوعا اى ضربا من التعبد والتقرب والمراد به اراقته الدماء لوجه الله تعالى والمعنى شرعنا لكل امة مؤنة ان يسكوا لله تعالى يقال تسك تسك نسكا ونسوكا ومنسكة ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان وقرئ بكسر السين وهما التثنية في المصدر والفتح اكثر فريد ويجوز ان يكون بالكسر موضع النك او وقت (قوله اوفيه تنبيه) اى وفي تبين البهية باضافتها الى الانعام تنبيه على ان البهائم التي ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين (قوله فان الاخبات صفتهم) علة لتفسير الخبتين باحد التفسيرين يعنى ان الخبت هو الموضع المطمئن من الارض وحقيقة الخبت من صار في خبت من الارض تقول اخبت الرجل اذا صار في الخبت ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية عنها (قوله وقرئ المقيمين الصلاة) باثبات النون ونصب الصلاة على الاصل فان الاصل في جمع اسماء الفاعلين ثبوت النون ونصب مفعولها وسقوط النون حال اضافتها الى مفعولها لا يثار الخفة الا ان قراءة العامة اسقاط نون المقيمين باضافتها اليها وقرئ بخذف النون ونصب الصلاة يجعل النون مقدرة وكون حذفها المحرر التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلاة وجرا هذا الصلاة مع الوصول للموجب من اضافة ونحوها كما حذفها الشاعر في قوله

الحافلون عذرة العشر فلا * بآمينهم من وراآتهم نطف

اى تلتطخ عيب والعامية على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب لتقدم جلة فعالية على جلة الاشتغال ونسكين الدال وقرئ بضمها ايضا واختار المصنف رجة الله تعالى عليه ان الضم هو الاصل وان التثنية تخفيف من المضوم ويحتمل ان يكون السكون ايضا اصلا على ان يكون البدن جمع بادن كاذل والبدنة اسم يقع على الابل والبقرة عن دابة حنيفة واصحابه رضى الله عنهم لاختلافها على البدانة وقيل البدنة في اللغة اسم للابل خاصة وانما صارت في الشريعة مثاولة للابل والبقرة لانه عليه الصلاة والسلام ألحق البقر بالابل في الاجزاء عن سبعة فلما اخذت البقر حكم الابل اطلق اسم البدنة عليها في الشريعة لانه لا يكون الاقح حنيفة لغوية في كل واحد من الجنسين والمصنف رجة الله تعالى جعل قوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة دليلا على ان اسم البدنة مختص بالابل ويدل عليه الآية ايضا وقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فان هذا الوصف مختص بالابل لان البقر يضيغ ويذبح كالنعم والتي تحرق فاعذ هي الابل (قوله ومن رفع) اى وقرئ البدن مرفوعا على الابتداء فتكون الجملة التي بعدها في محل الرفع على الخبرية وقوله تعالى من شعائر الله في محل النصب على انه مفعول ثان للجعل بمعنى التصيير واضيف الشعائر الى اسم الله تعالى تعظيما لها كيت الله وقوله تعالى لكم فيها خير حال من مفعول جعلناها (قوله اللهم منك واليك) اى عطاء منك وتقرب بها اليك وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها قيل فيه حذف اى اذكروا اسم الله على نحرها وذبحها (قوله قائمات) يعنى ان قوله صواف كناية عن كونها قائمات لان قيام الابل يستلزم ان تصف ايديها وارجلها (قوله وقرئ صوافن) الصوافن انما يستعمل في الخيل لقوله تعالى الصافات الجياد فيكون استعمالها في الابل استعارة (قوله وصوافيا) بالتثنية اصلا صوافيا بالالف فلما وقعت عليه قلت صوافيا وقد تحذف تلك الالف ويعوض عنها التثنية كما في قوله اقل اللوم عاذل والعتابين * اصلا والعتاب وهذا التثنية يسمى تثنية التزم وصواف بالكسر والتثنية اصلا صوافي فاسكنت الباء على لغة من يسكن الباء مطلقا حذف اكفاء بالكسرة مع نقل الجمع ثم عوض التثنية عنها كما في جوار رفعا وجرا (قوله سقطت على الارض) يقال وجب الحائط يجب وجبة اذا سقط والمعنى اذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام وقدم

ان هذه التوسعة تختص بهدى التطوع والشكر دون الجناية والكفارة والقانع الذي يفتن بما تيسر ويجلس في بيت ولا يسأل من القناعة والمعتر الذي يعترى ويسأل وقيل كلاهما الذي لا يسأل والقانع الذي يرضى بما عنده من الشيء اليسير ولا يسأل والمعتر الذي يعترض لك او بأنيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسأل (قوله او السائل) عطف على قوله الراضى بما عنده وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال القانع السائل الذي يسأل ومصدره فتوح من باب فتح قال الشاعر

العبد حر ان فتح * والحر عبد ان فتح
فاتق ولا تفتح فما * شيء يستين سوى الطمع

(قوله قرئ القنع) اي بغير الالف قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه القنع هو الراضى لا غير يعني ان القنع هو الراضى بما عنده من القناعة لا من الفتوح بخلاف القانع فانه مشترك بين المعين والكاف في قوله تعالى كذلك ضفة مصدر محذوف اي سخرنا لكم مع عظمها وقدرتها وقوتها تسخيرا مثل ما وصفنا من حالها وقت النحر من كونها صواف او صوافنا بمعنى من الله تعالى على عبادته بذلك التسخير وطلب التكرنهم عليه حيث قال لعلمكم تشكرون ثم لما بين الله تعالى ان البدن المشعة والمقلدة من جلة شعائر الدين وامر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالاكل منها واطعامها بين المنعتر في نحرها ليس محذورا فاما طاعة طوعها بل المعبر ما يجب ذلك من التقوى التي تدعو الى تعظيم الله تعالى والتعرب اليه والاخلاص له فقد قال تعالى ان ينال الله خلوها ولا دماؤها الآية وهذا وجد انتظام الآية بما قبلها وقيل في وجد انتظامها كان اهل الجاهلية الخ (قوله وقيل هو التكبير الخ) وقيل المراد بالتكبير هنا الشكر على ما انعم الله تعالى عليهم من الهداية لدينه ومعالم حبه ونسكه والمعنى لشكر الله بان تكبروا وتعالوا عند الاحلال والادب فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعدي به على وختم الله تعالى افعال الحج بقوله وبشر المحسنين وهم الذين يعبدون الله تعالى كأنهم برونه ويتغنون بذلك فضله ورضوانه لا يحلمهم على ما يأتونه ويذرونه الا هذا الانشاء وامارة ذلك ان لا يستقل ولا يتبرم بشيء بمافعله وتركه والفصوص منه الحث والتحريض على استحباب معنى الاحسان في جميع افعال الحج ونحوه (قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين آمنوا) متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسيح الحرام لما وعد الكفرة الذين يصدون عن الجهاد والجمرة والمسجد الحرام وفرع عليه بيان اعمال الحج ومتاسكه ومافيه من منافع الدنيا والآخرة انتقل ايضا الى ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدونهم عن طاعة الله تعالى فقال وبشر المؤمنين باعلائهم على الكفرة واخباره يدفع عنهم غائلة المشركين وعلل ذلك بان الكفار خوانون في امانة الله تعالى حيث اهلكوا انفسهم بانهم كفروا بالله ورسوله فاي خيانة الله اعظم منه فان ذكر غير اسم الله تعالى والتعرب الى الاصنام بذنبة لا يكون الا كفر الله فكيف ينصرهم او يتركهم على ما كانوا عليه من اذى المؤمنين ومن قرأ ان الله يدفع ولولا دفاع الله اناس اختار صيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة في الدفع كما يبلغ من يغالب فيه لان فعل الغالب يكون اقوى وابلغ وقوله تعالى اذن للذين اشد ره الى ان قتال الكفار بغير اذن الله تعالى لا يجوز ولم يذم لما وكن موسى عليه الصلاة والسلام القبطي الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لانه عليه الصلاة والسلام ما كان ماؤنا من الله تعالى في ذلك والباء في قوله تعالى بانهم ظلموا متعلقة بقوله اذن لما بين انهم انما اذنوا في القتال لانهم ظلموا فصر ذلك الظلم بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اي اخرجوا بغير موجب استحقاق الخروج به فالحق مصدر قولك حق الشيء يحق بالكسر اي وجب واستحققت له اي استوجبه وانشاء الوجوب لما كان بانتفاء الموجب قال المصنف رحمة الله تعالى عليه بغير موجب (قوله في نيف وسعين) النيف الزيادة يخفف ويشتد يقال عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني قيل نسخت هذه الآية سبعين آية امر عليه الصلاة والسلام فيها بالصبر والصبر الصبر لانها اول آية نزلت في الاذن بالقتال وقوله تعالى الذين اخرجوا في موضع الجر على انه بدل اوصفة لقوله تعالى اذن يقتالون ويجوز ان يكون في موضع النصب على المدح وفي موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف (قوله وقيل منقطع) والمعنى لكن قولهم ربنا الله وحده وهذا يوجب تعظيمهم وتقديرهم في ديارهم دون الاخراج والتغبر فان الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن

(فكلاوا منها وأطعموا القانع) الراعي بما عنده ويما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من فتحت اليه فتوحا اذا خضعت له في السؤال (والمعتر) المعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قايما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذونها متفاداة فتعلقونها وتحبسونها صافة قواهم بها ثم تضعون في لباها (لعلمكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتعرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (خلوها) اي المتصدق بها (ولادماؤها) المهرقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منك) ولكن يصيبه ما يحبسه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله واتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذ اذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربا الى الله فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرره تكبرا للنعمة وتعليلاه بقوله (تسكبوا الله) اي لتعرفوا عظمتها باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحده بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال والادب (على ما هداكم) ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التعرب بها وما يحتمل المصدرية واخرية وعلى متعلقة بتكبر والضمه معنى الشكر (وبشر المحسنين) المحصلين فيما يأتونه ويذرونه (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدفع اي يبالغ في الدفع بمبالغة من يغالب فيه (ان الله لا يحب كل خوان) في امانة الله (كفور) لتعنته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم (اذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحذرة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله (الذين يقتالون) المشركين والمأذون فيه وهو الله ليجوز في دلالاته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحقق بفتح التاء اي للذين يقتلهم المشركون (بانهم ظلموا) بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب وشجوج يظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فارقت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعدا لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم (الذين اخرجوا من ديارهم) يعني مكة (بغير حق) بغير موجب استحقاق به (الا ان يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة

ولا تغيب فيهم غير ان سيوفهم * بين فلول من قراع
الكاتب * وقيل منقطع

(ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضاً) بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين (لهدمت) لحزبت يأسئلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع د فاع واهدمت بالعطف (صوامع) صوامع الرهبانية (وبيع) وبيع النصارى (وصلوات) وكنايس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوات بالعبرانية فحزبت (ومساجد) ومساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيراً) صفة الاربع او لمساجد خصت بها تفصيلاً (وينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلب المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياسرةهم واورثهم ارضهم وديارهم (ان الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شيء (الذين ان مكاهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة واهموا بالعرف وذهاب عن التكر) وصف للذين اخرجوا وهوشاء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل من ينصره (ولله عاقبة الامور) فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لوعده (وان يكذبوك فقد كذبت قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين) تسليته له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدى في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه (وكذب موسى) غير فيه التظلم ونحو الفعل للفعل لان قوم بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذب القبط ولان تكذيب كان اشنع وآثمة كانت اعظم واشنع (فامليت الكافرين) فامليتهم حتى انصرفت آجالهم المقدرة (ثم اخذتهم فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بتغيير النعمة مخنة والحياة هلاكاً والعمارة خراباً (فكأن من قرية اهلكناها) باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكتها بغیر لفظ التعظيم (وهى ظالمه) اى اهلها (فهى خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف اوحاًية مع بقائه عروشها وسلامتها فيكون الجوار متعلقاً بخاوية ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر اى هى خالية وهى على عروشها اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الخيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهى ظالمه فانها حال والهلاك ليس حال خواتها فلا محل لها ان نصبت كائناً بمقدر يقسمه اهلكناها وان رفعته بالابتداء فتحلها الرفع

ثم انه تعالى بعد ما بين سبب الاذن بقوله بانهم ظلموا اشار الى علة اخرى للاذن فقال تعالى ولولا دفع الله الناس اى ولولا ان الله اذن للجهاديين في قتال اعداء الدين لانتقطعت العبادات وخربت المتعبدات فامتن سبحانه وتعالى على المؤمنين بدفع غائلة المشركين منهم وبين ان عادته ان يحفظ دينه بان يأذن لاهل دينة في مجاهدة الكفار وانه لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمتههم وعلى متعبداتهم فهدموا ولم يتركوا للنصارى بيع ولا رهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اى كنايس ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في زمان امه محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في زمنهم فهدموا متعبدات الفريقين والصوامع جمع صومعة وهى موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة والبيع جمع بيعه وهى كنايس النصارى التى يتنزهون فيها للبلدان ليتجمعوا فيها لاجل العادة والصوامع لهم ايضا الا انها يتنزهون فيها في المواضع الخالية كالجبال والصحارى للتجرد للعبادة والصلوات لليهود ولا بد من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها اى موضع صلوات او من تضمنت هدمت معنى دخلت وقيل هى كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوات بالياء المثلثة وهى لغتهم بمعنى المصلى ولا حاجة الى تقدير المضان وقدم ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونه اقدم في الوجود بالنسبة اليها (قوله) وهوشاء قبل بلاء اى قبل وقوع الصنيع الحسن الذى هو البلاء الحسن قال الجوهرى رحمة الله تعالى عليه البلاء الاختبار يكون في الخير والشر يقال بلاء الله بلاء حسناً وبليته قال زهير

جزى الله بالاحسان ما فلا بكم * وابلاهما خير البلاء الذى يبلو

اى خير الصنيع الذى يختبر به عباده (قوله وفيه دليل) اى وفي ثناء المهاجرين قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا ووجد الاستدلال بهذه الآية على اقامة الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم انه تعالى وصف المهاجرين بانهم ان مكنتهم في الارض واعطاهم السلطنة ونفذ القول على الخلق اتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بكل معروف والنهي عن كل منكر وقد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة في الارض واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الاربعة والازم الخلف في مقاله تبارك وتعالى واذا كانوا آتين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق في هذا الوجه دلت هذه الآية على امانتهم (قوله تسليته) فانه قد سبق ما يدل على ايداء المشركين اياه بان كذبوه وحلوه مع من آمن على ان يخرجوا من ديارهم بغير حق ثم بين انه اذن للمظلومين في مقاتلتهم وضمن له عليه الصلاة والسلام النصرة عليهم واكد ذلك بقوله ولله عاقبة الامور فلذلك كان المقام مقام التسليته فحلاه بقوله تعالى فقد كذب قوم نوح نبيهم نوحاً وعاد هوداً وثمود صالحاً وقوم ابراهيم وقوم لوط نبيهم ابراهيم ولوطاً واصحاب مدين شعيباً عليهم الصلاة والسلام ثم قال فقد اعطيت هؤلاء الانبياء جميع ما وعدتهم من النصرة على اعدائهم والتكئين لهم في الارض فاخذت كل واحدة من المكذبين بعقوبة مختصة بهم فكيف كان نكير اى انكارى وهذا استفهام معناه التثنية يقول كيف نكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب ثم انه تعالى اجمل بعد التفسير في الاخبار عن اهلاك كثير من الامم المكذبة فقال تعالى وكأين من قرية فقلوه وكأين يجوز ان يكون في محل النصب على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكناها اى وكثيراً من اهل القرى الذين كذبوا انبياءهم سوى المكذبين المذكورين في الآية المتقدمة اهلكناها اهلكناها وان يكون في محل الرفع على الابتداء واخبرنا اهلكناها اى وكثيراً اهلكناها (قوله وقرأ البصريان) يعنى بهما بالاعرو وبعقوب فانهما قرأوا اهلكناها على وفق قوله فامليت الكافرين ثم اخذتهم وقرأ الباقون اهلكناها بالتون على وفق قوله ان مكناهم في الارض (قوله ساقطة حيطانها على سقوفها) يعنى ان الخاوية الساقطة من خوى النجم اذا سقطت والعروش السقوف لان كل مرتفع انطاك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عريش والمراد بضمير القرية حيطانها (قوله واخالية) على ان يكون الخاوى بمعنى الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله فيخيد يكون على عروشها طرفاً مستقراً في موضع النصب على انه حال من ضمير خاوية ومتعلقاً بخاوية تعلق الحال بعامله لا تعلق الجار والمجرور بعامله فانه انما يكون ذلك اذا كان خاوية بمعنى ساقطة (قوله ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر) عطفت على قوله متعلق بخاوية فانه اذا كان خبراً بعد خبر لا يكون له تعلق بخاوية بل يكون متعلقاً بمطله وهى بالطاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال اطل عليه اذا كان داخل في ظل طلاء اى شخصه (قوله فلا محل لها) اى على تقدير ان تكون جملة فهى خاوية معطوفة على اهلكناها لا يكون لها محل من الاعراب ان جعل اهلكناها مفسراً للناسب كائن لان الفعل المفسر لا محل له من

(ويزعمه) عطف على قرية اى وكم بقرامة
 في البوادي تركت لايدي منها لهلاك اهلها وقرية
 بالتخفيف من اعطته بمعنى عطلة (وقصر مشيد)
 مرفوع او جمع من اخلياء عن ساكنه وذلك
 بقوى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء
 عروشها وقيل المراد يترثر على شخ جبل يخضر
 موت ويقصر قصر مشرف على قلعة كانا لقوم
 حنظلة بن صفوان من بقاء قوم صالح فلما قتلوه
 اهلكهم الله وعطلهما (افلم يسروا في الارض)
 حث لهم على ان يسافروا لبروا مصارع المهلكين
 فيه ربوا وهم وان كانوا قد سافروا ولم يسافروا لذلك
 (فكنون لهم قلوب يعقلون بها) ما يجب ان يعقل من التو
 حيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (واذ ان
 يسمعون بها) ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير
 بخال من يشاهد آثارهم (فانها) الضمير للفتنة
 اومهم يفسره الابصار وفي تعمي راجع اليها
 والظاهر اقيم مقامه (لا تعمي الابصار ولكن تعمي
 القلوب التي في الصدور) عن الاعتبار اى ليس
 الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى
 والانهاك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد
 ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العي الحقيقي ليس
 المعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان
 في هذه اعمى قال ان ام مكتوم يا رسول الله اتاني الدنيا
 اعمى اأما كون في الآخرة اعمى فزالت (ويستعجلونك
 بالعذاب) التوعد به (ولن يخلف الله وعده)
 لا متنازع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به
 ولو بعد حين لكن صور لا يجعل بالعقوبة (وان
 يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) بيان لتأهلي
 صبره وتأنيده حتى استقصر المدد الطويل اولتمادي
 عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد
 مستطالة وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي يعدون
 بالياء (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية
 خذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب
 ورجع الضمائر والاحكام سالفة في التعميم والتحويل
 وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالاولى لان الاولى بدل
 من قوله فكيف كان تكبر وهذه في حكم ما تقدمها
 من الجنتين لبيان ان التوعد به يحق بهم لا محالة
 وان تأخر لعادته تعالى (املت لها) كما املتكم
 (وهي ظالمة) مثلكم (ثم اخذتها) بالعذاب
 (والى المصير) والى حكمي مرجع الجميع (قل
 يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) اوضح لكم
 ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب
 وذكر الفريقين لان صدور الكلام ومسايقه للمشركين
 وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم

الاعراب فكذا ما عطف عليه فان جعل اهلكنا خبر كان تكون جملة خاوية في محل الرفع ايضا (قوله اى وكم بقرامة)
 عامرة) يعنى ان معنى العطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء اذ انها عطلت اى تركت لايدي منها
 لهلاك اهلها وفي الشيد قولان احدهما انه المخصص لان اهل المدينة يسمون الجص شيدا والثاني المرفوع المطول
 وتوصيف البئر بالعطلة واقتصر بالشيد يودان يكون على بمعنى مع في قوله على عروشها فان كون كل واحد منها
 موصوفا بالوصف المذكور ادخل في الاعتبار روى ان هذه البئر نزل عليها صالح النبي عليه السلام مع اربعة آلاف
 من آمن به ونجاهم الله تعالى وهى بحضرموت وانما سميت به لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر
 اسمها حضرموت بناها قوم صالح وامر واعليهم جلس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فارسل
 الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نيا فقتلوه في السوق فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم
 الا ان قوله وخرب قصورهم يتناقض قول المصنف رحمة الله تعالى عليه اخلياء عن ساكنه الا ان يراد بتخريبها
 اخلاؤها من ساكنها (قوله حث لهم على ان يسافروا لبروا) يحتمل انهم ماسافروا فحنوا على السفر لبروا
 مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك
 ولكن لم يعتبروا فزولوا منزلة من لم يسافر ولم يظلو سفرهم الحاصل عن المقصود فلذلك قيل في حثهم على سبيل
 الانكار اقم يسروا في الارض وقوله فكنون منصوب على جواب الاستفهام اى اقم يسروا فيقولوا بقلوبهم حال
 الامم المكذبة ما فعلوا وما فعل بهم اوسموا باذاتهم اخبارهم (قوله اومهم يفسره الابصار) اى ويجوز
 ان يكون ضميا انها ضمير ايها يفسره الابصار لاعلى كون الابصار ميرا كما في نحو ربه رجلا والا لوجب ان يكون
 نكرة منصوبة كما هو الحق في المير بل المراد انه يعلم به المراد من الضمير بقاء على ان الابصار ليس فاعل تعمي
 والا لما كان مقسرا ليهيهم بل هو خبر مبتدأ محذوف وفاعل تعمي ضمير مستتر فيه راجع الى ما يرجع اليه ضمير انها
 فكانه لما قيل فانها لا تعمي سئل ما هي فاجب الابصار اى هي الابصار ثم انه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين
 صدمهم عن سبيل الله تعالى والسجد الحرام وعظيم ما هم عليه من التكذيب اتبعه بذكر قبيحة اخرى من قبائحهم
 وهى استعجالهم بالعذاب قيل نزلت في النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا
 حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بالعذاب ان استروا على كفرهم ولهذا
 قال الله تعالى ولن يخلف الله وعده فانجز ذلك يوم بدر وانكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وبين وجه
 الانكار بان الاستعجال انما يكون لخوف القوت وما اوعده الله تعالى لا يفوت بل يصيبهم لا محالة ولو بعد حين
 وقوله ولو بعد حين مستفاد من كلمة لن في قوله تعالى لن يخلف الله وعده لانها لتأكيد في الاستفهام وهذا
 التني لما تضمن كونه تعالى صبوراً بين شأهى صبره بقوله تعالى وان يوما عند ربك و اشار بنسبه المدة القصيرة عنده
 بالمدّة الطويلة عند المخاطبين الى ان من لا يجري عليه الزمان بل هو الجرى للزمان ينساوى عنده الزمان ويكون
 وجود الايام والزمان وعدمهما وقتها وكثرتهما سواء اذ ليس عنده صباح ولا مساء ولا يوم ولا ليلة فقوله تعالى
 وان يوما على هذا متعلق بقوله ولن يخلف الله عهده لما يقصد منه وعلى قوله اولتمادي عذابه الخ يكون
 متعلقا بقوله ويستعجلونك بالعذاب ويساونا مستقلا لوجه الانكار عليهم في استعجال عذاب يكون يوم واحد
 من ايام عذابه كالف سنة عندهم كانه قيل يستعجلون بعذاب يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من
 سنكم امامن حيث طول ايام عذابه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة (قوله في الاعراب ورجع
 الضمائر والاحكام) يعنى ان مقتضى الطاهر ان يكون لفظ القرية مجرورا بالاضافة لا بمن وان يرجع الضمائر الى
 الال لا اليها وان يجعل متعلق الاملاء والظلم والاخذ بالال لا بها الا ان القرية لما اقيمت مقام الال لفظا قامت
 مقامه في جميع ما ذكر من الامور (قوله لان الاولى بدل من قوله فكيف كان تكبر) فان قوله تعالى فأملت
 للكافرين لما كان مرتبا على جواب الشرط في الوقوع كان حقه ان يعطف عليه بالفاء وكان قوله فكيف كان تكبر
 استفهاما واردا للتعجب والتحويل من اخذه من المتراخي عن وقت التكذيب فكان حقه ايضا ان يعطف عليه بالفاء
 لكنه قيل ثم اخذتهم فانكرت عليهم ابلغ انكار فان حق التعجب من الشيء ان يذكرك عقب ذلك الشيء ولما كان قوله
 فكأن من قرية في حكم قوله فكيف كان تكبر في كونه مرتبا على قوله فأملت للكافرين ثم اخذتهم كان بدلا منه
 لكونه اوفى منه في تأدية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة الى الاول فاعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب

(فأذن آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لماسد
منهم (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع
ما يجمع فضائله (والذين سبغوا في آياتنا) بارد
والإبطال (معاجزين) مسابقين متنافسين للساعين
فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه
إذا سبقه فسبغ لان كلاما من المتسابقين يطلب إنجاز
الأخر عن اللحاق به قرأ ابن كثير وأبو عمر ومجيزين
على أنها حال مقدرة (أولئك أصحاب الجحيم) النار الموقدة
وقيل اسم دركة (وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي) الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة
يدعو الناس إليها وأنبياء بعده ومن بعدهم يشرع
سابق كآباء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى
وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي عليه السلام
عليه آيته بهم فان النبي اعم من الرسول ويدل عليه
انه عليه الصلاة والسلام مثل عن الانبياء فقال مائة
ألف واربعة وعشرون ألفا قيل فكلم الرسل منهم قال
ثلاثمائة وثلاثة عشر جافغفرا وقيل الرسول من جمع
الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول وهو من
لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والتي
يقال له ولن يوحى اليه في المنام (الاذا نحن) اذا زور
في نفسه ما يهواه (ألقي الشيطان في أميته) في تشهيد
ما يوجب اشتغاله بالدنيا قال صلى الله عليه وسلم
وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة
(فيسخ الله ما بيني وبين الشيطان) فيعطيه ويذهب به
بعضته من الركوع اليه والارشاد الى ما يرضه (ثم يحكم
الله آياته) ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر
الآخرة (والله عليم) بأحوال الناس (حكيم)
فيما يفعل بهم قبل حدث نفسه بزوال المسكنة فزلت
وقيل محي لحرصه على إيمان قومه ان يزل عليه ما يرض
بهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديه فزلت
عليه سورة والجحيم فأخذ يقرأها فلما بلغ ومائة الثالثة
الأخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه
سهاوا الى ان قال تلك الفرائق العلى وان شفاعتهن
لترجي ففرج به المشركون حتى شاعسوه بالسجود
لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في السجود مؤ من
ولا مشرك الا سجدتم منهم جبرائيل فأغمى به فراه الله
بهذه الآية وهو مر دود عند المحققين وان صح
فابتلاء بغيره الثابت على الإيمان من المترزل فيه

كما يدل بأعادة الجار كعبا بخلاف قوله وكأين من قريه فانه في حكم الجليلين المتخالفين بالوحي في كونه
تعليل لا تنكر الاستحجال فلذلك عطف عليهما بالوحي الجامعة (قوله بارد والا بطلان) السعي وان كان
عبارة عن مطلق الجدة والاهتمام سواء كان لتحقيق الأتمام أو ايراد والإبطال الا ان الثاني متعين هنا بقرينة المقام
لان من ذكر في مقابلة الذين آمنوا لا يكون سعيهم في شأن القرآن الا بالارد (قوله على انها حال مقدرة) لان الإعجاز
والعجز ليسا مقارنين لسعيهم في إبطال الآيات بل متأخران عنه كما اشار اليه بقوله من عاجزه فأعجزه وعجزه بخلاف
معاجزين فانه حال مقارنة لان المعاجزة تكون حال السعي (قوله انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء عليهم
الصلاة والسلام) قيل هذا الحديث رواه ابو ذر رضي الله عنه وهو من الأحاد والاولى ان لا تعرض لعدد الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد
ان يخرج منهم من هو فيهم او يدخل فيهم من ليس منهم وقوله عليه الصلاة والسلام جافغفرا ابتداء كلام اي كانوا
جاعة كثيرة (قوله وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا) قاله صاحب الكشف عفا الله عنه ولعل المصنف
رغبة الله تعالى عليه لم يرض به بناء على ان عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام أكثر من عدد الكتب لان عدد الكتب
مائة واربعة ويلزم على هذا القول وعلى القول الذي اختاره المصنف رغبة الله تعالى عليه ان لا يكون اسحق
ويعقوب وأيوب ويونس وهرون وسليمان عليهم الصلاة والسلام رسلا لانهم ماجوا بأشريعة جديدة وكتاب
ناسخ (قوله ليغان على قلبي) اي ليعطي عليه يقال فان على ذلك اي غطي عليه (قوله فيعطيه) اي يزل
تأثيره وهو اشارة الى ان المراد بالنسخ النسخ القوي لا النسخ الضعيف المستعمل في الكتاب ولما بين الله تعالى
تطرق الوسوسة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بين كيفية ازالها فقال فيسخ الله الى آخره (قوله تلك
الفرائق) جمع غرثوق او غرثيق بكسر الغين وفتح التون فيهما او غرثوق بالضم وهو الشاب الناعم وجمع
على غرائق بالفتح وغلرائق وغلرائقة ويطلق الجميع على السادات (قوله وهو مر دود عند المحققين) يعني ان
جاعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية زلت تسليته له عليه الصلاة والسلام في اغتمامه بما سبق به لسانه
سهاوا من حديث الفرائق الا ان رؤساء أهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الزاوية باطله موضوعة
واختجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن أن فحش قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منكم بايمانهم لقطعنا منه الوتين ومنه ايضا قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابذله من تلقا نفسي ان اتبع
الا ما يوحى الى ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ أعقب
هذه الآية قوله تلك الفرائق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم واما
السنة فهو انه روى عن محمد بن خزيمة عن عطاء بن رباح عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه
كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواه هذه القصة
مطعونون وايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الجحيم وسجد سجدة السلون
والمشركون والانس والجن ولم يذكر حديث الفرائق واما المعقول فمما ذكره الامام الشافعي في تفسيره
بقوله واجحد المحدث علي بن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها فانما لو توهمنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم بها
فلا يخلوا الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجري ذلك على لسانه عبدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر وهو صلى
الله عليه وسلم جاء داعيا الى الإيمان ناهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره واما ان
يجري الشيطان ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم جبا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز
لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان وقوله تعالى حكايه عند ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك في حقه صلى الله
عليه وسلم واما ان يقع ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم سهاوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مر دود لانه صلى
الله عليه وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف يجوز عليه هذه الغفلة خصوصا في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك
لأبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الخطأ والخطأ في كل واحد من الاحكام والشرائع فلما
بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله ومائة
الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقرآته صلى الله عليه وسلم

وقيل نعى بمعنى قرأ لقوله نعى كتاب الله اول ليله
نعى داود الزبور على رسل فامتنع قراءته والقائه
الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن
السامعون انه من قرأه النبي صلى الله عليه وسلم وقدر
بانه ايضا يخل بالوثوق على القراءة ولا يدفع بقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا
يحتله والا يتدل على جواز السهو على الآتياء وعرف
الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقي الشيطان) علة لتمكين
الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه
الحق والمبطل (فتنة للذين في قلوبهم مرض) تنك
ونفاق (والباقية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين)
يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء
عليهم بالنظم (لن شقاق بعيد) عن الحق او عن الرسول
والمؤمنين (وليعلم الذين اتوا العلم انه الحق من ربك)
ان القرءان هو الحق النازل من عند الله وان تمكن
الشيطان من الالتصاق هو الحق الصادر من الله لانه
مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم
(فيؤمنوا به) بالقرءان او بالله (فتختل قلوبهم) بالانقياد
والخشية (وان الله لهادى الذين آمنوا) فيما اشكل
عليهم (الى صراط مستقيم) هو صراط صحيح يوصلهم
الى ما هو الحق (ولا يزال الذين كفروا في مرية) في شك
(منه) من القرءان او الرسول او مما ألقي الشيطان
في امثله يقولون ما باله ذكرها يخبرهم ارادته (حتى
تأتيهم الساعة) القيامة والموت واشراطها (بغتة)
بغاة (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه
كيوم بدر يسمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كالعمى اولان المنة تلين ابنا الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما
فوصف اليوم بوصفها انساها لانه لا خير لهم فيه ومنه
الرجع العقيم لما ينشئ مضرا ولم يلق شجرة الا لانه لا مثل له
لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة
غيره او على وشدة موضع ضميرها التهويل (المك
يومئذ لله) الثوبين فيه ينوب عن الجملة التي دل عليها
الغاية اي يوم تروى مرتهم (يحكم بينهم) بالمجازاة
والضمير يوم المؤمنين والكافرين لفصله بقوله (فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا بائنا فأولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء
في خبر الثاني دون الاول تنيد على ان آتية المؤمنين
بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكفار مسبب
عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب
(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا) في الجهاد
(او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما
سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف امه
في الوعد لاستواءهما في القصد واصل العمل روى
ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا

فوقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو الذي تكلم بها لتكون القاء في قرأه النبي صلى الله عليه وسلم وكان
الشيطان يتكلم في زمن الوحي كما ذكرناه ظهر في صورة شيخ تجدد على المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة على
قصد المكرب النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم في شورا هم واستصوب رأى بعضهم وخبطوا آخرين وذكر ايضا
انه نادى يوم احدا لان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جاركم وهذا الاحتمال غير
مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى وان شاء لعباده لكنه انما يجوز في غير مقام تبلغ الوحي واداء الرسالة
لانا لو جوزنا ذلك لارتفع الاطشنان الى شرعه وجوزنا ان كل ما يلقيه الله تعالى ينضم اليه غيره بخلاف
الشيطان فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية ما في الباب ان جعا من المفسرين رجة الله تعالى
عليهم ذكروها لكنهم ما بلغوا في الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية والتواتر
فلذلك قال المصنف في تفسير الآية أي الشيطان في تشهيه ما يوجب استغفاله بالدينا ولم يقل ما يوافق تشهيه من
الكلام ثم قال وان صح فائلاء والطاهر ان مبنى الصحة ان يتكلم به الشيطان عند سكوتهم عليه الصلاة والسلام بعد
قوله ومات الثالثة الاخرى فانه اقرب الاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى ما من رسول ولا نبي قبلك
الا مكنا الشيطان ان يلقي في قرأتهم مل ما يلقي في قرأته عند ما تمنيت فلا تتم لذلك فاما يجعل ذلك لاضلال قوم
وهداية آخرين لخير بين الثابت على الايمان والمترزل فيه (قوله وقيل نعى بمعنى قرأ) عطف على قوله نعى زور فان
النعى جاء في اللغة بمعنى نعى القلب وانقرأه قال الله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا ما ياتيهم من الاقرأة
لان الامي لا يعلم القرءان من المصحف وانما يعلم قرأة وقال رواية اللغة الامنية القرأة واخجوا عليه بيت حسن
رضي الله تعالى عنه وهو نعى كتاب الله اول ليله وقيل الاول في تأويل الآية ان يقال النعى بمعنى القرأة
فقوله تعالى ألقي الشيطان في امثله اي عند تلاوته القرءان ألقي في قلوب الكفرة ما يجادلون به الرسول ويحاجونه
ويوقعون به شبهة في قلوب اتباعه ليمههم عن اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول حرمت عليكم الميتة انه
يحل ذبيحة نفسه ويحرم ذبيحة الله تعالى فيسخ الله تعالى ما يلقي الشيطان في قلوب الكفرة بانزال قوله ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فين به انه انما حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرّم
الاخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله حص جهنم ان عيسى
عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله تعالى واملا نكته ايضا عبدا ومن دون الله مع انه تعالى لا ينزلهم يوم
القيامة فسخ قولهم هذا بقوله تعالى ان الذين سبق لهم من الحسن او مك عنهما بعدون فين الله تعالى استثناء
عيسى والملائكة من قوله ما تعبدون من دون الله بان المراد بما الاصنام فقط (قوله علة لتمكين الشيطان)
اي المدلول عليه بقوله ان الشيطان فتكون لام كي في قوله تعالى ليجمع متعلقة بألقى الشيطان باعتبار ما دل
عليه من التمكين والطاهر ان هذه اللام العاقبة وتسميتها لام العلة باعتبار انها في الاصل للعلة والمعنى مكنا الله
تعالى من الالتصاق ليجمع ما يلقيه الشيطان سببا لتغير المنافقين والمشركين ولتثبت المؤمنين على ما هم عليه
من العلم بالتوحيد وبان القرءان هو الحق النازل من عند الله تعالى وقوله تعالى فيؤمنوا عطف على قوله يعلم
ولما كان الايمان بالقرءان متفرعا على العلم بانه هو الحق النازل من عند الله تعالى عطنه عليه بالفاء وكذا الايمان
بالله تعالى متفرع على العلم بان التمكن حق صادر من الله تعالى ثم انه تعالى بين ان هذا الايمان والاخبار انما
هو بولطف الله تعالى وهذا تبه اياهم فقال تعالى وان الله لهادى الذين آمنوا (قوله فيصرن كالعمى) اي
كانهم لم يلدنهم فالعمى صفة النساء الاتاه اسند الى يوم القيامة اي الى اليوم الذي يعقبن فيه على طريق
صالح نراه والعمى على التوجه الذي صفة الحرب من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقي الحرب
بلا ولد والطاهر ان يجعل الحرب مجازا لانه جعل عقيما تشبيها لقتل اولاده بعقمتهم اسند الهم بهذا المعنى الى يوم
الحرب مجازا في التركيب على هذا الوجه مجازان احدهما في الاسند والثاني في الاستناد وحاصل الوجه
الرابع ان كل يوم له مثل الايام بدر فانه عقيم لا مثل له فلما لم يعقبه مثل جعل عقيما كما جعل يوم القيامة
اذلا يوم بعده (قوله او يوم اقامة) عطف على قوله يوم حرب ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يفسر اليوم العقيم
يوم القيامة وهو معطوف على الساعة اجاب عنه بوجهين الاول ان المراد بالساعة اشراطها ومقدماتها وانما
ان التقدير اوتيا تبهم عذابها الاتاه وضع الظاهر موضع الضمير للتهويل (قوله تعالى والذين هاجروا) لما ذكرنا

قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معكم كما جاهدوا خالدان متافرتان (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا رضونه) هو الجنة فيها
ما يحبونه (وان الله اعلم) يا حوالهم واحوال معادهم (حليم) لا يعاجل في العقوبة

الملك له يوم القيامة وأنه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه ذكر الوعد الكريم للمهاجرين منهم واختلف في المهاجرين قتيل المراد من هاجر الى المدينة طلباً لنصرة الرسول وتقرى الى الله تعالى وقال آخرون بل المراد من جاهد فخرج مع الرسول او سرياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الامر بن ثم انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اما الرزق في قوله ليرزقهم الله رزقا حسنا واما المسكن في قوله ليدخلهم مدخلا يرضونه على ان يكون ليدخلهم جنة مستأنفة ويجوز ان يكون بدلا من ليرزقهم الله رزقا حسنا وتقرر بالمصنف رحمة الله تعالى عليه اوفق لهذا الاحتمال الذي ذكرناه وقديين انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا او ماتوا بعد ما بين انه تعالى يحكم بين الذين آمنوا والذين كفروا وقوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا يدل على ان حال المقتول في الجهاد والميت في فراشه سواء اذا استويا في القصد والتفريق الى الله تعالى ونصرة رسوله وفي اصل العمل وهو الهجرة من حيث انه تعالى جمع بينهما في الوعد ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام المقتول في سبيل الله والتوفي في سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشر بالنسبة والافلايق لتخصيصها بالذكور فائدة قوله الامر بذلك يعني ان ذلك خبر مبتدأ محذوف وما بعده مستأنف ومن عاقب مبتدأ خبره لينصره الله والعقوبة اسم لما يعاقب به ويعقب الجرم من الجزاء وسمى المكروه الذي اوقع ابتداء عقوبة حيث قيل بمثل ما عوقب به معناه ليس جزاء لعقوبة الجريمة اما المشاكلة واما على سبيل الحجاز المرسل فان ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمى السبب باسم المسبب قيل معنى الآية ان من قاتل من كان يقاتله ابتداء ثم كان المقاتل مغبيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومنازقة الوطن او ابتداء بالقتل لينصره الله ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم واولا ثم قال في هذه الآية اتى مع اكرامهم في الآخرة بهذا الوعد لادع نصرتهم في الدنيا على من بنى عليهم (قوله لعفو غفور للمتصريح حيث اتبع هواه) اشارة الى وجد تعليله تعالى نصرته للمعاقب بكونه عفو غفور مع ان العفو والغفران يقتضيان سابقا الجنابة من العفو عنه ولا جنابة من المعاقب في الانتصار لانه استوفى به حقه ولم يظلم احدا وحاصله ان العفو وان اقتضى سابقة الجنابة لكن الجنابة لا يلزم ان تكون بارتكاب المحرم بل قد تكون لتزكيات يندب اليه وتسمى جنابة على سبيل الزجر والتغليظ (قوله وفيه) اي وفي تعليل نصرته تعالى المعاقب بكونه عفو غفور على الحث على العفو وتبنيه على انه تعالى قادر على عقوبة البادى (قوله بسبب ان الله تعالى قادر) بيان اوجه كون ابلج كل واحد من الملوين في الآخر سببا للنصر الموصوف في حق المعاقب وحاصله ان السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات الا انه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها (قوله بان يزيد فيه) اي في الآخر متعلق بقوله ابلج احد الملوين فانه لما ورد ان يقال كيف يعقل ابلج الليل المظلم في النهار المضى حقيقة وكذا عكسه مع ان ذلك يقتضى اجتماع الظلمة والنور في زمان واحد دعه بان معنى الايلج المذكور ليس ادخال الزمان المظلم في الزمان المضى ليلزم ما ذكر بل معناه ادخال ما ينقص من ساعات احد الزمانين في الزمان الآخر فاللازم تساوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لاجتماع الضدين في زمان واحد وانما يلزم ذلك ان لو كانت الظلمة والضياء ما تقتضيهما ذوات تلك الساعات الزائدة والناسقة قصة وليس كذلك بل هما مستندان الى طلوع النور وغروبه ثم يجوز ان يكون معنى ابلج الليل والنهار تحصل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار الخ روى الامام رحمة الله تعالى عليه عن مقاتل رضي الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى ومن عاقب بمثل ما عوقب به الآية في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليتين بقينا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فنادى المشركون بان يكرهوا عن قتالهم حرمة الشهر فابوا قاتلوهم فذلك بغيتهم وثبت المسلمون لهم فصررو عليهم فوقع في نفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء فأنزل الله تعالى هذه الآية وعفا عنهم وغفر لهم فعلى هذه الرواية يكون وجه تعليل قوله تعالى لينصره الله بقوله تعالى ان الله لعفو غفور ظاهر الاحتجاج فيه الى ان يقال حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه (قوله ولا شيء اعلى منه الخ) بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها المحلى بالالف واللام قال الامام الشافعي رحمه الله عليه من احرق احرقناه ومن اغرق اغرقناه اي يعاقب وفق الجنابة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يقتل بالسيف واحتج الامام الشافعي رحمه الله تعالى على ما ذهب اليه بهذه الآية فقال ان الله تعالى جواز للمظلوم ان يعاقب بمثل

(ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يرد في الاختصاص وانما سمي الابتداء بالمعاقب الذي هو الجزاء واللازدواج اولانه سببه (ثم بنى عليه) بالعودة الى العقوبة (لينصره الله) لا بخالدة (ان الله لعفو غفور) للمتصريح حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولين صبر وغفران ذلك لمن عزم الاور وفيه تعرض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كل قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتزيد على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) اي ذلك النصر (بان الله يوجع الليل في النهار ويوجع النهار في الليل) بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جازعاده على المداولة بين الاشياء المتعاعدة ومن ذلك ابلج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او يحصل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغيب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سمع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى افعاله فلا يهملها (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالم بذاته وبمعاذاته او الثابت الالهية ولا يصح لها الا من كان قادرا على ما (وان ما يدعون من دونه) الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالناس على مخاطبة المشركين وقرئ بالنساء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الاكهة (هو الباطل) العدوم في حد ذاته او باطل الالهية (وان الله هو العلي) على الاشياء (الكبير) عن ان يكون له شريك ولا شيء اعلى منه شانا واكبر منه سلطانا

ما عوقب به ووعده النصرة عليه ثم انه تعالى لم يدل على قدرته بما ذكره من ولوج الليل في النهار والعكس
اتباعه بأنواع آخر من دلائل قدرته تعالى وهي ستة اولها قوله تعالى الم ترأي الماء المثلث وان كان
مرتباً بالصر إلا ان كونه تعالى منزلاً له من السماء غير مرتب به فوجب ان تحمل الرؤية على العلم الذي هو
المقصود من الرؤية فان الرؤية اذا لم يقترن العلم بها ضارت كاستفهام تحصل (قوله ولذلك رفع فتصبح) يعني ان قوله
تعالى فتصبح وان وقع بعد لفظ الاستفهام فكان الظاهر ان ينصب على جواب الاستفهام الا ان الاستفهام هنا
لمسا كان استفهام تقرير بمعنى الخبر اي بمعنى قدرأت لم يكن له جواب فلذلك رفع المضارع بعده عطفاً على ازل
وقوله اذ لو نصب جواباً لعله لقوله استفهام تقرير ولذلك رفع المضارع بعده عطفاً على ازل اي اذ لو كان الاستفهام
بمعناه ونصب ما بعده جواباً له لافاد الكلام عكس المقصود الذي هو انبات الاضطرار اذ لو نصب الفعل بعده
لاقلب المعنى الى نفي الاضطرار كما اذا قلت الم تراني انعمت عليك فتشكر ان رفعت فتشكر فقد ثابت شكر
المخاطب وان نصبت فقد ثبت شكره وشكوت من تفرطه فيه فان اداة الاستفهام في مثله تثبت ما تدخل
عليه وان كان متنياً تنفي الجواب فيلزم من هذا انبات الرؤية وانتفاء الاضطرار وهو خلاف المقصود وايضا
جواب الاستفهام يتعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط وجزاء كقوله الم تسأل فتخبرك الرسوم *
والعنى ان تسأل فتخبرك الرسوم لان ما بعد الفاء انما ينصب اذا كان المستفهم عنه سيالاً وفيما نحن فيه
لا يصح ان يجعل تقدير الكلام ان تزال المطر تصح الارض مخضرة لان رؤية المخاطب ليست سبباً للاضطرار
الارض وان اضرارها ليس مرتباً على رؤية المخاطب ذلك بل هو مرتب على نفس الازال ولما كان انصب
المضارع بعد الفاء في جواب الاشياء الستة منياعاً على صحة تقدير ان فعلت فعلت ولم يصح هذا التقدير في الآية
لم يجز نصب قوله فتصبح الارض مخضرة (قوله يصل علمه اول طغى) الاول مني على ما قيل اللطيف العالم
ببواطن الاشياء والثاني على ما قيل انه الرفيق في افعاله وقيل اللطيف من تنق حكمة فيما يفعل ويحكم والخير
العالم بمصالح الخلق ومنافعهم في فعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان (قوله لهو الغنى في ذاته عن كل شيء)
والعنى انه تعالى خلق ذلك متقادله غير متع من التصرف فيه واختص جميع ذلك به خلقاً وملكا لا لا احتياجه
الى شيء منه فانه كامل لذاته غنى عن كل ماعداه في كل الامور لكنه لما خلق الناس ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم
والاجلال ويستعدوا بذلك للسعادة الابدية واقتضت الحكمة احتياجهم في تعينهم الى بركات السموات والارض
خلق هذه الاشياء رحمة لهم وانعاماً عليهم لا منفعة تعود اليه فلا جرم كان جيداً مستحقاً للحمد فظهر بذلك كمال
قدرته وعلو شأنه وكبريائه وعظم رتبته واحسانه تبارك الله رب العالمين (قوله حال منها) اي من الفلك على تقدير
كونها عطفاً على ما وقوله او خبر على تقدير كون الفلك عطفاً على اسم ان او امر فوجا على الابتداء وبحرمان
الفلك وان كان مستندا الى كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجرانها الا ان تلك الحالة لما ثبت لها امره تعالى
وتكو به نسب جريها الى امره تعالى فان ذلك انصب لعظمته وكمال قدرته (قوله من ان تقع او كراهة ان تقع)
فيكون ان تقع على الاول في محل النصب بوزن الحافض او في محل الجر على ارادته وعلى الثاني يكون في محل النصب
على انه المفعول من اجله فالصريون يقدرون كراهة ان تقع والكوفيون يقدرون لا تقع وهذا الخلاف مني
على مسألة كلامية وهي ان الارادات والكرهات هل تتعلق بالعدم او لا فمن منع ذلك ذهب الى ان التأويل
الثاني هو الصحيح ومن جوز ذهب الى الاول والظاهر ان قوله الاباذنه استثناء مفرغ من اعم الاحوال وهو لا يقع
في الكلام الموجب الا ان قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض في قوة اثني فلذلك جازفه التفرغ اذ التقدير
ولا يتركها تقع في حال من الاحوال الا في حال كونها ملتبسة بامر (قوله متعبدا) اي مأثلاً بأنفونه اما مكاناً
معيناً او زماناً معيناً لاداء الطاعات او شريعة او منهجاً كقوله اياه روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان
النسك شريعة لهم او شريعة عاملون بها وروى عنه قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شريعة ومنهاجا وروى عنه ايضا انه
قال عبداً يذبحون فيه وقيل قرأنا يذبحونه وقيل موضع عبادة قيل القول بان النسك هو الشريعة الاولى لانه
ما خوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص ببعضها ولا وجه لجملة على موضع
العبادة ووقفها لان قوله ناسكوه ألقى بالعبادة فيه بالوقت والمكان لان النسك لو لم يكن مصدراً بل كان اسماً مكان
او زماناً لقليل هم ناسكون فيه لان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بكلمة في غالباً الا ان يتسع في الظرف

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك
رفع (فتصبح الارض مخضرة) عطفاً على ازل اذ لو
نصب جواباً للدل على نفي الاضطرار كما في قولك الم تر
اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن
صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان
(ان الله لطيف) يصل علمه اول طغى الى كل ما جل ودق
(جبر) بالتدبير الظاهرة والباطنة (له ما في السموات
وما في الارض) خلقاً وملكا (وان الله لهو الغنى)
في ذاته عن كل شيء (المجيد) المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله (الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض) جعلها
مذلة لكم معدة لمنافعكم (والفلك) عطفاً على ما و
على اسم ان وقرى بالرفع على الابتداء (نبحرى في البحر
بأمره) حال منها او خبر (ويمسك السماء ان تقع على
الارض) من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على
صورة متداعية الى الاستمسك (الاباذنه) الابعثته وذلك
يوم القيامة وفيه رد لاستسكها بذاتها فانها مساوية
لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط
قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) حيث هيأ لهم
اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع
عنهم انواع المضار (وهو الذي احياكم) بعد ان كنتم
جداً عناصر ونطفاً (ثم يميتكم) اذا جاء اجلكم
(ثم يحييكم) في الآخرة (ان الانسان لكفور) بلحود
لنعم مع ظهورها (لكل امة) اهل دين (جعلنا منسكاً)
متعبداً او شريعة تعبدوا بها وقيل عبداً (هم ناسكوه)
ينسكونه

فيجري مجرى المفعول به فيتعدي الفعل الى ضميره بنفد كقوله ويوم سجدناه سجدوا عامرا اى شهدنا فيه وقوله
ومشرب اشربه اى اشرب فيه فان قيل لمجاء تنكير هذه الآية معطوفا بالواو فيما تقدم وهذه بغير واو قلنا لان
تلك وقعت بعد ما بنا سبها ويدانيها من الاى الواردة في امر الناسك فمطلبت على اخواتها واما هذه فواقعة مع
الاباعد اى بعد الاى المتباعدة عن معناها فلم تجد ما نه عطف هي عليه فانه تعالى ذكر ثواب المهاجرين في الآخرة
ثم بين انه مع ذلك ينصرفهم في الدنيا ايضا على من بنى عليهم ثم بين قدرته على ذلك بالدلائل المذكورة وختم بذلك
ما يتعاقى بقوله الملاك يومئذ لله الذى يتحكم بينهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجد في الداء الى الدين وعرفه
وجد انما دلته معهم والاحتجاج عليهم فقال تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اى شرعنا لكل امة خلقت
حزبا من العبادتهم عاملوه ونامسون عليه فلا ينافى عنك اى فليس لاحد من بقايتك الامم منازعتك في الامر اى
فيما تأمر به امتك من الشرائع اذ كانت لهم شرائع يخالف بعضها بعضها فكذا هذه الشريعة وان خالفت
تلك الشرائع فليس لهم منازعتك فيها (قولوا والسالكين) هو جفع نسكية وهى الذبيحة وهو مبنى على
ان تكون الآية نازلة في كفار خرافة الدين نازعه صلى الله عليه وسلم في حرمة اكل الميتة التى قتلها الله تعالى
(قوله وقيل المراد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام) عطف على قوله فلا ينافى عنك سائر ارباب الملل من
حيث المعنى وقيل كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات الى قولهم لانه يؤدى الى منازعتهم
ويستلزمها فيكون من قبيل ذكر الالزام واردة المازوم على اسلوب لاريك ههنا وقيل هو كناية عن نهيه عليه
الصلاة والسلام عن المنازعة معهم لان المنازعة تكون بين اثنين فنهى احد المشركين عنها يستلزم نهى الآخر
فصلح احد النهيين كناية عن الآخر (قولوا وهذا انما يجوز) اى كون نهى احد الفاعلين كناية عن نهى الآخر
انما يجوز في افعال المغالبة لان التلازم انما يتحقق فيها ولا يجوز ان يكون قولك لا يضر بك زيد مثلا كناية
عن قولك لا تضر من انت اياه لعدم التلازم بين التهيين وقوله انما يجوز بالخصر محل تأمل لان مثل قوله تعالى
لا يضرنكم بالله الغرور يجوز ان يكون كناية عن لا تغرروا مع ان الغرور ليس من افعال المغالبة وقد مر في سورة طه
ار قوله تعالى فلا يصدنكم عنها من لا يؤمن بها وان كان نهى الكافر عن ان يصد موسى عنها فالمراد نهى عليه الصلاة
والسلام عن ان يصد عنها مع ان هذا الفعل ايضا ليس من افعال المغالبة (قوله وقرئ فلا يضر عنك) من النزاع
يعنى الجذب يقال نزع الشيء من مكانه اذا قلعت عنه اى اثبت في دينك شيئا لا يطمعون ان يخذلوك ليربوك عنه
ولما ورد ان يقال كيف يكون نهى الكافر عن نزع عليه الصلاة والسلام عن دينه كناية عن امره بالشهاد على دينه
مع ان النزاع ليس من افعال المغالبة دفعه بانه ليس من النزاع الصادر من الواحد بل من النزاع المسند الى الغالب
من المتنازعين يقال نازعته فنزعت الزعد اى غلبته في النزاع فعنى الآية لا يضل بك في المنازعة الا ان كسر عين
المضارعة في باب المغالبة غريب لم يذهب اليه غير صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فانه قال بضم عين المضارعة
في باب المغالبة مطلقا اذا لم يكن عيضا ولا مدحرف حلقى واما اذا كان احدهما حرف حلقى فان افعال حيث يترك
على قاعدة الاستعمال (قوله تعالى وادع الى ربك) لم يذكر مفعول ادع للتعظيم والمعنى انك محبوب الى الناس
كافد وكلهم ما مورون باتباعك والتدين بشركك ودينك فادعهم الى دين ربك ولا تخص امة دون امة بالدعوة اليه
فكل الناس امتك ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يهتذر المجادلين بعد لزوم الحجة ووضوحها
من حكم يوم القيامة اتبع بما يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد وانه يتحكم بينهم بالعدل لا بالجزور فقال لرسوله
عليه الصلاة والسلام اأتعلم ان الله يعلم ما فى السموات والارض وان ما يفعله الكفار المجادلون محفوظ عند الله
تعالى لا يضل عنه ولا ينسى فان كل ما يحدثه الله تعالى في السموات والارض فقد كتبه في اللوح المحفوظ فان قيل
ان ذلك يومهم ان علمه تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فائدة ذلك الكتاب اجيب عن الاول بان كتبه تلك
الاشياء في ذلك الكتاب قبل حد ونها على الوجه المطابق لوجودات من ادل الدلائل على انه تعالى غنى في علمه
عن ذلك الكتاب وعن الثانى بان الملا شكة ينظرون فيه ثم اذا اراد جعل الموائد داخله في الوجود على وفقه
صار ذلك دليلا لهم زائد على كونه تعالى عالما بكل المعلومات ثم انه تعالى بين ما عليه الكفرة من الشرك والعصيان
مع ظهور دلائل وحدانيته وعلو شأنه وكبريائه وسبغ آلائه ونعمائه فقال تعالى ويعبدون من دون الله مالم
ينزل به سلطانا اى لم ينزل لجواز عباد تدجئة سماوية ولا علما حاصلاتهم بضرورة عقولهم او بالاستدلال فلا يجد لهم

(فلا ينافى عنك) سائر ارباب الملل (في الامر) في امر
الدين والسالك لانهم بين جهل واهل عناد اولان امر
دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى
الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم
وتكسبهم من المناظرة المؤبدية الى تراعمهم فانهم انما تنفع
طالب الحق وهؤلاء اهل مرآة وعن منازعتهم كقولك
لا يضر بك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم
وقيل نزلت في كفار خرافة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون
ماقتهم ولأنما تكون ماقتة الله وقرئ فلا يضر عنك على
تمجيح الرسول والمبالغة في تنبيهه على دينه على انه من
نازعتهم فنزعتهم اذ غلبته (وادع الى ربك) الى توحيده
وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق
سوى (وان جاد لوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحجة
(فقل الله اعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها
فجائزكم عليها وهو وعيد يفدرفق (الله يتحكم بينكم)
يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب
(يوم القيامة) كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات (فيما
كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (المر تعلم ان الله يعلم ما فى
السموات والارض) فلا يخفى عليه شيء (ان ذلك فى كتاب)
هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يمتك
امرهم مع علمه وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به
وابتائه في اللوح المحفوظ والحكم بينكم (على الله يسير)
لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء
(ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة تدل
على جواز عبادته (وماليس لهم به علم) حصل لهم
من ضرورة العقل واستدلاله (ومالظالمين) ومال الذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم (من نصير) يقرهم مذهبهم او يدفع
العذاب عنهم

اذا ان عبدتها اصلا واعايد دونها عن محض الجهل ثم وبختمهم بانهم مع حملهم المعط اذا تلقت عليهم الآيات
 البينات الدالة على الجمع القويم والصراط المستقيم تعرف في وجوههم النكر اى انكار ما سأل على عليهم
 او الامر النكر اى ما يدل عليه وهو قصد الشرب من الماء عليهم تلك الآيات وقوله تعالى يكادون يسقطون حال
 اما من المضاف اليه وهو الموصول وجاز ان تصاب الحال منه لكون المضاف جزاءه واما من المضاف وهو الوجوه
 بناء على ان المراد اصحابها كما في قوله تعالى انما نضعكم لوجه الله وضمن يسقطون معنى يسقطون فعدي تعديته
 والا فهو متعدد على يقال سطا عليه وأشار الى هذا بقوله ويسقطون بهم واما قوله يدون فهو تفسير لاصل معناه
 فان السطو معناه الوثوب والحمل والمعنى واذ اتلى عليهم آياتنا تعرف في وجوههم ذلك في حال كونهم يقرءون من
 ان يشوا ويسقطوا بالذين نلوا عليهم القراء وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم من شدة الغبطة على
 التالين الذى يلحقهم بسب ساعده فامر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يقابلهم بالوعيد فقال قل لهم
 أفأنبئكم الآية (قوله ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله) فهذه الجملة الاسمية لاجل لها لكونها مفسرة
 للجملة المقدمة كما قيل ما ينشأ من ذلك فقبل النار وعدها الله وان قرئ النار من فوقها على انه خبر مبتدأ محذوف
 او منصوب بابتدأ اعني او مجرورا على انه بدل من بشر تكون جنة وعدها الله مستأنفة لاجل لها ويجوز ان تكون
 حالا من النار على تقدير كونه منصوبا او مجرورا لا على تقدير كونه من فوقها على انه خبر مبتدأ محذوف لانه ليس
 في جملة هو النار ما يصح ان يعمل في الحال بخلاف ما اذا كان منصوبا او مجرورا قال ابو البقاء قوله تعالى النار يقرأ
 بارفع وفيه وجهان احدهما انه مبتدأ او وعدا الخبر الثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو النار ووعدا على هذا
 مستأنفا اذ اس في الجملة ما يصح ان يعمل في الحال وأشار المصنف رحمة الله تعالى عليه الى هذا بقوله او حالا منها
 فانه معطوف على قوله استأنفا وقد فرغ احتمال كونها مستأنفة على قراءة النص والجرف فيكون احتمال
 الحالية ايضا متفرعا عليهما (قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل) متصل بقوله تعالى ويعبدون من دون الله
 ما لم ينزل به سلطانا بين اولائهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا في صحة عبادته برهان سموى من جهة الوحي
 ولا الجأهم اليه علم ضرورى ولا حيلهم عليه دليل عقلى ثم ذكر بهذه الآية ما يدل على بطلان حالهم وفساد عقولهم
 وفعالهم وقولهم وعبر عن دعواهم بان الله تعالى شريك بالمثل تشبيها لها بالمثل السائر في الغرابة فان لفظ المثل حقيقة
 عرفية في القول السائر واستعارة في الحال المستغربة والقصة العجيبة نادى الله المشركين ليلى اليهم
 حالة غريبة او قصة رائعة متلفاة بالاحتسان والقول وهى انهم اتخذوا اعجز خلق الله تعالى وأذلهم
 شريكه في الألوهية واتخذوا العباد جلعن ذلك وتعالى وعبر عن هذه الحالة الغريبة بلفظ الماشي وهو ضرب
 المستدعى لتحقيق الضرب والبيان فيما مضى مع انه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء بناء على ان ما ورد
 من تلك الحالة الغريبة لغاية وضوحها بمنزلة امر تقدم بيانه ثم انه تعالى بين ما جله والى الله بقوله ضرب مثل بان قال
 تعالى ان الذين تدعون من دون الله الآيات ولا شك ان اتخاذ من لا يقدر على خلق احقر خلق الله قدرا وجنة الها
 مع ودا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر واغرب منها انه لا يقوى على مقاومة هذا المخلوق الاحقر الادنى وبمجر
 عن ذبه عن نفسه (قوله اوجعل الله سل) روى عن الاخفش قال ان قيل فأن المثل الذى ذكره الله تعالى في قوله
 ضرب مثل قيل ليس ههنا مثل يضرب من الامثال وانما معناه شبه بين الاوتان وجعلت لى امثالا وشركاء ولا يخفى
 ان القول بان ضرب بمعنى جعل لا يخلو عن بعد (قوله لا يقدر على خلقه) تصوير لمعنى تأكيد الى
 المستفاد من كلة لان في القدرة على الفعل آكد من في نفس الفعل لكون تقيها نفي الفعل بدليل بخلاف نفي اسل
 الفعل فانه نفي مجرد (قوله لان لن بما فيها من تأكيد النفي) علة لتصوير معنى تأكيد النفي لان في القدرة على
 الخلق ناسخا بين النفي والتثبيث عنه انما يكون بعدم القدرة على الفعل المسمى (قوله وجهه اذنه
 وذبان) يعنى ان الذباب اسم جنس ووجهه القليل اذنه ويجمع في الكثرة على ذبان بكسر الذاو وضمة الواو والمذبة
 ما يطردها الذباب (قوله بجوابه المقدور في موضع حال) قد تقر بان الواو في مثل هذا التركيب عاطفة لهذه
 الجملة الحالية على حال محذوفة اى انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو كانت فيهم هذه الحالة المقتضية لخلق
 خلقه و كانه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على حقارتها فكيف يخلق بالاعقل
 جعلها معبودا وشريكا لخالق السموات والارض (قوله عابد الصنم ومعبوده) فان عابده يطلب منه

(واذا اتلى عليهم آياتنا) من القراء آن (بنات) وانجحات
 الدلالة على العقائد الخفية والاحكام الآتية (تعرف
 في وجوه الذين كفروا النكر) الانكار افرط كبيرهم
 للحق وغفلتهم لا باطل اخذ وهاتقيد او هذا انتهى
 الجاهلة وللأشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع
 الضمير وما يقصدونه من السر (يكادون يسقطون
 بالذين يتلون عليهم آياتنا) يتلون ويسقطون بهم
 قل أفأنبئكم بشر من ذلكم (من غيظكم على التالين
 وسقطونكم عليهم او ما اصابكم من الضجر بسب ما نلوا
 عليكم (النار) اى هو النار كما ندر جواب سائل قل
 ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين
 كفروا) وقرى بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلالة
 شرف كون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا
 منها (وشس المصير) النار يا ايها الناس ضرب مثل بين
 لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا
 اوجعل الله مثل اى مثل في استحقاق العباد (فاستعملوه)
 للمثل اوليائه استماع تدبر وتفكر (ان الدين تدعون
 من دون الله يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ
 به مينا للفعول والراجع الى الموصول محذوف على
 الاولين (لن يخلقوا ذبابا) لا يقدر على خلقه مع صفه
 لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على مناهة ما بين
 النفي والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب ووجهه اذنه
 وذبان (ولو اجتمعوا له) بجوابه المقدور في موضع حال
 جيى به للبالغة اى لا يقدر على خلقه مجتمعين له
 متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين (ان يسلبهم
 الذباب شيئا لا يستقذوه منه) جهلهم غاية الجهيل
 بان اشركوا آلهة قد رعى المقدورات كلها وتفرد
 بايجاد الموجودات بأسرها مما قيل هى اعجز الاتية
 وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذ لها
 ولو اهتموا به لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الادل
 وتجزعن ذبه عن نفسها واستقذوا ما ينطقه من عندها
 قيل كانوا يطلونها بالاطيب والعدل وبلغون عليها
 الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف
 الضال والمطلوب) عابدا لصنم ومعبوده

او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب والسلب او الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات (ما قدره الله حق قدره) ما عرفه حق معرفته حيث اشركوا به وسما باسم ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق المكنتات بأسرها (عزير) لا يغلبه شيء وعاليتهم التي يدعونها بحجة عن عقلها مقهورة من ازلها (الله يصطفي من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي (ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق ويلغون اليهم منازل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في الالهية ونفى ان يشارك غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفىين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب وتهيئ الدرجات لمن عدها من الموحودات تقرير النبوة وتزييف القائلين لهم ما نعبدكم الا بقربنا الى الله زلني والملائكة بنات الله ونحو ذلك (ان الله سمع بصير) مدرك الاشياء كلها (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) عالم بواقعها ومتوقعها (والى الله ترجع الامور) واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاة وغيره وهم يسألون (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلاتكم امرهم بها لانهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام واصلها واول عبر عن الصلاة بها لانها اعظم اركانها واخضعوا لله وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو خير واصح فيما تأتون وتذرون كنوا قلة الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له والتقين على اعمالكم والاية آية سجدة عندنا اعلمها ما فيها من الامر بالسجود واقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدة من لم يسجد هما فلا يقرأهما (وجاهدوا في الله) اى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزنغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصفر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) اى جهاد اياه حقا خالصا لوجهه فمكس واضيف الحق الى الجهاد ذمبا لغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا ولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله (هو اجباتكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على مقتضى الجهاد والداعى اليه وفى قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد

(٣٩٥)

بعبادته اياه ان يتفقه ويشفع له فالطالب هو العابد والمطلوب هو التواب والنفع والمطلوب منه هو الصنم الا انه اطلق المطلوب على الصنم على طريق الحذف والا يصل (قوله) او الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب (قوله) ذل هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب والمطلوب منه هو الصنم واطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والا يصل ايضا (قوله) او الصنم والذباب (قوله) ذل هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه هو الذباب الا انه يسمى مطلوبا على طريق الحذف ايضا والا يصل (قوله) تقرير النبوة وتزييف القائلين لهم هو علة لقوله بين ان له عبادا مصطفىين مختارين قرر النبوة باصطفائه بعض الناس للرسالة وزيف طريق من عبد غير الله تعالى من الملائكة بقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا بعدما ابطل قول من عبد الاوثان في الآية المتقدمة فالقصد من هذه الآية ابطال قول عبدة الملائكة وبيان ان علود رجعتهم ليس من حيث كونهم الهة يستحقون العبادة بل من حيث انهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم السلام قيل ويحتمل ان يكون المراد باصطفائه الملائكة انه تعالى يختار من الملائكة رسلا الى الملائكة في بعض ما كفهم به من انواع العبادات والطاعات فيبعث منهم اليهم رسلا يتبلغ ذلك كما اثار من الانس رسلا اليهم يعيهم فيما كفهم به وفى الآية اشير يفد لا تدعى انه تعالى انما اصطفاهم للرسالة لاشي يستوجبون به ذلك ولكن كان ذلك افضل الامور وانما لهم حيث قال تعالى يصطفي لا كما قالت المعتزلة من انه تعالى لا يختار رسلا الا من كان فيه ما يستحق به ذلك وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم اى من امر الدنيا وما خلفهم اى من امر الآخرة اشارة الى انه التام وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكم ومجموعهما يضمن تهيئة الزجر عن التقدم على المعصية ثم انه تعالى لما قسم ذكر ما يتعلق بالالهيات ثم ذكر ما يتعلق بالتواب اتيه ذكر ما يتعلق بالشرايع والاحكام وكلفهم اولا بما هو اجل العبادات وهو الصلاة او الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان الناس كانوا في اول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وكلفهم ما يتناول الصلاة وغيره من انواع العبادات التي يقصد بها التعظيم لامر الله فقال تعالى واعبدوا ربكم ثم كلفهم بما يتناول خدمة المعبود وتعظيم امره ويتناول الاحسان الى خلقه فذكر الله تعالى عن الشفقة على خلق الله تعالى من افعال الخير كصلة الرحم ومكارم الاخلاق فسكانه تعالى قال كلفتم بالصلاة ثم كلفتم بما هو اعظم منها وهو العبادة ثم كلفتم بما هو اعظم منها وهو الخيرات والفلاح الظفر بنعيم الآخرة وذكره الله تعالى بكلمة الترجي لان الانسان لما غلب في ادأه ما كلفه من التقصير فليس هو على يقين في خروجه من عهده ما كلفه حتى يتيقن بترتيب الثواب الموعود لمن اتى به ثم كلفهم رابعا بان يجاهدوا في الله حق الجهاد اى جهاد اياه ولاجله واتصاه على المصدر حذفت كذا في واضيف كلمة الجهاد الى الضمير على طريق الاتساع كما في قوله وبوم شهدناه سليمان من حيث ان الاضافة يكتفى فيها ادنى ملاسة واختصاص وقد يتحقق كونه حقا باستغراق الطائفة فيه واسل المعنى جا هداوى الله تعالى من اجله جهادا حقا وتوصيف الجهاد بالحق فيقدان هناك جهادا واجبا والمطلوب منهم الاتيان بذلك فاذا عكس واضيف الصفة الى الموصوف بعد اضافته الى الله تعالى فاذا ثبت جهاد مختص بالله تعالى وان المطلوب القيام بواجبه وشرايطه على وجه التمام والكمال بعد الوسع والاتساع وهو معنى قوله واضيف الحق الى الجهاد ذمبا لغة فانه تضاف الصفة الى الموصوف لتدل على ان المراد به ما هو الكمال في شأنه (قوله) وفيه تنبيه (يعنى) ان قوله تعالى هو اجباتكم استئناف لبيان علة الامر بالجهاد فان نصرة الدين انما تكون بجهاد اعدائه (قوله) في اغفال بعض ما امرهم به (اى) في تركه مع ذكره كايترك المسافر الصوم في السفر ويترك اتمام الاربع بالقتل ويترك التوضي غسل رجليه ويسمح على الخنثى ومن لم يستطع ان يصلي فائسرك القيام فيها ويصلي قاعدا ومن لم يستطع ذلك يصلي مومنا وعن عمر رضى الله عنه انه قال من جاءته رخصة فرغب عنها كلفه الله يوم القيامة ان يسئل مثل تبر حتى يقضى بين الناس وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله تعالى ايسرهما وقيل معنى قوله تعالى ما كان عليكم في الدين من حرج ما جعل الله عليكم من حرج اذا المؤمن لا يتلى من الذنوب بشئ الا جعل الله تعالى له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها ببرد المظالم بالقصاص وارش الجانية والديات وبعضها بالكفارات وليس في دين الاسلام ذنب الا ويجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من العذاب به

(ملة ايكم ابراهيم) متصصة على الصدر بقول
دل عليه مضمون ما قبلها بخذف المضاف اى وسع
دينكم توسعة ملة ايكم او على الاغراء وعلى
الاختصاص وانما جعله اياهم لانه ابو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامتة من حيث انه سب
ليسا نهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به
في الآخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته فقلوا
على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن
في الكتب المتقدمة (وفي هذا) وفي القرآن والصبر لله
ويدل عليه انه قرأ الله سماكم اول ابراهيم وتسميتهم مسلمين
في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله
ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقدير وفي هذا
بيان تسميته اياكم مسلمين (ايكون الرسول) يوم القيامة
متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فدل على
قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة
من اطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهداء
على الناس) ببلغ الرسل اليهم (فاقموا الصلاة
واتوا الزكاة) فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم
بانواع الفضل والتصرف (واعتصموا بالله) وثقوا به
في جميع اموركم ولا تطلبوا الا اياه والنصرة الامنة (هو
مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (فضع المولى ونعم النصير)
هو ادلا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا مولى
ولانا صر سواه في الحقيقة * عن النبي عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة
حجها وعمره اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى
وفيا بقى

(سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند
البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد افلح المؤمنون) قد فازوا بأمانيتهم وقد ثبتت
التوقع كان لما فيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضى
ولذلك تفر به من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين
ذلك من فضل الله صدرت بهابستارتهم وقرأ أورش
عن نافع قد افلح بالبقاء حركة الهمزة على الدال
وحذ فيها وقرئ آفلحوا على لغة اكلوني البراغيت
او على الابهام والتفسير وافلح اجترأ بالصفة عن الواو
وافلح على البناء للمفعول (الذين هم في صلاتهم
خاشعون) خاشعون من الله منذ للون له ملزمون
ابصارهم مساجدهم

(قوله فاعل دل عليه مضمون ما قبلها) فان نفي الحرج وهو حال الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل
دل عليه مضمون قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج لكن لا بد من تقدير المضاف ويجوز ان يكون منصوبا
على الاغراء اى ازموا ملة ايكم واجعواها (قوله كان بسبب تسميته من قبل) اى لما كان تسمية الله
تعالى هذه الامة مسلمين بسبب انه تعالى استجاب دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وجعلها هذه الامة صار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه سبا تسميتهم
بذلك في القرآن كأنه سماهم مسلمين في القرآن (قوله شهيدا عليكم بانه بلغكم) الظاهر انه ليس المراد
بشهادته انه عليه الصلاة والسلام يشهد على المكذبين من امته بانه بلغهم لان الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اركعوا وقلوه تعالى فما لكم المسلمين بل المراد بكونه شهيدا عليكم بانه بلغكم ببلغا بترتب عليه
تصدقكم اياه وقولكم ما جاء به ليظهر به اسلامكم وعدالتكم بحيث يقبل الله شهادتكم على منكرى تبليغ
المرسلين رسالتهم الا ان هذه الشهادة في الحقيقة تعدل مند وتركبة لهم وليست شهادة لنفسه حتى يرد ان يقال
شهادته عليه الصلاة والسلام على امته بانه بلغهم شهادة لنفسه فكيف تقبل فاجاب بانها تقبل لكونه معصوما
ويمكن ان يقال تعدله عليه الصلاة والسلام لامتة لما توقف على تبليغه اياهم ولم يثبت ذلك الا بشهادته كان ذلك
التعديل في الحقيقة شهادة لنفسه ومع ذلك قبلت لعصمته ولما كانت شهادته عليه الصلاة والسلام في حق امته
المؤمنين بمعنى التعديل كان الطاهر ان يقال شهيدا لكم يدل عليكم الا انه لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام
كالرقيب المهيمن على امته عديت بكلمة على فانها قد تستعمل بمعنى اللام كما في قوله تعالى وما ذبح على النصب
وقال المصنف رحمة الله تعالى عليه في سورة بقرة روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطاب لهم
الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم وانما هو اقامة حجة على المنكرين فيسبى في بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون فيقولون الامم من اين عرفتم فيقولون علنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه انطق على لسان نبيه
الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعد التهم (قوله لما خصكم) اى الله
بهذا الفضل والشرف اشارة الى ان تفرع قوله تعالى فاقموا الصلاة واتوا الزكاة بالفاء على قوله تعالى هو اجابكم
وقوله تعالى هو سماكم المسلمين يشعر بعلة ما ذكر سابقا لوجوب التقرب اليه تعالى عليهم بانواع الطاعات وان
تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكون الاولى اسرف الاعمال البدنية والثانية اشرف الاعمال المالية * ثم ما يتعلق
بسورة الحج والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين
وهى مكية

(سورة المؤمنين مائة وثمانى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله وقد ثبتت التوقع) كلمة قد سواء دخلت على الماضى او المضارع تفيد التحقيق وبخلاف اليه لكونه متوقعا
ان يخاطبه واذا دخلت على الماضى بنضاف الى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو قد ركب الامير لمن يتوقع
ركوبه اى حقا قد حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الامير واذا دخلت على المضارع بنضاف اليهما
في الاغلب معنى التقليل نحو ان الكذب قد يصدق اى حقا قد يقع منذ الصدق وان كان قليلا وقال البغوى رحمة
الله تعالى عليه قد حرف تأكيد وقال المحققون قد تقرب الماضى من الحال فتدل على ان الفلاح قد حصل لهم
وانهم عليه في الحال وهو معنى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه وتدل على اثباته اى على تفرعه وعدم انتفائه
بعد الثبوت وهو الدليل على انها لتقرب الماضى من الحال (قوله على لغة اكلوني البراغيت) اى على
ان يكون الواو حرفا دال على ان الفاعل جمع كان نافعنا فعلت دال على انه مؤنث وليست ضمير الفاعل او على انه يكون
ضميرا مبهما يفسره المؤمنون (قوله وافلح) اى بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالصفة عن الواو
(قوله وافلح على البناء للمفعول) يعنى بمعنى ادخلوا في الفلاح فيكون من افلح متعديا يقال افلح اى اصاره الى
الفلاح ليستعمل افلح لازما ومتعديا واعلم انه تعالى اشار الى ان الفلاح الحقيقى لا يحصل بمطلق الايمان بل انما يحصل
بالايمان الحقيقى المقيد بجميع شرائط التى هى مذكورة في هذه الآية منها كون العبد مؤديا للصلاة حال كونه
ملا بسا للخشوع والخضوع واختلف فيمن جعله من افعال القلوب كالخوف والهبة ومنهم من

جملة من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاول والخاشع في صلاته لا يد
ان يحصل له مما يتعلق بالقلب والقالب وجب ما يدل على ظاهره وباطنه نهاية الخضوع والتذلل للعبود اما
خشوع الظاهر والقالب فايكون بالرأس تنكبسه وما يكون بالعين تعاميه عن الالتفات وما يكون بالاذن تذله
الاستماع وما يكون باللسان القراءة بالحضور وما يكون باليدين وضع اليدين على الشمال بالتعظيم كالعبيد وما يكون
بالظهر انحنائه في الركوع مستويا وما يكون بالفرج لا يظهر فيه اثر من آثار الخواطر الشهوانية وما يكون بالقدمين
ثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة التي لا تكون من افعال الصلاة واما خشوع الباطن فخشوع النفس
بسكونها عن الخواطر والهوا جس وخشوع القلب بملزمة الذكرود وام الخشوع وخشوع السمع بقية
المذكور وترك الخشوع الى المكونات وخشوع الروح باستغراقه في بحر المحبة وفناءه عند تجلي الجمال والجلال
قال الامام رحمه الله تعالى عليه فان قيل هل ذلك واجب في الصلاة قلنا انه واجب عندنا ويدل عليه امور احدها
قوله تعالى اذلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى ورتل
القرآن ترتيلا معناه والله تبارك وتعالى اعلم انكم قفوا على بحائبه ومعانيه وثانيها قوله واقم الصلاة لذكرى
فضا امر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر في غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيا للصلاة بذكره تعالى وثالثها
قوله تعالى ولا تكن من الغافلين فظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران عن قربان
الصلاة وهو مطرد في الغافل المستغرق المهتم بالدينا ورابعها قوله صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تسكن
وتواضع فكلمة انما المحصر وقوله صلى الله عليه وسلم لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم ترد من الله تعالى
الا بعدا فصلاة الغافل لا تمنع عن الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه التعب
والنصب وما اراد به الا الغافل وقيل اجعت العلماء رضى الله تعالى عنهم على انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل
منها وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد صلى الصلاة لا يكتب منها له سدا ولا عشرها وانما يكتب للعبد
من صلاته ما عقل منها يعني لا يقبل من صلاته الا ما عقل منها والصلاة وان لم يقبل التجزى جواز اوقسادا الا انها
تقبل التجزى قبولاً وبين الامرين فرق وعن بشر الحافي انه قال من لم يخضع فسدت صلاته وعن الحسن رضى
الله عنه كل صلاة لا يحصر فيها القلب فهي الى العسقية اسرع وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه من
عرف من على عينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له قال الفرائد المصلي يتابع ربه ~~ك~~ حاوره الخبر
والكلام مع الغفلة ليس بحاجة له لانها لا تتحقق الا اذا كان اللسان معبرا عما في القلب من المضمرات ولا شك ان
المقصود من القرآن والاذكار والحمد والثناء والخطاب والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان القلب
محبوبا بحجاب الغفلة وكان خافلا عن جلال الله تعالى وكبريائه ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فانه بعيد
عن القول وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس الا تعظيمه تعالى والا مثقال لا مره تعالى واقفاه هذه
الافعال لقصد التعظيم والامثال لا يمكن مع غفلة القلب عن المعبود والمقصود تعظيمه ولو جاز ان تكون
هذه الافعال تعظيما لله تعالى مع ان القلب غافل عنه لجاز ان تكون تعظيما لضمه بحبه وهو غافل عنه وما يدل
على ان الصلاة لا بد فيها من الخشوع والحضور ان الفقهاء اختلفوا فيما ينويه المصلي بالسلام عند الجلوس
والانفراد هل ينوي الحضور او الغيب والحضور معا فاذا احتج الى التدبر في معنى السلام الذي هو آخر الصلاة
احتج الى التدبر في معنى التكبير والتسبيح والقراءة الواقعة في أثناء الصلاة ثم قال الحضور عندنا ليس شرط
الاجراء بل هو شرط القبول والمراد من الاجراء ان لا يجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب والتقضاء
انما يحثون عن حكم الاجراء لاعتبار حكم الثواب وغرضنا في هذا المقام هذا قال هب ان الفقهاء حكموا
باسرهم بجوازها أليس الأصوليون واهل الورع ضيقوا فيه الامر فهل اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار
الامامة فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبني السافعي رحمه الله تعالى عليه وان قرأتها مع الامام
يعاتبني ابو جعفر رضى الله عنه فاخترت الامامة طالبا للخلاص من هذا الاختلاف (قوله) والركعة تقم على
المعنى والعين اي تقم على معنى التركية والعين اي القدر الذي يخرج منه صاحب النصاب منه ويدفعه الى الفقير
فان اراد بها العين في الآية الشريفة فلا بد من تقدير المضاف اي والذين هم لاداء الركعة فاعلمون واللام في قوله
للكركعة من يدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكون العامل فرعا (قوله لا يبدلونها) يعني ان قوله حافظون

روى انه عليه السلام كان يصلي راغبا بصره الى السماء
فلما نزل رمى بصره نحو مسجده وانه رأى رجلا
يعبث بالحيتة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه
(والذين هم عن الغفلة عما لا يعينهم من قول وفعل
(معروضون) لما بهم من الجدة ما يشعرون عندوه وهو بلغ
من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء
الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة
عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم
عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله
ان يكون في عرض غير عرض ذلك قوله) والذين
هم للركعة فاعلمون) وصفهم بذلك بعد وصفهم
بالخشوع في الصلاة ليدل على انهم بلغوا الغاية
في القيام على الطاعات البدنية والمالية وانجذب عن
الهممات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه وركعة تقع
على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل
الحدث لان المحل الذي هو مرقعه او اثني على تدبر
مضاف (والذين هم لفر وجهه حافظون) لا يبدلونها

وان كان انبثا صورة الا انه في معنى النبي لان الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه
ولساته اى لا يبذلها فيما لا يعنيه والمعنى والذين هم لفروجههم لا يبذلون الاعلى ازواجهم وانما اختيخ الى اعتبار
تضمين معنى النبي على تقدير ان تكون على صلة لحافظين لان قوله تعالى الاعلى ازواجهم استثناء مفرغ وذا
لا يكون الا بعد النبي او ما في معناه وفعل الحفظ يتعدى بعلى باعتبار تضمينه معنى الامساك والقصر فان كلامهما
يتعدى بعلى قال الله تعالى أمسك عليك زوجك وقال احفظ على عتقان فرسى بتضمينه معنى أمسك ولولا اعتبار
التضمين لما عدى بعلى فكون كلمة على صلة حافظون تتوقف على اعتبار التضمين وجواز الاستثناء المفرغ في
الاثبات تتوقف على كونه في معنى النبي (قوله اوسرياتهم) جمع سرية بضم السين وتشديد الراء والياء جميعا فعليه
من السر وهو الجماع وهي جارية بطاها المولى للتنازل والتسرى وطى الجارية سراى وطاسرا والاصل التسرى
قلت الراء الاخرة بيا كافي تقضى الباري (قوله وانما قال ما) اى ولم يقل او من ملكك مع ان الاماء عواقل اجرا
لهن محرم غير العقلاء لقصان عقلهن وعلمهن وامتهنهن في الاعمال الخمسة كسائر الحيوانات واليهن في ابنتي
اى طلب سوى الزوجات والسرارى فاولئك هم الكاملون في العدوان حيث لم يتفعوا بما وسع الله تعالى عليهم من
روح الاربع من الحرار والتسرى عاشا من الجوارى والعدوان الظلم او مجاوزة ما حده الله تعالى وفيه دليل
على ان الاستثناء بالبحرام وهو قول العلماء رضى الله تعالى عنهم قال عطاء سمعت ان قوما يحسرون وايدبهم خبلى
فأظن اسمهم هؤلاء وروى انه تعالى عذب امة كانوا يعبدون بمذاكيرهم (قوله لما يؤتمنون عليه) فان الامانة
والعهد مصدران في الاصل ثم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهد تسمية بالمصدر قال تعالى ان الله
بأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتكونوا اماناتكم وانما تؤدى الاعيان لا المعاني والمؤتمن عليه لا امانة
نفسها (قوله جمعه غير حرة والكسائي) فانما قرأ اعلى صلاتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع قالوا
وحدث اولياد الحشوع في جنس الصلاة اى صلاة كانت وجعت آخر اليقاد المحافظة على اعدادها وهي
الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والثواب المروية (قوله الجامعون لهذه الصفات) اشارة الى ان
قوله تعالى والذين هم عن الفوم عرضون وما بعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع وجدة
الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينهما والحصر المستفاد من قوله تعالى فاولئك هم الوارثون
من قبيل حصر الكمال واثار الله بقوله الاحتيا بان يسموا وراثا والوارث هو الباقي بعد فناء المورب والقائم مقامه
في الاستعداد بما يستحقه مورثه فالجامعون لهذه الصفات والاصناف المذكورة من حيث بقاؤهم بعد فناء
اعمالهم التي هي من قبيل الاعراض بمنزلة الوراث الباقي بعد فناء مورثهم من حيث ان تلك الاعمال اورتهم
ما وعدهم الله تعالى بازائها من الثواب الجزيل (قوله وقيل انهم يرثون من الكفار) روى عن ابي هريرة رضى الله
عنه قال قال رسول الله عليه السلام ما منكم من احد الا له منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل
النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وروى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى ثلاثة اشياء خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده
ثم قال وعزى وجلالى لا يدخلها من غير (ولاد يوب قالوا يا رسول الله قد عرفنا من الجرح فالديوب قال صلى
الله عليه وسلم هو الذى يقر السوء لاهله (قوله من خلاصة) يعنى ان السلالة ماسل من الشيء اى نزع واحترج
على وجهها لنصفه والتخلص من كدره قال صاحب الديوان فعالة اسم لما بقى بعد المصدر فالسلالة ما بقى بعد
السل كالخالة والبرية لما بقى بعد الخلل وايمى وفيها دلالة على العلة فاذا قبضت على الطين بكفك فخرج من بين
اصابعك صرفه وخالصة فهي سلالة وقال ابو عوسجة السلالة الخالص من كل شئ وقيل سمي التراب الذى
خلق منه آدم سلالة لانه سل من كل تراب وسمى الولد سلالة لان اصله وهو الماء سل من تحت كل شجرة فقوله صاحب
الديوان رضى الله تعالى عنه يخالف لقول غيره واختار المصنف قول غيره رحمة الله تعالى عليهم ومن الاولى
ابتدائية متعلقة بخلقنا والثانية تبعية متعلقة بمحذوف وهو صفة سلالة اى خلقناه من سلالة كانت من طين
ويجوز ان تكون الثانية لبيان الجنس كافي قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان على تقدير ان تكون
السلالة هو الطين (قوله او بمعنى سلالة) عطف على قوله بمحذوف اى او من انسانية متعلقة بمعنى السلالة اى
من صفوة مسلوطة من طين فتكون ابتدائية كالاولى واختلف اهل التفسير في الانسان فقال ابن عباس وعكرمة

(الاعلى ازواجهم او ما ملكك ايمانهم) زوجاتهم
اوسرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ
على عتقان فرسى او حال اى حفظوها في كافة الاحوال
الا في حال التزويج والتسرى او لفعل دل عليه غير
ملومين وانما قال ما اجرآ للمالك محرم غير العقلاء
اذ الملك اصل سئع فيه وافراد ذلك بعد تعميم
قوله والذين هم عن الفوم عرضون لان المباشرة
اشهى للملاهي الى النفس واعطى خطرا فانهم
غير ملومين (الصبر لحافظون اولين دل عليه
الاستثناء اى فان بدلوها لا زوجها اى او ما ملكتهم ما ملكتهم
غير ملومين على ذلك (فرائضى وراء ذلك) المستثنى
(فاولئك هم الصادون) الكاملون في الصد وان
(والذين هم لا ما ملكتهم وعهدهم) لما يؤتمنون
عليه ويعاهدون من جهة الحق والحق (راعون)
قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي
المعارج لا ملكتهم على الافراد من الاناس اولادها
في الاصل مصدر (والذين هم على صلواتهم
يحافظون) يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر
ولذلك جمعه غير حرة والكسائي وليس ذلك تكريرا
لما وصفهم به اولاد فان الحشوع في الصلاة غير المحافظة
عليها وفي نصدير الاوصاف وحتمها بأمر الصلاة
تعطيم لسانها (اوائك) الجامعون لهذه الصفات
(هم الوارثون) الاحقابان يسموا وراثا دون غيرهم
(الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتفيد
للورثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيذا وهي
مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان
كان بمقتضى وعده مبالغته فيه وقيل انهم يرثون من
الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه
تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار
(هم فيها خالدون) اى الصبر لانه اسم للجنة
او اطبقها العليا (ولقد خلقنا الانسان من سلالة)
من خلاصة سل من بين الكدر (من طين) متعلق
بمحذوف لانه صفة لسلالة او من انسانية او بمعنى
سلالة لانها في معنى مسلوطة فتكون من ابتدائية
كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سل من الطين

وقساده رضى الله تعالى عنهم المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه خلق من طين انسل من كل تربة وخلقت ذرية من ماء مهين فقوله تعالى ثم جعلناه منى على حذف المضاعف أى ثم جعلناه نسله ويحتمل ان يكون ضمير جعلناه للانسان الذى هو آدم على طريق الاستخدام فان لفظ الانسان اسم شامل لآدم عليه الصلاة والسلام ولولده افراد بالانسان نفس آدم وضميره ولد آدم ومثله يسمى استخدما في عرف اهل البديع (قولوا والجنس فانهم خلقوا من سلالات) أى من صفوات مسلوقة من الماء والطين وهى الاغذية النباتية التى سل منها القمح والاسنان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ وهو اشارة الى ما ذكره الامام بقوله الانسان اما يتولد من النطفة وهى اما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية وهى اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية والنباتية انما يتولد من صفوة الارض والماء فان الانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت من اقل هذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيدالى التكليفات ووجد ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى امر بالعبادات فى الآية المتقدمة ومن المعلوم ان الاشتغال بعبادة الله تعالى لا يصح الا بعد معرفته تعالى فذلك عقيدته كرماء يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية وذكر من الدلائل انواعا للوع الاول تغلب الانسان في اطوار الخلقة وهى تسعة اطوار اولها كونه سلالة من طين وآخرها ما ذكره الله تعالى بقوله ثم انكم يوم القيامة تبعون وهذه الجنة اعنى قوله تعالى واقعد خاقنا الانسان جواب قسم محذوف أى والله لقد خلقنا الانسان (قولوا بان خلقناه منها) لما كان جعل الانسان نطفة غير معقول اذا معقول ان تجعل النطفة انسانا كما يجعل قوله تعالى جعلناه على معنى صيرناه بل جعله على معنى خلقناه وجعل انتصاب نطفة بنوع الخافض (قولوا ثم جعلنا السلالة نطفة) أى ثم صيرنا الاغذية المسلوقة من الطين نطفة وقوله تعالى في قرار متعلق بمحذوف على انه صفة لنطفة ويجوز ان يتعلق بجعلنا على ان يكون المراد بالقرار صلب الرجل ويكون ضمير جعلناه للسلالة ويكون الجعل بمعنى التصير فان جنس الانسان يخلق من السلول من طين وذلك السلول لا يصير نطفة في الصلب الا بعد زمان والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر الذى اراد به الرحمسمى بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التى هى صفة للمستقر فدل على عدم تعيين اى على المجاز كطريق سائر وانما السائر من فيه واما المكاتبة في نفسها لانها تمكنت في نفسها وجعلت مكانة حصينة محكمة محفوظة وضمن خلق في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقته وما بعده معنى جعل بمعنى التعبير فعدى الى اثنين كما ضمن جعل معنى خلق فعدى الى واحد وقوله تعالى جعل النطفات والنور (قولوا لتفاوت الاستحالات) فان خلق نسل آدم من النطفة متراخ رتب زمانا عن خلق نفسه من سلالة من طين وكذا تصير السلالة متراخ رتبة عن خلق الانسان من تلك السلالة وكذا الحال في تحويل النطفة علقته بالنسبة الى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف التحويلات الباقية فانها امور متعاقبة (قولوا والجمع) اى وجع العظام في الموضوعين وهو قرأه العامة مع ان لفظ العظم لكونه اسم جنس معنى عن الجمع للدلالة على ما بين افرادها من الاختلاف في الهيئة والصلابة (قولوا تعالى احسن الخالقين) نعمت الجلالة ويجوز ان يكون بدلا من لفظ الجلالة والاول اولى لان البدل بالمستحق قليل ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو احسن والاصل عدم الحذف ومنع ابقاء كونه صفة قال لا تذكره ان اضيف الى المعرفة لان المضاعف اليه عوض عن كلمة من وهكذا جميع باب افعال من وهذا المنع مبنى على احد القولين في افعال التفصيل اذا اضيف هل اضافته محضة او لا والاصح الاول قالت المعتزلة اولان يكون ضمير الله تعالى قديكون خالقا لما جازا قول بانه احسن الخالقين كانه لو لم يكن في عبادته من يحكم ويرحم لم يجوز ان يقال في حقه انه احكم الخالقين وارحم الراجين والمصنف رحمه الله تعالى عليه اشار الى جوابهم بتفسير الخالقين بالمقدرين فان المخلوق هو التقدير قال زهير ولا انت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

اى ولا انت تقدر امر افتخيد وبعض القوم يقدر ولا يعضى والآية انما تكون حجة للمعتزلة اذا كان التقدير مستلزما للايجاد وانس كذلك والمعنى احبهم خلقا وتقديرا لحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه (قولوا ولذلك) اى ولكون المصير الى الموت امرا ثابتا لا محالة ذكر النعت الذى هو اللبث وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ما هو للعدو وهو اسم الفاعل وهذه الاطوار التى يتقلب الانسان فيها لا يقدر عليها غيره تعالى فهى دليل على وجوده وكما قدرته

والجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفة بعد آدم وار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق من نسله (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله حذف المضاعف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكر الضمير على تأويل الجوهر والسلول والماء (في قرار مكين) مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مباغاة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقته) بان خلقنا نطفة البيضاء علقته حرا (فخلقنا العلقه مضغعة) فصبرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغعة عظما) بان خلقنا صلبها (فكسونا العظام لحما) مما سبق من المضغعة او مما أثبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لا خلافا فيها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابوبكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافرا داحد هما وجمع الآخر (ثم اسأناه خلقا آخر) هو صورة البدن او الروح والقوى يتخذ فيها المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته (احسن الخالقين) المقدرين تقدير الحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك لميتون) اصارتون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذى للنبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيامة تبعون) للمصاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سبع سموات لانها طرق بعضها فوق بعض مطارفة النمل وكل ما فوقه مثله فهو طريفة اولانها طرق الملائكة والكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك الخلق الذى هو السموات واعن جميع الخلق (غافلين)

مهلين امرها بل تحفظها من الزوال والاختلال
وتدبر امرها حتى تبلغ مشيها ما قدر لها من الكمال
حسما اقتضته الحكمة وتعلق به المبتدئ (واثرنا
من السماء بقدر) بتدبره بكثرته ويقبل ضربه او يعقد
ما علمنا من صلاحهم (فأسكنه) جعلناه ثابتا مستقرا
(في الارض) وانا على ذهاب به (على ازالته بالافساد
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه
(لقادرون) كما كانوا قادرين على ازاله وفي تنكير ذهاب
ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الابعاد به ولذلك جعل
المخ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فن
يا نكم بماء معين (فاننا نالكم به) بالماء (جنات
من نخيل واعناب لكرهها) في الجنات (فواكد كثيرة)
تفكيكون لها (وسنبا) ومن الجنات تمارها وزروعها
(تأكلون) تغذوا اورترزون وتحصلون معابنكم
من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون
انضمير ان للنخيل والاعناب اى لكم في عمرتها انواع
من الفواكه الرطب والعنب والترو والزيب واعصير
والندس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وسجدة) عطف على
جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اى وبما شئ لكم
بدسجدة (فتخرج من طور سيناء) جبل موسى بين
مصر واثيوبه وقيل بفلسطين وقديقال له طور سين
ولا يخلو من ان يكون انطور الجبل وسناء اسم بقعة
اضيف اليها او المركب منها علم له كأمري القيس
ومنع صرفه للتعريف والجمعة والتاثير على بأويل
القعقة لالاف لانه فيعال كدعاس من السنا بالند
وهو الرقعة او القصر وهو النور او ملحق بفعلال
كعلاء من السين اذ لا فعلا بالفت التاثير بخلاف
سنا على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فعال
ككيسان او فعلا كصحراء لا فعلا اذ ليس
في كلا مسمهم وقرئ بالكسر والقصر (تثبت
بالدهن) اى تثبت ملتبسة بالدهن ومستحبة له
ويجوز ان تكون الباء صلة معدية تثبت كافي قولك
ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير ابو عمرو ويعقوب في رواية
تثبت وهي اما من ثبت بمعنى ثبت كقول زهير
رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم

قطيبتا لهم حتى اذا ثبت القفل
او على تقدير تثبت زيتها ملتبسا بالدهن وقرئ على
الناء للفعول وهو كالاول وتجر بالدهن وتخرج
بالدهن وتخرج الدهن وتثبت بالدهن (وصنع
اللاكلين) معطوف على الدهن جار على اعرا به
عطف احد وصفي الشئ على الآخر اى تثبت بالشئ
الجامع بين كونه دهنا من هو بمرج منه وكونه
ادما ما يصنع فيه الخبر اى يغمس فيه للائتمام وقرئ
وصباغ كدباغ في دبع

وعلمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقه السموات بقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اوسع
طبقات متطابق بعضها فوق بعض (قوله مهملين امرها) اشارة الى ان المراد بالخلق السموات السبع والالام
فيدلهم هدوا به بمعنى المخلوق بين الله تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعد ما بين قدرته بخلق نفسه كما تدقيل خلقها
فوقكم وما كانت اعماحدت وما تجري فيها او عن حفظها وما ساكنها ان تقع عليكم غافلين ويحتمل ان يكون المراد
بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة في خلقها كما انه قيل انما خلقها فوقهم لتفتح لهم ابواب
الرزق والبركات عليهم منها ويتفعوا بمنافعها فحقن لستنا غافلين عنهم وعملا صلحهم ثم انه تعالى استدل على ذلك
بنزول المطر وكيفية تأثيراته في النبات فقال تعالى واثرنا من السماء ماء بقدر اى انزالا ملتبسا بتقدير يكترتفع ذلك
التقدير ويقبل ضرره فقوله بقدر صفة مصدر محذوف واما ان كان القدر بمعنى المقدار فيثبذ يكون صفة لقوله ماء
والتقدير لا يتغنى مقبسا عليه بخلاف المقدار فلذلك اضاف المقدار الى المنيس عليه ولم يصف التقدير اياه
واختلف المفسرون رجة الله تعالى عليهم في ان المراد بالسماء ما هو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بها المظلة
الحضراء وان مياه الارض كلها نازلة منها وجعل الله تعالى منافع الارض متصلة بمنافع السماء مع بعد ما بينهما
وبين ذلك بان منشأها ومدبرها واحد عالم بذاته وذهب الآخرون الى ان المراد بها السحاب وسماء سماء لسموه
وارتقاعه والمعنى انه تعالى اسعد الاجراء المائية من البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية ثم انزل تلك
المياه لتفرقها في قعر الارض والله تبارك وتعالى اعلم بحقيقة الحال ثم انه تعالى امتن علينا بإبقاء الماء الذي هو
قوام مصالح الدنيا والدين قال تعالى وانا على ذهاب به اى بالماء لقادرون وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند
وحيمون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهسان نهر العراق والنيل وهو نهر المصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من
عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال فاجراها في الارض
وجعل فيها منافع للناس في اصناف معاشهم وذلك قوله تعالى واثرنا من السماء ماء بقدر فأسكنه في الارض
فاذا كمال عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ورفع من الارض القرآن
والعلم كدوا الحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار رائحة فيرفع كل ذلك
الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد قدحها على خي
الدنيا والدين واعلم ان الماء نعمة في نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخرى فلا جرم امتن الله تعالى اوليا ناله
وابقاء ثم ذكر ما يحصل به من النعم فقال تعالى فاننا نالكم به جنات الاينة (قوله اورترزون) تسيرون قوله
تعالى ناكلون فان الاكل حقيقة في ابتلاع المطعوم والغذى به ويطلق ايضا على تحصيل ما ينفع به الانسان
في تعبته من المأكل والملبس ونحوها مجازا من سلا بصرى النعير عن انشئ باسم معظم ما يقصد سدد (قوله
ومنع صرفه) اى منع صرف سناء بكسر السين والمد وهي قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو بخلاف عامهم حمزة
والكسائي وابن عامر ويعقوب فانهم قرأوا سناء بفتح السين والمد والاعمش بالكسر والتصر واس في كل ما يح
فعلاء بكسر الاول وهمرته للتاثير بل هي للاتحاق بسمر اخ وقرطاس كافي علماء فتكون انهمزة فيها متقلبة عن
ياء او واو لان الاتحاق لا يكون الا بهما فلما وقع حرف العلة مشرفا بعد انق زائدة قلب همزة كافي رداء وكساء
(قوله اى تثبت ملتبسة بالدهن) اى وفيها الدهن على ان يكون بالدهن حال من فاعل تثبت وجوز كونه مفعولا
به غير مصرح بالتثبت ومن قرأ تثبت بضم التاء وكسر الباء جعل اثبت بمعنى ثبت كافي بيت زهير

رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم قطيبتا لهم حتى اذا ثبت القفل
قوله رأيت على لفظ الخنصاب والقطيبت الحدم والاتباع جمع قاطن اى رأيت القرأ والمساكن متعين حول بيوتهم
لقضاء حوائجهم حتى اذا ثبت القفل وظهر الخنصب فحينئذ يتجمعون ويتقطعون من حولها ويجوز ان يكون
اثبت متعديا حذف مفعولاهى تثبت زيتها وفيه اثبت فقوله تعالى بالدهن على الوجهين في موضع الحال وفيه
وجد ثالث لم يتعرض له المصنف رحمه الله تعالى عليه وهو ان تكون الباء فيه زائدة في المفعول كافي قوله تعالى
ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقرئ تثبت بالدهن بضم التاء وفتح الباء على بنا المفعول من اثبت الله تعالى وبالدهن
حال من المفعول القائم مقام الفاعل اى ملتبسة بالدهن وفي حرف ثمر بالدهن وقرئ تخرج بالدهن مضارع

(وان لكم في الانعام عبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون

بها (نستقيم بما في بطونها) من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فن للتبعض اول ابتداء (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها واصوافها وشعورها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها ما يحصل عليه كالايل والبق وقيل المراد الايل لانها هي الخمول عليها عندهم والمناسب للفلاك فانها سفائن الرقال ذوالرمة سفينة برحت خدى زمامها - فيكون الضير فيها كالضير في وبعولتين احق بردهن (وعلى الفلاك تحلون) في البر والبحر (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاقهم من زوالها (مالك من اله غيره) استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجري على المفظ (أفلا تتقون) أفلا تخافون ان يزل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفر انكم نعمه التي لا تحصىونها (فقال الملا) الاشرف (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ما هذا الا سر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) اي يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولو شاء الله) ان يرسل رسولا (لا تزل ملائكة) رسلا (ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين) يعنون نوحا اي ماسمعا لانه نبي او ما كلفه به من الحب على عبادة الله ونفى اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم اولانهم كانوا في فترة متطاولة (ان هو الا رجل به جنة) اي جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحفظوه واشتظروا (حتى حين) اعلمه يفيق من جنونه (قال) بعد ما ايس من ايمانهم (رب انصرني) باهلاكم اوبانجاسزما وعدتهم من (الهداب) بما كذبون بدل تكذيبهم اباي وبسبب (فاوحينا اليه ان اصنع الفلاك ابعثنا) بحفظه الله فلفه ان تخطي فيه اوبسفته عليك مفسد (ووحينا) وامرنا وتعلمنا كيف تصنع (فاذا جاء امرنا) بالركوب او نزول العذاب (وفار النور) روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من النور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبره امره فركب ومجمله في مسجد الكوفة عن عيين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة بالنام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم في سقر (من كل زوجين اثنين) من كل امتي الذكر والانثى واحد من زوجين وقرأ حفص من كل باتون اي من كل نوع زوجين واثنين تأكد

خرج وتخرج الدهن مضارع اخرج وتنبت بالدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح والصبيغ والصباغ ما يصبغ به اي يود تدم سمي الادم صبغ لان الخبز يلون به ان غمس فيه ونحوهما الدبغ والدياغ لما يدبغ به ثم انه تعالى لما استدلل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بآزال الماء واخراج انواع النبات به استدلل عليه بأنواع الحيوانات ايضا فقال تعالى وان لكم في الانعام عبرة ثم فصل ما فيها من وجوه الاعتبار وذكر منها اربعة اوجه الاول قوله نستقيم بما في بطونها والمراد جيع وجوده الانتفاع بالانها ووجده الاعتبار فيها أنها تجمع في الضروع وتخلص من بين الفتر والدم باذن الله تعالى فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوة وتصبح غذاء فن استدلل بذلك على قدرته تعالى وحكمته تكون هذه النعمة في حقه من النعم الدينية ومن انتفع به في امر معاشه تكون في حقه من النعم الدنيوية والثاني قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة والثالث قوله تعالى تأكلون اخر منفعة الاكل بالذكر لكونها انتفاعا مغايرا لما سبق من حيث كونها انتفاعا بأعيانها بعد ذبحها بخلاف الانتفاع السابقة فانها انتفاع منها فعلا الخارجة عن ذواتها وهي حبة باقية باعيانها ورباعها قوله تعالى وعليها وعلى الفلاك تحلون (قوله فيكون الضير فيها كالضير الخ) اي على تقدير ان يراد بالضير الايل خاصة يكون الضير فيها كالضير في قوله تعالى وبعولتين بعد قوله والمطلقات يتر بصن بانفسهن ثلا ثم قرو في كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان ضمير بعولتين يرجع الى بعض المطلقات وهو المطلقات طلاقا رجعا فكذا ضمير عليهما ان اراد به الايل خاصة ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد اورد فيها ما ينقص كمالها والعادة في سائر السور الكريمة وابتداء بقصة نوح عليه الصلاة والسلام قيل الحكمة في تكرير القصص ان في كل قصة كرها ألقاها فوآد ونكحنا ليس في الاخرى وفي تكريرها تأكيد الحجة وتجديد العظة ارسله الله تعالى ليدعو الناس الى عبادة الله تعالى وحده فلا داهم الى ذلك ولم ينفع فبهم الدعاء واستمروا على عبادة غير الله اذ هم بقوله فلا تتقون ليس صرفوا عما هم عليه ثم انه تعالى حكى عنهم خمس شبهة الشبهة الاولى قوله تعالى حكاية عنهم ما هذا الا بشر مثلكم يساركم فيا بكم من الاوصاف ولو كان رسولا من الله تعالى لكان معظما عنده ومتميزا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والعزة فلما لم يكن كذلك علمنا انه ليس برسول الا انه ادعى الرسالة ليفضل عليكم اي يطلب الفضل عليكم بدعوى الرسالة وليس كذلك وبناء الفعل لتكلف ما ليس في الانسان من الصفة وهو ير بدان يتصف به كاستغفقه والتكريم وبناء الفعل لتكلف ما ليس في الانسان من الصفة التي لا يريد كونها فيه كاستعamy والتعارج والتجامل والشبهة الثانية قوله تعالى حكاية عنهم ايضا ولو شاء الله لا تزل ملائكة لان ازالهم اشد افضاء الى المقصود بالسبب الى ارسال البشر لان الملائكة لا يؤمنون بهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم يتفاد الحق اليهم ولا يسكنون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى لم يرسل رسولا بشرا والشبهة الثالثة قوله تعالى حكاية عنهم ما سمعنا بهذا اي بنوح وعما سلك به من الحق على عبادة الله تعالى ومن دعوى الرسالة وهو بشر في ابائنا الاولين فانهم كانوا لا يعولون في شيء من مذهبهم الاعلى التقليد والجوع الى الآباء فلذلك لم يسلكوا الطريقة بالنظر ولم يبنوا الاعلى التأييد والشبهة الرابعة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا قولهم لا واما ان هو الا رجل به جنة فانه عليه الصلاة والسلام كان يفعل افعا ليعلى خلاف عادتهم فكان الرؤساء يقولون لعوام انه مخنون فكيف يعموزان يكون رسولا والشبهة الخامسة قوله تعالى حكاية عنهم - ايضا فتربصوا به حتى حين اعلمه يفيق فيرجع عن قوله او يموت على جنونه فاستخرج منهم (قوله بحفظنا) يعني ان افظا الاعين استعير الحفظ تشبيها لحفظ الله تعالى اياه بحفظه اخطافه يكلا ونبهونهم ويسمون اعين الكون العين اعظم ما يتوسلون به الى الحفظ فصاروا بذلك كأبهم عيون بانفسهم وكذا الجاسوس يسمى عين ذلك (قوله وقيل عين وردة) اي قيل ان محل النور الذي ينبع في الماء موضع السام يقال له عين وردة قال المصنف رجة الله عليه في سورة هود وردة من ارض الجزيرة وقيل النور وجه الارض واشرف موضع فيها انتهى كلامه والمشهور ان ارض الجزيرة في ناحية ديار بكر والله تبارك وتعالى اعلم (قوله يقال سلك فيه) اي دخله بنفسه وسلكه غيره ومنه الآية ويفرق بينهما بالمصدر يقال سلكه في سلكه وسلك فيه سلوكا قرأ العامة من كل زوجين اثنين بالاضافة وقرأ عاصم في رواية حفص رجعهم الله تعالى بالتوبين فان قرئ بالاضافة يكون قوله اثنين مفعول اسلاك اي اسلاك فيها اثنين واسلاك فيها ايضا اهلاك فوجب ان بقدر مضاف آخر بين المضاف والمضاف اليه ويكون التقدير من كل امتي زوجين اذ لو لم يقدر هذا المضاف لم يستقم المعنى لانه لو حمل الكلام على ظاهره لزم ان يحصل الزوجان جميعا لان الكلام حينئذ بمنزلة

ان يقال اجل من كل زوجين زوجين واجل من كل اثنين اثنين والاثنان المحمولا ان لا يكونان من اثنين بل هما كل نفس
 الاثنين فلا يستقيم المعنى الابتعاد المضاف اذ يكون المعنى حيث ذاحل من كل صنف الذكر والاثنى فردين من زوجين
 ثلاثين قطع نسل ذلك الصنف من الحيوان روى انه عليه الصلاة والسلام لم يتحمل في السفينة الا ما يلد ويبيض واما
 نحو البقي والذباب والدود فلم يتحمل منها لانها انما تخرج من الطين ولا ينقطع نسلها بان لا يتحمل (قوله تعالى واحلك)
 عطف على قوله اثنين على قراءة الاضافة وعلى قوله زوجين اثنين على قراءة التنوين والمراد باهله اهل بيته وهو
 امرأته وبنوه ونسأولهم واستثنى منه ابنته كنعان وامد واهله فانهم كانوا كافرين فقال الامن سبق عليه القول منهم
 قال تعالى في سورة هود قلنا اجل فيهما من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه
 الا قليل ولم يذكر في هذه الآية من آمن آتتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من اهل بيته فانه يدل على
 انه تعالى امر بادخال جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته وجوز المصنف رحمه الله تعالى عليه ان يكون المراد
 بقوله واهلك جميع من آمن به سواء اتصل به نسب او لم يتصل فيكون قوله الامن سبق عليه القول استثناء منقطعاً
 ولا يتخلو عن بعد وقوله تعالى انهم مغرورون استئناف لبيان علة تهديد عليه الصلاة والسلام عن الدعاء للذين ظلموا
 بالانجاء فانه تعالى لم يحكم عليهم بالاغراق واخبر بذلك وجب ان ينهاء عنه اى عن دعاء الانجاء فى حق بعضهم لانه
 تعالى ان اجابه اليه فقد صير خبره الصدق كذا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيراً لثأته عليه الصلاة والسلام (قوله
 تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك) اى اذا غلبت فيها معتدلة لا تمكث على المستوى على الشئ فاجاب الله
 تعالى على نعمة الانجاء عرفه الله تعالى بان استواءهم على السفينة سبب لنجائهم من الفرق ولهلك الظالمين الذين
 حرموا من الدخول فيها فامرهم بان يحسدوا على هذه النعمة ثم انه تعالى بعد ان امره بالحمد على النعمة المذكورة
 امره بان يدعو لنفسه بان يقول عند النزول في السفينة او من السفينة الى الارض رب انزلني منزلاً مباركاً والاحتفال
 الاول اظهر لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره في السفينة فتكون هي المنزل دون غيرها (قوله وقرئ منزلاً) اى
 بضم الميم وقبح الراءى وهى قراءة من عدنا ابكر واما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الراءى وهو يحتمل ان يكون اسماً للكان
 النزول وان يكون مصدراً بمعنى النزول على اقامة مصدر التلانى مقام مصدر الراءى كافي قوله تعالى اُنزِلْكُمْ
 من الارض نباتاً والمنزل بضم الميم ايضا يحتمل ان يكون اسماً للكان النزول وقوله تعالى وانت خير المنزلين ثناء على الله
 تعالى بعد دعائه وامره الله تعالى بان يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه لان ثناء المحتاج على الكريم يغنى عنه
 السؤال ويقوم مقامه واذا شفع السؤال به يؤكد ويقويه (قوله واما افرد بالامر) اى حيث قال تعالى
 فقل الحمد لله ولم يقل فقولوا مع انه المناسب لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لان معناه
 فاذا استويت (قوله اظهرا لفضله) لان الامر خطاب من الامر مع الماء مور ولا شك ان كون البعد
 مخاطبة لله تعالى خطاب الارشاد والتعليم غاية الشرف والفضل له ولا يليق به الامك مقرب اوبى مكرم فلذلك
 افرد نوح عليه الصلاة والسلام بالامر اظهرا لفضله وايضا لما كان نبيا لهم واما ما كانوا اتباعا له داخلين
 في حكمه كان قوله في حكم قواهم ودعاؤه في حكم دعائهم فكان افرادهم بالامر اشعاراً بذلك من حيث كونه متولى
 امورهم وان ولايته محبطة بهم (قوله وان هي اخففة) اى من النقلة والمعنى وان الانسان والقصة كتابا بلين اى
 مصيبين قوم نوح بلاء عظيم او مختارين مختارين عبادا بهذه الآيات ليعلمهم من يعتبر ويذكر وانه قوله تعالى ولقد
 تركناها آية فهل من مدكر (قوله هم عاد) اى قوم هودو يشهد لهم بحجى قصة هود على ان قصص نوح في سورة
 الاعراف وهود والسجدة وما اخبر الله تعالى به من قوله ولقومه واذا كروا واجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم
 قوم صالح استدلالا بما يعقبه من ذكر الصيحة التى ذكرت في قصص هود فان قوم هود اهلكوا بالابح اعني لقوله
 تعالى واما عاد فاهلكوا برح مصر رعاية (قوله واما جعل القرن موضع الارسال) اشارة الى ان كلمة في قوله
 تعالى فارسنا فيهم رسول لا ليست صله تارسال لانه يعدي بانى بل هي الظرفية وبيان ان القرن في موضع الارسال
 قطع ارسلنا عن صلته وجعله مطلقا عن التعلق بالمرسل اليه على طريق تعلق الفعل بالمفعول به ثم عدى الفعل اليه
 بنى مبالغة وجعل ظرفا للفعل كقوله تعالى واصلى في ذريتي فان قوله ذريتي اقتطع عن كونه مفعولا به وذهب به
 الى كونه ظرفا لاصلى اى اجعل ذريتي موضعاً للصلاح وكذا قوله يجرح عراقيها ناصلى (قوله لعله ذكر بالواو)
 اى ذكر قول الملائكة في جواب هذا الرسول بالواو وذكر في جواب نوح عليه الصلاة والسلام بالفاء لعل الرجاء في

(واهلك) واهل بيتك او ومن امن معك (الامن
 سبق عليه القول منهم) اى القول من الله بهلاكه
 لكفره واما جى بهلى لان السابق ضاركا جى باللام
 حب كان نادعا في قوله ان الذين سبق لهم
 من الحسنى (ولا تيسطنى في الذين ظلموا) بالدعاء
 ليس بالانجاء (انهم مغرورون) لا بحالة اظلمهم بالاشراك
 والمعاصى ومن هدأته لا يسمع له ولا يسفح يد كيف
 رقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (فاذا
 استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى
 احسان من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر اقوام الذين
 ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب انزلني)
 في السفينة او في الارض (منزلاً مباركاً) ينسب
 لزيد اخير في الدارين وقرئ منزلاً بمعنى ارا لا وموضع
 انزال) وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره
 بان يسفحه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة واما
 افرد بالامر والمعلق به ان يسئوى هو ومن معه
 اظهرا لفضله راسعاً بان في دعائه متدوحة عن
 دعائهم فانه يحيط بهم (ان في ذلك) فيما فعل نوح وقومه
 (لايات) يستدل بها ويقتضوا الا استنصار
 والاعتذار (وان كتابا بلين) لمصيبين قوم نوح بلاء عظيم
 او مختارين عبادا بهذه الآيات واهى اخففة والام هي
 العارفة ثم انشأنا من بعد هم قرنا آخرين) نعم عاد
 او عمود (فارسنا فيهم رسولاً منهم) هو هود او صالح
 واما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لياتهم
 من مكان غير مكانهم واما وحى البه وهو بين اظهروهم
 ان اعبدوا الله ما لكم من اله غير) تفسير لارسلنا اى
 قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (أفلا تتقون)
 عذاب الله وقال الملائكة من قومهم الذين كفروا) لعله ذكر
 بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول
 قوم نوح

وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال (وكذبوا بقاء الآخرة) بقاء ما فيها من الثواب والعقاب او معادهم الى الحياة الثانية بالبعث (وارتفاعهم) ونعتناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ما هذا الا بئس مثلكم) فى الضفة والحد (يأكل مما تأكلون منذويشرب مما تشربون) تقرير للجملة وما خبرته والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه (ولئن اطعتم بشر مثلكم) فيها بأمركم (انكم اذا خاسرون) حيث اذا لستم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قالوهم من قومه (أيهكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) محذوف عن اللعموم والاعصاب (انكم تخرجون) من الاجداد او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرر الاول اكد به لما طال الفصل بدويين خبره وانكم تخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخرجكم اذا متم وانكم اذا متم وقع اخرجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوف لدلالة خبر الثانى عليه لان يكون الظرف لان اسمه جنة (هيها هيها) بعد التصديق او النجدة (لما تواعدون) او بعد ما تواعدون واللام للبيان كما فى هيها كما فيهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فانه هذا الاستبعاد قالوا لما تواعدون وقيل هيها بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما تواعدون وقرئ بالفتح منونا للتكبر وبالضم منونا على انه جمع هيبة وغير منون تنبيهات قبل وبالكسر على الوجهين والسكون على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء (ان هي الاحياء الدنيا) اصله ان الحياة الاحياء الدنيا فاقسم الضمير مقام الاول لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا بان تعيينها من عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حلتها فحمل ومعناه لاحياة الا هذه الحياة الدنيا لان انافية دخلت على هي التي فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لالتى تنفى ما بعدها نفي الجنس (يموت ونحيي) يموت بعثنا ويولد بعض (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ما هو (الا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله له او فيما يدعيه من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني) عليهم وانتقم منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياي (قال محاذيل) عن زمان قليل وما صلة لتأكيده معنى القلة او كره موصوفة (ليصحن ناديين) على الكذب اذا عاينوا العذاب

ان كلام الملا الثانى لم يتصل بكلام الرسول اى لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف عليه بقاء التعقيب بل اجتمع فى الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف عليه بالواو للدلالة على اجتماعهما فى الوجود (قوله وحيث استؤنف به) جواب عما يقال ذكر الله تعالى جواب قوم هود لانه فى سورة الاعراف وفى سورة هود بغير واو وهو قوله قال الملا الذين كذبوا من قومه ان التراك فى سفاهة وقوله قالوا ما تراك الا بشرا مثلكم وذكره ههنا بالواو فاعى فرق بينهما وتقرير الجواب ظاهر (قوله وما خبرية) اى موصولة والعائد فى قوله ما تشربون اما منصوب والتقدير تقر بونه او مجرور اى تشربون منه (قوله او انكم تخرجون مبتدأ) مؤول بمصدر مرفوع على الابتداء والظرف المقدم خبره والجملة خبر انكم الاوى والتقدير اى بعدكم انكم اخرجكم كائن او مستغرق وقت موتكم (قوله او فاعل) عطف على قوله مبتدأ اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى انكم تخرجون مؤولا بمصدر مرفوع على انه فاعل فعل مقدور وذلك الفعل المقدر جوابا اذا الشرطية واذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاوى والتقدير اى بعدكم انكم اذا متم وقع اخرجكم فكلمة اذا على الوجهين الاولين نافية وعلى هذا الوجه شرطية (قوله ويجوز ان يكون خبر الاول محذوف) والتقدير اى بعدكم انكم اذا متم تخرجون وهذا المقدر هو العامل فى الظرف وان الثانية وما فى خبرها بدل من الاول (قوله لان يكون الظرف) اى لا يجوز ان يكون خبر الاول الظرف لان اسم الاول جنة والظرف لا يكون خبرا عن الجملة وانما يكون خبرا عن الحدث والظاهر هو الوجود الاول وهو ان يكون خبرا الاول هو تخرجون وهو العامل فى اذا وكررت الثانية تأكيدها لما طال الفصل نان قيل ما فى خبر ان لا يعمل فيما قبلها فكيف تقول ان عامل الظرف فى الوجه الاول هو تخرجون قلنا تخرجون ليس فى خبر ان الثانية بل فى خبر الاول والثانية انما جئى بها للمحض التأكيده ولا يجوز ان يكون العامل فى اذا متم لانه مضاف اليه فلا يعمل فى المضاف (قوله بعد التصديق) يعنى ان هيها اسم لفعل لازم وهو بعد فلا بدله من فاعل مرفوع واشار المصنف رحمة الله عليه الى ان فاعله مضمر يتعلق به قوله لما تواعدون اى هيها النجدة والتصدق المتصدقون وكرر هيها لتأكيده (قوله او بعد ما تواعدون واللام للبيان) اى بيان المستبعد وهو بيان الحاصل المعنى لان ما تواعدون المذكور لا يكون فاعل هيها على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرا سببا مفسرا بقوله ما تواعدون كما فى ربه رجلا (قوله وقيل هيها بمعنى البعد) فان قيل اذ لم يكن هيها اسم فعل واقعا وقع بعد كيف يكون مبنيا على الفتح قلنا انه فى الاصل اسم فعل وان استعمل ههنا بمعنى المصدر وهذا القدر كاف فى بانه وقيل الذى اوجب بناء شبيه بالاصوات (قوله وقرئ بالفتح منونا للتكبر) والفرق بين المنون وغير المنون على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك صدوصه ومدومد فى ان تقديرهما فى الاول افعل السكون والكف وفى الثانى افعلى سكوتا وكفاروى عن الزجاج رضى الله تعالى عنه انه قال فى تفسير هيها بعد ما تواعدون فيمن لم يمتون وبعد ما تواعدون فيمن يمتون فتزل منزلة المصدر معر فلو منكرا قيل هيها بفتح لتعظيم قدرها وتأوها لتأنيث مثلها فى ظلمة وعرفته ولذلك قبلها الواقف مما فى قول هيها والفها مقلوبه بضم ياء لان اصلها هيها كقولك واما المكسورة لجمع المفتوحة واصلها هيها هيها لخدفت اللام التى هى اياء الثانية والوقف عليها بابتاء كمسلمات وقيل من نون اعتقد تكبرها وتصور معنى المصدر التكرير كانه قيل بعدا بعدا ومن لم يمتون اعتقد تعظيمها وتصور معنى المصدر المعرفة كانه قيل البعد البعد فجعل النون داليل التكبر وعدم داليل التعريف ولا يوجد نون التكبر الا فى نوعين اسماء الافعال واسماء الاصوات وليس بقياسى يعنى انه ليس لك ان تون منها ما شئت بل ما سمع تويند اعتقد تكبره وقيل من فتح فى القراءة المتقدمة فالتخنة ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم فثبه بقل وبعد ومن سكن فلان اصل البناء السكون ومن وقف بالهاء فتابعا للرسم ومن وقف بابتاء فعلى الاصل سواء كسرت التاء او فتحت لان الظاهر انها سواء وانما ذلك من تغير اللغات (قوله يموت بعثنا ويولد بعض) اى ليس المراد موت شخص واحد وحياته لانه يستلزم القول بالاعادة والبعث وهم يصعد انكاره ثم انهم لما فرغوا من الطعن فى صحة المشربوا عليه الطعن فى نبوته عليه الصلاة والسلام فجعلوه مقتريا على الله تعالى فيما يدعيه من الرسالة وفيما يدعيه من الحشر والحساب فقالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ايس من ايمانهم دعا الله تعالى فقال رب انصرنى الآية (قوله وما صلة) ذكر فى كلمة ما وجهين احدهما انهم ساءلوا بين الجار والمجرور ك ما زيدت بعد الباء فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وبعدهم فى قوله

(فاختتم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فأتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح (بالحق) بالوجد الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من انه كقولك فلان يقتضى بالحق او بالوجد الصدق (فجعلناهم غناء) شبههم في دمارهم بغناء السيل وهو حيلة كقول العرب سال به الا وادى لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الضاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعنى قوم صالح ولوط وشيب وغيرهم (ما تسبق من امداجلها) الوقت الذي حبلها لكها ومن من يده للاستغراق (وما يستأخرون) الاجل (ثم ارسلنا رسلنا تنزي) متواترين واحدا بعد واحد من التور وهو القردواتاء بدل من الواو كتولج وتينور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمر والناون على انه مصدر بمعنى التواترة وقع حالا (ككلماء امه رسوا لها كذبوه) اخذنا رسلنا مع الرسل الى المرسل ومع الجيى الى المرسل اليهم لان الارسل الذي هو مبدأ الامر منه والجيى الذى هو منتهاه اليهم (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم اعداء) لم يبق منهم الاحكامات بسرها وهو اسم جمع للحدث اوجع احدونه وهى ما يتحدث به تلها (بعد القوم لا يؤمئون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالآيات التسع) وسلاطان مدين (وحنة واخنة مئزمة المعصم ويجوز ان يراد به انعصا وافراده لانها اول المعجزات واماها تعلقت بها معجزات شتى كانت لها حجة وتلفها ما امكنه السحرة والافلاك البحر وانحر العيون من الخرب بصرها بها وحراستها ومصرها شجرة وشجرة خضراء حمرة ورشاء ودلو وان يراد بها المعجزات والآيات الخج وان يراد بها المعجزات فاما آيات النبوة وحنة بينة على ما يدعيه النبي (الى فرعون ومثله فاستكبروا) عن الايمان والمناعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (ذنابوا انزما بشرين مثلنا) ثنى ابشر لانه يطلق للواحد كذوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترى من البشر احدا ولم يمشى المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى سبب المتكرن للنوة قياس حال الانبياء على احوالهم ! ينهم من المماتة فى الحقيقة وفساده يظهر للستبصر بأدنى تأمل فان النفوس البشرية وان تساركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيها وكما ترى فى جانب نقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر براءة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغبياء عن العلم والفكر فى أكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا يتنبهى اليه علمهم واليد اشار بقوله تعالى قل انما ابسر منكم بوحى الى انما الحكم الواحد (وقومها) يعنى بنى اسرائيل (لنا عابدون) خادمون متقادون كالعباد (فكذبوها فكانوا من المهلكين) بالغرق فى بحر قارم (ولقد اتينا موسى الكتاب) التوراة (نعلمهم) لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان اتوراة نزلت بعد اغراقهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وامد آية) بولادتها لاه من غير ميسر فالآية امر واحد مضاف اليها وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامد آية بان ولدت من غير ميسر خذفت الاولى لدلالة الثانية عليها

(٤٠٤)

تعالى بما خطاياهم وأن قليل صفة لخدوف اى زمان قليل وثانيها انها غير زائدة بل هى بكرة بمعنى شئ او زمان وقليل صفتها وانما يتعلق بقوله ليصحن اى ليصحن عن زمان قليل نادمين على قول من يجوز تقديم معمول ما بعد لام القسم عليها ومن لم يجوز ذلك يقول انه متعلق بمحذوف تقديره تنصركم فقليل حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله رب انصرنى فالقراءة يجوز تقديم معمول ما بعد لام القسم عليها مطلقا وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقا وذهب بعض النحاة الى التفصيل بين الظرف وعدليه وبين غيرهما فجوزه فيه حال الاتساع ومنع فى غيرهما فلا يجوز فى والله لا ضرين زيدا ان يقال زيدا لا ضرين لانه غير الظرف وعدليه (قوله) واستدل به على ان القرن قوم صالح (فان المشهور فى قصتهم ان جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فأتوا جميعا واما عاد قوم هود فقد قال الله تعالى فى حقهم فاهلكوا برح صر صرانية وان كان المراد بالقرن قوم هود فكما قيل فقد روى فى قصة عاد انهم لما خرجوا مع شدا دعا زمين على دخول ارم ذات الحماد الى بناها وبلغوا منها مسيرة يوم وليلة بع الله تعالى عليه وعلى من كان معه من قومه صيحة من السماء فاهلكتهم اجمعين رواه سفيان عن منصور عن ابى وأئل عن كعب رضى الله تعالى عنهم وقيل المراد بالصيحة العذاب المستأصل وهو الريح العقيم ههنا قال الشاعر

صاح الزمان ذال قومك صيحة خروا والسندتها على الاذقان

(قوله) شبههم فى دمارهم بغناء السيل (فان اخص اوصاف الغناء أن يذهب به السيل فلا يظفر واه ابدافهم واه تسبها بليعا فى ذلك والجل ههنا بمعنى التصير وغناء مفعوله الثانى (قوله متواترين) اشارة الى ان ترى منصوب على انه حال من ارسلنا اى واحدا بعد واحد او متتابعين على حسب الاختلاف فى معناه فمن الاصمعي ان معناه واحدا بعد واحد بينهما مهلة وقال غيره هى من المواترة وهى المتابع من غير مهلة وقال الراغب التواتر تابع الشيء وترادف قيل انه مصدر واقع موقع الحال وألف التأنيب كالف دعوى لان الرسل جماعة (قوله كتولج ويقتور) اصلهما وولج ويقتور على فاعول التولج كناس الوحش الذى يلج فيه والتأمدلة من الواو وهو فوعول لتلك لا تميد فى الكلام تغفل اسماء فوعول كثير واليتفور بمعنى الوقار والتأمدلة من الواو (قوله لان الارسل منه والجيى اليهم) يعنى ان الاضافة وان كانت للابسة وان الرسول يلبس المرسل والمرسل اليه جميعا الا انه روعيت ملايسة المرسل مع فعل الارسل وملايسة المرسل اليه مع فعل الجيى لكون الارسل منه والجيى اليهم (قوله تعالى وجعلناهم احاديث) اى اخبارا يسمي بها ويتعجب منها اى بلغ اهلاكلهم ملغاضا واعد اخبارا ولم ير منهم عين ولا اثر ولم يبق منهم الا الحديث الذى يذكر ويعتبر به (قوله لانه فى حكم المصدر) حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كغير قال تعالى انكم اذا مثلهم وقال ومن الارض مثلهم فاشوا بسورة من مثله (قوله لا يعود عليه) الفكر براءة اى بقاءه وطأه يقال هذا الامر لا رادة له اى لا عائدة له ولا فائدة وفى بعض النسخ براءة وهو قريب من الاول (قوله بولادتها لاه من غير ميسر) يعنى انه تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد فى الصغر واجرى على يده اراء الاكبة والابرص واجبا الموتى وجعل مريم ايضا آية بان حملته من غير ذكر وقال الحسن رضى الله تعالى عنه تكلمت مريم فى صغرها حيث قالت هومن عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتئم ثديا قط وذلك اما معجزة زكريا عليه الصلاة والسلام او كرامة لمريم او ارضا ليعسى عليه الصلاة والسلام الا انه تعالى افر داية ولم يقل آيتين لانه لم ير دانه كل واحد منهما ما آية على حدة بل المراد بان انها آية واحدة من جهة الولادة لانه عليه الصلاة والسلام ولد من غير ذكر وولدت له من غير ان يسها ذكر فاشتركا فى هذا الامر العجيب الناقص للعادة فهو امر واحد مضاف اليها فذلك افر داية (قوله) تعالى وآويناها اى جعلناهما بأويان الى ربوة ويخذهما مأوى لها والربوة المكان المرتفع بالحركات الثلاث فى الرأ ومثلها الرباوة بالكسر والضم قيل هى ارض بيت المقدس وهى اقرب الارض الى السماء بتمايز عشرة ميلا (قوله مستقر من ارض منبسطة) فسر القرار بالمستقر وهو موضع الاستقرار ثم بين المستقر بقوله من ارض منبسطة اى مستوية تصلح للاستقرار المستقرين فيها ثم قيل ان المراد بكون الربوة ذات قرار انها ذات ثمار وما فعلى هذا تكون كناية لان كون الموضع دائرا وما يستلزم كونه مستقرا المستقرين فاطلق اللازم وهو كونها ذات قرار اى ذات مستقر وايدى المألوم وهو كونها ذات ثمار وما فعلى هذين الوجهين القرار يعنى المستقر ولكن

(الوجه)

بان ولدت من غير ميسر خذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناها الى ربوة) ارض بيت المقدس فانها من تفعة اودمستق اورملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الرأ وقرى ربوة بالضم والكسر (ذات قرار) مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزرع فان ساكنيها يدسقرون فيها لاجلها

(ومعين) وماء معين ظاهر جار فاعيل من معن الماء اذا

جرى وأصله الابعاد في المثلث او من الماعون وهو
المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه
لانه اظهره مدرك بالعون وصف ما وها بذلك
لانك الجامع لاسباب التزه وطيب المكان (يا ايها
الرسول كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء
لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لا نهم ارسلوا
في ازمة مختلفة بل على معنى ان كلامهم خوطب به
في زمانه فبدخل تحت عيسى دخولا اوليا فيكون
ابتداء كلام ذكر تنبيهها على ان تهئية اسباب التزم
لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع
قديم واحتجابا على الرهبانية في رفض الطيبات
او حكاية لما ذكر لعيسى وامد عند ايوانهم الى
الرؤية ليقنوا بالرسول في تناول ما رزقا وقيل التذاته
وافظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات
وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله
فيه والصافي ما لا ينسب الله فيه والقوام ما يمسك
النفس ويحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود
منكم وانما عند ربكم (اني بما تعملون عليم)
ناجازيكم عليه (وان هذه) اي ولان هذه والمعلل به
فانقون او اعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على
ما تعملون وقرأ ابن عامر بالخفيف والكوفيون
بالكسر على الاستئناف (امتكم امة واحدة) ملتكم
ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول الشرائع
او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد
في العبادة ونصب امة على الحال (وانا ربكم فانقون)
في شق العصا ومخالفة الكلمة (فقطعوا امرهم
بينهم) فقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة
او فترقوا وتفرقوا وامرهم منصوب بزعم الخافض
او التميز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها اولها
(زبرا) قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده
القرآن: *ففتح الباء* فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم
او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى
جعل وقيل كتبنا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا
ثانيا او حال من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ
بتخفيف الباء كرسل في رسل (كل حزب) من المتحزبين
(بمالديهم) من الدين (فرحون) معجبون معتقدون
انهم على الحق (فذرهم في غمرتهم) في جهالتهم
شربها بالما الذي يغمر القامة لا نهم مغبورون
فيها ولا يعبون بها وقرئ في غراتهم (حتى حين)
الى ان يقتلوا او يموتوا

الوجه الثاني بطريق الكتابة والوجه الاول بطريق التصريح اي من غير كتابة (قوله فاعيل من معن الماء
او مفعول من عانه) يعني اختلف في ان ميم معين هل هي زائدة واصلة معيون اي مبصرة بالعين فاعل اعلان ميسر
يقال عانه اذا ادركه بعينه كما قال رأسه اذا اصاب رأسه وكعبه اذا ضرب كعبه ومعين في الآية الكريمة صفة
موصوف بمخدوف اي وماء معين مدح الربوة بان ماءها جار ظاهر على وجد الارض بحيث يدرك بالعون وقيل ميم
اصلية ووزنه فاعيل مشتق من المعن وهو الجري مع الاسراع والابعاد يقال معن الفرس اذا تبعه في عدوه وامعن
بحق فلان اذا ذهب به ورجل معين في حاجته اي مسرع في طلبها فكله راجع الى معن الجري والسرعة وقيل
انه مشتق من الماعون الذي يتعاونه الناس في العادة كالناس والقدر الجوهري الماعون اسم جامع لما نفع البيت
كالقدر والناس ونحوهما ويسمى الماء ماعونا قال الشاعر يجمع صيره الماعون حسبا اي الماء والصير
السحابة البيضاء والماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية وفي الاسلام الطاعة والزيادة والمنفعة موضع النفع وهو
ما ينفع به كالمأسدة والمسبعة فانهما اسمان لموضع الاسد والسبع وقيل المعن السهل الذي يتقاد ولا يتعاصى
والماعون ما سهل على معطيه قيل سبب ايوانهم الى ربوة انها قربت بابها عيسى عليه الصلاة والسلام الى الربوة
وبقيت بها اثني عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عامر يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد مامات ملكتهم وهما آخر
القصص واختتمها بيان ان الله تعالى هب لعيسى عليه السلام اسباب التزم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
اباحة الطيبات لم تكن في حقه عليه الصلاة والسلام خاصة بل هي شرع قديم تودى وخوطب بها كل نبي في زمانه
ليعلم السامع ان اودى له جميع الرسل ووصاياه حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وليس يا ايها الرسول خطا بامع
كل الرسل دفعة لان ذلك غير ممكن بناء على انهم ارسلوا في ازمة مختلفة فلا يمكن توجيدها لخطاب اليوم جميعا دفعة
(قوله او حكاية لما ذكر لعيسى عليه الصلاة والسلام وامد) عطف على قوله بل على معنى ان كلامهم خوطب به
في زمانه من حيث المعنى فان المراد منه ان هذا الكلام ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على وجد الحكاية
وانما ألقى عليه ابتداء تنبيهه عليه الصلاة والسلام على ان تهئية اسباب التزم لم تكن له خاصة ثم جوز ان يكون ذلك
على وجد الحكاية كانه قيل وآويناها الى ربوة واعلمناهما اننا دينا لكل رسول في زمانه وخاطبناه (قوله اي ولان
هذه) قرأ ابن عامر وحده وان هذه بفتح التهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها وثقة لهما والباقيون بفتحها
واتنقيل وذكر المصنف رحمه الله تعالى في توحيد قراءة السابقين ثلاثة اوجه الاول انها مبني على حذف لام
التعليل اي ولان هذه والثاني ان في الكلام حذف تقديره واعلموا ان هذه امتكم والثالث انها معطوفة على قوله
ما تعملون اي اتي عليهم بما تعلمون وبان هذه امتكم وعلى قراءة ابن عامر ان هي الخففة من القيلة ولا بد من التوحيد
باحدا الوجه الثالث المذكورة في توحيد ان المقتلة (قوله اي متحدة في العقائد واصول الشرائع) جواب
عما يقال اذا كانت شرائعهم مختلفة فكيف تكون ملتهم واحدة (قوله في شق العصا) اي مفارقة
الجماعة يقال شق فلان العصا اي فارق الجماعة (قوله وجعلوه اديانا) كاليهودية والنصرانية ونحوهما وبناء
تفعل قد يكون متعديا نحو تقدمه ومنه تقطع ولذلك فسر الجوهري رجاء الله تعالى عليه بقوله اي اقتسموه
ثم جوز ان يكون لازما بمعنى تفرقوا وتفرقوا فيكون امرهم منصوبا بزعم الخافض او التميز وضيمر تقطعوا لارباب
الامر والزبر يضم الباء جمع زبور بمعنى الفرقة والطائفة وقيل بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه والمعنى جعلوا
دينهم الحق الذي هو دين واحد وهو الاسلام اديانا لكل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الاخر واراد
بالكتب ما كتبوا يديهم لا ما هو المنزل من السماء لانه غير معمول بجمعهم والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهي القطعة
من الشيء اتخذ من المعدنيات التجمدة كالفضة والحديد قال تعالى آتوني زبر الحديد استعيرت لامر الدين
تشبيها به في التعدد والاختلاف ثم ان المفرقين دينهم لما كانوا في نعم عظيمة في الدنيا جازان بظن وان تلك
النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين الله تعالى ان الامر على خلاف ذلك فقال تعالى ايمسجون انما
تعددهم به من مال ودين الى آخره وحق ما هذه ان كتب مفصلة من أن لانها اسمية الا انها كتبت موصولة بها
متابعة لمصحف الامام لان المتابعة سنة في باب الكتابة فان موصولة بمعنى الذي وهي اسمان وتعددهم به صلواتها
وعائد ها ومن مال حال من الموصول اويسان له فتعلق بمحذوف ونسارع خبران والبائد من هذه الجملة
الى الاسم محذوف تقديره ونسارع لهم بها وفيه ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لان ما اعطاهم الله تعالى

وجعله مددا لهم كان من مال فلا يعاب عليهم حساب ذلك وقوله تعالى يل لا يشعرون اضرب عن الحساب المستقيم عنه استفهام تفرغ وهو اضرب انتقال والمعنى ما ذكر المصنف رحمة الله تعالى عليه من انهم اشياء البهائم لا شعور لهم حتى يتفكروا في ذلك الامداد هو استدراج ام مسارعة في الخير روى عن زيد بن مسرعة رضى الله تعالى عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء ايفرح عبدى ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له منى ويخرج ان اقض عنه الدنيا وهو اقرب له منى ثم تلا قوله تعالى ايجسون انما غدهم به من مال وبين نساوع لهم في الخبرات (قوله وقرئ غدهم على الغيبة) وباسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى وقياسه ان يقرأ يسارع يساء الغيبة ايضا ومن قرأ غدهم بالنون ويسارع بالياء اقبل ان يجعله مستندا الى ضمير البارى تعالى والى ضمير ما الموصولة وقرئ تسرع بالنون من اسرع وبالياء ايضا ثم انه تعالى بين صفات من يسارع في الخبرات وذكر لهم اربع صفات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مستفقون اى من خوف عذابه حذرون والخوف اسم جنس والخشية اخص منه وهى الخوف لعظمة الخوف منه ولهذا كان استعمال الخشية من الله تعالى اكثر كان استعمال الخوف في حق العباد اكثر واغلب والشفقة ايضا اخص من الخوف فانها عبارة عن الخوف مع الرحمة والرحمة حق الخوف عليه كشفقة الام على ولد هافاه قلما يقال خافت الام او خشيت على ولد هابل يقال اشفت ويبي عن هذه التفسير قول من قال

اخشى من التقرب ما ان يل بها * فكشف السر عن لحم على وضع
تهوى حياى واهوى موتها شققا * والموت اكرم نزال على الحرم

والمصنف رحمة الله تعالى فسر هذا التركيب في سورة الانبياء اى قوله تعالى وهم من خشية مستفقون بقوله وهم من عظمتهم ومهابته مرعدون ثم قال واصل الخشية خوف مع عظيم ولذلك خص بها العطاء والاشفاق خوف مع اعتناء فاذا عدى بمن تحقق معنى الخوف فيدو ظهر وان عدى بعلى فبالعكس وجعل الخشية ثمة على مجرد عظمت الخوف منه وجعل الاشفاق منه على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرائض وما ذكره في هذه الآية اوفق للبعث الاصلى حيث اشار الى عظمت الخوف مند باضافته الى الله تعالى والى الرحمة والاعتناء بشأن الخوف بقوله حذرون فان من كان خائفا من عذاب الله تعالى العظيم وعقابه الاليم كان ملازما لطاعة عبده مجدا في طلب رضاه والاحتراز عن معصيته المؤدية الى سخطه وعقابه رجعة على نفسه واعتناء بشأنها (قوله بتصديق مدلولها) لان التصديق بوجود الآيات المنصوبة وهى الموجودات الدالة على وجود الصانع لا يوجب ان يمدح صاحبه وكذا التصديق بوجود الآيات المنزلة باعتبار التصديق بمدلولها (قوله وجهه اى خائفة) الوجهل ايضا اخص من الخوف لانه خوف يمازجه طمع اى والحال ان قلوبهم بين خوف اريد ورجاء القبول ثم انه تعالى بين علة ذلك الوجهل بقوله انهم الى ربهم راجعون وقوله اولئك يسارعون في الخير اى خيرات الذى هم من خشية والمراد بالخيرات اماطاعتهم واداء لهم الصالحة واما الثواب الموعود بادائها والمعنى على الاول انهم يبادرون الى الطاعات لشدة رغبتهم فيها وعلى الثانى انهم يسارعون في نيل ما وعد لهم من الثواب بمقابلة اعمالهم الصالحة وانما جعلوا مسارعين اليها لانهم اذا سارع بمالهم فقد سارعوا في نيلها واثار بقوله فيكون آياتهم مائى عن اضدادهم الى ان الوجه الثانى اوفق لما سبق من قوله تعالى ايجسون انما غدهم به من مال وبين فانه تعالى نفي في تلك الآية ان يسارع الكفار الى ان يجعل لهم من ثواب اعمالهم ما هو خير لهم واثبت ذلك لاضدادهم وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم (قوله لاجلها فاعلون السبق) على ان يكون ضميرها للخيرات واللام للتعليل وان لا يقدر للسبق مفعول وانما انعرض الاعلام بوقوع السبق منهم مع قطع النظر الى من سبقوه بخلاف الوجه الثانى فانه يقدر للسبق مفعول في ذلك الوجه واللام ايضا للتعليل اى وهم سابقون الناس لاجلها (قوله او سابقون بها) على ان لها مفعول سابقون واللام زائدة في المفعول لتقوية العمل وحسن زيادتها شيان لو انفرد كل واحد منهما لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وتقدم مع وله عليه كفاي قوله هم لهما علون اى عاملون اياها وكذا هو لا يد ضارب اى ضارب زيد ثم اشار الى ان جميع ما وصف به السابقون من الخصال الاربع داخل في وسع الانسان وطوقه غير خارج عنه وكذا كل ما كلف به عباده وان اعمال العباد كلها مشتملة في الكتاب فلا يضيع لسانا من جملته ثم انه تعالى عاد الى ذكر الكفار بقوله قلوبهم في غمرة من هذا الذى وصف به المؤمنون السابقون الى الخيرات ولهم اعمال من دون

(ايجسون انما غدهم به) ان ما نعطهم ونجعلهم مددا لهم (من مال وبين) بيان لما وليس خبر الله فانه غير معاب عليه وانما العتاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فغره (تسارع لهم في الخيرات) والراجع ضمير محذوف والمعنى ايجسون ان الذى غدهم به نساوع به لهم فيما فيه خبرهم واكرامهم (يل لا يشعرون) بل هم كالبهاائم لا فطنة بهم ولا شعور ليا ملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضميرا للمدبة ويسارع مبنيا للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مستفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمرتبة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم برهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين يوتون ما آتوا) يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما آتوا اى يفعلون ما فعلوه من الطاعات (وقلوبهم وجهه) اى خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه الاثنى فيؤخذوا به (انهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه ومن ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما ينفي عليهم (اولئك يسارعون في الخيرات) يرغبون في الطاعات اشد الرغبة في اداؤها ويسارعون في نيل الخيرات الدينية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها لقوله فانما هم الله ثواب الدنيا فيكون آياتهم مائى عن اضدادهم (وهم لها سابقون) لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجند او سابقون اى يتناولونها قبل الاخرة حيث تجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون (ولا تكلف نفسا الا وسعها) قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيلا على النفوس (ولدنيا كتاب) يعنى اللوح او صحيفة الاعمال (ينطق بالحق) بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع (وهم لا يضلون) بزيادة عقاب ونقصان ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (في غمرة) في غفلة غمرة لها (من هذا) من الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة (ولهم اعمال) خبيثة (من دون ذلك) تجاوزه لما وصفوا به او مخطئة اعمالهم عليه من التبرك (هم لها عاملون) معتدون فلعلها

(حتى اذا اخذنا) متزفيهم (متعبيهم) (بالعباد)

يعني القتل يوم يد ر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضروا جعلها عليهم ستين كسني يوسف فقيطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة (اذا هم يجأرون) فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب (لانتجاروا اليوم) فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا (انكم منا انتصرون) تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذا لم تنصروا منا اولاً بلحقكم نصروا مونة من جهتنا (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقري (مستكبرين به) الضير للتكذيب والبيت وشرة استكبارهم وانفجارهم بانهم قوا مد اغني عن سبق ذكره اولاً يأتي فانها عنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين اولان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله (سامرا) اي تسرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمر جمع سامر وسامرا (تهجرون) من الهجر بالفتح ايمعني القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من هجر وقرئ تهجرون على المبالغة (أفلم يدبروا القول) اي القرء أن ليعلموا انه الحق من ربهم بانجاز لفظه وو ضوح مدلوله (ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسماعيل واعقابها فآمنوا به وكتبه ورسوله واطاعوه (ام لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكال العلم مع عدم العلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء (فهم له منكرون) دعواه لا أحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعاً او ظناً انما يتجد اذا ظهر لمشاعده بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد (ام يقولون به جنه) فلا يزالون بقوله وكانوا يعلمون انه ار جهم عقلاً وانفسهم نظراً (بل جاءهم بالحق واکثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهوداتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكا فامن تو ببح قومه ولقاة فطنته وعدم فكرته لا لكرهته للحق (واواينع الحق اهواءهم) بان كان في الواقع آلهة شتى

ذلك الذي ذكر من اعمال المؤمنين وقيل غفلتهم وجهلهم وقيل المراد اعمالهم التي هم عليها في الحال وقيل بل هو اخبار من الله تعالى عما سئلوا من اعمالهم الخبيثة التي كتب عليهم لا بد ان يعملوها وحتى في قوله تعالى حتى اذا اخذنا متزفيهم غاية غرهم واعمالهم التي يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها اذا هم يجأرون واذا الثانية تنوب عن الفاء اي فهم يجأرون والمعنى الاخبار بانهم لا يبنهاون عن حالهم المذكورة الى ان يأخذ الله متعبيهم وروثاءهم بالعباد والجوار رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ لشدة ما اناهم والسنين جمع السنة وهي الجذب (قوله اذا لم تنصرونا) اي لا يمنعكم الجوار والاستغاثة ولا يخلصكم منا اي من عذابنا على ان تكون كلمة من صلة النصير المنصتن معنى المنع والحفظ وعلى الثاني تكون ابتدائية ثم انه تعالى بين السبب في ان لا ينفعهم ذلك بقوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم (قوله فانه ايمعني كتابي) ومعنى استكبارهم بالقرء أن تكذبهم به استكبارا فضمن الاستكبار معنى التكذيب فمدى تعديته وهو معنى قوله والباء متعلقة بمستكبرين الخ ثم يجوز ان لا تكون الباء للتعدي بل تكون للسببية ويكون المعنى مستكبرين على المسلمين بسبب القرآن واستماعه واصل السمر ظل القمر لسمته لانهم يجلسون فيه بالليل فيتحدثون ويجوز ان تكون الباء في به متعلقة بقوله سامرا اي يسرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكان سرهم بالليل عند البيت ذكر القرآن ونسبته سحر او سحر او نحو ذلك وسب النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وهو حق الاصل مصدر) كانه بيان لوجه افراذه سامرا مع انه حال من ضمير مستكبرين قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عند السامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقال الزجاج السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلا على تقدير ان يتعلق به بقوله سامرا قدم عليه لانه لما كانت عامة سرهم بذكره صاروا كأنهم لا يسرون الا به * وقرأ العامة تهجرون بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وقد يكون بمعنى الهجران والترك والقطع اي تهجرون آيات الله ورسوله وترهون فتهما ولا تصلون فهما وقد يكون بمعنى الهذيان يقال هجر الرريض هجرا اذا هذى والهجر بضم الهاء لمعنى القول القبيح يقال هجره هجرا بالفتح وهجروا عجمي في منطقته اذا قال قولا قبيحا والاسم منه الهجر بالضم وقرئ بهن جيعا اي قرئ تهجرون وقرئ بهن انه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين فرقوا دينهم ودعاهم بان بين ان اقدامهم على هذه الجهالة والغلالة لا بد ان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز الذي يستلزم معرفته الصانع ووحدايته وجميع ما يجب على المكلف في باب الاعتقاد والعمل فلم لا يدبرون فيه ليتروا الباطل ويرجعوا الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم امر غريب لم يسمع ولم يرو عن الامم السالفة وائس كذلك لانهم قد عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت ترسل الى الامم على سبيل التتابع ويثبت لكل واحد منهم ما ادعاه من الرسالة باظهار المعجزات وكانت الامم بين صدق نابع ومكذب هالك يعذاب الاستئصال وما ادعاهم الى ذلك عدم تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام وثالثها ان لا يكونوا عالمين بامانة مدعى الرسالة وصدق قبل ادعائه للنبوة وليس كذلك فانهم عرفوا منه عليه الصلاة والسلام قبل ادعائه الرسالة كونه في نهاية الامانة والصدق والتزعة عن الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلهم على تسجيده بالامانة والصدق ورابعها ان يعتقدوا فيد الجنون فية ولون انه حله على ادعائه الرسالة جتونه وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكن ان يأتي بمثل ما تاتي به من الدلائل القاطعة والشرائع الكاملة ثم انه تعالى لما ذكر معنى ضلالهم وبين فساده قال بل جاءهم الحق اي ليست ضلالتهم مبنية على شيء من هذه الامور بل انه عليه الصلاة والسلام جاءهم بالحق وهو القرآن فلم يوافقوا هواءهم ومآثرتهم واعلم من التقليد واتباع الشهوات فلذلك كرهوه ولم يقبلوه وقول المصنف رحمة الله تعالى عليه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع ناظر الى قوله تعالى ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين وقوله او الشخص ناظر الى قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم وقوله او بحث عما يدل عليه ناظر الى قوله تعالى افلم يدبروا القول اي افلم يدبروا ما جاءهم من القول وهو القرآن العظيم (قوله لانه كان منهم من ترك الايمان استنكا فامن تو ببح قومه) ان يقولوا ترك دين آباءه لا كراهة للحق كما حكى عن ابن طالب فانه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع انه يعرف قلبه حقيقة ويرى بلسانه لكنه لم يقبل ذلك لما نفع على زعمه ويدل عليه قوله حين اجتمعوا اليه وارادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا والله ان يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفنا

(مفسر السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره في قوله نوكان فيهما آياته الخالصة لمفسدا وقيل لواجب الخلق اهلها هم وانقلب بالظلم لذهب ما قام به احكام فلا يبق اولوا اتبع الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اخراهم وانقلب الحق شركا بالله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه اولوا اتبع الله اخراهم بانزل ما يشتهونه من اشرك والله حتى تخرج عن التوبة ولم يقدر أن يمك السموات والارض وهو على اسفل العرش (بل اتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظمتهم اوصيتهم او ان ذكر الذي يمتنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكرهم (هم) عن ذكرهم معشوقين لا يلتفتون اليه (ام تسألهم) قيل انه قسم قوله ام به حنة (خرجا) اجرا على اداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى (خير) لسعدته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطف أنهم وانخرج بازاء الدحل يقال لكل ما تخرجد الى غيرك وانخرج غالب في الضريبة على اذرض ففيه اشعار بالكثرة والزم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطائه اياه وقرأ ابن عامر خراجا فخرج وجرة والكسائي خراجا فخراج للزوجة (وهو خير الرازقين) تقرر بغيرية خراجا (وانك لدعوههم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب انها مهم له واعلم انه سبحانه أرزاهم الحجة وأزاح الدلة في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاثمات وبين انتفاء ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لنا كعون) لعادلون عند ان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولورجناهم وكشفنا ما بهم من سر) يعنى القبط (الجوا) لثبوتها والنجاح للتأدي في الشيء (في طعناتهم) افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعصون) عن الهدى روى انهم خطوا حتى اكلوا العلم بنجاء يوسف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألسنت تزعم انك بعث رجلا للعالمين قتل الابهاء بالسيف والابناء بالجوع فتركت (ولقد اخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكاثوا) لم يهابهم وما يتضرعون (بل اقاموا على عتوهم واستكاثهم وامتنان استغفل من الكون لان المقتدر اتفصل من كون الى كون او اتفصل من السكون اشعت فقتله وأرسل من عادتهم التضرع وهو استشهاده على ما قبله (حتى اذا فتحنا عليهم بابا اذا عذاب شديد) يعنى اجنوع فانه اشد من الاسر والقتل (اذاهم فيه ملبسون) متعبرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتناهم يستعطفك

فاصدع بأمر لئلا عليك غفصاة * وابشر بذلك وقرمت عيوننا ودعوتني وزعت لك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت ديننا لا محالة انه * من خير ابدن السر يدنيا اول الملامة او حذار مبة * اوجدتني سمع ايداك يقينا

وقد اقر ابو طائب بانه عليه الصلاة والسلام خيرتيان قریش في الفضائل الاذانية في السطبة اني خطبها في تزويج خديجة رضي الله تعالى عنها وقد حضر معه بنو هاشم وروساء مضروهي قوله الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل واصطفانا من عنصر مضروجنا حصة دينك وسواس حرمة وجعل لنا لينا محجوجا وحرما آمننا وجعلنا الحكم على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتي من قریش الاربع عليه فان كان في المال قل فالمال ظل زائل ولهو حائل ومحمد من عرفتم له قرابت وقد غضب شريجة بنت خويلد وذكراهما من الصداق ما عاجله وآجله من مالى وهو والله بعد هذا التبا عظيم وخضر جليل كذا ذكره صاحب الكشاف في اواخر سورة آل عمران (قوله كما سبق تقريره) وهو قوله انها لو اتسقت في المراد لتواردت على مستقلة على معلول واحد وان تخالفت فيه لتفاوتت منه (قوله وهو على اصل المعترلة) اي القول بانه تعالى لو اتبع اهواءهم لخرج عن الالهية مبنى على اصل من يقول الحاكم بحسن الاستيلاء وقبحها هو العقل وان ما يستحسنه العقل يجب عليه تعال فعله وان ما يستقبحه يجب عليه تركه والمثابرة لما يشهد الكفرة تنافي الالهية على زعمهم (قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم) متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اذ ليس فيما جاءهم به ما يكرهونه بل هو ذكرهم اي وعظمتهم اوصيتهم اي شرفهم وفخريهم كما قال تعالى وانه لذكرك ولقومك اي شرفك ولقومك لكونه بلسانكم ولغيتكم ثمة تعالى وبخ الكفرة بوجد آخر على عدم اجابتهم الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانكر عليهم اولا بقوله تعالى اف ايدبروا القول وهو استهفاهم بطريق الانكار الى لم يمتدحروا ليعلموا انه حق فيؤمنوا به فيحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا الاستهفاهم الانكار الى استهفاهم انكارى آخر فقال تعالى ام جاءهم عالم بات آباءهم الاولين اي بل أتركوا الايمان به لما جاءهم مالم يسمعوا شيئا من نوحه فانكروا ذلك واستعدوه ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة ثم اضرب ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لانهم في حقد كونه بخونهم ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لكونه يسألهم على تبليغ الوحي جعله يعطونه اياه فيثقل عليهم قبوله وليس الامر كذلك لان ما يعطيك الله تعالى من الاجر والثوبة في الدنيا والآخرة خير من اجرهم وفيه مندوحة لك عن عطائهم فلا عذر لهم في الابهاء عن قبول قولك البتة (قوله في الضريبة على الارض) وهي ما يضرب به الامام على الارض ويضعه بمنزلة الاجرة المضروبة عليها والوجه في كون الخراج مشعرا بالكثرة كثر الضرب بكثرة الاراضى واما وجه كونه مشعرا بالزوم فاجاب الشارح اياه على اصحاب الاراضى انما اجبته ثم انه تعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه صحة ما دعاهم اليه الرسول واشار الى علة تكوب من عدل عنه فقال تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ونكره للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد في قوله تعالى عن الصراط لنا يكون اي لفساد لون التكوب عنه لعدم ايمانهم بالآخرة والتكوب من باب دخل (قوله قتل الابهاء بالسيف) المراد به ما جرى عليهم يوم بدر من قتل ضائديهم واسرهم حيث قتل منهم سبعون واسر من ضائديهم سبعون وهو جوع صندي وهو السبد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الآيات مدنية وان ما اصاب قریشا من القحط سبع سنين من دعا الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد الهجرة وقد ذهب المفسرون الى ان هذه السورة مكية الا ان يقال هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية اعتبارا للاغلب والمعنى لو كشف الله تعالى عنهم هذا الغرير جتد عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا الانكسار والتمنى بين يديه يسترجونه واستشهد على مفهوم هذه الشريعة بانما اخذناهم بعد ذهاب يوم بدر فا وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل فماتوا

ساعده ولا خضعت رقابهم فارسلوا اليك اشد هم شكية في العناد يستعطفك واستكان استغفل من الكون
ومعناه تحول من كون الى كون كاستحبال بمعنى تحول من حال الى حال اى ما تحولوا عن الحال السيئة التي هم
عليها الى الحال الحسنة فان باب الاستغفال قد يكون للتحول نحو استحبال الخمر ويجوز ان يكون افتعل من
السكون اصله استكنوا فأشعبت الكاف فتولدت منها الالف اى ماسكنوا وما ذلوا وما خضعوا لربهم
وما تنصروا بل مضوا على غمدهم وحتى غايه لنفى الاستكانه والتضرع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التي انعم بها عليهم
ليؤدوا بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم التي هي السمع والبصر والفؤاد التي بها يتوصل الى معرفة كل
نافع وضار وكل طيب وخبيث فاخبر الله تعالى انه اعطاهم ما يعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث
مشاهدة وسمعا وما به يميزون بعض الاشياء ويختارون ما هو المختار عندهم ليتأدى بذلك شكره وشكر كل نعمه
استعمالها في طاعة المنعم وعبوديته كاستعمال الحواس في استعمال ما نصب من الآيات واشتغال القلب بتفكير
تلك الآيات والاستدلال بها على ما يجب عليهم من الاستكمال والتحلي بالكمالات العلمية والعملية وادرج
فيه توبيخ العباد بان الشكر منهم قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور فقال تعالى وهو الذى
انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقليل منصوب على انه صفة مصدر محذوف وما مر به
للتأكيد اى حقا انكم تشكرون شكرا قليلا وقيل ليس المراد ان لهم شكرا قليلا بل هو من قبيل قولك للكنوز
الجاحد للنعمه ما اقل شكر فلان للنعمه ثم بين كمال قدرته وقوى سلطنته بقوله تعالى وهو الذى ذرأكم
في الارض وعطف عليه انه لم يخلقهم عبثا وانما خلقهم للبث بعد الموت والحشر اليه فان خلق الخلائق
وتكليفهم بالاوامر والنواهي لمجرد ان ينتهى حالهم الى الموت والفناء من غير ان يميز بين المطيع والعاصي عبث
ولعب تبارك الله وتعالى شأنه عن امثاله علوا كبيرا ثم فصل دلائل قدرته على البعث بقوله تعالى وهو الذى يحيى
ويميت وله اختلاف الليل والنهار فان من ملك وقدر على احياء الموتى وامادة الاحياء لقادر على البعث والاعادة
فان من قدر على انشاء الليل بعد ما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعد ما ذهب اثر الليل لقادر على البعث والاحياء
بعد الموت ثم قال أفلا تعقلون أن من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزء بعدما صرتم ترابا وعظاما فكيف
تشكرون غيره في عبادتكم اياه وتصرفون الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم قال تعالى بل قالوا مثل ما قال الاولون
اى لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعد ذلك بل
قالوا مثل ما قال اسلافهم أنذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أنبعث وهذا محال (قوله لانه يستعمل فيما يتلوه به)
على لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء فعولته يجيب لما فيه التلهى والسفرية نحو انخوكة
واجبوبة واحدثة والكفار كانوا يقولون ذلك بطريق التلهى والطعن في القرءان فيكون الانسب لهذا المقام
جعله جمع اسطورة ثم امر الله تعالى رسوله ان يسألهم ما يلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال
تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فأجيبوا عما أقول لكم ثم اخبر عن جوابهم بقوله تعالى سيقولون
لله قل أفلا تذكرون اى أفلا تعظون بعد هذا الاعتراف فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان
قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية واستحقاق العبادة لان المستحق لها هو الرب
الخالق دون الربوب المخلوق الذى لا يضر ولا ينفع فقوله تعالى أفلا تذكرون معناه التزغيب في التدبر
ليعلموا بطلان ما هم عليه قال تعالى اولا أفلا تذكرون ثم قال تعالى بعده أفلا تعقلون لانهم بتذكرهم
يصلون الى المعرفة وبعد ان يعرفوه يعلمون انه يجب عليهم انفاء مخالفته ووجوب طاعته وفي قوله تعالى سيقولون
لله اشارة الى انهم لا يجحدون بدا من ان يقولوا لله ويعترفوا به لانهم لو انكروا ذلك جهلهم الذى صلى الله عليه
وسلم فظهر جهلهم عند كل الخلائق فلما اضطروا الى الاعتراف بذلك توجب عليهم الاقرار بان يقال لهم فاذا
عرفتم بان ذلك كله لله تعالى وهو خالفكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم امره وانا لادعوكم الا الى ان توحده
وتخلصوا العبادة لله تعالى وعلى هذا الاسلوب قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله اى لا بد لهم من ان يقولوا بذلك فقل لهم اذا عرفتم ذلك واقرتم به افلا تتقون مخالفته وامر نبيه
وكذلك قوله تعالى قل من يده ملكوت كل شئ الآية ذكر اول الارض ومن فيها ثم رقى الى ذكر ما هو اعظم من ذلك
وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر ما يعبر الموجودات بأسرها واختصاصه بملكوته والملكوت الملك

(وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار) لتحسبوا بها
مانصب من الآيات (والافئدة) لتشكروا فيها
وتستدلوا بها الى غير ذلك من المكافآت الدينية
والدنيوية (قليل ما تشكرون) تشكرونها شكرا
قليل لان النعمه في شكرها استعمالها فيما خلقت
لاجله والاذا كان لما فيها من غير اشراك واصله
للتأكيد (وهو الذى ذرأكم في الارض) خلقكم
وبشركم فيها بالتنازل (واليه تحشرون) تجمعون يوم
القيامة بعد تفرككم (وهو الذى يحيى ويميت وله
اختلاف الليل والنهار) ويخص به تعاقبهما
لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لتسبته الى الشمس
حققة او مجازا اول امره وقضائه تعاقبهما
او انتفاص احدهما وازدياد الآخر (أفلا تعقلون)
بالنظر والتأمل ان الكمال مشاوان قدرتنا نعم
الممكنات كلها وان البعث من جثثها وقرئ بالياء
على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (بل قالوا)
اى كفار مكة (مثل ما قال الاولون) آباؤهم
ومن دان بدينهم (قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما
اننا لبعوثون) استبعادوا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك
ايضا ترابا فخلقوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا
من قبل ان هذا الاساطير الاولين) الا كاذبيهم
التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلوه به
كالا عجيب والا ضاحك وقيل جمع اسطار جمع سطر
(قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ان كنتم
من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة اهم
وتفريافهم افرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى
الواضح والزما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال (سيقولون
لله) لان العقل الصريح قد اضطربهم بادى نظر الى
الاقارب انه خالفها (قل) اى بعد ما قالوه (أفلا تذكرون)
فعلوا ان من فطر الارض ومن فيها ابتدأ قدر على
ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهلون من اعادته
وقرئ تذكرون على الاصل (قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم) فانها اعظم من ذلك

(سيفولون لله) وقرأ أبو عمرو ويعقوب بن عمرو لا م فيه وفيما بعده غلى ما يستحقه لفظ السؤال (قل أفلا تفتنون) عقابه فلا تفسر كوايه بعض مخلوقاته ولا تتركوا قدرته على بعض مقدوراته (قل من يده ملكوت كل شيء) ملكه غاية ما يمكن وقيل خزانته (وهو يجيز) يثبت من يشاء ويحرمه (ولا يجار عليه) ولا يفتاح أحد ولا يمنع منه وتعد به على لتفتن معنى التفترة (ان كنتم تعلمون سيفولون لله قل فأتى تسعرون) في ان تخدمون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة (بل انما هم بالحق) من اتوحيدهم والوعده بالشور (وانهم لكاذبون) حيث انكروا ذلك (ما اتخذ الله من ولد) تنقده عن مماثلة أحد (وما (٤١٠) كان معه من اله) يساعده

زيدت انشاء فدل العجالة في تناول الملك والمالك وقيل المعنى خزان كل شيء وقيل ملكوت كل شيء روحه الذي هو من عالم الملكوت وذلك الشيء قائمه به يسبح الله تعالى كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشيء يمد الله تعالى (قوله تعالى سيفولون لله) ذكر في هذا الموضع ثلاث مرات اما الاولى فباللام با تضاف القراء جميعهم واما الثانية والثالثة فقد قرنا بوجهين سيفولون لله والله فمن قرأ الله فعلى لفظ السؤال لانك لو قلت من رب السارق قال في جوابه زيد ومن قرأ الله فقد حل الجواب على معنى السؤال لان قولك من رب الدار معاملة الدار قال الشاعر

اذ اقل من رب السنان بموقف * ورب الجياد الجرد قلى خلد

وفي الكواشي الثاني والثالث في جميع المصاحف بغير الف كالاول الا في مصحف البصريين فانها وجدت بالف فيه (قوله تعالى وهو يجيز) اي يؤمن من يشاء من الخائفين ويمنع من السوء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخاف الله تعالى ولا يمنع منه من اراده بسوء وقوله تعالى سيفولون لله لا ينافي قوله ولا ان كنتم تعلمون لانه تعالى انما قال ذلك اول استهانة لهم ويجوز في حقهم ان يجملوا مثل هذا الظاهر لقرط جهالتهم بالانيات وذلك يستلزم انتفاء علمهم بذلك (قوله في ان تخدمون) يعني ان قوله فأتى يعني من ابن وقوله تعالى تسعرون استارة تبعية بمعنى تخدمون شبه الاخذاع بالسحورية في الدلالة على اختلال العقل فاستعمل اسم السحورية واخذاع هو الشيطان والهرى ثم قل تعالى بل انما هم بالحق اي ليس اتخذهم لقصور البيان من قبل بل انما هم بالحق وما بين به الرشد من الحق وانهم لكاذبون فيما يدعون من اشرك والولد وانكار البعث ونحو ذلك مما يخالف ما اتيناهم به من الحق ثم صرح في جملة ما كذبوا باعادة قول بعض الكفار الملائكة بنات الله تعالى وزعم آخرين ان الاصنام آلهة وكذبهم فيها بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولما ورد ان يقال كلمة اذن لا تدخل الاعلى كلام هو خبر اوجواب فكيف دخلت على قوله لذهب كل اله بما خلق ولم يقدمها شرط ولا سؤال سائل حتى تقع جزاء شرط اوجواب المسؤال اشار الى دفعه بقوله جواب محتاجهم وجزا شرط حذف وقام البرهان على استناد جميع المكنات الى واجب واحد وان كان دليلا على بطلان الالزام الذي هو ان يكون معد آلهة الا ان المصنف رحمه الله تعالى جعله دليلا على بطلان الالزام وهو ان يبطل كل اله بما خلق وان يقع بينهم التحارب وانتقال بناء على ان ما يدل على بطلان المزمع يدل على بطلان الالزام وذكر الله تعالى امرين احدهما قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد والثاني ما كان معه من اله واستدل بهما بدليل واحد لان انتفاء تعدد الالهة يستلزم انتفاء الوداد لانه تعالى لو اتخذ ولدا لكان ذلك الولد اله اذا ولد من جنس الوالد ومن جوهره واذ كان اله اله لذهب اذن كل اله بما خلق اي لا نفرد واستدل بطلان الالزام بطلان المزمع (قوله واصل الهمة الشخص) اي الضمير يقال تحده بعدواى طهته اذ اخس هو الضمير والمهمز والهمزة حديدة تكون في مؤخر خف از ائض ورائض الفرس اصعب من الالتم لوازال صعبتها (قوله والجمع للمرات) يعني ان الهمزات جمع همزة لا جمع همز حتى يقال انه مصدر فكيف يجمع ويجوز ان يكون الجمع لتعدد الانواع من الوسواس او لتعدد المضاف اليه فان الهمزة الواقعة من جماعة الشياطين يجمع ان يكون همز واحد (قوله متعلق يصفون) يعني ان حتى غاية نقوله بما يصفون اول قوله وانهم لكاذبون اي لا يزالون على سوء الذكرو والكذب الى هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر ولم يقل او يكذبون لانه لا يصح ان يكون متعلقا حتى لعدم دلالة على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فانها تبدل عليه كابدل عليه بكذبون ويصفون (قوله والواو) اي في قوله ارجعون مع ان الخطاب للواحد وهو الرب تعالى فمعظم الخطاب كافي قوله

فان شئت حرمت الله سواكم * وان شئت لم اطعم تقا ولا بردا

وقال المازني في قوله ألقى اقياف جهنم كل كذا عتيد معناه ألقى القى ثني الضمير للدلالة على تكرار الفعل اي تكرره مرتين فصكون جمعه ههنا لدلالة على تكرره ثلاث مرات فاجاب الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين يتكبرون البعث يأتون الرحمة الى الدنيا عند معاناة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا الاية (قوله وقيل في المال او في الدنيا) فالعنى على الاول لعلى اعمل صالحا فيما تركت

في الالوهية (اذن لذهب كل اله بما خلق) ولما بعضهم على بعض) جواب محتاجهم وجزا شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معد آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به واستار ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التعالي كما هو حال ملوك الدنيا فيمكن يده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقام البرهان على استناد جميع المكنات الى واجب واحد (سبحان الله غيا يصفون) من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساد (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحذف على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم في انه لا نفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فعلى عايشرون) بالفاء (قل رب اما ترى) ان كان لابد من ان ترى لان ما والتون لنا كيد (ما يوعدون) من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعل في القوم الظالمين) قرنا لله في العذاب وهو اما بعضهم النفس اولان شؤم الضلة قد يحق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيرون الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر تبيان لفي امته تمذوم بطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجوار (وانا على ان ترك ما نعتهم لتادرون) لكننا نؤخره عما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لاننا نعد بهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستجابه لهم له استهزاء به وقيل قد اراده وهو قول بدره وقع مكة (ادفع بالحق هي احسن السنة) وهو الصغ عنها والاحسان في مقابلته لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسنة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو المبلغ من ادفع بالحسنة السنة لما فيه من النصيص على التفضل (نحن اعلم بما يصفون) اي بما يصفونك به ابو صفهم اياك بخلاف حالك وأقدر على جزائهم فكل الياس امرهم (وقل رب اعدوئك من همزات الشياطين) وسواسهم واصل الهمزة الخس ومنه همزات الرأض شبه حشرهم الناس على المعاصي بهم الرأض الدواب على المشي والجمع للمرات ولتنوع الوسواس ولتعدد المضاف اليه (واعوذ بك رب ان يحضرون) ويحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقرآته القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه (حتى اذا جاء احدهم الموت) متعلق يصفون وما بينهما اعتراض تأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحزم ويغريه على الانتقام او يقوله انهم لكاذبون

عن الحزم ويغريه على الانتقام او يقوله انهم لكاذبون الدنيا والواو لتعظيم الخطاب وقيل تكرير قوله ارجعون حتى كافي في قتال وطرفا (لعلى اعمل صالحا فيما تركت) في الايمان الذي تركه اي لعلى آتى بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه دليل السلام اذا جاء الموت من الملائكة قالوا ارجعك الى الدنيا فيقول الى دار انتم يوم والا جيران في قدوم الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن مطلب الرجعة واستبعاد اليها (عأ أدى)

(انها كلمة) يعني قوله رب ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها) لا محالة لتسلط الحسرة عليه (ومن وراءهم) امامهم والضمير للجماعة (يرزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (الي يوم يبعثون) يوم القيامة وهو انقضاء كل من الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة (فاذا نفع في الصور) لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبكسر الصاد تويد أن الصور ايضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم زوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء (٤١١) من أخيه وامه وابيه وصاحبه وبنيه ويقتفرون بها (يؤمنون) كما يفعلون اليوم (ولا يسألون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يسألون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار (فن ثقلت موازينه) موازنات عقائده واعماله اى ومن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) اى ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها (في جهنم خالدون) بدل من الصلوة واخير ثان لا أولئك (تلتج وجوههم النار) تحرقها والافح كالنفع الا انه اشد تأثيرا (وهم فيها كالخون) من شدة الاحتراق والكروح تقلص الشفتين عن الا سنان وقرئ كحون (ألم تكن آياتي تأتي عليكم) على اعمار القوم اى يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأييد وتذكير لهم بما احتسبوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلب علينا شقوتنا) ملكتنا حيث صارت احوالنا مؤذية الى سوء العاقبة وقرأ حزة والكسائي شقوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة (وكنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا اخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لا نفلسنا (قال اخسأوا فيها) استكنوا سكوت هوان فانها ليست مقام سوء ال من خسأت الكلب اذا جرته فحسأ (ولا تكلمون) في رفع العذاب اولاً وتكلمون رأساً قبل ان اهل النار يقولون ألف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فجاوبون حق القول منى فيقولون انا ربنا ائمتنا اثنتين فيجاوبون ذاككم بأنه اذا دعى الله وحده فيقولون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجاوبون انكم ما كنون فيقولون انا ربنا اخرجنا الى اجل قريب فيجاوبون اولم تكونوا اقستم فيقولون ألفا اخرجنا فعمل صالحا فيجاوبون اولم نبركم فيقولون انا رب ارجعون فيجاوبون اخسأوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء (انه) ان الشان وقرئ بالفتح اى لانه (كان فريق من عادى) يعنى المؤمنين وقيل العصابة وقيل اهل الصدفة يقولون ربنا آسفنا غفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فأتخذوهم سخرى) هزوا وقرأ نافع وحزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدران نخر زيدت فيهما ياء النسبة للبا لغت وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمفتوح من السخرة بمعنى الاتقياد والعبودية (حتى انسوكم ذكري) من فرط تشاغلهم بالاستهزاء بهم فلم يخافوني في اوليائهم (وكنتم منهم تفتخكون) باستهزائهم

فأدى حقوق الله تعالى فيه واتقرب به الى الله كما قال لولا اخرتني الى اجل قريب فأصدق وعلى الثاني في الموضع الذى تركته وهو الدنيا يقول اى تركت فيها التوحيد والطاعة فردوني اليها لعل الطاعة والتوحيد فيها (قوله) واما الكافر فيقول رب ارجعون يدل على ان خطاب ارجعون للملائكة لوقوعه في جواب قولهم ارجعوا الى الدنيا فيكون ذكر الرب للشم فكأنهم قالوا عند معاناة الموت بحق الرب ارجعون وقال الامام النسفي رحمة الله عليه يستثني اوليائه تعالى فيقول رب ثم يقول للملائكة الذين حضروه ليقضوا الروح ارجعون اى ردوني الى الدنيا (قوله) والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم (قوله) صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها لبيد

الاكل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وقوله تعالى هو قائلها صفه اسكلمة اى انها كلمة لا يسكت هو عنها البتة لا ستيلا بالحسرة والندم عليه وهو قائلها بلسانه لا تنفعه ولا يحسب اليها وذلك لان التركيب من باب انا عارف فان اعتبر ان هو مبتدأ وقائلها هو الخبر فهو من باب تقوى الحكم فيكون المعنى هو قائلها وحده لا يحسب اليها ولا يتسع منه (قوله) أمامهم) يعنى ان لفظ وراء مشتق من تواريت عنك اذا سترت واخفيت عنه فكل ما توارى عنك سواء كان امامك او خلفك فهو وراءك والبرزخ في الاصل الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى وجعل بينهما برزخا والمراد به ما يحول بينهم وبين الرجعة والقبر فانه مانع من الرجوع الى الدنيا (قوله) والضمير للجماعة) يعنى جمع الضمير في وراءهم بعد التوحيد لشروع هذا الهوى في جنس الكفار ووجاعتهم (قوله) وهو انقضاء كل من دفع ما يتوهم من ان ظاهر قوله تعالى الى يوم يبعثون يدل على انهم يرجعون الى الدنيا بعد يوم البعث بناء على ان الحكم ما بعد كلمة الغاية مشاير الحكم ما قبلها فلما قيل امامهم يرزخ يصددهم عن الرجوع الى يوم يبعثون وفهم منه انهم يرجعون الى الدنيا بعده دفعه بان الكلام يدل على انهم لا يرجعون الى الدنيا اما قبل يوم البعث فلم يصرغ النص واما بعده فلما علم انه لا رجوع بعد يوم البعث الا الى احد المنزلةين الجنة او النار ثم انه تعالى لما قال ومن وراءهم يرزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفع في الصور والمعنى فاذا بعت الناس قبل الصور اذ ان نفع فيها ينلهم صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لحراب الدنيا ولا عادة الاموات وقد زوى عنه علة الصلاة والسلام انه قرن بفتح فيه وقيل الصور جمع صورة والمعنى فاذا نفع في الصور كلها وراحها وهو قول الحسن رضى الله تعالى عنه وكان يقرأ بفتح الواو وضم الصاد وكسرها وقوله بينهم ليس منصوبا بقوله فلا أنساب لان اسم لا اذا بين لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف وذلك المحذوف هو السامال ايضا في يومئذ وقوله تنفعهم او يقتفرون بها اشارة الى ان نسب الانسان لا يقطع يومئذ اما المنقطع فيد الانقضاء به والتفاسر (قوله) لانه عند النفخة) يعنى ان عدم التساؤل عند النفخة فان اهل البعث في يوم القيامة مشغولون بانفسهم عن التساؤل وقبل يوم القيامة متدارسون ألف سنة ففقه ازمة واحوال مختلفة فيتعرفون ويتساءلون في بعضها ويخبرون في بعضها بالشدة الفزع وقيل التاكيد يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا وتعارفوا وتساءلوا وقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن (قوله) والافح كالنفع) اى في الدلالة على معنى الهبوب والشرب يقال نفع الرمح اى هبت قال الاممى رجعة الله تعالى عليه ورضى عنه ما كان من الرياح لنفعا فهو برد وما كان لفسا فهو حر (قوله) والكلوح تقلص الشفتين) قيل تشويه النار فتقلص شفتي العلام حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفتي السفلى حتى تبلغ صدره (قوله) وهما مصدران نخر تقول سخرت منه يده اسخر من باب علم سخر واستخريا وسخر يا ذا ذرأته به والذي يدل على ان المراد منه الهزؤ قوله تعالى وكنتم منهم تفتخكون والضحك اما باللام السخرية والهزؤ فظهر انه ساغتان بمعنى واحد (قوله) تعالى حتى انسوكم ذكرى وكنتم منهم تفتخكون) اى نسوهم باستهزائهم بالنسب الانساء الى عباده المؤمنين وان لم يفعلوا ذلك لكونهم سباني ذلك كقوله تعالى رب انهن اخسلن كثيرا من الناس لكون الامستام سببا للاضلال (قوله) على الامر) يعنى انهم قرأوا قل كنتم لستم على معنى انه امر السالك اول بعض رؤساء اهل النار ان يسأل اهل النار ويقول كنتم لستم في الارض احياء واما في القبور اى ان بعثوكم في موضع التصيب على ظرف الزمان اى كم لهم سنة وعدد بدل من كم قاله ابو البقاء والصحاح ان عدد سنين هو التمييز والمقصود من هذا السؤال هو التبكيت والارام لانهم كانوا يشكرون البعث في الآخرة رأسا وشولوا لالب الا في دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت

(اى جزيتهم اليوم بما صبروا) على اذ انهم هم الفائزون فوزهم بجماع مراد انهم خصوصين به وهو نافي منفعل جزيتهم وقرأ حزة والكسائي بالكسر استنفا (قال) اى الله والملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحزة والكسائي على الامر لك اول بعض رؤساء اهل النار (كنتم لستم في الارض) احياء واما وانا في القور (عدد سنين) تميز لكم (قالوا) يا يوما واما (بعض يوم) استقصا لمدته بلهم فيم بالانبياء الى خلودهم في النار ولا انها كانت ايام سرورهم واما السرور قصارا ولا انها متقضية والمتقضى في حكم المعلوم (فاسألوا الذين) الذين يمتثلون من عذابها ان اردت تخبرتها فانا لما نحن غيب من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها والملائكة الذين يسدون اعين الناس عن تذكرها (وقرى) العادين بالتحقيق اى الغلبة فانهم يقرأون ما يقول والعادين اى القدماء المعسرين فانهم ايضا يستقربون (قال) وفي قراءة الكوفيين قل

(ان ليتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) تصديق لهم في
تعاليمهم (انما خلقناكم عبثا) توبيخ على تعاطفهم
وعبثا حال بمعنى عبثين او مفعول له اي انما لم تخلقكم
لتعذيبكم وانما خلقناكم لتبديكم ونجازيكم على اعمالكم
وهو كالدليل على البعث (وانكم اليها لا ترجعون)
معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (فعلى الله الملك الحق)
الذي يحق له الملك مطلقا فان من عباده ملوك بالذات
ملك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال
(لا اله الا هو) فان ما عباده عبيد (رب العرش الكريم)
الذي يحيط بالاجرام وترتل منه محكمات الاقضية
والاحكام ولذلك وصفه بالكرم والنبه الى اكرم
الاكريم وقرئ نافع على انه صفة الرب (ومن
يدع مع الله الها آخر) بعبد افرام او اشراكا
(لأبرهان له به) صفة اخرى لا اله الا الله فان الباطل
لا برهان به جبي بها للتأكيد وبناء الحكم عليه
تبيينه على ان التدبر بما دليل عليه ممنوع
فضلا عما دل الدليل على خلافه واعتراض بين
الشرط والجزاء لذلك (فانما حسابه عند ربه) فهو بمجازله
مقدار ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الانسان
وقرئ بالفتح على التعليل او الخبراى حسابه عدم
الفلاح بداء السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها
ببني الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان
يستغفره ويسترحه فقال (وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين) عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنين بشرته ملائكة بالروح
الريحان وما تقر به عبيده عند نزول ملك الموت وعنده
انه قال لقد ازلت على عشرين آيات من اقامهن دخل
الجنة ثم قرأ فافلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى
ان اولها وآخرها من كنوز الجنة ومن عمل
بثلاث آيات من اولها واعطى بأربع من آخرها
فقد نجح وافلح والله اعلم

(سورة النور مدنية وهي ثمان اواربع وستون آية)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(سورة) اي هذه سورة اوفيا اوحيا اليك سورة
(انزلناها) صفتها ومن نصبها جعله مضرا
لنفسها فلا يكون له محل الا اذا قدر اكل او دونك
او نحوه (وفرضناها) وفرضنا ما فيها من الاحكام
وشدده ابن كثير وابوجرو لكثرة قرأ نضها
او المفروض عليهم او الباء الغنة في ايجابها (وانزلنا
فيها آيات بينات) وانصحت الدلالة (لعلكم تذكرون)
فتتقون الحرام وقرئ بخفيف الذال (الآية

والرائي) اي فيما فرضنا او انزلنا حكمها وهو الجلد ويجوز ان يرعا بالابتداء والخبر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وان شاء لتعذيبهما معنى الشرط اذا لام

(الى)

يدوم النساء ولا يبعث بعده ولما حصلوا في النار وايقنوا دوامها واخلودهم فيها سألوا كم ليتم في الارض تذكر انهم
ان ما ظنوه دأما طويلا فهو قليل يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه
في الدنيا ويبتغون خلافة فان قيل كيف يصح ان يقولوا في الجواب ليشاؤا ما وبعض يوم ولا يقع الكذب في الآخرة
فالمستفحمة الله تعالى عليه اشار الى جوابه بقوله استقصارا لمذنبهم فيها الى آخرة وقبل انهم نسوا قدر ليتم
في الارض لكثرة ما هم فيه من الاهوال وعظم ما هم بصدد منه العذاب ويدل عليه قولهم فاسأل العاصين اولان
المتنضي ليس له قدر في مقابلة الباقي فهو اقل من كل قليل ولهذا صدقهم الله تعالى في استئثارهم تلك المدة حيث
قال ان ليتم الا قليلا اي زما قليلا او لثا قليلا وجواب لو مقدر اني لو انكم كنتم تعلمون مقدار ليتم من الطول
لما اجتم بهذه المدة كذا قاله ابو القاسم رحمه الله تعالى عليه يعني انه تعالى صدقهم في اصل الاستقلال وجهلهم
في تعيين المدة ثم تعالى لما يكتمهم في انكارهم البعث ولبث الآخرة ونجهم على تماديهم في الغفلة وتركهم انص
انصح فيما يدل على حقية البعث والقيامة فانه لو لا اقيامة لمعير المضاع من اعاصي والصدق من الزديق
فيكون خلق العالم عبثا فقال تعالى انما خلقناكم عبثا ثم تزه نفسه عن البعث بقوله فعلى الله الملك
الحق والمراد من الرجوع الى الله تعالى الرجوع الى حيث لا مال ولا حاكم فيه سواء لا الرجوع من مكان الى مكان
فيه الله تعالى وذلك ظاهر والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة النور مدنية وهي ستون وآيات اواربع آيات)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روى الامام الواحدى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله تعالى عنهم قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تزلنوهن الغرف ولا تملوهن الكتابة وعلوهن الغزل وسورة النور يعنى النساء
(قوله اي هذه سورة) على ان سورة خبر مبتدأ محذوف وعلى الثاني هي مبتدأ والخبر محذوف وانزلناها على
التقدير بن صفة سورة للمدح والتأكيد بناء على ان الانزال يفهم منها اي السورة لانها اسم لصائفة من القرآن
المنزل علم ابتداءها وانقضاءها بالتوقيف فان قلت ما فائدة هذا الجمل مع ان كل واحدة من فائدتى الخبر ولازمها
مختلف فيها فالجواب ان احدى القائمتين انما اضل من الكلام الذى يقصده اداة الخطاب ويكون التكلم
في صدد الاخبار والاعلام واما الكلام الذى يقصده الامتنان والمدح والترغيب فلا يجب قيده شيئا منهما (قوله
وفرضناها فيها) على طريق ذكر المحل وارادة الحال وقال ابو على اي فرضنا فرضها المذكرة فيها المحذف المضاعف
(قوله فتتقون الحرام) اشارة الى ان قوله تعالى تذكرون من تذكر ما قبل لامن ان تذكر بمعنى الاتعاظ كانه قيل
انزلنا فيها آيات بينات لتعلموها وتذكروها وقت الحاجة اليها قال الامام رحمه الله تعالى عليه في اول هذه السورة
انواع من الاحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله تعالى وفرضناها اشارة الى الاحكام التى بينها والاول
ثم قال تعالى وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى ما بين فيها من دلائل التوحيد الذى يؤكد هذا التأويل قوله تعالى
لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمنوا بتذكرها انتهى كلامه وجعل دلائل
التوحيد في قوة المعلوم لمساعدة العقول السليمة الى قبولها وابتنائها على مقدمات مسلمة مركوزة في القلوب
(قوله اي فيما فرضنا) على ان قوله الزانية والزاني حذف خبره ثم بين حكمهما بقوله فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة الآية والفاء فيه لعطف تفصيل الجمل على الجمل كافي قوله تعالى ونادى نوح ربه فقل رب انى
من اهلى فان الفاء العاطفة للسجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبعا على ما قبلها في الذكر لان مضمون
ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها في الزمان (قوله وقرئ بالنصب) اي على الاضمار على شريطة التفسير
والتقدير اجدوا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ودخلت انشاء في اول الفعل المفسراية انباءه واقعه في
موقع جزاء شرط محذوف والاصل ان اردتم معرفة حكم الآية والرائي فاجلدوا وهما اجدوا وكل واحد منهما
مائة جلدة فحذف الشرط اعتمادا على دلالة سياق الكلام عليه وحذف الفعل الاول ثم فسر لكون التفسير بعد
الابهام اوقع في النفس فصار زانية والزاني اجدوا وكل واحد منهما ثم قدم المفعول على الفاء ليصير عوضا عن
الشرط المحذوف كاترى (قوله لاجل الامر) فان الفعل الواقع بعد ما اضمر عاملة على شريطة التفسير اذا كان
امرا او نهيا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية وهي أولى ان أمكن اختصاص الطلب بالفعل الا يرى

الى اختصاص حروف الطلب بالفعل كحرف الاستفهام والعرض والتخصيص فالرفع الزانية على الابتداء لكان
 فعل الامر خبرا والامر لا يقع خبرا الا بتأويل وقوله والار ان بلاياى وقرى والار ان بلاياى اكفاء بالكسرة عنها
 كافى قوله يوم يدع الداع (قوله والجلد ضرب الجلد) كايقال رأسه ويطنه اذا ضرب رأسه ويطنه فكذا يقال
 جلده اذا ضرب جلده والارنى عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم قطعاً (قوله وهو حكيم يخص من
 ليس بمحصن) يعنى ان الآية تناول جميع الزناة والارناى من المحصن وغيره الا ان ما نقله الينا بطريق التواتر من انه
 صلى الله عليه وسلم رجم من زنى محصناً خضع الآية بغير المحصن فان تخصيص القرءان بالخبر المتواتر يجوز انفساً
 قال الامام رحمه الله تعالى عليه واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من انه صلى
 الله عليه وسلم فعل ذلك وقال عمر رضى الله عنه اذا طال الزمان على الناس رجم يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب
 الله تعالى فيضل بترك فريضة انزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخ اذ انيافار جوهما البتة ورجم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبر ان الذى فرضه الله تعالى هو الرجم (قوله وزاد الامام الشافعى عليه الخ)
 وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه يجلد ما التغيريب ففوض الى رأى القاضى وهو الامام واحتج ابو حنيفة
 على نفي وجوب التغيريب بوجوه منها ان ايجاب التغيريب يقتضى نسخ الآية ونسخ القرءان بخبر الواحد لا يجوز
 وقرأنا النسخ من ثلثة اوجه الاول انه سبحانه وتعالى رتب الجلد على فعل الرنى بالفاء وحرف الفاء البحر آء وقد صرح
 ثمة الغد رحمة الله تعالى عليه يذكر الشرط والجزاء وفسروا الشرط بالذى دخلت عليه كلمة ان والجزء الذى دخل
 عليه حرف الفاء والثانى ان الجزاء اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم جزاهى كفاه وقال صلى الله عليه وسلم
 يجرىك ولا يجرى بعدك احداى كيفيك ومنه قول القائل اجزيت الابل بالعشب عن الماء وانما تقع الكفاية بالجلد
 اذا لم يجب معه شئ يقتضى نسخ كونه كافياً والثالث ان المذكور فى الآية لما كان هو الجلد كان ذلك هو كمال
 الحد فلو جعلنا التغيريب معتبراً مع الجلد كان الجلد بعض الحد لا كل الحد فيقتضى الى نسخ كونه كل الحد واجاب
 عنه المصنف رحمه الله تعالى عليه بانه ليس فى الآية ما يفيد دفع وجوب التغيريب اذ ليس فيها الا ادخال حرف
 الفاء على الامر بالجلد وما كون مدخولها جراً كافياً فى العقوبة فليس من كلام الله تعالى ولا من كلام رسوله
 عليه الصلاة والسلام بل هو قول بعض الادباء فلا يكون حجة وليس فى الآية الشرقة الا وجوب الجلد وليس
 فيها ما يفيد شأ آخر بوجوهه والنسخ المقول نسخ الكتاب بالنسخ المتواتر والمردود منه نسخ بالاحاد فانه
 مردود عند الخفية رضى الله تعالى عنهم (قوله وله فى العبد ثلثة اقوال) احدها تغريب سنة كما
 فى الحر لان التغيريب الا يحاش وذلك معنى يرجع الى الطبع فيستوى فيه الحر والعبد كدء الابل والعنة وثانها
 تغريب نصف سنة لقوله تعالى فليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والتغيريب يقبل التخصيص فينصف
 كما ينصف الجلد فانه يجلد نصف جلد الاحرار وثالثها انه لا يغرب كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه لقوله صلى
 الله عليه وسلم اذ انتمامة احدهم فليجدها الحد كما وجب عليها ولم يؤمر بالتغيريب لان منافعة السيد فى تغريبه
 اضرا بالسيّد واعلم أن كون الرنى موجبا للرجم نارة والجلد اخرى مشروط بالعقل والبلوغ بل هما معتبران
 فى العقوبات كلها اما كونه موجبا للرجم فلا يفيد مع العقل والبلوغ من شروط اخر الشرط الاول الحرية
 واجمعوا على ان الرقيق لا يجب عليه الرجم البتة كما اجمعوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة وكذا العبد عند الجمهور
 وقال اهل الظاهر يجلد العبد مائة جلدة كالحرة ماعدا يوم قوله تعالى الزانية والارناى فاجلدوا كل واحد
 منهما الآية الشرط الثانى الزوج بنكاح صحيح فلا يحصل الا حصان بالاصابة بملك اليمين وبوطى الشهدة بالنكاح
 الفاسد الشرط الثالث الدخول ولا بد منه لقوله صلى الله عليه وسلم التيب بالتيب وانما تصيرت بالوطى وشرط ابو
 حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان تكون الاصابة بالنكاح صحيحاً بعد البلوغ والحرية والعقل لانه شرط اكل
 الاصابات وهو ان تكون بنكاح صحيح وشرط ان تكون الاصابة فى حال الكمال والاسلام ليس شرطاً فى كون الرنى
 موجبا للرجم عند الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وابى يوسف ايضا وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه هو
 شرط ايضا واحتج بان الذى يزنى بعد الاحصان لا يجب عليه القتل فبان الاول قوله صلى الله عليه وسلم من
 اشرك بالله فليس بمحصن وبيان الثانى ان السالم الذى لا يكون محصناً لا يجب عليه القتل لقوله عليه الصلاة والسلام
 لا يجلد دم امرئ مسلم الا لادمعان ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل النفس بغير حق وللمم يكن الذى

وانما قدم الرانية لان الرنى فى الاغلب يكون بتعرضها
 للرجل وغرض نفسه عليه ولان مفسدته تحقق
 بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكيم يخص
 بمن ليس بمحصن لماسدل على ان حد المحصن هو
 الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله
 عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
 وليس فى الآية ما يفيد فعه لينسخ احدهما بالآخر
 نسخاً مقبولاً او مردوداً وله فى العبد ثلثة اقوال
 والا حصان بالحرية والبلوغ والعقل والاضابة
 فى نكاح صحيح واعتبرت الخفية الاسلام ايضا وهو
 مردود برجه عليه السلام يهود بين ولا يعارضه
 من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى
 يقتص له من السلم

محصنالم يجب قتله باقدامه على الزنى واجاب المصنف رحمة الله تعالى عليه عن هذا الاحتجاج بان معنى الحديث الشريف ان من اشرك بالله فليس يحصن اى يحصن الدم فلا يقتل قاله المسلم قصاصا فان القصاص انما يجب بقتل من احصن دمه ابد والمشرک ليس بمن احصن دمه ابد فلا يقتل من المسلم لاجله واليه ذهب الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر ويقتل المسلم بالذمى عندنا لما روى انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويجب القصاص في الاطراف بين المسلم والكافر اجساعا واعلم ان عقوبة الزانى كانت في اول الاسلام ان يحبس الى ان يموت في حق الثيب وان يؤذى بالكلام في حق البكر قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا والذان ياتيانهم انتم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهم فان الله كان توابا رحيمًا ثم نسخ ذلك فجعل حد الثيب على الزنى الرجم وحد البكر الجلد والتغريب روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال حدثتني انه قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واحتج الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه بهذا الحديث على ما ذهب اليه من الجمع بين الجلد والتغريب في البكر وبين الجلد والرجم في حق الثيب (قوله تعالى لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) اى لا تدرككم الرأفة والشفقة عليها بحيث تؤدى الى تعطيل حد الله تعالى وترك الاقامة او المسامحة فيه فان الايمان بوجوب الاتيان بامر الله تعالى والتسديد فيه دون اللين والمسامحة وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد وسوطا فية لم تقصده فية قول رحمة بعبادك فيقال له انت ارحم واعلمه منى فيؤمر به الى النار ويجوز ان يكون هذا الحديث تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار وعن ابى هريرة رضى الله عنه اقامة حد بارض خبر لا هلهما من مطرار بهين ليلة (قوله وقيل واحد) احتجاجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله واثنان احتجاجا بقوله تعالى فلولا غفر من كل فرقة منهم طائفة وكل ثلاثة فرقة والحارح من الثلاثة واحد واثنان والاحتياط بوجوب الاخذ بالاكثر انه تعالى لما بين عقوبة الزنى وحكمه وعقوبة من ارتكبه بين حكما ثانيا فقال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة الآية ولما كان ظاهرا نظم اخبارا بان الزانى لا ينكح المؤمنة العفيفة وان الزانية لا ينكحها المؤمن انقى وكان هذا الحصر عرا غير ظاهر الصحة في حكم هذه التبعة لان الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وكذا قوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين فانه ايضا غير ظاهر الصحة فان المؤمن يتحل له ان يتزوج المرأة الزانية اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بان حمل الاخبار المذكورة على الايم الاغلب على طريق قولك لا يفضل الخير الا لرجل تقي مع ان بعض من لا يكون تقي قد يفعل خيرا فراد القائل بيان ان ما وقع من الخبر انما يقع غالباً من التقي وهو لا ينافي وقوعه من غير التقي على قتله فكذلك ما هنا ومن حمل التحريم على التزنية قال الامام النسفي واصح الاقاويل في هذه الآية الشريفة انها تهدينى حق نكاح البغايا وتأويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لا يرغبوا الا فى المسلمات العفيفات واما الزانى فهو عاصم الى من كان على مذهب في الزنى او الى من لا يعتقد الايمان فضلا عن ان يشكر في العنف والزانية ايضا انما تميل الى احد الرجلين اما الى زانى مثلهما او الى مشرك شرمها (قوله فكان حق المقابلة) اى قوله تعالى الزانى لا ينكح اى لا يتزوج انما يقابله فوكس الزانية لا ينكح ولا يتزوج الامن هو زان الا انه لما كان المقصود بيان احوال الرجال وان طائفة تميل الى العفاف وطائفة تميل الى الفواحش لم يراع حق المقابلة (قوله والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه) فالعنى وحرم نكاح البغايا قصد التوسع بما أخذ في الزنى كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرن انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة ان يتزوجوا بهن الى ان يغنيهم الله تعالى عنهن فاللام والالف في قوله تعالى الزانى وفي قوله تعالى على المؤمنين وان كان للمعوم تظاهر السكن المراد به الاقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم تقدير الآية والله تبارك وتعالى اعلم اولئك الزناة لا يتكهنون الا الزانيات وتلك الزانيات لا يتكهن الا اولئك الزناة وحرم نكاحهن باعيانهم على المؤمنين * والايمى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان لوامرأة وسئل عليه الصلاة والسلام ان من زنى بامرأة هل ان يتزوجها فاجاب بقوله صلى الله عليه وسلم اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وشبهه ابن عباس بمن سرق ثم شجرة ثم اشتراه وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذا الآية الشريفة واذا باشرها كان زانيا (قوله وهو فاسد)

(ولا تأخذكم بهما رأفة) رحمة (في دين الله) في طاعتك واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه فذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير يفتح الهمزة وقرئت بالده على فعالة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يقتضى الجدى في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهيج (وليشهد عذا بهما طائفة من المؤمنين) زيادة في التكبيل فان التضييق قد يتكسر اكثر مما يتكسر والتعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من الطوف واقفا ثلاثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع يحصل به الالتئيم (الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكح الا زان او مشرك) اذ الغالب ان المسائل الى الزنى لا يرغب في نكاح الصالح والمساخة لا يرغب فيها الصالح فان المسألة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب التفرقة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرن انفسهن لينقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى (وحرم ذلك على المؤمنين) لانه شبه بالفاسق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والظعن في النسب وغير ذلك من المفساد ولذلك عبر عن التزنية بالتحريم مبالة وقيل التنى بمعنى التهى وقد قرئ به والحرم على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه او منسوخ بقوله وأنكحوا الايمى منكم فانه يتناول المسامحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤيد الى نهى الزانى عن الزنى الابزانية والزانية ان يزنى بها الا زان وهو فاسد

لان الاشكال باق لان ترى ان الزانية قد ينكحها الرجل العفيف والزاني قد ينكح العفيفة ويتزوجها واولقنا بان المراد ان الزاني لا يبطأ بطريق الزنى الا ان الزانية فهذا كلام لا فائدة فيه (قوله لوصف المقدوفات بالاحصان) بيان للقرينة المعينة لتكون المراد بالشئ المقدوف به الزنى فان ظاهر الآية الشريفة لا يدل الاعلى الشئ الذي روى به المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنى لان المحصنات قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلا بد من قرينة تدل على تعيين المراد وانفق العلماء رضى الله عنهم على ان المراد بالرمي الزنى في قرينة تقدم ذكر الزنى لانه تعالى وصف المقدوفات بالاحصان وهو العفة عن الزنى في فدل ذلك على ان المراد وصفهن بعدم العقاف لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء أى على صدقهم فيأمرهم به وكون الشهود اربعة انما يشترط في المقدوف بالزنى فان القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان وان الواجب فيه التعزير دون الحد ثم ان اقر المقدوف على نفسه بالزنى او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد وجب لافتراءه على البريء وقد ثبت صدقه (قوله ولا فرق فيه) يعنى لا فرق بين المحصنين والمحصنات في ان قذفهم بالزنى يوجب جلد القاذف ثمانين جلدة الا ان النص ورد في قذف المحصنات لما ذكره (قوله بخصوص الواقعة) على ما قبل من ان هذه الآية نزلت في حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه حين تاب بما قال في حق عائشة رضى الله عنها (قوله ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء) لان الاتيان باربعة شهداء يصدق على الاتيان بهم مجتمعين ومفرقين قياسا على سائر الاحكام فانها ثبت بشهادة الشهود تبعا سواء شهدوا بها مجتمعين او مفرقين فكذا حكم الزنى وقال ابو حنيفة رضى الله عنه اذا شهدوا مفرقين لا يثبت الزنى وعليهم حد القذف لان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذف المشهود عليه ولم يأت باربعة شهداء فيجب عليه الحد وتعبير القذف بلفظ الشهادة لا يخرج عنه كونه قاذفا ولو أتى القاذف باربعة شهداء فساق فشهدوا على المقدوف بالزنى قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه في احد قوله يحدون واحتج ابو حنيفة بانه أتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحد والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرأط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة (قوله لضعف سببه) أى بالنسبة الى سبب ضرب الزنى فان سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتل الصدق والكذب وسبب ضرب الزنى في فعل ثبت بالشهود العدول ولا شك انه اقوى في كونه خشا بالنسبة الى القول فخفف عقوبة القول الضيف واحتمل صدق مقال القاذف يقتضى سقوط الحد رأسا الا انه عوقب صيانة للعرض وردعا عن هتكه (قوله خلافا لابي حنيفة رضى الله عنه) فان عدم قبول شهادته متوقف على اقامة الحد عليه عنده حتى اذا تاب قبل اقامة الحد عليه او قبل تمام حده تقبل شهادته عنده فعنى الآية والله تبارك وتعالى اعلم عنده ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا بعد اقامة الحد عليهم فلا تقبل شهادة المحدود في قذف وان تاب وصار من اتقياء وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه تقبل شهادته اذا تاب لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت من الذنب يكن لا ذنب له ومن لا ذنب له تقبل شهادته فيجب ان تقبل شهادته من تاب عن القذف وهذه المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل يرجع الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة الاخيرة فعند ابي حنيفة رجعة الله تعالى عليه الاستثناء المذكور عقب الجمل الكثيرة مختص بالجملة الاخيرة وعند الامام الشافعى رجعة الله تعالى عليه يرجع الى الكل لان الواو للجمع المطلق فقوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون جل معاطفة بالواو فصار الجميع كأنه ذكر معا لا تقدم للبعض على البعض فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقي اذ لم يكن لبعضها تقدم على البعض في المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ويؤيده اننا اجعنا على انه لو قال عبده حر وامرأته طالق ان شاء الله تعالى فانه يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه واحتج اصحاب ابي حنيفة رجعة الله تعالى عليهم على ان الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بانه لو رجع الى جميع الجمل المتقدمة لوجب ان لا يجلد القاذف اذا تاب وهو باطل بالايجاع فوجب أن يختص بالجملة الاخيرة فقال المصنف رجعة الله تعالى عليه بناء على مذهب ان الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيا للجلد ورد الشهادة ابدا والتفسيق والمعنى من قذف محصنة فاجعوا له الجلد والدوا لتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله تعالى يغفر لهم جناية قذفهم فلا يعاقبهم عليها وما ورد ان يقال فعلى هذا يلزم ان القاذف اذا تاب عن القذف قبل ان يجلد يسقط عنه الحد وهو لا يسقط بالايجاع اشار الى جوابه بقوله ولا يلزمه

(والذين يرمون المحصنات) يقصد فونهن بالزنى لوصف المقدوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والتدفع بغيره مثل يافاسق ويأشأ رب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنى ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات بخصوص الواقعة اولاً ثم قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقدوف خلافا لابي حنيفة ولكن ضربه اخف من ضربات الزانى لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولا تقبلوا لهم شهادة) أى شهادة كانت لانه مفرق وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول بيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيرتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده (ابدا) ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره (واولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) عن القذف (واصلحوا) اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقدوف

سقوط الحدية كما قيل لأن من تمام توبته الاستسلام للعدا والاستحلال من المذوف فإن للمذوف أن يعفو عن موجب القذف قبل أن تشهد الشهود ويثبت القذف وأما بعد أن يرفع للقاضي ويثبت القذف بأقامة الشهود عليه فليس له أن يعفو بعده لأن المذوف وإن استحق على القاذف أن يستوفى منه الحد إلا أنه لما اجتمع فيه حقان وحق الشرع فيه غالب فليس للمذوف أن يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته (قوله ومحل المستثنى النصب) لما تقرر في النكاح أنه يجوز النصب ويختار البذل فيما بعد الاقلام غير موجب والمستثنى منه مذکور كقولك ما مررت بأحد الأزيد بالجرح على البذل من أحدوا الأزيد بالنصب على الاستثناء ويجب نصبه في كلام موجب وما في الآية لما كان راجعا إلى أصل الحكم وكان المعنى ومن قذف المحصنات فاجعوا لهم هذه الأمور كان الاستثناء في كلام موجب فيجب النصب (قوله وقيل إلى النهي) أي وقيل الاستثناء الواقع في هذه الآية يرجع إلى قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وهو كلام غير موجب وحق المستثنى أن يكون مجرورا بدلائل من هم في لهم قال صاحب الكشاف والامام الشافعي جعل جزاء الشرط جملي فاجلدوا ولا تقبلوا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية متعلما لا يعموع جملي الأمر والنهي لأن التوبة لا تسقط حق العبد ولم يرض المصنف رجدة الله تعالى عليه بهذا الفعل لكونه مخالفا لما اشتهر عن الامام الشافعي رجدة الله تعالى عليه من كون الاستثناء المذکور عقيب الجمل يرجع إلى الكل (قوله وقيل منقطع) أي عاقبه والمعنى لكن الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو فإن الله غفور رحيم فقوله إلا الذين مبتدأ خبره قوله فإن الله غفور رحيم أي غفور لهم فحذف الجار والمجرور للعلم به روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء قال عاصم بن عدي الانصاري رضي الله تعالى عنه أن دخل رجل من بني بنيته فرأى رجلا على بطن امرأته فاجابا بربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وإن قتله قتل به وإن قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضربت وإن سكنت سيكت على غيبه اللهم افصح وكان لعاصم هذا ابن عمه يقال له عويم وكان له امرأته يقال لها خولة بنت كرش فأتى عويم عاصما فقال له لقد رأيت شريك بن سحمان على بطن امرأتى خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تبليت بهذا في أهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذاك فقال اخبرني عويم ابن عمي أنه رأى شريك بن سحمان على بطن امرأته خولة فندع رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم جميعا فقال لعويم أتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله لقد رأيت شريكا على بطنها وأتى ما قرنتها منذ أربعة أشهر وأنا حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتق الله تعالى ولا تخبري إلا بما صنعت فقالت يا رسول الله أن عويمًا رجل غيور وأنه رأى شريكا يطيل النظر ويتحدث معي فحملته الغيرة على ما قال فأمر الله تعالى أن الذين يرمون المحصنات الغافلات ونزل أيضا قوله تعالى والذين يرمون أزواجهن وبينه أن حكم قذف الزوجة اللعان بعد ما بين حكم قذف الأجنبية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يؤذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويم قم وقل أشهد بالله أن خولة لزانة وأتى لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد أني رأيت شريكا على بطنها وأتى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله أنها حبلى من غيري وأتى لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله أنها زانية وأتى ما قرنتها منذ أربعة أشهر وأتى لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويم يعني نقصد أن كان من الكاذبين ثم قال أقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما تابزانية وإن زوجي لمن الكاذبين وقالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وأنه من الكاذبين وقالت في الثالثة أشهد بالله ما تابزانية إلا أنه من الكاذبين وقالت في الرابعة أشهد بالله ما رأى على فاحشة وأنه من الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة بنت كرش أن كان عويم من الصادقين في قوله ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ثم قال عليه الصلاة والسلام إن جاءت بولدها مشابها لك فذاك وإن جاءت به مشابها لمن قبل فيه فهو له ثم جاءت به غلاما يشبه من نسب إليه فقال لولا الإيمان لكان لي وفي هذه الواقعة آيات أخر منها ما أشار إليه المصنف رجدة الله تعالى عليه بقوله نزلت في هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم (قوله وأربع نصب على المصدر) لأنه في حكم المصدر بإضافته إليه وناسب هذا المصدر مصدر مثله كحما في قوله تعالى فإن جهنم جزأؤكم جزأؤموفورا (قوله وثبت حد الزنى على المرأة) عطف على قوله سقوط حد القذف عنه وأعلم أنه إذا قذف الرجل امرأته بالزنى يجب عليه الحدان كانت محصنة أو تزوجت لم تكن محصنة كما في قذف

والاستثناء راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحدية كما قيل لأن من تمام التوبة الاستسلام له والاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقبل إلى النهي ومحل الجرح على البذل من هم في لهم وقيل إلى الأخيرة ومحل النصب لأنه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده (فإن الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) نزلت في هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن الأبعي غير (فشهادة أحدهم أربع شهادات) قالوا يجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه جرة والكسائي وحفص على أنه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لأنها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها (أنه لمن الصادقين) أي فيما رماها به من الزنى وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت أن وعلق العامل عنه باللام تأكيذا (والخامسة) والشهادة الخامسة (أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين) في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين ورفع لعنة هذا لعان الرجل وحكم سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام التلاعنان لا يجتمعان أبدا ويفرق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد أن تعرض له فيه وثبت حد الزنى على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) أي الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين) فيما رماها به (والخامسة أن غضب الله عليها أن كان من الصادقين) في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدهما الخبرا وبالعطف على أن تشهد ونفسها حفص عطفًا على أربع وقرأ نافع أن غضب الله بكسر الصاد وفتح الباء ورفع الله (ولو لأفضل الله عليكم ورحته وإن الله نواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم أي لتضعكم وما جعلكم بالقوبة

(ان الذين جاؤا بالافك) بابلغ ما يكون من الكذب
من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه
والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها وذلك
انه عليه الصلاة والسلام استحبها في بعض
الزروات فأذن ليلة في الفقول بالرحيل فشت لقضاء
حاجة ثم عاد الى الرحل فليست صدرها فاذا عقدها
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلمسه فظن
الذي كان يرحلها انها دخلت اليهودج فرحلة
على مطيها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا
فليست ي يرجع اليها مستند وكان صفوان بن المعطل
السلي قد عرس وراء الجيش فادلى فأصبح عند
منزلها فعرها فأناخ راحلته فركبتها فقادها
حتى اتيا الجيش فانهمت به (عصابة منكم) جماعة
منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة
يريد عبد الله بن ابي وزيد ابن رفاعه وحسان بن
ثابت ومسطح بن ائانة وجمعة بنت جحش ومساعدهم
وهي خبر ان وقوله (لتاحسبوه شرالكم) متأنف
والخطب للرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعائشة وصفوان والهاء للافك (بل هو خير لكم)
لاكتسابكم به الواب العظيم وظهور كرامتكم على الله
بازال ثمانى عشرة آية في برائتكم وتعظيم شأنكم
وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والنساء على
من ظن بكم خيرا

الاجنبى اذ لا يختلف وجههما غير انهما يختلفان في الخلف في كذف الاجنبى لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار
المقذوف او ببيعة تقوم على انها زنت وفي كذف الزوجة يسقط الحد عن القاذف باحدهذين الامرين وباللعان ايضا
وهو قول المصنف رحمة الله تعالى عليه وحكمه سقوط حد القذف عند لعان الزوج لما كان بمنزلة الشهادات التي
يثبت بها الزنى اوجب عليها حد الزنى نقل الامام عن الشافعى رحمة الله تعالى عليهما وكلها ثبت بمجرد لعانه ولا يقدر
فيها لعانها ولا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقة واستدل المصنف رحمة الله تعالى
عليه على ثبوت حد الزنى على المرأة بقوله ويدرا عنها العذاب بناء على انه حمل العذاب على الحد كما في قوله ولا يشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين وحملة الخفيون رحمة الله تعالى عليهم على الجبر والحبس على اللعان والمعنى ويدفع
عن المرأة ان تجبر وتجس على ان تلاع عن او تصدق زوجها فيما رماها به فانها اذا امتعت عن اللعان حبست واجبرت
عليه حق الزوج (قوله انه عليه افضل الصلاة والسلام استحبها) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد
ان يسافر اقرع بين نسائه فأيهن خرج اسمها خرج بهامد فاقرع بين نسائه في غزوة خراها قبل غزوة بني المصطلق
فخرج فيها اسم عائشة رضي الله تعالى عنها فخرجت معه عليه الصلاة والسلام والجرع الحرز وظفار على وزن
قطام مدينة بالين فقوله من جزع ظفاري من خرز منسوب اليها والنشد من عرف الضالة والناشد من يطلبها
فالا نسب ان يقال الى يرجع اليها لاشد والتعريس نزول القوم في السفر آخر الليل والمراد هنا مطلق النزول
ويقال اد بل القوم اذا ساروا من اول الليل والاسم الدخ و يقال اد بل من الافعال اذا سار من آخر الليل قالت
عائشة رضي الله عنها لما اصبح صفوان عند منزلي رأى سوادا انسان تأم فعرني حين رآني وقد رآني قبل ان
يضرب على الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفتني فحمرت وجهي بجلابي فوالله ما كنتي بكلمة ولا سمعت
منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته وقمت على يدها الى يد راحلته فركبتها فانطلق بقودني حتى اتينا الجيش
في نحو الظهيرة فهلك في من هلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي بن سلول وخاضوا في حديثي
واشبهوا في العسكر وخاض اهل المعسكر فيه فجعل يروي به بعضهم عن بعض ويحدث به بعضهم بعضا قالت وقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاشتكت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون في قول اهل الافك ولا شعر
بشي من ذلك غير انه يري في مرضي اني لا عرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه
حين اشكى وانما يدخل علي فقول كيف فبريني ذلك ولا شعر بالسرايت ذلك قلت يا رسول الله
لو اذنت لي فأنقلب الى ابوي يرضاني فقال لا بأس فأنقلت الى بيت ابوي وكنت فيه الى ان برئت من مرضي
بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت في بعض الليالي ومعى ام مسطح قبل الناصع وهو مبتزنا ولا نخرج الا لابلوا وكان
عادة اهل المدينة حينئذ انهم لا يفتخون الكف في بيوتهم انما كانوا يذهبون في فسيح المدينة على عادة العرب
الاول في التبرز اذا مام اتخذا الكف في بيوتهم فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي نعيم وامها بنت حضر
ابن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما فرغنا من شأننا واولنا الى جانب البيت عثرت ام مسطح
في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أنسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اولم تسمعي ما قال قلت
وما قال فاخبرني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي قلت يا امه ما يتحدث الناس
قالت اي بنية هو في عليك فوالله لعلما كانت امرأة ضفية عند رجل يحبها ولها ضرا لا كدرن عليها قالت قلت
سبحان الله تعالى او قد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا رقي دمع ولا اكحل بنوم ثم
اصبت ابكي ودعا النبي صلى الله عليه وسلم اسمامة بن زيد وعلي بن ابي طالب حين استلبت الوحي يستشيرهما
في فراق اهلها فأما علي بن ابي طالب فانه قال لم يضيق الله تعالى عليك في النساء والنساء مساواها كثير
فاستبدل واما اسمامة بن زيد فأشار اليه بالذي يعلم من برأة اهلها وبالذي يعلم في نفس النبي صلى الله عليه وسلم من
الود فقال يا رسول الله ما علمت منها الا خيرا فلا تعجل وانظر واسأل اهلها قالت فسأل حفصة فقالت حفصة بنت عمر
رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله ما رأيت عليها سوا قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل برة فقالت
اي برة هل رأيت شيأ يريك من عائشة قالت والذي بعثك بالحق نيا ما رأيت عليها امر اقط اغضه عليك غير انها
اواكث من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأني الداجن فتأكله قالت فقسم النبي صلى الله عليه وسلم
فأقبل حتى دخل على وعندي ابواي ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قل في حتى ما قبل وقد لبث شهر الا بوحي

ابدي شأني متى كنت تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال ما بعد يا عائشة قد بلغن منك كذا وكذا ان كنت بروية قسيريك الله عز وجل وان كنت امانت بذب ذاستغفري الله تعالى وتوب الى الله فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه خلص دمي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادري ما اقول فمست وانما بارية حديثة انسن لا اقرأ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم هذا حتى استغفرت انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت بكم يا رسول الله والله تعالى يعلم اني بريئة منه تصدقني به والله ما يجد لي ولكم مثالا الا ما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحوت فاضطجعت على فراشي وانا والله حيث اعلم اني بريئة وان الله تعالى يعلم برآئي واني والله ما كنت اظن ان يرسل في شأني وحشي ولي وشأني كان اخفى في نفسي من ان يتكلم الله تعالى في امر علي ولكنني كنت ارجو ان يرى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله تعالى بها قالت فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله تعالى جبريل علي تبدي واخذه ما كان يأخذه من البراءة عند النوح حتى انه ليخبر منه مثل الجوز من العرق في اليوم الثاني من نزل القول الذي ازل عليه فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى عنه وجوه يصحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال أشعري يا عائشة اما والله لقد برأك الله تعالى فقلت تحمد الله تعالى ولا تحمدك ولا تحمد اصحابك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احب الا الله عز وجل قالت فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالا فك عصبة منكم لا تحسبوه الى آخر الآيات انعشرفي رآني ولما نزل الله تعالى هذه الآيات قال ابو بكر الصديق وكان يتفق لمسطح او على مسطح لقرايته وفقره والله لا انفق شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فانزل الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر لي أحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان يتفقها عليه وقال لا اترعها منه ابدا وعصبة خيران ومنكم صفته والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ان الذين اتوا بالكذب في امر عائشة كاذبة منكم في كونهم موصوفين بالايمان وعبد الله ايضا كان من جملة من حكمه بالايمان ظاهرا (قوله فانه بدأ به واذا عده) قالت عائشة رضي الله عنها ركبت الرحلة واخذ صنوان بالزام يقودها فرنا بملأ من المنافقين فيهم عبد الله بن ابي فقال من هذه فانوا عائشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال لعن الله امرأه تبيكم بانت مع رجل حتى اصبت ثم جاء يقودها قالت وهو الذي تولى كبره منهم فانه لما كان مبتدئا لذلك انقول فلا جرم حصل له من العتاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك قال صلى الله عليه وسلم من سن مسدسة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وروى انه لما نزلت آية براءة عائشة رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطح وحسان وحدهم حد القذف (قوله لولا هلا) يعني ان لولا هذه تخضضت بمعنى هلا فان لولا اذا وليت الفعل تكون للتخضض كقوله تعالى لولا اخرتني وحرف التخضض يلزم الفعل لغضا او تقديرا ومعناها اذا دخلت على الناسي التوبى واللوم على ترك الفعل واذا دخلت على المضارع فعنها الحضض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الامر ولا يكون التخضض في الماضي لان الطلب لا يتصور فيه فعني الآية يا ايها الذين سمعوا قول قاذف عائشة بصفة وان هلاظتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ما قيل في حقهم وجعل المؤمنين كفوس واحدة كما في قوله تعالى ولا تلزوا انفسكم وحق الكلام ان يعل ظنتم وقتهم وعدل عند ال غيظهم انهم صريح بصفة الايمان تليها على ان اللاتي بالؤمن ان لا يرضن بمؤمن منه الا اخبر وان يبرئه من سوءه وبالعلة في التوبى فان اصل التوبى وان حصل بان قيل لولاظنتم بانفسكم خبر الكثرة بزيادة لا لفتا الى الغيبة اذ فيه اشارة الى ان شأن الايمان يقتضي ان يرضن المؤمن بأخيه خيرا ويذب عنه الخطائين فيه بقوله هذا افك ميين فن ترك هذا الضن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الايمان وهذا البالغة لا تحصل الا بالاسلوب الاول (قوله وانما جاز الفصل بين لولا وقوله بالظرف) يتضمن السؤال عن شيئين الاول ان حرق التخضض يجب ان يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف والثاني ان الظرف ههنا معمول لقوله ظن المؤمنين وقالوا قد قدم على عامه اجاب عن الاول بان للظرف شأن ليس لغيرها وهو يترب لها من الاشياء من انفسهم لوقوعها فيها من غير انفصال عنها وعن الثاني بان الفائدة في تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يعتزوا وعن

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذي تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالنعم وهو لغة فيه (من الناس ثنتين) وهو ابن ابي فانه بدأ به واذا عده عداوة (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو وحسان ومسطح فانهم اشابعاء بالتصريح به والذي يعني الذين (له عذاب عظيم) في الآخرة اولى الدنيا بان جلد واوصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالثبتي وحسان اعني واشل الدين ومسطح مكثوف البصر (لولا) هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطأ الى القبيصة مباينة في التوبى واشعار بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الضن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذنبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وقوله بالظرف لانه منزل مرثاة من حيث انه لا يتفق عند ولذلك يتسع فيه مالا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الطرف اهم فان التخضض على ان لا يتخلوا بابوله (وقالوا هذا افك ميين) كما يقول المسليق المطاع على الحال (لولا) جازوا عليه باربعة شهداء فاذا لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) لولا هذه لاستعاض الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جلها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعتق والفرقة المقران لكم (المسك) عاجلا (فما افنتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) يستحقرونه الموم واجلد

اذلقته وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتلقونه من الولق واللق وهو الكذب وتلقونه من ثقتهم من ثقتهم اذا ظنوا بوجدهم وتلقونه اي تتبعونه (وتقولون بافواهكم) اي تقولون كلاما مختصا بالا فواه بلا مساعدة من القلوب (ماليس لكم يد علم) لانه ليس تغييرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا يعة فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر واستجر آء العذاب فهذه ثلاثة آتام مرتبة على بهامس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقيق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولو لا ذ سمعته قلم ما يكون لنا) ما ينبغي لنا وما يصح (ان نكلم بهذا) يجوز ان تكون الاشارة الى القول الخصوص وان تكون الى نوعه فان ذق احد الناس حرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك) تعجب من يقر ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر استعمال لكل متعجب او تزيه لله تعالى من ان تكون حرمة تبيد فاجرة فان جورها ينفر عنه ويحل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لقبه وتعميدا لقوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة البهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظمكم الله ان تعودوا لئله) كراهة ان تعودوا لئله اوفى ان تعودوا (ابدا) مادام احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع عنه وفيه تهيج وتفرج (وبين الله لكم الايات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآدابكي تنهضوا وتؤدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) في تدبيره ولا يجوز الكشغنة على نبيه ولا يقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (ان تشيع) ان تنشر (الفاحشة في الدين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة) بالحد والسعي الى غير ذلك (والله يعلم) ما في الصغار (وانتم لاتؤمنون) فساقدوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة (ولو لا فضل الله عليكم ورحته) تكرر البنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وان الله رؤوف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبرقي وابوعرو وابوبكر وحزرة بسكونها (ومن يبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفتنة والمنكر) بيان لعلة النهي عن اتباعه والفتنة ما افترق فيه والمنكر ما اكره الشرع (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحمة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما نكا) ما طهر من دنسها (منكم من احدا ابدا) آخر الدهر (ولكن الله يركي من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) لمقاتلهم (عليم) ببنائهم (ولا ياتل) ولا يحلف

اففعال من الآلية او لا يقصر من الاكويويد

الائم والخي اول ما سمعوا بالافك بان يظنوا بالمؤمنين خبرا ويقولوا هذا افك ميين ولا يتكلموا به ولا يذيعوه فلما كان ذكر الوقتاهم وجب تقديره (قوله يأخذهم بعضهم من بعض) يعني ان تلقى القول اخذته من الغير ومنه قوله تعالى فلقى آدم من ربه كلمات وفسر الثاني باخذ بعضهم من بعض لان كل واحد من المتلقى والمتلقى منه داخل في هذا الخطاب وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلاثة آتام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقى الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقي الرجل بقوله ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا ناد الا ذكر فيه فكأنهم سمعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظمى وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به والاخبار بالشيء يجب ان يكون مستقرا بان تستقر صورته في القلب اولا ثم يترجم عنه اللسان وهذا افك ليس الاقولا يجرى على آلسنتهم ويدور في افواههم من غير ان يستقر العلم به في قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى ولا تنف ماليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جرم عظيم عند الله تعالى اي في حكمه (قوله ما ينبغي لنا وما يصح) اشارة الى فائدة زائدة مع ان الكلام سيد بدونه بان يقال ما نسا ان نكلم بهذا ونظيره قوله تعالى ما يكون ان اقول ماليس لي بحق فانه بمعنى ما ينبغي وما يصح (قوله تعجب من يقول ذلك) اي الافك وعظمه اومن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى في حق هؤلاء الكرام ثم بين وجده استعارة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال واصله اي والاصل في ذكر هذه الكلمة ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجب من صنائعه تزيها له من ان يخرج مثله عن قدرته ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه (قوله او تزيه) عطف على قوله تعجب وقوله ينفر عنه اي عن النبي فيفوت ما هو المقصود من ارساله فان الانبياء انما بعثوا الى الكفار ليدعوهم الى الدين والى قبول ما قالوه عن الله تعالى من الاحكام والنواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل اذا كان في الانبياء ما ينفر الكفرة عنهم بخلاف ان تكون امرأة النبي صلى الله عليه وسلم كافرة لان الكفر ليس بما ينفر عنهم ولا يجوز ان تكون فاجرة لان الكشغنة من اعظم المفرات والكشخان الذي امرأته فاجرة تدعو الرجال الى نفسها وهو يعرف حالها اي زوج الفاجرة والبهتان مصدر يبتدئ اي قال عليه ما لم يفعله سمي به البهوت بهان كانت الاشارة بقوله هذا الى الافك بمعنى الكذب والافتراء يكون البهتان ايضا مصدرا فقوله تعالى هذا بهتان عظيم معناه هذا افك افتراء عظيم يحرم عظمه روى ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري ما بلك ما يقول الناس في عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فزلت الآية على وفق قوله ثم انه تعالى قال يعظمكم الله به هذه المواضع التي بهتتموه من عظم هذا الذنب فان فيه الحد والكمال في الدنيا والعذاب في الآخرة كراهة ان تعودوا واولي عظمكم في ان تعودوا حتى لا تعودوا الى مثله ابدا (قوله بالحد والسعي الى غير ذلك) فيه اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين جاؤا بالا فك وان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليس معناه مجرد وصفهم بانهم يحبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير قصد ان يشعروها ويظهروها فان ذلك القدر لا يجب الحد في الدنيا بل المعنى ان الذين يشعرون الفاحشة والزنى في الذين آمنوا كصفوا ان وعائشة رضى الله تعالى عنهما عن قصد ومجدة لاشاعتها والخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين وبالفتح مصدر دخلت خطوة لليرة والمراد بها هتاسيرة الشيطان وطر يقتد والمعنى لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره وسواسه باشاعة الفاحشة والاصفاء الى الافك والقول به (قوله ويؤيد الاول) وهو كون بآتل يشغل من الآية لامن الاوائه قرئ ولا يتأل فانه من الآية يقال آلى يؤلى ايلاء واليسة واشلى بآتلى ائتلاء وتآلى بتآلى نأليا كلها بمعنى خالف (قوله وفيه دليل على فضل ابي بكر) وذلك لان الفضل المذكور في الآية اما في الدنيا واما في الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره في معرض المدح والمدح كرامة الدنيا غير جائز من الله تعالى ولانه اوجاز ذلك لكان قوله والسعة تكرر لا تأسيسا فاعتين ان يكون المراد منه الفضل في الدين والمنزلة من الله تعالى فلو كان غيره مساويا له في الدرجة في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوى لا يكون فاضلا فلما ثبت الله تعالى له الفضل غير مفيد بكونه بالسببة الى شخص دون شخص ثبت كونه افضل لخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق المشركون على ان المراد بقوله اولوا الفضل هو ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (قوله على ان لا يؤتوا) باسقاط الخافض وهو كثير شائع وكذا حذف كلمة لافي المؤمنين كثير ايضا قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايامكم ان تبشروا يعني يخافون ان لا تبشروا وقال امرؤ القيس

الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينطق على مسطحه بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين (او اولوا الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر رضى الله عنه ومثرفه (ان يؤتوا) على ان لا يؤتوا وافي ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات

اولى امر بين الساكنين والمهاجرين في سبيل الله
صنات الموصوف واحد اى ناسبا معين لها لان
الكلام عين كان كذلك اول الموصوفات اقيمت مقامها
فكون المنع في تعليل المقصود (وليعقوا) لما فرط منهم
(وليسعوا) بالانغماس عنه (الأتحمون ان يغفر الله
لكم) على عنوكم وصنعكم واسماكم الى من اساء
ايكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتملقوا
بأخلاقه وروى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على
ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسجع فمقد (ان الذير
انما ف (يرمون المحصنات العافلات) عما قد فن به
(المؤثت) بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا
في الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كاي
ابى (نغوا في الدنيا والاخرة) كما طعنوا فيهن (ولهم
عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل
قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج
انبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا تؤذوه ولا تلوغوا في عبيدات
الفرأ ان لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة (يوم
تشهد عليهم) ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار
للعذاب لانه موصوف وقرأ حرة والكسائي بالياء
للتندم والفصل (ألسنهم وايدهم وارجلهم بما كانوا
يعلمون) يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم
او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل
للعذاب (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) جزاءهم
المستحق (ويعلمون) لما يشتم الامر (ان الله هو
الحق المبين) الثابت بذاته الطاهر ألوهيته لا يشركه
في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواء
او ذوالحق البين اى العادل الطاهر عدله ومن كان
هذه اشأند يتقرب من الظالم للظالم لم يحالة (الحيثات
للحيثين والحيثون للحيثات والطيبات للطيبين
والطيون للطيبات) اى الحيثات يتزوجن الحيثات
وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كال دليل على
قوله (اولئك) يعنى اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
او ال سول وعائشة وصفوان (ميرأون مما يقولون)
اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليها وقيل
الحيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الضيق
والغمير في يقولون للاتقين اى ميرأون مما يقولون
فيهم او الخبيثين والحيثات اى ميرأون من ان يقولوا
مل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولقد
برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد
من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه
يا حجر الذى ذهب بنوبه ومريم بانطاق ولد ها
وعائشة رضي الله عنها بهذه الايات مع هذه
المبالغات وما ذلك الا لظهور منصب الرسول صلى الله
عليه وسلم واعلاء منزله

فقلت عين الله ابرح قاعدة * اى لا ابرح وهذا التأويل على تقدير ان يكون قوله ولا تأمل اولوا الفضل
افتمالا من الآية واما على تقدير كونه افتعلا من الاو فالتأويل ما اشار اليه بقوله اني ان يؤتوا اى لا يفسر
اولوا الفضل في ان يحسوا (قوله فيكون المنع في تعليل المقصود) بناء على ما شتم من ان تعليل الحكم
بالمستق يفيد عليه المأخذ وان جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام المنع في تعليل المقصود وهو ان
الصديق عن حفظ عينه على ان لا يتفق على مسطح فان جعل الكلام من قبيل عطف الصفات فقد افاد الكلام
تعليل المقصود لان كل واحد من الصفات المذكورة اذا كان منها عن محاذفة اليقين فيكون الشخص
الموصوف تلك الصفات منها يعنها بطريق الاول (قوله تعالى وليعقوا) اى عن ذنبهم وليصنعوا اى وليبرضوا
عن لومهم فان العفوان يتجاوز عن الجاني والصحيح ان يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصحيح بالقلب (قوله
استباحة لعرضهن) منصوب على انه مقبول له لقوله تعالى يرمون المحصنات و اشار به الى جواب ما يقال هذه
الآية تدل على ان قاذف المحصنات كافر لا تقبل توبته امانه كافر فلقوله يوم تشهد عليهم ألسنهم وايدهم
وارجلهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر أعداء الله الى آخر الايات الثلاث ولقوله ولهم عذاب
عظيم هو عذاب الكفر واما انه لا تقبل توبته فلقوله لغوا في الدنيا والاخرة ولم يذكر استئذاناً قال الا الذين تابوا
فهذا يدل على ان قاذف المحصنات العافلات ملعون في الدارين تاب او لم يقب وقد قال في اول السورة ان الذين
يرمون المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة فالمصنف رحة الله تعالى عليه حل هذا الاية على القذف
على وجه يستلزم الكفر والظاهر ان يدفع هذا بان يجعل الوعيد المذكور فيها مشروطا بعدم اتوبة لان الذنب
سواء كان كفرا او فسقا وحصلت عنه التوبة صار مغفورا بمقتضى الوعد الالهى (قوله وقيل هو حكم كل قاذف)
عطف على ما قبله من حيث المعنى كانه قيل هو حكم القاذف استباحة وطعنا وقيل حكم كل قاذف مالم يتب
ولم يرض المصنف رحة الله تعالى عليه به لان الوعيد المذكور انما يلحق بالكفرة ومجرد قذف المحصنة المؤمنة
لا يوجب الكفر وقيل لابن جبير من قذف مؤمنة يلعن الله تعالى في الدنيا والاخرة قال ذلك بان قذف عائشة
رضي الله تعالى عنها خاصة وجع المحصنات العافلات وان اريدت عائشة وحدها لان من قذف واحدة من نساء
النبي صلى الله عليه وسلم فقد قذفهن جميعا فكأنه قذف النبي صلى الله عليه وسلم وقذفه كفر بالاتفاق وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه قال هذا المعنى فيمن قذف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم اذ ليس له توبة ومن قذف
مؤمنة جعل الله له توبة (قوله لانه موصوف) والمصدر الموصوف لا يعمل لان أعماله يستلزم الفصل بين
المصدر ومعموله باجتنى فاذا لا يجوز وصف المصدر باجتنى عنه بمعنى انه ليس بمعمول له والوجه في ان المصدر عنه
العمل مؤول بان مع الفعل وان موصول حرفي ومعمول المصدر في الحقيقة معمول الفعل الذى هو صلة ان ولا يجوز
الفصل بين بعض الصلة وبعضها باجتنى (قوله بانطاق الله تعالى) فان البيت ليست مشروطة بالحياة فيجوز
ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدره وكلاما في الجسم المركب متداولى ويحتمل ان لا تكون شهادة
الجوارح عليهم بانطاق الله تعالى اياها بل تكون بظهور آثارها كما كانوا يعملون عليها كما تنم في الدنيا على المحبة
آثارها من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع (قوله جزأهم المستحق) فان الذين
يستعمل في الجزاء ققولهم كآدين تدان اى كما تفعل تجازى به وانتصاب الحق على انه صفة للدين فان القدر المستحق
في الجزاء موصوف بانه الحق (قوله الخباثات) اى الزواني يتزوجن الخباثات اى الزناة وكذا الخيون
من الرجال يتزوجون الخباثات كما قال تعالى ازانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لا يتزوج الرجل العفيف زانية والجواب ما تقدم في قوله الزانى لا ينكح الا زانية الخ
ولما كان عقد الزوج واقعا بين الاكفأة خباثة وطبائث برأه الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة مما قيل في حقهما
وبرأهما تسلم برأه صفوان فيكون اول الآية كالدليل على برأه الجميع اذ لو صدق ما قيل في حقهما لكانت
خبيثة غيرصالحة لكونها زوجة لطيب الطيبين ويحتمل ان لا يكون الحيثات والطيبات بمعنى الزواني من النساء
والعفيفات منهن بل يكون بمعنى الاقوال الخبيثة والطيبة فيكون المعنى الحيثات من الكلمات تقال او تعدل للحيثين
من الرجال وتلقى بهم والخبيثون من الرجال للحيثات من الكلمات وعلى عكس الطيبات من الكلمات للطيبين
من الرجال والطيون من الرجال للطيبات من الكلمات والمعنى كل كلام انما يحسن في حق اهله فيضاف سمي

الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ما حرم النظر اليه من جملة المصبرات تبعه البصر باعتبار تبعه متعلقه
فجعل ما تعلق بالحرم بعضا من البصر وامر بغضه قال الاخفش رحمة الله تعالى عليه كلمة من زانية هم نافلة يجوز
زيادتها في الآيات خلافا لسوية فانه لا يجوزها (قوله) ولما كان المستثنى منه (اي من الفرج وهو جواب
عما يقال لم دخلت كلمة من على الابصار دون الفرج مع ان المأثورة حفظ كل واحد منهم ما عين بعض ما تعلق به
فاجاب عنه بان المستثنى من البصر كثير فان الرجل يحل له النظر الى جميع اعضاء ازواجه وجميع اعضاء ما ملكت
يمينه وكذا لا بأس عليه في النظر الى شعور محارمه وصدورهن وتديهن واعضادهن وسوقهن وارجلهن وكذا من
امة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الاجنبية الى وجهها وكفها وفي رواية والفتنم عند ارادة العقد بخلاف
المستثنى من الفرج فانه شيء قليل نادر وهو فرج زوجته وامته فلذلك اطلق حفظ الفرج ولم يعتد بما استثنى
منه اقلته وقيد غرض البصر بحرف التبعض وقيل كل ما في الفرج آن من حفظ الفرج فالمراد به حفظه من
الزنى الا في هاتين الآيتين فان المراد فيهما السر فلذلك اطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعض لانه وان جاز للرجل
ان ينظر الى جميع بدن زوجته وبدن امته التي يحل له الاستمتاع بها حتى الى فرجها الا انه يكره له النظر الى الفرج
بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها (قوله تعالى ذلك)
اي غرض البصر وحفظ الفرج انتفع لهم على ان الرءاء بمعنى الثناء والنفع (قوله يريد الزنى) اي يحل الناظر
على الزنى ويؤدى اليه والبريد الغلة التي تحفظ في الرباط وتبلى للرسول ليركب عليها وهو تعري برب يده دم
ثم سمي به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة وزاد الله تعالى في نهى المؤمنين وراء غرض الابصار وحفظ
الفروج حكما آخر حيث قال تعالى ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن والزينة ما زينت به المرأة من حلي او كحل او صبغ
فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتحة وهي ما لا فصح فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلا بأس فيه بالبداهة
للاجناب بتوسط الامن من الشهوة وما خفي منها كالسوار والدملج وهي حلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح
والقرط فلا يحل لها ابدؤها الا لاهلها الذي كورت فيما بعد بقوله تعالى ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن
الى آخر الآية ولا شك ان اظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المرأة ليس منها عته والنهي عنه اظهارها وهي
في مواضعها لان مواضع الزينة الحقة كالذراع والساق والعضد والعنق والرأس والاذن والصدر فلا يحل
للاجناب النظر اليها مجردة عن هذه رأسا فاعلموا اولي وانما سوغ لها في ابداء الزينة الظاهرة للاجناب حالة الامن
من الاشتباه لما في التصون عن ابداء مواضعها في الاخذ والاعطاء والشئ حالة الخروج وحل الشهادة عليهما من
الحرج الذي لا يخفى خصوصا في حق الفقيرات منهن وعلى تقدير ان يراد بالزينة مواضعها او ما يعين المحاسن
الحقيقية التي خلق الانسان عليها يكون المراد بقوله تعالى لا يظهر منها الوجه والكفين لانها ليست بعورة ثم قال
المنصف رحمة الله تعالى عليه ولا يظهر الخ اي انها عورة في حق النظر اليها وان لم تكن عورة في الصلاة (قوله
كرره) فالاول تقسيم الزينة الى الظاهرة والخفية وبيان ان الظاهرة يجوز ابدؤها مطلقا والثاني لبيان من يحل له
ابدائها الزينة الخفية ومن لا يحل له ذلك (قوله تعالى يخمرهن) الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رؤسها وتسره
ومالبس بهذه الصفة فليس بخمار واجيب ما جيب من القبيص اي قطع لادخال الرأس ويضربن ضعن بمعنى يلقين
فعدى بعلى والمعنى وليلقين مقاديرهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطتهن واعناقهن عن الاجناب
قبل ان تساء الجاهلية كن يسبلن خمرهن من خلفتهن وان جيوبهن كانت من قدام وكانت تنكشف بخورهن
وقلائدهن فأمرهن ان يضربن مقاديرهن على الجيوب ليغطي بذلك ما كان ينكشف باسبال خمرهن من خلفتهن
(قوله لانهن في معنى الاخوان) من حيث كون الجسد سواء كان اب الاب او اب الام في معنى الاب فيكون ابنتهما
في معنى الاخ وايضاً كل من له قرابة المحرمية كالاخ فانه محرم فكذا ابنة الاعم والخال فانهما محرمان لابنائهما
فقالوا للمرأة ان تستر من احمائها واخوالها حذرا من ان يصفوها لابنائهم لان تصور الانساء بالوصف بمنزلة
نظرهم اليها (قوله لا تخرجن) اي لا تأمن من الحرج بمعنى الأثم فلذلك يكن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال
الاجناب معذوراً من جملة الاثم عند الكافرات احتمال ان يصفنها للاجناب فيكون تصور الاجناب اياها بمنزلة
نظرهم اليها بخلاف المؤمنات فانهم يحترزون عن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهن ان يبدن زينتهن
للمؤمنات دون الكافرات هذا قول اكثر السلف رحمة الله تعالى عليهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

(ويخففوا فروجهن) الاعلى ازواجهن او ما ملكت
ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف
الغرض اطلقه وقيد الغرض بحرف التبعض وقيل حفظ
الفروج هنا خاصة سترها (ذلك اني لهم) انتفع لهم واملم
لما فيه من البعد عن الريبة (ان الله خير بما يصنعون)
لا يخفى عليه احواله ابصارهم واستعمال سائر حواسهم
وتحريك جوارحهم وما يقصدون بهم اقل يكونوا على
حذر منه في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل
لهن النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهن)
بالستر والعطف عن الزنى وتقديم الغرض لان النظر
يريد الزنى (ولا يبدن زينتهن) كالخلى والشباب
والاصابع فضلا عن مواضع المن لا يحل ان تبدى له
(الا ما ظهر منها) عند من اولة الاشياء كالثياب
والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد ابداء زينة مواضعها
على حذف المضاف او ما يعين المحاسن الحقيقية والزينة
والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة
والاظهر ان هذا في الصلاة لاقى النظر فان كل بدن
الحرمة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء
منها الا للضرورة كما لمع الجلية وتحمل الشهادة
(وليضربن يخمرهن على جيوبهن) ستر الاعناقهن
وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحجة والكسائي بكسر
الجيم (ولا يبدن زينتهن) كرره لبيان من يحل له
الابداء ومن لا يحل له (الا لبعولتهن) فانهم
المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن
حتى الفرج بكره (او ابائهن او اباة بعلوتهن او ابنائهن
او ابناء بعلوتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى
اخواتهن) لكثرة مداخيلهم عليهن واحتياجهم الى
مداخيلهم وقلة توقع الفتنة من قلهم في الطباع
من التفرقة عن ماسة القرآب ولهم ان ينظروا منهن
ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام
والاخوال لانهم في معنى الاخوان اولان الاجوط
ان يسترن عنهم حذرا من ان يصفوهم لانساءهم
(او تسائهن) يعني المؤمنات فان الكافرات لا تخرجن
عن وصفهن الرجال لو النساء كلهن وللطاء
في ذلك خلاف

(او ما ملكت ايمانهن) يوم الاماء والعبد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهد لها وعليها ثوب اذا قصته رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كلاجني منها (او اتابعين غير اولى الاربة من الرجال) اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الاعمى والمسخون وقى المحبوب والخصى خلاف وقيل البه الذين يتبعون اناس لفضل طعمهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابوبكر غير بانصب على الحال (او الطفيل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تغيرهم من الظهور بمعنى الاطلاع اول عدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى النجابة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بارجلهن ليعلم الخفتين من زيتهن) ليتفقق خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال فهو الملع من التهي عن اظهار الزينة وادل على النكح من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفریط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جيب الاسلام لكن يجب التمسك عليه والعزم على الكف عنه كما يتذكر (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (واذكروا الايام منكم والصالحين من عبادكم واما انكم) لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح الخلل بالنسب المتقضى للالفة وحس التوبة ومنزلة الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد النحر عند مخالفة فيه عقبة بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزوج المولى والملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستد ان ياذلوا استد لما وجب على المولى والمولى وابني مقلوب اليام كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكر كرا كان واثنى بكرا كان او ثيا قال فان تنكحى انكح وان تأمى وان كنت افق منكوا تأيم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والا حتم بتأيمهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء بفهم الله من فضله) رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنع فقر الخاطب او الخطوبة من النكاح فان في فضل الله غنية عن المال فانه ناد ورائع او وعد من الله بالاغتناء لقوله عليه السلام اطلبوا الفنى في هذه الآية لكن مشروط بالمشقة لقوله تعالى وان ختم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا يتعد نعمته اذ لا تنهى قدرته (عليه) يسطر الرزق ويقدر على ما يقضيه حكمته (وليستغف) وليجتهد في العفة وقع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما يتكح به ويلوحد ان الحكم منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به

ليس للملثة ان تجبر دين نساء اهل الذمة ولا تبدي للكافة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ما ملكت ايمانهن وكتب عمر الى ابي عبيدة رضى الله تعالى عنه ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات قال الامام رحمه الله تعالى عليه قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله تعالى او نساكنهن جميع النساء (قوله وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كلاجني منها) خصيا كان او خلا وهو قول ابي حنيفة وعليه عامة العلماء واجتنبوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجمل لامرأة تؤمن بالله ويومم الاخران تسافر سفرا فوق ثلاثة ايام الا مع ذي محرم والعبد ليس بذي محرم فلا يجوز لهما ان يسافرا معا ان يسافرا بها لم يجزله النظر الى مواقع زينة الخفية وعن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه انه قال لا يغربكم هذه الآيات فانها نزلت في الاماء وكذا روى هذا القول عن سعد بن السبي رضى الله تعالى عنه فان قيل ما الفائدة في تخصيص الاماء بالذكور بعد قوله تعالى او نساكنهن فالجواب والله تبارك وتعالى اعلم انه لما قال او نساكنهن دل ذلك على ان المرأة لا يجمل لها ان تبدي زينة الكافرات سواء كن حرا او اما لمغبرها ولتفحصها فقال او ما ملكت ايمانهن مطلقا اى مؤمنات او مشركات علم انه محل الامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت او كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة لامتها الكافرة في احوال استخدامهما من الضرورة التي لا تخفى فقارقت الحرمة الكافرة بذلك (قوله تعالى او اتابعين غير اولى الاربة من الرجال) اى اولى الرجال الذين هم اتباع اهل البيت ولا حاجة لهم في النساء والاربة والارب الحاجة وكذلك المرأة وقرى غير بالتحض فعالتابعين وبالنسب على الاستثناء من اتابعين او احوال منهم والمعنى يدين زيتهن للتابعين الا ذوى الاربة منهم احوال كونهم غير ذوى اربة بخلاف ما لو كانوا ذوى اربة فانهم لا يدين زيتهن لهم والشخص الهم بكسر الهاء الشيخ الثاني والسنوخ بالخاء المعجمة هو الذى حولت قواه بواعضائه عن سلامتها الاصلية الى الخلة النافية لها المانعة من ان يكون له حاجة والمحبوب من قطع ذكره وحبسه عما من الجب وهو انقطع والخصى من قطع خصيته والمختار ان الخصى والجبوب والعين لبوا من التابعين وانهم في حرمة النكاح كغيرهم من القولة لانهم يشتهون ويشتهون وقوله وقيل البه عطف على الشيوخ والظهور على الشيء قديكون بمعنى الاطلاع عليه كافي قوله تعالى ان يظهروا عليكم اى ان يشعروا بكم وقديكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كافي قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين قال قتادة كانت المرأة في الجاهلية تضرب رجلها للسمع ففقت الخلل فنهت عن ذلك وقيل كانت احداهن تضرب باحدى رجلها على الاخرى ليعلم ان لها خلخالين (قوله وهو بالغ الخ) وذلك انه لما من عن اسماع الصوت الدال على الزينة فلا ينهى عن اظهار زينة الزينة اولى وفي الآية الكريمة فائدة اخرى وهو انه اذا كان اسماع صوت خلخالها للاجانب حراما فكان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيد الى رفع الصوت وقد وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار اما لان البعد الضعيف لا ينفك عن تقصير عن توبة وان اجتهد في رعايته تكليف الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عمر رضى الله تعالى عنه يا ايها الناس توبوا الى ربكم فانى اتوب الى الله تعالى في كل يوم مائة مرة واما لان المراد توبوا بما كنتم تفعلونه في الجاهلية فان قيل قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه الآية اجيب عندها قال بعض العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لم يذكرك ذلك الذنب ان يجدد التوبة عنه لانه لم يزدان يستمر على توبته الى ان يلقى ربه (قوله لما نهى) اى نهى مباغتة في الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح الخلل بالنسب والتب لا بد من اعتباره في بقاء النوع وصلاح السالم لكونه مقتضا للالفة الخ (قوله تزوج المولى) وهى التي ينفذ فيها تصرف المولى بكل من ولى امر واحد فهو وليد وذلك الواحد مولى او مولى (قوله كيتامى) جمع تيم يقال تيم الصبي يتامى باب علم والا يامى جمع ايم يقال ام الرجل وامته المرأة يما يمة ويما ويوما واصل تيمى تيم قلبا قلبي مكان فصار ايامى وتامى (قوله وان كنت افق) هو اقل من الفقى اى وان كنت احدث منك ستاى فانما ملككم في حالتي الزوج والتأيم وهذه الشرطية معترضة بين الشرط وجزائه (قوله اسبابه) لما كان الظاهر ان يكون النكاح بمعنى العقد والتزوج وكان حله عليه مقتضا لتقدير المضاف بناء على انه لا معنى لوجود ان نفس العقد وعدم وجدانه حله على معنى العقد ولا وقد المضاف ثم قال ويجوز ان يراد بالنكاح ما يتكح به على طريق اطلاق اسم

وقع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما يتكح به ويلوحد ان الحكم منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به

(والذين يتعبدون الكتاب) المكتبة وهو ان يقول الرجل لمالك كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال اولانه بما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون نجما فيجوز يضم بعضها الى بعض (بما ملكت ايماكم) عبدا كان او امة والموصول بصلته حينئذ خبره (فكتابوهم) او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان ابكتانة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان الجزع عن الاداء في الحال يمنع صحته كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل (ان علمت فيهم خيرا) امانة وقدره على اداء المال بالا حتراف وقد روى مثله من فوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز (واؤتمهم من مال الله الذي اناكم) امر للموال كما قلناه بان يذلولوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكتفى اقل ما يتحمل وعن علي رضي الله عنه يحطال بيع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا وبعثوا وقبل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذ صدقة كالدائن والمشتري ويدل قوله عليه السلام في حديث بريدة حولها صدقة ولنا هدية

السبب على السبب كالقوام لما يقام به والنجاة لما يلجأ به والحرام لما يحرم به فلا حاجة الى تقدير المضائق وقوله وبالوجد ان التمكن منه فانه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء هو غير واجد للماء وان كان موجودا معينا فيكون التناكح بمعنى العقد من غير حاجة الى تقدير المضائق لان الربط المتورى وان لم يصح ان يوصف بالوجدان الا انه يصح ان يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى الذين لا يتمكنون من التناكح (قوله المكتبة) يعنى ان الكتاب مصدر كالكتابة والمعنى والذين يطلبون المكتبة يقال كاتب فلان عبده كتابا ومكتبة اذا عاقده على مال نجم يؤديه على نجوم معلومة فيبقى اذا ادى الجميع ومعنى صبغة المفاعلة في هذا العقدان المولى يكتب على نفسه ان يعنى المكاتب اذا ادى البذل ويكتب العبد على نفسه ان يؤدى البذل من غير اخلال وان المولى يكتب على عبده اداء المال والعبد يكتب على مولاه العتق عند الاداء فلهذا سمي هذا العقد كتابة اخذ من الكتاب فان كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه امر او ايضا يدل هذا العقد مؤجل فنجم على المكاتب والمال الموهب يل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبا ومن الكتب بمعنى الضم والجمع ومنه الكتابة للعسكر وسمى العقد بذلك لانه يضم النجوم بعضها الى بعض ويضم مال المكاتب الى نفسه فان عقد الكتابة لا يجوز على اقل من نجمة عند الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه وقال ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه تجوز الكتابة على واحد لان ظاهر قوله تعالى فكتابوهم ليس فيه تعقيد (قوله والامر فيه للندب) يعنى ان قوله تعالى فكتابوهم امر استحباب عند الفقهاء رحمهم الله تعالى واليه ذهب الامام مالك وابو حنيفة والامام الشافعي رحمة الله تعالى عليهم واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه وروى الا ان طيب نفس منه وقال بعضهم امر ايجاب فيجب على الرجل ان يكتب مملوكه اذا سأل ذلك بقيته او اكرا اذا علم فيه خيرا وان سأل له بدون فقهه يجب عاقبه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها فانزلت في كلام عبد سأل مولاه ان يكتبه فاني عليه فزلت الآية فكتابه على مائة دينار وروى له منها عشرين دينارا (قوله واحتجاج الحنفية رحمة الله تعالى عليهم) اى لا تجوز الكتابة الحالية عند الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه وتجوز عند ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه ووحد قول الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ان العبد ليس له ملك يؤدى في الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه في الحال فان عجز عن الاداء رد الى الرق فلا يحصل مقصود العقد كما لو اسلم في شيء لا يرجع في الحال لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز له ان يتصور ان يكون له ملك في الباطن فلا يحق العجز عن الاداء ووجه قول ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه ان قوله تعالى فكتابوهم مطلق يتناول الكتابة الحالية والمؤجلة وايضا فانهم اجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكاتب مثله لا يبدل عن العتق في الحالى بالان في احدهما العتق معلق على شرط الاداء وفى الآخر معجل فوجب ان لا يختلف حكمهما (قوله امانة وقدره على اداء المال) قال الامام الشافعي رحمة الله عليه اراد ان يخلص الامانة والقوة على الكسب لان المقصود من الكتابة فلما يحصل الاسهام فانه ينبغي ان يكون المكاتب كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرف في نجومه ولا يضيعه فاذا فقد الشرطان واحدهما لا يستحب ان يكتبه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان علمت لهم حرفة والا فلا تدعوهم كالا على الناس وجل الخير على المال ضعيف اما من جهة اللفظ فانه لو اراد ذلك لقل ان علمت لهم خيرا لانه انما يقال لفلان مال ولا يقال فيه مال واما من جهة المعنى فلان العبد لا مال له فان كل ما في يده حين يكتب فهو لسيده اكتسبه العبد في حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز للسيد ان يعوض بعض ماله ببعض واما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة فانه مال مختص به بدأ (قوله وهو شرط الامر) اى علم المولى فيهم خيرا شرط لاستحباب العقد المستفاد من قوله تعالى فكتابوهم فاللازم من انتفاء انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز (قوله وفي معناه حط شيء من مال المكتبة) يعنى انه تعالى امر المولى ان يذلولوا للمالك شيئا من اموالهم المملوكة لهم الا ان الامام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ذهب الى ان معنى الآية حطوا شيئا عنهم من بدل الكتابة ما احبهم وبعادوا عنه جعل حط ذلك فسادا ومعنى بدل شيء من ماله ولا يتخلو عن بعد لان الايتاء هو الاعطاء والتليك المطلق فلا يقع على الحط لان بدل الكتابة ليس في حكم المال المطلق الذي آتاه الله تعالى المولى وبذل الكتابة ليس بدین صحيح لانه دين له على عبده والمولى لا يثبت له دين صحيح على عبده حتى يكون حطه عنه اعطاءا وعليه كاله فالظاهر ان يقال انه امر للمولى بان

(ولا تكرر هو فتياتهم) امامكم (على البغاء) على الزنى
 كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكراههن
 على الزنى وشرب عليهن الضم آتب فشكا بعضهن
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت (ان اردن
 تحصن) تعقفا شرط للاكره فانه لا يوجد
 دونه وان جعل شرط للنهي لم يلزم من عدمه
 جواز الاكره لجواز ان يكون ارتفاع النهي
 بامتناع النهي عند واثار ان على اذا لان ارادة
 التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتنفوا عرض
 الحية الدنيا ومن يكراههن فان الله من بعد اكرههن
 غفور رحيم) اي لهن اوله ان تاب والا اول اوفق
 للظاهر ولما في محصف ابن مسعود بعد اكرههن
 لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكره غير آئمة
 فلا حاجة الى المغفرة لان الاكره لابن في المؤاخذه
 بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه
 الفصاخص (ولقد ازلنا اليكم آيات مبينات) يعني
 الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها
 الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحزة والكسائي
 وحفص في هذا وفي الطلاق بالكسر لانها واوضحات
 يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين
 بمعنى تبين اولانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا
 من الذين خلوا من قبلكم) اي ومثلا من امثال
 من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي
 قصة عائشة فانها كقصص يوسف ومريم
 (وموعظة للمتقين) يعني ما وعظبه في تلك الآيات
 وتخصيص المتقين لانهم المتفوقون بها وقيل
 المراد بالآيات القرآنية وبالصفات المذكورة صفاته
 (الله نور السموات والارض) النور في الاصل كيفية
 تدركها الباصرة اولا وبواسطة سائر البصرات
 كالكيفية الفائضة من النيران على الاجرام الكثيفة
 المحاذية لها وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على
 الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى
 ذوكرم او على تجاوز اما بمعنى منور السموات والارض

يدفعوا اليهم شيئا مما اخذوه منهم او هو امر لسامة المسلمين بان يعطوهم منهم الذي جعله الله تعالى لهم من
 الصدقات في قوله تعالى وفي الرقاب نقل الامام عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى انه قال يجب على المولى ايتاء
 المكتوب وهو ان يحط عنه جزا من مال الكتابة ويدفع اليه جزا مما اخذ منه وقال الامام مالك وابو حنيفة واصحابه
 رحمه الله تعالى انه مندوب اليه وليس بواجب (قوله شرط للاكره) يعني ان ارادة التحصن شرط للاكره
 لان الاكره لا يتصور الا عند ارادة التحصن فان لم يردن التحصن لمكان زناهن بالطبع لا بالاكره وان جعلت
 الارادة المذكورة شرط للنهي يتوهم انه اذا انتفت الارادة ارتفع النهي وارتفع يستلزم جواز الاكره وليس
 كذلك لان ارتفاع النهي انما يستلزم جواز الاكره ان لو كان الاكره متصورا حال انتفاء الارادة ولا شك انه
 لا يتصور اكره الطائفة على الزنى فثبت ان عدم الارادة لا يستلزم جواز الاكره والحاصل ان اكرههن على
 الزنى حرام حال ارادتهن التحصن ومنع حال ارادتهن الفيور وقوله تعالى ان اردن تحصن بالنسب المقصود منه تقييد
 النهي بل المقصود منه تعبير المخاطبين وتوبيخهم بان الاماء اذا رغبن في التحصن فاتم حق بذلك مع ما فيه من
 الاشارة الى تنقيح حالهن ايضا يكونهن راغبات في الزنى ماثلات الى البغاء حيث اتى بكلمة ان دون اذا (قوله ولذلك
 حرم على المكره القتل) وفي الهداية وان اكرهه بقتل على قتل غيره لم يسعه ان يقدم عليه ويصبر حتى يقتل فان
 قتله كان آثم لان قتل المسلم لا يباح لضرورة ما فكذلك هذه الضرورة والقصاص على المكره عند ابي حنيفة ومحمد
 وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى يجب عليهما اي المكره والمكره وقال زفر يجب على المكره ثم ان الاكره انما
 يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس فاما بالسير من التخويف فلا تصير به مكره (قوله واوضحت
 فيها الاحكام) لما كان البين حكايات هذه السورة ووصفت نفس آياتها يكونها مبيات اشار الى ان اصل الاحكام
 مبين فيها فانتفع في الظرف بان حذف حرف الجر واجرى المجزور مجرى المفعول به وقوله تعالى ومثلا عطف على
 آيات اي وازلنا مثلا من امثال الذين مضوا من قبلكم اي قصة عجيبة من جنس قصصهم فان قصة عائشة رضي الله
 تعالى عنها كقصص يوسف ومريم عليهما السلام في الغرابة فان قصتهما ذكر فيها تهمة من رى عمامتهما في يوسف
 عليه الصلاة والسلام اتهمته زليخا ومريم اتهمها اليهود مع برآئتهما وقيل المراد بالآيات القرآنية قال الامام رحمه
 الله تعالى عليه انه تعالى لما ذكر في هذه السورة هذه الاحكام وختم الكلام في الاحكام بهذه الآية وصف القرآني
 بصفات ثلاث احداها قوله تعالى ولقد ازلنا اليكم آيات مبينات اي مفصلات وثانيها قوله تعالى ومثلا من الذين
 خلوا من قبلكم وروى عن الضحاك انه قال يريد بالمثل ما ذكر في التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل
 في القرآني آن مثله وروى عن قتاد رضي الله تعالى عنه انه قال قوله تعالى ومثلا اي شها من حالهم بحالكم في تكذيب
 الرسل عليهم الصلاة والسلام يعني ينالكم ما احلنا بهم من العقاب لتردهم على الله تعالى فجعلنا ذلك مثالا لكم
 لتعلموا انكم اذا شاركتوهم في العصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب وثالثها قوله تعالى وموعظة للمتقين والمراد
 به الوعيد والتحذير من فعل المعاصي ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه ازل آيات مبينات واقام دلائل واضحات وقصة
 عجيبة من جنس قصص من قبلنا متضمنة لموعظة ينتفع بها المتفوقون عقيد بقوله تعالى الله نور السموات والارض
 مثل نوره كشكاة اي مظهر هما من العدم الى الوجود فان معنى النور في اللغة هو الذي بين الاشياء
 ويظهرها للابصار واعلم ان النور على اربعة اوجه اولها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كثر النور
 وامثالها فانه يظهر الاشياء الخفية ولا يراها وثانيها نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكنه يراها وهذا
 النور اشرف من الاول وثالثها نور العقل وهو يظهر الاشياء المعقولة الخفية في ظلمة الجهل للبصار وهو يدرها
 ويراهها ورابعها نور الحق تعالى وهو يظهر الاشياء المعدومة الخفية في العدم للابصار من الملك والملكوت وهو يراها
 في الوجود كما كان يراها في العدم بانها موجودة في علم الله تعالى وان كانت معدومة في ذاتها فما يتغير علم
 الله تعالى ورويته بانظرها في الوجود بل كان التغير راجعا الى ذات الاشياء وصفاتها عند اليجاد والتكوين
 فقوله تعالى الله نور السموات والارض معناه والله تبارك وتعالى اعلم انه مظهرهما وموجدتهما من العدم بكمال
 القدرة الازلية كما حققه المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره الخ وذكر وجوها اخر
 في تأويل الآية الشريفة وعلى كل تأويل يكون هذه الآية الشريفة كالتعليل لما قبلها (قوله وهو
 بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى) ضرورة ان حدوث الاجسام باسرها يستلزم حدوث الكيفيات

والاعراض القائمة بها فكيف يصح اطلاق الكيفية عليه تعالى والقول بكونه تعالى حالاً في الاجسام مما يتعذر بداهة
 العقل باستحالة فان القائم بالغير محتاج اليه والمحتاج الى الغير فكيف يكون الاله ولما ثبت في الشرع اطلاق
 اسم النور عليه تعالى وانه من جهة اسمائه الشريفة الحسنى خاض النور من فضله انما في توجده اصطلاحاً
 عليه تعالى وجاء كل واحد منهم على وسع وطاقته وشار المصنف رحمة الله عليه الى ما ذكره من الوجوه بمحصل
 التجميع انه تعالى ليس في ذاته نوراً بل انما يطلق عليه اسم النور ما يتقدير المضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم
 او على نحو ذلك فوجوده اخر فاندفع به ما يقال من ان قوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضي ظاهره انه
 تعالى في ذاته نور وقوله مثل نوره يقتضي ان لا يكون هو في ذاته نوراً بل يكون هو امراً مقابله مضاف اليه وبينهما
 تناقض فقوله تعالى الله نور السموات والارض بمعنى صاحب النور او من قيل ان توصيف بالمصدر للمبالغة على
 معنى انه نور لكل مستتر بحيث كانه عين نوره ومعنى تنويره انه تعالى نور العالم بالا نوار الفاضلة من
 الكواكب او انه تعالى نور العالم العلوي بالملائكة والعالم الخفي بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على تشبيه
 الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام بالنور بمعنى الكيفية المدركة اولا في كونها بسبب الادراك فان الكيفية
 المذكورة انما اخصت بالفضيلة والتشريف بسبب كون المراتب ظاهرة فجيالة بسببها وشار كنه في هذه القضية
 اشياء اخرتها البصر وهو العين الفاضلة المدركة للاضواء والالوان ومنها البصيرة وهي القوة العاقلة التي تدرك
 نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات ولما كان كل واحدة من القوة الحاسة والعاقلة مشابهة للكيفية المذكورة
 في كونها سبب الادراك صح اطلاق اسم النور عليه مجازاً ومنها القراءة العظمى والملائكة والانبياء عليهم الصلاة
 والسلام فان القوة العاقلة قد يعثر بها الزيف والخلل في العلوم النظرية فلا بد لها من هاد ومرشد ولا مرشد فوق
 كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء فالآيات القرآنية بالنسبة الى عين القلب بمنزلة نور الشمس الى الباصرة
 فلذلك سمى القرآني نوراً في قوله تعالى فاتموا بالله ورسوله والنور الذي اوتينا وقوله تعالى واتينا اليكم نوراً مبيناً
 ونفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام ايضا بمنزلة نور الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تقيد النور لغيرها ولا
 تستفيد من غيرها فكذا نفس انبيي الانوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا يستفيد النور العقلي من كل
 شيء من الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى نبيا محمد صلى الله عليه وسلم به سراج منير وقد ثبت ان الانوار
 الحاصلة في ارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مقبسة من الانوار الحاصلة في ارواح الملائكة عليهم الصلاة
 والسلام قال الله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل به الروح الامين على
 قلبك وقال تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو لا يكون الا بواسطة الملائكة فلما كان ارواح الملائكة كالمداد
 لانوار عقول الانبياء كانت ارواحهم بمنزلة الانوار ايضا واغوى من عقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا
 هو وجه قول المصنف رحمة الله تعالى عليه انه تعالى منور السموات والارض بالملائكة والانبياء عليهم الصلاة
 والسلام (قوله او مدبرهما) بان شبه التدبير الحسن في كون كل واحد منهما سبب الهدى الى
 المصالح فاطلق اسم النور على التدبير الحسن على سبيل الاستعارة التصريحية واطلق النور بهذا المعنى
 عليه تعالى على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة (قوله او موجدهما) على ان يكون قوله الله نور هما من باب
 التشبيه البالغ اي كالنور بالنسبة اليهما من حيث كونه مظهرا لهما اي موجداً فان اصل التنوير هو الظهور
 من ظلمة العدم وانما يضر بتأثير قدرته تعالى (قوله او الذي به تدرك) على ان يكون المراد منه انه تعالى نور
 بالنسبة الى نفس السموات والارض وقوله او يدرك اهلها على ان يكون تقدير الكلام الله نوراً على السموات
 واهل الارض وعلى التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البالغ ايضا حيث شبه تعالى بالنور بمعنى الكيفية
 من حيث انه تعالى سبب لادراك السموات والارض بالبصرة ولادراك ما فيها من وجود الدلالات على وجود
 الصانع ذي الجلال والاكرام بالبصرة وذلك لان هذه الادراكات ليست مقتضى ذات البصرة والالهام
 فارتفعت بل هي مستندة الى سبب خارج عن ذاتها يقتضي تلك الادراكات عليها وهو الله سبحانه وتعالى
 فهو الذي به تدرك اوجه يدرك اهلها فتشابه النور بمعنى الكيفية فلذلك قيل على سبيل التشبيه البالغ الله نور
 (قوله من حيث انه يطلق على البصرة الخ) استشهاد على اطلاق النور على ما يكون سبب الادراك كالبصرة
 والبصرة وانجاز ان يكون اطلاق النور على البصرة لكونها متعلقة بالنور ومدركة اولا وبالذات ثم اذ

وقد قرئ به فانه تعالى نور هما بالكواكب وما يقتضي
 عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرهما
 من قوامهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم
 يهتدون به في الامور وموجد هما فان النور ظاهر
 بذاته مظهر لغيره واصل الظهور وهو الوجود
 كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود
 بذاته موجد لما عداه والذي به تدرك او يدرك
 اهلها من حيث انه يطلق على البصرة لكونها
 اول ما تكتسبها في توقف الادراك عليه ثم على البصرة
 لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها
 من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات
 ونفوس في بواطنها وتنصرف فيها بالتركيب
 والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها
 والا لما فارتفعت فهي اذا من سبب بفيضها
 عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط
 من الملائكة والانبياء ولذلك سماها انوارا

بين ان الباصرة تشارك النور في توقف الادراك على كل واحد منهما بين ان الادراك المرتب على البصرة اقوى من الادراك المرتب على الباصرة فلما كان وجه الشدة بينهما وبين النور اقوى كان اطلاق لفظ النور عليهما اقرب واول فان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك نفسها ولا ادراكها فلا تدركها ليس من الامور المبصرة بالعين واما انما لا تدرك ادراكها التي هي العين فظاهر والبصرة تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك ادراكها وهي القلب والدماغ وايضا القوة العاقلة تدرك الكليات والجزيئات الموجودة والمعدومة والقوة الباصرة لا تدرك الا الجزئيات الموجودة وايضا القوة العاقلة تدرك ظواهر الاشياء وبواطنها بخلاف القوة الحسية فانها لا تدرك من الانسان مثالا الا السطح الظاهر من جسمه والالوان القائمة بذلك السطح بالاتفاق وليس الانسان عبارة عن مجرد السطح واللون فالقوة الباصرة وان كانت بالنسبة الى الظاهر نورا الا انها بالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوة العاقلة اشرف من الباصرة من هذا الوجه وايضا القوة العاقلة تتصرف في بواطن مدركاتها بالتركيب والتحليل فانها تضم الجنس الى الفصل فتستحدث منهما طبيعة توعية مركبة منهما وتحلل تلك الطبيعة الواحدة المقومة الى مقوماتها والى عوارضها اللازمة والمفارقة ثم تحلل مقوماتها الى الجنس وجنس الجنس والفصل وفصل الفصل وجنس الفصل وفصل الجنس الى غير ذلك والقوة الباصرة عاجزة عن التفوق في بواطن الماهيات واعماقها (قوله ويقرب منه) اي من قوله الله نور السموات والارض قول ابن عباس معناه الخ فانه الذي به تدرك السموات لانه لما كان معنى قوله تعالى الله نور السموات والارض انه تعالى به تدرك ادراكها على معنى انه تعالى يجعل للمكلفين من المعارف والعلوم ما يهتدون به ويخلصون به من ظلمات الكفر والضلالات وورطات الزيغ والجهالات بوحى بئله وبني يلفه وهو قريب من قول حبر الامة رضى الله تعالى عنه معنى كونه تعالى نور السموات والارض انه هادى من فيهما فهم بنوره مهتدون قال المصنف ويقرب منه الخ فعلى هذا شبهت الهداية بالنور في كونها سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم اطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل (قوله واضافته اليهما) معان كونه تعالى نورا باى معنى كان ليس بالاضافة اليهما فقط فانه تعالى صاحب لنور جميع المستنيرات ونورها ومدبر امرها وموجدتها (قوله لم يكن على ظاهرها) وهوانه تعالى في ذاته نور بل هو مؤول باحد التأويلات المذكورة (قوله كصفة مشكاة) اشارة الى ان ثمة مضافا محذوف فاقى كمثل مشكاة وهو خبر اقوله مثل نوره وهذه الجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها وقوله فيها مصباح صفة لمشكاة (قوله درى) قرأ ابو عمرو والكسائي درى بكسر الدال ويا بعد هاء حمزة وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم رحمهما الله تعالى يضم الدال ويا بعد هاء حمزة والباقون يضم الدال وتشديد الياء من غير حمزة والمعنى انه يشبه الدر لصفاة ولعانه ويحتمل ان لا يكون منسوباً بل تكون الياء الاخيرة مقلوبة من الهمة الاصلية ويكون اصله درى على وزن فعيل كبرى وهو حب العصفرو هو القرمطم (قوله وقد قرى به مقلوبا) اي وقد قرى بكسر الدال وقلب الهمة ياء (قوله تعالى توقد) على وزن تفعل فعلا مضاعفا مستند الى ضمير عائذ على المصباح ولا يعود على الكوكب لفساد المعنى وهي قرأة ابن كثير وابو عمرو والثقب التوقد والاشتعال ومن في قوله من شجرة لا تبدأ الغاية وثمة مضاف محذوف اي من زيت شجرة والذباله بضم الهمزة من تحت وقع القاف بدل من شجرة (قوله وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء) اي يوقد بضم الياء من تحت وقع القاف على بناء المفعول من اوقدوا الضمير المستتر في يعود على المصباح وقرأ باقي السبعة كذلك الا انه بالتاء من فوق والضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اي يوقد مصباح الزجاجة وقرى توقد بفتح التاء من فوق وضم الدال مضارع يوقد اصله توقد بضم الياء من تحت وتاء من فوق فحذف التاء من فوق وهذا الحذف شاذ غريب اذ لم يتوال مثلاً ولم يبق في اللفظ ما يدل على المحذوف بخلاف نحو تنزل وتلظى فان فيه تاءين والباقي منه ما يدل على ما حذف (قوله تعالى لا شرقية) صفة للشجرة دخلت عليها للتنديد بالنبي وقرى لا شرقية بالرفع على اجزاء متدايى لا شرقية هي والجملة ايضا في محل الجر على انها صفة لشجرة وكذا قوله يكاد زيتها يضىء وجواب قوله ولولم تنسسه نار محذوف اي لأضاء حذف لدلالة ما قبله عليه والجملة تالية جتى بها للاستقصاء الاحوال حتى في هذه الحالة (قوله في مقيأة) المقيأة والمقيأة المكان الذى لا تطلع

ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه ولا شتا لهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمطلوب لهما (مثل نوره) صفة نوره العجيبة الشأن واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره (كمشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح القليلة المشتعلة (المصباح في زجاجة) في قنديل من الزجاج (الزجاجة كاشها كوكب درى) مضى متلاشى كالنور في صفائه وزهرته منسوب الى الدرا او فعيل كبرى من الدر فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لعانه الا انه قلبت همرته ياء ويدل عليه قرأة حمزة وابو بكر على الاصل وقرأة ابن عمرو والكسائي درى بكسر الهمزة وقد قرى به مقلوبا (توقد من شجرة مباركة زيتونة) اي ابتداء ثقب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثرة نفعاً بان رويت بذاته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتون منها لتفخيم شأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقدوا حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى توقد وقرى يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب (لا شرقية ولا غربية) تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحرأ واسعة فان عمرتها تكون اضع وزيتها اصنى اولاً ثابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجدود الزيتون اولاً في مضى تشرق الشمس عليها دائماً فتشرقها وفي مقيأة تغيب عنها دائماً فتزكها يثا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقيأة ولا خير فيهما في مضى

الشمس عليه هذا قول ابي عمرو وقال غيره مقيامة ومقيومة بغير هزة تقيض المضحية يقل ضحيت للشمس بكسر الحاء
ضحاء بالنداء برزت لها وضحيت بالفتح والمستقل اضحى في الثفتين جيم قال تعالى انك لا تنظما فيها ولا تضحي (قوله
نور على نور) اى فكان زيتها نور على نور بمعنى نور المصباح على نور الزجاجة ونور النار ونور المصباح ونور الزجاجة
وقوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف اى النور الذى شبهه نور الله تعالى هو نور على نور واعلم ان الامور التى
اعتبرها الله تعالى في هذه الامثال مما يوجب كمال الضوء فالولها ان المصباح اذا لم يكن في الشكاة تفرقت اشعته
واذا وضع في الشكاة اجتمعت اشعته فكان اشد اثاره والذى يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في الشكاة او كان
في بيت صغير فانه يظهر من ضوئه اكثر مما اذا كان في البيت الكبير وثانيه ان المصباح اذا كان في زجاجة صافية
والاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى بعض كان اكل في الضوء والنور من غيره
لما في الزجاجة من الصفاء والتفافه والذى يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية قوى حتى انه
يظهر فيما يقابل مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الاخر
كثر الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتعده
فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كان حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا واربعا ان هذا الزيت يختلف بحسب
اختلاف شجرته فاذا كانت لاشرقية ولا غربية بمعنى انها بارزة للشمس في كل حالة كان يمرها اشد تضججا فيكون زيتها
اكثر صفاء فاذا اجتمعت هذه الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لنور
الله تعالى (قوله الاول انه تمثيل للهدى) اعلم انه لا بد في التشبيه من امرين التسبب والتشبيه واختلاف
اهل التفسير في ان التشبيه ههنا شئ هو وذكر واهو واحد هو قول جمهور النكليات ان المراد به الهدى
الذى هو الايات المينيات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلالة الى اقصى الغايات وصارت بذلك
بمرتلة متكاملة يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يوقد زيت بلغة النهاية في الصفاء وان هداية الله تعالى
من حيث انها في غاية الظهور والجلالة وانها محفوفة بظلمات او هام الناس بمنزلة المصباح الموصوف به مع كونه
في غاية الجلاء محفوف بظلمة الشكاة فان قيل لم يتسبب بذلك وقد قالوا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير اوجب
بانه سبحانه وتعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذى يلوح وسط الظلمة لان الغالب على او هام الخلق وخيالاتهم
انما هو الشبهات التى هى كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذى يظهر فيما بين الظلمات
وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لان ضوءا اذا ظهر امتلا العالم من النور الخاص واذا غاب
امتلا العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا ابقى واوفق (قوله وانما ولى الكاف المتكاملة) بمنزلة
دخولها على المصباح ولهذا قال بعض المفسرين ان هذه الآية من المتناوب والتقدير مثل نوره كمصباح في شكاة
لان التسبب به نور تعالى هو الذى يكون معدنا للنور ومبعاه وذلك هو المصباح لا الشكاة (قوله او تمثيل
لما نور الله تعالى به قلب المؤمن) وهو نور الايمان والعلوم المتعلقة بمعاني آيات كتاب الله تعالى ومعرفة المبدأ
والمعاد والشرائع وهذا النور وان كان محله قلب المؤمن الا انه نور الله تعالى من حيث انه تعالى هو الذى نور قلبه
والمقصود من التمثيل بيان ان ايمان المؤمن وما في قلبه من العلوم والمعارف قد بلغ في الصفاء عن التبهات والامياز
عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المتكاملة المتعونة (قوله او تمثيل لما سمح الله تعالى به عبادته من القوى الدراكة
الخمس المرتبة) ذكر الامام الغزالي نفعا لله به آمين ان القوى الدراكة انوار من حيث انه يظهر بها اصناف
الموجودات وان مراتب القوى المدركة الانسانية خمس احداها القوة الحساسة وهى التى تلقى ما تدركه الحواس
الخمس وتسمى الحس المشترك وثانيها القوة الخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية
التي هى فوقها عند الحاجة اليه وثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية واربعتها القوة المفكرة وهى التى تأخذ
المعارف فتوَلِّفها تأليفا فتستخرج من تأليفها اياها علما بالمجهول وخامستها القوة القدسية التى يختص بها الانبياء
وبعض الاولياء ويتجلى فيها لوائح القرب واسرار الملك والملكوت واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وهذه
المراتب الخمس يمكن ترتيبها بالامور التى ذكرها الله تعالى وهى المتكاملة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
فشبه الله تعالى القوة الحساسة بالشكاة من حيث ان محلها الى مأخذ ما ترسم فيها كالكرى فان الحس

(يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسده نار) اى يكاد يضيئ
بفسه من غير نار لتأله وفرط ويصعد (نور على نور)
نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء
الزيت وزهرة التقدير وضبط المتكاملة لا شعثه وقد ذكر
في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل
عليه الايات المينيات في جلاء مدلولها وظهور
ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المتعونة او تشبيهه للهدى
من حيث انه محفوف بظلمات او هام الناس وخيالاتهم
بالمصباح وانما ولى الكاف المتكاملة لا شعثها عليه
وتشبيهه به وافق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور
الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المتكاملة
المتب فيهما من مصباحها ويؤيده قراءة ابي شبل نور
المؤمن او تمثيل لما سمح الله به عبادته من القوى الدراكة
الخمس المرتبة التى ينوط بها المعاش والمعاد وهى
الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس
والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها
على القوة العقلية حتى شامت والعاقلة التى تدرك
الحقائق الكلية والمفكرة وهى التى توَلِّف المعقولات
تستخرج منها علم ما لم يعلم

المشترك انما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والاذنين والتخريخ والغروكل واحدة من تلك الثقب تشبه كوة غير نافذة وهي المشكاة (قولده ووجهها الى الطاهر) اى القوة الحساسة وجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراء نفسها وانما تدرك ما قدامها كالكوة لا تنظر الى ما وراءها لكونها غير نافذة وايضا انما تشبه بنفس ذاتها بل بما راسم فيهما من الصور المدركة كالمشكاة التي لا تنضي بالذات بل بواسطة ما وضع فيها من المصباح وشبه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث انها تنقل صور المدركات من جوانب البدن كما تنقل الزجاجة الانوار الحسية من الجوانب ومن حيث انها تضبط الانوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الانوار الحسية عن الانحاء والزوال ومن حيث انها تستثير بما تستل عليه من العقولات كما تستثير الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوة العقلية بالمصباح لاضاءتها بالادراك والعارف كما يضيئ المصباح بالانوار الحسية وشبه القوة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدي الى نتائج كثيرة وهي بمنزلة الثمرة فان الفكرة تنتج نتائج هي ثمراتها ثم تعود فجعيل تلك الثمرات مدونة ثم تعود لامثالها حتى تؤدي الى ثمرات لانهاية لها فالحري ان يكون مثلها في هذا العالم هي الشجرة المباركة الصاعدة النفع والريوننة الثمرة عطف على قوله كالشجرة المباركة الاولى توضيح لكون الفكرة كالشجرة المباركة والثاني توضيح لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتون لها فضيلة على سائر الاشجار من حيث ان لب ثمرتها هو الزيت الذى له منافع كثيرة ومن جعلتها انه مادة المصباح والانوار الحسية وله من بين سائر الادهان زيادة الاشراق مع قلة الدخان فلذلك افاد بالادراك قوله زيتونة من قوله شجرة مباركة تفخيم شأن الشجرة (قولده التي لا تكون شرقية ولا غربية) صفة لقوله والفكرة ولما اعتبر في جانب المشد بها كونها لاشرقية ولا غربية تعرض لكونها معتبرة في جانب المشد ايضا لكون المشابهة من هذا الوجود فان القوة الفكرية لما كانت مجردة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولا غربية فلذلك شبهت بشجرة لاشرقية ولا غربية (قولده ولو وقعها بين الصور والمعاني) علة لكون الفكرة لاشرقية ولا غربية ولما لم يكن ارتفاعها مختصا بجانب الصور ولا بجانب المعاني شبهت بشجرة لاشرقية ولا غربية فالوجودات الخارجية لما كانت محققة بالاصالة وكانت المعاني بحسب الاغلب منزوعة منها بافاضة الفاعل المختار اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات شتى كان جانب الصور اشبه بكونه شرقيا وجانب المعنى بكونه غربيا وشبهت القوة القدسية بالزيت الذى يكاد يضيئ من غير ان تمس نار فان القوة القدسية لكمال صفاتها وشدة استعدادها لا تحتاج الى تعليم وتبليغ في الاستشارة بالعلوم والعارف ولما كانت هذه القوى مرتبة حيث كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل ناسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح (قولده او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها) كما ذهب اليه ابو علي ابن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة الاولى مرتبة الاستعداد بحصول الكمال والثانية مرتبة حصول نفس الكمال ثم ان الاستعداد على ثلاث مراتب اضيقها الاستعداد المحض والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد المتوسط يحصل عند حصول العقولات الاولى ويمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى المطالب النظرية والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوى هو استعداد استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشع كسب جديد وتسمى النفس في هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى في مرتبة الكمال وهي مرتبة حصول المطالب ومناهدتها بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الاسامي على انفس هذه المراتب ايضا ثم حصول المطالب من المبادئ الاولى وان كان ترتيبها والانتقال من بعضها الى بعض بطريق الحركة في الكيف يسمى تحصيلها بهذه الطريق فكذا وان لم يكن بطريق الترتب والانتقال من بعضها الى بعض يسمى حذسا وهذه المراتب يصح اطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل الى ظهور المدركات والقوة العقلية في مرتبة العقل الهيولاني تشبه بالزجاجة الثلاثية في نفسها الشبهة بالكوكب الدرر القابلة للانوار الفاضلة عليها من النير الخارجى وقد مر ان القوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قديكون تمكنها من بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنها من تحصيل النظر منه بالطريق الاولى يمكن الزجاجة من التوقد من سجرة الزيتون فان توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج الى تكلف واعمال مثل ان يعصر زيتونها او يستخرج زيتا وتروى

والقوة القدسية التي يغفل فيها الوائخ الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعينة بقوله تعالى ولكن جعلناه نورانيين يهديهم من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالوكى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالعقولات بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تستل عليه من العقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والعارف الالكهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة الثمرة للزيت الذى هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية تجرد هاعن اللواحق الجسمية او وقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القيلين متفعدة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها الصفا شها وشدة ذكائها تكاد تنضي بالعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجربيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة الثلاثية في نفسها قابلة للانوار وذلك الممكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتون وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالزيت الذى يكاد زيتها يضيئ لانها تكاد تعلم ولو لم يتصل بملك الوحي والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شئت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور (يهدي الله لنوره) لهذا النور السابق (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئة لاغية اذ بها تمامها (ويضرب الله الامثال للناس) ادناء للعقول من المحسوس توصيفا وبيانا (والله بكل شئ عليم) معقولا كان او محسوسا فظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعد لمن تدبرها ولمن لم يكثر بها

الفتيلة بزيتها فكذلك الاستحصال من المطالب بطريق الفكر فان النفس تحتاج فيه الى مراوطة الفكر والاعتقال
فكان قوله تعالى توقد من سجرة مباركة زيتونة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر
بتوقد الزجاجة من سجرة الزيتون وقوله تعالى يكاد زيتها يمشى ولو لم تمسه نار إشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل الطريقات بقوة
من الزيت ثم ان القوة النفسانية المتكئة من الاستحصال اذا بلغت وقوت في صفاتها عن الكدورات الطبيعية الى
غاية اللطافة يكون استفاضتها من عالم الغيب في غاية الكمال والقوة حتى تكاد تعلم وان لم تصل بملك الوحي
والالهام فكان قوله تعالى يكاد زيتها يمشى ولو لم تمسه نار إشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل الطريقات بقوة
قدسية بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها الى ان تمس النار زيتا بل تستعمل بمجرده صفاء الزيت الحاصل فيها
فظهر بما قررناه ان للقوة العقلية في مرتبة تمكن من تحصيل النظريات ثلاثة اعتبارات تمكنها من بطريق الفكر
و بطريق الخدس وبالقوة القدسية وشبهت بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجر وبالاعتبار الثاني بالزجاجة
المتوقدة بالزيت الذي مست النار وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها الى ان تصل زيتها بالنار ثم
انها شبهت في مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذي اشعلت خيلته المستبعدة بالزيت بمحاسة النار باها فان الدرجات
النظرية في هذه المرتبة وان لم تكن بحيث تتأدها النفس بالفعل الا انها صالحة عند استخراجها فيحتاج
في استحضارها الى تحشم كسب جديد فصح تشبيهها في هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت في مرتبة العقل
المستفاد بالتور الضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت متاهدة
ايامها حصل لها نور على نور اعني نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال
عنها الى النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام انه تعالى مثل نوره الذي اعطاه الانسان المكرم اعني
النور المتقوى الذي هو مراتب النفس الانسانية من بداية الاستكمال الى نهايته وقواها الفائضة عليها وهي
القوة الفكرية والقدسية والقدرية بما ذكره من المشكاة والزجاجة والشجرة والزيتونة والزيت الذي مست النار
والزيت الذي يكاد يمشى من غير ان تمس النار والمصباح ونور على نور فظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور
في الآية (قوله متعلق بما قبله) اي صفة المشكاة او متعلق بمحذوف او متعلق بقوله توقد وما اوردان يقال ان
القصود من التتميل تخيم شأنه اي شأن نور الله تعالى من حيث الوضوء والجلال وتشبيها بما هو في غاية الارتفاع
والجلال فلا يدان يكون لكل واحد من القود المعبرة في التشبيه مدخل في ذلك ولا مدخل لكون المشكاة
المنعوتة في الساجد ولا لكون المصباح مكانا فيها يوقد في الساجد في زياده المصباح المذكور انارة واضاءة
قاي فائدة في اعتباره في جانب التشبيه به اشار الى دقعة بوقله فيكون تقيدا للممثل به بما يكون تحيرا او مبالغة
فيه فان اصل التحير قد حصل بباقي القود المذكورة وباعتبار كونها في الساجد تحصل المبالغة في التحير وفي
الانحراح تحيرا لخط والشعر وغيرهما تحسبه وقوله او تميل اعطف على قوله تحيرا وهو مسمى على ان يكون المشبه
نور المؤمن فانه لما عتري في جانب التشبيه به كون المشكاة التي فيها المصباح واقعة في الساجد لم ان اعتبر في جانب
المشبه ايضا كون القلب النور واقعا فيما يشبه الساجد وهو اما صلاية او بدته فان كل واحد من الصلاة والدين
لما كان محلا لانواع العبادات شابه المسجد كانه قيل مثل ما نور الله تعالى به قلب المؤمن وهو في الصلاة وقوله
الموضوع في بدته كمثل المشكاة المنعوتة فيكون التشبيه مفردا شبه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح
الموصوف وصلاته وبدته بالمسجد (قوله ولاية في جمع البيوت وحده المشكاة) جواب عما يقال كيف يجوز
ان يكون قوله في بيوت صفة مشكاة وهي واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون في بيوت وحاصل الجواب ان اشكر
في قوله تعالى مسكاة وفي قوله تعالى فيها مصباح وفي قوله تعالى في زجاجة وفي قوله تعالى كانهما كوكب دري
للتوعية لا للفردية (قوله وفيها نكرير) جواب عما يقال لا يوجد لكون قوله تعالى في بيوت متعلقا بالفعل المذكور
بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حيث في بيوت اذن الله تعالى يسبح له فيها فيكون قوله فيها نكرير لانه لا فائدة فاجاب
عنه بان النكرير لا جل التاكيد كثير (قوله او محذوف مثل سجوات بيوت) وهذه الجملة مرتبة على قوله تعالى
الله نور السموات والارض اي الله نور السموات فجعله في بيوت الا انه ترك الفاء للعلم به كما يقال قم يدعوك والبراد
قم فانه يدعوك (قوله والمراد بها الساجد) اي لا مطلق البيوت لان المراد بالاذن الامر وفي البيوت مالم يأمر الله
تعالى بان يرفع سوائه كان الرفع بمعنى البناء كما في قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او بمعنى التعظيم

(في بيوت) متعلق بما قبله اي مسكاة في بعض بيوت
او توقد في بعض بيوت فيكون تقيدا للممثل به بما يكون
تحيرا او مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم
او تميل للصلاة المؤمنين او ابداسهم بالمساجد ولا ينافي
جمع البيوت وحده المشكاة اذ المراد بها ماله هذا
الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو
يسبح وفيها نكرير موكدا لا يبدل كلالته من صلته ان فلا
يعمل فيما قبله او محذوف مثل سجوات بيوت والمراد
بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة
والتكبير للتعظيم (اذن الله ان ترفع) بالبناء والتعظيم
(ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره
حتى المذكر في افعاله والمباحثة في احكامه (يسبح له
فيها بالغدو والاصال رجال) يرثونه اي يصلون
له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت
ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل
وقرى والاصال وهو الدخول في الاصيل

(੬੨੧)

ورفع القدر وإيضافها ما لم يأمر الله تعالى بأن يذكر فيه اسمه فهذه الأوصاف انما خلق بالمساجد أي مسجداً
كان وتخصيصها بالمساجد الثلاثة المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ومسجد بيت
المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومسجد المدينة الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتناول المسجد الذي فيه الروضة النورية ومسجد قبا الذي أسس على القوى تخصيص بلاديل والغدو
مصدر يقال غدا يغدو غداً إذا دخل في وقت الغدو وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لا يقع فيه
الفعل خلافاً من تقدير الزمان معد ليقع الفعل فيه فقوله تعالى يسبح فيها بالغدو من قبيل آتيك طلوع الشمس أي
وقت طلوعها من حيث أنه عبر عن الوقت بالمصدر وأما الاتصال فإنه اسم للوقت لأنه جمع أصيل وهو الوقت بعد
العصر إلى المغرب كشرهف وأشرف ويجمع الأصل أيضاً على أصل وأصائل (قوليد وقرأ ابن عامر وعاصم)
أي برواية ابن بكر فإنه يقرأ على رواية حفص عند يسبح بفتح الباء كباقي السبعة فيكون الفعل مستنداً إلى أحد
الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ويكون رجال مرفوعاً بفعل مضارع عليه يسبح الظاهر لأنه لما قيل يسبح
له فيها فكأنه قيل من يسبحه فقيل رجال أي يسبحه رجال كما في قوله * ليك يز يدضارع خصوصاً كما أنه قيل من
يسبحه فقيل يسبحه ضارع وقرئ يسبح بالياء وكسر الباء لأن رجال يعامل معاملة المؤنث في بعض الأحكام وهذا
منها وقرئ بالياء وفتح الباء على أساس الفعل إلى الأوقات المذكورة بعده وكون الباء زائدة والأصل تسبح الغدو
والأصل بمعنى تسبح الأوقات التي يعبر عنها بالغدو والأصل جعل الأوقات مسجدة على طريق صلته به
والمراد يسبح رب هذه الأوقات فيها (قوليد وفي إمامهم بحار) إلا أنهم مع ذلك لا يشغلهم على ذكر الله تعالى
شيء من ضروب المعاملات وقيل إن الآية نزلت في الذين لا يشتغلون بالتجارة والبصع بل كانوا فرغوا أنفسهم
لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفدة وأشار المصنف رحمة الله تعالى عليه إلى تنصيف هذا القول بقوله وفيه
إيماء إذ ما ذكره هذا القائل لا يتبادر إليه إلا ذهان قال الحسن رضي الله تعالى عنه أما والله أنهم كانوا ليتجرون
ولكن إذا جاءتهم فرائض الله لم يلهيهم عنها شيء فقاموا بالصلاة والزكاة (قوليد وإقام الصلاة) أي بإتمامها برابطة
جميع ما اعتبره الشرع فيها من الأركان والشرائط والسنة والآداب من تساهل في شيء منها لا يكون مقيماً لها وأصله
أقوام قبلت الواو ألفاً فاجتمع ألفان فحذفت أحدهما لالتقاء الساكنين فبقى إقام ثم أدخلت الهاء عوضاً عن
الألف المحذوفة فقيل إقامته ثم حذفت تلك الهاء حال الانضافة وجعلت الأضافة تامة مقام الهاء المحذوفة
في كونها عوضاً قبل المراد بذكر الله تعالى إنشاء على الله تعالى والدعوات والظاهر أن المراد به جمع ما يتضمن ذكره
تعالى وتخصيص إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر بعد التعميم لتعظيم لسانيهما لكونهما أهم أقسام ذكره تعالى
وقوله تعالى يخافون يوماً يجوز أن يكون نعتاً ثانياً لرجال وأن يكون حالاً من مفعول لا تلهيهم ويوماً مفعول به
لا ظرف على الظاهر وتقلب صفة ليوماً (قوليد وتخصيصه) يعني تخصيص الظنثان بالذكر مع أن جميع من
يتظر إليه سواء كان ظمئاً أم لا يظن ماء جارياً لأن من ليس بظمئان إذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة
عما احتاج إليه بخلاف الظمئان فإنه يصير خائباً عما اشتد احتياجه إليه فكذلك الكافر فإنه إن كان حالاً في
من أعمال البر في الدنيا كصلة الرحم وإقراء الضيف واعتناق الرقاب وإرافة الدماء ونحو ذلك مما يعتقد أن له ثواباً
عليه فهو لا يستحق عليه ثواباً وإن كان من أفعال الأمم فهو يستحق عليه عقاباً معه باعتقاده يستحق عليه ثواباً
فحينما كان يعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى فإذا أتت عرصته القيامة ولم يجد الثواب الذي يحتاج إليه بل
وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى عنه فشبّه حاله حال الظمئان الذي تشتد حاجته إلى الماء فإذا
شاهد السراب من بعيد يتعلق قلبه به ويرجو الحياة مما هو فيه ويقوى طمعه فإذا جاءه ولم يجد شيئاً مما حوسبه
بهو الماء حينئذ يعظم عليه ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا المثال في غاية الحسن (قوليد لم يجده شيئاً ما ظنّه)
إشارة إلى جواب ما يقال من أن قوله حتى إذا جاءه يدل على كونه شيئاً وقوله لم يجده شيئاً يعني ما أبنته وهو
تناقض (قوليد استعراضاً) أي يؤيد الله تعالى حسابه بأن يقول له أعرض على ما عملت وما أدخرته ليومك
هذا من قولهم استعرض فلاناً إذا قلت له أعرض على ما عملت وقوله أو ما يجتازة على عمله بأن يؤيد الله
تعالى جزاءه المستحق به فحاسبه خيراً يعود عليه شراً وما طمع فيه ثواباً أعقبه الله عقاباً لأنه تعالى أبطله
بمكثره (قوليد رتبس الهوى) فعيل بمعنى فاعل من رتبس الجب في القواد إذا ثبت قال رتبس الشيء التراب

١٠ يكدر سبب الهوى من حب ميسة يبرح

الذي لا ينكح عاقله وبالجملة ما يصدر من الكافر من العقائد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقائد والاعمال والاقوال كلها كالفطرات المتراكمة فان الكافر لا يهتدى بقلبه ولا بسمع ولا يبصره الى ما هو الحق المقول عند الله تعالى فلا يدري الحق ولا يدري انه لا يدري ويعتقده يدري فشتاد اصراره على ما هو عليه من الكفر واتواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قبر البحر ذي الخيعة التي هي معظم النساء الغمر العبد القبر الذي يغشاه اى يغلو ذلك البحر الخبي من موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق الموج الاعلى سبحانه كان في هذه الظلمات يكون حاله خلاف من احاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتساع لسيرة العباد الصالحين فكانوا في نور (قوله الم تعلم) يعني ان المراد بالرواية رواية القلب لان تسبيح السبحين لا يتعلق به رواية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا ان المراد التقرير اى قد علمت وتيقنت بالوحى والاستدلال وعبر عن الرواية بالعلم للدلالة على ان المقصود تقرير العلم النازل منزلة المشاهدة والعيان في الوفاة والاشقان وجل من في السموات والارض على اهلهم مطلقا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن العلوم ان اهلهم مطلقا لا يتكلمون به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها عن النقائص بسان المقال والحال وقوله والملائكة تعطف على قوله اهل السموات وقوله بما يدل متعلق بيزه ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان تكون كلمة من تعطف العقلاء وغيرهم لكونه اظهر دلاله على تزيه الصانع وعلى كمال قدرته (قوله اى قد علم الله) على ان يكون علم مستدالى صميا ستم الله تعالى ويكون صميا صلاته وتسبيحه راجعين الى كل ويكون المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله صلاته اى دعاءه وتسبيحه فيما يحتاج اليه اى يعلم صلاته كيف يصلى وتسبيحه كيف يسبح ويؤيد هذا المعنى استناد العلم اليه تعالى في قوله والله عليم بما يفعلون اى بما يفعل الحيوان اختيارا او الجاد طعنا من الصلاة والتسبيح وغيرهما (قوله اوعلم كل) على ان يكون الضمائر كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلاته نفسه وتسبيحه اعلى معنى انهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعه ان شبه دلاله كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال والمقال وميل كل واحد منهم الى التمع اختيارا او طعنا بحال من يعلم التسبيح والصلاة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف رحمه الله تعالى عليه وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون صمير علم راجعا الى كل وصمير صلاته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من هذه الاحناس قد علم صلاة الله وتسبيحه روى عن ابي ناسر رضى الله تعالى عنه انه قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال رضى الله تعالى عنه ائندرى ما ذا تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال فانهن يقدسن ربهن ويبأنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت غارقة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفقهون ويعلمون ويفهمون وشاركتنا كتبها البست كذلك فانا نعلم بالضرورة انها شديدة نقصا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فان يمتنع ذلك منها والى واذا ثبت انها لا تعرف الله تعالى استحبال كونها مسيخة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله تعالى الا بلسان الخلال وقال بعض اهل العلم رحمه الله تعالى عليهم انا نشاهد ان الله سبحانه وتعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات اعمالا لطيفة يعبر عنها بذكر العقلاء واذا كان الامر كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة لتسائر الامور التي يعرفها السام فالمنصف رحمه الله تعالى عليه اختار ما ذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قول هذا البعض بقوله مع انه لا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ (قوله فانه الخالق لهما الخ) مع قوله واليه مرجع الجميع اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدئ جميع الكائنات ومعهدها وكنى بهذه معرفة وموعظة (قوله بان يكون قرعا) وهو يفحش جع قرعة وهى قطعة من السحاب رقيقة والمقصود اشارة الى دفع ما يقال من ان لفظ بين لا يقع الا مضى فالى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شئ واحد وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وعلى ما فوقها والمراد هنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره والركم جعلك شيا فوق شئ حتى يجعله من كوما مجتمعا (قوله اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من رد) على ان تكون من الاولى لا ابتداء الغاية وهى كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية بناء على انها مع بحر ورهابل من الاولى

والضمائر للواقع في البحر وان لم يجوز ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فاله من نور) بخلاف الموقف الذي له نور على نور (الم تر) ألم تعلم على شبه المشاهدة في اليقين والوفاة بالوحى والاستدلال (ان الله يسبح له من في السموات والارض) بيزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن تغلب العقلاء او الملائكة والتقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنيع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافاة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع واطف تديره (كل) كل واحد مما ذكر او من الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) اى قد علم الله دعاءه وتزبيها اختيارا او طعنا بقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى التمع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدى اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض) فانه الخالق لهما ولما فيها من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) واليه مرجع الجميع (الم تر ان الله يربى سحبا) يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يربىها كل اخذ ثم يؤلف بينه (بان يكون قرعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صبح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرآن نافع برواية ورش يولف غيرهم مؤز (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (ففى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جع خلل كجبال في جبل وقرى من خلاله (وينزل من السماء) من الغمام وكل ما علك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمتها او جودها (من برد) بان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبويض واقعة موقع المفعول

بدل اجتماعها على عامل ولا تستقيم البدلية الاجتماعية حتى المعنى فلو قلت خرجت من مصر من محلة كذا لا تكون الاولى والثانية الا ابتداء الغاية وبين الجبال بقوله من يردى ينزل من جبال في السماء هي برد وقد رت ينزل لان البدل في حكم تكرار العامل فعلى هذا الواحد وجب ان يكون مفهول ينزل محذوفا وهو برد لان المنزل من الجبال وهي البرد برد وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفهول ينزل والمعنى وينزل من السماء بعض الجبال التي هي البرد فلن ينزل برد لان بعض البرد برد وان جعلت الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض يكون المفهول من برد والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اى قطع عظام كائنه في السحاب تشبه الجبال في عظمها وفي جودها وصلاتها فان الجسم الشديد المنحصر يقال له جبل كجبل تعجرو وجوده (قوله وقد يبرد الهواء) يعنى ان ما ذكره من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكون في الاغلب من تكاثف البخار وقد يتكون من تكاثف الهواء اما الاول فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان في الهواء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فينحل وينقلب هو آوا وان كان البخار كثيرا ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يحلله فذلك البخار المتصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة الباردة من الهواء ولا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا اولافان لم يكن البرد هناك قويا نكاشف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع فالبخار المتجمع هو السحاب والمقطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا ينحل واما ان يصل البرد الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها سحابا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثاني نزل بردا وقد ينقد السحاب انقلص الهواء وذلك عند ما يبرد الهواء بردا مفرطا (قوله والضخير) اى ضمير به للبرد اى يصيب الله بذلك البرد من يشاء من الناس فيضمره في زرعه ومجرته وما شئت ويصرفه عن يشاء من الناس فلا يضمره في شئ منها (قوله ضوء برقه) يعنى ان السحابة صورا بمعنى الضوء يقال سنايسنوسناى اضاء يضئ والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه والبرق الذى يكون صفته ذلك لا بد ان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الهواء والبرد فظهوره في خلال السحاب فيضئ ظهورا للضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرته قادر حكيم (قوله فيما تقدم ذكره) اى من عجائب صنعته من قوله يزعج سحابا الى قوله تعالى قلب الله الليل والنهار واعلم انه تعالى استدلل على وحدانيته اولا بقوله تعالى ألم تر ان الله يسبح له من ثنائيا بقوله ألم تر ان الله يزعج سحابا فالاول استدلال باحوال اهل السماء والارض والثاني استدلال بالآثار العلوية ثم استدلل ثالثا باحوال الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لا ابتداء الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سوا فسر الماء بالجزء الذى هو واحد العناصر الاربعاء واما الذكر والاثني وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكأدم فانه خلق من تراب وكعبسى فانه خلق من روح قال تعالى خلقتهم من تراب وقال فتفتننا فيها من روحنا واما المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق ما مشى ويحرك بل هي اسم للحيوان الذى يدب على الارض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن واشار الى دفع الانتقاض بأدم وعيسى بان المراد بالماء ما هو واحد العناصر وبكونه مبدأ الخلق كونه جزءا من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لا تخلو عن رطوبة ما اما الطاهر على هذا ان تنويع دابة للافراد وان يكون كل معنى الجميع وان يكون تنويع ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبائعها من شئ واحد وهو عنصر الماء او النطفة فلا بد ان يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شئ ثم اشار بقوله وقيل من ماء متعلق بدابة اى متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة كائنه من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد انتقض بشئ مما ذكر (قوله وانما سمي الزحف مشيا) يعنى ان المشى هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق في الآية على المرور مطلقا على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان تكون الكلمة موضوعا للحقيقة مع قيد قسمة تلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد بسمي صاحب المفتاح مجازا مرسل او يشترط في الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمباغة في التشبيه بان ينسب التشبيه ويدعى ان التشبه من عداد التشبه به كما استعمال لفظ الاسد في الرجل الشجاع مثلا ولا فائدة في مثل هذا المجاز لكون كل واحد من اللفظين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير

وقيل المراد بالسماء المضطربة وفيها جبال من برد كافي الارض جبل من حجر واسب في العقل فاطسع يمتعه والمشهور ان الاضطربة اذا تصاعدت ولم تحلها حرارة فلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فيقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجهة لاختصاص الحوادث بعجلها واوقاتها واليه اشار بقوله (فيصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء) والضخير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمعنى العلو وبادغام الدال في السين و برقه بفتح الزاى وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبصمها للاستماع (يذهب بالابصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضائة وذلك اقوى دليل على كمال اقدرته من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعنى يبتهم او يبتقص احدهما والظلمة والنور او ابعث ذلك (ان في ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبه لاولى الابصار) لدلالة على وجود الصانع القديم وكال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتزجه عن الحاجة وما يفضي اليها من يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حزة والكسائي خالق كل دابة بالاصافة (من ماء) هو جزؤه مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لاجن النطفة وقبل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق (فهم من) مشى على طئه (كالحية وانما سمي الزحف مشيا

الى المراد من اللفظ فان المشي والرحف على البطن كالتزادفين وكذا نحو الرسن والانف فان الرسن موضوع لعنى
الانف مع قيد ان يكون عليه الرسن الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلاه من قيل الاستعارة لابتدائه على
التشبيه (قوله على الاستعارة او المشاكلة) والسحفة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة يجعل قصد المشاكلة
على لا يشارك قصد طريق الاستعارة وجعلها على مستقلة لها صحيح ايضا كما وقع في الكشاف (قوله وتذكر الضمير)
مع ان ظاهر النظم يقتضى تأنيده لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم
فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر عن جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم ناسب ان يعبر عن الاصناف المندرجة
تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك الاصناف بكلمة من انى حقها ان تطلق على العقلاء
(قوله والترتيب) اى حيث قدم الزاحف على المشي على رجلين وهو على المشي على اربع والاستدلال بها
وباختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث ان الآية الكريمة مسوقة
ليبان قدرة الله تعالى ومشى من مشى بغير آلة المشى اثبت لها ثم مشى من مشى على رجلين اثبت لها بالنسبة الى
مشى من مشى على اربع اذ اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأشكالها واهوا وطبائعها ومقادير ابدانها
واعمارها لا بد وان يكون تدبير مبدى قاهر قادر على كل ما يشاء (قوله نزلت في بشر المنافق) عن ابن عباس
ان منافقا خاصهم يهوديا فدعاهم اليه صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وهو
منافق يقول ان محمد يخييف عليهما انهما احكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى ولم يرض
المنافق وقال تصحكم الى عمر فقال لليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصني
اليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه فضرب به
عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه الصلاة والسلام
ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروقى وقدمت قصتهما في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المعيرة بين
وآل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض فقا سعاها فوقع الى على ما لا يصيبه الماء الا بمسقة فقال المعيرة بنى
ارضك فباعها فقا بضا فقبل للمعيرة اخذت ارضا لنا لهما الماء فقال لعلى اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها
فلا تالها الماء فقال على بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يحصد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المعيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغيضني وانا اخاف ان يخييف على
فنزلت والخييف الجور والظلم ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى ذكر دلائل الوجدانية والالوهية اولها وجعل
ذكرها توطئة لذكر قوم اعترفوا بالدين بالستهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روى عن الحسن البصري انه قال نزلت
في المنافقين الذين كانوا يظهرن الايمان ويسرون الكفر (قوله ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه) اى
يتولى بذلك عن قوله واطمنا (قوله وسلب الايمان عنهم لتوليهم) الذى هو من امارات التكذيب فعلى هذا
يكون المراد بالقائلين جميع من ادعى الايمان مخلصا كان او منافقا والاعمان انما سلب عن تولى منهم (قوله
او الثابتون عليه) مبنى على ان تكون الاشارة الى الفريق الثابتين منهم على طريق اللف والنشر والترتيب والحاصل
ان الضمير في قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولى التولى عن الطاعة بعد
الترامها بقولهم واطمنا وكلمة تم يجوز ان تكون للتراخي الزمانى وان تكون استبعادا للتولى عن قولهم آمنا
واطمنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى اقلين جميعا ويجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم
مؤمنين ومعنى يتولى ان بعضهم لا يثبتون على الايمان وبعضهم يثبتون عليه فتكون الاشارة الى الفريق الثابتين
(قوله اى يحكم الله على الصلاة والسلام فانه الحاكم ظاهرا) جواب عما يقال كيف افرض ضمير يحكم بعد قوله
تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله لانه من المعلوم انهم لا يدعون الى نفس
ذاته تعالى وكان الطاهر ان يقال ليحكمهم بانهم وتقرر الجواب بان الداعي يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكما
لكن ذلك الحكم انما يظهر وينبئ بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعو اليه بحسب الظاهر
هو الرسول وكان ذكر الله تعظيمه عليه الصلاة والسلام بالاشعار بمكانته عند الله فان حكمه في الحقيقة حكم الله
تعالى (قوله تعالى افي قلوبهم مرض) استفهام تقرير للذم والتوبيخ كافي قوله
ألسنت من القوم الذين تعاهدوا * على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

على الاستعارة او المشاكلة (ومنه من يمشى على رجلين) كالاس والضمير (ومنهم من يمشى على اربع) كالحم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالغناكب وان اعتادها ادامت على اربع وتذكر الضمير لتعظيم اعتلاء واتعير عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة بخلاف الله ما يشاء) مما ذكر وعلم يذكروا بسيطا ومر كبا على اختلاف الصور في الاعضاء والهيئات والحركات والطباع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئة (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء (لقد انزلنا آيات مبينات للحقاني بالانواع الدلائل (والله يهدي من يشاء) بالتوفيق للظن فيها واتدبر لمعاينتها) الى صراط مستقيم) هودى الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبآرسول) نزلت في بشر المنافق خاصهم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل في معيرة بن وائل خاصهم عليا رضى الله عنه في ارض فابي ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم (واطمنا) اى واطمنا لهما (ثم يتولى) بالامتناع عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما اولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم الى الفريق الثابتين منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم لبسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) اى ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا او المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بان لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومسالمة فيه (وان يكن لهم الحق) اى الحكم لاعليهم (ياتوا اليه مذعنين) متقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة لياتوا اولد عتبن وتقديده للاختصاص (أفي قلوبهم مرض) كفر اوميل الى الظلم (ام ارتابوا) بان رأوا منك تهمسة فرالت فقتهم وبقينهم بك (ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكومة

و يقع في مقام المدح و انشاء ايضا كما في قوله

ألسنم خبر من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

وكلمة ام في قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون متقطعة مقطرة بل والمهمة اي بل ارتابوا بل يخافون بين الله تعالى سبب اعراضهم و امتناعهم عن المحاكاة الى الرسول على سبيل الاستفهام انثري في فقال ان ذلك لكفرهم اوليهم الى ظلم من له الحق عليهم ثم انخرع عن ذلك قائلا ان السبب فيه هو اطلاعهم على ما يربهم في عدله و امانته ثم اضرب عند الى انه هل هو مجرد خوفهم من ظلمه عليهم من غير ان يطلعوا على ما يربهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخيرين بابطالهما اليقين الاحتمال الاول للسببية ويحتمل ان تكون كلمة ام متصلة مؤدبة لساواة الاحتمالات المذكورة في كونها سببا للاعراض عن المحاكاة اليه عليه الصلاة والسلام ويكون الاضراب الاخير باطلا للاحتتمالين الاخيرين (قوله وظلمهم بعم خلل عقيدتهم) لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى لما بين احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم لاقوالهم بين ان الواجب على الذين يقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا حين دعوا الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا اي سمعنا الدعاء واطعنا بالاجابة والقبول والجمع ورعى نصب قول المؤمنين على انه خبر كان والاسم ان المصدرية مع ما في خبرها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان وخبره ان يقولوا والنصب اقوى لانه متى اختلف معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف منهما الاسم والاخر خبره وقوله ان يقولوا سمعنا اعرف من قول المؤمنين وذلك لان الفعل المصدر بأن المصدرية في تأويل المصدر المضاف الى الفاعل فاذا كان فاعله معرفة كما في هذا المقام كان في معنى المصدر المضاف الى المعرفة فيكون معرفة ولا يمكن تنكيه لان عزل الفعل عن فاعله غير متصور بخلاف قول المؤمنين لانه اذا لم يصف وقيل قول المؤمنين ما ذكره وان ان بصلتها تشبه المضمر من حيث انه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر من قول المؤمنين الا ان سببه لم يفرق هذه التفرقة بل جواز ان يكون كل واحد من المعرفين اسما والاخر خبرا وان كان الثاني اوغل في التعريف من الاول (قوله واسناده الى ضمير مصدره) اي ليحكم الحكم بينهم لان ليحكم دال على مصدره فيكون مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم فين قرأ بينكم منصوبا اي لقد وقع التقطع بينكم (قوله وقالون عن نافع بلایه) يعني انه قرئ يتقدم بكسر القاف والهاء من غير ايه الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الاصل فيما اذا تحركت الحرف قبل الهاء وماروى عن نافع مبنى على ان الياء المحذوفة قبل الهاء مقطرة متوالية فلم تعتبر الحركة التي قبل الهاء فحركت الهاء من غير صلة قال مكي يجب على من اسكن القاف ان يضم الهاء لان هاء الكتابة اذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن ياء تضم نحو منه وعنه ولكن لما كان سكن القاف عارضا لم يعتد به وأبقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها قبل سكن القاف (قوله وابوعمر وابوبكر بسكون الهاء) اي مع كسر القاف وقرأ حفص بفتح ساكنة القاف فان العين تسكن اذا كانت من كلمة واحدة نحو كبد وكشف في كبد وكشف ثم اجري ما اشبه ذلك من المنفصل بحرى الفصل بناء على ان تفتح من قولنا يتقه بمنزلة كبد وكشف فسكن وسطه كما سكن وسطهما ومنه قوله * قالت سلمى اشترنا سويا * بسكون الراء (قوله واقسموا بالله جهنم ايمانهم انكار الامتناع عن حكمه) عن مقاتل وغيره قالوا : بين الله اعراض المنافقين و امتناعهم عن قبول حكمه عليه الصلاة والسلام اتوه فقالوا والله لو امرت ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسألت ان نخرجنا وان امرتنا بالجهاد لجاهدنا فأنزل الله تعالى قوله واقسموا بالله جهنم ايمانهم فجهنم ايمانهم منصوب على انه مصدر فعله المحذوف والاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اي يبالغون في اليمين ويلغون غاية شدتها ووكادتها من قولهم جهنم فلان نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها وفي المغرب جهنم اي حله فوق طاقتها من باب منع ولما لم يكن اليمين وسع وطاقته حتى يبلغ المنافقون اقصى وسع اليمين ويلغون غاية شدتها ووكادتها وطاقتها كان قوله يجهدون اليمين استعارة شبه مبالغتهم في اليمين بجهنم النفس وتكليفها المشقة وذكر جهنم اليمين واريده المبالغة فيها ثم قيل يجهدون ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدم المصدر على الفعل واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهنم ايمانهم ولما كان الفعل المحذوف مع ما في خبره في موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع موقعه في حكم الحال كانه قيل واقسموا بالله مبايعين في تأكيدهم حلفهم بجاهدين ايمانهم (قوله جواب لا قسموا

(بل اولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التفسير ان امتناعهم اما لخلل فيهم اوفي الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عند هم او متوقفا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنع فتعين الاول وظلمهم بعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لثني ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون) على عادته تعالى في اتباع ذكر الحق البطل والتبني على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليعمل الحكم (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمره اوفي القرآن السنن (ويخش الله) على ما صدر عنه من الذنوب (ويتقه) فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلایه وابوعمر وابوبكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبّه نفسه بكثف وخفف الهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق (فاولئك هم الفاترون) بالنعيم القيم (واقسموا بالله جهنم ايمانهم) اسكار للامتناع عن حكمه (لئن امرتهم) بالخروج عن ديارهم واموالهم (ليخرجن) جواب لا قسموا على الحكاية (قل لا تقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة الفساقية المنكرة او طاعة معروفة أمثل منها اوليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة (ان الله خير بما تعملون) فلا يخفى عليه سراركم

لان الموطئة في قولهم لن امرتهم جعلت ما يأتي بعد الشرط المذكور جواب القسم لاجزاء الشرط وكان جزاء الشرط مضمر امدولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم وجواب الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم واخبر بجواب الشرط لانه جواب على حكاية قول المنافقين حين اقسموا للرسول فانه تعالى لما حكى عنهم قسمهم بقوله واقسموا ذكر القسم عليه ايضا على سبيل الحكاية فقال ليخرجن بطريق الغيبة فان نفس كلامهم معه عليه الصلاة والسلام هكذا والله انما قبل جميع احكامك ونطيعك في جميع ما امرنا لن امرتنا بان نخرج من معك فغير الكلام الى الغيبة عند الحكاية (قوله امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية) عند تعالى لانه لو كان قوله اطيعوا الله الى آخر الآية من كلام الرسول خاطب به قومه لكان الظاهر ان يقولوا اطيعوا الله واطيعوا نبي فان توليتم فانما على ما حلت من تبليغ الرسالة وان تطيعوني تهتدوا وما على الا البلاغ المبين فلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر انه كلام الله تعالى وحكاية رسوله اياه وانه تعالى امر رسوله بان يبلغ هذا الخطاب اليهم غاية ما في الباب انه تعالى لم يقل اطيعوني بل عبر عن ذاته المقدسة بلفظ الغيبة ايماء الى علة وجوب طاعته عليهم (قوله بالغة في تكريمهم) علة لقوله خاطبهم الله به ووجه المسالمة في التبيك على تقدير ان يكون الله تعالى هو الذي خاطبهم بذلك ان توجه خطاب الله اليهم ووروده عليهم ائتم للحكم وافهم للنصم بالنسبة الى ان مخاطبهم الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة نفسه فان في مخاطبة تعالى اياهم من دهاء المخاطب وبغزة عن التزام الجواب ما ليس في خطابه عليه السلام بذلك (قوله خطاب للرسول والامة) سواء كانت الامة امة دعوة او اجابة فتكون كلمة من في قوله منكم لبعض فان الذين تحقق منهم الايمان وقت نزول الآية بعض من الامة مطلقا وما اذا كان خطاب منكم له عليه الصلاة والسلام ولين معه من المؤمنين فحينئذ يكون من البيان لا لبعض لان الموعود لهم هم المخاطبون لا بعض منهم (قوله بالقوية والثابت) متعلق بقوله وليكن يعني ان المراد بتكثير الدين تقويته واثباته على الاديان كلها لانه تعالى اذا عز الاسلام ونصر المسلمين على اعداء الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلبها بالسلط والاسبلاء لاجرم نصير المسلمون متمكين في الارض مستولين عليها فاعلموا الاسلام على سائر الاديان ويتقوى وقرأ العامة كما استخلف على بناء الناعل وقرأ ابو بكر وليدئتهم فتح المياد وتشد الدال وقرأ ابن كثير وابو بكر يسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله صلاحا بعد غي عن رزقه صلاحا بدل الغي ويقال ابدله الله من الخوف امانا قال ابو العالى في هذه الآية مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي بمكة عشرين سنة مع اصحابه وامرنا باصبر على اذى الكفار فكانوا يصحبون ويسعون خائفين ثم امرنا بالهجرة الى المدينة وامرنا بالقتال وهم على خوفهم لا يمارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية (قوله بالاخبار عن الغيب على ما هو به) فان الاستخلاف الموعود لاشك انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدعى النبوة ثم انه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضي في قوله آمنوا وعملوا وخطاب المشافهة في قوله منكم ان يستخلفهم استخلاف استخلاف بني اسرائيل في مصر والشام بعد الجبارة وهذا الموعود والموعود عليه الذي هو الايمان والعمل الصالح لم يجمع لغير الخلفاء الراشدين بالايجاب فهم المستخلفون في الارض باستخلاف الله اياهم واختيارهم على غيرهم فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم في ذلك قلت كانوا هم الاصول والملوك وكان سائر الناس اتباعا لهم في ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير وقد حصل في ايامهم القويحة العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلّت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون حلكا اذا كانت خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة وخلافة عثمان اثني عشرة وخلافة علي ست سنين (قوله وقيل الخوف من العذاب) عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعداء امانا منهم (قوله او كفر هذه التهمة) قال المفسرون اول من كفر بهذه التهمة ويحدثها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم من الايمان وأدخل عليهم الخوف الذي رفع عنهم حتى صاروا يقتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين (قوله ولا يبعد عطف ذلك) يعني ان بعد ما بين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبنى على تحقيق المقابلة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكّد المقابلة لان

(قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مسالمة في تبيكهم (فان تولوا فانما عليه) اي على محمد صلى الله عليه وسلم (ما حلت) من التبليغ (وعليكم ما حاتم) من الامتثال (وان تطيعوه) في حكمه (تهتدوا) الى الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما يبنى ما حلت فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعلى الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول والامة اوله ولين معه ومن للبيان (لستخلفتم في الارض) ليجعلهم خلفاء منصرفين في الارض تصرف الملوك في مساكنهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم لستخلفتم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم (كأنه تخلف الذين من قبلهم) يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبارة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباء قوت بفتحها واذا ابتدأ وكسروا الالف (وليكن لهم دينهم الذي ارضى لهم) وهو الاسلام بالقوية واشتد (وليبدلهم من بعد خوفهم) من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف (أمانا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشرين سنة خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصحبون في السلاح ويسعون فيه حتى أنجز الله وعده فاظهروهم على العرب كلهم وقمع لهم بلاد اشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالايجاب وقيل الخوف من العذاب والامن سنه في الآخرة (بعدوني) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد واستثنا بيان المقضي للاستخلاف والامن (لا يشركون في شيا) حال من الواو اي بعدوني غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتد او كفر هذه التهمة (بعد ذلك) بعد الوعد او حصول الخلافة (فاولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك التهمة العظيمة (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول) في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على الأمور به

الجواررة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان شدة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل بينهما مع ان للفصل ههنا فائدة جليلة وهي الاشعار بان الجملة التخلية وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم الآية بما هو مهم بشأنه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه وهو قوله تعالى فان تولوا كانه قتل فان توليتهم عن الطاعة فانصرف عنهم وانما انصرفتم انفسكم لانه عليه الصلاة والسلام قد خرج من عهده ما كلف به واما انتم فعليكم ما كلفتم به من الطاعة والانقياد على تقدير توليتكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فان يختلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل الكفر والعصيان ويعذبهم بايدي المؤمنين بل يستأصلهم بالارادة فكان الفاصل من تمة المعطوف عليه وقوله ولا يبعد يشعر بانه يجوز ان لا يكون معطوفا على قوله اطيعوا الله ولعل وجهه ان قوله واقبوا الصلاة من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب كانه قيل بعدوني ولا يشركون في شئ ويميمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الرسول والذي يحسن هذا الالتفات الخطاب الذي في قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلاة وابناء الزكاة على قوله بعدوني اذ انا بشر فلهما ومريد قدرهما عند الله تعالى لانه من باب عطف جبرائيل على الملائكة (قوله وتعلق الرحمة بها) على تقدير ان يكون المعنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (قوله او بالندرجة هي فيه) لتعلق الرحمة بجميع الامور التي اندرجت فيها طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على رجاء الرحمة كاعلق الهدى بالطاعة في قوله وان تطيعوه تهتدوا (قوله لا تحسبن يا محمد) قرأ السامة تحسبن ببناء الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام الا انه نهى عنه بالغنى في تسليته ولان خطابه في حكم خطاب امتد لكونه رئيسهم واما هم ومفعول فعل الحسبان هما الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله ضمير النبي عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون لا تحسبن خطابا عاما لكل من يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وايدائهم والمعنى لا تحسبنهم بسبقوننا اي يفوتون عذابا فانه لاحق بهم لاحالة اما عاجلا واما آجلا وذكر على القراءة بياء الغيبة ثلاثة اوجه الاول ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والذين كفروا معجزين مفعوليه والمعنى لا تحسبنهم النبي معجزين والثاني ان يكون الفاعل الذين كفروا وفي المفعول جنبذا احتملان الاول ان يكون معجزين في الارض مفعوليه والمعنى لا تحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله ثابتا في الارض حتى يطعوا بذلك في ان يعجزوا الله ويقوتوا عذابه وحسابه على ان معجزين اول المفعولين وفي الارض ثانيا فاعل المفعول الاول في باب حسبت ان يكون معرفة وجازها هنا وقوعه نكر تكون معجزين صفة موصوف اي احدا يعجز الله ولما كان احدا واقما في سياق التي افاد العموم فجاز وصفه بالجمع بذلك الاعتبار والاحتمال الثاني على تقدير ان يكون الذين كفروا هو الفاعل وان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعول الاول محذوفا والاصل لا تحسبن الذين كفروا ومعجزين اي لا تحسبن الكفرة انفسهم معجزين والافتقار على احد مفعول باب حسبت وان كان ضعيفا عند البصريين الا انه سوغ في الآية كون الفاعل والمفعول عبارة عن شئ واحد فاكثرت في ذكر اثنين منها عن ذكر الثالث (قوله عطف عليه) اي على قوله لا تحسبن الذين كفروا وهي جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلا وجه لعطف احدها على الاخرى الا ان الجملة الفعلية الانشائية لما كانت في حكم الاسمية الخبرية جازان تعطف عليهما الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لا يغير المعنى الاصل فيكون قوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في قوة ان يقال الذين كفروا والسوا معجزين لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الانحياز (قوله والمراد به) اي بقوله يا ايها الذين آمنوا اخطاب الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعا وان كان الظاهر كونه خطابا بالرجال فقط ووجه الاستدلال بما روي على دخول الفريقين في الخطاب بطريق التغليب ان الآية لم تزلت بسبب كراهة الاثني دخول الغلام عليه بغير استئذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعا واعلم ان ظاهر الآية امر الممالك والاطفال بالاستئذان والمقصود امر المؤمنين بان يتعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الاوقات اذ لو كان المقصود امر الممالك والاطفال بالذات لما كان تخصيص التداء والخطاب بالمؤمنين وجه واما الوجه في عدم نداء الممالك والاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالى والاولياء الاشارة الى انهم لقلّة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن خير صلاحية الخطاب وان

فيكون نكر را الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بهما او بالندرجة هي فيه بقوله (اعلمكم ترجون) كما علق به الهدى (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض) لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او لا تحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او لا يحسبهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وخزعة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات (وما واهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كانه قبل الذين كفروا ليسوا معجزين وما واهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الانحياز (وليس المصير) المأوى الذي يصيرون اليه (يا ايها الذين آمنوا) لبستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تمة الاحكام السابقة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال

ما روى ان غلام اسمه بنت ابى مرثد دخل عليها
في وقت كرامته فزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدلي بجر والا فتدلى وكان غلاما وقت
الفتنة ليدعو عمر فدخل وهو قائم وقد انكشف
سنته فبقي فقال عمر لوددت ان الله عز وجل سبى
آباءنا وابنائنا وخذ منا ان يدخلوا هذه الساعات
فليأتوا الاباء ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه
وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية (واذين
لم يلبسوا الخلع منكم) والصبيان الذين لم يلبسوا
من الاحرار فغبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى
دلالته (ثلاث مرات) في اليوم والليلة مرة (من قبل
صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح
ثياب النوم وليس ثياب اليقظة ومحلله ان تصب بدلا
من ثلاث مرات او ارفع خبرا لمحذوف اي هي
من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) اي
ثيابكم لليقظة للقبولة (من الظهيرة) بيان للحين
(ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت الفجر وعن اللبس
والالتفاف بالثياب (ثلاث عورات لكم) اي هي
ثلاثة اوقات يخل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ
وما بعده خبره واصل العورة الخلل ومنها عور المكان
ورجل عور وقرأ حزنه والكافي وابو بكر بالنصب
بدلا من ثلاث مرات (لبس عليكم ولا عليهم جناح
بعدهن) بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه
ما ينافي آية الاستئذان في نسخها لانه في الصبيان وبه اليك
المدخول عليه وذلك في الاحرار البالغين (طوافون
عليكم) اي هم طوافون استئذان ببيان العذر المرخص
في ترك الاستئذان وهو المخاطبة وكثرة المداخلة وفيه
دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات
الثلاثة وغيرها بانها عورات (بعضكم على بعض)
بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضهم على
بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (بين الله لكم الايات)
اي الاحكام (والله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما
شرع لكم (وادا بلغ الاطفال منكم الخ فليستأذنوا
كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قلمهم
في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان
العبد البالغ على سيده وجوابه ان المراد بهم
المعهودون الذين جعلوا قسما للمالك فلا يندرجون
فيهم (كذلك بين الله لكم آياته والله عليم حكيم)
كبره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان
(والتواضع من النساء) المجاز التي قد عدت عن الحيض
والحسل (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن
فيه لكبرهن

السادات والاولياء هم المخاطبون بتعليم من هو في حالهم وتحت ايديهم والقيام بما يحتاجون اليه في امر
دينهم وديارهم والاديب على ذلك ان ثبت نفوسهم عن الامتثال (قوله بنت ابى مرثد) روى الشيخين المتبعة
في نسخ وروى بإشياء المنشئة قيل هذه الآية احدى الآيات المزعومة بسبب عمر رضى الله عنه اذ روى عنه
انه قال وافقت ربي في ثلاث في الاستئذان وفي الحجاب حيث قال الله تعالى فاستأذنوهن من وراء حجاب وفي الاستئذان
من مقام ابراهيم مصلى وهذه الآية دللت على ان من لم يبلغ الحلم يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب الفحشاء
فانه تعالى امرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام من وهم بالصلاة وهم ابشاء سبع
واشربوهم على تركها وهم ابشاء عشر وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتب له حنثه ولا تكتب
عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه اذا بلغ الحلم يؤمر بفعله ليعتاد ويهيل عليه بعد البلوغ (قوله تعالى ثلاث مرات)
على انه طرف زمان اي يستأذنكم ثلاث اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون
ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وقيل انه منصوب على المصدرية اي ثلاث استئذانات لانك اذا قلت
ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات وبؤيد قوله عليه الصلاة والسلام الاستئذان ثلاث وهذا وجه
ظاهر لولا القرينة الصارفة عن هذا المعنى وهي التفسير بالاوقات الثلاثة المذكورة والقبولة النوم في الظهيرة
والالتفاف الغطي يقال التفت بالثوب اي تغطيت به (قوله اي هي ثلاثة اوقات يخل فيها تستركم) يعني ان
ثلاث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف قال اول استأذنكم المالك والاطفال ثلاث مرات ثم فصل
الثلاث بقوله من قبل صلاة الفجر الآية ثم اجل بعد ان فصل فقال هذه ثلاث عورات لكم تنبها على علة وجوب
الاستئذان عليهم في هذه الاوقات والعورة الخلل الذي يرى فيه ما يراد ستره وسميت الاوقات المذكورة عورات
مع انها ليست نفس العورات بل هي اوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محللا
والمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله هي ثلاثة اوقات يخل فيها تستركم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس
الاختلال بل اوقاتا له (قوله وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان) يعني انه قد قيل ان قوله تعالى بأبها
الذين آمنوا لا يدخلوا بيوتكم حتى تستأذنوا فسلموا على اهلها يدل على ان الاستئذان واجب
في كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الآية في غير هذه الاحوال الثلاث فقال المصنف لامتناعه بين ان يستأذن
الاحرار البالغون في جميع الاحوال وبين ان لا يستأذن الاطفال وبه اليك المدخول عليهم الا في هذه الاحوال
الثلاث حتى يصار الى النسخ (قوله وفيه دليل) اي في قوله طوافون عليكم وكذا في الفرق بين هذه الاوقات
الثلاثة وبين ما عداها بانها اوقات عورات دون ما عداها دليل على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام الشرعية
اذا امكن وان كل حكم شرعي له علة تلك العلة هي الحكمة في مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم امامي
الابتداء او على انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه اي المالك والاطفال يطوفون عليكم للخدمة
وانهم يطوفون عليهم للاستئذان في كل طوفة اي في هذه الاوقات الثلاثة وغيرها اضاف
الامر عليكم فلذلك رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الاوقات الثلاثة (قوله تعالى واذا
بلغ الاطفال منكم) اي من الاحرار فليستأذنوا في الدخول استئذانا مثل استئذان الذين بلغوا من قلمهم
يعني ان من تجدد فيه البلوغ يجب ان يستأذن للدخول في كل الاوقات كما يستأذن الكبار الذين قد قدم بلوغهم
كذلك ووجه الاستدلال بهذه الآية على استئذان العبد على سيده ان لفظ الاطفال يتناول المالك والاحرار
من الصبيان فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين اذا بلغ الحلم بحكم هذه الآية كما ذهب اليه الحنفية قال
الامام النسفي في تفسير قوله تعالى ولا يدين زينة الابيعولتهن او بالهن الى قوله او نسألهن ان المراد بنسألهن
الحرار المسلمات وبما ملكت ايمانهن اما وهن فلا يتناول الغلام والجارية جميعا قلنا قال سمره بن جندب
لا تفرنكم هذه الآية فانها نزلت في الاماء انتهى وقال المصنف في تفسير او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبد
واستدل عليه بالحدث ثم قال وقبل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالا جني واجاب ههنا عن الاستدلال
المذكور بان تعريف الاطفال للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسما للمالك فلا يندرج المالك فيهم
(قوله تعالى والقواعد) جمع قاعد وهي المرأة التي قد عدت عن الحيض والولد لكبر سنهما ولم تدخلها ثاء التأنيث
لاختصاصها بالمرأة قيل واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة قال الامام الاول ان لا يعتبر قعوده

عن الحيض لأن ذلك ينقطع فيهن بأفّة دون بلوغهن إلى سن لا يرغب فيهن الرجال فالمراد قعودهن عن حال
 الزوج وذلك لا يكون إلا إذا بلغت في السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال والقواعد مبتدأ ومن النساء حال من
 المستكن في القواعد واللاق صفة القواعد لا النساء وجلة فليس عليهن جناح خبر المبتدأ والقواعد بمعنى
 الشرط لأن الالف واللام فيه بمعنى اللاتي أو لأن المبتدأ موصوف بالامم الموصول ولو كان الموصول مبتدأ لجاز
 دخول الفاء في خبره فجاء ذلك ايضاً إذا كان صفة للمبتدأ أو غير مترجعات حال من عليهن (قوله أي الثياب
 الظاهرة) خص الثياب بالظاهرة لأنه لا شك في أنه تعالى لم يأذن لهن في أن يضعن جميع ثيابهن لما قدم من
 كشف العورة كلها (قوله من استقذارهم) أي من استكرهه الأصحاء المؤاكلة معهم لأن الاعى
 ربما سبقت يده إلى ما سبقت عينه أكله اليد وهو لا يشعر والاعرج يتفخ في مجلده فيضيق على جلسته
 والمرضى لا يخلو من رائحة كريهة أو نافذ يذو أوجرح يديهن إذا أخذن بها يسيل ونحو ذلك (قوله
 أو أكلهم) عطف على مؤاكلة الأصحاء وقوله مخافة علة لقوله يخرجون في أكلهم من بيت من يدفع اليهم
 المفتاح قال سعيد بن السبب كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح بيوتهم
 وخزائنهم ويقولون قد حملنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يخرجون من بيوتهم ويقولون لا ندخلها وهم
 غيب فترت رخصه لهم (قوله أو من أجابة) عطف ايضاً على مؤاكلة الأصحاء يعني أن شعفاء المؤمنين كانوا
 يدخلون على بعض اصداقهم لطالب الطعام فإذا لم يكن عندهم طعام يطعمونه يدعونهم ويذهبون بهم إلى بيوت
 آبائهم أو اولادهم أو أقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم يتسكّم بالباطل إلا أن
 تكون تجارة عن تراض منكم أي يعافئ ذلك امتنع الناس أن يأكل بعضهم من طعام بعض فترت هذه
 الآية وعلل المصنف تخرجهم بقوله كراهة أن يكونوا كالأعرج والكل يتفخ الكاف وتشد اللام الملل والتعب
 والنقل والجمع الكلول ولم يجمع ههنا كونه مصدراً في الأصل (قوله وهذا) أي إنشاء المخرج في أجابة
 من يدعوهم إلى البيوت المذكورة يأخذ الأكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت باذنه صريحاً أو بما هو
 قريب الأذن وهو دلالة الحال كالأقربة والصداقة ونحو ذلك وقيل جواز الأكل من هذه البيوت بغير إذن مالكها
 كان في صدر الإسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس وما يدل
 على هذا النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وكان في أزواج النبي
 صلى الله عليه وسلم من لهن الآباء والأخوال وقدم انتهى عن دخول بيوتهم الأبعد الأذن في الدخول وفي
 الأكل (قوله وقيل نفي للخرج عنهم في القعود عن الجهاد) أي لأفيا ياتعاني بالأكل والمعنى ليس على هؤلاء مخرج
 في القعود عن الغزو ولا عليكم في أن تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا كلام صحيح في تخرجه لاستواء الطائفتين
 في نفي المخرج عنهم وهذا مثل استفتيك مسافر عن الأظفار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على الشعر
 فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك يا حاج في أن تقدم الحلق على الشعر ولم يرض المصنف بهذا التأويل حيث قال
 وهذا الأبلأى ما قبله ولا ما بعده فانه قبل أو لا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن وقيل آخر أو لا على أنفسكم
 أن تأكلوا فين فيهما ما نفي كونه جناحاً ولم يبين ذلك في قوله ليس على الاعى حرج فينبغي أن يبين بما يلائم
 ما قبله وما بعده والقعود عن الغزو لا يلائم شيئاً منهما (قوله من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم) أي
 ليس المعنى أن تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بأنفسكم وفيها طعامكم وسائر أموالكم لأن الناس لا يخرجون
 عن أكل طعامهم في بيوت أنفسهم فينبغي أن يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم أنفسكم لشدة الاتصال بينهم
 وبينكم كالأزواج والاولاد ونحوهما فان بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته
 إلى نفسه وكذا الأب يضيف بيت ولده إلى نفسه (قوله وقيل بيوت الماليك) لم يرض بأن يفسر ما ملكتكم مقامكم
 بيوت الماليك لأن بيوتهم داخلية في عموم قوله تعالى أن تأكلوا من بيوتكم فلا يوجد لأفراد بالذكر ومالك المفتاح
 كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه فالعنى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من أموالكم يد عليها لكن لأن
 اعيانها بل من اتباعها وغلاتها كثره البستان ولبن الماشية (قوله والمفتاح جمع مفتاح) والمفتاح جمع مفتاح وكلاهما
 أذا فتح وقبل المفتاح الخزان كقوله وعنده مفتاح الغيب أي خزائنه وداره يبدأ الخزان ما يخرج فيه الطعام المأكول
 ونحوه من بين البيوت قيل إذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الأذن الصريح وربما سمع

(فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي الثياب
 الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لأن اللام في القواعد
 بمعنى اللاتي أو لوصفها بها (غير مترجعات بزينة)
 غير مظهرات زينة مما أمرن بأخفائه في قوله ولا يديرن
 زينتهن وأصل التبرج التكلف في الظاهر ما يخفى
 من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج
 سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله
 لا يغيب منه شيء إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها
 ومحاسنها للرجال (وان يستعففن خير لهن) من
 الوضع لأنه بعد من التهمة (والله سميع) لقائلين للرجال
 (عليهم) بمقصودهن (ليس على الاعى حرج ولا على
 الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفي لما كانوا
 يخرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم
 أو أكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويخرج لهم
 التوسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل
 مخافة أن لا يكون ذلك عن طيب قلب أو من أجابة
 من يدعوهم إلى بيوت آبائهم واولادهم وأقاربهم
 فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كالأعرج ولا عليهم وهذا
 انما يكون إذا علم رضى صاحب البيت بأذن أو قرينة
 أو كان في أول الإسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا
 بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام وقبل نفي للخرج
 عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده
 (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) من البيوت
 التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
 الاولاد لأن بيت الولد كبيته لنزله عليه السلام أنت
 ومالك لايك وقوله إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه
 وإن ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم
 أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم
 أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم
 أو ما ملكتكم مفاتيح) وهو ما يكون تحت أيديكم
 وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظاً وقيل
 بيوت الماليك والمفتاح جمع مفتاح وهو ما يفتح به
 وقرئ مفتاحه

(اوسد يقمكم) اوبيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فتسخ فلا احتجاس بالخفية به على ان لا قطع بسرقة مال الحرم (يس عليكم جناح ان تأكلوا جيعا واثمتا) مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ايث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع في القرابة والتهمة (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلوا على انفسكم) على اهلها الذين هم منكم ديناً وقراءة (نحية من عند الله) ثابتة بامرهم مسروعة من لدنه ويجوز ان تكون من صلة للنحية فانه طلب الحياة وهي من عنده وانتصابها على المصدر لانها بمعنى التسليم (مباركة) لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك فصل صلاة الضحى فانها صلاة الارباب والاوابين (كذلك بين الله لكم الايات) كرده ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام الختمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال (لعلمكم تعقلون) اى الحق والخير في الامور (انما المؤمنون) اى الكاملون في الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم (واذا كانوا معه على امر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمساورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله فباذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصدق لحنه والميز للعخلص فيه من المنافق فان دينه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذهاب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) ما يعرض لهم من الهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر

الاستئذان وثقل لمن قدم اليه الطعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه قيل انطلق رجل يدعى بالحشارت بن عمرو مغازيا واستخلف مالك بن زيد في اهله وخزائنه فربأ كل من ماله شيئا حتى صار بمجهود اى ضعيفا فانزل الله تعالى او صدقكم (قوله فلا اجتماع للنفقة) اذا لا اجتماع بالنسوخ احتجاج ابو حنيفة بهذه الآية على ان من سرق من ذى رحم يحرم انه لا يقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم بغير اذنهم فلا يكون محرزا ولا يلزم منه ان لا يقطع اذا سرق من صديقه لان من اراد سرقته ماله لا يكون مسديقا له (قوله لا خلاف الطباع) اى طباع الطامعين وفي بعض النسخ لا خلاف اناس واثمهم يفتحين افرط الشهوة في الطعام والقرارة ضده وحاصل المعنى لا اختلاف الطباع في قلة الاكل وكثرته يعنى انهم لما خرجوا في الاجتماع على الطعام لا اختلاف احوال الاكلة في الاستقلال والاستكثار من الطعام انزل الله هذه الآية وبين انه لا حرج عليهم في ان يأكلوا مجتمعين او منفقين او اشتاتا جمع شت والشت مصدر معناه التفرق فوصف به وشتى جمع شئت كرضى ومريض قال الامام النسفي دل قوله تعالى ان تأكلوا جميعا على حواز التساعد في الاسفار والتساعد اخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه (قوله فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت) خص بيوتا المنكر بالبيوت المذكورة سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا في دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على اهله ومن في بيته وروى مرفوعا اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقيل المراد بها كل بيت وقيل هى المساجد جعل الله تعالى اهل البيت من المسلمين انفس الداخلين ابدا تا بان المسلمين كالفنس الواحدة كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فان لم يكن في البيت احد ولا في المسجد فليس على نفسه بان يقول السلام علينا من قبل ربنا وان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روى ان الملائكة ترد عليه وقيل ان كان في البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اجمع الهدى ثم قيل يصل بهذا التسليم قوله تحية من عند الله مباركة طيبة حتى روى عنه عليه الصلاة والسلام انه يصلى صلاة الضحى وهي ان يصلى ركعتين عند الاشراف وذلك اذا تابست الشمس وارتفعت قدر رمح ثم يصلى اربعا او ستا ونماتى وهو الذى اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق وهو ظهر تام بوجهه بارفعاها عن موااة البخارات والغبارات ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجا وخرج عليه الصلاة والسلام على اصحابه وهم يصلون عند الاشراف فقال الان صلاة الاوابين اذا مضت الفصال روى عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد ولا انسان فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لا يصل به هذا القول لانه صفة السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق لعنى فسلوا على طريق قولك فعدت جلوسا كما نه قيل فحيوا تحية وقوله من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة تحية اى تحية ثابتة بامر مشروعة من الله وان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب الحياة والسلامة من الله للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانه دعوة مؤمن لمؤمن ترضى بهما من الله تعالى الاجابة بزيادة الخير وطب الكمال والجمال (قوله وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك) اى التبيين وهو قوله والله اعلم حكيم وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو العقل والدراية لاحكام الله من الاوامر والنواهي (قوله ووصف الامر بالجمع للمبالغة في كونه سبيلا اجتماع القوم فان الامر لكونه مهما غظم الشأن صار كما نه قد جمع الناس فهو من قيل اسناد الفعل الى السبب وقرئ امر جميع بمعنى جامع او مجموع له قيل نزلت الآية في حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات ثمة فيه حتى دخلت في حد القضاء وكان قوم يتسألون من بينهم بغير اذن قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحال النبي عليه الصلاة والسلام حتى يراه فيعرف به استئذانه فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد ان الامام يوم الجمعة ان يصبره (قوله ولذلك) اى ولكون عدم الاستئذان نقصا في كمال الايمان حيث جعل بين الايمانين شرطا ثالثا له اياهه موكدا على اسلوب ابلغ فان جعل المستأذن من المؤمنين عكس الاسلوب الاول وفيه تأكيد الاول بالله ورسوله فيكون مصداقا ودليلا على صحة الايمان وصدقهما قيل المراد بقوله ان الذين يستأذنونك انه استئذان عمر بن الخطاب في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام (قوله وفيه) اى في قوله لبعض شأنهم مبالغة في الاهتمام بشأن الاستئذان كعادته على الاسلوب الابلغ حيث يطلق الاذن في شأنهم بل قيد البعض تغلظا

(فائذن لمن شئت منهم) تفويض للأمر إلى رأي
الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على
أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه عليه الصلاة
والسلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة
لعله بصدقه وكان المعنى فائذن لمن علمت أن له عذرا
(واستغفر لهم الله) بعد الاذن فإن الاستئذان
ولو لعذر قصور لانه تفويض لأمر الدين على
أمر الدين (إن الله غفور) لفرط العباد (رحيم)
بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعة الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا) لا تقبلوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم
بعضا في جواز الاعتراض والمساهلة في الإجابة
والرجوع بغير إذن فإن المبادرة إلى إجابته واجبة
والراجعة بغير إذنه محرمة وقبل لا تجعلوا دعاءه
وتسجيد كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به
والنداء ورأى الحجة ولكن بقلبه العظيم مثل ما يرى الله
وإرسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت
أولا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض
فلا تبالوا بسخطه فإن دعاءه موجب أولا تجعلوا
دعاءه به كدعاء صغيركم كبيركم بحجة حرة وورده
أخرى فإن دعاءه مستجاب (قد يعلم الله الذين
يسألونكم) يسألون قليلا قليلا من الجماعة ونظير
تسأل تدرج وتدخل (لو إذا) ملاوذة بأن يستتر بعضكم
ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه
كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالقح (فاحذر
الذين يخالفون عن أمره) يخالفون أمره بترك مقتضاه
ويذهبون سماعا خلافاً سمته وعن انضمامه معنى
الاعتراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين
من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول
لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضرب لله
فإن الأمر له في الحقيقة أو لرسول فانه المقصود
بالذكر (أن تصيبهم فتنة) فتنة في الدنيا (أو يصيبهم
عذاب اليم) في الآخرة واستدل به على أن الأمر للوجوب
فانه يدل على أن ترك مقتضى الأمر مقتضى لأحد
العذاب بين فإن الأمر بالحذر عنه يدل على حسنة
المشر وط بقاء مقتضى له وذلك يستلزم الوجوب
(ألا إن الله مافي السموات والأرض قد يعلم ما أنتم
عليه) أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والتفاني
والإخلاص وإنما أكد عليه بقوله (ويعيد الوعيد
(ويوم يرجعون إليه) يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء
ويجوز أن يكون الخطاب أيضا مخصوصا بهم على
طريق الالتفات (فينبئهم بما عملوا) من سوء الأعمال
بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شيء عليم) لا يخفى
عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعد ذلك
مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

عليهم أمر الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اقتدار المبسوط وماس الحاجة إليه وتعلق الاذن
بالمشي مع ذلك العذر ومراعاة ذكر الاستفسار للسأ ذنب بالاذن دليل على أن الأحسن والأفضل أن لا يتحدثوا
أنفهم بالذهاب ولا يستأذنون فيه حيث احتسبوا في خروجهم عن الجماعة إلى أن يستغفر لهم الرسول وإن كان
ذلك الخروج مشيئة (قوله ومن منع ذلك) أي منع تفويض بعض الأحكام إلى رأيه واجتهاده وقال انه عليه
أفضل الصلاة والسلام يتبع الوحي في جميع أحكامه قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعله بصديق المستأذن في إزاله
عذرا شرعيا مخصصا للذين استأذنوا فيه فينبذ تكون المشيئة مستندة إلى الشرع الثابت بالوحي فلا تكون
مشيئة وأذنه في ذلك بمجرد رأيه قال المصنف في أصوله يجوز له عليه الصلاة والسلام أن يجتهد لعموم فاعتبروا
وجوب العمل بالارجح ولانه سبق وأدل على الفطنة فلا يتركه ومنعه أبو علي وابنه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى
قلنا هو ما أموره فليس بهوى (قوله ولا تقبلوا دعاءه إياكم) إلى شيء من الأمور فيكون المصدر فيه مضافا إلى فاعله
كإلى الوجه الثالث والرابع فإن الداعي في الجمع هو الرسول بخلاف الوجه الثاني فإن المصدر فيه مضاف إلى
المفعول والمعنى لا تقولوا عند دعائكم إياه يا محمد وإيا ابن عبد الله كما يدعو بعضكم بعضا بل عظموه وشرفوه في ندائه
والمعنى على الوجه الأول لا تجعلوا أمره إياكم ودعائه لكم إلى شيء كما يكون من بعضكم إلى بعض فإن أمره كان
فرضا لازما ومثله قوله تعالى استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم (قوله ينسلون) أي يخرجون مستخفين
يقال أنسل الرجل أي انصرف من الناس وفارقهم بحيث لا يعلمون واللواذ والملاوذة أن يلوذ هذا بذلك وذلك
بهذا ويستتر بعضهم بعضا وهو حال من ضمير ينسلون ويقال تدرج إذا استلج درجة درجة وتدخل إذا دخل
قليلا قليلا فإن تفعل قديكون للعمل المتكرر في مهلة (قوله وقرئ بالقح) أي بفتح اللام على أنه مصدر
لا ذل ثلاثي مثلا طاف طوافا ويحتمل أن يكون مصدر لاوذا لأنه يجب فتح الفاء اتباعا لفتح العين قيل كان
المنافقون يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبي عليه الصلاة والسلام وخطبته فيلوذون ببعض أصحابه عليه الصلاة
والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيرهم من غير استئذان وقيل كانوا ينسلون من صف
القتال وقيل كان هذا في حفر الخندق (قوله يخالفون أمره) لا يريدان كلمة عن صلة والالكان هذا وجهها
مستقلا من غير أن ينضم إليه قوله وعن تضمنه معنى الاعتراض بل المقصود منه مجرد بيان أن يخالفون
يتعدى بنفسه حيث يقال يخالفون أمره وانما جبيء بكلمة عن تضمنه معنى الصدود والاعتراض وقيل عن
ههنا بمعنى بعد كما في قولك أطمعتمهم عن جوع أي بعد جوع (قوله وحذف المفعول) والاصل
يخالفون المؤمنين عن أمر الله وعن أمر رسوله على معنى يخالفونهم صادين عن أمره فيكون عن أمره
حالاً من فاعل يخالفون كما أن حقيقة قولك خالفه عن الأمر خالفه صاداً أي معرضاً عن الأمر فيكون عن
الأمر حالاً من فاعل خالف ومحصول كونه مخالفاً له صاد عن الأمر دونه وكذا إذا قلت خالفه إلى الأمر إذا ذهب
إليه دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه أي ذاهباً إلى الأمر فيكون إلى الأمر حالاً من فاعل خالف أيضاً ومنه
قوله تعالى وما يريد أن يخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي ذاهباً إلى ما أنهاكم عنه (قوله فانه يدل على أن ترك
مقتضى الأمر) يعني أن مخالفة الأمر عبارة عن ترك مقتضاه والاخلال به كما أن موافقة الأمر عبارة عن
الانسان بمقتضاه ورعايته ولما أمر الله تعالى من خالف الأمر وترك مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن
الحذر عنه ولا يحسن الحذر عن العذاب إلا بعد قيام ما يقتضي نزوله ثبت أن ترك مقتضى الأمر يقتضي نزول
العذاب فلولا أن الأمر واجب لما كان تاركه مستحقاً للعذاب ثم انه تعالى لما هدد من خالف أمره بأحد
العذابين أو رد عقبيه ما هو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال إن الله مافي السموات والأرض وجعله
ذريعة إلى تحقيق علمه بأحوال عباده من المخالفة والموافقة والتفاني والإخلاص وأكد عليه بما هم عليه بأن
أدخل كلمة قد على يعلم وذلك أن قد في المضارع تفيد التقليل كرمبما إذا دخلت عليه فكما أن ر بما تستعار للكثير
كما في قول الشاعر

إن تمس لهجور الفناء فرمبما * يأتيك من بعد الوفود وفود

كذلك كلمة قد تستعمله أيضاً تفيد التحقيق والتأكيد وحلت كلمة قد في الآية على هذا المعنى لا قضاء الوعيد إياه
وفي البيت لا قضاء مقام المدح إياه (قوله تعالى ويوم يرجعون إليه) منصوب على أنه مفعول به لا ظرف لمطفد

(سورة الفرقان مكية واياتها سبع وسبعون آية)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) تكثر خبره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتبط على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير اولدلائته على تعالىه وقيل دام من برك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشئين اذا فصل بينهما سمي به الفرقا أن لفصله بين الحق والباطل بقرينه او بين الحق والباطل بانجازه اولكونه منصوصا لبعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عبادهم وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم اولا نبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية (ليكون) الله والفرقان (للمؤمنين) للجن والانس (نذيرا) منذارا او انذارا كالتكبير بمعنى الاسكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى العلوم وجعلت صلة (الذي له ملك السموات والارض) بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب (ولم يتخذ ولدا) كرمه النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) كقول التنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال (وخلق كل شيء) احداثه احداثا امرى في هذا التقدير حسب ارادته كخلق الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة (فقدرة قدره) وهما لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومن اوله الاعمال المختلعة الى غير ذلك او قدره للقاء الى اجل مسمى وقدي يطلق الخلق لجرد اليجاد من غير نظر الى وجه الاستئناف فيكون المعنى واوجد كل شيء قدره في ايجادها حتى لا يكون متقاولا

(٤٤٢)

على قوله ما اتم عليه اي وعلم الذي اتم عليه ويعلم يوم يرجعون اليه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة ذرا العامة يرجعون مينا للمفعول واوبعرو ههنا للفاعل وعلى كلا التقرأتين يجوز وجهان احدهما ان يكون في الكلام الثبات من الخطاب في قوله ما اتم عليه الى الغيبة في قوله يرجعون واشاني ان يكون قوله ما اتم عليه خطابا عاما لكل احد ويكون الضمير في يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله ما اتم عليه ايها المكلفون وقوله ويرجع المنافقون اليه والى الاول بقوله ويجوز والله سبحانه وتعالى الموفق الهادي الى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بالطائف وهي قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل واولاه

بجمله ساكنا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(قوله تكثر خبره) قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تحصوا اجناسها فضلا عن افرادها فعلى هذا المعنى لابد من تقدير المضاف اي تبارك خير الذي ولا حاجة اليه على المعنى الثاني (قوله او تزايد على كل شيء) وتعالى عنه في صفاته وافعاله قال الله تعالى ليس كمثله شيء فاعلمد وان كاله حظ في صفاته وافعاله الان ماله من الصفات والافعال لا يماثل شيئا بماله تعالى وذلك معلوم ببداية العقل (قوله وترتبه على انزال الفرقان) اي تعليقه فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتب عليه وقوله لما فيه من كثرة الخير مبنى على تفسير تبارك بقوله تكثر خبره وقوله اولدلائته على تعالىه مبنى على تفسيره بقوله او تزايد على كل شيء (قوله وقبل دام) عطف على قوله تكثر بمعنى قيل الكلمة مأخوذة من برك البعير وبرك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام والمعنى انه تعالى باق في ذاته اذ لا وابدا مشع التعبير وباقي في صفاته مشع التبدل ولم يرض به لان ترتبه على انزال الفرقان لا يلائم هذا المعنى فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم على ما يعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف واقوم ما كانوا يعرفون انه تعالى هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذي اجيب بانه لما ثبت كونه من عند الله بكونه معجزا بالغيا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزه الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوة دليله وظهوره وهذا توضح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ (قوله الجن والانس) اي لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك بين اجناس ما يلزمه الخالق مما سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها فجمع للدلالة على تعدد الاجناس واستغراق كل واحد منها اذ لو افرد منكرنا لفهم واحد من تلك الاجناس ولو افرد معرفاتهم ان انقص الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التي هي القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع منكرنا لم يكن نصا في الاستغراق للاختلاف في استغراق الجمع المنكر وجع بالياء والنون لان المقصود استغراق افراد العقلاء من جنس الجن والانس فان جنس الملائكة وان كانوا من اجناس العالم الان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجن والانس فهو عليه الصلاة والسلام رسول لهما جميعا فلا آية حجة لابي حنيفة في قوله ليس للجن ثواب اذا طبعوه سوى الجملة من العقاب ولهم عقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للمؤمن نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى يا قوم اتقوا الله واعلموا ان الله قد بعثكم محمدا بالبينات من عذاب اليم جعل ثوابهم فجاتهم من العذاب الاليم على تقدير المضاف ولم يذكر لهم ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان (قوله منذرا او انذارا) الاول على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والباقي على ان الضمير للفرقان اي تنزيه المدلول عليه بقوله نزل فكانه قيل ليكون تنزيه انذارا للعالمين لان الفرقان نفسه لا يكون انذارا (قوله بدل من الاول) فان قيل كيف جاز الفصل بين البديل والمبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه ما فصل بينهما بشي اجنبي عن الكلام لان المبدل منه صلة نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الابه (قوله احداثه احداثا امرى في التقدير) يعني ان الخلق هو الاحداث المتفرع على التقدير والتسوية في علم الصانع فان الصانع اذا لم يقدر مصنوعة في علمه قبل اليجاد يقع فيه بعد اليجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله او بالقصان عن حد ما فيه تمامه ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدرة تكررنا بناء على ان الخلق

فدعني التقدير فكأنه قيل وقد ركل شيء فقدرنا اشار الى دفعه اول بقوله فقدره وهياه لما اراد منه ومحصله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرع عليه بالفاء فان الاول عبارة عن تسوية المحدث في علمه الازل كما اوجبت الحكمة بتعيين مادته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتشفة به حال وجوده كما يسرى الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر صنعه والتقدير المتفرع على الخلق عبارة عن تهنيء لما يصلح له من المصالح المرتبة على وجوده فلا تكرر فكأنه قيل اوجد كل شيء على تقدير اوجبه الحكمة وقدره ما يصلح له وقيد وما اراد منه من الخصائص والافعال وانبا بقوله فقدره للبقاء الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا متفرع على الخلق بمعنى الاحداث الراعى فيه التقدير والتسوية لا تقتضيد الحكمة لان بقاء الشيء يكون بعد احداثه كأنه قيل احداثه فجعل لوجوده غاية محدودة وبالكسوة وقديط الخلق ليجرد الابدان فلا يكون قوله فقدره تكرارا وتكون الفاء فيه للترتيب في الاخبار فكأنه قيل اوجد كل شيء فقدره في انجاده ولم يوجد بحيث يحصل التفاوت وانبا عديدين وبين المثال الذي اقتضت الحكمة (قوله لان عبدتهم ينجونهم) اشارة الى ان فاعل اتخذواهم عبدة الاصنام ولا يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة ولان السورة مكية نزلت ردا على المشركين فيما ذهبوا اليه ويحوز ان يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قوله واخذوا صيغة جمع وقوله آلهة جمع ايضا واذا قيل بالجمع يجمع يقابل الفرد بالقرء فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخولهم في فاعل اتخذوا ثم انه تعالى لما رد على المخالفين في التوحيد شرع في الرد على المخالفين في النبوة بقوله وقال الذين كفروا ان هذا الافاك افترأه اى ما هذا القرء ان الاكاذب افترأه محمد واختلف من عند نفسه واعانه عليه اى على افترأه قوم آخرون اى اليهود وقيل جبرمولى عامر وبنار غلام ابن خضرمى وعداس وقيل عائش مولى حو يطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلاثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا يقرأون التوراة ويحدثون منها احاديث فلما املوا كان النبي عليه افضل الصلاة والسلام يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فزات الآية واجاب عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا اى فقد اتوا ظلماء وفعلوه حيث وضعوا صفة الافاك في غير موضعها ولو أمكن ذلك لعارضوه وانبا عليه حين اتاعهم به لانهم مثله عليه الصلاة والسلام في معرفة اللغة وفي التفكر من الاستعانة ووصف كلامهم هذا بانه زورا ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبة ما هو بريء منه البتة وقالوا في حق القرءان ايضا اساطير الاولين كما حديث رستم واسفنديار واساطير جمع اسطار جمع سطر او جمع اسطورة كاحدثة واساطير خبرت به اى هذا اساطير وقوله اكتبها خبرتان لهذا الوحال من اساطير والاعمال فيها معنى التنبيد او الاشارة كقوله وهذا على شيخنا (قوله كتبها النفس) اى باعتبار كونه سببا امر ايكاتبها فان بناء الفعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه (قوله واوستكتبها) على ان يكون اكتب بمعنى امر ان يكتب له كما يقال اكتبهم واقتصد الامر بذلك وقوله فهي تملى عليه متفرع على قوله اكتبها على كل واحد من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن الفاء الكلام على الغير لكتبه فان فسر الاكتاب بالا سكتاب فالامر ظاهر لان املاء هاهنا الفاء على الكاتب متفرع على طلب ان يكتب له الكاتب الا ان املاءها على من يكتبها له عليه الصلاة والسلام بمنزلة كتابته عليه الصلاة والسلام بنفسه فلذلك جعل الاملاء على الكاتب بمنزلة الاملاء على نفسه وهذا على تقدير ان يحمل الاملاء على حقيقة ويجوز ان يكون قوله تملى استعارة تعية بان يشهد الفاء الكلام على الامى ليحفظه بالقاء الى الكاتب ليكتبه لكون صورة الالتقاء على الحافظ كصورة الالتقاء على الكاتب فاطلاق الاملاء على الالتقاء على الحافظ واشتق منه تملى وكذا ان فسر اكتبها بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاستناد المجازى وروى الامام عن الحسن البصرى انه قال قوله وهي تملى عليه كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم فكأنه تعالى قال ان هذه الايات تملى عليه بالوحى حالا بعد حال فكيف يقال في حقها انها اساطير الاولين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه في هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولا شك ان هذا القول اقرب لانه تعالى اجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله قل انزلته الذى يعلم السر ووجهه كونه جوابا بان القرء ان لكونه معجزا من حيث كونه في اقصى مراتب فصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن مغيبيات مستقبلية واشياء مكنونة لا يعلمها الاعلام الغيوب يستحيل ان يلقى محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ولو اخذه

(واخذوا من دونه آلهة) لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) لان عبدتهم ينجونهم ويصورونهم (ولا يملكون) ولا يستطيعون (لانفسهم ضرا) دفع ضرر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون امانة احد ولا احياء اولا وبعد ثانيا ومن كان كذلك فبمزل عن الاولوية لعرأته عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء (وقال الذين كفروا ان هذا الافاك) كذب مصروف عن وجهه (افترأه) اختلقه (واعانه عليه قوم آخرون) اى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارة وقيل جبرمولى عامر وعداس وقد سبق في قوله انا يعلم بشر (فقد جاؤا ظلماء) يجعل الكلام المعجزا فكا مختلفا متلقا من اليهود (وزورا) بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء بملقان بمعنى فعل وبعديان تعديته (وقالوا اساطير الاولين) ما سطره المتقدمون (اكتبها) كتبها لنفسه او استكتبها وقرى على البناء للمفعول لانه اى واصله اكتبها كاتبه لحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصارا اكتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه (فهى تملى عليه بكرة واصيلا) ليحفظها فانه اى لا يقدر ان يكرر من الكتاب اوليكت (قل انزلته الذى يعلم السر في السموات والارض) لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبيات مستقبلية واشياء مكنونة لا يعلمها الاعلام الاسرار فكيف تجهلونه اساطير الاولين (انه كان غفورا رحيمًا) فلذلك لا يجعل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا

(نواما اهذ وقال الرسول) مالهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهمكم (بأكل الطعام) كما أكل (ويشئ في الاسواق) لطلب المعاش كما نمشى فالعني ان صح دعواه فبإله لا يخالف حاله حائنا وذلك لهمهم وقصور نظهرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عن عداهم إيس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار إليه بقوله تعالى قل انما اتابشر مثلكم يوحى الى انما الهكم الله الواحد (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذرا) لنعم صدقه بتصدق الملك (او بلق اليه كثر) فبسته ظهري به ويستغنى عن تحصيل المعاش (او تكون له جذبا كل منها) هذا على سبل التبرل اي ان لم يلقي اليه كثر فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والياسير فيعيش برية وقرأ جزء والكسائي بالثون (وقال الظالمون) وضع الطالمين موضع ضميرهم تسميلا عليهم بالظلم فيما قالوه (ان تبعون) ما تبعون (الارجلا مسحورا) سحر فقلب على عقله وقبل ذاسح وهو الرثة اي بشر الا ملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اي فالوا فيك الاقوال الساذجة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة (خواص النبي والميريتيه وبين النبي فقبطوا خط عشواء فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح في نبوتك اولى الرشد والهدى (تبارك الذي ان شاء جعل لك) في الدنيا (خير من ذلك) بما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وايق (جنات تجري من تحتها الانهار) بدل من خيرا (ويجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم * ويجوز ان يكون استثناء بوعده ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فقصرنا انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال قطعوا فيك بفقرتك او فلذلك كذبوك لانما تحلوا من المطاعن الفاسدة او كيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة

من اساطير الاولين لما زاد على ما في كتبهم فظهر انه من عندهم يعلم الغيوب وهو الله تعالى وانه يعزل عن كونه من اساطير الاولين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مالهذا الرسول يأكل الضعفاء ويمشي في الاسواق (قوله وفيه) اي وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بلطف هذا استهانة وتحقيره عليه الصلاة والسلام وفي تسميتهم اياه رسولا مع انهم يصدوا بكار رسالتهم بكم به عليه الصلاة والسلام ذكر واه عليه الصلاة والسلام تحس صفات وزعموا انها تحل بالرسالة زعمنا منهم ان فضيلة الرسول على غيره تكون بامور جسمانية وهي غاية الجهالة ونهاية السفاهة فاجاب الله عن هذه الشبهة بوجوه الوجه الاول قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال اي ابتوا لك الاشياء حين زعموا انك مسحور محتاج متزك ناقص عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرة انه ساحر ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة مسحور ونحو ذلك من الاقوال الساذجة والا حوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي صلى الله عليه وسلم وهي الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية والى الميريتيه وبين النبي فان الميريتيه ما يكون باظهار المعجزة وما ذكره من الشبهة لا يقدح بشئ في اظهارها فلا يكون شئ منها قادحا في النبوة كانه تعالى قال انظر كيف استعمل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فائدة فيها الماهم يصددهم من القدح في نبوتك وايات كونك مثبثا والوجه الثاني من وجوه الجواب عن شبهة المكبرين ما ذكره بقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اي من الذي ذكره من نعم الدنيا كالكنز والجنة وقصر ذلك الخبر بقوله جنات الخ وتبذل على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه الصلاة والسلام ذلك الذي عيروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه تعالى يعطى عباده على حسب المصالح وعلى وفق المستيضة ولا اعتراض لاحد عليه في شئ من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه ابواب الدنيا وفي حق الآخرة بالعكس من ذلك عن الضحك قال لماعير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه الصلاة والسلام لذلك فنزل جبريل معزياه وقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وما ارسنا قبلك من المرسلين الا انهم لم يكونوا اطعم وعوتون في الاسواق فيمنعوا جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم فيحدثان اذ فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل أبشرا بمحمد هذا رضوان خازن الجنة قد آتاك بارضى من ربك فلم عليه وقال ربك يخبرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سبط من نور بتلائي ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقضها من غير ان ينقصك الله مما دخلك في الآخرة جناح بعوضة فظن ان النبي عليه الصلاة والسلام الى جبريل كالستير فاوما يده ان تواضع فقال رسول الله بل نيا عبدا قال فكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل بعد ذلك متكا حتى فارق الدنيا وكان يقول أكل كايأكل العبد واجلس كما يجلس العبد (قوله وقرئ بالنصب) اي بالنصب يجعل باضمار ان على انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جنى هو كقولك ان تأتيك واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور في كتب النحويين المذكور فيها نصب بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهي وغيرهما وقرأ باقي القراء بجزم ويجعل واذا غام لامه في لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والقصور رجوع قصر والقصر هو المسكن الرفع والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعبروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فتكون كلمة بل لتترك الاول والاخذ فيما هو أهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين الاولين لانهما يقيدان ما ذكره في القدح لثبوته وهو لا يصلح قادحا لها وهذا الجواب بين العلة الداعية لهم الى انكار النبوة فان من كذب بالساعة لا يرجو توبانا ولا يخاف عقابا فلا يحمل كلفة النظر والفكر في الدلائل الدالة على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل فلذلك لا يتبعون بما يورد عليهم من الدلائل لقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذي والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقصرنا انظارهم على الحطام الدنيوية والحطام والهتيم هو الشئ اليابس المنكسر استعير لاسباب الدنيا لاسرعة زوالها وقلة مكثها (قوله) او فلذلك كذبوك لانما تحلوا من المطاعن فيكون معطوفا على قوله وقالوا مالهذا الرسول (قوله) او كيف يلتفتون الى هذا الجواب (وهو قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستئناف بوعده ما يكون له في الآخرة فيكون معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال

الاول انه على الاول اضراب عند الى جواب آخر أهم من الاول وعلى هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم لا يلتفتون الى هذا الجواب لعدم قصد يقههم بالآخرة (قوله اوفلا تعجب الخ) فيكون معطوفا على جملة ما حكى عنهم مما يدل على تكذيبه والقدح في بؤته فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم بالساعة اعجب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى وهو اعجب واغرب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام (قوله فيكون مرفدا باعتبار المكان) يعني اذا كان اسما لجهنم لوجب منع صرفه للعلية والتأنيث الا انه صرفق تأويلا لجهنم بالمكان (قوله اذارأتهم) جملة شرطية في موضع النصب على انها صفة لقوله سعيرا وكذا قوله واذا ألقوا منها مكانا ضيقا الخ (قوله اذا كانت برأى منهم) يعني ان السعير سواء كانت بمعنى اثار المنيبة او جهنم ليست لها عين ولا رؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا عن المقابلة وكونها برأى الناظر فان كون الشيء بمقابلة الناظر ومراءاه لازم للرؤية اذا تمكن الرؤية بدون ذلك فاطلق المزموم وهو الرؤية واريدها لازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من المزموم الى اللازم يكون مجازا لا كناية قال عليه الصلاة والسلام المؤمن والكافر لا تترأى نارا هما اي لا يتقاربان ولا تكون احداهما برأى من الاخرى والمقصود انتهى عن تقاربهما ويقال دور فلان متاظران اي متقابلان وهذا التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطية في الحياة عندهم فان النار على ما هي يجوز ان يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال من كذب على متعبا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعده قالوا هل لها عينان قال نعم الاستمعون قول الله تعالى اذارأتهم من مكان بعيد قيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا البنية في الحياة فلا يجوز كون السعيرات عينين عندهم فقوله تعالى في صفة السعير اذارأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا لا يمكن اجراؤه على الظاهر عندهم بل يمكن ذلك عندنا اذا امتاع من ان تكون النار حية مقتاظة على الكفار واما المعتزلة فانهم لما شرطوا البنية في الحياة فلا يجوز كون السعيرات حية عندهم احتاجوا الى التأويل قال الجبائي ان الله تبارك وتعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان الرؤية نصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله تعالى واسأل القرية اي اهلها (قوله صوت تغيظ) لما كان التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا ذكر في توجيه الكلام ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع ما يدل عليه من الصوت كما يقال امارأيت غضب الملك على فلان اذارأى ما يدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت التغيظ (قوله في مكان) يعني ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها في محل النصب على الحال من مكانا لانه في الاصل صفة ومقرنين حال من مفعول ألقوا ثبورا مفعول به لقوله دعوا روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان جهنم تضيق على الكافر كما يضيق الزج على الرمح والزوج الحديدية التي في رأس الرمح وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يكرهون في انسا ركبا يكره الوغد في الحائط ولقد جمع الله على اهل النار انواع البلاء حتى ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك ا لهم عذابا فوق عذابهم (قوله والاستنفهام الخ) جواب عما يقال كيف يتصور الشك في ايها خير حتى يحسن الاستنفهام والترديد وهل يجوز لقاتل ان يقول الشكر خيرا ام الصبر واجاب بان ذلك يحسن في معرض التقرير والتحسين فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعدل كذب بالساعة اتبعه بما يؤكده حسره وندا منه تقرير الله وتبكيما وجنذا للخلدة هي الدار التي لا ينقطع نعيمها ولا ينتقل اهلها منها ولما ورد ان الجنة اسم للدار الخالدة فاي فائدة في اضافته الى الخلدة اشار الى جوابه بقوله و اضافتها للهدح كان الصفة للهدح فكذا الاضافة لان اسم الجنة لا يدل الاعلى البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود في مفهومه فاضيف اليها للدلالة على خلودها (قوله بالوعد) اي بالاستحقاق كاذهيب اليد المعتزلة فان الثواب لا يجب على الله عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعد لا يكون واجبا على من وعده قبل الوعد وانما يجب عليه ان يجازي بمقتضى الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزاء بالاستحقاق بوجهين الاول ان اسم الجزاء لا يتناول الا المستحق واما الموعد فمحض التفضل فانه لا يسمى جزاء والثاني انه لو كان المراد من الجزاء الامر الذي يصيرون اليه بمجرد الوعد لما بين فرق بين قوله جزاء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة وقال اصحابنا لا نزاع في كونه جزاء انما النزاع في كونه جزاء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس في الآية ما يدل على التعيين وانما قلناه ثبت بالوعد للدلالة المنفصلة وقوله

اوفلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه (واعندنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة الاستعارة وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان (اذارأتهم) اذا كانت برأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا تترأى نارا هما اي لا يتقاربان بحيث تكون احداهما برأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم (من مكان بعيد) وهو اقصى ما يمكن ان يرى منه (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) صوت تغيظ شديد صوت غليظا بصوت الغناظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لربانيتها فغضب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) اي في مكان ومنها بيان تقدم فصار جالا (ضيقا) زيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء (مقرنين) قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل (دعوا ههنا لك) في ذلك المكان (ثبورا) هلاكاى يتنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبورا تعالى فهذا حيثك (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) اي يقال لهم ذلك (وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدة اولانه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غير هالذوقوا العذاب اولانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور (قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون) الاشارة الى العذاب والاستنفهام والتفضيل والترديد للتقرير مع التهكم او الى الكثرة والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للهدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا (كانت لهم) في علم الله او اللوح الاولان ما وعده الله في تحقده كك الواقع (جزاء) على اعمالهم بالوعد

كانت بلفظ الماضي مع ان الجنة ستصير لهم جزاء ومصيرا في المستقبل حتى على انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم ان الجنة جزاءهم ومصيرهم وكان ذلك في علم الازلي (قوله ولا يمنع كونه جزاء لهم ان يفضل بها على غيرهم رضاهم) جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لا يعفو عن اصحاب الكبائر ولا يدخلهم الجنة بهذه الآية بان قالوا الجنة حق المتقين جزاء على اعمالهم لقوله تعالى كانت لهم جزاء واهل الكبائر وان كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفا الله عنهم وادخلهم الجنة التي اختصت بالمتقين وكانت حقهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان لغيره لا يجوز وتوجيه الجوابين ظاهر (قوله واهله بقصرهم كل طائفة) جواب عما يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لا يدان يريدونها ويسألونها فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤون وفي قوله ما تشتهي النفس وايضا فالاب اذا كان ولده في درجات النار واشد العذاب اشتبه ان يخلصه الله من ذلك فان فعل الله ذلك قدح في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤون وفيها ما تشتهي النفس وتقر بالجواب ان المراد لهم فيها ما يشاؤون وما يليق برتبته تعالى لا يلقى في خواطرهم ان ينالوا رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يستغل كل واحد باللائحة بما يليق برتبته ولا يلتفت الى حال غيره (قوله حال من احضارهم) والمعنى ان الذي يشاؤون حال كونهم خالدين حاصل لهم والذي يشاؤون حال كونهم خالدين (قوله وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده) والمعنى كان الذي يشاؤون موعودا واجبا على ربك انجازا لكونه وعد الكريم الذي يمنع الخلف في وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازا لكونه حقيقة ان يسأل ويطلب لكونه جزاء واجرا مستحقا عليه لان العبد لا يستوجب عليه تعالى سبأ بل كل ما يصل اليه من الخير فهو تفضل محض ولما ورد ان يقال لما وجب عليه انجاز الموعود وان كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف في وعده لزم منه انه تعالى ملجأ الى الانجاز وغير قادر على تركه ومن كان ملجأ الى الفعل وغير قادر على تركه لا يكون مستحقا للمدح والثناء بذلك فالله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولا يلزم منه الاجاء الى الانجاز لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذي هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل فوجب الفعل لانه لو لم يفعله لا تقلب خبره الصادق كذبا وعلمه جهلا والوجوب اللازم من الاخبار والعلم لا يستلزم كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعاقب الارادة الازلية بالفعل متقدم على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لا يكون صادرا على سبيل الاجاء ويكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء (قوله تعالى ويوم نحشرهم) اي واذا ذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيها وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيها والباقيون بالنون في الاول والياء في الثاني واختار المصنف هذه القراءة (قوله وهو على تلوين الخطاب) اي على الالتفات من التكلم الى الغيبة (قوله بعم كل معبود سواه) اي من الملائكة والسيح وعزير والاثوان بشهادة قوله تعالى من دون الله الان اجواب المعبودين بقولهم سبحانه ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يأتى دخول الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلائم الانبياء والملائكة المعصومين ولم اورد ان يقال كيف بعم كل معبود ولفظ ما لا يستعمل في العقلاء دفعه بما محسولة انما لانهم ان كلمة ما لا تستعمل الا فيما لا يفعل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل تستعمل ايضا فيما يتناولوه وغيره كما اذا استعملت في الذات التي لا تدخل فيها الشريعة مع قطع النظر عن كونها عقلاء او غير عقلاء كما في ما نحن فيه نعم انها لا تستعمل فيما علم كونه عاقل او انما تستعمل فيه كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شجعا من بعيد ما هو فاذا قبل لك انه انسان قلت حيثئذ من هو ودفعه ثانيا بانه لا يريد به الوصف فانه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى والسماء وما بناها اي وبانيها وقوله تعالى ولا اتم ما عبدون ما عبدوا اي معبودي وقول فرعون وما رب العالمين اي من يهيم وقولك اذا اردت السؤال عن صفته مثلا ما زيد تريد طوبى لاه قصير افعيها ام طيبا وثالثا بانه عبر عن مطلق العبادة بكلمة ما تغليبا للاصنام على العقلاء المعبودين تحتها لاشتمالها على عبادة قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية وقوله واعتبارا لعلبة عبادها عطف على تحقيرا (قوله او يخص الملائكة وعزير او المسيح) عطف على قوله بعم كل معبود وقوله والاصنام عطف على الملائكة ولم اورد ان يقال الصنم نجاد فكيف يحاط به

(ومصبرا) ينقلون اليه ولا يمنع كونه جزاء لهم ان يفضل بها على غيرهم رضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم (لهم فيها ما يشاؤون) ما يشاؤون من التعمير وله بقصرهم كل طائفة على ما يليق برتبته اذا الظاهر ان الناقص لا يدرك شيئا والكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة (خالدين) حال من احضارهم (كان على ربك وعدا مسئولا) الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأل الناس في دعائهم ربنا وآتنا واعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الاجاء الى الانجاز فان تعاقب الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (وما يعبدون من دون الله) بعم كل معبود سواه واستعمال ما امان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شئ يرى ولا يعرف اولاه اريد به الوصف كانه قيل ومعبود بهم او تغليب الاصنام تحقيرا واعتبارا لعلبة عبادها او يخص الملائكة وعزير او المسيح لفرقة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تكلم بلسان الحمال كما قيل في كلام الايدى والارجل (فيقول) اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون

الله اجاب عند اوليائه تعالى فيخلق فيدا الحياة ويجعله صالحا لان يسأل ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان
المقال بل هو بلسان الحال كما قيل في تسبيح الدواب وكلام الایدى والارجل (قوله وهو استفهام تفریع)
جواب عما يقال انه تعالى كان عالما في الازل بحال المسؤل عنه فافائدة هذا السؤال وتقریر الجواب ان فائدته
تفریع العبد والزاهم كما قيل لبعضی انت قلت للناس اتخذوني وامی الهین من دون الله لانهم اذا سئلوا
بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع ترداد حسرة العبد وحبسهم ويكتون بتكذيب المعودين اياهم وتبرئهم
من امرهم بالشرك وعبادة غير الله فلذلك سألهم بذلك والافهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال
(قوله واصله اضلالهم ضلوا) لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوى معلوم الا ان ذلك الضلال هل هو
حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وهذا المعنى يحصل بان يقال اضلالهم عبادى ام ضلوا بانفسهم من غير ان
يراد انهم وهم الا انه غير النظم زیادة اتم بين فعل الاضلال والهمزة و زیادة هم بين فعل الضلال وام لیل حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعین من تولى الفعل وبأسره لاصل الضلال اذ لا شبهة في تحققه حتى يسأل عنه
فان اصل الضلال لولم يكن مقطوع التحقيق لما توجد العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا
الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل هؤلاء الضالون لا بد لهم من مضل وان ذلك المضل هل هو اتم وهم ضلوا
بانفسهم فان الضال من غير ان يتفاد لمضل خارجى هو الذى يضل نفسه لا محالة فزيد لفظا اتم وهم لیل حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال ثم انه ذكر في قوله سبحانه ثلاثة معان الاول انه تعجب بما قيل لهم واسند اليهم من
الاضلال مع كونهم معصومين او عاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل في التعجب والثاني ان قولهم
سبحانك كناية عن كونهم مسجونين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا عبادهم والثالث انه يستعمل في التزييد
كما هو اصله والمراد تزييد تعالى عن الانداد (قوله فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك)
جعل قولهم ما كان ينبغي لنا كناية عن استبعاد ان يدعوا احدا الى اتخاذ ذولى دونه تعالى لان نفس قولهم بصريحه
لا يفيد المقصود وهو نفي ما نسب اليهم من اضلال العباد وحلهم على اتخاذ الاولياء من دون الله (قوله من
اتخذ الذى له مفعولان) اولهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله من اولياء ومن التبعض اى ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ بعض اولياء وقرا العامة تتخذ مبنيا للفعل ومن اولياء منعوله وزيدت من فيه التأكيد اى (قوله
فلا يتهم من حجة علينا للمعتزلة) فانهم قالوا في هذه الآية دليل بين لقول من يقول ان الله تعالى يضل عباده
في الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا همنا قسم ثالث غيرهما وهو الخلق وهو
انك اضلالهم فلما لم يتولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم الى انفسهم علمنا ان الله لا يضل احدا من عباده فان قيل لان سلم
ان المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكره وقالوا ولكن منعتهم وآباءهم نعم الدنيا قلنا لو كان الامر كذلك لكان
يلزم ان يكون الله محجوبا في يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض بذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوبا
مفحما ملوما هذا تمام تقرير كلام المعتزلة في الآية وتقرير المصنف ظاهر في عدم انتهاض الآية بحجة للمعتزلة علينا
فان ذلك تضمن كلام المعبودين انهم نضلهم ولم نضلهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن منعتهم وآباءهم
حتى نسوا الذي كرهوه نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستغراقهم في الشهوات واستادله الى ما فعل
الله بهم فكانه قيل لكن اضلالهم بان فعلت بهم ما يؤثرون به الضلال فخالفت فيهم ذلك اذ لو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق
الجواب لان السؤال انما هو عن اضلالهم (قوله التفات الى العبد) يعنى انه كلام الله تعالى خاطب به المشركين
بعد ما عبر عنهم بلفظ الغيبة في قوله ويوم نحشرهم واصل الآية فقلنا قد كذبكم المعبودون ايها المشركون
في قولكم انهم آلهة اوفى قولكم هؤلاء اضلوا اعلی ان الباء بمعنى في ويحتمل ان تكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير
المفعول في كذبوكم كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون والباء صلة كذبوا كما في قولك كذب بالحق فان كذب انما يتبعه
الى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء وقد عدى ههنا الى كم بنفسه فلا جرم ان تكون بدلا من وان قرئ بما يقولون بيباء
الغيبة تكون الباء لا لانه كما في قولك كتبت بالقم اى كذبوكم بقولهم سبحانه ما كان ينبغي لنا (قوله والشرط
وانعم) جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بان قالوا قوله تعالى
ومن يظلم الكافر والمناسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشر لكظم عظيم ولقوله ومن لم ينبذ فاولئك
هم الظالمون ثبت بهذه الآية ان الفاسق لا يعنى بل يعذب وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاجباط بالبطاعة

(ا) اتم اضلالهم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل)
لا ضلال لهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد
النصح وهو استفهام تفریع وتبكيك للعبدة
واصله اضلالهم ام ضلوا فغير النظم ليل حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه
لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف
صلة ضل للمالئة (قالوا سبحانه) تعجبا بما قيل
لهم لانهم اماملائكة وانبياء معصومون او جادات
لا تقدر على شئ او اشعارا بانهم الموسومون
بتسبيحه وتوجيهه فكيف يليق بهم اضلال عبده
او تبرأ بها لله عن الانداد (ما كان ينبغي لنا)
يصح لنا (ان نتخذ من دونك من اولياء) للعصاة
او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا
ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء
للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى
واتخذ الله ابراهيم خيلا ومفعوله الثاني من اولياء
ومن التبعض وعلى الاول مزيدة للتأكيد الثاني
(ولكن منعتهم وآباءهم) بانواع النعم فاستغرقوا
في الشهوات (حتى نسوا الذكر) حتى غفلوا عن
ذكرك او التذكر لا لاك والتدبر في آياتك وهو نسبة
للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستادله الى ما فعل
الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه
دلا بتهض حجة علينا للمعتزلة (وكانوا) في
قضاك (قوما بورا) هالकिन مصدر وصف
به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع واجمع باركعائذ
وعوذ (فقد كذبوكم) التفات الى العبد بالاحتجاج
والاوام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم
المعبدون (بما تقولون) في قولكم انهم آلهة
او هؤلاء اضلونا والساء بمعنى في اومع المجرور بدل
من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم
سبحانك ما كان ينبغي لنا (فما يستطيعون)
اى المعبدون وقرأ حفص بالياء على خطاب
العابدين (صرفا) دفعا للعذاب عنكم وقيل
حيلة من قولهم انه لا يصرف اى يحتال (ولا نصرا)
يعنيكم عليه (ومن يظلم منكم) ايها المكلفون
(ندفع عذابا كبيرا) هي النار والشرط وانعم
كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد
بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة
اجمعا وبالعفو عندنا

ان يزيل ذلك الظلم بطاعة هي اعظم من ذلك الظلم فيما كان اقتضاء هذا الشرط للجزء المذكور مقيدا بان لا يوجد ما يزيل ذلك الظلم فلم يقولوا انه لم يوجد ما يزيله حتى قطعتم بتعديده (قوله الارسلانهم) يعنى كسرت همزة انهم لوقوعها في صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف واعلم ان في الآية حذفين والتقدير ومارسلنا قلاك احدا من المرسلين الارسلانهم يأكلون الطعام خذف احدا واقفيت صفته وهي من المرسلين مقامه وكذا خذف رسلا واقفيت الجملة التي بعده مقامه وجاز استثناء رسلا من احدا لانه في معنى الجمع كما في قوله تعالى فامتنكم من احد عنه حاجز بن ويجوز ان تكون الجملة التي بعد الاحلام من اعم الاحوال والتقدير ومارسلنا قلاك احدا من المرسلين في حال من الاحوال الا وهم يأكلون الا انه اكتفي فيها بالضيم عن الواو (قوله وهو جواب لقولهم) يعنى انه احتجاج عليهم في قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ونقص له بحال الرسل جميعا كانه قيل لو كان موافقة الرسل المرسل اليهم في الاحوال متافيا لوجب ان لا يكون احدا من المرسلين قلاك رسولا يأكل وهو باطل ما دام لم يكن ذلك متافيا لرسالتهم لم يكن متافيا لرسالتك ايضا فانك لا تكون بدعائهم وقرى يمتسون بضم الياء وفتح الشين المستدرة ولو قرى يمتسون بضم الشين على بناء الفاعل لكثرة المشي لكان له وجه لولا ان الرواية بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عادت وتناصبت الحرب مناصصة اى شاركت في المحاربة والمعاداة قيل قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه السلام على ما قالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كانه قيل لا تأذ بقولهم فان جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى اشرف الناس بأسا فلهم وذووا انسابهم بمواليهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس وروءساء المشركين بفقراء الصحابة فانه اذا اراد الشر يفان يسلم ورأى الوضع قد اسلم قبله انف ان يسلم وقال لاسلم بعده فيكون له على السبابة والفضل فيقيم على كفره وهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه فلا عجب من ان يتلى المرسلون بالمرسل اليهم بأنواع اذاهم وان يتلى المرسل اليهم بالمرسلين حسدا لهم ويأسا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين (قوله وفيه دليل على القضاء) اى في قوله تعالى وجعلنا دليل على ان الكائنات كلها واقعة بقضاء الله وقدره فانه لا شك ان المراد منه وحكمنا في الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض فالذى حكم الله تعالى عليه بذلك وعلم ذلك منه واثبت في اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يحبان يقع في اوقات حدوته على وفق ما تعلق به العلم الازل والالصار العلم جهلا ولصارت الكتابة الثابتة في اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال وما يستلزم محال محال فثبت مسألة القضاء والقدر والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها (قوله عليه للعدل) يعنى ان الفتنة بمعنى الابتلاء والاختبار فجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سببا لاختبار البعض البعض البعض الآخر فكان تعلق انصرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن علفا كما ان المعنى ثمة ابتليناكم بالتكليف لتعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لتعلم ايكم احسن صبورا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على ايداء بعضكم بعضا فاصبروا فانزل الله تعالى فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا (قوله تعالى وكان ربك بصيرا) اى عالما بمن يصبر ومن يجرع فهو تبشير وانذار للفرقيين وقيل نالما بالصواب فيما يتلى به الخلق وغيره فلا يضيقت صدرك يا محمد (قوله ومند الروية) اى ومن وجوه الوصول الى الشيء وطرقه رؤيته فان يسمى اللقاء جس تحت انواع احدا انواع الروية ونوعه الاخر الاتصال والتماسة واللقاء بهذا المعنى يمنع ان يتعلق بذاته تعالى فعين ان يكون المراد الوصول الى جرائه ورؤية ذاته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا بالخير وهذه الآية اشارة الى شبهة رابعة لتكرى نبوته وهي قولهم لو كان نبيا لانزل الله ملائكة يشهدون انه صادق في دعوى النبوة وانرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله اليانا هذا الطريق احسن واقوى في الافضاء الى الايمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى ما اراد تصديقه (قوله انا نبينا بهاكليا) اى تقتلنا بمقابله نائبا بهاكليا وهو رئيس تغلب بن وائل يقال ابأت فلانا فلان اذا قتله به وجعلته كفؤا له والنايب المسمى من التوق وجساس رئيس بكر بن وائل وجارته امرأة اسمها بسوس يقال انها خالدة وجساس رأى كليب بن وائل يوما فاقه تلك المرأة في جاه وقد كسرت بيض طير كان قد اجاره فرمى ضرعها بسوس فقتلها فشكت بسوس الى جساس فقال جساس لجارته لقتل غدا فخلاه واعظم من ناقك فلغ ذلك كليا فظن انه فله الذى يسمى عليان فقال كليب دون عليان

(ومارسلنا قلاك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق) اى الارسلانهم انهم خذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقفيت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضيم وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشون في الاسواق وقرى يمتسون اى يمشون حوافهم او الناس (وجعلنا بعضكم) ايها الناس (بعض فتنة) ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغتياء والمرسلين بالمرسل اليهم وبما صبتهم لهم العداوة وايدأهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد تقض وفيه دليل على القضاء والقدر (انصرون) علة للعدل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لتعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليلوكم ايكم احسن علا اوحت على الصبر على ما افتتوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر او بالصواب فيما يتلى به وغيره (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (اقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث اولايخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الروية فانه وصول الى المرتى والمراد به الوصول الى جرائه ويمكن ان يراد به الروية على الاول (لولا) هلا (انزل علينا الملائكة) فيخبرونا بصدق محمد وقبل فيكونون رسلا لينا (اونرى ربنا) فإمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا في انفسهم) اى في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكل خلق الله في اكل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) بالغ اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستثاف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابانا بنا بها كليا غلت ناب كليب يواؤها

خرط القتاد وكان جساس اراد بالفعل نفس كليب فقتل جساس كليب بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر
وتغلب بن وائل اربعين سنة حتى ضرب بها المثل في الشؤم وقيل اشأم من بسوس وسيت تلك الحرب حرب
البسوس وضرب المثل في عزة الشيء وقيل اعز من حي كليب والبواء الكفو واستأنف بقوله غلت ناب كليب بواؤها
لقصد التجب والمعنى ما غلى نابياؤها كليب وكذا معنى الآية ما شداستكبارهم وما اكثر عتوهم ثم انه تعالى
اجاب عن قولهم لولا انزل علينا الملائكة بقوله يوم يرون الملائكة فين ان الذي طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه
ما يكرهون (قوله يوم نصب باذكر) فيكون لا بشري استنفاا وعموما للقول مضراى اذكر يوم يرون الملائكة
يقولون لا بشري وجلة القول حال من الملائكة (قوله او بادل عليه لا بشري) ولا يجوز ان يعمل فيه نفس
البشري لوجهين احدهما انه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني انها مفعلة بلا وما بعد لا لا يعمل فيما قبلها
ويومئذ تكرر ليوم يرون اما على انه تأكيد لفظي له واما على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ خبر لا بشري
والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين بيان بالقوله لا بشري لما فيه من الابهام او خبرا ثانيا له (قوله او ظرف)
عطف على قوله تكرر ليوم يرون اما على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ ظرفا لما تعاق به اللام اول بشري اذا جعلتها غير مبنية فان
المبنية لاتعمل (قوله وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم) اى حكم الذين لا يرجون لقاءنا من طريق
البرهان بان يقال ان الذين لا يرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لا بشري لهم فالذين لا يرجون لقاءنا لا بشري
لهم (قوله ولا يلزم من نفي البشري لعامة المجرمين حيث) اى حين يرون الملائكة عند الموت او يوم القيامة
نفي البشري بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو
والشفاعة وذلك ان قوله لا بشري يؤيد المجرمين نكرة في سياق النفي فتعم جميع انواع البشري في جميع الاوقات
وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشري فوجب ان لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين (قوله عطف على المدلول)
اى على الفعل الذى يدل عليه لا بشري وهو ينعون البشري بالجنة او يعدونها وقوله حجرا متجورا كلة تقال
عند لقاء عدو أو هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وحجرا من المصادر الى التزم اصناما ناصبها
ولا يتصرف فيه نحو معاذ الله وقعدك الله وعمر ك اى اعوذ بالله معاذا يقال عذت بفلان واستعذت به اى
لبأت اليه وهو عيادى اى ملجئ وقعدك الله وعمر ك اى عمر ك الله تعميما وقعدك الله تعميما حذف زوائد
المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول وحجرا مصدر حجره اذ امتعه لان المستعذ طالب من الله ان يمنع
المكروه ولا يخفده والمعنى نسال الله ان يمنعه منا ويحججه حجرا والعامة على كسر الحاء وقرى بعضهم اوهى لغة فيه
وحكى ابو البقاء في لغة ثالثة وهى فتح الحاء وقد قرى به (قوله واصله الفتح غيرانه لما اختص بموضع مخصوص)
وهو موضع الانتصاب على المصدرية لفعل مضرا من فيه من الالتباس وقوله غير جواب لما اختص بموضع مخصوص
مؤكد للمعنى كقولهم لى لائل وموت مائت (قوله وعمدنا الى ما عملوا) لما لم يجز اسناد حقيقة القدوم اليه
تعالى لكون القدوم عبارة عن مجئ المسافر بعد مدة وذلك يكون بالحركة التى هى من خواص الاجسام ومقتضية
لحدوث الموصوف بها ولذلك استدلت الخليل باقول الكواكب على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزعه عن الجسمية
والحدوث ولذلك اول قوله تعالى وقعدنا بقوله وعمدنا فان القصد هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم المسبب على
السبب فيكون الجواز في المفرد وايت شمرى كيف احتج الى اعتباره مع جملة من تشبه الهيئة باهية كما صرح
به حيث قال وهو تشبيه حالهم بحال قوم وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الاصلية وانما انتصرف
في المعنى التركيبى والظاهر انه ليس مراد المصنف بقوله اى وعمدنا جعل القدوم مجزا عن العمد بل يريد به ان
يعبر عن الهيئة المستبعدة التى جعل نظم الآية مجزا عنها (قوله او مفعول ثالث) عطف على قوله صفته واراد ان
منشورا لما كان بمنزلة خبر ثان كان الخبر مع المفعول الاول الذى هو فى الاصل مبتدأ بمنزلة ثلاثة مفاعيل والافعال
سواء كان بمعنى خلق اوصير لا يتعدى الى الثلاثة مفاعيل ثم اند تعالى لما بين حال الكفار في الحسار الكلى والخيبة
اتامة شرح وصف اهل الجنة تبيينها على الحظ كل الحظ في طاعة الله فقال مستقرا اهل الجنة خير من مستقر
اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم فان قيل كيف يكون مستقرا اهل الجنة خيرا من مستقرا اهل النار مع انه
لا خير في النار ان لا يقال العسل احلى من الخل فالجواب انه من قبيل التقرير والتحكم كما في قوله اذلك خيرا من الجنة
الخلد ولما دلت الآية على ان مستقرا اهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقر بالمكان الذى يستقر فيه في اكثر الاوقات

(يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت والعذاب
ويوم نصب باذكر او بما دل عليه (لا بشري
يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى ينعون البشري
او يعدونها ويومئذ تكرر ليوم يرون الملائكة
تبيين او خبر ثان او ظرف لما تعاق به اللام اول بشري
ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لاتعمل
وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق
البرهان ولا يلزم من نفي البشري لعامة المجرمين
حيث نفي البشري بالعفو والشفاعة في وقت آخر
واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم
واشعارا بما هو المانع للبشري والموجب لما
يقابلها (ويقولون حجرا متجورا) عطف على
المدلول اى ويقول الكفرة حيث هذه الكلمة
استعاذة وطلبنا من الله ان يمنع لقاءهم وهى
مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه
او يقولها الملائكة بمعنى حراما محراما عليكم الجنة
او البشري وقرى حجرا بالضم واصله الفتح غيرانه
لما اختص بموضع مخصوص غير كعدك وعمر ك
ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه وصفه
تجورا لان كيد كقولهم موت مائت (وقعدنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) اى وعمدنا
اى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف
وصلة الرحم واغانة الملوف فأحبطناه لضعفها هو
شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم
بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم
فرقها وابطلها ولم يبق لها اثر والهباء غبار يرى
في شجاع الشمس يطلع من الكوة من الهوة وهى
انقباز ومثورا صفته تشبه به عملهم المتحبط في
حقارته وعدم نفسه ثم بالمشور منه في انفساره
بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى
كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث
انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين
(اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) مكانا
يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتعاهدات
(واحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاستراحة
بالازواج والتع بهن تجوز له من مكان القياولة على
التشبيه

والقليل بالمكان الذي يؤوى إليه للتعج بالازواج (قوله اذ لانوم في الجنة) لان اهلها ابداء في نعيم يعرفونه كان اهل النار ابداء في عذاب يعرفونه فلانوم لواحد منهما (قوله وفي احسن رعرى ما يترين به مقيلمهم من حسن الصور) اي حسن صور ازواجهم من الخور العين والخصان جمع تحسين مصدر حسن سمي به ما يحسن به الشيء من الزخارف كالتصانيف والتضاعيف سمي به تصاريف الزمان وانشاء النشيء (قوله تعالى ويوم تشقق) العامل في يوم اما اذ كروا الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحن تقديره تفرد الله بالملك يوم تشقق قرأ الكوفيون وابوجرو تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديد ها واصل القراءة تين تشقق حذف الاولون احدي اثنين للتخفيف والباقون ادغموا تاء الفعل في الشين لما بينهما من المقاربة وهذه الآية مرتبطة ايضا بما اقترحوه من ازال الملائكة فين الله تعالى ان ذلك يحصل في يوم له صفات منها ان السماء تشقق في ذلك اليوم ومنها ما ذكره بقوله تعالى ويوم بعض الظالم على يديه (قوله بسبب طلوع الغمام منها) يعني ان الباء في قوله الغمام سببية فان طلوع الغمام منها سبب لانساقها كما تقول تشقق الارض بالنبات لتكون طلوع النبات منها سببا لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات كالتشقق لان آلة الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل وليس الطلوع متقدما على الانسحاق في الوجود حتى يكون آله الا انه شبه بالآلة في كونه سببا للفعل والمعنى ان السماء تنفتح بفمهم يخرج منها وفي الغمام الملائكة عليهم الصلاة والسلام يزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اي ملبسة بالغمام او عليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بياحه اي وعليه سلاحه وبياحه وقيل الباء هنا بمعنى عن اي عن الغمام ومعنى انتسقت الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عند طلوعه وكذا في قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراقات تشقق السماء عن الغمام بان تزل السماء فيبقى الغمام فوق رؤس الخلائق بظلمهم قال الامام انسني الغمام فوق السموات السبع وهو سحاب ايض غاطله كغط السحاب السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وهو اقل من السموات فاذا اراد الله ان يشق السموات ألقى ثقله عليها فانسقت فذلك قوله تعالى تشقق السماء بالغمام اي يشق الغمام فيظهر الى هنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلال من الغمام فان الباء وفي تعاقبان كثيرا وروى في الخبر انه تشقق سماء الدنيا فتزل ملائكة سماء الدنيا على من في الارض من الجن والانس فيقولون لهم الخلق افيكم ربنا ينزلون هل جاء امر ربنا بحساب فيقولون لا وسوف يأتيهم ملائكة السماء الثانية على من في الارض من الملائكة والانس والجن ثم تزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تزل ملائكة سبع سموات ثم يزل الامر بالحساب فذلك قوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وتزل الملائكة تنزلا الا انه قد ثبت ان الارض بالقياس الى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش وكيف تسع الارض كل هؤلاء الملائكة والعلم عند الله تعالى (قوله وقرأ ابن كثير ونزل الملائكة) اي بنونين ثابتيهما ساكنة مضارع ازل من الانزال ونصب الملائكة على انه مفعول به فكان من حق المصدر في هذه القراءة ان يجيء على الانزال الا انه لما كان ازل ونزل بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر مثل قوله تعالى وتسل اليه تنزلا وقرأ الباقر من السبعة ونزل بضم التون وكسر الزاى المشددة وفتح اللام ما ضيما مينا للمفعول ورفع الملائكة لقيامه مقام الفاعل وقرئ ونزل بالتشديد مينا للمفعول وقرئ وازل ونزل كل واحد منهما على الفعل وهو الله تعالى فعدي الفعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ ازل على بناء المفعول ايضا وقرئ ونزل بالفتح الثلاث مخففا مينا للفاعل وهو الملائكة وقرئ ونزل الملائكة بضم التون وتشديد الزاى ونصب الملائكة والاصل بنونين حذف احدهما (قوله فهو الخبر) يعني ان الملك مبتدأ ويومئذ ظرف مفعول له والحق خبره وللرحن متعلق بالحق والمعنى الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحن او متعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله الحق (قوله اوصفة) عطوف على الخبر في قوله فهو الخبر ويحتمل ان يكون الحق صفة للمبتدأ وللرحن خبره ويومئذ من صلة المبتدأ او من صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة الحق لان ما كان في حيز المصدر لا يتقدم عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق نعمت للملك وللرحن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر وعوض اليد كتابة عن الغيظ وقيل المراد به حقيقة العض والاكل فعنى قوله بعض الظالم انديا كل يديه الى المرفقين ثم تشبها فلا يزال هكذا كما ثبت يدها اكلهما ندامة على

اولانه لا يخلو من ذلك غالباً اذ لانوم في الجنة وفي احسن ومن الى ما يترين به مقيلمهم من حسن الصور وغيره من التحسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يحتمل من الامكنة والازمان والتفضيل اما الارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمرتفين في الدنيا روى انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار (ويوم تشقق السماء) اصله تشقق فحذف انشاء وادغمها بن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلال من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة تنزلا) في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير ونزل الملائكة وقرئ ونزل ونزل ونزل ونزل ونزل الملائكة بمحذوف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحن) الثابت له لان كل ملك يطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحن صلته او تبين ويومئذ مفعول الملك لا الحق لانه متأخر اوصفة والخبر يومئذ او للرحن (وكان يوما على الكافر بن عسيرا) شديدا (ويوم بعض الظالم على يديه) من فرط الخسرة وعن يديدين واكل النبات وحرق الاسنان ونحوها كناية عن النيف والخرسة لانها من رواد فهمها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر بجماله النبي عليه الصلاة والسلام فدعا الى ضافته فاني ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صدقة فعاتبه وقال صأت فقال لا ولكن ابي ان يأكل من طعمي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضي منك الا ان تأتيه فتطأ نفسه وتبرق في وجهه فوجدته ساجدا في دار لاندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فأمر عليا بقتله وطعن اياها بأحد في المبازة فرجع الى مكة ومات

(يقول بالبنى اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى
 النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق
 ولم ينسب في طرق الضلالة (ياويلنا) وقرئ بالياء
 على الاصل (لبنى لم اتخذ فلانا خليلا) يعنى من
 اضله وفلان كناية عن الاعلام كان هنا كناية عن
 الاجناس (لقد اضلني عن الذكر) عن ذكر الله
 او كناية او هو عضد الرسول او كلمة الشهادة (بعد
 اذ جاءني) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعنى الخيل
 المضل وابليس لانه حمله على مخالفته ومخالفته الرسول
 او كل من تشبطن من جن او انس (للانسان خذولا)
 يو اليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا يفضعه
 فعولا من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ
 اوفى الديناني الى الله (يا رب ان قومى) قريشا (اتخذوا
 هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه
 وعند صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق
 مصحف لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة
 متعلقا به ويقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا
 اخذ بيني وبينه اوهجروا فيه واغوا فيه اذا سمعوه
 اوزعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا
 فيه فخذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالحلود
 والمعقول وفيه تخويف لقوم مد لان الانبياء اذا شكوا الى
 الله قومهم يحجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل
 نبي عدوا من المجرمين) كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا
 وفيه دليل على انه خالف الشر والعبد ويحتمل
 الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم
 (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل
 عليه القرآن) اى انزل عليه كتبهم لايقتضى
 قوله (جمله واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة
 وهو اعتراض لا طائل له تحت لان الاعجاز لا يخلف
 بتروله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار
 اليه بقوله (كذلك ثبت به فؤادك) اى كذلك انزلناه
 مفرقا تقوى بتفرقه فؤادك على حفظه وفهمه لان
 حاله بخلاف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام
 حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلما اتى اليه جملة تعنى
 بحفظه واعلم يستعمله فان التلقف لا يتأتى الاشياء
 فنيا ولان نزوله بسبب الوقائع يوجب مزج بصيرة
 وغوص في المعنى ولانه اذا انزل متجما وهو يتجدى
 بكل نجم فيجوزون عن معارضته زاد ذلك قوة فله
 ولانه اذا نزل به جبرائيل حاله بعد حال يثبت به فؤاده
 ومنها معرفة النسخ والنسوخ ومنها انضمام القرآن
 الحالية الى الدلالات المفغلية فانه يعين على البلاغة

ما فعل وقوله تعالى ويوم بعض الظالم على يديه منصوب به ثم ان كان تعريف الظالم للعهد وكان انفع ودعته بن ابي
 معيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو ابي بن خلف وكان يتنى عقبه يوم القيامة ان لا يتخذ ابيا خليلا
 في الدنيا وان كان التعريف في الجنس او الاستغراق يكون كناية عن كل من اطاع في معصية الله تعالى روى الصحاح
 انه قال لما رقى عقبه في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاغة في وجهه فاحترق خده فكان اثره
 فيه حتى الموت (قوليد يقول بالبنى) هذه الجملة حال من فاعل يعنى (قوليد طريقا الى النجاة او طريقا واحدا)
 يعنى ان التكبر في قوله سبيلا اما الله عبدا ولا افراد وهو سبيل الحق (قوليد ولم ينسب في) يلم بفرقته يقال شعبت
 الشيء اذا فرقت وبقال التام شعب بنى فلان اذا اجتمعوا بعد التفرق والباء في قوله بنى التعديدية ومعنى تفريق طرق
 الضلال اياه انه لما كان تارفة في هذا الطريق من طرق الضلالا لتارفة في تلك كان طرق الضلالا كأنها فرقة
 (قوليد وقرئ بالياء على الاصل) فان اصل هذه اللفظة كسر اثناء التي بعدها ياء صريحة فابعدت الكسرة فتحقة
 والياء ألفا فصار ارامن اجتماع الكسرة مع الياء (قوليد كان هنا كناية عن الاجناس) يعنى اى كل واحد من لفظى
 فلان وعن اسم وضع لان يعبر به عن شئ الا ان لفظ فلان يعنى اسم علم شخص من العقلاء ولفظ هن يعنى به
 شئ المسمى الذى يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له لتجديد يقال كانت بينهم هنات ومن المعلوم انه لبس المراد
 بالهنات الانفاظ وانما يعنى بها عن اشياء قبيحة ولذلك يعنى بدع نفس الفرج لاعت لفظ الفرج (قوليد يعنى
 الخليل المضل) يعنى ان خليفه يعنى شيطانا لان فعله فعل الشيطان وهو الاضلال وكلام الضالم ثم عند قوله بعد
 اذ جاءني ثم قال الله وكان الشيطان للانسان خذولا حيث تبرا في الآخرة من نصرة من اضله في الدنيا ويجوز
 ان يكون هذا الكلام من قول الضالم كالكلام الذى قبله بقوله حين يخذله الشيطان او خليفه ولم ينفذ في الآخرة
 ثم اخبر الله عن شكوى رسوله قومه اليه بقوله وقال الرسول يا رب وهذه الشكوى وقت من عليه الصلاة والسلام
 في الدنيا حين اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت وقيل انه عليه الصلاة والسلام بقوله في الآخرة
 شهادة على من كذبه وعصاه وايس المقصود من حكاية هذا القول للتخاطب وهو الرسول الاخبار والاعلام
 لان كل واحد من فائدة الخبر ولازمها معلوم له عليه الصلاة والسلام بل المقصود منها تعظيم لشكائه وتخويف
 لقومه لان الانبياء اذا التجأوا الى الله تعالى وشكوا قومهم حل بهم العذاب ولم يهملوا (قوليد اوهجروا فيه) اى
 ويحتمل ان لا يكون قوله مهجورا من الهجر الذى هو ضد الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى التهذيان فانه كما
 يقال هجره هجرا وهجرا اذ اتركه وصد عنه يقال ايضا هجر المريض هجرا اذا هذى في منطقه ثم انه على تقدير كونه
 من الهجر بهذا المعنى يحتمل معنيين الاول انهم هجروا واغوا فيه اذا سمعوه بان يخلطوا بهجهم به ليعنى غير مفهوم
 على السامعين والثاني انهم زعموا انه هذيان وهجروا واساطير الاولين وهذا كما هو نقل اليك كلام فقلت هجر فيدى
 هذى فانه في هذا المقابلة وعلى كل واحد من المعنيين يكون اصله مهجورا فانه لان هجر بمعنى هذى لازم لا يبيح
 منه اسم المفعول مالم يدع عرف الجران الهجر بمعنى الاتجار هو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لا طائل فيه
 ولا معنى له فلذا هو انه لا يستدعى المفعول ويجوز ان لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرا بمعنى الهجر
 اطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالحلود والمعقول والمردود بمعنى الجلد والعقل والرد والمعنى
 على هذا جعله قرأه القرآن والتكلم به هجرا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما شكك اليه تعالى قومه قال الله تعالى
 تسليلا وكذلك جعلنا اى وكما جعلنا قوما يهادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدوا وهذا صريح في ان تلك
 العداوة كانت بعمل الله وتلك العداوة كفر ثبت به انه تعالى خالق الخير والشر جميعا وايس للبعد حصنة من الخلق
 اصلا ثم انه تعالى حكى عن منكرى النبوة شبهة اخرى وهو قول اهل مكة تزعم انك رسول من عند الله فلا
 تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود وعليهم الصلاة والسلام وقوله جملة حال من
 القرآن اذ هي في معنى مجتمعا (قوليد اى كذلك انزلناه مفرقا) يريد ان الكفاية منصوبة المحل على الحال من
 مفعول فعل او على الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان تكون مر فوعة المحل على الابتداء اى الامر
 كذلك ويكون قوله لثبت على محذوف اى لثبت فعلنا ذلك وهو جواب عن شبهتهم (قوليد ومنها معرفة الناسخ
 والنسوخ) فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم بعض الآتى على بعض في النزول لم يعلم ايها النسخة وايها منسوخة
 وما اذا نزلت منجزة فيثبت يعلم ان ما تاخر نزوله ناسخ لما تقدم ولانه اذا نزل مفرقا بحسب استتمه والوقائع

الواقعة بهم حصل فائدة جليلة لا تحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة لما حصل الا للدلالات اللفظية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ما اذا نزل فجوما فانه ينضم اليها حينئذ القرآن الحسائية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولا شك ان انضمامها اليها يعين على البلاغة وبالجمل انزال القرآن مفردا متجمعا فضيلة خص بها النبي صلى الله عليه وآله بين سائر النبيين فان المقصود من انزاله ان يتخلق قلبه المير بخلق القرآن ويتقوى بنوره ويتحلى بحقايقه وعلومه وهذه القوائد انما تكمل بانزاله متجمعا حالا بعد اخرى الا ترى ان الماء لو نزل من السماء جلة واحدة لما كانت تربة الزروع به مثلها اذا نزل مفردا لان يستوى الزرع (قوله) ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة) كأنهم قالوا لو انزل عليه القرآن جلة واحدة كنزول الكتب الثلاثة فيكون قوله لثبت متعلقا بمحذوف تقديره انزاله مفردا لثبت كما يتعلق به على تقدير ان يكون من كلام الله تعالى وقوله ورتلناه ترتيلا معطوف على ذلك المحذوف الذي تعلقت الالام به والترتيل التفريق وبجاء الكلمة بعد اخرى بسكوت يسير دون قطع النفس قال ابن عباس ورتلناه ترتيلا اي بيانه بياننا وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابي ما علم الترتيل الا التحقيق والتبيين وقيل امرناه بالترتيل في قرآته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه ترتيلا وتثبت قيل معنى الترتيل حفظ الوقوف وأداء الحروف ومنه حديث عائشة في صفة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم او اراد السامع ان يعدد حروفها ومحصل ما ذكره المصنف انزلنا بعدد بعضه وعلى اثر بعض زمان يسير بينهما ولم ينزله مرة واحدة وهو معنى قوله ورتلناه ترتيلا ثم انه تعالى لما فتح هذه السورة الكريمة تضمن اثبات التوحيد والنسبة ثم اورد ابا طيل الخالفين فيها وردهم في كل واحدة من تلك الشبهات الباطلة والسؤال الفاسد ختم الكلام بقوله ولا يا تونك بمثل اي لا يا تونك بشبهة وسؤال من جنس التسببات المذكورة الواضحة البطلان كأنهم امكن بمثلها الا جئناك بالحق الذي يدع ما جاء به من المثل وبطله كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيسده فاذا هو زاهاق سمى ما يوردونه من التسبب ملا وما يدفعه الشبهة حقا وقوله الا جئناك بالحق استثناء مفرغ والجملة في محل النصب على الحال اي لا يا تونك بمثل في حال من الاحوال الا في حال اتيانا اليك بالحق وبما هو احسن بياننا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة (قوله او معنى) على ان يكون التفسير وهو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا عن نفس المعنى المبين اطلق اسم التفسير والبيان على المعنى لما بينهما من العلاقة فان كل واحدة من الشبهات التي اوردوها قد حاد في نبوته لا معنى لها ولا نفع فيما هم بصدد وما جاء الله به في دفعه وجوابه احسن بياننا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة اي احسن معنى واصح جوابا وادمان سؤالهم الذي لانفع لهم فيه وحاصل الجواب على هذا الوجه انهم كسألوا سؤالاً عجيباً اجابا عنه بجواب هو احسن من سؤالهم مثلاً انهم سألوا عن انزاله جلة واحدة لم لم يكن فاجباً بيان انزاله مفرداً لثبته قوائدك وهو احسن معنى ومؤدى لما فيه من بيان الحكمة ولانفع لهم من سؤالهم اصلاً والمعنى على الوجه الثاني كلاً يا تونك بصفة عجيبة قائلين لم لم تكن على هذه الصفة مع انها هي المناسبة للنسبة واطهر في الدلالة على انك نبى جعلك على صفة هي اشد مناسبة للنسبة ودلالة على انك نبى حتى فان قيل قد ذكر اولاً ان السؤال مثل في البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن مند فان الحسن ليس مستتر كائنها فالجواب من وجهين الاول لما كان السؤال حسناً برعهم قيل الجواب احسن من السؤال الثاني ان مثل قولهم الصيغ احمر من الشتاء يريدون به ان حر الصيف اشد من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب في باب الحق والحسن اقوى وادخل من سؤالهم في باب الفج والبطلان (قوله اي مقلوبين او مضمومين اليها) الفرق بين الوجهين ان معنى الآية على الاول ان الذين يحشون الى جهنم حال كونهم مقلوبين ووجوههم الى الفقاوار جعلهم الى فوق وقد روى ذلك عند عليه افضل الصلاة والسلام فانه قد ورد في الاخبار ان رجلاً قال يا اي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي امسه على رجله قادر ان يحشيه على وجهه وعلى الثاني ان الذين يحشرون اليها حال كونهم مضمومين اي مجرورين على وجوههم وما ذكره من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر في اعراب الذين ثلاثه اوجه على ان يكون منصوباً على الذم بتقدير اعني ومرفوعاً على الذم اي على انه خير مبتدأ محذوف اي هم الذين وان يكون مبتدأ وخبره اولئك شر مكانا اي منزلاً ومصيراً وأضل سبيلاً اي اخطأ ديناً وطريقاً (قوله والفضل عليه هو الرسول) اشارة الى ان الآية متصلة بقوله ولا يا تونك بمثل فان مقصودهم

وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرداً فانه مدلول عليه بقوله لو انزل عليه القرآن جلة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة والالام على الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا) وقرأناه عليك شيئاً بعد شيئاً على تودة وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصله الترتيل في الاستان وهو تفليجها (ولا يا تونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك (الا جئناك بالحق) الدامغ له في جوابه (واحسن تفسيراً) وبما هو احسن بياننا ومعنى من سؤالهم او لا يا تونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمنا وبما هو احسن كشفنا ما بعث له (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) اي مقلوبين او مضمومين اليها او معلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعند عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره (اولئك شر مكاناً واضل سبيلاً) والفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله قل هل اتيكم بامر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حالهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم اذ علموا انهم شر مكاناً واضل سبيلاً

وحيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
 ووصف السبيل بالضلال من الاستناد المجازي للبالغة
 (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون
 وزيرا) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك
 مشاركته في النبوة لان المشاركين في الامر متوازنان
 عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعني فرعون
 وقوم (باياتنا فدمرناهم تدميرا) اى فذهبا اليهم
 فكذبوهم فدمرناهم فاقصر على حاشيتي القصة
 اكفاء بما هو المقصود منها وهو ازام الحجة بعثة الرسل
 واستحقاق التدبير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم
 لا الوقوع وقرئ ودمرناهم فدمرناهم فدمرناهم
 على اننا كذبناهم الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا رسلنا)
 كذبوا نوحا ومن قبله اوتوحا وحده ولكن تكذيب
 واحد من الرسل ككذب الكل او بعثة الرسل مطلقا
 كابرهم (اغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا
 اغرقهم او قصتهم (لنناس آية) عبة (وأعدنا للظالمين
 عذابا اليما) يحتمل التعذيب والتخصيص فيكون وضعا
 لا ظاهرا موضع المضمر تظليما لهم (وعادا ونعوذا)
 عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى
 ووعدنا الظالمين وقرئ ونعوذ على تأويل القبيلة
 (واصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث
 الله اليهم شعبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهى البئر
 الغير المطوية فانهارت فحسفت بهم وبيارهم وقيل
 الرس قرية عظيمة بفتح الهمزة كان فيها بناة نود فبعث
 اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخذود وقيل بئر
 بانطاكية فقلوا فيها حبيبا للجبار وقيل هم اصحاب حنظلة
 ابن صفوان التي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من
 كل لون وسعوها عتقا اطول عتقا وكانت تسكن
 جلمهم الذى يقال له قنخ اودغ وتنقص على صبيانهم
 فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغر بافدا
 عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم انهم قتلوه
 فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوله اى دسوه في بئر
 (وقرونا) واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل
 سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ما
 ذكر (كثيرا) لا يعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال)
 بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا
 واعذرا فلما صروا اهلكوا كما قال (وكلا تبارنا تنبيرا)
 فنتاه فتنبأ ومته التبر لثبات الذهب والفضة وكلا الاول
 منصوب بمادل عليه ضربنا كاذبا والثاني بتبرنا لانه
 فارغ عن الضمير (ولقد اتوا) يعنى قريش امرارا
 في متاجرهم الى الشام (على القرية التى امطرت
 مطرا سوء) يعنى سدوم عظمى قري قوم لوط
 امطرت عليها الحجارة

من اتيان ما هو كائن في البطلان تخفيف منزلة ومكانه وقوله تعالى من لعن الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
 والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فاسلوب الآيتين واحد (قولوا وقيل انه
 متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير) من حيث ان ذلك في بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا في صفات اهل النار
 وسوء صبرهم ولم يرض به لان قسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انما ذكر قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
 من الجبرميين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرفه ما نزل عن كذبهم من اهلهم تسليية له عليه الصلاة والسلام وابعدا
 لقوم كانه قيل لست اول نبي كذب بل كذب قبلك انبياء مؤيدون بالآيات ثم دمرنا مكنزيهم فقال ولقد آتينا
 موسى الكتاب قال الزباج الوزير في اللغة هو الذى يرجع اليه ويعمل برأيه ويخصن به والوزير ما يعنصه ومنه
 كلالا وزراى لا ينحى ولا مجلأ قيل ولذلك لا يوصف تعالى بان له وزيرا ولا بأنه وزير لان الاتجاه اليه في المشاورة
 والرأى على هذا الحد لا يتصور ولما ورد ان يقال كون هرون وزيرا كالمنا في لكونه شريكا في النبوة لانه اذا
 صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا اجاب عنه بقوله ولا ينافي ذلك مشاركته (قولوا والتعقيب) جواب عما
 يقال الفاء في قوله تعالى فدمرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون بل بعد مدة مديدة
 والجواب ان فاء التعقيب محمولة ههنا على الحكم بالاهلاك لا على الوقوع (قولوا وقرئ ودمرناهم) يعنى ان العامة
 قرأوا فدمرناهم فعلا ما ضاع على بناء التكلم المعظم نفسه معطوفا على محذوف اى فذهبا فكذبوهم فدمرناهم
 تدميرا اى اهلكناهم اهلا كالا وقرئ فدمرناهم امر موسى وهرون وقرئ ايضا فدمرناهم كذلك ولكنك مؤكد
 بانثون الثقيلة وقرئ ايضا فدمرناهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهى تشبه القراءة التى قبلها في الخط
 (قولوا تعالى وقوم نوح) يجوز ان يكون منصوبا معطوفا على مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر
 يفسره قوله تعالى اغرقناهم ويترجح هذا بتقديم جلة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل
 الاشتغال اى اذ كرم قوم نوح (قولوا ولكن تكذيب واحد من الرسل ككذب الكل) لان تكذيب الواحد
 منهم لا يمكن الا بالقدح في المجزى وذلك يقتضى تكذيب الكل ولانهم متفقون في اصول الدين فمن كذب واحدا منهم
 في شئ من ذلك فقد كذب الكل فيه (قولوا كالبراهمة) فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه
 برهام متكروا لكل الرسل وبعثتهم (قولوا عطف على هم) لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره
 ومن صرف ثمود اوله بالحى دون الثقبلة ومن جملة غير منصرف اوله بالقبيلة (قولوا مروا مرارا) تكرار
 المرور لا يفهم من هذه الآية ولعله اخذ من قوله تعالى في سورة الصافات وانكم لترون عليهم مصحين وبالييل
 أفلا تعقلون وفسر الايتين بالورول لاشارة الى وجه تعدية اتوا بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة الى الاية عدى
 بعلى لتضمنه معنى مروا وقوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اى امطار السوء وان يكون
 نعتا مصدرا محذوف اى امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفة
 غيرها (قولوا يعنى سدوم) عن اليتا بالبدال المهملة وقيل انه بالذال المحجمة قيل اراد بهاعين القرية وكانت
 قري قوم لوط خسا اهلك الله منها اربعا بابلها وبقيت واحدة اهلك الله اهلها وهى سدوم قال الله تعالى في حقها
 التى امطرت مطرا سوء قيل كان كل حجر منها قدرا انسان وقيل ذلك كان في ريح حاصب وهذا العذاب انما
 نزل بهم عقوبة على عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغي لكفار قريش ان يعظوا لما رأوا بما حل بهم ولما
 فیتعوا عن مخالفة رسول الله ويلزموا طاعته فلذلك ويح الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل منه
 الى توبيخ بوجه آخر وهو انهم كفروا لارجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت ولما كان حقيقة الرجاء انتظار
 الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس التشور خيرا مؤديا الى المسرة في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء التشور
 الى الكافر حتى يصح ايضا عوا وانزعها احتيج الى توجيه قوله لا يرجون نشورا فذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان
 الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر جميعا فامكن ان تتصور النسبة بين الكافر وتوقع التشور
 فيحكم بوقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفى عن الكافر لانه انما يتوقع الحياة بعد الموت من يومئذ بالله ورسوله
 فكانه قيل بل كانوا لا يتوقعون نشورا فلذلك لم يعظوا بمن نزل بهم وعمر وبقريتهم كما مرت بكابهم وجالهم والثاني
 ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالتشور نشورا فيه خير وسرور كشور المسلمين فانه يتصور النسبة بين
 الكافر وبين مثل هذا التشور فيتصور نفيا حقيقته بان قيل انهم لا ياملون نشورا كايامله المسلمون طمعا في الثواب

(أقسم بكونوا يرونها) في مرارهم ورهم فيعتقلون
 بما يرون فيها من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون
 نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة
 فلذلك لم ينظروا ولم يحفظوا فرأوا بها كما مرت دركاهم
 أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب
 أولا يخافونه على اللغة التهامية (وإذا رأوك
 ان يتخذوك الالهة) ما يتخذونك الاموضع هزوا
 نومهم وأبه (أهذا الذي بعث الله رسولا) يحكى
 بعد قول مضمر والاشارة للاستحقاق واخراج
 بعث الله رسولا في معرض التسليم بجمعه صلة وهم
 على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا
 أخذ الذي زعم انه بعث الله رسولا (ان كاد) انه
 كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها
 بقرط اجتهاده في الدعا الى التوحيد وكثرة ما يورد
 مما يسبق الى الذهن انها هي ومجرات (لولا ان صبرا
 عليها) ثبنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله
 تفيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ
 (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل
 سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه
 يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد
 ودلالة على انه لا يهملهم وان امهملهم (أرايت من
 اتخذ الهه هوا) ان اطاعه وبني عليه دينه لا يسمع
 حجة ولا يصبر دليلا وانما قدم المفعول الثاني
 لغنايته (افأنت تكون عليه وكيل) حفيظا
 تمنع عن الشرك والمعاصي وحاله هذا بالاستفهام
 الاول للتفريغ والتعجب والثاني للانكار (ام تحسب)
 بل أ تحسب (ان اكثرهم يسمعون او يعقلون)
 فيجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشأنهم وقطع في
 ايمانهم وهواشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب
 عند اليد وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن
 ومنهم من عقل الحق وكبر استكبارا او خوقا على
 الرياسة (ان هم الا كالانعام) في عدم انتفاعهم
 بقرع الآيات اذ انهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا
 من الدلائل والمعجزات (بل هم اضل سبيلا) من
 الانعام لانها تنقاد لمن يتعهد بها وغير من يحسن
 اليها ممن يسعى اليها وتطلب ما ينفعها وتجنب
 ما يضرها وهؤلاء لا يفتادون ربهم ولا يعرفون
 احسانه من اساءة الشيطان ولا يبطلون الثواب
 الذي هو اعظم النافع ولا يتقون العقاب الذي هو
 أشد المضار ولانها ان لم تعتد حقا ولم تكتسب خيرا
 لم تعتد باطلا ولم تكتسب شرًا بخلاف هؤلاء ولان
 جهاتها لا تضربا خد وجهها هؤلاء تؤدي الى هيج
 الغنى وصد الناس عن الحق ولانها غير ممكنة من طلب
 الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون
 يستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم

فان من لم يؤمن ولم يعمل على المؤمنين كيف يأمل مثل امهمل والثالث ان الجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة
 ويتصور نسبته الى الكافر ونفيها (قوله الاموضع هزوا) على ان يكون هزوا مصدرا على تقدير المضاعف
 وان كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير هزوا به وكذا ان في قوله ان يتخذونك نافية وفي قوله ان كاد ليضلنا مخففة من
 الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهما مفعول ثان والجملة المنفية جواب اذا الشرطية وقوله هذا الذي في محل
 التصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل التصب على انه حال من فاعل ان يتخذونك اي ما يتخذونك
 الالهة وانما قال ذلك والمعنى لم يقتصر على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليها الاستهزاء
 والاستحقار اذ اراهم وانما اشارت اليه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استحقار تنزيلا لدنو مكانته عليه الصلاة
 والسلام بزعمهم من لدنو مكانته بمقتضى جهالتهم وضلالهم ولما ورد ان يقال مضمون الصلاة يجب ان يكون معلوم
 الانتساب الى ذات الموصول عند التكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا صلة مع انهم منكرون بعثه عليه
 الصلاة والسلام اجاب عنه بانه مبنى على التهكم والاستهزاء (قوله ولولا في مثله) اي فيما لم يذ كر جواب لولا
 اكتفاء بما تقدم عليها ما يدل على جوابها تفيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ فان لولا مع ما دخلت هي
 عليه قيد لجوابها للفظان ذكر جوابها للفظا وان لم يذ كر لانه كان قيد له من حيث اللفظ الا انه لما تقدم حكمه يدل على
 جوابها المطلق وهو قوله ان كاد ليضلنا كانت لولا قيد له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه (قوله
 فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له) بيان لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم يستلزم ويتضمن كونه عليه
 الصلاة والسلام ضالا من حيث ان احدا لا يضل غيره الا اذا كان ضالا في نفسه والمعنى سيظهر لهم من الضال غاية
 انضلال فيفيد نفي ما هو لازم قولهم وفي اللازم نفي للزوم فيكون كالجواب لقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة
 استفهامية متعلقة يعلمون فهي سادة مسددة مفعوليه ان كان على يابه وان كان بمعنى يعرفون تكون سادة مسددة
 مفعول واحد وفيه وعيد من حيث انه يدل على انه لا يحميهم عن العذاب وان تأخرو قوله ودلالة الخ عطف
 تفسير وكذا ارايت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعت
 (قوله آلهه هواه) مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستواء التثنية في التعريف فان مفعول اتخذ قل
 دخوله عليها مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفه والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا
 فالقدم هو المبتدأ والمؤخر هو خبره فيكون الهه مفعولا اولا وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا ان المصنف
 جعل تقدير الكلام ارايت من اتخذ هواه الهه وقال انما تقدم المفعول الثاني للتعنية كما تقول علمت منطلقا زيدا
 لفضل عتائك بالانطلاق نظرا الى اصل المعنى فانه لا ينكر ان المعرفتين ايها قدم فهو المبتدأ الا ان النظر الى جانب
 المعنى وملا حظا لاصل المقصود يقتضي ان يكون الهه خبرا في الاصل ويكون المقصود من الكلام التعجب من
 اتخاذ الهوى الهه على التشديد البالغ كانه قليل لا تعجب من جعل هواه بمنزلة الاله في التزام طاعته وعدم مخالفته
 اياه ولا معنى للتشديد الا الهه بالهوى ولما كان التسببه ههنا هو الاله والمشيء هو الهوى ومن المعلوم ان حق
 المشبه به ان يكون متأخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التأخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد فلما قدم
 عليه صار من الاخر عن موضعه الاصل غير متاخر فلهذا جعل من باب تقدم المفعول الثاني على الاول (قوله
 والثاني للانكار) اي لست مولا على حفظه تحفظ من اتباع هواه وعبادة من يهواه من دون الله تعالى
 ولا تقدر عليه ولا تحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ما نقوله سماع تدبر وبعقلون ما نورد من الحجج والدلائل اندالفة
 على الواحدانية ثم انه تعالى لما تعجب من جهل من اطاع هواه وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدالة على
 وجود الصانع الحكيم المنفرد بالالهية فاولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قوله
 تعالى ألم تر ان الظل يمتد الى مينة على قصتين الروية معنى النظر وكيف منصوبة بمد وهي معلوفة
 لقوله ألم تر وهو ان كان من رؤية العين يجب ان يكون المنصور فيه ما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل
 الكلام ألم تر اني صنع ريك اولى الظل كيف مده ريك وبسطه على وجد الارض حين احدها الانه غير المنظم الى
 ما عليه التثنية للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى مادا للظل كالمشاهد المرئي لوضوح برهانه الذي
 هو دلالة حدوث الظل وتصرفه على الوجود النافع الدان على كونه فعل الصانع الحكيم المنفرد بالالهية ثم اشار الى
 احتمال ان يكون قوله ألم تر من رؤية القلب بمعنى ألم تر ان الاله عدى الى لتخصه معنى الانتهاء فقال ألم تر انك

فيكون الكلام على ظاهره لان الظل وان كان من البصرات الا ان تأثير قدرة الله تعالى في تمديده ليس من البصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكره من البرهان الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منسباً على وجه الارض فيما بين ظهر الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تسخن وتزيله شيئاً فشيئاً الى الزوال ثم هو يسخن ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الاتخذ في التزايد النسخ لضوء الشمس فيا ووجد الاستدلال به على وجود الصانع ما اشار اليه من ان حدوثه بعد عدم وعدمه بعد الوجود وتغير احواله بالزيادة والتقصان والانبساط والتقلص على الوجه النافع لاجل صانع قادر مدبر حكيم بقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكل وما هو الا الله عز وجل (قوله ثابتاً من السكني) وهو الاستقرار والثبات في مكان يقال سكن الدار سكني اذا استقر فيها والمعنى ولو شاء لجعله ثابتاً مستقراً لا يذهب عن وجه الارض بان لا تطلع الشمس ابدا والمعنى على تقدير كونه من السكون الذي هو عدم الحركة ولو شاء لجعله ساكناً لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ودليل واحد ودليل الشيء ما يكون ظهوره للعقل سبباً لظهور الشيء فيه فشبّهت الشمس بالنسبة الى الظل بالدليل بالنسبة الى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سبباً لظهور الظل للحس او من حيث كون حركتها سبباً لحدوثه وتغير احواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل لان الناظر الى الجسم الملون حال قيام الظل عليه لا يظهر له شيء سوى الجسم ولونه اذا الظل ليس امر ثابتاً للحس ولا يعرف به ثم اذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم ظهر ذلك الظل للحس فلولا الشمس ووقع ضوءها على الاجرام لما عرف الظل كما انه لولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس ووقع ضوءها على الارض وزال الظل به فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً اي خلقنا الظل اولاً بما فيه من النافع والمذات ثم انا هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلاً على وجوده والقبض جمع المنبسط من الشيء والمراد به هنا الازالة لقوله تعالى ثم قبضناه لئلا يمتد ان الظل بجميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل لادفعه بل جزأ فجزأ يسيراً يسيراً فكلما زاد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة واحدة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيراً يسيراً اتفق منافعها والمصالح المتعلقة بهما (قوله وفيه في الموضوعين لتفاضل الامور) لا التراخي الزماني الا لا يصح جعلها له في هذا المقام اذ ليس المعنى انه تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلاً فوجب حله على المجاز بان تجعل كذا ثم استعارة تبعية بان شدة تفاضل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزماني فاستعير بجانب المشبه لفظ ثم الموضوع للتراخي الزماني ووجه كون الامور متباعدة في الرتبة والتفاضل ان حدوث الظل بمدوداً مبسوطاً على وجه الارض وان كان في نفسه دالاً على وجود الصانع الحكيم الان جعل الشمس دليلاً عليه لدلالته على امر زائد مرتب على ذلك افضل من مرتبة قبض الظل قبضاً يسيراً اعظم من الثاني لان الازالة مع التدرج والمهلة بانسباط ضوء الشمس على الاجرام تحصل به المنافع المرتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكيفية وهي منفعه زائدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والاقوات التي يناط بها أكثر احكام الشرع ولان في التدرج حكماً ومصالح اخرى (قوله وقيل مد الظل) عطف على قوله لتفاضل الامور اي وقال بعضهم في احد الموضوعين مستعملة في اصل معناها وهو التراخي الزماني فان خلق الشمس مسلطة على الظل متراخ زماناً عن انبساط ظل السماء على الارض فم في قوله ثم جعلنا الشمس عليه لالتراخي بخلاً فهنا في قوله ثم قبضنا (قوله ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحالة) اي لو اراد بقاء الظل على تلك الحالة بمدوداً على وجه الارض لما خلق الشمس ليكون باقياً على استداده لكن اراد تغييره فخلق الشمس وسلطها على الظل فان الظل تابع للشمس كما يتبع المدلول للدليل والمراد بكون الظل تابعاً للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لمركبة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى عليه مدعولاً ثانياً لجعلنا وقوله دليلاً حالاً من الشمس وتكريراً للفعول الثاني كما مر في قوله تعالى فجعلناه هبلاً مشوراً وكون الشمس دليلاً على الظل عبارة عن كونها مستبعدة اياه استبعاد دليل العلم لمدلوله واستبعاد دليل الطريق لمن يهديه فان الشمس باختلاف احوالها في مسيرها تستلزم اختلاف احوال الظل من كونه ثابتاً في مكانه وزناً ثلاثة ومنسباً

(ألم تر ان ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف)
مد الظل (كيف بسطه) ألم تنظر الى الظل كيف
مده ربك فغير النظم اشعاراً بان المعقول من هذا
الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه
على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل
الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس
منه او ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل
وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب
الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسدد النظر
وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهز البصر ولذلك
وصف به الجنة فقال وظل بمدود (ولو شاء لجعله
ساكناً) ثابتاً من السكني او غير متقلص من
السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد
(ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) فانه لا يظهر للحس
حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد
ولا يتفاوت الاسباب حركتها (ثم قبضناه لئلا)
اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه
بالمد بمعنى البسط عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الذي هو في معنى الكف (قبضاً يسيراً) قليلاً قليلاً
حسبما ترتفع الشمس لتطم بذلك مصالح الكون
وتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في
الموضوعين لتفاضل الامور او لتفاضل مصادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء
بلا نبرودها الارض تحتها فالت على ظهرها ظاهراً
ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال

خلق ثم الشمس عليه دليلا اى سلطان عليه مستبها
ايه كما يستخرج الدليل المدلول اودليل الطريق
من يهديه يتفاوت بحركتها ويقول بقولها
ثم قبضناه اليها قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى
ان تنتهي غاية نقصانه اوقبضا سهلا عند قيام
الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل
عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه
ظلامه باللباس في ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان
يقطع المشاغل واصل السبت القطع اوموتا كقوله
وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه
المسبوت الميت (وجعل النهار نشورا) ذان شور
اى انتشار ينشر فيه الناس للعاش او مبثا من
النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم
واليقظة نموذج للموت والنشور وعن لقمان بابن
كاتبتم فتوقظ كذلك تموت فتنتشر (وهو الذى
ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد اداة
للجنس (نثرا) ناشرات للسحاب جمع نشور
وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحزة
والكسائي به ويفتح النون على انه مصدر وصف به
وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع يسير بمعنى مبشر
(بين يدي رحته) يعنى قدام المطر (وانزلنا من السماء
ماء طهورا) مطهرا لقوله ليظهركم به وهو اسم
لما يظهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقده
قال عليه الصلاة والسلام التراب طهورا المؤمن
طهورا اياه احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا
احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعل
وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوت
بمعنى المضبوت والمصدر كالمفعول والاسم كالذئب
وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتيمم للنبوة
فيما بعده فان الماء الطهورا هنا وانفع مما خاطبه
ما يزيل طهوريته وتنبه على ان ظواهرهم لما كانت
مما ينبغي ان يطهروها فإفواظهم بذلك اولى (لحجي به
بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى
البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابيته المسالفة
فاجرى مجرى الجماد (ونسقيه مما خلقنا انعاما
واناسي كثيرا) يعنى اهل البوادي الذين يعيشون
بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل
المدن والقرى يقيمون بقرى الانهار والنايع فيهم
وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر
الحيوانات تبعث في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على
عظم القدرة فهو تعدد انواع النعمة

ومتقيضا ونحو ذلك فيصح ان يستدل بكل حال من احوالها على كل حال من احوال انظر (قوله اودليل
الطريق) عطف على فاعل يشبع وقوله من يهديه عطف على مفعوله اى اوكما يستتبع دليل انظر بق من
يهديه فالسبح على الاول بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثاني بمنزلة دليل الطريق بالنسبة الى من
يهديه (قوله يتفاوت بحركتها وتحوّل بتحوّلها) استئناف لبيان كون الشمس مسالطة عليه مستبها اياه
والنوع الثاني من دلائل الوحدة ما ذكره بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى
الانتشار والتفرق في وجوه المصالح ويحتمل ان يكون بمعنى الحياة لانه لما كان في النوم معنى الوفاة لا نقطاع
الانسان به عن التصرف والعمل كان في اليقظة معنى الحياة * في بعض الكتب * ابن آدم كاتبتم تموت وكاتبتم تكتب
تبعث والنوع الثالث منها ما ذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ونشرا بضم النون
والشين وهو جمع نشور كرسول ورسول والمعنى ارسلها ناشرات للسحاب في الجو كما ينشر الشئ المطوى المضبوط
وقرأ ابن عامر وانوعرو في رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى كالاول وقرأ حزة والكسائي بفتح النون
وسكون الشين وقرأ عاصم بالياء المضموه وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا في الآية اسماء
يتطهر به كالسحور والوقود استدلالا بقوله تعالى ويُنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويصفى كونه بالغة
الظاهر حلوه عن بيان منفعة وهي كونه مطهرا للانسان من الحدث والنجاسة (قوله ولا اسم كاذنوب) وهو
اسم بمعنى الصب و يقال ايضا للدلو الملائى ذئوب ولا يقال لها وهي فارغة ذئوب فان قيل الطهور مشتق من طهر
يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته تطهيره غيره قلنا انه حيث لا يكون من الصفات المشتقة كالتفوق
والتكور بل يكون من قبيل الاسماء الجامدة فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسماء لما يتطهر به وقد قال الله تعالى
في صفة اهل الجنة وسقاهم بهم شرابا طهورا وقال الشاعر * عذاب الثنائر يقهن طهور * قلنا كونه اسماء
لا يتنافى استعماله في مبالغة طاهر (قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة) جواب عما يقال ما الفائدة في توصيف
الماء المنزل لاجياء الارض وسقى الحيوان بقوله طهورا مع ان الوصف في مثله يؤذن بكون الوصف شرط للترتب
الحكم على الفعل الملل كما اذا قلت اعطاني اللباس الفاخر لا تزين به ووصفه بالطهارة لادخله في ترتيب الاجياء
والسقى على ازال الماء وتقرير الجواب ان الاجياء والاسماء المذكورين وان امكنا بدون وصف الطهارة الا انه
وصف الماء بها اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على ازال ذات الماء وتيمم للنبوة الزائدة
المستفادة من قوله لحجي به ونسقيه فان هذين الاحياء انما يتبين ذلك لما ذكره من ان الماء الطهورا هنا وانفع
وتنبه على ان بواطنهم اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتن عليهما بانزل ماء يطهر ابدانهما من الحدث
والنجاسات تبين بذلك ان ظواهرهما تماما ينبغي ان تطهر ومن المعلوم ان باطن الشئ اولى بالحفظ من الثبوت من
ظاهره فكان الايمان بانزال ما يطهر الظاهر تبيها على ان الباطن اولى به (قوله ولا نه غير جار على الفعل) اى
لم يقل بلدة ميتة لان الميت ليس على وزن الفعل نحو فاعل ومفعول ومفعول فاعل (قوله ولا نه غير جار على الفعل) اى
التذكير وان جرى على المؤنث لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له فجاز ان لا يطابق موصوفه في التانيث
فان الفعل يطابق فاعله في التذكير والتانيث فكذا ما يشابهه بخلاف ما لم يوازن الفعل من المستثناة فانه اجرى
مجرى الجوامد قرأ الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم في رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لفتان
بمعنى يقال سقاء الله الغيث واسقاء الاسم السقيا بالضم ويقال سقيته اسقيته واسقيته ماسيته وارضه والاسم
السقى بالكسر وقوله تعالى مما خلقنا يجوز ان يتعلق بقوله نسقيه اى نسقى ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام
والاناسي واتصفا بهما على البدل من محل الجار والجور في قوله مما خلقنا ويجوز ان يتعلق بمخدوف على انه حال من
انعاما ولعل قوله يعنى اهل البوادي مبنى على الاول وقوله وتخصيصهم جواب عما قيل كيف خص اهل البوادي
بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب (قوله وسائر الحيوانات) اى ما عدا الانعام من
الوحوش والطيور وان كانت تعيش بالماء لكنه تعالى خص الانعام بالذكر لان سائر ما لا يعوزها الشرب ولا يكون
عاجزا عن تيله غالبا يقال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه (قوله مع ان مساق هذه الايات) وجه
ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استوائها بسائر الحيوانات في الاحتياج الى الشرب وحاصله ان ليس المقصود
بمجرد بيان الحكمة في ازال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة في حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام

بالذكر لانها قنية الانسان اى يقتنها ويتخذها لنفسه للتجارة الجوهرى قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة
وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك للتجارة وعليه جمع على بمعنى شريف ورفع مثل صبة جمع صبي
(قولك ولذلك) اى ولكون عليه ما يعيشون به هي الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الانعام احياء الارض
فان الارض وحياتها سبب حياة الانعام وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رب ذكرا ما هو رزق الانسان ورزق
رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقد ذكر المطر ورب
عليه ذكر حيات الارض بالنبات ورب عليه ذكر الانعام (قولك واناسي) عطف على قوله نسقيهاى كما قرئ نسقيه
بفتح النون كذلك قرئ اناسي بمحذوف ياء افعال وذهب سيو بدالى ان اناسي جمع انسان اصله اناسين كسرحان
وسراحين فأبدلت النون ياء وادغم فيها الياء التي قبلها كما قيل فى جمع ظربان اصله ظرايين والظربان
على وزن قطران دويبة كالهرة مثنته الريح تزعم الاصراب انها تقسو فى ثوب احدهم اذا صادفها فلا تذهب
راحتة حتى يبلى الثوب وفى المثل فساينا الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال القراء والمبرد والزجاج انه جمع
انسي وفيه نظر لان فعلا ليل انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لا تبدل على نسب نحو كراسي فى جمع كرسى
فلو ان يد ياء كرسى النسب لم يمتد على كراسي (قوله صرفنا هذا القول) يعنى ضمير صرفناه
اما ان يرجع الى ما ذكره بقوله وهو الذى ارسل الريح نشرها بين يدي رحته وانزلنا من السماء ماء طهورا كأنه قيل
ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال المطر بين الناس فى القراءان وفى سائر الكتب ليتفكروا ويعتبروا او يرجع
الى نفس الماء الطهور الذى هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لا ينزله على نسق واحد بل ينزله فى مكان دون
مكان وفى وقت دون وقت وعلى صفه دون اخرى فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه وروى عن ابن عباس انه
قال ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يفرق فى الارض ثم قرأ هذه الآية وروى عن ابن مسعود عن النبي عليه
الصلاة والسلام انه قال ما من عام بأكثر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا
جميعا صرف الله ذلك الى الفيا وفى المراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا واخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوايل
المطر الشديد والطل أضعف المطر والديمة المطر الذى يدوم اياما (قوله او فى الانهار والمنابع) عطف على قوله
فى البلدان المختلفة اى ويجوز ان يكون المراد بتصرف المطر بين الناس اجراءه فى الانهار والمنابع ليتنعفوا به
بوجوه ارتفاع من الشرب وسقى الزرع ونحوهما (قوله بخلاف من يرى انها) اى من يرى ان الله هو الذى خلق
الامطار وجعل الانواء دلائل وامارات عليه لا يكفر والحاصل ان المراد بالكفر وما كفر ان النعمة وقلة البسالة
بشأنها فان حقها ان يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته وحسانه ويستغل بشكر احسانه ومن
اشتغل بها وقصر فى شكر نعمه فقد كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه
النعمة الى الافلاك والكواكب ويحدد كونها صادرة من الله فانه لا شك انه كافر بالله تعالى والانواء النجوم التى
يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقبته فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف
الامطار والرياح والحرو والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال
قدرته شرع فى تعظيم رسوله فقال ولوشئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا كأنه قيل ولوشئنا لحققنا عندك اعباء الرسالة
الى كل العالمين بان بعثنا فى كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الامر عليك اجلا لالك (قوله لان مجاهدة السفهاء
بالحج) لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لان السورة مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة
زمان (قوله فيما بين اظهريهم) خبر قوله اولان مخالفتهم ولا شك ان مخالفة العتاة الغالين فيما بينهم اكبر
المجاهدة (قوله اولانه جهاد مع كل الكفرة) فيكون ضمير به فى قوله وجاهدهم به راجعا الى ما دل عليه قوله
ولوشئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا لكافة القرى فانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل
نذير مجاهدة قرينته بأقصى الوسع فاحتمت على رسول الله تلك المجاهدات كلها ليكبر جهاده من اجل
ذلك فلذلك قال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جمعا لمجاهدات ثم انه تعالى انتقل الى
النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو الذى مرج البحرين كأنه تعالى يقوى به قلبه عليه الصلاة والسلام
على امثال ما مر به من المجاهدة الكبيرة واصل المرجج الارسلان والخليفة يقال مرجج الدابة اذا ارسلتها
ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مقبول قول مضر تقديره مرجج البحرين مقولا فيها هذا عذب

(وتوكل على الحي الذي لا يموت) في استكفاء
 شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل
 عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ما توا
 ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) وزهده
 عن صفات النقصان فثبنا عليه باوصاف الكمال
 طابا لزيد الانعام بالشكر على سوابقه (وكفى به بذنوب
 عباده) ما ظهر منها وما بطن (خيبر) مطلقا
 فلا عليك ان آمنوا او كفروا (الذي خلق السموات
 والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
 العرش) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة
 تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث
 انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريره على
 النبات والثاني في الامر فانه تعالى مع كل قدرته
 وسرعة نفاذا مره في كل مراد خلق الاشياء على
 توفده وتدريج (الرحن) خبر للذي ان جعلته
 مبتدأ او محذوف ان جعلته صفة للحي اوبدل من
 المستكن في استوى وقرئ بالجر صيغة للحي
 (فاسأل به خيبر) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء
 عاليا يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى اوجبرائيل
 او من وحده في الكتب المتقدمة لصدقك فيه وقيل
 الضمير للرحن والمعنى ان انكر والاطلاق على الله تعالى
 فاسأل عند من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا بحقي
 ما اراد في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحن
 مبتدأ والخبر ما بعده والرسائل كما يعدي بمن لتضمنه
 معنى التفتيش يعدي بالباء لتضمنه معنى الاعطاء وقيل
 انه صلاة خيبر (واذا قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا
 وما الرحن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله
 اولانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد
 لما أمرنا) اي للذي تأمرنا به بمعنى تأمرنا بسجوده
 او لأمرنا من غير عرفان وقيل لانه كان معريا
 لم يسموه وقرأ حجة والكسائي بأمرنا بالياء على انه
 قول بعضهم لبعض (وزادهم) اي الامر بالسجود
 للرحن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذي جعل
 في السماء بروجا) يعني البروج الاثني عشر سميت به
 وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
 كما منازل لسكانها واشتقاقه من التبرج
 لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس لقوله
 وجعل الشمس سراجا وقرأ حجة والكسائي سرجا
 وهي الشمس والكواكب الكبار (وقرأنا) مضى
 بالليل وقرئ وقرا اي ذا قرو وهو جمع قرأ
 ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد
 والعرب والرب

وثالثها الاشعار بانهم كما يثابون على ذلك الفعل بما شرته له يثاب هو ايضا عليه بسبب دلالة اياهم بحكم ان الدال
 على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعاً يكون المعنى لا اطلب من اموا لكم جملا لنفسي لكن من شاء
 انفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فاني لا امتنع عند (قوله في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم) يعني
 ان الآية متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسألكم عليه من اجر فانه تعالى لما بين ان
 الكفار يظهرون على ابدانهم واهلهم بان لا يطلب منهم اجر البتة امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب
 جميع المنافع (قوله تعالى وكفى برك) اي حسبك الحي الذي لا يموت خيرا بذنوب عباده ولا يحتاج معد
 ال الغير لانه خير براحو اليهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد (قوله فاسأل عما ذكر من الخلق
 والاستواء) اشارة الى ان الباء بمعنى عن كما في قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وفي قول علقمة
 فان تسألوني بالسواء فاني خير بادواء النساء طبيب

وان ضميره يرجع الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش (قوله لانهم ما كانوا يطلقونه
 على الله تعالى) على ان يكون قولهم وما الرحن سؤال عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المصنف هذا اعلة
 لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسألوا عن سماءه او كانوا يعرفون
 كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد راد به غيره تعالى وهو مسئلة الكذاب بالجملة فانه يقال له رحن
 الجملة وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا أنسجد لما أمرنا الذي تأمرنا به بتقدير تأمرنا بسجوده
 فحذف ما حذف منه على التدريج حذف الجار واوصل الفعل كما في امرتك الخير ففعل تأمرنا بسجوده ثم حذف
 المفعول الذي هو المضاف واقیم المضاف اليه مقام فصار تأمرنا به ثم حذف الضمير ايضا فصار لما أمرنا على
 ان ما موصولة بمعنى الذي او مصدرية اي لأمرك على معنى لاجل امرك لنا من غير عرفان (قوله وقيل لانه كان
 معريا لم يسموه) عطف على قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله اي وقيل قولهم وما الرحن ليس سؤال عن
 المسمى بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لانهم لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم
 والرحوم والراحم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار ان امرهم بالسجود للرحن زادهم نفورا عن الايمان ذكر
 من عظم شأنه وباهر سلطانه ما لو تفكروا فيه لاضطروا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك وتعالى تبارك
 الذي جعل في السماء بروجا وهي الاثنا عشر كل برج منزلان وثلاث منزل للقمر وهي منازل الكواكب
 السبعة السيارة وهي ثمانية وعشرون منزلا واسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد
 والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتان للمريخ والثور والميزان
 للزهرة والجوزاء والسنبلة لعطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري
 والدلو والجدي بيتا زحل وهذه البروج مقسومة الى الطبائع الاربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج
 الحمل والاسد والقوس نار والثور والسنبلة والجدي ارضية والجوزاء والميزان والدلو هوائية والسرطان
 والعقرب والحوت مائية وقوله تعالى وجعل فيها اي في البروج لافي السماء لان البروج اقرب فعود الضمير
 اليها اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرير والمصابيح كما في قوله
 تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح في الانارة والاشراق (قوله ذا قمر) جواب عما يقال القمر مؤنث فيشغى
 ان يؤنث صفة بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالي ذوات القمر لانه جمع ليلة
 قمره اي ذوات القمر وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذوات قمر مثير على ان يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر غير
 عن القمر بانه ذو قمر اي ذوال قمر لان الليلة انما تكون قمره بالقمر فصار القمر كما انه صاحب تلك الليلة ففعل لانه
 ذو قمر بمعنى صاحب تلك الليالي القمر ثم حذف المضاف واقیم المضاف اليه مقام وهو مؤنث لكونه عبارة عن
 جماعة الليالي الا انه لما تام مقام المضاف وهو مذكر بنى حكم المضاف فيه فقيل في صفة منيا لاميرة كما بقى
 في قول حسان

يسقون من ورد البريض عايهمو بردى يصفق بالحق السلسل

يريد ما بردى وهو نهر به مشق فحذف المضاف واقیم بردي مقامه وبقي حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر
 ضمير يصفق والتصفيق الخلط والمزج ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف

(انها ساءت مستقرا ومقاما) اي بئست مستقرا
وفيهما ضمير مبهم يفسره المبرز والمخصوص
بالضم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان
او آخرت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال
او ميمز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان
وكلاهما محتملان الحكاية والابتناء من الله
(والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد
الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضيق الشحج
وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم ولتفتير
منع الواجب قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء
وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا
بضم الياء وكسر التاء من افتروا وقرئ بالتشديد
والكل واحد (وكان بين ذلك قواما) وسطا
وعدا لا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء
لاستواءهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به
الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان
لكان احوال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين
ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنسه مبنى لاضافته
الى غير ممكن وهو ضعيف لانه معنى القوام فيكون
كالأخبار بالشئ عن نفسه (والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله)
اي حرمها بمعنى حرم قتلها (الابالحق) متعلق
بالقتل المحذوف او بلا يقتلون (ولا يزنون) نفي
عنهم امهات المعاصي بعد ما ثبت لهم اصول
الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر
المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعرضا
للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا
لهم فقال (ومن يفعل ذلك بلى اثاما) جرأء
اثم او اثما باضمير الجرأء وقرئ اياها اي شدائد
يقال يوم ذوابم اي صعب (يضاعف له العذاب
يوم القيامة) بدل من بلى لانه في معناه كقوله
متى تأتينا تلم بنا في ديارنا * تجد خطبا جرأء
ونارا تأججها وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف
او الحال وكذلك (ويخلف فيه مهانا) وابن
كثير ويعقوب يضاعف بالجزم وابن عامر بالرفع
وابو عمرو ويخلف على البناء للمفعول محققا وقرئ
مثقلا ويضاعف له العذاب

من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان قيام ليلة (قوله اي بئست
مستقرا او آخرت) يعني ان ساءت يجوز ان تكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقرر ان فاعلها يجب
ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف بها او ضمرا ميمزا بكرة منصوبة وهي في الآية مستقرا ومقاما اي
موضع قرار واقامة فالضمير الذي في بئست لا يعود الى اسم ان ولا الى شئ آخر بعينه بل ضمير مبهم يفسره الظاهر
وهو مستقرا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هي وان كان ساءت بمعنى
آخرت تكون من الافعال المنصرفه المناسبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها يعني جهنم آخرت
اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون ميمزا وان يكون حالا (قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء
وكسر التاء) وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من افتروا وقرأ باقي السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء وضم
التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد يعني ان الفتر والافتار والتفتير لغات بمعنى واحد وهو التضيق الذي هو ضد
الاسراف والاسراف هو مجاوزة الحد في النفقة فليست على هذا التصحيح فان السخ مغلطه في هذا المقام (قوله
وسطا وعدلا) يعني ان القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين السئين سمي بذلك لاستقامة الطرفين واعدا الهما
بمحيث لا يترجح احدهما على الآخر بالنسبة اليه لكونه وسطا بينهما كمرکز الدائرة فانه يكون نسبة جميع اجزاء
الدائرة اليه على السواء ونظير كون القوام من الاستقامة التسواء من الاستواء (قوله وهو خبر ثان لكان) باسمه
الضمير المستتر في العائد الى الانفاق المدلول عليه بقوله انفقوا وبين ذلك خبره وقواما خبر بعد خبر اوبين ذلك خبره
وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأى من يرى اعمالها في الظرف قال الفراء
وان شئت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا فيكون معنى الآية
وكان الوسط من طرفي الاسراف والتفتير قواما بعد لا وضعف هذا التأويل ظاهر لانه في قوة ان يقال وكان الوسط
وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر من جملة صفات عباد الرحمن الاحتراس عن الشرك والقتل بغير حق والرائي
ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء لمحقه جزاؤه ويعاقب عليه ثم استثنى منه الثائب (قوله بمعنى حرم قتلها) لان
الحرمه والحل من صفات الافعال ولا يوصف بهما الاعيان (قوله متعلق بالقتل المحذوف) اي حرم الله قتلها
بجميع الاسباب الاسباب الحق او بلا يقتلون اي لا يقتلون بسبب من الاسباب الابالحق اي بالسبب الذي يحل به
قتل الامرئ المسلم وهو الردة بعد الايمان والرائي بعد الاحسان وقتل النفس المعصومة من غير ان يطرأ عليها ما
يوجب قتلها فان الاصل في النفوس البشرية العصمة وحرمة القتل وحقق الدماء وجواز القتل انما ثبت بعارض
فن يحل قتله بسبب العارض يدخل في النفس التي حرم الله قتلها نظرا الى حد نفسها (قوله نفي عنهم امهات
المعاصي بعد ما ثبت لهم اصول الطاعات الخ) كانه جواب عما يقال ما الفائدة في نفي هذه القبائح فان الموصوف
بالحصول المرضية السابقة يبعد عنهم هذه القبائح فلا وجه لنتفيها عنهم لانه انما يحسن نفي صفة
عن احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له وتقرر الجواب بان الاتصاف بالحصول السابقة لا يستلزم
الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات قديتدين بالشرك ويقتل انفس بغير حق ويتلبس بالرائي
فبين الله تعالى ان المرء لا يصير بتلك الحصول وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر ايضا الا انه خض من
الكبائر امهاتها واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والآية موعود للجامعين بين
التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وفي هذا النفي ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كانه قبل وعباد الرحمن هم
الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانهم تدعون ولا يقتلون نفسا بغير حق وانهم يقتلون ولا يزنون وانهم تزنون ويحسن
التي تعريض وان لم يكن النفي عنه مظنة لثبوت النفي له روى عن ابن عباس انه قال ان اناسا من اهل الشرك قتلوا
وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تدعوننا اليه الحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة
فنزلت (قوله جرأء اثم او اثما) يعني ان الاثم عبارة عن عقوبة الاثم وجرأء قد يطلق على نفس الاثم فان كان
المراد به في الآية نفس الاثم فلا بد من تقدير المضاف لان الاثم لا يليق بنفس اثم بل يليق جزأءه قال ابن مسلم الاثم
والاثم واحد والمراد لهما جزأء الاثم فاطلق اسم الشئ على جزأءه وقيل الاثم اسم من اسماء جهنم وقيل اسم
واحد في جهنم وقيل بترقيها (قوله تعالى يضاعف) مجزوم في قراءة العامة على انه بدل من الجزأء كما ان قوله تلم
بنا بدل من الشرط في البيت ابدل تلم من قوله تأتانا لان الاسماء وان كان بمعنى التزول الا انه في معنى الايمان

والجزل ما عظم من الحطب اليابس والاجيج تلهب النار يقال اجت النار توج اجيجا اذا تلهبت قيل الالف في قوله تاجبا بدل من تون التأكيده الخفيفة اصله تاججن ودخلت نون التأكيده في تاججن مع خلوه عن معنى الطلب للضرورة قال سيبويه يجوز في الضرورة انت تغفلن وقيل تاججافعل ماض والالف فيه للاشباع وذكر ضمير النار فيه لتأولها بالشهاب وقيل هو ماض والالف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار (قوله ويدل عليه) اي على انضمامها الى الكفر وجه الدلالة ان استثناء النائب من الكفر والمعصية جميعا يدل على اجتماعهما في المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة العقاب عليه وهو الكبار مع الشرك (قوله الامن تاب) المشهور بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل لا يظهر مع الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعفه العذاب ولا يلزم من استثناء التضعيف استثناء العذاب غير المضعف فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل صالحا فانه لا يضاعفه العذاب فالاولى ان يكون استثناء منقطع والمعنى لكن من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدل الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلحق عذابا ليلتصا به ما قيل واجيب عنه بان الظاهر ما قاله جمهور المفسرين وما قاله القائل المذكور غير لازم اذا المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ما ذكره الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية وقوله فاولئك يدل الله سيئاتهم حسنات يحتمل وجهين احدهما انه تعالى يدل سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم من الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا كما روى عن ابي هريرة انه قال لا تدين اقوام يوم القيامة ودوا لوانهم استكثروا من السيئات فقيل له يا ابا هريرة من هم قال هم الذين يدل الله سيئاتهم حسنات واليه اشار المصنف بقوله بان يحسبوا سيئاتهم معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواجب طاعتهم كانه لم يعملوا في الدنيا سوى الطاعة والوجه الثاني ان يكون التبديل في الدنيا بان يدل الله قبايح اعمالهم الواقعة في الشرك بحسن الاعمال في الاسلام فيبدل الله لهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصا فانكاهه تعالى يبشرهم بان يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان مشركوا مكة قالوا قبل نزول قوله الامن تاب وآمن وعمل صالحا وما يعني عنا الاسلام وقد عد لنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فزلت هذه الآية بمكة وعنه قال قرأنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم آيتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله ويخلد فيه مهانا ثم زلت الآية الامن تاب فارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشي فرح حديثا وبنا فتحنا لك قبحا مينا ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء في قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متا بالانه في قوة ان يقال من تاب وصلى فانه يصلي صلاة وليس في مثله فائدة ظاهرة اشار المصنف الى توجيه الكلام بوجوه حاصلها ان الجزاء فيه معنى زائد على ما في الشرط وذلك المعنى مستفاد امامن قوله متا بالتوكيد بعد تفيد ناصبه بكونه رجوعا الى الله عز وجل فان الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي بتركها والندم عليها الى الطاعة بان يتدارك بها ما فرط او بمعنى مجرد ترك المعاصي والدخول في الطاعة والجزاء هو الرجوع الى الله تقدس وتعالى علوا كبيرا رجوعا مرضيا عند الله مترتبا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات وانواع الكرامات او مستفاد من لفظ الجلالة في قوله فانه يتوب الى الله متا فالله تعالى لما كان موصوفا ومعروفا بانه يعرف الثابتين ويحبهم ويفعل بهم ما يستوجبون كان قوله تعالى يتوب الى الله في قوة ان يقال يتوب الى من يعرف حق الثابتين ويحسن اليهم ويتفضل عليهم فكانه قيل من تاب من المعاصي وعاد الى الطاعة في الدنيا فان تلك التوبة منه في الحقيقة توبة الى الله تعالى او مستفاد من لفظ المضارع بان يراد بقوله يتوب الرجوع الى توبه في الآخرة بخلاف الوجهين الاولين اذ ليس المراد به فيهما الرجوع في الآخرة بل المعنى فيهما ان ما تاتي به من التوبة في الدنيا فهو التوبة الى الله تعالى (قوله وهذا تعميم بعد تخصيص) يعني ان متعلق التوبة في قوله الامن تاب هو امهات المعاصي وهما مطلق المعاصي (قوله لا يقيمون الشهادة الباطلة) على أن يشهدون من الشهادة وان انتصاب الزور على المصدر والاصل لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (قوله ولا يقيمون) على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور ويكون انتصاب الزور وعمله مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة الاخبار بصحة الشيء عن

ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الامن تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدل الله سيئاتهم حسنات) بان يحسبوا سيئاتهم بالتوبة ويثبت مكانها لواجب طاعتهم او يدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفى فقد لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيمًا) فلذلك يعفو عن السيئات ويثبت على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصي بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ما حيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب الثابتين ويصطنع بهم اوفاه يرجع الى الله والى توبه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة) ولا يحضرون محاضر الكذب

مشاهدة عيان والزور والكذب واصلاه تمويه الباطل بما يوههم انه حق (قوله فان مشاهدة الباطل شركة فيه) اى من حيث ان الحضور وانظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة في دلالة الذى حل امله عليه استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه (قوله معرضين) يعنى ان كراما جمع كرم منصوب على الحالية والمعنى مروا من الكرماء الذين لا يرضون باللغو ويتزهون عن الدخول فيه والاختلاط باهله يقال تكرم فلان عما يشته اذا تزهوا واكرم نفسه عنه قال تعالى في حقهم واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض عنه ان يذكر ما يستهجن التصريح به بما يكتب به عنه (قوله بالوعظ والقراءة) متعلق بقوله تعالى ذكر واى اذا وعظوا بالقراءة او اذا اتى عليهم القراء لم يقيموا عليها لم يسمعوا هو وعيالم يصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانفعوا واداة النفي وان دخلت على فعل الخروا لان المقصود ليس نفي الخروا بل اثبات الخروا ونفي ما جعل قيداله وهو الصمم والعنى على ما تقرر من ان نفي القيد يرجع الى نفي قيده والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها واقبلوا على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها باذان واعية وابصروها بعيون راعية (قوله بتوفيقهم للطاعة) يعنى ان المراد بالقراءة المستولدة بها تفضيلهم بالفضائل الدينية بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين تقرأ عنهم بصلاح ازواجهم واولادهم كاقبل ليس شئ اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزيقتها ولا تقرأ عينيهم الا بما يحبونه وقرة عين منصوب على انه مفعول هب وهو مصدر قولك قرت عينه قرا وقرورا وصف بها الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من في قوله من ازواجنا وذرياتنا تجر يدية والمعنى اجعلهم لنا قرة عين وهو من قيل رأيت منك اسدا اى انت اسد ويحوزان تكون ابتداء ثبوت على معنى هب لانهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح يقال قرت به عيني وقررت به عينا اقرقرا وقرورا فهم اما من القرور اى رضى به حتى تقر عيني فلم نطمح الى ما فوقه او من قولهم قر يومنا من القر بالضم وهو البرد وقر العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان السرور دعة باردة وللخزن دعة حارة بين الله اولاما ملتئم مع الخلق بانهم يمسكون على الارض هو لا يؤذون احدا واذا آذاهم اهل الجبل والسفلى لا يعارضونهم بالاذى ولكن يتحملون ذلك ويتجاوزون عنه ويقولون قولاسد اذ لم يبين معاملاتهم مع الحق ودعاهم بالليل بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن صنعهم في اموالهم بانهم يتفقون قواما ثم بين انه مع تحليلهم بهذه الفضائل التى هى اصول الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصى ثم بين معاملاتهم مع اهليهم ودعاهم في حقهم وفي حق انفسهم فان قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرياتهم ومن قرأ ذريتنا على التوحيد ينظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال اقوام وارهاط (قوله وتذكروا الاعين) اى مع ان المراد بها الاعين القائلين وهى معينة فلا شئ شئ نكرت والجواب عنه انه لما قصد تذكرا لقرعة للتعظيم نكر المضاف اليه فانه لا سبيل لك الى تذكير المضاف الا بتذكير المضاف اليه فذكر المضاف لذلك فكانه قيل هب لناسروا لا يكتنه كنهه (قوله وتقليلها) يعنى ان القائلين جم غفير فلم قلوا اعينهم حيث عبروا عن عيونهم بجمع القلة اجاب عنه بان عيون المتقين قليلة بالاضافة الى الغير وفيه ان التعبير بجمع القلة لا يكتفى فيه ان يكون المعبر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة فادونها والقلة الاضافة لا تستلزم ذلك (قوله وتوحيده) اى مع انه مفعول ثان لقوله واجعلنا فليبنى ان يطابق المفعول الاول في الافراد والجمع بان يقال واجعلنا ائمة (قوله بصبرهم) على ان ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالتعلق بل اطلق ليسع في كل مضمون عليه والمضض وجع المصيبة (قوله دعاء بالتعير والسلامة) يعنى ان التحية هى الدعاء بالتعير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقى ايها وهى في الغرافات ويمكن ان ذلك هو الله لقوله سلام قولا من رب رحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وان يكون بعضهم يحيى بعضا ويسلم عليه (قوله اوتبقة دائمة) عطف على قوله دعاء بالتعير اى ويجوز ان يكون المعنى ويلقون في تلك الغرفة نفس التبقية الدائمة ونفس السلامة من كل آفة اى يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بان يقيهم في الجنة خالدين سالمين وعلى هذا المعنى يكون التركيب مستعملا في اصل معناه لان معنى التحية الاحياء والتبقة يقال حياة تحية اى احياء احياء كما يقال بقاء تبقة يعنى ابقاء ابقاء وعلى المعنى الاول يكون مجازا لانه يترك الدعاء

فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو) ما يجب ان يلغى وي طرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والحوش فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصغى عن الذنوب والكنسية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ والقراءة) لم يخروا عليها صما وعيانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الخلال دون الفعل كقولك لا يلقتى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه امله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما روى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتداء اى بانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحزة والكسائى وابوبكر وذريتنا وتذكير الاعين لارادة تذكير القرعة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا لمتقين اماما) يقتدون بنافى امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا اولانه مصدر في اصله اولان المراد واجعل كل واحد منا اولانهم كنفس واحدة لا تحاد طريقته واتفق كلمته وقيل جمع ام كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (اولئك يجزون الغرفة) اعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع بقوله وهى في الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضايق الطاعات ورفض الشهوات وتحمل الجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعير والسلامة اى يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه اوتبقة دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حنزة والكسائى وابوبكر يلقون من لقي (خالدین فيها) لا يموتون ولا يخرجون (حسن مستقرا ومقاما) مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا

بالحجة منزلة النجدة فان من دعا بان يقيه ويخلده كان كمن ابقاه وخلده بنساء على ان تعالى وعده باجابة الدعاء حيث قال ادعوني استجب لكم وقوله تعالى خالد بن حال من يجزون اوليقون اى مقبين فيها من غير موت ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عباده العساكرين وعدد خصالهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم امر رسوله بان يقول للناس صريحا ان مبالاة الله واعتناؤه بئسا نكم حيث خلق السموات والارض وما بينهما ارادة لانظام احوالكم وقضاء لحوائجكم ومهما نكم انما هو ليعرفوا حق النعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكاليفات وتظفروا بالسعادة الابدية والا فهو تعالى غنى عنكم وبلى وجه يحتاج اليكم وهو غنى عن العالمين يقال عبا المتاع بعبا عبا فهو عبا اذا احتاج اليه فهيها لذلك (قوله لولا دعاؤكم) ذكر فيه وجهين احدهما لولا دعاؤكم اياكم الى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وثانيهما كون المصدر مضافا الى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المينة في التسرع واختار المصنف ان يكون الخطاب في قوله تعالى قل ما يعبا بكم وفي قوله لولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير تقييد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجد صحة اسناد العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه لما وجد في صنف من اصناف العبادة وفي صنف آخر من اصناف التكذيب صح اسنادهما اليه وكان تقدير قرآنه فقد كذب الكافرون اى منكم الان دخول الصالحين الارار في خطاب فقد كذبتم فسوف يكون زاما بناء على ان يقال في تأويله فقد كذب صنف منكم لا يخلو عن بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات الله تعالى وتسميتهم القرآنة باسطر الاولين وطعنهم في رسول الله بقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وما اذكر المؤمنين فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لولا دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه اى لولا دعاؤكم لما خلقكم ولما اعتنى بئسا نكم وقوله تعالى فقد كذبتم موضوع موضع ان يقال فقد تركتم عبادتي وخالقتم حكمي على طريق التعمير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مستلزم لترك العبادة والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط محذوف (قوله فسوف) جزاء لذلك الشرط المحذوف كانه قيل اذا علمتم انى لا عباء بعبادى الاعبادتهم فقد خالقتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم انتم تكذب بكم حتى يكذبكم في النار فاني لا اعتد بمن لا يشتغل بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب (قوله تعالى زاما) خبر يكون واسمه مضر والمعنى يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون التراتم مصدرا كالقيام اقيم مقام الفاعل كما يقوم العدل مقام العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب (قوله حتى يكذبكم) يفتح الباء من كبه لا يصحها من اكب لانه لازم يقال كبه لوجهه اى صرعه فأكب على وجهه وهو من النوادر وقرئ زاما يفتح اللام بمعنى الزوم كالتبات بمعنى الثبوت والاول بمعنى الملازمة وكلاهما من قيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازمة او لازما تحت سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(سورة الشعراء مائتان وست اوسبع وعشرون آية).

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

(قوله بالامالة) اى بامالة فحقة طأ والفها لان فواتح السور ليست بحروف بل هي اسماء لما يتجهى به فيجارت الامالة فيها وقرأ الباقون بتخفيف ألفها على الاصل واطهر حزة تون سين اى لم يدغمها في الميم لان حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانتقطاع عما بعدها فوجب اظهارها لانها انما تخفى متصلة بحرف من حروف الفم واذالم متصل بهم لم يوجد شئ يوجب اخفاءها ظاهرا والباقون يدغمون التون في الميم نظرا الى اتصالها بحرف التفتة (قوله والاشارة الى السورة او القرآنة) يعنى ان طسم اسم لهذه السورة او القرآنة وتلك اشارة الى المستنى بهذا الاسم واختص في الاشارة لفظ البعيد مع انه لم يتخل شئ بين اسم الاشارة والمشار اليه وهو طسم لبعده المشار اليه باعتبار ان الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى او باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه فقوله طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات الكتاب المين خبر المبتدأ الثاني وهذه الجملة خبر المبتدأ الاول وهو طسم بتقدير المضاف ليصح الاخبار عنه بان تلك آيات الكتاب المين والتقدير آيات طسم بمعنى آيات هذه السورة او آيات جملة القرآنة العظيم تلك آيات الكتاب المين وهو من ابان بمعنى بان وظهر ولهاذا افسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قوله آيات

(قل ما يعبا بكم ربى) ما يصنع بكم من عبات الجيش اذا هبته اولايته بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالعرفه والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعد اذ بكم لولا دعاؤكم كم معد الكهنة وما ان جعلت استفهامية فعملها انصب على المصدرية كانه قيل اى عبي بكم (فقد كذبتم) بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم بالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون زاما) يكون جزاء التكذيب لازما بحيث بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكذبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبه على انه مما لا يكتسه الوصف وقيل المراد قل يوم يدروا انه لوزم بين القتلى زاما وقرئ زاما بمعنى الزوم كالتبات والثبوت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب (سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يبعثهم الفاعلون الى آخرها وآيتهم مائتان وست اوسبع وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(طسم) قرأ حزة والكسائى وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الباء المهرب منها واطهر نونه حزة لانه في الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآنة على ما مر في اول البقرة

(لعلك باخع نفسك) قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح الخضاع وهو عرق مسبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها (أن لا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا (ان نشأ نزل عليهم من السماء آية) دلالة لمحنة الى الايمان او بلية قاسرة عليه (فظلت اعناقهم لها خاضعين) متقادين واصله فظلوا لها خاضعين فأخمت الاعناق ايان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجازهم وقيل المراد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لقوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على نزل عطف واكن على فأصدق لانه لو قيل انزلنا بدله اصح (وما يأتيهم من ذكر) موعظة او طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيد الى نبيه (محدث) مجددا نزاله بذكر التذكير وتويع التقرير (الكانوا عنه معرضين) الاجدوا اعراضا عنه واصراراً على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستمرار به بالخبر به عنهم ضمنا في قوله (فسأيتهم) اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة (انباء ما كانوا به يستهزئون) من انه كان حقا باطلا وكان حقيقا بان يصدق وبعظم قدره او يكذب فيستخف امره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمده ويرضى وههنا يتحمل ان تكون مقيسة لمبايضن الدلالة على القدرة وان تكون مينة منبهة على انه مامن ثبت الاوله فائدة اما وحده اومع غيره وكل لاحاطة الأزواج وكما كثرتها (ان في ذلك) ان في انبات تلك الاصناف اوفى كل واحد (لاية) على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابع النعمة والرحمة (وما كان اكثرهم مؤمنين) في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم والعزيز في انتقامه عن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذا نادى ربك موسى) مقدر باذكر او ظرف لما بعده (ان انت) اى انت او يا انت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم

طسم تلك آيات الكتاب المبين ان هذه السورة الكريمة او القرءان العظيم كتاب مبين اى ظاهر اعجازه وصحح انه كلام الله تعالى اذ لو لم يكن كذلك لقد روعى الاتيان بمثله ولما عجز واعن معارضته (قوله ولعل للاشفاق) اى الخوف وهو تعالى منزعه عن الخوف والمعنى انه تعالى يأمره ان يخاف على نفسه فلا يخسر لئلا تؤديه الحسرة الى الهلاك وهو قول المصنف اى اشفق على نفسك (قوله لئلا يؤمنوا) يعنى أن قوله ان لا يؤمنوا فى موضع النصب على انه مفعول مجذوف لام التعليل من ان كما هو المشهور او مجذوف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير خيفة ان لا يؤمنوا ولما كانت الخيفة فعلا لفاعل الفعل العلل وهو البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل التثنية لم يتحج الى اللام فى تعلق العامل به او انه حذف اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمر لا يكونه مفعولا له (قوله تعالى فظلت) معطوف على نزل وانما جئى به ماضيا لتحقيق كون اعناقهم خاضعين حيث (قوله واصله فظلوا لها خاضعين) جواب عما يقال قوله خاضعين مستند الى ضمير الاعناق وهي ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء وتقرير الجواب ان الخضوع صفة اصحاب الاعناق واخبر عن الاعناق بقوله خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اختم الاعناق ايان محل الخضوع كان ينبغى ان يغير الكلام الى خاضعة واخاضعات الا انه ترك الخبر على اصله للدلالة عليه (قوله وظلت عطف على نزل) جواب عما يقال كيف عطف الماضى على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضى يتبع ان يكون المستقبل وان يكون مسبعا عنه وتقرير الجواب ان نزل وان كان مستقبلا لفظا الا انه فى قوة الماضى لانه لو اورد بدله لفظ الماضى لكان صحيحا كما عطف اكن المجزوم على أسدى المصوب لكونه فى موضع الجر آمن حيث ان المعنى ان اخرتني اتصدق وأكن بين الله ان آيات هذه السورة الكريمة من حيث كونها آيات الكتاب الظاهر اعجازه كافية فى الدلالة على وجوده القادر على ما يشاء وعلى صدق مدعى الرسالة فى دعواه فهى كافية فى دخولهم فى الايمان وفى قبولهم جميع ما فيها من الاصول الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبلغ فى الحزن والأسف على بقائهم على الكفر والضلال واشفق على نفسك ان تقتلها بلا فائدة فصبره الله تعالى وعرضه وعرفه ان يندحزنه لا يشفق فى ايمان من سبق حكم الله بعدم ايمانه كان الكتاب المبين الاعجاز لم ينفع فى ايمانه ثم بين ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية لمحنة الى الايمان او بلية قاسرة عليه الا انه لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبني على القسر والالاء ثم بين انه من جهة وفور رحمة وفضله واحسانه جدد لهم الانذار والتذكير وقتا بعد وقت وكما نزل عليهم شيئا من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن التذير أصروا على ما كانوا عليه من الاعراض والتكذيب والاستمرار المدلول عليه بقوله فسأيتهم انباء ما كانوا به يستهزئون والفاء فى قوله فقد كذبوا للتعقيب كما اشار اليه بقوله اى فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم المؤدى الى التكذيب المؤدى الى الاستمرار بناء على ان ما كذبوه واستهزأوا به هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم او بالتكذيب والاستهزاء ثم انه تعالى بعد ما بين انه كلما نزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت فلم يزد هم ذلك سوى الفور والاعراض بين ايضا انه اظهر لهم ادلة تحدث فى الارض وقتا بعد وقت تدل على وحدانيته وكال قدرته ومع ذلك استمر اكثرهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فقال أولم يروا الى الارض ويخضعهم على تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما فى الارض من العجائب اورأوا الا انهم لم يؤمنوا بسببها وكفى قوله تعالى كم أنبتنا خبيرة للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذى بعدها على المفعولية اى كثيرا من الأزواج انبتنا وكل زوج تمير جئى به للدلالة على ان الكبير الذى انبت الله تعالى ليس من بعض اصناف النبات بل من جميع اصنافه على التفصيل (قوله وهو صنف) يعنى ان الكريم اسم يوصف به كل ما يحمده ويرضى فى بابه وماله من المنافع والكمالات التى لا يشدر على اتيانها الا رب العالمين ومتنوجد كريم اى محمود مرضى فى حسنه وجلاله وكتاب كريم اى مرضى فى لفظه ومعانيه وقوائده وفارس كريم اى مرضى فى شجاعته وبأسه ووصف الزوج بالكريم يتحمل معنيين الاول انه صفة مقيدة له مختصة بما هو النافع من نوعى النبات فانه على نوعين نافع وضار فبين الله كثره ما نبت فى الارض من جميع اصناف النباتات النافع وترك ذكر الضار والشأن ان يكون صفة مادحة لا مختصة فيعم جميع اصناف النبات نافعة وضاره وفى وصف جميعها بالكريم تنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة ومنفعة جليلة لان الحكيم لا يفضل فعلا الا ليعنى صحيح وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون (قوله او ظرف لما بعده) اى قال رب انى اخاف

ان يكذبون اذ نادى ربك وقيل انه لمقدر قبله اى واتل على قومك اذ نادى الله موسى فيما تملو ويدل عليه قوله تعالى
 فيما بعد واتل عليهم نبأ ابراهيم وذلك حين رأى موسى الشجرة والنار (قوله ولعل الاقتصار على القوم) يعنى انه
 لاشك ان موسى كان مبعوثا الى فرعون وقومه من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث
 قال اذهب الى فرعون انه طغى ولم يذكر في بعضها الاتباع حيث قال الى فرعون وملئه والملائكة الرؤساء دون
 الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا اصلا اتبعهم الاتباع في الايمان كان ذكرهم يغنى عن ذكر الاتباع
 فلذلك اقتصرت الآية على ذكر فرعون وتارة على ذكره وذكر رؤساء قومه واقتصرت في هذه الآية على ذكر قومه من
 الرؤساء والاتباع للبيان نفس فرعون كان اولي بذلك (قوله ألا يتقون استئناف) لا يحل له من الاعراب وهو
 متعين على قراءة يتقون بياء الغيبة واما على القراءة بياء الخطاب فانه يحتمل ان يكون التقدير انت القوم الظالمين
 وقيل لهم ألا تتقون باضمار القول فلا التفات حيثذ وانما يكون التفاتا على تقدير كونه استئنافا وطريق الالتفات
 انه تعالى بصدد الشكاية من قوم فرعون وظلمهم لئيه موسى فلما اشتد غضبه عليهم قطع بث الشكوى الى موسى
 واقبل عليهم يوبخهم بالعنف والغلظة وقال لهم ألا تتقون ولما ورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب
 والالتفات الى الجاني انما يصح اذا كان الجاني حاضرا في مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين في مجلس خطابه
 تعالى مع موسى في وقت المناجاة اجاب عنه بقوله وهم وان كانوا غيبا حيثذ اى حين مخاطبة الله موسى عليه
 الصلاة والسلام وتقرير الجواب انهم وان كانوا غيبا الا انهم حيثذ اجروا بحرى الحاضر وكلام الشخص الذى
 ارسل اليهم من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم وكان استماعه مبدأ استماعهم كان حضور
 ذلك الشخص مع المتكلم منزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم في كلام ذلك الشخص وان كانوا غيبا
 في نفس الامر وقت المكالمه معه مع ان في الالتفات اليهم بهذا الطريق من يد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل
 مورده لانه لما وحي الغائب على ترك التقوى وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموحى بالذات فالخاضر المتدبر
 يكون له اوفر حظ من الحث عليه (قوله اكتفاء بهاعن ياء الاضافة) فان اصله على قراءة الكسر ألا يتقوتى
 فحذفت احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون عن ياء المتكلم فصار ألا يتقون ويحتمل ان تكون قراءة الكسر
 مبنية على ان يكون اصل الكلام الايا ناس اتقوتى بأن تكون الياء في يتقون حرف النداء وان يكون النادى
 محذوفا كما في قوله الايا اسجدوا فان اصله الايا هو لاء اسجدوا ويكون اتقون امرا حاضرا حذف مند ياء المتكلم
 اكتفاء بالكسر وتكون النون فيه نون الوقاية ويكون ارتباط الكلام بمقوله على هذا الوجه بتقدير القول اى ان
 رأيت القوم الظالمين قل لهم الايا ناس اتقون فان قلت هذا التوجيه لا يساعد خط المحذف فالجواب ان خط
 المحذف سنة متبعة غير منوطة بالقياس (قوله رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشرا كده في الامر على الامور
 الثلاثة مبنى على ان يكون قوله يضييق ولا ينطلق مرفوعين يعطفهما على خبر ان وهو اخاف لانها اذا كانا
 منصوبين عطفا على ان يكذبون يكون استدعاء الضم مرتبا على علة واحدة وهى الخوف من الامور الثلاثة فان
 المعنى حيثذ اخاف ان يكذبون واخاف ان يضييق صدرى واخاف ان لا ينطلق لسانى وعلى قراءة الرفع يكون كل
 واحد من الامور الثلاثة علة مستقلة لاستدعاء الضم غاية ما في الباب ان يكون بعضها مرتبا على البعض
 في الوجود لان حاصل الكلام حيثذ انه لولم يشر لك به هرون في الامر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة
 موسى عليه الصلاة والسلام وذلك من وجهين الاول ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب لتعسر
 الكلام على من يكون في اسائه حبسة لانه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن
 القلب واذا انقبضا الى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة في اللسان فالتأذى من التكذيب سبب لضيق
 القلب وضيق القلب سبب الحبسة فلهاذا بدأ عليه الصلاة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث
 بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون افصح لسانا منى وليس في حقه هذا المعنى فكان ضمه الى وارسله معى لانفا
 والثاني ان الى عندهم ذنبا فآخاف ان يبادروا الى قتلى وحيثذ لا يحصل المقصود من البعثة واما هرون فليس كذلك
 فيحصل المقصود من البعثة بضمه الى (قوله وليس ذلك تعلا لانه) جواب عما يقال كيف ساع
 لموسى عليه الصلاة والسلام ان يأمره الله بامر فلا يقبله بسمع وطاعة ومن حقه ان يسارع في امثال الامور به
 بلا توقف وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام لم يرد ذكر الامور الثلاثة الاستعفاء من تكليف الرسالة والتعلل

(قوم فرعون) بدل من الاول او عطفت بيان له
 ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان
 اولي بذلك (ألا يتقون) استئناف اتبعه ارساله اليهم
 للانذار بعباله من افراطهم في الظلم واجترأهم
 عليه وقرئ بانه على الالتفات اليهم ذجرا لهم
 وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حيثذ اجروا
 بحرى الحاضر من في كلام المرسل اليهم من حيث
 انه ملغد اليهم واستماعه مبدأ استماعهم مع ما فيه
 من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده
 وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة
 ويحتمل ان يكون بمعنى الايا ناس اتقون ويضييق
 الايا اسجدوا (قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضييق
 صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون)
 رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشرا كده في الامر على
 الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا
 عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح
 الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها
 اذا احتجت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه
 وينوب مثابه متى يعثره حبسته حتى لا تختل
 دعوته ولا تنبرجته وليس ذلك تعلا لانه وتوقفا
 في تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امثاله وتعميد
 عذره فيه وقرأ يعقوب ويضييق ولا ينطلق بالنصب
 عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة ما خاف منه
 (ولهم على ذنب) اى تبعة ذنب فحذف المضاف
 اوسمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سمى ذنبا على
 زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوط في مواضع
 (فأخاف ان يقتلون) به قبل اداء الرسالة وهو
 ايضا ليس تعلا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة
 كما ان ذلك استدعاء واستظهار في امر الدعوة

وقوله (قال كلا فاذها بآياتنا) اجابة لى الطلبين
 بوعده لدفع بلائهم اللازم برده عن الخوف وضم
 اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذها على تغليب
 الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا
 كانه قيل ارتدع يا موسى عما ظن فاذها انت والذى
 طلبته (انا معكم) يعنى موسى وهرون وفرعون مستمعون
 سامعون لما يجرى بينكما وبينه فظاهر كما عليه
 مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعه لما يجرى
 بينهم وترقا لامداد اوليائه منهم ببالغة في الوعد

بها بل اراد به تهديد العذر في التماسه المعين فهو قدامثل وقبل ولكنك التمس من ربه ان يعضده بأخيه حتى يتعاونوا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته وتهديد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امثال الامر ولا بتعلل فيه واراد بالذنب قتله القبطى بالوكرة دفعا عن القبطى الآخر واراد بكون ذلك القتل عليه أن تبعه ذلك القتل اى موجب وجراؤه بدمته على زعمهم والتبعة تكل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابله ظلمه عليه (قوله اجابة الى الطلبين) نشية طلبية بكسر اللام وهي ما طلبته من شئ طلب موسى امرين الاول ان يدفع عنه شرهم والثاني ان يرسل معه هرون فاجابه الله الى الاول بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه فانهم ان يقتلوك به فاني لاسلطهم عليك بل اسلطك عليهم واجابه الى الثاني بقوله فاذهب اى اذهب انت والذى طلبته وهو هرون (قوله يعنى موسى وهرون وفرعون) فهو تعالى معهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر (قوله سامعون) حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء والله تعالى سامع غنى عن الاستماع والاصغاء فلذلك جعل المعنى اسمع ما تقول لانه وما يجيبونكم به وفي الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة مبتزعة من عدة امور (قوله لانه مصدر وصف به) مبالغة وتقدير ذوارس الدرب العالمين (قوله بعد ما تياه فقال له ذلك) اشارة الى ان في الكلام حذف اى فذهبا اليه فدخل عليه وقال له ما امرهما الله تعالى به فعند ذلك قال فرعون ما قال روى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال اذن له لعلنا نضحك منه فاذن لهما فدخل عليه واديا الرسالة فعرف موسى عليه الصلاة والسلام فعدد نعمه عليه اولاً ثم اساءه موسى عليه الصلاة والسلام اليه * والوليد الصبي الصغير وكان عليه الصلاة والسلام ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلاً والفعلة بالقبح بناء المرة وكانت وكرة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فان تكثير الشئ وابهامه قد يقصد به التعظيم (قوله او ممن تكفرهم الآن) اى فعلتها والحال انك في ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن انهم كافرون اى كنت قبل الآن منا وعلى ديننا والآن جئت تكفرونا وهذا من غايته جهل اللعين لان الانبياء لم يزوالوا على التوحيد والبراءة من الشرك والله تعالى عاصم من يستنبه من كل كبيرة فما ظنك بالكفر واذا في قوله فعلتها اذا حرف جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة فان سببويه وان نص على انها التجبراء لكن شراح كتابه قد ذهبوا الى انها قد تخصص للجواب وبخلف عنها الدلالة على المجازاة (قوله من الجاهلين) والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بالضلال الكفران لانه اراد به رد قوله وانت من الكافرين بل اراد به اما الجهل والسفد والمعنى وانا من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفد من غير اتباع الوحي والدليل واما الخطأ في الفعل حيث قصد المنع والتأديب فضل ووقع منه القتل واما الذهول عما يؤول اليه الوكر من القتل واما النسيان كما في قوله ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان لان التذكر انما يكون بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه الصلاة والسلام على جميع التفاديران ما توخى به وتعدده على ذنبا انما فعلته على وجد لا يعاتب من فعله على ذلك الوجد فضلا عن ان يعد كافرا حقيقة او كافرا للنعمة فانه كيف يعاتب من فعل فعلا برأيه على قصد الاصلاح والتأديب بل يستحق لان يثنى عليه ويستحسن فعله وان ادى الى القتل والاهلاك وقوله لانه كان صدقا لان تربته له امر ظاهر معلوم لا يصح رده وانكاره فكان غير قادح في دعواه لما تقرر في العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انهم عليه ولم ينعم فلذلك لم يكن قول فرعون ألم تر بك فينا وليدا نافعلا ولا ضار المولى فلذلك لم يصح رده (قوله وتلك التربة نعمة) اشارة الى ان تلك مبتدأ اشير به الى التربة المدلول عليه بقوله ألم تر بك ونعمة خبره وتمنسا على صفة نعمة وأن عبت خبر مبتدأ محذوف اى وهي في الحقيقة تعبيدك قومي اقر عليه الصلاة والسلام بكون تلك التربة في صورة النعمة والاحسان ثم ابطال كونها نعمة بكونها مسببة عن النعمة التي هي قهره بنى اسرائيل بذبح ابناءهم فانه اولم يفعل ذلك لتكفلته بتريته ولما قد فتد في اليم حتى يصل الى فرعون ويرى بتريته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سببا ليقال عبت فلانا واعبدته واستعبدته وتعبدته اذا اخذته عبد او قهرته وذلك (قوله او بدل نعمة) كانه قيل وتلك نعمة تعبيدك بنى اسرائيل فيقول المعنى الى ان تلك التربة تعبيدك بنى اسرائيل ولا يشك في ان التربة ليست نفس التعبيد لانها لما وقعت بسبب التعبيد

٦ بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو (فاثنا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) افراد الرسول لانه مصدر ووصف به فانه مشترك بين المرسل والمرسل قال لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم يسروا ارسلتهم رسول ولذلك ثنى تارة واخرى ولا تحادها للاخوة اول وحدة المرسل والمرسل به اولانه اراد ان كل واحد منا (ان ارسل معناني اسرائيل) اى قولاً ارسل لتضمن الرسول معنى الارسل المتضمن معنى القول والمراد خلطهم يذهبوا معنا الى الشام (قال) اى فرعون لموسى بعد ما تياه فقال له ذلك (ألم تر بك فينا) في منزلنا (وليدا) طفلا سمي به لقربه من الولادة (ولبت فينا من عمرك سنين) قيل لبت فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوه الى الله ثلاثين ثم بقي بعد الفرق خسين (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعنى قتل القبطى ويخذه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتله بالوكر (وانت من الكافرين) بمعنى حتى عدت الى قتل خواصى او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتيقن فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالاهية او بمنع لما عاد عليه بالخلافة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم (قال فعلتها اذا وانا من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفد او من الخاطئين لانه لم يتعمد قتله او لجاهلين عما يؤول اليه الوكر لانه اراد به التأديب او الناسين من قوله ان تضل احداهما (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) رد اولاً بذلك ما وبخه به قدحاني نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصح رده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل يصرح على انه كان في الحقيقة نعمة لكونه مسيبا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها على ان عبت بنى اسرائيل) اى وتلك التربة نعمة تمن على بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح ابناءهم فانهم السبب في وقوعك اليك وحصولك في تربيتك وقيل انه مقدر بهمة الانكار اى وتلك نعمة تمنها على وهي ان عبت وحمل ان عبت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة

ونتيجة له جعلت نفس التعيد مبالغة في السيئة والاستلزام (قوله) والجربا بضم الاء والنصب بمحذوها) كان محل الضمير البارز في تمنها كذلك فان تمن يتعدى بالياء فهي مضمرة والتقدير تمن بها او محذوفة كما في قوله تعالى واختار موسى قومه وعلى التقديرين يكون أن عبدت بدلا من هاء تمنها (قوله) الى خصلة شتاء مبهمة) وصف الخصلة بالشتاء دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المنار اليه تحقيره او تنزيل بعده عن ساحة الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل المنار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الخارجية المتقدم ذكرها بل هو امر ذهني تصوره عليه الصلاة والسلام واشار اليه بقوله تلك ثم فسر بما اخبر عنه فانه عليه الصلاة والسلام تصور قوله نعمة تمنها على ان عبدت بني اسرائيل بانها من حيث انها نعمة تمنها على تكون خصلة شتاء فاشار اليها بذلك وجعلها مبهمة ثم بينها بقوله أن عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ فكان المعنى هي تعيدك بني اسرائيل فكان اللعين وان امتن بزيته اياه الا ان تلك الترية لما كانت مسببة عن تعييده بني اسرائيل كان الامتنان بالترية امتنانا بتعبيدهم (قوله لم يرفعوا) اي لم يكف ولم يتنع وهو من رعا رعو اي كف عن الامر يقال ارعوى عن القبح وتقديره ارعوى ووزنه افعل ولم يدغم لسكون الياء البدلة من الواو ولو قوعها رابعة في الطرف (قوله) شرع في الاعتراض على دعواه) لم يذكر وافي نظم هذه الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام دخل على فرعون وادى الرسالة وقال له انا رسول رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعد ما تياه فقال له ذلك كما ذكرناه هناك وانه تعالى لما قال لهما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين استلزم ذلك أنها تياه وقال له ذلك حين دخلا عليه فعند ذلك قال فرعون ومارب العالمين يسئله عن حقيقة الخاصة ويقول أى شئ هو مما يطلق عليه اسم الشئ كأنه يريد به التعريض بانكار الاله ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين فأجاب عليه الصلاة والسلام بما فيه انكار الهية وان يكون ربا للعالمين تعريضا حيث قال رب السموات والارض وما بينهما كأنه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين رب السموات والارض ومدير امرهما وامر اهلهما على التفصيل ثم قال ان كنت انت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوا لك الهيا وسموا رب العالمين من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذى يؤدبهم الى الايقان علم ان العالم عبارة عن كل ما يعلى به الخالق من السموات والارض وما بينهما وان ربها هو الذى خلقها ورزق من فيها ومدير امورها فيجب ان يكون واجبا لذاته مبدأ لجميع المكنات وعلم ايضا ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتجب اللعين من جوابه فقال لمن حوله الاستمعون اطلب منه الماهية وهو يجهل بالفاعلية ويزعم ان السموات مكنة مر بوية وهي واجبة متحركة لذاته فثنى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين استدلل اوليا بامكان الاجرام العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يستد اليه جميع الموجودات ثم خص من جملة الموجودات بأسرها ما هو اقرب بالنسبة الى المستدل وهو نفسه ومن ولد هومته فان دليل الانفس اقرب من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل اليه استعارا بغاوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذاته غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك في انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحالة ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون وجوده مستندا الى مؤثر واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر قلم هذا عدل موسى عليه الصلاة والسلام اليه وقوله ويشك منصوب معطوف على ان يتوهم وقوله ويكون مرفوع معطوف على قوله لا يمكن فعند ذلك احتد اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا المقصود من سوء التا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد تلك الخصوصية فهذا الذى يدعى الرسالة يجنون لا يفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد في الله الى تعريف ثالث اوضح من الثاني فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار فظاهرا ان التقدير على هذا الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مديركم وهذا بعينه طريقة ابراهيم مع عمرود فانه عليه الصلاة والسلام استدلل بالاحياء والامانة حيث قال ربى الذى يحيى ويميت فلما عارضه عمرود اللعين بقوله انا احى واميت قال ابراهيم فان الله بأبى التمس من المشرق فانت بهما من المغرب

او الجربا بضم الاء او النصب بمحذوها وقيل تلك اشارة الى خصلة شتاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعيدك بني اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب في تمنها وجع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملته (قال فرعون ومارب العالمين) لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرفعوا بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والارض وما بينهما) عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله (ان كنتم موقنين) اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتكوينها وتعدد دها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لساائر المكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض المكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لا متناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته (قال لمن حوله) الاستمعون جوابه سأله عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) عد ولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر ووضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم ليجنون) اسأله عن شئ ويحيى عن آخر وسماء رسولاً على السخرية

(قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) شاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويخرجها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع يتعبد به امور السكات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم ان لاجواب لكم فرق ذاللاينهم اولام لا يرى شدة شكيتهم وخشايتهم عارضهم بمثل مقاتلتهم (قال لن اتخذت آلهة غيرى لأجعلنك من السجودين) عدولا الى التهديد عن الحاجة بعد الاقطاع وهكذا يدن العند الحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره الصانع وتعبده بقوله ألا تستهون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا او اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعته استحق العبادة من اهله واللام في السجودين للعهد اى بمن عرفت حالهم في سجن فانه كان يطردهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لا شئتكم (قال أولوجنك بشئ ميين) اى اتفعل ذلك ولوجنك بشئ ميين بين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو الحال وليها المهمة بعد حذف النعل (قال فانت به ان كنت من الصادقين) فى انك بينة اوفى دعواك فان مدعى النبوة لا بد له من حجة (فأتى عصاه فاذا هى ثعبان ميين) ظاهر ثعبانته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثب اذا فجزته فانثجرت (وزع يده فاذا هى بيضاء للنظرين) روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطنه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يشع الابصار ويسد الافق (قال للملائكة حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا ساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فما ذا تأمرون) بهر سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة اقوم واثنامهم وتغييرهم عن موسى واطهار الاستعارة عن ظهوره واستيلائه على ملكه (قالوا ارجه واخاه) أخر امرهما وقيل احبسهما (وابعث فى الدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يا أتوك بكل سحر عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة ليقفات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل انتم مجمعون) فبادرهم اليه كقول تأبط شرا

فبهت الذى كفر فكذا موسى عليه الصلاة والسلام عرف رب العالمين بقوله ربك ورب بانكم الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاجاء والامانة ثم عرفه بقوله رب المشرق والمغرب فانه بمنزلة قول الخليل فانت بها من المغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان كنتم من العقلاء عرفت انه لاجواب عن سؤالك الاما ذكرت لانك طلبت منى تعريف حقيقته وقد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا بجزء حقيقته فابقى الا ان اعرفه بالآثار الخارجية والافعال المختصة به واتى عرفت حقيقته بتلك الآثار فثبت ان كل عاقل يقطع بانه لاجواب عن هذا السؤال الاما ذكرت (قوله لاينهم ولا) جواب عما يقال كيف قال اولاً ان كنتم موافقين وآخر ان كنتم تعقلون فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون (قوله ارجد) قراءة ابن كثير وهشام هنا وفى سورة الاعراف ارجث بالهمزة وضم الهاء يصلها واو وابو عمرو بالهمزة وضم الهاء من غير صلة وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء ولا يصلها يا وقالون بغير همزة ويختلس الكسرة وورش بغير همزة و يصل الهاء ياء وعاصم وحركة بغير همز ويسكنان الهاء والهاء فى الوقف ساكنة بلا خلاف الا فى مذهب من ضمه اسوأ وصلها ولم يصلها فان الروم والاشام جازان فيها كذا فى تفسير اقرأة يقال ارجأت امرى بالهمزة وارجثه بالياء كلاهما بمعنى اخرته وقرئ وآخرون مرجون لامر الله ومرجون لامر الله اى مؤخرون حتى يتزل فيهم ما يريد (قوله شرطاً يحشرون) اشارة الى ان قوله حاشرين صنف موصوف وهو مفعول ابعث والشرط جمع شرطه يسكون ازاو فتحبها وهى اسم لخيار الجند وهم اول كتيبة يحضرون الحرب الجوهري الشرط بالتحريك العلامة وأشرط فلان نفسه لامر كذا اى اعلمها واعدها قال الاصمعي ومنه سمي الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطه وشرطه وقال ابو عبيدة سوا شرط لانهم اعدوا (قوله لما وقت من ساعات يوم معين) يعنى ان الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق ايضا على المكان المعين له ومنه ميقات الاحرام يقال هذا ميقات اهل التمام للموضع الذى يحرمون منه واضيف الميقات الى اليوم على طريقة اضافة الشئ الى زمانه لكون الميقات جزءاً من ذلك اليوم وساعة من ساعاته فينبى بالاضافة اليه كانه قيل الميقات الذى هو فى ذلك اليوم وجزء منه واليوم المعلوم هو يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم فى كل عام وروى عن ابن عباس انه قال وافق يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم التبرؤ وقيل كان ذلك يوم عاشوراء وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقده لهم موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة وارى يحشر الناس ضحى واما عينه ليظهر الحق ويذهب الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار واختاره قوم فرعون ايضا لظهور فساد قول موسى عليه الصلاة والسلام بمحضرا لجمع العظيم ورضى فرعون بما قالوه وعى عاشدهوه لان حب الشئ يعنى ويصم وكان هذا ايضا من اطف الله تعالى فى ظهور امر موسى (قوله او عبد رب) منصرب بالعطف على محل ديار فانه وان كان مجرورا لفظا بالاضافة الالهة فى محل النصب على انه مفعول باعث وديار اسم رجل وكذا عبد رب واخا عون منادى مختاف اى يا اخا عون ولواريد بقوله هل انتم مجمعون حقيقة الاستفهام لجئى بجواب الناس فعلم منه انه استبطاء اريد به الحث على مبادرتهم الى الاجتماع وكذا فى البيت قال الامام روى ان العاص لما انقلب حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذى ارسلاك الاخذتها فاعاخذها فصارت عصا ثم قال فان قيل كيف قال هات ثعبان ميين وفى آية اخرى فاذا هى حية نسي وفى آية ثالثة كانها جان والجنان ما عيل الى الصغر واثعبان الى الكبر فاجاب عنه بقوله اما الحية فهى اسم جنس ثم اذا كبرت صارت ثعبانا وشبهها بالجنان لحققت وسرعة حركتها فصح الكلام اذا ويحتمل انه شبهها بالشیطان لقوله والجنان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقوله ثعبان انه بين للنظر بين انه ثعبان حقيقة بحركته وبسائر ما فيه من العلامات وليس يشبه الثعبان فى مروه فقط كما اظهره السحرة (قوله والترجى باعتبار الغلبة) اى وترجى الاتباع باعتبار ترجى الغلبة فالمراد ان ترجوا ان تكون الغلبة لهم فتنبههم الا انهم علقوا الترجى باعتبار غلبة السحرة عدولا الى طريق الكناية التى هى ابلغ (قوله ولم يرد به امرهم بالسحر) جواب عما يقال كيف جازلوسى ان بأمر السحرة بالقاء الحبال والعصى وذلك سحر وتليس وكفى بالامر بمثله لا يجوز (قوله وقرأ حفص تلفظ بالتحفيف) اى باسكان اللام مخففا والباقون بفتح اللام مشددا وتلفظ تناول الشئ بسرعة واصله تتلفظ بتأين حذف احداها

ان تلقى واما ان تكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتو به بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسل به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اثنا ثمن الضالون) اسما بعزته على ان الغلبة لهم لفطر اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم بأقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر (فأتى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تتلعق وقرأ حفص تلفظ بالتحفيف (مايا فكون) ما يقبلونه عن وجهه بتوهمهم وتزويرهم فيقولون حبالهم وعصيهم انه ثعبان تسعى او افكهم تسمية لما فوك به مبالغة

(ثاني السحرة ساجدين) لعلمهم بان منه لايتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر محمويه وتزويق بخيل شيا لا حقيقة له وان البحر في كل فن نافع واما بدل

(٤٧٠)

الخروج والانتقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يمتدوا لكونهم فكأنهم اخذوا ولم يحروا على وجوههم وانه تعالى أقامهم بما خولهم من التوفيق (فألقوا أسناب السالين) بدل من أن يدل الاشتغال او حال بانهم قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم بالاجراء على ايديهما (قال آمنت له قبل ان آذن لكم انه لكبريكم الذي علمكم السحر) فملككم شيا دون شئ ولذلك غلبكم او فوادكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التليس على قومه لئلا يستقدوا منهم آمنوا عن بصيرة ونظهور حق وقرأ حجة والكافي وابو بكر وروح آمنتهم مرتين (فلسوف لمولون) وبال ما فعلتم وقوله لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا صلبكم اجوين) بيان له (فألقوا لاضير) لاضير علينا في ذلك (انا الى ربنا متقلبون) بما يوعدهنا به فان الصبر عليه محام للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفسها واراجاها (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لأن كنا) (اول المؤمنين) من اتباع فرعون اومن اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعللة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم انفس وعدم الثقة بالخاصة او على طريقة قول المدل بامر ان احسنت اليك فلا تنس حق (واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي) وذلك بعد سنين اقام بين اظهريهم يدعوه الى الحق ويظهر لهم الآيات فيزيدوا الاعتوا وفسادا وقرأ ان كثير ونافع ان اسر بكسراتون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير (انكم متبعون) يليكم فرعون وجنوده وهو عدله الامر بالاسراء اي أسرهم حتى اذا اتبعوكم مصحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قل ووصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجئون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فأغرقهم (فأرسل فرعون) حين اخبر بسرائهم (في الماء ثن حاشرين) انهم اسر ليبنوهم (ان هؤلاء شرمة قليلون) على اراة القرل وانما استقلهم وكانوا ثمانية وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده اذروى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شرادم لما يلي وتطلع وقليلون

والا لك بالسحر الكذب وبالفتح مصدر قولك افكديا فكه افكاي فليد وصرفه عن الشئ ومنه قوله قالوا اجئنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آياتنا جعل المصنف كلمة موصولة تختصف العائد ثم يجوز كونها مصدرية وتوافق بالفتح المصدرى لا يفتح ان يتعلق به التلطف سواء جعل بمعنى الاختذار بمعنى الابتلاع وجعل الافك بمعنى المأفوك وسمى الجبال بالافك ملة كان نبياعين الافك كما في قولهم عذا شرب الامبراي مضروبه (قوله وتزويق) اي تحسين يقال زوقت الكلام والكتاب اذا حسنته ووجد الدلالة على ان منتهى السحر محمويه وتزويق ان حقيقة الشئ لو اغلبت الى حقيقة شئ آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العاصية من قبيل المجزة الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدين عند مشاهدتهم سحره ووجد دلالته ان البحر في كل فن نافع اذا السحر لم يكونوا في الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالين ان منتهى السحر انما هو التزويق لما يتقوا ان ما جاء به موسى ليس بسحر وما كان ذلك التيقن الا بركة تجرهم في علم السحر (قوله وانما يدل الخور وباللقاء) يعني ان المعنى خروا وسقطوا ساجدين لكن عدل الى هذا القول للمشكلة لقوله ألقوا ما انتم ملقون فألقوا حبالهم فأتى موسى عصاه وليدل على انهم لم يتكلموا انفسهم حين ما شاهدوا امر اخارجا عن السحر فخرؤا بدون الاختيار كان ملقيا اخذهم وألقاهم على وجوههم فقوله فأتى السحرة استعارة تبعية (قوله بدل من ألقا) فذلك لم يخل بينهما عاطف (قوله ابدال للتوضيح ودفع التوهم) فان من قال لئن انشئت لها غيري وتجب من نسبة الربوبية الى غيره فقال الانتم تعلمون لا يعبدان يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آتنا برب العالمين الايمان ربوبية اللهين فأبدلوا منه رب موسى وهرون ليدفع ذلك التوهم وتشر اضافته اليهم ان الموجب لايمانهم به ما شاهدوا من اثر قدرته الباهرة وهو ما اجراه على ايديهم فلما سمع اللهين انهم باجدهم آمنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول قوم ان هؤلاء السحرة على كبريتهم وبصيرة لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى ان يلبس على قومه ويغفرهم عن موسى واتباعه فقال اولا للسحرة آمنت له قبل ان آذن لكم اراد به وصفهم بسرعة الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال انه لكبريكم الذي علمكم السحر تصريحا بما ذكره اولا بطريق الرمز كانه قال ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعة لقلب به عليكم وقت الحاجة فاعترتم وظنتم انه غلب عليكم بالمعجز الالهى وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوة علم السحر لكونكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلاطينهم بعصيانهم وتغير رعيته كانه قال لم تمقوا في اظهار صنعتكم والقلبة على خصمكم لمواطاة بينكم ويندليظهم امره ويتم مقصوده والافكيف يحزنتم عن ان تغفلوا مثل ما فعله ساحر مثلكم ثم اوعدهم على الاجال والابهام فقال فلسوف تعملون ثم فصل ذلك الجمل وبين ذلك البهم فقال لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من اجل خلاف ظهر منكم على ان كلمة من للتعليل كما في قوله تعالى بما خطاياهم اغرقوا وتفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى كما في الحدود لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده لانه تخفيف للعقوبة واعراض عن تقويت منفعة البطش والمشي على الجاني ومن لم يخطر بباله هذا التأويل قال قوله هذا دليل على حقه حيث اوعدهم في موضع التغليظ بما وضع التخفيف وليس في الآية ما يدل على انه فعل بهم ذلك او لم يفعل وانه اعلم بذلك (قوله لاضير علينا في ذلك) تعليل ثان لنفي الضير المحذوف وليس مراده ان ما اوعدهم بدان وقع لا يضرهم اصلا بل المراد ان ذلك ليس ضررا بل نفع عظيما لما من حيث كون الصبر عليه مؤدبا الى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات اومن حيث انه من جملة اسباب الانتساب الى ربنا وانه انفعها وارجاعا فغنى الاستثنا عن هذا ان عدم وقوع ما توعدنا به لا ينجينا من الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤدبا اليه فان الانقلاب الى الموت الذي لاحكم على الانسان بعده سوى الله امر كائن لا محالة باي سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شئ من اسبابه لكون اضر من غيره كانه قيل لاضير علينا في ذلك بالنسبة الى سائر اسباب الموت لا ما ماتون لا محالة باي سبب كان فلمنت بهذا السبب والمعنى الاول لاضير علينا بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤدبا الى الكرامة عند الله (قوله تعليل ثان لنفي الضير) هذا ظاهر على تقدير ان يكون خلاصة التعليل الاول انما متقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير في بعضه بالنسبة الى الباقي واما على تقدير كون خلاصته انا الى كرامة ربنا متقلبون بذلك فالظاهر كونه تعليلا للعللة المتقدمة (قوله او على طريقة قول المدل بامر) اي الواثق به قال اادل بالامر اذا وثق به واعتمد عليه (قوله

٦ باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لثلاثون) لفاعلون ما يغيظنا (وانا لجمع حذرون) وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشاروا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعوا اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم

(٤٧١)

حنا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكران والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدى في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالمدال اي اقويا قال

احب الصبي السوء من اجل امه

وابغضه من بغضها وهو حادث اوتاموا السلاح فان ذلك يوجب حذارة في اجسامهم (فاخرجناهم) بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فعملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) يعني المنازل الحسنة والمجاسم البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف (واورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم) وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس (فلما راى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ رأيت الفئتان (قال اصحاب موسى ان المذركون) المحفون وقرئ لمذركون من ادرك الشيء اذا تسابع ففنى الى متابعتهم في الهلاك على ايديهم (قال كلا) لن يدر كوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم (ان معي ربي) بالحفظ والنصرة (سيهدين) طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال ابن امرت فهذا البحر امامك وقد غشيتك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى او مرعبا صنع (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصا البحر) القزم او النمل (فانلق) اي فاضرب فانلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مالك (فكان كل فرق كالظود العظيم) كالجليل المنيف الثابت بقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب (وازلنا) وقرينا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على ائزهم مداخلهم (وانجيت امري ومن معه اجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا (ثم اغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان في ذلك لآية) وأية آية (وما كان اكثرهم مؤمنين) وماتت عليه اكثرهم الذي يؤمن بها احدهم بقي في مصر من القبط وبنوا اسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بالويلات

من سرى) يعني ان سرى واسرى لغتان بمعنى يقال سرى يسرى بالكسر يسرى بالضم وسرى بالفتح واسرى ايضا اي سار ليلاروى اله مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بآبوتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ايات في بيت ثم اذبحوا الحدا وأضربوا بدمائها على ابوابكم فاني امر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابيه دم وسأمرهم بقتل اولاد القبط واخذوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف العجين اي اذى لا يشتعر وكل شيء انجلكه عن ادراكه فهو فطير ثم اسرى بآدى حتى انتهى الى البحر فأتى امرى وموسى لايشعربه (قوله لفاعلون ما يغيظنا) اي ما يغضبنا يقال غاظله واثاظله وغيره اذا اغضبه والاول اشهر وأكثر واختلف في الفعل الذي فاعلهم وضاعت به صدوره فقل ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان انا في هذه الليلة عبيدا فاستعاروا حليهم وحلأهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر فرادهم بالغسل الذي فاعلهم ما اخذوه من العواري وقيل المراد به خروجهم عن عبودية فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد به تحللهم في الدين وخروجهم عنه (قوله المؤدى في السلاح) بالهزة اسم فاعل من أدى الرجل اى قوى من جهة الاداة والسلاح (قوله بان خلقنا داعية الخروج) يعني انهم وان خرجوا باختيارهم الا انه اسند الاخراج اليه تعالى اسنادا بحجازا من حيث انه تعالى خلق في قلوبهم داعية الخروج فاستلزم الداعية الفعل وهو الخروج من جنات اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار جاربة وكنوز اى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنوزا لان مالم يؤد منه حتى الله تعالى كنز وان كان ظاهرا على وجه الارض وما يؤدى منه حتى الله تعالى ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين ويعنى بالمقام الكريم المنازل الحسنة من منازل الامراء والروءساء التى تحدى بها الاتباع (قوله مثل ذلك الاخراج) يعني ان محل الكاف اما ان نصب على انه صفة مصدر محذوف واما الجرح على انه صفة مقام واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرأ العامة فاتبعوهم بقطع الهزة من اتبعه بمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين في وقت شروق الشمس اى طلوعها على ان مشرقين حال امان من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول في وقت شروق الشمس فاتبهم جميعا قال تبعه اذا قفأ أثره وأتبعه اذا لحقه (قوله وقرئ لمذركون) اى بتسديد الدال وكسر الراء من الادراك وهو التابع في الهلاك يقال ادرك الشيء اذا تسابع بعضه بعضا ففنى ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الآخرة اى جهلوا العلم الآخرة قيل الادراك والتابع من الاسماء الغالبة في الهلاك كالداهية والدين والسنة والتكبة والنحط وقوله فاعلق عطف على محذوف والافلاق الانشقاق اى فانشق البحر وتفرق اثنى عشر فرقا اى طريقا لكل سبط منهم طريق وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجليل العظيم كما قال تعالى كل فرق كالظود العظيم والطود الجبل وعظمه لارتفاعه طولا نحو السماء (قوله وقرينا) وقيل جهنا ومنه ليلة الردة اى ليلة الجمع ثم ونحة ظرف مكان بعيد والمراد بذلك المكان حيث انطلق البحر والآخرين مفعول ازلنا والمعنى قربناهم من بني اسرائيل او قربنا بعضهم من بعض وجعلناهم حتى لا يجف منهم احد او قدمناهم للبحر روى ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل الحق آخركم بالولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم الحق آخركم اولكم وروى ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعلنا محجرا وهذا معجزة عظيم من وجود احدها انفرق ذلك السماوات بها اجتماع ذلك الماء فرقا كل فرق كالجليل العظيم وثالثه انه ثبت في الخبر انه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الريح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل فيه عبور بني اسرائيل ورابعها ان الله تعالى جعل في تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض وخامسها ان ابني الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه الصلاة والسلام فجعل الله ذلك البحر طريقا يبالى اسرائيل حتى خرجوا منه سالمين واغرق فرعون ومن معه فانه لما تكامل دخولهم في البحر انطلق الماء عليهم فغرقوا اجمعين (قوله وأية آية) يعنى ان التكسير في قوله لا آية للعظيم والتخفيف فيه تسليية النبي عليه الصلاة والسلام لانه قد علم قلبه المنبر بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقضى من قلبه من الانبياء في الصبر على عناد قومه والانتظار لنجى القرح (قوله وبنوا اسرائيل بعدما نجوا) مبتدأ وسألوا بقره خبره يعنى بعدما نجوا من الغرق ارتد اكثرهم وماداموا على الايمان بربان خبير

أكثرهم يعود الى من عاين هذه الآية العظيمة وأشاع امرها فيا بينهم سواء كان من القبط او من بني اسرائيل ويجوز ان يكون الضمير فيه راجعا الى القبط خاصة فانه روى انه لما يؤمن من اهل مصر غير امره فرعون ووزر قيل من آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموس التي دلت على عظام يوسف فان موسى عليه الصلاة والسلام لما اسرى بني اسرائيل من مصر اراد ان يأخذ معه جسد يوسف فيلجئهم من يعرف قبره سوى تلك المرأة (قولهم سألهم) مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عدة الاصنام فقال اي شيء تعبدون لئنيهم على ضلالهم وكان بكفهم في الجواب ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اي ينفقون العفو الا انهم اطالوا جوابهم بان زادوا قولهم تعبدون ولم يقتصروا على زيادته بل زادوا ايضا قولهم فنظف لها ما كثر ان كان بكفهم في الجواب ان يقولوا بعد اصنامنا فلم يقتصروا عليه بل عطفوا عليه فنظف لها ما كثر انهم اظهروا في نفوسهم من الاتباع والافتقار بعبادة الاصنام والتجسس بتقديم الجاهل على الخبير يقال سمعنا ناسا يجيئوننا بغير حق ففرحتهم وفرح وقال فلما اعل كذابا الكسر ظلالا اذا علت بالنهار دون الليل والظواهر ان عبادتهم الاصنام لا تختص بالبار فلذلك قالوا فنظف لها بمعنى ندوم (قولهم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون) يعني ان حق يسمعون ان يتعدى الى مفعول واحد من قيل الاصوات المسموعة نحو سمعت كلامك وسمعت حديث زيدا ويتعدى الى مفعولين اولهما من قيل الجواهر العينية وثانيهما من قيل الاصوات المسموعة نحو سمعت زيدا يقرأ ولا يجوز سمعت زيدا ولا سمعت زيدا يقوم لان القيام ليس مما يسمع وقوله يسمعونكم من قيل سمعت زيدا فلا بد ان يحمل على تقدير المضارع او على تقدير المفعول الثاني الذي يكون من قيل المسموعات (قولهم ومجيئهم مضارعا) جواب عما يقال ان كلمة اذ ظرف لما مضى والزمان الماضي لا يكون ظرفا لما سيكون فافظا هو ان يقال هل سمعوا دعاءكم واسمعواكم الجواب اذ دعوتهم وتقرر معناها استحضرنا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها قايها وقولوا هل سمعوا واسمعوا اذ دعوتهم وتقرر الحجة التي ذكرها ابراهيم لا يدور قومه ان من عبد غيره لا بد ان يلجئ اليه في قضاء حاجته وان المعبود لا بد ان يكون عارفا مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له في جلب منفعة او دفع مضرة فقال عليه الصلاة والسلام لهم اذا كان الذي تعبدونه ساقطاعن هذه النزلة بالكلية كيف تعبدونه فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه ما يدفعون به بحجة فتمسكوا بالتقليد فقالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اي وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على ان كذلك منصوب يفعلون ويفعلون مفعول ثان لوجدنا ولا ان كان خلاصة جوابهم انا وافقنا آباءنا فمابث بطلانه بما تقدمت من الحجة قال لهم ابراهيم افرايتم ما كنتم تعبدون اتم وآباءكم الا قدمون فان الباطل لا يتقلب حقا بكثرة فاعليه وكونه دأبا قديما ثم انه عليه الصلاة والسلام ترقى في تحطتهم فقال ان ما كنتم تعبدون اعداء لعابديهم فضلا عن ان يتفعوهم او يضرروهم فانهم يتبرأون من عبدتهم ويضادونهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكفوناهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (قولهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم) جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهن جادات لا تتصور العداوة منهن يعني اسما شبهت بالعدو من حيث كونها سببا للحقوق المضرة بهم فسميت عدوا على سبيل الاستعارة وتقرر الجواب الثاني انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عداوتها اعدى عدو الانسان وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازي حيث استند وصف السبب الحامل الى مسييه (قولهم استثناء منقطع) لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير انهم وهو ما كان قومه يعبدون والمعنى لكن رب العالمين الذي شابه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به انغير الصريح لقوله يهدين ليعلم كل ما هداه الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه بقوله لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد وقوله الذي خلقني فمحتمل ان يكون في محل الرفع على الابتداء فحينئذ يكون مبتدأ تاليا يهدين خبره والجملة خبر الاول دخلت الفاء في خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقوله والفناء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ لا يخلو عن بعد لان المقصود ههنا معين ليس بعامة كما في قولك الذي يأتيني فله درهم لان الصلة ليست محتملة صدور من التعدد فلا تنبذ الشرط فافظا هو ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ تكون زيادة الفاء في خبره مبنية على ما ذهب اليه الاخفش من جواز زيادة الفاء في الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون في محل النصب على انه صفة

(والم عليهم) على مشركي العرب (نباء ابراهيم اذ قل
لا يبد وقومه ما تعبدون) سألهم ليرى من انما يعبدونه
لا يستحق العبادة (قالوا نعبد اصناماً فظنل لها
عافكين) فاطلوا جوابهم بشرح حالهم معه بتعجابه
واحتقاراً ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا
يعبدونها بالنهار وون الليل (قال هل يسمعونكم)
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فخذ ف ذلك
لدلالة (اذ تدعون) عليه وقرئ يسمعونكم اى
يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومحيطه مضارعاً مع
اذ على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها
(او ينفونكم) على عبادتكم لها (او يضرون)
من اعرض عنها (قالوا بل وحدثنا آباءنا كذلك
يفعلون) اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع
منهم ضرباً ونفع والتجأوا الى التقليد (قال افرأيت
ما كنتم تعبدون اتم وآباءكم الا قدمون) فان التقدم
لا يدل على المحبة ولا ينقلب به الباطل حقاً (فانهم
عدولى) يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم
يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من
جهة عدوه وان المفري بعبادتهم اعدى اعدائهم
وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفس تدعى ايضا لهم
فانه انفع في انصح من التصريح واشعاراً بانها
بصحة بدأ بها نفساً ليكون ادعى الى القبول
وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب
(الارب العالمين) استثناء منقطع او متصل على
ان التمهيد اكل موعود عبوده وكان من آياتهم من
عبدالله (الذى خلقنى فهو يهدين) لانه يهدى
كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد
كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ
ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب النافع
ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية
الجئن الى امتصاص دم الطمب من الرحم ومجتهاها
الهداية الى طريق الجنة والنعم بلذا آتت ها والفساء
للسبية ان جعل الموصول مبدأ وللعطف ان جعل
صفة رب العالمين

رب العالمين فتكون اشاء لعطف الجملة الاسمية على خلقني لتدل على ان هداية الله الى كل ما يحتاج اليه في امره معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجديد والاستمرار من حين ان خلقه الله فنحن فيه الروح الى ابد الاباد والافين هداية الى ان تغذى بالدم في بطن امه امتصاصا ومن هداية الى خروجه منها مكسرا أسد الى معرفة التدي عند الارتماع والى معرفة البكاء عند الحاجة الى الغذاء او عند حدوث الالام والادواء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد (قولك فيكون اختلاف انظم) يعنى قال خلقني بلفظ الماضى لان خلقه قد وقع على وجه لا يتجدد في الدنيا بل ما وقع بقاء الى ابد العلوم وقال فهو يهدى بلفظ المستقبل لان الهداية لا يتجدد كل حين (قولك تعالى والذي هو يطعمنى ويسقنى) احتاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام وليس الاطعام والسقى صيرتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتخليكما اياه بل يدخل فيهما اعطاه جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام حاله في الدنيا ويهدى به كرمها على ما عداها قيل تقديم كلمة هو في هذه الصلوات دليل على انه لا يهدى ولا يطعم ولا يسقى ويمرض ولا يشى الا الله وحده وذلك انهم كانوا يقولون الممرض من الزمان والاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فأعلم ابراهيم ان المؤثر في جميع ذلك ليس الارب العالمين (قولك ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان الماء كقول والمشروب) فان البطننة تورث الاسقام والوجاع والحاجة اصل الراحة والسلامة وعليه بنى الشاعر قوله

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فان الداء اكثر مازاه * يكون من الطعام او الشراب

وقالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب انقطاع آجالكم لقالوا التخم وفي الحكمة ليس البطننة خبث من خصصة تتبعها (قولك وانما ليسبب المرض اليد) ولم يقل واذا امرضنى مع ان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم تعديد التخم ولم يكتف بالمرض من التخم لاجرم لم يشف اليد تعالى ولم يورد على هذا الجواب ان يقال الامانة اشده من المرض وقد اسندنا عليه الصلاة والسلام اليد تعالى حيث قال والذي يميتنى ثم يحيينى اجاب عنه بأنا لانى انهما اشده من المرض بل ليس فيها ضرر اصلا لان الضرر مما يأتى ذى الانسان باحساسه وحال حصول الموت لا يقع الاحساس به وانما الضرر في مقدماته وهى عين المرض ثم ترقى في الجواب وقال بقاء النفوس الزكية والارواح الطاهرة اسكاملة في العلوم والاخلاق المرضية في هذه الاجساد عين الضرر في حقهم فخلاصهم منها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة في حقهم فلذلك اضافته اليد تعالى (قولك ولان المرض) عطف على قوله لان مقصوده تعديد التخم اى ليسبب المرض اليد تعالى لكونه في غالب الامر يحدث بتقصير الانسان ولما كان للانسان سببية ظاهرة في حدوث المرض نسب اليد وان كان الكلى من عند الله وايضا لما كان حدوث المرض باستيلاء بعض الاخلاط على بعض من حيث انها كانت مكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافر طبعيا وذلك التنافر يستدعى استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعى وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر اخلاطه فلذلك استدايد بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجود الخاص المسمى بالاعتدال النوعى وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليها بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر يقهرها جلها من حيث انها بطبا عنها مائلة الى التفرق واستيلاء بعضها على بعض والسبب القاهر هو الله فلذلك استندت الصحة والشفاء اليه واستند المرض الى العبد (قولك قهرا) منصوب على المصدرية لقوله باستحفاظ لانه نوع من الحفظ والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استعمل قد يكون بمعنى فعل نحو طاف واستطاف (قولك كما لا في العلم والعمل) اى زيادة على ما عطينى من الحكمة وهى العلم الذى يقضى الى العمل بمقتضاه فان من يعلم شيئا ولا يأتى بما يناسب عمله لا يقال له حكيم (قولك وحسن صيت) الصيت الذكرا الجليل الذى ينشرفى الناس دون القبيح عبر عن الثناء الحسن والقبول العام في الامم التى تحبى بعده الى يوم القيامة باللسان لكون اللسان سببا في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكرا الجليل على ألسنة العباد الى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضى الله ومحبة له بعد فاته تعالى اذا احب عبدا يلقى محبته الى اهل السموات والارض فتحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر

فيكون اختلاف النظم لتقديم الخلق واستمرار الهداية وقوله (والذى هو يطعمنى ويسقنى) على الاول مبتدأ محذوف الخبر دلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلوات مستقلة باقتضاء الحكم (واذا مرضت فهو يشفين) عطفه على يطعمنى ويسقنى لانه من روادفها من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان الماء كقول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد التخم ولا يتقضى باسناد الامانة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر في مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى يستحق دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبليّة ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفرط من الانسان في مطاعه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من الشاق والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدره العزيز الحكيم (والذى يميتنى ثم يحيينى) فى الآخرة (والذى اطبع ان يغفر لى خطيئتي يوالدين) ذكر ذلك هضما لنفسه وتعلما للامان يحتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما فرط منهم واستغفارا لما عصى يند منه من الصغائر وجل الخطيئة على كلماته الثلاث اى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هى اختى ضعيف لانها معارضة وليست خطايا (رب هب لي حكما) كما لا في العلم والعمل استند به خلافة الحق ورياسة الخلق (والحقى بالصالحين) ووفقنى لكمال في العمل لا تنظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كميته ولا صغيره (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبوبون له منون عليه

أو يمد يدي تخلفا العاقبة وجواز التعذيب علا
أو يعذب ويب والسدى أو يمد في عداد الضالين
وعو من آخرى بمعنى الهوان أو من الحرابة بمعنى
الحياة (يوم يمتون) الضمير للعباد لا أنهم
معلومون أو الضالين (يوم لا ينفع مال ولا بنون
الذين اتوا بالله بغير حساب) أى لا ينفعان أحدا
الاختصاص سليم القلب من الكثر وميل المعاصي
سائر آفاته أو لا ينفعان الامال من هذا شأنه
وبنوه حيث اتفق ماله في سبيل البر وأرشد بينه
الى الحق وحتمهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا
عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقبل
الاستثناء بما دل عليه المال والبنون أى لا ينفع
غنى الاغناء وقبل منقطع والمعنى ولكن سلامة
من اتى الله بقل سليم تنفعه (وازلفت الجنة
للمتقين) بحيث يرونها من الموقف فيجتمعون
بانهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين)
فيرونها مكشوفة ويتعسرون على انهم
المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح
لباب الوعد (وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون
من دون الله) ابن آلهتم الذين يزعمون انهم
شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب
عنكم (او ينصرون) بدفعه عن انفسهم لانهم
والآلهتهم يدخلون النار كما قال (فكبكبا فيها
هم والغاوين) أى الالهة وعبادتهم والككببة
مكرر الكب تكرير معناه كان من اتى في النار
نكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قرها
(وخودا بليس) متبعوه من عصاة اطفال او شياطينه
(اجهون) تأكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره
ما بعده اول الضمير وما عطف عليه وكذا الضمير
للفصل وما يعود اليه في قوله (قالوا وهم فيها
يستمعون ناله ان كلاني ضلالا ميين) على ان الله ينطق
الاصنام فتخاصم العبد و يؤيده الخطاب في قوله
(اذ تسويكم رب العالمين) أى في استحقاق العادة
ويجوز ان تكون الضمير للعبدة كما في قالوا والخطاب
للباغية في الخصم واندامة والمعنى انهم مع تخصمهم
في مبدأ ضلالهم معترفون بانفسهم كهم في الضلالة
يتعسرون عليها (وما اضلنا الا المجرمون خالسا
من شافعين) كاللغو منين من الملائكة والانبياء
(ولا صديق حميم) اذا اخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدوا والمؤمنين او خالسا من شافعين ولا صديق حميم
من تعسدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة
لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجع الشافع ووحدته
الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق
مصدر كالخين والصهيل (فلوان لناكرة) معنى
او عطف على كرهه أى لو ان لنا انكر فكفون ٣

الصديق لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق و
صدر كالحين والصبيل (فلوان لساكرة) غني
او عطف على كره اي لو ان لنا ان نكر فتكون ٣

الصديق لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق و
صدر كالحين والصبهيل (فلوان لساكرة) غني لل
او عطف على كره اي لو ان لنا ان نكر فتكون ٣

الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء أو لاطلاق الصديق على الجمع كالعدي ولأنه في الأصل مصدر كالخبز والصهيل (فلو أن لناكرة) تمنى للرجعة وأقيم فيه لومقسام ليت لتلاقيهم سافى معنى التقدير أو شرط حذف جوابه (فكون من المؤمنين) جواب اتخني أو عطف على كرامة أي لو أن لنا أن نكر فكون ٣

ثم (ان في ذلك) اي فيما ذكر من قصة ابراهيم (لاية) حجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعترف بانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يفتن الناظر فيها انارة علمه وفيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبية على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالطة معهم وكال اشفاقه عليهم وتصورها الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية ثم ايضا وايقاظهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول (وما كان اكثرهم) اكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم واحدا من ذريتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤمنة ولذلك تصغر على قومية وقدم الكلام في تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم اخوهم نوح) لانه كان منهم (الأتقون) الله فتركوا عبادة غيره (اني لكم رسول امين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله واطيعون) فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله (وما اسألكم عليه) على ما نال عليه من الدماء والنصح (من اجر ان اجري الاعلى رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرهه للتاكيد والتنبية على دلالة كل واحد من امانته وحسن طبعه على وجوب طاعته فيما يدعوه اليه فكيف اذا اجتمعوا (قالوا انؤمن من لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها وما لاجع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جع تابع كشاهد وأشهاد أوتبع كطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيتهم على الخطام الدينية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوه اليه دليلا على بطلانه و اشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو توقع مال ورفعة فذلك (قال وما على بما كانوا يعملون) انهم عملوا اخلاصا واطعوا في طعمة وما على الاعتبار الظاهر (ان حسابهم الاعلى ربى) ما حسابهم على بوطنهم الاعلى الله فانه المطلع عليها (لوتشعرون) لعلمهم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون (وما انابطار المؤمنين) جواب لما اوههم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان انابا الذين يمين) كالهالة اي ما انابا الا رجل معوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او ذلاء فكيف يابق في طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الانذاركم انذارا ينابا لير هان الواضح ولا على ان اطردهم لاسترضائكم (قالوا لن لم تنته يا نوح) عما تقول (تكون من المرجومين) من المشتمين والمضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) اظهارا لما يدعوه عليهم لاجله وهو كذب الحق لتخويفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بيني وبينهم فتحا) فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة (وبتجنى ومن معي من المؤمنين) من قصدهم او شؤم عملهم (فانجيهم ومن معه في الفلك الشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائهم (الباقين) من قومه (ان في ذلك لاية) شاعت وتواترت (وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم)

(٤٧٥)

التعجيل لتكثير الفعل والكبح الطرح والالقاء منكوسا يقال كبت اكبه كبا اذا قلبته فاصل كبكبا ككبوا فاستقل اجتماع الباءات فابدت الثانية كافا كما في ربح من ربحه من ربحه اي تحناه عن موضعه ثم نقل الى باب التثنية فكثير الفعل فقبل زحمة فابدت الحاء الثانية زاياف قبل زحمة اي بعده جعل التكرير في لفظ ككب دليلا على التكرير في معناه كانه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يبلغ قعرها (قوله اجمعون) تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده (فككون الضمائر التي في قوله قالوا وهم فيها يختصمون للجنود ايضا اي يختصم الرؤساء منهم والاتباع ويجادل بعضهم بعضا نحو ما ذكر في قوله تعالى فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انكم لكانتم مؤمنين الى آخر الآية (قوله اول الصبيان) اي وان لم يجعل قوله ويجود ابليس مبتدأ يكون اجمعون تاكيدا لضمير ككبوا وما عطف عليه من العساوين والجنود (قوله وكذا الضمير المنفصل) اي وكذا يكون الضمير المنفصل في قوله قالوا وهم فيها وما يعود اليه في قوله يختصمون راجعا الى ضمير ككبوا وما عطف عليه حيث ان اي على تقدير ان لا يكون الجنود مبتدأ لان الاختصاص يكون بين هؤلاء المذكورين من الاصنام والعبدة والجنود اي شياطين ابليس وهم ذريته الذين اضلوا بني آدم يجادل بعضهم بعضا بان ينطق الله الاصنام فتخاطب العبدة (قوله ويؤيده) اي ويؤيد يكون التخاطب بين العبدة والمعبودين بان يرجع الضمير وما يعود اليه الى ضمير ككبوا وما عطف عليه خطاب المعبودين في قوله نسوبكم وضمير قالوا للعبدة (قوله ويجوز ان تكون الضمائر) اي الضمير المنفصل وما يعود اليه للعبدة كضمير قالوا ويكون التخاطب لبعض العبدة مع بعض ويكون خطاب الجادات في قوله اذ نسوبكم على وجه التنداء والتخسر من غير ان يحيد بها الله وينطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف بالانهمالك في الضلال عن الهدى يقولون وما اضلنا الا الجرمون اي الشياطين وقيل اي الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل كل من دعانا الى عبادة الاصنام من الجن والانس قال تعالى حكاية عنهم ربنا انما طعنا ساداتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل (قوله تعالى اذ نسوبكم رب العالمين) ظرف الاستقرار الذي تعلق به كلمة في في قوله لي ضلال وقوله اوفا لنا من شافعين ولا صديق حميم من نعمهم الفرق بين الوجة الثلاثة ان الثاني في الوجه الاول مطلق الشفع والصديق وفي الثاني شفاعته اشخاص معدودين مخصوصين وصدقاتهم من عدد وهم شفعاء واصدقاء وفي الثالث مطلق نفس الاصدقاء والشفعاء ولا شفاعتهم وصدقاتهم وانما نفوا شفعا على سبيل الكناية عن حيث انما لا تنفع في حكم المعلوم (قوله كالخمين) مصدر حن اليه يحن حننا اي استأق اليه فالحمين هو التسوق وتوقان النفس والتصهيل صوت الفرس يقال صهيل الفرس يصهيل بالكسر صهيلا (قوله تلا فيهم) اي تقدير المعلوم الا انه في المتى محروق بالطلب وفي اوليس كذلك وبدل على ان كلمة لوهنا التي انه نصب جوابه مع الفاء ويجوز ان تكون على اصلها ويخذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ولوجدنا شفعاء واصدقاء وعلى هذا يكون نصب قوله فتكون بان مضرة عطف على كره كقوله لا لبس عبادة وتقرعني (قوله تعالى واتبعك الارذلون) جملة حالية من كاف لك بانضمار قد والذالة الحساسة والذلة وانما استرذلوهم لقلة جاههم ومالهم (قوله وإيمانهم) معطوف على اتبعك المقلين ودليلا معطوف على مانعا اي وجعلوا ايمان المقلين دليلا على بطلان ما يدعوه نوح اليهم (قوله وما على) الظاهر ان ما يدعوه استعقاه مية في محل الرفع على الاستدعاء وعلى خبره ويجوز ان تكون ناغية والباء متعلقة بعلى على التقديرين وعلى الثاني لا من اعتماد الخبر ليم الكلام (قوله اظهارا لما يدعوه عليهم لاجله) يعني ان قوله رب ان قومى كذبون لم يقله نوح فاداه تعالى بمضمون هذا الخبر ولا اعلا ما يكونه عالما بمضمونه لئلا انه تعالى عالم الغيب والشهادة ولكن اراد به اني لا ادعوه عليهم لاجل تخويفهم اياي بالرجم واستخفافهم اياي بقولهم واتبعك الارذلون وانما ادعوه عليهم لاجلك ولاجل دينك ولا نهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاتضح بيني وبينهم فتحا اي فاحكم بيني وبينهم قضاء وحكما من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي به لانه المتخلق من الامر كما سمي فيصلا لفصله بين الخصومات واراد به الحكم بازال العقوبة لقوله عقيبته وتجنبي ولو لا ان المراد ازال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى وقوله تعبون جملة حالية من فاعل تعبون والربع كسر الراء وفتحها جمع ربعة وهي في اللغة المكان المرتفع وكأوا يتنون في المواضع المرتفعة من الطريق اعلاما

كذبت عاد المرسلين) انه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم (اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الاعلى رب العالمين)

تسدير النقص بها دلالة على ان العبد مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والاطاعة فيما يفرح المدعو الى ثوابه ويعد عنه عقابه وكان الانبياء متفدين على ذلك وان اختلفوا في بعض انشراح معبرين من المطامع الدنية والاغراض الدنيوية (أثبتون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) على المارة (تمثون) بمثابة اذكاء نوا يهتدون بالجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او يروج الحياض او بيتا يجمعون اليه اللعب بمن يمر عليهم او قصورا يتحرون بها (وتحذون مصانع) ما أخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (اهلكم تخذلون) فتحكمون شيانها (واذا بطنتم) بسوط اوسيف (وبطنتم جبارين) متسلطين غاشمين يلازمت ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فاقنوا الله) بترك هذه الاشياء (واطيعون) فيما ادعوا اليه فانه انتفع لكم (واتقوا الذي امدكم) اتقوا (كرهه مرتبا على امداد الله اياه) بما يرفعونه من انواع النعم قليلها وتبها على الوعد عليه يدوام الامداد والوعد على تركه بالانقضاء ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساوهم المدلول عليها اجالا بالانكار في الاثبات مبالغة في الاحتياط والحث على التقوى فقال (امدكم باسم ربين وجنات وعين) ثم اوعدهم فقال (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانقضاء (قالوا سوءا علينا) اوعظت ام لم تكن من الواعظين (فاننا لاترعى عما نحن عليه وتغير شق النبي بما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعده (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذي جئنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم بحبي وموت مثلهم ولا بحث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزرة خلق يقتضين اي ما هذا الذي حثت به الاعادة الاولين كانوا يلقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الاعادة قديمة لم يرزل الناس عليها (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه (فكذبوه فاهلكناهم) بسبب التكذيب برجع صرصر (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الاتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الاعلى رب العالمين ائتروكون فيما ههنا آتين) انكار لان يتركوا كذلك اوتد كبير بالعمد في تخليد الله اياهم واسباب تنعيمهم آتين ثم فسر بقوله (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف الثمر اولان النخل اثنى وطلع اثنى النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريح القنن او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات اولان المراد بها غيرها من الاشجار (وتحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين اوصاف ذقن من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وابوعمر وفرهين وهو المبلغ

(٤٧٦)

طولا ليهتدي المارة بها في اسفارهم فعد هود عبثا لاستغنائهم عنها بالجوم (قوله ما أخذ الماء) يعني الحياض واحدا هاديا مصنعا ولعل هناعا باسم والمعنى وتخذون بها ترجون الخلود وقيل معناها الشدايد كما تكلم تخذلون اي تبكون فيها الخالدين ويؤيده ما في مصحف ابي كاسم تخذلون بضم التاء مخففة ومشددة وبفتحهم اولابا صنعتهم المنزل عبثا بالمائة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على طول الامل والغفلة اي تتخذونها اتخذ من يؤمل الخلود بها (قوله غاشمين) اي ظالمين من القسمة وهو الظلم والطش السطوة والاحاذي بفتح فاء ابن عباس اذا ضرب بهم بالسياط وقتلهم بالسيف وقتلهم فعل الجبارين كان ذلك ظلماء وعلموا بالارادة ولا داعية لحكمة والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب (قوله وتغير شق النبي) يعني ان المقابلة تقتضي ان يقال ام لم تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التوبة بين وعظه اياه وعدم كونه من اهل الوعد والتهني وما شربه اصلا بمنزلة ان يقال سوا علينا اوعظت ام كنت جبارا سلا ولا شك انه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال اوعظت ام لم تعظ ولقائل ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لم يكن قولنا هو من الواعظين ابلغ من قولنا هو واعظ لك المبلغ منه وانهذا قالوا ان قول الرخصى في خطبة الفصل احدا لله على ان جعلني من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلني عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه بان المقابلة بين قوله اوعظت وقوله ام لم تكن من الواعظين تأني الجلي على الكمال وتوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من الواعظين اي من اهل وما شربه اصلا (قوله وقرأ نافع) اي وقرأ القرون وهم ابن كثير وابوعمر والكسائي خلق الاولين بفتح الحاء وسكون اللام وهو ما بمعنى الاختلاق والكذب كما يقال خلق الادك واخلفه اي افتره ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا او بمعنى الخلقة والتكون فعلى الاول يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود عليه من الدين اومن الحياة والموت (قوله انكار لان يتركوا كذلك) والمعنى اتقون انكم تتركون في الذي استقر في هذا المكان من التعميم وان لادار للسجادة والهجرة لانكار والتبرج وعلى الثاني تكون الهجرة لتقريب تخليد الله تعالى اياهم في اسباب تنعيمهم آتين بطريق الامتنان عليهم وعد العبد (قوله ثم فسر) يعني ان قوله فيما ههنا مجمل فصله بقوله في جنات وعيون وزروع كما ان قوله امدكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدكم باذانهم وبنين وجنات الخ (قوله لطيف لين) فيكون من الهضم يقتضيه وهو ارق والهزال الجوهرى الهضم بالتحريك انضام الجنين وهو الفرس عيب يقال لا يسبق اعظم من غاية بعيدة ابدا وكون طامع النخل هضميا قد يكون للطف الثمرة وقد يكون النخل اثنى فان طلع البرنى ألطف من طلع اللون والبرنى اجود النر واللون الدقل وهو ارق والنر والاهل المدينة يسمن ماعدا البرنى والجودة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون هضميا بل يكون غليظا صلبا ثم فسر اطلع بقوله وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريح القنن والشمرايح جمع شراخ ويقال له سمر وخ ايضا كاللشكال والعنكول النهاية المشكال العذق فكل غصن من اغصانه شراخ وهو الذي عليه البسر والقنن والعذق والكباسة من الثمر عزلة العنقود والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذي فيه شماريح وهو فاعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو واثنون فيدرا بذات فان قطع منه الشماريح يعوج ويحن على النخل باسما شبه الله تعالى به القمر في ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما مقوس (قوله او متدل منكسر) عطف على قوله لطيف لين فيكون هضم من الهضم معنى الكسر يقال هضم حقه اذا خلطه وكسر عليه حقه والتدلى المتسفل والمنزل عن موضعه تدلى متدل من الشجرة (قوله واخراذ النخل) اي بالذكر مع ان اسم الجنة يتناول النخل وغيره مما يقصد اثباته في البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر النبات حتى كانه ليس من جنس ما يدل عليه اسم الجنة تزيلا للتعارف في الوصف منزلة التعارف في الذات اولان المراد بالجنات ماعدا النخل لان اسم الجنة يصح ان يطلق على ما يستعمل على جميع اشجار البساتين وعلى ما يشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا ما يستعمل على بعضها او يكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة البعض (قوله بطرين اوصاف ذقن) قال ابو عبيدة فرهين وفارهين يقل هما بمعنى فرحين بطرين اشربين وفرق الجوهرى بينهما وقال الفساره الحاذق بالشئ من فره بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر معنى اشرويطر فنقرأ برفهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الايات

(يدل)

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ وَلَا تُلَيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ) استعبر الطاعة التي هي اتقياد الأمر لا مثل الأمر أو نسب حكم الأمر أي أمره مجازا (الذين يفسدون في الأرض) وصف موضع لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما انت من السحرة) الذين سحرنا كثيرا حتى غلب على عقولهم أو من ذوي السحر وهي الرثة أي من الاناس فيكون (ما انت الا بشر مثنا) تأكيده (فانت بائد ان كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه نافذة) أي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعاها كما اقترحوها (لهما شرب) نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقصروا على شربكم ولا تراحموها في شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم اعظم ما يحل فيسوء وهو ابلغ من تعظيم العذاب (فقرحوا) اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول عذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) أي العذاب الموعود (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قرحوا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين أأتون الذكر ان من العالمين) أي أأتون من بين من عداكم من العالمين الذكر ان لا يشار ككم فيه غيركم او أأتون الذكر ان من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانوا قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من يتكلم وعلى الثاني الناس (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لاجل استئساكم (من ازاوجكم) لبيان ما خلق ان اريد به جنس الاناث والتعبير ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا (بل انتم قوم عادون) فجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفروطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه اوعن نهينا او تبعيح امرنا) (تكونن من الخرجين) من المنفيين من بين اظهرينا ولعلمهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عطف وسوء حال (قال اني لعلمكم من القالين) من المبغضين

غاية البغض

يدل على ان الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستملاء والبقاء والتفرد والجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الجسدية وهو طلب الماء كونه المشروب والمساكن الطيبة انتهى كلامه فقال صالح عليه الصلاة والسلام يقوم على سبيل الانكار والتوبيخ وتحتون ثم قال فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون ويحتمل ان يقوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها (قوله استعبر الطاعة) ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للامر كما ان الامثال يكون للأمر يقال اطيعوا الله واشتروا أمره فلما قيل في هذه الآية ولا تليعوا أمر السرفين تعين المصير الى الخبز وذلك اما بان يشهد الامثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يغضي الى وجود المأمور به فاطلق اسم الشبهة وهو الطاعة واريد الامثال ثم اشتق منه قوله ولا تليعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالعنى ولا تمتثلوا أمرهم واما بان يحمل الكلام على الاستناد المجازي فان حق الطاعة ان تسب وتعلق بالامر فنسبت الى امره وجعل الامر مطاعا والمراد الامر للملابسة بينهما (قوله وصف موضع لاسرافهم) حيث تعين به ان المراد بالاسراف لاسرافهم على انفسهم بالتردد على الله تعالى فيدخل في السرفين كل من افسد في الارض بالكفر والظلم ولا يصلح بالايمان والعدل من ان يسجد رطط الذين عقروا الناقة وغيرهم (قوله الذين سحرنا كثيرا) على ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرة بعد اخرى وعلى الثاني يكون بناء التفعيل للسببة الى السحر (قوله كما اقترحوها) متعلق بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا ان ينافقه شربا فخرج من هذه الجرة فتدس سقيا مثلها فاقعد صالح فيفكر فقال له جبريل صلى ركنين وسر بك النافذة ففعلت النافذة بركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم * عن ابي موسى الاشعري قال رأيت مبركا فاذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول قوله لهما شرب ولكم شرب يوم معلوم قال فتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كلد وشربهم في اليوم الثاني لا تشرب هي فيد والى قوله ولا تمسوها بسوء ثم ان مصلعا الجأ الى مضيق في شعب فرماها بسهم فسطقت ثم ضربها بقدر في عرقوها (قوله لان عاقرها انما عقرها برضاهم) روى ان عاقرها قال لا عقرها حتى ترضوا الجدين وكانوا يدخلون على المرأفة خدرها فيقولون اترضين فنقول نعم وكذلك صيبتهم (قوله اأتون من بين من عداكم) فعلى هذا الوجد يكون من العالمين جالما من فاعل اأتون انكر عليهم ففردهم واخصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين أي التاكيد وعلى الثاني يكون حالما من الذكر ان اكبر عليهم اختيارهم الذكر ان من جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم (قوله فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم) فتكون الآية دليلا على حرمة ابدان الزوجات والملوكات (قوله او احقاء بان توصفوا بالعدوان) أي الظلم يقال عدى عليه ونعدى عليه واعتدى عليه كله بمعنى وعلى هذا الوجد لا ينظر الى متعلق العدد وان اصلا فوجه الاضراب على هذا انه جعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله رتكون هذه الجريمة ثم اضرب عنه الى ما هو ابلغ في التوبيخ فقال بل انتم بارئكم اقوم عادون أي احقاء بان توصفوا بالعدوان بارتكابها كانه قيل بل هي معظم الجرائم والمعاصي ولا يستحق المرء ان يوصف بالعدوان بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون تعلق عادون بالفعل مرادا ثم قال لهم بعدتو يختم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون عن حد الشهوة اناس بل الحيوانات او تجاوزون الحد في ارتكاب جميع المعاصي وهذا الايمان من جملة تعديكم وافرطكم وهو كالايضاح لما قبله (قوله ولعلمهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عطف) يعني انهم لم يقولوا اخرجتكم بل قالوا لتكونن من الخرجين بلام العهد للبالغة في الوعيد والاشارة الى انهم يفعلون به من الاخراج على الحالة السيئة ما فعلوا بغيره ولما جاز مع هذا الاحتمال ان تكون اللام جنس الخرجين فتكون اشارة الى انهم اخرجوا كثيرا من الناس وهم قادرون على اخراجهم ايضا قال المصنف ولعلمهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله تعالى عن فرعون قوله لا تجعلك من المسجونين (قوله من المبغضين) يعني ان قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله من القالين متعلق بمحذوف أي لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قال خبر قوله واتى ومن القالين مسند وقوله لعلمكم متعلق بالخبر المحذوف ولوجعل قوله من القالين خبر اني اعمل القالين في عملكم فيفضي الى تقديم الصلة على الموصول قال ابو البقاء أي اقال من القالين فنصف الخبر متعلق بمحذوف واللام متعلق بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة اذ لو جعلت من القالين الخبر لا عملت في عملكم (قوله

لا أقف عن الإنكار عليه بالإعاد) كأنه قيل كيف انتهى عن نهيك وتبيح امركم وإني لمعلمكم من القالين وقيل في وجه كونه جواباً عن إعادهم إياه. بالخراج ان معناه كيف توعدونني بالخراج من بينكم وإني لمعلمكم الذي تعملونه من البغضين اكره المقام فيكم وانبض روية عملكم الذي تعملونه فيكون في اخراجي ايبصال الراحة لي ولولا امر الله تعالى ابي بالمقام فيكم لا دعوك الى الحق لما كنت اقيم بينكم لتسدة بنطى عملكم (قوله مقدرة في الباقيين في العذاب) يعني ان في الغابرين صفة لقوله نجوزا وان المراد بالغابرين الباقيين في العذاب ولما كان ظاهراً للنظم دال على ان الجوز موصوفة بكونها باقية في العذاب وقت تيجية لوط واهله وليس كذلك لكونها من الآخرين الذي دمرهم الله بعد تيجية الناجين بحكم كلمة في قوله تعالى ثم دمرنا الآخرين ذكر ان ليس معنى الكلام الانجوزا غيرة اى باقية في العذاب بل المعنى الانجوزا مقدراً غيورها في العذاب الشديد اذ كانت مع الخارجين من القرية المؤتفة بالامطار عليهم فانهما خرجت من بين القوم مع لوط كسائر اهله فصارت من شذاذ القوم فاهلكت بماهلك الله به الشذاذ وهو صفة لها بعد وقت التيجية ثم نقل توجيهها آخروها وان يكون المعنى الانجوزا غيرة في القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التيجية (قوله على شذاذ القوم) اى على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بانفك بلدتهم عليهم والخسف بهم فيكون المعنى ان الله دمر قوم لوط بعد ان انفك والامطار دمر من كان في بلدتهم بالانفك ومن كان خارجاً عنها بالامطار قال الله تعالى فلما جاء امرنا فجعلنا عليها سافها وامطرنا عليها حجارة من سجيل يقال انفكت البلاد باهلها اذا انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد التي قلبها الله على قوم لوط صيحت مؤتفكات لكونها مقبليات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله بالانفك حتى اتبعه مطراً من حجارة (قوله الايكة غيضة) اى موضع يفيض فيه الماء ولا يسيل منه الى المواضع الغائرة فثبت فيه الشجر (قوله وقرئت كذلك مفتوحة) اى قرئت اصحاب ايكة بفتح التاء على ان ايكة غير منصرفة للعلية والتأنيث فلذلك ففتحت في موضع الجر ومن قرأ اصحاب ايكة بالجر قال اصله اصحاب الايكة على ان ايكة اسم جنس عرف بلام التعريف ثم خففت الهززة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت للسالكين واستغنى عن الف انوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الالجر كما تقول مررت بالاجر على تحقيق الهززة ثم تخففها فتقول بالجر فان شئت كتبت في الخط على ما كتبت اولاً وان شئت كتبت بالخط على حكم لفظ الالاف فلا يجوز حينئذ الالجر بالاضافة كما لا يجوز في الايكة الالجر (قوله وكان اجنبيا منهم) اى وكان اخامدين في انساب فلذلك قال الله تعالى في آية اخرى والى مدين اخاهم شعيباً انه عليه الصلاة والسلام كلفهم بامور امرهم ولا يافوا الكيل ونهاهم عن التطفيف في الكيل والوزن حيث قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين اى من الناقصين له يقال خسرت الشيء بالفتح واخسرته اى نقصته ثم نهى عن نقص حق المسكين باى طريق كان كنقص العدد والوزن ودفع الى ان يف مكان الجيد والنصب والسرقة والتصرف بغير اذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حته اذا انقصته اياه (قوله ففعلاس يتكرير امين) الظاهر ان يقال فعلال لان التكرير يقتضى ان يوزن المكرر بلفظ ما قاله ثم نهاهم عن افساد شئ مما خلقه الله تعالى وصوره بقوله ولا تموتوا في الارض مفسدين به قال عشا في الارض يموتوا افسد وكذلك عشا بانكسر يعنى وانما قيده بقوله مفسدين لان افساد الصورة او الخلقة وان غلب في الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كقبالة الظالم المتعدى بفساده ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة (قوله وذوى الجيلة) على ان الجيلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق به الخلق فلا بد من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهى القطعة كدروسدر في جمع سدرة فقال عليه الصلاة والسلام في جوابهم في اعلم بما تعلمون بديانه اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب المنزل عليكم في وقت المقدركم (قوله على نحو ما اقترحوا) يقولهم فاسقط علينا كفاً من السماء هذا على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء السحاب لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعدما حبس عنهم الريح واستولى عليهم الحر الشديد سبعة ايام فاخذ بانفسهم بحيث لا ينعفهم ظل ولا ماء فلما اظلتهم السحابة وجدوا الهباردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم ناراً فاحرقتهم واماعلى تقدير ان يكون مرادهم بالسماء المظلة فحينئذ يكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه (قوله وامطراد نزول العذاب على تكذيب الامم الخ) جواب عما يقال لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعدا وتعود وقوم لوط

٩ مبالغة في تكذيب (وان ظنك لمن الكاذبين)

في دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة منها ولله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من الصادقين) في دعواك (قال رب اعلم بما تعملون) وبعبارة المنزل عليكم ما اوجب لكم عليه في وقت المقدرة لاحالة (فكذبوه) فأخذهم عذاب يوم الظلة (على نحو ما افترحو ابا ن سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم وأظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا) انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للكاذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لامواخذة على تكذيبهم

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك (تقرير لحقيقة تلك القصص وتبييد على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها من لم يعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل وانقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل ولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما يشهد من التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فيتنش بها لوح التخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله على وحيد وقرأ ابن عامر وابوبكر وحزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والامين (لتكون من النذرين) عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك (بلسان عربي مبين) واضح المعنى لثلاثة ولوا ما نصنع عما لا تفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالنذرين اي ان تكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام (وانه لفي زبر الاولين) وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة (اول ما يكن لهم آية) على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ان يطلع علماء بني اسرائيل) ان يعرفوه بنعت النبوة في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا

وغيره لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرأت الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل الجيوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وعما يقال ان الله تعالى قد ينزل العذاب بمحنة المكلفين وابتلاء لهم على ما قالوا وانبأو نكم حتى تعلم الجاهدين منكم والعسايرين وقد ابتلى المؤمنين بانواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء القوم دليلا على كونهم مبطلين مؤخذين بذلك ثم انه تعالى لم يذكر قصص الانبياء لرسوله صلى الله عليه وسلم اتبعه بذكر ما يدل على نبوته فقال وانه اي وان القرآن وما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين اي المنزل على ان النزل بل بمعنى المنزل اولد وتنزيل على حذف المضاف وجازعود ضمير انه الى القرآن وان لم يجزله ذكر للعلم به والقرآن المنزل لما كان مشتملا على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقريرا لحقيقة تلك القصص والباء في به على القرآن تيمن للتعدية او للملازمة فعلى الاول تتعلق بنزل وعلى الثاني تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك ولتكون متعلقان بنزل ويجوز ان يتعلقان بنزل والمعنى وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيضعف من حيث الفصل بين المصدر ومفعوله بجمله نزل به الروح الامين الان هذه الجملة اعتراضية جئ بها للتأكيد فلم تكن اجنبية وان مثل هذا مقتضى فيما اذا كان المعمول ظرفا وعد به وسعى جبريل روحا لكونه سببا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والاطاعة من حيث ان الوحي الذي فيه الحياة من موت الجاهلية يجري على يده وقيل سمى روحا لانه روح وليس بجسم فيد روح وسمى امينا لانه مؤتمن على ما يؤد به الى الانبياء (قوله والقلب ان اراد به الروح فذاك) اذ القرآن المنبسط بكسوة الحروف والا لفساد انما انزل على روح رسول الله لاعلى مجرد الجسد اذ ليس للجسد حظ من ادراك المعاني الروحانية والقلب وسائر الاعضاء والحواس آلات الادراك والمكلف والمخاطب والمدرك انما هو الروح لا الا أعضاء والآلات الا انه يجوز ان يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلا قد خفي ان يكون جعل القرآن نازلا على قلبه مع انه نازل عليه لاعلى عضوه منبسطا على كون القلب موضعا لقوة العقل والنظم فان الروح انما تدرك تلك القوة المودعة في القلب فلا جرم تنتقل المعاني الروحانية التازلة على الروح الى القلب لما يشهد من التعلق على الوجد المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوة العقل والنظم هو الدماغ لا القلب استند لآيات طريان الافة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبأن الحواس التي هي آلات الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المصنف الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التي يستعين بها الروح في ادراك المعاني فذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب وظهور آماره فالقرآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به كساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله الى جبريل وجعله امينا عليه لئلا يتصرف في حقائه ثم نزل به كما هو على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعرفه ويتخاطب بخلق وبتنويره وتورق بانواره ويخلى بحقائقه ففهمه ويمكن من تفهيمه لغيره فهو عليه افضل الصلاة والسلام مختص بهذه الرتبة العالية والكرامة السنية من سائر الانبياء فان كتبهم انزلت عليهم بالاوحاح والصحائف جلالة واحدة فهي منزلة على صورهم وظواهرهم لاعلى قلوبهم (قوله فهو متعلق بنزل) فيكون صريحا في ان القرآن انما انزل عليه عريسا كما في آية اخرى انا انزلناه قرآنا عربيا لعلهم يفهمون الباطنية من انه تعالى انزله على قلبه عليه افضل الصلاة والسلام غير موصوف بلغة واسان ثم انه عليه افضل الصلاة والسلام اداه بلسان العرب المبين من غير ان انزل كذلك (قوله وان ذكره) لما كان ظاهر النظم يدل على ان عين القرآن العربي المبين مثبت في سائر الكتب السماوية وظاهر انه ليس كذلك لان هذا فاسد مخالف للنص والاجماع احتج الى تقرير المضاف اي ان ذكر القرآن وانزله على النبي عليه افضل الصلوة والسلام المبعوث في آخر الزمان او ان اصل معنيته مثبت في كتبهم على معنى انه تعالى اخبر في كتبهم عن القرآن وانزله في آخر الزمان وانه تعالى بين اصول معانيه في كتبهم لان جميع ما فيهم من الاحكام والامثال مثبت فيها وبه احتج ابو حنيفة في جواز اشرافه بالفارسية في الصلاة وهذا كقوله ان هذا في الصحف الاولى وقال مقاتل تغديرا لا يتوان محمد عليه افضل الصلاة والسلام ونعتة وذكره اني كتب الاولين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (قوله وهو تقرير لكونه دليلا) يعني ان الاستفهام في اول ما يكن لهم آية استفهام تقرير بمعنى قد كان علم علماء بني اسرائيل به آية اي علامته على صحة نبوته لهؤلاء المنكرين نبوته فانه قد روي

وقرأ ابن عامر تكبى باسماء وابنه بالرفع على انها الاسم
والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم
حال او ان الاسم ضمير الفصحة وآية خبر ان يعلمه والجملة
خبر تكبى (ولو زلتاه على بعض الاعمى) (كاهو
زنادة في اعجاز اوله الميم) (فقرأ عليهم ما كانوا به
مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم اول علم فهمهم
واستكافهم من اتباع الميم والاعمى جمع الاعمى
على التحقيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك
سلكناه) ادخلناه (في قلوب الجرمين) والضمير
للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فدل
الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن ان ادخلناه
فيها فصرفوا ما فيه وباجازة ثم لم يورثوا عتادا
(لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) المجيئ الى
الايمن (فأبهم نفثة) في الدنيا والاخرة (وهم
لا يؤمنون) (ون) بآية (فيقولوا اهل نحس منظرون)
تسمرا وتأسفا (أعدنا لنستعجلون) فيقولون
امطر علينا حجارة من السماء فائتانا بعدنا وحالهم
عند نزول العذاب طلب النصرة (أقرأيت ان منعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يعنون) لم يغن عنهم تمتعهم المتناول
في دفع العذاب وتخفيفه (وما اهلكنا من قرية
الا الهامندرون) انذروا اهلها الزام المحبة
(ذكرى) تذكرة ومحلها الصب على العلة او المصدر
لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة مندرون
باعتبار ذوا او يجعلهم ذكرى لامعانهم في تذكرة
او خبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين)
فهلك غير الظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به
الشیاطين) كما زعم المشركون انه من قبل ما تنزل
الشیاطين على الكهنة (وما ينبئ لهم) وما يصح
لهم ان يتزلوا به (وما يستطيعون) وما يقدرون
(انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمرولون)
لانه مشروط بمشاركة في اصفاء الذات وقبول
فيضان الحق والانتعاش بالصور المملوكة ونفوسهم
خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تنقل ذلك والقرآن
متنقل على حقائق ومفاتيح لا يمكن تلقيها الا من
الملائكة (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من
المعذنين) تخرج لزيادة الاخلاص ولطف لسائر
المكلفين (وانذر عشيرتک الاقربين) الاقرب منهم
فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت
صعد الصفواناداهم فخذوا فخذ احتي اجتمعوا اليه
فقال لو اخبرتمكم ان يسفح هذا الجبل خيلا اكرم
مصدق في قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد (واخفض جاحك لمن اتبعك من المؤمنين)
لين جانبك لهم مستعار من خفض الضار جناحه
اذا اراد ان يحيط

ان اهل مكة بعثوا رسولا الى اليهود الذين كانوا في المدينة بألههم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا نجد ذكره ونعت في التوراة فهذا او ان خر وجه فكان ذلك آية على صدقه وحقيقته (قوله وقرأ ابن
عامر تكبى) اي بالثاء من فوق ورفع آية والباء قون يكن بالياء من تحت ونصب آية فيحتمل ان تكون كان فيها
تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة تكون آية فاعلا لها وان يعلمه بدلا منها ولهم حالا منها او متعلقا بكان اي
اولم يحصل آية كآية لهم وهي علم علماء بني اسرائيل اولم يحدث لهم علامة علم علماء بني اسرائيل وان كانت
ناقصة جازا ان يكون لهم خبر تكبى مقاما على اسمها ويكون آية اسمها وان يعلمه بدلا او خبر محذوف وجاز
ان يكون اسمها ضمير الفصحة المستتر فيها وقوله آية ان يعلمه جلة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة لمحل على
انها خبر كان كما تقول كان زيد يمدنطاق على معنى كان الامر هذا ولا يجوز ان يكون آية اسم كان وان يعلمه خبرها
اذ عين ان يجعل اسم كان هو المعرفة منهما وقد يبيح عكس هذا في الشعر (قوله تعالى يا أيهم) معطوف
على قوله يروا وقوله فيقولوا اعطف على أيهم وظاهر النظم يدل على ان تكون مفاجأة العذاب واقعة عقب
رويت ويكون سؤال النظرة واقعا عقب مفاجأة وليس كذلك بل الذي يقع اولاه هو المفاجأة ثم الروية
ثم سؤال النظرة فوجب ان لا يكون كلمة الفاء فيها للترخي الزماني بل تكون للترخي الزماني بان يكون المعنى
لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب المجيئ الى الايمان فاهو استد من روية وهو لحوقه بهم مفاجأة فاهو اشد
مند وهو سؤالهم النظرة مع القطع بان تناعها فانهم يرون العذاب عند معانية ملائكة الملائكة او في الآخرة وهم
يعلمون في ذلك الوقت ان لا خلاص لهم ولا امهال وانما يؤمنونه باللا واسترواحا ثم انه تعالى لما وصف عذاب
المجرمين بان رويت فنجيهم الى الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون الى سؤال النظرة والامهال طرفه
عين فلا يجابون اليها قال على سبيل التبيك والتوبيخ الذين كانوا يستعجلون العذاب في الدنيا بمثل قولهم
امطر علينا حجارة من السماء وقولهم ان نوء من لك حتى تسقط علينا كتفا من السماء ونحو ذلك افعدنا
يستعجلون اي فكيف يستعجلون ما يأتيهم بغتة ويألمون عند رويت الامهال فلا يعلمون لحظة والمساقل
لا يستعجل ما فيه هلاكة ثم قال تعالى افرأيت اي افعلت يا محمد ومعناه اعلم (قوله تعالى ما اغنى) كلمة
ما فيه يجوز ان تكون استفهامية في محل نصب مفعولا مقديلا لثني وما كانوا هوانا على وكلمة ما فيه مصدرية
والعنى اي شيء اغنى عنهم كونهم متمتعين وان تكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوف اي لم يغن عنهم تمتعهم
شأ وقري يمتعون بالساكن الميم وتخفيف الاء من قولك امتع الله زيد بكنا (قوله ومحلها التصب على العلة)
اي لقوله مندرون والمعنى الالهة مندرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون معمولا لاهلكننا فان اتني
فيه لما تنقص بالاو كان المراد بالقرية القرية الضاللة آل المعنى الى قولك اهلكنا القرية الضاللة بعد الزام المحبة
بارسال المذنبين اليها اهلا كهاتذكرة لغيرها ويحتمل ان يكون ذكرى في محل انصب على انه مفعول مطلق لقوله
مندرون من قبيل قعدت جلوسا لان انذروا ذكر مقاربان كانه قيل يذكرون تذكرة ويجوز ان يكون مفعول فعل
محذوف من لفظه اي يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لندرون ثم انه تعالى بعدما وصف القرية ان ياه تنزل
رب العالمين ونبهه على اعجازه وعلى نبوة نبيه رد قول من زعم من الكفر رانه من الفناء الجبن والشیاطين كسائر
ما ينزل على الكهنة ل وما تنزلت به الشیاطين (قوله في صفات الذات) اي في الصفات اللازمة لذوات
الملائكة مثل كونهم اجساما نورانية خيرة طائفة لله تعالى ظاهرة عن دنس الذنوب والمعاصي مسحين الميل
والتهار لا يخشون واعلم ان اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله كلها صفات الذات على معنى انها قديمة قائمة بذات
الله لكن المعتزلة قسموا صفات الله الى صفات الذات وصفات الافعال وقالوا كل ما يصح ان ينسب ويبنى فهو من
صفات الفعل كالخلق والتزويق والامانة والاحياء وما ليس كذلك كان من صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة
وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات (قوله ولطف لسائر المكلفين) فان
اكرم خلق الله تعالى عليه الصلاة والسلام لما خوطب بانك لو اتخذت من دوني الها العذبتك معك اكرم الخلائق
عندى كان زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمع من المكلفين بعد تبيين عن يده على ازدياد الاخلاص
(قوله مستعار من خفض الطائر جناحه) شبه التواضع ولين الاطراف والجوانب عند مصاحبة الاقارب
والاجانب يخفض الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق على المشبه اسم الخفض على سبيل الاستعارة

التصريحية ثم اشتق منه قوله واخفض جناحك (قوله ومن للتبيين لان من اتبع اعم من اتبع لدين او غيره)
فان قيل من التبيينية يجب ان يكون ما قبلها اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان
ولم يظهر كون من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لا يحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان في الوجود وتلازمان
في المفهوم فلا وجه للتبيان ظاهرا الا ان المتبعين اعم في نفس الامر من المؤمنين لانه ينسأل من اتبعه عليه
الصلاة والسلام في امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لا يتناول الا من اتبعه في امر الدين وهذا الاعتبار صحيح
ان يكون كلمة من للتبيين لالتبعيض لان مدخول من التبعية اعم مما قبلها على عكس من اليانية ولما جعل
من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان تكون من تبعية وانما تكون كذلك ان لو اراد بمن اتبعك المتبعون
في امر الدين ظاهرا او باطنا وبالمؤمنين ماهو اعم من ذلك بان يراد بهم الذين شافوا الايمان وكانوا بصدد
وسعاهم الله مؤمنين باعتبار ما يؤيد اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان تكون من للتبعيض بهذا
الاعتبار كانه قيل واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة او يراد بهم الذين صدقوا باللسان
فانه ايضا اعم من الذين اتبعوا حقيقة (قوله وقرأ نافع وابن عامر فتوكل) اي بالفاء بان جعلها ما بعد الفاء
كالجزء لقوله فان عصوك من تباعلي وجعله بدل من الجزاء المتقدم وقرأ الباقون بالواو وجعله لجرد عطف
الجملة على جملة اخرى من غير ملا حظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعز ليدل على انه يقدر
على قهر اعداء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصره عليهم واعلاء كلمته برحمة وقوله الذي يراك
يجوز ان يكون مر فوخ المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وان يكون منصوب المحل على المدح ومجوز المحل
على انه صفة او يدل اويان (قوله وتقلب) عطف على مفعول يراك اي ويرى تقلبك لما وصف الله تعالى
نفسه بالرحمة ليؤذن رسوله عليه الصلاة والسلام بانه بار رحيم عليه اتبعه ماهو كاسبب تلك الرحمة وهو
قيامه الى التمسك في جوف الليل وتقلب في تصفح احوال اهل التمسك ليطالع على اسرار امرهم ويحتمل ان يكون
المعنى يراك حين تقوم في الصلاة ويرى تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والعودة فقوله في
الساجدين معناه مع المصلين في الجماعة فكان حاصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع
المصلين والدندنة الصوت الخفي يقال دندن اذا خفي كلامه وفي الصحاح الدندنة ان تسمع من الرجل نغمة
ولا تغهم ما يقول وقيل الدندنة الصوت والترنم ثم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبو الى ان آباء النبي عليه
الصلاة والسلام كانوا مؤمنين وتمسكوا في ذلك بهذه الآية بالخبر ما عدهم الآية فقالوا قوله تعالى وتقلب في
الساجدين يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد
كما تقول نحن واذا احتمل هذه الوجوه وجب حل الآية على الكل ضرورة انه لا منافاة ولا رجحان وبما الخبر
فقوله عليه افضل الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاص الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا
فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى واذا قال ابراهيم
لايبد آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابنه يعقوب نعت الهك والله آبائك ابراهيم
واسماعيل واسحق فسموا اسماعيل اباه مع انه كان عمه وقال عليه الصلاة والسلام ردوا على ابي يعنى العباس
ويحتمل ان يكون متخذ الاصنام آبا لانه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله
وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جذه من قبل الام ثم قال الامام واعلم انا تمسك بقوله
تعالى لا يه آزر وما ذكره صرف اللفظ عن ظاهره واما حل قوله تعالى وتقلب في الساجدين على جميع الوجوه
فغير جائز لما بيناه من ان حل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث فهو خير واحد فلا يعارض انقراء
(قوله يلقون السمع) في محل الجر على انه صفة كل افاك لكونه في معنى الجمع وتكون الضمائر كلها
للافاكين (قوله فيقرها) بضم الفاء اي يصبها يقال قررت على رأسه الماء اذا صببته عليه وقر الخديث
في اذنه يقره كانه صب فيه والذي قاله عليه الصلاة والسلام كانه قبل ان اوحى اليه وبعد ذلك فمن يستمع
الا ان يجده شهابا رسدا قال مقاتل ان الله تعالى اذا اراد امر في الارض اعلم به اهل السموات من الملائكة
فتكلموا به فيما بينهم فتسمع الشياطين فترميهم الملائكة بالشهب فيختطفون الخطفة فذلك قوله تعالى يلقون السمع
الخ فاعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين وتكون جملة يلقون السمع حالا من الضمير في تنزل

ومن للتبيين لان من اتبع اعم من اتبع لدين او غيره
اول التبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون
للايمان او المصدقون باللسان (فان مصوك)
ولم يتبعوك (فقل اني بريئ مما تعملون) مما تعلمونه
او من اعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم)
الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه بكفة
شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع
وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط
(الذي يراك حين تقوم) الى التمسك (وتقلب
في الساجدين) وترددك في تصفح احوال الساجدين
كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك
الليلة بيتوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على
كثرة طاعتهم فوجدوها كبروت الزناير لما سمع بها
من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرءان وتصرفك
فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والعودة
اذا اتممت وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي
بها يستأهل ولايته بعد ان وصفه بان من شأنه
قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وطمينا
لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تنوله (العلم)
بما تنو يد (هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك أثيم) لما بين ان انقراء لا يصح
ان يكون مما تنزل به الشياطين اكد ذلك بأن بين
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان تنزلوا
عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شري
كذاب كثير الاتم فان اتصال الانسان بالقائبات
لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلوات
الله عليه وسلامه على خلاف ذلك وثانيهما قوله
(يلقون السمع واكثرهم كاذبون) اي الا فاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيلقون منهم ظنونا
وامارات لتقصان علمهم فيضنون اليها على حسب
تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كاجاء في الحديث
الكلمة يحطفها الجن فيقرها في اذنه وليد فيريد فيها
اكثر من مائة كذبة

(قوله وقد فسر الاكثر الكل) جواب عما قال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم بان كل واحد منهم افاك وحاصله ان كونهم كاذبين مقترن في الخبر في اكثر ما يحكيه عنهم لا يتنافى كونهم افاكين كثيرا الكذب وقوله ولا كذلك محمد فانه لا يتنافى ما خبره من الشياطين فيزيد فيه كذبات كما فعله الكهنة كيف ولم يظهر في اخباره عليه الصلاة والسلام خلاف ما اخبر به ولما بين حال الكهنة بانهم كاذبون كثيرا والاثم بخلافه عليه الصلاة والسلام فان حاله الدعوة الى الله تعالى وطاعته والترغيب في الآخرة والتفريع عن الدنيا بين ما يميز به عن الشعراء فقال والشعراء يتبعهم الغاؤون اي الضالون ثم بين غوايتهم بأمرين الاول انهم يميون ويذهبون في كل واحد والثاني انهم يقولون ما لا يفعلون فانهم يرغبون في الجود وينفرون عن البخل ويقدرحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه قد كان رضى نفسه الكريمة اولاً ثم لم يدع احدا من الناس الا الى ما هو راسخ اوحدى فيه فكيف تشبه حاله حال الشعراء والنسب مصدر قولك نسب الشاعر بالمرأة بنسب بالكسر اذا ذكر صفات حسناتها وذكر حاله معها في الشعر والغزل اسم لحادثة النساء ومرواودتهن وعرض الاشياق اليهن والابتهاج بالاشتهار بحب واحدة من النساء يقال اجهر فلان بفلانة اي اشتهر بها ويقال ايضا على ادعاء الشيء كخداو حرم الرجل اهله وسكان حرمه من نحو زوجته وامه وبتدتم انه تعالى لما وصف الشعراء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لما بين عليه الصلاة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى منهم شعراء المسلمين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همتهن ومقبرهم وقيل المراد باكثر ان ذكر الله تعالى ان يكون شعرهم في التوحيد والثناء على الله تعالى وفي النبوة ودعوة الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ما ظلموا اي لا يدركون هجوا الاعلى سبيل الانتصار من يهجوهم ثم الشرط فيه ترك الاعتداء فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم عن ابي رواحه رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون الى آخر الآية خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعراء المسلمين وقال كعب بن مالك يا رسول الله ماذا تقول في الشعراء فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكانتكم تضخونهم بالنبل اوترومونهم بالسيف عن عروة عن عائشة انها كانت تقول الشعر كلاما فنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح واصحاب الشعراء طبقات الجاهليون كاجري القيس وزهير والنخضر موم وهم الشعراء الذين ادرى كوا الجاهلية والاسلام كحسان وليد والتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجريرو يستشهدوا بشعارهم ثم المحدثون كابي تمام والجنزى ولا يستشهد بشعرهم (قوله لما في سيعلم من الوعيد البليغ) لان السين تدل على ان ذلك كان لا محالة (قوله حين عهد اليه) اي حين اوصاه من العهد وهو الوصية قال الله ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان اي ألم اوص اليكم روى انه لما ايس ابو بكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو هذا ما عهد ابن ابي خافه الى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر قال بعد ما غشي عليه وأفاق اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظني فيه وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال الزجاج اي منقلب منصوب ينقلبون على المصدر لا بقوله سيعلم لان أنا وسائر الاسماء الاستفهامية لا يعمل فيها ما قبلها وقدم على عاملة لتضمن معنى الاستفهام وهو متعلق بسيعلم ساد مسد مفعوليه وقال ابو البقاء اي منقلب صفة مصدر محذوف اي ينقلبون انقلابا ورد بان اي الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه فان ايا ينقسم الى اقسام كثيرة وهي اشعرطية والاستفهامية والموصولة وما تكون صفة وغير ذلك تمت سورة الشعراء بموعود الملوك الوهاب وحسن الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة التل تسعون وخمس آيات مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله الاشارة الى آي السورة) بناء على ان طس اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبدأ أولها وذاك مبدأ ثلث آيات القرءان خبر الثاني والجملة خبر الاول والاشارة فائقة مقام العائد ولا بد في المبدأ الاول من تقدير المضاف اي آيات طس لتصح الاشارة اليه بتلك وتخيبر عنه بانها آيات القرءان وقرئ من فوقها بالعطف على آيات وهذه القرءان لما

ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تخصي وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل ان رجوا فيخطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون سموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملا ثقة لشرارهم او لقصور فهمهم او لضبطهم او لفهمهم (والشعراء يتبعهم الغاؤون) واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استثناء ابطال كونه شاعرا وقرره بقوله (ألم تر انهم في كل واحد يميون) لان اكثر مقسدا تهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كذبتهم في النسب بالحرم والغزل والابتهاج وعز يقي الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله (وانهم يقولون ما لا يفعلون) فكأنه لما كان اعجاز القرءان من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزل به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرءان لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يبعثهم على الخفيف وقرئ بالتثنية وتسكين العين تشبيها لبعض بعض (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثر ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار من هجاءهم ومكا فخذ هجاء المسلمين كمعد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكهين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اعجبهم فوالذي نفسى بيده لهما واشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ بأى منقلب ينقلبون

استلزم ان يشار الى شيتين احدهما مذكر والاخر مؤنث باسم اشارة المؤنث ولا وجد له لانه لا يقال تلك هند وزيد احتج في توجيه هذه القراءة الى تقدير المضاف اي تلك آيات القرآن وآيات كتاب ميث (قوله وتأخيره) يعني آخر الكتاب الذي اراد به اللوح عن القرآن في هذه السورة وقسم عليه في قوله تعالى في سورة الحجر الى تلك آيات الكتاب وقرآن ميث نظرا الى الاعتبارين (قوله او القرآن) عطف على قوله اما اللوح فيكون عطف الكتاب على القرآن من قبيل العطف في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

(قوله وتنكيره للتعظيم) والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة اليه لان المضاف الى العظيم عظيم بل المقصود تعظيم السورة التي هي عبارة عن مجموع ما فيها من الآيات (قوله الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة) اي من هذين الجنسين في كونها عبادة بدنية او مالية اشارة الى ان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما معظم انواع الطاعات والاعمال الصالحات وان الصلاة معظم الاعمال البدنية والزكاة معظم العبادات المالية وصف آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرف المبدأ والايمان به ومعرفة المعاد والايقان بما يتعلق به والاشتغال بطاعة المولى بنفسه وماله (قوله وتغيير النظم) يعني ان الظاهر على تقدير كونه من تنمة الصلاة ان يقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة يوقنون بالآخرة على العطف أو وهم يوقنون بالآخرة على الحالية لانه قدم قوله بالآخرة على متعلقه وهو يوقنون للعناية والاهتمام به واخراج الكلام على صورة ان اعرفت حيث قدم ضميرهم على يوقنون وجعله مبتدأ وكرر ذلك المبتدأ على سبيل التأكيد اللفظي ليفيد الاختصاص وانما كيد لما قرر من أن اعتبار تقديم الفاعل المعنوي على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى انهم اوحديون في الايقان بالآخرة لا يوقنون بالآخرة حق الايقان الا هو لاء الجامعون للصفت المذكورة وجعل الجملة اسمية مكررا فيها المبتدأ للدلالة على قوة يقينهم وثباته ولما كان اقام الصلاة وايتاء الزكاة ما يتكرر ويتجدد في اوقاتها جعل الصلوتين المتقدمتين جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الايقان بالآخرة امرانا مطلوبا دوامنا في الصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتدأ في هذه الجملة فعلا مضارعا للدلالة على ان ايقانهم مستمر على سبيل التجدد غير منقطع (قوله اوجله اعتراضية) عطف على قوله من تنمة الصلاة اي ويحتمل ان يكون قوله وبالآخرة هم يوقنون جملة مستأنفة غير داخله في خبر الموصول وتتم الصلة عند قوله ويؤتون الزكاة وجعلها معترضة نظرا الى اتصال ما بعدها بما قبلها من حيث ان ما قبلها لبيان ما للمؤمنين من البشري بحسن العاقبة وما بعدها لبيان ما للكافرين من سوء العذاب يوم القيامة ويحتمل ان يكون جعلها معترضة بناء على مذهب من يجوز وقوع الاعتراض في آخر الكلام بان لا يلي الجملة المعترضة جملة اصلا او يليها جملة غير متصلة بهامعنى ووجد اتصال هذه الجملة بما قبلها انها تؤكد مضمون قوله للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة من حيث ان الايقان بالآخرة حق الايقان المستلزم الخوف يستلزم تحمل المشاق والمتاعب حذرا من نيل ما يخاف منه فمضمون قوله وهم بالآخرة هم يوقنون يؤكد مضمون ما قبله من حيث كون مضمونه مستلزا لمضمون ما قبله فصح كونه اعتراضا وقوله كانه قبل وهو لاء الذين يؤتون اشارة الى ان الضمير الاول وضع موضع اسم الاشارة من حيث ان اسم الاشارة يدل على ان المذكورين قبله أحق بالمراد بعده من اجل الخصائص التي عدت لهم كما في قوله تعالى الذين يؤتون بالغيب الى قوله اولئك على هدى من ربهم فكذلك ههنا فان المعنى احق بان يوقنوا بالآخرة من اجل كونهم جامعين لمساقي التكليف من الايمان والاعمال الصالحة (قوله زين لهم اعمالهم التي خبت بان جعلها مشبهة للطبع) واستاد تربيتها اليه تعالى بهذا الوجه لا ينافي في استناده الى الشيطان في قوله تعالى زين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها لهم بان دعاهم الى ما تشتهي طبعهم وقيل اليه نفوسهم (قوله ما ينسبها من ضر) على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله اوفنغ على تقدير ان يكون المزين اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والتمه التخيير والتردد كما يكون حال الضلال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عميين اراد انهم مترددون في اعمالهم واشغالهم (قوله كالقتل والاسر يوم بدر) حل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله وهم في الآخرة هم الاخسرون على قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب (قوله انشوتاه) قال تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اي وما يؤتاها وقيل لتلقى كذا اي لتأخذ من قولهم تلقيت وتقيته

٤ من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينقلوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين

(سورة النمل مكية وهي ثلاث اواربع وتسعون آية)
بسم الله الرحمن الرحيم

(طس تلك آيات القرآن وكتاب ميث) الاشارة الى آي السورة والكتاب الميث اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو بينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديره في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما ودع فيه من الحكم والاحكام اولصحت به بحجازه وعطفه على القرآن كعطف احدي الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (هدى وبشري للمؤمنين) حالان من الآيات والعمال فيها معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمخدوف (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة (وهم بالآخرة هم يوقنون) من تنمة الصلاة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون في اوجله اعتراضية كانه قيل وهو لاء الذين يؤتون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوقوف على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زين لهم اعمالهم) زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشبهة للطبع محبوبا للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب الثوابات عليها (فهم يعمهون) عنها لا يدركون ما ينسبها من ضر او نفع (اولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم في الآخرة هم الاخسرون) اشد الناس خسرانا لقوت المشوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم)

اي اخذته (قوله اي حكيم واي عليم) اشارة الى ان التكبير فيهما للتعظيم (قوله مع ان العلم داخل في الحكمة) فان الحكمة اتقان الفعل بان يفعله على وفق العلم فان من يعلم امر او لا يأتي بما يناسب عمله لا يقال له حكيم فلا وصف الله تعالى نفسه بانه حكيم علمه كونه عليمًا خاوجداً للجمع بينهما وتقرر الجواب ان العلم الذي يدخل في الحكمة هو العلم العملي وهو الذي يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلم النظري ايضا وهو الذي يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يعني عن ذكر العليم فذلك وصف نفسه بالحكمة المشتقة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اي بالغ في كمال العلم كانه قيل مصيب في افعاله لا يفعل شيئاً منها الا على وفق علمه عليم بكل شيء واحواله سواء كان ذلك العلم مؤدياً الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب آخر مني على ان تكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال حينئذ ان الحكمة نفس العلم فلم يذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب حينئذ ان الحكمة التي هي نفس العلم هي الحكمة المنسجمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرائع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات والعلم اعم من الحكمة بهذا المعنى بحيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كعلم القصص والعلم بالفيثيات فان شيئاً منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلما اقتصر على قوله حكيم لما فهم الا كونه تعالى عالماً بما يتعلق بافعال المكلفين وعقائدهم وان علوم القراءة ان ليست الاماهي حكمة فلما اتبع ذلك قوله عليم فهم منه ان علوم القراءة ان منها ماهي حكمة ومنها ما ليس كذلك (قوله ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم) يعني ان قوله تعالى وانك لتلقى القراءة ان من لدن حكيم عليم بعد قوله تلك آيات القراءة ان وكاتب مبين ذكر تمهيدا لما يذكر بعده من العلوم التي ليست من قبيل الحكمة والاعلام انه عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن من قبله تعالى (قوله والسين للدلالة على بعد المسافة) جواب عما يقال التسوية لا يناسب المقام لان المقارنة عن الاهل في الليلة الشاتية مع انفرادها لا تقبل التسوية في الايتان اليها اجاب عنه اولاً بانه انما سوف الايتان للتنبه على بعد المسافة فلولم ينبذ على بعدها راجعاً لاجتماعها عندئذ آخر ايتانه شبهة وثانياً بان السين فيه ليست للتسوية بل للتاكيد والوعيد بالايتان مع قطع النظر عن التسوية والفور (قوله شعلة نار مقبوسة) اشارة الى انه اختار قرأه من قرأ باضافة شهاب الى قبس اضافة بيانية وان الشهاب الشعلة وان القبس النار المقبوسة اي المأخوذة من قولك اقتبست منه نارا او علم اي استفدت منه فعل بمعنى مفعول كقبض ونقض كانه قيل بشعلة نار مقبوسة (قوله والعدنان على سبيل الظن) اشارة الى جواب ما يقال انه تعالى قال ههنا سأتيتكم منها بخبر وفي سورة طه على آتيتكم منها بقبس وهما كالتدافع لان احدهما ترجح والاخر يتيقن ومحصول الجواب انه لا تدافع بينهما لان الراجح اذ قوي رجاءه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك (قوله والترديد) يعني ان كل واحد من الامر بن مطلوب فالظاهر ان يقال احدهما بناء على الظاهر او على ان سنة الله ان لا يجمع حرامين على عبد (قوله اي بورك) يعني ان في كلمة ان ثلاثة اوجه احدها انها المضرة لتقدم ما هو بمعنى القول والثاني انها الانصبة للمضارع باسقاط الحافض اي نودي موسى بأن بورك والثالث انها المخففة واسمها ضمير الشأن وبورك خبرها وما ورد ان يقال كيف جاز ان تكون مخففة وهي اذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الافعال المتصرفة وجب ان تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهي السين نحو علم ان سيقوم وسوف نحو ان سوف يقوم وقد تحول لم ان قد بلغوا او من حروف النفي نحو علم ان لم يقم وان ان يقوم وان لا يقوم وما يقوم فرقا بينهما وبين ان المصدرية فان ان المصدرية لا تفصل بينهما وبين الفعل بشيء من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل تاء ويل المصدر معنى فلا يفصل بينهما وبين ما يؤثر فيها الضعف وتسمى الحاجة هذه الحروف التي بعد ان المخففة بحروف التعويض لكونها كالعوض عن احدي توني ان ولما وردت هذه شبهة اجاب عنها بقوله والتخفيف وان اقتضى التعويض ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انتفاء حرف التعويض وهذا منه مبني على ان بورك خبر لا دعاء فانه اذا قلنا انه دعاء لم يحتج الى الفاصل ومن في التارقاً مقام الفاعل لبورك فان بورك يتعدى بنفسه ولذلك بني للمفعول يقال باركك الله ويقال ايضا بارك الله عليك وبارك فيك وبارك لك فقولنا بورك من في النار وعلى من في النار وفيمن في النار سواء قال الشاعر

اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعدم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القراءة ان منها ماهي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كقصص والاخبار عن الغيبيات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله (اذا قال موسى لاهله اني آتيت نارا) اي اذ كبر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعلم (سأتيتكم منها بخبر) اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امر آتاه لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالايتان وان ابطأ (وأتيتكم بشهاب قبس) بشعلة نار مقبوسة واطافة الشهاب اليه لانه يكون قبساً وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس يدل منه او وصفه لانه بمعنى المقبوس والعدنان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يطرهما لم يعد احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعبادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرامين على عبده (لعلمكم تصطلون) رجاء ان تستدقوا بها والصلاة النار العظيمة (فلما جاءها نودي ان بورك) اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا وقد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة (من في النار ومن حولها) من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها

فيوركت مولودا وبوركت ناشئا * وبوركت عند الشب اذ انت اشيب

ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها والذي بورك به البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وتخصيصه بالرسالة والاكرام واظهار المجزات العظام له فيها ورب خير يحدث في تلك البقاع فيشر الله تعالى بركته في اقامتها فكيف بمنزل ذلك الامر الذي جرى في تلك البقعة - (قوله الموسومة بالبركات) في قوله تعالى وتجيئه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فان قوله للعالمين دليل ظاهر على ان الذي بورك فيه عام والكفات ما يكف في الشيء اي يفي ويجمع وفي الحديث اكتبوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة ومنه قوله تعالى الم تجعل الارض كفا لنا احبا وامواتا (قوله من تمام ما نودى به) يعني انه عليه الصلاة والسلام نودى بمجموع الامرين ناداه وخطبه اول بقوله بورك من في النار بشارته بانه قد قضى له امر عظيم ثم ناداه بتزويد العزة عما يلقى به في ذاته وحكمته ثلاثيهم من سماع كلامه ان كلامه مركب من الحروف والاصوات وانه محل لحوادث كسائر المتكلمين وانه يحيط به الزمان والمكان ونحو ذلك مما لا يلقى بذاته تعالى قال اهل السنة انه عليه الصلاة والسلام سمع الكلام المزعوم عن مشاهة كلام المخلوقين فعمل بالضرورة انه كلام الله تعالى وصفت القامة به فكما جاز ان ترى ذاته بلاكم وكيف فكذا جاز ان يسمع كلامه بلا حرف وصوت (قوله وللتعجب) عطف على قوله ثلاثيهم يعني انه تعجب لموسى عليه الصلاة والسلام مما شاهد في تلك البقعة المباركة وايدان له بان ذلك الامر من يده ومكونه رب العالمين كما به قيل فما اعظم امر امر يده من هورب العالمين فيكون قوله وسبحان الله رب العالمين كالتذليل والتأكيد لما يتضمنه قوله بورك الخ وهو تعجب من موسى بتقدير القول وهو معطوف على قوله من تمام ما نودى به (قوله اولئك) عطف على قوله للشأن اي ويحتمل ان يكون ضمير انه راجعا الى ما دل عليه ما قبله والمعنى ان من يكلمك انا اولئك الجلالة بيان لانا (قوله تعالى تهتر) جملته حالية من مفعول رآها وقوله كأنها جان يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من فاعل تهتر فتكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب عطف على ولي والمعنى ولم يرجع على عقبه وكل راجع معقب قال

فما عقبوا اذ قيل هل من معقب * ولا تزلوا يوم الكربة منزلا

قيل ان العصا انقلب حية عظيمة لكنها في سرعة حركتها والتواترها كأنها جان وهي الحية الصغيرة فان الحية العظيمة لا تقدر عليها فلذلك خاف موسى عليه الصلاة والسلام فظن ان في انقلاب العصا امر اريد به هلاك نفسه ويدل على ان خوفه كان لذلك قوله تعالى يا موسى اي قل الله يا موسى لا تخف من غيري لانه عليه الصلاة والسلام نهى عن الخوف مطلقا فان الخوف اللازم للايمان والمعرفة لا يفارق المرسلين ولا يهون عند قال تعالى انما ينشئ الله من عباده العلماء فمن كانت معرفته اكل كان خوفه وخشيته اتم وأوفر فلذلك قال عليه الصلاة والسلام انا اخشاكم لله وانما يهون عن الخوف من غير الله تعالى وهم في كنف عصمته آمنون فلذلك قيل له لا تخف بأس الحية ويحتمل ان يكون المعنى لا تخف مطلقا فان حال خطاب الله تعالى اياهم ووصيته اليهم في عنهم الخوف مطلقا لفرط الاستغراق لا الخوف من غيره تعالى فقط (قوله اولئك) عطف على قوله اي في حكمي وقضائي وقوله او مطلقا كل واحد منهما معطوف على قوله اي من غيري فالعنى على الثالث لا تخف من سوء العاقبة اذ ليس لاحد من المرسلين سوء عاقبة في حكمي فيخافون منه (قوله استثناء منقطع) وانما جعله كذلك لان المستثنى وهو من ظلم اي من زل من المرسلين غير مخرج من الحكم المذكور وهو عدم الخوف لانه كما لا يخاف الرسل المعصومون من الزلات لا يخاف ايضا من فرط منه ما غفر له ثم ترحم عليه لان المغفور له والرحم عليه كيف يخاف من الذنب الذي غفر له فاذا تعين انه لا يخاف احد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجا من الحكم المذكور لم يكن الاستثناء متصلا وكانت كلمة الاعمى لكن التي للاستدراك لانه لما نفي الخوف عن المرسلين كلهم اختلف في الصدور وهم وهو ان يقال كيف يصح نفي الخوف عن ظلم اي زل من المرسلين فدفعه بان قال الامن ظلم اي زل ثم بدل حسنا اي توبة وندهما بعد سوء بعد زلة كأنه ما كانت وهو فائدة التكبير فاني غفور رحيم وقيل انه متصل والمعنى لا يخاف لدى المرسلون الامن ظلم فانه يخاف فيتم الكلام عند قوله الامن ظلم فيكون قوله ثم بدل حسنا مستأنفا معطوفا على محذوف واعلم ان الكس اختلغا في جواز الذنب على الانبياء

والظاهر انه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاهم احباء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون ونصير الخطاب بذلك بشارته بانه قد قضى له امر عظيم ينشئ بركته في اقطار الشام (وسبحان الله رب العالمين) من تمام ما نودى به ثلاثيهم من سماع كلامهم تشبها والتعجب من عظمت ذلك الامر او تعجب من موسى لمساهاه من عظمت (يا موسى انه ان الله) الهاء للشأن وانا الله جلته مفسرة له اولئككم وانا خبره والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله مبهتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يعبدن الا وهام قلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدير (والقى عصاك) عطف على بورك اي نودى ان بورك من في النار وان ألقى ويدل عليه قوله وان ألقى عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله تكبر برأى (فلما رآها تهتر) تهتر بالضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرى جان على لغة من جد في الهرب من النقاء الساكنين (ولى يدرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كسر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لأمر اريد به ويدل عليه قوله (يا موسى لا تخف) اي من غيري ثقة في او مطلقا قوله (اي لا يخاف لدى المرسلون) حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس من الله اولئك لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) استثناء منقطع استدراك به ما يحتاج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرط منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها ما يطلبها ويستحقون به من الله مغفرة ورجة فانه لا يخاف ايضا وقصد تعريض موسى بركته القبطي وقيل متصل ثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة

وعدمه قالت الحشوية يجوز صدور الكبار عنهم عدوا قالت المعتزلة لا يجوز صدور الكبار عنهم ويجوز صدور الصغار الا ما ينفر كالكذب وسرقة القمعة وتطفيف حبة وقال الجبائي لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة الهمد بل على التأويل وقالت الرافضة لا يقع منهم ذنب قط لا قبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم قال الامام والمختار عندنا انهم لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغيرة ولا الكبيرة وفي كلامه استعار بان ترك الاولى منهم كالصغيرة مثالا لان حسنات الابرار سيئات المقر بين فثا ويل الآية على رأينا الا من ظلم قبل النبوة ثم يدل بعدها حسنا ويؤيده لفظه ثم فانها للتراخي قال الحسن كان موسى والله اعلم ممن ظلم قبل القبطي ثم يدل حسنا فانه عليه الصلاة والسلام قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فلذلك قال المصنف وقصد تعريض موسى بذكره القبطي (قوله لانه كان مدرعة صوف لاكم لها) علة لامر عليه الصلاة والسلام بادخال يده في جيبه وسترها به يعني انه تعالى لما اراد ان يجعل يده بيضاء براقة كشعار الشمس وان لا يجعلها كذلك الا وهي مستورة تحت جبة بشي وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث ان مدرعة لاكم لها امره بادخال يده في جيبه اى في مدرعته او يقصد والمدرعة جبة صغيرة تدرع بها اى تلبس بدل الدرع وهو القميص والجيب كما يطلق على ما جيب من القميص اى قطع لخروج الرأس منه بطلق ايضا على نفس القميص وفي الصحاح الجيب القميص تقول جبت القميص اجيبه اذا قدنت جيبه واختار المصنف ان يكون المراد بالجيب المدرعة لا القميص لما روى عن ابن عباس انه قال وكانت زربانقة من صوف والزربانقة جبة قصيرة كاهها الى مرفقيه ولم تكن لها ازرار فادخل يده في جيبها فأخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق وقال المفسرون كانت عليه مدرعة من موصوف لاكم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق وكان تعالى قادرا على ان يجعل يده بيضاء من غير ادخالها باها في جيبه وايضا كان قادرا على ان يصير عصاه ثعبانا وهي في يده لكنه تعالى اختار بالامر بادخال يده في جيبه وبإلقاء عصاه والله تعالى ان يخفى عبادهم بما يشاء من انواع الخن وقوله تخرج مجزوم على انه جواب لقوله ادخل اى ان ادخلها تخرج على هذه الصفة وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غير سوء يجوز ان تكون حالاً ثانية منه او من الضمير في بيضاء وان تكون صفة لبيضاء (قوله في جلتهن او معها) على الاول تكون الآيات تسعا وتكون هاتان الآيتان داخليتين في جلتهن وعدادهن ويكون قوله في تسع آيات خبر مبتدأ محذوف اى هاداهما داخليتان في جملة تسع آيات وعلى الثاني تكون لفظة في بمعنى مع ويكون في تسع آيات حالا من الضمير في بيضاء وتكون الآيات احدى عشرة وهما اثنتان والباقية تسع فكانه تعالى لما اراه هاتين الآيتين اشار الى ان هاتين معجزات أخرهن مثلها في الاعجاز وكلة في قد تكون بمعنى مع ولذلك قالت الأئمة اذا قال زيد على عشرة في تسعة واراد المعية يلزمه تسعة عشر ومن جملة الآيات ان موسى عليه الصلاة والسلام دناره بقوله بناطس على اموالهم فجعل الله تعالى اموالهم حجارة والطبوس الدروس والانحاء (قوله ان بعد الاخيرين واحدا) لان الجذب والتقصان كالشيء الواحد غاية ما في الباب ان الجذب كان بالنسبة الى اهل البوادي وتقصان الزرع بالنسبة الى مزارعهم فسقط بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار ان المراد بالآيات التسع هذه الآيات التي بعث موسى بها الى فرعون وهي تسع لا غير وطلق البحر ليس من الآيات التي كانت لدعوة فرعون الى الايمان بل انما كان لاهلاكهم بشؤم اصرارهم وعنادهم (قوله او اذهب في تسع آيات) عطف على قوله في جلتهن اى ويجوز ان يكون في تسع آيات متعلقا باذهب المقدر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظا متحصنا من بأس الاعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به من شر من يعاديه (قوله او ذات بصر) على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كآمر ولان فيكون اثبات البصر لها تخيلا للاستعارة المكتبة بان شبه الآيات بالتخص الهادي واثبت لها الابصار على وجد التخيل قرينة لها لان الاعنى لا يقدر على الاهتداء فضلا عن ان يهتدى غيره (قوله او مبصرة كل من نظر اليها) يعني ان الابصار في الحقيقة صفة من نظر وتأمل في الآيات وجعل النفس الآيات مبصرة على الاستناد المجازي للابصار يتبينها وبين التأملين فيها والتأملون انما يصرون بسبب تأملهم فيها فلما كانت سببا لا بصرهم نسب الابصار اليها استادا مجازيا جعل صيغة اسم الفاعل او لا بمعنى المفعول نحو ما عدا في مد فوق ثم جعلها للنسب ثم جعل ما فيها من الاستاد من قبيل الاستاد المجازي (قوله وقرئ مبصرة) بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة اذا كثر فيها السبع والاسد وانتصابها على القرأتين على انها حال من آياتنا (قوله

(وادخل يدك في جيبك) لانه كان مدرعة صوف لاكم لها وقيل الجيب القميص لانه يجلب اى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) آفة كبرص (في تسع آيات) في جلتهن او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب في بوا ديبهم والتقصان في مزارعهم ولين عدل العصا واليد من التسع ان بعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل للارسال (فلما جاءتهم آياتنا) بان جاءهم موسى بها (مبصرة) بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما تبصر او ذات بصر من حيث انها تهتدى والعبي لا تهتدى فضلا عن ان تهتدى او مبصرة كل من نظر اليها واثبت لها الابصار وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر (فاوا هذا سحر مبين) واضح سحرينه

وكذبوا بها) لما كان المشهور ان الجود انكار الشيء بعد المعرفة والايقان به تعاوان كان حله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنته انفسهم مستدر كافسره بالتكذيب بها والمعنى كذبوا بالستهم كونها آيات الهية وقد استيقنت قلوبهم وضماهم بذلك وقوله ظلموا وعلوا يجوز ان يكون في موضع الحال اي ظالمين وعالين وان يكون مفعولا له اي الحامل لهم على ذلك الجود الظلم والعلو (قوله تعالى كيف) خبر كان قدم عليها وعاقبة اسمها (قوله طائفة من العلم) على ان يكون التكثير للتوعية كما في قوله وعلى ابصارهم غشاوة وقوله او علما اي علم على ان يكون التثنية للتعظيم (قوله عطف بالواو) مع ان ظاهرا الحال يقتضي عطف بالفاء السببية لتؤذن بانهما المماحدا الله تعالى شكر ا على نعمة ابتاء العلم الذي هو من جلائل النعم لكن عطف بالواو التي تستدعي ماطوفا عليه مسببا عن تلك النعمة يشعر بان ما قاله بعض ما يتابعه في مقابلة هذه النعمة كانه قيل فنعلا شكرا له ما فعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالوا بلسانهما المجد لله فلو عطف بالفاء لا قصر على الشكر اللساني وفات الاشعار المذكور (وكانوا تسعة عشر) اي كان لداود تسعة عشر ابنا واعطى من بينهم سليمان ما اعطى داود من الملك وزيد له تسعرا ربح وخبير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وكان داود اشد تعبدا من سليمان (قوله تشييرا لنعمة الله تعالى وتنوينا بها) يعني انه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك على سبيل الاختيار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى واحسانه اليه وعلى طريق رفع ذلك الفضل واعلاء ذكره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واعليت شأنه (قوله يذكر المعجزة) متعلق بالدعاء بالانصديق والاعل بالمعجزة (قوله والمنطق والمنطق في التعارف) المنطق في الاصل مصدر نطق الرجل ينطق اي تكلم فاشار المصنف الى انه يستعمل في عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال على ما في الضمير ثم قال وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقا سواء صدر عن له فؤاد وكلام نفسى ام لا اما على تشييد صوت من لا فؤاد له بصوت العقلاء في كونه صوتا تابعا للتخييل او مجرد التسمية والاطراد بمعنى اسم المنطق والمنطق لما اطلق على بعض الاصوات اطلاق على البواق ايضا على سبيل الاطراد ثم اشار الى وجه التشبيه بقوله فان الاصوات الحيوانية الخ ثمانية تسعين وجه اطلاق المنطق على صوت الطير قال ولعل المراد بتعليم سليمان منطق الطير وصوته علمه بالتخييل الذي حل الطير على ذلك الصوت وبالغرض الذي توخاه بصوته لانه يعلم انه يصوت بذلك الصوت من غير ان يفهم التحيل الذي نشأ منه ذلك الصوت والعفاء بالبد وفتح العين الدروس وذهب الاثر وقيل العفاء التراب قال تعالى في صفة الهدى فكت غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنبأ يقين وعجب منه انه عليه الصلاة والسلام علم كلام من لا صوت له كالنمل قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها * وروى انه صاح ورشان فقال عليه الصلاة والسلام انه يقول لدوا الموت وابغوا الخراب والطاوس يقول كاتدن تدان اي كما تفعل تجازي والهدى هدى يقول كل حي ميت وكل جديد بال والخفاف يقول قدموا خيرا تجددوا والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى الى سمواته وارضه والفظايق يقول من سكت سلم والبغاة تقول ويل لمن الدنيا منه والدرج يقول الرحمن على العرش استوى والقبر يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والنسر يقول ابن آدم عيش ماشئت آخره الموت والعقاب يقول في البعد عن الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والجمار يقول اللهم العن العشار والفرس يقول اذا التقي الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والرز زور يقول اللهم انى اسألك قوت يومى يوم يارزاق كل صنف من الطيور يفهم الغرض الذي يتوخاه الآخر والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضها من بعض من مقاصده واغراضه ولذلك قال يا ايها الناس بفضل الله على زيادة ما ورثت من ابى من النبوة والملك والعلم بان علمنى منطق الطير اي فهمنى ما يقوله الطير (قوله والضمير في علمنا) يعني ان علمنا واوتينا من كلام التكبير ين فكيف يليق بسليمان ذلك اجاب عنه اولابانه ليس ضمير المظم نفسه وثانيا بانه ضمير المظم نفسه الا انه لم يقله تكبرا بل قاله على عادة الملوك فانهم يتكلمون بمثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لرفعتهم وقدرهم في قلوب الرعايات وقوله واوتينا من كل شئ اراد به كثر ما اوتى كما يقال فلان يقصده كل احد ويراد كثره فاصديه اقامة للتكثير مقام النكل ونحوه قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقوله ان هذا اى الذى اوتينا له والفضل المين وارد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلاة والسلام اناسيد ولد آدم ولا فخر اى اقول شكر لا افتخار (قوله من الجن وما بعده).

(وحدوا بها) وكذبوا بها (استيقنتها انفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلم) لانفسهم (وعلوا) ترفع عن الايمان واتصبا بها على العلة من جحدوا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة (ولقد آتينا داود وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم الشرع اوعلم اى علم (وقالا الحمد لله) عطف بالواو واشعارا بان ما قاله بعض ما يتابعه في مقابلة هذه النعمة كانه قال فنعلا شكرا له ما فعلا من الشكر لاجل الحمد لله (الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما ومثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعله اساس الفضل ولم يعتبروا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرها وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتداه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير (وورث سليمان داود) النبوة او العلم والملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيده وكانوا تسعة عشر (وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ) تشبيها لنعمة الله وتنوينا بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظام ما اوتيد والمنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عافى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق اكل ما بصوت به على التشديد والتع كقولهم نطق الحمة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخييل منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته الخدسية التحيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر بببل يصوت ويرقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمره فعلى الدنيا لعفاء وصاحت فاخنة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلهل كان صوت الببل عن شيع وفراغ بال وصياح الفاخنة عن مقاساة شدة وتأم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولايه اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثر ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل الدين) الذى لا يخفى على احد (وحش) وجع (سليمان) جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا

بيان لجنوده فيعلق بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجارح لا فيعلق بمحذوف ايضا وكون طوائف الجن والانس والطير جنود السليمان يقتضي ان يكون كل واحد من هذه الاصناف متصرفا على امراده مثلا ل امره ولا يكون كذلك الامع العقل الذي يصح معه التكليف بان لا يكون كل واحد من تلك الاصناف اقل عقلا من المراهق الذي قد قارب حد التكليف فيلزم منه انه تعالى جعل الطير في ايامه من ذوات العقل والفهم وان لم تكن كذلك في ايامنا وكذا قوله تعالى قالت نملة يدل على انها تكلمت بذلك وليس بمسبعد لان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق قال المفسرون كان سليمان اذا اراد سفر امر بجمع له طوائف من هؤلاء الجبال ودعى بساط واحد نسجه الجن له من ذهب وابرسم فرسخا في راسه ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وجع له جنوده في مسيره من الاماكن المختلفة ومعنى الوزن في اللغة هو الكف يقال وزعده رعه اذا كفه ومنه قوله مارع القرآن اكثر مما يزع السلطان وقال عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن وقالوا لابل للناس من وزعة اى من حكام يكفونهم عن الترو والعت والفساد قال الشاعر
ومن لم يزع له دوحاؤه * فليس له من شب فوديه وازع

(قوله تعالى حتى اذا اتوا) متعلق بقوله يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسرون ممنوعا بعضهم عن مفارقة بعضهم في مسيرهم ليجمعوا احسن اجتماع في الهيئة والهيبة في الرؤية حتى اذا اتوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف اى فساروا حتى (قوله وتعدية الفعل اليه على) مع انه قد يتعدى بنفسه وبكلمة الى يقال آتيت وآتيت اليه اما لانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم آتيت عليه اذا قطعته وبلغت آخره والمعنى حتى اذا قطعوا الوادى كله وبلغوا آخره (قوله كانوا ارادوا ان يزلوا اخرى الوادى) اى عند منقطعه لانهم مادامت الريح تحملهم في الهواء لا تخاف النملة حطهم (قوله كانوا لما رأتهم متوجهين الى الوادى) لما لم تكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما في ضمائرهم بتركيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حل الآية على الحقيقة تظاهرا فلذلك حله المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينهما وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المتشبهة بها فقيل قالت نملة الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق الا ترى انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلاة والسلام وجعل جميع ذلك جنودا واعوانا متقادين له لا يخالفونه في شئ مما امرهم به وذلك لا يكون الا بجعلهم عقلاء مبرزين ومع ذلك كيف يبعد ان يخلق الله تعالى العقل والنطق في النملة وقد روى ان سليمان لما سمع قول النملة قال اشئني بها فانوه بها فقال لها لم حذرت النمل من طلي اما علمت اني نبي عدل فإذ قالت لا يخطئكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا يشعرون ومع ذلك اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ما انعم الله به عليك من الجاه والمالك العظيم فيقنوا في كفران النعم فلا قل من ان يشتغلوا بالنظر اليك عن السميع فقال لها سليمان عظمي فقالت النملة أحسنت لم سمى اوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحته فله دهر هل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سلم القلب والصدر ثم قالت اندري لم سحر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكأنما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لا يتعرون يدل على انها عرفت ان النبي عليه الصلاة والسلام معصوم فلا يقع منه قتل وايداء بغرذنب الاعلى سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء ولنقطه نملة في قوله تعالى قالت نملة مؤث حقيقى بدليل حقوق علامة التأنيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر والانثى فاذا اردت تمييز ذلك احتج الى مبرز خارجي نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة وجماعة من المؤنثات اللفظية ذكر الامام ان قتادة دخل السكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حديث السنن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فاجم فقال ابو حنيفة رضي الله عنه كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقل قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والثاء في وقوعهما على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعنى ان التأنيث لفظي ومعنوي واللفظي لا يعتبر في حقوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل انه لا يجوز قامت طلحة ولا حجرة على مذكر فتعين ان يكون اللحق انما للتأنيث المعنوي (قوله نهى لهم

(حتى اذا اتوا على وادى النمل) واد بالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه على اما لان اتيانهم كان من عال اولان المراد قطعه من قولهم اتي على الشئ اذا افده وبلغ آخره كانوا ارادوا ان يزلوا اخرى الوادى (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) كانوا لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم مخافة حطهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة فنبهت بها ما يحضرتها من النمل فتبعها فشب ذلك بمخاطبة العقلاء ومناجحتهم ولذلك اجروا محرامهم مع انه لا يمنع ان يخلق الله فيها العقل والنطق (لا يخطئكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الخطم والمراد نهىها عن التوقف بحيث يخطمونها كقولهم لا اربك ههنا فهو استئناف او يدل من الامر لاجواب له فان الثوب لا يدخله في السعة (وهم لا يشعرون) انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم فعلوا كانوا شمرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء

عن الخطم) يعني ان النهي ولا يحطمتكم متوجدا الى سليمان وجنوده ظاهرا الكند كناية في المعنى عن نهى النمل عن الوقوف في مكانهم فيحطمتهم سليمان وجنوده كما ان النهي في لاريتك هيئنا متوجدا بحسب الظاهر الى التكلم لكن كناية عن نهى المخاطب عن الوقوف في مكانه فبراه فان وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية التكلم اياك فجعل النهي عن اللازم كناية عن النهي عن الملزوم والفاء في قوله فهو استئناف او بدل من الامر لتفريع جواز كل واحد من الامرين على كون النهي المذكور كناية عن نهى النمل عن الوقوف لانه لو كان النهي على ظاهره لمساجز كون لا يحطمتكم بدلا من قوله ادخلوا لان نهى الجماعة لا يصلح ان يكون بدلا من الامر للجماعة اخرى بخلاف ما وجعل كناية فان المأمور والمنهى حينئذ يكون جماعة النمل فتصح البدلية ومعنى كلامه انه لما كان نهى الجنود عن الخطم كناية عن نهى النمل عن الوقوف جاز ان يكون لا يحطمتكم نهيا مستأنفا لاتعلق له بما قبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة الامر قبله وهي ادخلوا ولا مدخل لكون النهي كناية في جواز كونه نهيا مستأنفا وانما التفرع عليه جواز كل واحد من الامرين (قولك وقيل استئناف) عطف على ما فهم من تقرير كلامه من ان قوله وهم لا يشعرون حال من فاعل لا يحطمتكم (قولك تعالى فتبسم ضاحكا) ليس معناه انه عليه الصلاة والسلام ضحك متبسما لان التبسم والضحك لا يجتمعان بل اراد انه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي اول مراتب الضحك وكأنه قيل فتبسم ضارعا في الضحك واخذافيد (قولك وذلك) اي ولا اختصاص به بهذا المعنى

الجليلة التي هي ساعد ما تمس به بعض النمل الذي هو مثل في الصفر واحاطت به معناه فان احدا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلا عن ان يفهم غرضها منه (قولك اجعلني ازع شكر نعمتك) اشارة الى ان همدنا وزع للتعبية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع من يكف الرعية عن التظلم والفساد وقد مر آنفا ان قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يخبسون ويمنعون عن الانتشار حتى يحجبوا في مسيرهم فانه احسن في الهيئة وأهيب في الرؤية سأل عليه الصلاة والسلام ان يبعثه الله تعالى وازع الجيش شكره فيكون قوله اوزعني ان اشكر استعارة مكينة حيث شبه النكر بالجماعة النافرة وجعل تعليق الوزع الربط به تخيلا وقرينة للتشديد المضمر في النفس ورد في الحديث النعمة وحشية قيدوها بالشكر فانها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت (قولك ادرج فيه ذكر والدي) اي ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما في ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه (قولك فان النعمة عليه جازية عليه) ضرورة ان انساب الابن الى اب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيكون ذلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن (قولك والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية) فان الابن اذا كان تقيا نفعها بدعاؤه وشفاعته وبداء المؤمنين لهما كل ادعواؤه وقالوا رضى الله عنك وعن والديك فانتقل بشكر نعم الله تعالى والديه ايضا اشعارا بان نعمتهما من آثار ما انعم به عليه (قولك في عدادهم الجنة) لفظ الجنة بدل من العداد المتدر يعني ان المراد من ادخاله في العباد ادخاله في عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما هي اهلهم وهو الجنة لانه قد سأل ان يوفقه الله تعالى للامال الصالحة ودخله في زمرة الصالحين بقوله وأن أعمل صالحا ترضاه فلو حل قوله وأدخلني رحمتك في عبادك الصالحين على طلب التوفيق للامال الصالحة لكان تكرارا فلا يثبت دليل على ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو من لا يعصى الله ولا يهوى بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبي وولي (قولك وتعرف الطير) اي طلبه وبجنت عنده والتفقد طلب ما فقد وغاب عنك (قولك ام منقطعة) لان قوله مالي لا اري الهدى تعجب من عدم رؤية الهدى وهو يستدعي كون حضور الهدى مدجج وما به عنده فلا وجد لكون الاستفهام لطلب التبيين بل يجب ان يكون الاضراب عن ظن كونه حاضرا عنده (قولك اوجعله مع ضده في قصص) عدد ذلك من العذاب الشديد لما قبل اضييق السجون معايشرة الاضداد قرأ ابن كثير لا يتنى بنونين ولا هانوتن التأكيد المشددة المقتوحة وثانيتها نون الوقاية المكسورة والباقون بنون واحدة مشددة مكسورة والاصل قرأه اس كبر لكن حذف الهمزة التي قبل ياء التكلم كراهة لاجتماع النونات (قولك والخلف في الحقيقة على احد الاولين) جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام حلف على ثلاثة اشياء اثنتان منها فله فيصح الخلف عليهما بان يقول والله لا عذبتك ولا ذنبك والثالث نفي الهدى وهو اتيانه بحجة تبين عذره في غيابه فكيف يصح حلفه على ما هو فعل غيره ومن أين درى ان يأتى بسلطان بين حتى يقول اوليا يتنى بسلطان وتقرير الجواب

وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرهما وتبذيرهما واعتدائهما الى مصالحهما اوسرورا سيما خصه الله به من ادراكهم سبها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره (وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك) اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبط لا ينقل عنى بحيث لا تفك عنه وقرى البرى وورش بفتح ياء اوزعني (التي انعمت على وعلى والدي) ادرج فيه ذكر والديه كثيرا للنعمة اوتعنى لهما فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية (وأن أعمل صالحا ترضاه) تماما للشكر واستدامة النعمة (وأدخلني رحمتك في عبادك الصالحين) في عدادهم الجنة (وتفقد الطير) وتعرف الطير فليجد فيها الهدى (فقال مالي لا اري الهدى) ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لمسلم يره ظن انه حاضرا ولا يراه لساترا وغيره فقال مالي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فأضرب عن ذلك واخذ يقول له هو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له (لا عذبتك عذابا شديدا) كنت ريشه والقائه في الشمس اوحى النمل تأكله اوجعله مع ضده في قصص (اولا ذنبك) ليعتبر به ابنا جنسه (اولا يتنى بسلطان مدين) بحجة تبين عذره والخلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احدا لأمور الثلاثة ثلث الخلوفا عليه بطفه عليهما

ان الاشكال انما يرد ان لو حلف على وقوع الثالث بخصوصه وليس كذلك بل حلف ليكون احدا لأمور ثلاثة
ومحصله انه ان وقع الثالث لا يكون ذبح ولا تعذيب وان لم يقع يكون احدا لأمورين لا محالة ولا محذور في الحلف
على هذا الوجه (قوله زمانا غير مديد) يعني ان قوله عليه الصلاة والسلام غير بعيد صفة زمان ويجوز
ان يكون صفة مصدر محذوف اي مكشا غير مديد فانه الهدى بحجة تين عذره في غيبته فقال احطت بمالم تحط به
اي اطلعت على مالم تطلع عليه وعلمته من جميع جهاته بحيث لا يخفى على من شئ فان الاحاطة بالشئ علم ان يعلم
من جميع جهاته بحيث لا يخفى منه معلوم اصلا (قوله باطابق وبغير ابطاق) الاطابق ان تدفع ظهر لسالك الى
ما يحاذيه من الحنك الاعلى عند تلفظ حرف من الحروف المطبقة واختلفوا في ان الحروف المطبقة اذا ادغمت في غير
المطبقة هل يبقى ما فيها من الاطابق اولوا والظاهر ان الاطابق يقتضي بقاء المطبقة بحال او عند ادغامها في غير
المطبقة يجب ابدالها الى المدغم فيه فلا يبقى الاطابق مع ابدالها (قوله غير مصروف) اي قرأ من سبأ بفتح السين
للحلية والتأنيث وقرأه الباقون بالجر والتثنية وجعلوه اسما للحي والمكان وسبأ في الاصل اسم رجل من قحطان
واسمه عند تميم بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسبأ لقب له لانه اول من سبأ ثم اطلق على القبيلة وعلى البلد ايضا
والنبا الخبر الذي له شأن (قوله وكان الهدى راء ثده) اي طالبا يطلب له الماء يقال واد الكلاء يروده رودا
ورياة اي طلبه فهو راء وكان الهدى قحطان سليمان وهو الدليل الهادي البصير بالمسالك والارض وكيفية حفر
القنى وكذلك القناتن بالضم والجمع القناتن بالقح وهو الهدى ويرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة
و يعرف الفصل وبين قريه ويعبد فيدلهم على موضع الماء بان يقرء بمقاردهم الشياطين يسبحون عند الارض كما
يسبح الاهداب عن المذبح ذكر ابن عباس رضي الله عنه لما قال ان سليمان طلب له لانه كان يعلم مساقاة الماء ويصره
تحت الارض قيل له ان الصبي يضع له النخ فيطيه بالازاب فكيف لا يعرض حتى يقع فيه فقال ويحك اما علمت ان
القدر يحول دون البصرو انه اذا جاء القضاء على البصر (قوله فوافي الحرم) اي انه (قوله اذ خلق) علة لقوله
لم يعبد وتخليق الطائر ارتفاعه في طيراته (قوله فتواصفا) اي وصف كل واحد من الهدى من ملك صاحبه
وصف هدى سليمان للآخر ملك سليمان وما يتخوله من كل شئ ووصف هدى بلقيس ملك بلقيس وان تحت
يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة (قوله والضبير في ملكهم لسبأ) يعني ضمير ملكهم لسبأ ان ارديه
القبيلة اولاهلها ان ارديه بها البلدة باضمار اهلها او بطريق الاستخدام حيث اريد بالاسم الظاهر احد معنييه
وبضميره معناه الآخر (قوله واوتيت من كل شئ يحتاج اليه الملوك) حل كل شئ في حق بلقيس على اسباب
الدنيا ولوازم الملوك لثلاثين النسوة بينها وبين سليمان عليه الصلاة والسلام فان المراد بقوله عليه الصلاة
والسلام واوتيت من كل شئ ما اوتي من النبوة والعلم والحكمة والملك واسباب الدنيا (قوله عظمه بالنسبة اليها
اولى عروش امثالها) جواب عما يقال كيف استعظم الهدى عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا
كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن في الوصف بالعظم والملك البعد الاخذ من السفل الى العلو وعكسه
العسق وكان ابو بلقيس ملكا عظيم الشأن وكان يقول للملوك اطراف ايس احد منكم كقولوا واني ان
يتزوج منهم فزوجوه امرأه من الجن يقال لها رايحانة بنت السكندر فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فطمعت
ابوها طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعوها وملكوها وفي الحديث ان احدا بوي بلقيس
كان جنيا وكانت هي وقومها يجوسوا يعبدون الشمس (قوله فصدهم لان لا يسجدوا) وقرأ الجهم ورا بالشد
على ان اصلها ان لا فان ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفى وان مع
ما بعدها في موضع المفعول له لقوله فصدهم اي فصدهم عن سبيل الحق لاجل ان لا يسجدوا فخذت لام الاجل
وادغمت النون في اللام فصار لا يسجدوا والوجه الثاني ان تكون ان مع ما بعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراضا
تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل والوجه الثالث ان تكون ان وما بعدها في موضع
مفعول يهتدون على اسقاط الخافض الى ان لا يسجدوا وتكون لامزيدة كن بادتها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب
والمعنى فهم لا يهتدون الى ان لا يسجدوا لله وان قرئ الاحتفاء يكون لا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام وما بعدها
حرف تداء واسجدوا فعل امر فحق الخط على هذه القراءة ان يكون على صورة يا يسجدوا الان السجادة
اسقطوا ألف ياء هزنة الوصل من اسجدوا خطأ لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة

(فكث غير بعيد) زمانا غير مديد يريد به الدلالة على
سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف
(فقال احطت بمالم تحط به) يعني حال سبأ وفي مخاطبته
ايه بذلك تنبيه له على ان في أدنى خلق الله تعالى
من احاط علما بمالم يحيط به ليتحاذر اليه نفسه ويتصاغر
لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في الهمزة باطابق وبغير ابطاق
(وجنك من سبأ) وقرأ ابن كثير وابو عمرو وغير
مصروف على تأويل القبيلة او البلدة بنأيتين بخبر
محقق روى انه عليه السلام لما تم بناء بيت المقدس تجهز
للحج فوافي الحرم واقام به ماشا ثم توجه الى الجبل فخرج
من مكة مسابحا فوافي صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة
ارضها فنزل بها ثم يجد الماء وكان الهدى راء لانه
يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلما يجده اذ خلق حين
نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فاحط اليه فتواصفا
فتدارعاه انظر ما وصفه ثم رجع بعد العصر وحكى
ما حكى ولعل في عجب قدرة الله وما خص به خاصة
عباده اشتهاء اعلم من ذلك يستكبرها من يعرفها
ويستكبرها من ينكرها (اني وجدت امرأة تملكهم)
يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن اران والضبير
في ملكهم لسبأ اولاهلها (واوتيت من كل شئ) يحتاج
اليه الملوك (ولها عرش عظيم) عظمه بالنسبة اليها
اولى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين
عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا
بالجواهر (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله) كأنهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان اعمالهم)
عبادة الشمس وغيرها من مقاييس افعالهم (فصدهم
عن السبيل) سبيل الحق والصواب (فهم لا يهتدون)
اليه (لا يسجدوا لله) فصدهم لان لا يسجدوا وزين لهم
ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم أو لا يهتدون الى
ان يسجدوا وازيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب ألا
بالتحقيق على انها للتنبيه وباللنداء ومثاده محذوف
اي الايا قوم اسجدوا كقوله

يسجدوا كما قرئ فأتحدت القرءاتان لفننا واختلفتا قدرا ومثل الخذف المنادى مع بقاء حرف النداء بقوله

فقال لا يا اسمع اعطك بخطئة - فقلت سمعنا فانطق وأصيبي

اي الا يا صاحبي اسمع واخطئة الخطئة المهمة وقوله فقلت سمعنا اي ناديت سمعنا (قولك وعلى هذا) اي على قراءة التخفيف كما يجوز ان ينهي كلام الهدد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينهي عند قوله لا يهتدون ويوقف عليه ويكون قوله لا يسجدوا استئناف خطاب من الله تعالى للشركين او من قبل سليمان عليه الصلاة والسلام لقومه بعد تمام كلام الهدد وعلى قراءة التشديد لا يوقف الا على العرش العظيم (قولك وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود في الجملة) بمعنى انها لا تنجب على الفور بل وقتها موسع في اي وقت ادبت تكون اداء لا قضاء وهو رد على من فرق بين القرأتين فأوجبهما على قراءة التخفيف نظرا الى وجود لفظ الامر فيها ولم يوجبها على قراءة التشديد لعدم وجود لفظ الامر فيها ولم يرض المصنف بهذا الفرق لان السجدة كما تنجب بالامر بها تنجب ايضا بدم من تركها او بدمح من اتى بها في قراءة التشديد وان لم يصرح بالامر بها الا انها تدل على دم من تركها فتدل على الوجوب ايضا في كلام الشارح بينهما بحث آخر وهو ان الامر المتحقق في قراءة التخفيف اما ان يكون من كلام الله تعالى او من كلام الهدد محكما عند فان كان من كلام الله تعالى فتدلل على الوجوب ظاهرة وان كان من كلام الهدد وهو الظاهر في دلالة على الوجوب نظرا لان يقال انه تعالى لماسحكي كلامه على طريق الارضاء والقول كان كانه قرر مضمونه واوجبهما ابتداء من قبل نفسه فكانت قراءة التخفيف دليلا على الوجوب سواء كان مافيهما من لفظ الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدد (قولك وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء) مع تشديد ها وتخفيفها وقرئ لا تسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وتأ الخطاب واثبات نون الرفع في اثبات نون الرفع جعل الاحرف تخصص الالعرض كما في الاتزل عندنا (قولك والخبا ماخفي في غيره) الخبا في الاصل مصدر خبا الشيء اخبا خبا أي سترته واخفيته ثم اطلق على الشيء المخبوء ونحوه هذا خلق الله اي مخلوقه والمخبوء في السموات والكواكب والامطار اخرجها الله تعالى باشراف الكواكب وانزال الامطار والمخبوء في الارض كالنبات اخرجها الله تعالى بانباته والانشاء ايجاد الشيء المسبوق بالسادة والابداع ايجاد ما ليس بمسبوق بها والمقصود من وصفه تعالى بالتفرد بكمال القدرة حيث قيل يخرج الخبا والتفرد بكمال العلم حيث قيل ويعلم ما يخفون وما يعلمون الخ على السجود له تعالى والرد على من يسجد لغيره كالشمس وتقرير كونه ردا عليه ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبا وعالم بالخفيات والشمس مثلا ليست كذلك فهي لا يكون الهما واذا لم تكن الهما لم يكن السجود لها اما ان الاله يجب ان يكون قادرا وعالم على الوجد المذكور فلانه يجب ان يكون واجبا لذاته فلا تختص قادريته وعاليمه ببعض القدرات والمعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات (قولك فين العظيمين) احدهما عرش بلقيس والاخر عرش الله العظيم يعني ان قوله تعالى لا اله الا هو رب العرش العظيم سواء كان من كلام الله تعالى او من كلام الهدد يكون المقصود منه الاشارة الى البون البعيدين العظيمين فان كان من كلام الهدد يكون المقصود استدراكا مندلا وصف عرش بلقيس بالعظيم وان كان من كلام الله يكون المقصود الرد عليه في وصفه عرشها بالعظيم (قولك والتغير للمبالغة) فان ام كنت من الكاذبين ابلغ من ام كذبت لان معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا في سلك الكاذبين (قولك ماذا يرجع عنهم) اي ماذا يرد من الجواب من الرجوع وهو الرد ان جعلنا النظر بمعنى التأمل والتفكير كانت ما في قوله ماذا يرجعون استفهامية وفيها حيثذ وجهان احدهما ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد منصوب يرجعون على انه مفعوله تقديره اي شيء يرجعون وثانيهما ان تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها وعاندها محذوف وتقديره اي شيء الذي يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلة لا نظر فعلها النصب على اسقاط الخافض اي انظر في كذا وفكر فيه وان جعلها بمعنى انتظر كما في قوله انظرونا نقبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها وعاندها محذوف وهذا الموصول مع في خبره مفعول به لا نظر اي انتظر الذي يرجعونه (قولك لكرم مضمونه) اي في مضمونه من اللفظ والمعنى (قولك او امر سله) وعرفت كرم مرسله بناء على انها المرات الختام اربعة فرائضها وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه

ألا اسمع أعطك بخطئة - فقلت سمعنا فانطق وأصيبي
وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان
والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى
الاول دما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب
السجود في الجملة لا عند قراءة لها وقرئ هلا وهلا بقلب
الهمزة هاء ولا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب
(الذي يخرج الخبا في السموات والارض ويعلم
ما يخفون وما يعلمون) وصف له بما يوجب اختصاصه
باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم
على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبا ماخفي في
غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراف الكواكب
وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخرج
ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخرج ما في
الامكان والعدم الى الوجود والوجود ومعلوم انه
يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما يخفون
وما يعلمون بانه (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم)
الذي هو اول الاجرام واعلمها والمحيط بجملة ما
فيها العظيمين بون عظيم (قال سئل) ستعرف
من النظر بمعنى التأمل (أصدقت ام كنت من الكاذبين)
اي ام كذبت والتغير للمبالغة ومحافظه الفواصل
(اذهب بكتابي هذا قاله اليهم ثم تول عنهم) ثم تبع عنهم
الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون)
ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) اي بعد
ما ألقي اليها (يا ايها الملأأى التي الى كتاب كرم)
لكرم مضمونه او امر سله

اولا انه كان محتوما او لغرابية شاة اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدد من مكوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان)
استثناف كانه قيل ليهان هو وما هو فسالته انه اى الكتاب او العنوان من سليمان (وايه) اى وان المكتوب والمضمون وقرأنا يتقح على الابدال من كتاب او التعليق لكرمه
(٤٩٢)

وعرفت ان الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها اطاعة الضير اياه وهيبه الخاسم (قول اولانه كان محتوما)
فان مجرد ختم الكتاب بكنى نسخة توصيه بالكرم لم يروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة والسلام يكتب الى العجم فيقول لداينهم لا يقبلون الا كتابا عليه
خاتم فأتخذ لنفسه خاتما فكتبه الى الخاتم فحمد رسول الله وقال مقاتل أناها الهدد وهي جالسة في قصرها فرفرف
على رأسها ساعة والناس ينظرون فرفعت رأسها نظرة اليه فألقاه في حجرها فقرا أنه وكانت عريضة من قوم تبع
(قوله استثناف) يعنى انه من كلام بلقيس اجابت به لمن قال من هو وما هو اى ما صفته وليس مما كتب سليمان في كتابه
حتى يقال كيف قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فان بلقيس اذا ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان
ثم حكى ما في الكتاب بانه كيت وكيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا انه وانه بكسر الهمزة فيهما على الاستثناف
جوابا لسؤال قومها كانهم قالوا من الكتاب وما فيه فأجابتهم بابا وابين وقرى بفتح الهمزة فيهما اما على انه يدل
من كتاب يدل انتقال او يدل الكل من كتاب كانه قيل النى الى أنه من سليمان وأنه كذا وكذا واما على اسقاط لام
الهاء والتقدير لانه من سليمان ولائه كذا وكذا كأنها علات كرمه بكونه من سليمان و بكونه مصدرا بيسم الله الرحمن
الرحيم (قوله أن مفسرة) بناء على ان بسم الله متعلقة بالقول كانه قيل اقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم فسر المقول
بقوله ان لاتعلوا على ولا تشكروا وان كانت مصدرة تكون مع صلتها في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
او على انه يدل من كتاب كانه قيل النى الى أن لاتعلوا (قوله مع كمال الدلالة على المقصود) وهو الدعوة الى
الاستكمال بالقوة النظرية والعملية والتحلى بالفضائل العلمية والعملية والعلم مقدم على العمل فابتدأ بقوله بسم الله
الرحمن الرحيم لاشتماله على اثبات الصانع تعالى وصفاته صريحا والزما اما صريحا فظاهر واما الزما
فلان ما ذكر صريحا يستلزم كونه تعالى حيامر بدا عالما قادرا ولما ورد ان يقال انه من سليمان عن الاستعلاء والامر
بالانقياد قبل اقامته ما يدل على رسالته حقا يدل على الاكتفاء بالتقليد والدعوة اليه اجاب عنه بان لا تقليد
والحال ان رسول سليمان الى بلقيس كان الهدد ورسالة الهدد معجزة والمعجزة تدل على وجود الصانع وعلى صفاته
وتدل على صدق مدعى الرسالة فلما كانت رسالة الهدد دليلا تاما على التوحيد والنسبة لم يحتج الى ذكر دليل آخر
روى ان نسخة الكتاب كانت هكذا بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام
على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على وأتخون مسلمين وكانت كتب الانبياء جلالا يطيلون ولا يكترون ويجوز
ان يكون الكتاب اطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ما هو المقصود منه وهو دعاؤها الى التوحيد (قوله
في امرى الفتى) اى الحادث عن قريب والفتى الساب والفتاة السامة والفتوى هى الجواب فى الحادث والمعنى
اشيروا على بما عندكم من الرأى والتدبير فيما حدثت من الامر بلفظ مستق من الفتاة فى السن وهو لفظ الفتوى
جامع الحادثة (قوله لى الثرى) اى ليعاينوها يقال مالاثة على الامر بمالاثة اى ساعده عليه مساعدة وتعالى وا
على الامر اى اختصوا عليه وتعانوا فأجابهم اقوم بان ذكرها لهما قوتهم وشجاعتهم تعرضا منهم بالقتال ان امرتهم
بذلك ثم قالوا والامر اليك اى فى القتال وتركه ولما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت ان من الرأى الميل الى النصح
والابتداء بما هو احسن فزيت اولاما ذكره وأرثتهم الخطأ فيه وقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عتوة وقهر اخر يوها
وقوله تعالى وكذلك يفعلون من تمام قولها ارادت وهذه عادتهم المستمرة التى لا تغير لانها كانت ريت فى بيت الملك
القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ويجوز ان يشهى كلامها عند قولها ادلة ثم صدقها الله تعالى فيما قالت فقال وكذلك
يفعلون اى وكما قالت هى تفعل الملوك ثم قالت الرأى المستقيم ان بتدئى بارسال رسل ملتبسين بهدية فنظريهم
يرجع المرسلون وقوله بم متعلق يرجع لبقوله ناظرة لان اسم الاستفهام له صدر الكلام واعلم ان بلقيس كانت
امرأة لبيبة حيث اختارت ان ترسل اليهم اى الى سليمان وقومه هدية وان تختبر بها أملك هو أم نى وقالت ان يكن
ملكنا قبل الهدية ورضى بها وان يكن نيلام يقبل الهدية ولم يرض منا الا بان نبعه على دينه فذلك قواها
فناظرة يرجع المرسلون فان هذا الكلام يدل على انها لم تتق بالقبول وجوزت الرد و ارادت ان يتكسف غرض
سليمان (قوله وقرأ حجرة ويعقوب بالادغام) اى بادغام تون الرفع فى تون الوقاية واما الياء فان حجة يحذفها وقفا
ويثبتها وصلا على قاعدته والياقون بنونين على الاصل جمعوا بين التلين ولم يدغوا لان الثانية ليست بلازمة فانهما
تراد مع ضمير التكلم واما الياء فان ناعما ويا عمرو وكثرة يثبتنها وصلا ويحذفها فانها وقفا وان كثير يثبتها فى الحالتين

(والياقون)

جاءوا (قال أحمد ونونى عمال) خطاب للرسول ومن معه والرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حجرة ويعقوب بالادغام وقرى بنون واحدة وبنونين وحذف الياء (فأأتانى الله)
من النبوة والملك الذى لا من يد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبأمتها الكسائي وحده (خير مما تأم) فلا حاجة الى حديثكم ولا وقع لهن عندى

(بسم الله الرحمن الرحيم لاتعلوا على) ان مفسرة
او مصدرة فيكون بسم الله خبر محذوف اى هو
المقصود ان لاتعلوا او يدل من كتاب (وأخونى
مسلمين) مؤمنين او متغادين وهذا الكلام فى غاية
الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على
البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا
او الزما والنتى عن الترفع الذى هو أم الرذائل
والامر بالاسلام والجامع لامهيات الفضائل وليس
الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحججة على رسالته حتى
يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على ذلك
الحالة من اعظم الادلة (قالت يا ايها الملا أفنوى فى
امرى) أجيبنى فى امرى الفتى واذكروا
ما تستمعون به (ما كنت قاطعة امرى) ما ابت امرى
(حتى تشهدون) الا بحضوركم استعظمتهم بذلك
ليأثروا على الاحابة (قالوا نحن اولوا قوة) بالاجساد
والعدد (واولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة
(والامر اليك) موكل (فانظري ماذا تأمرين)
من المقابلة والصلى طمعك وشيع رأيك (قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها) تريف لما احست
منهم من الميل الى المقابلة بادعائهم القوى الذاتية
والعريضة واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى
سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفهم من
اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدري عاقبتها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة) بنهب اموالهم وتخريب
ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر (وكذلك
يفعلون) تأكيد لما وصفته لهما حالهم وتقرير بان ذلك
من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لهما من الله عز وجل
(واى رسالة اليهم مهدية) بيان لما ترى تقدمه للصالحه
والمعنى اى رسالة رسلا مهدية ادفع بها عن ملكى
(فناظرة يرجع المرسلون) من حاله حتى يعمل بحسب
ذلك روى انه ابنت منذر بن عمرو وفدو ارسلت
معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان
وحقافيه درة مخدراء وجزعة معوجة الذهب وقالت
ان كان نبيا مير بين الغلمان والجوارى وتقب الدرة تقا
مستوا رسلا فى الخزنة خيطا فلما واصلوا الى معسكره ورأوا
عظم شأنه قاصرو اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد
سبقهم جبريل بالحال طلب الحق واخبر بما فيه فأمر
الأرضة فأخذت سمرة ونفذت فى الدرة و امر دودة
بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجرعة ودعا للماء فكانت
الجارية تأخذ الماء بيدها فتبعله فى الاخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
(فلمجا سليمان) اى الرسول او ما هدته اليه وقرى فلما

(بل انتم بهديتكم تفرحون) لانكم لانظرون الانظارا
من الحياة الدنيا تفرحون بما يهدي اليكم جبال زيادة
اموالكم او بما تهنده افئدة اعلی امثالكم وانما انصراب
عن انكار الامداد بالكل عليهم وتعليه الى بيان الرب
الذي جعلهم عليه وهو قيا حاله على حالهم في قصور
الهمة بالدنيا والزياة فيها (ارجع) ايها الرسول
(اليهم) اني بقلبي وقومها (فلنا تبنيهم) يجتهدون لاقبل
لهم بها) لاطاقتهم بمقارنتها ولا قدرة على مقائلتها
وقرى بينهم (ولخرجتهم منها) من سبأ (اذلة)
بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون)
اسرا منهاون (قال يا ايها الملا ايكما ياتي بعرشها)
اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب
الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة
ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فيظن انهم قد اتموا
(قبل ان ياتوني مسلمين) فانها اذا اتت مسلما لم يحل
اخذها الا برضاها (قال عفريت) خيث ماردا (من
الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخيث المنكر المعفر
اقرانه وكان اسمها كوان او خيرا (انا اتيك به قبل ان
تقوم من مقامك) مجلسك للحكومة وكان يجلس الى
نصف النهار (واني عليه) على حله (لقوى امين)
لا اختزل منه شيئا ولا بدله (قال الذي عنده علم من
الكتاب) آصف بن برخيا وزره او الخضر او جبريل
او ملك ايداه الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك
للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه
والخطاب في (انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك)
للعفريت كانه استبطا فقال له ذلك او اراد اظهار
معجزة في غلة فقبحا هم اولاهم اراهم انه ياتي له مالا
ينها لعفريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بان يكتب
جنس الكتب المنزلة او اللوح واتي في الموضوعين
صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان
لنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال
الطرف كافي قوله * وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
* قلبك يوما اتعبتك الناظر وصف بردا الطرف
والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شي
فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في
الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) رأى العرش (مستقرا
عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا للنعمة بالشكر
على شاكلة الخلق من عباد الله تعالى (هذا من
فضل ربى) تفضل به على من غير استحقاق والاشارة
الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف
من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان
مثله قد مر في آية الاسراء

والباقيون يخذفونها في الحلتين وروى عن نافع انه قرأ جون واحدة خفيفة وباء على حذف النون الثانية التي
تصح ضمير التكلم وحذف الاولى لحي لانها علامة ومعنى قوله اتمدوني بمال ازيدوني مالا بهديتكم وهذا
استفهام انكار اي لا اطلب زيادة في المال فكأنه قيل لا اقل هديتكم بل اردها عليكم ثم علل هذا الانكار
بقوله فما اتاني الله خبر مما آتاكمم اضرب عن انكار الاهداء وتعليه الى ذمهم بالاغترار بالامور العاجلة
وغفلتهم عن الفضائل الروحية والامور الآخرة فقال بل انتم بهديتكم تفرحون كانه قال انا الارضى بالهدية
والمصانع بل انتم تفرحون بذلك لان نظركم مقصور على الزخارف الدنيوية وفرحى بالنبوة والعلم والامور الآخرة
قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذا على ان تكون الهدية في قوله بهديتكم
مضافا الى المهدي اليه فان الهدية اسم لما يهدي اي يعطى الى شخص تكم كما كان العطية اسم لما يعطى فضاف
تارة الى المهدي وتارة الى المهدي اليه يقال هدية فلان فيراد اهداها فلان او اهديت اليه والمراد هنا الاضافة الى
المهدي اليه والمعنى بل انتم بالاهداء اليكم تفرحون ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل
انتم بهذه التي اهديتها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها فيكون وجدا انصراب
حيث انه لما قال اتمدوني بمال وكان ذلك متضمنا معنى انظنوني افرح بهديتكم والمعنى اني لا افرح بهديتكم
اضرب عنه بقوله بل انتم بهديتكم تفرحون (قوله تعالى فلنا تبنيهم) جواب قسم محذوف وكذلك ولخرجتهم
اي فوالله فلنا تبنيهم فان قيل كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحفظ عيذه فاجاب انه معاق على شرط حذف لدلالة
المقام عليه اي ان ياتوا مسلمين وحقيقة قوله لا قبل لهم لا مقابلة ولا طاعة عليها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما
رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا نابه من طاعة
وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ارتحلت الى سليمان
في اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة قائد تحت كل قائد الف فلما قربت منه على مقدار فرسخينها وبين
سليمان رأى سليمان وهما قريبا الى توقد نار فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت بهذا المكان فاقبل سليمان
على جنوده حينئذ فقال يا ايها الملا ايكما ياتي بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين طائعين وقد روى انها لما خرجت
الى طاعة سليمان امرت ان يجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة وغلقت
الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه (قوله لانه يقال للرجل الخيث) اعليل لكون من اللتين فان ما قبلها يجب
ان يكون اعم من مدخولها وهما كذلك فان العفر والعفريت والعفريت والعفريت واشتقاقه من العفر وهو التراب
الحيث المنكر الذي يعفر اقرانه اي بلقيس في التراب ومن الشياطين الخيث السارد واشتقاقه من العفر وهو التراب
(قوله انا اتيك) يجوز ان يكون فلما مضى على وزن افعل نحو اضرب واصله اتيك بهم حزنين فأبدلت الثانية
الغاوان يكون اسم فاعل فالالف زائدة والهمزة اصلية على عكس الاول (قوله والطرف تحريك الاجفان للنظر)
فالطرف بالنسبة الى النظر كالنظر بالنسبة الى الرؤية فان الناظر اذا اراد النظر الى شيء حرك اجفانه نحو ذلك الشيء
فهو ارسال الطرف واذا اراد الاساءة عنه ردا للاجفان الى مكانها الاول فلما كان وضع الطرف موضع النظر
عبارة عن امتداد النور من العين الى المرئي كان انغاض الجفن يوهم ان ذلك النور ارتد الى العين ورأى
في البيت نصب على الحال من طرفك وجواب اذا اتعبتك والراى الذي يتقدم القوم لطلب الكلاء لهم اي اذا
جعلت عينك رائدا اقبلك لطلب هواها اتعبك مناظرها وتوقعك في اشق المكارة ثم ان الشاعر فصل ما اجمله
في قوله اتعبتك الناظر بقوله في البيت الثاني

رأيت الذي لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

واختلف المفسرون في قوله قبل ان يرتد اليك طرفك على وجهين الاول انه اراد المبالغة في السرعة كما تقول
لصاحبك افعل ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد والثاني ان يكون الكلام على ظاهره فان قيل كيف يجوز
ان ينقل العرش من ناحية اثنين الى ارض الشام في هذا القدر من الزمان وهو يقتضي اما القول بالحركة او حصول
الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين اجيب عند بيان المهندسين قالوا كره الشمس مثل كرة العرض مائة واربع
وستين مرة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا تسعنا زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار الذي بين الشام
والبحر كانت تلك اللحظة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل

الممكنات زال السؤال فإن المصنف في سورة الاسراء والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة وثلاثون مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات روى ان آصف بن برخيا قال سليمان ارسل طرفك فنظر نحو اليمن قدما آصف فغار الكرسي تحت الارض ونبع لدى كرسي سليمان قبل ان يرجع اليه طرفه (قوله نكروا لها عرشها) اي اجعلوه مثكرا متغيرا عن شكله كما ينكر الرجل للناس ثلا يعرفوه فالتكر التغير والتكر التغير فلما امر سليمان عليه الصلاة والسلام الشياطين بذلك نكسوه اي جعلوا اسفله اعلاه وبوا فوجدوا بابا اخرى هي اعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الاخر اخضروا بالعكس قيل لما جاء بلقيس خاف الجن ان تفتي امرهم الى سليمان لانها كانت جنية وان يتر وجهها سليمان قتله له ولدا فلا يفتكون من التسخير فاحتالوا لتغيره عنها فقالوا ان في عقلها شيا من الخفة وانها شعراء السابقين وان رجلها كحافر حار فلما سمع سليمان ذلك امرهم بتكبير عرشها ليغير بذلك عقلها وامر الشياطين بان يشوا له صرحا مرصدا اي قصرا مملسا من ثاورية يضاء تضرب كائنا الما لغاية صبغتها ويجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها ليقول لها عند مجيئها اليه ادخلي الصرح لتكشف عن ساقها حيث ما اراد دخولها بناء على ظن ان ماء عظيم ليغير بذلك حال ساقها او رجليها وقيل امر سليمان بتكبير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها بمثل ما فعلت هي به في امر الوصفاء والوصائف وتكبيرها اياهم وامر الدرة العذراء والجزعة المعوجة الثقب فاهدى هو عليه الصلاة والسلام لنيوته ولم تهتدي اليه فاستبان لها حاله بذلك فاطاعته واسلمت ((قوله تشبهها عليها)) اي تلبسها من الشبهة بمعنى الالتباس وقالت في الجواب كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس هو قال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كاشبهوا عليها ووقفت في محل التوقف ثلاثا تكذب وذلك من كمال عقولها فقبل لها ان عرشك غا اغنى عنك اغلاق الابواب وتسلط الحراس عليه (قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها) ان كان من كلام بلقيس يكون ضمير قبلها راجعا الى الحالة او المعجزة الدال عليها السياق كانهما قالت واوتينا العلم بكامل قدرة الله وصحة نبوتك قل هذه الحالة بما شاهدناه من رسالة الهدى ورد الهدية وسأمرنا عنه من قبل الرسل وان كان من كلام سليمان واتباعه يكون ضمير قبلها راجعا الى بلقيس فكان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى على ان خصهم بميزة التقدم في الاسلام (قوله وصدها عبادتها الشمس) على ان يكون فاعل صد قوله ما كانت تعبد بمعنى عبادتها راظهار ان هذا الجملة حيث تكون معطوفة على جملة واوتينا العلم على ان تكون من كلام سليمان واتباعه وان كانت من كلام بلقيس تكون هذه الجملة استئناف اخبار من الله بذلك (قوله او وصدها الله) على ان يكون فاعل صد ضمير بالبري وعلى هذا يكون قوله ما كانت تعبد في محل التصب على اسقاط الخافض اي ومعها الله عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس اي منعها عن عبادة الشمس (قوله انها كانت) الجمع وور على كسر همزة انها استئنافا وتعليلا وقرئ بالفتح على انها بدل مما كانت تعبد على تقدير كونها فاعل صد اي وصدها انها كانت او على اسقاط لام العلة اي لانها فاسي قريظة من قراءة الجمهور (قوله وقيل عرصة الدار) اي قيل الصرح الضخم المكتشف من غير سقف وهو سواء كان بمعنى اقصر او العرصة مأخوذة من التصريح بالشيء وهو كشفه واطواره (قوله جلا على جعه) يعني انه سمع من العرب في جمع ساق شوق واسوق بالهمزة فاجرى عليه الواحد قال ابن عباس لما كشفت عن ساقها ظهر قدم لطيف وساق حسن مدمج اي متلى لكنه اشهر قيل انه غلبه الصلاة والسلا تزوجها وكره ما رأى من كثرة شعر ساقها فقال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت بلقيس اني لم يسن حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الشياطين فقالوا انحلال لك حتى يكون ساقها كالفضة الملساء فاتخذوا النورة والجمام من يومئذ فلما ابصر سليمان ساقها وقد منها وعرف جلالها صرف بصره وقال انه صرح بمرد من قوار يرو ذلك لانه لم يجز له ان ينظر الى ساقها بعد ما بين حال ساقها وانما لاجاز قبل ان يتبين حاله ولذلك افادها بذلك حتى تسر ساقها وعمر يد اليها يجعله تمسكها يقال شجر امر د وغلام امر داي لا ورق له ولا شعر فلما قيل انه ليس بعاء بل صرح بمرد من

(ليبلون) أشكر) بان اراد فضلا من الله بلا حول من ولا قوة واقوم بحقه (ام أكثر) بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء ما واجبه ومحاها بالنصب على البدل من الياء (ومن شكر فانه ينكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومن يدها ويحط عنها عبي الواجب ويحفظها من وصمة الكفران (ومن كفر فان ربي غني) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغير هيئته وشكله (نظروا) بجواب الامر وقرئ بازع على الاستثاق (اتهندي) ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته والجواب انصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذ ارادت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس) فلما جاءت قبل اكد اعرشك تشبهها عليه زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (فانت كاهنهم) ولم تقل هو لاحتمال ان يكون له وذلك من كمال عقلها (واوتينا العلم من قبلها) وكما مسلمين من تمدها كانهما قالت انه اراد بذلك اخبار عقلها واطهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكامل قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذا الحلة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجو برا غابا واحضار نعمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الاعلى يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكما متقادين لم ينكس لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكره (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدعا نشوها بين اطهر الكفار او التعليل له (قيل لها ادخلي الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما اراد به) بتدليله وكشفته عن ساقها) روى انه امر قبل قدومها في قصر صحنه من زجاج ايض واجرى من تحته الماء والتي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصره ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقها وعن ابن كثير برواية قبل ساقها بالهمز جلا على جعه سنوق واسوق (قال انه) ان ما نظنته ماء (مرد) من قوار (من قوارير) من الزجاج

قوارير ارسلت ذيلها وسرت ساقها وتجبث من ذلك واستحكم ما شاهده من دلائل الوحداية والنسوة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدم من عمرها ومنعة لعقد الاسلام بكامل الرغبة والايقان رب اني ظلمت نفسي فيما سبق من عري واسلت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ارادت بظلمها نفسها سوء ظنهم بسليمان حيث حسبت ان سليمان اراد ان يقتلها بان يفرقها في اللجة قال محمد بن كعب القرظي لما ابصرت بلقيس الصرح قالت ما وجد ابن داود عذبا يقتلني به الا افرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت ظلمت نفسي حيث اسأت به الظن (قوله وقد اختلف في انه تزوجها) والمشهور انه تزوجها واحبها حباشيدا واقرها على ملكها فكان يزورها كل شهر مرة بقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له داود بن سليمان وامر الجن فينواها مدينة بسليمان وقصر غمدان بصنعاء وقيل زوجها ذابغ ملك همدان فانه قدرى ان بلقيس لما سلطت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت او مثلي يا بني الله ينكح الرجال وقد كان في قومي الملاك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك قالت فان كان ولا بد فزوجني ذابغ ملك همدان فزوجها اياه ورد هالي اليه ودعا زوجة ملك جن الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان فلما مات سليمان وعلمت الجن موته نادى زوجة يامعشر الجن قدمات سليمان فارفعوا رؤسكم فرفعوها وخرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فبحان من لا انقضاء لدوام لاهوتيه وملكه * روى ان سليمان عليه السلام ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وقد ذكر قبل قصتها قصة موسى عليه الصلاة والسلام فالآن ذكر الله تعالى قصة نائلة وهي قصة صالح عليه الصلاة والسلام قال ولقد ارسلنا الى عمودا خاهم صالحا (قوله اطيرنا) اصله تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت همزة الوصل ليأتي الابتداء والتطير الشؤم يبروج الطير وهو ان يسابلك مياسرة بان يمر من ميامنك الى ميسرك والعرب تطير بالبراح لانه لا يمكنك ان ترميه حتى تحرف وتتين بالسائح وهو الذي يقابلك ميامنة بان يمر من ميسرك الى ميامنك والمراد بالتطير في الآية مطلق الشؤم فانه قد يستعمل في الشؤم بكل ما ينشأ به وان كان في الاصل عبارة عن التماسم بالطير روى انهم خطوا بعد مبعث صالح عليه السلام لتكذيبهم اياه فانسبوا اليه حبيبه وتشاء موايه كابتداء مون بالطير فقال عليه الصلاة والسلام طائركم عند الله اى السبب الذي يجيئ من خيركم وشركم عند الله وهو قضاءه وقدره وكل ما يصيب العبد من الخير والشرا مما يصيب بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته لا ارادة لقضائه ولا معقب لحكمه لا مانع لما اعطاه ولا معطي لما سئد اطلق الطائر على ما عوسب حقيقى للخير والشرا وهو قضاء الله تعالى وقدره تشبيها بالاطرار الذي هو سبب الهلاك فيهم ويحتمل ان يكون الطائر مستعارا لعمالهم التي كانت سببا لما اصابهم من الشدة فانه ما مكتوب عند الله تعالى كان القضاء والقدر مسقتان فاعتان به تعالى (قوله الى ذكر ما هو الداعي اليه) وهو اخبار انهم هل ينشرون الى ان ما اصابهم من حسنة فبفضل الله ورحمته وان ما اصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لى اتم قوم تفتنون اى تفتنون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة (قوله وانما وقع تمييز النسبة باعتبار المعنى) يعنى ان ميم ما فوق الالف الى العشرة يجب ان يكون مجموعا والرهط مفردا للفظ ومع ذلك وقع تمييزا للنسبة لكونه في معنى الجماعة كانه قبل تسعة انفس (قوله اى شأنهم الافساد الخالص) اشارة الى فائدة قوله ولا يصلحون بعد قوله يفسدون في الارض وهى ان المفسدين قد ينجي منهم الاصلاح في بعض الاوقات وهو لاء النسبة كان حالهم بخلاف ذلك اذ لم يكن منهم الاصلاح اسلا وكاواعادة قوم صالح وكاوامن ابناء اسرافهم وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن ساف وهو عاقر الناقة وقوله يفسدون صفة تسعة اورهط فيكون في موضع الرفع اراجر (قوله امر) اى يجوز في تقاسموا ان يكون امر اى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا ما شئنا وحيث يجوز ان يكون بدلا من قالوا مفسر الله كانه قبل ما قارا فقبل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا من فاعل قواعلى اهتمام قداى قالوا ذلك متقاسمين (قوله وقرأ آخرة والكسائي) اى يته بشاء الخطاب المضوم وبنم اثنا الثانية والباقيون بنون المتكلم وقبح التاء (قوله ثم نقولن) قرأه جزة والكسائي بناء الخطاب المفتوحة وضح الام والباقيون بنون المتكلم وقبح اللام وقرئ يسا الغيبة في انقلبن فاما قرأه الاخوين فان جعلنا تقاسموا فعل امر فاتخطاب وانخرج رجوعا بآخر الصيغة الى اوله وان جعلنا

(قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادتي الشمس وقيل بظنى سليمان فانها حسبته انه يفرقها في اللجة (واسلت مع سليمان لله رب العالمين) فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها وزوجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد ارسلنا الى عمودا خاهم صالحا ان اعيدوا الله) بان اعيدوه وقرئ بضم النون على اتباعه الباء (فاذا هم فريقان يختصمون) ففاجأوا التفرق والاختصاص فامن فريق وكفر فريق والرا والمجموع الغريقين (قال باقوم لم يستجلبون بالسينة) بالعقوبة فتقولون اننا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق في ايعاده بنا حينئذ (ولولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلمكم رجونا) ببولها فانما لا تقبل حينئذ (قالوا اطيرنا) تشاء منا (بك وبمن معك) اذ تشاءت عليه الشدة بدو وقوع بيننا لا فراق منذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) سيكم الذي جاء منته شركم (عند الله) وهو قدره او علمكم المكتوب عنده (بل اتم قوم تفتنون) تفتنون بتعاقب السرا والضراء والاضراب عن بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما ينبغي بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه (وكان في المدينة تسعة رهط) تسعة انفس وانما وقع تمييز النسبة باعتبار المعنى والتفرق بينه وبين الفرقة من الثلاثة والسبعة الى عشرة والفر من الثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اى شأنهم الافساد الخالص عن شوائب الصلاح (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باعتماد قد لنيته واهله (لنباغتن صالوا هاهنا ولا وقرأه جزة والكسائي) بناء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر (ثم نقولن) فيه القرآت الثلاث (اوليه) لولى دمه (ما شئنا من ملك اهله) فضلا ان تولينا اعلاهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا هناك في قرأة حفص فان مفعلا قد جاء مصدر اكرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا

ماضيا او امرا قال الامر فيها واضح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قراءة الغيبة فيها حفاظا على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا بآخر الكلام الى اوله في الغيبة وان جعلناه امرا كان ليبينه جوابا لسؤال مقدر كما انه قيل كيف تقاسموا فليل لينتد والبيت مباغثة العدو ومفاجأة ته بالقتل ليل والمعنى لثقلته يات الى ليل واهله اى قومه الذين اسلوا معه ثم لنقولن لوليه اى لولى دمه ماشهدنا مهلاك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او موضع هلاكهم اوزمانه او اهلاكم او موضع اهلاكم اوزمانه ولاندرى من قتلهم قر العامة مهلك بضم الميم وفتح اللام من الاهلاك وحقق بضم الميم وكسر اللام وابوبكر بفتح الميم واللام وكلاهما من الهلاك الا انه على قراءة اى بكر لا يكون الا مصدرا لان هلاك من باب ضرب واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لا يكون الا بكسور اللام واما مهلك بكسر اللام فانه يحتمل الثلاثة وكذا مهلك بضم الميم وفتح اللام تحالف القوم على ان يبيتوا وصالحا واهله ثم يكرهوا عند اوليائه انهم فعلوا ذلك اورأوه وكان هذا مكر اعزموا عليه هذا على تقدير ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا مفسرا لنفس قالوا ولا يكون مقول القول (قوله ونحلف اننا لصادقون) يعنى ان جلالة اننا لصادقون فى محل انصب بزعم الخافض التعلق بفعل محذوف معطوف على قوله لنقولن اى ثم لنقولن كذا ونحلف اننا لصادقون فيما قلنا وعلى انه حال من فاعل لنقولن ولما ورد ان يقال كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع ويجوز ان فعلوه عمدا اجاب عند بوجهين الاول ان الكذب انما يلزمهم ان لو انكروا والمباشرة ولا ينكر وهابل انكروا الشهود وانكاره لا يستلزم انكار المباشرة يلزم انكذب والثاني اسم انما انكروا وشهدوا مهلك اهله وحده وهم صادقون فيه سمي الله مواضعهم على قتل صالح واهله خفية مكر الكونها مكر فى الحقيقة لان المكر قصد الاضرار على طريق القدر والخيالة وسمى تدميره واهلاكه اياهم وهم لا يشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكر ايضا تشبيهه له بالمر من حيث كونه اضرارا فى خفية لقوله وهم لا يشعرون والمساكلة (قوله فى الحجر) وهو اسم مدينة محمود قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين الراغب الحجر ماسور بالحجارة وبه سمي حجر الكعبة وديار محمود والشعب بالكسر ما انفج بين الجبلين وقيل الطريق فى الجبل (قوله زعم ان يفرغ من اى ثلاث) وذلك انهم اعقروا الناقة اخبرهم صالح بزول العذاب المستاصل عليهم عند انتهاء ثلاثة ايام فقالوا ذلك قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح عليه السلام يخرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلوهم وهو قول الكلبي وقال قتادة والسدى دخلوا البلى فخرق جبل يفرصون فارسل الله تعالى عليهم حفرة فسدت عليهم ثم الخرق فهلكوا فاهله واهلك الله تعالى سائرهم بصيحة جبريل وقرأ الكوفيون انادى ناهم بفتح الهمزة والباقون بكسر هاء على الاستئناف واختار المصنف قراءة انا بكسر الهمزة وجوز حيثئذ ان تكون كان تاممة وناقصة وجوز على تقدير كونها ناقصة ان تكون ان المكسورة مع مافى حيزها استئنافا وان تكون خبر مبتدأ محذوف ولا ينافيه اقتضاؤها الصدارة لانها انما تقتضى ان تكون فى صدر الجملة التى دخلت هي عليها وهذه الصدارة حاصلة سواء جعل خبر ان او خبر كان الا انه لم يجوز كونها خبر كان لان المكسورة مع مافى حيزها جملة والجملة لا تكون خبرا بدون العائد بخلاف المفتوحة فانها مع مافى حيزها تؤول الى المفرد فيصح كونها خبرا بدون العائد وعلى تقدير كونها مستأنفة بحيث يتم الكلام قتلها وذلك بان تكون كان تاممة وعاقبة فاعلها وكيف حالها اى فانظر بالمجد على اى حال عاقبة امرهم اى بان تكون ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ويجوز على تقدير ان تكون ناقصة ويتم الكلام قبل ان المكسورة ان يكون قوله انادى ناهم بكسر الهمزة خبر مبتدأ محذوف اى وهى انادى ناهم على معنى وتلك العاقبة انادى ناهم وعلى قراءة الكوفيين يجوز ان يكون انا دمر ناهم خبر مبتدأ محذوف سواء جعل كان تاممة وناقصة فانه ان جعل كان تاممة وعاقبة فاعلها وكيف حالها اى فانظر بالمجد على اى حال عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم اجمعين ولا يجوز على تقدير كون كان ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها اى فان كان انادى ناهم بدلا من كيف لان قوله انادى ناهم ناليس معه حرف الاستفهام والبدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرف الاستفهام نحوكم مالكم أعشرون ام ثلاثون وكيف فلان أصححيم اسم سقيم ولو قلت

(والمصادقون) وخلف الصادقون أووالخال
انالمصادقون فيأذكرنااذاشهدلشيءغيرالمباشرة
عرفااولانا ماشهدناهملكم وحده بل مهلكه
ومهلكهم كقولك ماأرأت محمدجاليل رجلين (ومكروا
هكرا) بهذهالمواضعة (ومكرناكمرا) بان جعلناها سببا
لاهلاكهم (وهم لايشعرون) بذلك روى انه كان لصالح
في الحجرة مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ
منالثلث ثلاث فتفرغ منه ومن اهله قل الثلاث فذهبوا
الى الشعب ليقنلوه فوقع عليهم حفرة حيا لهم فطبقت
عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك الباقيون في اماكهم
بالصيحة كما اشار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انادمرناهم وقومهم اجمعين) وكان ان جعلت
ناقصة فخببرها كيف وانادمرناهم استئاف اوخبر
مخدوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها مامة فكيف
حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انادمرناهم بالفتح
على انه خبر مخدوف او بدل من اسم كان اوخبره
وكيف حال (فذلك بيوتهم خاوية) خالية من خوى
البطن اذا خلا اوسا قطة منه مدة من خوى النجم
اذا سقطت وهي حال عمل فيها معنى الاسارة وقرى بالرفع
على انه خبر مبتدأ مخدوف (بماظلموا) بسبب ظلمهم
(ان في ذلك لآية لقوم يعلمون) فيتعظون (وانحينا
الذين آمنوا) صالحا ومن معه (وكناوا يتقون) الكفر
والمعاصي فلذلك خصوصا بالنجاة

عشرون او صحيح بغير اعادة حرف الاستفهام لم يجز (قولوا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا) يعني ان لوطا منصوب لما بدأ ذكره مضرة او بارسلنا المدلول عليه بما ذكر في القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة نود وقد ذكر في تأنيدها ولقد ارسلنا الى نود اخاه صالحا فيقدر لها منه واذ بدل اشتمال من لوطا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لا ذكر لان ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام اياه ليس في زمان قوله لقومه اما ان الفاحشة او ظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا حيث اذا يستقيم ان يقال وارسلنا وقت قوله والفاحشة الفعل الصحيحة وأراد بها اللواط باخفاق التفسيرين (قولوا او يبصرها بعضكم من بعض) يعني ويجوز ان يكون تبصرون من يبصر العين لا على ان المعنى وانهم تبصرون ما تأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلان العصية معصية زائدة على آياتها (قولوا يان) يعني ان قولها انكم لتأتون الرجال عطف بيان لقوله ان تأتون الفاحشة لكونه اوضح في الدلالة على فعلتهم الصحيحة وقوله شهوة منقول له اي تأتون الرجال لقضاء الشهوة فيجاوزين النساء مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولا يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للأنثى فأتى نكم الرجال للشهوة مضاد لحكم الله تعالى وحكمته (قولوا تفعلون فعل من يجهل فيجهل الخ) جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم او لا حيث قال وانهم تبصرون اي تعلمون غشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما وجهلا معا اجاب بثلاثة اجوبة الاول انه ليس المعنى انهم تبصرون غشها بل يلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من جهل غشها مع عليكم بذلك والثاني ان المراد بالجهل السفاهة والخطا التي كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون القيمة وعاقبة العصىا (قولوا والتاء فيه) جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغي ان تكون صفتهم الغيبة لطابق الصفقة الموصوف ومحصل الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريا على انهم خبرا عند فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والمخاطبة اعتبر جانب الخطاب لان الاصل في الكلام انما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما (قولوا يتزكروا عن افعالنا) اي لا يوافقونا فيها بل ينهون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة الا باخراجهم من بيتنا فقرأ الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدم وقرئ بالرفع والنصب احسن لان أن قالوا في تأويل قولهم فهو اعرف من جواب قومه لان المضاف الى المختار أعرف من المضاف الى المختار ولان أن قالوا لا يفضل التكبر بخلاف جواب قومه فانه يقبله بان يقال جواب لقومه (قولوا قدرنا كونها من الباقيين) يريد ان المضاف مقدر في قوله قدرنا لان التقدير متعلق بغورها وكونها من زمرة الباقيين في العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقي في القرية اهلكها الله بعذاب الأنفك وان خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكتا باصاها حجر في الطريق والمنبأ من هذه الآية ان امطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو امر شامل للجميع وان الباقيين في القرية المؤثفات اهلكوا بنوع آخر من العذاب ايضا (قولوا الزام لهم) يعني ان الآية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام واستعلام انه تعالى خير من عبده ام الاصنام لعاديتها ولا وجود له ضرورة ان احدا من العفلا لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شيء في معنى الخيرية بل المقصود ازام المشركين والتهكم بهم وتنفيد رأيهم بين الله تعالى ولا اهلاك كفارا لام السالفه ونجاة الموحدين المؤمنين ثم خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان محمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفى للتوحيد والايان من عبده او مخاطب لوطا عليه الصلاة والسلام وامره بذلك ثم انتفى الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والازام بقوله الله خبر ام ما تشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة حله على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم وام في قوله ام ما يشركون متصلة عاطفة بمعنى ايها خيروا بمعنى الذي وقيل مصدر بده على حذف المضاف من الاول اي ائوحيد الله خبر ام شرككم وام في قوله امن مقطوعة بمعنى بل والهمزة اشار اليه المصنف بقوله بل ام من لعدم تقدم همزة الاستفهام وقصد التنويه ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل ام من خلق السموات والارض خير اضرب عن السؤال بياها خير الى تقريرهم اي حلهم على الاقرار بان من قدر على خلق العالم فهو خير من جاد لا يقدر على شيء كانه قيل دعوا هذا السؤال أستم تقرون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جاد لا يقدر فهو

(ولوطا) واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول ظرف على الثاني (أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون) تعلمون غشها من يبصر القلب واقتراف القاصح من العالم يتبعها افصح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلمون بها فتكون أشش (انكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لانهم الفاحشة وتعليقه بالشهوة للدلالة على فيجبه والتسديد على ان الحكمة في الواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر (من دون النساء) اللاتي خلقن اذلك (بل انتم قوم تجهلون) تغفلون فعل من يجهل فيجهل او يكون سفها لا يميز بين الحسن والقبح او تجهلون العاقبة واتساء فبذلك يكون الموصوف به في معنى الخاطب (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتهم انهم اناس يظفرون) يتزكروا عن افعالنا وعى الاقدار ويعدون فعلنا قدرا (فأتجيبناه وادله الا امرأته قدرنا من الغابرين) قدرنا كونها من الباقيين في العذاب (وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مرثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسوله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عبده شكر افعلى ما انعم عليه وعلم ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين اولوطا بأن يحسده على هلاك كفره قومه ويسلم على من اسطفاه بالعصمة من الفواحش والتجاة من الهلاك (الله خير ام ما يشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتنفيد رأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدا كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء (امن) بل ام من (خلق السموات والارض) التي هي اصول الكائنات ومبادئ النافع وقرئ آمن بالتخفيف على انه بدل من الله

(وانزل لكم) لأجلكم (من السماء ماء فأنشابه حداثتي ذات بجملة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته وانثيابه على ان انسلت الحداثق اليهية المختلفة الانواع المتابعة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) شجر الحداثق وهي البساتين من الاحداثق وهو الاحاطة (الله مع الله) ، أغريه

(٤٩٨)

استفهام تقرير (قوله لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى) فانه لو اخرج الكلام على مقتضى الطاهر وقيل فأنبت به حداثتي لأفاد الكلام اختصاص الانبات به تعالى بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم فلما انتفت ونسب الفعل الى ذاته تأكد ذلك الاختصاص حيث دل عليه بأمرين (قوله من الاحداثق وهو الاحاطة) فان الحديقة كل روضة وستان عليه حوائط وانما حداثق اى محيطة به والشركاء المكان المرتفع (قوله أغريه يقرب به) يعنى انه استفهام انكار يعنى هل معه معبود سواه اعانه على خلق اصول الكائنات وانزال ما ينبت به اوراق المحلوقات وليس له شريك في ذلك وانما جازا الانبات بالكرة وهو الله لتخصيصه بالعموم المستفاد من همة الانكار الداخلة على الكرة (قوله يعدلون عن الحق) على انه من العدول وقيل هو من العدل يعنى التسوية والمعنى بل هم يعنى كفار مكة قوم يعدلون بالله غيره وهو الاصنام (قوله بدل من ام من خلق) فتكون ام فيه منقطعة ويكون معنى الهمة التقرير كما في البدل منه (قوله خللاها) يجوز ان يكون طرفا لجعل بمعنى خلق التعدية الى مفعول واحد وان يكون في محل المفعول الثاني لجعل على ان يكون بمعنى صير (قوله جلا لا تكون فيها العادن) بيان لوجود كون خلق الجبال في الارض من جملة وجود الانعام وذلك لان أكثر العيون والاشجار والمعدنيات انما تكون في الجبال وفيما يقرب منها والرواسي من الجبال الثوات الرواسخ من رسا الشئ يرسواى ثبت ولم يذكر من منافع الجبال كونها حافظة للارض عن الميلان كما قال الله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم لان تلك البقعة فهمت من قوله تعالى جعل الارض قرارا فانها لا تكون مستقرة للخلق الا بكونها ساكنة سالمة من الاضطراب (قوله او خليجي فارس والروم) الخليج من البحر مائشعب منه قال بعضهم المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزا وسميحت جزيرة لاجز رعتها الماء اى ذهب وقال بعضهم المراد بهما بحر الشام وبحر العراق (قوله واللام فيه للجنس) جواب عما يقال انه تعالى ذكر في جملة ما تفضل به على عباده انه يجب المضطر اذا دعاه والمضطر اسم جنس محلى بلام الاستغراق فيفهم منه انه يجب كل مضطر دعاء وكفى من مضطر يدعو فلا يجب وقريء يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وبدونه والحذف وقريء تذكرون بتاءين وقليل لصفة مصدر محذوف كما ذكر (قوله ولو صرح ان السبب الاكثر الخ) جواب عما يقال لانسليم انه تعالى هو الذى يحرك الريح ويرسلها فان الفلاسفة قالت الريح المحاثولة من الادخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة اياها سواء كانت الحرارة حرارة الشمس او حرارة النار فانها اذا صعدت ادخنة كثيرة الى فوق فاذا وصلت الى الطبقة الباردة وانكسرت يبرد ذلك الهواء لاجل حالته الثقيل وتنزل فيحصل من نزولها عروج الهواء فيحدث الريح وقوله ولو صرح اشارة الى منع ما ذكره وذلك ان الريح عند حركتها تسمى ويسرر بماتقوى على قلع الاشجار وهدم الجدران وكانت الريح عبارة عن الهواء المتوج بسبب حركة تلك الاجزاء الدخانية الى اسفل حركة طبيعية وجان تهديم سقف البيوت عند وقوع تلك الاجزاء عليها لان الحركة الهابطة طبيعية فتكون اقوى من الحركة العرصة التى هي الحركة تينة ويسرر ولا شك ان شيئا من السقوف لا يسقط بسقوط الاجزاء الدخانية عليه فظهر به فساد ما ذكره ثم انه تعالى لمساعد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الآخرة فقال لم من يبدأ الخلق ثم يعيده فان نعم الآخرة لا تتم الا بالاعادة بعد الابداء والابلاغ الى حد التكليف وذلك لا يتم الا بالارزاق فلذلك قال بعده ومن يرزقكم من السماء والارض وما ورد ان يقال كيف يمكن الزام الكفرة بذكر نعم الاعادة وما يترتب عليها وهم منكرون للاعادة اجاب عنه بانهم وانكروا الا انها لم يكن لهم عذر في انكارها من حيث قيام الادلة القاطعة الدالة على امكانها او كونها مقدورة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها زوايا من اقر بها فتوجه اليهم الزام والتجمل بذلك ثم بين ان امر الدين لا يبنى الاعلى الحجة والبرهان ولا يصح عجز الدليل فقال قل هاتوا برهانكم وقررهم هنا ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وفضله وبين بعده انه المختص بعلم الغيب ليثبت بمجموع الامر بن تفرد تعالى بالالوهية واستحقاق العبادة فان الآله الحق هو الذى يحيط علمه بأعمال المكلفين من الطاعة والمعصية و يقدر على مجازاة كل احد جزاء وفاقا بحيث لا يزيد عقاب العاصي على قدر معصيته ولا يضيع شيئا من طاعة المطيع (قوله والاستثناء منقطع) لعدم دخوله تعالى في قوله من في السموات والارض والمستثنى المنقطع منصوب ابدا عند الحجاز بين قانهم يقولون ما جاء في احد الاحرار ورفع المستثنى المنقطع في الآية معنى على لغة

يقرب به ويعدل له شريكا وهو المتفرد بالخلق وانكون وقريء أألها بضمار فعل مثل أتدعوا وأتشركون ويوسيط مدة بين العزمتين واحراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل الارض قرارا) بدل من ام من خلق السموات وجعلها قرارا يلداء بعضهما من الماء وتوئها بحيث تأتي استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خللاها) وسطها (انهارا) جارية (وجعل لها رواسي) سبلا لا تكون فيها العادن وينع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والمالغ او خليجي فارس والروم (حاجزا) برزخا وقد مر بيانه في الفرقان (الله مع الله) بل أكثرهم لا يارن الحق فيشركون به (أمر يجب المضطر اذا دعاه) المضطر الذى احوجه سدة مابه الى الجأ الى الله من الاضطراب وهو افعال من الضرورة واللام فيه للجنس للاستغراق فلا يلزم منه احاطة كل مضطر (ويكشف السوء) ويدفع عن الانسان ما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بان ورثكم سكتناها وانتصرف فيها عن قبلكم (الله مع الله) الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة (قللا مائذكرون) اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما من بدة والمراد بالقلة العدم والحقارة المنيحة للفائدة وقريء ابوعرو وروح بالياء وحجة والكسائي وحقق بالتاء وتخفيف الذال (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) بالتجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملاسة او مشبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعجاء للتي لا تمار بها (ومن يرسل الريح بترابين يدي رحته) يعنى المطر ولو صرح ان السبب الاكثرى في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب (الله مع الله) يقدر على شئ من ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها (ومن يرزقكم من السماء والارض) اى باسباب سماوية وارضية (الله مع الله) يفعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) على ان غيره يقدر على شئ من ذلك (ان كنتم صادقين) في اشرأكم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله)

لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفاعلة العامة ابعده ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع (بني)

بني قديم فأنهم يقولون ما في الدار احدا الاحجار ويجعلون المسنني المنقطع في حكم المفرغ ويقولون قولك ما في الدار
احد الاحجار اصله ما فيها الاحجار على ان يكون المسنني متداقدا راعى العام بمعنى ما في الدار شيء الاحجار الان
المتكلم لما ظن ان المتناظر يستبعد خلو الدار من الاكس في ذكر الاحد من جملة افراد المسنني متداقدا كيدا
لمنع كون الاكس فيها اوابق اعراب المسنني مرفوعا على ما كان عليه في الاصل فتيهها على الاصل وقد كان المسنني
في الاصل مرفوعا على الفاعلية فلا ذكر الاحد كان بدلا منه على هذا الوجه لا يكون المسنني المنقطع من قبيل
المتصل حيث لم يعتبر دخول المسنني في المسنني منه الذي جعل بدلا وهو الذي يذهب من قول صاحب الكشاف
يقولون ما في الدار احدا الاحجار كان احدا لم يذكر الان قوله بعد ذلك اخرج المسنني مخرج قوله الا لا مافيه بعد
قوله ليس بهاتين ايرى الى قولك ان كان الله من في السموات والارض فتيهها من يعلم الغيب يدل على انه
يحمل المنقطع كالتصل وقد رد خوله في المسنني منه ليشمل الكلام على التليق بالتحال فيفيد الكلام المانع في بني
علم الغيب عن اهل السموات والارض وهذه المبالغة لا تحصل على تقدير النصب لانه يستلزم ان يكون العلم لا يعلم
من في السموات والارض الغيب لكن الله يعلمه فيكون نصبه على انه اسم لكن وتفاوت هذه المبالغة المبينة على تعلق
علمهم الغيب بالهال (قولوا او متصل) فلا يتخرج في رفع المسنني الى العدول عن مذهب الحجاز بين الى مذهب بني
تميم لان المسنني المتصل يجوز فيه ان نصب ويشتار البديل في كلام غير موجب اذا كان المسنني منه مذكورا بانفاق
الجمهور والاية الكريمة من هذا القبيل ووجه اندراجها تعالى في من في السموات والارض قوله تعالى وهو معكم
ايضا كنتم وقول المتكلمين الله في كل مكان على معنى أن علمه في الاماكن كلها فكأن ذاته فيها ورد صاحب
الكشاف هذا الوجه بأنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والخيال في كلمة واحدة ويأباه ان الفريدة المستفادة من قوله من
في السموات حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى وتعارف بالنسبة اليه تعالى ولا يجوز الجمع بينهما في كلمة واحدة عند اكد
العلماء وان قال به الامام الشافعي رحمه الله كما في قولهم التمس احدنا اثنين والحال احدا لا يبين ومنه قوله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي وجوزوا المنصف امانته على مذهب وامائنا على ما ذكره الامام وهو قوله
لا يخال كونه تعالى في السموات والارض بجاز وكونه في بن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والخيال في
جاء لا يتناول كونه في السموات والارض كما انه اصل حقيقة وهو حصول ذاتهم في تلك الامكنة كذات حاصل
بجاء ايضا وكونه في تلك الامكنة اذا كانت هذه الكونية على المعنى الجازي وهو الوجود فيهم بمعنى العلم
الرب سبحانه وتعالى فيدفع الاستثناء (قولوا وانهم لم يزلوا) يعني ان قوله وما يشعرون وصف لاهل السماء والارض
نفي اوله ان يكون لهم علم بالغيب ثم اني عنهم المنصور بوقت البعث من بين جملة الغيب تدل على نفي قوله يعلمه وقيل
شعير يشعرون كقصة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ان مرسلها انكارا لاصل البعث
فوقبضهم الله تعالى بقوله وما يشعرون ان يشعرون مع استواء الخلق في باجدهم في الجمل بوقت البعث والمنصور
توحيدهم على انكار اصل البعث وقد اشار اليه المستصف بقوله واكد ذلك في شعورهم بما هو ما اتهم لا بما هو
اصل البعث لانه لم يسمع لسانهم انكاره في اي وقت وقت انكارها واثبتهم على انكار وقت البعث بذلك انه ارا
بشر يق انكارهم له واشاره ان ان الجاهل يقرب وقدما لا ينبغي فتدافع الجاهل باسفه (قولوا لاني عنهم) اي عن
اهل السماء والارض وقوله بل ادرك قرآنه اي بكر ادرك عند الدال واصله اقبل قلب الله دالا وادعت وفي
التفسير قرآنه ابن كثير واي شروبل ادرك بفتح الالف واسكن الدال من غير ألف بعده والبالون بوجه الالف
وتشديد الباء بعد ها الف وهذا صريح في ان اسمها يوافق من قرأ ادرك من غير ألف عند فيكون من قرأه
شبهه شرواله اعلم والمستصف اختر قرآنه ابن كثير واي عمرو فانه قرأ بل ادرك به من ذللت فرفع
واين عامر وحزرة والكسائي وما سم ادرك به مرة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعده الف اسفه تدرك
ابدلت الله دالا وادعت الدال في الدال واجتلبت همزة الوصل للابتداء فصار ادرك كذا نقل ووجه ادرك
بمعنى بلغ وانتهى من قولهم ادركت الناقة اذا بلغت وتكملت فصحا وقد مر من ان ادرك حيث
قال وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الخبيج وبين وجه الانشراح في قوله بل ادرك علمهم مع كون
ارتباطه بما قبله خفيا من حيث ان مدلول الآية المتقدمة انه تعالى وحده هو الذي يعلم الغيب ويعلم من الساعده
ولا تفسر المناسبة بين الآية الدالة على ان اسباب علمهم بان الاشارة والقيامه كأنه قد تكلمت واستحكمت

ورفع المسنني على اللغاة التحمية للدلالة على انه تعالى
ان كان من في السموات والارض فتيهها من يعلم الغيب
مبالغة في نفي عنهم او متصل على ان المراد من
في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها
اذلاخ الحاضر فيها فانه يعلم الله تعالى واولي العلم
من خلقه وهو موصول او موصوف (وما يشعرون
ان يشعرون) من يشعرون مركبة من اي وأن وقرئت
بضم الهاء والضمة والضمة وقيل للكثرة (بل ادرك علمهم
في الآخرة) لما نفي عنهم علم الغيب واكد ذلك
بني شعورهم بما هو ما اتهم لا بما هو ما اتهم
عند وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم
من الخبيج والاكبات وهو ان النيا مذكورة لا محالة لا يعلمونه
كأن بني (بل هم في شك منها) كمن تحير في امر لا يجد
عليه دليلا (بل هم متبايعون) لا يدركون دلائلها
من في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يستند فعل
الدهن الى الكل

والاضرابات الثلاث تنزّل لحوالهم وقيل الاول اضرب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة نهكباهم وقيل ادرك
(٥٠٠)

يعني انتهى واضمحل من قولهم ادركت النمرة لانها
تلك غايته التي عندها عدم وقرأ نافع وابن عامر وحرة
والكسائي وعاصم بل ادرك بمعنى تتابع حتى استحكم
او تتابع حتى انقطع من تدارك بنوا فلان اذا تابعا
في الهلاك وابو بكر ادرك واصلها تتفاعل واقتل
وقرىء ادرك بهمزة تن وادرك بالف يتهما وبل
ادرك وبل تدارك وبل ادرك وبل ادرك وام ادرك
وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضن من ذلك
فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك
على التهكم وما بعده اضرب عن التفسير مبالغة
في نفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون
فيها بل انهم منها عيون اورد واسكار لشعورهم
(وقال الذي كفروا ائذا كنا ترابا وآبائنا
اثنان نخرجون) كما لبيان اميهم والعامل في اذا
مادل عليه اثنان نخرجون وهو نخرج لانخرجون لان
كلا من الهمزة وان واللام مائعة من عمله فيما قبلها
وتكدير الهمة للمبالغة في الاسكار والمراد بالاخراج
الخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة
(لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل) من قبل وعد
يجد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود
بالذكر هو البعث وحيث اخره المقصود به المبعوث
نظر الى الاهتمام (ان هذا الاساطير الاولين) التي هي
كالاسرار قل سبروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الجرمين) بتهديد لهم على التكذيب وتخويف
بان ينزل بهم مثل ما نزل بالكذابين قلوبهم والتعبير عنهم
بالجرمين ليكون لطفاً للمؤمنين في ترك الجرائم
(ولا تحزن عليهم) على نكذبهم واعراضهم
(ولا تكن في ضيق) في جرح صدورهم وقرأ ابن كثير بكسر
الضاد وهما لقان وقرىء ضيق اي امر ضيق
(بما يكره) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس
(ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم
صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم
واللام من يدة للتأكيد والفعل مصبغ معنى فعل يعدى
باللام مثل دنا وقرىء بالقح وهو لوعة فيه بعض الذي
يستجلون) حلوله وهو عذاب يوم يدرو عسى ولعل
وسوف في مواعيد الملوك كالجرم بها وانما يطلقونه
اظهارا لوفاءهم واشعارا بان الرمة منهم كانت صريح
من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعد (وان
ربك لذو فضل على الناس) بتأخير عقوبتهم على
العاصي والفضل والفاصلة الافضل وجمعهما فضول
وفواضل (ولكن اكثرهم لا يشكرون) لا يعرفون حق
النعمة فيه فلا يشكرون بل يستعجلون لجهلهم وقوعه
(وان ربك ليعلم ما كن صدورهم) ما تخفيه وقرىء بفتح
الثاء من كنت اي سترت (وما يعلنون) من عداوتك
فيجاز بهم عليه

حتى توسط بينهما كلمة الاضرب ومحصل ما ذكره من المناسبة ان خلاصة ماسق بيان يحجزهم عن علم
ما لا دليل عليه اصلا وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة وخلاصة قوله بل ادرك علمهم في الآخرة
بيان يحجزهم عن علم ما تعاضدت الأدلة على وقوعه لا محالة حيث لا يعلمونه كما ينبغي فظهر وجه المناسبة بينهما
وصحة الاضرب الثاني عن الاول ثم قال والاضرابات الثلاث تنزّل لحوالهم اي من حاله سنة دينية الى ما هو
اسوأ وادنى منها فانه تعالى وصفهم اولاً بانهم لا يسعون وقت البعث اي لا يعلمون متى يوم القيامة ثم بين ان
حالهم ادون واسوأ من هذا بان قال بل ادرك علمهم في الآخرة اي تكاملت اسباب علمهم بان القيامة ستقوم
وستقع وهم مع ذلك لا يعلمونه كما ينبغي وهذه المرتبة اسوأ وانزل من الحالة الاولى لان اصل البعث ليس لغيب
من حيث انه تعاضدت الأدلة على حقيقة وقوعه فكأنه قيل لا يعلمون الغيب بل ولا مالمس بغيب ولا شك
ان الجهل بمثله اسوأ حالا من الجهل بما هو غيب ثم بين ان حالهم اسوأ حالا من هذه المرتبة اي من الجهل بان
القيامة ستكون بقوله بل هم في شك منها اي هم مستقرون في جهلهم لا يطلبون التفتي منه بالتفكر في الدلائل
المجيبة من طلمات السكوك والاهام فخالهم اسوأ حالا من حال الجهل المتردد الذي يطلب الحق والتوصل
الى الصواب ثم بين انهم اسوأ من هذا ايضا بقوله بل هم منها عيون بمعنى انه ليس لهم بصيرة يدركون بها
دلائل وقوعها من حيث ان استفهامهم بالذات النسائية من هم البطن والفرج صيرهم كالبهايم والانعام
وابطل استعدادهم للتطور والتفكر وهذه الحالة اسوأ من الحالة الاولى ولما ورد ان يقال مضمون الاضرابات
الثلاث على ما ذكرتم تخص بالمشرئين المنكرين للبعث فكيف ترجع الضمائر المذكورة في قوله علمهم
و بل هم منها في شك و بل هم منها عيون الى قوله من في السموات والارض اجاب عنه بقوله وهذا وان اختص
بالمشرئين من في السموات والارض الخ (قوله وقيل الاول اضرب عن نفي الشعور بوقت القيامة) عطف
على قوله بان اضرب عنه اي عن نفي علم الغيب عنهم اي وقيل في بيان المناسبة بين الآيتين ووجه الاضرب الاول
ان المراد على هذا الوجه التهكم وقوله بل ادرك علمهم هو علمهم بانهم ايان يبعثون وان القيامة شئ يقع وام
على الوجه الاول في الآية نفي انهم لا يعلمون ان البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه (قوله وقيل ادرك بمعنى
انتهى واضمحل) عطف من حيث المعنى على قوله بين ان مات انتهى وتكامل الخ فانه يتضمن تفسير الادراك
بالتكامل والاستحكام وعلى هذا التفسير لا حاجة الى تقدير المضاف ثم فسر قراءة ادرك بوجهين ايضا احدهما
تدارك وتتابع حتى استحكم وثانيهما تتابع في الهلاك حتى انقطع (قوله وابو بكر ادرك) عطف على قوله
نافع فهذه القراءة ايضا من السعة على رواية ابى بكر عن عاصم ثم ذكر ثمانى قراءات من التواذ ثمان بأم
وثمان اخر يان بيلي والباقي بيل وصحح البخشري قراءة بل ادرك بقوله بالتخفيف والنقل اي تخفيف الهمزة
ونقل حركتها الى اللام واصله ما قرأه ابن كثير وابو عمرو ثم ذكر قراءة اخرى بقوله بل ادرك بفتح اللام وتشديد
الدال واصله بل ادرك على سبيل الاستفهام انتهى كلامه فيكون اصله ادرك على وزن افعل دخل عليه همزة
الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار ادرك بهمة مفتوحة بعدها دال مستدة ثم نقلت حركة الهمزة الى
اللام فصار بل ادرك ولم يذكر المصنف هذه القراءة بل ذكر احدي عشرة قراءة ثم شرع في بيان معانيها
فقال وما فيه استفهام صريح او مضن كما في قراءة ام ادرك وام تدارك فان ام فيه ما معنى بل والهمزة فانكار
لادراك علمهم اي لانهاه وتكامله (قوله وما فيه بلى فاثبات لشعورهم) فانه لما قيل بل ادرك بعد قوله
وما يتعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بادراك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه
المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ
ما يكون فقوله وتفسيره انما هو على قراءة بلى ادرك بغير همزة الاستفهام واما على قراءة بلى ادرك على الاستفهام
فالعنى حيث بلى يشعرون متى يبعثون بناء على ان بلى لاثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذي بعده لانكار
علمهم بوجود الآخرة وثبوتها والمعنى ما ادرك علمهم بنفس وقوع الآخرة فضلا عن علمهم بوقت وقوعها على ان يكون
المقصود من انكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفي علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهاني (قوله اورد
وانكار لشعورهم) عطف على اضرب عن التفسير يعني ان قوله تعالى بل هم في شك منها متعلق بالتفسير والمفسر
المستفاد من بلى وقوله عيون جمع عم وهو اعى القلب يقال اعى عليه الامر اذا التبس ورجل عى القلب اي جاهل

(قوله)

(قوله) وهما من الصفات الغالبة جعلهما من قبيل الراوية دليل على ان ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التي غلبت عليها الاسمية لان الراوية ليست من تلك المقولة لكونها من ألفاظ المبالغة بمعنى كثير الراوية فينبغي ان يكون مراده الصفات الغالبة على آحاد جنسها من حيث القوة والكمال فتكون الغالبة والخافية بمعنى شديد الغيوبة والخفية وتكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما في الراوية ويحتمل ان لا يكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فتكون التاء فيهما كالتى في لعافية والعاقبة من حيث كونهما اسمين بنياء على التاء مثلهما ثم انه تعالى لما قص احوال الانبياء مع اهلهم وانه دمر من خالفهم وعصاهم وانجى من آمن بهم واطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الانذار والتبكيك الله خبرام ما تشركون وبين انه خير بتفصيل ما يدل على قدرته الكاملة والآله المتكاثرة في قدره يعلم الغيب والشهادة وهدد منكرى البعث بحملهم على النظر في احوال المكذبين وما نزل بهم بشؤم تكذيبهم قال بعده ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون تحريكا للشركيين على اتباع القرآن فانه لما اختلف على بيان الحكم والحق في اكثر ما اختلف فيه اهل الكتاب الذين هم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا مطعنا في شيء مما قصد وينه وكان المشركون يرجعون اليهم في كثير من امورهم وعلموا بحجهم من الطعن فيه فلم يزلهم ان ما فيه من الشرائع واصول القواعد الدينية كالتوحيد والحشر والنوبة وشرح صفات الله تعالى وبيان نعوت جلاله مطابق لما تقتضيه العقول السليمة وموافق لما في الكتب المتقدمة وذلك بحرك لهم داعية القبول والاتباع فان قيل ان بني اسرائيل يعلمون بانفسهم ما اختلفوا فيه ولا يحتاجون في بيان ان القرآن فاجواب والله اعلم ان المعنى ان هذا القرآن يبين لهم الحكم او يبين لهم الحق في اكثر ما كانوا يختلفون فيه وقيل ذكر في مواضع من القرآن ان فيه بيان كل حكم حيث قال ولا تطب ولا يباس الا في كتاب مبين وقال وتزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء وهدى فما وجد قوله يبين لهم الحكم في اكثر ما كانوا يختلفون فيه واجيب بان المراد انه يبين لهم اكثر ما اختلفوا فيه على طريق التخصيص والتصريح وبين الباقي بطريق الدلالة والاشارة فان البيان ضربان صريح ودلالة (قوله بما يحكم به وهو الحق) جواب عما يقال القضاء والحكم شيء واحد فقوله يقضى بحكمه بمنزلة ان يقال يقضى بقضائه او يحكم بحكمه فامعناه وفادته وتقرير الجواب ان الحكم بمعنى الحق المحكوم به او بمعنى الحكمة ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (قوله فان اسماعيل في هذه الحال ابعده) بيان لفائدة التقيد بقوله اذا ولوامدبرين فان الاسم اذا تولى مدبراً ثم ناديه كان ابعده من الاسماع حيث انضم الى محمد بعد المسافة (قوله وقرأ ابن كثير ولا يسمع) اي يفتح الياء التحتية ورفع الصم على الفاعلية والباقيون بالتاء المضموه وكسر الميم والفاعل الضمير المستكن وفيه نصب الصم والدعاء على انهم ما مفعولاه (قوله تعالى بهادي العمى عن ضلالتهم) اي يبعدهم عنها بالهدى كما يقال سقاء عن العمية اي ابعده عنهم بالسقي والعمية شهوة اللبث ثم انه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر اولاً من العلامات الواقعة عند قيامها دابة الارض فقال واذا وقع القول عليهم وازاد بالقول متعلق ومذلوله ووقعه قربه من الوقوع بحيث يكون في حكم الواقع والجساسة بالجمع المجعلة من ينجسس الحال ويتخير خبرها ويخصص عنها قيل سميت الدابة جساسة لانها تجسس الكافراي تطلبه والزغب الشرات الصفر على ريش الفرخ قيل في وصفها ان لها رأساً ثور وعين خنزير واذن ذيل وقرن ايل وهو التيس الجبلي وعنق نعامه وصدراً أسود لون نمر وخاصة هرة وذنوب كبش وخف بعير وروى ان رأسها يبلغ السحاب وما بين قرنيها فرسخ للراكب وروى انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا نكها وقيل لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وروى ان لها ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن زماناً ثم تخرج قريباً من مكة ثم تكمن دهر اطول يلاقيها الناس في اعظم المساجد على الله حرمة يعني مكة ثم تعينهم الا وهي في ناحية المسجد ما بين ركن الحجر الاسود وباب بني مخزوم من يمين الخارج في وسط ذلك وقيل تخرج من الصفا ولا يخرج الا رأسها وعنقها فيبلغ رأسها السحاب فيراه اهل المشرق والمغرب ثم تعود الى مكانها ثم تزلزل الارض في ذلك اليوم ست ساعات فيبيتون خائفين واذا اصبحوا جاءهم الصريح بان الدجال قد خرج (قوله اذ قرئ تكلمهم) يفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلام وهو الجرح والبراد به الوسم بالعصا والختم والجمهور على التشديد وهو من الكلام ويجوز ان يكون من الكلم ايضاً ويكون بناء التفعيل لكثرة المحل كما في غلقت الابواب (قوله وهو حكاية معنى قولها) واعلم انه قرأ الكوفيون ان الناس يفتح الهمة والباقيون بكسرها ووجه القراءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة

(وما من غائبة في السماء والارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للبا لغتها في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في غائبة وعاقبة (الا في كتاب مبين) بين اومبين ما فيه لمن يطالع المد والراد اللوح او القضاء على الاستعانة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون) كالتشديد والتزييد واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورجة للمؤمنين فانهم المشفعون به (ان ربك يقضى بينهم) بين بني اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد قضائه (العليم) بحقيقة ما يقضيه فيه وحكمته (فتوكل على الله) ولا تبال بمعاداتهم (انك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى لتعلم آخر الامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأساً وانما شهوا بالموت لعدم اتفانهم باستماع ما ينال عليهم كاشبهوا بالصم في قوله (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوامدبرين) فان اسماعيل في هذه الحال ابعده وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم (وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم) حيث الهداية لا تحصل اذا بالبصر وقرأ حزة تهدي العمى (ان تسمع) اي ما يجدي اسماعيل (الامن يؤمن بآياتنا) من هو في علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من اسم وجهه الله (واذا وقع القول عليهم) اذا نادوا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب (اخرجنالهم دابة من الارض) وهي الجساسة تروى ان طولها ستون ذراعاً ولها اربع قوائم وزغب وریش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه الصلاة والسلام سئل من اين تخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتتكت بالعصا في مسجد المؤمنين نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالحاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن (لا يوقنون) لا يثبتون وهو حكاية معنى قولها او حكاية قول الله

اما لان الكلام بمعنى القول كانه قيل تقول لهم ان الناس او ياخسار القول اي تكلمهم وتقول لهم ان الناس
او حكاية على تقدير ان يكون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح اي يقع عند ذلك حكاية منها القول الله تعالى عند
خروجها من الارض كانه قيل وتحدثهم قول الله تعالى ان الناس كانوا بايتنا لا يوقنون ولما ورد ان يقال لو كان
الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقليل ان الناس بخروجي وسأرا حوالا لا يوقنون دفعه بقوله وهو حكاية
معنى قولها لان قوله يايتنا منع كونه نفس قولها فينبغي ان يكون قولها هكذا ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي
وسأرا حوالا لان تلك الاحوال لما كانت من آيات الله تعالى كان كلامها بمعناه (قوله) او علة خروجها
او تكلمها على حذف الجار اي لان الناس وهو توجيه لقراءة الكوفيين فيفتح الهزة (قوله) ويوم نحشر منصوب
بذكر مقدرا اي واذكر يوم نجمع من كل امة من امة الانبياء زمرة المكذبين يايتنا المزملة على انبيائنا ولايات
الدالة على وحدانيتنا في الانفس والا فاق فيجس اولهم على آخرهم ليجمعوا ثم يساقون الى فوضع الحساب حتى
اذا جاؤا الى ذلك الموضع قال الله تعالى موخا لهم ومنكرا عليهم اكدبتم باياتي وهو استنفهم توبيخ وانكار
(قوله) ام اي شيء كنتم تعملون يريدان ماذا عملة اسم واحد وهو اي شيء منصوب بحل يعملون الواقع خبرا
عن كنتم ويحتمل ان تكون ما استنفهم مرفوعة المحل على الابتدأ وذا بمعنى الذي وكنتم تعملون صلة والموصول
مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف والتقدير اي شيء الذي كنتم تعملونه وام متقطعة والاستفهام الذي في ضمته
للتبكيت والزام الخصم بحمله على ان يقر بالذي سئل عنه او لا على طريق التوبيخ والانتكار وبهمجهم او لا بقوله
أ كذبت يايتني بادي الرأي ثم اضرب عنه الى استنفهم تقرير وتبكيت كانه قيل دعوا ما نسبته اليكم من التكذيب
وقولوا لي اي شيء كنتم تعملونه غير التكذيب (قوله) ووقع القول عطف على قوله قال اكدبتم يايتني والقول
بمعنى العذاب المقول الموعود للتكذيب وقوله بعد ذلك ظرف لقوله حل اي حل بهم العذاب الموعود بعد ان
خوطبوا بخطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم في النار ثم قال فهم لا ينطقون كما قال في آية اخرى هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق في نقاسة عذاب الجحيم
وقال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم وقيل لا ينطقون لان افواههم مخنومة وقيل لا ينطقون بما يكون لهم حجة
او عذر في الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوفهم باحوال القيامة ذكر كلاما يصلح
ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والنصح عن الكفر فقال
اولم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيا يصر فيه اما وجه دلالة على التوحيد فما ذكره بقوله
لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص الخ واما وجد دلالة على الحشر فما ذكره بقوله وان من قدر على ابدال
الظلمة بالنور الخ واما وجد دلالة على بعثة الرسل فما ذكره بقوله وان من جعل النهار ليصروا فيه وسببا من اسباب
معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحتهم في معاشهم ومعادهم (انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار
(والنهار مبصرا) فان اصله ليصروا فيه فيولج فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها
بحيث لا ينفك عنها (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) لدلائلها على الامور الثلاثة (ويوم يفتح في الصور)
في الصور والقرن وقيل انه قيل لانبعات الموتى بالبعثات الجيش اذا نفع في البوق (ففرع من في السموات ومن
في الارض) من المولود وغيره بالماضي لتحقيق وقوعه (الامن شاء الله) ان لا يفرع بان ثبت قلبه قيل هم
جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة ووجه العرش وقيل الشهاداء وقيل موسى لانه
صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك

او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار قرأ
الكوفيين ان الناس بالفتح وغير الكوفيين ان الناس
بالكسر (ويوم نحشر من كل امة فوجا) يعني يوم القيامة
(من يكذب بايتنا) بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن
الاولى للتبعية لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل
للمصدقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس
اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة
عددهم وتباعدا طرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر
(قال) اكدبتم يايتني ولم تحيطوا بها علما) والواللحال
اي اكدبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا
يحيط عليكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب
او للعطف اي اجتمع بين التكذيب بها وعدم الفاء
الاذهان لتحقيقها (ام ماذا كنتم تعملون) ام اي شيء
كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير
التكذيب من الجهل فلا يتدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك
(ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كهم
في النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بايات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب
(ألم يروا) لتحقيق لهم التوحيد ويرشدكم الى تجويز
الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على
وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدره قاهر
وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة
قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وأن من
جعل النهار ليصروا فيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحتهم في معاشهم
ومعادهم (انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار
(والنهار مبصرا) فان اصله ليصروا فيه فيولج فيه بجعل
الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها
(ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) لدلائلها على الامور الثلاثة
(ويوم يفتح في الصور) في الصور والقرن وقيل انه قيل لانبعات الموتى بالبعثات
الجيش اذا نفع في البوق (ففرع من في السموات ومن
في الارض) من المولود وغيره بالماضي لتحقيق وقوعه
(الامن شاء الله) ان لا يفرع بان ثبت قلبه قيل هم
جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور
والخزنة ووجه العرش وقيل الشهاداء وقيل موسى لانه
صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك

كلها في الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح كلها مند كالتحل والزناير ويأتي كل روح الى جسده وعسك به من قال النفخ ثلاثا احداها للفرع وهو قوله ففرع من في السموات ومن في الارض ونفخه اخرى للموت وهو قوله فصعق من في السموات ومن في الارض ونفخه ثالثة للبعث وهو قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال بعضهم انما هي نفختان فالفرع والصعق كذا تنان عن الهلاك والنفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل في قوله تعالى ففرع من في السموات ومن في الارض اى ماتوا بشدة الحوف وفي قوله فصعق من في السموات الآية اى يبلغ منهم الفرع الى ان يموتوا ويحتمل ان لا يكون هناك قرن فضلا عن ان ينفخ فيه حقيقة ويكون ذكر النفخ فيه مستعارا لمسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعي تشبيها لانبعاثهم بمجرد سماع صوت الداعي بالانبعاث الجيش عند سماع صوت الاكدة من غير توقف ولا تخلف احد منهم (قول له حاضرون الموقف) اختار قرأه آتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله فان حزة وحفصا قرأ آتوه فعلا ماضيا والهاء في محل النصب على المفعول والباقيون آتوه باسم فاعل مضاف الى الهاء (قول له ثابته في مكانها) يقال جد في مكانه اذا لم يرح وقوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى او مفعوله لان الرؤية بصريه وقوله وهي تمر بجله حالية من مفعول تحسبها جامدة والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظلتها ثابته في مكانها جدا لغلظتها لان النظر لا يحيط بها وهي في الحقيقة تسير سريسا ريعا كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السموات والكيفية يظن من نظر اليها انها واقفة الا ترى السماء لا تحس حركتها قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا اى يقلعها عن اماكنها ويسيرها كاسير السحاب بالريح حتى تقع على الارض فتستوى بها (قول له مصدر مؤكدة لنفسه) يعنى ان قوله صنع الله مفعول مطلق وجب حذف عامه لكونه تأكيداً لمضمون الجملة المتقدمة التي لا يحتمل لها غيره فان قوله وهي تمر مر السحاب بل جميع ما تقدم من نفخ الصور المؤدى الى الفرع العام وخضوع الكل للموقف وما فعل بالجبال انما هو من صنع الله تعالى لا يحتمل له غيره فلما كان هذا المصدر تأكيداً لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كانه مؤكدة لنفسه ووجب حذف ناصبه لكون الجملة المتقدمة كالنائب عنه والاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف العامل اضيف المصدر الى فاعله لانه لم يذكر في الجملة المتقدمة وهذا التقدير يقتضى ان يقال وهو مضمون الجملة المتقدمة بدون اللام الجارة والمعنى وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة كما وجد في بعض النسخ الا ان الموجود في اكثر النسخ وهو المضمون باللام فالعنى على هذا انه مصدر مؤكدة لنفسه الذى هو الحدث المدلول عليه بلفظ عامه المحذوف وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكدة لمضمون الجملة المتقدمة (قول له وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها) فيكون خيرا صفة بمعنى شئ فاضل مرغوب فيه وتكون من متعلقة بمقدره وهي مع متعلقها المقدر في محل الرفع صفة لخير وعلى الاول يكون خيرا اسم تفخيل بمعنى الافضل ومن متعلقة به ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل وكون كلمة من الواقعة بعده صلة له لا المقدر ومن ذهب الى هذا التوجيه انما ذهب اليه دفعاً لما يقال من ان الحسنة التي جاء بها العبد تناول معرفته الله تعالى والاحلاص في الطاعات والثواب الذي هو الجنة انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفته الله تعالى ولما جعل معنى الآية من جاء بالجنة ثبات في الدنيا فله في الآخرة ثواب وخير يناله من اجل ما جاء به من تلك الحسنات لم يرد ذلك والمصنف اختار ان تحمل الآية على ما هو المتبادر منها وجعل ثواب الآخرة خيرا من الحسنات التي جاء بها العبد في الدنيا لان اجل حسناته هي معرفته الله تعالى واخلاص العمل له لان المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم اجل واشرف من المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا وان ما جاء به من الاعمال الخالصة ثابتة مشوبة بنواع التقصير واقعة بنواع المسقة ومخالفة الهوى واغفال اهل الجنة سالمة من اللغو والذم صافية عن كدر المسقة والتكليف وشأنهم حال استراحتهم فيما يشتهون من اللذات مشاهدة جلال من انهم بها وتحييد عظام شأنه وعلو كبريائه والانس بتقديسه وتعبيده طبعاً والنزاهة اذا افترضنا وتكليفاً وليس حالهم كحال التمتع في الدنيا من الاشتغال بالتمتع عن التمتع فالى مناسبة بين احوالهم في الجنة واحوالهم في الدنيا (قول له يعنى به خوف عذاب يوم القيامة) اشارة الى دفع الدافع بين قوله ففرع من في السموات ومن في الارض وبين قوله وهم من فرع يومئذ آمنون فان من قرأ من فرع يومئذ بالاضافة يحتمل

(وكل آتوه) حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية اوراجعون الى امره وقرأ حزة وحفص آتوه على الفعل وقرئ آتاه على توحيد لفظ الكل (داخرين) صاغرين وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) ثابتة في مكانها (وهي تمر مر السحاب) في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سموت واحد فلا تكاد تدرك حركتها (صنع الله) مصدر مؤكدة لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعدا لله (الذى اتقن كل شئ) احكم خلقه وسواه على ما ينبغي (انه خير مما يعملون) عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريف بالخسب والباقي بالفاني وسعبانة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة كما قرأ ابن كثير وابوعرو وهشام خير مما يفعلون بالياء والباقيون بالياء (وهم من فرع يومئذ آمنون) يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق الانسان من التهييب لما يرى من الاحوال والعظام ولذلك يعى الكافر والمؤمن

وقرأ الكوفيون بالتشوين لان المراد فزع واحد من افزع ذلك اليوم وأمن يعدي بالجوار بنفسه كفره أمانوا مكر الله وقرأ الكوفيون وتافع يومئذ: قبح الميم والباقيون بكسرها (ومن جاء بالبئذ) قيل بالشرك (فكبت وجوههم في النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه انفسهم كما ريدت باليدى في قوله ولا تلقوا بأيديكم (هل تجزون الاماكنتم تعملون) على الالتفات او باضمرا قول اى قيل لهم ذلك (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها) امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعدما رين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بأنه قد اتم الدعوة وقد كتبت وما عله (٥٠٤) بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادته وتخصيص مكة

الفزع على الفزع المختص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الاليم والعقاب الدائم واهل الجنة آمنون منه واما ما يلحق الانسان من انهيب والرعب لاسارى من الاحوال والعظام على ما عليه الجله البشرية فانه يعم الكافر والمؤمن وتوين يومئذ عوض عن المضاف اليه فان اذقتضى الى الجنة وقد حذفت ههنا وعوض عنها التشوين واشار المصنف بقوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة الى انه اختار قراءة من قرأ باضافة فزع الى يوم واهل الجنة التى اضيف اليها اذ في الاصل هي قامت القيامة والاصل يوم اذ قامت القيامة وهو احسن من ان يجعل التقدير يوم انجاء بالجنة او يوم اذ ترى الجبال او يوم اذ تنفخ الصور (قوله وقرأ الكوفيون بالتشوين) للافراد والتعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة وعلى قراءة التشوين يكون يومئذ منصوبا بالمصدر لكونه مؤولا بان مع الفعل تقديره وهم من ان يفرعوا يومئذ او آمنون اى آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا الى اذ وهو غير ممكن (قوله وأمن يعدي بالجوار) كما في هذه الآية فان من فيها صلة آمنون (قوله فكبوا فيها) لان ما يكب ويلقى في النار ليس وجوههم وحدها الا انه استدل الكعب اليها اذ بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ووجد الايدان انه لما اكتفى بذكر الوجوه ومن العلوم انه لا يمكن القاء الوجوه في الاربع كون ما وراءها خارجا عنها علم ان الوجوه اصل في ذلك وانها اول ما يلبس النار وان ما وراءها تابع لها (قوله وقرئ التي حرمها) صفة للبلدة وقرأ الجمهور الذى صفة للرب عز وجل والكلام مسوق لتعظيم الرب تعالى لا لتوصيف البلدة فلذلك كانت قراءة العامة واضحه والمعنى جعلها الله تعالى مأثلا لاسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يتخلى خلاها ولا يضر صيدها ولا يعصدا شجارها واللاحي اليها آمن والحلال بالقصر النبات مادام ربطا فاذا ليس فهو وحشيش ومعنى لا يعصدا لا يقطع (قوله وان او اطب على تلاوته) على ان يكون اتلو من اتلاوة وهي القراءة ثم جوز كونه من التلو وهو الاتباع لا واهيه كما قال واتبع ما يوحى اليك (قوله وقرئ واتل عليهم) اى هذا القرآن امر الله عليه الصلاة والسلام بتلاوته على اهل مكة وهو معطوف على الامر المقدر قبل قوله انما امرت فان تقديره قل للشركين امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة وقد اشار اليه المصنف بقوله امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم ذلك وان قرئ وان اتل يكون على حكاية لفظ الامر وان يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالامر وان تكون مفسرة كما يقال امرته ان قم والحمد لله تمت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

(سورة القصص مكة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله نقرأه بقراءة جبريل عليه الصلاة والسلام) فيكون اسناد التلاوة من قيل اسناد القتل الى السبب الامر اسنادا مجازا ياد على الثاني يكون المجاز في المفرد ويكون تلو استعارة تبعية حيث شبه التزليل بالتلاوة من حيث ان كل واحد منهما من قبيل التبليغ فاستعير اسم التلاوة للتزليل استعارة اصلية ثم استق من تلو (قوله محققين) اشارة الى ان قوله بالحق في موضع الحال من فاعل تلو كقوله تعالى تخرج من طور سيناء ثبث بالدهن وقوله لقوم متعلق بقوله تلو اى تلو لا جلهم (قوله استئناف مبين لذلك البعض) اى الذى اجل من قوله من نيا موسى وفرعون كان قائلا قال وكيف نيا ففيل ان فرعون علا في الارض (قوله وذلك كان من غاية حقه) قال الزجاج والجب من حق فرعون ان هذا الكاهن ان كان عنده صادقا فسيبغ القتل وان كان كاذبا فامعنى القتل (قوله احوال من يستضعف) اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم اى نعم عليهم بخلاصهم منه وقد نمن نحن لكونه جملة اسمية يعنى ليصح دخول الواو فان المضارع المثنى اذا وقع حالا لا يدخله الواو ولا يجوز كونه حالا ورد ان يقال جعله حالا يستلزم اجتماع المتأففين وهما استضعاف فرعون اياهم وارادة الله الله عليهم لان الله تعالى اذا اراد شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر فيلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد وهما اجتماع المتأففين لان ارادته تعالى اذلية مسترة فكون مقارنة لاستضعافه اياهم ويكون المراد حادثا عند تعلق الارادة به ولا استحالة في أن يريد الله تعالى حال استضعافه اياهم ان يمن عليهم بالخلاص في وقت قدره وقضاه وانما الاستحالة ان تتعاقب ارادته بخلاصهم حال الاستضعاف وذلك غير لازم من جعله حالا وهذا الجواب لا يتأتى على مذهب المعتزلة فانهم قالوا ارادة الله تعالى حادث لا في محل قائمة بذاتها

بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لها نها وقرئ التي حرمها (وله كل شيء) خلقا وملكا (وامرت ان اكون من المسلمين) المتقادين واثابتن على ملة الاسلام (وان اتلو القرآن) وان او اطب على تلاوته ليكتشف لي حقائقه في تلاوته شيئا فشيئا او ايجاد وقرئ واتل عليهم وان اتل (فن اهتدى) يتابع اباى في ذلك (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعة عامة اليه (ومن ضل) بخالتي (فقل انما انا من المنذرين) ولا على من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة او على ما على ووفقي للعمل به (سيركم آياته) القاهرة في الدنيا كونه مبدد وخروج دابة الارض اوفى الآخرة (فخر فونها) فخر فونها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) ولا تحسبوا اننا نخبر عذابكم لغفلة عن اعمالكم وقرأ ابن كثير ابو عمرو وحرة والكسائي بالياء * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عتس حسنة بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

(سورة القصص مكة وقيل الاقوله الذين آتيناها الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(طسم تلك آيات الكتاب المبين تلو عليك) نقرأه بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى نزله بجازا (من نيا موسى وفرعون) بعض يذهبها مفعول تلو (بالحق) محققين (لقوم يؤمنون) لانهم المتفعون به (ان فرعون علا في الارض) استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر (وجعل اهلها شيعة) فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في اعتقاده استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل اوصفة شيعة او استئناف وقوله (يذبح ابناهم ويستحي نساءهم) بدل منها وكان ذلك لان كاهن قال له يولد مولود في ذبيحة اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه (انه كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد

(وزيد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض) ان تفضل عليهم بانقاذهم من يأسه وزيد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون (لا بذاته) علان من حيث انها واقعان تفسير للبا احوال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حيث تعلقا استغاليا مع ان منه الله بخلاصهم لما كانت قرية الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن (وتجعلهم ائمة) مقدمين في امر الدارين (وتجعلهم الوارثين) لما كان في ملك فرعون وقومه

لا بد أن تعال فيلزم من كون قوله ويريد أن حالاً من قاعل يستضعف أن تقا من الإرادة الاستضعاف ومقارنتها له
تستلزم مقارنته المراد له على مذهب المعتزلة وهي اجتماع المتنافيين والجواب عن مذهبهم ما أشار إليه بقوله مع
أن منة الله بخلصهم الخ وخلصه الله تعالى لما أراد أن يمن على بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه
وكانت تلك المنة قريية الوقوع جعلت كأنها واقعة مقارنته لاستضعافهم (قوله وقرئ ويرى بالياء) أي قرأ
حزنة والكسائي ويرى بفتح الياء والراء مضارع رأى فسنداً إلى فرعون وما عطف عليه فذلك قرأ الأسماء الثلاثة
بالرفع وقرأ الباقون بختم الثون وكسر الراء وفتح الياء بعدها مضارع أرى فذلك نصب فرعون وما عطف عليه
مفعولاً أولاً وما كانوا هو ثانی المفعولين ومنهم متعلق بفعل الروية أو الأراءة لا يجوزون لأن ما بعد الموصول
لا يعمل فيما قبله (قوله واوحينا إلى أم موسى بالهام أورونيا) ذهب عامة المفسرين إلى أن الوحى ههنا لم يكن
بارسال رسول إليها من الملائكة وإخبارها بواسطتهم لأنه لو كان وحى إرسال لكنت رسولا وذلك لا يجوز كما قيل
وما كانت رسولا قط انتهى ولا عبد وشخص ذوا فعال

أي ولا رجل ذو كذب لأنه يجب تصديق النبي عليه الصلاة والسلام والكاذب لا يجب تصديقه وكذا لا يجوز
أن يكون السديداً لأن الرتبة أثر من الكفر والكفر لا يجوز على الأبناء وكذا لا يجوز أن تكون المرأة نبياً
فإن أهل السنة والجماعة اتفقوا على أن المذكورة شرط للرسالة لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحي إليهم
وفيه بحث لأنه وإن جاز أن تلهم هي أرضاعه والنساء في اليم كيف يجوز أن تلهم أنارادوه إليك وجاعلوه
من المرسلين فإنه لا سبيل إلى معرفة ذلك وعدها بطريق المشافهة والقول الصريح من أحد ويجوز أن يوحي
إليها بارسال رسول يخبرها بذلك مشافهة ولا يستلزم ذلك كونها رسولا كما في قصة مريم من أن جبريل عليه
الصلاة والسلام أرسل إليها وقال لها إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكياً فقد أوحى إليها بارسال الملاك إليها
ولم تصر بذلك رسولا فلم لا يجوز أن يكون الوحى إلى أم موسى كذلك وكانت أم موسى بنت لاوى بن يعقوب عليهما
الصلاة والسلام (قوله ولا تخافى عليه ضيعة ولا شدة) إشارة إلى الفرق بين الخوف والحزن إذا خوف غم
يلحق الإنسان لتوقع لم يقع بعد وهو بصدده والحزن كالخوف لفتان بمعنى كالعدم والعدم غم يلحقه لواقع وهو
فراقه واختاره به فنهيت عنهما جميعاً وأومت بالوحى إليها وودعت ما يسليها ويسكن قلبها وهو قوله تعالى
أنارادوه إليك لتكوني انت المرصعة وجاعلوه من المرسلين إلى أهل مصر والشام (قوله فليس يدع منهم أن قتلوا
الوفا) روى أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد سعو في دفع قضاء الله تعالى بما لا طائل تحتهم أخطأوا
في التقاط سبب هلاكهم وربوه بأيديهم وتبنوه وليس ذلك إلا لأن قدر الله تعالى كائن لا محالة وإن
المحذر لا يفتنى من القدر (قوله فاجللة اعتراض) يعني أن قوله تعالى أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين جللة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وإن قوله وقالت امرأة فرعون معطوف على قوله فالتقطه
آل فرعون فتقوله خاطئين أن كان مأخوذاً من الخطأ ضد الصواب يكون الاعتراض لتأكيد خطاهم في
الاتقاط فإن معنى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً خاطئاً واتقطوا عدوهم فأكدها المعنى بالمعترض
وإن كان مأخوذاً من الخطي بمعنى الذنب يكون الاعتراض لبيان الموجب لما بطل به كانه قيل أنهم خاطئين آمنين
بالكفر والمعاصي ففوقوا على ذلك بما جرى عليهم بسببه (قوله هو قرعة عين لنا) يريد أن قرعة عين خبر
مبتدأ محذوف وقوله لي ولك صفتان لقرعة روى أنه لما أراه أعوان قوم فرعون قالوا هذا هو الذي تحذرون منه فأنشد
لثاني قتله فهم فرعون بذلك فقالت آسية قرعة عين لي ولك لا تقتلوه فإن الله تعالى أنابهم من أرض أخرى وليس
من بني إسرائيل وقالت عسي أن ينفعنا ذلك قال فرعون عسي أن ينفعك أماناً فلا أريد نفعه قال وهب
عن ابن عباس رضي الله عنهما لو أن عدو الله قال موسى كما قالت أم أمية عسي أن ينفعنا لنفعه الله تعالى به
ولكنه أبى لا شاء الذي كتب الله عليه ومعناه أنه لو لم يكن مطبوعاً على قلبه لقال مثل قولها ولأسم كما أملت
قال المفسرون كانت آسية لبلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهب لها وقال لا آسية سميت قالت سميت
موسى لانا وجدناه في الماء والنجر فهو الماء وشي هو الشجر قال الإمام كان فرعون بنت وام يكن له ولد غيرها
وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الأطباء والسحرة
في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبتأ هذه الامن البحر يؤخذ منه شبه الانس فأخذ من ريقه فتلطخ به برصها فبرأ

(ويمكن لهم في الأرض) أرض مصر والشام وأصل
التمكين أن تجعل الشيء مكاناً يتمكن فيه ثم استعير للتسلط
وأطلق الأمر (وزي فرعون وهامان وجنودهما
منهم) من بني إسرائيل (ما كانوا يحذرون) من
ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ
ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع
(واوحينا إلى أم موسى بالهام أورونيا) (أن أرضع)
ما أمكنك أخفاؤه (فإذا خفت عليه) بأن يحبس به
(فألفيد في اليم) في البحر يريد النيل (ولا تخافى)
عليه ضيعة ولا شدة (ولا تحزنى) لفراقه (أنارادوه
إليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه
من المرسلين) روى أنها لما نزل بها الملاك دعت قابله
من الموكلات فجاءت إلى بني إسرائيل فاجللتها فساويع
موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت
مقاصلها ودخل جبه قلبه بحيث منعها عن السعاية
دارضته ثلاثة أشهر ثم أوحى فرعون في طلب المواليد
واجتهد العيون في فحصها فأخذت له تابوتاً فقدته
في النيل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)
تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبه ومرداه تشبهه
بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنة والكسائي حزناً
(أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) في كل
شيء فليس يدع منهم أن قتلوا الوفا لاجله ثم أخذوه
بربونه ليكره ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين
فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم على أيديهم فاجللة
اعتراض لتأكيد خطئهم أوليان الموجب لما ابتلوا
به وقرئ خاطئين تخفيف خاطئين وأخطئين الصواب
إلى الخطأ (وقالت امرأة فرعون) أي لفرعون حين
أخرجته من التابوت (قرعة عين لي ولك) هو قرعة عين
لنالا لأنها لما أراه أخرج من التابوت أحياه أولانه كانت
له ابنة برصاء وجالها الأطباء برقي حيوان بحري يسد
الإنسان فطخت برصها بريقة فبرئت وفي الحديث أنه
قال لك لاني ولوقال لي كما هو لك لهداه الله كهداها
(لا تقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسي أن
ينفعنا) فإن في محابيل الجن ودلائل النفع وذلك لما رأيت
من نور بين عينيه وارتضاعه إياهما لبنا وبراء برصاء
بريقه (أوتخذه ولداً) أوتبناه فإنه أهله

من ذلك وذلك في يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس كان له على شجرة النبل ومعه أسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على الساطئ اذ قبل النيل بتابوت تضر به الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون اتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعا لجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت أسية فرات نورا في جوف التابوت لم ير غيرهما فعا لجته وفتحته فاذا هي بصبي صغير في هذه واذا نور في عينيه قال في الله سبحانه في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمتها الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون امانظن ان هذا الذي نخدم منه ربي في البحر خوفا من ذبحه فهم فرعون ان يقتله فاستوهبه امرأه فرعون وتبنته فتركه (قوله او من احد ضميري تخذه) فتكون الجملة من كلام امرأه فرعون وعلى تقدير كونه حالاً من آل فرعون او من القائلة والمقول له يكون من كلام الناري (قوله صفرا من العقل) اي حتى ذهلت عن الوحي الذي اوحى اليها ان آتية في اليم ولا تخزني ان ارداه اليك وروى انه جاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولذلك فيكون لك اجر فتوليت انت اهلاكه فآلتيته في البحر فأوقعه البحر في بدعده (قوله او من الهم) عطف على قوله من العقل والفرغ بكسر الفاء وسكون الراء والغن المعجمة الهدر (قوله انها كانت لتظهر) يريد ان مخففة واللام فارقة فالباء في به مزيدة في المفعول اي لتظهره وتقول انه ابنتها او تقول والبناء وقوله لولا ان ربنا لجوابه مخذوف اي لا بدت كقوله وهم بها لولا ان رأي برهان ربه (قوله من فرط الضجرة) حتى على كون قوله فارغا بمعنى صفرا من العقل وقوله والفرح مبنى على كونه بمعنى صفرا من الهم فكما ان فرط الضجرة يصح كونه مؤديا اليها الى اظهار امر موسى فكذا الفرح بما سمعته من ان فرعون احبه واكرمه وتبناه يسبح كونه مؤديا اليه ايضا لاسيما وقد انضم اليه الاعتماد على تكفل الله تعالى بمصلحته فان قيل كيف يكون فؤادها مارغا من الهم والحزن والله تعالى يقول لولا ان ربنا على قلبها وهل يربط الاعلى قلب الجازع المحزون قلنا الحصر ممنوع فانه تعالى كابر بط على قلب الجازع الحزين يربط على قلب الوائيق بوعد الله تعالى وضمائه ومعنى الاربط على القلب الهامة الصبر وتقويته كابر بط على الشيء المتقلب بغيره ويطمئن وقوله لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اي ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله اماراده اليك وقوله او من الراضين بحفظه لاتبني فرعون من ربطنا بقوله والفرح ببنينه (قوله تعالى فبصرت به) اي ابصرته فان بصريه وابصره بمعنى واحد (قوله ومعناه ان يرتضع) لما كان التحريم الحقيقي لكونه عبارة عن النهي واقتضاء ترك الفعل غير متصور ههنا لكونه فرع التكليف جعل التحريم مستتمارا للنع من الارتضاع بان يشبه النع بالتحريم المناسبة ينهسا في التادية الى الامتناع فأطاق عليه اسم التحريم واشتق منه حرما فانه تعالى منع ان يرتضع تدى كل مرتضع اما بان احدث في طبعه عليه الصلاة والسلام النفرة عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرتضع او احدث في لبته من الطعام ما ينفر منه طبعه او وضع في لبن أمه لذة فلما تعودها اي تعود موسى عليه الصلاة والسلام لبن أمه لاجرم كان يكره لبن غيرها فانه روى ان امدق دارضته ثلاثة اشهر حتى عرف ربحها فلا يبعد ان لا يقبل لبن غيرها لذلك والراضع جمع مرتضع وهي المرأة التي ترضع او مرتضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او مصدر بمعنى الرضاع (قوله بكفلونه لكم) اي يضمون رضاعه والقيام بمصالحه لاجلكم والنصح اخلاص العمل عن شائبة الفساد (قوله فقالت انما اردت وهم للباك ناصحون) اي قالت لا عرف الغلام وانما قلت ذلك ليزول اضطرار الملك ويسكن قلبه فخلصت نفسها بهذه الكلمة من التهمة واحسن وايسر بدع لانها من بيت النبوة واخت نبي لايه وامه غرق لها امثال ذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت قالوا لها من هي قالت امي قالوا ولا ملك لبن قالت نعم لبن هرون اخي وكان هرون ولد في سنة لم تقتل فيها الولدان فقالوا صدقت (قوله واجري عليها) وفي الكواشي فدفعه اليها واجري اجرتها عليها واخذتها لانها مال حر في لانها اجرة حقيقة على ارضاعها ولدها فذهبت به الي بيتها وقيل لما دفعه اليها لم يبق من آل فرعون احدا الا هدى اليها واطفأها بالذهب والجواهر (قوله علم مشاهدة) اي علم بمشاهدة الموعود فانها كانت غائلة قبل ذلك بطريق الوحي ان ما وعده الله تعالى اياها من انه يردها اليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الكشاف جل الوعد على الوعد بجمعه من المرسلين حيث قال انجز الله وعده في الرد فعدتها ثبت واستقر في علمها انه سيكون

(وهم لا يشعرون) حال من اللتظنين او من القائلة والمتول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطع او في طمع التمتع منذ واتبني له او من احد ضميري تخذه على ان الصبر للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تنبناه (واصبح فؤاد ام موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الحنوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله واقعدتهم هواء اي خلا لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ مرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرع اي هدرها من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى او اسماعها ان فرعون عطف عليه وتناه (ان كادت لتدري به) انها كادت لتظهر بموسى اي بأمره وقصته من فرط الضجرة او الفرح ببنينه (لولا ان ربنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله او من الراضين بحفظه لاتبني فرعون وعطنه وقرئ مؤسى اجراء للضميمة في جار او او محرى ضميتها في استدعاء ههنا ههنا ووجوه وهو على الاربط وجواب لولا لمخذوف دل عليه ما قبله (وقالت لا تخذ) سريم (قصبة) اتجى أثره وتبني حرمه (نصرت به عن حنب) عن بعد وقرئ عن حاب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون) انها تنص او انها اخذته وحرمتا عليه المراضع) ومنعناه ان يرتضع من المراضعات جمع مرتضع او مرتضع وهو الرضاع او موضعته يعني الثدي (من قل) من قبل قصصا أثره (فتالت هل ادلكم على اهل بيت بكفلونه لكم) لاجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون في ارضاعه وتربته روى ان هاما من ناصحها قال انها لتعرفه واهله فتخذوها حتى تنفر بحاله فقالت انما اردت وهم للباك ناصحون فأمرها فرعون بان تأتي بمن يكفلها فأبت بأمرها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلمه فلما وجد ريحها استأنس وانقم ثديها فقال من انت منه فقد أبى كل تدى الا تدىك فقالت انى امرأه طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله (فرددناه الى امه كي ترضعها) بولدها (ولا تخزن) بفراقه (ولتعلم ان وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان موعده حق فبرتابون فيه

نبيا فان الله تعالى وعدهام موسى امرين رد موسى اليها وجعله من المرسلين فحين حقق الامر الاول استقر في علمه انه تعالى يحقق الثاني ايضا (قوله او ان الفرض الاصلي) عطف على قوله علم مشاهدة يعني ان المراد من العلم اما العلم الحاصل بالمشاهدة او اصل العلم (قوله لا يز يدع ليدنسوه) اي شابهه واتاشى الحدث الذي جاوز حد الصغر يقال نشأت في بني فلان نشأ اذا شئت فيهم (قوله او علم الحكماء) عطف على قوله نبوة يعني ان قوله حكماء وعلماء محتمل ان يراد به النبوة وما يصرف بهما من العلوم والاخلاق ويحتمل ان يراد به علم الحكماء واخلقهم فعمل موسى عليه الصلاة والسلام قبل ان يبعث نبيا عليهم ويدل عليه قوله وكذلك نبى المصنفين لانه تعالى جعل ايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسانه والنبوة لا تكون جزاء على العمل وعلى تقدير ان يراد به النبوة ليس في الآية دليل على أن هذه النبوة كانت قبل قتل القبطى او بعده لان الواو في قوله ودخل المدينة لا تفيد الترتيب وقدمه ان ثبت فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشرين سنة ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الفراق خمسين (قوله وقيل من منف) اسم مدينة من ارض مصر ومنف كاه وجور في وجوب منع صرفه لاجتماع التأنيث والعيدة والجمعة يعني انه اختلف في المدينة فقيل هي مصر وقيل هي منف وقيل قرية تدعى خابين على رأس فرسخين من مصر وقيل عين شمس وقوله على حين غفلة في موضع الحال من فاعل دخل اي دخل كائنا على حين غفلة اي مستغفيا متجسسا للخبر او من المدينة اي دخلها حال غرة اهلها واشتغالهم بعيدلهم وقيل بين المغرب والعشاء وقيل وقت الظهيرة عند المظيل وليس في طرقها احد لا اشتغال اهلها بالقبولة ومن اهلها صفة الغفلة اي غفلة صادرة من اهلها واختلف في السبب الذي لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها فقيل انه كان يسمى ابن فرعون وكان يركب ويترى معد فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه القيل بارض منف فدخلها فسمعت النهار وليس في طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بلغ اشده وآتاه الله الحكم والعلم وعلم ان فرعون وقومه على الباطل خالفهم في دينهم وثارهم وخلق بشعة له من بني اسرائيل يسمعون منه ويتقنون به فلما عرف ذلك منه اخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية فرعون الا خائفا فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها وقيل ليس المراد من قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة في تلك الساعة بل المراد الغفلة عن ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وامر هو ذلك لان موسى حين كان صغيرا ضرب رأس فرعون بالعصا ونسف لحيد فأراد فرعون قتله فقاتل امرأته هو صغير لا يعرف التمر من الجمر فحرق بجسرة فأخذها وطرحها في فيه فحصلت عقدة في لسانه فقال لا قتله ولكن اخرجه عن الدار والبلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبروا لقوم نسوا ذكره فدخل يوما على حين غفلة من اهلها ولا يهتدون ترجيح بعض الروايات على بعض اذ ليس في القرآن ما يدل على شيء منها (قوله والاشارة على الحكاية) اي رجلين مقولاً فيهما هذا من شيعته وهذا من عدوه كقوله جاء ابن مذق هل رأيت الذئب قط اي بمذق يقول فيه هذا القول (قوله ولذلك) اي ولكونه متضمنا معنى الاحانة والنصرة عدى يعلى (قوله وقرئ فلكنه) الوكز والكز كلاهما بمعنى واحد وهو الضرب بجميع الكف على الصدر وقيل الوكز في الصدر والسكر في الظهر وجمع الكف بالضم الكف المقبوضة الاصابع وكان عليه الصلاة والسلام شديد البطش فلذلك لم يحتمل القبطى وكزه ومات قيل الاسرا بلى الذي اعانه موسى عليه الصلاة والسلام هو السامرى والقبطى طباخ فرعون وكان يسخر الاسرا بلى لجل الخطب الى مطبخ فرعون (قوله فقتله) بيان لحاصل المعنى فان قضاة الشيء اتمامه والقراغ منه وكل شيء اتمته وفرغت منه فقد قضيت وقضيت عليه فقدم موسى عليه الصلاة والسلام على القتل الصادر منه وان لم يكن قصده لقتله فدفنته في الرمل وقال مشيرا اليه هذا من عمل الشيطان من حيث انه هيج غضبي وحلني على الوكز ونسب الوكز والقتل الى الشيطان من حيث كونه سبباً له (قوله وسماه ظلميا) جواب عما يقال قوله تعالى وهذا من عدوه يدل على ان القبطى كان كافرا حاربا وكان دمه مباحا فلم يجعل قتله من عمل الشيطان وظلم به نفسه واستغفر منه وبحصول الجواب انه قتل قبل ان يؤذن له في قتل الكافر فكان زلة يستغفر منها التقون على عادتهم وان كانت محقرة صدرت خطأ (قوله اي اقسام بانعامك على بالغفرة) قدر متعلق بالباء وجعل ما مصدرية وجعل انعامه تعالى عليه بالغفرة مقسما به ولا ادري كيف علم ان الله تعالى غفر له وقد كان هذا قبل ان اوحى الله اليه وعين ان الجواب المقدر هو قوله لا تؤنب

او ان الغرض الاصلي من الرد عليها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون (ولما بلغ اشده) مبلغه الذي لا يز يدع ليدنسوه (قوله ثلاثين سنة) اي نبوة (وعلماء) حيث روى انه لم يبعث نبى الاعلى رأس الاربعين (واستوى) قدره او عقله (آيتاه حكماء) اي نبوة (وعلماء) بالدين او علم الحكماء والعلماء وسميتهم قبل اسبائهم فلا يقول ولا يفعل ما يستجيب له فيه رهو أو فتن لضيم القصصة لان الاستنباء بعد الشهرة في المرا جعة (وكذلك) ومثل ذلك الذي فعلناه موسى وامد (نجرى الحسين) على احسانهم (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف او حابين او عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من اهلها) في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيد قتل كان وقت القبولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتلار هذا من شيعته وهذا من عدوه) احدهما من شيعته على دينه وهم بنو اسرائيل والاخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فساله ان يبعثه بالاعانة ولذلك عدى يعلى وقرئ استعانه (فوكزه موسى) فضرب القبطى بجميع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره (دفننى عليه) فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار اولاً لانه كان مأموماً فيهم فلم يكن لادغيتالهم ولا يندح ذلك في عصيته لكونه حاصلاً وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلميا واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدو مضل مبين) ظاهراً للعداوة (قال رب انى ظلمت نفسي) بقتله (فاغفرلى) ذنبى (فغفرله) باستغفاره (انه هو والففور) لذنوب عباده (الرخيم) بهم (قال رب بما انعمت على) قسم محذوف الجواب اي اقسام بانعامك على بالغفرة وغيرها لا تؤنب

اي لأرجعن عاقب متى من الزلة وجعل قوله هلن اكون معطوفا على الجواب المقدر فتكون الجملة خبرية التي اكدت بالجملة القسمية هي المجموع من المعطوف عليه المقدر والمعطوف عليه (قوله واستعطاف) عطف على قوله قسم جعل الاستعطاف قسما للقسم مع أن النجاة صرحوا بان القسم على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة اخرى فان كانت الاخرى خبرية والقسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف ولم يجعله المصنف والزخمرى قسما لان انقضاء اذا قال بالله لا فعلن كذا انه قدت اليمن على القاتل واما ان قال بالله افعل كذا لا يعقد اليمن لا على التكلم ولا على مخاطب فلذلك لم يجعله من القسم ومن جعله قسما من القسم اعتبر الظاهر لان صورته صورة القسم من حيث انه يؤكد ان يطلب على المستعطاف وليس بقسم على الحقيقة لان شرطه ان يؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية ومن امثلة قسم الاستعطاف قول ابراهيم بن هزيم

بالله ربك ان دخلت فقل له * هذا ابره حرمة بالباب

وعلى تقدير كون قوله بما انصت على استعطافا مؤكدا جملة طلبية مقطرة وهي اعصني بكون قوله فلن اكون جوا بالامر المقدر سنا عنه (قوله وعن ابن عباس رضى الله عنه انه لم يستثن) تأييد لكون قوله بما انصت قسما لاستعطافا لان الابتلاء انما يكون بالزلة لا بعدم كونه بحجاب الدعوة وقوله فاقبل به مرة اخرى في اليوم الثاني قال الامام هذا ضعيف لان في اليوم الثاني لم يتبل باعانة الجرم بل ترك الاعانة واما اخاف منه ذلك العدو فقل ان تريد الا أن تكون جبارا لانه وقع منذ ذلك (قوله وقيل معناه بما انصت على من القوة الخ) فعلى هذا القول لا يكون الباء للقسم وللاستعطاف بل تكون للسببية اي بسبب ما انصت على من القوة اشكرتك فلن استعملها الا في مظاهرة اولئك لاداع احد من اعدائك يفلب احد من اولئك ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قتل ذلك القبطي بالوكز اصبح اى صار خائفا على نفسه من ان يظهر انه هو القاتل ويستغادى يطلب ان يقتل قودا وتعرف المدينة للعهد والمعهود المدينة التي قتل فيها القبطي وخائفا خبر أصحح وفي المدينة متعلق به ويترقب بدل من خائفا او خبر ثان ومفعول يترقب محذوف أى يترقب ويقتصر المكروه روى ان ولي الدم جاء فرعون وناله قد قتل بنوا اسرائيل منافقيا فخذ حقنا منهم فقال له اما علمت ان لا تقضى الابالبنة فيناهم بطوفون في طلب البنة اذ امر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقابل فرعون نيا آخر فاستغاثه على انفرعوى فغضب عليه موسى فقال انك امرى ميين اى بين الغواية والضلال على ان الغوى فعل بمعنى المغاوى وقيل انه بمعنى المعوى والمعنى انى وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسبك فا كان تريد أن توقعنى في ورطة اخرى فلما اراد موسى ان يطش بالقبطي الذي هو وعد لموسى عليه الصلاة والسلام والاسرائيلي فوثب عليه لينعه من اخذ الاسرائيلي وسخيره فلن الاسرائيلي انه عليه السلام اراد ان يطش به بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاض بقوله انك لغوى ميين ورأى الغضب عليه فقال له يا موسى اريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فصار هذا القول منه سببا لظهور ان القتل الواقع امس صدر من موسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يطلع على ذلك الا الاسرائيلي فلما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعوى امس فانطلق الى فرعون واخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى (قوله او القبطي) عطف على الاسرائيلي اى توههم من قول موسى عليه الصلاة والسلام له انك لغوى ميين انه الذى قتل القبطي بالامس لاجله قال الامام هذا هو الظاهر لقوله فلما اراد ان يطش بالذى هو وعد ولم يقل يا موسى فان الظاهر ان ضمير قال هو وعد وله ما و ايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بالقبطي الجافي والجبار هو الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظنا لا ينظر في العاقبة وقيل هو المتعظم الذى لا يتواضع لاحد (قوله اذا جعل من اقصى المدينة صفته) يعنى ان يسى مع كونه مؤخرا عن الشكر انما يكون حاله انما اذا انحصرت بالصفة فان ذلك كان نكرة وجب تقدم الحال عليه كما في قوله * لعنة موحش طال قديم * (قوله قرية شعيب) هو شعيب بن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان لابراهيم اربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين ومداين واليهما نسبت البلدتان مدين ومداين (قوله جماعة كثيرة مختلفين) الامة جماعة يجمعهم امر ما مدين واحد او زمان او مكان واحد سواء كان الامر الجامع حاصل لهم اختيارا او تسخيرا وأخذ اختلاف الناس من لام التعريف لانه ليس الاستغراق وهو ظاهر

(على اكون ظهيرا للسبريين) واستعطافاى بحق اعدائك على اعصني فلن اكون معينا فلن أدت معاوته اى جرم وعنى ابن عباس انه لم يستثن فاقبل به مرة اخرى وقيل معناه بما انصت على من القوة اعين اولئك فلن استعملها في مضاهرة اعدائك (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستفادة (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) يستغيث مشتق من الصراخ (قال له موسى انك لغوى ميين) ميين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما اراد ان يطش بالذى هو وعد وله ما) لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لاسرائيل (قال يا موسى اريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قاله الاسرائيلي لانه لما ساء غوا باطن انه يطش به او القبطي وكانه توههم من قوله انه الذى قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي (ان تريد) ما تريد (الا ان تكون جبارا في الارض) تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب (وما تريد ان تكون من المصلحين) بين الناس تندفع الخصام بالتي هي احسن ولما قال هذا التبرأ الحديث وارتقى الى فرعون ومثله فهو بها يقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال (وحاء رجل من اقصى المدينة يسعى) يسرع صفة رجل و حال منذ اذ جعل من اقصى المدينة صفة له لاصلة بلاء لان تخصيصها بالمعنى بالعارق (قال يا موسى ان الملائكة يأمرون بك ليقولوك) يتشاورون بسبك وانما سعى استاور افتار الان كلا من المشاورين يأمر الآخر وبأمر (فاخرج اى لك من النجسين) اللام للبيان وليس صلة للناجين لان معمول الصلاة لا يتقدم الموصول (فخرج منها) من المدينة (خائفا يترقب) لحوق طالب (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينهما وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل) توكل على الله وحس ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فأخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبها فأخذوا في الآخرين (ولما ورد مدين) وصل اليه وهو يتركانو يسبقون منها (وجعل عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسبقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان اسفل من مكانهم (امرأتين تزدودان) تمتعان اغنامهما من الماء لئلا تخلط باغنامهم

والله ليس لان قوله يسقون يغني عن بيان أن المراد بالامة جنس الناس فثبت أنه للعهد والمعهود وعرفان تكون
الجماعة المجتمع للاستقاء اناسا مختلفين وفهم من دونهم بقوله في مكان ادون من مكانهم ويجوز أن يفسر بسوى
تلك الامة والمراد بالامر أنين ابنا شعيب عليه الصلاة والسلام قيل كبيرتهما اسمها صفراء والاخرى صفراء
وارعاء جمع راعي كقيام جمع قائم قيل الرعاء هم الذين يرعون المواشي والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة
(قوله دونه) أي دون المفعول وبيانه (قوله وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر) أي يفتح الياء وضم الدال
أي يرجع يقال صدر يصدر اذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى حتى ينصرف الرعاة وقرأ الباقون بضم الياء
وكسر الدال من الاصدار وهو متعد والمعنى حتى يردوا ويصرفوا مواشيهم والرخال بكسر الراء جمع رخل بكسر
الخاء وهو اللانثى من ولد الضأن والرخال بضم الراء اسم جمع (قوله مع ما كان به من الوصب) وكيف لا وقد خرج
عليه الصلاة والسلام من غير زاد ولا حذاء ولا ظهر ولم يطعم في الطريق الا ورق الشجر وسقط جلد قدميه في
الطريق وكانت خضره البقل تزاوى في بطنه من الهزال ورقة البدن وجلده قيل لما سقت الرعاء مواشيهم ووضعوا
صخرة على البركاهو عادت في كل سبعة وكانت عادة ابنتي شعيب ان تسقى من فضل مواشيهم انتهى موسى عليه
الصلاة والسلام الى البروقد اقبلت عليها الصخرة الموصوفة فاقتلعتها بنفسه ثم سقى لها مواشيها وفي رواية الكلبي
انه كان للبرادو مجتمع اربعون رجلا حتى يخرجوها من البرقأتى موسى الماء فسالهم ان يهبوه دلوام من الماء فقالوا
ان شئت اعطيناك الدلو على ان تسقى انت فقال نعم فاخذ موسى الدلو فاستقى بها وحده فصب في الحوض ودعا فيه
بالبركة فقرنوا غنمهما فروى منه جميع الغنم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما سمع قولهم ارجعوا فاقطع صخرة من
رأس برأخرى كانت بقرهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل في وجه الجمع بين قوله وجد عليه امة من
الناس بسقون وبين كون موسى هو الذي رفع الحجر وحده عن رأس البرأ أن معنى قوله يسقون يريدون ان يسقوا
الا انهم منظر لوجود الرعاء جميعا ليتعاونوا على رفع الحجر فرفعده موسى عليه الصلاة والسلام وسقى لها ما قبل
اجتماع الرعاء وسقاهم وهو الاظهر (قوله لاى شئ انزلت الى من خير) جعل ما موصوفة بقوله انزلت
الى من خير ولما كان الوصف بالعام يفيد عموم الموصوف قال لاى شئ انزلت الى من خير (قوله لاى شئ انزلت الى من خير)
انزلت الى وفي الوجه الثاني جعل ما موصولة لان ما انزلت في الوجه الاول عبارة عن شئ غير معلوم لان مطلوبه
شئ من جنس الخيرات شئ كان بخلاف الثاني لان ما انزلت في ذلك الوجه عبارة عن خير الدين وتكبير خير
في الوجه الاول للتعميم وفي الوجه الثاني للتعظيم (قوله ولذلك) أي ولاجل ان قوله فقير ضمن معنى سائل
وطالب عدى باللام فان قوله لما انزلت متعلق بفقير وكان الاصل فيه ان بعدى بالى وقيل لبست اللام متعلقة
بفقير حتى يحتاج الى اعتبارا للضمين لان المعنى اتي وان صرت فقيرا في الدنيا الا ان ذلك الفقير انما اصابني لما انزلت
الى من الخير العظيم المتعلق بالدين وهو الخلاص من صحبة الظالمين وقوله لانه كان في سعة عند فرعون بيان
لكون خروجه من عنده سببا لنفقه من جهة الدنيا وقال ذلك رضى بالبدل وفرحاه وشكر (قوله تخففة)
على لفظ اسم الفاعل من الخفربا التبرك وهو شدة الحياة تقول مندرجل خفربا كسر الفاء وجارية خفربة تخففة
أي مستحبة اشد الحبا (قوله ولعل موسى عليه الصلاة والسلام الخ) جواب عما يسأل انه سقى اغنامها تقربا
الى الله تعالى خالصا لوجهه وكيف يلقى اخذ الاجرة عليه فان ذلك غير جائز في الشر بعد روى انهما لما رجعا
الى ابيهما قبل الناس قال ما عجلكما قاتلا ووجدنا رجلا رجنا فسقى لنا فقال لاحدا منكما اذهب فاستدعبدلى
فلما أتته وبلغت اليد رسلا لهما ايتها موسى فأصقت الريح فوجها بمسجدها فوصفت جسدها لموسى لان الريح
كانت مجيئة من خلفها فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغض بصره اخرى فاداهما يا امة الله كوني خلفي واريني
الطريق يقولك وفي رواية بجحيم ترمين به الى قدامي ان اخطأت الطريق فلما دخل على شعيب وكان العشاء يهبط
قال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك الست مجيئة قال بل
ولكني اخاف ان يكون عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا تتبع شيئا من عمل الآخرة بعملى الارض ذهبا فقال له
شعيب لا والله يا شاب ولكنك عادتى وعادة اباي نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى يأكل قال الضحك
لما دخل عليه قال له من انت يا عبد الله قال انا موسى بن عمران بن يصر بن فاهت بن لاوى بن يعقوب وذكره
جميع امره من لدن ولادته وامر القبايل والبراضع والقذف في اليم وقتل القبطى وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال له

(قال ما خطبك يا) ماسأ نكبنا تذودان (قالنا لانسى
حتى يصدر الرعاء) يصرف الرعاء مواشيهم
عن الماء حذرا من مرض احة الرجال وحذف المفعول
لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهم ويدعو
الى السقى لهما ثمة دونه وقرأ أبو عمرو وابن عامر
يصدر أي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو
اسم جمع كالرخال (وابونا شيخ كبير) كبير السن
لا يستطيع ان يخرج للسقى فبرسلنا اضطرارا (فسقى
لهما) مواشيهم رحمة عليهما قيل كانت الرعاة
يضعون على رأس البرأ حجرا لا يقله الا سبعة
رجال او اكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب
والجوع وجراحة القدم وقيل كانت برأخرى عليها
صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى الظل فقال
رب انى لما انزلت) لاى شئ انزلت (الى من خير)
قابل او كثير وحله الاكثرون على الطعام (فقير)
محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى
لما انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه
كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار
التجوع والشكر على ذلك (فجاءته احدا من
تمشى على احتباء) أي مستحبة تخففة قيل
كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى
واسمها صفورا ووصفها وهي التى تزوجها
موسى (قالت ان ابى يدعوك ليجزيك) ليجزيك
(اجرما سقيت لنا) جرأ سقيك لنا ولعل موسى
انما اجابها ليتبرك بروية النسخ ويستظهر
بمعرفة لا طمعا في الاجر بل روى انه لما جاءه
قدم اليه طعما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت
لا تتبع دبتنا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع
كل من يزل بنا هذا وان من فعل معروف فاهدى
بشيء لم يجرم اخذه (فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يريد فرعون
وقوم

شعب عليه الصلاة والسلام لا تخف تجت من القوم الظالمين اى لاسلمان لبارضنا ولسنا فى مملكته فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم خرج على ارموسى ركب فى ألف ألف وستائة الف والملاك الذى هذا شأنه كيف يعقل ان لا يكون فى ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار ملكه والجواب ان هذا وان كان نادرا لكنه ليس بمحال والقصاص مصدر قص قصاصا و قصصا سمي به المقصوص (قوله استأجره) اى اتخذها جيرا ليرى اغنامنا ثم قالت ان خير من استأجرت القوى الامين من قوى على العمل وادى الامانة (قوله وللمبالغة فيه الخ) بيان لوجه العدول عن مقتضى الظاهر فان الظاهر ان يجعل القوى الامين اسم ان وخير من استأجرت خبرها وان يؤتى بلفظ المضارع بدل استأجرت فعكس ججع ذلك وجعل خير من استأجرت اسما وهو نكرة والقوى الامين خبرا وهو معرفه وعبر عن الاكثى بلفظ الماضى للمبالغة فى الدلالة على انه حقيق بالاستئجار وذلك لان ما هو اعنى فهو للتقديم اول فان شدة الغاية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخبرية قدمت وجعلت اسم ان وظهير قول الشاعر

الا ان خيرا ناس حيا وها لكا * اسير تقيف عندهم فى السلاسل

يعنى ان المناسب للقيام ببيان ان موسى عليه الصلاة والسلام بخصوصه حقيق بالاستئجار لقوته وامانته لكونها فى صدد تعليل طلبها لاستئجار موسى بخصوصه وذكرت فى تعليله ما يدل على ان مطلق من وجد فيه القوة والامانة حقيق بالاستئجار لتسند هذه المقدمة الكلية السليمة على مدعاها وهو استحقيق موسى للاستئجار (قوله على ان تأجر نفسك منى) على ان يكون المفعول الثانى 'مخدوفا' اى تأجر منى نفسك من قولهم أجزت دارى ومملوكى غير محدود وأجزت ممدودا كلاهما بمعنى اكريتها والاول اكثر (قوله او تكون لى اجيرا) من قولهم أجزته اذا كنت له اجيرا او هو من أجز فى اى يصير اجيرا كما يقال ابوته اذا كنت له ابا وعلى التقديرين يكون ثمانى حجج منصوب على الظرفية وعلى ان تأجرنى فى محل التصب على الحال من كاف الكحك (قوله او تبني الخ) على ان يكون تأجرنى من أجزك بمعنى اناك فان اصل الاجر الثواب والعوض وكان عليه الصلاة والسلام يعزى بأن يقول أجزكم الله الجنة والمفعول الثانى فيه محذوف اى تأجرنى العوض الجليل فيكون ثمانى حجج حالا ويجوز ان يكون مفعولا به بتقدير رعية ثمانى حجج لان العمل هو الذى يقع به الا نابة لانفس الزمان (قوله فاقامه من عندك) اشارة الى ان قوله فى عندك خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجة فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فانه لا يجوز عندنا لمسا فيه من الهوان والذل والزواج قوام عليها بالنص والمراد بالقوامية المسالكية وكونه مستخدما لها فلو جاز امها الخدمة لصارت مائكة مستخدمة ولصار هو مملوكا خادما فاعاد على موضوعه بالنقض (قوله وهذا استدعاء للعقد لانفسه) جواب عما يقال كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تغيير ونكاح البهيم لا يصح لانه عقد موضوع لحل الاستمتاع وهو انما يرد على المعينة دون البهيمه وعلى تقدير تسليم ان النكوحه معينة فالمر غير معين لكونه رعية احدى المدين وهي غير معلومة وايضا كيف تجوز الاجارة على رعية احدى الاجلين من غير تعيين مدة العمل وايضا كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه فى رعية غنم ايهام مع ان الصداق يجب ان يحصل للنكوحه لا لايها باتفاق العلماء وذلك لانه بدل يضع المرأة فيجب ان تكون متفعة الرعى حاصلة لها لا لايها واجاب عن الاول بان قول شعب ليس انشاء لعقد النكاح حتى يجب تعيين النكاح بل هو مواعدة مع موسى عليه الصلاة والسلام ذكره انه يريد شيئين احدهما انكاح احدى ابنتيه اياه وثانيهما ان يكون موسى اجيرا رعى الغنم ولا محذور فى الابهام عند المواعدة والظاهر ان العقد جرى على المعينة وعن الثانى بان قوله على ان تأجرنى ثمانى حجج ليس المقصود منه جعل عمله مهر الهابل المقصود ان يزوجه اياه بمهر آخر فكان هناك عقدان مختلفان عقد الاجارة بالاجرة المعلومة وعقد النكاح بالمهر المعين وعلى تقدير ان يكون العمل مهر الهابل فلا نسلم ان مدة العمل غير معلومة بل هى معينة وهى الاجل الاول غاية ما فى الباب ان موسى وعده ان يوفى الاجل الاخير ان يسره قبل العقد وعن الثالث ان الاغنام للنكوحه لا لايها ثم قال ويجوز ان يكون النكاح جائزا فى تلك الشريعة بشرط ان تكون متفعة العمل فى المدة المعلومة لولى المرأة كما يجوز فى شريعتنا بشرط رعى غنمها فى مدة معلومة (قوله ذلك الذى عاهدتني فيه قائم بيننا) اشارة الى ان ذلك مبتدأ والاشارة به الى ما عاهدنا عليه والغرف الذى بعده خبره واى فى ايام الاجلين منصوب بقضية وما زائدة مؤكدة لايها اى وهى شرطية وجوابها فلا عدوان على اى

(فالت احدهما) يعنى التى استدعته (يا ابت استأجره) رعى الغنم (ان خير من استأجرت القوى الامين) تعليل جامع يجزى مجزى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خبر اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين محرم معروف وروى ان شعبا قال لها وما اعلمك لقوته وامانته حذرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين ولعته رسالته وامرها بالسبى خلفه (قال انى اريد ان الكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرنى) على ان تأجر نفسك منى او تكون لى اجيرا او تبني من أجزك الله (ثمانى حجج) ظرف على الاولين ومنه قول به على اناك باعمار مضاف اى رعية ثمانى حجج (فان اتممت عشرا) عملت عشر حجج (فى عندك) فاقامه من عندك تفضلا لمن عندى الر اما عليك وهذا استدعاء للعقد لانفسه فلهذا جرى على اجرة معينة ومهر آخر او رعية الاجل الاول ووعده ان يوفى الاخير ان يسره قبل العقد وكانت الاغنام للزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك (وما ارى ان اشتق عليك) بالام اتمام العشر او المتافئة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشتقة من الشق فان ما يصعب عليك يتق عليك اعتقادك فى اطاقته ورأى فى مراولته (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعاهدة (قال ذلك بينى وبينك) اى ذلك الذى عاهدتني فيه قائم بيننا لا يخرج عنه (ايمسا الاجلين) اطولهما واقصرهما (قضيت) وفنسك اياه

لا يعتدى على في طلب الزيادة على ما تمت ووفيت ومن المعلوم انه لا يعتدى عليه بطلب الزيادة على اطلول الاجلين لكن جع بين اطلول الاجلين واقصرهما ليعلم ان الوفا بالاقصر كالوفاء بالاطول في ان طلب الزيادة عليه ظلم وعد وان كما ان طلب الزيادة على الاطول كذلك (قولوا فلا اكون معتديا) فعلى هذا يكون على متعلقا بمحذوف واقع في محل خبر لا اى ثابت على او واقع على وكذا على الوجه الاول هو متعلق بمحذوف واقع في محل خبر لالكن المعنيان مختلفان من حيث ان المراد بالعد وان على الاول اعتداء الغير عليه بطلب الزيادة وعلى الثاني اعتدائه وظلمه على نفسه بارتكابه الاثم وهو ترك الزيادة عليه فهو على الثاني بمعنى لا اثم على ولا يجوز ان يكون على متعلقا بعدوان والالكن عد وان مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده وما بعدهما متم ومخصص لهما فكان يجب نصبه لما تقر في النحوم ان اسم لا التي لفي الجنس اذا كان مضافا او مشابها له يجب نصبه (قولوا وهو بلغ) اى النظم الواقع في التزيل بلغ في تقرير كونه مخبرا بين الاجلين من ان يقال ان قضيت الاقصى فلا عد وان على وان كان مقتضى الظاهر ان يقال هكذا اذ لا يتصور عدوان غيره عليه ولا عدوانه على نفسه على تقدير ان يقضى اطلول الاجلين حتى يجمع بينهما ويقال ايما الاجلين قضيت فلا عد وان على (قوله تنظرت نصرا والسماكين) اى انتظرت رجلا مسمى بنصروا السماكين طلبا للعر وفهما ولم افرق بين نصروا السماكين في الجود ولم اعلم ايهما استهلت مواطره على من الغيث والسماكين السماكين الا عزل وهو الذى لاشي بين يديه والسماكين الرايح وهو الذى بين يديه الكواكب وهل السحاب واستهلت اذا انصب شديدا ونصرا اسم الممدوح بالجود وايهما يسكن الباء اصله ايهما فاسكن الباء للضرورة ومن في قوله من الغيث الليبان والمواطرجع ماطرة اى سحابة ماطرة وقوله ايهما الخ فيه حذف تقديره لا اعلم ايهما انصب على ولما رضى موسى بان يرى غنم شعب هذه المدة باجرة معلومة وعلق شعب انكاح احدى ابنتيه اياه بالرعى المذكور بان يرى على ان يتكلم هو ابنته اياه وتم العقد الذى جرى بينهما امر شعب ابنته ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصا الانبياء عنده فدخلت فاخذت عصا فانتبه بها فلما رآها شعب قال لها ردى هذه العصا واثنيه بغيرها فدخلت واقتطعتها وارادت ان تأخذ غيرها فلم يقع في يدها الا هي حتى فعلت ذلك سبع مرات فعلم شعب ان لموسى شأنا واختلفوا في تلك العصا فقيل كانت من آس الجنة هبط بها آدم من الجنة فتوارثتها الانبياء حتى وصلت الى شعب وقبل كانت تلك العصا اسود عنها اياه ملك في صورة رجل ولذلك لم يرض ان يعطيها لموسى وامر ابنته ان تردّها الى موضعها وتأتى بغيرها وقبل ما كانت الاعضا اخذها موسى عليه الصلاة والسلام من عرض واحد من جنس الشجر اى من جانب الشجر وعلى القولين الاولين لما اخذها موسى من شعب واصبح قال له شعب سقى هذه الاغنام الى مفرق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس فيه عشب كثير ولا تأخذ جانب يسارك وفيه عشب كثير لكن فيه تين اخاف منه عليك وعلى مامعك من المواشى فساق موسى المواشى الى مفرق الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها وسرحها في الكلا ونام موسى فخرج التين فقامت العصا فصارت لها شيعتان من حديد وحاربت التين حتى قتلت وعادت الى موسى فلما اثبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتين مقتولا فارتاح لذلك وعاد الى شعب فس الاغنام فاذا هي امثل حالا فسأله عن القصة فاخبره بها ففرح بذلك شعب واراد ان يجزى موسى عليها فقال كل ما ولدت الاغنام في هذه السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد في تلك السنة كلها سودا فحازها كلها وفي السنة الثانية شرط ذلك في البيض فولدت كلها ايضا فحازها جميعا وفي السنة الثالثة قال كل ما ولدت لوان سواد وبيض فهو لك فكان الكل كذلك فحازها كلها وعلم شعب بذلك ان له عند الله منزلة ولما قضى موسى الاجل استأذن شعبا ان يخرج الى مصر مع اهله ليصل اخاه وابنته وقرابته التي فيها فاذن له فسار باهله اليها فاطلعت عليه ليلة من الليالي في الصحراء وهبت ريح شديدة فرقت ما شئت وضل الطريق واصابهم مطر وبرد شديد واخذ امرأته اطلق فعند ذلك ابصر من جانب الطور نارا فسار اليها لطلب فيها من يده على الطريق وهو قوله لعلى آتاكم منها بخبر فانه يدل على انه ضل الطريق وقوله او آتاكم منها بجذوة من النار لعلمكم تصطلون يدل على انه اصابهم برد شديد وفي الجذوة ثلاث لغات فتح الجيم وضمها وكسرهما مع سكون الدال وقرى بهن جميعا وهي العود الغليظ سواء كان في رأسه نار او لم يكن واورد بيتين استشهدا بالولهما على ان الجذوة تطلق على العود الذى لم يكن في رأسه نار وباليك الثاني على انها تطلق على ما في رأسه نار فاليك الاول قوله

(فلا عدون على) لا يعتدى على بطلب الزيادة فكما لا طالب بالزيادة على العشر لا طالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم على وهو بلغ في اثبات الخيرة وتسوى الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصى فلا عد وان على وقرى ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما

على من الغيث استهلت مواطره و اى الاجلين ما قضيت فتكون ما مرية لتأكيد الفعل اى اى الاجلين جردت عرعى لقضائه وقرى عدوان بالكسر (والله على ما نقول) من المشارطة (وكيل) شاهد حفيظ (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله) بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرة ايام ثم عزم على الرجوع (آنس من جانب الطور نارا) ابصر من الجهة التي تلى الطور (قال لأهله امكثوا اى آنست نارا لعلى آتاكم منها بخبر) بخبر الطريق (اوجذوة) عود غليظ سواء كان في رأسه نار او لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمس لها جزل الجذوى غير خوار ولا دعر والى على قيس من النار جذوة شديدا عليها حرها واتها بها

يانت حواطب ليلى يلتمس لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر
والمراد بحواطب ليلى جواربها التي يطلن لها الخطب والجزل الخطب اليابس وما عظم منه ابضا والجذى جمع
جذوة وفي الجمع ايضا ثلاث لغات كما في مفردده والخوار الضعيف من الخور وهو الضعف والدعر الرديى من قولك
دعر العود بالكسر يدعردعرا فهو عود دعرى رديى كثير السنان ومنه اخذت الدعارة وهى الفسق والخبث
واليت الثانى قوله

والتي على قيس من النار جذوة * شديذا عليها حرها واثها بها

اي اهلك قبيلة قيس بأن ألقى عليها نار الفتنة والعداوة والجذوة فى الآية هى التي فى رأسها نار بقرينة قوله لعلكم
تصطلون (قوله ولذلك) اي ولحظة اطلاق الجذوة على العود الذى فى رأسه ناريتها بقوله من النار جعلها
لشدة تثبت النار بها كأنها نار كلها (قوله اياه النداء من الشاطىء الايمن لموسى) اشارة الى ان كلمة من
فى قوله من شاطىء لا ابتداء الغاية وان الايمن من اليمين المقابل لليسار لامن اليمين وهو البركة وأنه صفة للشاطىء
للاوادى وان كون الشاطىء ايمن اتما هو بالنسبة الى موسى وشاطىء الوادى حاقه وطرفه (قوله متصل
بالشاطىء) من حيث انه متعلق بمحذوف على انه حال من الشاطىء والبقعة قطعة من الارض لا شجر فيها
وصفت بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه (قوله هذا وان خالف ما فى طه
والنمل) قال تعالى فى سورة طه نودى ياموسى انا انا ربك وقال فى سورة النمل نودى ان بورك من فى النار ومن
حولها وهما مخالفان لما فى هذه السورة من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافقة فى المقصود وهو قبح باب الاستنباء
وسوق الكلام على وجه يؤدى اليه قال الامام لامنافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى فى
كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء (قوله تعالى وأن ألقى) اي ونودى ان ألقى (قوله اي فألقاها فصارت
نعبانا واهترت) اي تحركت يريد ان هذه الجبل الثلاث مضرة فى الآية وصيرورتها نعبانا قد نص عليها
فى سورة الشعراء بقوله تعالى فألقى عصاه فأذاهى نعبان ميين ولما كان النعبان اسمالسا يكون عظيم الجنة من
الحيات والجنان اسم للحيمة الصغيرة الدقيقة للمساء توهم ان يكون قوله كأنها جان مناقض لقوله فاذاهى نعبان ميين
فاشار الى دفعه بقوله كأنها جان فى الهيئة والجنة او فى السرعة يعنى ان التناقض انما يكون ان لو قيل انها فى نفسها
جان ولم يقل هكذا بل الله تعالى شبهها بالجنان فلا يكون هذا مناقضا لانقلابها نعبانا عظيم الهيئة والجنة
الا ان تشبيهها بالجنان فى الهيئة والجنة قوى جانب المناقضة ظاهرا فوجب ان يكون مراده انها تشبه الجان
فى الهيئة وقت انقلابها حية ولا ينافيه تورمها وترايد جرمها بعد ذلك الى ان تبلغ غاية عظم النعبان لان مشابهتها
بالجان فى اول حالها وبالتعبان فى ما أكلها ومتنهاها واما قوله او فى السرعة فواضح اذ منافاة بين كونها فى عظم
التعبان وجنته وبين كونها فى سرعة الجان وخفته (قوله أدخلها) عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات
احداها فى هذه السورة وهو قوله تعالى اسلك يدك فى جييك وثانيها قوله فى سورة طه واضم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من يمينك وثالثها قوله تعالى فى سورة النمل وأدخل يدك فى جييك اي فى مدرعتك والمدرعة ثوب من
صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل يشبهى كعند المرفقين ويقال لها زربانقة وقيل الجيب القميص
(قوله بأدخل اليمنى تحت عضد اليسرى) فيكون ضم يديه الى نفسه وأدخلهما فى الجيب متغايرين من حيث
العبارة والمعنى اما اذا فرضم اليدين بأدخلهما فى الجيب فلا يكون التغاير الا فى العبارة لا فى المعنى وجاز تكرار
الفعل بالمعنى الواحد عند اختلاف الغرض فانه اذا كرر الفعل الواحد ليعلق بكل غرض آخر صار كأنه هناك
فعلين باعتبار الغرضين كما فى هذه الآية فان الغرض فى قوله تعالى اسلك يدك فى جييك خروج اليد بيضاء وظهور
معجزة اخرى وفى قوله واضمم اليك جناحك اخفاء الالهة والتجيب عن الغضاضة وهى الذلة والنقصان لدى
العدو فانه تعالى لما قلب العصا حية فرع موسى عليه الصلاة والسلام وانقاها يديه اي جعل يديه حاضرة بينه
وبين الخوف فقال تعالى بعد ان امره بأدخل يديه فى جييه واضمم اليك جناحك فكانه قال اذا ألقىتهما عند العدو
اظهار المعجزة فانقلب حية هائلة مخوفة لا تقوى بيدك فان ذلك غضاضة ونقصان عند العدو بل اذا ألقىتهما
فانقلب حية ادخل يدك فى جييك ليحصل الامر ان احدهما اظهر الجراة والتجيب عما هو غضاضة عليك
والثانى اظهر معجزة اخرى (قوله ويجوز ان يراد بالضم العجلد والثبات) استعارة من حال الطائر حين

ولذلك يشد بقوله (من النار) وقرأ عاصم بالفتح
وحزة بالضم وكلها لغات (لعلكم تصطلون)
تستدلون بها (فلا أتاها نودى من شاطىء الوادى
الايمن) اياه النداء من الشاطىء الايمن لموسى
(فى البقعة المباركة) متصل بالشاطىء او صلة لنودى
(من الشجرة) بدل من شاطىء بدل الاشتغال لانها
كانت نابتة على الشاطىء (ان ياموسى) اي ياموسى
(انى انا الله رب العالمين) هذا وان خالف ما فى طه
والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود (وان ألقى
عصاك فلا رآها تهتز) اي فألقاها فصارت نعبانا
واهترت فلما رآها تهتز (كأنها جان) فى الهيئة
والجنة او فى السرعة (ولى مدبرا) منهزما من الخوف
(ولم يعقب) ولم يرجع (ياموسى) نودى ياموسى
(اقبل ولا تخف انك من الامنين) من الخوف فانه
لا يخاف لدى المرسلون (اسلك يدك فى جييك)
أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب (واضمم
اليك جناحك) يدك المبسوطتين تتقي بهما الحية
كالخائف الفرع بأدخل اليمنى تحت عضد اليسرى
وبالعكس او بأدخل لهما فى الجيب فيكون تكريرا
لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو
اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد
بالضم العجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة
من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه
واذا آمن واطمان ضمهما اليه

صار ذلك اللفظ مثلاً في أمته شبه الإنسان في حال نباته وضبطه نفسه بالطير الآ من ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو ضم الجناح ليكون تشبيهاً للاستعارة المكنية (قوله أي إذا عراك الخوف) أي اصابك عند رؤية الحية فاعلم اليك جناحك من أجل اصابته ذلك جعل الرهب الذي كان يصيده عند رؤية الحية سبباً وغلة فيما امر به من ضم جناحه اليه عن مجاهداته قال كل من فزع فظم جناحه اليه ذهب عند الفزع وقرأ الآية (قوله وقرئ بضمهما) أي في الشواذ وقرأ حفص بفتح الراء وسكون الهاء وياق السبعة بفتحين (قوله مرسل) تقدير لمعلق قوله من ربك إلى فرعون واتصاه به على أنه حال من كاف الخطاب في فذائك والعامل فيها معنى الإشارة أي مخاطبك بالإشارة إليهما من ربك إلى فرعون ويحتمل أن يكون من ربك متعلقاً بمحذوف هو صفة برهانا وإلى فرعون متعلقاً بمرسل المقدار المنسوب على الحالية من كاف ربك والعامل فيها ما في الاضافة من معنى الفعل وردنا حال من مفعول ارسله أي اجعله رسولا معي إلى فرعون وقومد حال كونه معينا يقال ردأه على عدوه إذا عتده عليه ردأ بالفتح والردى بالكسر اسم لما يعان به فعل بمعنى مفعول كالدفي والصغ والشبع لما يدفأ ويصغ ويشفع فاطلق على المعين الذي يتبع غيره معينه تسمية للفاعل باسم ما يفعل به وقرئ يصدقني بالرفع على الوصفية أي ردأ فصدقا وبالجزم جوابا لا رسله وليس طريق تصديقه إياه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق أخى موسى لأنه لا يحتاج فيه إلى اختصاص بزيادة الفصاحة لأن سبحانه وباقلا فليسوا وأما طريق تصديقك ان شخص الحق بلسانه ويجادل الكفار ببيانه وذلك يجري مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان (قوله فان قوة الشخص بشدة اليد) يعني أن شدة عضدك عبارة عن قوله سنقويك فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وإرادة السبب بمرتين فان شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص فشدة العضد سبب لقوة الشخص في المرتبة الثانية فصحة ان تطلق شدة العضد ويراد بها قوة الشخص على طريق المجاز المرسل (قوله غلبة أوجهة) يعني أن السلطان أما بمعنى التسلط والاستيلاء أو بمعنى الحجة والبرهان سميت الحجة سلطاناً لكونها سبباً للتسلط والغلبة (قوله أوقسم جوابه لا يصلون) فيه تساهل لأن جواب القسم لا يتقدم عليه وايضا لا تدخل الفاء في جواب القسم عند الجمهور ولعل مراده أنه قسم حذف جوابه اعتمادا على دلالة ما قبله عليه (قوله بمعنى أنه صلة لما بينه) كأنه قيل بماذا تغلب فأجيب بآياتنا فالباء متعلقة بمحذوف قدرينانا للغالبون ولا يتعلق بنفس الغالبون لأن اللام فيه موصولة بمعنى الذي ولا يتقدم ما في حيز الصلة عليها إلا أن يكون اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فيئسذ يجوز أن تتعلق الباء به (قوله سحر مختلفه) يريد أن يبين فائدة توصيف السحر بقوله مفترى مع أنه قد علم كونه مفترى من تسمية المعجزة سحرا لأن من أظهر المعجزة يدعى أنها امر خارق للعادة خلقه الله تعالى على يده تصديقاً له في دعواه الراسلة فمن سماها سحرا لزمان يجعلها مفترى على الله فلا يظهر لتوصيف السحر به فائدة فالمصنف فسر قوله مفترى بثلاثة أوجه على الأولين يكون صفة مخصصة لقوله سحر لأن كل سحر لا يكون كذلك وعلى الثالث يكون صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة الوجه الأول أن يكون مختلفاً مصنوعاً من قبله لم يسبقه أحد فيه من قولهم فريت المرادة أي خلقتها أو صنعتها وظهر أن كل سحر لا يكون كذلك لأنه كرم من سحر يصنع أكثر السحرة بل جميعهم والثاني أن يكون مستنداً إلى الله تعالى كذبا ولا يكون كل سحر مفترى على الله تعالى ويكون لفظ هذا إشارة إلى خصوص ما ظهر موسى عليه الصلاة والسلام مع قطع النظر عن أنه عليه الصلاة والسلام أظهره ليكون معجزة والثالث أن يكون بمعنى مكذوب فيه أي في ادعاء أن حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانا ميتا بل هو من قيل التمويه والتلبس كاهوشان كل سحر (قوله كأننا في أيامهم) إشارة إلى أن في آياتنا في محل التصب على أنه حال من هذا فاجل موسى عليه الصلاة والسلام في جوابهم ناطقا في الخطاب وإيثاراً لأحسن الوجوه في المجادلة معهم فقال ربني أعلم بمن جاء بالهدى من عنده والمعنى ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربي عالم بذلك وأنتم مبطلون (قوله لا ندقأ ما قاله جوابا لمقالمهم) فإن الجملة الثانية إذا كانت كالصلة بالاولى لكونها جوابا لسؤال اقتضته الاولى تنزل الاولى منزلة السؤال فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال ويسمى الفصل لكون الثانية جوابا لسؤال اقتضته الاولى استئنافا كما تسمى نفس الجملة الثانية بذلك ووجد القرآء المشهورة أن المراد حكاية قولهم ذلك وقول موسى هذا بعطف احداً على الأخرى أيوازن الناظر بين القول والقول ويعرف فساد احدهما

(من الرهب) من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك وقرأ ابن عامر وحزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح وسكون الكل لفات (فذاك) إشارة إلى العصا واليد وشده ابن كثير وأبو عمرو ورويس (برهانا) حجتان وبرهان فعلم لقولهم إره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم إره الرجل إذا أبيض ويقال برهأ وبرهه للمرأة البيضاء وقيل فعلم لقولهم برهن (من ربك) مرسل بمرسلاً (إلى فرعون ومثله أنهم كانوا قوماً فاسقين) فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم (قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون) بها (وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردئاً) معينا وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفي وقرأ نافع ردأ بالتحقيق (يصدقني) بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (أي أخاف أن يكذبون) ولأنني لا أيطأ وعني عند الحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه استند إليه اسناد الفعل إلى السبب وقرأ عاصم وحزة يصدقني بالرفع على أنه صفة والجواب بمحذوف (قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاوله الأمور وذلك يعبر عنه باليد وشدها بشدة العضد (وتجعلكم سلاطناً) غلبة أوجهة (فلا يصلون اليكم) باستيلاء أوجهة (بآياتنا) متعلق بمحذوف أي اذهباً بآياتنا أو بجعل أي نسلطكم بها أو بمعنى لا يصلون أي تمتعون منهم أو قسم جوابه لا يصلون أو يسان للغالبون في قوله (أنت ومن أتبعك) للغالبون (بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا ينات قالوا ما هذا السحر مفترى سحر مختلف لم يفعل قبل مثله أو سحر تعلمه ثم تفترى على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر (وما سمعنا بهذا) يعنون السحر أو ادعاء النبوة (في آياتنا الأولى) كأننا في أيامهم (وقال موسى ربني أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) فيعلم أني محق وأنتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قال ما قاله جواباً لمقالمهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد

وصحة الآخر فان الواو تفيد جمع القولين في ذهن السامع فيمير بين الصحيح والسقيم لان كل شئ يتغير بضده (قوله
لانهما خلقت محازا الى الآخرة) يعني ان الدنيا خلقت موضع الجواز والموار الى الآخرة والمقصود بالذات من
الآخرة انما هو الثواب والجنة والعقاب انما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الاصلية للدنياس هي الجنة
لان العاقبة السوءى لا اعتداد بها لانها من نتائج ايثارا للذات المعاجلة على الحفظ والبقاء وما يدل على ان المراد
بالعاقبة العاقبة المحموده قوله تعالى اولئك لهم عقي الدار جنات عدن فان المراد الدار من الدنيا وقد صرح بان
عقابها الجنة (قوله وقرأ حجرة والكسائي يكون بالياء) اى من تحت للعقل بيند وبين اسعد ولكن تأنيث العاقبة
غير حقيقى وقرأ الامة تكون بالياء الفوقية لتأنيث العاقبة فانه اسم كان وله خبرها (قوله نبي عليه السلام غيره دون
وجوده) اى لم يتف وجوده غيره بان يقول ليس لكم اله غيرى بناء على انه لم يكن عنده ما يقتضى الجرم بانفسه
وانت الهية نفسه حيث قال من اله غيرى فكان عند ما يقتضى الجرم بالهتة والظاهر انه لا يريد بالهتة نفسه
كونه خالقا للسموات والارض وما فيه من الذوات والصفات فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على احد فالتدرك
فى ذلك يقتضى زوال العقل بالكلية فالتدول كان يظن ان هذه الكواكب والافلاك كافية فى خلق احوال هذا
العالم السفلى فلا حاجة الى اثبات صانع فلهذا قال ما علمت لكم من اله غيرى وكان يقول لا يجب على الناس الا ان
يطيعوا ملكهم ويتقوا الامر كما قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جاباهم ساروا

وهذا هو المراد من ادعاء الالهية لا كايظن من انه يدعى كونه خالقا للسموات والارض الا ان قوله هذا
فيذ نوع مناقضة لقول اصحابه في حق موسى ويدرك وآلهتكم فان من يزعم تفرد بالالهية كيف يكون له آلهة
فكانه قال هذا الكلام لله واشراف قومه بخصوصهم فانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها
وجعل للملا عبادة نفسه فانه لم يزل ياتباع اهل لاهل عبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام من حيث انه لم يرانهم
اهل لعبادته (قوله ولذلك امر ببناء الصرح) اى امر باتخاذ على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال او قدى
على الطين ولم يقل اطحى الى الاجر واتخذ والوجه فى كون التمر يض بتعليم الصنعة مبنيا على التعظيم ان ايقاد
النار على الشئ المسمى بالطين امر هين حقير بقدر عليه العجائز والصبيان فيكون التعبير عن الامر بطيح الاجر
الذى يبنى لبناء الصرح المذكور بقوله او قدى على الطين مبنيا على الاهانة بطبحه وعدم الاعتداد به ولان طيح
الاجر صنعة خسيسة لا يلقى بالملوك وعظماء الناس ان يأمروا بها ويذكروا اسمها على ملائكة الناس فهذا
معنى قوله مع ما فيه من تعظيم وكذلك كل واحد من نداء وزيره باسم العلم من غير تكتية وتلقب ونداءه بحرف يا
الموضوع لنداء البعيد مع كون النادى قريبا وندائه فى وسط الكلام مع ان العادة تقديم النداء على النادى
متى على التعظيم والتجبر دليل عليه اما كون الاولين مبنيين على التعظيم فظاهر واما كون الثالث مبنيا عليه فلا
لوقدم النداء وقيل باها مان او قدى لزم ان يقدم ذكرها مان على ذكر نفسه ولم يرض به تعضا ونجرا (قوله
كأنه اخذهم مع كثرتهم) روى ان جنوده يوم خرج خلف موسى كانوا الف وستمائة الف فان افعال
العباد واقعة باسباب ومربحات تفيض عليهم من عنده تعالى وذلك ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا واطفا وان كان
نحو معصية يسمى خذلانا وطعنا كذا ذكره فى شرح المصابيح (قوله بالجل على الاضلال) متعلق بقوله
وجعلناهم ائمة اى صيرناهم قدوة لاهل الضلال بان جعلناهم على اضلال اولئك فالآية من جلته ما تمسك به اصحابنا
فى انه تعالى خالق الخير والشر حيث ذكر فيها انه تعالى جعلهم قادة ورؤساء يدعون اتباعهم الى عمل يوجب
النار من الكفر واتواع المعاصي كما ذكر فى حق الرسل واهل الخير انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى الحق والهدى
حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا فدل ذلك على انه كان من الله تعالى فى حق اهل الخير صنع حتى صاروا
بذلك ائمة الخير ولم يكن ذلك منه فى حق اهل الشر والاضلال ولو كان الامر كما زعمت المعتزلة من ان رعاية الاصلي
واجبة عليه تعالى وهو منحة الاطراف لا منعه ولم يكن من الله تعالى عناية خاصة بالرسل وقادة الخير بل كان
ذلك منه لكل كافر وفاسق لما كان لقوله فى حق احد الفريقين جعلناهم ائمة يدعون الى النار وفى حق الاخر جعلناهم
ائمة يدعون الى الهدى والصراط المستقيم وجه فدل ذلك على انه كان مندى فى احد الفريقين ما صاروا به ائمة الخير
وفى حق الاخر ما صاروا به ائمة الشر غاية ما فى الباب انه جعل كل فريق اماما يقتدى به فيما هو عليه من الطاعة

(ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحموده فان المراد
بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت
محازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب
والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حجرة والكسائي
يكون بالياء (انه لا يفلح الضالمون) لا يهتزون بالهدى
فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى (وقال فرعون
يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى) نبي عليه السلام
غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجرم
بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه
ويطلع على الحال بقوله (فاوقدى ياها مان على
الطين ما جعل على صرحا لعلى اطلع الى اله موسى)
كانه توهم انه لو كان لكان حسما فى السماء يمكن
الترقى اليه ثم قال (وانى لا اظنه من الكاذبين) او اراد ان
يبنى له رصد يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى
هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل
المراد بنى العلم نفي المعلوم كقوله اتبئون الله بما لا يعلم
فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن
وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقيق
معلوماتها فيلزم من اتقانها اتقانها ولا كذلك العلوم
الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك
امر باتخاذ على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما به
من تعظيم ولذلك نادى ها مان باسمه بيا فى وسط
الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق)
بغير استحقاق (وظنوا انه الينا لا يرجعون) بالتشور
وقرأ نافع وحجرة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم
(فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) كما مر بيانه
وفيه فحاسة وتعظيم لتأت الاخذ واستحقاق
لما خوذت كانه اخذهم مع كثرتهم فى كصف
وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بين يديه (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة
الضالين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم ائمة)
قدوة للضلال بالجل على الاضلال

والعصيان فكانوا أئمة بحسب اعمالهم فظن بذلك ان ما كان من الله تعالى اليهم فهو على السواء فيما بينهم وما كان
 بينهم من التفاضل ليس الا بحسب تفاوت اعمالهم لا بان الله تعالى جعل بعضهم أئمة الخير وبعضهم أئمة الشر وليس
 كذلك لان ما صدر عنهم من الخير والشر وان كان سببا لجليلهم أئمة فيما هم عليه من الخير والشر الا انه تعالى له صنع
 في ذلك السبب فان فعلهم لا يتحقق بلا اقدار الله تعالى اياهم عليهم باعطاء الاله والقدرة والاختيار ونحو ذلك فغنى
 اضيف الجعل اليه تعالى نظر الى كونه تعالى موجدا لحقيقة الفعل والاسباب جميعا واواضيف الى فعل العباد
 نظر الى مجرد قيام الفعل بهم وكسبهم اياه من غير ان يكون لهم مدخل في اسباب وجوده فكان اضافته اليه
 تعالى وقد وجد منه حقيقة الفعل والاسباب اولى من اضافته اليهم ولم يوجد منهم الا الفعل دون الاسباب والله
 اعلم (قوله وقيل بالتسمية) اى قالت المعتزلة الجعل محمول على التسمية كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم
 عباد الرحمن انا وكافى قولهم جعله بخيلا وفاسقا بمعنى سماء بخيلا فعنى الآية وسميتهم أئمة دعاء الى النار وقلنا
 انهم كذلك وهو معطوف على قوله بالجل وكذا او يمنع الاطاف وهى الامور المقررة الى الله تعالى يعنى الايمان
 بالطاعة والاجتناب عن المعاصى فانه تعالى يمنعها عن علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تنفع
 عنه الايات والنذر والقول بانه تعالى خذلهم ومنع عنهم الاطاف لاينا في مذهبهم من ان رعاية الاصلح واجبة
 عليه تعالى لانهم يقولون انما خذلوا ومنع عنهم الاطاف من جهة انفسهم وهو تصميمهم على الكفر (قوله من
 المطرودين) على انه من الفسخ بمعنى الابعاد والطرديقال فبعد الله تعالى اى نجاه عن الخير (قوله انوارا لقلوبهم)
 يعنى ان بصائر جمع بصيرة وهى نور القلب الذى يبصر به الرشاد والسعادة كان البصر نور العين الذى يبصر به
 المحسوسات وبصائر حال من الكتاب اى آياته الكتاب انورا للقلوب اى مشبه بانوار القلوب من حيث ان القلوب
 لو كانت خالية عن انوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل فأوقع بصائر حال من
 الكتاب ليؤذن بشدة احتياج القوم الى ما تفتح به قلوبهم العمياء (قوله ليكونوا على حال يربى منهم التذكر) يعنى
 ان لعل للترجى الا انه لما كان مستحيلا منه تعالى صرف الى من يعرف حال الكتاب ويمكن بسببه من ادراك الحق
 وقبوله ومنهم من شبه الارادة بالترجى من حيث ان كل واحد منهما متعلق بامر كائن فاستعار الترجى للارادة اصالة
 ثم لعل تبعا ففسر قوله تعالى اعلمهم يتذكرون بقوله ارادة ان يتذكروا قال القاضي عبد الجبار وذلك يدل على ارادة
 التذكر من كل مكلف سواء اختار ذلك ام لم يختره ففيه ابطال مذهب الجبرية الذين يقولون ما اراد التذكر الا من
 يتذكر فاما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ونص القراء ان دافع لهذا القول وهذه الدلالة مبنية على كون الترجى
 مستعارا للارادة وهو غير مسلم وأشار المصنف بقوله وفيه ما عرفت الى انه تعالى لو اراد من كل مكلف ان يتذكر
 بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب ان لا يموت احد على الكفر والضلال لئلا يلزم تخلف المراد عن ارادة الله تعالى
 (قوله يريد الوادى) يعنى ان الغربى صفة موصوف محذوف وهو الوادى او الطور والتقدير وما كنت بجانب
 الوادى الغربى من مقام موسى او بجانب الطور الغربى منه والوجه في ارتكاب الحذف ان الغربى لوجعل صفة
 للجانب وكان اصل الكلام وما كنت بجانب الغربى لزم ان يكون اضافة الجانب الى الغربى من اضافة الموصوف
 الى صفته وهى ليست بجائزة عند البصريين لكونها في قوة اضافة الشئ الى نفسه فان الصفة هى الموصوف فى المعنى
 فالتكثير اذا قلت جاءنى زيد الظرف فلفظ الظرف يدل على شئ متعين فى نفسه حصلت له الظرافة الا انه مجمол
 من حيث كونه مدلول هذا اللفظ فاذا اضيف زيد الى الظرف لزم اضافة زيد الى زيد فلذلك ذهب البصريون
 الى امتناع اضافة الموصوف الى صفته والتجأوا في قوله تعالى بجانب الغربى وقوله وذلك دين القيمة وقوله حق
 اليقين وقوله ولدار الآخرة الى تقدير موصوف محذوف وقالوا تقديرها جانب المكان الغربى ودين الله القيمة وحق
 الشئ اليقين ودار الساعة الآخرة ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه والكوفيون جوزوا اضافة الموصوف
 الى صفته مطلقا والمصنف بنى قوله او الجانب الغربى منه على مذهبهم حيث جعل الغربى صفة للجانب ولم يقدر
 موصوفا آخر (قوله للوحى اليه اوعلى الموحى اليه) الاول على ان يكون الشاهد من الشهود يعنى الحضور
 والثانى على ان يكون من الشهادة والمعنى ما كنت حاضرا فى المكان الذى اوحى فيه الى موسى عليه الصلاة
 والسلام ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه اوعلى الموحى اليه حتى يكون وقوفك على ما جرى من امر موسى
 عليه الصلاة والسلام فى مبقاته واخبارك به من جهة المشاهدة فان قيل لما قال وما كنت بجانب الغربى ثبت انه

وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم
 عباد الرحمن انا وكافى قولهم جعله بخيلا
 (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصى
 (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم
 (وأبتغاهم فى هذه الدنيا لعنة) طردا عن الرحمة
 اولعن الاثنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون (ويوم
 القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين او من فسخ
 وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة
 (من بعدما اهلكنا القرون الاولى) اقوام نوح وهود
 وصالح ولوط (بصائر للناس) انوارا لقلوبهم
 تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل
 (وهدى) الى الشرائع التى هى سبيل الله تعالى
 (ورحمة) لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله (اعلمهم
 يتذكرون) ليكونوا على حال يربى منهم التذكر
 وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت (وما كنت
 بجانب الغربى) يريد الوادى او الطور فانه كان
 فى شق الغرب من مقام موسى او بجانب الغربى منه
 والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ما كنت
 حاضرا (اذ قضينا الى موسى الامر) اذ اوحينا
 اليه الامر الذى اردنا تعريفه (وما كنت
 من الشاهدين) للوحى اليه اوعلى الموحى اليه

لم يكن شاهداً إلا الشاهد لا بد وأن يكون حاضراً في القاعة في إعادة قوله وما كنت من الشاهدين تاجواب يظهر
 عماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شهدت ما وقع فيه
 مما جرى على موسى فإنه يجوز أن يكون هناك ولا يشهد ولا يرى ما كان فيه (قوله المختارون للمقات)
 المقات هو الوقت المحدود المضروب للنفل ثم استعير منه المكان كما في قولهم مواقيت الحج وكما في هذا الموضع
 لأن المراد المكان الذي عينه الله تعالى لشجاعة موسى عليه الصلاة والسلام ربه وتكليمه فيه وقوله تعالى تلو
 عليهم يجوز أن يكون حالاً من الضمير في أويا وأن يكون خيراً ثانياً أي لم تشهد ما تقدم من الأحوال فتخبر بها
 أهل مكة عن مشاهدة وأصكنا أرسلناك إليهم رسولا تعبى آثارهم وتظهر سنتهم وأعلامهم وأزنا عليك هذه
 الأخبار ولولا ذلك لما علمتها وما أخبرت بها والمقصود إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالمحنة الدالة على صدقه
 في دعوى النبوة فكأنه قال إن في أخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالة
 ظاهرة على نبوتك لأنه تعالى لا يطلع على غيب أحد إلا من ارتضى من رسول (قوله لعلى المراد به) يعني
 أنه تعالى لما بين قصه موسى عليه الصلاة والسلام قال رسوله صلى الله عليه وسلم وما كنت بجانب الغربي
 ثم قال وما كنت أويا في أهل مدين ثم قال وما كنت بجانب الطور للدلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن
 حاضراً في هذه المواضع التي جرى فيها على موسى ما جرى من الأحوال العظيمة ثم أخبر بذلك الأحوال على
 ما حرت ووقعت من غير أن يشاهد ما يتعلمها من أحداث بداهة رسول بعثه الله تعالى وعرفه هذه الأحوال
 رجة من ربه وتفضلاً منه عليه فوجب أن تكون المواضع المذكورة وما جرى فيها من الأحوال أموراً متغيرة
 اختار المصنف في وجهه مقابرتها أن يكون المراد بالاول حيث استنبأه في أثناء رجوعه من مدين إلى مصر
 وبالثاني ما تقدم عليه من أقامته في مدين مع شعب وبالثالث وفي إعطائه التوراة بناحية الطور أجزءاً لمقات
 ربه مع السبعين فكله ربه وإعطاء الألواح وناداه ربه بقوله يا موسى خذ الكتاب بقوة وإشاراً بقوله
 أو على الموحى إليه إلى جواز أن يكون المراد بالاول حيث أنزل عليه التوراة فيكون المراد بالثالث حيث استنبأه
 في ليلة النجاة والله أعلم (قوله متعلق بالنفل المحذوف) أي ولكن علمناك أو أرسلناك لننذر قوماً ما أتاهم
 من نذير من قبلك وهم العرب على رجاؤهم وانعازهم فإن دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام إن كانت
 مختصة بني إسرائيل تكون العرب واقعة في فترة بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين اسمعيل عليه الصلاة
 والسلام وإن تناوتهم أيضاً يكونون في فترة بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله ما أتاهم من نذير في موضع
 نصب على أنه صفة لقوماً وما فيه نافية (قوله لولا الأولى امتناعية) لولا الامتناعية هي التي تدل على امتناع
 القضية الثانية لوجود القضية الأولى والقضية الثانية هي جوابها وهو محذوف ههنا وهو ما أرسلناك إليهم وهي
 ههنا تدل على امتناع عدم الإرسال لوجود قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم
 الإرسال ربه أهلاً أرسلناك يا رسول الخ وقوله أن تصيبهم في موضع رفع بالابتداء وقوله فيقولوا عطف على ما في
 حين أن أي لولا أصابتهم مصيبة بسبب ما قدمت أيديهم من الشرك والمعاصي فقولهم ربه أولا أرسلناك الخ
 ما أرسلناك يعني أن الحاصل على إرسال الرسل إزاحة عنهم بهذا القول ولما كان أكثر الأعمال من أولا بالأيدي
 جعل كل عمل معارضه بأنه كسب اليد وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وجعل
 الأقل تابعاً للأكثر وعطف المعاصي على الكفر في قوله بسبب كفرهم ومعاصيهم إشارة إلى أن أكثر ما يكذبون
 بترك الإيمان يعذبون بارتكاب ما يعلم حرمته بالدلائل العقلية من الكبار والصغار والفاء في قوله فيقولوا
 عاطفة وفي قوله فتبعناه جواب لولا التحضيضية فإنها مما يجيب بالفاء لكونها في حكم الأمر من حيث أن الأمر
 باعث على الفعل والباعث والمحضض من وإدواً واحداً وفاء تدخل في جواب الأمر فكذلك في جواب ما هو في حكمه
 (قوله مفعول يقولوا) خبر بعد خبر لقوله والثانية (قوله وأنه لا يصدر عنهم الخ) أي المنبهة على أن ذلك القول
 لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة السيد والمقصود الجواب عما يقال من القادة في هذا القول بل أما ينبغي أن يقال
 لولا أن يقولوا هذا العذر لما أرسلناك وتقرر الجواب أنه ارتكب هذا التطويل للدلالة على أنهم لو لم يعاقبوا
 وقدر قوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك القول بل إنما يقولونه إذا لاسهم العقاب فيدل ذلك على أنهم لم يكروا هذا
 العذر رأساً على كفرهم بل لأنهم ما طاقوا العذاب وفيه شبه على استحكام كفرهم ورسوخ ذنبهم (قوله

وهم السبعون المختارون للمقات والمراد الدلالة على
 أن أخباره عن ذلك من قبل الأخبار عن الغيبيات التي
 لا تعرف إلا بالوحي وبذلك استدركه بقوله (ولكننا
 أنشأنا نقر ونأقطول عليهم العمر) أي ولكننا أوحينا
 اليك لأننا أنشأنا نقر ونأقطول بعد موسى فتناولت عليهم
 المدد فخرت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست
 العلوم فحذف الاستدراك وأقام سببه مقامه (وما كنت
 أويا) مقيماً (في أهل مدين) شعب والمؤمنين به (تلو
 عليهم) تقرأ عليهم تعلمهم (آياتنا) التي فيها قصتهم
 (ولكننا كنا من سليلين) أيالك وتخيرين لك بها (وما كنت
 بجانب الطور إذ ناديت) لعلى المراد به وقت إعطائه
 التوراة وبالأول حيث استنبأه لأنهما المذكوران في
 القصة (ولكن رجة من ربك) ولكن علمناك رجة وقرئت
 بالرفع على هذه رجة (لتنذر قوماً) متعلق بالفعل
 المحذوف (ما أتاهم من نذير من قبلك) لو وقعهم في فترة
 بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك
 وبين اسمعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت
 مختصة بني إسرائيل وما حوالاهم (لعلهم يذكرون)
 يتعظون (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
 فيقولوا ربه أولا أرسلناك يا رسولاً) لولا الأولى
 امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها
 لأنها مما يجيب بالفاء تشبهها بالامر مفعول
 يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء العطية
 معنى السببية المنبهة على أن القول المقصود بان يكون
 سبباً لا تنفياً ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى
 تلجئهم العقوبة الجواب محذوف والمعنى لولا قولهم
 إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربه أهلاً
 أرسلناك يا رسولاً يلغس آياتك فتشبهها ويكون من
 المصدقين ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعاً المذموم
 والزنا المحجة عليهم (فتبع آياتك) يعني الرسول المصدق
 بنوع من المجازات

وتكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق يعني الرسول المصدق بنوع من الجزرات (من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى) من الكتاب جلة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعتنا (اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عريامن اولاد عاد (قالوا ساحران) يعنون موسى وهرون اوده موسى ومحمدا (تظاهرا) تعاونا بانظما تلك الخوارق او توافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير متشابه او جعلتهما سحرين مباغذا واسناد تظاهرها الى فعلهما دلالة على سبب الاحتجاز وقرئ تظاهرا

(٥١٧)

على الادغام (وقالوا انا بكل كافرون) اى بكل منهم ااو بكل الانبياء (قل فاشوا بكتاب من عند الله هو احدى منها) مما نزل على موسى وعلى وانتمارها لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (أتبعه ان كنتم صادقين) انا ساحر ان مختلفان وهذا من الشروط التي يراد بها الارزام والتبكي ولعل مجيء حرف الشك لالتهم بهم (فان لم يستجبوا لك) دعاء الى الايمان بالكتاب الا هدى حذف المفعول له لعل به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعائيا من يجب الى الندى * فلم يستجب عند ذلك يجب (فاعلم انما يتبعون اهوآهم) اذلولوا تبعوا حجة لا ثوابها (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى الثاني (بغير هدى من الله) في موضع الحال للتاكيد والتنفيد فان هوى النفس قديوافق الحق (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) الذي ظلوا انفسهم لانهمك في اتباع الهوى (ولقد وصلناهم القول) ابنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير اوفى النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبارة (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل انسان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرءان كالمستكن في (واذا خلى عليهم قالوا اماناه) اى بانه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان ما لوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثه الله حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب القديمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرءان او تلاوته عليهم باعتقادهم صحتهم في الجملة (او انهم يؤمنون اجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرءان (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين وعلى الايمان بالقرءان قبل النزول وبعده اوعلى اذى من هاجرهم من اهل دينهم (ويدراون بالحسنة السيئة) ويدفون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام أتبع الحسنة السيئة فتحها (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكريما (وقالوا) للاغني لنا اجمالا ولنا ولكم اجمالك سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا اوده عائلهم بالسلامة عما هم فيه (لا تبغى الجاهلین) لا نطلب صحبتهم ولا نريد منا

(يعني ابناء جنسهم) يعني ان الكلام مسوق لئلا يخجل مكة بانهم اقترحوا من الآيات ما ظهر به عناده فقالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى فكانه تعالى قال لو عهدناهم قبل الارسل لقلنا ولا ارسل اليك رسولا وقد ارسلنا الى اهل مكة فقالوا لولا اوتى مثل الخ فقبل البعثة لولا بشبهه وبعد البعثة باخرى فليس شأنهم الا الدفع والعناد ثم قيل في حقهم لبيان ان اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرد التعتن والتناد اذ لو كان لطلب اليقين لما كفروا بما اوتى موسى عليه الصلاة والسلام وقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى قبل الظاهر ان يكون ضمير يكفروا راجعا الى كفار مكة الا انهم لما لم يكفروا بما اوتى موسى حيث لم يكونوا موجودين في عصره بل الذين كفروا هم الذين كانوا في زمانه جعل ضمير لم يكفروا راجعا الى ابناء جنسهم وجعلهم مع كفار مكة بمنزلة جماعة واحدة من حيث اشتراكهم في التعتن والنجاح فلما كفر هؤلاء بما شاهدوه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام فكفار مكة أولى بالكفر به لانهم مثل اولئك في العناد بل هم اعنى واطغى اوهو تو بئخ للعرب بالذات بناء على ما روى عن الحسن انه قال قد كان للعرب اسل في ايام موسى فغناه على هذا ولم يكفروا به وقالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا (قوله بتقدير مضاف) اى هما ذوا سحرين وعلى هذا كان ينبغي ان يفرده سحر لكن ثني تبنيها على التويع (قوله واسناد تظاهرها الى فعلهما) اى الى ما فعلوه وظهر ومن الكتابين وعلى الاولين يكون التظاهر مستندا الى نفس النبي لان الضمير في قولهم هما ساحران راجع اليهما وعلى هذا يكون الضمير راجعا الى كتابهما فيكون التظاهر مستندا الى الكتابين دلالة على سبب احتجاز القرءان (قوله تعالى وقالوا انا بكل كافرون) معطوف على قوله قالوا ساحران ولما اقتراح المشركون تعتنا وعنادا بقولهم لولا اوتى مثل ما اوتى موسى واجاب الله تعالى عن اقتراحهم بقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل اى من قبل محمد عليه الصلاة والسلام ومن قبل هذا القول بين كيفية كفرهم بما اوتى موسى من وجهين الاول قولهم ساحران تظاهرا والثاني قولهم انا بكل كافرون ثم انه تعالى لما اجاب عن اقتراحهم ببيان انهم معتنون فيد امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يخذلهم بما يحقق مجزهم عنه ليكون ذلك حجة على صدقه في دعوى الرسالة نة لقل فاشوا بكتاب من عند الله الآية وقوله أتبعه مجزوم على انه جواب الامر وهو فاشوا وقرئ أتبعه بالرفع استنفا اى فاما أتبعه (قوله وهذا من الشروط التي يراد بها الارزام والتبكي) لان مثل هذا الشرط انما يذكر من يتق بأمره ويعتمد على صحت كقول العامل لمن اخرجه ان لم اعمل لك نقل اقطع العمل (قوله حذف المفعول) فان احتجاب بمعنى اجاب وهو يقتضى الدعاء البتة ويتعدى اليه فان قيل فابن الدعاء من قبله عليه الصلاة والسلام فلما هو امره اياهم بقوله فاشوا بكتاب من عند الله فان الامر بعث على الفعل ودعاء اليه (قوله ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء) فة قال استجاب دعاء وباللام الى الداعي فيقال استجاب له فاذا عدى الى الداعي كافي الآية حذف الدعاء غالبا فلا يقال استجاب له دعاء الاندرا حذف الدعاء في الآية ايضا اتجا عا لعارف الغالب والاول كافي البت

وداع دعائيا من يجب الى الندى * فلم يستجب عند ذلك يجب

قلت ادع اخرى وارفع الصوت جهره * لعل ابي المغوار منك قريب

اى رب داغ دعا هل من يجب الى الندى اى دل احد يمنع المستخفين فلم يجبه احد واورد البيت استنهادا على تعدى الدعاء الى الدعاء بنفسه بناء على ان تقديره فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف ففى الآية قال لم يستجبوا لك فيما تدعوهم اليه ولم يأتوا بمثل التوراة والانجيل والقرءان فاعلم انما يتبعون اهوآهم وانما ارتكبه من الكفر لاحجة لهم فيه ثم ذمهم على ايثارهم الهوى على الهدى بقوله ومن أضل الاية وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال (قوله اتبعنا بعضه بعضا) يعنى ان التوصيل بمعنى الوصل ضد القطع واصله من وصل الحبل والمراد بهذا التوصيل اما التعاقب في النزول واما التتابع والتعاقد ولعل بناء التفعيل للدلالة على كثرة الوصل وتكرره باى معنى كان ولا وجد لكونه للتعدية لان الوصل ايضا متعد (قوله تعالى الذين آتيناهم) مبتدأ وهم مبتدأ ثان و يؤمنون خبره والجملة خبر الاول و به متعلق يؤمنون قد علم على عامله لكونه عنابة متعلقة ببيان ايمانهم به ولا يمكن جعله للاختصاص لانهم اوصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط لم كفرهم بماعده وهو عكس المراد (قوله باختقادهم صحتهم في الجملة) اى ولكونهم على دين الاسلام باعتقادهم

(وما أوتيت من شيء) من اسباب الدنيا (فتناج الحياة

الدنيا وزينتها) تتمتعون وتزينون به مدة حياتكم
المتنضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه
من ذلك لانه لذة خالصة ولهجة كاملة (وايق)
لانه ابدى (أفلا تعقلون) فتستبد لون الذي هو
ادنى بالذى هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ
في الموعظة (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وعدا بالجنة
فان حسن الوعد بحسن الموعد (فهو ولا قيد) مدركه
لا محالة لا متاع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء
المعطية معنى السببية (كن متعنا متاع الحياة الدنيا)
الذى هو مشوب بالآلام مكدور بالمتاع مستعقب
للتحسر على الانقطاع (ثم هو يوم القيامة
من المحضرين) للحساب او العذاب وثم للتراخي
في الزمان والربسة وقرأ نافع وقالون في رواية
والكسائي ثم هو يسكون الواو تشبيها للنفصل
بالمتصل وهذه الآية كالتخيبة لتي قبلها ولذلك
رتب عليها الفاء (ويوم يناديه) عطف على يوم
القيامة او منصوب باذكر (فيقول ابن شركاى الذين
كنتم تزعمون) اى الذين كنتم تزعموهم شركاى
فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال الذين
حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وحصول مؤاده
وهو قوله لا ملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وغیره من آيات الوعيد (ربنا هؤلاء الذين اغويننا)
اى هؤلاء هم الذين اغويننا هم حذف الرجاء الى
الموصول (اغويناهم كما غويننا) اى اغويناهم
فغفوا غيا مثل ما غويننا وهو استئصال للدلالة على
انهم غفوا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الاوسوسة
وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم
الخبر لاجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة
وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم (تبرأنا
اليك) منهم وما اختاروه من الكفر هوى شتهم وهو
تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف
وكذا (ما كانوا ايانا يعبدون) اى ما كانوا يعبدوننا
وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية
متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الخيبة
(فلم يستجيبوا لهم) العجزهم عن الاجابة والتصرة
(وآؤا العذاب) لاز بلهيم (لوانهم كانوا يهتدون)
لوجود من الحبل

بعثه الرسل فيها ووجد اتصال قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهارسولا ماقبله أنه تعالى
لما قال وكما اهلكنا من قرية بطرت معبوثها توحدان يقال لم يهلك الله تعالى الكفار قبل بعثه الرسل عليهم السلام
مع انهم كانوا مستغرقين في الكفر والبطر وان يقال ولم يهلكهم بعد بعثته عليه الصلاة والسلام مع استغراقهم
في الكفر بالله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداة فاجاب الله تعالى عن الاول بقوله وما كان
ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهارسولا اراما للجنة وقطع للعدرة وعن الثاني بقوله وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون اى انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد آمن وبعضهم علم الله تعالى منهم انهم
سيؤمنون وآخرون علم الله تعالى انهم وان لم يؤمنوا لكن يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا اعلم ان الله تعالى رد
اولا على الذين قالوا ان تتبع الهدى معك تخطف من ارضنا بقوله اولم تكن لهم حرما آمنائهم ان الامر بالعكس
ثم شرع في ازا حده شتهم بوجد آخر فقال وما أوتيت من شيء فتناج الحياة الدنيا لان ما عند الله خيرا وابقى (قوله وهو ابلغ في الموعظة)
لان الالتفات من الخطاب الى الغيبة يدل على ان حقهم ان يول عنهم وان لا يتوجد اليهم بالخطاب كأنهم منسلكون
في سلك المجانين خارجون عن حد العقل بالكلية فيكون ابلغ في الزجر والموعظة ثم انه تعالى لما رجع ثواب الآخرة
على منافع الدنيا اكد هذا الترجيح بقوله أفمن وعدناه على ايمانه وعدا حسنا هو الجنة وثوابها فهو لا قيد اى
مصيبه ومدركه كن متعنا متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين والفاء في قوله أفمن وعدناه لالتصاق
والتقدير بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والآخرة والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا قال الله
تعالى لهم لولم تحصل عقوب دينكم مضرة العقاب لكان العقل يقتضى ترجيح منافع الدنيا على منافع الآخرة
كيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم ثم انه تعالى بين ان يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة اشياء
اولها قوله يوم يناديه فيقول ابن شركاى وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم وثالثها قوله تعالى ويوم يناديه
فيقول ماذا اجبتم المرسلين فان الكفار يعرفون يوم القيامة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنسبة
بالضرورة فيقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ ابن شركاى فظاهرا انهم يعتذرون حينئذ بان الشياطين والارؤساء
دعونا الى عبادتها وجاؤنا على الغواية فتحكى الله تعالى ما يقوله الشياطين والارؤساء في جوابهم فقال قال الذين حق
عليهم القول الآية فانهم اختلفوا في أن الذين حق عليهم القول من هم فقال بعضهم هم الرؤساء الدعاة الى الضلالة
وقال آخرون هم الشياطين (قوله اى هؤلاء هم الذين اغويناهم) يريد ان هؤلاء مبتدأ وقوله الذين
اغويننا صفة للخبر المحذوف واغويننا هم مستأنف واغويننا صلة الذى حذف فيها العائد الى الموصول واعر به
صاحب الكشف بان جعل هؤلاء مبتدأ والذين اغويننا صفة بحذف العائد وجعل اغويننا هم خبرا وجعل
كما غويننا تقييد للمصدر محذوف عامل ذلك المصدر مطاوع لذلك الفعل اى فغفوا وغيا كما غويننا ولم يرض به المصنف
لان ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفة فان قلت قد وصف الخبر بقوله كما غويننا وفيه زيادة ليست في الصفة
وللوصف اجيب بان الزيادة في الظرف لتأخير اصلا في الجملة لان الظروف فضلات قال ابو البقاء ولا يمتنع
ان يكون هؤلاء مبتدأ والذين صفة واغويناهم الخبر لانه يفيد فائدة زائدة على ما يستفاد من الصفة من اجل
ما اتصل به وان كان ظرفا لان الفضلات في بعض المواضع تلزم كهو لك زيد عمرو في داره فان في داره وان كان ظرفا
لكنه لا بد منه ليعود من الجملة ضميرا الى المبتدأ فصار بذلك كما حد شطرى الجملة (قوله اى اغويننا هم فغفوا وغيا
مثل ما غويننا) حاصله انه لا فرق بين غينا وغيهيم في ان كل واحد منهما بالاختيار ما غينا فلانه ما كان لنا قاصر على
ذلك ولاداع اليد بل هو وسوسة لتساو ما غيهيم فلانه ما كان لهم قاصر لاجلهم عليه بل غفوا باختيارهم لان اغواءنا
لهم لم يكن الاوسوسة وتسويلا لا قسرا والبناء فلا فرق بين غينا وغيهيم في ان كل واحد منهما موقع الاختيار (قوله
اى ما كانوا يعبدوننا) اشارة الى ان ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة وعلى تقدير ان تكون ما مصدرية لا بد
من تقدير حرف من اى تبرأنا ما كانوا اى من عبادتهم ايانا كما اشار اليه المصنف (قوله فدعوهم من فرط الخيبة)
اى لا بناء على اعتقادهم ان الاضنام يشفعون لآبائهم ويخلصونهم مما اصابهم من العذاب لان الشركين يعرفون
بالضرورة يوم القيامة ان الحكم لله الواحد القهار وانه لا ينفع احدا الا بذنه قال الامام قالوا قربان هذا على سبيل
التقدير والفرص لانهم يعلمون انه لا فائدة في دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوه لم يوجد منهم اجابة في النصرة وان

لولا التي اى تمنوا انهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) عطف
(٥٢٠)

يدفعون به العذاب اولى الحق لما رآوا العذاب وقيل
على الاول فانه تعالى يسأل اولاً عن اسماهم ثم عن
تكذيبهم الانبياء (فعبث عليهم الانبياء يومئذ)
فصارت الانبياء كالعبي عليهم لا تهتدى اليهم واصله
فهم واعن الانبياء لكنه عكس مبالغته ودلالة على ان
ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليهم من خارج فاذا
اخطأ لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانبياء ما
اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتعتعون في
الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله
تعالى فمما ظنكم بالضلال من اعمهم وتعدية الفعل بعلى
لتضمن معنى الخفاء (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم
بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة او العلم انه ماله (فاما
من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحاً) وجمع بين
الايمان والعمل الصالح (فسي ان يكون من المتقين)
عند الله وعسى تحققي على عادة الكرام او ترجع من التائب
بمعنى فليتوقع ان يفلح (وربك يخلق ما يشاء ويختار)
لاموجب عليه ولا مانع له (ما كان لهم الخيرة) اى الاختير
كالطيرة بمعنى الخطير وظاهره نفي الاختيار عنهم
رأساً والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد
مخاوق باختيار الله منوط ودواع لا اختيار لهم فيها وقيل
المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا
عن العاطف و يؤيده ما روى انه نزل في قولهم لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما
موصولة مفعول مختار والراجع اليه محذوف والمعنى
ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصالح
(سبحان الله) تنزيهاً له ان ينافعه احد او يزاحم
اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اسماهم او
مشاركة ما يشركونه به (وربك يعلم ما تكن صدورهم)
كدوا رسول الله وحققه (وما يعقلون) كالظن
فيه (وهو الله) المستحق للعبادة (لا اله الا هو) لا احد
يسحقه الا هو (له الحمد في الاولى والاخرة) لانه
المولى للنعمة كلها عاجلها وآجلها يحمد الله المؤمنون
في الآخرة كما جددوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده استجابا
بفضله (والله اعلم) (وله الحكم) القضاء الناقد
في كل شئ (والله ترجعون) بالنشور قل ارايتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمداً دائماً من السرود وهو
المتابع والميم مزيدة كيم دلامص (الى يوم القيمة)
باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق
النار (من الذين لا يأتونكم بضياء) كان حقه
حل اله فذكر عن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن
كثير بضياء بهزتين (أفلا تسمعون) سماع تدبر
واستبصار

العذاب ثابت وكل ذلك على وجه التوبيخ (قوله يدفعون به العذاب) صفة لقوله لوجد من الخيل ولو كان
جواب لولليل لدفعوا به العذاب بلطف الماضى كالقال لمساراً والعذاب المقصود ان جواب لوجد من الخيل هو قوله
لمساراً والعذاب وتقدير اللام لو كان يتدون الى الحق في الدنيا لمساراً والعذاب في الآخرة ولو كانوا يهتدون
لوجه من وجوه الخيل يدفعون به العذاب لدفعوه به لمساراً وعلى تقدير ان تكون لولا التي يكون المعنى ورأوا
العذاب متمنين الا عند آفة النسي (قوله فانه تعالى يسأل اولاً عن اسماهم) توبيخاً لهم على عبادة غير الله تعالى
بناء على توقع الاجابة والنصرة منهم ثم على تكذيبهم الانبياء بكتمانهم بالاحتجاج عليهم برسال الرسل واذا حجة
العلل وذكرهم بما يقوله الشياطين وازورساء بناء على انهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة كانوا يعتذرون بانهم
استغفرونا وصدونا عن الهدى وزينوا لنا عبادتنا فحكي الله تعالى جواب الشياطين او الازورساء لهم بقولهم
أنحن صدناكم عن الهدى بعداذ جاءكم بل انتم غويتم باختياركم ثم عقبه بذكر ما يشهد اشهادهم من استغاثتهم
بآلهتهم وخذلانهم لهم وبخبرهم عن نصرتهم فهذا وجه ارتباط الكلام من قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائي
الى قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين (قوله فصارت الانبياء كالعبي عليهم) اشارة الى ان الانبياء
استعاروا بالكناية بان شبهت في النفس بذوى الارادة الترحمين الى شئ وجعل اثبات العبي لها دليلاً عليه والمعنى
عنى العين يقال عى يعمى عى اذا اخلت عينه وقولهم عى عليه الخبايا خنى بخازن عى البصر فالاصل ان يستند
العنى عن الانبياء الى الكفار لكنه عكس مبالغة ان الاصل يوهى ان يتحقق الجواب في نفسه وانهم لم يطلعوا عليه
لخلل من قبلهم بخلاف العكس (قوله يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك) اى السؤال وذلك قوله تعالى يوم
يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب والعنفة في الكلام التردد فيه من حصر
او عى (قوله فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى) لدخول اختيارهم في عموم قوله تعالى يخلق
ما يشاء فان قوله ما يشاء يتناول الاعيان والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى شاء جميع ما يقوله
العباد من جميع الخيرات والطاعات التى من جعلها اختيار الطاعة فلما كان جميع ذلك بمشاة الله تعالى لم ان
يوجد يخلق الله تعالى اذا خبراته يخلق ما يشاء فلا ية محبة لنا على المعترلة في مسائل خلق افعال العباد لانه
اذا كانت الخيرة بمشيئة الله تعالى وجب كونها من مخاوف الله تعالى بحكم هذه الآية (قوله وقيل المراد اى قبل
ليس المراد نفي الاختيار عنهم رأساً بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شئاً من الامور بل الخيرة لله
تعالى في جميع افعاله وهو اعلم بوجود الحكمة في جميع ما فعله فيكون قوله ما كان لهم الخيرة ببيان لقوله ويختار
فلذلك لم يعطف عليه ولما قال المشركون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واختار والرسالة
الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف رد الله تعالى عليهم انه يختار من يشاء لثبوته
ورسالتى فكما ان الخلق له فالاختيار للثبوت اليه فليس لهم ان يختار واعلى الله تعالى شئاً من افعاله (قوله
وقيل ما موصولة) فعلى هذا يوقف على قوله وربك يخلق ما يشاء ويبدأ بقوله ويختار ما كان لهم الخيرة بخلاف
ما اذا كانت كلمة ما حرف نفي فانه حينئذ يوقف على قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ويبدأ من قوله ما كان لهم
الخيرة (قوله عن اسماهم او مشاركة ما يشركونه به) على الاول ما مصدرية وعلى الثانى موصولة بتقدير
المضاف (قوله ابتهاجا بفضله والنبي اذا بحمده) لاشاء على الامر بالتكليف وبما يدل على ان الحمد في
الآخرة على وجه المدة لاعلى وجه التكليف ما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان اهل الجنة يأكلون ولا يتقلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخبطون قالوا فما بال
الطعام قال جاءهم روح كريح المسك يلهمون التسبيح والتفديس كما يلهمون النفس والالهام ان يلقى الله تعالى
في النفس امر ايعتد على الفعل والترك وهو نوع من الوحي فان قوا رعداً والصلاة والسلام يلهمون يدل على انهم
لا يكفون بهائم انه تعالى لما بين انه المحمود في الاولى والاخرة لكونه المولى للنعمة كلها عاجلها وآجلها ففضل
عقب ذلك بعض ما يجب ان يحمد عليه بما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً
الآية ونبد به ايضاً على هدم قاعدة الشرك ببيان انتفاء لازم الالهية عما سواه وهو القدرة على كل شئ فيكون
تقريراً لقوله لا اله الا هو (قوله كيم دلامص) وهو البراق يقال دلصت الدرع تدلص من باب نصر اى صارت
لينة براقدة ويقال درع دلاص وادرع دلاص فالواحد والجمع على افظ واحد والميم زائدة في دلامص وكذا في

سرمد افوزته فعمد الله تعالى بهذه الآية على ان الليل والنهار في زمان متعاقبان على الزمان ووجد ذلك ان المرأ في الدنيا مضطرب الى ان يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولا بد منه في الدنيا واما في الجنة فلا نصب فيها ولا تعب فلا حاجة لاهلها الى الليل ولذلك يدوم لهم الغناء والذات فين ذلك ان القادر على ذلك اس الله تعالى فقولته تعالى قل رأيتم اى اخبروني يا اهل مكة وسرمد مفعول ثان جعل ان كان بمعنى صبر وحال ان كان بمعنى خلق وانشا والظاهر ان يقال هل الله لان المقام مقام انكار الله بقدر على ذلك غير الله تعالى لا مقام تعيين الله بقدر عليه غير الا انه ذكر من بناء على زعمهم تعدد الاله فقبل في الرد عليهم لمن الاوهية تقتضى القدرة على كل شيء فأي شيء مما تزعمون انه الله من دون الله بقدر على ما ذكرنا (قوله ولعله لم يصف الضياء) يعنى انه تعالى وصف الليل بقوله تسكنون فكان المناسب ان يصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل ويقول من يأتي بضياء تصرفون فيدان جعل الله الليل سرمد الا انه عدل عنه ولم يصف الضياء اصلا لئلا يذ ان بان الضوء نعم في ذاته مقصود بنفسه ولو قيل بضياء تصرفون فيه افهم انه انما يقصد لما يتوصل اليه ولا يقصد لنفسه ولا انه لو وصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل لفهم ان منفعة تصرفه في ما وصف به وليست بمحصنة فيد بل له منافع كثيرة فاطلق الايدان بذلك والاحتراز عن توهم الانحصار (قوله ولذلك) اى ولا جل كون منافع الضوء اكثر من منافع ما يقابله قرن بالضياء ما يكون منفعة اكثر من منفعة ما يقارن الليل وهو البصر وانما قلنا ان منافع السمع اكثر من منافع البصر لان العقل لا يستفيد من البصر الا صور البصرات بخلاف السمع فان العقل يدرك بواسطة السمع جميع انواع المستحسوسات بل العقول الصرفة اذا عبر عنها بالعبارة الدالة عاها (قوله ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك) اى في خلق الليل والنهار بحيث يتعاقبان على وجه معين بين الله تعالى بهذه الآية ان الحكمة في خلقهما هكذا ثلاثة اشياء اثنان منها يتريان على خلقهما بطريق الف والشر والثالث يترب على خلقهما جميعا فليس فيه اعتبار الف (قوله والثاني لبيان انه) اى القول بالشر كما لم يكن عن سند يترى ما بعده فان قوله ونزعنا فقلنا معطوفان على قوله يناديهم فيقول اوترفيها لفظا لماضى لكونه في حكم الواقع لحدوث وقوعها وجعل المقام مقام ذكر النعمة وجعل ضل مستعار بمعنى غاب بشيئ ما غاب بالشيء الضائع الهالك من حيث تحقق اليأس من حضوره والانتفاع به واطلاق اسم الضال عليه على طريق اطلاق اسم الاسد على الشجاع (قوله شهيدا وهو نبيهم) سمي النبي شهيدا لانه شهد ما فعلوا وحضر ما كان منهم من التصديق والتكذيب والرد والقبول (قوله يصهر بن قاهث) عطف بيان لعمد فان يصهر ابن قاهث وكان اباموسى كانا اخوين ابني قاهث وكان كل واحد من موسى وقارون ابنا لعم الاخر لان قارون كان ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام كان ابن عمران بن قاهث بن لاوى وقيل معنى كونه من قوم موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مؤمنا وكان اقرأ بنى اسرائيل للتوراة فتوافقا فكانا في السامرة وروى ان قارون كان من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله عز وجل والنجي نجا وزالحد في الظلم وذكر المصنف في طريق بغير ابداء اوله انه طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده ولا يبعد فان كثرة المال سبب للبغي والتكبر والشان انه تكبر وتشجر وسخط عليهم والثالث ان فرعون ملكه على بنى اسرائيل فضلمهم والرابع انه حسدهم لما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قطع البحر واغرق الله فرعون وجعل الحبورة لهرون فحصل له النبوة والحبورة فكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة غضب قارون من ذلك في نفسه فقبل ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ لاصبرنا على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعل الله له ذلك فقال لا صدقك ابداعتي تأتيني بآية اخرى اعرف بها ان الله تعالى جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه الصلاة والسلام رؤساء بنى اسرائيل ان يجيئوا كل واحد منهم بمصاغا وابها فألقاهم موسى في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكان يعبد الله فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى ربه ان يرهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصجوا واذا بعصاهم تهن وتهاورق اخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى يا قارون اما ترى ما صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا بأعجب مما صنعت من السحر فاعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بنى اسرائيل فما كان يأتي موسى ولا يجالس (قوله من الاموال المدخرة) الكنوز في الاصل عبارة عن الاموال المدفونة تحت الارض فشبهت الاموال المدخرة بها فأطلق عليها اسم الكنوز

(قل رأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمد الى يوم القيامة) باسكانها في وسط السماء او تحتر بكها على مدار فوق الافق (من الله غير الله بآتيكم بليل تسكنون) فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل (أفلا تبصرون) لان استفادته اعقل من السمع اكثر من استفادة من البصر (ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) في الليل (ولتبغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب) ولعلكم تشكرون) ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتذكروه عليها (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون) تفرع بعد تفرع للاشعار بانه لاشئ اجلب لغضب الله من الاشراك به والاول لتقرير فساد آرائهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهو (وزعنا) وأخرجنا (من كل امة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه (فقلنا) للام (ها تورا برهانكم) على صحة ما كنتم تدعون به (فعلوا) حينئذ (ان الحق لله) في الالهية لا يساركة فيها احد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفتنون) من الباطل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به (فبني عليهم) فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم وظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل او حسدهم لحالته لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر (وآتيه من الكنوز) من الاموال المدخرة (ما ان مفتاحه) مفتاح صناديقه جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به

(قوله وقيل خزائنه) عطف على قوله مفتح صناديقه اي وقيل مفتح خزائنه كما في قوله تعالى وعنده مفتح الغيب اي خزائنه وقياس واحده مفتح بفتح الميم لانه ليس اسم آلة بل هو اسم مكان الفتح وثمة ما في قوله مان مفتح موصولة بمعنى الذي وان مع اسمها وخبرها وما يتعلق به صلة الذي ولهذا كسرت ان والموصول مع صلتها في محل نصب على انه مفعول ثان لا تبنا والباء في قوله لتوء بالعصبة لتعديده كالهجرة في قولك انا هـ الجمل اي انقله والمعنى ان المفتح لتل العصبة الاقوياء فكما يمدى ذهب تارة بالبلاء والاخرى بالهجرة فكذا اناء بمعنى نقل يتعدى بالهجرة فيقال انا هـ الجمل ويعدى ايضا بالبلاء فيقال ناء به اي انقله (قوله وقرئ ليزو بالبلاء) اي من تحت بناء على ان يكون الضمير في مفتح لتقارون وان يكون المفتح بمعنى الخزانة فاكتمب المضاف من المضاف اليه انتد كير كما ينسب منه التأنيث في قولهم ذهبت اهل اليمامة (قوله وهو ان تحصل بها آخرتك) فان نصب المرة من النبيان يتوصل بها الى سعادة الآخرة بان يطلب الاجر بها ويقدمها لذلك واماما خلفه فهو نصيب غيره وجوز ان يكون المراد بتصيبه من الدنيا ان يتخ بها في الوجوه المباحة (قوله بامر يكون عله للظلم والبغي) يعني ان المراد بالفساد في الارض الظلم والبغي ويكون ابتغاه مباشرة ما يودي اليه كحب المال والجاه والكون الى الدنيا واثار الخفول القاتية على اللذات الباقية فان من ابتلى بمثل هذه الرذائل لا يتحاشى عن الظلم والبغي كما قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة وكل من عصي الله تعالى فقد طلب الفساد في الارض من حيث ان شؤم المعصية يتفص بركة الارض وقيل في تفسير قوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض اي لا تجعل نعمة الله تعالى عليك ذريعة الى عصيانه وعونا على مخالفة امره ونهيه وقيل الفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وهو معنى ما وجد في بعض السخ نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي وقيل هذا الواعظ هو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو مؤمن قومه كائنا من كان فقد جمع في وعظه ما لو قيل لم يكن عليه سمر يدان كنهه اي ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة فقال انما اوتيته على علم اي انما اعطيت هذا المال كاشع على علم وفضل علمه الله تعالى عندي فرائي اهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بسائر الفضائل نظر الى نفسه ورأى ان ما حصل له من هذه السعة انما حصل له لفضله واحتقاقه ولم ينظر الى منة الله تعالى عليه في ذلك فاقفقر بها وادعاها لنفسه فهلك وكذا كل من زين في عينه افعاله واقواله وحواله وابتغى بها ولم يعرف حق من انعم بها فانه يهلك بشؤم صنعه كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا فقوله على علم حال من مرفوع اوتيته قيده العامل للاشارة الى علة الايمان وبيان وجه احتقاقه له وقال سعيد بن المسيب والضحك كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكبراء انزل الله تعالى عليها علم من السماء فعمل يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن نونيا ثلثه وعلم قارون ثلثه فسد علمهم قارون حتى اضاف علمهم الى علمه وكان ذلك سبب كثرة امواله لانه كان يأخذ الرصاص فيجعل له فضة والنجاس فيجعل له ذهابا وقال عطاء انه اصاب كثر من كنوز يوسف عليه الصلاة والسلام قيل كلمة ما في قوله انسا اوتيته ليست بكافية بل هي بمعنى الذي اي ان الذي اوتيته على علم وعندي صغلة علم (قوله تعالى واكثر جمعا) معناه اكثر جمعا للمال او اكثر جمعة وعددا وحاصل الجواب ان اغتراره بماله وقوته وجورعه من الخطأ العظيم فانه تعالى اذا اراد اهلا كل ما يتبعه ذلك ولا يميز يد عليه اضعافا كثيرة (قوله اورد لادعاء العلم) عطف على قوله تعجب وتو بيج الاول على ان يكون قوله ولم يعلم انسا من الله تعالى لم يعلم ان الله قد اعطاه من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى على ان يكون الاستفهام في أوله يعلم للانكار لان انكار انثى في التثنية وفي الثاني اجاب والثاني على ان يكون نفي العلم بذلك بناء على ان يكون الاستفهام لا تترج (قوله سؤال استعلام) اي لا يسألون ليعلم ذلك من قلمهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة بدال ان يسأل عن كيفية ذنوبهم وكيفية ما لا ينفذ ان يسألوا سؤال تو بيج وتترجع كادل عليه قوله تعالى فوز بك لئلا تسألهم اجمعين عما كانوا يعملون ويحتمل ان يكون المراد بالسؤال المتى سؤال المعاتبة ويكون المعنى انهم يدخلون النار بغير حساب ويعذبون فيها بذنوبهم بدون ان يسألوا ويعاتبوا عليها وقوله تعالى فوز بك لئلا تسألهم اجمعين ينبغي ان يحصل على وقت آخر حينئذ (قوله كما نه لسا هـ دقارون الخ) اشارة الى وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم الجرمون بمعاذ الله (قوله على غلة شهباء) وهي التي يغلب ما فيها من البياض على سوادها ولا يرجوان قطيفة تجرأ وقيل كل ما يكون لونه احمر بناء على ان الارجوان معرب ارغوان وهو شجر له نور احمر وكل ما يتبهد فهو ارغوان (قوله على زيه) وقيل عليهم وعلى خيولهم الدياجح وفي المغرب الدياجح الثوب الذي سدها ولحمته ابر بسم

وقيل خزائنه وقياس واحدها الفتح (تنو بالعصبة اول القوة) خبران والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي اتي ونابه الجمل اذا انقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكبيرة واعصو صوبوا اجتماعا وقرئ ليزو بالبلاء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (انقله قومه) منصوب ببنوه (لا تفرح) لا تفرح بالفرح بالدينامذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من المدة مفارقة للاحالة بوجب الفرح كما قال اشد الغم عندى في سرور يتيقن عند صاحبه انقلا والذالك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلى التهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال (ان الله لا يحب الفرحين) اي يزخارف الدنيا (واتبع فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصيلة اليها (ولا تنس) ولا تترك ترك المسى (نصيبك من الدنيا) وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) الى عباد الله (كما احسن الله اليك) فيما انعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد في الارض) بامر يكون علة للظلم والبغي (ان الله لا يحب المفسدين) لسوء افعالهم (قال انما اوتيته على علم عندي) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقة وسائر المكاسب وقيل علم يوزن يوسف وعندي صفة له او متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي (أولم يعلم ان الله قد اعطاه من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا) تعجب وتو بيج على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التوراة اورد لادعاء العلم وتعظمه به بنى هذا العلم عند اي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى بقي به نفسه مصارع الهالكين (ولا يسأل عن ذنوبهم الجرمون) سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون به ابتغاء كما نه لسا هـ دقارون يذكر اهلاك من قبله من كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب الجرمين كلهم معاقبهم عليها للاحالة (فخرج على قومه في زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبة

(بالت لنا مثل ما أوتي قارون) تمتوا مثله لاعتبه
 حذرا من الحسد (انه لذو حظ عظيم) من الدنيا
 (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال الآخرة للمتقين
 (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرعى
 (ثواب الله) في الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا)
 مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها (ولا يلقاها)
 الضمير قيد للكلمة التي تكلم بها العلماء والوثوب فانه بمعنى
 الثوبة والجنة أولايمان والعمل الصالح فانهما
 في معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) على
 الضربات وعن المعاصي (فخسفناه وبداره الارض)
 روى انه كان يومذى موسى عليه السلام كل وقت
 وهو يداريه لقرباه حتى نزلت الزكاة فصالحه
 عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكره فعمد الى
 ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل
 بغية لترديه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى
 خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن
 جلدناه ومن زنى محصنا رجناه فقال قارون ولو كنت
 قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك
 فجرت بفلانة فاستحضرت فشاها موسى بالله
 ان تصدق فقالت جملتي قارون جعل علي ان ارمي
 بنفسى فخر موسى شاكيه منه الى ربه فأوحى اليه
 ان من الارض بما شئت فقال بارض خذيه فأخذته
 الى ركبته قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال
 خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان
 قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرجه
 فأوحى الله اليه ما أفلتت استرجع مرا فلم يرجه
 وعزنى وجلالى لودعاني مرة لأجته ثم قال بنوا
 اسرائيل انما فضل الله ابرئد فدعا الله حتى خسف
 بداره وامواله (فاكان له من قلة) اعوان مشتقة
 من فأوت رأسه اذا मिलته (يتصرفون من دون الله)
 فدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين)
 المنتصرين منه من قولهم نصره من عدوه فالتصر
 اذا تمتد منه فامتد (واصبح الذين تمنوا مكانه)
 مبرلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن
 الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يسط
 ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط
 ولا لهوان يوجب القبض ويكأن عند البصريين
 مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما شبه
 الامر ان الله يسط وقيل من ويك بمعنى وبك
 وان تقديره ويك اعلم ان الله (لولا ان من الله علينا)
 فلم يعطنا ما تمنينا (لخسف بنا) لتوليد فينا ما ولده فيه
 فخسف بنا لاجله (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله
 او المكذوبون برسله وبما وعدواهم من ثواب الآخرة
 (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم كانه قال تلك

وقيل اسم للتعجب (قوله حذرا من الحسد) وهو ان يتنى ان تكون نعمة صاحب له دونه وهذا التنى مذموم
 بخلاف القبطه وهي ان يتنى مثل نعمة صاحب من غير ان تزول عند وما في الآية من هذا القبيل (قوله تعالى
 فخسفناه) اى غيبناه في الارض يقال خسف المكان يخسف خسونا ذهب في الارض وخسف الله به الارض
 اى غيبه فيها (قوله فبرطل بغية) اى اعطاها الرشوة ومنه المثل البراطيل تنسر الاباطيل وهو جمع برطل وهو
 في الاصل الحجر الطويل واريده ههنا الرشوة كما يقال ألقيتم الحجر اذا اسكت به بالحجة (قوله مشتقة من فأوت رأسه)
 فوزنها فقة والهاء عوض عن اللام الساقطة بالاعلال سميت الاعوان قلة ليلهم الى صاحبهم بالمعاونة والنصرة
 (قوله منذ زمان قريب) اى اول زمان قريب والامس في الاصل اسم لليوم الذي قبل يومك واستعير ههنا الزمان
 القريب والمعنى وصار القوم الذين تمنوا مترزق من المال والزينة بالوقت القريب الى زمان خسف
 مما معنى يقولون الخ فانه يعبر عن الصيرورة بأصبح وأمس وانحى (قوله مركب من وى للتعجب) فان القوم الذين
 شاهدوا قارون في زبنته لما شاهدوا ما زل به من الخسف تنبهوا لخطاهم في تمنيتهم مثل ما أوتي قارون حيث علوا
 ان بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله تعالى ولا ضيق له وانه فنجبوا من انفسهم كيف وقعوا في مثل هذا
 الخطأ ثم ابتدأوا يقولون كان الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اى لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته
 وحكمته اى يضيق على من يشاء بحكمته وقضائه ابتلاء وفطنة والمعنى ليس الامر كما زعمنا من ان البسط يدي على
 الكرامة والقبض على الهوان بل الاشبه ان كل واحد من القبض والبسط مقتضى المشيئة الالهية المستندة الى
 الحكمة وكذا الكلام في قولهم ويكأنه لا يفلح الكافرون تعجبوا من تمنيتهم مثل حال قارون ثم قالوا ما شاهد الحال
 بان الكافرين لا ينالون الفلاح والهوان في كانه خبير السنان (قوله وقيل من ويك) اى قال الكوفيون ويكأن
 مركب من ويك وأن واصل ويك وبك الذي اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك
 ما لا يرضى وفتح ان لكونها مع ما في حيزها في موضع النصب بفعل مخذوف وهو اعلم فعلى هذا يكون معنى الآية
 الزجر والردع عن الجهل بأن كل واحد من القبض والبسط ليس الا بمشيئة الله تعالى وحكمته والبعث على العلم
 بهذه القضية وهي ان الله تعالى يسط الرزق لمن يشاء وبقدر وهكذا الكلام في قوله ويكأنه لا يفلح الكافرون فان
 المقصود فيه ايضا الزجر عن الجهل والبعث على العلم بان الكافرين لا يفلحون (قوله لخسف بنا) قرأ حفص
 لخسف بفتح الخاء والسين اى لخسف الله تعالى بنا وأدخلنا في الارض والباقيون بضم الخاء وكسر السين على بناء
 المفعول فقوله بنا هو القائم مقام الفاعل (قوله اشارة تعظيم الخ) معنى التعظيم مستفاد من الاشارة بلفظ
 البعيد تزيلا بعد درجة المشار اليه ورفعته محله منزلة بعد المسافة كما في قوله تعالى الم ذلك الكتاب فان الاصل في
 اسماء الاشارة ان يشار بها الى مشاهد محسوس قريب او بعيد الا انه قد يشار بها الى محسوس غير مشاهد والى
 ما يستحيل احساسه ومشاهدته بناء على تصديره كالمشاهد المحسوس وتزليل الاشارة العقلية منزلة الحسية وما نحن
 فيه من هذا القبيل (قوله كما اراد فرعون وقارون) يعنى ان المراد من عدم ارادة العلو عدم ارادته كراداة فرعون
 حيث استكبر عن الايمان واستعلى على ما في الارض من خلق الله تعالى ولا سيما على نبيد المؤيد بالعجزات القاهرة
 ومن عدم ارادة الفساد ان لا يريد قارون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ولقول ناصح قارون
 ولا تبغ الفساد في الارض وليس كل من يصدق عليه انه اراد علوا فسادا في الجنة محروما من سعادة دار الآخرة
 للتصريح بالدلالة على ان كل مؤمن من اهل الجنة ومن جعلها قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل
 الجنة وان زنى وان سرق ثلاثا وقال في الثالثة على رغم انف ابي ذر الا ان الآية فيها زجر بليغ عن الخصلتين حيث
 لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما ومن القلب اليهما كما علق الوعد بدار كرون الى الظلمة دون
 نفس الظلم في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وايضا في هذا لادلة على ان ارادة ما ليس له من العلو
 والرفعة بما ينقص حظ المرء من سعادة الآخرة لما روى عن علي رضي الله عنه انه قال ان الرجل لا ينجح ان يكون
 شراك لعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحت الآية وعن الفضيل بن عياض انه قرأها ثم قال ذهبت
 الاماني ههنا يعنى ان الآية تدل على وجوب ترك التنى وارادة ما ليس له من العلو والرفعة كما تدل على وجوب
 ترك ارادة الفساد وكرر كلمة لاقى قوله ولا فسادا ليقيد ان كل واحدة من الخصلتين على حدتها تمنع سعادة الآخرة
 وان لم تجامع الاخرى ثم انه تعالى لما بين ان الدار الآخرة استالمن اتقى عذاب الله بأداء فرائضه واجتناب

التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر (تجعلها) للذين لا يريدون علوا في الارض) غلبة وقهرا (ولا فسادا) ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون

معاصيه بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها الى ذاتا وقدرها ووصفان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا هي المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم جل جلاله ولا شك ان هذه خير من الاولى ذاتا وكذا خير منها قدرا لان الثواب دائم والعمل منقطع وكذا وصفا لان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وقبل فله خير حاصل من جهة ما جاء به من الحسنة للابد ما يقال الحسنة التي جاء العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص في العمل والثواب انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى وقدره هذا البحث في آخر سورة النمل (قوله اي معاد) اشارة الى ان تنوين معاد للتعظيم والمعنى ان الذي حلاك على صعوبة هذا التكليف ليشبك عليك ثوابا لا يحيط به الوصف بان يردك الى معاد يخصك ولا يليق بغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى ان يبعثه فيه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والظاهر ان المعاد ههنا بمعنى المصير والقلب لا بمعنى المتبادر منه وهو المكان الذي يكون المرء مدة فيه ثم يرجع اليه بعد ان فارقه عنه لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن في ذلك المقام مدة حتى يعود اليه (قوله او مكة التي اعتدت بها) اي صرت معتادا بها وكانت موضع اعتيادك على ان يكون المعاد اسم مكان من حاده بمعنى اعتاده وتعوده اي صار عادة له يقال عود كابد الصيد فتعوده واعتاده قال الامام الاقرب ان يراد بالمعاد مكة لان ظاهر المعاداته كان فيه وفارقه وحصل العود اليه وذلك لا يليق الا بمكة والمصنف جوز ان يكون المراد بالمعاد مكة الا انه جعل المعاد حيث من العود بمعنى الاعتياد لان مكة لم تكن مر جعالة حيث لا يبالى باعتباره ما يؤول اليه وكانت موضع اعتياده حقيقة ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذر الحقيقة ووجه تنكيره حيث ان مكة في ذلك اليوم كانت معاد الهنأ ومن جعاله اعتدا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عن الاسلام واهله وذل الشرك وحر به (قوله لم يبلغ جحفة) وهو موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات اهل الشام فلما نزلت الآية هناك لم تكن مكة ولا مدينة وكانت من جلة ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فتكون من جملة معجزاته (قوله ومن متصب بفعل يفسره اعلم) لا بنفس اعلم لان اسم التفضيل لا يعمل في مظهر لعدم كونه بمعنى الفعل لانه يدل على التفضيل والفعل لا يدل عليه فساو وقع في حيز معمله فانه معمول لمضري يدل عليه اسم التفضيل لما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام ان يردّه الى المعاد قال له قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى الآية تقريرا للوعد السابق (قوله مجحولا على المعنى) فان قوله ما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب في معنى ما لقي اليك عبرته بقوله ما كنت ترجو للبالغة فان نبي رجاء الالتقاء أبلغ من نبي الالتقاء فكأنه قيل وما لقي اليك الكتاب الا رجعة اي في حال كونه رجعة او لا لاجل رجعة فيكون الاستثناء متصلا مفرغا ويكون المستثنى منه اعم الاحوال او اعم العلل ولا يجوز ان يكون الاستثناء باعتبار اللفظ لانه اذا قيل ما كنت ترجو الا رجعة لزم ان يكون عليه الصلاة والسلام راجيا ان يلقى اليك الكتاب لاجل الرجعة وظاهر انه عليه الصلاة والسلام لم يكن راجيا له اصلا ثم انه تعالى لما ظهر المنة عليه بازال القرء ان عليه مع عدم رجائه اياه من باب عن مظاهرة الكافرين وان بلغت اليهم ويسمع اقوالهم فيصدوه عن اتباع آيات الله يعني القرء ان قال الضحك ذلك حين دعوه الى دين آياته ليرزوجه ويقاسموه شطرا من أموالهم اي لتلتفت الى هؤلاء ولا تترك الى قولهم فيصد ولا تخ فرأ العامة بصدك بفتح الياء ومن الصاد من صد به يصد وقرئ يضم الياء وكسر الصاد من أصد به معنى صدده وهي لغة كليب قال شاعرهم اناس أصدوا الناس بالسيف عنهم وصدود السواق عن انوف الحوائم والحوائم العطاش من حام اذا عطاش (قوله بمساعدتهم) فان من ساعدهم بان رضي بغير يفتهم او مال اليهم كان منهم (قوله فان ماعدها ممكن هالك في حد ذاته معدوم) فان الممكن لما استفاد الوجود من الخارج كان الوجود له كالثوب المستعار بالنسبة الى الفقير فكما لا يخرج الفقير باستعارة ذلك الثوب من الغني عن كونه فقيرا في حد ذاته فكذا الممكنات لا يخرج من كونها هالكة عارية عن الوجود في حد نفسها فظهر بهذا ان كل ما سواه من الممكنات هالك في الحال فجاز ان تكون الجنة والنار مخلوقتين الا ان كابد عليه قوله تعالى في صفة الجنة اعدت للمتقين وفي صفة النار اعدت للكافرين كما قال الله تعالى اكلها دائم وظلها مع كونهما هالكين بهذا المعنى

* ثم يعون الله ما يتعلق بسورة القصص وقد تم طبع هذا الجزء لعشر خلون من ذي القعدة سنة اثنين وثمانين ومائتين بعد الالف من هجرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم

(والعاقبة) المحمود (المتقين) ما لا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) ذاتا وقدرها ووصفا (ومن جاء بالسبئية فلا يجزي الذين عملوا السيئات) وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهيئنا لخالهم بتركه راسناد السبئية اليهم (الا ما كانوا يعملون) اي الامثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة (ان الذي فرض عليك القرآن) اوجب عليك تلاوته وتليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة ورده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد الحسين ووعد المسيح وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روى انه انه لم يبلغ جحفة في مهاجرة اشتاق الى مولده ومولد آبائه فزلات (قل ربي اعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب وانصر ومن متصب بفعل يفسره اعلم (ومن هو في ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والا لال يعنى به نفسه والمشركون وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب) اي سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الارجعة من ربك) ولكن ألقاه رجعة مندو يجوز ان يكون استثناء مجحولا على المعنى كانه قال وما لقي اليك الكتاب الا رجعة اي لاجل الترحم (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمدار نعمهم والفصل منهم والاجابة الى طابئهم (ولا يصدك عن آيات الله) عن قرأتها والعمل بها (بعد اذا نزلت اليك) وقرئ بصدك من أصد (وادع الى ربك) الى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا وما قبله التهيج وقطع اطماع المشركين عن مساعدتهم (لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه) الا ذاته فان ماعدها ممكن هالك في حد ذاته معدوم (له الحكم) القضاء النافذ في الخلق (والله ترجعون) الجزاء بالحق بحسن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد به يوم القيامة انه كان صادقا